ع ٢٢٢٦ م
دوريات



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غانم خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الهجرة وموقف نسير

وما كانت هجرة رسول الله ﷺ لتتم إلا بإذن من ربنا - عز وجل - فما كان هناك من أمور الدعوة ما يستدعي البقاء بمكة ، فحتى هذه اللحظات الأخيرة لوجوده - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يومئذ من سوف يؤمن يومئذ إلا من قد آمن ، وكان في قوله - تعالى - من سورة الصافات : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾

سورة الصافات

إشارة إلى أن الرسالة - في أهل مكة ، ومن أهل مكة - مرفوضة إلى حين .. فكان أن ارتحل - عليه الصلاة والسلام - غير مهاجر إلى الطائف ليدعو فيه إلى الإسلام . وحدث بالطائف ما يعرفه المسلمون ، فأخذ طريقه - عليه الصلاة والسلام إلى (نخلة) ليتوجه بعد ذلك إلى مكة .

المحرم ١٤١٧ هـ - مايو / يونيو ١٩٩٦ م - الجزء الأول - السنة التاسعة والستون

فماذا كان من أمر مكة :

رأت مشيخة مكة فى ذهاب رسول الله ﷺ إلى الطائف فرصة للتخلص نهائياً منه ، فادعت أنه إنما ذهب إلى الطائف ليستعين به على ضرب مكة . فأصدرت قراراً بعدم دخوله ﷺ مكة مطلقاً .

وهذا ما نعنيه بـ « الموقف العسير » . ذلك أن الله ـ تعالى ـ لم يأذن لرسوله ﷺ بالهجرة ويعنى ذلك أنه لابد له ـ عليه الصلاة والسلام ـ من العودة إلى مكة .

وهذا قرار مشيخة مكة بعدم دخوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيها ..

وهنا تجلت حكمته ﷺ أمام هذا الموقف تلك الحكمة التى زوده المولى ـ عز وجل ـ بها على أعلى ما تكون ، سداداً وبصيرة ، فكان هذا الدرس الذى لا نظير له فى كل ما طالعنا من سياسات .

لم يصادم رسول الله ﷺ قرار مكة الجائر ، بل لم يعلن ـ عليه الصلاة والسلام ـ كذب هذا الادعاء ، فجعلها ـ عليه الصلاة والسلام ـ تطمئن بقرارها إلى حد بعيد .

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم من فضائل العرب فضائل هى عندها فوق القانون لا يمسونها بسوء ـ وبخاصة فى البلد الحرام ، من هذه الفضائل « الجوار » فاتخذ رسول الله ﷺ من الجوار سياسة قلبت قرار مكة رأساً على عقب .

أرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ رسولاً إلى المُطْعِم بن عَدِىّ ـ يطلب جواره ، فقال المطعم لرسول رسول الله ﷺ نعم . وأخذ بنيه بأسلحتهم ، واندفع خارج مكة والتفوا حول رسول الله ﷺ ودخلوا به حتى فناء الكعبة حيث أعلن المطعم إجارته لرسول الله ﷺ فلم يعترض أحد .

وأقام ـ عليه الصلاة والسلام بمكة حتى أذن الله ـ تعالى ـ له فى الهجرة ، وأرجو أن أكون على صواب إذا قلت : إن آية الإذن هى قوله تعالى :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة الذاريات

وهى آية نزلت بعد آية الصافات بفترة غير قصيرة ارتحل بعدها ـ عليه الصلاة والسلام ـ مهاجراً بصحبة الصديق ـ رضى الله عنه ـ

د. على أحمد الخطيب



(١) سورة الفاتحة
مكية وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٣
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧

نزلت بعد المدثر



لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى



تقدم ـ فى العدد الماضى ـ الحديث عن منزلة الفاتحة من القرآن الكريم ، وآياتها ، وأسمائها ، وفضلها ، ثم تفسيراً للاستعاذة فالبسملة ، ويختم الإمام ـ هنا ـ تفسير السورة .

﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد ﴾ هو : الثناء باللسان على الجميل الصادر عن اختيار من نعمة أو غيرها .

﴿ رب العالمين ﴾ أى : مالكهم ، إذ الرب مصدر « رَبَّهُ يَرُبُّهُ » إذا تعاهده بالتربية حتى يبلغ به شيئاً فشيئاً درجة الكمال . وهو اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ولا يطلق على غيره إلا مقيداً ، فيقال : رب الدار ، ورب الضيعة أى : صاحبها ومالكها .

والعالمين : جمع عالَم ، وهو كل موجود سوى الله ـ تعالى ـ

قال القرطبى : « وهو مأخوذ من العلم والعلامة ، لأنه يدل على موجده » وقيل : المراد بالعالمين أولو العلم من الإنس والجن والملائكة .

وقد افتتحت سورة الفاتحة بهذه الجملة الكريمة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ لأنه ـ سبحانه ـ أول كل شيء وآخر كل شيء ، ولكي يعلمنا ـ سبحانه ـ أن نبدأ كتبنا وخطبنا بالحمد والثناء عليه ، حتى نبدأ ونحن فى صلة بالله تكشف عن النفوس أغشيتها ، وتجلو عن القلوب أصداءها .

والمعنى ـ كما قال ابن جرير ـ الشكر خالصاً لله ـ جل ثناؤه ـ دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد . ولا يحيط بعددها غيرُهُ أحد ، فى تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم فى دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق لهم عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود فى دار المقام فى النعيم المقيم . لربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخراً[1] .

فالآية الكريمة قد قررت بصراحة ووضوح ثبوت الثناء المطلق الذى لا يحد لله ـ تعالى ـ وأنه ليس لأحد أن ينازعه إياه ـ سبحانه ـ هو رب العالمين .

وجملة ﴿ الحمد لله ﴾ مفيدة لقصر الحمد عليه ـ سبحانه ـ نحو قولهم : « الكرم فى العرب » . كما أن (أل) فى « الحمد » للاستغراق . أى : أن جميع أجناس الحمد ثابتة لله رب العالمين .

وإنما كان الحمد مقصوراً فى الحقيقة على الله ؛ لأن كل ما يستحق أن يقابل بالثناء ؛ فهو صادر عنه ومرجعه إليه ، إذ هو الخالق لكل شىء ، وما يقدم إلى بعض الناس من حمد جزاء إحسانهم ، فهو فى الحقيقة حمد لله ، لأنه ـ سبحانه ـ هو الذى وفقهم لذلك وأعانهم عليه .

ولم تفتتح السورة بصيغة الأمر بأن يقال : احمدوا الله ، وإنما افتتحت بصيغة الخبر ﴿ الحمد لله ﴾ ، لأن الأمر يقتضى التكليف : والتكليف قد تنفر منه النفوس أحياناً ، فأراد ـ سبحانه ـ وهو يبادئهم بشرعة جديدة وتكاليف لم يعهدوها ، أن يؤنس نفوسهم ، ويؤلف قلوبهم ، فساق لهم الخطاب بصيغة الخبر ، ترفقا بهم ، حتى يديموا الإصغاء لما سيلقيه عليهم من تكاليف .

وقد تكلم بعض المفسرين عن الحكمة فى ابتداء السورة الكريمة بقوله ـ تعالى ـ ﴿ الحمد لله ﴾ ، دون قوله ـ تعالى ـ : المدح لله ، أو : الشكر لله . فقال :

اعلم أن المدح أعم من الحمد ، والحمد أعم من الشكر . أما بيان أن المدح أعم من الحمد فلأن المدح يحصل للعاقل وغير العاقل ، ألا ترى أنه كما يحسن مدح الرجل العاقل على أنواع فضائله ، فكذلك قد يمدح اللؤلؤ لحسن شكله . أما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان ، فثبت أن المدح أعم من الحمد .

وأما بيان أن الحمد أعم من الشكر ، فلأن الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الإنعام ، سواء أكان ذلك الإنعام واصلا إليك

(1) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٣٥ طبعة دار المعارف .

أم إلى غيرك . وأما الشكر فهو عبارة عن تعظيمه لأجل إنعام وصل إليك ، فثبت بما ذكرنا أن المدح أعم من الحمد ، وأن الحمد أعم من الشكر .

إذا عرفت هذا فنقول : إنما لم يقل : المدح لله ، لأنا بينا أن المدح كما يحصل للفاعل المختار فقد يحصل لغيره . وأما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار . فكان قوله « الحمد لله » تصريحاً بأن المؤثر في وجود هذا العالم فاعل مختار خلقه بالقدرة والمشيئة ..

وإنما لم يقل : الشكر لله ، لأنا بينا أن الشكر عبارة عن تعظيمه بسبب إنعام صدر منه ووصل إليك ، وهذا يشعر بأن العبد إذا ذكر تعظيمه بسبب ما وصل إليه من النعمة . فحينئذ يكون المطلوب الأصلي له وصول النعمة إليه . وهذه درجة حقيرة . فأما إذا قال « الحمد لله » ، فهذا يدل على أن العبد حمده لأجل كونه مستحقاً للحمد لا لخصوص أنه ـ سبحانه ـ أوصل النعمة إليه ، فيكون الإخلاص أكمل ، واستغراق القلب في مشاهدة نور الحق أتم ، وانقطاعه عما سوى الحق أقوى وأثبت[٢] .

وقد أجرى ـ سبحانه ـ على لفظ الجلالة نعت الربوبية للعالمين ، ليكون كالاستدلال على استحقاقه ـ تعالى ـ للحمد وحده ، وفي ذلك إشعار لعباده بأنهم مكرمون من ربهم ، إذ الأمر بغير توجيه فيه إيماء إلى إهمال عقولهم ، أما إذا كان وجيهاً ومعللا فإنه يكون فيه إشعار لهم برعاية ناحية العقل فيهم ، وفي تلك الرعاية تشريف وتكريم لهم .

فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم : اجعلوا حمدكم وثناءكم لي وحدي . لأني أنا رب العالمين . وأنا الذي تعهدتكم برعايتي وعنايتي وتربيتي منذ تكوينكم من الطين حتى استويتم عقلاء مفكرين .

وقد أتبع ـ سبحانه ـ هذا الوصف وهو ﴿ رب العالمين ﴾ ، بوصف آخر هو ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ لحكم سامية من أبرزها : أن وصفه ـ تعالى ـ ﴿ برب العالمين ﴾ أي : مالكهم ، قد يثير في النفوس شيئاً من الخوف أو الرهبة ، فإن المربي قد يكون خشناً جباراً متعنتاً ، وذلك مما يخدش من جميل التربية ، وينقص من فضل التعهد ، لذا قرن ـ سبحانه ـ كونه مربياً ، بكونه الرحمن الرحيم ، لينفي بذلك هذا الاحتمال ، وليفهم عباده بأن ربوبيته لهم مصدرها عموم رحمته وشمول إحسانه ، فهم برحمته يوجدون ، وبرحمته يتصرفون ويرزقون ، وبرحمته يبعثون ويسألون .

ولاشك أن في هذا الإفهام تحريضاً لهم على حمده وعبادته بقلوب مطمئنة ، ونفوس مبتهجة ، ودعوة لهم إلى أن يقيموا حياتهم على الرحمة والإحسان ، لا على الجبروت والطغيان ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

﴿ مالك يوم الدين ﴾

بعد أن بين ـ سبحانه ـ لعباده موجبات حمده ، وأنه الجدير ـ وحده ـ بالحمد ، لأنه المربي الرحيم ، والمنعم الكريم ، أتبع ذلك ببيان أنه ـ سبحانه ـ ﴿ مالك يوم الدين ﴾ .

---

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ ١ ص ٣ طبعة المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٤ هـ .

والمالك وصف من الملك - بكسر الميم - يعني : حيازة الشيء مع القدرة على التصرف فيه . واليوم في العرف : ما يكون من طلوع الشمس إلى غروبها ، وليس هذا مراداً هنا ، وإنما المراد مطلق الزمن وهو يوم القيامة .

والدين : الجزاء والحساب ، يقال : دنته بما صنع ، أي : جازيته على صنيعه ، ومنه قولهم : كما تدين تدان . أي : كما تفعل تجازى ، وفي الحديث (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) أي : حاسب نفسه .

والمعنى : أنه - تعالى - يتصرف في أمور يوم الدين من حساب وثواب وعقاب ، تصرف المالك فيما يملك ، كما قال - تعالى - ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾(٣) .

وهناك قراءة أخرى للآية وهي ﴿ **ملك يوم الدين** ﴾ من المُلك - بضم الميم - وعليها يكون المعنى : أنه - تعالى - هو المدبر لأمور يوم الدين ، وأن له على ذلك اليوم هيمنة الملوك وسيطرتهم ، فكل شيء في ذلك اليوم يجرى بأمره ، وكل تصرف فيه ينفذ باسمه ، كما قال - تعالى - ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾(٤) .

قال الإمام ابن كثير : وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة . وإنما أضيف إلى يوم الدين ، لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ، كما قال - تعالى - ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾(٥) .

والمَـلِكُ في الحقيقـة هو الله ، قال - تعالى - ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾(٦) وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقبض الله الأرض ، ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ، أين المتكبرون » .

ثم قال : وأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال - تعالى - ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾(٧) .

وفي هذه الأوصاف التي أجريت على الله تعالى ، من كونه ربا للعالمين وملكا للأمر كله يوم الجزاء ، بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله : ﴿ **الحمد لله** ﴾ في كل ذلك دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه ، بل لا يستحق ذلك على الحقيقة سواه ، فإن ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته له »(٨) .

والمتدبر لهذه الآية الكريمة يراها خير وسيلة لتربية الإنسان وغرس الإيمان العميق في قلبه ، لأنه إذا آمن بأن هناك يوماً يظهر فيه إحسان المحسن وإساءة المسيء ، وأن زمام الحكم في ذلك اليوم لله الواحد القهار ؛ فإنه في هذه الحالة سيقوى عنده

(٣) آخر الانفطار .
(٤) غافر : ١٦ .
(٥) النبأ : ٣٨ .
(٦) الحشر : ٢٣ .
(٧) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٥ .
(٨) « فتح البيان جـ١ ص٢٩ » . الشيخ صديق حسن خان .

خلق المراقبة لخالقه ، ويجتهد فى السير على الطريق المستقيم .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

كانت الآيات الثلاث التى تقدمت هذه الآية تقريراً للحقيقة فى جانب الربوبية وعظمتها وعموم سلطانها وسعة رحمتها تقريراً جمع أمور الدنيا والآخرة ، ثم جاءت هذه الآية لتقرر أن الذى يجدر بنا أن نعبده وأن نستعين به إنما هو الله الذى تجلت أوصافه ، ووضحت عظمته ، وثبتت هيمنته على هذا الكون .

ولفظ « إيا » ضمير منفصل ، و« الكاف » الملحقة به للخطاب .

والعبارة تفيد أن الطاعة البالغة حد النهاية فى الخضوع والخشوع والتعظيم ، والعبادة الصحيحة تتأتى للمسلم بتحقق أمرين : إخلاصها لله ، وموافقتها لما جاء به النبى ﷺ .

قال ابن جرير : « لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة ، وأنها تسمى الطريق المذلل الذى وطئته الأقدام . وذللته السابلة معبداً »(٩) .

والاستعانة : طلب المعونة ، من أجل الاقتدار على الشىء والتمكن من فعله .

والمعنى : لك يا ربنا وحدك نخشع ونذل ونستكين ، فقد توليتنا برعايتك ، وغمرتنا برحمتك ، فنحن نخصك بطلب الإعانة على طاعتك وعلى أمورنا كلها ، ولا نتوجه بهذا الطلب إلى أحد سواك ، فأنت المستحق للعبادة ، وأنت القدير على كل شىء ، والعليم ببواطن الأمور وظواهرها ، لا تخفى عليك طوية ، ولا تتوارى عنك نية .

وقدم ـ سبحانه ـ المعبود على العبادة فقال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، لإفادة قصر العبادة عليه ، وهو ما يقتضيه التوحيد الخالص .

وقال : ﴿ نَعْبُدُ ﴾ بنون الجماعة ولم يقل أعبد ، ليدل على أن العبادة أحسن ما تكون فى جماعة المؤمنين ، وللإشعار بأن المؤمنين المخلصين يكونون فى اتحادهم وإخائهم بحيث يقوم كل واحد منهم فى الحديث عن شئونهم الظاهرة وغير الظاهرة مقام جميعهم ، فهم كما قال النبى ﷺ : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم »(١٠)

وقدمت العبادة على الاستعانة ، لكون الأولى وسيلة إلى الثانية . وتقديم الوسائل سبب فى تحصيل المطالب ، وليدل على أنهم لا يستقلون بإقامة العبادات ، بل إن عون الله هو الذى يسر لهم أداءها .

ولم يذكر المستعان عليه من الأعمال ؛ ليشمل الطلب كل ما تتجه إليه نفس الإنسان من الأعمال الصالحة .

وجاءت الآية الكريمة بأسلوب الخطاب على طريقة الالتفات ، تلوينا لنظم الكلام من أسلوب إلى أسلوب . وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال :

« فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟

---

(٩) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٩١ .

(١٠) رواه الشيخان ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد .

قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان .

وهو قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ... وذلك على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه ؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب ، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد : وقد تختص مواضعه بفوائد . ومما اختص به هذا الموضع : أنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالثناء وغاية للخضوع والاستعانة فى المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة ، ولا نعبد غيرك ولا نستعينه ... »[11] .

هذا ، وقد جاءت فى فضل هذه الآية الكريمة آثار متعددة ، ومن ذلك قول بعض العلماء : الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك ، والثانى تبرؤ من الحول والقوة ، (مع) التفويض إلى الله »[12] .

ثم بين ـ سبحانه ـ أن أفضل شىء يطلبه العبد من ربه ، إنما هو هدايته إلى الطريق الذى يوصل إلى أسمى الغايات ، وأعظم المقاصد ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

والهداية : هى الإرشاد والدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية .

وتسند الهداية إلى الله وإلى النبى وإلى القرآن ، وقد يراد منها الإيصال إلى ما فيه خير ، وهى بهذا المعنى لا تضاف إلى الله ـ تعالى .

قال أبو حيان فى (البحر) ما ملخصه : وقد تأتى بمعنى التبيين كما فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[13] أى بينا لهم طريق الخير ، أو بمعنى الإلهام كما فى قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ ﴾[14]

قال المفسرون معناه : ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها ، أو بمعنى الدعاء فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[15] أى : داع . والأصل فى (هدى) أن يصل إلى ثانى معموليه باللام كما فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[16] أو بإلى كما فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾[17] ثم يتسع فيه فيعدى إليه بنفسه ومنه : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾[18] .

والصراط : الجادة والطريق ، من (سرط) الشىء إذا ابتلعه ، وسمى الطريق بذلك لأنه يبتلع المارين فيه ، وتبدل سينه صاداً على لغة قريش .

---

(١١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٣ طبعة بيروت .

(١٢) راجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٣ طبعة بيروت .

(١٣) فصلت : ١٧ .

(١٤) [illegible]

(١٥) الرعد : ٧ .

(١٦) الإسراء : ٩ .

(١٧) الشورى : ٥٢ .

(١٨) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ص ٢٥ .

والمستقيم : المعتدل الذى لا اعوجاج فيه .

وأنعمت عليهم : النعمة لين العيش وخفضه ، ونعم الله كثيرة لا تحصى .

﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ الغضب : هيجان النفس وثورتها ، عند الميل إلى الانتقام ، وهو ضد الرضا . وإذا أسند إلى الله فُسِّر بمعنى : إرادة الانتقام ، أو بمعنى الانتقام نفسه .

والموافق لمذهب السلف أن يقال : هو صفة له ــ تعالى ــ لائقة بجلاله لا نعلم حقيقتها مجردة عن اللوازم البشرية ، وإنما نعرف أثرها وهو الانتقام من العصاة ، وإنزال العقوبة بهم .

والمعنى : اهدنا يا ربنا إلى طريقك المستقيم ، الذى يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ويجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من خلقك ، وجنبنا ــ يا مولانا ــ طريق الذين غضبت عليهم من الأمم السابقة أو الأجيال اللاحقة بسبب سوء أعمالهم ، وطريق الذين هاموا فى الضلالات ، فانحرفوا عن القصد ، وحق عليهم العذاب .

وفى هذا الدعاء أسمى ألوان الأدب ، لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له ــ سبحانه ــ قبل ذلك بأنه هو المستحق لجميع المحامد ، وأنه هو رب العالمين ، والمتصرف فى أحوالهم يوم الدين .

قال الإمام ابن كثير : وهذا أكمل أحوال السائل . أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ لأنه أنجع للحاجة ، وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشدنا الله إليه لأنه الأكمل[(١٩)] .

وقد تكلم المفسرون كلاماً كثيراً عن المراد بالصراط المستقيم الذى جعل الله طلب الهداية إليه فى هذه السورة أول دعوة علَّمها لعباده . والذى نراه : أن أجمع الأقوال فى ذلك أن المراد بالصراط المستقيم : هو ما جاء به الإسلام من عقائد وآداب وأحكام ، توصل الناس متى اتبعوها إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فإن طريق الإسلام هو الطريق الذى ختم الله به الرسالات السماوية ، وجعل القرآن دستوره الشامل ، ووكل إلى النبى ﷺ أمر تبليغه وبيانه .

وقد ورد فى الأحاديث النبوية ما يؤيد هذا القول ، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، عن النواس بن سمعان ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال له : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم » .

والمراد بقوله ــ تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ أى : ثبتنا عليه ، واجعلنا من المداومين على السير فى سبيله ، فإن العبد مفتقر إلى الله فى كل

(١٩) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٦ .

وقت لكي يثبته على الهداية ، ويزيده منها ، ويعينه عليها . وقد أمر سبحانه المؤمنين أن يقولوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

وجملة ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ بدل من الصراط المستقيم .

ولم يقل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم مستغنياً عن ذكر الصراط المستقيم ، ليدل أن صراط هؤلاء المنعم عليهم هو الصراط المستقيم .

وقال : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ولم يقل صراط الأنبياء أو الصالحين ، ليدل على أن الدين في ذاته نعمة عظيمة ، ويكفى للدلالة على عظمتها إسنادها إليه - تعالى - في قوله : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ لأن المراد بالإنعام هنا - على الراجح - الإنعام الديني . فالمنعم عليهم هم من عرفوا الحق فتمسكوا به ، وعرفوا الخير فعملوا به .

قال بعض العلماء : (وإنما اختار في البيان أن يضيف الصراط إلى المنعم عليهم لمعنيين :

أولهما : هو إبراز نفسية المحب المخلص ، وأنه يكون شديد الاحتياط دقيق التحرى عن الطريق الموصل إلى ساحة الرضا في ثقة تملأ نفسه ، وتفعم قلبه ، ولا يجد في مثل هذا المقام ما يملأ نفسه ثقة إلا أن يبين الطريق ، بأنه الطريق الذى وصل - بالسير عليه من قبله - الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون .

وثانيهما : أن من خواطر المؤمل في نعيم ربه أن يكون تمام أنسه في رفقة من الناس صالحين ، وصحب منهم محسنين)[٢٠] .

وقوله - تعالى - ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ بدل من ﴿ الذين أنعمت عليهم ﴾ وأتى في وصف الإنعام بالفعل المسند إلى الله - تعالى - فقال : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ وفي وصف الغضب باسم المفعول فقال : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ وفي ذلك تعليم لأدب جميل ، وهو أن الإنسان يجمل به أن يسند أفعال الإحسان إلى الله ، ويتحامى أن يسند إليه أفعال العقاب والابتلاء ، وإن كان كل من الإحسان والعقاب صادراً منه ، ومن شواهد هذا قوله - تعالى - حكاية عن مؤمني الجن ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[٢١]

وحرف (لا) في قوله ﴿ ولا الضالين ﴾ جيء به لتأكيد معنى النفي المستفاد من كلمة غير . والمراد بالمغضوب عليهم اليهود . وبالضالين النصارى . وقد ورد هذا التفسير عن النبي ﷺ في حديث رواه الإمام أحمد في (مسنده) وابن حبان في (صحيحه) .

ومن المفسرين من قال بأن المراد بالمغضوب عليهم من فسدت إرادتهم حيث علموا الحق ولكنهم تركوه عناداً وجحوداً ، وأن المراد بالضالين من فقدوا العلم فهم تائهون في الضلالات دون أن يهتدوا إلى طريق قويم .

---

(٢٠) تفسير سورة الفاتحة لفضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن بمجلة الأزهر السنة ٢٢ العدد ١٣ ص ٨٨٥ .

(٢١) تفسير سورة الفاتحة لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم محمد الخضر حسين بمجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة الأولى ص ١٠ والآية من سورة الجن / ١٠ .

وقدم المغضوب عليهم على الضالين ، لأن معنى المغضوب عليهم كالضد لمعنى المنعم عليهم ، ولأن المقابلة بينهما أوضح منها بين المنعم عليهم والضالين ، فكان جديراً بأن يوضع في مقابلته قبل الضالين .

قال العلماء : ويستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها (آمين) ومعناه : اللهم استجب ، وليس هذا اللفظ من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال : سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فقال : (آمين) مد بها صوته .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه » .

هذا ، وقد أفاض العلماء في الحديث عما اشتملت عليه سورة الفاتحة من آداب وعقائد وعبادات وأحكام ، ومن ذلك قول ابن كثير .

(اشتملت هذه السورة الكريمة ، وهي سبع آيات ـ على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا ، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين ، وعلى إرشاد عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبري من حولهم وقوتهم ، إلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية ، وتنزيهه عن أن يكون له شريك أو نظير ، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه ، واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة ، والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة ، وهم المغضوب عليهم والضالون)[22] .

وقال بعض العلماء : سورة الفاتحة مشتملة على أربعة أنواع من العلوم هي مناط الدين .

أحدها : علم الأصول وإليه الإشارة بقوله ﴿ **الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم** ﴾ ، ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بقوله : ﴿ **أنعمت عليهم** ﴾ ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بقوله ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ .

وثانيها : علم الفروع وأعظمه العبادات وإليه الإشارة بقوله ﴿ **إياك نعبد** ﴾ .

وثالثها : علم الأخلاق ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ **وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

ورابعها : علم القصص والأخبار عن الأمم السابقة السعداء منهم والأشقياء ، وهو المراد بقوله ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(٢٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٠ .

سورة يس

مع

بقلم : د
ابراهيم
خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

المناسبة :

بعد أن بين الله ـ تعالى ـ أن حدوث البعث لاشك فيه ، ومايكون في يوم القيامة من الجزاء العادل . بين هنا ما أعده للمحسنين ثم أعقبه في الآيات التالية بما أعده للمسيئين ، ترغيبا في العمل الصالح وترهيبا من سوء الأعمال .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ .. ﴾ الآيات من جملة ما سيقال لهم يومئذ ، زيادة لندامة الكفار وحسرتهم ، فإن الإخبار بحسن حال إثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة وحسرة وندامة ، وفي هذا زجر لهؤلاء الكفار عما هم

فيه ، ودعاء إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين ، وإنما عبر عما سيحصل لهم بالجملة الاسمية قبل تحقيقها لتنزيل المترقب الوقوع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة وقوعها . والمعنى الأصلى لـ « شغل » الشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شئونه ، لكونه أهم عنده من كل شيء ، إما لكونه يوجب كمال المسرة والبهجة ، أو كمال المساءة والغم ، والمراد به فى الآية مايكونون فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية ، وجاء نكرة للإيذان بتعظيمه وارتفاعه عن رتبة البيان ، وتوحى هذه الكلمة « فى شغل » بأنهم يوم البعث يعجل دخولهم ودخول بعضهم إلى الجنة ، ووقوف الباقين للشفاعات ونحوها من الكرامات عند دخول أهل النار ، وتوحى أيضا بأنهم بكلياتهم (مقبولون عند الله) مقبلون على الله ، وقد كانوا فى الدنيا فى أشغل الشغل بالمجاهدات فى الطاعات ، فالمؤمنون الصالحون إذا نزلوا فى روضات الجنات يوم القيامة كانوا فى شغل عن غيرهم بما يتمتعون به من اللذات والنعيم المقيم والفوز العظيم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهم كذلك فى شغل عما فيه أهل النار من العذاب ، ومعنى « فاكهون » ناعمون متلذذون فى النعمة ، وقد أخذت « فاكهون » من الفكاهة . وتفسر بطيب العيش ، والفاكه : الطيب النفس الضحوك .

يخبر الله فى هذه الآية أن من يدخل الجنة يتمتع بنعيمها ولذاتها ، ويكون ذلك فى شغل عما سواه ، فرحا ضحوك السن هادىء النفس ، لا يرى شيئا يغمه أو ينغص عليه حبوره وسروره ، ولأن النفس لا يتم سرورها إلا بالقرين الملائم قال تعالى :

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝٥٦ ﴾

وهذه الجملة استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم ، وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم ، وبيان أنهم فى أسعد حال وأهنأ بال ، بشاركهم أزواجهم فى ذلك كله .

وأما من فى النار من أقاربهم وإخوانهم فيكونون عنهم فى شغل ، ولايتألمون من أجل تعذيبهم ، ولايشتهون حضورهم ، وفى المراد بالأزواج ، أقوال كثيرة منها أن يراد أزواجهم المؤمنات اللاتى كن لهم فى الدنيا ومنها أنهم اللاتى زوجهم الله ـ تعالى ـ إياهن من الحور العين . قال تعالى :

﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾

الآية الصافات ـ ٤٨

وقال تعالى :

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾

الرحمن ـ آية ٧٢

ومنها أن المراد بهن ما يعم الصنفين ، ومن المؤمنات اللاتى متن ولم يتزوجن فى الدنيا ، فإن الله تعالى يزوجهن فى الجنة من شاء من عباده ، ويدخل فيهن المؤمنات اللاتى تزوجن فى الدنيا بأزواج ماتوا كفار فأدخلوا النار مخلدين فيها وأدخلن الجنة كامرأة فرعون . فقد جاء فى الأخبار أنها تكون زوجة نبينا ﷺ ، ومنها أن يراد بأزواجهم : أشكالهم فى الإحسان وأمثالهم فى الإيمان .

وظلال فى قوله : ﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ جمع ظل ، وفسر الظل بالوقاية عن مظان الألم ، ولأهل الجنة

من ظل الله ما يقيهم من كل ما يسيئهم ، ويدخل في معنى الظل العزة والمنعة ، ويدخل فيه السقوف والأشجار ، قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب (فيها) في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرأوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾[1] ، وهي ظلال يجدون فيها برد الأكباد وغاية المراد ، كما كانوا يشعرون أكبادهم في دار العمل بحر الصيام والصبر في مرضاتنا على الآلام ، ويعرون أيديهم وقلوبهم من الأموال ببذل الصدقات في سبيلنا على مر الليالي وكر الأيام ، ومن معاني الظلال أن الشمس لا تصيبهم لعدمها في الجنة .

قال تعالى :

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾

الدهر

ولما كان التمتع لايكمل إلا مع العلو الذى يمكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة العين بانفساح البصر عند مد النظر قال تعالى :

﴿ يَمُلْ الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾

جمع أريكة وهي السرير المزين العالى الذى عليه الفرش داخل الحجال ، وهذا جزاء لما كانوا يقومون به في الدنيا من لزوم المساجد وغض الأبصار والتواضع لأجلنا ، « متكئون » إشارة إلى الفراغ والقدرة ، لأن المريض لا يقدر على الاتكاء وإنما يكون مضطجعا أو مستلقيا وهذا جزاؤهم على ما تحملوه في الدنيا من آلام الوقوف بين أيدينا في الصلوات ومجاهدة نفوسهم على فعل الطاعات وترك السيئات .

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

الغرض من ذكر هاتين الجملتين بيـــان ما ينعمون به في الجنة من المآكل والمشارب ، ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان مالهم فيها من مجالس الأنس ومحافل القدس ، تكميلا لبيان ما هم فيه من الشغل والبهجة ، والمعنى لهم فيها فاكهة كثيرة من كل أنواع الفواكه .

وتوحي هذه الجملة بأنه لاجوع في الجنة وأن الأكل فيها ليس لدفع الجوع ، وجملة (ولهم مايدعون) تحمل معاني كثيرة . منها أن دعاءهم مستجاب ، وليس بلازم أن يتقدم منهم الدعاء والطلب . فكل ما يخطر ببالهم يجدونه أمامهم ، يعني أن كل ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب ، وعلى هذا فـ (يدعون) مأخوذ من الدعاء ، ويجوز أن يراد من الادعاء هنا . الطلب والإجابة ، وذلك لأن الطلب من الله فيه لذة . فيحصل لهم لذتان لذة الطلب ، ولذة الإجابة ، ومنها أن معنى « يدعون » يتمنون من قولهم : ادع على ما شئت أى تمن على فإنك تعطاه ، ومنها أن تكون بمعنى الدعوى ، ومعناه أنهم كانوا في الدنيا يدعون أن لهم الله وهو مولاهم ، وأن الكافرين لامولى لهم . فقال الله في الجنة ما يدعون به الدنيا فكأن الله يقول : لكم أيها المؤمنون غدا ما تدعونه اليوم .

﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

هذه الجملة بيان لأكمل النعيم وأفضله ، فلا نعيم فوقه بل كل نعيم في الجنة دونه ، وهذا السلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم أى يسلم عليهم من جهته تعالى بلا واسطة تعظيما لهم .

---

(١) رواه الشيخان . البخاري في كتاب التفسير من صحيحه - سورة « الواقعة » باب قوله « وظل ممدود » ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب . إن في الجنة شجرة .. إلى آخر الحديث « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢ / ٤٢٩ » .

وقال تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ الأحزاب ٤٤ ، وعن جابر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب قد أشرق عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ . قال : فينظر إليهم فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى بركته عليهم في ديارهم »[٢] ويستفاد من هذا الحديث أن الله يسلم عليهم وأنهم يرونه رأى العين قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة ٢٢ – ٢٣ ، وقال ﷺ « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في رؤيته » ، ومع تحية الله لهم تسلم عليهم الملائكة قال – تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد ٢٣ – ٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ الزمر ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾

هذه الجملة معطوفة على الجملة السابقة المسوقة لبيان أصحاب الجنة من عطف القصة على القصة ، ويجوز أن تكون مقولا لقول محذوف تقديره ويقال : امتازوا ، وهذا القول معطوف على القول المقدر العامل في (قولا) من قوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا ﴾ .

يخبر الله – تعالى – عن حال الكفار يوم القيامة بتميزهم عن المؤمنين في موقفهم . أي يقال للمجرمين الكافرين في الآخرة تميزوا في موقفكم عن المؤمنين وانفصلوا عنهم كما قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ . يونس – ٢٨

ومعنى زيلنا بينهم : ميزنا بينهم . فريق في الجنة وفريق في السعير ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ الروم – ١٤ – ١٦

وتحت هذا التميز معان كثيرة كلها مرادة .

أحدها : امتازوا في أنفسكم ، وتفرقوا بسبب ما يحصل لكم من الحسرة والندامة ، فالمجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته ، ونزول دركته هو وضعته فيتحسر . فيقال لهم « امتازوا اليوم » إذ لا دواء لألمكم ولا شفاء لسقمكم .

الثانى : امتازوا عن المؤمنين وتفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فلم يبق لكم اجتماع بهم .

الثالث : امتازوا بعضكم عن بعض : اليهود فرقة ، والنصارى فرقة ، والمجوس فرقة ، والصابئون فرقة ، وعبدة الأوثان فرقة ، والماديون فرقة ، والملحدون فرقة .. وهكذا على خلاف ما للمؤمنين من الاجتماع بالإخوان ، وقد ذكر هذا الاجتماع في قوله تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ **فيكون لأهل النار فوق عذابهم في جهنم عذاب الفرقة وهو أشد العذاب** .

---

(٢) أخرجه ابن ماجة في المقدمة من سننه ٦٦/١ حديث رقم ١٨٤ ، وذكره السيوطي في الجامع الكبير .

الرابع : امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم فمالكم اليوم حميم ولا شفيع قال ـ تعالى :

﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ .

غافر ١٨

الخامس : أن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ امتازوا ﴾ فيظهر عليهم سيما يعرفون بها كما

قال ـ تعالى :

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾

الرحمن ـ ٤١

فيتميزون بسيماهم ويظهر على جباههم أو فى وجوههم .

وإنما وصفهم بالإجرام لاعتدائهم على الحق وظلمهم وجنايتهم على أنفسهم حين تنكروا لعقولهم وأطاعوا شهواتهم .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

مناسبة هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ لما ذكر حال المؤمنين والمجرمين . كان لقائل أن يقول : إن الإنسان كان ظلوما جهولا . والجهل من الأعذار . فقال الله تعالى . يكون الجهل من الأعذار عند عدم الإنذار ، وقد سبق الإنذار على ألسنة الرسل ، وقد عهدنا إليكم وتلونا عليكم ما ينبغى أن تفعلوه وما لا ينبغى .

وقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ .. الآية من جملة ما يقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع والتبكيت والإلزام والمعنى الأصلى للعهد : أنه الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة ، والمراد به فى الآية ما كان منه ـ تعالى ـ على ألسنة الرسل ـ عليهم السلام ـ من الأوامر والنواهى التى من جملتها قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾

الأعراف ـ الآية ٢٧

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

البقرة ـ ١٦٨

وغيرهما من الآيات الواردة فى هذا المعنى ، وهى كثيرة . وفى تعيين هذا العهد وجوه :

الأول : أنه العهد الذى كان مع أبينا آدم ـ عليه السلام ـ بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾

طه ـ ١١٥

الثانى : أنه هو الذى كان مع ذرية آدم بقوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾

الأعراف ـ ١٧٢

الثالث : أن ذلك كان مع كل قوم على لسان رسول . قال تعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ سورة البقرة

وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ـ ٢٥

ومعنى قوله ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لا تطيعوه ولا تنقادوا له . لأن عبادته هى طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم ، وعبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير منها ، ويجوز أن يراد بها عبادة غير الله تعالى ، وإضافتها إلى الشيطان . لأنه الآمر بها المزين لها .

وقوله : ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تعليل لوجوب الانتهاء ، وإنما كانت عداوة الشيطان ظاهرة بينه لما كان بينه وبين أبيكم « آدم » من إخراجكم من الجنة التى هى أشرف المنازل ، ولأمره إياكم بما ينغص الدنيا من التخالف والخصام ، ولتزيينه للفانى الذى لا يرغب فيه عاقل ، وفى معنى هذه الجملة قوله تعالى :
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝﴾ . فاطر

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ .

هذه الجملة معطوفة على (أن لا تعبدوا الشيطان) ، وقدم النهى عن عبادة الشيطان على الأمر بعبادة الرحمن من قبيل تقديم التخلية على التحلية ، والإشارة فى « هذا صراط » .. تعود على عبادته المأخوذة من قوله « وأن اعبدونى » .. وهى التوحيد والإسلام ، وجملة « هذا صراط مستقيم » مستأنفة مبينة لمقتضى العهد بعبادته ـ تعالى ، وتنكير « صراط » للمبالغة فى التعظيم . أى : هذا صراط بليغ فى استقامته ، وعبادة الشيطان طريق معوج ضيق غاية الضيق والعوج .

ومعنى قوله ـ تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ وما بعدها : قد أوصيتكم وأمرتكم وتقدمت إليكم على لسان الرسل ـ يا بنى آدم ، ونصبت لكم الأدلة ومنحتكم العقول ألا تطيعوا الشيطان فيما يوسوس به إليكم من معصيتى ومخالفة أمرى ، فإن الشيطان ظاهر العداوة لكم من أبيكم « آدم » ـ عليه السلام ـ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأخلصوا لى العبادة وخصونى بها فإنها المنهج القويم الموصل إلى جنات نعيم .

ما ترشد إليه الآيات :

١ ـ إن أصحاب الجنة يتمتعون فيها متعة مادية وليست روحية فقط ، فهم فى شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصى فى النار وما هم فيه من أليم العذاب ، وإن كان فيهم أقرباؤهم وأهلوهم .

٢ ـ يتمتع أهل الجنة بنعيمها هم وأزواجهم تحت ستور تظللهم على الأرائك متكئون .

٣ ـ لهم أنواع من الفاكهة لا تعدو ولا تحصى ولهم كل ما يتمنون ويشتهون فمهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ .

٤ ـ ولهم أكمل الأشياء وآخرها الذى لا شيء فوقه وهو السلام من الله رب العالمين الرحمن الرحيم . إما بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك أقصى ما يتمنونه .

٥ ـ إن سياسة العزل للمجرمين ستطبق فى الآخرة بنحو تام وشامل فيميز المجرمون عن المؤمنين تحقيراً لهم وإعداداً لسوقهم إلى نار جهنم ، وذلك حين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة فيقال لهم : اخرجوا من جملتهم .

٦ ـ يعاقب الكفار قبل أن يعاقبوا فيقال لهم: **ألم أعهد إليكم ألا تعبدوا الشيطان ، وأن تعبدونى فإن عبادتى دين قويم.**

قبس من أنوار النبوة

من رحمة رسول الله ﷺ بأمته

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

ورد عن عون بن أبى جُحَيْفَةَ عن أبيه «أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبى الدرداء ، قال : فجاء سلمان يزور أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً ـ رثة الثياب ـ فقال : ما شأنك ؟ إن أخاك ليست له حاجة فى الدنيا . فلما جاء أبو الدرداء ، رحب به سلمان ، وقرب إليه طعاما ، فقال له سلمان : أطعم . قال : إنى صائم ، قال : أقسمت عليك إلا طعمت ، فإنى ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكل معه وبات عنده ، فلما كان من الليل ، قام أبو الدرداء فحبسه سلمان ، ثم قال : يا أبا الدرداء ، إن لربك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، ولجسدك عليك حقا ، أعط كل ذى حق حقه ، صم وأفطر ، وقم ونم ، وائت أهلك .

فلما كان عند الصبح قال : قم الآن ، فقاما فصليا ثم خرجا إلى الصلاة ، فلما صلى النبى ﷺ قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان . فقال له رسول الله ﷺ مثل ما قال سلمان وفى البخارى : فقال النبى ﷺ : « صدق سلمان » رواه البخارى ، والترمذى وأبو نعيم والدارقطنى واللفظ لابن حبان .

البيان :

إن الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة للعالمين ، سماه ربه الرءوف الرحيم ، جعل الترابط بين المسلمين ، ورحمة بعضهم بعضا ، وإرشاد بعضهم لبعض من أفضل القربات ، ورفع عون الناس بعضهم لبعض إلى الذروة بين الأعمال الصالحة . وفي ذلك يقول ﷺ : « لأن أمشي مع أخ في حاجة ، أحب إليَّ من أن أعتكف في مسجدي هذا شهرا .. » ويبين أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس .

« كان عبد الله بن عباس — رضي الله عنه — معتكفا في مسجد رسول الله ﷺ ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئبا حزينا قال : نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ . لفلان عليَّ حق ولاء — دين — وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت . قال : فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ، قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ، والعهد به قريب — فدمعت عيناه — وهو يقول : من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين . ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله — تعالى — جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين » رواه البيهقي

لقد آثر ابن عباس أن يدع اعتكافه ، مع أنه عبادة رفيعة الدرجة عند الله لما فيه من استغراق في الصلاة والصيام والذكر . ثم هو في مسجد رسول الله ﷺ حيث يضاعف الأجر ألف مرة فوق المساجد الأخرى . ومع ذلك ، فإن فقه ابن عباس الذي تعلمه من رسول الله ﷺ جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم .

إن هدى الإسلام يتجلى واضحا في منهجه ﷺ حيث يجعل مشاكل الناس والسعي في إيجاد حلول لها ، كالعبادة التي يتقرب بها إلى الرب جل شأنه .

روى البخاري ، بسنده — عن عبد الله بن عمرو ، قال : انكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته ؛ فيسألها عن بعلها ؛ فتقول : نعم الرجل . لم يطأ لنا فراشا ، ولم يفتش لنا كنفا — سترا — منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال : « ألقني به » ، فلقيته بعد فقال : « كيف تصوم ؟ » قال كل يوم . قال : « كيف تختم ؟ » قال : كل ليلة . قال : « صم كل شهر ثلاثة » . واقرأ القرآن في كل شهر . قال : قلت : إني أطيق أكثر من ذلك قال : أفطر يومين وصم يوما ، قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : صم أفضل الصوم صوم داود . صيام يوم وإفطار يوم . واقرأ في كل سبع ليال مرة » .

فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت .

وفي رواية ابن حبان قال عبد الله : ولأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ كان أحب إليّ من أهلي ومالي » .

فقد علمه الرسول أن أحب العمل إلى الله أدومُهُ ـ وإن قل ـ حتى لا يمل ولا يسأم ، ولكنه شدد على نفسه .

وفي حديث عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ ذلك العابد المتبتل ، الذي همّ ذات يوم أن يخصي نفسه ليتخلص من نداء الغريزة الجنسية .
وذات يوم رأى الرسول ﷺ إحدى النساء في هيئة رثة فيسأل النبي عن أمرها ، فتقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ إنها زوجة عثمان بن مظعون ، وإنها تشكو حالها ، فزوجها مشغول عنها بالعبادة يصوم نهاره ، ويقوم ليله .

فذهب رسول الله ﷺ إلى حيث لقي ابن مظعون ، وقال له : « أما لك بي أسوة .... » قال الصحابي : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وما ذاك ..؟ « إني لأفعل ، قال الرسول : لا تفعل ... » إن لجسدك عليك حقا ... وإن لأهلك عليك حقا ... » ، وامتثل الصحابي نصح رسول الله .. وأدى حق أهله وفي صباح اليوم التالي ذهبت زوجة عثمان بن مظعون إلى بيت النبي في هيئة نضرة فيراها النسوة في زينة وبهاء . ويقلن لها .. ما هذا يا زوج ابن مظعون . فتقول : وهي تضحك : أصابنا ما أصاب الناس .

وفي حديثنا : يرى سلمان الفارسي الذي آخى الرسول بينه وبين أبي الدرداء زوجة أخيه في هيئة رثة فيسأل عن أمرها ، فتقول : إن أخاك ليست له حاجة إلى الدنيا .

فكان منه النصيحة العملية لأخيه ـ رضي الله عنهما ، وهي نصيحة أقرها رسول الله ﷺ ، بل قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما روى البخاري : صدق سلمان .

وفي الحديث : نصح المسلم لأخيه المسلم ، وتنبيهه إذا غفل .
وفضل قيام آخر الليل .
وجواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن يفضي ذلك إلى السآمة والملل .
وفيه جواز الفطر من صوم التطوع .

وتلك نبذة من تعاليم الإسلام السمحة ، لا عَنَتَ فيها ولا إرهاق . إن الدين يسر . فسددوا وقاربوا وأبشروا .

فضل الزراعة والزرّاع

فضيلة الدكتور / محمود سالم الخطيب

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع ، فقال له ألست فيما شئت ؟ قال بلى ، ولكنى أحب أن أزرع ، قال فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله ـ تعالى ـ دونك يا بن آدم فإنه لا يشبعك شىء ، فقال الأعرابى والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا ، فإنهم أصحاب زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبى ﷺ رواه البخارى.

- استأذن : أى طلب وسأل ربه الزرع.
- فبذر : أى ألقى البذر فى الأرض.
- فبادر : أى أسرع.
- الطرف : بفتح الطاء وسكون الراء امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ، ويطلق على حركة الجفن.
- الحصد : أى الجذ والقطع.
- لا يشبعك شىء : وصف لعدم القناعة وطلب الزيادة.

ترجمة راوى الحديث

أبوهريرة هو : عبدالرحمن بن عامر بن طريف بن عتاب ، وهو دوسى من اليمن ، وفى اسمه خلاف كبير ، قيل : شهرته بكنيته حتى نسى الناس اسمه ، وقال كان اسمى فى الجاهلية عبدشمس فسمانى رسول الله ـ ﷺ ـ عبدالرحمن.

وقد أجمع أهل الحديث أنه أكثر الصحابة حديثا ، ولكنه ـ رضى الله عنه ـ لم ينفرد بحديث وفى ذلك أبلغ الرد عن من نال منه ، روى عنه كثير من الصحابة والتابعين ، ومنهم : ابن عمر وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ وغيرهما ، ومن التابعين : مروان بن الحكم وسعيد بن المسيب

وغيرهما ـ رضى الله عن الجميع .

وقال البخارى : روى عن أبى هريرة ثمانمائة من أهل العلم ، وكان هو وأهل بيته يقسمون الليل للعبادة ، وأخرج البغوى عن أبى هريرة أنه لمّا حضرته الوفاة بكى ، فسئل فقال « من قلة الزاد وشدة المفازة » وكانت وفاته بالعقيق قريبا من المدينة المنورة ، وحمل إلى المدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين هجرية ـ رضى الله عنه .

المعنى العام للحديث

حرص النبى ﷺ أن يذكر لأصحابه بعض أخبار أهل الجنة حتى تكمل الموعظة وتتم الفائدة ، وينتفعون بعمل الخير ويجتنبون الشر ، ومما ذكره النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أخبار أهل الجنة هذا الحديث الذى نحن بصدده ، ومعناه أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له : إن شأنك فيما أنت فيه ، فإنك تزرع ، فأذن الله له وقال له دونك فازرع ، فبذر فبادر الطرف فما كان بين البذر والحصد والتكوير والتكويم[1] إلا لمح البصر ـ شأن كل عمل فى الجنة ـ فيقول الله ـ تعالى ـ له : تمتع يا بن آدم.

فضل الزراعة

قال الحافظ ابن حجر : جاء لفظ الرجل لأنه الأغلب ، فيشمل : المرأة كذلك ، لأن الإسلام قد سوى بينهما فى كل أمر يمكن المساواة فيه ، وكما يقول علماء الأصول : كل خطاب للذكور فإنه يشمل النساء ولا يخرجن من هذا الخطاب إلا بمخصص ، والحديث يبين فضل الزراعة وفضل الزراع ، وأن كل ما يخرجونه من هذا العمل يكون على سبيل الصدقة فهو صدقة متقبلة .

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[2] والتقييد بالمسلم جرى على الغالب ، لأن الذى يمتثل لأوامر الله ورسوله فى الغالب إنما هو المسلم .

ولا مانع من أن يكون الثواب شاملا للمسلم وغيره ، فقد وردت رواية أخرى صحيحة « ما من رجل » واتفق العلماء على أن الكافر يثاب على أعماله فى الدنيا بكثرة المال والولد وأما فى الأخرة فيثاب بتخفيف عذاب غير الكفر[3] .

كذلك من الأعمال التى يجرى ثوابها بعد موت بن آدم : غرسا غرسه ، فصدقته جارية قال ﷺ : « إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده »[4] رواه مسلم وعدد منها : الزرع ، ولذلك حث النبى ـ ﷺ ـ على هذا العمل حتى عند قيام الساعة .

---

(١) التكوير والتكويم : أى الجمع والمراد أنه لما بذر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع وتمام أمره من القلع والحصد والتذرية والجمع إلا قدر لمح البصر .

(٢) رواه البخارى .

(٣) راجع شرح القسطلانى فى ذلك .

(٤) رواه مسلم .

قال ﷺ : « إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة(٥) فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل(٦) » .

ثواب للمالك والمستأجر

وكذلك يستحق هذا الثواب من كان مستأجرا للأرض ، وأما الأحاديث التي وردت عن نهى تأجير الأرض مثل قوله ﷺ عن جابر ـ رضى الله عنه ـ « من كانت له أرض فليزرعها فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها فليمنحها أخاه المسلم ولا يكريها(٧) » .

فالنهى عن الإجارة إما للكراهة وإما لما يخرج من ثمر الأرض فإذا أجرها له بمال ، صح ذلك لورود الأحاديث فيها ، استشكل بعضهم هذا الحديث مع وصف الله ـ تعالى ـ لأهل الجنة في قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ (١١٨) سورة طه .

وأجيب بأن نفي الشبع أعم من الجوع لثبوت الواسطة وهي الكفاية ، وأكل أهل الجنة لا عن جوع فيها أصلا ، لنفي الله ـ تعالى ـ عنهم ذلك ، واختلف في الشبع ، والمختار : أن لا شبع لأنه لو كان فيها لمنع طلب الأكل المستلذ ، وإنما أراد الله ـ تعالى ـ بقوله « لا يشبعك شيء ذم ترك القناعة بما كان وطلب الزيادة عليه(٨) » .

وتأسيسا على ما تقدم يستفاد من الحديث أن كل ما اشتهى في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها ، ووصف الناس بغالب عاداتهم ، وإن النفوس جبلت على الاستكثار من الخير .

وفق الله المسلمين للتمسك بكتابه وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(٥) فسيلة : أي النخلة من النخيل .
(٦) رواه أحمد .
(٧) يكريها : أي يؤجرها .
(٨) رواه النسائي .
(٩) فتح الباري .

الإمام يحيى بن معين

عرض وتقديم الأستاذ/ أحمد تقى الدين

علم الحديث من أشرف العلوم ، وأعظمها منزلة ، وحين ظهر من بعض الرواة الخلل فى ضبطه بادر فريق من الحفاظ الأمناء منهم من ذوى الفهم والفطنة لدراسة الحديث سندا ومتنا ، فتتبعوا أحوال الرجال ، وقارنوا بين ما يروونه من أخبار للوقوف على ما قد يطرأ على نقلهم من خلل أو اختلاف ، خاصة بعد ظهور الفتن وتعدد أهل النحل ، بحيث لم يعد هناك مجال لحسن الظن ، وتقبل الأحاديث ، دون معرفة بالطريق الذى نقلت عنه ، فكان الهدف والغاية : معرفة رواة الحديث ، فإن كانوا أهل ثقة قُبل منهم ، وإن كانوا ممن لا يُعْرَف أو لا يوثق بنقله رد حديثه ولم يقبل .

لذا قام نفر من المحدثين بمهمة النقد والتصدى له ، والتفرغ له حتى عرفوا به ، ومن هؤلاء الإمام يحيى بن معين .

حياته وسيرته :

هو الإمام يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبدالرحمن المُرِّى الغطفانى .

كانت ولادته فى بغداد فى آخر خلافة أبى جعفر المنصور فى آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين لتسع أو لسبع بقين من ذى القعدة عن سبع وسبعين عاما ؛ وكانت وفاته بالمدينة المنورة عندما كان فى طريقه لأداء فريضة الحج .

أما والده فهو معين بن عوف بن زياد ، من نبلاء الكتاب ، عمل كاتبا لعبدالله بن مالك والى طبرستان والرى وما حولهما ، ثم صار على خراج الرى ، وهذه المناصب تركت له ثروة كبيرة آلت إلى ابنه يحيى .

- اعتمدنا فى اعداد هذا المقال على بحث علمى منشور لفضيلة الدكتور أحمد محمد نور سيف بعنوان : (يحيى بن معين وكتابه التاريخ) ويقع فى أربعة أجزاء من القطع الكبير ، حصل به فضيلته على درجة الدكتوراه فى علوم الحديث من كلية أصول الدين – جامعة الأزهر فى الخامس من شوال ١٣٩٦هـ/٢٩ من ديسمبر ١٩٧٦م وصدرت طبعته الأولى عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، وطبعت بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وتعتبر كلمتنا هذه تعريفا بهذا الكتاب القيم الذى لا يستغنى عنه طالب ، علم الحديث الشريف .

ورغم الثروة والجاه كان يحيى بن معين زاهدا متقللا ، مؤثرا إنفاق تلك الثروة فى طلب الحديث وجمع السنن ، وكان يرى فى المال وسيلة قد تكون سبب سعادة المرء أو شقائه .

ومع زهده وتقشفه لم يعزف عن نهج الحياة فقد كان ذا زوج وولد .

عاصر يحيى بن معين فترة تنازعت اقطارها مدرستان بارزتان فى اتجاههما الفقهى : مدرسة المدينة ، ومدرسة الكوفة .

ولكل من المدرستين ملامح تميزت بها عن الأخرى ويمثل كلا من المدرستين أئمة مجتهدون ، قد تختلف وجهات نظرهم أحيانا ، لكن ينتظم مسيرتهم اتجاه معين نابع من تأثرهم بمشيختهم الأولى ، ورضى كل من الفريقين بمشيخته . وطريقة تفكيرها واجتهادها .

وإلى جانب هاتين المدرستين ، توجد مدرسة أخرى غلب عليها الحديث ، فتميزت به ، وإن كانت مع هذا الاتجاه متأثرة بآثار الصحابة والتابعين التى تنتمى إليها إحدى المدرستين ، مما يقرب وجهات النظر بين رجال كل مدرسة ، وإن كانوا رجال رأى أو أثر .

وقد يغلب على أفراد فى إحدى المدرستين النزوع إلى الأخرى .

ولصلة يحيى المبكرة بشيوخ الكوفة ـ ثم البصرة ـ فقد تأثر باتجاه فقهائها ومحدثيها ، وكان شديد الاعجاب بسفيان الثورى ، وثيق الصلة بوكيع ، وأبى نُعيم ، ويحيى بن سعيد القطان ، وابن مهدى ، وعبدالله بن المبارك ، وكل منهم ينهج مذهبا يغاير الآخر .

وعلى الرغم من شدة إعجاب يحيى بالثورى ، ومن نظرته المنصفة لأبى حنيفة وأمثاله من الفقهاء كالحسن بن حىّ ، وغيره ، فلم يلتزم بمذهب من تلك المذاهب . وإنما كان ينهج منهج أهل الحديث .

وكان فى اجتهاده يقف إلى جانب المدنيين ، وتارة يوافق الكوفيين ، وتارة يتفق مع المدنيين ، وتارة يختار رأيا يباينهما فيه ، وقد يجنح تارة أخرى عن مذهبه فى مسائل تخالف منهج المحدثين .

وكان يفتى فى المسائل التى يُسأل عنها ، ويذكر دليله فيها استدلال مجتهد فإذا جاء الخلاف ، ذكر أن هذا مذهب مالك ، وذاك مذهب أبى حنيفة .

عائلته

ولد يحيى بن معين بعد أن مضى على تأسيس الدولة العباسية ربع قرن تقريبا ، وأصبحت الكوفة مركزا للشيعة وكانت الشام موئلا للناصبة أعداء علىّ وشيعته كما كانت البصرة موالية لهم ، وإلى جانب هؤلاء وأولئك طوائف أخرى منهم الخوارج الذين لم يستقر لهم رأى ، كما ظهر القول بالقدر والجبر ، والقول بالإرجاء ، والتجهم ، وكان لكل فرقة أنصار ينافحون عن مذاهبهم .

كما أذكى العهد الجديد النزعات والنحل التى كانت فى دور التكوين بالروافد العربية التى غزت ديار الإسلام من الثقافات الهندية والفارسية واليونانية ، كذلك وجدت المعتزلة تربة خصبة للنمو والظهور حتى استطاعت أخيرا أن تثب إلى مكان السلطة والتحكم فى رقاب الأمة .

وقد احتك يحيى بن معين بأتباع هذه الطوائف

فى بغداد ، وغيرها من الأمصار التى رحل إليها ، وخصوصا الكوفة والبصرة ، وخَبِرَ ما عندها وما تنتحله وما تدعو إليه .

وقد عصمه الله كما عصم كثيرا غيره من النقاد والمحدثين من هذه النحل المختلفة ، فاختار منهج السلف ولزوم الجماعة ومذهب السنة ، منهج القصد والاعتدال .

ومع ذلك فقد حاق هذه الفرق ، وأعلن رأيه فى مختلف المناسبات فيها ، وصاغ ذلك فى عدد من النصوص ، ففى موقفه من الشيعة والناصبة فى الإمامة يقول : « خير هذه الأمة ـ بعد نبيها ـ أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، هذا قولنا ، وهذا مذهبنا » .

المحنة

عاصر الإمام يحيى بن معين محنةالقول بخلق القرآن ، تلك الفتنة التى اصطلى بنارها العلماء وتباينت منها مواقفهم ، بين الوقوف فى وجه السلطة ، والثبات على الحق ، وبين الخوف من وعيدها وإرهابها وتهديدها بالإيذاء والقتل ، وبين الانسياق فى تيارها ، إما جهلا ، وإما سعيا وراء مغنم .

وكما تباينت مواقف العلماء والمحدثين والفقهاء من التهديد والوعيد تباينت كذلك مواقف السلطة منهم ، فقد اكتفت بالتهديد بالنسبة لفريق منهم ، وبالحرمان من الجرايات بالنسبة لفريق آخر ، وبالحبس والتعذيب لآخرين ، وقتلت البعض منهم ، وتجاهلت البعض الآخر .

وأخذت السلطة سبعة من المحدثين والفقهاء فى عنف وخشونة وحملتهم من بغداد إلى الخليفة المأمون بالرقة لامتحانهم ، وتعمد بذلك إرهابهم ، وتخويفهم ومن هؤلاء السبعة : يحيى بن معين ، وتحقق لديهم أنهم قادمون على عذاب ونكال ، وأنهم بين أمرين لا مفر منهما ، إما التمنع وعدم الاستجابة ، وبذلك قد يتعرضون لأمور لا يطيقونها ونكال لا يقوون عليه ، وإما أن يعلنوا موافقتهم فينجوا من هذا البلاء ، وهم مقيمون على ما يعتقدون ، ولهم فى ذلك مندوحة ، بأنهملم يستجيبوا إلا تحت الإكراه والإرغام .

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ .
سورة النحل ـ آية : ١٠٦

ولعل يحيى بن معين ظل يشعر دائما بالندم على تلك الاستجابة فكان يقرر فى مجلسه دائما ما يريد أن يُكفِّر به عن تلك الكلمة التى قالها خوفا وخشية (القرآن كلام الله وليس بمخلوق) .

حيــاته العلميــة

توجه يحيى منذ صباه إلى علم الحديث وتدوينه والسهر عليه ، وكان يقول : « إنى لأحدث بالحديث ، فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه . » .

وكان منهجه فى طلب الحديث وحرصه عليه قوله : « حكم من يطلب الحديث ألا يفارق محبرته ومقلمته وألا يُحضِّر شيئا[1] يسمعه فيكتبه[2] .

وكان يكره الانتخاب ويذمه ويقول :

(١) أى لا يعتمد على ذاكرته .

(٢) أى يكتب الحديث فور سماعه .

« صاحب الانتخاب يندم »[3] ولذا كان يكتب على الوجه[4] لئلا يسقط عليه حديث .

ولا شك أن هذه الرغبة ، وهذا الحرص قد عادا عليه بثروة هائلة من الأحاديث ، لم تعرف عند غيره .

شيوخه

أما شيوخه ومن تأثر به منهم .. فهم :

ـ أبوكامل المظفر بن مدرك الخراسانى (توفى سنة ۲۰۷ هـ) ، الحافظ ، نزيل بغداد ، روى عن حماد بن سلمة ، وأبى خيثمة وغيرهم .

ـ أبوسلمة الخزاعى ، منصور بن سلمة (توفى سنة ۲۱۰ هـ) الحافظ البغدادى ، روى عن عبدالله بن عمر العمرى ، ويعقوب بن عبدالله القمى ، ومالك ، وسليمان بن بلال .. وغيرهم .

ـ أبوسهل ، الهيثم بن جميل (توفى سنة ۲۱۳ هـ) الحافظ البغدادى نزيل انطاكية ، روى عن جرير بن حازم ، وزهير بن معاوية ، وحماد بن سلمة ، ومالك ، والليث ، وغيرهم .

وهذه هى المشيخة الأولى التى تلقى عنها وتدرب على يديها والتى كان لها أثر كبير فى نبوغه ، وتوجيه هذه الوجهة فى تلقى الحديث والتصدى لدراسته ونقد رجاله .

وإلى جانب هؤلاء مشيخة أخرى ، كانت لها مكانة فى الأمصار ، عرفت بسعة علمها وعلو مكانتها ، وتصدر البعض منها لدراسة أحوال الرجال ونقدهم ، وجمعت إلى ذلك الإمامة فى الزهد والتقوى والورع ، ومن أبرز هؤلاء :

سفيان بن عيينة ، وكيع بن الجراح ، وعبدالله بن المبارك ، وهشيم بن بشير ، ويحى بن سعيد القطان ، وعبدالرحمن بن مهدى ، وعبدالرزاق بن همام ، وهشام بن يوسف ، وعبدالأعلى بن مسهر ، وعبدالله بن نمير .

تلاميذه

وقد أخذ عن يحى بن معين أقرانه وتلاميذه من أئمة النقد وكبار المحدثين ، وغيرهم من التلاميذ الذين عنوا بالبحث عن أحوال الرجال ، والوقوف على علل الأحاديث وغير ذلك من علوم الحديث إلى جانب تلقى الحديث وأخذه .

ومن النقاد وكبار المحدثين الذين أخذوا عنه :

أحمد بن حنبل ، أبوخيثمة زهير بن حرب ، عبدالله بن محمد المسندى ، داود بن رشيد ، هناد بن السرى التميمى .

ومن أقرانه

محمد بن إسماعيل البخارى ، مسلم بن الحجاج ، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستانى ، إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، أحمد بن إبراهيم الدورقى ، محمد بن سعد كاتب الواقدى ، محمد بن هارون الفلاس ، محمد بن يحى الذهلى ، يعقوب بن شيبة السدوسى ، أبوزرعة الرازى ، أبوزرعة الدمشقى ، وخلائق لا يحصون .

---

(۳) بمعنى أنه يجب على راوى الحديث ألا ينتخب ـ أى لا يختار ـ من الروايات التى جمعها .

(٤) أى يكتب على وجه واحد من الورقة حتى لا يضيع منه ما يكتبه على الوجه الآخر .

رحــلاته

كان ليحيى بن معين ولع بالرحلة منذ الصغر طلبا للحديث وجمع السنن وقد حج ماشيا وهو فى الرابعة والعشرين ، وزار البصرة ، واليمن وأخذ عن شيوخها وزار الرى وأخذ من شيوخها ، وزار مصر ومكث بها سنتين وأشهرا ، ثم مر بالشام وزار حمصا .

وهكذا اتسعت رحلاته تجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب من ديار الإسلام فى تلك الحقبة ، وجمع ثروة عظيمة من الآثار ، ونقب عن أحوال الرواة فى تلك الأصقاع بدراسة مروياتهم من جهة ، وآراء فقهائهم فيهم من جهة أخرى ، ولذا عد من النقاد الذين تكلموا فى سائر الرواة .

عنايته بالحديث

ولقد كتب من الحديث وجمع من الأصول شيئا كثيرا ، بحيث أصبح الإكثار من الأحاديث عنه رغبة ملحة ، يقول : « أشتهى أن أقع على شيخ عنده بيت ملىء كتبا ، أكتب عنه وحدى .. » .

ولا غرابة فى كثرة هذه الأحاديث وتعدادها ، فإن المهمة التى تصدى لها يحيى فى الأحاديث تقضى بجمع أكبر عدد ممكن من طرق الأحاديث لدراستها دراسة وافية ، وكان منهجه فى هذا الجمع : « إذا كتبت فقمش ، وإذا حدثت ففتش »(*) ، ولذلك كان يعطى حكما سليما على على ما فى الأحاديث من علة أو خلل أو زيادة ، أو غير ذلك من اختلاف فى المتن أو الإسناد ، وكان لا يصدر الحكم إلا بعد دراسة وتمحيص ، سبقهما تدوين وجمع وإكثار منهم ، حتى تتكامل جوانب المقارنة والاستنتاج .

ولذا كان يحيى بن معين يكتب الحديث نيفا وخمسين مرة وعلى هذا المنهج كانت تبنى المعرفة عند يحيى بالرجال .

الــكذابون

ولم يقتصر على أحاديث الثقات والمحتملين فى الرواية ، بل اتسعت دائرته حتى شملت الإكثار عن الكذابين ، ولم يكن الإكثار عن الكذابين عنده لذاته ، وإنما لتوقعات المستقبل أيضا ، وما يمكن أن يقدم عليه الكذابون أو يفكر فيه المختلقون ، حيث لم يكن نشاطهم قاصرا على الاختراع والابتداع ، بل ذهبوا فى ذلك شوطا أبعد ، فصاروا ينتحلون ويتسترون بذلك ، ويُعمّون ويلبسون فلا يكشف ألاعيبهم إلا الخبير بالرواة وما يروون من أحاديث ، وما يَعْرِفُون به من طرق ، فلا يمكن لأى منتحل أو كذاب أن يندس فى صفوفهم أو يهرب فتنطلى أحاديثه على الناس ، وكان يحيى يقول : « كتبنــا عن الكذابين ، وسجرنا به التنور ، وأخرجنا به خبزا نضيجا » .

وكان نتيجة ذلك الجمع والتتبع أن التقت خيوط الأسانيد عن الأمصار المختلفة فى يديه وشهد له العلماء بأنه ورث تلك الثروة الهائلة فصار المنتهى إليه فى علم الحديث وفى رواية عن أبى القاسم بن سلام : « .. أعلمهم بصحيحه وسقيمه ابن معين » .

ولكى تتحقق الفائدة من تلك المادة الكثيرة

(*) أى اجمع .

أهتم يحيى بتصنيفها وتنظيمها .

والتصنيف : جمع حديث الرجل وتبويبه على مسانيد[1] ، أو على أبواب .

مؤلفاته

لم يباشر يحيى بن معين تأليف كتب في مادة النقد بالمعنى المتعارف عليه ، فقد أغناه تلاميذه عن تلك المهمة ، حيث دونوا عنه كل ما تلقوه منه من معارف ، ومعظمها في « ميدان الجرح والتعديل » ، و« علل الأحاديث » وما يتعلق بهما ، ولقد كانت مجالسة تغص بطالبي هذا الفن وكثروا كثرة لم تعرف عند غيره ، ونقل الرواة عنه روايات مختلفة اختلفت قلة وكثرة وتنوعت واختلفت مستوياتهم بحسب طريقة كل راو منهم وهي :

ـ التاريخ : لأبي الفضل العباس بن حاتم الدوري .

ـ معرفة الرجال : لأحمد بن القاسم بن محرز .

ـ سؤالات ابن الجنيد : لإبراهيم بن عبدالله الجنيد الخُتّلي .

ـ التاريخ في تجريح الرواة وتعديلهم : لعثمان بن سعيد الدارمي .

وفي الحديث :

ـ جزء فيه حديث الصوفي عن يحيى بن معين .

ـ جزء فيه حديث المروزي عن يحيى بن معين .

ـ جزء فيه حديث الشيباني عنه .

ولعل ذلك . راجع إلى أنه كان يتقلل من التحديث ، وعدم عقد الحلقات المعروفة عند المحدثين الآخرين للإملاء والتحديث والعرض ، فكانت مجالسه لا يقصدها في الغالب إلا نوع من طلاب الحديث ممن كان له ولع بتتبع قضايا النقد وتدوين مسائله .

مكانته العلمية

شهد العلماء والنقاد ليحيى بالفضل والتقدم وأحلوه في نفوسهم المحلة الرفيعة ، ودانوا له بالسبق والمعرفة ، وهذه الإمامة والتقدم كانوا يحلونه أعظم إجلال ، ولقد وجد أقرانه وتلاميذه في ملازمته علما ومغنما وحجة ومرجعا عند الاختلاف .

ولقد أرعبت تلك المكانة قلوب الرواة وأورثت نفوسهم الخيفة والتوجس والحذر من وقوع الخطأ ، والتعرض بذلك لوصمة لا تزول آثارها مدى الحياة بل وتبقى سبة الدهر .

مصادره في النقد ومنهجه ومصطلحاته

كان يحيى يشير إلى المصادر الأول أحيانا عن شيوخه المباشرين أو من فوقهم ؛ فيأخذ عن شيوخه من النقاد نقدهم ، وقد يستدرك عليهم فيه .

وللنقد عند يحيى بن معين مقدمات وفرضيات يقوم عليها وهي في مجموعها تشكل مبادئ

---

[1] مسانيد ، جمع مسند : ويعني أن يذكر المصنف أحاديث الراوي جميعها في جلد واحد أو كتاب واحد فأما الأبواب فهم بالجمع تبعا لتسمية الباب ، فباب الوضوء لجمع أحاديث الوضوء ، وكذا باب الصلاة .. الخ .

أساسية لابد لكل ناقد من مراعاتها .

وتتمثل الأمور الأساسية التي يقوم عليها نقده في :

أولا : أن المحدث والراوي إنسان معرض للوقوع في الخطأ والنسيان والغفلة ، ولا لوم عليه في ذلك ، بل هي طبيعة البشر التي فطر عليها . ولذا يقرر يحيى هذا المبدأ « من لم يخطىء في الحديث فهو كذاب » .

ثانيا : أن هذا الخطأ يعالج ويتدارك ، مالم يصاحبه العناد والإصرار ، وإلا كان عرضة للنقد والتجريح ، ويقرر ذلك في مبدأ آخر : « من لم يكن سمحا في الحديث كان كذابا ، قيل له : وكيف يكون سمحا ؟ قال : إذا شك في الحديث تركه » .

ثالثا : وكما يتحتم عليه ترك ما شك فيه ، كذلك يتحتم عليه مراجعة نفسه إذا نبه إلى خطئه ، فلا يكابر ولا يعاند ، وإلا وقع تحت طائلة الذم والتقريع .

وإذا ما أخل الرواة بهذه الأمور تعرضوا لما يكرهون ، ولذا حذرهم يحيى من الغفلة والتساهل ، ونبههم إلى أن يكونوا على حذر شديد من النقاد الذين لا ينجو منهم إلا اليقظ المتحفظ ولذا كان يحيى واضحا في نهجه نزيها في حكمه ، واثقا بنقده .

وكان يتحاشى النقد المباشر للضعفاء الذين بينه وبينهم شحناء ، ويكتفي بنقل كلام الآخرين فيهم ، ومع ذلك فلم يسلم من النقد ، ووصفه بأنه متعنت في نقده ، وأنه كان يتكلم في الناس في حين أن كلام يحيى بن معين في نقد الرجال لا يخلو منه كتاب في الجرح والتعديل ، بل لا تخلو منه صفحة ، وهو من القلائل الذين يندر ألا ترد لهم نقد في ترجمة راو من الرواة ، ولو كان هذا المنطق مستقيما - أي وصفه بالتعنت والكلام في الناس - لكان حرمان الانتفاع من آثاره أولى ما يكون في هذا الميدان الذي تصدى له وبرز فيه ، والنقد عليه بسببه .

وقد عرف يحيى بصرامته في النقد ، وعدم مبالاته بمن ينكشف له حاله ولو كان من أقرب الناس إليه .

مراتب الرواة عند ابن معين

وللرواة عند يحيى بن معين مراتب ثلاث :

المرتبة الأولى : مرتبة الثقات الذين يحتج بحديثهم ، وتقبل رواياتهم ، ويعمل بها ، وهي أعلى المراتب .

وترد فيها العبارات التالية :

- ثبت	- ثقة ، لم يذكره إلا بخير
- ثقة مأمون	- لم يذكره إلا بخير
- ثقة	- صدوق - رجل صدق
- ليس به بأس ، ثقة	- شيخ صدوق
- ليس به بأس	



المرتبة الثانية : من تقبل رواياتهم على ضعف فيهم ، فيكتب حديثهم ، ولا يحتج به ، ولكن ينظر ويعتبر :

وترد فيها العبارات التالية :

- ثقة ، ليس بحجة	- ليس بالقوى ، ولكن يكتب

ـ صدوق، ليس بحجة	ـ ليس بالقوى، لم يقو أمره
ـ ليس بحجة	ـ شيخ
ـ ليس يحتج بحديثه	ـ شويخ ليس به بأس
ـ صالح الحديث	ـ ثقة، يحدث بمناكير
ـ في حديثه ضعف	ـ ليس له فيه كبير رأى
ـ ليس حديثه بذاك، وهو صالح	ـ ليس بمتروك
ـ ليس بذاك	ضعيف



المرتبة الثالثة : من يرد حديثهم ولا يكتب، وهؤلاء، ممن عرفوا بالكذب تحرصا وعمدا ـ أو توهما وغفلة، فيترك حديثهم.

وترد في هذه المرتبة العبارات التالية :

ـ ليس بشيء	ـ لا يكتب حديثه، ولا كرامة
ـ ليس بثقة	ـ لا يحل لأحد أن يكتب عنه
ـ لا يساوى شيئا	ـ كذاب ـ يكذب
ـ لا يساوى فلسا	ـ كذاب ليس بشيء
ـ ليس بثقة ولا مأمون	ـ كذاب خبيث
ـ لا يكتب عنه	ـ ليس بثقة يسرق الحديث
ـ متروك الحديث	ـ يضع الحديث

وهناك ظاهرة قد تبدو غريبة عند يحيى بن معين وهى الاختلاف فى الحكم على الراوى الواحد، ولكن المتتبع لدراسة يحيى بن معين للرواية يتضح له أن هذا الاختلاف ظاهرة طبيعية، إذ هى خالصة لما يتوصل إليه الناقد من أدلة للحكم على الرواة، فقد يحكم على الراوى بحكم ثم تتكشف له أمور تجعله يغير رأيه فيه.

وبقدر ما يستطيع الرواة من تستر، يطول عناء الناقد فى معرفة حقيقة أمرهم، فقد لا ينكشف أمر البعض منهم إلا بعد ممارسة طويلة، ولذا اختلف الرواة عن يحيى فى نُقُول النقد عنه؛ بل قد تتعدد النقول المختلفة عند الرواة الواحد عنه، كما يلاحظ أحيانا اتفاق البغداديين فى نقول عن يحيى يخالفهم فيها غيرهم.

وهكذا ..

نذر يحيى بن معين ـ رحمه الله ـ حياته للدفاع عن ركن عظيم من أركان الشريعة، والمصدر الثانى لمقومات الملة الإسلامية، وقد متعه الله بعمر طويل بلغ خمسا وسبعين عاما قضى الكثير منه فى خدمة دينه، دائم التنقل والترحال بحثا عن السنة تدوينا لها ودراسة وتمحيصا، وتتبعا لأحوال ناقليها حتى إنه قيل عند المناداة على شهود جنازته (من أراد أن يشهد جنازة المأمون على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليشهد).

رحم الله يحيى بن معين ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾.

الإمام الراحل .. وآماله العلمية

للأستاذ الدكتور / على جمعة (*)

رحل عنا إمام من أئمة المسلمين ، وبقية من السلف الصالحين ، وعالم من فحول العلماء العاملين الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، وكان رحمه الله تعالى رجلاً والرجال قليل ، وفقيها من الطراز الأول واسع الاطلاع ، قوى الحجة ، صافى الذهن ، **علمنا كيف يكون التفكر والتدبر ، وكيف يتعامل الفقيه مع الواقع ، وكيف يستفيد من علوم وخبرات الآخرين ، وكيف يتم البحث الجماعى عن المسائل الشائكة وكيف نقضى على الخلاف والاختلاف** .

ولقد أشار الدكتور على الخطيب فى افتتاحية عدد ذى القعدة ١٤١٦ هـ إلى بعض آمال الشيخ الإمام قبل رحيله ، وأشار إلى اسمى باعتبارى كنت حاضراً لتلك الجلسة المباركة التى ذكر فيها الشيخ الإمام ـ رحمه الله ـ عزمه على عقد مؤتمر علمى موسع لمجمع البحوث الإسلامية يكون موضوعه تلك القدرات التى تحتاج إلى تحديد دقيق يُتفق عليه ، جمعاً لكلمة المسلمين فى الداخل والخارج ، من مثل كيفية تحديد اتجاه القبلة ، وتحديد مواقيت الصلاة ، ورؤية الهلال ومقدار الصاع والمد والدرهم والدينار والميل وغيرها من المقاييس والمكاييل والموازين .

(*) أستاذ أصول الفقه المساعد جامعة الأزهر

ومعلوم أن هذه المواضيع وتحديدها بالطرق المتداولة حديثا وبالمقاييس الجارى التعامل بها بين الناس فى عصرنا الحاضر قد حدثت فى القرن الماضى ، خاصة فى عهد (الخديو إسماعيل) وشارك فيها العائدون من البعثات العلمية إلى أوروبا الذين أرسلهم محمد على باشا والى مصر من أمثال محمود باشا الفلكى ومصطفى باشا الفلكى وغيرهم ، ثم ساهم جمع كبير من علماء النميات (وهو علم تاريخ العملات النقدية والأنواط ونحوها) ساهموا فى محاولة تحديد مقادير تلك المقدرات ، واشترك معهم عدد من المستشرقين وكثرت المؤلفات فى ذلك حتى حصرنا منها نحو مائة وخمسين مرجعاً ، بل صدرت قوانين فى أواخر القرن الماضى لتحديد الدرهم والدينار ثم نُسِيَت ، وعلى الرغم من كل هذا المجهود الضخم الا أن الكلمة الأخيرة فى كل هذه الموضوعات لم تتمّ بعد ،

وكان فضيلة الإمام الراحل فى منصبه الفريد كإمام للأزهر وللمسلمين وفى وعيه الفقهى المرهف الدقيق وفى تشوقه لجمع كلمة المسلمين على كلمة سواء يأمل فى عمل ذلك المؤتمر العالمى الذى يلتزم المسلمون بقراراته بعد استقرارهم على رأى واحد من كل ما كتب ومن كل مجهود سابق .

ولقد كلفنى فضيلته مع أخى الأستاذ الدكتور على الليثى أستاذ الفقه بكلية الشريعة ، وأخى الدكتور فرحات عبد العاطى أستاذ الفقه بكلية الشريعة أيضاً بعمل بحث موسع عن المكاييل والمقاييس والموازين فأتممنا البحث وحددنا كل الألفاظ الواردة فى الفقه الإسلامى ، وكان الغرض من هذا هو صدوره فى صورة كتاب يسلم لطلاب الأزهر فى المعاهد الأزهرية ليستطيع الطالب معرفة معانى تلك الألفاظ بالطرق الحديثة ، ولقد حصرنا أكثر من خمسة وخمسين لفظا ، وذكرنا مقاديرها (بالنظام المترى) المعمول به الآن ، ثم اتبعنا ذلك بالأحكام الفقهية التى وردت بها تلك الألفاظ ، وهى محاولة فى طريق الأمل المنشود لتوحيد الكلمة وتحقيق المراد . ولقد سلمنا هذا الناتج النهائى لفضيلة الإمام ــ رحمه الله ــ فأقره وكان يزمع عرضه على مجمع البحوث لاقراره ثم تقريره .

ولقد بدأ مجمع البحوث كذلك فى دراسة مسألة القبلة وكيفية تحديد اتجاهها واستمع للخبراء والعلماء وهو بصدد إصدار شيء حول ذلك .

أما مواقيت الصلاة فايضاً هناك أبحاث مستفيضة علمية وشرعية حول الموضوع موجودة فى مجمع البحوث والمأمول الآن أن يرتب لمثل ذلك المؤتمر تحت ظلال الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية تلبية لرغبة من رغبات الراحل الكريم ونفعاً للعلم وخيراً للأمة ، عسى الله أن يعلى درجته فى الصالحين وأن يلحقنا به على خير آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

مكة : بلد البيت الحرام

بقلم الأستاذ / السيد أحمد أبو الفضل عوض الله

اشتقاق اسم مكة فى الروايات المختلفة :

اختلف الإخباريون فى كلمة مكة ، وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، وفيما يلى نعرض مصدر اشتقاق كلمة مكة فى الروايات المختلفة :

كلمة مكة :

١ ـ قال أبو بكر بن الأنبارى : «سميت مكة لأنها تمك الجبارين أى تذهب نخوتهم»(١) .

٢ ـ ويقال : إنما سميت مكة ، لازدحام الناس بها من قولهم : « قد امتك الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصاً شديداً ، ويرد ياقوت على هذا التفسير بقوله : « فغلط فى التأويل لا يشبه مص الفصيل الناقة بازدحام الناس ، وإنما هما قولان »(٢) .

٣ ـ قال الشرق بن القطامى : « إنما سميت مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمك فيه ؛ أى نصفر صفير المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصرخون ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها ، والمكاء : بتشديد الكاف : طائر يأوى الرياض قال أعرابى ورد الحضر فرأى مكاء يصيح فحنّ إلى بلاده فقال :

ألا أيها المكاءُ مالك ههنا
ألاءٌ ولا شيحٌ فأين تبيضُ
فاصعد إلى أرض المكاكى واجتنب
قرى الشام لا تصبح وأنت مريضُ »

(١) ياقوت : معجم البلدان ، مادة مكة ، مجلد (٥) ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
(٢) نفس المصدر .

ويعلق ياقوت على هذا الرأى بقوله : «والمكاء ، بتخفيف الكاف والمد : الصفير ، فكأنهم كانوا يحكون صوت المكاء ، ولو كان الصفير هو الغرض لم يكن مخففا»[٣] .

٤ ـ وقال قوم : « سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها ، وهى فى هبطة بمنزلة المكوك»[٤] ، والمكوك عربى أو معرب ، قد تكلمت به العرب ، وجاء فى أشعار الفصحاء ، قال الأعشى :

والمكاكى والصحاف من الفـ
ـضة والضامرات تحت الرجال »

٥ ـ ويذهب أهل اللغة إلى أنها سميت مكة لقولهم : « سميت مكة لأنها عُبِدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم : امتك الفصيل أخلاف الناقة إذا جذب جميع ما فيها جذباً شديداً فلم يبق فيها شيئاً »[٥] . ولما كانت مكة مكانا للعبادة فقد امتكت الناس ، أى جذبتهم من جميع الأطراف .

٦ ـ ويرى ياقوت إنها سميت مكة من :
(أ) ملك الثدى ، أى مصه لقلة مائها ، لأنهم كانوا يمتكون الماء ، أى يستخرجونه .
(ب) وقيل : إنها تمك الذنوب ، أى تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يُبقى فيه شيئاً .
(ج) وقيل : سميت مكة لأنها تمك من ظلم أى تنقصه ، وينشد قول بعضهم :

ياَمكةُ الفاجرَ مكي مكّا ،
ولا تمكى مَذْحِجاً وعكّا

٧ ـ وجاء ذكر مدينة مكة فى جغرافية بطليموس تحت اسم (ماكورابا Macoraba[٦]) ومعناه مقدس أو حرم ، مما يستفاد منه أن مكة كانت فى أول عهدها مقاماً دينيا وأنها كانت مركزا للعبادة قبل البعثة النبوية بزمن طويل ، ويبدو أن هذا الاسم له علاقة بالبيت العتيق الذى كان سرّ شهرتها كعاصمة دينية فى الجاهلية ؛ فكلمة (ماكورابا) قريبة من مكرب التى عرفت عند العرب ، وتعبر عن لقب كان يحمله الكهنة فى سبأ قبل أن يتحولوا إلى ملوك ، ومن المرجح أنها تعنى «المقرب إلى الله» لأنها مدينة مقدسة .

ويذكر بروكلمان أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ومعناه : الهيكل[٧] ، بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من ملك فى البابلية بمعنى البيت[٨] . وورد فى القرآن الكريم اسم آخر لمكة هو : بكة ، فذكرت بكة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

آل عمران ٩٦ ، ٩٧

---

(٣) المصدر السابق .
(٤) نفس المصدر .
(٥) ياقوت : معجم البلدان ، مادة مكة ، مجلد (٥) ، ص ١٨٢
(٦) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٤ ص ١٨٨

Lammens, La Mecque a, a Veille del Hegire, P. 22 .
(٧) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٣ - مكة حتى تاريخ العرب ص ١٢٤ .
(٨) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٢٧٥ .
(٩) القرآن الكريم ، سورة آل عمران .

وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها : أن بكة هو موضع البيت ، ومكة هو موضع القرية[10] ، وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضا امام البيت . ونقل ياقوت عن يحيى بن أبى أنيسة : أن بكة موضع البيت ومكة هو الحرم كله . وعن زيد بن أسلم : أن بكة الكعبة والمسجد ، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادى[11] ، الذى ذكره الله تعالى فى قوله :

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[12]

ويرى بعضهم : أن بكة هى نفس مكة ، أبدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب ، ويعتقد الدكتور جواد على أن بكة ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التى تبدل الميم باء[13] .

وذكر الاخباريون لمكة أسماء أخرى غير بكة منها : النسامة ، والناسة ، والباسة لأنها تبس أى تحطم الملحدين ، وقيل تخرجهم . وسميت أيضاً : «بأم رحم» «وأم القرى» .. ووردت بهذا الاسم فى قوله تعالى :

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[14] .

وسميت أيضاً : معاد ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها . وسميت البيت العتيق لأنه عُتق من الجبابرة[15] . وسميت أيضاً الحرم ، وصلاح ، والبلد الأمين ، والعرش ، والقادس ، لأنها تقدس أى تطهر من الذنوب . والمقدسة ، وكوثى باسم بقعة كانت منزل بنى عبد الدار . وسماها الله تعالى : البلد الأمين فى قوله تعالى :

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾[16]

والبيت العتيق فى قوله تعالى :

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[17] .

والبلد فى قوله تعالى :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾[18]

وسمّى الله تعالى الكعبة البيت المحرم فى قوله تعالى :

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾[19] .

وسماها الله أيضاً البيت الحرام فى قوله تعالى .

(١٠) الأزرق : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١٨٨ ـ ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص ١٨٢ .

(١١) ياقوت : نفس المرجع .

(١٢) القرآن الكريم : سورة الفتح (٤٨) ، آية ٢٤ .

(١٣) جواد على : ج ٤ ، ص ١٨٩ .

(١٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ٩٢

(١٥) الأزرق : ج ١ ، ص ١٨٩ .

(١٦) القرآن الكريم ، سورة التين ، آية ١ .

(١٧) سورة الحج ، آية ٢٩ .

(١٨) سورة البلد : آية ١ ـ ٢ .

(١٩) سورة إبراهيم : آية ٣٧ .

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾[٢٠] .

ونستفيد من جميع التسميات التى أطلقت على مكة أنها كانت فى أول أمرها مقاماً دينيا أسسه إبراهيم ، ولهذا لا نستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أى مقدس ، ثم تحول إلى مكة[٢١] .

تاريخ مكة :

وتاريخ مكة الحقيقى يبدأ أيام قصى بن كلاب بن مرة القرشى ، الذى تولى أمر مكة حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى ، أما ما قبل ذلك فليس لدينا ما نعتمد عليه فى إثباته أو نفيه غير روايات الإخباريين ، وهـم إسلاميـون أو مخضرمون ، والمدة بعيدة بينهم وبين هذه العهود ، بخلاف الأمر فى فى حال قصى وقبيلة قريش التى استقرت فى مكة ونهضت بها وجعلت منها مدينة ذات مركز اقتصادى ودينى وأدبى ممتاز ، وأصبحت فى عهدها تتمتع بتوجيه عرفى عام فى أواخر القرن السادس وأوائل السابع حين ظهر الإسلام . وبين قصى وظهور الإسلام مدة لا تزيد عن مائة وخمسين سنة ، وهى مدة كانت حال قريش فيها متصلة فى مكة ، ولا يمكن أن تنسى فيها الأحداث وبخاصة إذا قدرنا ما للذاكرة العربية من قوة ، وما لقيمة التمسك بالنسب ولحمة الدم من سلطان يجعل الناس يحتفظون بذكر آبائهم والأحداث التى ارتبطت بهم ، وقد يعطون ذلك بعض المبالغة ، ولكنا على أى حال نستطيع من مختلف الروايات أن نصور الوضع تصويراً نقرب به كثيرا من الحقيقة إن لم نصل إليها .

قريش :

ولعله من المفيد أن نلقى الضوء على اسم قريش : قبل المضى فى سرد تاريخ مكة . ولم يصل الباحثون لرأى حاسم فيما يتصل باسم قريش ، وللطبرى نص طويل[**] يفهم منه أنه ليس اسم شخص بل إسم سمكة ربما كانت (طوطم[*]) قريش ، أو صفة أطلقت على بعض زعمائها الأولين مثل النضر بن كنانة ، وقد أجمل الطبرى ذلك فى قوله : « سُمِّيَت قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وبه سميت قريش قريشاً ، لأن عير بنى النضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عير قريش ، قالوا : وكان قريش هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدراً .

وقال ابن الكلبى : إنما قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة .

وقال آخرون : إنما سمى بنو النضر بن كنانة قريشاً ، لأن النضر بن كنانة خرج يوما على نادى قومه فقال بعضهم لبعض : انظروا النضر كأنه جمل قريش .

---

(٢٠) سورة المائدة : آية ٩٧ .

(٢١) د . السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ، ج ١ ، عصر ما قبل الإسلام ، ص ٤٩٤ .

وقيل : إنما سميت قريش قريشاً بدابَّة تكون في البحر تدعى القرْش ، فشبه بنو النضر بن كنانة بها ، لأنها أعظم دواب البحر قوة .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله ، والقرش فيما زعموا التفتيش ، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً .

وقيل : بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصيّ بن كلاب فقيل لهم قريش من أجل أن التجمّع هو التقرش ، فقالت العرب : تقرشت بنو النضر أي تجمعوا .

أو قيل : إنما قيل قريش من أجل أنها تقرشت عن الغارات .

وعن محمد بن سعد : سميت قريش قريشاً من اجتمعت إلى الحرم من تفرقها فذلك التجمع التقرش ، قال عبد الملك : ما سمعت هذا ولكن سمعت أن قُصياً كان يقال له القرشي ولم يُسَمَّ قرشي قبله .

وفي لسان العرب ، يقول ابن منظور(٢٣) : « وقريش دابة في البحر لا تدَعُ دابة إلا أكلتها ، فجميع الدواب تخافها . وقريش قبيلة سيدنا رسول الله ﷺ أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه .

وفي حديث ابن عباس – في ذكر قريش – قال : هي دابة تسكن البحرَ تأكل دوابه ، قال الشاعر :

وقريش هي التي تسكن البحـ
ـر بها سُمِّيت قريشٌ قريشا

وقيل : سميت بذلك لتقرشها : أي تجمعها إلى مكة من حوالها بعد تفرقها في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب ، وبه سُمّي قصي مُجَمِّعاً .

وقيل سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر كان صاحب عيرهم فكانوا يقولون : قدمت عيرُ قريش وخرجت عير قريش .

وقيل : سميت بذلك لتجْرها وتكسّبها وضربها في البلاد تبتغي الرزق .

وقيل سميت بذلك ، لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضَرْع وزرع من قولهم : فلان يتقرّش المال أي يجمعه ، قال سيبويه : ومما غلب على الحي قريش ، قال : وإنْ جعلْتَ قريشاً اسم قبيلة فعربي ، قال عَدِيّ بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك :

غلَبَ المسامِيحَ الوليدُ سماحةً
وكفَى قريشَ المعضلات وسادَها
وإذا نَشَرْتَ له الثناءَ وَجَدْتَه
وَرِثَ المكارمَ طُرْفَها وتلادَها

وكان يقال لقُصَي بن كلاب القرشي ، ولم يُسَمَّ قرشي قبله ، فحاز قصي شرف مكة وأنشأ فيها دار النــدوة ، وفيها كانت قريش تقضي أمورها . ولما جمع قصيُّ قريشاً بمكة سمي مجمعاً ، وفي ذلك يقول حذافة بن غانم الجمحي يمدحه :

أبوهم قُصَيٌّ كان يُدعى مجمعاً
به جَمَّعَ اللهُ القبائلَ من فهر

---

(٢٢) الطبري : ج ٢ ، ص ١٨٧ – ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠ – مصعب الزبيري : نسب قريش ، ص ١٢ – ابن دريد : الاشتقاق ، ص ١٨ – أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ١٢ – الأزرقي : ج ١ ، ص ٦١ .



ثم نزلوها والمياه قليلة

وليس بها إلا كهول بنى عمر

ويقال من أجل تجمع قريش إلى قصى سميت قريش قريشاً ، قال أبـو الوليـد : وأنشدنى عبد العزيز بن إسماعيل الحلبي فى التقرش وهو الاجتماع :

أبجدى كنحا للطعان إذا

اقرش القنا وتقعقع الحجف

ولبعضهم :

قوارش بالرماح كأن فيها

شواطن تنتزعن به انتزاعا

الكعبة : بيت الله الحرام[23]

وجد فى بلاد العرب بيوت عرفت ببيوت الأوثان والأصنام ، أو البيوت الحرم يقصدها الحجيج فى مواسم معلومة تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية ، وكان من أشهر هذه البيوت فى الجزيرة العربية بيت الأقيصر ، وبيت ذى الخَلَصة ، وبيت صنعاء ، وبيت رضاء ، وبيت نجران . لكن بيت الله الحرام بمكة قد احتل مكانة لم تتح لغيره من بيوت الأصنام الأخرى فى سائر أنحاء الجزيرة العربية ، لأن مكة كانت ملتقى طرق القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب ، وكانت محطة لازمة لمن يحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب ، وكانت القبائل تلوذ بمثابة مطروقة تتردد عليها . وقد رغب القبائل فيها أن مكة لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل ، فليست فى مكة دولة كدولة التبابعة فى اليمن ، أو مملكة المناذرة فى الحيرة ، أو الغساسنة فى الشام ، وليس من وراء أصحاب الرياسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو الفرس أو الحبشة وراء الإمارات المتفرقة على الشواطىء ، أو بين بوادى الصحراء ، فهى مثابة عبادة وتجارة ، وليست حوزة ملك يستبد بها صاحب العرش ولا يبالى من عداه ، فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية ، وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب ، ولهذا اجتمعت لها الخصائص التى كانت لازمة لمن يقصدونها ، ويجدون فيها من يبادلهم ويبادلونه بحكم المنفعة المتبادلة .

والكعبة قديمة سابقة لأسفار العهد القديم فى التوراة ، وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها هو إبراهيم وابنه إسماعيل - على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام - يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[24]

ويقول تعالى :

(*) طوطم من الطوطمية : عادة بدائية يعتقد معتنقوها من الناس أنهم شيئا معينا - حيوانا مثلا - من أصل واحد فيتخذونه رمزا معبودا لهم ، وهو طوطم عام ، وآخر فردى لكل إنسان فى القبيلة - راجع الدكتور على عبد الواحد وافى (الطوطمية) دار المعارف - مصر .

(٢٣) أنظر : أخبار مكة ، الأزرقى ، ج ١ ، ص ٣٣ وما بعدها - معجم البلدان : لياقوت (مادة كعبة) ج ٨ ، ص ٤٦٣ وما بعدها .

(٢٤) سورة آل عمران : آية ٩٦ .

(٢٥) سورة الحج : آية ٢٦ .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًۭٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[26].

ويقول تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾

من هذه الآيات نفهم أن المنطقة كانت معروفة ، حتى هيأ الله لإبراهيم أن يرفع قواعد البيت ، وقد ذكرت المصادر القديمة مكة كما تحدثت عن البيت الذى تعظمه العرب وهو الكعبة .

والكعبة : تجمع على كعبات ، وهو البيت المربع ، وقيل المرتفع ، قال الأسود بن يعفر فى بعض الروايات :

أهل الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذى الكعبات من سنداد

قال ابن عباس : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، بعث ريحاً فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة[26] فى موضع البيت كأنها قبة فدحا الأرض من تحتها ، فمادت ، فأوتدها بالجبال . وقد جاء فى الأخبار أن : أول ما خلق الله فى الأرض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها ، فهى سرّة الأرض ، ووسط الدنيا ، وأم القرى ، أولها الكعبة وبكة حول مكة وحول مكة الحرم وحول الحرم الدنيا .

وأما صفة البيت الحرام :

فهو فى وسط المسجد الحرام مربع الشكل ، بابه مرتفع عن الأرض نحو قامة ، عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضة قد طليت بالذهب(*) مقابلاً للمشرق ، وطول المسجد الحرام ثلثمائة ذراع وسبعون ذراعاً ، وعرضه ثلثمائة وخمسة عشر ذراعاً ، وطول الكعبة أربعة وعشرون ذراعاً وشبر ، وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعاً وشبر ، وذرع دور الحجر خمسة وعشرون ذراعاً ، والحجر من قبل الشام فيه يقلب الميزاب قد ألبست حيطانه بالرخام مع أرضه ارتفاعها حَقْوٌ ويسمونه الحطيم ، والطواف من ورائه ، ولا تجوز صلاة الفرض بداخله ، والحجر الأسود على الركن الشرقى عند الباب على لسان الزاوية فى مقدار رأس الإنسان ، ينحنى إليه من قبّله يسيرا .

سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلق الكعب ، وقيل التكعب : التربيع ، وكل بناء مربع كعبة ، وقيل : سميت لارتفاع بنائها ، وكل بناء مرتفع فهو كعبة ، ومنه كعبت ثدى الجارية إذا علا فى صدرها وارتفع .

ولما فرغ إبراهيم من البناء أتاه جبرائيل ، عليه السلام ، فقال له : طُفْ . فطاف هو وإسماعيل سبعاً يستلمان الأركان ، فلما أكملا صلّيا خلف المقام ركعتين ، وقام معه جبرائيل وأراه المناسك كلها : الصّفا والمروة ، ومِنًى ومزدلفة ، فلما دخل مِنًى وهبط من العقبة مثل له إبليس عند جمرة العقبة ، فقال له جبرائيل : إرمه ، فرماه بسبع حصيات ، فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة الوسطى ، فقال له جبرائيل : أرمه ، فرماه بسبع حصيات ، فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة السفلى ، فقال له جبرائيل : إرمه ، فرماه بسبع

(٢٦) الخشفة : واحده الخشف ، نبت فى البحر نباتا .
(*) هى الآن بالذهب الخالص باب الكعبة .



حصيات مثل حصى الخذف ، ثم مضى وجبرائيل معه يعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفات ، فقال له : أعَرَفْتَ مناسكك ؟ فقال له إبراهيم : نعم ، فسميت عرفات لذلك ، ثم أمره أن يؤذن فى الناس بالحج ، فقال : ياربّ وما يبلغ صوتى ؟ فقال الله ـ عز وجل : أذِّن وعلىَّ البلاغ ، فعلا على المقام ، فأشرف به حتى صار أعلى الجبال وأشرفها ، وجمعت له الأرض يومئذ سهلها وجبلها وبرها وبحرها وجنّها وإنسها حتى أسمعهم جميعا وقال : ياأيها الناس : كُتِبَ عليكم الحج إلى بيت الله الحرام فأجيبوا ربكم ، فمن أجابه ولبّاه فلابد له من أن يحج ، ومن لم يجبه لا سبيل له إلى ذلك .

وخصائص الكعبة كثيرة وفضائلها لا تحصى ، وليست أمة فى الأرض إلا وهم يعظمون ذلك البيت ويعترفون بقدمه وفضله وأنه من بناء إبراهيم .

والصابئون يعتبرونه بيت عبادتهم لا يفخرون إلا به ولا يتعبدون إلا بفضله .

كساء الكعبة :

بقيت الكعبة على ما هى عليه غير مسقفة فكان أول من كساها تُبّع لما أتى به مالك بن العجلان إلى يثرب وقتل اليهود ، فمر بمكة فأخبر بفضلها وشرفها فكساها الخصف ؛ وهى حصُر من خوص النخل ، ثم رأى فى المنام أن اكسها أحسن من هذا ، فكساها الأنطاع(*) ، فرأى فى المنام أن اكْسُها أحسن من ذلك فكساها المعافر والوصائل ، والمعافر : ثياب يمانية تنسب إلى قبيلة من همدان يقال لهم المعافر ، اسم الثياب والقبيلة والموضع الذى تعمل فيه واحد ، وربما قيل لها المعافرية ، وثوب معافرى يتصرف فى النسبة ولا يتصرف فى المفرد ، لأنه على زنة الجمع ثالثهُ ألف ونسب إلى الجمع ، لأنه صار بمنزلة المفرد سمى به مفرد ، وكان أول من حلىَّ البيت عبد المطلب لما حفر بئر زمزم وأصاب فيه من دفن جُرْهم غزالين من ذهب فضربهما فى باب الكعبة ، فلما قام الإسلام كساها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ القباطى ، ثم كساها الحَجّاج الديباج الخسروانى ، ويقال : يزيد بن معاوية .

بقيت على هيئتها من عمارة إبراهيم ، عليه السلام ، إلى أن بلغ نبينا ، ﷺ ، خمساً وثلاثين سنة من عمره ، فجاء سيل عظيم فهدمها وكان فى جوفها بئرٌ تحرز فيها أموالها وما يهدى إليها من النذور والقربان فسرق رجل يقال له دُوَيْك ما كان فيها أو بعضه فقطعت قريشٌ يده واجتمعوا وتشاوروا وأجمعوا على عمارتها ، وكان البحر رَمى بسفينة بجدّة فتحطمت فأخذوا خشبها فاستعانوا به على عمارتها ، وكان بمكة رجل قبطىٌّ نجار فسوّى لهم ذلك وبنوها ثمانية عشر ذراعاً ، فلما انتهوا إلى موضع الركن اختصموا وأراد كل قوم أن يكونوا هم الذين يضعونه فى موضعه ، وتفاقم الأمر بينهم حتى تواعدوا للقتال ، ثم تحاجزوا وتناصفوا على أن يجعلوا بينهم أول طالع يطلع من باب المسجد يقضى ، فخرج عليهم النبى ﷺ ، فاحتكموا إليه فقال : هلمّوا ثوباً ، فأتى به فوضع الركن فيه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية

(*) الأنطاع ـ جمع نطع : بساط من الجلد .

من الثوب ثم ليرفعوا ، حتى إذا رفعوه إلى موضعه أخذ النبي ﷺ الحجر بيده الشريفة فوضعه في الركن ، فرضوا بذلك وانتهوا عن الشرور ، ورفعوا بابها عن الأرض مخافة السيل وأن لا يدخل فيها إلا من أحبوه ، وبقوا على ذلك إلى أيام عبد الله بن الزبير فحدّثته عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت : « سألت النبي ﷺ ، عن الحجر أمن البيت هو ؟ قال : نعم ، قالت : قلت فما بالهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال : إن قومك قصّرت بهم النفقة ، قلت : فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال : فعل ذلك قومك ليُدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، ولولا قومك حديثو عهد في الإسلام فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الحِجْر في البيت وأن ألزق بابه بالأرض » ، فأدخل ابن الزبير عشرة مشايخ من الصحابة حتى سمعوا ذلك منها ثم أمر بهدم الكعبة فاجتمع إليه الناس وأبَوْا ذلك فأبى إلا هدمها ، فخرج الناس إلى فرسخ خوفاً من نزول عذاب وعظم ذلك عليهم ولم يجر إلا الخير . وذكر ابن القاضي عن مجاهد قال : لما أراد ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها قال للناس : اهدموا فأبَوْا وخافوا أن ينزل العذاب عليهم ، قال مجاهد : فخرجنا إلى مِنَى فأقمنا بها ثلاثاً ننتظر العذاب ، وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه فهدم البيت ، فلما رأوْا أنه لم يصبه شيء اجترأوا على هدمه وبناها على ما حكت عائشة ، وتراجع الناس ، فلما قدم الحجّاج تحرّم ابن الزبير بالكعبة فأمر بوضع المنجنيق على أبي قبيس وقال : ارموا الزيادة التي ابتدعها هذا المتكلف ، فرموا موضع الحطيم ، فلما قُتل ابن الزبير وملك الحجّاج ردّ الحائط كما كان قديماً وأخذ بقية الأحجار فسدّ منها الباب الغربي ورصف بقيتها في البيت حتى لا تضيع ، فهي إلى الآن على ذلك . وقال تُبّع لما كسى البيت :

وأقمنا به من الشهر عشراً
وجعلنـا لبابــه إقليـــدا
وخرجنـــا منـــه نؤم
سهيلًا قد رفعنا لواءنا المعقود

ويقال إن أول من كساه الديباج يزيد بن معاوية ، ويقال عبد الله بن الزبير ، ويقال : عبد الملك بن مروان ، وأول من خلّق الكعبة عبد الله بن الزبير ، وقال ابن جريج : معاوية أول من طيّب الكعبة بالخلوق والمجمر وإحراق الزيت بقناديل المسجد من بيت مال المسلمين .

وقال مجاهد في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾

قال : يثوبون إليه ويرجعون ولا يقضون منه وطراً ، وفي قوله تعالى :

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ **قال : لو قال : أفئدة الناس ، لازدحمت فارس والروم عليه .**

مراحل تطور تجديد وتوسعة المسجد الحرام[٢٧]

ـ أول توسعة للمسجد الحرام في عهد عمر بن الخطاب عام ١٧ هـ :

ذكر ابن جرير الطبري ، وابن الأثير الجوزي في تاريخهما أن زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

(٢٧) ملف صحيفة (الجزيرة) الأسبوعي ، ص ٤ ، العدد ٢٨١٣ ، السبت الموافق ٢٦ جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٢ إبريل ١٩٨٠ م (صحيفة الجزيرة يومية تصدر في الرياض ـ السعودية) .

ـ رضي الله عنه ـ وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة[28].

توسعة عثمان بن عفان في عام ٢٦ هـ :

ففي عام ٢٦ من الهجرة وُسِّع المسجد الحرام بهدم الدور المحيطة بعد تعويض أصحابها وإضافة مساحتها إلى المسجد الحرام ، وجُدِّد المسجد تجديدا شاملا ، وأُدخلت الأروقة المسقوفة للمصلين لأول مرة ، وكانت التوسعة على شكل مربع تقريبا بأركان مشطوفة .

ـ توسعة عبد الله بن الزبير ـ ١٧ رجب سنة ٦٤ هـ :

بعد المعارك التي احتدمت بين يزيد بن معاوية وعبدالله بن الزبير ، اشتعلت النيران بالكعبة ، وبعد انتهاء الحصار الذي تعرضت له مكة ، بادر ابن الزبير بإزالة الأحجار التي ألقيت في الكعبة ، ثم أمر بهدم البناء الذي لم يبق من أصله إلا القليل ، وكان الحجر الأسود قد كُسِر إلى ثلاثة أجزاء ، فضم ابن الزبير أجزاءه داخل إطار من الفضة وأودعه في مكانه من البيت ، ثم أعاد بناء الكعبة على أساس إبراهيم فازداد طولها من ١٨ إلى ٢٧ ذراعاً ، وقد ركّب ابن الزبير بابين طولهما أحد عشر ذراعاً ، أحدهما في الجانب الشرقي لدخول الكعبة والآخر في الجانب الغربي للخروج منها ، وقد طُلِيت الجدران من الداخل والخارج بالمسك وكُسِيت الكعبة بقماش قبطي من الحرير (قباطي) .. ومن الأحجار الزائدة المتبقية أنشئ حول الكعبة مسارٌ دائري عرضه عشرة أذرع ، وقد وُسِّع الجدار الذي كان يحيط بالحرم ورممت الجدران الموجودة واستخدمت الأروقة التي سقفت بالخشب .

ـ توسعة الحجاج بن يوسف عام ٧٤ هـ :

هدم الحجاج كل البناء الذي أقامه ابن الزبير ، وأعاد بناء الكعبة منقصاً طولها سبعة أذرع ، وقسّم وجه المبنى إلى ثلاثة أقسام أفقية : كان القسم السفلي يشتمل على الباب ، أما العلوي فكان يحتوي على أربع نوافذ من المرمر فهي جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامي بناء الحجاج .

ـ توسعة الوليد بن عبد الملك عام ٩١ هـ :

رمم الوليد بن عبد الملك الكعبة بعد سيل جارف أصابها ، ووسّع رقعة المسجد ، وجدد البناء ، وأقام سقفاً على أعمدة بكمرات من خشب الساج المزخرف ، كما أدخل الفسيفساء الزجاجي والبواكي الرخامية والميازيب المموهة بالذهب ، وفتحات الشرفات ، وكان الوليد هو أول من استعمل الأعمدة التي جلبت من مصر وسوريا في بناء المسجد .

ـ توسعة أبي جعفر المنصور في محرم سنة ١٣٠ هـ :

أسهم أبو جعفر المنصور في توسعة المسجد من جانبيه الشمالي والغربي بزيادة توازي ضعف الزيادات السابقة ، وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب ، وزينه بأنواع النقوش ورخم الحجر .

ـ توسعة محمد المهدي العباسي (١٦١ ـ ١٦٤ هـ) :

قام المهدي بتوسعة المسجد مرتين

(٢٨) تاريخ القطبي ، المسمى «كتاب الإعلام بيت الله الحرام» . تأليف : قطب الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٨٨ هـ ـ مكة عام ١٣٧٠ هـ ، ص ٧٧ .

متلاحقتين : أولاها عام ١٦١ هـ حينما أمر بتوسعة الجانبين الشمالي والشرقي ، ولكن بهذه الزيادة لم تبق الكعبة في الوسط فأصدر المهدى أمره في عام ١٦٤ هـ بتوسعة الجانب الجنوبي ، وقد وقف هو بنفسه على جبل أبي قبيس ليتأكد من أن الكعبة قد أصبحت في وسط الفناء ، كما أقام ثلاثة صفوف من الأعمدة من الرخام والحجر وسقفها بخشب السّاج ، كما أضاف أربعة مبانٍ صغيرة خشبية للصلاة لأتباع كل مذهب . ولكن العمل الذى قام به المهدى لم يكتمل في حياته لكنه تم عام ١٦٧ هـ في عهد حكم ابنه موسى الهادى .. وظلت عمارة المهدى بلا تغيير مدة ستة قرون .

من ٢٢٢ هـ إلى ٤٨٦ هـ :

استعملت في الأروقة أعمدة من الحجر الأصفر من سامراء بالعراق ، وقد طُلي مقام إبراهيم بالذهب ووضع تحت سقيفة من الذهب والخشب . وقد وضع الرخام الأخضر لتغطية سقف الكعبة .

- وفي عام ٢٨٤ هـ :

أدخل المعتضد العباسي جزءاً من دار الندوة في المسجد ، وبعد ذلك ضم الجزء الباقي من الدار إلى المسجد وسمى باب الزيادة .

- وفي عام ٣٠٦ هـ :

أضاف المقتدر العباسي إلى المسجد جزءاً سمى باب إبراهيم ، وبذلك اتسع المسجد الحرام إلى المساحة التى ظل يشغلها حتى عام ١٣٧٥ هـ ، ولمدة ستمائة عام ، ظلت الكعبة والمسجد الحرام على هذه الحالة حتى العهد العثماني .

- من ٨٠٢ - ٨٠٧ هـ :

احترق الجانب الغربي من المسجد بأكمله ، حيث احترق أكثر من مائة عمود من الرخام وكذلك السقف ، وقد أصلح الأمير بيسق الظاهرى ما وقع من أضرار .

- من عام ٩٧٩ هـ .. فصاعداً :

قام السلطان سليم العثماني بتجديد المسجد الحرام تجديداً كاملاً ، وقد عهد إلى المهندس المعمارى التركي سنان بهذا العمل ، فغيرت أعمدة الأروقة التى كانت تحوى ٨٩٢ عموداً بأعمدة من الرخام والحجر . وبالجملة فإن ٥٠٠ قبة بنيت على الطراز العثماني .

- بداية مشروع الملك عبد العزيز :

ظلت الكعبة والمسجد الحرام على ما هى عليه فترة أربعمائة عام ، حتى بدأ العمل عام ١٣٧٥ هـ في مشروع الملك عبد العزيز إلى أن تمّ في عام ١٣٩٥ هـ ، ثم توالت التوسعات في عهد جلالة الملك سعود ، وجلالة الملك فهد بن عبد العزيز حيث أنفقت السعودية (٧٠ مليار ريال) خلال السنوات العشر الأخيرة فقط على المدينتين المقدستين : مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بما في ذلك توسعة الحرمين الشريفين ، حيث أصبحت التوسعة الحالية بالنسبة للحرم المكى (٣٥٦) ألف متر مربع تستوعب مليوناً من المصلين .

في فضل مكة وشرفها[٣٠] :

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة وقف على الحَزْوَرة وقال : « إنى لأعلم أنك أحب البلاد

(٢٩) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد (٥) ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

إلىّ ، وأنك أحبّ أرض الله إلى الله ، ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت » .

وقالت عائشة – رضى الله عنها : « لولا الهجرة لسكنت مكة ، فإنى لم أرَ السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة ، ولم أرَ القمر بمكان أحسن منه بمكة » .

وقال ابن أم مكتوم وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ ، وهو يطوف :

يا حبّذا مكة من وادى
أرض بها أهلى وعُوّادى
أرض بها ترسخ أوتادى
أرض بها أمشى بلا هادى

ولما قدم الرسول ﷺ ، المدينة هو وأبو بكر وبلال ، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمّى يقول :

كُلّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ فى أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا انقشعت عنه رفع عقيرته وقال :

ألا ليت شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً
بفخٍّ وعندى إذْخِرٌ وجليلُ ؟
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ
وهل يَبْدُوَن لى شامةٌ وطَفِيلُ ؟

ووقف رسول الله ﷺ ، عام الفتح على جمرة العقبة وقال : « والله إنك لخير أرض الله ، وإنك لأحبّ أرض الله إلىّ ، ولو لم أُخرَجْ ما خرجتُ ، إنها لم تحلّ لأحد كان قبلى ، ولا تحلّ لأحد كان بعدى ، وما أُحِلّت لى إلاّ ساعة من نهار ثم هى حرام لا يعضد شجرها ، ولا يحتش خلاها ، ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد » فقال رجل : يارسول الله إلاّ الإذخر فإنه لبيوتنا وقبورنا ، فقال ﷺ : « إلاّ الإذخر » .

وقال ﷺ : « من صبر على حرّ مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام » ، ووجد على حجر فيها كتاب فيه : أنا الله ربّ بكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حُنفاء لا تزال أخشابها مبارك لأهلها فى الحمأ والماء ، ومن فضائله أنه من دخله كان آمناً ، ومن أحْدث فى غيره من البلدان حدثاً ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله ، فإذا خرج منه أقيمت عليه الحدود ، ومن أحدث فيه حدثا أخذ بحدثه ، وقوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا ﴾

وقوله :

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ دليل على فضلها على سائر البلاد .

ومن شرفها أنها كانت لِقاحاً لا تدين لدين الملوك ، ولا يَؤُدُّ أهلها إتاوة ، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان ، تُحَجّ إليها ملوك حِمْيَر وكِنْدة وغسّان ولخم ، فيدينون للحُمْس(*) من قريش ، ويرون تعظيمهم والاقتداء بآثارهم مفروضا وشرفاً عندهم عظيماً ، وكان أهله آمنين

(*) الحماسة والتحمس : مذهب القرشيين المتشدد فى الجاهلية . وقد أبطله الإسلام .

يغزون ويسبون ولا يُسبَوْن ، ولم تُسْبَ قرشيةٌ قط قوطاً قهراً ، ولا جال عليها السهام ، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء فقال بعضهم :

أبوا دين الملوك فهم لقاحٌ
إذا هيجوا إلى حرب أجابوا

وقال الزبرقان بن بدر لرجل من بنى عوف كان قد هجا أبا جهل وتناول قريشاً :

أتدرى من هجوت أبا حبيب
سليل خضارم سكنوا البطاحا
أزاد الركب تذكر أم هشاماً
وبيت الله والبلد اللقاحا ؟

وقال حرب بن أمية ودعا الحضرمىَّ إلى نزول مكة ، وكان الحضرمى قد حالف بنى نفاثة وهم حلفاء حرب بن أمية ، وأراد الحضرمى أن ينزل خارجاً من الحرم وكان يُكنّى أبا مطر فقال حرب :

أبا مطر هلمّ إلى الصلاح
فيكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزّت قديماً
وتأمن أن يزورك رب جيش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم
أبا مطر هُديت ، بخير عيش

ألا ترى كيف يؤمنه إذا كان بمكة ؟ .

ومما زاد فى فضلها وفضل أهلها ومباينتهم العرب أنهم كانوا حلفاء متألفين ومتمسكين بكثير من شريعة إبراهيم ، عليه السلام ، ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولايزينه أدب ، وكانوا يختنون أولادهم ويحجون البيت ويقيمون المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة ، وتبرأوا من الهربذة(**) وتباعدوا فى المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت غيرة وبعداً من المجوسية . ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثاً ، ولذلك قال عبد الله بن عباس وقد سأله رجل عن طلاق العرب فقال : كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم هو أحق بها ، فإن طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضاً ، فإن طلقها ثلاثا فلا سبيل له إليها ، ولذلك قال الأعشى :

أيا جارتى بينى فإنك طالقة
كذاك أمور الناس غادٍ وطارقة

وبينى فقد فارقت غيرى ذميمة
وموموقة منّا كما أنت وامقة

وبينى فإن البين خير من العصا
وأن لا ترى لى فوق رأسك بارقة

(**) هى المجوسية والله أعلم .

من معجزات الرسول ﷺ في طريق الهجرة

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لما هاجر رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق أبوبكر رضى الله عنه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وفشل صناديد قريش ومشركوها فى العثور عليه . رصدوا مائة ناقة ناجزة لمن يأتيهم به حيا أو ميتا ، وهى مكافأة يسيل لها لعاب الباحثين عن الثروة وطلاب المال ، وكان أكثرهم حرصا وتلهفا على الظفر بهذه الجائزة الكبرى رجلا من بنى مدلج يقال له سراقة بن مالك يعيش مع قبيلته فى مكان اسمه قديد بالقرب من البلد الحرام مكة .

وكان قد سمع من بعض المسافرين القادمين من مكة إمارات واضحة عن الطريق الذى يسير فيه ركب رسول الله ﷺ وصحبه ، فأخذ يضلل السامعين ويعمى عليهم حتى يظفر وحده بالإبل المائة ، ويظفر إلى جوار ذلك بالفخر أمام أهل مكة الذين أعياهم البحث عنه ﷺ واستسلموا فى النهاية إلى اليأس والفشل[1] .

كيف كان خروج سراقة بن مالك فى طلب النبى ﷺ ؟

قال أبومحمد عبدالملك بن هشام : حدثنى الزهرى أن عبدالرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك قال : « بينا أنا جالس فى نادى قومى أقبل رجل منا حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركب ثلاثة مروا علىّ آنفا ، إنى لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعينى أن اسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله ، ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت بفرسى فقيد إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى فأخرج من دبر حجرتى ، ثم انطلقت فلبست لأمتى ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره ــ لا يضره ــ وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة من الإبل .

فركبت الفرس فى أثر ركب النبى ﷺ ، فبينما فرسى يشتد بى عثر فسقطت عنه ، فقلت : ماهذا ؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره ــ لا يضره ــ قال :

---

١) كتاب سيرة الرسول ﷺ ، تأليف الدكتور محمد الطيب النجار طبعة شوال سنة ١٣٩١ هـ ــ نوفمبر سنة ١٩٧١م

فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فى أثره ، فلما بدا لى الركب ورأيتهم عار بى فرسى فذهبت يداه فى الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يداه من الأرض فتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى وأنه ظافر ، فناديت القوم أنا سراقة بن جعشم ، انظرونى أكلمكم فوالله لا يأتيكم منى شىء تكرهونه ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر ـ قل له ومانبتغى منا ـ فقال لى ذلك أبو بكر قلت : تكتب لى كتابا يكون بينى وبينك قال ـ اكتب له يا أبا بكر ـ فكتب لى كتابا فى عظم أو فى رقعة أو فى خرقة ثم ألقاه إلىّ فأخذته فجعلته فى كنانتى ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان « وكان سراقة قد عرض على الرسول ﷺ وعلى صاحبه المتاع والزاد فلم يرداه ولم يسألاه ، ولكنهما طلبا منه أن يخفى أمرهما[٢] .

بعد تمام الهجرة سراقة يحكى للناس ما رآه بنفسه :

برّ سراقة بن مالك بوعده لرسول الله ﷺ فأخذ يرد كل من يقابله : يبغى له أن ركب الهجرة سار من هذه الطريق ، ولما اطمأن من أنه ﷺ وصل إلى المدينة سالما جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وماشاهده بنفسه فى أمر جواده ، عندما حاول اللحاق بالركب المبارك فى طريق الهجرة حتى ملأت هذه القصة كل الأرجاء خصوصا وأن سراقـة كان أمير بنـى مدلج ورئيسهم ، ومعروفا بالصدق عندهم .

ففزع من ذلك المشركون فى مكة ، وكان أكثرهم فزعا أبو جهل الحكم بن هشام المخزومى ، فكتب من ضيقه رسالة إلى بنى مدلج يحرضهم فيها على سراقة ويتهمه بالسفاهة والغواية ، وكان مما جاء فيها :

بنى مدلج إنى أخــاف سفيهكــم
سراقــة مستغــو لنصر محمـــد
عليكــم به ألا يفــرق جمعكــم
فيصبح شتــى بعــد عز وسؤدد

فما كان من سراقة إلا أن رد عليه بأبيات منها :

أبا حكم والله لو كنت شاهــدا
لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمــه
عجبــت ولم تشكك بأن محمــدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومــه
عليك بكف القوم عنه فإننــى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيــه بأسرهــم
بأن جميــع النــاس طرا يسالمه[٣]

قدومه ﷺ بالبركات على أم معبد الخزاعية فى طريقه للمدينة :

روى ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى عن ذلك فقال : « لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة هو وصحبه مروا بخيمة أم معبد الخزاعية تحتبى وتقعد بفناء الخيمة تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما يشترونه فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك لنفاد زادهم بسبب ما أصابهم من جدب واعتذرت لهم بقولها : « والله لو كان عندنا شىء

٢) كتاب نهاية الإرب فى فنون الأدب ، السفر السادس عشر ، تأليف شهاب الدين أحمد عبدالوهاب النويرى طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ ـ سنة ١٩٥٥ م .

٣) كتاب حياة الصالحين ـ الجزء الرابع ، تأليف الأستاذ عبدالمنعم قنديل طبعة سنة ١٩٨٥ م

ما أعوزكم القرى ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا ، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها في شاتها ، قال : (فتفاجت) ـ أي تهيأت للحلب وفرجت ما بين رجليها ـ ودرت واجترت فدعا بإناء لها يربض الرهط ـ أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ، فحلب فيه فسقى أم معبد فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب ﷺ آخرهم ، وقال : ساقي القوم آخرهم ـ فشربوا جميعا ، ثم حلب فيه ثانية عودًا على بدء ، فغادره عندها ، ثم ارتحلوا عنها .

ثم جاء زوجها أبو معبد فلما رأى اللبن عجب وقال لامرأته : من أين لكم هذا والشاة عازبة ولا حلوبة في البيت ؟ فردت وقالت : لقد مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، فقال : والله إني لأراه صاحب قريش الذي يُطلب ، صفيه لي يا أم معبد قالت : « رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة .

إذا صمت عليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات عقد يتحدرن ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعة لاتشنؤه من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود لا عابس ولا مُفند » .

قال أبو معبد : « هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافقته لالتمست أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا) »[1] .

وتروي كتب السيرة النبوية أن صوتا بمكة عاليا كانوا يسمعونه ولا يدرون من صاحبه ، وظنوه هاتفا من الجن أخبر الناس بما وقع في خيمة أم معبد فكان مما قال :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد

---

(1) كتاب السيرة النبوية ، تأليف الإمام عبدالرحمن بن الجوزي ، الجزء الأول ، هدية مجلة الأزهر ربيع الأول سنة ١٤١١هـ ، وحديث أم معبد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة والترمذي وابن ماجة والدارمي في الأشربة والإمام أحمد .

ومعاني المفردات هي : الوضاءة : تعني حسن الوجه ونظافته ، ثجلة : تعني عظم البطن وكبرها ، والصعلة : تعني صغر الرأس ، الدعج : هو شدة سواد العينين مع سعتها ، الوطف : هو كثرة شعر الحاجبين أو العينين مع طوله ، وهو من علامات جمال الأعين ، الصحل : هو انشقاق في الصوت يجعل فيه بحة حسنة ، السطع : هو طول العنق ويرتفع غاية في الاعتدال ، أزج : هو من تظهر عينه كأنه قد وضع فيها كحل خلقة ، والأقرن : هو متصل الحاجبين ، محفود : تعني مخدوم ، ومحشود : أي مطاع يحف به أصحابه ، ولا مفند : أي ليس ضعيف الرأي . هذه المعاني نقلت عن ملحق مجلة الأزهر ، المحرم سنة ١٤٠٣ هـ .

سلوا أختكم عن شاتها وإنائهـــا
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد[*]

سراقة بن مالك عند فتح مكة :

وتمر سنوات ثمانية على حادث الهجرة ، ومخيلة سراقة بن مالك لا تفارقها صورة ماحدث له ولفرسه زمن الهجرة ، وقد أقرت هذه المعجزات في وجدانه أن الرسول ﷺ يرعاه الله ويظله بعنايته ، وأن الأقدار تواكبه وتحرسه ، وأن يد الله تجرى له المعجزات التى تشهد بنبوته وتحميه من خصومه وأعدائه .

ولما تم فتح مكة بقيادة رسول الله ﷺ ، وفرغ من غزو حنين والطائف توجه سراقة بن مالك ومعه كتاب رسول الله ﷺ الذى حصل عليه زمن الهجرة فلقيه بالجعرانة ، وهى ماء بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة ، فدخل فى كتيبة من خيل الأنصار ليصل إليه فجعلوا يقرعونه بالرماح ، ويسألونه عن قصده لكنه لم يلتفت إليهم ، حتى دنا من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ورفع يده بالكتاب وقال :

« يارسول الله ﷺ ، أنا سراقـــة ابـــن جعشم » .

فقال رسول الله ﷺ : « يوم وفاء وبر ، ادنه » .

قال : فدنوت منه فأسلمت[٦] .

وبينا كان سراقة جالسا مع النبى ﷺ يوما بعد إسلامه إذا به يقول لسراقة : « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟» .

ويعجب سراقة وتسرح خواطره بعيدا إلى مملكة الفرس ويسأل نفسه : هل يمكن لبدوى مثله أن يلبس سوارى كسرى ؟

لكنها نبوءة رسول الإسلام الصادق فيما يقول ، وستثبت الأيام فى المستقبل ذلك ، وتمر الأيام والشهور والسنون ، وتقوم الحرب بين دولة الإسلام الراشدة الفتية ودولة الفرس ، ويتم النصر فيها للمسلمين فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ويرسل سعد بن أبى وقاص قائد جيوش المسلمين المنتصرة إلى الخليفة كل ما استولى عليه من غنائم فى إيوان كسرى ومنها سوارين له .

وعندما كان سراقة جالسا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذا به يلقى بسوارى كسرى إلى سراقة فيلبسهما فى يده ؛ فقال له الخليفة الراشد رضى الله عنه « قل : الله أكبر » فقال سراقة : الله أكبر .

فقال له عمر : « قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابى من بنى مدلج » .

فكرر سراقة هذه العبارة كما نطقها خليفة المسلمين ، ويسترجع سراقة بن مالك ما قاله له رسول الله ﷺ يوما بعد إسلامه زمن فتح مكة « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟ » ثم يقول فى نفسه : « صدقت يا رسول الله ، لقد كنت تنظر بنـــور الله ، هذه نبـــوءتك قد تحققت »[٧] .

(*) كتاب سيرة الرسول تأليف الدكتور محمد الطيب النجار مرجع سبق ذكره .

(٦) كتاب نهاية الإرب فى فنون الأدب السفر السادس عشر مرجع سبق ذكره .

(٧) كتاب حياة الصالحين الجزء الرابع مرجع سبق ذكره .

لقد شاء الله لهذا الأعرابي من بني مدلج بن جعشم أن يشهد بنفسه معجزتين من معجزات رسول الله ﷺ الأولى زمن الهجرة والأخرى تحققت له في عهد الخلافة بعد وفاة رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه.

بريدة بن الحصيب ومحاولته البحث عن ركب الرسول خلال الهجرة لكنه يدخل في الإسلام فجأة:

كان بريدة بن الحصيب رجلا بعيدا عن قريش وطمع في جائزتها؛ لذلك جد في البحث عن رسول الله ﷺ خلال الهجرة، وذلك ليقتله أو يأسره لصالح قريش، فقد أخرج البيهقي عنه قال: «لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبي، حملني الطمع فركبت في سبعين من بني سهم، فلقيته فقال: من أنت؟ قلت: بريدة، فالتفت ﷺ إلى أبي بكر وقال: برد أمرنا وصلح، ثم قال: ممن أنت؟ قلت: من أسلم، قال: سلمنا، ثم قال ممن؟ قلت: من بني سهم، قال: خرج سهمك يا أبا بكر. فقال بريدة: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبدالله رسول الله، فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله».

وأسلم من كان معه جميعاً، قال بريدة: الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين، فلما أصبح قال بريدة: يا رسول الله، لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة[8].

وبعد:

فقضلا عما تبين سابقا من وضوح معجزاته ﷺ في طريق الهجرة يتبين بجلاء حفظ الله له ومنعته من أعدائه، رغم أنه كان أعزل من السلاح، ولا يوجد حوله أحد من أهله وعشيرته يحمونه من عدوه، كما كان بمكة.. ولكن الله تكفل بحفظه وسلامته حماية لدينه (الإسلام) الذي أنزله خير البشر ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[9]، وتطبيقا لقوله جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[10].

---

8) كتاب نافذة على الإيمان تأليف الشيخ مصطفى الحديدي الطير سلسلة البحوث الإسلامية طبعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

9) سورة آل عمران آية ١٩

10) سورة المائدة آية ٦٧

السعادة والإيمان الحق

بقلم الشيخ / معوض عوض إبراهيم

يشقى الناس ويسعدون بقدر استمساكهم بهدى الله الذى جاءهم به أنبياؤه ورسله ، وبخاصة ذلك الدين الذى أدى أمانته سيدنا محمد ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ باعتباره كلمة الله الأخيرة ، ولأنه الدين الذى جمع الله فيه ما تفرق فى شرائعه من كمالات ، واستوعب قضايا العقيدة والعبادة والسلوك والعلاقات . ومالابد للأحياء منه ، من رد أبصارهم وبصائرهم ، وتقليب أفئدتهم فى مشاهد الكون والحياة ، وشواهد الأنفس والآفاق ، لتنمو فيهم فطرة الله .. ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وليست السعادة الحقة هى مباهج النفس ورضاها بمكانها المتميز فى مدارج المجتمع وحظوظها من شهوات النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث .

فما كل ذلك وما وراءه إلا كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف : ٣٥]

ورحم الله الصحابى الجليل أبا الدرداء .. فقد قال :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

[الرعد : ٢٨]

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

[آل عمران : ١٨٥]

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ .

[سورة النساء ـ آية : ٨٧]

وليست الشقاوة في أمل لم يُنل ، أو عرض دنيوي لم تحصل عليه ، ولا مجرد التغلب في سباق الحياة ، والحياة نفسها زائلة فما البكاء على ما فيها ؟!!!

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

[الحديد : ٢٣] .

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[العنكبوت : ٦٤]

إن الآخرة هي الحياة الخالدة التي يؤتي الله فيها من اتقاه في دنياه أضعاف ما اشتهاه في حياته الأولى وتمناه ..

﴿ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[الزخرف : ٣٥]

وأية شقوة أشد وأنكى من حال إنسان يمضي في أولاه على هواه ، ويضع دبْر أذنه هدى الله ، ويستعلي على نصحك الناصحين ، وتأخذه العزة بالإثم ، إن ذكّره أحد بحلم الله وإمهاله للعصاة علّه يتذكر أو يخشى ، فلا يلبث أن يأخذه الله بذنبه ، أو يؤخره ليوم تفضحه فيه جوارحه وتشهد عليه :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾

[النور : ٢٤ ـ ٢٥]

وما أشقى العصاة وأوجع حيرتهم يومئذ ...

قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾

[فصلت : ١٩ ـ ٢٤]

والقرآن والسنة ومثلات الذين خلوا هي حجج الله على الذين انحرفوا بعقيدتهم عن الله تعالى ، وما يجب له من توحيد في العبادة والقصد .

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

[الحج : ٣١]

وما أجمله القرآن الكريم من حق الله ـ تعالى ـ على العباد من صلاة وصيام وزكاة وحج وإذعان يعلقها الإيمان ، وتفصلها السنة المطهرة ؛ باعتبارها وحي الله لرسوله ﷺ ..

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

[النحل : ٤٤]

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾

[النجم : ٣ ـ ٥]

إنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد بين كل ذلك بسنته قولا وعملا وتقريرا وأخلاقا وحالا ، كما جلت سنته ما أجمل القرآن الكريم من أجزية وأحكام كيلا يكون حجة بعد الرسل ، للذين استخلفهم الله فى أرضه وكلفهم بما يصلحهم فى دنياهم وأخراهم ، ولا يشق عليهم أو يعنتهم ، وهو ـ سبحانه ـ يعلم من لخلق .. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

[الحج : ٧٧]

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

[البقرة : ١٨٥]

وما أمر الله ـ تعالى ـ إلا بما هو كمال فى ذاته ، وشرف لمن أمرهم وكلفهم ، ولا نهى ـ جلت قدرته وحكمته ـ إلا عما لا يتفق وكرامة الحى فى الحياة وفيما وراء الحياة ، قال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾

[فاطر : ٦]

وقال : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾

[طه : ١٢٣ ـ ١٢٧]

ولقد امتن المنعم المتفضل على عباده فقال :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وهى كرامة تجاوز الحد ، ولا تحيط بها عبارات الواصفين ، ولا تغيب عن جانب من جوانب الحى الذى تجىء آخرته على غرار دنياه قسطا وعدلا ..

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٩]

إن الدنيا مزرعة الآخرة ، وهى مجال العمل والتنافس فى إعلاء بنيانها بعد إرساء أركانها على الإيمان وتقوى الله ـ تعالى ـ كل فى مكانه ، وبقدر وسعه وإمكانه ، وبقدر القوى والاستعدادات التى قسمها الله بيننا ؟ وفاوت فيها أو وافق بين الناس ، وهو الحكيم العليم ، فلا يقولن غافل : كيف تركنى ونفسى ؟ أخالف عن أمره ، وأتبع الهوى ، وأروح مع الغواة وأغدو ؟

فلقد أعذر الغنى الحميد الينا حين أمرنا ونهانا ، وهدانا السبيل ، وتبين لنا نجدى الخير والشر ، والإيمان والكفر ، والهدى والضلال ، وأرانا فى كل يوم آياته فيمن رشد وأصلح فأعزه وأكرمه وقنعه بما آتاه من حظوظ الدنيا ، وأكد له أن ما يخاله الناس ضنكا فى عيش ، أو قلة من غنى ، أو هضيمة فى عافية ، ربما حوى فى أطوائه نعمة الرضا عن الله ومكنون رحمته بعباده ، وعلى عكس ذلك ما قد تطمئن إليه النفس ، فإذا هو درب الهوان والخسران :

﴿ فأما
الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن
(١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (١٦)
كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ﴾ سورة الفجر

أجل ، كلا ، فليس الأمر هكذا :

كم نعمـــــــــة لله فى
طىّ المصائب كامنـــــة

أو كما يقول الشاعر :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض النــاس بالنعــم

روى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس :

« .... وربما سألنى ولىّ المؤمن الغنى فأصرفه من الغنى إلى الفقر ، ولو صرفته إلى الغنى لكان شرا له ، وربما سألنى ولىّ المؤمن الفقر فأصرفه إلى الغنى ، ولو صرفته إلى الفقر لكان شرا له » .

وجلت رحمة الله وحكمته وهو يقص علينا فى كتابه أمر قارون ، وأمر الذى عاهد الله فوفاه الله ولم يوف بعهد لله .. قال تعالى :

﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى
عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة
أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين
(٧٦) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس
نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك
ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾

[سورة القصص ـ الآيات : ٧٦ : ٧٧]

وأسكره غناه ، وغره حلم الله ، فتابع عتوه وحماقته ، وهو يرى الباطل صوابا فيحكيه ، حتى ضلّ ضلاله بعض قومه ، ولم تنفعه وإياهم هدايات أولى العلم منهم ، فكان عاقبة أمره قال الله تعالى :

﴿ فخسفنا
به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون
الله وما كان من المنتصرين (٨١) وأصبح الذين تمنوا
مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا
ويكأنه لا يفلح الكافرون (٨٢) تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾

[القصص : ٧٧ ـ ٨٣]

ونمعن النظر فى قوله تعالى :

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن
آتانا من فضله لنصدقن ﴾

[التوبة : ٧٥]

لنزداد يقينا بأن مقاييس الناس للسعادة تضل ولا تستقيم ، حين لا يستهدون بهدى الله الذى خلق لهم مافى الأرض جميعا ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومازوى عن المؤمنين شيئا إلا وهو يدخر لهم ما يرضونه ويجاوز فيهم مشاعر الرضا يوم يلقونه

﴿ ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾

[التوبة : ٧٢]

والشيخ على سرور الزنكلونى وهو ـ رحمه الله ـ من خيرة من عرفت فى دراستى العليا فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٣٥ يقول فى كتابه « الدعوة والدعاة » فى فصل (الحاجة إلى هداية الدين) ...

« فالأنبياء هم المعلمون ، وبالتعليم يتم نظام العالم ، والعلم الذى جاء به الأنبياء هو العلم الكاشف عن حقيقة الطريق المستقيم الموصل إلى دار السعادة ، وهو الحكمة التى يقول الله فيها :

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[البقرة : ٢٦٩]

ويكشف الشيخ الزنكلونى رحمه الله الفرق بين الرحمة والنبوة ، ثم يحدد الطريق إلى سعادة البشر التى استهدفها المرسلون بأمر الله ـ تعالى ـ فيقول :

« وطريق السعادة إجمالا ، هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وترويض الفكر على استحضار المكارم ، واتجاهه إليها ، بعد اقتناعه بها ، وذلك موضوع الأخلاق النفسية وما يتبعه من علم أحوال النفس الذى هو ضرورى للدعاة إلى السعادة » .

ولقد ذكرت فى بحثى عن « دعوات المرسلين » ـ صلوات الله عليهم ـ أن السعادة التى تسع الناس وتصون دنياهم من عوادى الأثرة والتسلط والاستعلاء على الآخرين ومن لعنة « الأنا » ، وتجعل حياتهم عاجل بشرى المؤمن ، إنما هى سعادة الإيمان بالله فبيده وحده الخير ، وله ـ دون سواه ـ الخلق والأمر .

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾

[التغابن : ١١]

من لم يكــن لله متهمـــا
لم يمس محتاجــا إلى أحــد

والذين يحتسون كئوس الشهوات حتى الثمالة ، وتجمع بأيديهم مقاليد الزمان لن يجدوا صفو النفس ، ولا سكينة القلب ، ولا نعمة الأمن والسلام ، إلا حين يتفيأون ظلال الإيمان ، ويستمسكون بحبل القرآن ، ويغدون ويروحون مع السنة النبوية وتاريخ سلف هذه الأمة .. فهنا تكمن السعادة ، ويكون المجتمع المسلم مرة أخرى واقعا جميلا ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

القدوة الحسنة

صور من السماحة والتواضع وكريم السجايا

لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاهون

مَنْ ذا الذي ما ساء قطُّ ؟

إنه محمد الهادي ، أكملُ الناس خلقا ، وأتمهم أدبا وخُلقا ، أدَّبه ربُّه وجمَّله بأحسن مكارم الأخلاق ، وأزكى محاسن الآداب ، وأعلى في العالمين ذكره ، فكانت له الحسنى فقط ، وكان سراجا منيرا ، ونورا مبينا ، هدى إلى الحق وخالص الإيمان .

جاء في صحيح مسلم أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت عن رسول الله ﷺ : « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله » .

مع أهله :

أما في بيته وبين أهله فكان أحسن الناس عشرة ، وأكرمهم خلقا ، وأعظمهم حلما وتواضعا ، وأبرهم ، وأكثرهم مؤانسة لأهله ، وقد سُئلت السيدة عائشة : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ؟ قالت : « كان ألين الناس بسَّاما ضاحكا ، لم ير قط مادًّا رجليه بين أصحابه » .

وفي مسند الإمام أحمد وصححه ابن حبان عنها قالت : « كان ﷺ يخيط ثوبه ، ويخصف نعله » .

وزاد أحمد : « ويرقع دلوه ، ويفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه » .

أمّا خدمته ﷺ في بيته فكما يقول أهل العلم : وهذا يتعين على أوقات ، فإنه ثبت أنه كان له خدم ، فتارة بنفسه ، وتارة بغيره ، وتارة بالمشاركة « القسطلاني : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية المقصد الثالث » .

معنى هذا أنه ﷺ كان يضرب المثل في دماثة الخلق ، والرفق بالأهل ، والرحمة بالخادم سواء من حيث المشاركة في أعمالهم أو الاستقلال ببعض الأعمال في المنزل أحيانا ، أو من حيث عفة اللسان والتوجيه الرشيد بالقدوة والكلمة الطيبة .

والخادم ناله شرف الحلم والرفق :

لقد كان ﷺ لا ينهر خادما ، ولا يضربه ، ولا يسيء إليه ، وقد روى الترمذي عن أنس

قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لى : أفّ قط ، ولا قال لشيء صنعته ، لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته ، لم تركته ؟ » .

ولفظ هذا الحديث عند البخارى (الأدب المفرد) قال أنس : قدم النبى ﷺ المدينة ، وليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة - زيد بن سهل زوج أم سليم أم أنس - أخذ بيدى ، فانطلق بى حتى أدخلنى على النبى ﷺ فقال : يا نبى الله ، إن أنسا غلام كيس لبيب فليخدمك ، قال أنس : فخدمته فى السفر والحضر ، مقدمه المدينة ، حتى توفى ﷺ : ما قال لى عن شيء صنعته ، لم صنعت هذا هكذا ، ولا قال لشيء لم أصنعه ، ألا صنعت هذا هكذا ؟ وفى رواية زيادة « فما قال لى أف قط » .

والكيس : المتيقظ العاقل الملازم للأمر لا يفر منه .

والأمر فى قوله : فليخدمك : للاستئذان أى ائذن لى أن يخدمك .

وكلمة : صنعته بتاء المتكلم أى مما لا ينبغى صنعه ولم يؤذن به ، أو لم صنعته على وجه لا يليق أو غير سليم ؟

وفى الحديث ما يدلنا على كمال خلقه ﷺ إذ لا يصدر منه حتى ما يلوم به خادمه فيما يتعلق بعمله فى خدمته ﷺ .

ومثل هذا التسامح الكريم لا يكون بطبيعة الحال لو أن الأمر كان يتعلق بالتكاليف الشرعية الموجبة للحقوق الربانية ، أو كان يختص بحقوق غيره من الناس - والله أعلم .

ثم تأمل كرم الخلق فى عتاب الخادم الذى شغله اللعب عن عمله . قالت أم المؤمنين هند بنت أمية (أم سلمة) : إن النبى ﷺ كان فى بيتها ، فدعا وصيفة له - أولها - فأبطت ؛ فاستبان الغضب فى وجهه ، فقامت أم سلمة إلى الحجاب فوجدت الوصيفة تلعب ، ومعه ﷺ سواك ، فقال : « لولا خشية القود يوم القيامة ، لأوجعتك بهذا السواك » أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وابن سعد فى الطبقات .

وأبطت : أى أبطأت .

والوصيفة : الوصيف الغلام إذا بلغ حدّ الخدمة .

والوصيف الخادم غلاماً كان أو جارية ، وربما قالوا للجارية « وصيفة » .

فانظر إلى هذه المعاملة السامية للخادم ، وتلك المساواة الكريمة فى العلاقات الإنسانية التى قررها الإسلام ، فلولا خشيته ﷺ من القصاص يوم القيام لضربها بالسواك ، فما بالك بمن يستخدم السوط أو العصا فى غير محله ؟

اختار شرف العبودية :

لقد كان لنبينا ﷺ الحظُّ الأوفر من التواضع والحلم وحُسْن الخُلق ، وحَسْبُنا من تواضعه ﷺ أنْ خيّره - عز وجل - بين أن يكون : نبياً ملكاً ، ونبياً عبداً ، فاختار أن يكون : نبياً عبداً ، فشرّفه ربُّه وأعطاه باختيار التواضع أن جعله : « أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مُشفّع » فقابل ﷺ هذه النعمة الجليلة بمزيد من التواضع ، « فلم يأكل مُتّكئاً بعد ذلك حتى فارق الدنيا » .

ونهى ﷺ عن إطرائه والمبالغة فى مدحه حتى لا يقع أهل الإسلام فيما وقع فيه غيرهم من تقديس للأشخاص واعتقادهم أنهم يضرُّون

ويبغون وإعطائهم حقوق الألوهية ، فضلوا ضلالا بعيدا ، ولذا قال ﷺ : « لا تُطْرُونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبدُالله ، فقولوا : عبدُالله ورسوله » .

« أخرجه الترمذى »

وَحظى الضعيف والجافى بشرف كرم خلقه :

ووصفت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ سهولة طبعه ﷺ فقالت : « ما كان أحسن خُلقاً من رسول الله ﷺ ، ما دعاه أحدٌ من أصحابه إلا قال : لبَّيك » .

وقد كان ﷺ يعودُ المرضى ، ويشهد الجنازة ، ويصبر على ذى الحاجة إذا دعاه ليُبيِّن له حاجته ، فكان ﷺ يُلبى دعوته ، ويقف يستمع إليه فى صبر وتواضع حتى يقول ما عنده ثم يقضى له مطلبه ـ كما جاء بيانه عند البخارى وأحمد والترمذى فى الشمائل .

وكما كان يصبر على الضعيف كان يحلم ويعطى على ذى الجفوة والخشونة من الأعراب ومن ذلك ما أخرجه البخارى من حديث أنس قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة ، قال أنس : فنظرت إلى صفحة عاتقه ، وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال الأعرابى : يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء .

فأى حلم أعظم من حلمه ﷺ وصبره على الأذى فى النفس والمال ، وتأمل هذا التجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام ، وأخذ الناس بالتدرج فيما يراد لهم من الخير لإصلاح نفوسهم ، وتهذيب أخلاقهم .

قالت أم المؤمنين عائشة : لم يكن النبى ﷺ فاحشاً ، ولامتفحشاً ، ولايجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

أخرجه الترمذى

أى : لم يكن له الفحش خُلقاً ولا مكتسباً .

والفحش : هو كل ما خرج عن مقداره حتى يُستقبح ويدخل فيه القول والفعل والصفة لكن استعماله فى القول أكثر .

والمتفحش : بشد الحاء الذى يتعمد ذلك ويُكثر منه ويتكلفه .

إنما بُعثت رحمة :

وحسبنا فى البرهان على صبره على الأذى يُصيبه فى نفسه ، وعفوه عن عدوه المحارب له فى أشد مانالوه به من الجراح والجهد بحيث كُسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وكان ذلك يوم أُحُد ، وقد شق ذلك على أصحابه شديدا ، فقالوا : لو دعوت عليهم يارسول الله ، فقال ﷺ : « إنى لم أبعث لعَّاناً ، ولكنى بُعثت داعياً ورحمة ، اللهم اغفر لقومى ـ أو اهْدِ قومى ـ فإنهم لايعلمون » .

نقل القسطلانى فى المواهب اللدنية بالمنح المحمدية عن ابن حبان : قال : أى اغفر لهم ذنبهم فى شج وجهى ، لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقاً ـ أى بصفة عامة ، إذ لو كان كذلك لأجيب ـ عليه السلام ـ ولو أجيب لأسلموا كلهم ـ كذا قال رحمه الله .

قال القسطلانى : (وههنا دقيقة) وهى أنه ﷺ لما شج وجهُه الشريف عفا ، وقال : « اللهم أهد قومى » وحين شغلوه عن الصلاة يوم

الخندق قال : « اللهم أملأ بطونهم ناراً » فقد تحمل الشجة الحاصلة فى وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة فى وجه دينه ، فإن وجه الدين الصلاة ، فرجح حق خالقه على حق نفسه .

تحليل وتعليل ولكل موقف حال :

ذلك أن حلمه وصبره على خشونة الأعراب ، وإزاء أذى المشركين له إنما هو فيما كان من حق نفسه الشريفة ، وأما إذا كان لله فإنه يمتثل فيه أمر الله تعالى من الشدة ، كما قال له سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ . . . ﴾

التوبة : ٧٣ ـ التحريم : ٩

لقد غضب ﷺ لأسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كان فى أمر الله ، وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد فى الزجر ، فصبره وعفوه إنما كان يتعلق بنفسه الشريفة ـ صلوات الله وسلامه ـ لقد كان حلمه يسبق غضبه ، ولا تزيده شدة الجهل عليه فيما يلحقه من أذى الناس وجفائهم إلا حلماً وكرماً وسماحة خُلق .

وشهدت له بالرسالة سماحته وحلمه :

وهذا رسول الله ﷺ يشتد عليه زيد بن سَعْنة وكان قبل إسلامه من أجل أحبار اليهود إذ أخذ زيد بمجامع قميصه وردائه ونظر إليه بوجه عابس ، ثم قال : ألا تقتضينى يا محمد حقى ، فوالله إنكم يابنى عبدالمطلب مطْل ـ أى تسوفون فى أداء الديون ـ وكان لزيد دين بقى على موعد أدائه يومين أو ثلاثة ، وهنا غضب عمر ـ رضى الله عنه ـ واشتد على الرجل بالقول ، وإذا برسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة ، وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك ، ياعمر ، أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن اتباعه ـ أى طلبه برفق وفى موعده .

ثم بلغ الموقف فى السماحة أقصى غاية من أعظم إنسان ، إذ قال ـ عليه الصلاة والسلام : أذهب به ياعمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته ـ أى بدل مما تسببت له من الخوف بشدة قولك وغضبك ـ ففعل عمر ما أمر به .

قال زيد بن سعنة : فقلت ياعمر ، كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه ـ أى بعد قدومه المدينة ـ إلا اثنين لم أخبرهما : يسبق حلمه جهله ـ أى غضبه ـ ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد خبرتهما ـ أى تأكدت منهما بالاختبار ـ فأشهدك : أنى قد رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً .

العبرة يا أحباب الله ورسوله :

إن من تأمل سيرته ﷺ مع أهله ، وأصحابه ، وغيرهم من الفقراء ، والأيتام ، والأرامل ، والأضياف ، والمساكين علم أنه قد بلغ من رقة القلب ، ولينه الغاية التى لا مرمى وراءها لمخلوق ، وأنه ﷺ كان يشتد فى حدود الله ، وحقوقه ، ودينه ، حتى قطع يد السارق وحارب وجاهد ، وكان جهاده خالصاً لله وحده .

ولم يضرب ﷺ مسلماً قط ولا غير مسلم إلا بحق ، وكان يُباسط أصحابه بما يجعل القلوب تزداد له حباً ومهابة ، كما كان يُمازحهم ، ويخالطهم ، ويُحادثهم ، ويُؤنسهم ، ويأخذ

معهم فى تدبير أمورهم ، ويداعب صبيانهم ، ويُجلسهم فى حجره ، ويُجيب الدعوة من الفقير والغنى ، ويقبل الهدية ، ويُثيب عليها .

وكان يُحب أن يخرج إلى أصحابه وهو سليمُ الصدر خالٍ من أى كدر تجاه واحدٍ منهم ، فكان يقول لهم ما معناه : « لا يُبلغنى أحدٌ منكم عن أحد شيئا فإنى أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر » .

وكان يُلقى السلام على من لقيه ، ويقف مع من يستوقفه ليقضى إليه بما فى نفسه ، ويمزحُ بالحق مع الصغير والكبير ـ أحيانا .

ومن مُباسطته للصغير ما أورده الشيخان والترمذى عن أنس : أن أخاً له صغيراً اسمه أبو عمير كان له نُغير ـ عصفور ـ يلعب به ، فمات العصفور ، فرآه ذات مرة حزيناً ، فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نغره ، فقال ﷺ : ياأباعمير ما فعل النغير ؟ وكان كلما رآه سأله وآنسهُ بحلو شمائله وكريم تواضعه ورفقه .

وقد بلغ من سعة الصدر ودوام البشر ، ولين الجانب ، والإقبال بوجهه المنير على أصحابه بابتسامته المشرقة أن كان يَظُنُّ كلُّ واحدٍ من أصحابه أنه أحبُّهم إلى قلبه الشريف ﷺ .

ما عاب ﷺ طعاماً مباحاً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ـ كما جاء فى الصحيحين ـ أما الحرامُ فكان يذمُّه وينهى عنه .

كانت حياته حلماً وعلماً ونوراً وهداية ورحمة ، ولولا ما رزقه الله من كمال العقل والأدب وتمام مكارم الأخلاق ، وعظيم التواضع والإيناس لأصحابه بمباسطتهم وإدخال السرور على قلوبهم لما قدر أحد أن يقعد معه ، ولا أن يسمع كلامه ، لما رزقه الله من المهابة والجلالة ، لذا أُثر عنه أنه كان يجلس على الأرض أو يضطجع بها ، ويتحدث مع بعض نسائه قبل أن يخرج إلى الناس .

ولقد أُثر عنه ـ أيضاً ـ قوله : « إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » وكان يذكر دوما أنه من الأرض فأورثه الله ـ عز وجل ـ رفعته إلى السماء ، وحسبه شرفاً أنه أحب الخلق إلى الله ، وحسبنا شرفا أننا من أتباعه ﷺ .

فاللهم ارزقنا حُسْنَ الاقتداء به ، وصلِّ اللهم عليه وعلى آله وأصحابه وعلى من صلى عليه وسلم من الموحدين إلى أن تقوم الساعة .

هداية الإنسان في ذكرى الرحمن

بقلم الأستاذ / محمد عبدالمحسن التفاوق*

لن نجانب الحقيقة إذا قلنا إن مشكلة عالمنا المعاصر فى حقيقتها هى عدم ذكر الله تعالى .. الأمر الذى من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وبالتالى عدم تذكر حقه على العبيد من عبادةٍ وطاعةٍ وخشيةٍ واستمساكٍ بشرعه وإيمانٍ برسله وبخاتمهم سيدنا محمد ﷺ ؛ بل كان منهم العدوان فى كثير من الأحيان على الذاكرين لله من قسوة قلوبهم ، وحقيقة الحال أنهم اعتدوا على أنفسهم وإخوانهم وعلى الحياة .

فباجتنا بهم ذكر الله تعالى صارت نفوسهم فارغة من الوحى والعلم الصحيح ومن ثم انطمست معالم الفطرة لديهم وحرموا الهداية وشرح الصدر واستقامة المعايش وفقدوا موروثات النبوة من التآخى والرحمة والعدالة والمساواة حتى أصبح الكل يشكو من الكل .

ذلك ما أخبرنا به الله عز وجل بقوله :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(1)

أليست هذه الآية الكريمة أصدق تعبيراً عما يعانيه المسلمون اليوم فى حياتهم نتيجة بعدهم وهجرهم لذكر الله تعالى ..

ولأن مفهوم الذكر قد اكتنفه الكثير من الأباطيل والترهات التى ما أنزل الله بها من سلطان كانت هذه الوقفة مع المفهوم الحق لذكر الله تعالى كما أخبرنا به القرآن الكريم والنبى العظيم ﷺ والعلماء الثقات من أئمة الهدى رضى الله عنهم وجمعنا معهم فى مستقر رحمته ..

* الكاتب : مدرس لغة عربية

(1) طه ١٢٤ .

ذكر الله تعالى

معناه: «الذكر: التخلص من الغفلة والنسيان»[2].

«والذكر: الاستحضار بالقلب مع التأمل .. وذكر الله: استحضره في قلبه أو ذكره بلسانه»[3].

فالذكر: إذن تخلص من الغفلة والنسيان باستحضار عظمة الله سبحانه في جميع الأحوال .. سواء كان هذا الاستحضار ذهنياً، أو قلبياً، أو لسانياً، أو فعلياً ويشمل الفعل والتلاوة، والعبادة والعلم .. وهذا المعنى للذكر هو ما بينه القرآن الكريم والرسول ﷺ في مناسبات كثيرة.

يقول الله تعالى:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ﴾[4]

فاستحضار عظمة الله ومراقبة قائمة مستمرة حتى في التعامل التجاري، وتعاطي البيع والشراء .. فالله معظم دائماً في ذهن المؤمن.

وبالذكر تطمئن القلوب: يقول الله ـ تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[5]

فاستحضار عظمة الله مستقرة في القلب متغلغلة في النفس يجد المسلم حلاوتها وسكينتها في الحنايا والضلوع.

واللسان رطب به: يقول عز من قائل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[6].

هذا وكل الآيات والأحاديث التي تحث المؤمن على ذكر الله ـ عز وجل ـ يدخل في مضمونها ذكر الله باللسان دخولاً أولياً؛ لأن اللفظ هو أول ما يختصه، والأمر هو أول ما يدل عليه .. ومما يؤكد ذلك قول النبي ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: "أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه"»[7].

عن عبد بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»[8] صلى الله وسلم وبارك عليك سيدي يا رسول الله ويدخل في الذكر اللسان: كل الأدعية والمأثورات التي صحت روايتها عن النبي ﷺ وأثرت عن أصحابه الكرام، والسلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ ما تعلق منها بأدعية الصباح أو المساء أو أدعية الطعام والشراب، أو السفر والإقامة كما يدخل في الذكر اللساني الاستغاثات الإلهية والاستغفارات الربانية التي ذكرها القرآن ورويت عن نبينا ﷺ[9].

---

(2) ابن القيم: مدارج السالكين / ج ٢ (٤٥١).

(3) إبراهيم أحمد: القاموس القويم / ج ١ (٢٤٣).

(4) النور (٣٧).

(5) الرعد (٢٨).

(6) الأحزاب (٤١ – ٤٢).

(7) رواه ابن ماجه وابن حبان.

(8) رواه الترمذي وأحمد.

(9) من أفضل الكتب في ذلك «الأذكار» للنووي.

والقرآن الكريم ذكر : يقول تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[10]

والعبادة ذكر : يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾[11] .

فالمراد بالسعي إلى ذكر الله في الآية الكريمة صلاة الجمعة .

والعلم النافـع ذكر

يقول تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[12] .

فالمقصود بأهل الذكر في الآية الكـريمة المختصون من العلماء[13] .

● **أرأيت - يرحمك الله - كيف أن الذكر لا يقتصر على حالة واحدة ، وإنما يشمل حياة المسلم كلها ، وقد كان النبي ﷺ خير قدوة في ذلك فقد كان يذكر الله تعالى على كل حال ﷺ مصداقاً لقول الحق جل وعلا :**

﴿ .. فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[14]

الأمر بالذكـــر

إن الذكر هو روح الإسلام ولبه ومقصود كل العبادات فيه . ومتى غفل عنه في العبادات كانت كالجسد بلا روح ، ولقد ورد الأمر بالذكر في القرآن الكريم على عشرة أوجه .

أولا : الأمر به مطلقاً : يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[15]

فقد ورد الأمر هنا مطلقاً من كل قيد أو شرط .

وجاء في قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[16] . **فيه بيان بما ينبغي من توفر حال في النفس عند ذكر ربها جل وعلا .. فتذكر ربك في سرك وقلبك .. بلسانك بحيث تسمع نفسك .**

ثانياً : النهي عن الغفلة والنسيان : يقول عز من قائل :

---

(10) الحجر (9) .
(11) الجمعة (9) .
(12) الأنبياء (7) .
(13) عبدالله ناصح علوان / روحانية الداعية (69 - 72) .
(14) النساء (103) .
(15) الأحزاب (41) .
(16) الأعراف (205) .

﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[17] .

ويقول جل وعز :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ... ﴾[18] .

ثالثاً : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته : يقول تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[19]

رابعاً : الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة : يقول سبحانه :

﴿ ... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[20]

خامساً : الأخبار عن خسران من لها عنه بغيره : يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[21] .

سادساً : أنه ـ سبحانه ـ جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له : يقول تعالى :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... ﴾[22] .

سابعاً : في الذكر إخبار بأنه ـ تعالى ـ أكبر من كل شيء : يقول جل وعلا :

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ... ﴾[23] .

وفيه أقوال: **أحدها**: أن ذكر الله تعالى أكبر من كل شيء ، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره تعالى ، فهو سر الطاعات وروحها .

الثاني : أنكم إذا ذكرتم الله ذكركم فكان ذكره لكم أجل من ذكركم له ، فعلى هذا يكون المصدر مضاف إلى الفاعل ، وعلى الأول مضاف إلى المذكور .

الثالث : أن المعنى ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه فاحشة ومنكر ، بل إذا تم الذكر ، محق كل خطيئة ومعصية هذا ما ذكره المفسرون ، وفيه فائدتان :

إحداهما : نهيها عن الفحشاء والمنكر .

الثانية : اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له ، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر .

---

(17) الأعراف (205) .
(18) الحشر (19) .
(19) الأنفال (45) .
(20) الأحزاب (35) .
(21) المنافقون (9) .
(22) البقرة (152) .
(23) العنكبوت (45) .

ثامناً : أن الله ـ تعالى ـ جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها :

وقد ختم الله ـ تعالى ـ به الصلاة فقال سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ .. ﴾(٢٤) .

وختم به الجمعة فقال سبحانه :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢٥)

وختم به الصوم فقال :

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢٦)

وختم به الحج فقال :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(٢٧) .

تاسعاً : الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الله ، وأهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ .. ﴾(٢٨) .

وبذلك جعله ـ سبحانه ـ قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها .

وقرنه ـ تعالى ـ بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأعداء وقتالهم فقال ـ تعالى :

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢٩)

تلك هي الأوجه(٣٠) التي أردت استقصاءها كي تدرك أهمية الذكر وأثره في حياة المسلم .

يقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله ـ تعالى :

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ ﴾

سورة الأحزاب

---

(٢٤) النساء (١٠٣) .
(٢٥) الجمعة (١٠) .
(٢٦) البقرة (١٨٥) .
(٢٧) البقرة (٢٠٠) .
(٢٨) آل عمران (١٩٠ ـ ١٩١) .
(٢٩) الأنفال (٤٥) .
(٣٠) مدارج السالكين / ج ٢ ص (٤٤٢ ـ ٤٤٥) . البقرة

إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، وعذر أهلها في حال العذر إلا الذكر ، فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهى إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله فقال تعالى :

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾

بالليل والنهار في البر والبحر ، في السفر والحضر ، في الغنى والفقر ، في الصحة والسقم ـ في كل حال ـ وعلى أية حال »(٣١) .

فضـــــل الذكر

فضائل ذكر الله تعالى أكثر من أن تحصى ؟ ولو لم يرد فيها إلا قوله تعالى :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ..... ﴾

وقوله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي : « **وإن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة** »(٣٣) .

أقول لو لم يرد إلا هذا لكان كافياً ؟ ولكن اقرأ نص حديث رسول الله ﷺ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى : قال : « ذكر الله تعالى »(٣٤) .

ويكفى في فضل الذكر أنه سبب حياة صاحبه ، فالذى يذكر ربه حى ، والذى يغفل عن ذكره ميت ، يقول النبى ﷺ : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكـره مثـل الحى والميت »(٣٥) .

فالقلب الذاكر بمنزلة الحى ، والقلب الغافل بمنزلة الميت ، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم ... ورحم الله من قال :

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم
واجسامهم قبل القبـور قبـور
وارواحهم في وحشة من جسومهم
وليس لهم حتى النـشور نشور

أفضـــل الـذكر

يقول الإمام النووى رحمه الله :

واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذى عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرءان الكريم أفضل من التسبيح والتهليـــل ، وغيرهما من الأذكار . وقد تظاهرت الأدلة على ذلك »(٣٦) .

ويقول الله تعالى :

---

(٣١) ابن كثير / التفسير / ج ٣ (٤٩٥) .
(٣٢) البقرة (١٥٢) .
(٣٣) البخارى .

(٣٤) الترمذى وأحمد .
(٣٥) البخارى .
(٣٦) البيان ، النووى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(٣٧)

وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد فضيلة القرءان الكريم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ما رواه أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرءان مثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرءان كمثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو ، مثل المنافق الذى يقرأ القرءان كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرءان كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر »(٣٨) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه »(٣٩) .

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال :قال : رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (آلم) حرف ؟ ولكن (ألف) حرف ، و (لام) حرف ، و (ميم) حرف »(٤٠) .

وأود أن أختم هذه الطائفة من الأحاديث النبوية الشريفة بحديث جامع من أحاديثه ﷺ يبين فيه فضل القرءان .

عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت : يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تعالى .. » .

فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .. هو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرءانا عجباً . من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »(٤١) .

هذا غيض من فيض ، وقطرة من بحر فضائل القرءان الكريم ، أرجو الله أن يجعلنا من أهله .

---

(٣٧) فاطر (٢٩ ـ ٣٠) .

(٣٨) متفق عليه .

(**) الأترج : شجر يعلو ، ناعم الأغصان والورق والثمار ، وثمره كالليمون الكبار ، وهو ذهبى اللون ، ذكى الرائحة طيب المذاق .

(٣٩) البخارى .

(٤٠) الترمذى .

(٤١) الترمذى .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها | فضيلة الشيخ / السيد العراقى

السؤال من السيد / محمد كامل كامل الرحالى :

١) رجل ميسور الحال ، وعنده ابنه متزوجة وزوجها حالته فقيرة . هل يحق للرجل عند إخراج الزكاة إعطاء ابنته منها ، أم لا تستحق ؟ مع العلم أنها تطلب الزكاة بنفسها عندما يخرج الزكاة .

٢) شاب عقد قرانه على فتاة أصبحت الآن زوجته ولم يدخل بها ، بل هى الآن فى منزل أهلها مع العلم أن أهل الفتاة حالتهم فقيرة ، وهى الآن يتيمة .. هل يجوز للشاب عند إخراج الزكاة إعطاء الزوجة التى ما زالت فى منزل أهلها جزءا من الزكاة ، وهل هذا يعتبر مشروعا أم لا تستحق ؟

٣) ما حقوق الزوج على زوجته ، وما حقوق الزوجة على زوجها كذلك . وما حكم الدين فى خروج الزوجة من المنزل دون إذن زوجها مع العلم أنه موافق على الخروج من المنزل . وما الحكم ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد .. فنفيد :

عن الأول :

بأن الامام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول : إن الإنسان يجب عليه أن ينفق على خمسة أشخاص : على الأب والأم ، الفقيرين ، ما دما على قيد الحياة ، ولذلك لا يجوز له أن يعطيهما شيئا من زكاته مطلقا مهما كانا فقيرين .

والثالث : ممن تجب نفقتهم على الرجل : الزوجة ما دامت فى عصمته الزوجية ، وكذلك لا يحل له أن يعطيها شيئا من زكاته .

والرابع : ممن تجب نفقتهم على الرجل : الابن إلى أن يبلغ قادرا على الكسب ؛ فإذا بلغ قادرا على الكسب سقطت نفقته عن أبيه ، فإذا كان فقيرا أو كان فى حياة مستقلة يجوز للأب أن يعطيه شيئا من زكاته .

الخامس : البنت تجب نفقتها على أبيها إلى أن تتزوج ، فإذا تزوجت سقطت نفقتها عن أبيها ، وكان زوجها ملزما بالإنفاق عليها ، فإذا كانت فقيرة وهى فى بيت زوجها فى عيشة مستقلة عن أبيها جاز له إعطاؤها جزءا من زكاته ؛ لأنها ـ والحالة هذه ـ تدخل ضمن قول الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .... ﴾ الآية .

وعن الثانى :

بأنه إذا كان أهل زوجته التى عقد عليها ولم يدخل بها من الفقراء ، فلا مانع شرعا من إعطائهم من زكاة ماله ، بل هم أولى من غيرهم ، ولا يجوز له إعطاء زوجته لأنه بعقده عليها أصبح لزاما عليه أن ينفق عليها .

وعن الثالث :

نفيد مجملا بأنه من حق الزوج على زوجته أن تطيعه فى كل ما يرضى الله ورسوله ، ولا تعصيه إلا فيما يغضب الله ـ تبارك وتعالى ، وأن تكون صورة حسنة فى عين زوجها تجذب قلبه إليها ، وذلك بالعناية بجمالها وحسن خلقها ، وأن تهتم بواجبها نحو بيتها وزوجها ورعايـة أولادها وحفظهم من الانحراف .

السؤال من السيد : محمد مصطفى شرى :

بعض الناس يدينون المذاهب الأربعة الفاضلة : مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد والإمام أبى حنيفة والامام مالك ـ رحمهم الله ـ ويحرمون على الناس تقليد واحد منهم ، ولقد دأبت طائفة من الناس على ذم الإمام أبى الحسن الأشعرى ومن اتبعه من السادة الأشاعرة / فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فنفيد بأنه لا شك أن من استطاع استنباط الأحكام الشرعية من القرآن والسنة جاز له الاجتهاد ، إذا استوفى مقومات الاجتهاد . ومن لم يستوفها يسأل أهل الذكر عن الأحكام ، ولا شك أن علماء التوحيد الأولين وعلماء الفقه الإسلامي الأولين قد بينوا الأحكام الشرعية مستوفية للأدلة ، وبهذا نعمل بما وصلوا إليه لقول الله تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء ـ ٧) ولا داعي للخلافات .

هدانا الله جميعا سواء السبيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .. والله تعالى أعلم .

هل لعب الشطرنج بدون رهان حلال أم حرام ؟

سؤال من السيد / مصطفى حسين مهران ـ موشا ـ أسيوط

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد :

الكلام الوافى عن « النرد » الطاولة والشطرنج والدمينو والبيجة موجود فى كتب كثيرة من أهمها : الزواجر لابن حجر الهيتمى ، ونيل الأوطار للشوكانى ، وحياة الحيوان الكبرى للدميرى وتفسير القرطبى لآية ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ ـ يونس ٣٢ ـ وحكمها : أن هناك شبه اتفاق على أن ممارستها محرمة إن كان فيها قمار أو صاحبها محرم كشرب خمر أو سفور أو خلوة أو سباب أو ترتب عليها ضياع واجب ، أو ضرر أياً كان هذا الضرر .

والذى ذكرته الكتب القديمة عن النرد المعروف بالطاولة ما ورد فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ « من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير » . رواه مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه ، وهذا الحديث حجة للشافعى والجمهور فى تحريم اللعب بالنرد وقال أبوإسحاق : يكره ولا يحرم ـ شرح مسلم ج ١٥ ص ١٥ .

أما الشطرنج : فقد قال فيه النووى : وأما الشطرنج فمذهبنا انه مكروه وليس بحرام ، وهو مروى عن جماعة من التابعين . وقال مالك وأحمد : حرام ، وقال الحافظ ـ بعد ذكر حكم النرد .. واختلفوا فى اللعب بالشطرنج ـ فذهب بعضهم إلى إباحته لأنه يستعان به فى أمور الحرب ، ومنهم سعيد بن جبير والشعبى .

ولكن بشروط ثلاثة : عدم القمار ، وعدم الإلهاء عن وقت الصلاة ، وحفظ اللسان حال اللعب عن الفحش .. هذا والله تعالى أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« فقد كنت للدنيا مذلا ، وللأخرة معزا »

حدث الزبير قال : قامت السيدة عائشة – رضى الله عنها – بعدما دفن أبوها أبوبكر الصديق – رضى الله عنه – فقالت :

نضر الله وجهك ، وشكر صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وللأخرة معزا بإقبالك عليها ، ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ وأكبر الأحداث بعده ، فإن كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة ، وأنا تابعة له فى الصبر فأقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك ، فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارئة على القضاء فيك .

« نصيحة »

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن البصرى – رضى الله عنهما – يطلب إليه أن يجمع له أمر الدنيا والآخرة فى كتاب فأجابه :

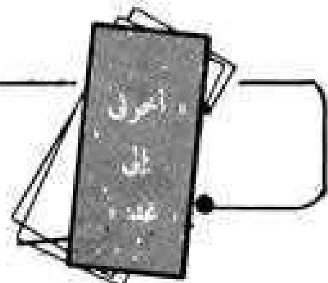
إنما الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والموت متوسط ونحن فى أضغاث أحلام .

من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حَلُم غنم ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك .

« رجل لا يوجد من يقول بقوله »

قيل ليونس بن عبيد : هل تعرف رجلا يعمل بعمل الحسن البصرى ؟

فقال : رحم الله الحسن ، والله ما أعلم أحدا يقول بقوله : فكيف يعمل بعمله ؟! كان والله إذا ذكرت عنده النار كأنه لم يخلق إلا لها ، وما رؤى قط إلا وكأن النار والجنة بين عينيه ، خشية ورجاء ، لا يغلب أحدهما صاحبه .



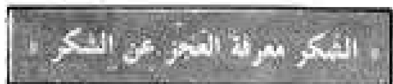
أمر الحجاج بإحضار رجل من السجن ، فلما حضر أمر بضرب عنقه ، فقال : أيها الأمير أخرني إلى غد ؛ قال : وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ، ثم أمر برده إلى السجن ، فسمعه الحجاج وهو راجع إلى السجن يقول :

عسى فرج يأتى به الله إنه
له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج : والله ما أخذه إلا من كتاب الله – وهو قوله – تعالى – « كل يوم هو فى شأن » وأمر بإطلاقه .



إن الغنى هو الغنى بنفسه
ولو انه عارى المناكب حافى
ماكل ما فوق البسيطة كافيا
وإذا قنعت فكل شيء كافى



روى أن سيدنا داود – عليه السلام – قال : إلهى كيف أشكرك ، وشكرى لك نعمة من عندك !!

فأوحى الله – تعالى – إليه : الآن قد شكرتنى ؛ وفى هذا يقال : الشكر على الشكر أتم الشكر .



أسمع رجل سيدنا عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه – بعض ما يكره ؛ فقال : لا عليك ، إنما أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا ، انصرف إذا شئت .



والروح كالريح إن مرت على عطر
تطيب وتخبث إن مرت على جيف

« لا تعجب بسلطان أو مال »

قال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك ، فإن زوال الكرامة بزوالهما ، ولكن يعجبك إن أكرموك ، لأدب أو علم أو دين .



اللهم ارحمنا إذا أتانا اليقين ، وعرق منا الجبين واشتد الحنين والأنين .

اللهم ارحمنا إذا اشتدت السكرات ، وفاضت العبرات ، وتعطلت القوى والقدرات .

اللهم ارحمنا إذا يئس منا الطبيب ، وبكى علينا الحبيب .

اللهم ارحمنا إذا حملنا على الأعناق ، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق .

من أعلام الأزهر

الشيخ الجليل أمين الخولى

محاولة رائدة لتأصيل منهج جديد

أ. د. محمد إبراهيم الفيومى (*)

الشيخ أمين الخولى رائد من الرواد الذين يعدون بحق من صناع معالم النهضة الفكرية والثقافية الحديثة ، وصناع مناهج التجديد فى أدب التاريخ وفلسفة البحث والدراسات الإسلامية ، وفن القول .

(*) الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

والشيخ أمين الخولي : علم فذ من هؤلاء الأعلام الرواد رمى بقوسه فأصاب مرماه ، وتربع على كرسي الزمالة بينهم ، وفي الحق أن مجال الكتابة عن الشيخ الجليل الشيخ أمين الخولي ـ العالم الباحث المحقق ، الذي توفر على دراسة آداب العربية ونواحي التاريخ الإسلامي والدراسات الإسلامية ـ مجال واسع لمن يريد أن يتوسع في دراسة تلك الشخصية ، ولا شك أنها ناحية خصبة يجب أن يتناولها ـ بإسهاب ـ تلاميذه الأوفياء وأصدقاؤه الذين اتصلوا به ودرسوا عليه وعاشروه طوال حياته .

فمن هو الباحث المخلص الذي يجب أن يكون وفياً ليكشف عن جهود الشيخ في التجديد ، وجهاده في تجلية آفاق المعرفة ؟

أم أن العقوق هو داء التلاميذ دائماً فلا يكاد يُغيِّبُ التراب شخصية عظيمة طيبة المآثر حتى نذكرها بكلمة أو نرثيها بقصيدة ، وهذا كل ما نقدر عليه ؟!

إن جهود الشيخ أمين الفذة هي أمانة في عنق أصحابه .. وإن هذه الذكرى التي تقام اليوم أراها بداية متواضعة ، علها تكون بدءا لدراسات عن الشيخ الجليل وحفزا لهمة الأمناء ليفصلوا قواعد رؤيته المنهجية . ويبينوا أثرها في بناء مدرسة الأمناء وتميزها ، وما قدمته في تجديد الفكر والثقافة .

بدأها في مقدمة كتابه الرائع : (مالك بن أنس) كتاب رائد في المنهج والمذهب ، إلى الأمناء (*) وبرغم أن الشيخ الجليل واسع العلم والمعرفة غزير الإنتاج إلا أنني سأقصر كلمتي في ذكراه حول ترجمته المحررة للإمام مالك بن أنس . ولقد اخترته من بين مؤلفاته لعدة دوافع :

الدافع الأول : حبي الشديد لمنهج الشيخ حبا غلب عليّ ، وأثر على كتاباتي فيما بعد على ما اخترته من أعلام كالإمام الغزالي ، أو ابن باجة (**) ، فإن كثيرا من القضايا الفكرية أو السياسية المطروحة في التاريخ عنهما كانت مغلوطة حين درست منعزلة عن تاريخ أصحابها ، أما حين تقرن الأحداث بأصحابها وزمانها ومكانها وأشخاصها ، وفق منهج الشيخ فلقد صححت وصحت الرؤية وتلاقت الأبعاد . وخفت أوزار عن كاهل الذين حمّلوها من سوء ما يحكمون .

الدافع الثاني : يشعرك الكتاب ـ بدءا من الكلمة المأثورة عن الإمام مالك : بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء .

(*) الأمناء : اسم يطلق على مدرسة الشيخ أمين الخولي ورواد صالونه الأدبي .

(**) ابن باجة فيلسوف أندلسي .

ثم كلمة الإهداء : إلى الذين يقدرون تبعات القلم وما يسطرون ـ أن مؤلف الكتاب رجل باحث لم يقصد من تأليف كتابه إلا بيان الحقيقة ناصعة ، فلم يكن ممن يذهبون فى التأليف إلى غرض من دعاية دينية ، أو سياسية ، ولا ممن يشترون بالعلم من أجل غرض يخفيه ، أو شهوة يسترها ؛ بل كان نزيها فى بحثه قاصدا فى قوله إلى اللباب .

الدافع الثالث : إنك حين تقرأ الكتاب تداخلك عظمته وعظمة الكاتب ؛ فلقد مهد له بمقدمة تحوى أمورا يجب علمها ، وقواعد فى المنهج تجب معرفتها ، وقيمة كتب الطبقات ، وهو فن تميز به الإسلاميون عن غيرهم من الأمم السابقة ، وقيمتها العلمية يرتاح لها قلب العالم ، ويبتهج لها عقل الفقيه ، بقلم نظار محقق وبحاثة متبحر كما يقول القدماء .

الدافع الرابع : إن موضوع الكتاب يبدو لمطالعه سهل ميسور ، لا غموض فيه أول وهلة ، غير أنه حين يأخذ فى مطالعته يتبدل الرأى لديه ، ويغلق الكتاب ثم يسرح شارد الفكر ليعيد النظر فى الكتاب من جديد . وذلك ؛ لأن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لم ينظر فى ترجمته للإمام مالك على أنه شخصية منقطعة العلاقة بسائر حوادث التاريخ الفكرى والسياسى ؛ بل على إنه شخصية لا يظهر خطرها ولا تتضح حقيقتها إلا إذا قرنت بالأحداث التاريخية الكبرى .

والمؤلف ـ وإن كان معجبا بالإمام مالك ويتشيع لمذهبه ـ إلا أنه كان عادلاً فيما يحلل ويقارن ويرجح بما يخدم الحقيقة ـ وإن كانت تجانب غرامه بالإمام مالك : فهو يذكر حوادث التاريخ ذكر القاضى الناقد ، لا يعبأ أين تميل به الحجة من غير أن تكون فى نفسه مرارة ، أو يكون فى حكمه زيغ ـ فهو إن رأى الحجة مع الإمام مالك فهى معه ، وإن رأى الحجة تجانبه فهو معها ، وفى نفسه سرور الباحث عن الحقيقة إذا وُفِّق للوصول إليها ، إذ ليس فى قلبه ما يسخطه على تلك الحقيقة إذا هى تبدت فى جانب دون جانب ، وهكذا أظهر المؤلف تقدير التاريخ للإمام مالك ، وكيف ألبسه ثوب العزة ، والأنفة ، ورمى عنه ما كان « المتقبون » كما يذهب فى وصفهم الشيخ أمين الخولى ـ وهم كتاب الطبقات ـ قد ألقوه ظلما عليه من التهم ، ووجدوا فيها سبيلا للطعن عليه ، وعلى مذهبه .

تلك هى الدوافع ، وهى أكثر مما ذكرت ، وكأنى بشيخنا يقول بلسان أبى دلامة :

إن الناسُ غطونى تغطيت عنهمُ ... وإن بحثونى كان فيهم مباحث
وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم ... ليعلم يوما كيف تلك النبائث

البيت : المستخرج المظهر .

من هنا خصصت ورقتى فى رؤية منهج الشيخ الجليل من خلال كتابه : مالك بن أنس ، فهو حرى بالدراسة والبحث والتحرى وفيه « نبائثه » .

عقد الشيخ الجليل لكتابه عن الإمام مالك مقدمتين :

الأولى : عن الترجمة وشروطها وعلاقتها بالتاريخ والأدب .

والثانية : فى المنهج : التخصص الدقيق ، والمناقب والتراجم .

أما عن المقدمة التى أطلق عليها « هذه الترجمة » فقد خصصها لتحديد مفهوم الترجمة وفق اجتهاده ، فهى فى نظره : « الدرس المتفهم للأشخاص الذين هم العقل العالم والوجدان المتفنن ، الدافع للحياة .. فهم الحياة فى التاريخ أوهم التاريخ الحىّ .. وليس إلا التاريخ الجامد بل الميت ، إذا لم يعرف الأشخاص الذين نفخوا فيه من روحهم » .

ولقد رتب على مفهومه للترجمة معنيين للتاريخ :

معنى التاريخ فى الفهم الساذج ، وهو الذى يحصره فى أنه جمع للأخبار والأحداث ووصف سطحى لما كان . ويقف به الفهم الساذج عند هذا الحد .

أما التاريخ فى الفهم الدقيق : فهو الذى يراه وصفا لسير الحياة بالكائنات المادية والمعنوية ، يكشف عن سنن ذلك ، ويبين كيف كان هذا المسير ؟ ولم ؟ وإلى أى هدف فليس ذلك كله ، إلا عن فهم للأشخاص الذين صاغوا هذا كله بأيديهم ، وألسنتهم ، وعقولهم وميولهم ، وأخلاقهم وأهوائهم وشهواتهم وحكمتهم وأخطائهم ، وحريتهم ، وجبرهم .

ثم يخلص – رحمه الله تعالى – بعد هذا العرض إلى تلك النتيجة : فالتاريخ كيفما فهمته يكتب التراجم ، ولن يكتب بدون التراجم .. وكذلك سارت الترجمة والتاريخ ، فى طريق واحد من التدرج والتطور من القصة السامرة .. إلى الحقيقة المُمحَّصة .. وذلك هو التاريخ المرجو ، الذى يستشرف إليه التقدم العقلى ، وأرانى لا أخالف الشيخ فيما سبق إليه .

ثم ينتقل – رحمه الله تعالى – إلى علاقة التاريخ بالأدب ، وهى من وجهة نظره : إن بين التاريخ والأدب صلة وثيقة ، بدت فى صور مختلفة من التدرج والتطور ، سواء كان التاريخ سيرا خاصا أم كان محاضرة شيقة ، أم قصة مشهودة أو مكتوبة ، أم كتابا مقروءا ، فهو فى كل أولئك الصور إنما يقوم بفن من القول يقربه من النفوس ، أو يترجم عن وقع الأشياء والأحداث والأعمال عليها ، شعورها بها .

وخلدت تلك المُداخلةُ بين التاريخ والأدب ، وكانت بين الأدب والتراجم – من أنواع التاريخ – مداخلة أوثق وثاقة وأقوى ارتباطا ، إذ قدمت السير والتراجم ، مواد من التاريخ لأضرُب من فنون الأدب .. واحتاجت تلك التراجم والسير – فى التاريخ – إلى العرض الشيق ، والتعبير المبين ، يمدها به الأدب .

والترجمة – من بين صفوف التاريخ – تحتاج إلى لون من النشاط الفنى ، والنفاذ الوجدانى حين تحاول فهم نفس المترجم لهم ، اكتشاف دخائل قلوبهم ، وبواعث أعمالهم ، وبيان ذلك وما

إليه بيانا حساسا دقيقا مصورا ، فتكون الدقة الوجدانية ـ وهي ملاك الشخصية الأدبية من غير ما يعين الدقة العلمية ، إذ تتفهم النفوس البشرية في المترجمين وتجلو الوجود النفسي لهم ثم يصل إلى نتيجة تحتاج إلى مناقشة ، وفيها نظر ، وهى أنه في رؤيته أن أصحاب الدرس الأدبي حين تسعفهم طاقتهم العقلية وتمدهم ثقافتهم العلمية ، هم الأقدرون على كتابة هذه التراجم ، والتناول الصحيح والدقيق لها .

ثم يوجه دعوته إلى « الأمناء » فيقول : هذا هو ما أشعر به حين أعد هذه الترجمة المحررة من عمل « الأمناء » وأخرجها حاملة طابعهم ، مختدة نفسها من صميم نتاجهم ، وخاص عملهم .

ثم أخذ يبين ـ رحمه الله تعالى ـ خصائص دراسته للترجمة ـ وهو يراها خصائص عامة للترجمة ، وطمحت ـ في غير غرور ـ أن يكون عملي في هذه الترجمة المحررة ، سعيا إلى تحقيقه إنما هو صدى لمنهج عقلي ونقلي ، وفني وأدبي ، ينبغي أن يلتزم في الترجمة ، حتى تكون ترجمة محررة حقا .

ومن هِجّيرَاى المسيطرة ـ الدأب ـ أن أضع الكتاب مثالا للمنهج ، وأصلا فيه ، بعد أن أحرر القول في المنهج تحريرا لا بأس به ـ إن شاء الله عز وجل ـ في أن أَعْتَدَّهُ العمل كل العمل في جيلنا هذا ، فمتى ما يستقر ويثبت ، يكون له ما بعده من إشادة وإجادة .

وأسس المنهج للتراجم هى :

١ ـ الجمع المستقصى لمواد الموضوع .

٢ ـ ثم النقد الفاحص لها .

٣ ـ التفسير المبين لمرامي هذه الروايات الكاشف عن دلالتها .

٤ ـ العرض الشيق المعبر عنه ، في صورة مجلوة وضيئة .

ثم يقول : تلك هى خطوات منهج الترجمة المحررة التى عددتها في التاريخ عملا ، وفي الفن شيئا ، وشعرت فيها بالتقاء الثقافة العقلية ، والدقة التاريخية مع البيان الفني .

ترجمة الإمام مالك وما أصابته من المنهج :

الجمع المستقصى الشامل لأخبار المترجم : وفي الجمع لهذه الترجمة ، قد بذلت الجهد المستطاع ، للوصول إلى المرويات مهما تكن غير أصيلة ، وظل ذلك مع استطالة الزمن إلى ما فوق عشر سنوات ، راجع فيها كثيرا من المخطوطات حتى إنه رجع إلى مخطوطة ترتيب المدارك للقاضى عياض ، وهو من رجال المذهب ، وراجع أكثر من مخطوطة ليخدم استقصاء المادة العلمية .

النقد الفاحص : وهو في نظر المؤلف الكبير الذى ينفي ـ كامْ هذا المجموع كل ما ينزل عن مرتبة الوثيقة . الموثوق بها ، وسبيل هذا النقد ـ فيما قال الأسلاف أنفسهم هو : نقد السند

الذى حمل به المتن ونقل .. ثم فحص المتن المنقول نفسه ، إذ كثيرا مما قاله القدماء يقوم على منهج غير محرر وخاصة ما فى تلك المناقب ، الحافلة بالغرائب والعجائب والتى نقدناها نقدا غير قصير تحت عنوان : (المناقب والتراجم) ، وأما ما رجونا من تحقيق النصوص المنقولة ـ ترجمات ومؤلفات ـ فإن حياتنا العلمية والأدبية عاجزة عن الوفاء به ـ فنحن نعتمد مقهورين على نسخ مطبوعة طبعاً تجاريا سوقيا ، لا أصالة فيه ولا شعور بواجب ما ، أو مخطوطات مفردة حينا أو متعددة لكن لم تتم مقابلاتها المحققة ، والانتهاء إلى الأصيل منها .

هذا ما شعرت بالنقص فيه ، وبينت موضع الحاجة إلى الاستكمال ، ووصفت قصور تقذى بسببه ، وإذا صفيت تلك المرميات ، فيقى النقص منها .

تفسير المرميات : بيان مرماها ومغزاها ، وإيضاح دلالتها وشهادتها واستخراج خطوط الصورة منها ، وملامح الشخصية فيها ، وتبيين بواعث العمل ومقاصد العامل والغايات المنتقاة .

وفى هذا التفسير ، تتحدث الخبرة المباشرة بالحياة ، والتجربة الشخصية لها كما تتحدث الخبرة التى تمدها القراءة والدراسة لشئون تلك الحياة والنفس والمجتمع والأمزجة والشخصيات .

ومن هنا يختلف التفسير والتأويل باختلاف المستوى العقلى والوجدانى للكاتب المتناول : فإن كان غيبى النزعة ، فتفسيره غيبى ، وتأويله لاهوتى ، وترجمته منقبية ، أو هى من المنقبية بسبيل ، وذلك يتفاوت بتفاوت الأشخاص وتمايز الكتاب .

وفى التفسير من هذه الترجمة لم أقتصر على المرميات الخبرية ـ بل قدرت ما لآثار المترجم من أهمية فى الدلالة على نفسه . ومن هنا كان تناولى لما استطعته من ذلك تناولا معتدلا حذرا ، وفى هذا التفسير كله أرجو أن أكون قد عشت فى عصرى ، وقاربت ما يرجو فى فهم حياة إمام مثل : « مالك » بما هو إنسان ، لا غير ، ولا أكثر ، كما أرجو أن أكون فهمت حياة الفقه والرأى وما إلى ذلك من حياة علمية وصلتها بالحياة الاجتماعية ، فهما واقعا يساير السنن الكونية بتدرج واضح المعالم ، لا غموض فيه ، ولا اضطراب ولا شذوذ ، وأن أكون قد قدرت فى ذلك كل أثر للبيئة تقديرا صحيحا يرضى روح الدقة العلمية اليوم .

ويرى الشيخ أمين أن ثمة صفات على الكاتب أو الباحث ـ فوق قواعد المنهج السابقة ـ أن يتميز بها ؛ وأن يتمثل الأمانة ، ويرتفع على التحيز والتعصب ، ويتحرر من التقليد ، ويخلص من الاستهواء ، ويلتزم المراجع والوثائق المحررة ، ولا يستمد إلا من التحقيق الدقيق ، والتفسير العالم .

ومن هنا كانت منقبية الأقدمين فتنة ، كما كان ارتزاق المحدثين محنة ، وهوى السياسة وما إليها بلية .. وكانت الشجاعة الأدبية أوجب وجوبا ، والثقة بالنفس ألزم لزوما ، وفى التعبير ـ من هذه الترجمة ، آمل ألا أكون قد استخفنى أوهام أدبية مقررة ، أو جمح بى خيال ، بل أجريت فيها التعبير جادا .. يخشى أثر الصور البيانية على دقة الحكم وسلامة المعنى فلا ينال من ذلك شيئا ، إلا فى حفاظ على الحق ، ووفاء بالأمانة فى المعنى .

فلم يكن هدف الشيخ من التأريخ لمالك بن أنس والتعريف به ، فذلك سهل ميسور ، تزدحم به المصادر ، أو التعريف بنفسه بكتابة كتاب عن إمام ملأ طباق الأرض علما ؛ إنما هدفه أبلغ من ذلك هدفا : فلقد اتخذ من كتابته عن الإمام مالك سبيلا إلى بيان طرائق كتابة التراجم كفن أدبى ، ولون من ألوان التاريخ وكيف لا ؟ وهم صناعة وعمالقة الحضارات لذلك كانت الترجمة ــ كما يراها الشيخ ــ عملا له جلاله ؛ لأنها ــ كما قيل ــ دقة علم ــ وما أشق ، فى قوة فن ــ وما أرق .

التزجمة والتخصص الدقيق :

ومما يسترعى النظر ويبعث على الاهتمام ، ذلك المسلك الذى سلكه الشيخ الجليل فى المقدمة الثانية التى عنوانها : فى المنهج : التخصص الدقيق ؛ المناقب والتراجم ، ومنها ــ أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ وهو العالم الفقيه الذى كتب عن التجديد والمجددين ، واتخذ منهج التجديد فى حياته العلمية والثقافية والإسلامية ، وهو ــ ولا شك ــ مجال واسع يلف جميع آرائه ــ لمن يريد أن يتوسع فيه ، رسالة وهدفا ، ورسالة التجديد التى تغياها الشيخ فى الميادين العلمية التى طرقها ، أكثرت من خصومه وأثارت عليه النقاد ، وجرفته إلى قضايا مازالت حتى اليوم موضع جدل ، وبرغم أنها طبعت باسم كاتبها إلا أنها مازالت تذكر مقرونة باسم الشيخ أمين ، ما كان أغناه لو غض الطرف عنها .. لولا روح التجديد التى غلبت عليه .. ولعل عنوان مقالة له ذكرنى بها الأخ الفاضل تلميذه الأكبر د. شكرى عياد نشرها فى الأخبار ليدفع بها عن نفسه شر أقلام خصومه .. «وأنا يُقذف بى إلى النار .. إنه لَحَقٌّ» .. تصور شراسة الخصوم وصرامة موقف الشيخ : ذلك القلم التواق للتجديد والذى لم يكد ينتهى من معركة حتى ينذر بأخرى ، يتحرج وهو يكتب ترجمة محررة عن الإمام مالك ، أن يخوض فى فقهه ويعتذر عن الخوض فيه ــ التمسه من أدب القدماء ، وهو الذى قد ثار على جمود المحافظين .. لكنه الإنصاف وخلق العلماء وأدب أهل التقوى والورع . رحم الله الشيخ وذلك درس يجب أن يعين الذين يتجرأون على الفتيا والذين يخلطون ــ عمدا ــ بين التجديد وقواعده ، والجرأة والتهور فى العلم .

ينقل الشيخ أمين الخولى عن القدماء نصا يصور به أدب المخالف يقول : «إن نقل المخالف فى المذهب لا يعتد به» يشرح العلة فى ذلك : إذ الفقه ــ وإن كان علما واحدا ــ تختلف فيه اصطلاحات المذاهب ، وأصولها ، وطرق الترجيح والتصحيح . هكذا يرى أسلافنا ، ثم يقول : فى هذا الرأى تقدير لحرمة الحقيقة ورعاية لحدودها عند البحث ، وأنه يجمل بنا اليوم أن نأخذ أنفسنا بمثل ذلك ، حينما نحاول دراسة ما فى فقه أو أدب أو تاريخ أو غير ذلك . تتفق منه المعانى القديمة مع الروح العلمية للعصر الحديث أتم اتفاق لما يدعو إليه العلم من تخصص ، حتى يكون دراسة ثقة فيه ومرجعا تجدى دراسته على العلم ، وتمده بجديد .

على أنى أقرر هذا أول ما أقرر ، لأكفكف من غلوائى ، فى التحدث عن فقه مالك ـ رضى الله عنه ـ ولم أدرس إلا المذهب الحنفى ، ولأعلن بين يديكم أنى أتحرج وأتأثم من ذلك كل التحرج والتأثم .

من أجل ذلك حددت موضوعى هذا ، بأنه ترجمة محررة للإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ وإن تسلم لى ترجمة محررة للإمام مالك فذلك حسبى وكفى ، ـ رحمه الله تعالى ـ فلقد كانت الترجمة محررة ومنهج محرر .

فلو لم يكن ـ ونحن أمام استخلاص قواعد منهجه التجديدى ـ غير تلك الملاحظة التى أبداها وأصّلها وأخذ بها ودعا إلى مثلها لما شقينا بمفاهيم الأصالة والمعاصرة بين قومنا .

تقييم المصادر ـ فن الطبقات :

يرى الشيخ أمين الخولى ـ وهو بصدد التأريخ للإمام مالك وتحرير مصادر كتابته التى تعرضت لحياته وفقهه ـ أن كتب الطبقات ـ وهو فن مستحدث مع النهضة الإسلامية ولون من ألوان حضارتها العلمية ، وقد سمى « بالمناقب » .. يبدى عليه الشيخ بعض النقد منه :

ـ أن هذا اللون تخصص فى جمع المفاخر ، يجمع فيه كاتبوه فضائل المترجم له ومكارمه من أفعال وخصائص . يرى فيها الشيخ أنه يعوزها غير القليل من التحقيق التاريخى .

ـ الاعتماد على الرؤى والأحلام فى إثبات الفضائل ، أو التكهن بمستقبل المتحدث عنهم أو مصيره الأخير فى الحياة الثانية . يقول الشيخ :

ومهما يكن الرؤى فى الأحلام فلن تكون مصدرا من مصادر التاريخ . ولا ميزانا من موازين نقد الرجال ، ولا مقدمة من مقدمات الحكم على الأشخاص .

ـ ومن المظاهر المشتركة فى مناقب الفقهاء ، ذكر بشارة الرسول ﷺ لفقيه منهم.

ثم يقول : قبل ذلك وأكثر منه ، أن كاتب المناقب ، يتقدم إلى وصفها فى حال نفسية مطاوعة ، بل مستهواة بمن يكتب عنه . وهو ضرب من الهوى .

يقول التاج السبكى ـ نقلا عن والده فى شروط المؤرخ :

فيقول : وألا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب فى مدح من يحبه ، والتقصير فى غيره ، بل إما أن يكون مجرداً عن الهوى ، وهو عزيز . وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ويسلك طريق الإنصاف فليحذر القارىء هوى أصحاب المناقب ، المتبعين للفضائل ، المتزيدين فى المزايا والمكارم .

الشيخ يطبق المنهج :

على هذا المنهج الذى عرضنا له وقدمنا زواياه وأبعاده ألزم الشيخ به نفسه فقال : على هذا النهج المسدد نحاول أن نترجم للإمام المحدث الفقيه « مالك بن أنس » ، راجين أن نخرج له صورة بادية الشخصية ، تنهض من وراء الاثنى عشر قرنا الخالية ، واضحة الملامح جلية القسمات بينة الدلالة على الإمام .. وأحب أن أصارحكم هنا القول جهيرا ، فقد انتهت قراءتى عن الإمام « مالك » خلال أعوام إلى ركام من المرويات عن حياة الإمام لا يكاد يخلو فيه خبر من نقض ، ولا رواية من أخرى مقابلة لها سواء فى ذلك ما يتعلق بحياته المادية أو المعنوية ، وبعض هذه المتقابلات ، يشير فيه القوم إلى الأشهر أو الأكثر أو الأصح .. فلم يبق إلا أن أواجه هذه المتقابلات فأنسقها ، وأحاول الانتهاء فيها إلى شىء ، ولو دارت حول ما ليس وراءه كبير عمل ، لأن للحقيقة قيمتها فى نفسها .

ثم يقول الشيخ فى آخر الترجمة :

والآن .. إذ أضع القلم إلى هدأة طويلة أو قصيرة ، عن بحث ما بقى من جوانب شخصية الإمام ، الآن أحمد الله على ما أعان ووفق ، وأشكر الذين عاونوا فى إخراج ما بنجز من هذه الترجمة ذاكرا بالتقدير ما قامت به زوجتى الكريمة الدكتورة بنت الشاطىء من أعباء هذا الإخراج التى لا أنشط لاحتمالها .. جزاها الله خيرا .

وبعـــد :

فإن كتاب مالك بن أنس ترجمة محررة ، لا ينبغى النظر إليه على أنه كتاب يعالج حياة الإمام مالك شأن نظائره من الكتب المترجمة للشخصيات ، إنما هو فى فنه أسمى من ذلك بتفرده فى ميدانه ، فلقد ضمنه الشيخ أمين الخولى طرائقه فى المنهج ، وبنى دراسته لمالك على أساس منها ؛ فالكتاب منهج وتطبيقه . وعلى هذا النسق الفريد جاءت الدراسة تراث ومعاصرة ، قديم وجديد ، منهج وتطبيق ، نقد وبناء ، وتحليل وتركيب .

وعليك — أيها القارىء — أن تجمع نفسك وترفع من عزمك فى كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ؛ بل وفى كل سطر من سطوره ؛ لتخوض مع الشيخ معاركه النقدية أمام سطوات النصوص ليكشف زيفها ويعين التباسها ويحق حقها .. ولا تكاد تنتهى منه حتى تجد نفسك قد تعلمت مما تأثرت به وخرجت بمنظار ثقافى جديد ورؤية نقدية عليمة ببصائر النقد والتحقيق العلمى ، لذلك قدمت له وقلت : إن هذا الكتاب مُعْلَمٌ ثقافى فى حياتنا المعاصرة لو كان قومى يفقهون .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

استقبال المدينة لنبيِّ الهدى

للشاعر : أحمد محرم

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل ... يكفيك من أحبابها ما تحمل
طال التلوم والقلوب خوافق ... يهفو إليك بها الحنين الأطول

القوم مذ فارقت مكة أعين ... تأبى الكرى ، وجوانح تتململ
أقبلت في يمن الإياب مباركا ... يزجي البشائر وجهك المتهلل

خف الرجال اليك يحفز جمعهم ... وقلوبهم فرحا أخف وأعجل
هجرت منازلها بيثرب وانتحت ... أخرى بمكة دورها لا تؤهل

ولدان ، هذا من ورائك يرتمي ... عجلا وهذا من أمامك ينسل
ما للديار يهزها نشواتها ... أهي الأغاريد الحسان ترتل ؟

رفت نضارتها وطاب أريجها ... وترددت أنفاسها تتسلسل
فكأنما في كل مغنى روضة ... وكأنما في كل دار بلبل

هنّ العذارى المؤمنات أقمنه ... عيدا تحييه الملائك من عل
في موكب لله أشرق نوره ... فيه ، وقام جلاله يتمثل

تحية وتقدير لشيخ الأزهر الجديد

شعر الشيخ . يوسف الأبنودي (*)

هنـــاء بما ذاك العـــزاء المقدمـــا ... فمـــا عبس المحزون حتـــى تبسمـــا
لئـــن حل فى فقـــد الإمـــام مصابنـــا ... فقـــد جاء «خلف» كان للخير معلما

● ● ●

جلست على كرسى مجد وسؤدد ... تحوط به الآمال تحرسه السمــــــــا
فكل عيـــون النـــاس ترنـــوا إليكـــم ... وكل قلـــوب الخلـــق تهوى إلى الحمـــى

● ● ●

ترجـــى نزول الغـــيث بعـــد ترقب ... وتأمـــل بعـــد القـــرم جبرا ومـــغنما
وأنت إمـــام المسلـــمين فكـــن لهم ... على هدى طه رائـــــدا ومعلمـــــا

● ● ●

وجابـــه دعـــاة الشر فى كل موقـــع ... لتـنـصـف مظلومـــا وتـــروع ظالما
وتجهـــل نشر العـــدل أمنـــا وبلسمـــا ... ولا تخش قاتلـــا ولا تخش لومـــا

● ● ●

وأسأل ربى أن يبـــاركك عهـــدكم ... ويـــرزقك التوفيـــق والـــرشد ربما
ويجمـــع صف المسلـــمين لكـــى ترى ... عدوهـــم للحـــق يذعـــن مرغمـــا

(*) مدير عام المنطقة الأزهرية بأسوان .

رابع الأقداس

شعر / السيد الصديق حافظ

النيِّران : الشمسُ والأزهـرُ[1] ... والخيِّران : النيلُ والكوثرُ !
لكنْ نهرَ البرِّ نورُ الورى ... في مصرَ والدنيا هو الأزهرُ !
المسجدُ المعطاءُ معروفةٌ ... في العالم المعمور لا تُنكرُ !
لولاهُ ما ألقيْتَ أمَّ اللغى ... تحيا فلا تفنى ولا تقبرُ !
ولم تجد في أمةٍ داعياً ... يَزهى به المحرابُ والمنبرُ !

* * *

يحمى حمى الإسلام أبناؤه ... ربُّ العصا[2] والعالِمُ المبصرُ !
كانوا ومازالوا دعاةَ الهدى ... ما غيَّروا والناسُ قد غيَّروا !
الناسُ أعراضٌ وهمْ جوهرٌ ! ... هل تستوى الأعراضُ والجوهرُ ؟!
أقوالُهمْ تهدى بأعمالهمْ ... والمخبرُ استهدى به المظهرُ !
لم تفتنِ الدنيا على حُسْنِها ... منهمْ فتىً! كلا ولا مُعصِرُ[3] !
يحيون للإسلام لم يطلبوا ... مُلكاً ، ولكنّها خشيةُ الأكبرُ !

* * *

يا معهداً أركانُه جوهرٌ ... قد شادهُنَّ اللهُ لا جوهرُ[4] !
يأوى إليها الخلقُ مستعصماً ... والدهرُ ، والأحقابُ والأعصرُ !

---

(١) الشمس والأزهر = الشمس والقمر وفي اللفظ تورية .
(٢) رب العصا = الكفيف . كناية .
(٣) معصر = فتاة بلغت شبابها .
(٤) جوهر = جوهر الصقلي قائد المعز وباني الأزهر وجوهر الأول = أحجار كريمة وبين اللفظين جناس تام .

جاراً لبيتٍ جارةٍ آمنٍ ... في ذمّةٍ تَرعى ولا تَخفرُ !
يارابعَ الأقداسِ (٥) لا فُزِّعتْ ... عن ظلّه دارٌ ولا مَعشرُ !
لا تَرُعْ ممّن عاش مستغرباً(٦) ... خيراً إذا أمثالُه تَخيَّروا
قد حقّروا من مات من قومهم ... واستصغروا من عاش واستكبروا
الذين في تقديرهم منكَرٌ ! ... باءوا بخزيٍ كيفما قدّروا !
قد أضمروا أمراً ولكنهم ... لن يبلغوا الأمرَ الذى أضمروا !

* * *

لمّا جرى التطوير(٧) لم يدركوا ... أن اختيارَ الله ما طوّروا
أمتدَّ نورُ الله حتى غدا ... في كل بيتٍ أزهرٌ يُزهرُ !
هذا طبيبٌ أزهريٌّ وذا ... قاضٍ ، وذا عالِمٌ نيِّرُ !
والبنتُ – يازهراءُ (أستاذةٌ) ... تتلو كتابَ الله لا تفترُ !
قرآنها في صدرها حافظٌ ... تحنو لما ينهى وما يأمرُ !
لم تنضُ ثوبَ الطهرِ عن عفّةٍ ... إلا لزوجٍ مُحصنٍ يَطهرُ !

* * *

يامدّعي التنوير(٨) ما تبتغي ... من حاصنٍ إلا الذى ينشرُ !
أحسبُ عدوّ الله ! دون الذى ... تبغي انتشارَ الكفرِ أو أنكرُ !
«إبليس» ينعو عن بني «آدم» ... ألوانهم جذباً لمن ينظرُ !
هل أنت ياعربيُّ من جندِه ؟! ... قد يدّعي التنويرَ من يكفرُ !

* * *

بالله هادينا وقرآننا ... والسنّةِ الغرّاء نستبصرُ !
الله نورُ الكون في نوره ... نسعى فلا نكبو ولا نعثرُ !

---

(٥) رابع الأقداس = الأزهر الشريف (القدس والحرمان والأزهر) .

(٦) المستغرب مخالف للمستشرق لفظا وموافق له عملا وهم فئة من المتنورين – زعما وادعاء – تربّوا في محاضن غربية أرضعتهم احتقار الشرق وتراثه والحقد على الوحي الصادق .

(٧) التطوير = ظن بعض الناس أن تطوير الدراسة في الأزهر ستذيب شخصيته وتقضي على رسالته فاستبشر المستغربون ولكن الله أراد بالأزهر الشريف خيرا فاتسعت دائرة رسالته العظيمة وخدماته الجليلة للإسلام .

(٨) مدعو التنوير في مصر والشرق لاهم لهم إلا تجريد المرأة من ثوب العفة والحشمة وتيسير سبيل اختلاط الرجال بالنساء ويعدون ذلك عنوان التحضر والعصرية .

الـ

للشاعر:
محمد عبدالرحمن
صان الدين

كلما فكرت في آتي عن الدنيا سأرحل
فوق متن الموت محمولا إلى ما كنت أجهل
تاركاً أهلي وخلاني ومألوفي المفضل
دون زاد غير مبغر فيه مفعول مسجل
تعتريني رعشة في كل شريان ومفصل

* * *

إن فكري في جهنم من عذابي وخلاصي
صار قلبي لعبة في كف آمال ويأس
غير أن الهول كل الـ هول في ظلماء رمسي
اتركوني فوق سطح الأرض في ظل وشمس
كي يكون العظم مني راقدا في حضن أنسي

* * *

أيهذا ذاك عين الـ جهل والفكر العقيم
تحسب الأوهام رعدا قاصفا بين الغيوم
وتظن الموت وحشا رابضاً خلف التخوم
منه تقضي العمر في رعب ، وتحيا في جحيم
حينما الأقدار قد أحيتك في ظل النعيم

ـوت مظلـــــوم

أيها الإنسان إن العيش بعد الموت يبدأ
ليست الدنيا بدار مستديم أو بملجأ

إنها من معكن هش وإن أغراك بعضا
أنت فيها طيف ليل يتلاشى حين ينشأ
بل غريق يختفي في عاصف الأنوار مرفأ

* * *

أيها الإنسان إن الموت صحو من سبات
نقلة من غربة الدنيا إلى خلد الحياة
وانطلاق من قيود الجسم أغشى النزعات
في الوجود الرحب تحيا كالطيور السابحات
خاليا من كل هم في ظلال وارفات

* * *

إن تكن يوما أسأت الفعل واستهواك منكر
في غضون الطيش والدنيا أمام العين منظر
مؤمنا بالله ربا كل ذنب منك يُغفر
إن يكن محياك روضا ناضرا فالموت أنضر
برهة كالبرق تمضي والذي في الغيب يظهر

مع الشريف الرضى (نوادر ومختارات)

هو من فحول شعراء العربية ، ولد وعاش وتوفى بالعراق ، ويعد من أمراء الشعر فى العصر العباسى كانت له صلات وثيقة بخلفاء بنى العباس وسائر الوزراء والملوك فى عصره .

كتب وأنشد الشعر فى المدح والوصف والرثاء والوفاء والبكاء ، وعبر عن ذلك كله بقوة وعذوبة وصفاء .

اهتم بدراسته والتأريخ لشعره وأدبه الدكتور / زكى مبارك ، وألف عنه كتابا من جزأين سماه : عبقرية الشريف الرضى ، ضم فى مجمله : المحاضرات التى ألقاها عن الشريف الرضى فى كلية الحقوق بالعراق إبان عمله هناك .

وهذه أبيات متفرقة مختارة من نوادر شعره تفصح عن عمق بصره بأخلاق المجتمع وأسرار الناس ، كما تعكس حكمته وهو يرسلها عفوا بلا تصنع ولا تعسف .

من ذلك قوله :

إذا قلَّ مالى قلَّ صحبى وإن نما ... فلى من جميع الناس أهل ومرحب

وقوله:

يغر الفتى ما طال من حبل عمره ... وترخى المنايا برهة ثم تجذب

وقوله :

وآمل أن تقضى الأيام نفسى ... وفى جنبتى لها ظفر وناب

وقوله :

تفدى الفتى فى عيشه ألسن ... وما له من حتفه فادِ

وقوله :

كل حبس يهون عند الليالى ... بعد حبس الأرواح فى الأجساد

وقوله :

علامة العز أن تُحسدت به ... إن المعالى قرائن الحسد

وقوله :

وما هذه الدنيا لنا بمطيعة ... وليس لخلق من مداراتها بُدُّ



هل يمكن أن يحكم الإنسان نفسه ؟

للأستاذ / محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

من سنن الله في الخلق أن الروح والجسد مرتبطان ارتباطاً أبدياً ، فكل ما يطرأ على أحدهما يؤثر على الآخر ، فما العمل حينئذ ؟

هنا لابد من تدخل الإرادة ، إذ هي الحكم الفصل وإليها يرجع الأمر في تعريف الإنسان لشئونه ، شريطة أن تكون الإرادة منضبطة بحيث لا يدر من الإنسان فعل إلا بعد التروى والتفكير في تأثيره المستقبل ، فحكم الإنسان نفسه يخضع لاعتبارات نفسية وخلقية واجتماعية ، قد تصعب من مهمة الإنسان حيال نفسه ، وتضعه موضع الاختبار .

فهل هو من القوة بحيث يستطيع أن يسيطر على نفسه بعناصرها المختلفة ؟ وينجح في كبح جماحها ويسوسها سياسة الرشيد السديد ، فيكون قد بلغ منتهى القوة التي تؤهله ليكون خليفة الله في الكون ..؟!

قال الأستاذ ـ رحمه الله .

هل يمكن أن يحكم الإنسان نفسه

كتب العالم السيكولوجى (انوتان أميو) في كتاب له في هذا الموضوع تحت هذا العنوان بحثا نفسياً نستحسن أن نلم به لما اشتمل عليه من الحقائق العلمية ، ولأن النابتة العصرية في أشد الحاجة إليه ، قال :

هل من الممكن أن يحكم الإنسان نفسه ؟

نعم لأننا خلقنا أحرارا ، ومتعنا من الإرادة بما

يسمح لنا بتوجيه أكثر ميولنا شراهة ، إلى وجهات نافعة على قدر الإمكان .

لاشك أننا لسنا أحرارا كالآلهة(١) ، ولسنا مقيدين كالأحجار ، فيجب على الإنسان أن يعرف نفسه ليستطيع أن يعمل ، وما أبعد تلك المعرفة عنه إن لم يدرس نفسه من قرب .

إذا نظر الإنسان لنفسه نظرا سطحياً تبين له أنه مستقر المتناقضات ، ومستودع المتعاكسات ، وناهيك بكائن اجتمعت فيه المادة والروح ! فهو من جهة مادته مقيد بنواميسها ، مأسور لقوانينها ، ومن جهة روحه حر مطلق لا يقيده شيء ، فهو دائر بين الإطلاق والتقييد ، وحياته قائمة على قطبيهما .

هذه المادة التي هي إحدى عناصر ذاتنا ، عرضة للتأثر بكل المؤثرات التي تؤثر على كل مادة ، وبكل الأحوال التي تطرأ عليها من جهة العادة والوراثة . هذه المؤثرات منها ما هو حسن ، ومنها ما هو قبيح . فكل عمل من أعمالنا هو في حقيقته إما فضيلة وراثية اكتسبناها من آبائنا فرسخت في نفوسنا على طول الأجيال ، إما رذيلة ورثناها منهم كذلك ، وسنورث ذلك كله لأبنائنا أجيالا متعاقبة .

فالتربية التي كونت لنا عاداتنا الأولى ، والوسط الذي عشنا فيه وأثر علينا آثارا لا تمحى ، وحركة الفصول السنوية ، والمصادفات اليومية ، والأعمال الواقعة علينا من الغير ، ومركزنا الاجتماعي ، وأساطير آبائنا ، وأوهام معاصرينا ، واللحظة التي نحن فيها ، كل ذلك له علينا تأثير لا ينكر ، فنحن إذن من أحوال هذا الفضاء والزمان مثل السفينة في وسط الأقيانوس الذي لا ساحل له .

هذا هو مكان الإنسان من أحوال هذا العالم ، فهل الذي وضعه فيه زوبعة هبت عليه فقذفته إليه ، وأسلوب سيء سار عليه فرمى به فيه ، أو هذا هو طريقه الطبيعي الذي رسم له من القدم ؟ لا ندرى ولا يهمنا معرفة السبب في وصوله إلى هذا المركز الخطر ، وإنما الذي يهمنا أن نعرف أننا فيه(٢) . فلنعد إلى وصف أنفسنا فنقول : إننا شبهنا أنفسنا بسفينة في وسط الأقيانوس ، تلك السفينة مركبة من قطع خشبية مترابطة فيما بينها بروابط ، وهي إما كبيرة او صغيرة ، تامة الأجهزة أو ناقصتها ، متوازنة ، معرضة لنور الشمس أو منزوية عنها ، بعيدة من الساحل أو قريبة منه ، تهب عليها الرياح بحيث لا تستطيع أن تتوارى منها أو تغير من اتجاهها ، معرضة لمصادمات الأمواج من كل جوانبها ، حتى أن أقربها إليها لتهددها بأن تستطيرها أو تزدردها . ولكن في داخل السفينة التي تهددها كل هذه الجوائح ربان له عقل وحرية ، ممسك بيده سُكّانها(٣) ، يستطيع أن يحول كل هذه الجوائح إلى مصلحته ، وأن

---

(١) هذا نص عبارته ... وهو تعبير جرى عليه كتاب الفرنجة .

(٢) عندنا أن الإنسان قذف به إلى هذه الأرض ، وسلطت عليه عوامل نفسه والبيئة التي هو فيها لينقى من خسة الحيوانية

(٣) السكان : ذنب السفينة الذي تدار به .

يستخدم الرياح الثائرة في إيصاله سالما إلى الشاطيء .

هذه هي صورة الإنسان فهو بمادته عرضة لكل المؤثرات على المادة ، ولكنه بروحه يستطيع أن يدخل إلى حلقات هذه المؤثرات الضرورية قوة جديدة هي إرادته واختياره ، فيستطيع أن يكون هو الناجي الناجح على شرط أن يعرف أسلوب السير ، وأن لا يترك السُّكَّان من يده ، وأن يضع حريته تحت طاعة إدراكه .

مما يدلك على ذلك أن الإنسان ، وهو أضعف ما على الأرض من حيوان ، استطاع بعقله وحريته أن يكون مليك الطبيعة بلا خلاف ، وقد سخر لخدمته من الحيوانات ما كان يكفي في إهلاكه من إحدها عضة بناب أو ضربة بمخلب ، وقد سطا على الأرض الشحيحة وضرب عليها الجزية من النبات الذي يريده ، وقهر الجبال فنسفها بشرارة يستطيع الطفل أن يسلطها عليها بوضع أصبعه على زر صغير ، وأخضع أصلب المعادن فأذابها كالماء ، أو مدها كما يمد خيوط الكتان .

هذا الكائن يستطيع أن يقهر نفسه ، ومن العذر البارد أن يقول : « لا أستطيع التغلب على مزاجي ، إني خلقت على هذه الحال » ، ولماذا يقول أمام وحش كاسر يهب لالتهامه : « هذا مزاجه ، إنه خلق على هذه الحال » ؟

نعم إن لك مزاجاً ، ولكنك تستطيع أن تستخدمه في مصلحتك ، أنت خلقت على ما أنت عليه حقيقة ، ولكنك تستطيع أن تقلب طبيعتك ، وأن تحول خلائقك ، وإذا كان الإنسان قدرَ أن يقهر الطبيعة العامة فهو على قهر طبيعته أقدر .

فما هو الأسلوب الذي به تحكم نفسك ؟ إنك تستطيع ذلك بالأسلوب نفسه الذي تتسلط به على غيرها . فإن العقبات التي تعترض أمرا من الأمور والوسائل التي توصل إليه ، تشبه أمثالها في كل ما يحاوله الإنسان . فكل الذي على الإنسان عمله إزاء هذا الغرض السامي ، وهو حكومة نفسه ، هو أن يستجمع الحوادث الماسة بموضوعه ، ويكتشف منها نواميسها الحاكمة عليها ، ويعتمد عليها في نيل ما تصدى له من هذه الأمنية العزيزة .

هذا هو الأسلوب العملي الذي يجدر بالإنسان ، وهو ذلك الكائن الذي لم يخلق حراً مطلقاً ، ولا مستعبدا مقيداً ، ذلك الكائن الذي وإن كان لم يقل عن الحيوانات العجماء في سعة سلطان الحواس الخمس ، فإنه قد متع من قوة الإدراك بما يريه أسباب الحوادث من خلال تسلسلها .

أول ما يجب علينا عرفانه في هذا السبيل هو أننا مرتبطون بمجموع الكون ، وأن أجزاء جثماننا بعضها مرتبط ببعض كل الارتباط ، وأن هيكلنا الجسدى كثير التركيب ، جم الآلات والأجهزة ، كل منها يؤثر في غيره ، وينعكس تأثيره على مجموعها انعكاساً طبيعياً منتظما .

إن فى هذا الجسد فضلا عن القوى المادية التى تدور فى زوبعته الحيوية مع حفظ جميع خواصها ، حياة نباتية وحياة حيوانية مختلطة إحداهما بالأخرى ، وقائمة على صورة حياة عامة فى هذا الكائن المسمى بالإنسان .

كل واحدة من هذه القوى الحيوية الثلاث مسوقة لأن تظهر وجودها ، وأن تعمل ، وأن تتناسب والقوى الأخرى فى أعمالها .

ولكن مما يجب الإلتفات إليه أن أعضاء الحياة الحسية مثلا والأوتار التى تحركها ، والأعصاب التى ترتبط بها ، مختلطة بعضها ببعض ، فما يصيب إحداها من ضعف أو قوة يصيب مجموعها معا .

مثل هذا كمثل عناصر الحياة النباتية ، وعناصر الحياة الإنسانية والحيوانية التى فى الإنسان ، فهى متداخلة بعضها فى بعض ، وتابعة للتأثر بما تتأثر به إحداها .

فالفكرة أو الإرادة مثلا إذا بلغ الإنسان أشده تستعمل الحس الذى تمنحها إياه الحياة الحسية فى نيل رغباتها ، وتستعمل أيضاً فى الوقت نفسه لذلك الغرض عينة الدم والخلايا الجسمية التى هى من نتائج الحياة النباتية فى الهيئة الجسدية . وبناء عليه فلا يمكن أن يحدث الإنسان حدثا ما سواء أكان معنوياً أم ماديا إلا ويرن صداه فى جميع أجزاء هذا المجموع الجسدانى المتضامن فى الحياة .

من شك فى هذه الحقيقة فما عليه إلا أن يعرض الحوادث على نفسه . وكلنا يعلم أن وجود الجسمان فى أحوال خاصة ، يستدعى وجود الوجدان فى أحوال تقابلها ، وأن اختلاف الجنس والسن والوراثة والإقليم وغيرها مما لا نعلم ، مما له أثر خاص على الجسد المادى ، ينعكس فعله على الجسد الإنسانى ، ومما لا يجهله أحد أيضاً أن سوء حالة المعدة يميل بالإنسان إلى سوء الخلق ، وأن تعاطى الأفيون أو الحشيش يحول العواطف إلى وجهات غير التى كانت لها ، وأن تصفيق السامعين يستدر قريحة الخطيب وينشطه للقول ، وأن هبوط الحرارة الجسدية درجتين عن حدها الطبيعى تفقد الإدراك ، وأن درجتين منها زيادة عن القدر الطبيعى لها يهيج الإدراك لدرجة الجنون .

كل منا يستطيع أن يزيد على هذه الأمثلة من عنده ، وهى أدلة على تأثر المعنى الإنسانى بما يقع على الهيكل الجسدانى .

أما تأثير المعنى الإنسانى على الجسد فهو أصرح مما مر وأشد فعلا منه .

نعم : إن المعنى الإنسانى لا يغير من قوانين الجسد شيئاً ، ولكنه يؤثر عليها تأثيراً نافعاً أو مضرا . أما الأمثلة على ذلك فمما لا يحصى كثرة . فلا يجهل أحد تأثير الإرادة على العمل ، وتأثير الانفعالات على الوجه ، وعلى الجلسة والمشية والكتابة ، فهى تحمر الخد وتبيغ الدم ، وتنفخ الأوردة ، وتخنق الحلق ، وتضعف القوة ،

وتصيب الجسد بحركات اضطرارية ، وتولد دما فاسداً ، وتسيء الخلق ، وتسقط الجسد فى مرض عضال .

يتضح للقارىء من كل ما مر أن الروح والجسد متضامنان فى الحياة الأرضية ، فما يطرأ على أحدهما من التغيرات يطرأ على الآخر . والذى علينا إزاء هذه الحقيقة أن لا نعمل عملا جسدياً إلا بعد تقدير نتيجته الضرورية وتأثيره على روحنا ، وأن لا نعطى روحنا حالاً من الأحوال إلا بعد التروى فى تأثيره على جسدنا ، وأن نستفيد من حريتنا فنحدث أعمالا يكون تأثيرها حسنا فى روحنا ، أى أن يكون مثلنا من جسماننا كمثل سائق الآلة البخارية مع آلته ، يسير معها على مقتضى تركيبها لا يحملها مالا تستطيع حمله ، ولا يريدها على ما يفسدها ويعطلها ، فلا يقودها وهو سكران أو لاه أو جاهل فتهلكه ولا كرامة . عليه أن يعرف مقتضيات تركيبها ، ومطالب عددها ، فيعلم أن لو وضع فحما فى موقدها أنتج بخاراً ، وإن هو فتح علبة البخار ضغط البخار على الكباس ، فإن لم يكن مقدار الفحم محسوبا ومقدراً على مطلوب الآلة ، أوقعت قائدها ومن معه فى أشد الخطر .

يجب على الإنسان أن يكون مع جثمانه على الأقل كالسائق المتقدم ذكره ، فيعلم الغاية التى يقود إليها أداته ، والتى ينوى الراكبون النزول فيها ، والطريق الذى عليه أن يسلكه من بين القضبان المختلفة فى سبيله ، والعلامات التى يجب عليه أن يلاحظها أثناء سيره ، وأمكنة الماء والفحم اللازمين لأداته فيقف فيها لأخذ حاجته منهما مدة سفره .

انتهى ما نقلناه عن البسيكولوجى (أتونتان أميو) وهو حسن فى جملته وتفصيله ، وقد جمع من بارع المقارنات ، ومحكم التشبيهات ما يروق العقل ، ويسيغه العلم ، ولهذا السبب أثبتناه هنا ، ولكنا مع هذا نرى أن هذا الأسلوب غير عملى ، فإن السواد الأعظم من الناس لا يفكرون فى أن يحكموا أنفسهم ليقهروها على اتباع طريقة معينة تؤدى إلى الكمال الإنسانى ، إلا إذا حفزتهم إلى ذلك غاية شريفة يريدون الوصول إليها ، هذه الغاية لا يمكن أن تكون مادية ، لأنه لا معنى لأن يقيد الإنسان نزعاته بالقيود الحديدية ، ليصل إلى مقصد مادى هو لا يطلبه إلا ليتحلل بحصوله عليه من جميع القيود ، وينعم بالحياة به على أوسع ما تصبوا إليه ميوله وشهواته .

وإذا استحال أن تكون هذه الغاية مادية ، كانت لا محالة روحانية ، وقد ثبت أن المقاصد الروحانية قد أدت الإنسان ، حتى فى أخشن حالاته ، إلى تقييد شهواته ، والتسلط على نفسه . فلا الحصول على المجد ، ولا الطمع فى الشهرة ، ولا الكلف بطول العمر ، ولا الوصول إلى الغنى ، بلغ من حمل الإنسان على حكومة نفسه مبلغ طموحه للسمو الروحانى ، فقد تخلى الإنسان عن كل محبوب لديه فى سبيله ، بل دفعه لسكنى الكهوف والمغاور ، والإقدام على الموت فى تطلبه .

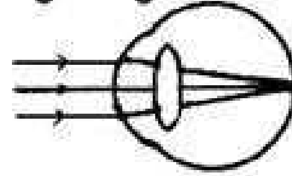
فإذا صحب العلمَ النزوعُ إلى هذه الغاية ، وصل الإنسان إلى ما يرسمه الأستاذ (أنتونان أميو) بغير تكليف لفهم ما أتعب نفسه فى تصويره ، ولا يخلو تاريخ الأديان من ألوف من الناس بلغوا من حكومة أنفسهم إلى ما لم يصل إليه فيلسوف بفلسفته ، ولا عالم بعلمه .

نعم إن المسيو (أنتونان اميو) لم يعن لتطلب حكومة النفس غرضاً ، واكتفى ببيان أسلوب الوصول إليها من الناحية الفلسفية ، فلا يعنيه بعد ذلك إن كان الدافع لتطلبها ماديا أم روحانياً ، ولكنا من ناحيتنا يجب أن نبين للقارىء ، أن ذلك الغرض لو كان روحانياً ، لما كان ثمة حاجة إلى دراسة أسلوبه وأخذ النفس به ، فقد شوهد أن الأغراض الروحانية إذا استولت على النفس دفعتها فى وجهتها دفعاً قوياً ، وحمتها جميع الافراطات والتفريطات حماية آلية لا تستطيعها أية فلسفة فى الأرض ، لأن الغرض الروحانى يقوم على الروح مباشرة ، وهى صاحبة السلطان المطلق على الجسم ، فلا تقوى أية رغبة مادية أن تصرفها عن وجهتها ، لأنها لاتستمد وجودها إلا منها ؛ فإن استوعب ميل الروح شيء سكنت جميع الميول وبطل عملها ، واتجهت جميع قوى الجثمان لتحقيق تلك الرغبة الروحية . هذا ما يدل عليه تاريخ الأديان وخاصة الإسلام ، فإن المقصد الروحانى العالى الذى دعا النبى ﷺ إليه ، وأمكنه الله من تثبيته فى القلوب ، قلب جميع أوضاع الجاهلية ، ومحق كل تقاليدها الموروثة ، وعاداتها المتأصلة فى سنين معدودة ، فنشأت أمة أخرى ذات نزعات جديدة لا تمت بصلة إلى الأمة التى كان يمثلها هؤلاء الأفراد أنفسهم . هذه آية لا يمكن أن تنسخ ، ولا أن تنسى مهما طالت عليها الأزمان ، وستكون دائماً دليلا على سمو التربية القائمة على الروح والإيمان .

محمد فريد وجدى

المجلد السابع

«ليزر الأكزيمر» وعلاج عيوب الإبصار



عين سليمة

د. السيد يحيى الزيات

تم الحديث فى مقالة سابقة (مجلة الأزهر جزء ٥ ، سنة ٦٨ ، جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ، ص ٧٠٥ ـ ٧١١) عن تركيب العين البشرية ومكونات جهاز (الليزر) وكذلك استخدام الليزر لعلاج الانفصال الشبكى ، والمياه البيضاء والمياه الزرقاء . وفى الفترة الحالية يستخدم (ليزر الأكزيمر) بنجاح لاستئصال جزء من نسيج القرنية كوسيلة لعلاج عيوب الإبصار والتى تنشأ عن أخطاء انكسار الضوء فى العين . ومن أكثر هذه العيوب شيوعا حالات قصر النظر وطول النظر و(الاستجماتيزم) وكذلك يستخدم لإزالة وندب وتقرحات القرنية .

وفى هذه المقالة وصف مبسط من وجهة فيزيائية ، لعيوب الإبصار و (لليزر الأكزيمر) واستخداماته فى علاج هذه العيوب .

١ ـ أخطاء انكسار الضوء فى العين

تبعا لمسار الأشعة الضوئية التى تدخل العين فإن مكونات العين هى :

أ ـ القرنية .

ب ـ والسائل المائى .

جـ ـ والقزحية .

د ـ والعدسة .

هـ ـ والسائل الزجاجى .

و ـ الشبكية .

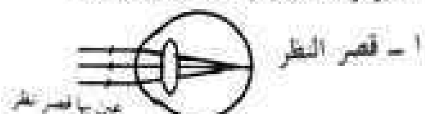
تعمل كل هذه المكونات معا على تكوين صور مقلوبة على الشبكية للأجسام الموجودة أمام العين . ثم يتم تحويل هذه الصور داخل الشبكية إلى نبضات كهربية تمر عبر العصب البصرى إلى المخ لتحليلها وفهمها .

وعند حدوث خلل ما فى مسار الأشعة الضوئية داخل المكونات المختلفة للعين ، فإنه سوف يؤثر على جودة الصورة المتكونة على الشبكية ، وبالتالى على فهمها وتحليلها . عند

سقوط أشعة ضوئية متوازية ـ أى إنها صادرة عن جسم يقع على مسافة بعيدة ـ على عين طبيعية سليمة فى حالة ارتخاء، فإن هذه الأشعة تتجمع فى نقطة على الشبكية .

أخطاء انكسار الضوء فى العين أو مايسمى (عيوب الإبصار) يقصد بها وجود خلل ما بمكونات العين . يؤدى هذا الخلل إلى عدم تجمع أشعة الضوء الساقطة على عين مرتخية فى نقطة على الشبكية ، وبالتالى إلى عدم وضوح الرؤية . ومن أكثر هذه العيوب شيوعا : قصر النظر وطول النظر واللانقطية (الاستجماتيزم) .

ا ـ قصر النظر



يطلق قصر النظر على العين التى تسقط عليها أشعة متوازية فتتجمع فى نقطة أمام الشبكية وليس عليها ، ثم تتفرق هذه الأشعة لتصل إلى الشبكية وتكون عليها صورة مشوشة غير واضحة المعالم . ويحدث قصر النظر نتيجة أن المحور الأمامى للعين يكون أطول من الطبيعى والذى يبلغ طوله حوالى (٢٤) ميلليمتر . وقد يكون قصر النظر نتيجة خلل ما فى جهاز تجميع الضوء بالعين مما يؤدى إلى زيادة القوة البصرية ، وبالتالى إلى نقص البعد البؤرى عن الطبيعى ، والذى يساوى (١٧) ميلليمتر . هذا الخلل قد يكون نتيجة لتيبس نقلة (المنطقة الوسطى) العدسة ، أو تقدم العدسة ذاتها للأمام تجاه القرحية ، أو زيادة تكور سطحى العدسة ، أو زيادة تكور سطحى القرنية .

من أهم أعراض قصر النظر :

عدم القـــدرة على تمييـــــز الأجسام البعيدة ، وتضييق فتحة الجفن ، وتقريب الأشياء لرؤيتها بوضوح . وفى الحالات الشديدة من قصر النظر يرى المريض عتمات طائرة أمام عينيه .

ومن علامات المرض كبر حجم العين وكبر مساحة القرنية واتساع الحدقة .

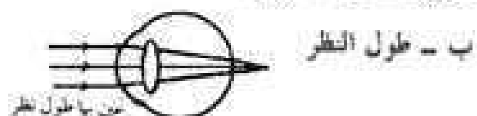
ومن أهم العوامل التى قد تؤدى إلى قصر النظر الاستعداد الوراثى ، والضعف العام ، والإجهاد البصرى ، ومرض السكر ، وزيادة نشاط الغدة الدرقية .

علاج قصر النظر

يتم علاج قصر النظر عن طريق إضعاف القوة البصرية للعين وذلك باستعمال العـدسات المصححة المقعرة فى النظارات الطبية ، أو استعمال العدسات اللاصقة ، وهذا مع استعمال المقويات وخاصة فيتامين ا .

ومن طرق العلاج ـ أيضا ـ إزالة عدسة العين أو زرع عدسة ذات قوة مناسبة فى داخل الغرفة الأمامية أو الغرفة الخلفية ، وحديثا يتم علاج قصر النظر عن طريق تغيير القوة البصرية للقرنية بتغيير تكور سطحها الأمامى .

ب ـ طول النظر



يطلق طول النظر على العين التى تسقط عليها أشعة متوازية فتتجمع فى نقطة خلف الشبكية وليس عليها ، ولذا تكون الصورة غير واضحة أو محددة المعالم .

وطول النظر يكون نتيجة لقصر المحور الأمامى للعين ، أو نتيجة لخلل فى جهاز تجميع الضوء بالعين مما يؤدى إلى ضعف قوته . هذا الخلل قد يكون نتيجة لتيبس قرطاسية (اطراف) العدسة ،

أو تراجع العدسة نفسها للخلف ، أو فقدان العدسة نهائيا . وقد يكون أيضاً نتيجة لتفلطح سطحي القرنية أو تفلطح سطحي العدسة .

الأعراض المرضية لطول النظر

من الأعراض المرضية لطول النظر عدم وضوح المرئيات القريبة ، والصداع والتدميع وظهور (دغششة)[1] بالعين ، ومن علاماته – أيضاً – أن تكون العين صغيرة وحركاتها سريعة .

يعالج طول النظر عن طريق استعمال العدسات المصححة الموجبة في النظارات الطبية أو استعمال العدسات اللاصقة وهذا يتوقف على أعراض المرض وعلى سن المريض .

وحديثا يتم علاج طول النظر عن طريق تغيير القوة البصرية للقرنية بتغيير تكور سطحها عن طريق استخدام الليزر .

اللانقطية (الاستجماتيزم)

اللانقطية هي اختلاف القوة البصرية في مختلف محاور العين الرئيسية ، ويؤدي إلى تشويش في الصور المرئية المتكونة على الشبكية لتصبح غير محددة المعالم . فالشخص الذي يعاني من اللانقطية مثلا يرى الدائرة غير تامة الاستدارة .

أسباب اللانقطية :

من أسباب اللانقطية أن تكون القرنية مخروطية ، أو متليفة خصوصا بعد العمليات الجراحية أو الالتهابات ، وكذلك قد يكون هناك عيب خلقي بعدسة العين .

العلاج يتم بواسطة : عدسة اسطوانية أو عدسة لاصقة اسطوانية أو عمليات ترقيع بالقرنية .

وحديثا يتم العلاج عن طريق تقويم سطح القرنية بواسطة استخدام الليزر .

٢ – ليزر الأكزيمر

(ليزر الأكزيمر) هو (ليزر) غازي ، حيث إن المادة التي يحدث لها الإثارة عبارة عن خليط من غاز خامل (مثل الأرجون أو النيون) مع غاز هالوجين (مثل الفلور أو الكلور) بالإضافة إلى نسبة صغيرة من غاز الهليوم . في حالة الإثارة يكون جزئي ثنائي الذرة عبارة عن اتحاد مؤقت بين ذرتين : إحداهما من الغاز الخامل ، والأخرى من غاز الهالوجين ، بينما في حالة اللاإثارة يكون هذا الاتحاد ضعيف أوغير موجــود . الجزئي المتكون يستمر لفترة ثم تعود الذرات للحالة العادية ، والطاقة الزائــدة تخرج على هيئــة (فوتونات) ثم يحدث تفاعل تسلسلي لتنبعث في النهاية أشعة في منطقة الطيف فوق البنفسجي .

المادة الغازية تثار بواسطة التفريغ الكهربي ، أو عن طريق حزمة من الالكترونيات . يتغير الطول الموجي للأشعة المنبعثة بتغيير خليط الغازات ، فمثلا خليط غازي الفلور والأرجون ينتج أشعة عند الطول الموجي ١٩٣ (نانوميتر)[2] بينما خليط من غازي الفلور والكريتون يعطي أشعة عند الطول الموجي ٢٤٨ (نانوميتر) .

---

[1] ورد في اللغة : دغش : دخل في الظلام . والدغش : الظلمة ، ومثله : الدُّغشه والدغيشة ويبدو أن لفظ الدكتور الكاتب يقصد به غشاوة الرؤية . والله أعلم

[2] النانوميتر واحد على ألف مليون من المتر .

تتميز الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من ليزر الأكزيمر بطاقتها العالية التى تسمح بتكسير الروابط الكيميائية بين الجزيئات دون تعريض الأجزاء المجاورة لمنطقة التأثير . وهذه الميزة تسمح باستخدامها فى عمليات تشكيل الرخام والسيراميك والأنسجة الحية . وأيضاً يمكن التحكم الفراغى فى هذه الأشعـــة لدرجـــة تصل إلى حوالى ٢ (ميكرون)[٣] مما أتاح استخدامها فى الطباعة الضوئية وعمل الدوائر الألكترونية والترسيب الغازى بالليزر .

ويلاحظ أن معظم المواد لها معامل امتصاص مرتفع لهذه الأشعة مما ساعد فى استخدامها فى عمليات الحفر الدقيق والرسم والثقب بدقة تصل إلى حوالى واحد ميكرون . ولقد فسر تأثير ليزر الأكزيمر فى البداية على أنه تأثير حرارى سريع جدا حيث يعمل على تبخير المادة وتحويلها إلى الحالة الغازية . ولكن اتضح أن امتصاص طاقة أشعة الليزر داخل المادة يعمل على تحلل وتفكك الروابط الكيميائية والجزيئية داخل المادة . عندما تتكسر روابط التكافؤ داخل المادة ينتج زيادة فى حجم الجزيئات ولذا تخرج من المادة بسرعة .

يلاحظ أن الجزيىء الذى يمتص أشعة الليزر هو فقط الذى يتأثر دون الجزيئات المحيطة . ويعتمد تأثير أشعة الليزر على أى مادة على معامل امتصاص هذه المادة للأشعة ، وكذلك الطول الموجى لهذه الأشعة ، وأيضا على المدة الزمنية التى تتعرض خلالها المادة لأشعة الليزر .

ليزر الأكزيمر ، وعلاج عيوب الانكسار

فى العادة يتم علاج عيوب انكسار الضوء فى العين عن طريق النظارة الطبية . ولكن من مضارها أنها لاتمكن من الرؤية الجانبية إلا بتحريك الرأس ، واحتمال الكسر أو الفقد ، وعدم الراحة فى لبسها وخصوصا لمن يزاول أعمال تستلزم حركة كثيرة ، وأثناء مزاولة الرياضة . وكذلك الناحية الجمالية وخصوصا عند زيادة سمك العدسات ، والحاجة ـ أحيانا ـ لاستعمال نظارتين واحدة للقراءة وأخرى للمشى .

وفى السنوات الأخيرة تم الاتجاه للعدسات اللاصقة حيث إنها تمكن من الرؤية الجانبية ومن ممارسة الرياضة وأجمل من النظارة الطبية . ولكن من أهم عيوبها أنها قد تسبب فى التهابات أو تقرحات أو حساسية للقرنية . وأيضا احتمال فقد العدسات أو استعمال واحدة مكان الأخرى كما أنها تحتاج إلى رعاية مكلفة .

من المعروف أن القوة البصرية لسطح (كرى) تساوى فرق معامل انكسار الوسطين المحيطين به مضروبا فى مقلوب نصف قطر تكور هذا السطح . ومعامل انكسار الضوء فى الوسط هو النسبة بين سرعة الضوء فى الفراغ إلى سرعته داخل الوسط وهو ثابت بصرى يختلف باختلاف الوسط . ويبلغ فرق معاملى انكسار كل من القرنية والهواء حوالى ٠,٣٧٦ ونصف قطر تكور السطح الأمامى للقرنية حوالى ٧ ملليميترات ، فلهذين السببين يعتبر السطح الأمامى للقرنية أقوى عنصر كاسر للضوء من عناصر العين .

---

(٣) الميكرون = واحد على مليون من المتر



ويلاحظ أن السطح الأمامي للقرنية يساهم بنسبة تبلغ ٨٣٪ من القوة البصرية الإجمالية للعين في حالة استرخائها ، وبنسبة ٦٩٪ في حالة عدم استرخائها . ولذلك ؛ فإن إعادة تشكيل السطح الأمامي للقرنية سوف يساعد في علاج أخطاء انكسار الضوء في العين مثل طول وقصر النظر والاستجماتيزم . وإعادة التشكيل تتم عن طريق تشريط أو استئصال جزء من القرنية .

١ ــ تشريط القرنية

فكرة إعادة تشكيل السطح الأمامي للقرنية ليست جديدة . ففي الماضي الحديث استخدم التشريط القطري للقرنية ، بعيدا عن المنطقة الوسطى لها ، وذلك لعمل حزوز أو شقوق بواسطة مشرط دقيق من الماس لعلاج قصر النظر . يتوقف عدد وعمق وشكل الحزوز التي يقوم بها الطبيب الجراح ، على مقدار العيب البصري وكذلك على سن وجنس المريض . والفكرة تنسب للطبيب الروسي «فيدروف» الذي اكتشفها بعد جراحة أجراها لطفل صغير لاستخراج شظايا زجاجية من قرنيته . وبعد الجراحة حدث تحسن في قصر نظر الطفل الذي كان يعاني منه . ولقد وجد أن هذا التشريط بالمشرط الماسي ، في بعض الأحيان ، يضعف القرنية ويتسبب في رؤية غير ثابتة كما أنه يعتمد على خبرة ومهارة الطبيب الجراح . وحديثا تم الاستغناء عن المشرط الماسي بأشعة (ليزر الأكزيمر) والذي يتم التحكم في شدة أشعته وفي توزيعها المكاني عن طريق (جهاز كمبيوتر) ولقد وجد أن سطح القرنية التأم بسرعة وبدون أن يترك خدوش أو ندب كما أعطى رؤية ثابتة .

ولعلاج قصر النظر يكون التشريط قطريا ، ويتم على أطراف القرنية ، وليس في مركزها . ونتيجة لذلك يحدث تحدب للأطراف ، وشد على المنطقة المركزية ليحدث فيها انبساط ويقل تحدبها ويعالج قصر النظر .

ولعلاج طول النظر يتم التشريط دائريا وفي الأطراف ليقل الشد في مركز القرنية ويزداد التحدب ويعالج طول النظر .

ولعلاج الاستجماتيزم يتم التشريط على هيئة قطع دائري محدود في المنطقة المنبسطة على سطح القرنية . ومن مميزات جراحة تشريط القرنية أنها تتم على أطراف القرنية ، وليس في مركزها أمام حدقة العين ، كما أنها تُصلح قصر النظر حتى خمس درجات ويشفى المريض بعد أيام من العملية . وتعطي عمليات تشريط القرنية نتائج طيبة في علاج قصر النظر بينما يقل استخدامها في علاج طول النظر والاستجماتيزم .

عيوب التشريط

ومن عيوب عملية التشريط أنها تضعف من قوة نسيج القرنية ولذلك لاتجرى هذه العملية لمن يمارس الرياضة والأعمال العنيفة . كما لايتم استخدام هذه الطريقة في حالات قصر النظر ذات الدرجات العالية . وأحيانا قد يحدث التهابات أو جروح عميقة أو سحابات وعتامات في القرنية ، كما أن التصحيح الحادث بعد العملية في بعض الحالات لا يكون دقيقا .

ب ــ استئصال جزء من القرنية

الطريقة الثانية لإعادة تشكيل القرنية هي استئصال جزء من نسيج القرنية بواسطة أشعة

(ليزر الأكزيمر) المنبعث عند طول موجي ١٩٣ نانوميتر . وهذه الطريقة تستخدم فى علاج قصر النظر وطول النظر والاستجمانيزم . كذلك تم استخدام (ليزر الأكزيمر) لعلاج الندب ، وإزالة العتامات التى تقلل من نفاذية الضوء خلال القرنية .

فى حالات قصر النظر نجد أن القوة البصرية للقرنية أكبر من الطبيعى ، والعلاج يتم بتقليلها . ولعمل ذلك فإن أشعة ليزر الأكزيمر تسقط على الجزء الأوسط من القرنية ، وذلك لأزالة جزء من نسيج القرنية . هذا الجزء المزال يشبه عدسة محدبة قوتها البصرية موجبة وتساوى القوة البصرية للعدسة السالبة التى يجب إضافتها لتصحيح قصر النظر . وحيث إن عمق الجزء المزال من نسيج القرنية يتناسب مع طاقة أشعة الليزر الساقطة . فيجب أن تكون طاقة الأشعة الساقطة فى المركز أعلى مايمكن ، وتقل تدريجيا كلما بعدنا عنه حتى تصل إلى أقل قيمة فى الأطراف .

فى حالات طول النظر ، نجد أن القوة البصرية للقرنية أقل من الطبيعى والعلاج يتم بزيادتها .

ولعمل ذلك فإن (أشعة الأكزيمر) تسقط على القرنية وذلك لإزالة جزء من نسيج الجزء المحيطى ، دون الجزء المركزى ، لزيادة حدة انحناء القرنية . هذا الجزء المزال يشبه عدسة مقعرة ، قوتها البصرية سالبة وتساوى القوة البصرية للعدسة الموجبة التى يجب إضافتها لتصحيح طول النظر .

ولعمل ذلك يجب أن تكون طاقة (أشعة الليزر) الساقطة فى المركز أقل مايمكن وتزداد تدريجيا كلما بعدنا عن المركز حتى تصل إلى أعلى قيمة عند الأطراف .

فى حالات الاستجمانيزم تستخدم أشعة الليزر لجعل سطح القرنية منتظم فى مختلف المحاور وإزالة الأنسجة الزائدة والعتامات السطحية .

ويتم الوصول إلى هذه النتائج عن طريق عدة طرق منها استخدام (ماسح ليزرى) أو منظم بصرى لإسقاط أشعة الليزر فى المكان المحدد على سطح القرنية وللمدة الزمنية المطلوبة . أو يتم استخدام قرص معدنى دوار به فتحة ، على شكل حلزونى مصممة بطريقة خاصة ، ويثبت أمام القرنية وفى مسار (أشعة الليزر) وعلى امتداد محور العين . وتصمم الفتحة الموجودة بالقرص الدوار بحيث تتناسب سعة الفتحة ومكانها تناسبا طرديا مع سمك ومكان طبقة القرنية المطلوب ازالتها . ومن الأشياء المهمة جدا انتظام وتساوى الشدة الضوئية خلال أى مقطع عرضى لشعاع الليزر الساقط على سطح القرنية حتى نحصل على نتائج جيدة .

فى حالات الدرجات العالية من قصر النظر يقطع ثلاثة أرباع محيط السطح الخارجى للقرنية بسمك مقداره حوالى ١٠٠ ميكرون ، ويرفع جانبا مع ملاحظة أن الربع الباقى يترك ليعمل كمفصلة تربط الجزء المرفوع بالعين ثم تتم إزالة جزء على شكل عدسة محدبة من الجزء المتبقى للقرنية ، بواسطة جهاز يسمى (الميكروكيراتوم أو الأكزيمر ليزر) وبعدها يعاد الجزء الخارجى مكانه . وبهذه الطريقة يتم تصحيح قصر النظر حتى - ٣٠ ديوبتر (وحدة قياس القوة البصرية) .

و (أشعة ليزر الأكزيمر) المستخدمة فى علاج أخطاء انكسار العين عبارة عن سلسلة من النبضات ، طاقة كل نبضة يتراوح بين ١٦٠ إلى

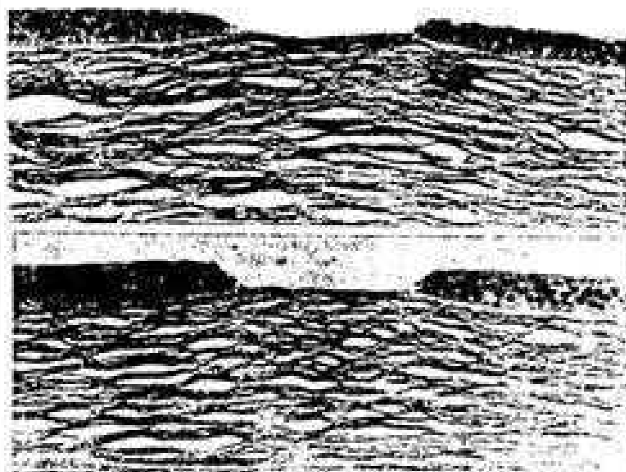
٤٠٠ (ميلل جول)[٤] وزمن دوام النبضة من ٢٠ إلى ٢٣ (نانو ثانية)[٥] الزمن الكلى لإعداد وإتمام عملية تصحيح أى من عيوب الانكسار الثلاثة يبلغ حوالى ثلاثين دقيقة ، بينما تتعرض العين لأشعة ليزر الأكزيمر لمدة زمنية حوالى ١٥ ثانية . وتتم العملية بشكل معقم خال من التلوث ، وبدون ألم وبشكل دقيق ، وفى العيادة الخارجية بدلا من قضاء فترة داخل المستشفى .

من الأعراض الجانبية لاستخدام (ليزر الأكزيمر) فى جراحات القرنية حدوث غشاوة فى الرؤية وتشويش وضباب على القرنية ، والحساسية للأضاءة القوية ولكن من الممكن أن تكون أعراض مؤقتة . وكذلك الاحتياج للمتابعة الطبية لفترة تصل إلى ستة أشهر مع استعمـــال قطـــرة الكورتيزون .

وينصح فى جراحات الليزر أن يكون سن المريض فوق ٢٢ سنة ولايعانى من مرض السكر أو المياه البيضاء أو المياه الزرقاء أو تحللات الماقولة والشبكية وكذلك ألا تكون القرنية مخروطية أو بها سحابات أو التهابات .

يوجد حوالى ٤٠٠ جهاز (ليزر اكزيمر) فى العالم ، والعدد فى زيادة مستمرة للعلاج وإجراء الجراحات . ويتراوح ثمن جهاز ليزر الأكزيمر من ٦٢ إلى ٤٧٥ ألف دولار وتتكلف عملية إصلاح قصر النظر للعين الواحدة فى ألمانيا ٢٠٠٠ دولار وفى الولايات المتحدة ١٥٠٠ دولار . وفى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تم علاج مايقرب من ثمانين ألف مريض بليزر الأكزيمر .

ويوجد فى بعض البلاد العربية مثل جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية العديد من المراكز المتخصصة فى العلاج وإجراء الجراحات بواسطة الأكزيمر ليزر وعلى نفس المستوى والخبرة العالمية . وتصل تكلفة عملية علاج قصر النظر للعين الواحدة فى مصر حوالى ستة آلاف جنيه مصرى .



صورة ميكروسكوبية للقرنية بعد استخدام ليزر الأكزيمر لاحظ دقة وحساب القطع وأيضا مع زيادة عدد نبضات الليزر يزداد عمق الجزء المزال من السطح .

(٤) وحدة قياس طاقة

(٥) النانو ثانية : واحد على ألف مليون من الثانية

التطور الطبي في علاج العقم

للدكتور أحمد رجائي عبدالحميد

شاهدت الآونة الأخيرة تطورا كبيرا فى علاج العقم ، فقد طالعتنا الأنباء عن حالات حمل بعد سن الستين ، وبعد سن اليأس . وبعض التطورات تشكل تحديا لأخلاقيات الطب ، ثم هى تمثل جانبا يحتاج إلى الرأى الدينى القاطع .

وفى هذه المقالة سنقوم بتلخيص هذه التطورات ونبدأها بتلخيص سريع للعقم وأسبابه ، ثم نتلوه ببعض التطورات فى علاج العقم .



العقم :

هو عدم القدرة على الحمل بعد مرور عام تمت ـ في خلاله ـ علاقة منتظمة لمحاولة الانجاب ، مع عدم استعمال أى وسائل لمنع الحمل .

ويوجد نوعان من العقم :

الأول : عدم القدرة على الإنجاب ولو طفلا واحداً .

الثانى : عقم يحدث بعد ولادة طفل أو أكثر .

الأسباب : تكمن الأسباب في العوامل الآتية :

عوامل بسبب الزوج : وهى تشكل ٤٠ ٪ من الحالات ، وتشمل :

ـ عدم وجود حيوانات منوية ، أو قلتها .
ـ وجود صديد بالسائل المنوى .
ـ عدم القدرة الجنسية (العنة) .
ـ أسباب وراثية .

ـ انسداد في القناة الحاملة للمنى بسبب سلّ ، أو بلهارسيا ، أو التهابات ناتجة عن أمراض تناسلية .
ـ إصابات الخصية .

عوامل بسبب الزوجة : وهى تشكل حوالى ٥٠ ٪ ، وأهم هذه العوامل :

ـ عدم وجود تبييض ، وذلك بسبب تكيس المبيضين ـ ضمور المبيض ـ عيوب وراثية .
ـ انسداد الأنابيب : بسبب التهابات مزمنة بالحوض ، أو وجود التصاقات ، أو بعض حالات السل ، كما تسبب بعض الأمراض التناسلية مثل : (السيلان) انسداد الأنابيب .

ـ عيوب فى الرحم : مثل التهاب بطانة الرحم .
ـ عيوب فى عنق الرحم : مثل عدم ملائمة سائل عنق الرحم لدخول الحيوانات المنوية .

عوامل غير معروفة الأسباب . وتشكل حوالى ١٠ ٪ ، ويدخل تحت هذه العوامل العقم المناعى ، وسنقوم بتفصيله ـ بإذن الله .

ونقتصر فى هذه المقالة على أحدث ما وصل إليه العلم فى طرق العلاج .

وهذه هى :

١ ـ استخدام المنظار الرحمى فى علاج العقم :

يستخدم منظار البطن فى تشخيص العقم ، وإجراء بعض الجراحات البسيطة من زمن بعيد . وفى هذه الحالة يتم إدخال المنظار إلى فراغ البطن عن طريق جرح صغير بجدار البطن وبواسطته يستطيع الطبيب أن يرى أعضاء الحوض .

ويساعد المنظار على رؤية الأنابيب مباشرة وتقدير مدى إصابتها ، بل وكيفية معالجتها . وأثناء فحص المنظار يتم حقن صبغة زرقاء عن طريق عنق الرحم لمعرفة ما إذا كانت الأنابيب مفتوحة أم لا .

والتطور الذى حدث هو استعمال شاشة تليفزيونية لرؤية الحوض مباشرة ، واستخدام الجراحة عن طريق المنظار لإزالة الالتصاقات حول الأنابيب ، أو علاج بعض حالات تكيس المبيضين ، أو لعلاج حالات التغمد الرحمى (**Endometriosis**) وهى حالات وجود خلايا من

بطانة الرحم بالحوض ، وهي تسبب آلاماً بالحوض وخاصة أثناء الدورة الشهرية .

٢ ـ العقم المناعي :

هناك بعض الحالات التي تثبت الفحوص فيها أن الزوج والزوجة لا يوجد لديهما سبب واضح للعقم ، ومع ذلك لا يحدث حمل . وأحياناً ينفصل الزوجان ، وبعد زواجهما من آخرين ، تحمل الزوجة وينجب الزوج . وغالباً ما يكمن السبب في جهاز مناعة الزوجة . وجهاز المناعة هو خط دفاع يحارب به أي أجسام غريبة ، أو أي أمراض تدخله ويتكون جهاز المناعة من الأنسجة الليمفاوية مثل : الطحال والغدد الليمفاوية ، ونخاع العظام ، وكرات الدم البيضاء وهذا الجهاز مسئول عن تكوين الأجسام المضادة . وفي هذه الحالات فإن جهاز المناعة يقضي عليها ويفرز أجساماً مضادة لها .

تشخيص الحالة : يتم التشخيص إما عن طريق اختبار داخل الجسم ، وهو ما يدعى اختبار بعد الجمـــاع (Post-Coital Test) حيث يتم فحص الحيوانات المنوية الموجودة في عنق الرحم بعد الجماع ، وفي هذه الحالة تكون الحيوانات المنوية : إما ميتة ، أو عاجزة عن الحركة .

وإما عن طريق اختبارات خارج الجسم ، وذلك عن طريق وضع قدر من السائل المنوي مع بعض من إفرازات عنق الرحم على شريحة زجاجية وفحصها للتأكد من قدرة الحيوانات المنوية على اختراق سائل عنق الرحم الذي يتم في الأحوال العادية من ١٠ إلى ١٥ دقيقة . وكذلك يُجرى هذا الاختبار عن طريق استخدام أنبوب رفيع جداً ، وهذا الاختبار يحتاج إلى دقة شديدة ، وكذلك عن طريق فحص الدم .

العلاج : في هذه الحالة ينصح باستعمال الواقي الذكري (CONDOM) وذلك لمدة ستة أشهر متصلة ، لكي يتيح لجسم المرأة أن يتخلص من الأجسام المضادة التي كونها ضد الحيوانـــات المنوية ، وبعد تمام الستة أشهر يتم الجماع بدون استعمال هذا الواقي خلال فترة التبييض . وقد تستعمل بعض الأدوية المثبطة لجهاز المناعة مثل (الكورتيزون) ، كما يمكن إجراء عملية التلقيح الصناعي بمني الزوج بعد إجراء عملية غسيل ، وتركيز وتنشيط السائل المنوي ، كما يمكن إجراء عملية ما يعرف (بأطفال الأنابيب) .

٣ ـ أطفال الأنابيب :

في هذه الحالة يتم الإخصاب في المعمل ، ثم ينقل الجنين المتكون إلى رحم الأم .

وخطوات هذه الطريقة تتلخص فيما يلي :

ـ تنشيط المبيض بواسطة استخدام أدوية تنشيط التبييض ، وذلك لإنتاج عدد منـــاسب من البييضات الناضجة التي يتم ملاحظة نموها ونضجها عن طريق استخدام جهاز موجات فوق صوتية ، وقياس نسبة الهرمونات في الدم .

ـ حين يتم نضج البييضات يتم التقاطها بإبرة خاصة إما عن طريق المهبل ، أو عن طريق البطن ، ويتم توجيه هذ الإبرة عن طريق جهاز الموجات فوق الصوتية ، أو عن طريق استخدام منظار البطن .



- في نفس الوقت يتم الحصول على الحيوانات المنوية التي يتم عمل غسيل وتنشيط لها .
- يتم الجمع بين بيضات المرأة والحيوانات المنوية للرجل في طبق بالمعمل في وسط خاص ، ودرجة حرارة خاصة ، وتترك لمدة يومين أو ثلاثة حتى يتم الإخصاب .
- بواسطة أنبوب رفيع يتم نقل الأجنة خلال عنق الرحم المجهز إلى الرحم .
- نسبة نجاح هذه العملية تقع ما بين ١٥ إلى ٣٥ ٪ تقريبا .

وهناك أشكال كثيرة من أطفال الأنابيب ، ولكن الشكل الذي يوافق عليه الإسلام هو أن تكون البيضة هي بيضة الزوجة ، والمنى هو منى الزوج وذلك في إطار علاقة زوجية شرعية .

أما الأشكال الأخرى فلا يوافق عليها الإسلام (جاد الحق - ١٩٩٢) وهي :

- استخدام منى غير منى الزوج لتلقيح بيضة الزوجة .
- استخدام بيضة غير بيضة الزوجة .
- الأم البديلة .
- استخدام بيضات مستخرجة من جنين أنثى تم إجهاضها ، وتم إنضاج بيضات المبيض في المعمل .
- إجراء عمليات أطفال الأنابيب لسيدات فوق سن الإياس (اليأس) .

منظار الرحم

تتجه الجراحات الآن إلى استخدام المناظير الجراحية لتجنب مضاعفات العمليات الكبرى .

وأحد هذه الوسائل هو منظار الرحم الذي أدخل إلى عالم الطب حديثا نسبيا (١٩٦٩) . وقد كان لنقص (تكنولوجيا) الإضاءة تأثير على استخدامه حتى حدثت ثورة استخدام الألياف الضوئية .

ومنظار الرحم يدخل خلال عنق الرحم مع استخدام تخدير موضعي : نصفي أو كلي .

وتبدأ العملية بحقن محلول (الدكستروز) المخفف (ديكستران ٣٢ ٪) بواسطة غاز ثاني أوكسيد الكربون .

وبواسطة منظار الرحم بعد نفخ الرحم (سواء بالسائل أو بالغاز) يمكن فحص تجويف الرحم بصورة شاملة . ومن الممكن عدم استخدام الغاز أو السائل في حالة فحص أجزاء خاصة من الرحم ، وهناك أجهزة يمكنها الفحص باستعمال الغاز والسائل أو في حالات عدم وجودهما .

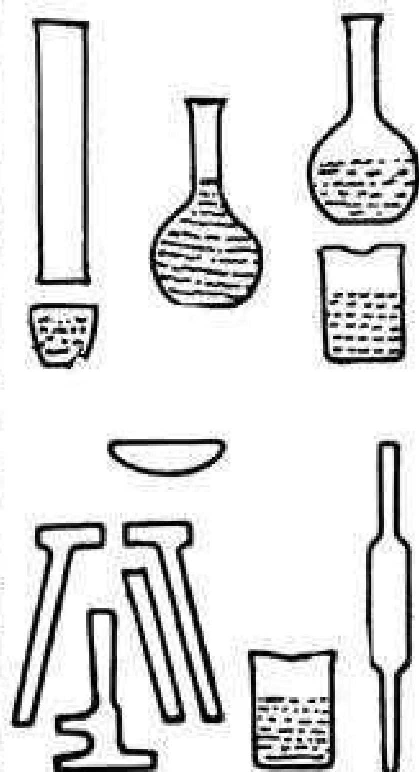
الاستخدام :

تشخيص بعض حالات العقم مثل :

- فحص أورام ليفية حديثة .
- فحص التصاقات داخل تجويف الرحم .
- فحص عيوب خلقيةداخل الرحم .
- فحص بطانة عنق الرحم ، أو بطانة الرحم .
- فحص حالات تبطن الرحم . **ENDOMETRIOSIS** .
- وكذلك بعض حالات انسداد بسيط للأنابيب جهة الرحم .
- تقييم السائل الأنبوبي في بعض حالات فحص بعد الجماع .
- وكذلك يستخدم كوسيلة مكملة لمنظار البطن والأشعة بالصبغة على الرحم .

ويخلق ما لا تعلمون ..

الجديد في العلم والتقنية



إعداد د. نجوى السيد أحمد (*)

رشاشة آلية لإطفاء الحرائق

تقوم شركة أوروبية بإنتاج وتسويق رشاشة جديدة للحماية من الحرائق ، وهي مزودة بلمبة كهربائية تحترق عندما ترتفع الحرارة إلى مستوى معين ، وبالتالي تمر منه المياه بسهولة على شكل رشاشة إلى المنطقة التي بها الحريق ، وتعتبر هذه الرشاشة القطعة الرئيسية في شبكات الحماية الآلية من الحرائق ، وقد خضعت لعدة اختبارات قبل طرحها في الأسواق كالتسرب والتآكل والصدمات الحرارية وتوزيع المياه ، وتتوافر الرشاشات في عدة أشكال منها الرأسي ، والمائل ، والتقليدي ، والعياري للعمل السريع في مستويات الحرارة المختلفة .

(*) أستاذ باحث مساعد ـ المركز القومي للبحوث ـ الدقي

محرك سيارة يرشد استهلاك الوقود

اخترع عالم استرالى محرك سيارة جديداً وصحياً يقوم بترشيد استهلاك الوقود ، ولا ينتج عنه ملوثات للبيئة ، وأثبتت التجارب التى أجريت عليه أنه أحدث انخفاضا بنسبة ٥٠٪ فى كمية أكسيد النيتروجين والهيدروكربونات المنبعثة من المحرك وانخفاض أول أكسيد الكربون بنسبة ٩٠٪ بالمقارنة مع المحركات التقليدية ، كما أظهرت النتائج أن المحرك يرشد استهلاك الوقود بنسبة ٣٠٪ .

جهاز الكترونى للمراقبة الصناعية

أنتجت شركة فرنسية للحاسبات والأجهزة الإلكترونية جهازاً متعدد الأنظمة مبرمجاً الكترونياً للمراقبة الصناعية ، والجهاز الجديد يوفر جميع الأدوات الضرورية للضبط الأمثل لإنتاجية العمليات الصناعية المستمرة دون توقف ، كما يسمح بإدخال تعديلات على طريقة التنفيذ ، كما يتيح الجهاز إمكانية إعادة استخدام وتجانس رسم الجداول والأشكال المجملة .

ضمادات للجروح من عفن الخبز

اكتشف أحد الأطباء الألمان أن عفن الخبز يساعد على التئام الجروح ويمكن أن يستخدم كضمادات للجروح ، حيث أن فطر « البنسيليوم » يحتوى على المضاد الحيوى الشهير « البنسلين » وخيوط الفطر تحتوى على مادتى الكيتين والكيتوزان ، فعندما يتأكسد الكيتوزان ينتج ماء الأكسجين الذى تعمل كمية قليلة منه على مساعدة التئام الجروح بتنظيفها وتطهيرها ، بينما تعمل الخيوط الكتيبية للفطر كجسور تنمو عليها ألياف ندبة الالتئام .

أخطار المكاتب الحديثة

كشفت دراسة طبية أجريت حديثا فى ألمانيا أن غالبية الموظفين فى الدول المتقدمة يصابون بأمراض كالصداع الدائم والأمراض الجلدية والسرطان ، نتيجة لاستخدام مواد غير خشبية فى تصنيع المكاتب وعمل أرضيات صناعية غير البلاط والأخشاب والتعرض للضوء المنبعث من ماكينات التصوير الضوئى وأجهزة الفاكس ، وأكدت الدراسة أن العودة للطبيعة واستخدام المكاتب الخشبية والغرف الخالية من الموكيت وأجهزة التكييف أفضل وقاية من هذه الأمراض .

مجفف جديد للطباعة

تقوم إحدى الشركات الفرنسية بتسويق مجفف جديد اقتصادى يستخدم فى مجال الجمع التصويرى والطباعة مزود بالأشعة تحت الحمراء وهواء ساخن له فعالية عالية للتجفيف ولصق الأحبار ، وتعتمد فكرة الجهاز على أنه فى الوقت الذى يتم فيه التجفيف باستخدام الأشعة تحت

الحمراء يجرى قذف الهواء الساخن من سطح المجفف ، بينما يقوم نظام شفط أبخرة رطبة لتسهيل مرور الأشعة تحت الحمراء ، ويتميز المجفف الجديد بأنه اقتصادى فى استهلاك الطاقة ، ويعمر طويلا لأنه يحتوى على نظام ضبط بالاضافة إلى تهوية ملائمة ، كما لا يحتاج إلى صيانة كبيرة ، وتوجد منه أحجام مختلفة .

أحدث جهاز لقياس التوقيت العالمى

قامت شركة فرنسية بتصنيع جهاز حديث لتحديد الموقع الجغرافى على الأرض من حيث خطوط الطول والعرض والارتفاع ، ويعطى أيضا التوقيت العالمى ويعمل الجهاز باستقبال إشارات القمر الصناعى ويصدر علامات صوتية متزامنة مع التوقيت العالمى ، ومزود بشاشة تظهر عليها العلامات الدالة على التوقيت عن طريق ساعة داخلية تتزامن مع التوقيت العالمى ، كما يظهر أيضا على الشاشة خطوط الطول والعرض بالدرجات والدقائق والمعلومات المتعلقة بظروف القياس مثل دقة الأقمار الصناعية فى التصوير الجغرافى للأرض وعدد الأقمار المستخدمة . ويتميز الجهاز بمحافظته على المعلومات فى حالة انقطاع الإرسال ، ويستخدم فى مجالات عديدة مثل الأبحاث العلمية والتنقيب البحرى والأمن المدنى .

نظام جديد لتخزين صور الأشعة الطبية

فى إحدى مستشفيات لندن تم استخدام نظام جديد لتخزين صور الأشعة الطبية على أقراص داخل « الكمبيوتر » بدلا من نظام الأفلام القديمة . النظام الجديد يساعد الأطباء فى التشخيص السريع للمرض ويحافظ على صور الأشعة من التلف أو الضياع ويعطى الفرصة لمراجعتها فى أى وقت عن طريق شاشات الكمبيوتر ، وفائدة النظام الجديد أنه لا يعرض المريض للأشعة السينية مدة طويلة حيث يتم التقاط صور الأشعة بدقة ووضوح .

عصير الخضار بدلا من عصير الفاكهة

اكتشف العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية القيمة الغذائية العالية لعصير الخضار أى عصير الباذنجان أو الكوسة أو الفجل أو البصل فرادى أو مجتمعة ، وظهرت الكتب وبرامج التليفزيون التى تحدثت بإسهاب عن فوائد عصير الخضار وكيفية إعداده ، وينصح العلماء بتناول ٦ أكواب يوميا من عصائر الخضار المختلفة للمحافظة على صحة المرء وعافيته وزيادة المناعة ضد الأمراض .

كبسولة تطعيم واحدة للأطفال

من المتوقع أن يقوم علماء منظمة الصحة العالمية بإنتاج مصل على هيئة كبسولة يتعاطاها الطفل مرة واحدة لوقايته من كثير من الأمراض مثل الدفتيريا والحصبة والتيتانوس والسل ، والكبسولة تحتوى على المادة الفعالة وتتحلل داخل جسم الطفل تدريجيا وتمنحه وقاية مستمرة ، وبذلك ستحل محل التطعيمات المتعددة التى يحقن بها الطفل الرضيع لحمايته من هذه الأمراض المتعددة .

أهمية التعريب

للأستاذ/ محمد محمد عتريس إبراهيم (*)

بقاء الأمم وتقدمها مرتبط ، دوماً ، بتشبثها بأصولها المتمثلة في لغتها ودينها . وتهاونها في الحرص على هذه الأصول مدعاة لتقهقرها ورجوعها إلى المؤخرة في كل ميادين الحياة .

ما الأمة ؟

هي جماعة الناس الذين يكونون وحدة سياسية ، وتجمع بينهم وحدة الوطن واللغة والتراث والمشاعر[1] .

وما اللغة ؟

هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، فهي مجموع الكلمات والأنظمة المتبعة في استخدام هذه الكلمات والتي تشيع بين أناس ينتمون إلى مجتمع واحد أو أمة واحدة ، أو إلى منطقة جغرافية واحدة ، أو إلى أعراف ثقافية واحدة[2] .

وربما كانت اللغة أهم الوشائج الصلبة لجمع أبناء الأمة ـ إذ هي وسيلة التخاطب ، ومن ثم تقوم بينهم الصلات والروابط ، وهي وعاء تراثهم . والبعد عن هذا الوعاء يؤدي إلى إضعاف كيان الأمة وتدهور أحوالها .

(*) الكاتب وكيل وزارة بمجلس الشعب .

(١) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

(٢) Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary

وتعرف موسوعة (فنك آند وجنالز Funk and Wagnalls) الأمريكية اللغة بأنها :

(Communication between human beings characterised by the use of arbitrary, primarily audible symbols with conventional meanings.) أى هى :

الاتصال بين كائنات بشرية يتسم باستخدام رموز اعتباطية هي سماعية في المقام الأول ، ولها معان متعارف عليها .

ويلقننا التاريخ الدرس التالي : تفرض الأمة أو الإمبراطورية الغازية لغتها بالقوة على شعوب البلدان التي تغزوها . فاللغة إذن رمز الاستقلال وعلامة عليه[3].

ويتحدث نفس المرجع عن محاولات إيجاد لغة عالمية والصعوبات التي واجهتها فيقول : وأى لغة قومية حية اقترحت لتكون لغة عالمية ثبت استحالة تطبيقها أو استخدامها عمليا بسبب صعوبة تعلمها من ناحية ، وبسبب تحيز أبناء كل أمة للغتهم القومية .

وللأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها . وأصحاب العصبيات القومية يتغنون فخرا بألسنتهم وطبائعهم وعقولهم على عادة جميع الأقوام :

فإسرائيل ، جارنا اللدود المغرور ، تبعث من غابر الزمان لغة اندثرت هي العبرية ، وتصر على التعامل بها لغة رسمية ، وتفرض على كل اليهود الذين يهاجرون إليها تعلمها والتحدث بها . وتفرض على المجتمع الدولى كلمات عبرية مثل (الشيكل) ، عملتها، ومثل (أورشليم)، أى القدس.

وفي الولايات المتحدة نرى محاولات دؤوبة من جانب الأمريكيين لتكون لهم لغتهم الخاصة بهم . ونتيجة لجهودهم هذه زحفت إلى الإنجليزية كلمات وعبارات أمريكية الصنع أى Americanisms وهى الكلمات أو العبارات أو أى سمات لغوية أخرى تختص بها اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها الأمريكيون . فاستخدم الأمريكيون مثلا كلمة (elevator) بمعنى مصعد لتحل محل كلمة (Lift) الإنجليزية ، واستخدموا كلمة (Fire) بمعنى يُقيل بدلا من كلمة (dismiss) الإنجليزية . ووضع قاموس وبستر (Webster) الشهير في إحدى طبعاته نجمة على كل كلمة أمريكية . ونبه قاموس (لونجمان Longman) إلى هذه الكلمات الأمريكية بوضع المختصر (American English) أى الإنجليزية الأمريكية قبلها . وهكذا ظهرت لغة اسمها الإنجليزية الأمريكية .

وفي فرنسا قامت مؤخرا حملة حكومية وقومية عامة تحظر استخدام الكلمات غير الفرنسية .

والألمان لا يعترفون بغير لغتهم الألمانية لغة للتخاطب على المستويين الشعبي والرسمي .

ونحن أبناء العربية ، واجبنا أن نعتز بلغتنا وأن نغار عليها . وإنه لشعور غريزى أن يعتز الإنسان بلغته : فلغة الأمة عنوان ثقافتها وحضارتها ، ولذلك تعنى الأمم كافة بلغاتها وتعمل على ترقيتها ورفعة شأنها . وحُق للعربية أن يعض عليها أبناؤها بالنواجذ ، لأنها لغة عبقرية تجمعت لها من أسباب التفرد والتيه على لداتها ما يأتى :

١ ــ العربية لغة دين سماوى ، وبها كتبت

(٣) Funk and Wagnalls Encyclopedia

أصول هذا الدين تشريعاً وحكمة وثقافة . وعلى رأس هذه الأصول : القرآن العظيم ، معتمد المسلم ومرجعه في شئونه الدينية وعقيدته الروحية ، ودستوره في حياته العملية . وقد قدس النص القرآني كما أنزل بالعربية الفصحى ، فبقيت ملازمة له ، تكاد تقدس معها نصوصها . ولما كانت العقائد الدينية راسخة في القلوب ، فإن العربية باقية ببقاء الإسلام ، كذلك القرآن .

ولما كانت العربية قد بلغت ، حين نزول القرآن ، مدى بعيدا من قوة البيان وفصاحة التعبير ، وكان القرآن موضع التحدي للعرب أن يأتوا بسورة من مثله :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨)

سورة الإسراء

لما كان ذلك ، اعتبر القرآن الكريم أسمى نمط للعربية الفصحى ، وأعلى نموذج للبيان المعجز ، فظل القبلة الخالدة في استلهام أنصع الأساليب لنظم الكلام . فمادام القرآن محفوظاً ، والإسلام قائماً ، فلن يكتب لهذه اللغة الفناء — وكيف لا يبقى محفوظاً وقد تكفل الله بحفظه .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

سورة الحجر — آية : ٩

والآيات الأربع الخاصة بتوجيه الرسول ﷺ في شأن الوحي وتلقي هذا القرآن :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

سورة القيامة — الآيات : ١٦ ، ١٩

هذه الآيات تترك في النفس إيحاء هو : تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن ، وحياً وحفظاً وجمعاً وبياناً ، وإسناده إليه — سبحانه وتعالى — بكليته ، وليس للرسول ﷺ من أمره إلا حمله وتبليغه . وذلك في الحق أعظم الأسباب التي صانت العربية من الزوال في الماضي والحاضر ، وسيكون السبب الذي يمدها بعوامل البقاء في المستقبل . والعقيدة ناموس طبيعي آخر لا تستغني عنه البشرية بحال — فبقاء العربية ، إذن ، نظام يجري وفق سنة طبيعية بشرية صحيحة لا يعتريها التبديل ، ولأن لغتنا العربية قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية ، فقد تعرضت — وحدها — بين لغات العالم لكل معاول الهدم تنصب عليها ولدسائس الراصدين تحيط بها .

٢ — تمام العربية واكتمالها ، فهي لغة عريقة بلغت في تطورها شأوا بعيدا من العظمة والرقي لا يمكن أن يتأتى لأية لغة قبل مضي أجيال طويلة على نشأتها . وآية هذا التمام والكمال التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب ، وبين صيغ المشتقات ، وبين أوزان الجمع والمثنى ، وجموع الكثرة والقلة . وهناك حروف الجر والعطف وسائر الحروف التي تدخل في تركيب الجملة بمعانيها المختلفة وتنفصل بلفظها من ألفاظ الأسماء والأفعال التي تولدت منها ، وهي في بعض اللغات لم تنفصل عنها حتى اليوم[١] .

---

(٤) راجع : عباس العقاد ، اللغة الشاعرة ، ص ٥ و ٦ .

لقد توفرت ــ بحكم تخصصي ــ على دراسة قواعد النحو الإنجليزي (English Grammar) سنوات طوالاً ؛ كما ألجأني عملي في مجال الترجمة إلى ضرورة دراسة النحو العربي . وما برحت مفتوناً باتساع مداه وشموله ، وعمق فحواه ودقته ، إذ قدم علماؤه من القواعد آيات ساطعات في التوافق مع العقل والمنطـــق ، ومقتضيات التعبير والتوضيح . وما النحو الإنجليزي ــ مع حبي له وإعجابي به ــ إلا شيء يسير إذا ما قورن بنحو العربية ، ذلك المحيط التليد . ولأضرب مثلاً :

إعراب جملة كما وردت في « شرح حسن الكفراوي على متن الأجرومية » لترى القمة السامقة التي بلغها نحونا العربي من إحاطة وشمول . قال جدنا الكفراوي (توفي ١٢٠٢ هـ) يعرب جملة : « جاء زيد والفتى والقاضي وغلامي » ، جاء فعل ماض ؛ وزيد فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ؛ والفتى معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ؛ والقاضي معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وغلامي معطوف على زيد مرفوع بحركة المناسبة ؛ وغلام مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون في محل جر » .

أرأيتم كيف استقصى الإعراب كل كلمة وكل حرف وكل حركة ؟

ولأضرب لكم مثلاً آخر من التنزيل العزيز . قال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ(٥) وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

سورة الصف ــ آية : ٨

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم « مُتِمُّ نورِه » بإضافة نوره إلى « متم » ، وفي هذه القراءة يمنع تنوين « متمُّ » وجوباً للإضافة(٦) و « نوره » مضاف إليه مجرور .

وقرأ الباقون « مُتِمٌّ نورَه » بتنوين « متمٌّ »(٧) ونصب « نورَه » على أنه مفعول « مُتِمٌّ » .

ويزخر القرآن العظيم بالكلمات والمواضع التي تعدد فيها ــ أو تتعدد لها ــ القراءات ، ولكل قراءة مبرراتها ووجاهتها ؛ وكل منها تزيد المعنى لمعاناً وبياناً .

وكل منها آية من آيات الإعجاز القرآني والإعجاز اللغوي العربي . ويغريني المقام بسوق مثال ثالث هو قوله تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ . سورة الفجر ــ آية : ٤

قرأ ابن كثير « يسري » بإثبات الياء في الوصل

---

(٥) المعنى : يريدون أن يطفئوا دين الله أو كتابه أو حجته النيرة بطعنهم فيه ــ وإنما مثلهم في هذا كمثل من ينفخ في نور الشمس بفمه ليطفئه ــ وهذا من باب التهكم بهم والسخرية منهم .

(٦) راجع : مواضع حذف التنوين ص ٤٣ ، الجزء الأول من « النحو الوافي » .

(٧) « فتح القديـــر » ، الشوكاني ، الجزء الخامس ، ص ٣١٤ .

وفى الوقف ؛ لأنها ليست بمجزومة ، فثبتت فيها الياء .

وقرأ نافع بإثباتها فى الوصل وبحذفها فى الوقف .

وقال الخليل : تسقط الياء منها اتفاقا لرؤوس الآى .

وقال الفراء : قد تحذف العربُ الياء وتكتفى بكسر ما قبلها .

أى أنه حتى الحرف لم يفلت من البحث والتمحيص والاستقصاء[8] .

٣ ـ المزايا التى تنفرد بها اللغة العربية مزايا علمية تستند إلى خصائص النطق والتعبير المتفق عليها فى العلوم اللسانية ، ولا محاباة فيها لهذه اللغة أو تلك . أى أن هذه المزايا ليست قائمة على تعصب قومى ، على عادة جميع الأقوام فى التعصب لألسنتهم وعقولهم .

ومزاياها فى التعبير عامة ، وفى التعبير الشعرى خاصة ، تقوم على قواعد العلوم اللسانية . فاللغة المعبرة هى التى تضع معجمها بين يديك ، فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها . ولا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربى من مادة ألفاظه ومفرداته فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز . ونحن نعلم أن المجتمع العربى فى قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وأن الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية .

فالأمة هى الجماعة التى تؤم مكاناً واحداً أو تأتم بقيادة واحدة .

والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا .

والقبيلة هى الجماعة التى تسير إلى قبلة مشتركة .

والفئة هى الجماعة التى تفيء إلى ظل واحد .

والبيئة هى الموطن الذى يبوء إليه أصحابه (أى يرجعون) بعد الرحلة عنه . والقوم فى جملتهم هم الذين يقومون قومة واحدة للقتال خاصة .

وفى دلالة أسماء الأمكنة نجد المنزل حيث ينزل الإنسان . والبيت حيث يبيت بالليل .

وفى الكلمات التى تدل على الرابطة الاجتماعية نجد الصاحب وهو من يمشى معك فى السفر . والقريب الذى يقترب من منزلك . والعدو الخصم الذى يعدو على جوارك .

وفى المعانى المجازية تطلق القصة على الحكاية وهى من قص الأثر ، والتتبع من السير وراء الرحل ، والتقرى من البحث عنه حيث كان مقره . والجيش من جيشان الحركة فى الأمكنة المتعددة أو فى المكان الواحد . والبلاغة من التبليغ أو البلوغ إلى المكان[9] .

٤ ـ وبالنسبة للنطق هناك حقيقة تقول إن النطق الفصيح هو فضيلة الحيوان الناطق . وإن الفصاحة العربية قد بلغت بأداة النطق الآدمية غاية ما بلغه الإنسان المعبر عن ذات نفسه بالكلمات والحروف . ففصاحة النطق ميزة نادرة تمتاز بها اللغة العربية ـ وهذه حقيقة يقررها علم وظائف الأعضاء . واللفظ الفصيح هو اللفظ الصريح

---

(٨) راجع كلمة « يسْر » ص ٢١١ من « شرح ومعانى جزء عم » . محمد محمد عويس إبراهيم . سلسلة كتاب الجمهورية .

(٩) راجع : فصل « لغة التعبير » من كتاب : « اللغة الشاعرة » . عباس محمود العقاد .

الذى لا لبس فيه ولا اختلاط فى أدواته ، وهذا هو اللفظ العربى بدليله العلمى . فلا لبس بين مخارج الحروف فى اللغة العربية ولا إهمال مخرج منها ، ولا حاجة فيها إلى تكرار النطق من مخرج واحد ، تتوارد منه الحروف التى لا تتميز بغير التثقيل أو التخفيف .

فليس فى اللغة العربية حرف يلتبس بين مخرجين ، وليس فى النطق العربى مخرج ينطبق فيه حرفان . فمثلا ليس فى اللغة العربية حرف يستخدم مخرجين كحرف (تشى) فى اللغة اليونانية (X) وهو خليط من التاء والشين . وليس فيها حرف يعبر عنه بحرفين كالذال أو الثاء اللذين يكتبان عندنا مما يقابل التاء والهاء (th) ويتغير النطق بهما فى مختلف الكلمات . ولا تزدحم أصوات الحروف فى اللغة العربية على مخرج واحد ، كما تزدحم الفاء والفاء الثقيلة (F,V) والباء والباء الثقيلة (b,p) فى اللغة الإنجليزية . والعربية تتسع من أقصى الحلق إلى أدناه لسبعة حروف هى : الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والخاء . وهى مميزة فى النطق بغير التباس ولا ازدواج فى الأداء ، على حين نجد أن أصوات الحلق أهملت جميعا فى كثير من اللغات[10] .

٥ ــ كانت العربية أسبق اللغات إلى تصنيف المعاجم اللغوية . ولنرجع إلى موسوعة : فنك آندوجنلز (Funk and Wagnalls) الأمريكية ، (المجلد الثامن ، مادة : Dictionary (معجم) ، تقول الموسوعة : ظهرت المعاجم أول ما ظهرت فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت فى معظمها تجميعاً للكلمات والمعانى النادرة . أما ما تلا ذلك من قواميس فجاء متأخرا إذ كتبت بعد القرن الخامس الميلادى ، وكانت تكتب نظماً . ويمكن تقسيمها إلى صنفين : صنف للألفاظ المترادفة ، وآخر للألفاظ المتجانسة . وظهرت فى اللغة السنسكريتية المعاجم المتخصصة فى النبات والطب والفلك وغيرها .

أما أول محاولة لجمع كل مفردات اللغة فى مؤلف واحد ، فإن الاحتمال الأرجح أنها كانت على يدل الخليل بن أحمد العُمانى (توفى عام ٧٩١ م) الذى لم يتبع فى ترتيب الكلمات النظام الأبجدى وإنما رتبها وفق مبادىء علم النطق وعلم فقه اللغة . وجاء تأليف المعاجم العربية فى القرن العاشر الميلادى ، وكان منشؤه والدافع إليه دراسة اللغة العربية .

وخطت صناعة المعاجم فى بعض اللغات خطوات عملاقة نحو الكثرة والتنوع فى الأحجام والتخصص فى فروع المعرفة ، ونخص بالذكر المعاجم الإنجليزية . أما أبناء العربية فارتدوا على أعقابهم ، وتقاعسوا عن النهوض بالمعجم العربى .

٦ ــ اللغة العربية أداة عالمية من أدوات النطق الإنسانى بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال . ولهذا باتت حمايتها واجباً قومياً وإنسانياً ــ وكم تكون خسارة العالم فادحة لو أصاب العربية مكروه ! ولن يكون ــ بإذن ــ تعالى ــ وقد تبوأت العربية مقامها الرسمى بين لغات الأمم المتحدة فى مجالها الدولى .

(١٠) راجع فصل : « الفصاحة العلمية » ، المصدر السابق .

طبقات
المحققين
والمصححين
٥



الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

● لا أحد من القارئين ولا الباحثين لا يعرف البحاثة العالم المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، الذي حمل على كاهله - مع صفوة محبيه وأقاربه العمالقة: عبد السلام محمد هارون، وعلى محمد البجاوى وغيرهما - أمانة ومسئولية نشر التراث العربى والإسلامى على أوسع نطاق، فى عصر كان النشر فيه عسراً صعباً فيسر الله على أيديهم هذا العمل الطيب المبرور.

كان محمد أبو الفضل إبراهيم عالماً أديباً بالسليقة، والفطرة، ولد - رحمه الله تعالى - فى الواحد والعشرين من شهر مارس سنة أربع وتسعمائة وألف من الميلاد، فى جزيرة شندويل،

من أعمال محافظة سوهاج من أسرة تنتمي إلى الأشراف ، أهل بيت رسول الله ﷺ من هذه المثابة كان إصرار والده على أن يُنشئه تنشئة دينية بالأزهر الشريف الذى هو المأمول فى ذلك ، فحفظ القرآن الكريم صبياً ، ثم درس فيه العلوم الشرعية إلى جانب العلوم اللغوية والأدبية ، وظل ينهل من معين لا ينضب ، ومن نبع سائغ فرات ، منهوما لا يشبع ، فأعطى نفسه كلها للعلم بغير حدود وبغير حساب . فصدقت فيه المقولة السيارة : «العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك» . تخرج أبو الفضل بعد ذلك فى الأزهر ، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي ، ثم تحول بعد ذلك إلى مدرسة دار العلوم العليا التى تخرج فيها سنة ثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد .

انطلق أبو الفضل بعد ذلك يغترف من العلم اغترافا قويا شديداً حتى أسس لنفسه مكتبة جامعة عامرة ، مثل أقاربه وأضرابه كالأستاذ عبد السلام هارون ومحمود شاكر ، وأحمد شاكر .

بدأ حياته بالتدريس بالمدارس الأميرية للغة العربية وآدابها ، ثم لم يجد نهمته فى التدريس ، فاتجه بكليته للتحقيق والتأليف ، فتألق نجمه ، وذاع صيته ، وطارت شهرته فى الآفاق .

وإبان اشتغاله مدرساً للغة العربية وآدابها أدَّى القدر دوراً كريما فى حياة هذا العملاق ، فقد تزوج من كريمة الأستاذ العلامة الشيخ عثمان أبو النصر أستاذه فى دار العلوم ، الذى كان يدرس لطلابه علوم البلاغة ، الذى كان بدوره زوجا لابنة عمة تلميذه أبى الفضل ، فالتقى الأخيار من البيوت المسلمة المحافظة ، فلا غرو أن يكون القرانُ طيبا والثمر يانعا وجديرٌ بالذكر إلى أحتفظ فى مكتبتى ـ كاتب هذا المقال ـ لهذا الشيخ الجليل عثمان أبو النصر بكتاب بالغ الروعة اسمه : «علم البيان» طبعه سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة .

وترافق الأستاذ أبا الفضل قرينته رحلة الحياة فتكون أماً لخمسة أبناء ثلاث بنات ، وطبيبين ، كلهم متفوقين ـ والحمد لله رب العالمين ـ فى دراستهم إلى أن شغلوا مناصب علمية مرموقة ، لكن بعيداً عن التأليف والتحقيق .

كان الأستاذ أبو الفضل رجلاً من صعيد مصر تجلت فيه صفات هذا الصعيد ، فقد اشتُهِرَ بالشهامة والنخوة ، غزيراً نديباً ، لا يرد سائلاً ولا مُعْتَرّاً ولا قاصداً معاونة أو مساعدة من أهل (شندويل) قريته العزيزة ومسقط رأسه ، على الرغم من ضيق وقته وكثرة مشاغله فى التحقيق والتأليف . وكانت زوجته خير عون له فى أعماله ، فهى سيدة بيت من الطراز الممتاز تعمل أماً مربية لأبنائها ، وبحكم ثقافتها وعلمها فقد تخرجت هى أيضاً فى الجامعة بل كانت من الرعيل الأول تعاونه فى التنسيق والتصحيح والمراجعة ، وتوفير المناخ الهادئ المناسب والصحى للعمل العلمى المنوط بزوجها ، وهى صديقة للدكتورة سعاد ماهر صاحبة كتاب المساجد والمعروف بـ « مساجد القاهرة وأولياؤها الصالحون » .

كان اليومُ كله عملا لا هزلَ فيه فهو فى دار الكتب مع عمله الرسمى لا يزايله الكتاب طرفة عين ، ثم هو فى البيت يتناول اللقيمات اليسيرة ، ويؤدى المكتوبة ، ثم يسارع مرة أخرى ليجلس إلى مكتبه ليمارس عمله بجد وهمة لا تعرف الملل ، ينام متأخرا ويصحوا مبكراً ، فلا يترجى من

الراحة والاستجمام إلا بأقل القليل من السويعات التى لا تكفى للحمام واستعادة النشاط من جديد .

ولعل هذه الممارسة كانت سبباً فى الصداع الذى كان يعتريه بين فينة وأخرى ، ومن وقت لآخر ، وكان بسببه يلجأ إلى الأطباء ، ويتردد عليهم لعلاجه .

هذا أبو الفضل العالم ، الأديب الإنسان ، وهذه صورة مجملة سريعة لقسمات هذه الشخصية الكبيرة المؤثرة التى تركت بصماتها حية نابضة مؤثرة فى جبين الثقافة العربية والإسلامية أثرا خالداً ، لا يمحوه الزمان ولا يمكن أن يجحده إلا مغرور أو موتور .

كانت هناك وشائج إنسانية ، وشجنة وطيدة تربط بين أبى الفضل وكثير من أعلام عصره - كما أسلفنا من قبل - من أعيان المبرزين المحققين والمؤلفين ، وكذلك مع علية القوم ، وكان أكثرهم من زملائه فى العمل أيضاً .

كان حبيباً محباً ومحبوباً فى آن واحد للأستاذ فؤاد سيد رئيس قسم المخطوطات بدار الكتب ، والمرحوم رشاد عبد المطلب . وجدير بالتنويه أن أبا الفضل كان له صالون أدبى فى الستينات ، وكان يتردد عليه فيه علية القوم وأكابرهم مثل الأساتذة العلماء : على محمد البجاوى ، وعبد الكريم الخطيب ، والشيخ أحمد حسن الباقورى ، والشيخ محمد محمد المدنى ، والشيخ محمود النواوى ، وعلى الجندى ، ومحمود حسن إسماعيل ، وطاهر أبو فاشا ، والدكتور أحمد هيكل ، وإبراهيم الترزى ، والشيخ سليمان ربيع ، والدكتور محمود الطناحى ، وعبد السلام محمد هارون ، والدكتور شوقى ضيف ، والدكتور محمد جمال الدين الفندى ، ومحمد الطيب النجار ، والدكتور محمد حسين الذهبى والدكتور عبد المجيد قطامش ، والدكتور المحقق العلامة الكبير إحسان عباس . وكان صالونه يوم الاثنين من كل أسبوع .

ولما أن أحيل على المعاش سنة أربع وستين وتسعمائة وألف عندما بلغ الستين فرح واغتبط وقال : « الآن ، أشعر أننى تفرغت للعمل التحقيقى ، الآن أبدأ العمل المعشوق » .

ثم بعد ذلك اختير ليكون عضواً فى لجنة التراث الإسلامى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بما لديه من خبرة وعلم فى هذا المضمار ، وهذه اللجنة كان يرأسها الدكتور مهدى علام . ثم تولى المرحوم أبو الفضل رئاستها بعد مهدى علام ، وكان من أعضائها الدكتور شوقى ضيف أخوه وصديقه .

من أجمل وأدق الصفات التى تذكرها رفيقة هذه الرحلة الميمونة عن الأستاذ محمد أبى الفضل أنه كان دؤوباً لا يعرف الملل فالعمل على قدم وساق ليل نهار لا يفتر طرفة عين .

وحياته كانت مقسمة تقسيماً بديعاً دقيقاً بين العمل الصارم وبين الأصدقاء .

ومن اللافت للنظر حقا أن تقول : لا أذكر يوماً لا أراه بغير عمل إلا إذا كان مريضاً .

وكان متسامحاً كل التسامح ، لم أذكر أنه اعتدى على أحد ، ولا تكلم على أحد ، ولم تصدر منه كلمة نابية أبداً .

فإذا ما كان هناك موجب للاستفزاز ، استثير فيثور لكن سرعان ما يهدأ وتنكسر حدة الغضب على الفور . وكان عطوفا جداً كريماً بأهله باراً بأبنائه ، طيب القلب سليم الصدر ، حسن العشرة ، محافظاً على العرف الطيب ، فيه من الحياء والمروءة والقناعة رصيدٌ كبير .

إن لم تكن هذه الجملة من المناقب والمحامد قاسماً مشتركا بين أولئك المجاهدين بالقلم والفكر ، فكيف بالله يُحفظ هذا التراث الضخم من الضياع ؟؟ لابد من بطولات وسواعد شامخة تعطى دائماً ولا تأخذ إلا أقل القليل .

ولو قيست العائدة على الجهود العلمية بنظائرها من العوائد على غيرها من الوجهة المادية لكانت أقل من لا شيء .

ولو كان العلماء والباحثون قد وقفوا جهودهم وسعيهم الدؤوب على عائد موافق لتجمدت الحضارة الفكرية والعلمية .. لذلك كان من لطف الله - تعالى - أن يقيض لهذه المهمة الصعبة رجالاً أشداء ، مؤمنين برسالتهم ، وقداسة صنيعهم ، وشريف مقاصدهم لا يلوون على شيء غير تحقيق مبتغاهم وإنه لأشرف مبتغى إليه ، وأكرم مطموح إلى غايته .

كان محمد أبو الفضل إبراهيم طرازاً من أولئك الرجال الأفذاذ القلائل ، وحسبه ما قدَّم للمكتبة من جلائل الصفحات البيض المنشورة ، وهى خير دليل على سلامة القصد والإتقان والثقافة الموسوعية التى انطوى عليها قلبه وعقله وفكره ووجدانه .

لقد حقق عشرات الكتب التراثية التى كنا نسمع عنها ، فلم تر النور إلا على يديه مثل « البرهان فى علوم القرآن » للزركشى ، « والإتقان فى علوم القرآن » للسيوطى ، و «الأضداد» لابن الأنبارى ، و «ثمار القلوب» للثعالبى . وشارك غيره من رجال عصره البارزين مثل على محمد البجاوى ومحمد أحمد جاد المولى ، وسيد شحاتة - رحمهم الله تعالى - كما فى الكتاب القيم «قصص القرآن» الذى صاغه وزملاؤه فى أسلوب بالغ الرق والتشويق مع رصانة أدبية ولغوية بارعة ، وقد تعددت طبعات الكتاب وتهافتت دور النشر على طباعته ونشره ، وغير هذا كثير إذ أنافت مكتبة أبى الفضل على ما يربو على ثمانين كتابا من نوادر الكتب بعد هذه السياحة المشهودة ثم كان لابد من النهاية بعد طول الجهاد والتضحية فلقى ربه فى حادى عشر يناير سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وألف (١٩٨١) من الميلاد ، فرحم الله أبا الفضل الذى كان بحق من أهل الفضل .

وهنا ثبت تفصيل بما حققه الأستاذ أبو الفضل أو وهو مع آخرين .

١ - الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى .
٢ - امرؤ القيس بن حجر .
٣ - المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى .
٤ - مراتب النحويين لعبدالواحد بن على اللغوى الحلبى .
٥ - الوساطة بين المتنبى وخصومه .
٦ - من قصص الأولين بالاشتراك للجرجانى مع على محمد البجاوى والسيد شحاته .

٧ ـ قصص القرآن بالاشتراك مع أحمد جاد المولى وآخرين .
٨ ـ ابراهيم ـ عليه السلام ـ بالاشتراك مع على محمد البجاوى والسيد شحاته .
٩ ـ الأضداد للأنبارى .
١٠ ـ أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والإسلام مع على الجندى ومحمد صالح سمك وآخرين .
١١ ـ آمالى المرتضى ـ غرر الفوائد ودرر القلائد ـ جزءان فى مجلدين .
١٢ ـ أنباء الرواه على أنباء النحاة للقفطى .
١٣ ـ أيام العرب فى الإسلام .
١٤ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لأبى الفضل السيوطى بالاشتراك مع على محمد البجاوى .
١٥ ـ عصر صدر الإسلام لجلال الدين السيوطى .
١٦ ـ تاريخ الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك لابن كثير الطبرى .
١٧ ـ التاريخ الوسيط والحديث للأقطار المختلفة آسيا (شبه الجزيرة العربية) للطبرى .
١٨ ـ تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدن لصلاح الدين بن أيبك .
١٩ ـ تهذيب اللغة للأزهرى الشافعى مراجعة على محمد البجاوى .
٢٠ ـ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى النيسابورى .
٢١ ـ جمهرة الأمثال للعسكرى بالاشتراك مع عبدالمجيد قطامش .
٢٢ ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى .
٢٣ ـ درة الغواص فى أوهام الخواص للقاسم بن على الحريرى .
٢٤ ـ ديوان امرىء القيس لابن وهب جندح بن الحارث البصرى .
٢٥ ـ رسالة ابن زيدون .
٢٦ ـ سجع الحمام فى حكم الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام .
٢٧ ـ شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون .
٢٨ ـ شرح مقامات الحريرى للشريشى النحوى .
٢٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد .
٣٠ ـ قصص العرب بالاشتراك مع محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى .
٣١ ـ المحاسن والمساوى لابراهيم بن محمد البيهقى .
٣٢ ـ مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ـ جمال الدين أبو الفضل .
٣٣ ـ مراتب النحويين لأبى الطيب عبدالواحد الحلبى .
٣٤ ـ الميسر فى مذهب مالك جمع وترتيب محمود مراد عبدالحى . وتقديم محمد أبو الفضل ابراهيم .
٣٥ ـ النحو فى القواعد والتطبيق بالاشتراك مع السيد شحاته وعلى محمد البجاوى .
٣٦ ـ نهج البلاغة للإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ جمع محمد بن الطاهر أحمد بن موسى .
٣٧ ـ اليتيم بالاشتراك مع على محمد البجاوى والسيد شحاته (صور دينية) .

نقباء الأنصار

صفحة مشرقة من تاريخ الإسلام

لفضيلة الأستاذ
الدكتور عبد العزيز غنيم عبد القادر
أستاذ التاريخ بكلية اللغة العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

عرض وتقديم الأستاذ/ عبدالسلام ناصف

.. والكتاب واحد من سلسلة البحوث الإسلامية التى تصدرها إدارة التراث بالأزهر ، وقد عنيت بطبعه مطبعة المصحف الشريف التابعة للأزهر . وهو من القطع المتوسط ، ويقع فى ست عشرة ومائتى صفحة ، تحوى ثلاثة فصول عدا المقدمة والإهداء .

أهداه مؤلفه لفقيد الأزهر والإسلام الإمام الأكبر ـ رحمه الله فى قصيدة شعرية ـ إبان حياته .

وقدم له فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث ووكيل الأزهر بكلمات موجزة يشرح فيها كفاح الأنصار وجهادهم لإعلاء كلمة الإسلام فى عهده الأول خلف رسول الله ﷺ ، تفديه بالأنفس والثمرات ، مع التركيز على من أطلق عليهم « نقباء الأنصار » الاثنى عشر ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وأجزل لهم الأجر والمثوبة ، وحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

أما مقدمة المؤلف لبحثه القيم فتركز على جهد الرسول الأمين ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فى إنشاء دولة الإسلام بدءاً من تجرع أذى قريش وعنتها إلى إيذاء أهل الطائف ـ مما حدا بالنبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يفكر فى الهجرة إلى مكان آخر غير مكة التى لا يبذل أهلها ما يحمى دين الله والدفاع عنه ، وفى لقاءاته ﷺ بالقبائل والعشائر فى الأسواق فى المواسم التقى برهط من يثرب هفت قلوب أفراده لدعوته الكريمة ، وأشرق فى شغافها نوره ، فراح يتحدث عنه ويطرى ما يدعو إليه النبى الأمين ، وتتابعت أفواج الأوس والخزرج على سنتين متتابعين فى موسمين إلى مكة منقادة لدين الله ، وبعد البيعة طلب رسول الله ﷺ أن يختار الأنصار من بينهم نقباء ليكونوا كفلاء على قومهم ، فامتثلوا للأمر واختاروا اثنى عشر نقيبا ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج ، وحدد ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ مهمة هؤلاء النقباء فى أن يكونوا

مسئولين أمامه ﷺ كل عن عشيرته ـ فحملهم ما نزل من آيات القرآن الكريم ، وأسند إليهم قيادة الدعوة والعمل على نشرها ـ ولقد كان هؤلاء النقباء عند حسن الظن بهم فأدوا الأمانة فى صدق وإخلاص ، وجاهدوا فى الله حق جهاده واستبسلوا حتى استشهد بعضهم فى غزوة بدر وبعضهم فى غزوة أحد وغيرهما من السرايا والغزوات ، ومن بقى منهم لقى الله فى عهد الخلفاء الراشدين ومن تبعهم .

وبرغم ما بذله هؤلاء النقباء من جهود مضنية وبرغم دورهم البناء فى السلم والحرب إلا أنهم لم ينالوا ما يستحقونه من العناية والتكريم والاهتمام بتسجيل ما قدموه من مآثر ومفاخر ـ ففكر فى تدوين هذا المبحث القيم ليفتح به الطريق لمن يريد أن يطرق هذا الباب الجليل لتكريم هذه الفئة .

والفصل الأول من الكتاب قسّمَهُ الباحث إلى أقسام مختلفة-تبدأ بأولها : (على مشارف الهجرة) يقول فيه : إنه بعد وفاة السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ وأبو طالب فى عام واحد لم يترك الله نبيه فريسة للهم والحزن ، وإنما أمره بالخروج إلى الناس فى الأسواق للدعوة إلى الواحد الأحد ، وهجر المرذول من العادات فغشى سوق (عكاظ) وغيره متبعا منهج لا إكراه فى الدين[1] فبلغ الرسالة بأمانة وصدق فأثمرت دعوته ﷺ ودخل الناس فى دين الله أفواجا على الرغم من كل ما يثيره أعداؤه ضدها . فأفضوا تحت راية القرآن ثم امتدت الدعوة إلى المدن المبثوثة شمال الجزيرة العربية وجنوبها ، ولقد أبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يتعامل مع دخول الفرس والروم لطبيعتهم المتسلطة التى تتنافى مع خلقه فاتجه فكره

إلى الهجرة إلى الطائف ، ولاقى فيها من العنف والإهانة والأذى ما لاقى فعاد أدراجه مهموما ، وراودته نفسه إلى الهجرة إلى يثرب لما يشده إليها من علائق موغلة فى القدم فهاشم بن عبد مناف جد الرسول ﷺ أصهر إلى بنى النجار وأنجب من ابنتهم (سلمى) جده عبدالمطلب ، وهم من الخزرج من يثرب ـ ووالده عبد الله مات ودفن فيها ، وحملته أمه وهو فى السادسة إليها ليزور أخواله .

ولعله سمع عن نصرة أخواله لجده عبدالمطلب عندما منعه بنو نوفل حقا من حقوقه فأنصفوه كما أنه لا ينسى قَوْلَةَ جبريل عليه السلام أن يثرب هى مُهَاجَرُه ومُهَاجَرُ أصحابه . فلما أتى (أنس بن رافع) فى ستة نفر يلتمسون حلفا مع قريش حادثهم الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فمالوا إليه وإلى رسالته .، وحفظوا منه سورة العلق وسورة يوسف ، وعادوا إلى يثرب ووعدوه أن يعرضوا الإسلام على أهلهم هناك .

وفى موسم الحج التالى خرج نفر من يثرب للقاء النبى ﷺ ومناقشته فى شأن الإسلام والتقوا به عند العقبة ، وسرّه ما حملوه من أخبار طيبة فبايعهم على : أن لا يشركوا بالله شيئا ، وغادر الرهط مكة ـ بصحبة مصعب بن عمير وعبد الله ابن أم مكتوم ـ رضى الله عنهما ـ يُحَفِّظان القوم آيات من القرآن الكريم ويفقهانهم فى أمور الإسلام فأكرم القوم وفادتهما وأنزلوهما منزلا أطلقوا عليه (دار القراء) فانتشرت مبادىء الدين السمح ، ولما كان الموسم الجديد خرج إلى مكة سبعون وامرأتان من أهل يثرب فالتقوا به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مع عمه العباس

وآمنوا برسالته وتعاهدوا على حمايته والدفاع عنه فبايعهم وطلب منهم أن يختاروا من أنفسهم على أنفسهم نقباء يكونون على قومهم كفلاء، ويكون النبي – صلوات الله وسلامه عليه – كفيلا على قومه.

فاختار القوم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فنقباء الخزرج هم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع بن عمرو، وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس، ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور بن صخر، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو.

أما نقباء الأوس فهم: أسيد بن حضير، وسعد بن الحارث، ورفاعة بن المنذر.

وهناك أقوال تضع أبا الهيثم بن التيهان فى موضع رفاعة.

ولقد أورد الباحث قصيدة لكعب بن مالك – رضى الله عنه – فى سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦ يجمع فيها أسماء هؤلاء النقباء.

وعاد الأنصار إلى ديارهم بعد ما عقدوا النية على كتمان ما اتفقوا عليه، ودخل الناس فى دين الله حتى عمر الإيمان وأضواء الحق دروب يثرب وملأتها أقباس الخير – والنقباء يؤمون أقوامهم فى الصلاة ويؤدون بهم الجمع.

ترجم الباحث لكل نقيب ترجمة وافية بدءاً من مولده ونسبه ونشأته وانتهاء بأعماله وجهاده فى سبيل إعلاء كلمة الله ونهجه فى الحياة حتى موته أو استشهاده، وهم:

١ – سعد بن زرارة، كان من أهل البيعة الأولى، وأحد نقباء البيعة الثانية، جاهد فى سبيل الله حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة – ثم مرض بداء الشوكة أو الذبحة، وأشار – صلوات الله وسلامه عليه – بكيه، لكنه لقى ربه فغسله وكفنه رسول الله ﷺ ورعى بناته من بعده – وكان أول من دفن بالبقيع.

٢ – أسيد بن الحضير فهو من كناه الرسول بأبى عيسى، وكان أبوه سيد الأوس، وكان قارئا يجيد الكتابة والسباحة والرمى. ولقد تحدث أثناء اجتماع العقبة فأحسن الحديث أمام رسول الله ﷺ فاختير نقيبا، وعاد لينشر دين الله، وكان أحد وجهاء المدينة الذين استقبلوه – صلوات الله وسلامه عليه – يوم الهجرة، وآزره وقاتل إلى جانبه، وكان ذا صوت طلى ونبرات أخاذة إذا تلا القرآن الكريم مع يقين وإيمان وعمق تصديق وتدبر وكان إماما. ومن ثم كان حباً لرسول الله ﷺ، ولقد أجله أبا بكر وعمر فى خلافتيهما حتى لقى الله فى عهد عمر – رضى الله عنه – فشيعه وحمل نعشه فى العام العشرين من الهجرة.

٣ – والبراء بن معرور خزرجى الأب أوسى الأم وكان يفضل البيت الحرام فى صلاته، خلافا لما كان عليه قومه، وبعد اختياره نقيبا دعا قومه للإسلام، ولقى الله – سبحانه – قبل الهجرة لوقت قليل، ولقد زار قبره الرسول ﷺ ودعا له.

٤ – ورافع بن مالك، كان يطلق عليه (الكامل) وشهد البيعتين ثم كان نقيبا، وكان من مستقبلى الرسول – صلوات الله وسلام عليه – يوم الهجرة، ودافع عن الإسلام، وكفاه أن استشهد فى (أحد).

٥ – رفاعة بن المنذر يقول الباحث: إنه أحد

النقباء الذى لبوّا نداء الله ، واستقبلوا الرسول ﷺ يوم هجرته ـ ولقد أثاب عنه يوم بدر ويوم السويق وكان واحداً ممن شهد معجزات رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يوم دعا الله لنزول المطر فأمطر ، ولقد عاش حتى عاصر أبا بكر وعمر وعثمان ، وتوفى قبل استشهاد على كرم الله وجهه .

٦ ـ سعد بن خيثمة بن الحارث الأوسى ، وهو أحد النقباء الذين استشهدوا فى بدر ـ ولن ينسى له التاريخ أنه فتح داره للنبى ﷺ أثناء إقامته فى قباء قبيل الهجرة حين كان يتنقل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بين داره ودار كلثوم بن الهرم .

٧ ـ سعد بن الربيع من الخزرج : أحد النقباء الذين استقبلوا رسول الله ﷺ يوم الهجرة ، وآخى بينه وبين عبدالرحمن بن عوف ، شارك فى موقعة بدر وأبلى فيها بلاء حسنا ، واستشهد فى أحد وقبض فى عهد النبى ﷺ وتبوأ مقعدا فى الجنة .

٨ ـ سعد بن عبادة من الخزرج ، وكان وجيها فى قومه ، وممن استقبلوا النبى ﷺ يوم الهجرة ، وكان باراً بأمة غيوراً على أهل بيته ، يحب القرآن شجاعاً فى الحرب والضرب حمل راية الأنصار فى فتح مكة ، وكان دوماً يلازم رسول الله ﷺ فى كل غزواته ، ومات فى العام الخامس عشر أو السادس عشر للهجرة .

٩ ـ عبادة بن الصامت : الخزرجى ، وكان يحفظ القرآن ويعلمه ، واختاره عمر بن الخطاب كى يحفظه لأهل حمص ، ثم ولاه الوظائف العلمية والسياسية ، وتوفى فى خلافة عثمان فى العام الرابع والثلاثين للهجرة بعد ما روى عن النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الكثير من الأحاديث وأحاديثه تملأ الصحاح والمسانيد كل بالفتاوى والأحكام .

١٠ ـ وعبدالله بن رواحة : كان ذا مناقب شتى وكان شاعرا ، وهو القائل :

فثبت الله ما أتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

وهو القائل :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

ولقد شهد بدراً وأحداً والخندق وخيبر والحديبية واستشهد فى (مؤتة) .

١١ ـ عبد الله بن عمرو : الخزرجى ، جاهد فى الله ولم يمهله الأجل فاستشهد فى أحد ويروى أن النبى ﷺ رأى ولده حائراً حزينا فقال له : «يا جابر ، ألا أخبرك بما آل إليه أمر أبيك ؟ قال : بلى ، قال : لقد أحياه ربه وكلمه كفاحاً ، ولم يكن كلم غيره إلا من وراء حجاب وقال له : تمنَّ علىّ تُعطَ قال : يارب تعيدنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك مرة ثانية .. قال الرب ـ عز وجل ـ : لقد سبق القول منى . لا أعيد أحداً إليها ولا أرجعه ، فقال : فتخبر من ورائى ، فنزل فى الشهداء قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

سورة آل عمران

ومن مناقبه أن غسل وكفن مع خاله ودفنا فى قبر واحد ـ لما كان بينهم من محبة على ظهر الدنيا . فسلام عليه فى الأولين والآخرين

١٢ ـ المنذر بن عمرو : الذى استقبل رسول الله يوم الهجرة وشهد بدراً وأحداً ـ ولقد بعثه ـ ﷺ بنشر الدين فى ملاعب الأسنة لكنه استشهد واستشهد معه سبعون فقيها فى (بئر معونة) فحزن عليه ورثاه ودعا على من قتله طويلا .

١٣ ـ الهيثم بن التيهان : من الأوس ، وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة البيعة الثانية ، ولقد جاهد فى سبيل الله فاشترك فى معركة بدر وأحد والخندق ، وكان قريبا من قلبه ﷺ ولقد توفى ـ على أرجح الأقوال ـ فى خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ فى العام العشرين للهجرة .

وفى الفصل الثالث يعقب المؤلف على عملية اختيار هؤلاء النقباء أو انتخابهم لمناقبهم واستقامتهم فكل منهم يمثل حيا من أحياء الأنصار وهم كفلاء عن وفاء لأقوامهم وتعليمهم أسس الدين الجديد ، ويلاحظ أن المؤلف قد ترجم لثلاثة عشر نقيبا بعدما اختلف المؤرخون والرواة فى النقيب الثانى عشر أكان رفاعة بن المنذر أم أبا الهيثم بن التيهان ترجم لكليهما على سبيل التحوط .

ولم ينكث الأنصار عهدهـــم ، بل آووا ونصروا ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، وعرّضوا أنفسهم وأموالهم للأخطار حتى عزّ الحق . ولقد أبى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نظام النقباء فلم يعين نقيبا خلفا لنقيب بعد موته وقال لمن طلب منه ذلك : (إنى نقيب لكل الأنصار)

ﷺ ولقد كرمهم القرآن الكريم فى مواضع عدة لعل أقربها إلى الذهن قوله ـ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾

سورة الأنفال ـ آية ٧٤

وكرمهم رسول الله ﷺ فى أحاديث عدة نكتفى منها بقوله عنهم : « إنكم أحب الناس إلىّ » كما جاء فى صحيح البخارى وقوله : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولايبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » وعلى المسلمين قاطبة أن يستعيدوا تاريخهم ، ويقتفوا آثارهم ، ويسألوا الله لهم الفردوس الأعلى جزاء ما قدموا ـ وهو وحده عنده حسن الثواب .

وبعـــد

فهذا كتاب نعرضه فى ذكرى الهجرة ـ لما لها من أثر فى نفوس المسلمين ـ وما أجل أن يؤرخ أستاذ متخصص فى التاريخ الإسلامى لهذه الفئة الكريمة المختارة بطيب نفس ـ تمثل أول عملية انتخاب حرة مباشرة فى الإسلام ـ أدى أفرادها كل ما عليهم من واجبات وما عليهم من حقوق ـ ملتزمين بما عاهدوا الله ورسوله ﷺ عليه .

وكان عرض المؤلف مبسطا سلسا ـ شاء إلا أن يطعم بشعر جزل رقيق ـ ولعل فى موافقة فضيلة وكيل الأزهر لطبعه وتوزيعه خير دليل على ما فيه من خير للقارىء المسلم ، وهو الحريص على المال العام .. الدقيق فى اختيار الكلمة المناسبة النافعة فى الوقت المناسب .

نفعنا الله بعلم الجميع .. ووفق خطانا لما فيه خير المسلمين .

مصطفى صادق الرافعي في ذكراه التاسعة والخمسين

(١٨٨٠ ـ ١٩٣٧)

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

مَرَّتْ الذكرى التاسعة والخمسون لرحيل الرافعي ، في العاشر من مايو ، دون أن يلتفت إليها أحد ، في حين تقام المهرجانات والاحتفالات في ذكرى من هم دون الرافعي بكثير ، سواء في حقل الأدب أو غيره ؛ بل إن كثيرا من شباب الأدباء ـ وبعض شيوخه أيضاً ـ لايكاد يعرفون عن الرافعي شيئا يذكر .. وقد حفزنا هذا الأمر المؤسف إلى محاولة الوفاء لذكرى الرافعي ، بذكر بعض مايليق بمنزلته الرفيعة ، التي احتلها في نفوس أصفيائه وتلاميذه ، عن جدارة واستحقاق ، جاعلا نصب عينيه ، أن لا يحيد عن قوله الذي أثر عنه : « أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التي يأتي بها يوم ، وينسخها يوم آخر .. والقبلة التي أتجه إليها في الأدب ، إنما هي النفس الشرقية ، في دينها وفضائلها .. فلا أكتب إلا مايحيها حية ، ويزيد في حياتها ، ويمكن لفضائلها في الحياة .. ولذا لا أمس من الآداب كلها ، إلا نواحيها العليا » .

ولد الرافعي في يناير ١٨٨٠ في (بلدة بهتيم) إحدى قرى مديرية (القليوبية) ، ودرج بين ظهراني أسرة عريقة في العلم والتدين ، فكان في (أزهر) من أهله ، كما يقول الزيات ، فقد اجتمع من آل الرافعي في وقت واحد أربعون قاضيا في محاكم مصر الشرعية ، وبعد حصول

الرافعى على الشهادة الابتدائية بتفوق سنة ١٨٩٧ ، أصيب بحمى (التيفوئيد) التى تركت أثرها الشديد فى صوته وسمعه ، وحالت بالتالى دون استمراره فى تلقى العلم المنظم بالمدارس، وخاصة بعد أن فقد حاسة السمع تماماً ، واضطر إلى الإلتحاق بوظيفة صغيرة بإحدى المحاكم .. إلا أن ذلك لم يفت فى عضده، بل انكب على كتب الأدب التى حفلت بها مكتبة والده الشيخ عبدالرازق الرافعى ، الذى كان من كبار العلماء والقضاة الشرعيين فى كثير من الأقاليم ، واستظهر الرافعى الكثير من أمهات هذه الكتب ، فى ساعات قراءة يومية ، لاتقل عن ثمانى ساعات ، وكذلك اطلاعه على ذخائر مكتبة البلدية بمدينة طنطا التى ظل يعيش فيها طوال عمره ، هذا بالإضافة إلى ما اقتناه من المؤلفات والموسوعات الأدبية بعد ذلك .

وكان الرافعى دائم الاعتزاز بأن الأسرة الرافعية يتصل نسبها بالفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وتتبين ذلك بوضوح وجلاء ، فى رثائه لوالده ، عند انتقاله للرفيق الأعلى سنة ١٩١٩ م بقوله عنه :

تروعك منــه هيبــة (عمريــة) وحسبك من أمسى له (عمـــر) جدا

فجاء كنصل السيف يهتز مصلتا يد الله منـــه وحدهـــا سنت الحدا

كما اعتصرتـــه أنـــفسٌ عربيـــة رماحـــا وأسيافـــا وألسنـــة لدا

ومـــن كان فى التـــاريخ لجد جدوده تجده من التـــاريخ .. قد ورد المهـــدا

وفى الناس أبطال .. ترى الفرد منهمو وحيدا ، ومن أخلاقه .. حشد الجندا

ونستطيع أن نقف على عمق إيمان الرافعى ، وقوة عزيمته وهو يشق طريقه إلى المجد الأدبى ، خلال الوعور وصلد الصخور ، التى اعترضت مسيرته ، بسبب الوظيفة الصغيرة ، والصمم الشديد الذى ألم بأذنيه .. نستطيع أن نتبين ذلك كله ، من قوله فى قصيدته التى تحمل عنوان (أنا ونفسى) :

أعـــنتُّ نفسى حتـــى مضهـــا السأم

وكدهـــا عمـــــر .. فى الجد ينصرم

قالت تحاورنى : باويح قلـــــبك من

قلب .. بنـــى مابنـــاه .. وهـــو ينهدم

مقيّـــدٌ فى وثـــاق من خلائقـــه

فمالـــــــــــــه لذة .. إلا لها .. ألم

ينـــاشد المثـــل الأعلى وفيـــه إلى الـــ

أدنى مجاذبـــــةٌ مادام فيـــــه دم

ثم قوله لنفسه ، بعد ذلك ، وهو يحاورها :

يا نفس ويحك ! أرضى الجدُّ منك فتىً
ماضي العزيمة وثّاناً .. فمقتحم

لا تعرضي لي لذّات الهوى أبدا
فاللهو في لساني : لا .. ولا .. نعم

ما الصدق إلا أن أكون فتى
كما يرفرف ـ في أعلى الذرى ـ علم

إلى أن يقول :

شتان بين امرىء في نفسه حرم
قدسٌ ـ وبين امرىء .. في نفسه صنم !

وقوله في (عزيز قوم ذل) :

وكم من أشمّ الأنف ـ أرغم أنفه
وما كان يوما .. يطرق الرأس مرغما

إذا هم بالسؤال .. أمسك بعدها
حياءً ، فلم يفتح بمسألة فما

وهناك عبارة أثرت عن الرافعي ، بعد فقد حاسة السمع ، يقول فيها : « إذا كان الناس يعجزهم أن يسمعوني ، فليسمعوا مني » ، ومن ثم راح يدبج المقالات الرائعة ، والفصول الممتعة ، وينشرها في شتى الدوريات الأدبية ، بعد أن استكمل أداته اللغوية والبيانية .. وقد اعترف له بالتفوق النادر فيها ، أحد خصومه البارزين ، الذي دارت بينه وبين الرافعي معركة أدبية مشهورة ، ونعني به الدكتور طه حسين ، الذي يقول معترفا بما نذهب إليه :

« ... وكذلك تظلم الأستاذ الرافعي ، إن قلت : إن حظه من العلم باللغة العربية وآدابها ، وبدقائقها وأسرارها ، قليل ، وإنما الحق أن الذين يعلمون هذه اللغة ـ كما يعلمها الأستاذ الرافعي ـ قليلون جدا ، وأحسبهم يحصون ، والحق أن الذين يظهرون على أسرار هذه اللغة ـ كما يعلمها الأستاذ الرافعي ـ قليلون جدا ، وأحسبهم يحصون أيضاً »[1] أما المازني ، فقد اعترف

---

(١) انظر افتتاحية عدد مجلة (القاهرة) ، الصادر في ١١ من يونية سنة ١٩٨٥م .

(٢) انظر قصيدته بعنوان (أبي) المنشورة بعدد مجلة المقتطف ، الصادر في سبتمبر سنة ١٩١٩م ، وكذلك قوله بديوانه (النظرات) : « ومن فضل الله على أسرتنا أن نسبها بالإمام العادل عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ، رضي الله عنهم ورضي عنا بهم » جـ ١ ص ١٠٣ .

أيضا بذلك ، ولكن بعد وفاة الرافعى ، فقال فى رثائه : « ... وقد كان يوصف فى حياته بأنه حجة العرب ، وهذا صحيح إلى حد كبير ، وقد لايكون خير الحجج وأبلغها ، ولكنه حجة قوية بليغة ، ولاشك فى ذلك » .

ثم يستطرد قائلا : « وغير قليل من أدب الرافعى سيبقى على الأيام ، مابقى للأدب ذكر مقام .. وأحسبنى لا أبالغ حين أقول : إن له من آثاره مالا يرق إليه قلم فى القديم أو الحديث ، وإن له صفحات عديدة ، فى كل كتاب ، يبلغ فيها ذروة البلاغة » .

ويقول : « وكان رأيى فيه دائما أنه أعلم أهل العربية ، وأوسع أدبائها اطلاعا على علوم الدين ، ولكنه كان لايجد غيرها ، ولايستمد إلا منها .. وإنها لبحر زاخر ، ومحيط عظيم . » .

وأحسب أن هذه السطور المضيئة ، تعتبر بمثابة (رد اعتبار) للرافعى وأدبه ، بعد رحيله[٣] ، وبعدما أصابه من قلم العقاد فى كتاب (الديوان) ، الذى أصدره بالمشاركة مع المازنى ، فى العشرينيات .

كما وصف الأستاذ محب الدين الخطيب أوابد الرافعى ، بأنها : « لا يبلغ شأوها فى دقة التعبير ، وابتكار جليل المعانى .. » وحسبنا فى التدليل على صدق وصف محب الدين الخطيب لبلاغة الرافعى ، قول الأخير ، فى ذكرى صوت مقرىء ، كان قد استمع إليه فى حداثته ، قبل أن يفقد حاسة السمع « وسمعنا القرآن غضا طريا ، كأول مانزل به الوحى ، فكان هذا الصوت الجميل ، يدور فى النفس ، كأنه بعض السر الذى يدور فى نظام العالم ، وكان القلب وهو يتلقى الآيات ، كقلب الشجرة ، يتناول الماء ، ويكسوها منه .. واهتز المكان والزمان ، كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى فى كلامه .. وبدا الفجر ، كأنه يستأذن الله أن يضيء من هذا النور .. » .

وتأثير الرافعى فى الأجيال التى تلت جيله ، ظاهر بعمق ووضوح ، فى نتاج صفوة ممن أخذوا عنه ، وأقروا بفضله ، كما نلمس ذلك ، فى قول الدكتور عبده بدوى فى ذكرى الرافعى :

لست أنسى .. وكيف أنسى وخطوى
كان من روضك النضير انطلاقه
لست أنسى ـ ولم أزل بعد طفلا
كيف حاولت فى ذراك انطلاقه
كنت أفقا ، جمعت منه نجوما
فإذا الليل .. (غفوة) .. ورقراقه

(٣) أنظر كتابه (حديث الأربعاء) الطبعة العاشرة ـ دار المعارف ـ جـ ٣ ص ١٢٢ سنة ١٩٧٦ .

كل حرف زرعتـــــه .. صار يعطــــــى
أمـــلا فى النفـــوس أو .. إشراقـــة

ويقول محمود حسن إسماعيل ، مخاطبا أو معاتبا (مصر)

لم يطب للنبـــــــوغ فيك مقـــــام
لاعلـــيك الفـــداة منـــــى سلام !
المنـــارات تنطفـــــى بين كفيـــ
ـك ، ويزهـــو بشاطئـــيك الظـــلام
والصدى من مناقـــر البـــوم يحيـــا
ويموت النشيـــــــــــد والإلهام

إلى أن يقول :
أنت يامصر ، واصفحـــــى إن تعبـــنـ
ـت ، وأشجـــاك من نشيـــدى الملام
قد رعـــــيت الجميـــــل فى كل شيء
غير ما أحسنت به الأقـــــــــــلام
لم يمت من طواه فى قلبـــــــه الشر
ق .. وغـــنىّ بذكـــــره .. الإسلام

***

وقد تميز أسلوب الرافعى ، بمستوى رفيع من دقة الوصف وروعة السبك الفنى ، لألفاظه ومعانيه ، حتى أصبح ذا طابع خاص متميز ، تستطيع بسهولة ـ إذا قرأت له أى فصل من فصوله الأدبية ، أن تعرفه به ، لأول وهلة .. بخصائصه الفذة ، التى ينحو بها منحى (السمو الأدبى) ، الذى يقول عنه فى مقدمة الجزء الأول من كتابه (وحى القلم) :

ربما عابوا السمو الأدبى بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكاليف ، ولكن الحرية كذلك : إن لم يكن البحر ، فلا تنتظر اللؤلؤ ، وإذا لم يكن النجم ، فلا تنتظر الشعاع ، وإذا لم تكن شجرة الورد ، فلا تنتظر الورد وإن لم يكن الكاتب البيانى ، فلا تنتظر الأدب .

البحث موصول

---

(٤) نشرت بمجلة (الموظف) عام ١٩٣٧ .

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ عادل رفاعي خفاجة

طلب الرزق

عن المقدام ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده »[1] .

وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :

« لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خيرٌ من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه »[2] .

وعن السعي والجد طلباً للرزق أرسل القارىء عماد ميزار عبدالعظيم ـ قرية الأعلام ـ الفيوم كلمة يقول فيها .

● أرسل إلينا الصديق : عماد ميزار عبدالعظيم ـ قرية الأعلام ـ الفيوم يقول :

إن نظام الحياة يتطلب السعي والجد ، فيجب على كل مخلوق أن يكد ويسعى لتحصيل رزقه ، ولا يعتمد إلا على الله ـ تعالى ـ في ذلك ، ثم على نفسه ليحصل على ما قسمه الله ـ تعالى ـ له فلابد من السعي ، فالله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ سورة النجم ـ آيات : ٣٩ ، ٤٠

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

سورة الملك ـ آية : ١٥

فالناس في ميدان الحياة يتسابقون ، وأكثرهم سعياً أرقاهم ، وأسعدهم حالاً ، وأهدؤهم بالا .

وكفى العاملون شرفاً قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة ـ آية ١٠٥

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده ، الحديث ٢٠٧٢

(٢) المرجع السابق الحديث رقم ٢٠٧٤

من أخلاق الإسلام الصدق

أما القارىء : إبراهيم الحفناوى ـ القرين ـ شرقية فقد ارسل كلمة عن الصدق يقول فيا .

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

الأحزاب ـ ٢٣

والصدق كما نجده فى الأقوال ، نجده فى الأفعال ، فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة .

ومن أفضل الفضائل الصدق ، وقد نودى النبى ﷺ ـ زمن الجاهلية ـ بالصادق الأمين ، فما أعظمها من صفة يتصف بها إنسان .

وقد امتدح الله ـ عز وجل ـ الصادقين بقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

التوبة ـ ١١٩

وعلى الجانب الآخر ـ فقد ذم الله الكذب والكاذبين وقال وقوله الحق :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

الزمر ـ ٦٠

نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين ويحشرنا مع الصديقين إنه نعم المجيب .

سمات المرأة المسلمة

وأرسل القارىء : إبراهيم محمد على سيد رسالتين :

تناول فى الأولى «نبذة عن حياة رسول الله ﷺ» منذ أن كان يتاجر للسيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ إلى زواجه منها ، وقد كانت أول امرأة تزوجها الرسول ﷺ ولم يتزوج بغيرها حتى ماتت ـ رضى الله عنها .

وعنيت الرسالة الثانية بالكلام عن «سمات المرأة المسلمة» فأبرز أن من أهم سماتها أن تكون :

محتشمة ـ متعلمة ـ تحفظ حقوق زوجها .

ثم يقول : «.... فالإسلام يريد من المرأة أن تعتز بدينها وأن تكون كريمة بشخصيتها ، سامية بأنوثتها فالإسلام يريد للمرأة العزة والكرامة حتى لا تكون هدفا لعيون الناس وألسنتهم إذا مرت عليهم ...» .

«.... فالإسلام يحفظ للمرأة عفتها بآدابه الرفيعة وأخلاقه الكريمة فيصونها عن التبرج ويكسوها الحشمة . قال تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾

سورة النور (٣١)

فالحشمة تحميها من لفت أنظار الرجال وتذكرهم بواجب دينهم ، فيحملون لها كل تقدير

وإكبار ، لأنها ركن ركين فى بناء الأسرة المؤمنة التى قال عنها رب العزة :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

الروم ــ ٢١

الإسلام دين العلم والعبادة

● **أما رسالة الصديق مصطفى كمال عيسى مصطفى ــ أسيوط ــ موشا فيقول فيها :**

الإسلام دين علم وعبادة ، وما تخلفت شعوب العالم ... إلا لبعدها عن العلم وأسسه السليمة .

وقد فرض الله ــ سبحانه وتعالى ــ طلب العلم وأوجبه على كل مسلم .

● **ويحضرنى فى هذه المناسبة قصة أسرى بدر ، وكيف حررهم الرسول ﷺ إذ علموا بعض أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، فكانت خطوة تنفيذية لمحو الأمية . وقد وردت الإشادة بالعلم فى نصوص عديدة بالكتاب الكريم منها قول الحق تبارك وتعالى :**

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

سورة العلق ــ آية ١ : ٥

وقد جاء فى الحديث الشريف :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

ردود وتعليقات

القارىء : رضا صالح أحمد مبروك .

والقارىء : أحمد محمود الشريف .

محاولاتكما جيدة من حيث الأفكار ، وتنبىء بنبات طيب يحتاج منكما إلى الرعاية حتى يأتى أكله طيبا بإذن الله تعالى ، عليكما مداومة الاطلاع على دواوين الشعر لكبار الشعراء قديما وحديثا ، ومعرفة علم العروض والقوافى .

القارىء : رشدى عبد الحميد رمضان .

الشعر : كلام موزون مقفى ، وما يأتى على غير ذلك فليس بشعر .

والتعبير عن حب الله ــ تعالى ــ ورسوله ﷺ لا يستلزم الشعر ، بل يعبر كل إنسان بطريقته ، نثراً كان أو شعراً لا افتعال فيه .

القراء : صلاح الدين سيد محمد ــ أبو تيج أسيوط

ومصطفى حسين مهران مرسى ــ موشا ــ أسيوط

و س سوهاج . ش النيل

الطالبة ع ش .

حولنا استفساراتكم إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، رجاء متابعة باب استفتاءات القراء بالمجلة .

من ابداعات القراء

العيد أقبل

العيد أقبل ضاحكا بساما   أهلا به وتحيةً وسلاما
عيدٌ سعيدٌ قد أتانا زائراً   فانهض إليه تشوقا وهياما
والبس به الثوب القشيب تُعدُّه   للعيد قبل مجيئه إكراما
واحذر به بين الأنام تكبراً   ومعبرا عن بهجة تتسامى
عيدٌ به تصفو القلوبُ ، فما ترى   فيها عداءً أو تُحس خِصاما
والحب يُشرق في العيون فما ترى   إلا ودادا خالصا ووئاما
والله كافأنا به متفضلاً   والله يجزى المحسنين دواما
فاشكر لربك مانحا آلاءه   واذكر له الإحسان والإنعاما
واستقبلن العيد مزدهيا به   فالعيد يومٌ توّج الأياما

مصطفى محمود مصطفى
كفر ربيع ـ منوفية

ليس التقدم عريا

المرأة الفاضلة تزداد بالفضيلة والأخلاق جمالا وبهاء ، ولا تثور على الفضيلة ولا تحاربها .. ولا تقبل أن تكون دمية جميلة ـ أو أرضاً مستباحة ، وسلعة للعرض يعجب بها الناظرون .

أختاه .. لبىّ النداء!   رُدى عليك الحياء!
ليس التقدم عريا   ولا التعرى دواء!
قد سرت خلف الشقاء   فصرت أنت الشقاء!
سايرت أعداء ديني   لما نزعت الرداء!
إن التبرج نقصٌ   لا تظهرى الأشياء!
دعاكِ ربى لطهر   وأن تقودى النساء!
دعاك ربى لستر   فهل أجبت (النداء)!
إن الجمال احتشام   يُلقى عليك بهاء!
أختاه توبى وعودى   ردى عليك الحياء!

نجاح عبد القادر سرور
كفر بولين ـ كوم حمادة ـ محافظة البحيرة .



تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي ، مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يطالب بمساندة لبنان

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الندوة الوطنية التى نظمتها لجنة الإغاثة الإنسانية بنقابة الأطباء لمناصرة شعب لبنان الشقيق وحضرها ممثلون عن وزارة الخارجية وجامعة الدول العربية وأساتذة القانون الدولى وسفير لبنان فى القاهرة ونقيب الأطباء وجمع غفير من المواطنين .

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته أمام الندوة على اتفاق جميع الشرائع السماوية فى الوقوف إلى جانب المظلوم ومساعدته فى الدفاع عن حقه حتى يسترده ، وهو كذلك موقف الإسلام الذى يأمر المظلوم أن يستميت فى الدفاع عن حقه كما يأمر الناس أن يقفوا إلى جانبه وأن يمدوا له يد العون حتى ينال هذا الحق .

ودعا فضيلته فى ختام كلمته إلى تقديم المساعدات المادية والمعنوية للجرحى والمنكوبين من اللبنانيين ، وبذل كل ما يمكن من أجل مساعدتهم ونجدتهم وتضميد جراحهم .

عشر كليات جديدة بجامعة الأزهر

● ترأس فضيلة الإمام الأكبر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الذى عقد صباح السبت ٢ ذو الحجة ١٤١٦هـ ٢٠ أبريل ١٩٩٦م بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر الشريف .

وقد وافق المجلس الأعلى للأزهر فى هذا الاجتماع على إنشاء عشر كليات أزهرية جديدة للدراسات الإسلامية والعربية للبنين والبنات بمحافظات الشرقية والمنوفية والبحيرة وبنى سويف وأسوان .

كما وافق المجلس الأعلى على أن تقوم جامعة الأزهر بإنشاء وحدة علمية ذات طابع خاص لدراسة البيئة ومجالات الحياة البرية على أن تنشأ هذه الوحدة بكلية العلوم بنين جامعة الأزهر بالقاهرة .

الإمام الأكبر فى خطبة الجمعة يؤكد:

نحن ضد الإفساد

● أدى فضيلة الإمام الأكبر صلاة يوم الجمعة الموافق غرة ذو الحجة ١٤١٦هـ ١٩ أبريل ١٩٩٦م بالجامع الأزهر .

وقد ألقى فضيلته خطبة الجمعة وتناول فيها ما حدث فى جنوب لبنان والعملية الإرهابية التى وقعت فى شارع الهرم بالقاهرة .

أكد فضيلته على وجوب الدفاع عن إخواننا فى لبنان والوقوف إلى جانبهم مادياً ومعنوياً ؛ لأنه وقوف بجانب الحق وهو فرض على كل مسلم أوجبه الله ـ تعالى ـ علينا جميعاً مشيراً إلى أن أى تقصير فى هذا الواجب سوف نحاسب عليه حساباً عسيراً أمام الله ـ تعالى ـ يوم القيامة أما فى الدنيا فإن الجبن يؤدى إلى امتهان كرامة الإنسان والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكونوا كذلك .

وقال فضيلته : نحن أيضاً ضد التخريب والإفساد وقتل الأبرياء مشيراً إلى ما حدث فى شارع الهرم من قتل وجرح وإصابة لعدد من الأبرياء السائحين مؤكداً أن هذا أمر لا يقره الشرع وأن ما حدث يعد جريمة من أقبح الجرائم التى تحرمها الأديان السماوية جميعاً .

هذا وقد بعث فضيلته بتعازيه فى الضحايا إلى المسئولين باليونان .

الإمام الأكبر فى مؤتمر دولى :

يؤكد على أهمية دور الأسرة

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر المؤتمر الدولى الذى نظمه المركز الدولى الإسلامى للدراسات السكانية بجامعة الأزهر وذلك بقاعة مركز الشيخ صالح بمدينة نصر صباح يوم السبت الموافق ٢٣ ذو الحجة ١٤١٦هـ ١٩٩٦/٥/١١م وفى بداية كلمته تقدم فضيلته بالشكر لجامعة الأزهر والقائمين على المؤتمر وأشار فضيلته إلى أهمية الموضوعات التى يناقشها المؤتمر والتى تندرج فى عنوان (الأسرة فى الإسلام) مؤكداً على أهمية دور الأسرة فى تنشئة الأبناء واهتمام الشريعة الإسلامية بهذا الدور باعتبار أن الأسرة هى الدعامة الأولى فى بناء المجتمع الفاضل وأوضح فضيلته أن الضرورة ملحة فى هذا العصر الذى تتنافس فيه الأمم كى تظفر بالمعانى السامية والرقى الفكرى والخلقى .

ودعا فضيلته الأسرة ممثلة فى الأبوين إلى غرس القيم النبيلة فى نفوس أبنائها منذ الصغر حتى يشبوا على الطهر والعفاف والأدب شهد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر لفيف من رؤساء الجامعات وأساتذة وعمداء كليات جامعة الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يشهد تكريم أئمة العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الختامى الكبير الذى أقامته اللجنة العليا للدعوة بالأزهر لتكريم السادة الأئمة والوعاظ من أبناء العالم الإسلامى والذى أقيم بمدينة البعوث الإسلامية بالدراسة .

شاركت فى هذه الدورة دول : السنغال / نيجيريا/ النيجر/ زائير/ أوزبكستان/ إريتريا/ غانا/ غينيا/ زامبيا/ الصين وقد ألقى فضيلته كلمة رحب فيها بالسادة الأئمة فى الأزهر الشريف ودعاهم إلى أن يكونوا قدوة لغيرهم وأن يبلغوا ما تعلموه إلى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة أو البعد عن المجادلة والتعصب .

ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج على السادة المشاركين فى الدورة التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف على مدار العام . شهد الحفل سفراء الدول المشاركة ورجال السلك الدبلوماسى ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

ويشهد معرضا فنيا بمنطقة القاهرة الأزهرية

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر المعرض السنوى الذى تقيمه إدارة التربية الفنية والنسوية بمنطقة القاهرة الأزهرية بمقر المنطقة بمدينة نصر صباح يوم الأربعاء الموافق ٦ ذو الحجة ١٤١٦هـ ٢٤ أبريل ١٩٩٦م حيث شاهد فضيلته المعروضات وهى من وحى البيئة تضم أعمالا خشبية وأشغالا فنية من الزجاج والخيوط ، والفلين ، ورقائق ، الألومنيوم ، والنحاس ، والفخار « والبوص » والرسومات . كما ضم المعرض جزءًا خاصاً للمعروضات النسوية من ملابس ، ومفروشات ، ومنتجات التدبير المنزلى ، وتميزت المعروضات ببساطة الخامات مما أثار إعجاب الحاضرين .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر بالروعة والدقة والجمال الذى ميز جميع المعروضات نتيجة للجهد المبذول من الطلبة والطالبات والمشرفين .

شهد الحفل فضيلة الشيخ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ومدير عام منطقة القاهرة الأزهرية ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد السفير منصور علم سفير باكستان فى القاهرة الذى قدم التهنئة لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر ، كذلك نقل السيد السفير تهنئة السيدة بناظير بوتو رئيسة وزراء باكستان لفضيلته بهذه المناسبة . كما تم توجيه الدعوة لفضيلته لزيارة باكستان وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على هذه المشاعر الطيبة وحمله رسالة شكر للسيدة رئيسة وزراء باكستان وحكومة وشعب باكستان المسلم وقد وعد فضيلته بتلبية الدعوة الموجهة من السيدة رئيسة الوزراء لزيارة باكستان فى القريب العاجل .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر السادة نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة الدكتور يوسف والى والمهندس ماهر أباظة وزير الكهرباء والطاقة والسادة سفراء اليابان وروسيا الاتحادية حيث حضروا جميعاً لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير الدكتور عيسى درويش سفير سوريا بالقاهرة بمكتب فضيلته صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩ ذو الحجة ١٤١٦ هـ ـ ٧ مايو ١٩٩٦ م حيث قدم سيادته التهنئة لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف ، وحلول عيد الأضحى المبارك وإطلالة العام الهجرى الجديد .

● كذلك استقبل فضيلته فى ذات اليوم السيد السفير / رجى ألفا أورتيز سفير أسبانيا بالقاهرة لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختيار فضيلته شيخاً للأزهر الشريف ، كذلك نقل لفضيلته تهنئة ملك وملكة أسبانيا لاختياره لهذا المنصب الرفيع .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على هذا الشعور الطيب وحمله رسالة شكر لصاحب وصاحبة الجلالة ملك وملكة أسبانيا وحكومتها وشعبها .

● كذلك استقبل فضيلته فى ذات اليوم السيد السفير مصطفى عبدالعزيز مساعد وزير الخارجية المصرية للشئون العربية حيث قدم سيادته لفضيلة الإمام الأكبر التهنئة بمناسبة عيد الأضحى المبارك .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٧ ذو الحجة ١٤١٦ هـ ـ ٥ مايو ١٩٩٦ م السيد السفير/ مايكل بل سفير كندا بالقاهرة الذى قدم التهنئة لفضيلته بمناسبة توليه منصب شيخ الأزهر الشريف ، وكذلك تهنئته بحلول عيد الأضحى المبارك وإطلالة العام الهجرى الجديد .

وقد وجه السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر أثناء اللقاء الدعوة الرسمية لحضور المؤتمر الخاص بالإسلام والمسيحية « حوار عن التعاون من أجل التنمية والإغاثة » والذى سيعقد فى « أوتاوا ـ بكندا » خلال الفترة من ١٧ ـ ١٩ يونيه ١٩٩٦ برعاية الوكالة الدولية الكندية للتنمية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح الإثنين ٤ من ذى الحجة ١٤١٦هـ ١٩٩٦/٤/٢٢م بمكتبه الأستاذ الدكتور أسامة الباز الوكيل الأول لوزارة الخارجية ومدير مكتب الرئيس للشئون السياسية .

وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف مشيراً إلى الثقة الغالية التى أولاها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لفضيلته بهذا الاختيار .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أسامة الباز على هذه التهنئة الصادقة مؤكداً على استمرار مسيرة الأزهر الشريف لخدمة العلم والدين فى ربوع العالم متمنياً لتلك المسيرة دوام التقدم والازدهار لخدمة مصرنا الحبيبة بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

● كذلك استقبل فضيلته سعادة السفير ولدياها سفير موريتانيا بالقاهرة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف حيث نقل لفضيلته تهنئة حكومة وشعب موريتانيا الشقيق وقد أشاد الضيف بالدور البارز للأزهر الشريف وما يقدمه من منح دراسية لأبناء موريتانيا للدراسة بالأزهر الشريف ، وكذا إيفاد البعثات الدراسية ممثلة فى المدرسين ، والعلماء لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، بموريتانيا وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على تهنئته وحكومة بلاده معرباً عن استمرار التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية موريتانيا الشقيقة .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩ ذو الحجة ١٤١٦هـ ـ ٧ مايو ١٩٩٦م الدكتور/ محمد بكر المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة (اليونيسيف) بالقاهرة يرافقه الدكتور إبراهيم الكردانى مدير برامج الصحة والتغذية بالمنظمة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف .

وقد دار الحديث خلال اللقاء حول خطة المنظمة ونشاطها والدور الذى تقوم به فى منطقة الشرق الأوسط وعلاقة التعاون الوثيقة بين المنظمة والأزهر الشريف بما يضفى على دورها قبولا وقناعة ، لدى الجميع وذلك لما للأزهر الشريف من دور بارز على مستوى العالم .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الطيبة مشيراً إلى أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى التعاون مع المنظمة ونشاطاتها الإنسانية ما أمكنه ذلك .

● كذلك استقبل فضيلته سماحة الشيخ/ كمال سعيد الأغا نائب مفتى القدس والديار الفلسطينية وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر لتعيينه شيخاً للأزهر الشريف وبحلول عيد الأضحى المبارك وإطلالة العام الهجرى الجديد .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على مشاعره الطيبة وحمله إبلاغ تحياته لأبناء الشعب الفلسطينى داعياً المولى ـ عز وجل ـ أن ينعم عليهم بالسلام والأمن والأمان والاستقرار والرخاء .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / صلاح عبد الحميد بشير

الظلم الدولى يتواصل

أفادت الأنباء الواردة من العاصمة البوسنية (سراييفو) أن المنسق الدولى للشئون المدنية اقترح تأجيل الانتخابات فى مدينة « مستار » المقسمة حالياً بين المسلمين والكروات ، وذلك فى ظل اعتراض المسلمين على الانتخابات المزمع إجراؤها بسبب استبعاد مواطنى المدينة ـ مسلمين وكروات ـ الذين أجبروا على الخروج من ديارهم خلال الحرب واستبعاد من عاد منهم بعد انتهاء القتال .

وهناك اتفاق فى طريقه إلى التنفيذ لضم الجيشين البوسنى والكرواتى فى قيادة واحدة يكون مركزها البوسنة .

الحريرى يبحث الاعتداءات الإسرائيلية

اجتمع السيد / رفيق الحريرى رئيس الوزراء اللبنانى فى زيارة قام بها للعاصمة البلجيكية بروكسل مع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبى ، حيث بحث معهم خطط إعادة إعمار لبنان واحتياجات بلاده فى هذا الصدد ، وقدم الحريرى تقريراً لوزراء الاتحاد الأوروبى عن الأضرار الجسيمة الناجمة عن الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة والتى كان آخرها حملة عناقيد الغضب » التى نفذها الجيش الإسرائيلى وراح ضحيتها مئات من المواطنين العزل . وقد تبين أن جهات مسئولة فى الغرب الأقصى كانت على علم بضرب المدنيين ولم تتحرك لمنع العدوان على العزل .

ثوار الشيشان يواصلون الجهاد

اشتدت حدة القتال فى جمهورية « شيشنيا » ونقلت الصحف عن وكالة (انترفاكس) الروسية قولها : أن القوات الروسية تقوم حالياً بـ « تمشيط » العاصمة الشيشانية (جروزنى) بحثاً عن مقاتلين نفذوا نحو ثلاثة عشر هجوماً على مواقع الجيش الروسى هناك .

الرئيس الصينى فى القاهرة

تلبية لدعوة من الرئيس محمد حسنى مبارك ـ قام الرئيس الصينى جيانج زيمين بزيارة لمصر استغرقت عدة أيام ، وعقد الرئيسان مباحثات دارت حول دعم العلاقات الثنائية فى شتى المجالات فى مقدمتها مسيرة السلام فى الشرق الأوسط . وعقدت ثلاث إتفاقيات فى المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافة .

القمــة الثلاثيــة

أبرزت وسائل الإعلام الدولية أنباء القمة الثلاثة التى شهدتها القاهرة يوم السبت ٢٣ من ذى الحجة وضمت زعمــاء مصر والأردن وفلسطين . حيث أكد الزعماء على ضرورة إزالة العقبات التى تعترض مسيرة السلام خصوصاً على المسار السورى اللبنانى .

مشكلة حنيش فى طريقها للحل

أثنى الوكيل الأول لوزارة الخارجية اليمنية على الجهود المصرية التى أدت دوراً كبيراً فى التوصل لاتفاق المبادىء الخاص بحل أزمة جزر حنيش بين اليمن واريتريا . وذكر فى حديث خاص لإذاعة « صوت العرب » أن الاتفاق يتضمن إنشاء هيئة محكمين من خمسة أشخاص تلتزم الدولتان بما تتوصل إليه من قرارات .

على طريق الوحدة الإسلامية

أنشئت شبكة خطوط حديدية تصل البحر المتوسط والخليج العربى بآسيا الوسطى والصين ، دون عبور الأراضى الروسية . وافتتح الخط برحلة من مدينــة مشهــد إلى مدينــة سراخس التركمانستانية .

Celui qui réfléchit sur les pratiques du culte découvre qu'elles ne sont pas des objectifs en eux-mêmes mais des moyens en vue d'arriver à des buts. Au sujet de la prière Allah dit: **[Accomplis la Prière, en vérité la Prière préserve du libertinage et de ce qui est blâmable. Le Rappel d'Allah est encore certes ce qu'il ya de plus grand. Et Allah sait ce que vous faites].**

Surate 29-"Al -Ankabout"(L'araignée)V.45.

Donc, la prière est un moyen de nous préserver de la turpitude et de la corruption. Celui que sa prière n'empêche pas de la corruption, nous lui disons que le moyen n'a point donné ses fruits et n'a pas mené au but.

Voici un autre exemple: en parlant du jeûne Allah dit:**[Ô vous les croyants ! le jeûne vous a été prescrit comme il a été prescrit à ceux qui vous ont précédés, peut être serez-vous pieux].**

Surate2-"Al Bakara" (La Vache)V.183

Donc le jeûne est un moyen pour atteindre la piété.

Le Prophète -b.s-a dit:*"Celui qui ne délaisse pas la calomnie et les faux propos, Allah n'a pas besoin qu'il se prive de nourriture et de boisson".*

Hadith rapporté par Al -Bokhary.

De même, la Zakat ou l'aumône prescrite n'est qu'un instrument de solidarité sociale. Elle incite à la piété et à la charité chez les riches envers les pauvres ce qui fait régner la compassion et l'affection réciproques entre les gens.Allah à plusieurs reprises, a averti de ne pas rappeler aux pauvres les dons qu'on leur fait car ceci annule la charité.Il dit:**[Ô vous les croyants! n'annulez pas vos aumônes par un rappel ou un tort].**

Surate 2-"Al-Bakara" (La vache)V.264.

L'aumône vise à initier son faiseur à sentir que le pauvre est son frère dans l'Islam, et qu'il a des droits sur lui, ce qui fait naître en lui le sentiment de fraternité. Il en est ainsi pour toutes les qualités morales telles que: la piété filiale, le respect des liens de parente, la prise en charge des orphelins, les bons rapports de voisinage, le bon traitement de l'épouse, l'hospitalité, le pardon, la clémence, la générosité, l'honnêteté, la justice et d'autres vertus semblables.

Si toutes ces vertus règnent dans une société, les membres de cette société seront vertueux et vivront en paix et dans une parfaite entente.

Si au contraire, on a négligé d'y cultiver les qualités morales, les défauts tels que l'adultère , le cambriolage, la duperie, la trahison, la médisance, la calomnie, le crime l'usure , le libertinage et les hostilités y régneront. Une telle société corrompue engendrera des membres corrompus, les droits y seront piétinés, les principes moraux disparaîtront, ce qui causera un effondrement profond de la nation.

Dans les chapitres suivants, chaque qualité sera traitée séparément; l'ensemble donnera une idée générale de l'homme vertueux tels que le Prophète. -b.s- qui en est le modèle parfait et les saints hommes qui l'ont suivi.

Seigneur! préserve-nous de tout défaut répréhensible et de toute action vaine.Accorde Ta bénédiction et Ton salut à notre Prophète Mohammed -b.s-,à sa famille, à ses compagnons, à ses alliés et à tous ceux qui suivent son chemin, jusqu'au Jour Dernier. .

LES QUALITES MORALES DU VRAI MUSULMAN

par Hoda Hussein Chaâraoui

Allah-gloire à Lui - rappelle ainsi à son Prophète-b.s-les qualités morales dont Il l'a pourvu : [**Tu es certes, doué de très nobles qualités**].

Surate 68 -"AL-Qalam" (La Plume)V.4

Interrogée sur son caractère Aïcha - A.S.e-a dit:" *La source de ses qualités c'est le Coran*". En déterminant le but de sa mission, le Prophète-b-s- a dit :"*J'ai été envoyé pour parfaire les nobles traits de caractère*".

Hadith rapporté par Al Baihaquey et Ahmed.

A maintes reprises, le Prophète-b.s-montra le mérite des nobles traits de caractère; il a dit -"*Dans la Balance rien n'égale en poids un noble caractère*".

Hadith rapporté par Ahmed et Abou Daoud

-"*La piété n'est que la noblesse de caractère*".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

-"*Ceux parmi vous qui seront les plus proches de moi le Jour de la Résurrection et que j'estime le plus sont ceux qui sont dotés des meilleures qualités. Ceux parmi vous qui seront les plus éloignés de moi le Jour de la Résurrection et que je déteste le plus sont les bavards, les insolents et les vaniteux*".

Hadith rapporté par Al-Tirmidhy.

-Lorsqu'on lui demanda :

"*Qu'est ce qui donne le plus accès au Paradis?*

Il répondit:"*C'est la crainte d'Allah et la noblesse de caractère*".

Hadith rapporté par AL-Tirmidhy.

Le caractère est un ensemble de qualités et de défauts enracinés dans l'âme, commandant tout acte volontaire, bon ou mauvais. Il est conditionné par la bonne ou mauvaise éducation. Le bon caractère peut être un don d'Allah, comme c'est le cas pour les prophètes, c.à.d que l'homme naît doué d'une saine raison et d'un bon caractère. Mais il peut être également acquis à force d'application en accomplissant les oeuvres méritoires . Citons comme exemple la générosité: comment peut-on l'acquérir? c'est en s'efforçant de dépenser dans toutes les voies du bien, en invitant les gens à sa table, en donnant l'aumône aux nécessiteux, tant et si bien que cela devient une seconde nature aisément et sans affectation. Il en est de même pour toutes les autres qualités recommandées par l'Islam.

Le Prophète-b.s-invoquait son Seigneur en ces termes:"*Ô Allah! guide-moi vers le meilleur des caractères; nul autre que Toi ne peut guider vers cela! Eloigne-moi de la corruption, nul autre que toi ne peut m'en éloigner*".

Hadith rapporté par Moslem

de la foi qui apaise sa peine. Que toute personne éprouvée par la perte d'un être cher ou frappée d'un malheur, pense à la mort de notre prophète Mohammad — à lui bénédiction et salut—

En effet, la mort dont nous sommes témoins à tout instant est une chose universelle et Seul le Créateur de cet univers y fait exception:

(Tout est périssable sauf la face d'Allah). Le problème de la mort est commun non seulement à tous les êtres mais encore à tout ce qui est créé par le Maître de l'univers. Ce n'est donc pas seulement l'être humain qui est voué à la mort, mais tout notre univers.

Les hommes pieux et les incroyants meurent mais, lorsqu'ils seront ressuscités, ils ne subiront pas tous le même sort mais seront rétribués selon leurs actions.

Notre seule consolation face à cette grande perte c'est de penser que cet homme qui, en toutes ses actions, ne craignait qu'Allah et n'aspirait qu'à l'approbation de son Seigneur sera dans le paradis de l'Eden, séjour des bienheureux et des hommes pieux.

Eloge funèbre du révérend Cheikh Gad Al Haq Aly Gad Al Haq, cheikh d'Al-Azhar

par Dr. Rokeya Gabr

Un grand malheur a frappé la nation islamique par la perte du révérend Cheikh d'Al-Azhar.

En moins d'un mois, trois de nos éminents ulémas sont décédés: d'abord, le grand écrivain islamique Khalid Mohammad Khalid dont les écrits ont enrichi la bibliothèque islamique, ensuite le grand Cheikh Al Ghazali qui fut l'exemple même de l'uléma et du penseur musulman éclairé. A ces deux grands nous est venu s'ajouter celui de l'Imam des musulmans, le Cheikh Gad Al Haq, Cheikh d'Al-Azhar dont le nom restera toujours gravé dans l'histoire de la nation islamique comme étant une personnification du rôle universel, joué par l'Islam. Il envoya dans tous les coins de la terre les ulémas d'Al-Azhar comme avertisseurs et annonciateurs afin de faire mieux connaître le message de l'Islam.

Notre seule consolation en ce jour, ce sont les paroles de notre messager - à lui bénédication et salut: "Lorsque meurt le fils d'Adam toute son oeuvre prend fin, à l'exception de trois choses: une aumône permanente, un fils pieux ou un savoir utile. Or, notre défunt Imam a réuni en lui ces trois choses: il a multiplié les instituts azharistes dans tous les coins d'Egypte ainsi que dans d'autres pays et il a fondé plusieurs branche de l'université Al-Azhar, non seulement en Egypte mais encore en d'autres pays.

En cette situation je ne peux que répéter ce qu'Allah par Sa bénicence nous a enseigné: "Nous appartenons à Allah et c'est vers lui que nous revenons". Quiconque prononce ces paroles éprouve cette quiétude

REVUE
AL AZHAR

Vol-69 Part I

Al Muharam 1417 H./May-June 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

It is a continuous structure. The absence of major discontinuities or flaws is stated as follows:

***Do they not look at the sky above them?- How We have made it and adorned it, and there are no flaws in it?* [50/6]**

The earth atmosphere is permanently stable. It is stabilized by gravity (mountains also probably have a role), and by equilibrium between the atmospheric gases and the products of chemical and biological reactions on earth:

***And We have made the heavens as a canopy well guarded*[21/32]**

It will so remain until major disorders occur such as the "Resurrection":

***When the sky is *scraped off** [81/11]**

***When the sky is rent asunder* [84/1]**

***When the sky is cleft asunder* [82/1]**

The atmosphere plays a vital role in preserving the air (essential for biological life) from escaping away into space. In its lower layers, water vapour evolved from plants and water surfaces (seas and oceans) condenses and "returns" to the earth as rain. Also, thermal radiation reflected back (returned) from the atmosphere is not allowed to leak away. So does wireless waves ... etc. The Quraan describes this "returning" effect as:

***By the *sky* which giveth the *return** [86/11]**

He set on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you [31/10]

And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with them [13/2]

10-The sky:

The earth atmosphere around us actually consists of a number of layers. Each has a characteristic composition and physical properties. This rather modern discovery could be an interpretation of the multiple "heavens, one above the other", referred to in the Quraan. Another possible interpretation could be the different components of the infinite cosmos, e.g. galaxies, stars therein, planets, moons, black holes, inter-galaxy and intra-galaxy spaces:

See ye not how Allaah has created the seven heavens one above another [71/15]

And (have We not) built over you the Seven firmaments [78/12]

And We have made, above, seven tracts [23/17]

These layers represent a perfectly stable structure:

What! are ye the more difficult to create or the heaven (above)? (Allaah) hath constructed it: on high hath He raised its canopy, and He hath given it order and perfection [79/27-28]

susequent night hides away the sun i.e. it is not that the sun disappears away by its own motion.

The concept of motion is also implied from the expression "stripping" or "withdrawal":

***And a sign for them is the night; We strip off therefrom the day* [36/37]**

It is also implied from the "motion" of the mountains", i.e. their motion with the moving planet earth, as in the verse:

***Thou seest the mountains and thinkest them firmly fixed: But they ... pass away as the clouds pass away* [27/88]**

9-Mountains:

Mountains have a prominent role in stabilizing the earth's crust, during the continuous motion of the earth, with all its burdens of molten magma and vapours below the lithosphere. The floating lithosphere is divided into 15 major tactonic plates, whose boundaries and other faults can move freely, producing earthquakes and volcanoes. Mountains do contribute to minimizing such phenomena. The stabilizing role of mountains is emphasized in the Quraanic verses:

***And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you* [16/15]**

***And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with them* [21/31]**

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part III

by Nabil Abdel-Salam Haroun

More Proofs

This article presents more proofs as to why should an intellectual embrace Islam. These proofs are based on scientific and historic evidence. In part I and II we have given seven of these proofs; in this article three more are given to be followed my more proofs in articles to come.

8-The earth:

Earth is almost a sphere, that rotates around its own axis, resulting in the alternation of nights and davs. So says the verse:

***He makes the night *roll about* the day, and the day *roll about* the night* [39/5]**

The earth's motion is also understood from the Quraanic statement:

***By the sun and *its* (glorious) splendour; By the moon as *it* follows *it*; By the day as it shows up (the sun's) glory; By the night as it conceals it* [91/1-4]**
i.e. daytime brings into vision sunlight (by earth's motion), not vice versa (i.e. sun's motion). The

of the months of Ramadan and laid down in general what was forbidden and what was allowed. The five daily prayers were regularly performed openly in congregation, and when time of each prayer came the people would assemble at the site where the Mosque was being built. Also in Medina in the month of Sha'ban came a revelation that ordered the Muslims to turn their faces in the direction of the Ka'bah for the performance of the prayers. This revelation was accepted with joy by the prophet and his companions.

With the prophet's arrival to Medina a new era dawned and a new responsibility was laid on his shoulder. In Medina, in addition to his concern with the fundamentals of his faith oneness of Allah, resurrection, purification of sould etc, the prophet now began to be manily preoccupied with the building a new strong nation that had its political and social structure. His main target was to build an Islamic nation.

It was not long after his arrival in Medina that the prophet (PBUH) had received a revelation giving him the permission or in other words, commanding him to defend Islam and fight its enemies wherever they had been.

Being conscious of the fact that the prophet's Hijra to Al-Madina was a turning point in the status of Islam, Muslims dated their new era from this year of the migration (Hijra). It began on June 16, A.D.622

Last to be said but not least is that the prophet's (PBUH) life whether in Mecca a Medina, his Sufferings and triumph will remain for Muslims and non-Muslims alike a symbol of modesty, faithful devotion, dedicated service to Allah, hightly appreciated ideal and a high example of manhood.

In order to Unite the Commuinty of believers still further, the prophet now instituted a pact of brotherhood between, the Helpers and the Emigrants so that each of the Helpers would have an Emignant brother who was nearer to him then any of the Helpers and the same was applied to the Emigrants who would have a brother nearer to him than any of the Emigants. Meanwhile, the prophet did his best to ensure ending the long sued that had long existed between the clans of Aws and Khazraj and whose Union had given the Arabs of Yathribe a formidable strength.

After establishing a brotherhood between Helpers and Emigrants, the prophet's second task was to have an alliance with the neighbouring Jews and Arab pagans for a common defence and security and peace in Yathrib. Henceforth, the prophet made a covenant of mutal obligtion between his followers and the Jews of Yathrib forming them into a single community of believers but allowing for differnces between the two religions. Muslims and Jews were to have equal status equal rights and equal duties regarding the safety of the country. In case of war against the poly-theists they aught to fight as one people, and neither Jews for Muslims were to make separate peace, but peace was to be indivisible.

Though there was a great hope that the oasis would be one harmonious whole, yet the Revelation now gave warning of hidden elements of discord, i.e. the hypacrites who appeared among the ranks of the time Muslims after the prophet's migration to yathrib. The hypacrites were those people who embraced Islam not for spiritual reasons but for worldly reasons and worldly gains. Despite this, the prophet was determined that his second task should fusing the Muslim congregation of various clans into one solid nation with one loyally, Islam, and one brotherhood transcending tribal customs and traditions.

Now, in Medina Islam began to take its desired position. The long Surahs of the Qur'an began to be revealed to the prophet. It was in Medina that the Revelation prescribed the giving of alms and the fast

The prophet (PBUH) had reched the Oasis on Monday 27 September AD 622. Various messages soon made it clear that the people of Medina were impatient for his arrival there, so he stayed there full days in Quba' during which he laid the foundations of a mosque, the first to be built in Islam. On Friday morning he set out from Quba' and at noon he and his companions stopped in the vally of Ranuna to pray the prayer with the Khazrajite chan of the Bani Salim who were expecting him. This was the first Friday prayer that he prayed in the country that from now on was to be his home. Some of his kinsmen of the Bani An Najjar had came to meet him, and some of Bani 'Amr had escorted him from Quba', which brought the whole congregation up to about a hundred men. After the prayer the prophet (PBUH) mounted his camel, Qaswa', and Abu Bakr and others also mounted their Camels and set off with him for Al Medina (the City).

Members of each clan tried to direct Muhammad's camel toward their quarters so that he would become their guest. He asked them to let the animal go freely and stop where it would be best for everybody for as he said: "She is under the command of Allah". Thus, where it stopped, he chose his abode. Today, it is the famous Shrine where the prophet's tomb stands and it is visited yearly by thousands of Muslim pilgrims.

On that spot he lived, directed the affairs of the new nation and built the first masjid or mosque of Islam, and on that spot he died. In fact, after thirteen years of intensive struggle to survive, the prophet at last found a second home where he can defend himself and lay the bases of a strong Muslim nation Capable of spreading Islam all over the would.

The Muslims of Medina, after the praphet's arrival, had been given by him the title of Ansar which means Helpers, whereas the Muslims of Qureish and other tribes who had left their homes and emigrated to the oasis he called Muhajirah, viz Emigrants.

behind them with his flock to cover up their tracks. When they reached the cave, Abu Bakr sent his son Abd Allah with the camels to hear what was going on there in Mecca and to return them the next day together with Amir to cover up the tracks of Abd Allah between Thawr and Mecca.

An interesting event that is worth mentioning here is that on the third day of their stay in Mount of Thawr the Silence of their mountain sanctuary was broken by the Sound of birds — a pair of rock doves — Cooing and fluttering their wings outside the cave. Then after a while they heard men's voices approoching near the cave, then they heard them standing outside the cave. These men had not entered the cave because they were sure that no one could possibly be there and they went back.

After the men's departure the prophet (PBUH) and Abu Bakr went to the mouth of the cave. To their astonishment there infront of it, almost covering the entrance, was an acacia tree, about the height of a man, which had not been there that morning and over the gap that was left between the tree and the wall of the cave a spider had woven its web and there in the hollow of a rock a dove had made a nesting place and was sitting close as if she had eggs. This mircalous event signifies but only one essential truth that Allah Almighty had never abandoned his faithful messenger.

On this Same day, the prophet (PBUH) and Abu Bakr rode off to Yathrib accompanied by a guide. After a long, hard, tiring journey, the prophet (PBUH) had finally reached the Oasis of Quba' where most of the emigrants from Mecca had first stayed and where many of them still were. The people of Quba', who heard of the news from Mecca of the prophet's disappearance, were expecting him daily, for the time of his arrival was now overdue. Every morning some of them would go out to look for him until at last he arrived together with Abu bakr. He was received with great joy and was greeted by all men, women and children. He was welcomed as well by pagans and Jews each for a different reason. Aday or two after his arrival he was followed by Ali who had returned all the property to its various owners as the prophet ordered him.

companions had left Mecca Save Abu-Bakr and Ali whom the prophet asked to remain with him.

The Qureish were on their guard. The migration of the Prophet (PBUH) to rival city was harmful to them, so they determined to prevent it at all costs. The idolaters of Qureish assembled to plot againt the prophet's life. Various suggestions were made but the only effective one which was accepted was that made by Abu Jahl. His suggestion was that every clan was to nominate a strong, reliable and well-connected young man and at a given moment all these chosen men together Should fall upon Muhammad, each Striking him a mortal blow so that his blood would be on all the clans and thus preventing the Hashimites from taking vengeance on a single clan and in the meantime getting rid of a man who, as long as he lived, would give them no peace.

At that time Gabriel Came to the prophet (PBUH) and told him what he should do and told him of the idolaters conspiracy against his life. Consequently, the prophet (PBUH) went to Abu Bakr and told him that Allah Had Allowed him to leave Mecca and to emigrate together with Abu Bakr who wept for joy on hearing these wonds. Meanwhile the prophet (PBUH) informed Ali that he was about to leave for Yathrib, bidding him to stay behind in Mecca Until he had given back to their owners all the goods which had been Kept Safe, for them by the prophet who had never ceased to be Known as Al-amin (the trustworthy)

The young men chosen to kill the prophet (PBUH) met outside his gate after nightfall waiting the appropriate time to plunge their swords into him. At that time the prophet (PBUH) asked Ali to deceive the idolaters by sleeping in his bed and wrapping himself in the prophet's clook. Losing no time, the prophet and Abu Bakr went out through a window at the back of his house without being noticed by the young men they rode two Camels and made for a cave in the Mount thawr.

Amir bin Fuhayrah, the Shepherd whom Abu Bakr had bought as a slave and then set free and put in charge of his sheep, had followed



turn his hopes away from his tribe and City to other cities and tribes which would postively respond to the new religion and embrace it. The hearest and the strongest Competitor of Mecca was the City of Al-Ta'if fifty miles Southeast of Mecca. With his Servant the prophet (PBUH) walked up the rugged mountains to the city. He visited the tribal leaders and quietly asked their help. He was refused and badly treated. Hence, the prophet (PBUH) deeply desperate and frustrated went back to Mecca and on his way he appealed to Almightly for His mercy.

In that Sad year of recurring Calamities and gloom, when the tragedy seemed about to engulf Muhammad's mission, a gleam of hope Came to relieve him from his grief and to strengthen his faith in Allah Who has never for Saken him. During the pilgrimage Season and the Sacred months, when the traditional laws for bade violence, the prophet (PBUH) had by happy chance converted few people from Yathrib, who swore allegiance to him and pledged to worship Allah and not to steal nor Commit adultery nor kill their children nor disobey the prophet (PBUH) in anything. This pledge came to be known as the First pledge of Al-Aqabah (Bay'at-al-'Aqabah).

When these people left for Yathrib, the prophet (PBUH) sent with them Mus'ab of Abd Ad-Dar who had by that time returned from Abyssinia. He was to recite the Qur'an to them and give them religious instructions. The next year, following the pilgrims Season, Came a Second pledge from the people Yathrib when seventy of the Yathribites from Al Aws and Al Khazraj came again to 'Aqabah, and secretly pledged themselves and their people to defend the prophet (PBUH) as they would defend their own wives and children.

Mecca, now, was no longer a safe place for the Muslims to reside in because of the continuous inhuman persecution of Qureish for the Muslims. Therefore, the prophet (PBUH) began to direct those who had returned from Abyssinia and other converts to emigrate and head for Yathrib.Quietly they started to move out. In a few months more than hundred families left their homes and possessions and migrated to Yathrib. It was not long before all the prophet's closest

Commemorating the Prophet's Hijra (migration) to Al-Medina

By
Nahed Mohamed M. Wasfi Ph.D.

Now that we are approaching the beginning of a new Hijra year we should not let such an occasion escape our attention as long as it fills our hearts and Souls with Sublime and elevated Spiritual feelings and reminds us of the prophet's long and hard struggle, painful suffering and great sacrifices for the sake of Islam.

No doubt, the word Hijra (migration) has its special Significance for all Muslims because it marks the beginning of a new epoch in Islam. It marks the laying down of the true foundation of the Islamic Society and the Islamic nation (Ummah).

In fact, the prophet's (PBUH) emigration to Yathrib which was later called Al-Medina (the City) was not arandom or a haphazard matter or mere coincidence. There were many important factors that paved the way for this outstanding, great event which signified the advent of a new era.

As a starting point let's talk about the year of Sadness which was the most remarkable event that preeded the prophet's (PBUH) migration later on. In this year the prophet (PBUH) lost his Uncle Abu Talib his protector who was followed by his faithful Khadijah, the first convert of the prophet (PBUM, his beloved wife, adviser and comforter. After the loss of his Uncle and his wife who were so dear to his heart, the prophet (PBUH) felt helpless but never lost hope in his new religion or in Allah Almighty. Enduring all Kinds of Sufferings at the hands of Qureish idolaters, the prophet (PBUH) began to be aware that preaching in Mecca became hopeless, thus, He decided to

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Al Muharam 1417 H.

Vol-69 Part 1



الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد

ع ٢٢٢٢٦
دوريات



الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
دكتور / علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
علي خاطر عبد الرحيم
سكرتير التحرير
عادل فاضل خفاجة

المراسلات باسم رئيس التحرير - إدارة الأزهر
القاهرة
ت ٥٩٩٠٥٨٢٢٣٨ - ٥٩٠٠٥١٧٣
الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

العباس رضي الله عنه وصحبة الكبار

صحبة الكبار ليست أية صحبة ، ذلك لأنها صحبة مسئولة عن أداء الأمانة - أمانة للأمة ، وأمانة للكبير - في إخلاص وصدق وأدب وكياسة ، وذلك كله لم يفُت العباس عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد رأى وَلَدَهُ عبد الله - رضي الله عنه - قريبا إلى عُمَر ، وقريبا من عمر - رضي الله - تعالى - عنهم أجمعين ، فقال - لولده :

يا بني ، إني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ، ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وإني أوصيك بخلال أربع :

« لا تُفْشِيَنَّ له سرًا ، ولا يُجَرِّبَنَّ عليك كذبا ، ولا تغتابَنَّ عنده أحداً ، ولا تطوِ عنه نصيحة »[1] .

---

(١) ابن قتيبة - عيون الأخبار ١٩/١ - التراث للجميع

فى الوصية يثبتان حق للكبير ، وثنتان تصونان المشير ؛ فإن أسرار الكبير خطيرة ، وصلتها بالأمة وثيقة ، فإذاعتها خيانة ، ونشرها ضياع ، ثم من حق الكبير بَسْطُ المشورة له ، بما للمشورة من حق الإخلاص ، واستيعاب ثغرات الأحداث ، والفطنة فى اختيار الأصلح لسدادها ليتم لها الإحكام والفلاح .

تلكما حق الكبير .

وصِدْقُ المشير كرامة له ورفعة ، واستعلاؤه على الغيبة وَفْرَةٌ لوقاره ، وصِدْق دينه ، وجلال قَدْرِه .

ثم مَنْ عمر ..؟ ومن ابن عباس ..؟

أما عمر فإنه الأمير الذى يعلم كيف يستشير ، فلا تَتَفَشَّعُ عليه الأمور ، وكيف يختار المشير ؟ فيطوقه ــ بداية ــ بالأمانة حتى يدع الأمر بينه وبين ربه ؛ فإن أدّاها فبها ونعمت ، وإلّا فَعُمَرُ براء ، كذلك فإن عمر لم يتخذ بطانة من دون المؤمنين ؛ لِعِلْمِه ــ من عِلْم الله ــ تعالى ــ ما استكنت عليه قلوبهم من ضغن وحقد ؛ فهم الذين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[2] فأية أمانة يؤدونها للمؤمنين إذا استشيروا ؟ وأية نصيحة يخلصونها وغيظ قلوبهم متقد ، وخبثهم متصل ، وهدفهم موروث .

وهل بقى ــ بعد ذلك ــ مؤمن لم يخلص لعمر النصيحة ، لقد ألقاها فى وجوههم كلمة صريحة : « لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها » .

وأما ابن عباس فما كان ليكذب ، وهو ربيب النبى ﷺ وإمام الفقه والتأويل ، العليم بقوله ــ تعالى : ﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3] وإنه لأرفع قدراً من أن يغتاب ، وأخشى لله ــ عز وجل ــ أن يقع فى عرض مسلم . كيف وحديث رسول الله ﷺ واضح ساطع فى بيان نتيجة السعى لاستكشاف ضمائر الناس وطوية نفوسهم لما فى ذلك من إفسادهم ..؟!

قال ﷺ : « إن الأمير إذا ابتغى الفتنة فى الناس أفسدهم »[4] وليس يقع هذا الفساد إلا من مشير سوء . وبعد :

فهذا حق الأمير على المشير ، وواجب المشير على نفسه وعلى الكبير ، وفى ذلك التزام بحفظ الأمير وأمانة المشير فى تلك الوصية العصماء .

د. على أحمد الخطيب

---

(٢) التوبة ــ ١٠ .

(٣) آل عمران ــ ٦١ .

(٤) رواه أبو داود ٢/ ٥٧٠ ، وأحمد ٦/ ٤ .

مقاصد سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

سورة البقرة أطول سورة فى القرآن الكريم ، فقد استغرقت جزأين ونصف تقريبا من ثلاثين جزءاً قسم إليها القرآن . وتبلغ آياتها ستاً وثمانين ومائتى آية . وقيل : سبع وثمانون ومائتا آية .

وسميت بذلك لأنها انفردت بذكر قصة البقرة التى كُلّف قومُ موسى بذبحها بعد أن قُتِل فيهم قتيل ، ولم يعرفوا قاتله .

وهى مدنية بإجماع الآراء ، وقد ابتدأ نزولها بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة ، وقد نزل معظمها فى السنوات الأولى من الهجرة ، واستمر نزولها إلى قبيل وفاة النبى ﷺ بفترة قليلة . وكانت آخر آية من القرآن نزولا منها ، هى قوله ـ تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1] .

مناسبتها لسورة الفاتحة :

هناك مناسبة ظاهرة بين السورتين ، لأن سورة الفاتحة قد اشتملت على أحكام الألوهية والعبودية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم اشتمالا إجماليا ، فجاءت سورة البقرة ففصلت تلك المقاصد ، ووضحت ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من هدايات وتوجيهات .

فضلها :

وقد ورد فى فضل سورة البقرة أحاديث متعددة ، وآثار متنوعة : منها ما جاء فى مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذى والنسائى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ؛ فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان .

---

(١) الآية ـ ٢٨١

وروى ابن حبان في صحيحه عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ «إن لكل شيء سَنام ، وإن سَنام القرآن البقرة ، وإن قرأها في بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام» .

روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال : «بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذو عدد ، فاستقرأ كل رجل منهم ـ يعني ما معه من القرآن ـ فأتى على رجل من أحدثهم سناً ، فقال : ما معك يافلان ؟ فقال : معي كذا وكذا وسورة البقرة . فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم قال : اذهب فأنت أميرهم ، فقال رجل من أشرافهم : والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها . فقال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن واقرأوه ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه ، فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك .

قال القرطبي : وهذه السورة فضلها عظيم ، وثوابها جسيم ، ويقال لها : فسطاط القرآن ، وذلك لعظمها وبهائها وكثرة أحكامها ومواعظها[٢] .

مقاصدها :

● عندما نفتح كتاب الله فنطالع فيه سورة البقرة بتدبر وعناية ، تراها في مطلعها تنوه بشأن القرآن الكريم ، وتصرح بأنه حق لا ريب فيه ، وتبين لنا أن الناس أمام هدايته على ثلاثة أقسام :

قسم آمن به وانتفع بهداياته فكانت عاقبته السعادة والفلاح .

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٣] .

وقسم جحد واستكبر واستحب العمى على الهدى ، فأصبح لا يرجى منه خير ولا إيمان ، فكانت عاقبته الحرمان والخسران .

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]

ثم فصلت السورة الحديث عن قسم ثالث : هو شر ما تبتلى به الأمم ، وهم المنافقون الذين يظهرون خلاف ما يبطنون . وقد تحدثت السورة عنهم في ثلاث عشرة آية ، كشفت فيها عن خداعهم ، وجبنهم ، ومرض قلوبهم ، وبينت ما أعده الله لهم من سوء المصير ، ثم زادت في فضيحتهم وهتك سرائرهم فضربت مثلين لحيرتهم واضطرابهم ، قال ـ تعالى ـ :

(٢) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٥٢ .
(٣) الآية ـ ٥
(٤) الآية ـ ٧

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[5] ،

إلى أن يقول :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6] .

● ثم وجهت السورة نداء إلى الناس جميعاً دعتهم فيه إلى عبادة الله ـ وحده ـ وأقامت لهم الأدلة الساطعة على صدق هذه القضية ، وتحدتهم ـ إن كانوا في ريب من القرآن ـ أن يأتوا بسورة من مثله ، وبينت لهم أنهم لن يستطيعوا ذلك لا في الحاضر ولا في المستقبل .

● ثم ختم الربع الأول منها ببشارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، جمعت لذائذ المادة والروح ، وهم فيها خالدون .

● ثم قررت السورة الكريمة أن الله ـ تعالى ـ لا يمتنع عن ضرب الأمثال بما يوضح ويبين دون نظر إلى قيمة الممثل به في ذاته ، أو عند الناس ، كما قررت أن المؤمنين يقابلون هذه الأمثال بالإيمان والإذعان ، أما الكافرون فيقابلونها بالاستهزاء والإنكار .

وقد وبخت السورة بعد ذلك أولئك الكافرين على كفرهم ، مع وضوح الدلائل على وحدانية الله في أنفسهم ، وفي الآفاق فقالت :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[7] .

● ثم ذكرت السورة بعد ذلك جانبا من قصة آدم ، وقد حدثتنا فيه عن خلافة آدم في الأرض ، وعما كان من الملائكة من استفسار بشأنه ـ وعن سكن آدم وزوجه الجنة ، ثم عن خروجهما منها بسبب أكلهما من الشجرة المحرمة .

---

(5) الآيتان ـ ٨ ، ٩ .
(6) الآية ـ ٢٠
(7) الآيتان ـ ٢٨ ، ٢٩

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٨) .. الخ الآيات الكريمة .

● هذا ، وقد عرفنا قبل ذلك أن سورة البقرة نزلت بالمدينة بعد أن هاجر المسلمون إليها ، وأصبحت لهم بها دولة فتية ، وكان يجاورهم فيها عدد كبير من اليهود الذين كان أحبارهم يبشرون بمبعث النبى ﷺ . فأخذت السورة الكريمة تتحدث عنهم ـ فى أكثر من مائة آية ـ حديثاً طويلا متشعبا .

فنراها فى أواخر الربع الثانى توجه إليهم نداء محبباً إلى نفوسهم ، تدعوهم فيه إلى الوفاء بعهودهم ، وإلى الإيمان بنبى الله محمد ﷺ فتقول :

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾(٩) .

ثم تذكرهم فى الربع الثالث بنعم الله عليهم ، وبموقفهم الجحودى من هذه النعم ، تذكرهم بنعمة تفضيلهم على عالمى زمانهم ، وبنعمة إنجائهم من عدوهم ، وبنعمة فرق البحر بهم ، وبنعمة عفو الله عنهم مع تكاثر ذنوبهم ، وبنعمة بعثهم من بعد موتهم ، وبنعمة تظليلهم بالغمام ، وبنعمة إنزال المن والسلوى عليهم .. الخ .

ولقد كان موقف بنى إسرائيل من هذه النعم يمثل الجحود والعناد والبطر ، فكانت نتيجة ذلك أن .

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(١٠)

● ثم تحدثت السورة بعد ذلك حديثاً مستفيضاً عن رذائلهم وقبائحهم ودعواهم الباطلة ، والعقوبات التى حلت بهم جزاء كفرهم وجحودهم :

---

(٨) الآية ـ ٣٠

(٩) الآيتان ـ ٤٠ ، ٤١

(١٠) من الآية ـ ٦١

فتراها في الربع الرابع تذكر لنا تنطعهم في الدين وإلحافهم في المسألة عندما قال لهم نبيهم موسى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾(١١) .

ثم تذكر قسوة قلوبهم فتقول على سبيل التوبيخ لهم :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١٢) .

وتراها في الربع الخامس تحدثنا عن تحريفهم للكلم عن مواضعه عن تعمد وإصرار ، وتتوعدهم على ذلك بسوء المصير :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(١٣) .

ثم تحدثنا عن قولهم الباطل :

﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾(١٤) .

وترد عليهم بما يبطل حجتهم ، وعن نقضهم لعهودهم ومواثيقهم مع الله ومع الناس ومع أنفسهم ، وعن عدائهم لرسول الله ﷺ وعن جحودهم للحق بدافع الحسد والعناد فتقول :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى

---

(١١) من الآية ـ ٦٧
(١٢) الآية ـ ٧٤
(١٣) الآية ـ ٧٩
(١٤) من الآية ـ ٨٠

الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١٥).

ثم نراها فى الربع السادس تحكى لنا نماذج من مزاعمهم الباطلة ، ومن ذلك زعمهم أن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، ثم ترد عليهم بما يخرس ألسنتهم ، وبصور جبنهم وحرصهم المشين على أية حياة حتى لو كانت ملطخة بالذل والهوان .

استمع إلى القرآن وهو يحكى ذلك بأسلوبه البليغ فيقول :

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(١٦).

● ثم تسوق لنا نماذج من سوء أدبهم مع الله ، وعداوتهم لملائكته ، ونبذهم كتاب الله ، واتباعهم للسحر والأوهام .

● ثم نراها فى الربع السابع تقص علينا بعض الصور من المجادلات الدينية ، والمخاصمات الكلامية ، التى استعملوها مع النبى ﷺ لحرب الدعوة الإسلامية ، كجدالهم فى قضية النسخ ، وفى كون الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى ، وفى كون القرآن ليس معجزة – فى زعمهم – وإنما هم يريدون معجزة كونية .. الخ .

وقد رد القرآن عليهم بما يزهق باطلهم ، ويزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم .

وكما ابتدأ القرآن الحديث معهم ابتداء محببا إلى نفوسهم ﴿ يا بنى إسرائيل ﴾ ، فقد اختتمه – أيضاً – بالنداء نفسه ، لكى يستحثهم على الإيمان فقال :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(١٧).

(١٥) الآيات – ٨٩ ، ٩٠
(١٦) الآيات – ٩٤ – ٩٦
(١٧) الآيات – ١٢٢ ، ١٢٣

● ثم أخذت السورة بعد ذلك فى الربع الثامن منها تحدثنا عن الكلمات التى اختبر الله بها نبيه إبراهيم ، وعن قصة بناء البيت الحرام ، وعن تلك الدعوات الخاشعات التى كان إبراهيم وإسماعيل يتضرعان بها إلى خالقهما وهما يقومان بهذا العمل الجليل .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١٨) .

ثم أخذت تقيم الحجج الباهرة ، والأدلة الساطعة على أن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وعلى أن يعقوب قد وصى ذريته من بعده أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً .

● ثم ختمت تلك المحاورات والمجادلات التى أبطلت بها دعاوى أهل الكتاب الباطلة ، **ببيان سنة من سنن الله فى خلقه** ، هذه السنة تتلخص فى بيان أن كل إنسان سيجازى بحسب عمله يوم القيامة إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأن اتكال اليهود وغيرهم على أنهم من نسل الأنبياء أو الصالحين دون أن يعملوا بعملهم لن ينفعهم شيئاً . فقال ـ تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٩) .

● ثم عادت السورة فى الربع التاسع منها إلى **الحديث عن الشبهات** التى أثارها اليهود عند تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وقد رد القرآن عليهم بما يدحض هذه الشبهات ، ويهوى باليهود ومن حذا حذوهم فى مكان سحيق ، قال ـ تعالى :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٠) .

---

(١٨) الآيتان ـ ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١٩) الآية ـ ١٣٤ ، والآية ـ ١٤١

(٢٠) الآية ـ ١٤٢

إلى أن يقول :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٢١)

وإلى هنا تكون السورة قد فصلت الحديث عن بنى إسرائيل تفصيلا يحمل المسلمين على العظة والاعتبار ، ويعرفهم طبيعة أولئك القوم الذين خسروا أنفسهم حتى يأخذوا حذرهم منهم ، وينفروا من التشبه بهم .



أما المقدار الباقى من السورة الكريمة ـ **وهو أكثر من نصفها بقليل** ـ فعندما تراجعه بتفكر وتدبر ، تراه زاخراً **بالتشريعات الحكيمة** ، والآداب العالية ، والتوجيهات السامية .

● ترى السورة الكريمة فى هذا المقدار منها تحدثنا ـ فى الربع العاشر منها : عن بعض شعائر الله التى تتعلق بالحج ، وعن الأدلة على وحدانية الله .

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢٢)

ثم بعد أن تصور لنا بأسلوب بليغ مؤثر **حسرة المشركين يوم القيامة وهم يتبادلون التهم** ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، بعد كل ذلك توجه نداء عاماً إلى الناس ، تأمرهم فيه أن يقيدوا أنفسهم بما أحل الله . وأن يبتعدوا عن محارمه فتقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٣)

---

(٢١) الآية ـ ١٥٠

(٢٢) الآيتان ـ ١٦٣ و ١٦٤

(٢٣) الآيتان ـ ١٦٨ ـ ١٦٩

● فإذا ما وصلنا إلى الربع الحادى عشر منها ، رأيناها تسوق لنا فى مطلعه **آية جامعة لألوان البر** ، وأمهات المسائل الاعتقادية والعملية وهى قوله - تعالى - :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾(٢٤)

● ثم أتبعت ذلك بالحديث عن **القصاص** ، **وعن الوصية** ، **وعن الصيام وحكمته** ، وعن الدعاء وآدابه ، ونهت المسلمين فى ختامها عن مقارفة الحرام فى شتى صوره وألوانه فقالت :

﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾(٢٥)

● وفى مطلع الربع الثانى عشر **حكت بعض الأسئلة** التى كان المسلمون يوجهونها إلى النبى ﷺ ، وأجابت عنها بطريقة حكيمة تدعوهم إلى التدبر والاتعاظ ، ثم حضت المسلمين على الجهاد فى سبيل الله ، ونهتهم عن البغى والاعتداء . استمع إلى القرآن وهو يحرض المؤمنين على القتال ويرسم لهم حدوده وآدابه فيقول : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ۝ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ۝ فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ۝ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾(٢٦)

● ثم فصلت السورة الحديث عن الحج ، فتحدثت عن جانب من آدابه وأحكامه ، وحضت المسلمين على الإكثار من ذكر الله ، وأن يتجنبوا التفاخر بالأحساب والأنساب ، وأن يرددوا فى دعائهم قوله - تعالى - :

﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾(٢٧) .

● وفى الربع الثالث عشر نراها **تبين لنا ألوان الناس فى هذه الحياة** ، وأن منهم من يسعى فى الإفساد وإهلاك الحرث والنسل ، فإذا ما نصح أخذته العزة بالإثم ، وتمادى فى طغيانه وإفساده ،

---

(٢٤) الآية - ١٧٧
(٢٥) الآية - ١٨٨
(٢٦) الآية - ١٩٠ - ١٩٣
(٢٧) الآية - ٢٠١

وأن منهم من يبيع نفسه عن طواعية واختيار ابتغاء مرضاة الله .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٢٨)

● ثم تبين لنا أن الناس جميعا كانوا أمة واحدة ، وأن هذه الحياة مليئة بالمصائب والمحن والفتن ، **وأن العاقل هو الذى يقابل كل ذلك بإيمان عميق** ، وصبر جميل ، حتى يفوز برضى الله يوم القيامة ، ويظفر بنصره فى الحياة الدنيا .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(٢٩) .

● ثم تحدثنا السورة الكريمة فى الربعين الرابع عشر والخامس عشر **حديثاً جامعاً عن النكاح وما يتعلق به من أحكام** ، فحدثتنا عن الإيلاء وعن الطلاق . وعن الرضاع ، وعن العدة ، وعن الخطبة ، وعن غير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن ، ثم ختمت حديثها بهذه الآية الكريمة :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٣٠) .

● ثم عادت السورة فى الربع السادس عشر منها إلى الحديث عن الملإ من بنى إسرائيل :

﴿ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٣١) .

فساقت لنا قصتهم بأسلوب زاخر بالعظات والعبر ، التى من أهمها **أن الدين هو أساس العزة والمنعة** ، وأن الشدائد من شأنها أن تصهر النفوس فتجعلها تتجه إلى معالى الأمور ، وأن الأمير يجب أن يكون له من قوة العقل وقوة الجسم وسعة العلم ، وكمال التجربة ـ ما يقود به أمته إلى صالح الأمور ، وأن العاقل هو الذى يسلك الوسائل السليمة لبلوغ غايته الشريفة ، ثم يفوض الأمور بعد ذلك إلى الله .

● وفى الربع السابع عشر منها أفاضت فى الحديث عن **مظاهر قدرة الله ووحدانيته** ، وأقامت على ذلك من الأدلة ما يشفى الصدور ، ويطمئن القلوب ، ويزيد المؤمنين إيماناً ، استمع إلى آية الكرسى وهى تصور عظمة الله وقدرته فتقول . ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(٢٨) الآية ـ ٢٠٧
(٢٩) الآية ـ ٢١٤
(٣٠) من الآية ـ ٢٤٢
(٣١) الآية ـ ٢٤٦

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣٢) .

● وبعد هذا الحديث عن مظاهر قدرة الله ساقت السورة فى أواخرها **أنماطاً من التوجيهات التى تسعد المجتمع** ، وتنزع الأحقاد من قلوب الأفراد ، فقد حضت المسلمين فى جملة من آياتها على الإنفاق والإحسان ، وضربت لذلك أروع الأمثال ، ونهتهم عن المن والأذى ، وصرحت بأن الكلمة الطيبة للسائل خير من العطاء الذى تتبعه الإساءة .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾(٣٣) .

ثم بعد أن عقدت **مقارنة مؤثرة بين من ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وبين من ينفقونها رئاء الناس** ، بعد كل ذلك مدحت الفقراء الذين يتعففون عن السؤال ، ولا يلجأون إليه إلا عند الضرورة القصوى فقالت :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(٣٤)

● ثم حذرت السورة بعد ذلك المؤمنين من **التعامل بالربا ، ووصفت آكليه بصفات تنفر منها القلوب ، وتعافها النفوس ، ووجهت إلى المؤمنين نداءً أمرتهم فيه بتقوى الله ، وأنذرتهم بحرب من الله لهم إن لم يتوبوا عن التعامل بالربا فقالت** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾(٣٥)

ثم تحدثت بعد ذلك عن الديون والرهون ، **فصاغت للمؤمنين دستوراً هو أدق الدساتير** المدنية فى حفظ الحقوق وضبطها وتوثيقها بمختلف الوسائل ، ثم ختمت السورة حديثها الجامع عن العقائد والشرائع والآداب والمعاملات ، **بذلك الدعاء الخاشع** :

---

(٣٢) الآية ـ ٢٥٥
(٣٣) الآية ـ ٢٦٣
(٣٤) الآيات ـ ٢٧٢ ، ٢٧٣
(٣٥) الآيات ـ ٢٧٨ ، ٢٧٩

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(٣٦) .

تلك هى سورة البقرة ، أرأيت وحدتها فى كثرتها ؟ أعرفت اتجاه خطوطها فى لوحتها ؟ أرأيت كيف التحمت لبناتها ، وارتفعت سماؤها بغير عمد تسندها ؟

أرأيت كيف ينادى كل عضو فيها بأنه قد أخذ مكانه المقسوم وفقاً لخط جامع مرسوم ، رسمه مربى النفوس ومزكيها ، ومنور العقول وهاديها ومرشد الأرواح وحاديها . فتالله لو أن هذه السورة رتبت بعد تمام نزولها ، لكان جمع أشتاتها على هذه الصورة معجزة ، فكيف وكل نجم منها كان يوضع فى رتبته من فور نزوله ، وكان يحفظ لغيره مكانه انتظاراً لحلوله . وهكذا كان ما ينزل منها معروف الرتبة ، محدد الموقع قبل أن ينزل .

لعمرى لئن كانت ـ للقرآن فى بلاغة تعبيره ـ معجزات ، وفى أساليب ترتيبه معجزات ، وفى نبوءاته الصادقة معجزات ، وفى تشريعاته الخالدة معجزات ، وفى كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات . لعمرى : إنه فى ترتيب آياته على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات(٣٧) .

وبعد : فهذا عرض سريع لأهم مقاصد سورة البقرة ، قدمناه بين يديها لنعطى القارىء الكريم صورة متميزة عنها . ومن هذا العرض نرى أنها بجانب احتوائها على أصول العقائد ، وعلى كثير من أدلة التوحيد ، قد وجهت عنايتها إلى أمرين اقتضتهما حالة المسلمين ، بعد أن أصبحت لهم دولة بالمدينة يجاورهم فيها عدد كبير من اليهود .

أما الأمر الأول : فهو توجيه الدعوة إلى بنى إسرائيل ، ومناقشتهم فيما كانوا يثيروه حول الرسالة الإسلامية من مؤامرات . وإماطة اللثام عن تاريخهم المظلم ، وأخلاقهم المرذولة حتى يحذرهم المسلمون .

وأما الأمر الثانى : فهو التشريع للدولة الإسلامية الفتية ، وقد رأينا أن سورة البقرة فى النصف الثانى منها قد تحدثت عن تلك الجوانب التشريعية حديثاً مفصلا منوعاً تناول أحكام القصاص والوصية ، والصيام والاعتكاف والحج ، والعمرة ، والقتال ، والنكاح ، والإنفاق فى سبيل الله والمعاملات المالية . إلى غير ذلك من التشريعات التى سبق الحديث عنها .

(وفى العدد القادم ـ بإذن الله ـ سنبدأ فى تفسير السورة الكريمة) .

---

(٣٦) الآية ـ ٢٨٦

(٣٧) من كتاب «النبأ العظيم» ص ٢٠٨ لفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز .

مع سورة يس

بقلم أ. د
ابراهيم
خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
(٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا
الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
(٦٧) وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ
(٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ .

هذه الآية استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ، وهي في الوقت نفسه علة لما قبلها من قوله ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، فقد بينت عدم اتعاظهم بغيرهم بعد بيان نقضهم العهد ، وإسناد الإضلال إلى ضمير الشيطان لأنه المباشر للإغواء ، والجبل : الجماعة العظيمة ، ويطلق على عشرة آلاف فأكثر ، ولا يسمى به ما دون ذلك ، وأطلق عليهم هذا اللفظ تشبيها لهم بالجبل في العظم ، والفاء في قوله ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أي

أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أن ذلك العذاب الذى نزل بهم سببه ضلالهم ؟

والمعنى : لقد أغوى الشيطان خلقا كثيرا وزين لهم فعل السيئات ، وصدهم عن طاعة الله وتوحيده ، أفلم تعقلوا عداوة الشيطان لكم وتبتعدوا عن مثل ضلالات السابقين حتى لا تعذبوا مثلهم .

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت عند إشرافهم على شفير جهنم ، وجهنم : اسم لدار جزاء الكافرين والعاصين سميت به نار الآخرة ، وهى نار الله الموقدة . مأخوذة من بئر جهنام أى بعيدة القعر ، ومن أسمائها : الحطمة ، ولظى ، وسقر ، وكلها مذكورة فى القرآن الكريم ، والصلى : الإيقاد بالنار ومقاساة حرها ، والباء فى « بما كنتم تعملون » . للسببية ، والأمر فى « اصلوها » للتبكيت والإهانة .

وهذه الآية تذكر مآل أهل الضلال فتبين لهم أن هذه النار التى وعدتم بها فى الدنيا وحذرتم منها على ألسنة الرسل فكذبتموهم ، قد برزت لهم لإرهابهم ليذوقوا حرها ، ويقاسوا عذابها . فى هذا اليوم الذى لم يستعدوا له أو « اصلوها » كونوا لها وقودا كما قال الله تعالى ﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ﴾ البقرة ـ ٢٤ .

فهم واصلون إليها حاصلون فيها ، وفى هذا ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من وجوه ثلاثة .

الأول : قوله « اصلوها » أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ الدخان ـ ٤٩ .

الثانى : قوله : « اليوم » الذى يدل على أن العذاب حاضر ، وأن لذاتهم قد مضت وبقى العذاب اليوم .

الثالث : قوله : « بما كنتم تكفرون » الذى ينبىء عن الكفر بنعمة عظيمة وحياء الكفور من المنعم من أشد الآلام . والشاعر يقول :

أليس بكـاف لذى نعمـة
حيـاء المسىء من المحسن

وقول ابن القيم :

هب الموت لم تأتنا رسلـه
وجـاحمة النـار لم تضرم
أليس من الواجب المستحق
حياء العباد من المنعم ؟

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنهم حين يسمعون قوله تعالى : ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يريدون أن ينكروا كفرهم فلا يقدرون على الإنكار ، وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فتعترف بذنوبهم ، وأن هذا فى قدرة الله يسير . فكما أقدر الله اللسان على النطق يقدر غيره من الجوارح عليه ، والختم والطبع مصدر اختمت وطبعت . وهو تأثير الشىء كنقش الخاتم والطابع ، أو هو الأثر الحاصل عن الشىء ، والمراد منه فى الآية : المنع من التكلم فيسكتون عنه ، فهم لا يتكلمون بشىء لانقطاع أعذارهم وانتهاك

أستارهم فيقفون ناكسي الرءوس وقوف القنوط اليئوس لايجد عذرا فيعتذر ولا مجال يتوبة فيستغفر .

والمعنى : في هذا اليوم الرهيب يختم الله على أفواه الكافرين والمنافقين ختما لا يقدرون معه على الكلام ويستنطق جوارحهم بما عملت فتنطق أيديهم وأرجلهم بما اقترفت ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت أعوانا لهم على المعاصي صارت شهودا عليهم ، وفي هذا مواجهتهم بالجرم الذي ارتكبوه دون أن يستطيعوا إنكاره ، فالأيدي تتكلم بالذي استمروا عليه في الدنيا ولم يتوبوا عنه ، وتخبرنا به وتقول : إنهم فعلوا بنا كذا وكذا ، وتشهد عليهم أرجلهم بذلك .

والمتأمل في هذه الآية يجد أن الله تعالى أسند النطق إلى الأيدي والشهادة إلى الأرجل ، والحكمة في هذا أن اليد مباشرة والرجل حاضرة ، وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى ، وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل ، وإنما أسند الختم إلى الله في قوله : ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ والكلام والشهادة إليهم في قوله : ﴿ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ﴾ لئلا يكون فيه احتمال أن ذلك منهم كان جبرا وقهرا والإقرار مع الإجبار غير مقبول فيقع هذا منها باختيارها بعد إقرار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم ، وفي الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة . فائدته حكاية أحوالهم القبيحة فناسب ذلك أن يعرض عنهم ، وتحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم ، وجاء في سورة « النور » إسناد الشهادة إلى الألسنة والأيدي والأرجل .

قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سورة النور

فذكر فيها الأعضاء من الأعالي إلى الأسافل ، ولم يخص فيها الأيدي بالتكلم ، والتعبير بالشهادة في سورة « النور » . أولى . لأنها جاءت في قصة الإفك وما يتعلق بها ، في سورة « فصلت » جاء قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

فأسند الشهادة إلى الأسماع والأبصار والجلود ، ولا تناقض بين هذه الآية وبين غيرها من الآيات . لأن القيامة مواقف . تقتصر في بعضها الشهادة على الأيدي والأرجل ، وفي بعضها تتكلم الأسماع والأبصار والجلود ، وظاهر الآيات يدل على أن التكلم والشهادة بنطق حقيقي ، وذلك بعد إعطاء الله تعالى الأعضاء حياة وعلما وقدرة ، وهذه الشهادة تتحقق في موقف الحساب لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار .

روى ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند المتصل إلى أبي موسى الأشعري أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض

ربه عليه عمله فيجحد ويقول : أى رب ، وعزتك لقد كتب علىّ هذا الملك ما لم أعمل ؛ فيقول له الملك : أما عملت كذا فى يوم كذا فى مكان كذا فيقول : لا وعزتك أى رب ما عملته ؛ فإذا فعل ذلك ختم على فيه فإنى أحسب أول ما تنطق منه فخذه اليمنى ثم تلا ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

ومن هذه الجولة بين المعانى والأحداث يتبين أن بعضهم يخذل بعضا ، وأن جوارحهم تشهد عليهم وتتفكك شخصيتهم مزقا وأحادا يكذب بعضها بعضا . إنه لمشهد عجيب رهيب تذهل من تصوره القلوب .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

سيقت هاتان الآيتان لبيان أنهم اليوم فى قبضة القدرة ومستحقون للعذاب إلا أن الله عز وجل لم يشأ ذلك لحكمته الباهرة ، والطمس : إزالة الأثر بالمحو ، استبقوا : ابتدروا ، والصراط : الطريق ، فأنى يبصرون : فكيف يبصرون الطريق ، استفهام إنكارى . أى لا يبصرون ، والمسخ : تغيير صورهم إلى صورة قبيحة ، مكانتهم : أى مكانهم بحيث يجمدون فيه ، فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون : يعنى لم يقدروا على ذهاب ولا عود .

والمعنى : أن فى قدرتنا إزالة نعمة البصر عنهم فيصيرون عميا لا يقدرون على التردد فى الطريق لمصالحهم ولكن أبقينا عليهم نعمة البصر فضلا وكرما فحقهم أن يشكروا عليها ولا يكفروا .

فهذا توبيخ لهم أى توبيخ ، ولطمسنا على أعينهم : لأذهبنا أحداقهم وأبصارهم حتى لو أرادوا سلوك الطريق الواضح المألوف لهم لا يقدرون عليه .

وهل يكون ذلك فى الدنيا أو فى الآخرة ؟ يرى ابن سلام أن ذلك فى يوم القيامة ، وقال : إذا كان يوم القيامة ومد الصراط نادى مناد ليقم محمد ﷺ وأمته فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط فإذا صاروا عليه طمس الله أعين فجارهم فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه ؟ ، والأصح أن ذلك فى الدنيا ، والكلام فيه محمول على الفرض والتقدير ، فلو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلنا ، ولكنا لم نشأ جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمهالهم .. والطمس والمسخ مشهدان فيهما من البلاء قدر ما فيهما من السخرية والاستهزاء ، والسخرية بالمكذبين والاستهزاء بالمستهزئين الذين كانوا يقولون : « متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » فإنهم فى المشهد الأول عميان مطموسون ، ثم هم مع هذا العمى يستبقون الصراط ويتزاحمون على العبور ويتخبطون تخبط العميان حين يتسابقون ، ويتساقطون تساقط العميان حين يسارعون متنافسين « فأنى يبصرون » ، وهم فى المشهد الثانى قد جمدوا فجأة فى مكانهم ، واستحالوا تماثيل لا تمضى ولا تعود ، بعد أن كانوا منذ لحظة عميانا يستبقون ويضطربون وإنهم ليبدون فى المشهدين كالدمى

واللعب فى حال تثير السخرية ، وقد كانوا من قبل يستخفون بالوعيد ويستهزئون .

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

هذه الآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا ﴾ عطف العلة على المعلول لأنه كالشاهد لذلك ، وفيها رد على من يعتذر من الكفار فيقول : لم يكن لبثنا فى الدنيا إلا يسيرا ، ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا ، ونظير هذه الآية قوله :

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾

الحج ـ ٥

وقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

الروم : ٥٤

وليس من بين الآيات تكرار بل كل آية تفيد معنى جديدا وتعرض بطريقة جديدة .

ومن نعمره : نطل عمره ، والنكس ، يقال : نكست الشيء أنكسه نكسا : قلبته على رأسه فجعل أعلاه أسفله ، والهمزة فى « أفلا يعقلون » للإنكار ، والفاء فيها للعطف على محذوف ، أى : أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ ، والمعنى : ومن نطل عمره ننكسه فى الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره ، وعن سفيان أن التنكيس فى سن الثمانين سنة ، والحق أن زمان ابتداء الضعف وانتقاص البنية تختلف لاختلاف الأمزجة والعوارض ، وهذا التغيير والتقلب فى أغلب الناس ، وفى غير الأنبياء والعاملين من العلماء والصالحين أما هؤلاء فلا يضعفون بطول العمر . ولم يحك عن نبى من الأنبياء من عاش منهم ألفا ومن عاش دون ذلك أنه نقص شيء من قواه ، « أفلا يعقلون » أى يرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ ، وأن عدم إيقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما ، فهم كلما رخوا فى السن ضعفوا ، وقد عاشوا مدة تمكنوا فيها من النظر والعمل ، ومن لم يأت بالواجب فى زمن الإمكان والقوة لم يأت به فى زمن الإزمان والضعف ، ثم إن الشيخوخة نكسة إلى الطفولة ، وليس فيها ملاحة الطفولة وبراءتها المحبوبة ، ومايزال الشيخ يتراجع وينسى ما علم وتضعف أعصابه ويضعف فكره ويضعف احتماله حتى يرتد طفلا يضحك عليه أهله عند كل حماقة تقع منه ، والشيخ لا تقال عثراته إلا من باب العطف عليه والرحمة به ، ويكون مثار السخرية كلما وقعت منه تصرفات الطفولة وهو عجوز ، فعاقبة المعمرين المنتكسين كعاقبة المطموسين الممسوخين تنتظرهم ، فهم الذين لا يكرمهم الله بالإيمان الراشد الكريم .

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ .

الضمير فى « وما علمناه » يعود على محمد ﷺ ، أما فى قوله « وما ينبغى » الأرجح عوده

على النبي ﷺ ، ويجوز أن يعود على القرآن الكريم ، وما علمناه الشعر جملة معطوفة على جملة « ويقولون متى هذا الوعد » عطف القصة على القصة والغرض على الغرض .

وفي هذه الآية عود إلى الكلام عن الوحي ، وأن الرسول معلم من عند الله فعلمه ما أراد ولم يعلمه ما لم يرد .

وخص الشعر بنفس التعليم دون السحر والكهانة مع أن الكفار نسبوه إليهما أيضا لأنه ما كان يتحدى إلا بالقرآن كما قال تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾

البقرة : ٢٣

وقد وردت قضية الوحي في أول السورة « يس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » وفي هاتين الآيتين رد على ما كان عليه بعضهم من وصف النبي ﷺ بأنه شاعر ، ووصف القرآن الذي جاء به بأنه شعر ، وما كان يخفى على كبراء قريش أن الأمر ليس كذلك ، وأن ما جاء به محمد ﷺ قول غير معهود في لغتهم ، وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر ، إنما كان هذا لونا من حرب الدعاية التي شنوها على الدين الجديد وصاحبه ، وكان اعتمادهم في ذلك على جمال النسق القرآني المؤثر الذي قد يجعل الجماهير تخلط بينه وبين الشعراء إذا وجهت هذا التوجيه .

وقد تضمنت هذه الآية ثلاثة أمور :

الأول : نفي تعليم الله نبيه الشعر .

الثاني : نفي ابتغاء الشعر للنبي ﷺ .

الثالث : بيان أن ما أوحي إليه ذكر وقرآن مبين .

والمعنى : وما علمناه الشعر وإنما علمناه الكتاب المشتمل على هذا البيان في أمر المبدأ والمعاد . إذ لا يخفى على من به مُسكة من عقل أن هذا الكتاب الحكيم المتضمن لجميع المنافع الدينية والدنيوية بأسلوب أفحم كل منطيق . يباين الشعر مباينة الثرى للثريا . فالقرآن حكم وعقائد وشرائع أما الشعر فإنه تخيلات وأكاذيب ، بل أعذبه أكذبه — كما قيل — وإذا انتفى تعليم الله رسوله الشعر فقد انتفى أن يكون القرآن شعرا .

« وما ينبغي له » أي أن الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له ، وذلك لأن الشعر يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن ، فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى ، والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ ، وعلى هذا نقول : الشعر هو الكلام الموزون الذي قصد إلى وزنه قصدا أوليا ، وأما من يقصد المعنى فيصدر اللفظ مقفى فلا يكون شاعرا كقول الرسول ﷺ في غزوة حنين :

أنـــا النبـــي لا كـــذب
أنــا ابــن عبــد المطلـــب

وعلى هذا ينتفي أن يكون النبي شاعرا وأن يكون القرآن شعرا ، ولا يستقيم عقلا أن يقول النبي الشعر لأنه لو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة — عقلا — في أن ماجاء به من عند نفسه ، ولا يعني هذا أنه — عليه السلام — ما كان ينشد الشعر لأن إنشاده غير إنشائه ، وكم من راوية للأشعار ومن نقاد للشعر لا يستطيع قول الشعر ، وكذلك كان النبي ﷺ قد انتقد الشعر ونبه على مزايا فيه وفضل بعض الشعراء على بعض ، وقد أعطى بردته كعب بن زهير ، مكافأة له على

قصيدته ـ بانت سعاد ـ وهو مع ذلك لا يقرض شعرا ، فتنزيه النبي عن هذا من قبيل حياطة معجزة القرآن وحياطة مقام الرسالة مثل تنزيهه عن معرفة الكتابة وقد أطال المفسرون الكلام في امتناع النبي من إنشاء الشعر ، ولا داعي لهذه الإطالة فالممنوع على النبي ﷺ هو إنشاؤه لا إنشاده .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ .

ولما انتفى عن النبي ﷺ تعليم الله إياه الشعر وأنه لا ينبغي له أثبت أن الذي علمه إياه هو ذكر وقرآن مبين ، وهما وصفان لشيء واحد هو الوحي المنزل عليه .

والمعنى : ما القرآن إلا ذكر أي عظة من الله عز وجل وإرشاد للثقلين ، وكتاب سماوي ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز الذي ألقم من تصدى لمعارضه الحجر

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

الإسراء : ٨٨

إن للشعر منهجا غير منهج النبوة ، فالشعر انفعال وتعبير عن هذا الانفعال ، والانفعال يتقلب من حال إلى حال ، والنبوة وحي ومنهج ثابت على صراط مستقيم يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله لا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تثبت على حال ، فطبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفان من الأساس .

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

الإنذار : الإعلام بأمر يجب التوقي منه ، الحي : مستعار لكامل العقل وصائب الإدراك . والمقصود منه : التعريض بالمعرضين عن دلائل القرآن بأنهم كالأموات لا انتفاع لهم بعقولهم ، ويجوز عود الضمير في « لينذر » على القرآن أو على الرسول ﷺ ، والمضي في « كان » باعتبار ما في علم الله عز وجل لتحققه ، وتخصيص الإنذار بالعاقل أو المؤمن لأنه المنتفع بذلك ، ويحق القول أي تجب كلمة العذاب على الكافرين الموسومين بهذا الاسم المصرين على الكفر ، وهذه الآية فيها تحديد لمهمة القرآن ومهمة الرسول ﷺ ، وفيها أن القرآن رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين .

والمعنى : لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض ، فرسالة محمد عامة للثقلين قال تعالى :

﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الأنعام : ١٩ .

وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الأنبياء : ١٠٧

ولكن إنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة ، ولكي تثبت به وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى ماتوا .

وهكذا يعلم الناس أنهم إزاء هذا القرآن فريقان . فريق يستجيب فهو حي ، وفريق لا

يستجيب فهو ميت ، قد حق عليه القول وحق عليه العذاب .

ما يؤخذ من الآيات :

١ ـ يؤكد الله تعالى تحذيره من الشيطان قائلا : لقد أغوى الشيطان بوساوسه خلقا كثيرا ، أفلا تعتبرون بالآخرين ، وألا تعقلون عداوته ، وتعلمون أن الواجب أن توحدونى وتعبدونى فإن عبادتى دين قويم .

٢ ـ ويقول خزنة جهنم للكفار : هذه جهنم التى وعدتم فكذبتم بها .

٣ ـ إن أعضاء الإنسان التى كان يستعين بها فى الدنيا صارت عليه شهودا يوم القيامة .

٤ ـ لو شاء الله لأعمى أبصار الكفار فى الدنيا فلا يبصرون طريقا إلى منازلهم ولا غيرها ، ولكنه لم يفعل رحمة بهم وليتمكنوا من النظر الصحيح المؤدى إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، ولو شاء الله لبدل خلقتهم إلى صورة قبيحة ولجعلهم حجر أو جماد أو بهيمة كالقردة والخنازير جزاء لهم على كفرهم .

٥ ـ لا حاجة لإطالة أعمار الناس أكثر مما قدر تعالى لهم لأنه كلما طال العمر إزداد الإنسان ضعفا والمقصود بالآية « ومن نعمره ننكسه ... » الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار .

٦ ـ ليس القرآن شعرا ولا محمد ﷺ شاعرا فلا يقول الشعر ، ولا ينبغى ولا يصح له ذلك .

٧ ـ إن الذى يتلوه النبى ﷺ على الناس هو ذكر من الأذكار وعظة من المواعظ وقرآن بين واضح مشتمل على الآداب والأخلاق والحكم والأحكام والتشريع المحقق لسعادة البشر .

٨ ـ إن الغرض من إنزال القرآن إنذار من كان حى القلب مستنير البصيرة ، وإيجاب الحجة بالقرآن على الكافرين .



فَضِيلَةُ إنظَارِ المُعْسِرِ

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن أبي مسعود البدرى قال رسول الله ﷺ : « حوسب رجل فلم يوجد له خير ، وكان يداين الناس وكان يقول لغلمانه من وجدتموه غنيا فخذوا منه ، ومن وجدتموه معسرا فتجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنى، فقال الله ـ عز وجل ـ أنا أحق أن أتجاوز عنه » . الحاكم[1]

ترجمة الحديث

هو « أبو مسعود » الصحابى الجليل عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الأنصارى ، الشهير بكنية أبى مسعود البدرى ، شهد العقبة ، وجزم البخارى بشهوده بدرا ، روى أحاديث كثيرة ، وهو معدود من علماء الصحابة توفى سنة تسع وثلاثين هـ ، وقيل سنه أربعين ـ رضى الله عنه وأرضاه .

ضوء على معنى الحديث

بديها أن الإنسان لا يلجأ إلى الاستدانة إلا إذا كان فى أشد الحاجة إليها ، ومن ثم نجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشدد فى هذا الأمر ويخوف منه حين يقول عن عقبه بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « لا تخيفوا أنفسكم » أو قال « الأنفس » فقيل له : يا رسول الله وما « نخيف أنفسنا » ؟ قال الدين[2] .

---

(1) أخرجه الحاكم فى مستدركه جـ ٢ ك البيوع ص٢٩ .

(2) الطبرانى وأبو يعلى .

والمعنى: أن الدين مخيف للنفس جالبا للخوف لشغل القلب بهم وقضائه ، والتذلل للغريم عند لقائه وتحمل منته إلى تأخير أدائه ، وربما يعدّ بالوفاء فيخلف ، أو يحلف فيحنث أو يموت ، فيرتهن بدينه .

قال ﷺ عن أبي هريرة : « **نفس المؤمن معلقة ما كان عليه الدين** »[3] ، ومعنى معلقة : أي أن روح المؤمن محبوسة عن دخول الجنة مدة دوام الدين عليه حتى يقضى عنه ، والله أعلم .

وكان ﷺ يستعيذ من الدين ، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال »[4] .

والهم : ما يهم الإنسان ويؤلمه ، **والحزن** : ضد السهل ، **والجبن** : ضد الشجاعة ، **والبخل** : الإمساك والتقتير فى الإنفاق ، **وضلع الدين** : أى كثرته .

وعن أبي سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أعوذ بالله من الكفر والدين »[5] .

وإنما استعاذ الرسول ﷺ من الدين مع أن المدين قد يضطر إليه لما فى ذلك من ذل النفس وربما جر صاحبه إلى معصية ، واستعاذته ﷺ تعليم لأمته وإظهار للعبودية والإفتقار إلى الله ـ عز وجل . وكان ﷺ إذا شهد جنازه سأل ؟ على صاحبكم دين ؟ فإن قالوا نعم ، قال هل له وفاء ؟ فإن قالوا نعم صلى عليه ، وإن قالوا لا : قال صلوا على صاحبكم »[6] .

فلما فتح الله على النبى فتوحه كان يصلى على من عليه دين ويقول « من ترك مالا فلعصبته ، ومن ترك دينا فعلىّ »[7] .

وقد دعا النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالرحمة لِلْسَمْح فى البيع والشراء والاقتضاء ، فعن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى »[8] والسمح هو السهل ، اقتضى : اى طلب حقه .

وبين النبى ﷺ أن خلف الوعد ـ بصفة عامة ـ لغير عذر يُعد علامة من علامات النفاق ، قال ﷺ : « **آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان** »[9] .

وقد حرّم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : المماطلة لمن عليه الدين بغير ضرورة ، فيقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **مُطل الغنى ظلم** »[10] .

---

(3) البيهقى فى سننه الكبرى والحاكم فى مستدركه .

(4) البخارى ومسلم .

(5) النسائى .

(6) البخارى .

(7) النسائى .

(8) البخارى .

(9) البخارى ومسلم .

(10) المرجع السابق .

والمماطلة معناها : أن يؤخر المدين ما يجب عليه سداده وهو واجد للمال .

التراحم فى الإسلام

وقد بين رسول الله ﷺ ما يجب على المسلم أن يقوم به نحو أخيه الذى ألمت به ملمة ، أو نزلت به شدة أو أحاطت به ظروف قاسية تحول بينه وبين أداء هذا الدين فأخبرنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الحديث الذى معنا أنه كان فى بنى إسرائيل رجل حاسبه[11] الله فلم يجد له خير ، وكان ذا مال كثير ، وكان يداين الناس ـ أى يقرضهم ـ إلى أجل وكان يقول لغلمانه ـ أى فتيانه ـ من وجدتموه غنيا فخذوا منه ما اقترضه ، ومن وجدتموه معسرا فتجاوز عنه ـ أى أخروا سداد دينه ـ فإنى أرجو إذا فعلنا ذلك أن يتجاوز الله بعفوه عنى عما فعلته من السيئات فى حياتى ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ عفا عنه بلطفه وكرمه نظير تجاوزه عن المعسرين وقال : أنا أحق ـ أى أولى ـ منه بالتجاوز عن ذنوبه .

هذا وقد بين رسول الله ﷺ فضيلة إنظار المعسر والتجاوز عن عجزه أداء دينه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة

فالآية الكريمة تحث الدائنين من المسلمين على إنظار من تعسر عليه سداد دينه فى ميعاده أى : تأجيل سداده إلى حين يساره ، أو يتصدق به كله ، أو بعضه ، والأفضل أن يتصدق به كله عليه ، ففى هذه النظرة أو التصدق فضل كبير . وقد جاءت أحاديث صحيحة وكثيرة غير هذا الحديث تبين فضل من أنظر المعسر أو حط عنه دينه بالإبراء الكلى أو الجزئى للمدين المعسر .

فعن أبى اليسر صاحب رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ **من أحب أن يظله الله ـ عز وجل ـ فى ظله يوم لا ظل إلا ظله فلينظر المعسر**[12] أو ليضع عنه »[13] ، ومعنى يظله : أى يقيه الحرارة الشديدة فى ذلك اليوم نظير قيامه بهذا العمل الجليل .

وبذلك تتبين سماحة الإسلام فى تشريعاته ، وإقراره لكل خير كان فى الشرائع السابقة .

---

(11) أى حساب القبر .

(12) رواه مسلم .

(13) المعسر هو الذى لا يجد ما يؤدى به دينه .

قبس من أنوار النبوة

ما عند الله لا ينال بمعصيته

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه ، فلا يستبطئن أحد منكم رزقه ، إن جبريل ألقى فى روعى أنّ أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب ؛ فإذا استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية فإن الله ـ عز وجل ـ لا ينال فضله بمعصية » .

رواه الحاكم ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥٥ ص٥٠١

البيان :

إن رسول الله ﷺ : ترك أمته على المحجة البيضاء ، وعلى الطريق السوى ـ لم يترك بابا من أبواب الخير والسعادة إلا أمر به ، وأرشد إليه . ولم يترك بابا من أبواب الشر إلا أوصده ، وحذر من سلوكه .

بين لأمته أن من أراد عز الدارين : دار الدنيا ودار الآخرة ؛ فليطع العزيز فيما أمر به ، وفيما نهى عنه .

إن عز الدنيا والفوز بالآخرة أساسهما تقوى الله وإعزاز أمره ، والمؤمن إذا لم تعزه التقوى فلا عز له .

قال سفيان الثورى لرجل : « اتق الله فما وجدت تقيا محتاجا » .

أى لأن كل تقى عزيز . ومن أعز أمر الله أذل الله له عظماء خلقه .

قال الحسن البصرى لرجل يطلب العظة : أعز أمر الله يعزك الله .

وقال الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ « من أراد عزا بلا عشيرة وجاها بلا سلطان ، وغنى بلا فقر فليخرج من ذل المعصية الى عز الطاعة » .

فهم السلف الصالح منهج الإسلام من نبى الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكانت لهم العزة والنصرة فى الدنيا ، والفوز والنجاة فى الآخرة بتطبيق هذا المنهج القوى .

قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى وصيته لقائد جيشه سعد ابن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ حين أرسله لفتح فارس :

أما بعد : « فإنى آمرك ومن معك بتقوى الله ـ تعالى ـ على كل حال فإن تقوى الله ـ تعالى ـ أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة على فى الحرب . وآمرك ومن معك بأن

تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم » ..

روى فى الصحيح ـ عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : « رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى ، وميكائيل عند رجلى ، فقال : أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا ، فقال لى : اسمع سمعت أذناك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك : كمثل ملك اتخذ دارا ، ثم بنى فيها بيتا ، ثم جعل فيها مأدبة ، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ، ومنهم من تركه .. فالله : الملك ، والدار : الإسلام، والبيت : الجنة .. وأنت يا محمد : الرسول .. فمن أجابك دخل فى الإسلام ومن دخل فى الإسلام دخل الجنة . ومن دخل الجنة أكل منها » ..

والرسول ﷺ يرشد ويدعو أمته إلى طاعة الله ورسوله ليصيروا إلى دار السرور ، إلى الجنة ، وفى ذلك يقول : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » رواه البخارى .

وكما أرشد النبى ﷺ إلى ما يوصل إلى الجنة ، حذر مما يوصل إلى النار ، على أن أكثر ما يدخل الناس النار الكسب الحرام .

روى الإمام أحمد والبزار أن النبى ﷺ قال : « ولا اكتسب عبد مالا حراما فتصدق به ؛ فيقبل منه ، ولا ينفقه فيبارك له فيه ، ولا يدعه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، فإن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « من اكتسب مالا من مأثم فوصل به رحمه ، أو تصدق به ، أو أنفقه فى سبيل الله ، جمع الله ذلك كله فقذف به فى جهنم » ، بل « إن العبد قد يحرم الرزق بالذنب يصيبه » رواه ابن ماجه .

إن الرزق والأجل حددهما الله ـ عز وجل ـ قبل أن يوجد الإنسان فى هذه الحياة وفى ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه الطبرانى : « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلب أجله » .

وإذا كان عمر الإنسان محدودا ، ولا خلود فى الدنيا لبشر ، ورزقه لا يأكله أحد غيره . فلماذا يُدخل فيه ـ وفى الحصول عليه ـ ما حرمه الله . وفى ذلك غضب الله .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ : قال : « من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة ، وسعيا على أهله ، وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر .. ومن طلبها حراما مكاثرا بها مفاخرا لقى الله ـ عز وجل ـ وهو عليه غضبان » رواه أبو نعيم فى الحلية .

فهل من مشمر للجنة . وهى دار المتقين ؟

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

سورة يونس آية ٢٦

نعـمت جزاء المتقين الجنة
دار الأمانى والمنى والمنة

فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

إبراهيم النخعى صيرفى الحديث (*)

عرض الأستاذ/ أحمد تقى الدين

نسبه وكنيته:

هو أبو عمران: إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد ابن مالك بن النخع

واسم النخع جَسْر، وهو جسر بن عمرو بن علة بن خَلْد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

وسمى جسر بالنخع لأنه انتخع من قومه، أى بعد عنهم، ونزل (بيشة) فكثر أولاده، فكانوا قبيلة كبيرة نسبت إليه، وهم من « مذحج »باليمن

دخول النخع فى الإسلام ودعاء الرسول لهم:

ودخل النخع فى الإسلام فى حياة رسول الله ﷺ ثم نزلوا الكوفة ومنها انتشر ذكرهم.

(*) اعتمدنا فى هذا المقال على (موسوعة فقه إبراهيم النخعى) وهى بحث للدكتور محمد رواس قلعه جى من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ وطبع فى جزأين.

وقد دعا رسول الله ﷺ للنخع فقال: « اللهم بارك في النخع »[1] فأجاب الله تعالى دعاء رسوله فأخرج من النخع رجالاً كانت لهم مكانتهم وأثرهم، وهم من الكثرة بحيث يصعب حصرهم فمنهم:

– علقمة بن الأسود، الذى قال فيه عبد الله بن مسعود: ماأقرأ شيئاً وماأعلم شيئاً إلا علقمة يعلمه، فقيل: ياأبا عبد الرحمن: والله ماعلقمة بأقرأنا، فقال: بل: والله إنه لأقرؤكم[2].

– والأسود بن يزيد، الذى تقول فيه عائشة أم المؤمنين: « مابالعراق رجل أكرم علىَّ من الأسود »[3].

وإبراهيم النخعى هو ذلك العلم الذى لايخفى، وحسبنا أنه إذا أطلق المحدثون والفقهاء اسم إبراهيم، فهو إبراهيم النخعى، وإن أطلقوا اسم النخعى فهو إبراهيم النخعى، فهما على إطلاقهما علمان عليه.

ولادته:

ولد إبراهيم النخعى عام ست وأربعين هجرية الموافق لعام ستمائة وست وستين للميلاد في مدينة الكوفة.

وكان رجلاً نحيفاً أعور وكان سبب عوره بياضاً أصاب عينه في صغره فحجبها عن الإبصار.

نشأته:

ورفض دعوة المرجئة لقولهم: بأنه لايضر مع الإيمان معصية وكان يبغضهم بغضاً شديداً.

ولد النخعى ونشأ في الكوفة، والكوفة آنذاك تعج بالعلماء وطلاب العلم، لأن وجود كثير من الصحابة فيها جعلها قبلة لكل من طلاب الفقه والحديث في العراق، فالجو العام الذى عاش فيه النخعى هو جو علمى.

وكان أبوه يزيد بن الأسود راوياً للحديث، وخالاه: الأسود بن يزيد الفقيه الزاهد، وعبد الرحمن بن يزيد المحدث المشهور. وعم أمه هو علقمة بن قيس زاهد أهل الكوفة وعالمها وفقيهها، وهؤلاء هم الذين رعوا إبراهيم وأحاطوه بالعناية التى كان لها أكبر الأثر في حياته.

شخصيته السياسية:

كان – رحمه الله – من أهل السنة: فترتيب الخلفاء عنده هو: أبو بكر، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، على بن أبى طالب، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وهو لايقبل في ذلك جدلاً، لأن سلف هذه الأمة قد مضى على ذلك لذلك تراه عندما يأتى رجل إليه قائلا: على أحب إلىَّ من أبى بكر وعمر، يقول له إبراهيم: « أما إن علياً لو سمع كلامك لأوجع ظهرك، إن كنتم تجالسوننا بهذا فلاتجالسونا » وهو – مع ذلك – محب لعلى – رضى الله عنه – حباً لايقدح في إجلاله لأصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله تعالى عنهم.

ورفض النخعى دعوة الخوارج لسذاجة فهمهم لكتاب الله وتكفيرهم المسلمين وإسرافهم في سفك الدماء.

(1) طبقات ابن سعد ٣/٣٤٦.
(2) البداية والنهاية ٥/٩٩.
(3) طبقات ابن سعد ٦/٧٣.

صيرف الحديث :

أجمع علماء الجرح والتعديل على ضبط النخعي وعدالته واعتبروه من رجال أصح الأسانيد .

قال يحيى بن معين : أجود الأسانيد : الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله .

وقال عبد الرزاق: حدث سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله فقال : « هذا الشرف على الكرسى » .

فقد كان النخعي خبيراً فى الحديث ، لا يستغنى الأعمش ــ وهو المحدث المشهور ــ عن عرض ما سمعه عليه واستشارته فيه . قال الأعمش : « كان إبراهيم صيرفياً فى الحديث ، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريقى عليه فأعرض عليه ما سمعت ، وكنت آتى زيد بن وهب وضرباءه فى الحديث فى الشهر المرة والمرتين ، وكان الذى لا أغادره رغبة إبراهيم النخعى .

ولكن ما هى العوامل التى توفرت فى النخعى حتى أطلق عليه لقب « صيرفى الحديث » ؟

التفكير السليم:

كان التفكير هو أساس عمل النخعى ، لأن الفكر السديد هو الذى يمحص الأسانيد والمتون فيقارن ويقابل ، ثم يصدر الحكم بعد ذلك وكان النخعى يقول : « لايستقيم رأى بلارواية ، ولارواية بلا رأى » .

يقول أحد معاصريه : « دخلت أنا وعمرو بن مُرة على إبراهيم ، قال عمرو : حدثنى علقمة بن وائل عن أبيه أنه صلى مع النبى ﷺ فرآه يرفع يديه إذا كبر ، وإذا ركع ، وإذا رفع ، قال إبراهيم : ماأدرى لعله لم ير النبى ﷺ إلا ذلك اليوم فحفظ هذا منه ولم يحفظه ابن مسعود وأصحابه؟! ما سمعته من واحد منهم إنما كانوا يرفعون أيديهم فى بدء الصلاة حين يكبرون » .

كما تميز النخعى بثروته العلمية وهى ضخمة ، ومجموع الأحاديث والآثار التى يحفظها قد لاتجتمع لغيره ، ولذلك كان الأعمش يقول فيه : « ما عرضت على إبراهيم حديثا إلا وجدت عنده منه شيئا ولا ذكرت له حديثا قط إلا زادنى فيه » أى : زاده فيه علماً فى سنده ، أو متنه ، أو فقهه .

تحريه فى الحديث:

وكان لقول رسول الله ﷺ : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » أثره الكبير فى نفس إبراهيم النخعى المرهفة وفى منهجه ، فكان يتهيب الحديث عن رسول الله خوفاً من أن يكون قد داخله الخطأ فى نسبته إلى رسول الله فيتناوله التهديد . وكذلك كان يؤثر رواية أقوال شيوخه من الصحابة والتابعين على رواية الحديث عن رسول الله ، وقد لاحظ أصحابه قلة تحديثه عن رسول الله ، فقال له أبو هاشم : « ياأبا عمران ، أما بلغك حديث عن رسول الله ﷺ تحدثنا؟ قال : بلى . ولكن أقول: قال عمر ، وقال عبد الله ، وقال علقمة ، وقال الأسود ، أجد ذلك أهون علىّ » .

وكان إبراهيم لا يروى إلا عن الثقات ، وهذه صفة ملازمة لجميع أئمة الحديث ــ رضوان الله

عليهم – حتى قال الشافعي : « كان ابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وطاوس ، وغير واحد من التابعين ، يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف مايروى ويحفظ ، وما رأيت أحدا من أهل الحديث يخالف هذا المذهب » .

هل هناك مآخذ على النخعي ..؟:

لم يسلم عالم من مآخذ أخذت عليه ، لأن العصمة لله وللرسل والنخعي عالم من هؤلاء العلماء أخذت عليه مآخذ علمية هي كلها تتعلق به كمحدث وتتمثل في :–

١ – رده الآثار وقلة بضاعته فيها .

٢ – تحديثه بالمعاني .

٣ – إرساله الأحاديث .

٤ – لحنه بالعربية .

أما رده بالآثار وقلة بضاعته فيها فهي مقولة حماد بن زيد : « ما كان بالكوفة رجل أفحش رداً للآثار من إبراهيم لقلة ماسمع » . والواقع أن النخعي كان يرد الآثار التي لم يسمعها من مصدر يطمئن إليه ، ولكنه لم يكن يردها رداً فاحشا ، وإنما كان يقول : لم يكن كذا ، وكان كذا أو ليس كذا ، ولكن الأمر كذا ، ونحو ذلك كما فعل عندما أخبر بحديث زيد بن أرقم « أول من أسلم علي »فقد رد قائلا : « أول من أسلم أبو بكر » وهذا ليس فحشاً في الرد .

أما القول بقلة بضاعته في الحديث والآثار فإن أبا حنيفة روى وحده عن إبراهيم النخعي أحاديث مرفوعة إلى رسول الله ﷺ بلغت ستة وثمانين حديثا ، فكيف يقال عنه : إنه قليل السماع للآثار أو الحديث . ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق شاهدان على وفرة بضاعته في الأثر .

أما تحديثه بالمعاني فهو جائز للعالم باللغة ، وجوز ذلك جمهور الناس سلفاً وخلفا ، وهو المشاهد في الأحاديث الصحاح وغيرها ، فإن الواقعة تكون واحدة ، وتجيء بألفاظ متعددة من وجوه مختلفة وما ذلك إلا لأن معولهم كان على المعنى دون اللفظ .

أما إرسال الأحاديث فقد كان النخعي كثير الإرسال عن الصحابة رضوان الله عليهم ، كما أنه يرسل عن الرسول – ﷺ – وكان أصحاب النخعي يعرفون ذلك عنه ، ويعرفون عنه أنه لايرسل إلا عن الثقة .

وقد اختلف العلماء في حكم الحديث المرسل على ثلاثة أقوال :

الأول : أن المرسل صحيح يجوز الاحتجاج به مطلقاً ، وهو قول الإمام أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد بن حنبل في المشهور عنهما .

الثاني : أن الحديث المرسل ضعيف لايحتج به ، وهو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حُفاظ الحديث ونقاد الآثار .

الثالث : التفصيل ، وهو أن المرسل يحتج به إذا اعتضد بعاضد بأن يروى مسنداً ، أو مرسلاً من جهة أخرى ، أو يعمل به بعض الصحابة أو أكثر العلماء وهو مذهب الشافعي .

أما مراسيل إبراهيم النخعي فهي كلها صحيحة ، صرح بذلك ابن عبد البر وغيره ، بل إن مراسيله أصح من مسانيده . ذلك أن إبراهيم قد التزم ألا يرسل الحديث إلا إذا كان لا يساوره شك في صحته .

أما ما قيل عن لحنه بالعربية فهو قول الذهبى : «وكان لايحكم العربية ، وربما لحن »[1] وهو أمر مستغرب لأمور :ـ

١ ـ أن النخعى عربى صميم من « مذحج » أمه عربية وأبوه عربى .

٢ ـ أنه من رجال العصر الأول واللغة مازالت سليمة .

٣ ـ أنه نشأ فى كنف علقمة وعلقمة سليم اللغة .

٤ ـ أنه كان قارئاً مشهورا للقرآن الكريم .

٥ ـ أنه كان الإمام المفسر الذى تناقل المفسرون آراءه فى التفسير ورجح أئمة التفسير كثيرا منها .

٦ ـ إن الذين نقلوا أنه كان يلحن فى اللغة العربية لم يقدموا مثالا واحدا .

٧ ـ أن النخعى نفسه كان شديد الإنكار على من يلحن فى العربية ، حتى أن رجلا أتى منزله فقال : « أما هاهنا أبا عمران؟ فسكت إبراهيم ، فقال : أما هاهنا أبى عمران ؟ فسكت إبراهيم ، فقال : أما هاهنا أبو عمران ؟ فقال إبراهيم : قل الثالثة وادخل .

والأرجح أن إبراهيم النخعى حفظ بعض لغات العرب ولم يحفظوها هم ، فنطق بها ، فظنوه قد أخطأ ، ومن هذا القبيل تخطئة البصريين الكوفيين فى كثير من القضايا اللغوية المشهورة فى كتب الخلاف ، حتى وصل الأمر بيونس بن حبيب إلى أن يتهم الفراء الكوفى باللحن ، والفراء هو القارىء النحوى المشهور .

تلاميذه :

استطاع النخعى أن يستقطب وجوه الكوفة وأعيانها الذين يجتمع الناس حولهم ويرجعون إليهم حيث وجدوا فيه العلم الصحيح ، والإخلاص فى القول والعمل ومنهم :

ـ المغيرة بن مقسم الضبى .
ـ منصور بن المعتمر السُّلمى .
ـ عبد الله بن عون المزنى .
ـ زُبَيد بن الحارث اليامى .
ـ طلحة بن مصرف الهمدانى اليامى .
ـ عمرو بن مرة الجملى المرادى .
ـ أبو اسحق الشيبانى .
ـ الحكم بن عتيبة الكندى .
ـ حبيب بن أبى ثابت .
ـ الحارث بن يزيد العكلى .
ـ زياد بن كليب (أبو معشر) .
ـ عبد الله بن شبرمة .

وفاته :

ألم المرض بأبى عمران ، فأحس أنه ميت لامحالة ، فجزع جزعاً شديدا وبكى ، فقال له بعض من يعوده : ما يبكيك ياأبا عمران؟ فقال : « وأى خطر أعظم مما أنا فيه ، أتوقع رسولا يرد علىَّ من ربى إما بالجنة وإما بالنار ، والله لوددت أنها تلجلج فى حلقى إلى يوم القيامة » .

وكانت وفاته فى أوائل سنة ست وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك بالكوفة وهو ابن تسع وأربعين سنة ولم يكمل الخمسين .

(١) نصب الراية باب صلاة المسافر .

عاشوراء .. وصيامه

للشيخ / محى الدين حسين يوسف

فى شهر الله المحرم من كل عام - وفى العاشر منه يثور عدد من الأسئلة حول يوم عاشوراء وصيامه ، وحكمة الصوم فيه - ، وحول متابعة النبى ﷺ لليهود فى صيامه ، وفهم البعض أن النبى ﷺ إنما صام عاشوراء فى العام الذى انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى ، حول كل ذلك يدور هذا البحث :

معنى عاشوراء :

اللفظ : عاشوراء - كذا بهمز بعد مد ، هو اللفظ المشهور ، وينطق - أيضا - بلا همز فى آخره .

قال القرطبى : عاشوراء معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم ، وهو فى الأصل : صفة لِلّيلة العاشرة ؛ لأنه مأخوذ من العشر ، الذى هو اسم العقد ، واليوم مضاف إليها ؛ فإذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل : يوم الليلة العاشرة ، إلا أنهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الإسمية ، فاستغنوا عن الموصوف ، فحذفوا الليلة فصار هذا اللفظ علماً على اليوم العاشر .

والصحيح المشهور أنه اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية ، وقيل : هو التاسع أخذاً من أوراد الإبل ؛ فقد كانوا يوردونها فى التاسع ، ويقولون : وردنا عِشرا بكسر العين .

وقد ورد عند مسلم عن ابن عباس قوله : « إذا رأيت هلال المحرم فاعدد ، وأصبح من يوم التاسع صائما » ، وهو يوهم أن عاشوراء هو اليوم التاسع ؛ لكن قال الزين بن المنير : قوله : « إذا أصبحت من تاسعه » ، فـ (أصبح) يشعر بأنه أراد العاشرة ، لأنه لا يصبح صائما بعد أن أصبح من تاسعه إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة .

قال ابن حجر : ويقوى هذا الاحتمال ما رواه مسلم - أيضا - من وجه آخر ، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع » ، فمات ﷺ قبل ذلك ؛ فإنه ظاهر فى أنه ﷺ كان يصوم العاشر ، وهَمّ بصوم التاسع فمات قبل ذلك .

عاشوراء فى أول الإسلام :

اختلفوا فى حكم صوم يوم عاشوراء فى أول الإسلام ؛ فقال أبوحنيفة وبعض أصحاب الشافعى : إنه كان واجبا وقال آخرون : إنه لم يزل سنّة من حين شرع ، ولم يكن واجبا قط ، ولكنه كان متأكد الاستحباب .

ورجح ابن حجر فى (فتح البارى) وابن القيم فى (زاد المعاد) وغيرهما أن

(عاشوراء) كان فرضا فى أول الإسلام ، ثم صار مستحبا بعد فرض رمضان ، ويستنبط ابن حجر أن المسلمين لم يصوموه كفرض إلا مرة واحدة إذ أن الرسول ﷺ وصل المدينة فى ربيع الأول وأدرك المحرم أول السنة الثانية ، وفيها - أى السنة الثانية فى شهر شعبان - فرض رمضان .

واستنبطوا فرضيته فى أول الإسلام بأحاديث كثيرة أمر فيها ﷺ بصومه ، منها حديث عائشة عند (الصحيحين) : « كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء ، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ، ومن شاء أفطر » .

وحديث الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ - عند (البخارى) : أرسل النبى ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : « من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم » .

ويقول ابن مسعود فى (صحيح مسلم) : « لما فرض رمضان ترك عاشوراء » يعنى ترك وجوب صيامه ، وصار مستحبا فقط .

حكم صوم عاشوراء :

نقل ابن عبد البر الإجماع على أن صيام يوم عاشوراء ليس بفرض ، وأنه مستحب ، وعلى ذلك عامة الفقهاء ؛ إذ ثبت فى السنة مواظبته ﷺ على صيامه حتى عام انتقاله إلى الرفيق الأعلى ؛ فهو سنة مؤكدة لا خلاف عليها .

غير أن القاضى عياض قد نقل أن بعض السلف كان يرى بقاء فرضية عاشوراء لكن انقرض القائلون بذلك ، وثبت عند البخارى ومسلم أن عبدالله بن عمر كان يكره قصده بالصوم ، وقد انقرض القول بذلك - أيضا - ولم يتابعه فيه أحد .

واستحب العلماء صيام يوم قبله ويوما بعده ، لأن النبى ﷺ نوى صوم التاسع ، وحث على مخالفة اليهود .

قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية :

عن عائشة - رضى الله عنها - : كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية ، وكان رسول الله ﷺ يصومه ، فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض شهر رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه » .

رواه البخارى(٣/٥٧)

فقريش كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية كما تقول السيدة عائشة فى هذا الحديث ، وكما ثبت من قوله ﷺ فى غيره ، والرسول ﷺ كان يصومه فى مكة قبل الهجرة كما هو منطوق الحديث ، فهذا بداية صوم الرسول ﷺ لهذا اليوم .

أما ما هو سبب صيام قريش لهذا اليوم ؟ وما الحكمة من ذلك ؟ فيوضحه لنا قول دلهم بن صالح : « قلت لعكرمة : عاشوراء ما أمره ؟ .

قال : أذنبت قريش - فى الجاهلية - ذنباً ، فتعاظم فى صدورهم . فسألوا : ما توبتهم ؟ قيل : صوم عاشوراء ، يوم العاشر من المحرم[1] .

ولعل ذلك كان تقليدا منهم لمن حولهم من أهل

---

(١) د . على أحمد الخطيب - الصيام من البداية حتى الإسلام - ط مجمع البحوث الإسلامية ص ٢٥٤ .



الكتاب . أو لمن قابلوهم منهم فى رحلاتهم إلى الشام واليمن ، أو مما بقى من شريعة إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد ورد عند الطبرانى فى المعجم الكبير ـ بإسناد حسّنه الحافظ فى الفتح ـ عن زيد بن ثابت : « ليس يوم عاشوراء باليوم الذى يقوله الناس ، إنما كان يوم تستر فيه الكعبة »(٢).

فلعل يوم ستر الكعبة لأول مرة على يد تُبّع الأول ملك اليمن كان موافقا لهذا اليوم فاتخذوه يوما تستر فيه الكعبة ، ويصومون فيه .

اليهود وصيامهم عاشوراء :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قدم النبى ﷺ المدينة ، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجّى الله بنى إسرائيل من عدوّهم فصامه موسى ، قال ﷺ : « فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه »(٣).

هذا الحديث يشعر أن الرسول ﷺ صام عاشوراء ـ لأول مرة وأمر به عند رؤيته اليهود وهم يصومونه ، والأمر خلاف ذلك فقد قدمنا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ صامه فى مكة ، فيحمل على أن أول علمه بسبب صيام اليهود له إنما كان منهم أى من اليهود ، وهذا السبب هو نجاة موسى وقومه ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ فزاد ذلك تأكيدا فى أمر صيامه .

وقد جاء عند أحمد عن أبى هريرة نحو هذا الحديث ، وزاد فيه « وهو اليوم الذى استوت فيه السفينة على الجودىّ فصامه نوح شكرا » .

وقد ورد عند مسلم : « كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء ، يتخذونه عيدا ، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم » .

وقد ظل رسول الله ﷺ يصوم يوم عاشوراء حتى كان العام الذى انتقل فيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الرفيق الأعلى ، وكان ذلك فى العام العاشر لهجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإن وفاته كانت بعد حجة الوداع ، وقبل أن يأتى عاشوراء من العام الحادى عشر للهجرة .

روى مسلم عن عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه قالوا :

يا رسول الله ، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله ﷺ : فإذا كان العام المقبل ـ إن شاء الله ـ صمنا اليوم التاسع . قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ .

وعنه ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر » رواه الشيخان .

ولأحمد ـ عن ابن عباس ـ مرفوعا : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا اليهود ، صوموا يوما قبله ، أو يوما بعده » .

---

(٢) فتح البارى لابن حجر ١٠/٣٧٢ ط دار الكتب العلمية .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر جامع البيان فيما اتفق عليه الشيخان جـ٧ .

لا استشكال فى الواقع :

وإذ تقرر أمر صيام عاشوراء جاهلية وإسلاما ، وعرفنا صيام رسول الله ﷺ له فى مكة ، وفى المدينة منذ حَلَّ بها .

وقد استشكل البعض العبارة الواردة فى نهاية حديثه - عليه الصلاة والسلام - الذى رواه ابــن عبـــاس « حين صام رسول الله ﷺ ...الحديث » ، فقد كانت نهايته : فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ ، فكأن الحديث كله يعنى أن ذلك كان فى بداية صومه - عليه الصلاة والسلام - له لأول مرة بالمدينة ، وإنما المراد - فى هذا الحديث - صيامه ﷺ له لآخر مرة من حياته الشريفة - عليه الصلاة والسلام - .

ولذلك قال ابن حجر - فى (الفتح) عند شرحه لهذا الحديث : « وكان هذا فى آخر العهد .

وورد نحو ذلك من كلام ابن عباس نفسه ، وكان ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب أوّلا فيما لم يؤمر فيه بشىء ، كما كان يقر أهل الجاهلية على الأمور الحسنة الخيرة ؛ فكان يوافق أهل الكتاب فى صيام يوم عاشوراء ، إما بناء على وحىّ ، أو مما تواتر بينهم على أنه اليـــوم الـــذى نجى الله - سبحانه - فيه موسى ، خصوصا ، وقد تناقل هذه الأخبار ثقات من اليهود الذين أسلموا كعبدالله بن سلام الذى نزل فيه قوله - تعالى :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾

سورة الرعد : ٤٣

فلما فتحت مكة ، واشتهر أمر الإسلام ، وأتم الله نعمته ، وأكمل هذا الدين :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

المائدة آية : ٣

كان شعار رسول الله ﷺ مخالفة اليهود ، فوافقهم حيث قال : ونحن أحق بموسى منكم .. ودقة اللفظ النبوى تبين أن ذلك ليس بمتابعة ، بل المعنى : نحن أحق بشكر الله على نجاة موسى منكم ، إذ هدانا الله وأضلكم ، ثم أراد أن يخالفهم مخالفة بينة واضحة لا تدع لذى شنآن منهم أن يقول : اتبعنا محمد ، كما قالوا عندما كان يتوجه ﷺ فى صلاته إلى بيت المقدس ؛ فأمر ﷺ بصيام يوم قبله أو يوم بعده .

وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب : أدناها أن يصام وحده ، وفوقه أن يصام التاسع معه ، وفوقه أن يصام التاسع والحادى عشر معه .

قال الشافعى وأصحابه وأحمد وإسحـــق وآخرون : يستحب صوم التاسع والعاشر جميعا ، لأن النبى ﷺ صام العاشر ونوى التاسع[٤] والله أعلم ..

(٤) شرح النووى على مسلم ، كتاب الصيام ، باب صوم عاشوراء .



القانون الدولى الإسلامى
فى فقه الإمام محمد بن الحسن الشيبانى

للأستاذ الدكتور/ محمد عبد الصمد مهنا *

تمهيد

يعتقد كثير من الباحثين أن القانون الدولى ، وإن لم يكن حديث النشأة ، إلا أنه يرجع فى صورته النهائية إلى العصر الحديث ، وأن مؤسسه هو الفقيه الهولندى غروسيوس GROTIUS (١٥٨٣ - ١٦٤٥م) والذى لقب بلقب « أبو القانون الدولى »..

وقد أخذت الدول الأوربية زمام المبادرة فى العمل على تشكيل قواعد القانون الدولى حسبما يتفق مع المبادىء والقيم الأوربية منذ ذلك الوقت إلى الآن(١) ، بينما استسلمت دول العالم الإسلامى لنوع من الهزيمة الحضارية جعلها تقف خارج دائرة التاريخ والحوادث تنتظر ما يفعل بها.

وفى مرحلة لاحقة راحت الدول الإسلامية تدور فى فلك هذه المبادىء والقيم الأوربية باعتبارها قيما عليا سامية لا معقب عليها ، وراح الباحثون والفقهاء المسلمون يتنافسون فى إيجاد المبرر الشرعى لها بلوى أعناق النصوص ، فى تهافت شديد بدعوى الدفاع عن الدين ، يبدو وكأنه اعتذار عن هذا الدين. بل ذهب الأمر بالبعض - فى سبيل الظهور بمظهر التسامح - إلى حد التسليم بتصورات لم تبتكر إلا لهدم الدين أساسا.

وكان الأولى بهؤلاء أن يعرضوا ويبسطوا مبادىء الشريعة كما هى لمن يفهمها أو ينفذها ، وأن يعملوا على إظهار الحقائق كما هى لا تحريفها

(*) الكاتب : أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر

(١) فى نشأة القانون الدولى وتطوره انظر على سبيل المثال الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام : « مبادىء القانون الدولى العام » الطبعة الثالثة ١٩٩٤ ص ٤٥ وما بعدها ، كذلك القانون بين الأمم لجيرهارد فان غلان تعريب عباس العمر ، دار الجيل - بيروت ص ٤١ وما بعدها

وتوريط الشريعة بما يفرغها من مضامينها الحقيقية.

ونسوق للباحثين اليوم مصنف « السِّيَر الكبير » للفقيه العظيم محمد بن الحسن الشيباني مؤسس القانون الدولي بحق ، من قبل غروسيوس GROTIUS ، بل ومن سبقوه وعاصروه من فقهاء القانون الدولي النصارى من أمثال فاسكوس VASQUES وسواريس SUARES وفيتوريـــا VITORIA.

فمن هو الشيباني ؟ وما هو كتابه « السِّيَر الكبير » ؟ ، وما سمات القانون الدولي الإسلامي كما خطها هذا الفقيه العظيم في « سِيَره الكبير » الشيباني[2] ؟.

ترجمة هذا الإمام :

« دفن الفقه واللغة في يوم واحد » هكذا قال الخليفة هارون الرشيد عندما مات محمد بن الحسن الشيباني عام ١٨٩ هـ.

ولد الإمام محمد بن الحسن عام ١٣٢ هـ ببلدة (واسط) بالعراق ، ثم انتقل الى (الكوفة) حيث نشأ بها ، والكوفة ـ إذ ذاك ـ مركز للفقه واللغة وملتقى لكبار الفقهاء واللغويين والنحاة من أمثال أبي حنيفه وأبي يوسف والثوري والكسائي والفرّاء وسلمة .

وكفى الشيباني أنه صحب أبا حنيفه وأتم الفقه على أبي يوسف وأخذ الموطأ عن مالك وكفاه أنه كان مقصداً لأسد بن الفرات في جمعه لمسائل « المدونة » ، والشافعي صاحب المذهب ، وأول من أسس علم أصول الفقه.

أما أسد بن الفرات فقد نشر المذهب المالكي بإفريقيا والمغرب وأتم تدوين الأسدية التي هي أصل مدونه سحنون بفضل الشيباني أما الشافعي فقد عاد بعد صحبته لابن الحسن إلى مصر ليؤسس مذهبه بها.

ناهيك عن صحبته للأوزاعي عالم أهل الشام ، وسفيان بن عُيينة عالم مكة ، وعبدالله بن المبارك عالم خراسان.

نتاجه العلمي

أما نتاجه العلمي فيقول الدكتور صلاح الدين المنجد إنه كان أكبر أصحاب أبي حنيفة الذين أثروا في نشر مذهبه بكثرة تواليفه ، وكان أكثر فقهاء القرن الثاني إنتاجاً ، وفي آرائه أصالة قد تجعله ذا مذهب خاص ، بل إن التصانيف الكبرى في الفقه كالمدونة والأسدية والأم والحجة قد ألفت في ضوء كتبه وتأثر به أصحابها[3] ومن أوسع كتبه : (المبسوط) الذي بسط فيه فروع الفقه طبقاً لرأي أستاذه أبي حنيفة وصاحبه أبي يوسف دون أن يغفل رأيه في كل مسألة[4].

ومن أجمع كتبه (الجامع الكبير) الذي ضم أهم مسائل الفقه ، وقيل : إنه لم يؤلف في الإسلام مثله ، وزاد عليه بكتابيه : الزيادات ، وزيادة الزيادات ، حيث استدرك فيهما ما فاته في الجامع الكبير واقتصر في الجامع الصغير على رواية ما سمعه من أبي يوسف رواية عن أبي حنيفة.

واحتج على اهل المدينة في كتابه (الحجج) مبيناً الأسانيد الشرعية لمذهب أهل العراق في عصره ، ويعد كتابه الحجج أول ما صُنف في باب اختلاف المذاهب ، وناقش المالكية في روايته

---

(٢) في ترجمة الشيباني : انظر ابن سعد ٢٣٠ هـ : الطبقات الكبرى ، القسم الثاني. الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ : تاريخ بغداد. ابن خلكان ٦٨١ هـ : وفيات الأعيان ، القرشي ٧٧٥ هـ : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، اللكنوي ١٣٠٤ هـ : الفوائد البهية في طبقات الحنفية الكوثري ١٣٧١ هـ : بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني

(٣) انظر مقدمة السِّيَر الكبير تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية طبعة ١٩٧١

(٤) مقدمة السِّيَر الكبير ، المرجع السابق

للموطأ وزاد عليهم بالأخبار المروية عن غير مالك، بل واجتهادات كثيرة خالف فيها مالك وأبا حنيفة وأصحابه، وقال عنه الإمام الزاهد الكوثرى: «محمد بن الحسن قوى فى مالك» وقاله الذهبى أيضا فى «ميزان الاعتدال»[٥].

وللشيبانى غير ماذكرنا من مؤلفات: السِّيَر الصغير، والآثار، والرقيات، كما تنسب إليه كتاب الخارج والحيل.

كتاب السِّيَر الكبير

ختم محمد بن الحسن الشيبانى حياته بهذا الكتاب الجليل، حيث يعد السِّيَر الكبير آخر تصنيف صنفه - رحمه الله - فى الفقه قبل موته[٦].

وذكر الإمام السرخسى شارح الكتاب وراوية مناسبة إخراجه فقال: «إن السير الصغير وقع فى يد عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعى عالم أهل الشام. فقال: لمن هذا الكتاب؟ فقال: لمحمد العراقى. فقال: وما لأهل العراق والتصنيف فى هذا الباب؟ فإنه لا علم لهم بالسِّيَر. ومغازى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه كانت من جانب الشام والحجاز دون العراق، فإنها محدثة فتحاً. فبلغ [ماقاله] الأوزاعى محمداً فغاظه ذلك، وفرغ نفسه حتى صنف هذا الكتاب. فحكى أنه لما نظر فيه الأوزاعى قال: (صدق الله .. «وفوق كل ذى علم عليم» ..)

وأعجب به الرشيد أيما إعجاب وعده من مفاخر أيامه وأرسل ابنيه يستمعانه على مؤلفه، وزاد الاهتمام به أيام الدولة العثمانية، واتخذ أساسا لأحكام المجاهدين العثمانيين فى حروبهم مع الدول الأوربية.

وقد جمع فيه الشيبانى موضوعات القانون الدولى بصورة منفردة ومتميزة لم يسبقه إليها أحد سواء من فقهاء الإسلام أم من غيرهم فتحدث عن قوانين الحرب والجهاد ومشروعيتها، وجرائم الحرب وحرمتها والأمان بأنواعه وتفصيلاته وشروطه والهدنة وأحكام الذمة، وآثار الحرب فى الأموال والأشخاص، والمعاهدات ونقضها، وغنائم الحرب والأسرى والرسل وحصاناتهم، والتجارة بين دار الحرب ودار الإسلام... الخ.

جمعية للقانون الدولى بألمانيا باسم الشيبانى

وبهذا يعد الشيبانى أبا القانون الدولى بحق، وقد تنبه لذلك المشتغلون بالقانون الدولى فى مختلف بلاد العالم فاجتمعوا فى حوالى منتصف هذا القرن على تأسيس جمعية للقانون الدولى فى (غوتنجن) بألمانيا باسم الشيبانى وأطلق عليها «جمعية الشيبانى للحقوق الدولية» انتخب لرئاستها فى ذلك الوقت الفقيه المصرى الكبير المرحوم الدكتور عبدالحميد بدوى، ونائبا له الدكتور صلاح الدين المنجد وتهدف الجمعية إلى التعريف بالشيبانى وإظهار آرائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولى الإسلامى.

فما سمات هذا القانون فى فقه الشيبانى بالنظر إلى القانون الدولى المعاصر؟ هذا ما سنوجزه تحت العنوان التالى

الشرعية الدولية والشرعية الإسلامية

يتبع

---

(٥) موطأ الإمام مالك بن أنس، رواية محمد ابن الحسن الشيبانى، الطبعة الرابعة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٣٤ ومابعدها

(٦) السِّيَر الكبير: مقدمة محمد بن أبى سهل السرخسى شارح السِّيَر صـ ٢ المرجع السابق

(٧) انظر فى ترجمته القرشى ٨٧٥ هـ: الجواهر المضية ابن قطلوبغا ٨٧٩ هـ: تاج التراجم، صاحب خليفة ١٠٦٧: كشف الظنون كذلك السير الكبير مقدمة المحقق ص ١٦ ومابعدها.

(٨) سورة يوسف ٧٦.

الإسلام في التاريخ الحديث

للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى

ذلك العنوان اسم كتاب لمستشرق كندى يعمل مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية وأستاذا للدين المقارن بجامعة « ماجل » فى مونتريال ـ كندا ، وقد أقام المؤلف فى « لاهور » بضع سنوات يدْرُس الإسلام والتاريخ الهندى ويُدرِّسُهما ، وزار أغلبية أقطار الشرق الأوسط . كما زار غالبية المناطق الرئيسية التى يعمرها المسلمون فى العالم .

وقد نشرت جامعة « برستون » هذا الكتاب الذى نعرض له فى هذه الكلمة : « الإسلام فى التاريخ الحديث » .

وقد حضر المؤلف الندوة العالمية للإسلاميات التى انعقدت فى لاهور بالباكستان ، والتى ختمت أعمالها فى الثامن من يناير سنة ١٩٥٨ ، وبمناسبة ذكر هذا المؤتمر نذكر عضو الأزهر ذلك العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالله دراز الذى حضر هذا المؤتمر وقدم فيه بحثه .

وشاءت إرادة الله أن يتوفى فى هذا المؤتمر ـ رحمه الله وأجزل عطاءه ـ وكان ـ رحمه الله ـ مثالا فى الأخلاق والسلوك والاجتهاد .

فأما ذلك المستشرق فهو « ولفريد كانتويل سميث » الذى نزل فى طريق عودته بجمهورية مصر العربية ، حيث ألقى محاضرتين فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة فى مساء يومى : ١٩ ، ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨ .

وكان موضوع المحاضرة الأولى هو هذا السؤال :

« هل يجب أن يكون للأديان الكبرى أسماء » .

وكان يرى الأستاذ المستشرق « سميث » أن الدين إذا أخذ على أنه اعتقاد كان من أسباب البحث والحركة الإيجابية . أما إذا فهم على أنه شعار واصطلاحات كان جاحدا غير إيجابى .

وكان موضوع المحاضرة الثانية هذا السؤال :

« هل الإسلام اسم الدين » .

يرى المستشرق (ولفريد كانتويل سميث) أن للإسلام فى العصر الحديث ، « مشكلة وأزمة » ، والمسلمون يحسون أن خطأ ما وقع فى تاريخهم ، فانحرف به عن طريقه السوى ، وأن ثمة مفارقة بين الدين الذى أنزله وبين التطور التاريخى للعالم الذى يسيطر عليه ويصرف أموره ، إنهم يفكرون فى تقويم ما اعوج من تاريخهم حتى يعاود سيره من جديد فى كامل قوته ، وحتى يستعيد مجتمعهم ما ينبغى أن يكون للمجتمع من قوة وازدهار يتولى الله هدايته .

نظرات فى مدارس الاصلاح وتجديد الوعى القومى

لقد بدأت مرحلة التأخر الخطير تحيط بالعالم الإسلامى فى القرن الثامن عشر حيث بدا العالم الإسلامى كما لو كان قد فقد القدرة على تولى أمر حياته وتنظيمها ، وفقد فجأة قبضته القوية العظيمة على العالم ، وواضح أن هذا التأخر كان فى نفس الوقت الذى نهضت فيه أوربا ، وخطت مدنيتها خطوات واسعة فى تاريخ البشرية ، خطوات ملؤها الحيوية والمهارة والقوة .

فى ذلك الوقت كان الغرب بصدد إعادة تشكيل حياته ، ثم حياة العالم كله بعد ذلك بقليل ، وحوالى سنة ١٨٠٠ كان ضغط الغرب شديدا على مراكز القوة الباقية فى العالم الإسلامى .

وفى غضون القرن التاسع عشر زاد الضغط والاستعمار ، فالهولنديون فى أندونيسيا ، والبريطانيون فى الهند وجهات أخرى والروس فى أواسط آسيا ، والفرنسيون فى إفريقيا ، كانوا جميعا يحكمون المجتمع الإسلامى .

أما تركيا وإيران فقد بقيت لها السيادة السياسية : سيادة جعلت منها دولتين مستقلتين استقلالا ما .

وفى ظل تداعى العالم الإسلامى كانت تظهر هنا وهناك ومضات من الإصلاح لمحاولة البعث الإسلامى منها :

١ ـ الوهابيون فى الجزيرة العربية ومنهجهم الإصلاحى :

صاحب هذه الدعوة محمد بن عبدالوهاب من علماء (نجد) ظهرت دعوته فى القرن الثامن عشر ، وكانت تتسم بالدعوة إلى الدين ارتباطا بالنص وعملا بما كان عليه فى عصره الأول ، وكان ـ فى سبيل تحقيق هدف العودة إلى الدين الخالص على حد تعبير الشيخ ابن عبدالوهاب ـ برفض أساليب الحياة الثقافية التى سادت فى العصور الوسطى ، وحمل عليها ، فأنكر الصوفية والمذهب العقلى سواء فى الفلسفة أو الدين ، ورفض انحلال المجتمع إلى فرق ومذاهب ، وكانت فرقة « الشيعة » أكثر تعرضا لهجومه .

وفى نظر محمد بن عبدالوهاب أن التجديد الإصلاحى كائن فى العودة إلى الشريعة الأولى التى استقرت فى صدر الإسلام ، فهى خلاصة العقيدة وزبدتها ، وأن ما يعتبر من عمل الفقهاء وبعد مصادر للتشريع كالرأى والاجتهاد ، أو ما يقدم النص تفسيرا أو تأويلا فهو عندهم باطل وَتزيُّد ، وأنه لا سبيل للعودة إلى الشريعة الأولى وبعثها من جديد ، إلا إذا زال عنها ما استحدث فيها على مر العصور .

ثم جاوز مرحلة التبشير والدعوة إلى مرحلة التنفيذ فتحالف ابن عبدالوهاب منشىء الحركة الوهابية ، مع ابن سعود أحد الأمراء الحاكمين حيث عملوا على أن يقيموا لأنفسهم ـ وسط الصحراء وفى إطار التخلى عن الدولة العثمانية ـ مجتمعا يحمل تعاليم الله خالصة .

واقتفى ابن عبدالوهاب أثر أستاذه الشيخ/أحمد ابن حنبل وتلميذه ابن تيمية ، وهنا اعتمد إصلاحه على :

- **القرآن .**
- **والسنة .**
- **ومقررات ما يعرف بالسلفية وهى فى نظرهم : تراث أحمد بن حنبل ومدرسته .**

ورفض الوهابيون تراثا أصيلا قام على تنظيره

وتقويمه وشرحه فقهاء الإسلام على اختلاف مدارسهم ، كما عارضوا أى تفسير للإسلام على قواعد الفقهاء مهما كان قدرهم فى الفكر الإسلامى . على أن مذهب ابن حنبل فى الفقه كان يتردد بين فقه الإمام مالك وفقه الإمام الشافعى وهم ـ أى الوهابيون ـ لا يقولون بالرأى الاجتهادى المبنى على قواعد أصول الفقه المفسرة لآيات الأحكام ورفضوا العقل ليس كمقولات عقلية فى بنائها الفلسفى أو المنطقى ، إنما رفضوه منهجا وطريقا حتى الطرائق العقلية التى بناها الفقهاء وأخذوا بها وطبقوها فى المجتمع ، وفى بناء علم الفقه الإسلامى ، وكانوا يرون أن الإسلام ليس بالفكرة المجردة التى يلوكها الإنسان أو يرددها شأن التعاويذ وتهويمات الكهان ، إنما هو الفكرة فى تطبيقاتها العملية فالإسلام إذاً عمل وممارسة .

وفى نظرنا : أن الوهابية هى دعوة إلى طاعة الله خالصة . غير أن هذا التجرد الذى دعت إليه الوهابية فرد بجناحه على المناهج الإسلامية التى تعتبر أساس الفكر الإصلاحى والفقه التجديدى فهى مدرسة للعبادة وليست للفكر .

ولا شك فى أن انتشار مقالات التكفير التى يعلنها الأتباع على المذاهب الإصلاحية الأخرى وتنهى الناس عن فهمها أو دراستها يزيد من انغلاق بعض المذاهب وجموده وحصره فى بيئته ، بينما المذاهب الإصلاحية ليست ملكا للأتباع إنما هى زاد ثقافى يغذى العقل والفكر ويزيد العقل والفكر والحوار ازدهارا ونماء وليس كما يرى الأتباع أن يقفوا به عند عبارة المذهب ليس غير .

٢ ـ شاه ولى الله الدهلوى فى الهند وتوجه الإصلاحى :

شهد ولى الله دهلوى عصر انحلال امبراطورية المغول وانحطاط العالم الإسلامى ولا سيما فى دولة الهند التى بدأ الضعف يتسرب إليها مما يغرى بالاعتداء الخارجى والتمرد الداخلى ، ففى الشمال الغربى من الهند وثب نظام « السيخ » المتزايد على ما بقى من حكم المغول ، كما نزل البريطانيون فى البنغال ، وكانت الهند الغربية مسرحا للنهضة « الهندوسية » .

وكانت أسس دعوته الإصلاحية ـ على نقيض ابن عبدالوهاب ـ تقوم على الإصلاح والإحياء فهو يرى فى الصوفية طريقة خالصة لله لكن شابها بعض الممارسات المنافية لأصول الدين وخالطها بعض المظاهر الفاسدة ، فنادى بتطهيرها ، واجتهد فى إيجاد تفسير يجمع بين الصوفية والسنة الخالصة ، وكان يرى أن إصلاح الصوفية إصلاح لذلك المجتمع المتدهور ، ومن أسس إصلاحه

الاتجاه نحو التربية فعمم المدارس الشرعية لتدريس الشريعة فى ثوب جديد ، وكان أكثر تقبلا للتجديد وتطور العصر ، فكان فى إصلاحه (أكثر وعيا) وأغزر مادة ، وأطوع مرونة وهذه ميزة له . وأثمر اتجاهه التربوى فى فتح المدارس الدينية لتعليم الشريعة والفكر الإسلامى ، وتخرجت منها أجيال حملت لواء الإسلام وطورت ثقافته وأسهمت فى إبراز الوحدة الدينية فى وقت أفول إمبراطورية المغول .

واتجهت حركة النهضة الإسلامية اتجاهين :

● **الأول** : ضد الاحتلال الداخلى .

● **والثانى** : ضد التهديد أو السيطرة الأجنبية .

ويتمثل هذان الإتجاهان فى جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ م) ، كان جمال الدين الأفغانى يمثل الآراء الحديثة فى ميدان الفكر الإسلامى ، مع المام شامل بالإسلام ، حتى لقد كان ـ بحق ـ المسلم العالم فى عصره .

ومن الناحية الجغرافية ، شمل دوره إيران والهند والعالم العربى وتركيا ، فضلا عن البلاد العربية والأوروبية ، وكان يجمع بين الصوفية والسنية ، ثم عاد إلى مصالحة الشيعة وربط بين العلوم الإسلامية التقليدية والآراء الحديثة ، وكان نشاطه يتجه الوجهتين معا : الإصلاح الداخلى والدفاع ضد القوى الخارجية ، وقد آزر الحركات الثورية السياسية وشجع العلماء ومدهم بالكثير من آرائه حتى غلب طابعه على العالم الإسلامى .

لقد أدرك أن العالم الإسلامى مهدد بقوة الغرب ونشاطه ، وإذا كان المصلحون المتقدمون ينادون بأن علة تأخر المجتمع الإسلامى فيما ينطوى عليه تكوينه من خطأ ، فقد نادى جمال الدين الأفغانى بأن العلة هى ضعف هذا المجتمع دون أى شىء آخر ، وقد شارك مشاركة فعلية فى جميع الحركات الوطنية وخاصة فى إيران سنتى ١٨٩١ ، ١٨٩٦ .

وفى مصر شارك فى الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، وطوف بالبلاد الإسلامية يلهب حماس المسلمين ويبعث فيهم وعيا جديدا ، ويذكرهم بأمجاد الماضى وقوته ، وكانت نظرته إلى الغرب تختلف كذلك عن غيره من المصلحين ، إذ رأى فيه خطرا جديرا بأن يتقى ويقاوم ، وفى نفس الوقت مثالا ـ وخاصة فى الناحية العلمية ـ خليقا بأن يحتذى .

وثمة عنصر آخر ظهر فى دعوة جمال الدين الأفغانى ، كان يذكر المسلمين بأنهم ـ وحدهم ـ المسئولون عن مستقبل الإسلام ، وعليهم أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم ، فكان يخلق فيهم الشعور بالمسئولية ، ويحثهم على العمل المتصل وينهاهم عن التكاسل .

كان على يقين من أن الإسلام لابد مستعيد أمجاده وعظمته .

ولم يكن لجمال الدين الأفغانى خطة واضحة ، أو فلسفة منظمة ، ولكنه كان يتميز بنشاط جم وقدرة على إذكاء حماسة الآخرين .

وكان تطور الإتجاهين السابقين فيما بعد ، قويا منتشرا فى شكل حركات أخرى يتصل الكثير منها بطريق مباشر أو غير مباشر بحركات الوهابيين ، وولى الله والأفغانى فى حين يبدو بعضها مستقلا عنها .

ونذكر من بين هذه الحركات ، (حركة السنوسى) فى ليبيا (سنة ١٨٤٢) ، والمهدى فى السودان (سنة ١٨٨١) ، والحركات التى قامت فى إيران ، وقد سبقت الإشارة إليها والمحمدية فى أندونيسيا (سنة ١٩١١) ، وهكذا .

وكان لكل من هذه الحركات المحلية أسبابها المباشرة سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية أو غير ذلك من النواحى الخاصة بالمنطقة التى ظهرت فيها ، وكل منها تناسب التاريخ المحلى ، ويتعين دراستها على هذا الأساس ، وإن كانت جميعا تشترك فيما تشير إليه من إتجاه إلى إزدهار جديد ، ومقاومة التدخل والضغط الخارجى .

وتشهد حركة الخلافة الهندية (١٩١٨ ـ ١٩٢٤) التى أثارت حيرة غير المسلمين بمدى التوتر العاطفى الذى يلازم إدراك المسلمين لتدهور قوة الإسلام ، وإنها لتبين الرغبة فى الكفاح من أجل النهوض .. هذه الرغبة التى لم يكن لها ثمة برنامج واضح .

وقد لحظنا جمال الدين الأفغانى ، وكيف كان يعبر عن أحلام المسلمين بمجدهم القديم ، ومنذ ذلك الحين وهذه النغمة تتطور فى العالم الإسلامى .

ويتدخل عامل ثالث فى حركة التحرر الإسلامى ترك أثره فى الدين ، ونقصد ذلك تأثير المدنية الغربية ، فمنذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى كانت حركة التحرر الأوروبى قد بلغت مداها ، وكذلك كان النفوذ الأوروبى قد بلغ ذروته ، وقد زار كثير من المسلمين البلاد الغربية ، وعادوا إلى بلادهم وقد امتلأوا إعجابا بما شهدوا هناك من روح وقيم ، وخاصة الطلاب الذين قضوا فى البلاد الأوروبية سنوات فى طلب العلم فى جامعاتها ، وكان ذلك سببا فى نقل الكثير من الغرب إلى العالم الإسلامى ، فظهرت به آراء واتجاهات وقيم حديثة ، وكان أن أدخلت فى البلاد الإسلامية فى ذلك الوقت ، أو فرضت عليها طائفة من النظم الاجتماعية والسياسية والقانونية الغربية ، لقيت ترحيبا من بعض المسلمين ، ومعارضة من الآخرين وفى النهاية اعتنقها الكثير واستمر التطور .

والذى يعنينا أنه وجدت وجهتا نظر تسيران جنبا إلى جنب وترحب إحداهما بالتحرر الغربى بالفعل مفضلة اسمه ، وتبذل الأخرى محاولات للتوفيق بينه وبين الإسلام .

من الواضح أن الحركات القومية فى البلاد الإسلامية أصبحت قوية وجامعة ، وقد استهدف شطرٌ كبيرٌ من نشاط هذه البلاد مقاومة الاستعمار الأجنبى ، وكان قادة هذه الحركات متأثرين بروح الغرب والروح القومية فى التاريخ الإسلامى القديم .

وقد بدت هذه الحركات القومية جامحة قوية تهدف إلى التخلص من التدخل الأجنبى ، ولم تكن هذه الحركات مطابقة للإسلام فحسب ، بل هى جزء لا يتجزأ من فكرة بعث الإسلام .

وكانت الجامعة الإسلامية شعورا لدى المسلمين بضرورة تماسكهم ، إذ أن (وحدة المسلمين) فى العالم الإسلامى هى وحدة مشاعر ، إلا أن المحاولات التى بذلت لتجعل منها وحدة سياسية باءت بالفشل بمجرد مواجهتها الواقع ، وقد أكد جمال الدين الأفغانى هذه الوحدة ، وظلت الجامعة الإسلامية إلى اليوم حلما جميلا يعز تحقيقه ، كانت مستقرة فى الوعى الدينى الإسلامى القديم ، وبقيت محتفظة بقوتها فترة إلى أن حطمها التاريخ عندما اختلف المسلمون بعد موت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ودب الإنشقاق فى صفوفهم بموقعة الجمل سنة ٣٦ هـ ، ومنذ ذلك الحين لم يندمل الجرح إلى اليوم وإن بقى الخيال يجذب الأنظار إليه ، وليس ثمة تعارض بين الجامعة الإسلامية وبين الروح القومية فى البلاد الإسلامية ، وإنما التعارض قائم بينها وبين الحقيقة الواقعة .



من تراث المحقق الاسلامى
محمد أبو الفضل ابراهيم
الثروة الإسلامية

لقد هيأ للأمة العربية من وسائل الثقافة والمعرفة ، وأسباب التفوّق والنبوغ ، ما لم يتهيأ لغيرها من الأمم والشعوب .

دين سمح كريم ، سما بهم إلى أبعد الغايات ، وأطلق عقولهم من أسر الجهل والخرافات .

وكتاب عربى مبين ، اشتمل على أكرم المقاصد وأنبل الأغراض ، فكان هداية للسارين ، وشفاء ورحمة للمؤمنين ، ولغة طيّعة ذلول ، استطاعت بما فيها من ثراء وغناء ، ومرونة واستعداد للنماء ، أن تعبّر عن سرائر النفوس وخلجات القلوب ، وأن تفى بحاجات العلوم والفنون ، وأن تساير المخترعات فى كل زمان ومكان .

وأرض مترامية الأطراف ، فسيحة الجنبات ، حوت من موارد الثروة ومقوّمات الدول وروافد الذخيرة والعدة والعتاد ، مالا يتيسر لغيرها من البلاد .

ثقافات العروبة قبل الإسلام :

وكانت الأمة العربية فى الجاهلية محصورة فى مكان محدود ، ولم يكن معروفا عندها من العلوم إلا الرواية والخبر ، وشىء من النّجامة وأمشاج من الطبّ وقليل من المعارف ، مما اقتبسوه من الفرس والهنود .

الانطلاق فى الإسلام

ثم جاء الإسلام وبعث محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يكد يمضى على ظهوره سوى قرن من الزمان ، حتى انبسطت للعرب دولتهم ، واتّسعت رقعة بلادهم ، وامتدت من فرغانة والصين والهند شرقا ، إلى مصر وإفريقية وما بعد : بلادُ الأندلس غربا ، فكان هذا الفتح ، ونتيجة الغزو ، من أعجب الظواهر الاجتماعية فى التاريخ .

القرآن والنحو والبلاغة :

وواكبَ هذه الوثبة السياسية نهضة علمية أثارت الدهشة والإعجاب ، وأخذوا يتدارسون القرآن الكريم ، واستمدوا منه أصول العبادة والتشريع ، ووضعوا لحفظه قواعد النحو والتصريف ، والرسم والقراءات ، وصرفوا هِمّتهم لبيان إعجازه ، فأقاموا موازين البلاغة

والنقد ، واستطردوا لفنون الأدب ، ووضعوا فى ذلك الكتب والأسفار .

الحديث الشريف :

ثم عمدوا إلى الحديث فدّونوه عن الصحابة والتابعين والرّواة ، وأنشأوا لنقده علوم المصطلح والجرح والتعديل ، وتراجم الرجال ، ذلك أن الأحاديث النبويّة مصدر آخـر من مصادر التشريع ، ومنبع من منابع الحكمة ومكارم الأخلاق ، وصنوف السلوك والآداب .

اللغــة :

ثم قصدوا إلى اللغة فجمعوها من أفواه الرواة فى الحواضر ، والأعراب فى البوادى ، وصنعوا الفهارس والمعاجم ، وميّزوا العربىّ من الدخيل ، خشيةً عليها من عوامل المسخ والفناء ، والخطأ والضّياع .

الفقـــه :

وعلى كثرة المسلمين وتعدادهم ، وتنقّلهم فى البلاد ، وتجدُّد الأحوال ، ووقــوع شتّـى الأحــداث ، أرادوا أن يميّــزوا بين حَلاَلهم وحَرَامهم . وما هو صالح لهم فى أمر دينهم ودنياهم ، فعنوا أشدَّ العناية بالفقه والتشريع ، طبقا لما يجدُّ من الأحوال ، وما يعرض على الزمن من أمور ، وظهرت المذاهب المختلفة ، والآراء المتعددة ، وكلهم يستمدُّ من القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويعتمـد على القيــاس والاستحسان ، ووضعوا فى ذلك المصنّفات الطوال ، فكان كتاب المبسوط فى فقه أبى حنيفة ، و(المدوّنة والذخيرة) فى فقه مالك ، و(الحاوى) فى فقه الشافعى ، و(المُغْنى) فى فقه ابن حنبل ، وغير ذلك من الكتب السائرة المشهورة .

تاريخ الأمم :

كما أنهم تدارسوا تاريخ الأمم والشعوب ، وحياة الرسل والخلفاء ، والملوك ـ ووضعوا فى ذلك كتب السير والمغازى والفتوح ، وكان من أعلام المؤلفين : ابن أبى إسحق وابن هشام وابن سعد والواقدى واليعقوبى ، والطبرى والمسعودى وابن خلدون .

الترجمة فى شتى الفنون ثم التأليف :

ولمّا اتصلوا بالفرس وامتزجوا باليونان والروم بالفتح أو بالغزو أو الجوار ، أخذوا فى ترجمة علومهم وفنونهم ، فى الطب والهندسة والفلك والرياضيات ، وتمثّلوا معارفهم أصدق تمثيل ، ثم ألّفوا فى كل هذا وأبدعوا ، حتى الأسمار والأحاديث كان لهم فيها جولة ونصيب .. وفى قصص ألف ليلة وليلة من روعة الخيال وسحر القصص شىء عجيب . وبكل هذا أصبحت حضارتهم ممتزجة بحضارات الأمم كلها ، وغدت معاهد بغداد وبخارى ، والقاهرة والاسكندرية وغرناطـة وصقلية ، تقصد من كل مكان .

الوراقـة :

وعلى مرّ الزمن ، تفشّت الكتابة وتيسّر الورق والقلم والمداد ، وظهر ما كان يُسمّى قديما بالوراقة ، فما تكاد الكتب تصدر عن مؤلفيها ، حتى يُسارع الوَرّاقون والنساخون ، إلى كتابتها ، فيستطير أمرها ، ويسير على الأفواه ذكرها ، فيسارع العلماء والأمراء والملوك إلى اقتنائها ، وكثرت هذه الكتب ، وامتلأت بها خزائن العراق

والشام ومصر ، والمغرب والأندلس ، فى شتى المعارف والفنون والآداب .

المكتبات وأحوالها :

روى أن الرشيد لما ركب إلى (الرّقة) فى بعض أسفاره ، حمل معه ثمانية عشر صندوقا مملوءة كتبا ، ليقطع الطريق بالقراءة فيها ، وكان الصاحب بن عباد يصحب فى أسفاره ثلاثين جملا ، تحمل عليها كتبه ، ولما أنشأ الرشيد بيت الحاكم ببغداد ، جمع فيه ما نقل إلى العربية مما ترجم من اللغات الأخرى ، وما ألف من العلوم الإسلامية إلى عهده .. ولما تولى المأمون ، جمع فى هذا البيت كتب العلوم بلغاتها وكانت مكتبة الحكم المستنصر فى قرطبة تحوى ألوف الكتب ، وذكروا أن فهارسها بلغت أربعة وأربعين فهرسا . وحوت مكتبة العزيز بالله الفاطمى ألوف الكتب ، وذكروا أنه كان فيها عشرون نسخة من تاريخ الطبرى إحداها بخط المؤلف .

وعلى مرّ التاريخ وتعاقب الليالى والأيام ، مُنيت المكتبة العربية بما تُمنّى به الدول والعروش ، وأصابها ما يصيب الأعمال من عوامل الفناء ، فكان ما كان من غزْو التتار ببغداد ، واعتداء الصليبيين على حلب والشام وسطوة الأسبان بالأندلس فذهب كثير من نفائس الكتب وأحرارها[1] ، وضاع معظم ما ألفه الجاحظ وابن قتيبة ، والطبرى والمسعودى ، والمعرّى والفخر الرازى والقفطى وغيرهم من أعلام المصنفين .

ولكن ــ على الرغم من هذه المحن ، وتتابع الكوارث ــ فقد سَلِمَ من تلك العوادى قَدْرٌ من الكتب ، يزخر بصنوف الفنون والآداب ، قدّره بعض الباحثين بثلاثة ملايين من المخطوطات ، متفرقة فى مكتبات القاهرة ودمشق وحلب والموصل ، وبرامبور وكلكتا من بلاد المشرق ، ومكتبات تونس والجزائر والرباط فى شمال أفريقيا ، ومكتبات استانبول ، وبراغ ، وبرلين ، والمتحف البريطانى بلندن ، والأوسكريال بأسبانيا ، والمكتبة الأهلية بباريس ، وغيرها من مكتبات أوربا وأمريكا .. مما يُثبت بوضوح ، أن الأمة العربية ، خلّفت آثارا جليلة ، عادت على الحضارة الانسانية بالتقدم والارتقاء ، وأن العرب قاموا بدورهم فى التطور الفكرى العام ، بحماسة (دينهم)[2] ، وهيئوا العقول للتفكير العلمى الحديث .

ومن واجبنا اليوم ــ ونحن نبنى حضارتنا على قواعد أصيلة ــ أن ننشر هذا التراث ، على منهج علمى مدروس ، ففى نشره إنصاف لحضارة العرب ، وكشف عن أمجادهم فى شتى الميادين ، وفيه ما يدفع الناشئة إلى اقتفاء تراث أسلافهم ، والاعتزاز بتاريخهم .. بل إن فى نشره ما يجعلهم يحسّون بأن لهم كيانا معتبرا فى عالم الكشف والاختراع ، وأنه يمكن السير مع غيرهم ، من الأمم فى ركب الحضارة ، بخطى واسعة ، وهمّة تملؤها العزة والكرامة .

وقد قمت فى حياتى بحصيلة طيبة ، فى تحقيق كتب التراث ، ولولا اعتلال الصحة لزادت إلى المئات بل الآلاف .. فهناك نهر لا يجف من المخطوطات العربية ، بما تحتويه من تراثنا الثمين الغالى .

(١) كذا بالأصل ... ولا ندرى لها معنى ... مجلة الأزهر .

(٢) فى الأصل كلمة أمكن أن نتصورها هكذا ... والله أعلم .

أهل الفضل من العلماء وتشجيعهم على طلب العلم

بقلم الأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

قرأت فى مقدمة كتاب «معاهد التنصيص» قصة طريفة عن الإمام المجدد الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى عهد مضى .. تشير إلى حبه للعلم وتشجيع الطلاب على طلبه والإخلاص له والاجتهاد فى تحصيله . تقول هذه القصة : إن الشيخ محمد عبده - رحمه الله - كان من محبى كتاب «معاهد التنصيص» إلى درجة أنه جعله من سُمّاره ، وأنه كان كثير القراءة له والاطلاع عليه ، وكان إذا أراد أن يختبر طالبا ممن يتقدمون إليه لبث شكاية ، أو رجاء شفاعة ، أو طلب نوال ، قدم إليه هذا الكتاب ، وأمره أن يسمعه قطعة منه ، ثم أمره أن يُبيّن ما قرأه ، فإن أجاد القراءة والفهم والإبانة توسم فيه الخير ، وقضى حاجته ، وإن قصّر دفعه عن مُلْتَمسه ، ولم يره أهلا لبره ومعونته .

ولاشك أن ذلك دافع مهم للطلاب وأصحاب الحاجات على الإقبال على هذا الكتاب وغيره للقراءة والاطلاع والفهم والاستفادة والإفادة .

مبعث ذلك عند الإمام :

ولعل مبعث ذلك عند الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ يعود إلى حبه للعلم ، بعد أن تذوق لذته وعرف جماله ، وأدرك أنه هو الوحيد الذى يصنع الكمال فى الإنسان ، وقد جَرَّب الإمام محمد عبده بنفسه ذلك ، فقد انتابته فى صدر حياته العلمية فترة صرفته عن العلم ، وصدَّته عن طلبه ، ولكنه سرعان ما انشرح صدره له ، فنشط فى طلبه وأقبل عليه ، حتى بلغ أقصى ما أمكن من درجات الكمال فيه ، وأصبح من كبار المجددين المجتهدين فى الإسلام . يقول فى مذكراته : « حملنى أبى إلى طنطا ، وكانت سنى أربعة عشر عاماً لأدرس العلم الأزهرى ، وبدأت بتلقى شرح الكفراوى على الأجرومية فى المسجد ، وقضيت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئاً » . وكان ذلك سببا فى يأس الشيخ من التعليم ، ورجوعه إلى قريته واشتغاله بالفلاحة وتزوجه . ولكن والده بعد زواجه بأربعين يوما أمره بمعاودة الدرس مرة أخرى ، ولكنه رفض ، وخاف من والده فهرب إلى قرية خال أبيه الشيخ درويش ، وكان من العلماء العاملين بعلومهم ومن أهل التصوف . وقد أراد هذا الشيخ أن يعالج الفتى بطريقته الخاصة .

ويحدثنا الإمام محمد عبده عن ذلك فى مذكراته قائلا :

« جاءنى هذا الشيخ وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى أحد رجال التصوف إلى بعض مريديه بالأطراف ، بخط مغربى دقيق ، وسألنى أن أقرأ له منها شيئاً لضعف بصره

قال : فدفعت طلبه بشدة ، ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت منه أشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدىَّ رميته إلى بعيد ، ولكن الشيخ تبسم وتحلَّى فى ألطف مظاهر الحلم ، ولم يزل بى حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر ، فاندفع يفسر لى معانى ما قرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضى فتغلبه ، وتسبق إلى نفسى . وبعد قليل جاء أصدقائى الشبان يدعوننى إلى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة فى نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت إليهم .. » .

ولم ييأس الشيخ من تلميذه ، وقرر تشجيعه على طلب العلم وتحبيبه فيه بطريقة

بعيدة عن العنف والإكراه يقول الإمام :

«وبعد العصر جاءنى الشيخ بكتابه ، وألح على فى قراءة شىء منه ، فقرأت ، وفسَّر ، ثم تركته إلى اللعب .

« وفعل فى اليوم الثانى كما فعل فى اليوم الأول . أما فى اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له ، وهو يشرح لى معانى ما أقرأ نحو ثلاث ساعات ، لم أمل فى خلال ذلك .. » .

فقال له الشيخ : أنه فى حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة ليعمل فيها بعض العمل . قال الإمام : فطلبت منه أن يبقى الكتاب معى ، فتركه ، ومضيت أقرأ ، وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها ، وظللت كذلك حتى جاء وقت الظهر .. وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب ، وهوىً ينازعنى إلى البطالة .

وفى عصر اليوم سألته عما لم أفهمه ، فأبان معناه على عادته ، وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم، ولما يأت على اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شىء إلى هو ما كنت أحبه من لهو ولعب وفخفخة وزهو ، وعاد أحب شىء إلىَّ هو ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم .

عودة الإمام إلى طنطا :

وكان هذا الدرس سبباً فى عودة الإمام محمد عبده إلى طنطا . وفهمه للدروس التى كانت تلقى عليه ، وانتقاله بعد ذلك إلى الأزهر فى القاهرة . ولكن أستاذه الشيخ درويش ظل يتابعه بعد ذلك فى دروسه . فكلما كان يعود فى إجازة من إجازاته ، وبعد ما يسمع منه طرفا من المناهج التى يدرسها فى الأزهر يقول له : هل درست المنطق ؟ هل درست الحساب ؟ هل درست الهندسة ؟ .. فيجيبه الإمام : أن بعض هذه العلوم غير معروفة فى الأزهر ، فيرد عليه الشيخ قائلا : إن طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أى مكان .

يقول الشيخ محمد عبده : فكنت إذا رجعت إلى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها ، فتارة كنت أخطىء فى الطلب ، وتارة كنت أصيب ، إلى أن جاء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر فى أواخر سنة ١٢٨٦ هـ ، وقد صاحبته وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية والكلامية .

لم ينقطع عن شيخه الأول :

ويبدو أن الإمام محمد عبده تأثر بما سمعه من كلام ونقد مُوجَّه إلى دروس الأفغانى ، فسرعان ما وجد عند الشيخ درويش جواب ذلك مما شفى صدره ، وأرجع يقينه ونشاطه فى تلقى هذه الدروس ، فقد قال له : إن الله هو العليم الحكيم ، ولا علم يفوق علمه

وحكمته ، وإن أعدى أعداء الحكيم هو السفيه ، وما تقرب أحد إلى الله بأفضل من العلم ، فلا شىء من العالم بممقوت عند الله ، ولا شىء من الجاهل بمحمود لديه . إلا ما يسميه بعض الناس علما وليس فى الحقيقة بعلم ، كالسحر والشعوذة ونحوهما إذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس .

وكان لهذه الكلمات صدىً طيب فى نفس الإمام ، فقد استراحت مما لحقها من شكوك ووساوس .. وهكذا ظلت متابعة الشيخ درويش لتلميذه الإمام ، واستمرت ملاحظته ورعايته له ، فها هو ذا يخرجه من عزلته التى فرضها على نفسه ، ويحرضه على نفع الناس بعلمه الذى تعلمه ، قائلا له : إن من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة ، فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشدهم إلى الطريقة القويمة والسنة الصالحة .

وكان هذا الدفع القوى من أستاذه سببا من أسباب دخول الإمام محمد عبده فى غمار المجتمع ، ومحاولته القيام بدعواته المتكررة فى نواحى الإصلاح المختلفة ، وتفرده بطريقة خاصة عرفت عنه فى الإصلاح ، ومازال يثابر فى دعوته حتى أخذ مكانه فى القمة بين رجال الإصلاح الاجتماعى وترك من بعده آثاراً خالدة لا تزال تنطق باسمه وفضله وذكره ، ويكفى من ذلك أن كانت الجامعة المصرية ـ جامعة القاهرة الآن ـ والجمعية الخيرية الإسلامية من وحى أفكاره ، ومن ثمار توجهاته ، وهذان الأثران الجليلان مازالت ثمارهما يانعة ، وخدماتهما باقية ، وستبقى إن شاء الله إلى ما شاء الله .

عود إلى معاهد التنصيص :

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فمن المفيد الإشارة إلى كتاب (معاهد التنصيص) الذى فتح باب هذا الحديث بما قصه علينا محققه العالم الفاضل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ طيب الله ثراه ـ وهذا الكتاب من مؤلفات الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى المتوفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة من الهجرة ، وعنوانه بالكامل «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» .

والمعاهد جمع معهد وهو مكان العهد أو زمانه ، والتنصيص مصدر الفعل نصَّص ، وهو يعنى إظهار الشىء ورفعه وإسناده ، وأصل النَّص أقصى الشىء وغايته ، فكأنَّ المؤلف يعنى بذلك رفع الشواهد إلى مكانها الأول ، وإسنادها إلى أصحابها المتقدمين .

نشأ العباسى وتوفى فى القرن العاشر الهجرى ، فى أسرة تنتمى إلى بنى العباس ، ولذلك مدحه بعض النابهين بقوله :

ابــن عم النبــى والــلابس
الفخرين من نوره ومن برهانه

وقد ترجم له شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ فى كتابه المشهور «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» وقال عنه : أنا وإن لم أره ، فهو لقرب عهده سمعت

غيره ، حسيب «طرّزكمّ المجد ، وأعار رقة شمائله نسمات نجد .. وله شعر رائق منه :

لست عن ود صديقى سائلا
غير قلبى فهو يدرى وُدّهْ
فكما أعلم ما عندى له
فكذا أعلم ما لى عنده

ومنه :

أما ترى البدر إن تأملت والشمس
هما يكسفان دون النجوم ؟
وهو الدهر ليس ينفك ينحو
بالمصاب العظيم نحو العظيم

وهو شعر كما ترى يتجه نحو الحكمة ، ويغرف من معينها ، ويقبس من لألائها .. وكثيرا ما علق الشعراء على شعره ، ووازن النقاد بين أقوالهم وقوله .. ومن ذلك قوله :

إذا ما كنت فى قوم غريبـاً
فعاملهم بفعل يستطابُ
ولا تحزن إذا فاهوا بفحش
غريبُ الدار تنبحه الكلابُ

قال الخفاجى : وهذا إشارة إلى ماجرت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف ، وكذلك تنبح الكلاب على الفقراء ، وفى أنس الحكمة «الكلب ينبح على الفقير دون الغنى ... لأنه يرجو منه المواساة ، بخلاف الفقير ، ولذا قال الشاعر :

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة
ذلّت لديه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً معدما
هرّت عليه وكشّرت أنيابها

ومن قوله أيضاً :

أرى الدهر يكرم جُهّاله
وأعظم قدراً به الجاهلُ
وأنظر حظى به ناقصا
أيحسبنى أننى فاضلُ

ولما سمعه بدر الدين الغزى أجابه قائلا :

أعبد الرحيم سليل العلا
ويافاضلا دونه الفاضل
أتعتب دهراً غدا موقنا
بأنك فى أهله الفاضل ؟

وأنظر إلى جمال التورية فى البيت الأول فالفاضل فيه تشير إلى القاضى الفاضل الأديب المشهور وأسمه عبد الرحيم أيضاً .

وفى هذا المعنى يقول بعض شعراء بغداد :

إنى رأيت الدهر فى صرفه
يمنح حظ العاقل الجاهلا
لما رآنى نائلا ثروة
أظنه يحسبنى عاقلا

أما قول الشاعر أبى تمام فى هذا المعنى فقد أوفى على الغاية :

ينال الفتى من دهره وهو جاهل
ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تأتى على الحجا
هلكن - إذن - من جهلهن البهائم

الشاعر العباسى وشواهد البلاغة :

هذا الشاعر الأديب لم يكن حظه من الأدب قول الشعر فحسب بل كان أديباً محلقًا ، واسع العلم والثقافة ، وقديما قال أهل الحكمة : الأدب فى مفهومه أن يأخذ الأديب من كل فن بطرف .

والدليل على ذلك أنه أقبل على كتاب «تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان» للإمام القزوينى

المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، وهو كتاب يعد من أعظم ما ألّف فى البلاغة ، ولذلك تناوله العلماء بالشرح والتعليق والتلخيص . وأساس هذا الكتاب هو «المفتاح» أى مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

يامن يريد من العلوم مرامه
فافهم بجدك نسخة المفتاح
ليس الوصول إلى المرام ميسّراً
إلا بإقبال على المفتاح
فاصرف عنانك عن مطالب غيره
واسأل له فتحاً من الفتاح

وقد كثرت شروح التلخيص كثرة فائقة ، وكان ذلك دليلاً على أهمية الكتاب .

ولكن الشاعر العباسى اتجهت همته إلى ميدان آخر يتفق مع موهبته الأدبية فى معالجة هذا الكتاب ، هو ميدان الشواهد البلاغية والتعليق عليها، بما يُبين عن قدره اللغوى وحسه الأدبى .

وقد تحدث هو فى مقدمة كتابه عن منهجه ذلك بقوله : تصفحت على أكثر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت فى كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلا ما لم أطلع عليه بعد التفتيش فى كتب الأدب ، والتحرى والاستقصاء فى الطلب ، ومزجت فيه الجد بالهزل والحزن بالسهل .. فجاء بحمد الله غريب الابتداع ، عجيب الاختراع ، بديع الترتيب ، رائع التركيب ، مفرداً فى فن الأدب ، كفيلا لمن تأمله بالعجب .

جهد الشيخ محيى الدين المشكور :

ولئن كان الأديب العباسى قد أبدع فى كتاب معاهد التنصيص ، فإن محقق هذا الكتاب العلامة الشيخ محيى الدين عبد الحميد ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ وهو صاحب فضل سابق فى مجال التأليف والتحقيق قد أضفى على الكتاب صبغة جديدة ، وأخرجه لقراء العربية إخراجا جديدا ، ونقاه مما أصابه من تشويه وتحريف واضطراب ، وراجعه على مختلف نسخه الخطية ، وعلّق عليه بما هو فى حاجة إليه مما يهم القارىء والأديب والمعلم والمتعلم ، وقد استطاع أن ينتخب من خلال النسخ الخطية للكتاب النسخة الكاملة الأنيقة لهذا السِّفْر الجليل . ومجهود الشيخ محيى الدين فى ميدان التحقيق لا يُجحد ، وقد تحدث عنه العالم الفاضل الكبير الأستاذ الدكتور السيد الجميلى فى سلسلة مقالاته الرائعة عن «طبقات المحققين والمصححين» فى مجلة الأزهر ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى ما كتبه عنه فى عدد رمضان سنة ١٤١٦ هـ .

ولا ينبغى أن ننسى أن مجهود الشيخ محيى الدين وغيره من العلماء المحققين صورة جادّة من صور التشجيع على طلب العلم والاقبال عليه ، لأنهم يسّروا أسبابه ، وهذبوا شعابه ، وقربوا شوارده ، وسهلوا موارده ، فجزاهم الله عن ذلك خير الجزاء .

وأرجو الله ــ تعالى ــ أن تكون لنا عودة إلى كتاب « معاهد التنصيص » لعرض بعض ما تضمنه من أسرار علمية وأدبية وطرائف فقهية ولغوية إن شاء الله ــ تعالى ــ وهو ــ وحده ــ ولى التوفيق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القــراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها فضيلة الشيخ / السيد المراغي شمس الدين

السؤال من السيد/ س . و . ا

حيث إنني من أسرة ريفية وكنت قد قمت بالرضاعة مع أصغر أخوالى سنا من جدتي ولمدة سنة ولى أربعة من الأخوال غير خالى الأصغر والخالى الأكبر فتاة فهل يجوز لى الزواج منها وما الحكم ؟ وهل يجوز لأحد إخواتي الزواج من إحدى بنات أخوالى ؛

الجــواب

الحمد لله ﷻ رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد أن رضاعك من جدتك لأمك خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان .

صرت ابنا للجدة وأخا لأولادها ، فلا يجوز لك الزواج من بنات خالتك أو بنات أخوالك لأنهن صرن بنات إخوة لك ، وبنات الأخ وبنات الأخت من المحرمات شرعا لحديث (يحرم من الرضاع ما من النسب) .

ويجوز لإخوتك الذين لم يرضعوا من جدتهم الزواج من بنات أخوالهم وبنات خالتهم . لأنه لا مانع شرعا أن يتزوج الرجل أخت أخيه من الرضاع والله تعالى أعلم .

السؤال : سيدة طهرت من الحيض قبل المغرب بنحو ساعة ، فماذا تصلى بعد أن تغتسل ؟ وما معنى الضرورة فى الصلاة ؟ وما هى الضرورة التى تبيح للمصلى تأخير الصلاة عن وقتها ؟

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد .. فنفيد بأن المرأة إذا طهرت من حيضها واغتسلت قبل المغرب وبقى مايسع خمس ركعات فإنه يجب عليها أن تصلى الظهر والعصر . لأن وقت الظهر الضرورى يمتد من دخول وقت العصر حتى قبل المغرب بخمس ركعات .

وكذلك إذا طهرت قبل الفجر وبعد غسلها بقى على طلوع الفجر ما يسع أربع ركعات فإنها تصلى المغرب ـ ثلاثاً ـ وتبقى ركعة تدرك بها العشاء ـ بمعنى أنه يجب عليها أن تصلى المغرب والعشاء لأنها طهرت ووقتها باق فيلزمها صلاتهما معاً .

أما عن الضرورة فهى مطلقاً . الأمر الذى يواجهنى ولا قدرة لى على دفعه ولا إرادة لى فيه .

وأما عن الضرورات التى تبيح للمصلى تأخير الصلاة عن وقتها .

فليزم أولاً أن تعرف أن للصلاة وقتا اختيارياً ومعنى أنه اختيارى أنه يمكن للمكلف أن يؤخر الصلاة فيه بدون عذر من غير إثم .. وللصلاة وقت ضرورى ، ومعنى أنه ضرورى أنه لا يجوز للمكلف أن يؤخر الصلاة من غير عذر شرعى وإلا أثم .

والأعذار التى تبيح تأخير الصلاة فى الوقت الضرورى هى :

(١) الصبى إذا بلغ فى الوقت الضرورى أدى صلاته ولا إثم عليه فى التأخير لأنه لم يكن بلغ .

(٢) المغمى عليه والمجنون إذا أفاق كل منهما فى الوقت الضروى ولا إثم عليهما .

(٣) النائم الذى لم يستيقظ إلا بعد الوقت .

(٤) الناسى الذى لم يتذكر إلا بعد الوقت الضرورى .

(٥) فاقد الطهورين .

(٦) الحائض .

(٧) النفساء .

(٨) من سكر بحلال أما من سكر بحرام فعليه إثم السكر وإثم تأخير الصلاة .

(٩) وأخيرا المكره .

هذا إذا كان الحال كما ذكـــر فى السؤال والله ـ تعالى ـ أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« أربع كلمات »

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ :

الموعظة فى ثلاث آيات من كتاب الله ـ تعالى ـ :

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ .

﴿ يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ .

﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾

« الموعظة فى آيات »

أربع كلمات من أربعة كتب :

من التوراة : من « قنع شبع » .

ومن الإنجيل : من « اعتزل نجا » .

ومن الزبور : من « سكت سلم » .

ومن القرآن :

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾ .

« حتى تنال العلم »

أخى لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

« حقـا »

اعدل فيما وليت ، واشكر الله على ما أوليت ، يمدك الخالق ، وتودك الخلائق .

« من أين حشرت علينا البهائم » ؟

سأل رجل « أبا عبيدة معمر بن المثنى » ، وهو يلقى درسا في مسجد البصرة ، فقال له : يرحمك الله . ما العنجيد ؟ ، فقال : ما أعرف هذا ، فقال : سبحان الله ، فأينك من قول الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد

سد تليع تزينه الأطــواق

فقال : عافاك الله « عن » حرف جاء لمعنى « والجيد » هو العنق .

ثم قام آخر في المجلس ، وقال : يا أبا عبيدة ؟ رحمك الله ، « ما الأودع » ؟ ، فقال : عافاك الله ، ما أعرفه ؟ قال : سبحان الله ، فأينك من قول العرب : « زاحم بعود أو دع » فقال : ويحك : هاتان كلمتان ، والمعنى : اترك وذر ، ثم استغفر الله واستمر في الدرس ، فقام رجل ، فقال : رحمك الله أخبرني عن « كوفا » ، فقال : رويت أنساب العرب ، وأسماءهم ، ولست أعرف : « كوفا » ، قال : فأين أنت من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً ﴾ . فأخذ نعليه وخرج من المسجد ، وهو يصيح : من أين حشرت علينا البهائم اليوم ؟

« نصيحة »

قال جعفر بن محمد : لا تكونن أول مشير ، وإياك والرأى الخطير ، وتجنب ارتجال الكلام ، ولا تشيرن على مستبد برأيه ، ولا على متلون ، ولا على لجوج .

« ثــلاث »

قال إبليس ـ لعنه الله ـ : ثلاث من كن فيه أدركت حاجتى منه :

من استكثر علمه ؛ ونسى ذنبه ؛ وأعجب برأيه .

« رثاء أعرابية »

وقفت أعرابية على قبر أبيها وقالت :

الله عوض . عن فقدك ، وفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة في مصيبتك ، ربِّ نزل بك عبدك عاليا من الزاد ، غنيا عما في أيدى العباد ، فقيرا إلى ما في يدك يا جواد ، وأنت خير من نزل به المؤمّلون ، واستغنى بفضله المقلّون ، وولج في واسع رحمته المذْنبون ، فليكن قرى عبدك منك رحمتك ، ومهادُه جنتك .

« دعـــاء »

إلهي لست للفردوس أهــلا
ولا أقــوى على نار الجحيم
فهب لى توبة واغفر ذنوبى
فإنك غافر الذنب العــظيم

الحكم الشرعي للتأمين الاجتماعي (*)

٦

للدكتور / عبد الله مبروك النجار

والتأمين الاجتماعي – كما هو معروف – هو الذي تقوم به الدولة نفسها ، أو تعهد بإدارته إلى إحدى هيئاتها العامة ، وهو يستهدف تأمين طبقات الشعب ضد أخطار معينة ، كالمرض والعجز ، وكتأمين العمال ضد البطالة .

وما ذلك التدخل من قبل الدولة إلا لأن المصلحة المراد حمايتها فيه مصلحة عامة ، تتمثل في مصلحة الطبقة العامة في مجموعها ، فهذا التأمين يصدر عن اعتبار اجتماعي يستند إلى فكرة التضامن الاجتماعي مع فئة تعتمد في معيشتها على كسب العمل ، لذلك تساهم الدولة مع أصحاب الأعمال والعمال في حمايتهم من أخطار المهنة ، وهو تأمين إجباري تفرضه الدولة لرعاية العاملين من أخطار العمل ، وجعل هذا التأمين إجباريا يقصد من ورائه تحقيق مصلحة عامة لأهمية دور الطبقة العاملة في الاقتصاد القومي[1] ونبين الحكم الشرعي للتأمين الاجتماعي في مبحث أول ، ثم نبين طبيعة الحق في التأمين الاجتماعي في مبحث ثان .

المبحث الأول

مشروعية التأمين الاجتماعي

وهذا النوع من التأمين جائز عند جميع الباحثين في عقد التأمين ، وهو عندنا كذلك ، ذلك أن أساس المنع من التأمين هو الغرر ، وهو يقتصر على عقود المعاوضات دون التبرعات ، وفقا لما ذهب إليه الإمام مالك – رضي الله عنه – ، ومن نحا منحاه من المجتهدين ، ونظام التأمينات الاجتماعية لا يدخل في عقود المعاوضات ، فليست الدولة في مركز المعاوضة

(*) الحديث في التأمين مطروح على العلماء وليس خاصاً بالكاتب ، فيمكن مراجعته للوصول الى الحقائق الشرعية . مجلة الأزهر .

(١) د. حسام الأهواني – ص ٢٨ وما بعدها ، د. أحمد شرف الدين – ص ٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوي – ص ١٧٥ .

الذى يطلب مقابلا لما بذل ، ويسعى فى تحديد هذا المقابل إلى طلب الربح الذى يتمثل فى زيادة ما يأخذ على ما يعطى ، بل على العكس من ذلك ، فالدولة تساهم مع العمال ، وأرباب الأعمال بجزء من المال العام ، تحقيقا لمقاصد التأمين[٢] ، وهذا المال المدفوع منها أشبه بالتبرع المبذول منها بحكم ولايتها على عمالها وحرصها على مصالحهم .

ولما كانت التأمينات الاجتماعية تقوم على التعاون على البر ، والتضامن الاجتماعى فلا تفسدها الجهالة الفاحشة أو الغرر ، ولا تعتبر زيادة مبلغ التأمين فيها عن الاشتراكات المدفوعة ربا[٣] .

وقد قرر مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره الثانى : أن نظام المعاشات الحكومى وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى دول أخرى كل هذا من الأعمال الجائزة[٤] .

ولم اقرأ رأيا لفقيه أو باحث فى فقه الشريعة يقضى بتحريم التأمينات الاجتماعية أو نظام المعاشات ، سوى ما قرره أستاذنا : الدكتور رمضان حافظ عبدالرحمن : من انه محرم شرعا ، لوجود الغرر والمقامرة فيه[٥] .

ونحن لا نوافق أستاذنا على هذا الرأى ، لأن علاقة المستأمن فيه بالدولة علاقة تضامن وتعاون ، ولا ينظر فيه إلى الربح من قبل الدولة ، وبالتالى لا يؤثر فيه الغرر ، ومما يدل على مشروعية مثل هذا النوع من التأمين ما ذكره صاحب الخراج : أن عمربن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مر يوما بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى ، قال : فما ألجاك إلى ما أرى ؟ ، قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، وأعطاه شيئا من المال ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال : أنظر هذا وضرباءه فوالله ما انصفناه أن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله عند الهرم ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[٦] .

ومثل هذا التصرف من عمر ـ رضى الله عنه ـ يدل على أن تأمين العجزة والشيخوخة وأمثالها مما يجب أن تقوم به الدولة ، لأن السلطان ولى من لا ولى له ، كما تدل على أن المال المبذول من قبل الدولة فى هذا النوع من التأمين إنما هو محض تبرع .

كما أن العهد الذى أبرمه خالد بن الوليد نائبا عن الخليفة الأول أبى بكر الصديق لأهل الحيرة جاء فى أحد نصوصه : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال

---

(٢) د. حسين حامد ـ السابق ـ ص ٤٦ .

(٣) د. عبدالناصر العطار ـ ص ٧١ وما بعدها ، والشيخ محمد أبو زهرة ـ أسبوع الفقه الإسلامى ـ ص ٥١٥ .

(٤) كتاب مجمع البحوث الإسلامية ، المؤتمر الثانى ـ ص ٤٠١ .

(٥) موقف الشريعة الإسلامية من الميسر والمسابقات الرياضية ـ ص ١٧٦ .

(٦) الخراج ـ لأبى يوسف ـ ص ١٣٦ ـ المكتبة السلفية ومطبعتها سنة ١٣٩٢هـ .

المسلمين ، وعياله ما أقام بدار الإسلام[7] .

أدلة مشروعية التأمين الاجتماعي :

ولئن كان ما سبق من آثار أبي بكر الصديق وعمر ـ رضي الله عنهما ـ يمكن أن يستدل منه على مشروعية مثل هذا النوع من التأمين ، إلا أن هناك أدلة أخرى كثيرة يمكن أن يستدل منها على مشروعيته ، فإذا كان التأمين الاجتماعي هو نوع من التكافل الذي تلتزم به الدولة تجاه العاملين بها وفاء لحقهم ، وتقديرا لما بذلوه من عمل نافع خلال مدة خدمتهم ، فإن مثل تلك الرعاية للعاملين تعتبر من ضمن ما قرره الإسلام لحقوق العاملين ولعل ما يدل على ذلك من سنة النبي ﷺ ما يلي :

١ ـ ما روى عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم »[8] ، حيث دل هذا الحديث على أن الإمام باعتباره ممثلا لدولة ترعى أبناءها ، وتحوطهم بكل أسباب العناية ، مسئول عن رعاية أبناء دولته ، ومن صور تلك الرعاية تقرير ما يكفيهم من المعاش اللازم لقيام حياتهم ، وحياة أبنائهم من بعدهم ، ومثل ذلك مما سيسأل عنه الإمام أمام الله ـ عز وجل ـ إذا هو قصر فيه ، وفي هذا الحديث ما يمكن أن يدل على مشروعية التأمين الاجتماعي .

٢ ـ ما رواه أبوداود في سننه أنه ﷺ قال : « من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتخذ زوجة ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة »[9] ، وقد دل هذا الحديث على حق العامل في أن تكفل له الدولة ما يقوم بمؤن حياته المطلوب من الطمأنينة على أهله وولده فيتفرغ للعمل ويؤديه على النحو المطلوب ، ولئن كان الحديث واردا في مجال قسمة الفيء إلا أنه يدل في الجملة على جواز التأمين من الأعباء الاجتماعية ، وتقرير الكفاية لها على الدولة .

على نحو يقدر معه على التفرغ الكامل لما يمليه واجبه الوظيفي ، حتى يستطيع أن يؤدي العمل المنوط به ، بذهن صاف وبال خال مما يشغله ، وقد أشار الحديث الشريف إلى عدد من أهم ما يحتاج الإنسان إليه في حياته ، كالمنزل والزوجة والدابة أو ما يقوم مقامها من السيارات وغيرها ، فمثل ذلك مما يمكن أن يدخل في واجبات الدولة تجاه العاملين .

ولئن كان الحديث قد ذكر تلك الأشياء وهي على تلك الدرجة من الأهمية في حياة العامل فإن ما هو أكثر منها أهمية بالنسبة له ، أن يطمئن على من يعنيه أمرهم بعد وفاته ، وهم أبناؤه وزوجته ، فرعايتهم وتقرير التأمين الاجتماعي الذي يكفلهم بعد مماته يكون من الأمور المشروعة .

---

(7) الخراج لأبي يوسف ـ ص ٣٠٦ ـ طبعة دار الشروق ١٩٨٥ م ، وقد وضع عمر بن الخطاب لجماعة من المجذومين النصارى ـ حين مر بهم في رحلته إلى الشام ـ معاشا يكفيهم من بيت مال المسلمين ، المرجع نفسه ـ ص ٢٧٨ وما بعدها .

(8) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣٠ ، والأموال لأبي عبيد ص ١٠ .

(9) رواه أبو داود في سننه : راجع : سنن أبي داود ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٣ ، وقد جاء برواية أخرى عن الحارث بن يزيد عن جبير بن نفير ، عن المستورد بن شداد ، قال سمعت النبي ﷺ يقول : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا » ، قال أبو بكر أخبرت أن النبي ﷺ قال : « من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق » .

٣ ـ ما روى عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الفيء قسمه فى يومه ، فأعطى الآهل حظين ، وأعطى العزب حظا ، زاد ابن المصفى : فدعينا وكنت أدعى قبل عمار ، فدعيت فأعطانى حظين وكان لى أهل ، ثم دعى بعدى عمار بن ياسر فأعطى له حظا واحدا[١٠] .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث : أن رسول الله ﷺ كان يوزع الفـيء على قدر المغـارم الاجتماعية ، حيث كان يعطى الآهل « أى المتزوج الذى يعول أهلا » ضعف ما يعطيه للعازب ، وفى هذا دلالة على الأعباء الاجتماعية ، مما يجب أن تؤخذ فى الاعتبار .

٤ ـ وما رواه الزهرى عن سلمة عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ كان يقول : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، فأيما رجل مات وترك دينا فإلى ، ومن ترك مالا فلورثته »[١١] ، وقد جاء الحديث برواية أخرى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فإلينا » ، والمراد بالكل هنا العيال[١٢] .

ووجـه الدلالـة فى هذا الحديث على المطلوب :

أنه قد دل بروايتين على ما يجب أن يتقرر للذرية من رعاية تلتزم بها الدولة ، يستوى فى تلك الدلالة على المطلوب ما جاء فى رواية جابر ـ رضى الله عنه ـ : « من ترك دينا فإلى ، ومن ترك مالا فلورثته » ، حيث إن تحمل الرسول ﷺ بالدين عن كاهل المتوفى مع تركه مالا يخصص كله لورثته ، فيه من التوسعة على الذرية مالا يخفى ، حيث يسلم لهم مال مورثهم كله دون أن يزاحمهم الدائنون فيه ، وفى ذلك من التوسعة عليهم وضمان الحياة الكريمة لهم مالا يخفى .

أما رواية أبى هريرة فهى واضحة الدلالة على المطلوب حيث يقول فيها النبى ﷺ : **« من ترك كلا ، أى عيالا ، فإلينا » ، أى أن علينا شمول** أولاد المتوفى بالرعاية التى تكفل لهم **الحياة الكريمة** بعد موت عائلهم ، وعلى العموم فإن الحديث يدل على مشروعية تقرير نوع من التأمين يضطلع بمثل تلك الغاية .

٥ ـ بما رواه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن أبى هريرة أنه ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين فى الجنة ـ وأشار إلى الوسطى والسبابة ـ والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهـد فى سبيـل الله »[١٣] ، ولا يخفى ما يدل عليه هذا الحديث من مشروعية كفالة اليتيم والأرملة والمسكين ، وهو ما يمكن أن يدخل تحت مظلة التأمين الاجتماعى فيكون مشروعا بالحديث .

المبحث الثانى

طبيعة الحق فى التأمين الاجتماعى

وقد أثار الحق فى التأمين الاجتماعى الذى تقوم

---

(١٠) سنن أبى داود ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٥ وما بعدها .

(١١) رواه أبو داود : راجع : سنن أبى داود فى باب أرزاق الذرية ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٦ ، وقد روى مثله عن جعفر عن أبيه عن جابر ، كما روى مثله ـ أيضاً ـ عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

(١٢) حاشية الشيخ أحمد سعد ، على سنن أبى داود ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٦ ، هامش (١) الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ ، والكل (بفتح الكاف وتشديد اللام) فى اللغة : اليتيم ، راجع : القاموس المحيط ـ جـ ٤ ـ ص ٤٦ ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٣ م .

(١٣) راجع : صحيح الجامع الصغير ـ للألبانى ـ حديث رقم ١٤٧٦ ـ المكتب الإسلامى .

به الدولة اختلافا فى الرأى حول طبيعته ويمكن إرجاع أقوال الباحثين فى هذه المسألة إلى رأيين :

الأول : يرى أن الحق فى التأمين الاجتماعى يغلب عليه جانب التبرع من الدولة ، وهو لا يمكن أن يدخل فى نظام المعاوضات ، ذلك أن الدولة ليست فى مركز المعاوض الذى يطلب مقابلا لما بذل ويسعى فى تحديد هذا المقابل إلى طلب الربح الذى يتمثل فى زيادة ما يأخذ على ما يعطى ، بل على العكس من ذلك ، فإن الدولة تساهم مع العمال وأرباب الأعمال بجزء فى مال النظام[14] ، ولا يقلل من صفتها التبرعية تلك أن يكون لتلك التأمينات عوض يتمثل فيما يدفعه العاملون من اشتراكات تحدد الدولة مقدارها ، فإن ما يدفع لهم من معاش أو تأمينات اجتماعية ، إنما هو هبة لا يراعى فيها مقدار هذه الأقساط ، ومهما يكن من أمرها فإنها قد تكون هبة بمقابل ، أو هى أشبه بهبة بعوض ، وذلك لا يخرجها عن معنى التبرع[15] ، فنظام التأمين الاجتماعى ليس تعاقدا ، وإنما هو نظام يدفع فيه المؤمن عليه الاشتراك كضريبة تفرضها الدولة للمصلحة العامة ، وهو نظام قصد به تقديم المعونة لمن تتوافر فيه الشروط استحقاقها[16] ، وذلك دون نظر إلى أن يكون ذلك نتيجة معاوضة بينها وبين ما دفع من اشتراكات ، فالرصيد المشترك الذى تدفع منه المستحقات تكون مما يدفعه المؤمن لهم مضافا إليه ما يدفعه أصحاب الأعمال ، وتخصصه لهم الحكومة على سبيل المعونة ، وقيام الدولة بهذه المعونة ليس إذن بمقتضى تعاقد ، وإنما هو تدبير اجتماعى يدخل فى نطاق ما يطلب من الحكومة أن تقوم به من الأعمال فى سبيل إقرار النظام وتدبير وسائل العيش والرفاهية والأمن للأفراد[17] ، وذلك مما يدخل ضمن التزام الدولة بحكم وظيفتها فى كفالة العاملين فى خدمته ، دون أن يكون ذلك فى مقابلة ما دفعه الموظف أو العامل[18] .

الثانى : يرى أن نظام التأمين الاجتماعى له شبه بعقود المعاوضات ، لأن التأمين الذى يحصل عليه من الدولة لا يتمخض عن خالص تبرع منها ، وإنما هو مشروط بأداء قسط الاشتراك إليها من المستأمن على النحو الذى تقرره مواد قانون التأمين الاجتماعى ، وخاصة المواد « ٦ ، ٧ ، ١٧ »

---

(١٤) د. حسين حامد حسان ـ السابق ـ ص ٤٦ ، د. عبدالناصر العطار ـ السابق ـ ص ٧٢ ، وفى هذا المعنى : محمد أبو زهرة ـ أسبوع الفقه الإسلامى ـ ص ٥١٥ ، وعيسوى أحمد عيسوى ـ مجلة العلوم القانونية عدد يوليو سنة ١٩٦٢ م ص ٤٥ .

(١٥) د. عبدالناصر العطار ـ المكان السابق .

(١٦) الشيخ على الخفيف ـ التأمين ـ ص ٣٢ ، بحث مقدم للمؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية على الإستنسل ، وعيسوى أحمد عيسوى ـ المكان السابق ، ومحمد الحماد ـ السابق ـ ص ٩٨ .

(١٧) الشيخ على الخفيف ـ المرجع نفسه ، عيسوى أحمد عيسوى ـ المكان السابق ، ومحمد السيد دسوقى ـ التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه ـ ص ١١٥ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، عبدالسميع المصرى ـ التأمين الإسلامى بين النظرية والتطبيق ـ ص ٩ الطبعة الثانية مكتبة وهبة ، د. محمد زكى السيد ـ نظرية التأمين فى الفقه الإسلامى ـ ص ٤٥ ـ دار المنار الطبعة الأولى .

(١٨) وأبو المجد حرك ـ من أجل تأمين إسلامى معاصر ـ ص ١١٨ ـ دار الهدى للنشر ، وراجع : د. يوسف قاسم ـ ص ٢١٨ ، حيث يقرر : أن التأمين الاجتماعى لا ينبغى أن يكون محلا لخلاف ، فهو عمل اجتماعى تقوم به الدولة خدمة لمواطنيها بقصد تأمين مستقبلهم ، ودرء أثر الحوادث المفاجئة ، فهى قد التزمت به تبرعاً منها ، ولا يعود عليها نفع من ورائه ، وإنما النفع كله يعود إلى الأفراد المنتفعين بهذا النظام .

(١٩) أبو المجد حرك ـ السابق ـ ص ١١٩ .

منه ، ودفع الاشتراك المقرر بالقانون يعد شرطا من شروط استحقاق التأمين ، وإذا كان القسط الذى يدفعه العامل أيا كان مقداره يعد مقابلا لاستحقاقه المعاش وفقا للقانون مما يحقق شكل المعاوضة المالية بالنسبة للعامل ، إذ يستفيد التعويض المالى عند الاستحقاق مقابل أقساط مالية لا تتساوى فى القيمة المالية ، وهو ما يؤدى إلى الوقوع فى محظور الربا[٢٠] ، ولهذا يرى البعض أن عقد التأمينات الاجتماعية لكى يكون صحيحا ، يجب أن يعفى العامل من دفع أية حصة أو أقساط ، لأن ذلك سيكون تبرعا من صاحب العمل فى الأقساط ، وهو طرف ، والحكومة فى التعويض وهى طرف آخر ، والعامل الذى يأخذ التعويض كطرف ثالث ، فالمبادلة هنا تمت بين ثلاثة أطراف المتبرع فيها غير المستفيد ، وهذا هو الأقرب للعدالة ، ثم إن العقد بهذه الصورة يقوم على الحق لا الاشتراك ، هنا لن تقع فى الربا ، لأنها لن تكون مبادلة نقد بنقد ، ويكون العقد تبرعيا من جانب العمل والحكومة[٢١] .

نتائج هذا الرأى :

ومما يمكن أن يترتب على هذا الرأى أن اعتبار التأمين الاجتماعى نوع من عقود المعاوضة يجعل ما يستحق للعامل بناء على انعقاد سبب استحقاق هذا المعاش ملكاً له ؛ وبالتالى فإنه ينتقل إلى من يخلفه ، ولكن على أساس الميراث الذى قدره الله شرعاً ، وفقاً لأنصبته المستحقة للورثة ، ولشروط استحقاق تلك الأنصبة ، وبالتالى لن يكون مقبولا لدى هذا الاتجاه ما يقرره القانون فى توزيع المعاش على غير هذا الأساس ، ومن ذلك ما تقضى به المادة (١٢١) من قانون التأمين الاجتماعى الحالى ، والتى تنص على أنه : « تستحق المبالغ المنصوص عليها فى المادة السابقة لمن يحدده المؤمن عليه ، أو صاحب المعاش ، فإذا لم يحدد أحداً تستحق للأرمل ، وفى حالة عدم وجوده تستحق للأبناء والبنات الذين تتوافر فى شأنهم شروط استحقاق المعاش المنصوص عليها فى المادتين ١٠٧ ، ١٠٨ »[٢١] . حيث إن تلك المادة قد جعلت تحديد المستحقين فى المعاش للمؤمن عليه ، وفى هذا ما قد يؤدى إلى مخالفة أحكام الميراث الشرعية ، إذا خالف هوى المؤمن عليه ما قرره الله ورسوله بالنسبة للورثة ، حين يحرم وارثاً له حق مقرر شرعاً ويقدم عليه غيره ، أضف إلى ذلك أن شروط الاستحقاق ، قد تعطى لغير من له حق فى الميراث نصيباً فى معاشه فالزوجة المطلقة قد يكون لها حق فى المعاش ، رغم أن الطلاق يفصم رابطة الزوجية (مادة ١٠٥) من القانون المذكور ، والأخوة والأخوات يستحقون معاشاً مع أولاد المتوفى الذكور والإناث ، إذا ثبت أن المؤمن عليه كان يعولهم (مادة ١٠٩) من قانون التأمين الاجتماعى ، كما أن المعاش قد يرفع عن مستحقه بعد ثبوته له ، فالإبن لا يستحق معاشاً بعد بلوغه سن الحادية والعشرين ، إلا إذا كان طالباً بأحد مراحل التعليم التى لا تجاوز مرحلة الحصول على مؤهل الليسانس أو البكالوريوس أو ما يعادلها ،

---

(٢٠) يوسف كمال – الزكاة وترشيد التأمين المعاصر – ص ١٣٤ – الطبعة الأولى – دار الوفاء .

(٢١) هذه المادة معدلة بالقانون ٢٥ لسنة ١٩٧٧ م ، ثم عدلت الفقرتان الأولى والثانية بالقانون رقم (٧ لسنة ١٩٨٧) .

وفى هذه الحالة ترفع سن الاستحقاق إلى ست وعشرين سنة ، وفى جدول توزيع المعاش على المستحقين[٢٢] وفقاً لنظام التأمين الاجتماعى نجد أن الزوجة مع الأولاد يكون لها النصف وللأولاد النصف يقسم بينهم بالتساوى والإخوة والأخوات يأخذون الربع مع الزوج أو الأرملة التى يستحق ثلاثة أرباع المعاش .. إلخ ، وهكذا نجد هناك اختلافات كثيرة عن وجوه الاستحقاق وفقاً للتقدير الشرعى وبالطبع فإن مثل هذا الاختلاف لن يروق رأى من ينظر إلى هذا النوع من التأمين على أنه من عقود المعاوضات[٢٣] .

رأينا فى الموضوع :

والذى يترجح لنا أن التأمين الاجتماعى يغلب عليه طابع التبرع والضمان من قبل الدولة ، ذلك أن الصفة التعويضية فيه تقتضى أن يكون هناك عقد يبرم بين العامل والدولة ، يقتضى اختلاف المصالح وتباين المراكز ، وهذا مالا وجود له فى الواقع ، لأن الدولة تفرض نظام التأمين الاجتماعى على نحو يجعله نظاماً قانونياً يستظل جميع العاملين به ، ولا يلمس لمبدأ سلطان الإرادة فيه أثر ، بل إن العامل لا يملك بإرادته أن يرفض هذا النظام ، وهذا ما يرجح غلبة الصفة التبرعية فيه ويجعله نظام تبرع ورعاية وتضامن من قبل الدولة يغتفر فيه الغرر ويتلاشى الربا .

ولئن كان هناك مقابل يتمثل فى قسط التأمين ؛ فإن ذلك لا يمثل مقابلاً للتأمين ، وإنما هو إسهام مالى من العامل فى قيام نظام التأمين الاجتماعى لا يراعى فى تقديره موازنة القيمة بين ما يدفعه وما سيأخذه ، لأن الدولة متبرعة بالزيادة التى تبذلها فى المبالغ التى يتقاضاها العامل أو من يستحقون عنه عن قيمة الأقساط التى يدفعها ، وقد ألزمت الدولة نفسها بذلك من منطلق واجبها المتمثل فى رعاية مواطنيها ، وشمولهم بكل أنواع الضمان والرعاية ومنها التأمين الاجتماعى[٢٤] .

إلا أنه مهما تكن طبيعة التأمين الاجتماعى فإنه فى النهاية يتمخض عن حق للمؤمن أو للمستفيد وهذ الحق يجد سنداً قوياً له من نصوص القانون التى تنظم حق العامل فى التأمين ، ومن طبيعة التأمين فى ذاته ، كنوع من التكريم للعامل الذى أفنى عمره فى خدمة الدولة أو المجتمع ويكون من حقه بعد أن صار شيخاً أو مريضاً ، أو عاجزاً أن يكافأ بما يضمن له الحياة الكريمة عن عجزه وحاجته فهو امتداد لمستحقات العامل فى الأجر ، ويكون حقه فيه ثابتاً على نحو يتمكن معه من مقاضاة الدولة عند منعه عنه ، فإذا كان كذلك كان مثله كمثل أى مال من أموال العامل ، أو أى حق من حقوقه المالية ، وبالتالى فمن الصواب أن يتم توزيعه بعد وفاته على المستحقين وفقاً لنظام الميراث الشرعى ، فليس هناك أحسن مما قضى به الله ورسوله فى هذا الشأن .

بقى أن أذكر أنه إذا كانت هناك مآخذ يمكن أن تؤخذ على هذا النظام ؛ فهى تتمثل فى استثمار أمواله بالفائدة الربوية[٢٥]، وهذا ما لا يصح أن يكون .

(٢٢) الجدول رقم (٣) والمقرر بالقانون رقم (٧٩ لسنة ١٩٧٥) والمعدل بالقانون (٢٥ لسنة ١٩٧٧) وعمل به اعتبارا من ١/٩/١٩٧٥ . كما عدل بالقانون (٤٧ لسنة ١٩٨٤) .

(٢٣) محمد الدسوقى ـ التأمين ـ السابق ـ ص ١١٥ هامش (٣) .

(٢٤) فى هذا المعنى د. يوسف قاسم ـ ص ٢١٩ .

(٢٥) د. يوسف قاسم ـ المرجع والمكان السابقان .

من أعلام الأزهر



محمد بخيت المطيعي

علم الإفتاء في عصره

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

عود على بدء ..

كتبت مقالًا ضافيا عن الأستاذ الكبير محمد بخيت المطيعى بمجلة الأزهر عددى شعبان ورمضان من سنة ١٤١٦هـ ، تحدثتُ فيه عن جهوده العلمية ، ونشاطه الوطنى الصادق ، ولكنّ الذين لا يُحبّون أن يحمد لأعلام الإسلام فضلٌ فى مقاومة الباطل ، وإظهار الحق أوعزوا لمن يكتب فى صحفهم الحمراء أن ما قلته عن جهاد الشيخ السياسىّ مُلفّق لا أصل له ، ولم يُشِرْ إليه من كتبوا تاريخ الثورة المصرية ، وكلمة مُلفّق هذه تحمل عدة معان لا يعرفها صاحب هذا القلم الجاد ، تبرأ إلى الله ـ تعالى ـ من خوضها ، فما كان الحديثُ عن أسماء لامعة وأحداث شهيرة ، ووقائع مدونة مما يجوز فيه التلفيق ، ولكنهم فى كتاباتهم المغرضة قد عرفوا هذا التلفيق فيما اخترعوه من بطولات زائفة ، وأساطير موهومة ، فظنوا أن من يكتب التاريخ على وجهه الصحيح يخترع كما يخترعون، ويلفق كما يلفقون .

وإذا كان بعض من كتبوا تاريخ الثورة المصرية قد تجاهلوا المواقف الرائعة للشيخ وأمثاله ، فلأنهم اهتموا بمواقف الزعماء من رجال الأحزاب التى ينتمون إليها ، أما الحَقُّ لوجه الحق وحده فلا يُسَطِّره غيرُ الفضلاء الأماثل ممّن يعلمون أنّ كتابة التاريخ شهادة أمام الله يُحاسَب عليها الكاتبُ يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ومن هؤلاء فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار أستاذ التاريخ الإسلامى ، بالجامعة المصرية والأزهر الشريف ، إذ كان يكتب تاريخ الثورة المصرية يوميا على صفحات البلاغ تحت عنوان « الأيام الحمراء » فهو مؤرخ معاصر للحوادث يتحدث عن مشاهدة وعيان ويصف ـ عن يقين لا يتطرق إليه الكذب ـ ما شاهده وسمع به ، وكان يكتب اليوميات مجردة عن التحليل السياسى ، ليضع المادة السياسية فى أيدى المحللين ، وذلك أول طريق التدوين الصحيح ، وقد قلت إن الرجل أستاذ التاريخ الإسلامى ، ومعناه فى المنطق الإسلامى الواضح أنّ اختصاصه يمتد إلى هذا العصر ؛ لأننا بحمد الله نعيشُ فى عصر الإسلام ، والتفرقة الاستعمارية التبشيرية فى تجزئة التاريخ الإسلامى إلى عهدين : عهد ينتهى بدخول الحملة الفرنسية ، وعهد يبتدىء بوجودها إلى الآن ويسمى تاريخ العصر الحديث ، هذه التفرقة باطلةٌ باطلة فكلُّ ما يقع الآن ، وما وقع من لَدُن ما يسمى بتاريخ العصر الحديث هو تاريخ الإسلام فعلا ، وقيام الثورات فى وجه الاستعمار ببلاد العرب وآسيا وأفريقيا ، هو فى صميمه من تاريخ الإسلام إذ قام به مسلمون مخلصون ، وحربُ فلسطين صفحةٌ من صفحات التاريخ الإسلامى ، فالذين يحاولون أن يفصلوا التاريخ المعاصر عن التاريخ العام للإسلام ماكرون خادعون والله من ورائهم محيط .

أتقدم بهذه التوطئة ، لأنقل ما كتبه ، الأستاذ الكبير عبد الوهاب النجار بمجلة الشبان المسلمين فى العددين : الأول والثانى (محرم وصفر سنة ١٣٥٥هـ) ، الموافق (إبريل ومايو سنة ١٩٣٦م) حيث نشرت المجلة خطبته الضافية التى ألقاها فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ الشيخ محمد بخيت ـ رحمه الله تعالى ـ فتحدث عن جهوده الضافية فى حقل السياسة والدين ، وقد أشرتُ إلى هذه الخطبة فى مقالى السابق ، ولم يتح لى أن أرجع إليها حين دوّنْتُ ما كتبت من قبل فلما جوبهت باعتراض الكاتب اضطررت إلى البحث عن الأصل الذى وعيت بعضه بذاكرتى دون أن أقرأه مجددا ، ووفقنى الله ، فرأيت الخطبة مدونة بالعددين المشار إليهما ، وقد حوت مالم أشر إليه ، فكأن الله ـ عز وجل ـ شاء لتاريخ الشيخ أن يكتب بكامله ، فأوجد من يعترض ، ليدفعنى إلى استكمال ما فات ! وقد صدق الله عز وجل حين قال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة غافر

حين انتهت الحرب العالمية الأولى بعد أن ضحّتْ مصرُ فى ظل الأحكام العسكرية بأبنائها وأقواتها ، ومواقعها (الاستراتيجية) فى سبيل نُصرة الحلفاء رجاء أن تمنح استقلالها بعد الحرب ، وقد بدت بارقة الأمل فى تصريح (الرئيس ولسن) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إذ أعلن أن لكل دولة الحق فى تقرير مصيرها ... حين ذلك بدأ سعد زغلول حركته السياسية مطالبا بانتهاء الحماية على مصر ، وقد خطب فى محفل زاخر بالوطنيين يعلن بطلان الحماية ، لأنها من طرف واحد لم تُستشر فيه مصر ، وأوجد إجماعا تامًا على المناداة بالاستقلال ، وتألف الوفد المصرى برئاسته ، فعارضت بريطانيا الحركة الوطنية بقوتها المسلحة فى مصر ، ووقفت سدا أمام تظاهر الوطنيين تحت زعامة سعد ، وفى أثناء ذلك ، عقد اجتماع بالأزهر يؤيد موقف سعد ، ويطالب رئيس الوزراء بالاستقالة إذا لم يجب المطالب الوطنية جميعها ، وذهب الأستاذ الشيخ محمد بخيت على رأس جماعة من الوطنيين لمقابلة حسين رشدى باشا ليبلغه بقرار المجتمعين فى الأزهر ، فوجد منه كل قبول وارتياح ، ورأى الشيخ بخيت أن يقابل جميع السفراء فى مصر ليبلغهم قرار الوطنيين ، وقد طبع منه عدة صور لتكون الدول جميعها عارفة بما تنويه مصر من الجهاد فى سبيل الاستقلال ، فكان وجود الشيخ بخيت على رأس الدّاعين إلى الجهاد سببا فى احترام المسئولين بالمفوضيات لصدق هذه الحركة ، وتمتعها بالتأييد الشعبى ، بتوجيه مفتى البلاد .

ثم تطورت الحوادث ، وسقط الشهداء فى كلّ مكان تحت رصاص الانجليز ، واعتقل سعد ورفاقه ، ورحلوا إلى منفاهم البعيد ، ولكن الثورة ازدادت لهبا ، ورأت انجلترا أن توقع الشقاق بين عنصرى الأمة فأخفقت ، لأن منبر الأزهر كان مذياعا يخطب فيه الشيوخ والقسس معا تحت لواء واحد ، هو لواء الاستقلال ، ورأت انجلترا أن ترسل اللورد ملنر ليحاول تفريق الشمل المجتمع ، فأصدر الشيخ بخيت فتواه بمقاطعة اللورد الوافد معلنا أن المفاوضة لن تكون إلا مع سعد

زعيم الأمة ، وهذا ما أشرت إليه فى مقال ، ولكنى أضيف له اليوم ، نص ما قاله الأستاذ النجار حرفيا ، حين تحدث عن مقابلة ملنر لمفتى الديار المصرية الأستاذ محمد بخيت محاولا أن يستميله إلى حل وسط ، وقد ظنّ أن وعوده الحالية ستحدث تأثيرها ، فيستطيع أن يطوى الشيخ بدبلوماسيته الماكرة ، وإذا أقنع الشيخ وهو صاحب الزعامة الدينية بمنصبه الكبير وصوته الجهير فسيكون ذلك نجاحا يقدر له فى وزارة الخارجية البريطانية ، وقد بدأ اللورد فذكر أن الأنجليز قد ساعدوا المصريين على الرق ، وبجهودهم تقدّمت البلاد ، والحماية لا تضر المصريين فى شيء .

قال النّجار : مسجلا رد المفتى الأكبر .. لقد استمع الشيخ إلى حديث اللورد حتى إذا انتهى منه قال له فى صراحة :

يا جناب اللورد ، إنّ المصريين يعرفون ما يضرهم وما ينفعهم ، ومطالبتهم بالاستقلال سبيل الخير لهم ولبلادهم فلو كانت انجلترا حريصة على مصلحتهم لما تعت فيه !

فحاول اللورد أن يعلل بأن الحماية الانجليزية تمنع الدول الأوروبية من الاعتداء على مصر ، فقال له الشيخ صريحا : إذا كانت إنجلترا تريد حماية مصر من العدوان الخارجى ، فلها أن تفعل ذلك مع من تراه يتأهب للعدوان ، ولكن احتلالها هى للبلاد هو فى نفسه عدوان أى عدوان .

سكت اللورد .. فانتهز الشيخ فرصة سكوته ، وسأله قائلا :

ماذا تفعل انجلترا لو أرادت فرنسا أن تعلن الحماية عليها ؟ أتوافق على ذلك أم تعارض فى عنف ..؟

ففزع اللورد مستنكرا وقال : إنجلترا طول عمرها مستقلة بعكس مصر !

قال الشيخ : مصر عريقة فى المجد ، وأراد أن يذكر تاريخ مصر الذى ليس لانجلترا مثله فى القديم ، فقطع عليه اللورد حديثه بقوله الخادع : يحسن أن نتقابل فى منتصف الطريق .

فقال الشيخ لفوره : أنا موافق على هذا ، وعلى انجلترا حينئذ أن تسير هى الأخرى إلى النصف ، فتبدى خططها السياسية التى تتفق مع رغبات مصرية ، والمصريون طيّبو القلب ، ولكن إرادتهم قوية .. قوية » .

وانتهى اللقاء ، ونُشر ملخصه فى الصحف وقرأه سعد زغلول فى باريس ، فأرسل إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت المطيعى هذه البرقية .

باريس فى ٢٦ يناير سنة ١٩٢٠م .

حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية ..

أكتبُ إلى فضيلتكم عن ابتهاجنا العظيم بالأجوبة التى أجبتم بها اللورد ملنر فى داركم العامرة فقد أيدت الحق بالحجج الناهضة ، ودحضت الباطل بالإشارات الواضحة ، وكانت

أحسن وقعا ، وأبلغ أثرا من المقاطعة ، ولا غرو ، فهي أجوبة أكبر مُفْتٍ في الإسلام ، رضي الله عنكم ، وأرضاكم ، وسدد خطانا وخطاكم ، آمين ..

(سعد زغلول)

وإذا كان المال والمنصب هما من زينة الحياة الدنيا لدى من يؤثرون التمتع بالعرض الزائل ، متجاهلين ما قد يكون من وسائل هذا التمتع من حيدة عن الطريق القويم ، إذا كان هذا ؛ فإن الشيخ محمد بخيت قد كان فوق الإغراء بالمنصب والمال .

فقد أبطأت وزارة الحقانية في تنفيذ حكم صدر عن المحكمة الشرعية التي يرأسها ، فكتب الشيخ إلى بطرس غالي باشا ناظر الحقانية إذ ذاك يعلمه أن السلطة التنفيذية إذا لم تقمْ بتنفيذ الحكم ، فإنه لن يصدر حكما فيما سيعرض عليه من القضايا ، وسيدعو زملاءه إلى التوقف حتى يتم التنفيذ الفوري ، ورأى ناظر الحقانية أن الموقف جدٌّ ، فبادر بالتنفيذ ، وقد كان الأمر متعلقا بمحاسبة نظار الأوقاف وبعضهم يمت إلى ذوي الأمر بأوثق الصلات ، ورأوا إصراره ، فأحرجوه حتى قدم استقالته سنة ١٩٠٤ ،وظلّ خارج الوظيفة مع كفاءته ، حتى علم اللورد كرومر أنه ذو إصرار على ما يعتقد أنه العدل ، فبادر بإعادته ! ومن طرائفه التي ذكرها الأستاذ النجار أنه رفض رجاء الخديوي عباس في تنفيذ ما يراه في صالح عمه الأمير حسين كامل ، فأصدر حكمه بما يخالف وجهة القصر ، **ثم عُين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، فظنّ الشيخ أنه سينتقم لموقفه السابق ولكنّ السلطان دعاه وأثنى عليه وأمر بتعيينه مفتيا للديار المصرية قائلا : إن القاضي الذي يرفض رجاء حاكم مصر إذا خالف ما يعتقد جدير بأن يتبوأ أكبر منصب علمي في البلاد !**

وهذه كما تحسب في ميزان الشيخ تحسب أيضا في ميزان السلطان حسين .

وقد كانت المحاكم المختلطة تطلب رأيه في بعض القضايا فيصدر الحكم الشرعي ، ويجيئه أمر الفتوى كما هو متبع في الاستشارات القانونية ، ولكن الشيخ يرفض ، لأنّ مكانته في الإفتاء توجبُ عليه إصدار الفتوى دون أجر فوق مرتبه المعتاد ..



هذا بعض ما تعرف عن الشيخ مما لمْ يُذكر من قبل ،وهو مُدوّنٌ في مجلة ذائعة ، وقد قيل في خطبة علنية بدار الشبان المسلمين ونشرته الصحف في حينها فما اعترض أحد !

فأين هو التلفيق فيما كتبت في المقال السابق وما أكتبه في هذا المقال ؟

والمصدر معروف باسمه وتاريخه ، والكاتب ـ الشيخ النجار ـ من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ..

أعرف أن جرائد الأمس كانت تضيق بآراء الشيخ المتحفظة ، فتبالغ فى نقده ، وقد كتبت له رسوما (كاريكاتورية) يرجع وزرها على من تجنى على الشيخ برسمها ، ولكن ذلك لن يبخس من قدره مثقال ذرة ، وهذه الرسوم فى عهد الشيخ قد شملت زعماء البلاد ووزراءها وذوى المكانة فيها ، فهل أنزلتهم من مكانتهم المرموقة ، أو حالت دون أن يذكرهم أبناء اليوم بالإعجاب والتقدير ؟

كذلك تحمل المفتى تسلط الساخطين وكيد الكائدين ثم لقى الله راضيا ، وذكر المخلصون فضله ، وإن جحده الجاحدون .

وما يقال عن الرسوم الكاريكاتورية يقال عن (الأزجال) التى نشرها الأستاذ محمود بيرم التونسى هجاء للأزهريين بعامة ، وللشيخ محمد بخيت بخاصة ، وكان هذا التجنى الفادح دافعا للأستاذ عبد العليم القبانى أحد مؤرخى بيرم التونسى أن يقول فى كتابه عنه[1] .

« وقد أتبع هجاء الشيخ محمد برجل آخر لم يكن فيه منصفا ولا عادلا ، إذ جمع الأزهريين تحت لواء واحد من الخيانة والتجارة بالوطنية ، وهم قادة المظاهرات ، ونافخو روح الثورة بين الجماهير » .

وذكر الأستاذ مالا أجد داعيا لذكره من الهجاء الكاذب ، وإذا كان الأستاذ القبانى قد أنصف الأزهريين بقولة الحق ، فإنه لم ينصف الشيخ محمد بخيت حين نشر هجاء بيرم له ، فافترى التونسى عليه ما هو برىء منه ، إذ زعم أنه كان من رجال الانجليز لأنه شوهد مرّة فى السفارة !

وليت شعرى ماذا كان يصنع الشيخ فى السفارة ؟ وهو الذى جابه الانجليز برفض مبعوثهم إلى مصر ، ودعا الأمة إلى مقاطعته ، لقد طاف الشيخ على السفارات الأجنبية كلها ليبلغها رفض مصر للاحتلال وكان فى مقدمة السفارات سفارة المحتل الغاصب ، ليبلغها نصّ ما قام به من احتجاجات لدى سفراء الدول ؛ أفيكون ذلك مدعاة ذمّ له ؛ وقد قرأنا من قبل إعجاب زعيم الأمة الخالد سعد زغلول بمواقف الشيخ ذات الأثر الفعال فى إذكاء روح الثورة ! ورأى سعد يعصف بكل المفتريات التى ادعاها بيرم التونسى ، وهى مفتريات شملت الأزهريين جميعا ورمتهم بالنكول عن تأييد الثورة !! حين شبت الثورة فى صحن الأزهر ، وعرف القاصى والدانى ريادة العلماء للثائرين ، وكان شوقى أول من سجلّ هذه الظاهرة حين قال .

المهــــد القــدسى كان نديّــــه قطبـــاً لدائـــرة البـــلاد ومحورا
ولـــدت قضيتـــه على محرابـــه وحبـــت به طفــلا وشبت معصرا ..

فليسترح اللاغطون ، فإنّ الله الذى أمر باتباع الحق قد تكفّل بإظهاره ساطعا واضحا ليمحو ظلام المرجفين .

---

(١) محمود بيرم التونسى للأستاذ عبد العليم القبانى ص ٨٥ .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

سوانح ومقتبسات



لفضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدجوي

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

عندما يخلو العالم إلى نفسه فإنه يبحث ويفكر في شيء يعود نفعه على الإنسانية بوجه عام ، وعلماؤنا الأفاضل - رحمهم الله - كانت لهم سوانح ومقتبسات تحث على الفضيلة والخلق وتدفع الإنسان دفعا إلى كل ما يرتقي به سلم الكمال النفسي والخلقي .

كانت الكلمة الهادفة غرضهم الأسمى ، وشغلهم الشاغل لإعلاء كلمة الله من خلال الغوص في شريعته ، حتى أخرجوا لنا نتاجا ضخما من المعرفة الإنسانية الخالدة .

وهذا المقال يحمل بعض هذه السوانح المضيئة التي تبرهن على أن الدين عند الله الإسلام ، مثل التحلي بالفضيلة ، والبحث في نواميس الطبيعة على اختلاف أنواعها ، والفرق بين ضرورة الحس والعقل ، وترقي الجزئيات إلى الكليات ، وحكم تقليد الأنبياء في كل ما جاءوا به ، وحاجة الإنسانية بين الضرورة وغيرها .. إنها سوانح ومقتبسات تدفع الإنسان لأن يقول - ليل نهار : الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان ، قال الأستاذ - رحمه الله - :

قرأت للدكتور الفاضل صاحب العزة عبدالعزيز بك إسماعيل مقالا نشر بهذه المجلة يقول فيه : « فالإنسان الذي لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من سنن طبيعية يسمى جاهلا مهما عرف ؛ لأن قوانين السنن الطبيعية لا حد لها » .

فهيج من قلبي شعورا بتلك السوانح ، فكان مبدأ الإلهام بها ، والاستعداد لها .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر ذلك الدكتور الذي جمع من نواحي الكمال ما لا يكاد يوجد إلا في أفذاذ الرجال ، فأبان لنا من أسرار

القرآن الطيبة ما يعد آية الآيات ومعجزة المعجزات .

وقد أذكرني ذلك ما كان يفعله المرحوم الدكتور « توفيق صدقي » في آيات القرآن الفلكية وما فيها من الأسرار . (وهكذا لا يزال القرآن معجزة المعجزات وآية الآيات على ممر العصور والأوقات) .

أسأل الله أن يديم عليه هذا التوفيق في دينه القويم وعلمه الواسع وفضله الكبير ، وأن يطيل حياته للعلم والدين ، وأن يكثر من أمثاله بمنه وكرمه ! وهذه هي السوانح :

١ ـ الفضيلة تستحيل رذيلة في النفوس الخبيثة كما تستحيل الأغذية الطيبة إلى فساد في المعدة الضعيفة . (ومعدن الكبريت يقلب ما يحل فيه من الماء الزلال إلى طبعه) .

٢ ـ إن النواميس كثيرة لا تكاد تحصى ، فللأبدان نواميس ، وللأرواح نواميس ، وللعوالم الغيبية نواميس ، في كل واحد منها ما لا يعلمه إلا الله تعالى . بل في عالمنا هذا من النواميس ما لا يأتى عليه العد . وإن شئت فانظر إلى ما لا يحصى من أنواع الحيوان تجد نواميس الحيوانات الدنيا غير نواميس الحيوانات العليا ، ونواميس حيوانات الهواء غير نواميس حيوانات الماء .. الخ . فسبحان من خلق فسوّى ، وقدّر فهدى . ولا يمكن لمخلوق من المخلوقات أن يسلك غير ما رسم له من الطرق ، ولا أن يعرف غير ما هو مستعد له من المعلومات . فليعلم الإنسان أنه لا يمكنه أن يتكلم في علم من العلوم ولا صنعة من الصنائع ولا حرفة من الحرف إلا إذا كان راسخاً فيها تمام الرسوخ .

وبودى لو عرف الناس تلك الحقيقة ، وعرفوا أن الرسوخ لازم في كل شيء ، وأن بين التعلم السطحي والرسوخ في الأشياء ما بين السماء والأرض ، وأن هناك أشياء لم تخطر لنا على بال ، وهي ذات نواميس واسعة وأحكام كبيرة . ولو عرف الناس سعة العلم وجهل النفوس وضعف البشرية لاستراح العالم من منازعة بعضهم بعضا . وقد أذكرني هذا قول الرئيس ابن سينا : « إن البلاهة (أو الغباوة) خير من الفطنة البتراء » .

٣ ـ قال بعض المحققين : « إن معرفة الله ضرورية من حيث العقل دون الحس ، والتذكير بها كالتذكير بالضروريات كالموت » .

لكن ضرورة الحس ليست كضرورة العقل ، **فإن ضرورة الحس فيها جذب وقسر وإكراه . وأما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا والحس ينازعه فيما لا يعرفه** . وقد تقع الشبهة في ذلك للعقل ، فيختلط عليه الحال ، ولا يدرى التفرقة بين ما علم وما جهل فإن شئت فقل هو مستدل عليه ، وإن شئت فقل هو بدهي ، على حسب غلبة العقل أو الحس .

من يستدل يترقى من الجزئيات إلى الكليات ، ومن الأدق إلى الأعلى ، وهناك من تنقدح في نفسه الكليات فينحدر منها إلى الجزئيات ، وقليل ما هم .

٤ ـ لابد من تقليد الأنبياء في بعض ما جاءوا به ، لقصور الأفهام عن مغزى كثير من الشرائع . والطفل الذي يُعطى الحرية في الكلام عن الحقائق ولا يكون عنده مبدأ التقليد ، يستحيل تكميله ؛ لأنه بمقتضى قصوره الطبيعي لا يمكنه إدراك الحقائق على ما هي عليه ، وبمقتضى حريته المفروضة لا يقتنع إلا بما عرف ، ولا يمتثل إلا لما

أدرك ، والناس بجانب الأنبياء ، أو نقول بجانب ما أودع في العوالم من القوانين الروحانية والجسمانية والنواميس التي لا يحيط بها محيط ، والعلوم التي لا يحصى عددها إلا الله ، والأسرار التي اعترف الفلاسفة الحديثون والسابقون بقصورهم أمامها — أقل من الطفل بجانب الرجل ، وإذا كان الناس لا يصدقون إلا بالبرهان في كل مسألة دينية لم يمكن أن يكونوا متدينين ، إذ يستحيل الوصول إلى برهان تام في كل مسائله إذا كان التصديق موقوفا على البحث في كل مسألة ، كما هو شأن المتفيهقين اليوم . والإنسان لا يمكنه أن يصل إلى مدنية تامة ما لم يكن هناك أسس صالحة لذلك .

أما إذا كان محتاجا إلى الملبس الضروري والمسكن الضروري والمأكل الضروري ، ولا يرجع ذلك كله إلا إلى نفسه ولا يقبل من أحد شيئا ، فما أجدر هذا أن يموت قبل أن يستنبت ما يأكله وما يلبسه ، وقبل أن يصنع الآلات اللازمة لذلك ! .

وما أعجز الإنسان أن يشيد دنيا طويلة عريضة من العدم !! فكذلك لا يمكنك أن تشيد لإنسان غير مسلم لك ولا واثق بك ولا مقلد إياك ولا عنده شيء من أصول الخير ، دينا ينازعك في الصغير منه والكبير ، ويريد على جهله وسذاجته أن يكون رسولا من الرسل أو نبيا من الأنبياء . (وإلا فأنت بمنزلة من أراد أن ينشيء دينا من العدم) .

٥ — ينبغي أن يكون الإنسان مجتهدا ومقلدا ، فيكون مجتهدا فيما هو راسخ فيه متمكن منه ، ويكون مقلدا غيره فيما عداه ، ولابد من ذلك ، وإلا لم ينتظم العالم ، ولم يصل أحد إلى سعادته ، وليعلم أنه لا يوثق بعلمه ما لم يصل إلى ذلك الرسوخ ، ولا يمكنه أن يصل إلى تلك الدرجة إلا في بعض الأشياء فقط ، وهو في حجاب عما عدا ذلك لا يكاد يعرف حقيقته وروحه . فيجب عليه أن يكون مقلدا في غير هذا الذي رسخ فيه ، مسلما لأهل الرسوخ من ذويه ، لأنه لا يمكنه الرسوخ في كل شيء كما قلنا .

ومن طلب غير ذلك فقد سعى في إفساد النظام ، وادعى معرفة كل شيء ، وذلك من خصائص الألوهية .

٦ — فلسفة القرآن فوق كل فلسفة . وليست هذه الأشياء الروحانية والحقائق العالية التي فيه إلا فلسفة علت عن كل فلسفة ، حتى إن كثيرا من الناس عدها خرافة لبعد ما بينه وبينها ، وما عرف حقائقها إلا الراسخون في العلم (وانظر إلى مثل قوله :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

(الأنعام : ٣٣)

وقوله :

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ .

(النمل : ١٤)

وقوله :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ .

(يونس : ٣٩)

إلى غير ذلك ، واستجل ما فيها من أسرار وأنوار) .

أما سياسته فى مخاطبة الخلق وذكر تلك الحقائق العالية بما يناسب ظاهرهُ العامة وباطنه الخاصة ، فهو محل الإعجاز ، ولا يمكن الفيلسوف أن يقف أمام ذلك إلا باهتا مدهوشا لا يستطيع سلوك تلك المسالك . وغاية ما يمكنه إن كان راسخا فى فلسفته ذا بصيرة تامة أن يعرف فلسفة القرآن ويصل إلى مراميه .

أما انتهاجه نهج القرآن فخارج عن طوق البشر .

٧ ـ نبغ الناس الآن فى الأمور العملية والمخترعات المادية ، وتشهد لهم بهذا ، ولكن ما أجهلهم فى النظريات ومعرفة البراهين والملازمات ! فكثيرا ما يشتبه عليهم المصاحب بالملازم ، والمعد بالفاعل ، والشرط بالمفيض .

وعلى الجملة فهم بريئون من الفلسفة والمنطق . وما أكثر غلطهم فى الاستدلال غلطا كان يضحك من مثله الأولون ! .

فلئن جهل الأقدمون كثيرا مما أوصل إليه العمل ، فما أجهل هؤلاء بطرق الاستدلال وشروط البرهان ، وما أبعدهم عما يقوى العقول ويمتع الأرواح ويعرج بالإنسان فى عالم الروحانيات ، ويبعده عن عالم الظلمات والآفات ! فما أضعف دولة العقل وحظ الفلسفة اليوم على الرغم من دعاوى المدعين **وفيهقة المتفيهقين** ! .

٨ ـ قال فى الأسفار : إن المادة لا تفعل فى شيء إلا إذا كانت على وضع خاص منه . فلا يمكن أن تفعل فى نفسها ولا قواها الطبيعية ، لأنها ليست ذات وضع بالنسبة إلى ما فيها من القوى ، فلا يمكن أن تخرج الكامن فيها من القوة إلى الفعل ، بل لا بد له من شيء آخر يخرجه ، لأن ما بالقوة لا وجود له ، وما لا وجود له لا يعطى الوجود . فمفيض الوجود هو بارىء الصور المصور القادر .

وأما هذه الأشياء فهى معدات وشروط ، لا فاعلة ومفيضة ، ولا معنى لأن تهب الصور ، ولا لأن تكون فاعلة . فإن كيفيات المادة هى من جنس الحرارة والبرودة ، فلا تفعل إلا ما تفعله الحرارة والبرودة .. الخ .

وأما إفاضة الصور وحفظ الأجزاء بالإمداد عليها وتعويضها كل ما فقدت من أجزائها وحفظ الاتصال بين أجزائها على الصورة الخاصة مع ما فيه من دقائق الصنع ، فمحال أن يكون من فعل المادة . ثم نقول : إنها لا تفعل إلا بما فيها من القوى الطبيعية ، ولا يمكن أن توجد فى نفسها تلك القوى الطبيعية ، لأنها بدونها خالية من كل قوة ، فكيف توجدها فى نفسها وهى لا تكون هى هى إلا بوجودها فيها ، إلى آخر ما لعلنا نفيض فيه بعد ، إن شاء الله ..



الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

إهـــداء وتحيــة

إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر

للشاعر محمد فريد عبد الخالق

رُقّـيت من «مفتـي الديـار» لحقبـة
«شيخـاً لأزهرنـا» الشريـف فتشمّـر

إنّ العطـاء عطـاءُ ربك فلتـدم
شكـر الإلـه يزدْك فضل الذاكـر

واحـذرْ صوارف فضلـه وبلائـه
وأحـرِ التقـى فى الأمـر جدّ محاذر

فالخير مثـل الشرّ ليس سوى ابتلا
ء، فاسأل الـرحمن حفـظ الشاكـر

واجعـلْ رضاء الله عنك مقدمـا
عمـا عداهُ يُجـزْك روع المحشر

إنـا نشيم الخير فيك فكـن لديـ
ـنك ناصراً فى الحق غير مقصرٍ

من كان مثـلك فى بصيرة قلبـه
لا يغـدل الأخـرى بحظ عابـر

فاحفـظ عليـك لبـاس تقـوى الله فى
كل الأمـور .. وفى الخفـا والظاهـر

واسأل إلـهك عونـه لأداء ما اسـ
ـترعـاك من عبءٍ ثقيـل وافـر

إنـى دعـوت الله يرزقك المعـو
نـة، والسداد، وعـونَ خيـر مؤازر

الإسلام يشرق من.. الغرب

للشاعر محمد عبدالرحمن صالح الدين

أفـــلت من الشرق الممـــزق شمسه ... وبـدت من الغــرب المجمَّــع تشرُق
إلى لألمح من بعيـــــد وفضتهـــــا ... بين السحـــائب مقبـــلا يتألـــق
ويحاول الشيطـــان حجب ضيائهـــا ... بالقهــر والبهتـــان لكـــن يخفـــق
فالنـــور لا تخفيــه حيلــــة ماكــــر ... والحق من بين السوافى يبرق
يستبــدل الديّـــان مغـــرب أرضه ... للنـــور إن آلـــف الظـــلام المشرق
لا يرتضى الإسلام مهزومـــــا وإن ... رفـــع العـــقيرة باسمه يتشدق
من قال إن الأعـــرج المهـــزول فى ... دنيـــا التسابـــق للمعـــالى يسبـــق ؟

* * *

إن الأمـــانى دون تضحيـــة وسَعـــ ... ـى دائب هيهات لا تتحقـــــــــق
فالأرض يعمرهــــا رشيــــد صالح ... ويهـــل راسخهـــا السفيــــه الأحمق
والله يطلــــــع كل حين مثمـــــرا ... إن شاخ نبت أو تجرد مورق
والعلـــم يخصب فى أيــــادى كافــــر ... ويمدّه بموارد تتدفــــــــــــــق
والجهـــل عنـــد المدعـــى الإيمان يهلـــ ... ـك كل حرث فى يديـــــه ويمحـــق
الجهـــــل والإيمان لا يتلاقيـــــان فـ ... ـذا ظلامٌ ، وذاك صبـــح مونـــق
لا تعجبوا إن جاءنـــا الغـــربى يحمــ ... ـل رايـــة الإسلام يومـــا يطـــرق
أحفاد (جنكيز) و (هولاكو) بها ... قد غرّبوا ـ بعد العداء ـ وشرقـــوا
متحمسين موحديـــــن مكبريـــــن ... بألسن فى الحق راحت تنطـــــــق
وتظـــــل للإسلام رايتـــــــه إلى ... يوم القيامـــة فى البسيطـــة تخفـــق
والخير يبقــــى فى بنــــى الإنسان ... بالإسلام والإيمان عطـــــراً يعبـــق

مالك بن الريب
شاعر يرثى نفسه

مالك بن الريب المازنى التيمى : أحد شعراء الفتوح الإسلامية ـ فى العصر الأموى ـ كان فى صدر حياته يقطع الطريق ويخيف الناس ، وكان الولاة يطلبونه فيفر منهم ، فلما ولّى معاوية بن أبى سفيان سعيد بن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم ـ « خراسان » لقيه « ابن الريب » فأعجب به سعيد وقال له : ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العداء وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير يدعونى إليه العجز عن مكافأة الإخوان ومساواة ذوى المروءات .

قال : سعيد : فإن أنا أغنيتك أتكف عما تفعل وتتبعنى ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير أكف أحسن ما كف أحد ، فاستصحبه وأكرمه ، فتاب وصحت توبته وشارك فى حروب المسلمين بخراسان ، وعندما حضرته المنية رثى نفسه بهذه القصيدة كلها ، أو بعضها والباقى ولده الناس عليه[1] .

وهذه الأبيات التى اخترناها تصور ما يدور فى خاطر رجل يموت غريباً ، ويتذكر من يبكى عليه فلم يجد غير أصحاب لازموه طويلا ، هم : سيفه ورمحه وفرسه القوى ، العزيز لديه ، الذى ربما لن يجد بعد موت صاحبه من يسقيه الماء ، وإذا لم يكن فى هذه الغربه غير هذه الثلاثة الأحياء ، فإن هناك فى موطنه البعيد باكيات يعزّ عليهم فقده ، ولو رأين ما به لأطلن البكاء ، فها هو ذا صريع فى مكان قفر ، وقد قام أصحابه يحفرون له قبره فى المكان الذى جاءه فيه قضاءه المحتوم .

على أننا نرى أن طلب البكاء هذا صفة لها جذورها فى المجتمع العربى قبل الإسلام وليست فى الإسلام مستحبة .

وهذا جانب من مرثيته لنفسه :

تذكرت من يبكى على فلم أجد سوى السيف والرمح الردينى باكيا
صريع على أيدى الرجال بقفرة يسوون لحدى حيث حمّ قضائيا
ولما تراءت عند (مرو) منيتى وخلّ بها جسمى وحانت وفاتيا[1]
أقول لأصحابى : ارفعونى فإنه يقرُّ بعينى أن سهيل بداليا[2]
فياصاحبى رحلى ، دنا الموت فانزلا برابية ، إنى مقيم لياليا
أقيما على اليوم أو بعض ليلة ولا تعجلانى ، قد تبين شانيا
وقوما ، إذا ما استل روحى ، فهيئا لىَ السدر والأكفان عند فنائيا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعى وردا على عينى فضل ردائيا
خذانى فجرانى بثوبى إليكما فقد كان قبل اليوم صعباً قياديا

• • •

وقد كنت عطافاً إذا الخيل أدبرت سريعاً إلى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنت صباراً على القرن فى الوغى وعن شتمىَ ابن العم والجار وانيا[3]
فطوراً ترانى فى ظلال ونعمة ويوماً ترانى والعتاق ركابيا
ولا تنسيا عهدى خليلى بعدما تقطع أوصالى وتبلى عظاميا
ولن يعدم الوالون بثا يصيبهم ولن يعدم الميراث منى المواليا
يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنوننى وأين مكان البعد إلا مكانيا ![4]
غداة غد يالهف نفسى على غد إذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاوياً
وأصبح مالى من طريف وتالد لغيرى ، وكان المال بالأمس ماليا
أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل منا نسوة لو شهدننى بكين وفدين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأهله ذميما ، ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنهن أمى وابنتاى وخالتى وباكية أخرى تهيج البواكيا

---

(١) مرو : مدينة بخراسان ـ خل : اختل بمعنى هُزِل .
(٢) سهيل : نجم فى السماء يرى فى نواحى موطن الشاعر .
(٣) القرن : المماثل لك فى الشجاعة .
(٤) من عادة العرب أن يقولوا عند دفن الميت لا تبعد ، والبعد من معانيه : الموت .

مع الذكرى الخمسين بعد المائة للإمام محمد عبده

للأستاذ / خالد محمود ابراهيم سالم (*)

العلم والإيمان والأخلاق ... رزق يبارك ساحة الرزاق

والفضل يعرف صحبه فيحفهم ... وكأنهم أهل له ورفاق

والبر من شيم الكرام عالماً ... ومعالماً لم تحصها أوراق

فإذا أصبت من الخلال جيدها ... فاصعد فى شرف إليك يساق

والمرء بالأثر الكريم حياته ... ذكرى سناها مُشرق براق

ومذاق ذكرى الخالدين له مدى ... لمّا يحاكيه مدى ومذاق

وإمامنا شيخ الأئمة كوكبٌ ... دانت شمس علومه الآفاق

وازدانت الدنيا بعقد تراثه ... نوراً تألق لم يصبه مُحاق

كالبدر زيّن جيدها فكأنما ... فى جيدها من جيده أطواق

لِمَ لا وبين إمامنا ونبيه ... وكتابه وصحابه ميثاق

يعلو به نعباً على أقرانه ... فيزفهم وهمو له عشّاق

والعلم بالسنن القويم عقيدة ... وشريعة تسمو به الأعراق

هذا ابنُ مصرَ ابن البحيرة من محلة نصرٍ هذا العالم العملاق

اللوذعى الأزهرى بيانه ... العبقرى جنانه الغيداق(1)

آتاه ربك حكمة يقضى بها ... فيما يهاب ويحذر الحُذّاق

وحباه فى فهم الكتاب تعمقاً ... ترنو إليه وتنحنى الأعناق

(*) مدير ادارة أوقاف أبو المطامير بالبحيرة .

١ ـ الغيداق : الكريم الجواد الكثير العطيه ـ لسان العرب مادة غدق

فله لدى فصل الخطاب نصيبه ... وله لدى فهم الكتاب خلاق
رسم الطريق لمن أراد تحرراً ... ممّا يُلمُّ فلا يكاد يطاق
والحُرُّ حرٌّ في المواطن كلها ... لم يثنه في النائبات وثاق
لم يثنه نفيٌ وفي وجدانه ... عشق تنافسَ دونه العشاق
إن تنأ راحُ الحر تبقى روحه ... تسرى بها وتهزها الأشواق
والشيء من معدنه لما يكن ... مستغربا والفيصل الأذواق
إن هبَّ طيبٌ من خزامى لا تسل ... من أين أقبل ذلك المُنْشاق(٢)
أوهمَّ طائيٌّ بنحر جياده ... نُزُلاً فديدن مثله الإنفاق
لا المال يغريه فيمنع فضله ... بخلا ولم يقعد به الإملاق
فإذا ارتقى شيخ الأئمة مرتقىً ... كل التقاةِ لنيله تَوَّاق
فلأنه طودٌ مُنيفٌ لم تحط ... بكمال ذروة مجده الأحداق(٣)
ولأنه بحرٌ عميقٌ غوره ... لم يَعْيِهِ غورٌ ولا أعماق
ولكل ليث في الرجال نطاقه ... وإمامنا لم يكتنفه نطاق
فلو اسبدت ظلمة في نهجه ... فبيانه في المهمة الإشراق
ولو اجتوى مرضى القلوب فضيلة ... أو مزقتهم فرقة وشقاق
لأتى على هذا وذلك منصفا ... في حكمة يحدو به الإشفاق
فيزهم من أصغريه رقائق ... ومواعظ تغزو القلوب رقاق
فلو احتوى العلماء طرا حلبة ... فمحمد في الحلبة السباق
ذاك الإمام ، محمدٌ عَبْدُهْ ، وذلك منهلٌ بسجله رقراق
من بحر علم الله فاضت كأسه ... تسقى الظماء كأنها الترياق
فإذا بها بين الكئوس زُلالها ... وإذا بها دون الكئوس دِهاق
هذا ابن مصر ابن البحيرة من محلة نصرَ هذا العالم العملاق

---

٢ ـ الخزامى : نبت طيب الريح والنشاق : الريح الطيبة / لسان العرب.
٣ ـ طود منيف : جبل مشرف / لسان العرب.



أحد شعراء مجلة الأزهر

للدكتور محمد محمود حسين

قال الرفـــاق أبـــو نغـــم   عاف المزاهـــر والقلـــم
وغفـــا ومـــال برأسه   كالشمس مالت للظلـــم
وازْوَرَّ عن تلك الدنيـــة واعـــتل أعـــلا سنـــم
والشعـــر عنـــد سريـــره   والأهـــل يعصرهـــم ألم
يكـــون .. هل من علـــة ؟   كلا فلـــيس بهم سقـــم
لكـــن لفرقـــة شاعـــر   حظـــيت به كل الـــقيم
عاش الحيـــاة بطـــولها   وبعرضهـــا فوق القمـــم



محمـــودُ عشت ممجـــدا   في المجـــد .. عالي من أمم
أن كنت غبت فلـــم تزل   في المنتـــدى أعـــلا نغـــم
هدار تكـــتسح الغثـــاء   كأنك السيـــل العـــرم
ما كنت رايـــة أمـــة   بل كنت رايـــات الأمم

ومضيت أقطع الخطا فوق الطريق المدلهم
متحيرا والدمع في الأجفان ممزوج بدم
متلعثما ماذا أقول .. ؟؟ وفي فمي حار الكلم
فالهم قرَّح خاطري والرزء أورثني البكم



هل مات من بيديه أجراح الأحبة تلتئم
هل مات من في قلبه ألق المروءة يحتدم
هل مات من في شعره كل الخرائد تنتظم
هل مات من بالأمس شدّ بقوة أزر الهمم
وأناخ فوق الفرقدين نجائب الشعر الأشم



يامجد الإخلاص قل لي أين شاعرك العلم
المنبر العالي بكى وتشقق الصخر الأصم
والبدر في أفق السماء شجي يشاركنا الألم
وبلابل الأدواح ناحت خلف قافلة العدم
وأقام عمرا بانغم لمّا ثوى في القلب هم



عبد الحميد مدامعي تهمي وفي الأعماق غم
أين الذي كنا له نأوي إذا خطب ألم
وإذا تضوأ نجمنا يوما تألق وابتسم
وإذا دعينا للمحافل كان أرسخنا قدم



ملك اليراع .. يراعك الفريد لا لن ينحطم
سيظل لحنا عاليا رغم المنون بكل فم

الغِلاف الجوّى

للدكتور / مجدى يوسف أمين (*)

فوق اليابس وسطح المحيط يوجد الهواء الذى نستنشقه وتطير فيه ، وهذا هو الغلاف الجوى .

وللغلاف الجوى آيات عديدة لعل من أهمها أنه السبب فى جعل سماء الأرض مضيئة وقت النهار[1] . ذلك أن جزيئات الهواء تُشتت ضوء الشمس فى جميع الاتجاهات ، ولولا عملية التشتت هذه لانعدمت الرؤية على الأرض وفى الغلاف الجوى أما فى الظلام فيسود الظلام الحالك ، فالغلاف الجوى يقلل الاختلاف الشديد فى درجة الحرارة ، فلولاه لارتفعت درجة الحرارة ظهراً إلى درجة غليان الماء ولانخفضت بعد الغروب إلى نحو ١٥ درجة مئوية ولوصلت فى منتصف الليل إلى ١٥٠ درجة مئوية تحت الصفر[2] .

والغلاف الجوى يعمل كالبيوت الزجاجية للنباتات حيث يسمح لمعظم أشعة الشمس النافذة بالمرور خلاله إلى الأرض ولكنه يحتفظ بالحرارة ولا يسمح بتسربها عن سطح الأرض . وبهذا فهو يحفظ الحرارة من الضياع فى الفضاء .

والغلاف الجوى ـ كذلك ـ هو مصدر الشفق الذى يحدث بسبب انتشار أشعة الشمس على الجسيمات المكونة له عند غروب وشروق الشمس ، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ الشفق فى كتابه : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾[3] .

بالكرة الأرضية ويقدر سمكه بـ (١٠٠٠) ألف كم ، ولكن لا يشعر به الإنسان بعد مسافة ٤٠ كم من سطح الأرض حيث يقل الضغط جزءاً من المليون على ارتفاع ١٠٠ كم . وكثير من الغازات تظل محتشدة ومتجمعة قرب سطح الأرض والسبب جاذبية الأرض لها . ولهذا ، فإن ما يزيد على ٩٩ / منها متجمع حول الأرض وإلى مسافة (١٥٠) كم . ودرجة الحرارة ـ أيضاً ـ تقل مع

---

* الكاتب : بكلية العلوم / قسم الفلك / جامعة القاهرة .

(١) النهار : هو الفترة الزمنية ما بين شروق الشمس وغروبها بمكان ما .

(٢) محمود حامد محمد ، الميترولوجية : مكتبة هيئة الأرصاد الجوية ١٣٦٥ هـ .

(٣) سورة الانشقاق ١٦ .

الارتفاع . وفي الطبقات السفلى من الغلاف الجوي تحدث الظواهر الجوية المألوفة مثل : السحب وحركة الرياح والبرق والرعد[٤] .

حركة الرياح :

وحركة الرياح ناشئة عن دوران الأرض حول محورها . وحيث إن مقدار شدة الطاقة الشمسية الساقطة على بلاد الأرض المختلفة تتوقف على خط عرض البلد وكذلك فصول السنة . فتبلغ أقصاها عند خط الاستواء (المنطقة الاستوائية) حيث يتصاعد الهواء الساخن إلى أعلى ويحل محله هواء بارد على هيئة رياح آتية من مناطق باردة . فإذا كانت الأرض ساكنة هبت رياح شمالية على نصف الكرة الشمالي وجنوبية على نصف الكرة الجنوبي . ولكن بسبب دوران الأرض حول محورها فإن الرياح الآتية من اتجاه الشمال تنحرف غرباً فيصبح الاتجاه الذي هبت منه شمالي شرقي . كما أنها تنحرف أيضاً في نصف الكرة الجنوبي فيصبح الاتجاه الذي هبت منه جنوبي شرقي[٥] .

السحب :

تتكون السحب من ملايين الجزيئات الصغيرة من بخار الماء المكثف والتي يستطيع الهواء أن يحملها بسهولة بسبب صغر حجمها كما تتمكن الرياح من نقلها وتحريكها من مكان إلى آخر إذ تتكون السحب نتيجة لصعود الهواء إلى أعلى من سطح الأرض .

تنقسم السحب حسب ارتفاعها عن سطح الأرض إلى ثلاث أنواع رئيسية[٦] .

١ ـ السحب المرتفعة :

يتراوح ارتفاعها بين ٦ إلى ١٢ كم فوق سطح الأرض . وهي سحب بيضاء اللون تتكون من بللورات من الثلج ، وتبدو على شكل القطن المندوف أو تظهر على شكل طبقة متصلة تغطي السماء بأكملها أو جزءاً كبيراً منها ، وهذه السحب لا تحجب ضوء الشمس أو القمر وليس لها ظل على سطح الأرض . وظهورها ينذر بقرب حدوث جو رديء أو سقوط المطر في مدى ٢٤ ساعة تقريباً ، خاصة في فصل الشتاء .

٢ ـ السحب المتوسطة :

يتراوح ارتفاعها من ٢ إلى ٦ كم من فوق سطح الأرض . ويظهر هذا النوع من السحب في صور كروية الشكل وتوجد في مجموعات في صفوف طويلة أو على شكل طبقة متصلة تغطي السماء بأكملها أو جزءاً كبير منها . وهذا النوع من السحب يحجب أشعة الشمس أو القمر ويصحب ظهوره سقوط المطر غير أن أغلبيته يتبخر قبل وصوله سطح الأرض ، أو ينذر باقتراب عاصفة رعدية أو تغير مفاجيء قريب في الحالة الجوية . ولون هذه السحب أكثر دكانة في الجزء الأسفل أو رمادي أو أزرق اللون .

---

(٤) FUNDAMENTAL ASTRONOMY. 1994.ed.BY: H.KARTTUNEN. SPRINGER-VERLAY .

(٥) د / مجدي يوسف أمين وآخرون: السماء والأرض تجيبه ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .

(٦) د . عبد القادر عبد العزيز علي ، والطقس والمناخ والميتورولوجية ، دار الجامعة للطباعة الحديثة ١٩٨٠ م .

٣ ـ السحب المنخفضة :

ويصل ارتفاعها ٢ كم من سطح الأرض . تظهر على شكل طبقة أو كتل كروية أو أسطوانية الشكل . وتظهر أيضاً هذه السحب فى قطع ضخمة داكنة خصوصاً عند قاعدتها ، وتأخذ فى نموها الرأسى شكل القباب أو القلاع العالية ، وقد تكون متفرقة أو متصلة ببعضها بشكل يجعلها كأنها حائط ، وهذا ما يسمى : المُزْنُ الركامى . ويصحبه سقوط أمطار غزيرة وحدوث رعد وبرق . وهذه السحب تحجب السماء بأكملها ولا توجد لها حدود واضحة .

البرق :

ظاهرة البرق تحدث بكثرة فى مناطق التيارات الهوائية الهابطة إلى أسفل وبخاصة فى المناطق القطبية ، كما يساعد على حدوثها وفرة بخار الماء فى الهواء ، ولذلك يكثر حدوثها فى المناطق الساحلية وفوق الجزر ولاسيما الجبلية فى البحـــار والمحيطات[٧] .

ويرجع سبب حدوث عواصف البرق إلى التفريغ الكهربائى داخل سحب المزن الركامى ، ويؤدى هذا التفريغ الكهربى إلى حدوث شرارة مضيئة تكون على شكل خط متكسر أو متفرش أو مكور .

ينشأ الرعد من الموجات الصوتية التى تحدث من تمدد الهواء الهائل عند تسخينه بالحرارة الفجائية وذلك عند مرور شرارة البرق ، وحيث إن سرعة الصوت أقل بكثير من سرعة الضوء فإن الرعد يسمع بعد رؤية البرق .

هذا وينبغى للإنسان أن يبتعد عند حدوث البرق من الأشجار المنعزلة والمبانى العالية خوفاً من الصواعق ، فإذا أصابت صاعقة شخصا ما لزمت المبادرة بإجراء عملية تنفس صناعى له لمدة لا تقل عن ساعة[٨] .

وعلى ارتفاعات شاهقة جداً من سطح الأرض يتلاشى الغلاف الجوى إلى لا شىء حيث ينعدم تأثير جذب الأرض للمواد التى يتكون منها . ثم يبدأ المجال المغناطيسى للأرض فى المنطقة الأخيرة من الغلاف الجوى المسماة (الإكسوسفير)[٩] .

وبالرغم من أن كتلة الغلاف الجوى أصغر بكثير جداً من كتلة الأرض إلا أنه فى غاية الأهمية للحياة فوق الأرض . فبصرف النظر عن ضرورته للتغذية والتنفس ، فإن له فوائد ـ أيضاً ـ فى عملية الاتصال اللاسلكى حيث إن الموجات تنعكس من الطبقة العليا مرة أخرى على الأرض بعد إرسالها إلى أعلى .

كذلك ، فإن الغلاف الجوى يمثل درعاً يحمى الحياة من الهلاك بفعل :

النيازك والشهب :

تضم المجموعة الشمسية أعداداً كبيرة من الأجسام الصلبة الصغيرة التـــى تدور حول الشمس ، ويتقاطع مدارها مع مدار الأرض حول الشمس ، عندما تسقط هذه الأجسام داخل الغلاف الجوى بسبب الاحتكاك بينها وبين الهواء فى تسخين الجسم الساقط حتى درجة التوهج فتراها على هيئة شهاب[١٠] . وحسب كتلة الجسم

---

(٧) د . مجدى يوسف أمين ، « موسوعة سفير الإسلامية » تحت الطبع .

(٨) د . مجدى يوسف أمين ، مرجع سابق .

(٩) د . عبد القوى عياد ، «مبادىء علم الفلك» مطبوعات علوم القاهرة .

(١٠) يسميه العامة : النجمة أم ذيل .

الساقط فإذا كانت صغيرة تحترق كلها فى الغلاف الجوى ويسمى هذا شهاباً . إما إذا كانت كبيرة فإن جزءاً منها يحترق والجزء الآخر يصل إلى الأرض ، والجسم الذى يصل إلى الأرض يسمى (نيزكاً) وإذا كانت كتلة النيزك كبيرة فإنها : تسبب دماراً ، وتحدث فجوات كبيرة فى سطح الأرض ، كما حدث فى صحراء الأريزونا فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث توجد حفرة قطرها ١٢٦٠ متر وعمقها ١٧٥ متر سببها سقوط نيزك كبير هناك ومن فضل الله إذا سقطت هذه الأشياء فإنها تسقط فى الصحارى والبحار[١١] .

الأشعة فوق البنفسجية (الأشعة الحارقة) :

عندما ترتفع عن سطح الأرض بمقدار ٢٥ كم يتكون الغاز العجيب المسمى (بالأوزون) وهو عبارة عن ثلاث ذرات من غاز الأكسجين اتحدت مع بعضها ويقوم هذا الغاز بامتصاص معظم الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس ، ولا يسمح بوصول هذه الأشعة إلى سطح الأرض إلا بالقدر الضرورى للحياة على سطحها . وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[١٢] .

وبذلك يقى هذا الغاز الإنسان من أمراض كثيرة مثل : سرطان الجلد والإصابة بالمياه البيضاء ، وهى عتمة تصيب عدسة العين وكذلك مرض نقص المناعة والتأثير السيء على المحاصيل الزراعية[١٣] .

الإشعاع الجسيمى :

من المعروف أن الأرض تتعرض لقذف مستمر لجسيمات مشحونة من الشمس ، وبعض هذه الجسيمات من نوى ذرات الهيدروجين ، فعندما تسقط على الأرض تتحرك مع المجال المغناطيسى للأرض . وعند القطبين الشمالى والجنوبى تصطدم هذه الجسيمات المشحونة مع مكونات الغلاف الجوى . ونتيجة لهذا التصادم تنتج طاقة على هيئة ضوء مسببة ما يسمى بالشفق القطبى ، أى الضوء الذى يظهر عند القطب الشمالى والجنوبى . وبذلك يكون الغلاف الجوى والمجال المغناطيسى للأرض قد قاما بحماية سطح الأرض من وصول هذه الجسيمات إليه حيث يصطدم معها فقط ولا يسمح لها بالاختراق . لأنها إذا وصلت إلى سطح الأرض فإنها تهلك ما تقابله[١٤] .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة النحل

---

(١١) DESCRIPTIVE ASTRONOMY. R.M. BERY AND L.W. FRDRICK. 1978. NEW YORK.

(١٢) سورة القمر ٤٩ .

(١٣) د . محمد صالح النواوى ، «الفلك» ، مطبوعات جامعة الإمارات .

(١٤) THE DYNAMIC UNIVERSE. 1991 T.P. SNOW, WEST PUBLISHING COMPANY

الإجهاض

للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

الإجهاض من المواضيع الشائكة بالنسبة لعلماء الدين والطب وهو من قديم الزمن يحتل مكانة خاصة حيث إنه يشمل الأم والجنين .

تعريف الإجهاض طبياً :

إنهاء حالة الحمل قبل أن يكون الجنين قادراً على الحياة خارج الرحم وهو إما أن يكون تلقائياً أو مفتعلاً .

الإجهاض التلقائي :

الإجهاض التلقائي أو اللاإرادي هو الإجهاض الذي يحدث بدون تدخل من الأم أو الطبيب حتى لو كان هناك سبب كحادث ، وهو درجات تبدأ بالإجهاض المنذر ، وفي هذه الحالة يكون النزف بسيطا ، وعنق الرحم مغلقاً ، وعلاجه الراحة التامة ، وبعض مهدئات الرحم .

ومع العلاج إما أن يتم الشفاء أو أن يتحول الإجهاض إلى أنواع أخرى مثل الإجهاض الكامل : وهو نزول الجنين مع المشيمة ، ويغلق الرحم بعد ذلك .

أو إجهاض غير كامل ، وفي هذه الحالة تنزل بعض أجزاء الجنين وتبقى أجزاء ، وهذه الحالة تستلزم إجراء عملية تفريغ للرحم[1] و (كحت)[2] وإذا كان الإجهاض الكامل أقل من ثلاثة شهور يستلزم أيضاً إجراء عملية تفريغ وكحت كذلك .

وقد يكون الإجهاض محتما وفي هذه الحالة يحدث نزف كثير ، ويكون عنق الرحم مفتوحاً ، ويمكن للطبيب أن يمس أجزاء الجنين خلال عنق الرحم المفتوح . وعلاج هذه الحالة يكون بعملية تفريغ و (كحت) أيضاً وقد يتم تلوث أي نوع من الأنواع السابقة فيحدث ما يسمى بـ (الإجهاض العفن) وتحتاج هذه الحالة إلى مضادات حيوية قوية المفعول وتفريغ لمحتويات الرحم .

هذا وقد تمر حالة الإجهاض بدون ملاحظة ويحدث ما يسمى الإجهاض المنسي ، وفي هذه الحالة تتأثر عوامل تجلط الدم مما يؤدي إلى حدوث نزف شديد .

وأثناء بحث أجريناه حديثا ثبت أن كثيرا من الحالات تكون في الحقيقة إجهاضاً مفتعلاً ، وليس إجهاضاً تلقائياً فإن بعض السيدات يلجأن إما عمداً أو لا شعورياً ـ في حالات الحمل غير المرغوب ـ إلى بذل مجهود غير عادي من حمل أشياء ثقيلة أو عدم الراحة أو القفز من أماكن عالية لكي يتم حدوث الإجهاض في صورة إجهاض تلقائي .

الإجهاض العمد (المفتعل ـ الإرادي) :

توجد طرق كثيرة لإجراء عملية الإجهاض منها طرق تعتمد على الوصفات البلدية وهي طرق خطرة ولها مضاعفات كثيرة . أما الطرق الطبية فمنها ما يتم بالأدوية ، ومنها ما يتم بالعمليات الجراحية ، واختيار الطريقة يعتمد على مدة الحمل .

وفي بعض الأحيان يكون القرار بالنسبة للحمل أنه غير مرغوب فيه لأسباب صحية أو إجتماعية أو نفسية ، ويهمنا هنا الإجهاض للأسباب الصحية ، حيث إنه قد يقرر الطبيب أن بقاء الجنين فيه خطورة على صحة الأم مثل الحالات الشديدة من أمراض القلب أو الكلى .

---

١ ـ EVACUATION

٢ ـ CURETTAGE

وعملية الإجهاض في هذه الحالة تسمى بالإجهاض العلاجي ، وينقسم إلى قسمين : الإجهاض المبكر والإجهاض المتأخر . وتختلف عملية الإجهاض في كلتا الحالتين اختلافاً بيّناً ويحددها طول فترة الحمل ، ومن المعروف أن فترة الحمل تنقسم إلى ثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الأولى :

وتبدأ من بدء الحمل وحتى نهاية الأسبوع الثاني عشر .

ب ـ المرحلة الثانية :

وتبدأ من الأسبوع الثالث عشر وحتى الأسبوع الرابع والعشرين .

ج ـ المرحلة الثالثة :

وتبدأ من الأسبوع الخامس والعشرين وحتى الولادة .

أولاً : الإجهاض المبكر :

ويبدأ من بداية الحمل وحتى نهاية الأسبوع الرابع عشر ، وتتم هذه العملية بإحدى الطرق التالية :

١ ـ الإجهاض بالعقاقير الطبية :

أقراص الإجهاض (RU 486) :

وهي أقراص مصنوعة من مادة مضادة لـ (هرمون البروجستيرون) اللازم لإتمام الحمل . وهذه الأقراص تؤخذ إما بمفردها عن طريق الفم ، أو بمصاحبة مادة أخرى تسمى (البروستاجلاندين) والتي تسبب انقباضات للرحم ، ويفضل إعطاء هذه الأدوية في الأسابيع الأولى من الحمل .

٢ ـ منظم الدورة :

هو عبارة عن جهاز أو حقنة سحب (شفط) يركب به قسطرة رفيعة ، ويفضل إجراء هذه العملية في الأسابيع الأولى من الحمل ، وخطوات العملية بسيطة حيث تبدأ بتعقيم المهبل وعنق الرحم ، ثم إدخال أنبوبة (قسطرة) من البلاستيك ، ويفضل إعطاء مخدر موضعي في حالة توسيع عنق الرحم أو عمل تخدير كلي .

٣ ـ عملية توسيع وتفريغ :

ويتم إجراء هذه العملية حتى الأسبوع الرابع عشر من بدء الحمل . ويتم التوسيع إما عن طريق إدخال عشب اسمه (لاناريا) وهو عشب يابانى قادر على امتصاص الماء في عنق الرحم فينتفخ العشب بما امتصه من الماء ، وبالتالي ، فإن عنق الرحم يتسع ، أو باستخدام موسعات معدنية متعددة درجات الاتساع تحت تخدير كلي بعد تعقيم المهبل وعنق الرحم ، ثم يتم إدخال جفت خاص لإخراج محتويات الرحم ، وحين يتم إخراج محتويات الرحم يخرج الدم مصحوباً بفقاقيع هواء ، فيتم إدخال آلة كحت غير حادة لكحت جدران الرحم ، وإتمام عملية التفريغ ، ويتحدد نجاح العملية بإحساس الجراح كأنه يبحث في رمل .

ثانياً : الإجهاض المتأخر : (بعد الأسبوع الثاني عشر) .

وهذا النوع من الإجهاض أكثر صعوبة وخطورة

ويتم بإحدى الطرق الآتية :

١ ـ التوسيع والتفريغ .

٢ ـ حقن محلول ملحي في الكيس المحيط بالجنين .

٣ ـ حقن مادة (البروستاجلاندين) في الكيس المحيط بالجنين .

٤ ـ عملية فتح بطن (قيصرية صغرى) .

وفيما يلي سنقوم بتفصيل عملية فتح البطن .

عملية فتح البطن تماثل تماماً العملية القيصرية حيث يتم إخراج الجنين من الرحم قبل موعد الولادة . مما يؤدي إلى وفاة الجنين ، وتجرى هذه العملية تحت رعاية تامة داخل غرفة العمليات ، وتحتاج السيدة إلى المكوث في المستشفى أياما عدة ويترك الجرح ـ عادة ـ أثراً في جدار الرحم . وهذه العملية لا تجرى إلا بعد فشل الوسائل الأخرى .

مضاعفات الإجهاض :

إذا تم إجراء الإجهاض بواسطة طبيب متمرس ، وفي الأسابيع الأولى ، وفي ظروف صحية مناسبة ، فإنه لا توجد أية خطورة وإذا كان ثمّ مضاعفات ، فإنها مضاعفات لا تذكر .

ولكون العملية غير قانونية ، فإن الطبيب يعمل في هذه الحالة تحت ضغط عصبي مما يساعد على وجود مضاعفات .

ومن أهم المضاعفات ما يلي :

١ ـ النزف : الذي يتراوح في كميته بين خفيف ـ لا يحتاج إلى أي علاج ـ أو إلى نزيف شديد يحتاج إلى نقل دم ، أو جراحة لإيقاف النزيف .

أسباب النزف : عدم انقباض الرحم أو وجود أجزاء لم يتم تفريغها أو جرح أو ثقب .

٢ ـ الالتهاب : قد يصيب الالتهاب الجدار الداخلي للرحم أو الأنابيب أو المبيضين ويتراوح العلاج من مضادات حيوية إلى (البذل الجراحي) أو إزالة بعض أو كل الأعضاء الداخلية في الحوض .

٣ ـ ثقب في الرحم : قد يحدث الثقب من خلال استعمال أي آلة خلال إتمام الإجهاض ، فقد يحدث من أثر إدخال موسع أو (جفت)(*) ، وكذلك يتراوح حجم هذا الثقب من ثقب صغير يحتاج إلى ملاحظة ومضادات حيوية فقط ، أو قد يكون ثقباً كبيراً ويكون النزف شديداً ويحتاج إلى علاج جراحي ، وفي بعض الحالات قد يحدث ما يسمى بالإجهاض المتكرر ، حيث إن عنق الرحم يصبح غير قادر على حمل طفل حتى تتم فترة الحمل كاملة .

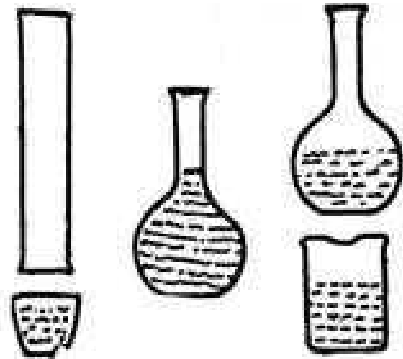
٥ ـ متاعب نفسية : يحمل الإجهاض تأثيرا نفسيا على الأم قد يستمر سنوات عدة .

٦ ـ متاعب طويلة المدى : قد يحدث عقم نتيجة وجود التهاب لم يعالج ، أو بسبب حدوث التصاقات داخل الرحم أو خارج الرحم ، وكذلك يمكن أن يحدث حمل خارج الرحم بالإضافة إلى الإجهاض المتكرر .

«ويخلق ما لا تعلمون ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)

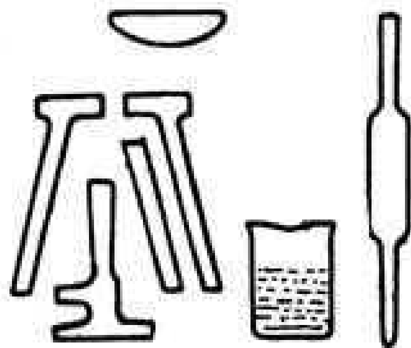


جهاز جديد لمعالجة المياه المستعملة

ظهر حديثا في فرنسا جهاز جديد لمعالجة المياه المستعملة ، ومياه الأمطار وإعادة استخدامها ، وهو عبارة عن مُرَسِّب للمياه مع معالجة فيزيائية وكيميائية لها بطريقة أسرع بمائة مرة عن المرسبات التقليدية ويعمل في ثلاث مراحل هي : الترسيب ثم التجلط ، ثم تصريف المياه ، وبواسطة هذا الجهاز يتم التخلص من المواد الفوسفاتية العالقة بالمياه .

تصميم جديد للسيارات لضمان سلامة الركاب :

صممت إحدى الشركات الأوروبية لصناعة السيارات نظام جديد في صناعة السيارات يحقق سلامة الركاب ، حيث يوجد مقعد السائق وسط مقدمة السيارة وليس في جهة اليمين أو اليسار ، ويوجد خلفه صفان من المقاعد للركاب ، وهذا يتيح للسائق رؤية أفضل خلال القيادة ويجعله أكثر تركيزاً أثناء القيادة .



(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي ..

جهاز لتقشير ثمار الفواكة بدون فاقد

اخترع مهندس فى معهد الزراعة والغذاء بجامعة كاليفورنيا جهازاً جديدا لتقشير الفواكة بدون فاقد وأطلقوا على الجهاز اسم «الشفاط» وتعتمد طريقة التقشير على استخدام **ضغط** البخار، ولكن الضغط فى هذه الحالة **أقل من** الطريقة التقليدية والتى كان يستخدم فيها **الضغط** العالى للبخار، ويتم التقشير بتمدد الطبقة **الرطبة** بين القشرة ولب الثمرة خلال ثوان، ثم يتم **الشفط** للقشرة بالتفريغ العالى للهواء ثم تبريد اللب، ومن مميزاتها أنها لا ينتج عنها أى تغيير فى مذاق العصائر.

بلاستيك لإزالة التلوث البيئى

تمكنت شركة يابانية من إنتاج نوع جديد من البلاستيك يمكنه امتصاص مايصل إلى عشرة أمثال وزنه من البترول والبنزين والزيوت النباتية والمواد الكيميائية التى يعد عنصر (الهالوجين) أساسا لها وتضر بالبيئة، كما يتميز هذا البلاستيك بعدم قدرة أى مادة امتصها على التسرب منه مرة أخرى.

أجهزة حديثة للتلسكوب «هابل»

فى العام القادم ستضيف وكالة الفضاء الأمريكية إلى التليسكوب «هابل» أجهزة عالية التركيز لقياس الطيف وكاميرات بالغة التطور تستطيع التقاط صور للفضاء المحيط بنجمين يبعدان ١٥ سنة ضوئية عن الأرض، ويشبه النجمان إلى حد كبير الشمس، كما أنهما من نفس العمر تقريبا إلا أنهما أبرد نسبياً من الشمس، وباستخدام الأجهزة الجديدة للتلسكوب الفضائى، سوف يتمكن العلماء من معرفة ما إذا كان لهذين النجمين كوكب مشابه للمشترى ويبعد عن النجمين بنفس المسافة التى يبعد بها المشترى عن الشمس ؟

وحدة تحكم عن بعد بدون (كابلات)

أنتجت شركة أوروبية وحدة للتحكم عن بعد تتكون من جهازى إرسال واستقبال، وتعمل على مسافة أقصاها ٣٠٠ متر، وجهاز الإرسال مصمم لإرسال ثمانى أوامر إلى جهاز الاستقبال المزود بثمانية مفاتيح تحويل متلامسة تغنى عن توصيله إلى كابلات. والجهاز يصلح للاستخدام فى مجالات النقل والصناعة والأمن.

استخدام (الليزر) فى مجال الهندسة الوراثية

بالرغم من وجود العديد من أنظمة وأساليب عزل المورثات، فإن شعاع (الليزر) أثبت تفوقه على الأنظمة الأخرى، ويتم عزل المورثات المرغوبة باستخدام شعاع (الليزر) عن طريق تحديد مكانها على (الكروموسومات) باستخدام الخرائط الوراثية، ثم فصل الجزء الحامل للصفات الوراثية المرغوبة من الكروموسوم، ثم نقلها إلى داخل الخلية عن طريق عمل ثقب دقيق فى جدار

الخلية باستخدام شعاع الليزر وقد تفوق الليزر على أنظمة نقل المورثات الأخرى حيث يتم النقل بصورة مرئية وليست عشوائية إلى خلايا معينة .

الأشعة الكهرومغناطيسية لعلاج السريع

توصل أطباء أمريكيون إلى أسلوب جديد لعلاج الأشخاص الذين يعانون من نبض القلب السريع الذى يتسبب فى خفض مقدار الدم الذى يضخه القلب إلى الجسم كما أن المريض يعانى مشقة فى التنفس مع ألم فى الصدر .

كان الأطباء يعالجون هذه الحالة بالأدوية وأحياناً بالجراحة ، أما الأسلوب الجديد فيعتمد على دفع الأشعة الكهرومغناطيسية فى أنابيب من خلال شريان أو وريد إلى القلب فتحدث حرارة شديدة تتلف أنسجة معينة فى عضلة القلب تحوى الخلايا المسئولة عن نبض القلب السريع ، والعلاج الجديد لا يستغرق سوى بضع ساعات يعود بعدها المريض إلى منزله .

وجبة غذائية للحماية من مرض السرطان

قدم بعض الأطباء الألمان نصيحة طبية غذائية تقضى بتناول وجبات غذائية غنية بالفيتامينات مثل الجزر واللبن والخضروات الطازجة وجوز الهند للوقاية من الإصابة بمرض السرطان والابتعاد عن الأطعمة الغنية بالدهون ، وتأتى هذه النصيحة بناء على دراسة علمية قاموا بها فوجدوا أن نسبة تتراوح من ٣٠ إلى ٤٠ ٪ من الوفيات بمرض السرطان فى أوروبا ترجع إلى أساليب التغذية الخاطئة .

أكتشاف بروتين لعلاج الإيدز والسرطان

أعلن الأطباء الكنديون عن أكتشافهم لبروتين معين يستطيعون استخدامه فى علاج الإيدز والسرطان ، وسوف يفتح هذا الكشف الطريق أمام تطوير أدوية من شأنها منح جهاز المناعة فى الجسم قوة للقضاء على الخلايا المصابة بالمرض .

أعلن مدير معهد السرطان فى كندا أن الكشف سوف يمكن الأطباء من التحكم بالكامل فى عمل جهاز المناعة إما بالسماح له بممارسة وظائفه أو منعه مؤقتا ، حتى يتمكنوا من القضاء على المرض الذى يعانى منه المريض .



اللغة والنقد والأدب

طبقات المحققين والمصححين



الأستاذ/علي محمد البجاوي رحمه الله

(٦)

الأستاذ الدكتور: السيد الجميلي

من مشايخ المحققين المشاهير الذين أنعم الله عليهم برصيد وفير من الأخلاق الكريمة المرضية ، ولم يخرج عن أسلافه الكرام في دائرة العلم والفضل والفضيلة ، فقد كتب الله ـ تعالى ـ على يديه خيراً عميماً ، وفضلاً عظيماً كانت الأمة أحوج ما تكون إلى ما قدمه وأسداه في سخاء منقطع النظير .

لقد حقّق المرحوم علي محمد البجاوي كثيراً من الكتب النافعة ، والأسفار الثمينة من تراث الأجداد ـ رضوان الله عليهم ـ فأخرج إلى النور مجموعات كنوزهم الثرية المأهولة التي انطوت على خير عميم ، وفضل جزيل شهد له الصادر والوارد ، فلم يخف فضله على أحد .

إن آثار أولئك الأعلام العلماء العاملين تدل عليهم ولا ينكرها إلا كاشح أو موغور مصدور . إذ إنها آثار باقية خالدة ، لايخبو ضوؤها ، ولاينضب معينها حتى الأبد الأبيد .

● ● ●

وُلد صاحبنا الأستاذ علي محمد البجاوي في اليوم الثاني من شهر سبتمبر سنة ثلاث وتسعمائة وألف للميلاد ، وكان ميلاده في (محلة البرانقة) ، مركز (الباجور) منوفية .

وقد تهيأ له ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ ما تهيأ لكثير من أضرابه ورفقائه ، لكن لم يصنعوا مثل صنيعه ولا قدموا مثل ما قدم ، فقد حفظ القرآن الكريم في صباه في كتاب القرية ، ولم يصل أحدٌ من أضرابه وأترابه إلى ما وصل إليه من سبق في القراءة والحفظ والتجويد في قرية مجاورة لقريته ، ثم بعد ذلك كان له شرف الالتحاق بالأزهر الشريف فمكث به أربع سنوات ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد وقد مكث بها سنة واحدة إذ ألغيت المدرسة حينئذ . ثم التحق بتجهيزية دار العلوم وتخرج فيها سنة ثلاثين وتسعمائة وألف ١٩٣٠ للميلاد ، وهو ابن سبع وعشرين ربيعاً ، وكان الثامن بين المتخرجين في تلك السنة ، وكان عددهم مائتين وخمسين طالباً .

وفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف نال دبلوم الدراسات العليا بدرجة جيد جداً ، وكان أعلى تقدير فى تلك السنة حيث كان الأول على دفعته .

مؤهلاته :

● دبلوم دار العلوم سنة ١٩٣٠م .

● دبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٤٥م .

الوظائف :

عمل المرحوم على محمد البجاوى فى عديد من المناصب وفى كثير من المواقع الحيوية الهامة ، فابتدأ حياته مدرساً بالمدارس الإبتدائية الحرة .

ثم عمل مصححاً بالمطبعة الأميرية . ثم عمل مدرساً بمدرسة الصف الابتدائية التابعة لوزارة التربية والتعليم ، ومكث بها مدة عامين ، نقل بعدهما إلى مدرسة (مصر الجديدة) الابتدائية للبنات .

ثم رُقّى بعد ذلك إلى (الثقافة النسوية) بالزيتون سنة اثنين وأربعين وتسعمائة وألف . ولبث فيها سنة واحدة ، نقل بعدها إلى مدرسة (السنية الثانوية) للبنات ، ثم نقل إلى مدرسة (مصر الجديدة) الثانوية للبنات بعد سنة واحدة .

وبعد حصوله على دبلوم الدراسات العليا سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف رُقّى للعمل فى معهد المعلمين الإبتدائى بشبين الكوم .

وبعد سنة نقل إلى معهد المعلمين بالزيتون . وبعد سنة رُقّى إلى مدرس أول بمعهد المعلمين بشبين الكوم ، وبعد سنة نقل إلى معهد المعلمين بالزيتون .

وفى سنة خمسين وتسعمائة وألف رُقّى إلى مفتش ثانوى للغة العربية ، مع ندبه إلى إدارة البحث الفنى بالوزارة .

ثم انتُدب بعد ذلك فى هذه الفترة لتدريس اللغة العربية فى معهد الزمالك ، وكلية التربية بالمنيرة ودار العلوم ، والجامعة الأزهرية .

مؤلفاته :

قام الأستاذ على محمد البجاوى ـ رحمه الله ـ بتأليف وتصنيف كثير من الكتب النافعة تتلمذ له عليها لفيف من الأجيال المتعاقبة التى ارتوت من هذا المعين الثر ، والفرات الرقراق .

شارك المرحوم على محمد البجاوى فى تأليف الكتب المدرسية إذ كان عضواً فى اللجان المنوط بها تأليف كتب وزارة المعارف العمومية ، ثم وزارة التربية والتعليم بعد ذلك . وكان مشاركاً مع أعلام عصره من المؤلفين والمحققين وهم :

ـ الدكتور طه حسين .

ـ الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

ـ الأستاذ إبراهيم إسماعيل الإبيارى .

ـ الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

ـ محمد أبو الفضل إبراهيم .

رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة كفاء ما قدموا وأسدوا للعلم وأهله .

ومن مؤلفاته التى نالت ذيوعاً وشيوعاً وشهرة :

أولاً : مؤلفات مدرسية :

● مقتطفات من كتب الأدب (جزءان) وكان مقرراً فى وزارة التربية والتعليم للسنتين الثانية والثالثة من المدارس الثانوية .

● فصول مختارة من كتب التاريخ (ثلاثة أجزاء) وكان مقرراً فى الوزارة فى السنوات الأولى والثانية والثالثة من المدارس الثانوية .

● النصوص الأدبية للمدارس الإعدادية (ثلاثة أجزاء) وقد كان مقرراً فى الوزارة فى السنوات الأولى والثانية والثالثة من المرحلة الإعدادية .

● القراءة والنصوص الأدبية (ثلاثة أجزاء) وقد كان مقرراً فى الوزارة فى السنوات الأولى والثانية والثالثة من المدارس الإعدادية .

● القراءة الإعدادية الجديدة (ثلاثة أجزاء) وكان مقرراً فى السنوات : الأولى والثانية والثالثة من المدارس الإعدادية .

● النصوص الإعدادية الجديدة (ثلاثة أجزاء) وكان مقرراً فى السنوات الأولى والثانية والثالثة من المدارس الإعدادية .

● القراءة المختارة (جزء واحد) وكان مقرراً فى الوزارة فى السنة الثانية الثانوية .

● صفوة القراءة (جزء واحد) كان مقرراً فى الوزارة فى السنة الثالثة بالمدارس الثانوية التجارية .

● المختار من القراءة والنصوص الأدبية (جزءان) وكان مقرراً فى المدارس الثانوية الزراعية للسنتين الأولى والثانية .

● صفوة المطالعة (ثلاثة أجزاء) كان مقرراً فى المدارس الثانوية التجارية فى السنوات الأولى والثانية والثالثة .

ثانياً : مؤلفات وتحقيقات غير مدرسية :

(أ) مؤلفات غير مدرسية : بالمشاركة أو منفرداً :

١ ـ قصص القرآن ـ جزء واحد .

٢ ـ أيام العرب فى الجاهلية ـ جزء واحد .

٣ ـ أيام العرب فى الإسلام ـ جزء واحد .

٤ ـ قصص العرب ـ أربعة أجزاء .

٥ ـ قصص الأولين ـ جزء واحد .

٦ ـ مجموعة قصص دينية .

وكان صنوه وأخوه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ رحمهما الله ـ مشاركاً له فى كثير من مؤلفاته هذه كما شاركه فى تحقيق هذه الكتب التالية :

١ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ـ جزءان .

٢ ـ الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ـ ثلاثة أجزاء .

٣ ـ الصناعتين لأبى هلال العسكرى ـ مجلد واحد .

٤ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ جزء واحد .



وانفرد ـ رحمه الله ـ بتحقيق الكتب التالية منها ما نشر فعلاً ، ومنها ما لا يزال مخطوطاً لم يطبع بعد :

١ ـ زهر الآداب للحصرى القيروانى ـ جزءان .

٢ ـ مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع ـ ثلاثة أجزاء .

٣ ـ أحكام القرآن لابن العربى ـ أربعة أجزاء .

٤ ـ ميزان الاعتدال للذهبى ـ ستة أجزاء .

٥ ـ الاستيعاب لابن عبد البر ـ أربعة أجزاء .

٦ ـ الموشح للمرزبانى ـ جزء واحد .

٧ ـ جمهرة أشعار العرب للقرشى ـ جزءان .

٨ ـ المشتبه للذهبى ـ جزءان .

٩ ـ تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه ـ أربعة أجزاء .

١٠ ـ جزء من نهاية الأدب فى فنون الأدب للنويرى ـ المؤسسة العامة للتأليف .

١١ ـ جزء من الأغانى ـ المؤسسة العامة للتأليف .

١٢ ـ جمع الجواهر للحصرى القيروانى ـ جزء واحد .

١٣ ـ معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ـ ثلاثة أجزاء .

١٤ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ـ ثمانية أجزاء .

١٥ ـ مختارات ابن الشجرى ـ جزء واحد .

١٦ ـ البحر المحيط .

١٧ ـ الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى ـ جزءان .

١٨ ـ شرح المفضليات للتبريزى ـ ثلاثة أجزاء .

١٩ ـ الأمثال من الكتاب والسنة للترمذى ـ جزء واحد .

٢٠ ـ نهاية الأدب ـ جزء واحد .

٢١ ـ حلية الأولياء ـ عشرة أجزاء .

٢٢ ـ تفسير ابن كثير . وكان هذا آخر أعماله ، وكان أمنية غالية أثيرة عنده ، والتى كان يكررها دائماً أنه يريد أن يختم هذه الأعمال الجليلة والرحلة الشاقة المديدة بهذا العمل الخالص المبرور فى تفسير كتاب الله ـ تعالى ـ وكان له ما أراد إذ فرغ من تحقيق ابن كثير فى حياته لكن لا يزال مخطوطاً حتى اليوم ، وإننى أهيب بكريمته الأستاذة الدكتورة فتحية على محمد البجاوى أن تسارع فى نشر هذا العمل الطيب حتى تظفر بالحسنيين ـ إن شاء الله تعالى ـ حيث يكون ذلك وفاء وبراً بأبيها وإنفاذاً لعهده ، وزيادة فى ميزان حسناته وهو مسك الختام الذى كان يطمح إليه ويرغب فيه .

من ناحية أخرى أن هذا العمل الفريد من عالم ممارس لابد أن يكون منطوياً ومحتوياً على لطائف وفوائد وتنبيهات غير مسبوقة فى طبعات هذا التفسير السابقة ، ومن حقها علينا نشرها على أوسع نطاق .

● ● ●

قطن المرحوم على محمد البجاوى وألقى عصاه ، وضرب بجرانه بضاحية مصر الجديدة منذ سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف حتى وفاته .. وهذا المنزل الميمون المبارك الذى شهد هذه الثورة العلمية والنهضة الفكرية تأليفاً وتحقيقاً كان قريباً من منزل أخيه وصفيه وخدينه المحقق العلامة المرحوم محمد أبو الفضل إبراهيم .

وفى يوم الثامن والعشرين من أغسطس سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد ، بعد هذا الكفاح الموصول رغبت هذه النفس الطيبة المبرورة إلى الخلود الأزلى ، وقد نفضت عن نفسها أثقال الدنيا فأشاحت بوجهها عنها ، واستدبرتها لتلقى ثوابها جزاء من ربك عطاء حسابا بما أسلفته وقدمته من فوارط الخير والبركات والطيبات من صالح الأعمال .

رحم الله على محمد البجاوى ، رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وسلامٌ عليه فى الصالحين .

أهمية التعريب والمصاعب التى تواجهه ومقترحات للتغلب عليها

(٢)

بقلم الأستاذ محمد محمد عتريس

المصاعب التى تواجه التعريب(*)

أولى هذه المصاعب وأفدحها ، (تخلفنا) نحن أبناء العربية فى مجالات العلم والتكنولوجيا والاكتشافات والمعرفة بصفة عامة . ذلك أن الحاجة إلى سك كلمات جديدة مرتبطة بعمليات البحث والاكتشاف والاختراع .

فمثلا كلمة Morphine (مورفين) التى دخلت الانجليزية عام ١٨٢٨ ، كلمة ألمانية الأصل Morphin . والمورفين مادة حريفة شبه قلوية بلورية ، وهى بيضاء أو عديمة اللون ، وتستخرج من مادة الأفيون ، وتستخدم فى الطب لتخفيف الآلام .

لكن كيف سميت بهذا الاسم ؟

الذى أطلق عليها هذا الاسم الصيدلى الألمانى شرتورنر (Sertürner)[1] الذى كان له الفضل فى فصل هذه المادة من الأفيون بعد ما قام به من أبحاث ، والكلمة مشتقة من كلمة (مورفيوس Morpheus) اللاتينية ، و(مورفيوس هو إله الأحلام فى الأساطير الإغريقية عند الوثنيين القدماء) ،ويبدو أن (شرتورنر) ربط بين غياب الوعى المؤقت أثناء النوم وأحلامه ، وبين فقدان الإحساس بالألم عند تناول المادة التى فصلها عن الأفيون فنسبها إلى(مورفيوس) .

(*) هذا هو القسم الثانى من بحث الكاتب إلى المؤتمر السنوى لتعريب العلوم الذى عقدته جامعة الأزهر فى المدة ١ ـ ٢ من ذى القعدة ١٤١٦ (٢٠ ـ ٢١ مارس ١٩٩٦) . وقد نشر القسم الأول من البحث فى العدد الماضى من مجلة الأزهر (عدد المحرم ١٤١٧) بعنوان : « أهمية التعريب » .

(١) ولد فى عام ١٧٨٣ وتوفى فى ١٨٤١ ، انظر : Chamber's Biographical Dictionary



ولنأخذ مثلا آخر ، كلمة Pasteurisation أى البسترة بالعربية وتعنى : التعقيم الجزئى للمادة (وخصوصا اللبن) عند درجة حرارة تكفى فقط لتدمير البكتريا الضارة ودون إحداث تغيير كيميائى جوهرى للمادة يقلل من فائدتها . والذى اخترع طريقة التعقيم هذه هو العالم الفرنسى (لوى باستير) فنسبت إليه وسميت باسمه . ولو افترضنا مثلا أن الذى اخترع هذه الطريقة عربى يسمى راشد ، إذن كانت ستنسب إليه ، وبدلا من أن نقول بسترة اللبن كنا سنقول ترشيد اللبن ـ وعند ذاك كان سيقع على يد المتحدثين بالعربية عبء إيجاد كلمة فى لغاتهم تعبر عن هذا المعنى .

فنحن ـ إذن ـ نواجه مشكلة لغوية تعبيرية ناتجة عن مشكلة أخرى هى تخلفنا فى مجال المعرفة . والأمثلة فى هذا الصدد تجل عن الحصر .

ثانيا : الكثير من المقابلات العربية التى أوجدناها للكلمات الأجنبية تبدو غير سائغة ـ وهذا واحد من أسباب عدم دورانها على الألسنة . خذ مثلا كلمة « تجوية » التى وضعها مجمع اللغة العربية مقابلة لكلمة (Weathering) الإنجليزية وتعنى التغيرات التى تطرأ على الصخور نتيجة لتأثير العوامل الجوية مثل المطر والصقيع والبرد والرياح وتعاقب الاختلاف فى درجة الحرارة[2] . وربما استثقل البعض كلمة « تجوية » خصوصا فى أيامنا هذه التى تتعرض فيها لغتنا الحبيبة لكيد السفهاء الجهلاء وسخرية الرذلاء الأخساء ؛ فهل يمكن استبدال كلمة « تجوية » بـ « التغيرات الناتجة عن العوامل الجوية » . وهنا يثور سؤال جدير بالاهتمام : هل الأفضل أن يكون المقابل العربى للكلمة الأجنبية كلمة واحدة مهما بدت غريبة أو غامضة ، أو أنه يمكن أن يكون المقابل أكثر من كلمة ابتغاء السلاسة والوضوح ؟

وعلى نفس الصفحة مع كلمة « تجوية » عرض المجمع المقابل العربى لكلمة (Water control) على أنه « ضبط الماء » ، وربما كانت كلمة « التحكم فى الماء » أقرب إلى الأذهان .

وفى صفحة ٢٣٥ من ذات المصدر أورد المجمع كلمة « القابلية للتواؤم » مقابلة للكلمة الانجليزية (Adaptability) وربما كانت كلمة « القدرة على التكيف » أقرب إلى التداول .

وفى صفحة ٢٣٧ أورد المجمع كلمة « تعليم الراشدين » مقابلة لكلمة (Adult education) وأعتقد أن المقصود هو « تعليم الكبار » وهى الشائعة .

وربما بدت الغرابة أكبر عند نحت الكلمات أى تركيب الكلمة من كلمتين أو كلمات ، مثل كلمة « ينزطب » مقابلة لكلمة (denaturalise) أى ينزع عن الشىء خصائصه الطبيعية ، فالجزء الأول من « ينزطب » مأخوذ من (ينزع) ، والجزء الثانى من (طبيعية) . لكن يمكن أن يكون مقابلها « يمسخ » .

ثالثا : الكلمات المشاكسة التى يصعب تطويعها وإيجاد مقابل عربى لها . وما أكثر هذه الكلمات المشاكسة ، ولطالما عركتنى وعركتها ، وما برحت تجهد الذهن وتقض المضجع . ويلقى المترجمون من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية

(٢) انظر : محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الدورة الرابعة والأربعين ص ٣٥٦ و٣٥٧ .

العنت الشديد حيال هذه الكلمات التى يضرب أصحاب المعاجم (الانجليزية / العربية) صفحا عن ذكرها ويتفادون إثباتها فى معاجمهم ؛ أو يوردون ، فى أحسن الأحوال ، عبارات مطولة لشرحها .

ومن الأمثلة على ذلك كلمة (transparency) التى جاء مقابلها العربى فى معاجمنا الإنجليزية / العربية : (شفافية) . وكانت الكلمة قد وردت إسما لمنظمة دولية أنشئت مؤخرا لمقاومة الرشاوى والعمولات الحرام على المستوى الدولى وهى منظمة (Transparency International)[٣] .

وقد رجعت إلى قاموس Webster's Ninth New Collegiate Dictionary وجدت معنى ثانيا لكلمـــة Transparent لم يرد فى معاجمنـــا (الانجليزيـــة / العربيـــة) هو : Free From Pretense or deceit أى : المنــزه عن الــغش والخداع ، أى : المستقيم ؛ هذه هى الصفة ، والاسم منها : الاستقامة . وعلى ذلك يكون المقابـل العـربى لكلمــة transparency هو : ١-الشفافية ، ٢ ـ الاستقامة ، ويكـــون اسم المنظمة : منظمة الاستقامة الدولية .

ولنأخذ مثلا آخر هو كلمة (backebnch) التى لم ترد فى معاجمنا (الانجليزية / العربية) . لكنها وردت فى معجم Longman وشرحها : members of parliament who do not hold official positions in the government or opposition and who sit on the back seats.

أى : الأعضاء العاديون أو أصحاب المقاعد الخلفية فى البرلمان .

ولنأخذ مثلا ثالثا يبين طول العبارة التى أوردها معجم « المورد » شرحا لكلمة (activism) : « مذهب الفعالية ، مذهب يؤكد على ضرورة اتخاذ الاجراءات الفعالة أو العنيفة (كاستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية » وأرى أنه من الممكن أن يكون مقابلها العربى : عنف سياسى .

رابعا : تعودنا على استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية رغم أن الأخيرة أسهل وأرق ، ويسهل التعرف على مدلولاتها وفهمها . ومن ذلك : التليفـون : الهاتـف ، التلغـراف : البرق ، الجول[٤] : الهدف ، كونسلتو : هيئة طبية ، السكرتير : أمين السر ، اليوبيل الفضى : العيد الفضى ، الماتش[٥] : المباراة ، الكوفرتة : الغطاء ، ترابيزة السفرة : المائدة ، الشماعة : المشجب ، البرافان : الساتر ، سكندهاند : مستعمل أو نصف عمر ، سندوتش : شطيرة ؛ دركسيون : عجلة القيادة ، بترون : نموذج .. وغيرها كثير مما أورده الأستاذ محمود تيمور فى مؤلفه « معجم الحضارة » الذى صدره بمقدمات مفيدة فى مجال التعريب وطرائقه هى : هذا المعجم ، كلمات طبية ، ألفاظ الحضارة ، وصراع الفصحى

(٣) تم التفكير فى إنشائها فى برلين عام ١٩٩٣ ، تضم خبراء بارزين فى مجال العمل بوكالات التنمية والمعونة الدولية ، وتهدف إلى القضاء على الفساد فى أعمال المقاولات الدولية . صحيفة « فيناشال تايمز » ٥ مايو ١٩٩٣ .

(٤) تنطقها الجماهير : جون ، وهذه ليست إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ .

(٥) تنطقها الجماهير : ماتش ، وهذه ليست إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ شائه ، وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية .

والعامية . ويمكن أن تكــون محل مناقشة ومدارسة .

وربما لاحظ القارىء صعوبة قراءة هذه الكلمات الأجنبية حال كتابتها بالعربية . فرغم أن نطقها مألوف إلا أن رسمها بالعربية يبدو غريبا ويتعسر نطقه ــ وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية .

ولا يستغربن مستغرب إمكانية العدول عن اللفظ الأجنبي إلى بديله العربي الواضح . فمثلا كانت كلمة « البوستة » هي المستخدمة على المستويين الحكومي والشعبي منذ حوالى أربعين عاما عندما استبدلتها الحكومة ــ إبان صحوة وغَيْرة قومية شملتا لغتنا الحبيبة ــ بكلمة « البريد » ، فشاعت هذه الأخيرة وذاعت . وكان من ثمار تلك الصحوة ما بذل من محاولات آنذاك لاستبدال اللافتات الأجنبية للمحلات التجارية والشركات والمنتجات بأخرى عربية .

خامسا : القصور الشديد في معجمنا العربي .

فمعاجمنا العربية اللغوية قليلة قليلة ، كما أن معاجمنا العربية المتخصصة في فروع العلم والمعرفة لا وجود لها تقريبا . بينما المعاجم الأجنبية ــ والانجليزية منها خاصة ــ كثيرة كثيرة وتجل عن الحصر ، ومستوياتها متنوعة ومتدرجة تبدأ بمستوى تلاميذ الابتدائي وتنتهي بالمستوى اللازم للعلماء والباحثين ، وبين هذا وذاك عشرات الأحجام والمستويات . وتجديدها دائم ؛ إذ تصدر كل عام طبعة جديدة تضم ما استجد من كلمات ومصطلحات وتراكيب لتواكب تطورات الحياة والعلوم وأحداث السياسة وتقلبات الأحوال ، فتسعف الباحث بضالته والطالب ببغيته .

كنت أعمل في دولة عربية منذ سنوات ووجدت بين يدى التلاميذ معاجم إنجليزية متدرجة : لكل مرحلة تعليمية معجمها ، وهو أمر محمود ؛ لكن العربية لا معاجم لها ــ ياللخيبة وياللأسى ! وهنا يبرز سؤال :

وماذا عندنا من المعاجم العربية ؟ من المعاجم القديمة ما لايزيد على عدد أصابع اليد لعل أبرزها « لسان العرب » الذى جمع فيه ابن منظور المصرى (توفى ٧١١هـ ــ ١٣١١م) ما ضمته كتب السابقين ــ لكنه لم يعد يفى بحاجتنا بعد سبعة قرون ، ومن المؤلم ــ حقا ــ أننا نقرأ عن نباتات ، في هذه المعاجم ، كُتِبَ إزاؤها : (نبت معروف) وهو غير معروف إطلاقا ، وكان من حق العلم على المسئولين أن يوفروا لهذه المعاجم المال الذى يفى بطبع صور هذه النباتات بألوانها الطبيعية ، فتؤدى حق العلم بها .. فإلى متى .. إلى متى ..! والصورة أبيض وأسود لا قيمة لها .

ولقد ظهرت معاجم حديثة ؛ لكنها ، فضلا عن ضآلة عددها ، لا تشفى غليلا ، ومنها ما يعتوره نقص مشين كذلك الذى أغفل ــ في طيش وجهالة ــ الشواهد القرآنية المعجزة في بيانها ، وربما كان « المعجم الوسيط » و« المعجم الوجيز » الصادران عن مجمع اللغة العربية أفضل ما صدر من معاجم حديثة ، ومنهما تنهل المعاجم الأخرى . صدر من « الوجيز » طبعة واحدة ومن حسن الطالع أنه يوزع على تلاميذ المرحلة الثانوية ، وهو معجم جيد يناسبهم ــ لكن لابد من تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر .

أما « المعجم الوسيط » فصدرت طبعته الأولى في عام ١٩٦٠ والثانية في ١٩٧٢ ، بفارق الثى

عشر عاما ، وهى مدة طويلة جدا ، والأطول منها السنوات التى مرت على الطبعة الثانية وتقارب ربع قرن ــ مما يجعله متخلفا عن مواكبة ما استجد فى العصر من كلمات ومصطلحات فى شتى المجالات . كما أن بعض شروحه موجزة إيجازا مخلا فمثلا جاء فيه أن يوم التروية هو الثامن من ذى الحجة ، ولم يوضح أنه اليوم قبل يوم عرفة ، وسمى كذلك لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى (منى) ، ولا ماء بها . و « الوسيط » لا يسعف من يلجأ إليه طالبا شرحا أو باحثا عن معنى ، فمثلا لم يتناول كلمة « عهد الرواية » لا فى مادة (عهد) ولا فى مادة (روى) . كما أغفل تعريفات نحوية هامة مثل الفعل الأجوف (ما كانت عينه حرف علة) ومثل الفعل الناقص (المعتل الآخر) ومثل الاسم المقصور (المعرب الذى فى آخره ألف لازمة) وغير ذلك كثير .

وأبناء العربية يطالبون مجامعهم اللغوية ــ ولهم كل الحق فى مطالباتهم ــ بإخراج معاجم تسعف الباحثين والدارسين بكل ما يحتاجونه فى لغتهم من لفظ أو ضبط أو تعبير أو معنى .

لم لا يخرج المجمع معجما حجمه يماثل ضعف حجم « الوسيط » ، ومعجما ثانيا حجمه ثلاثة أو أربعة أمثال الوسيط ، مع تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر ؟ والحديث عن « المعجم الكبير » التاريخى غير وارد تماما فى هذا السياق ، فالعمل فى بنائه ــ بالهمة الحالية ــ سوف يستغرق نصف مليون يوم .

وفى اللغة الانجليزية نجد المعاجم المتخصصة فى كل فرع : فى الطب ، الهندسة ، السفرة ، الموسيقى ، الأدب ، إلخ . وهذه النوعية من المعاجم (العربية / العربية) المتخصصة غير معروفة عندنا تقريبا . ونفس القصور قائم بالنسبة لدوائر المعارف والموسوعات[6] مما ألجأنا إلى المعاجم والموسوعات الأجنبية نأخذ عنها ــ وهو أمر ترد عليه محاذير وتحف به المخاطر لعل أدناها الاحساس بالدونية والانبهار والافتتان بالأجنبى .

ولابد من الاشارة هنا إلى إصرار الغرب بزعامة أمريكا على ضرورة إدخال المواد الثقافية ضمن (اتفاقية الجات) الجديدة ، وتجريم نقلها أو الأخذ عنها إلا باتفاق مع مؤلفيها .

سادساً : تفشى العامية فى أحاديث المسئولين وفى مجلس الشعب وفى وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون ــ بل والاصرار على استبعاد الفصحى ، وهو أمر محزن حقا خصوصا إذا عقدنا المقارنة بين أسلوب الكتابة فى الصحافة الإنجليزية مثلا وأسلوب الكتابة فى صحافتنا المصرية . فالبون شاسع والهوة سحيقة . ولا نلق بالا إلى من ينادى بتدنى لغة الصحافة لتلتقى مع العامة . إن المرء ليتوقف أمام سطور وصفحات فى صحيفة Financial Times أو فى صحيفة International Herald Tribune مثلا وكل منها يومية إنجليزية ، يتوقف المرء إعجابا وانبهارا بدقة التعبير وسحر البيان والقدرة الباهرة على الصياغة بأسلوب أدبى

(٦) أخرجنا منذ ثلث قرن « الموسوعة العربية الميسرة » تلك الطبعة المتسرة التى لم تقو على البقاء .

رفيع وتطول الجملة وتطول ، والكاتب الصحفي ممسك بالزمام مسيطر على المعنى ينساب في وضوح ، مستوحيا ، آثار الأدباء البليغة مستدعيا معلومات موسوعية عميقة تؤكد وتبرز ما يريد من معنى . وهل أتاكم نبأ معجم مجلة « الإيكونوميست » الأسبوعية البريطانية الشهيرة التي تحرر موادها بأسلوب عالٍ لا يقدر عليه إلا ذوو المستويات العالية والثقافات الرفيعة . نعم ! مجلة لها مفرداتها ومعجمها .

أما العربية فرزئت ببعض أبناء جهلاء – والصديق الجاهل أشد ضررا – راحوا يروجون لمغالطة تزعم أن للصحافة لغة وسطا بين العامية والفصحى . وهي فرية يذيعها من قصرت همتهم عن إجادة العربية الشاعرة الجميلة . ولست بحاجة إلى التذكير بأن انتشار العامية يعني تجزئة أوصال الوطن العربي – فالعربية الفصحى من أهم دعائم توحيد الأقطار العربية . والعامية – كما هو معروف – مرتبطة بالمحلية لا يفهمها إلا أهل حِلّتها[7] . فالمصري ذو اللهجة الصعيدية يتعذر عليه التخاطب والتفاهم مع أبناء اللهجة السعودية أو المغربية مثلا . ثم إن العامية لاقواميس لها ولا تخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف وما إلى ذلك – ومن ثم فهي لا تنهض بالتعبير عن المعاني بالدقة والتحديد الواجبين[8] .

ولابد من الإشارة إلى صنائع الاستعمار الفكري والثقافي الذين تولوا كبر الدعوة إلى العامية ، واضعين السم في العسل ليتخدع بهم السذج والبسطاء ، نافثين في كتاباتهم الخادعة حقدهم الدفين على العربية ، لغة القرآن العظيم ووشيجة الوحدة بين أبناء الأمة العربية ؛ ولله درّ أبي فهر ، الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذي قد في كتابه « أباطيل وأسمار » مزاعم واحد من الموتورين أعداء العربية ، وقال في وصفه : « وإذا أسودُ سالخ (وهو أقتل ما يكون من الحيات) يمشي بين الألفاظ فيُسمع لجلده حفيف ، ولأنيابه جرْس ، فمازلت أتحدر مع الأسطر والصوت يعلو ، يخالطه فحيح ، ثم ضباح ، ثم صفير ، ثم نباح (وكلها من أصوات الأفاعي) » .

[illegible] : الجهالة والغفلة ، فبعضنا يتوهم أن الرطانة بكلمات أجنبية تتخلل حديثه ، أو أن عدم المعرفة بلغتنا الأم إنما يعطيه تميزا – وربما كان هذا من جراء الاستعمار الفكري والمعاناة من عقدة الأجنبي . والحقيقة هي أن قلة قليلة منا نحن أبناء العربية هم الذين يجيدون لغة أجنبية كالانجليزية أو الفرنسية . والشواهد على ذلك كثيرة نشاهدها في خريجي الجامعة وفي رجال الصحافة والسياسة والاعلام . ومثل الذي يخلط في حديثه كلمات عربية وأخرى أجنبية كمثل الغراب الذي أراد أن يقلد الحجلة في مشيتها في حكايات كليلة ودمنة فلا أجاد مشي الحجلة ولا احتفظ بمشيته ، وإنما انتهى به الأمر إلى طريقة في المشي غريبة تثير الضحك والاشفاق .

---

(٧) الحِلّة : جماعة البيوت .

(٨) ونحن في عصر وحدة القياس فيه واحد من الألف – بل من المليون – من المليمتر . وهنا ينبغي أن ننبه إلى أن بعض أساتذة الذين يقومون بعمل دراسات عليا يرغمهم بعض أساتذة المعاهد الغربية على أن يقدموا دراسة مفصلة عن العامية في بلادهم .

والذين يقحمون الكلمات الأجنبيـــة فى أحاديثهم عاجزون فى الأغلب عن التعبير عن أنفسهم بلغتهم الأم ، وهو أمر مخجل ومحزن .

ثامنا : الهجمة الشرسة المتمثلة فى تفوق الأجنبى : تفوقه الاقتصادى والعسكرى و التكنولوجى ، ونفوذه السياسى وتقاليعه ورذائله وشذوذه وانحرافاته التى تمادى فيها إلى درك سفيل ـ كل هذا جعله فى نظر الغافلين المثل والقدوة ، وانعكس ذلك بالتالى على لغته التى تلقى الاحترام والإكبار ، أما لغتنا الأم فتلقى من أبنائها الهوان .

مقترحات للتغلب على المصاعب
التى تواجه التعريب

أولا : استنفار السلطات لحماية لغتنا الأم . وفى الحديث : « من يزعُ السلطانُ أكثرُ ممن يزعُ القرآن » ومعناه أن من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى[9] ، ويقول المثل الانجليزى :

Being right without might will get you nowhere.

ومعناه : لن يتحقق لك شىء إذا كنت على صواب أو على حق طالما لم تكن لديك القوة اللازمة للتنفيذ .

وفى هذا الصدد أرى أن تلحق مجامع اللغة العربية برئاسة الدولة ، فمن شأن ذلك أن يضفى عليها وعلى قراراتها الهيبة والإلزام . وقيام رئيس الدولة بافتتاح دور الانعقاد السنوى للمجمع سيكون وسيلة ناجعة لذيوع شأن المجمع والاعلام بوجوده ـ وبذلك يتبدد الخوف من أن تسدل ستائر النسيان على المجمع وأنشطته .

ومن الوارد كذلك العمـــل على إصدار تشريعات تلزم باستخدام الألفاظ العربية بدلا من الأجنبية ، وبأن تكون أسماء الشركات والحوانيت والمنتجات عربية ، ويقع على مجامع اللغة عبء إعداد مشروعات القوانين اللازمة لذلك ودفعها عبر القنوات الدستورية إلى حيز الوجود ، وعلى المجامع الاستفادة من خبرة أعضائها وعلمهم ونفوذهم فى هذا المجال .

ثانيا : وجوب نشر الألفاظ العربية التى تضعها مجامع اللغة على أوسع نطاق : فى الإذاعة وعلى شاشة التليفزيون وفى الصحف والمجلات ـ على أن تكون مصحوبة بما دار بشأنها من بحث ونقاش ، فتكون محل نظر الناس عامة ونظر المعنيين المهتمين خاصة ، فيدلون بآرائهم فيها ، وتتحقق من وراء ذلك فائدتان :

١ ـ التعريف بهذه المقابلات العربية وتقديمها إلى الجماهير لإقامة نوع من الألفة بها والتعود عليها ، مما يسهل فى النهاية ذيوعها وانتشارها وإزالة ما قد يصاحبها من وحشة .

٢ ـ غربلتها وتنقيحها ، وهذا أجدى فى تحقيق الغرض المنشود ألا وهو تسهيل وتيسير ذيوعها بعدما أصبحت مقبولة وسائغة لدى الناس .

---

(٩) انظر : « لسان العرب » مادة : وزع . وانظر أيضا : ابن الأثير ، النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمد محمد الطناحى ، جـ٥ ص ١٨٠ .

وعندنا في مصر تبلغ ساعات الإرسال من شبكات الإذاعة أكثر من ثلثمائة ساعة في اليوم ، ومن قنوات التليفزيون أكثر من مائة وخمسين ساعة في اليوم . هذا العدد الهائل من الساعات يلزمه قدر هائل من المواد حتى تجد الطواحين ما تتغذى عليه ، وليس بكثير أن تخصص ساعة من هذه الساعات الطوال لعرض جلسات مجمع اللغة العربية ، واجتماعات لجانه وما يدور حولها من مناقشات وآراء تثرى لغتنا العربية وتقربها إلى قلوب وأذهان أبنائها .

ثالثا : العكوف على دراسة الطرق المستخدمة لوضع المقابلات العربية للألفاظ الأجنبية (من اشتقاق ونحت وتعريب ، إلخ) ودراسة نشأة الكلمة الانجليزية (من خلال معاجمها الكبرى) للمقارنة والإفادة من هذا أو ذاك في إيجاد مقابلات عربية أكثر سلاسة وقابلية للدوران على الألسن .

وقد أورد « المعجم الوسيط » في متنه ألفاظا معربة وهي التي غيرها العرب بالنقص أو الزيادة أو الطلب مثل : الإبريق والإسطبل وألفاظ دخيلة وهي التي دخلت العربية دون تغيير كالأوكسجين والتليفزيون ؛ وألفاظا أقرها المجمع ووصفها بأنها ألفاظ مجمعية مثل الأبابة (Homesickness) : داء يصيب الغريب وهو شدة حنينه إلى وطنه ، ومثل أمم (Nationalise) الشركة أو المرفق : جعلهما ملك الدولة . ولغتنا العربية بحاجة ماسة إلى مثل هذه الألفاظ والمصطلحات يقرها المجمع لتقابل ذلك العدد الهائل من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية . فمجمعنا ـ في الأغلب ـ وضع الألفاظ المجمعية عند تصديه لإدخال ألفاظ ومصطلحات أجنبية إلى اللغة العربية .

ولقد صادفت في عملي في مجال الترجمة على امتداد خمسة وثلاثين عاما ، الكثير من الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الإنجليزية في مجالات السياسة والتشريع والاقتصاد والعلوم وغيرها . وكان على أن أترجمها إلى العربية ؛ ولأنها غير موجودة في المعاجم (الإنجليزية / العربية) كان لزاما على أن أجتهد في إيجاد مقابلات عربية لها وذلك بالرجوع إلى شروحها في المعاجم الانجليزية ، واستنباط لفظ عربي يفي بالمعنى . ولقد جمعت عن هذا الطريق حصيلة طيبة من الكلمات والتعبيرات والمصطلحات أورد منها أمثلة :

مفتقر إلى السيولة المادية — Cashstrapped

ديمقراطية الأغلبية — Consensus democracy

تدبير ، إنفاق المال في وجوهه — Cost-effectivenses

إلغاء اللوائح البيروقراطية — Deregulation

تحرير الاقتصاد — Deregulation of the economy

المردود الحرام : جزء من قيمة العقد — Kickback يرده المقاول إلى المسئول في الدولة بالتواطؤ بينهما نظير ترسية المقاولة عليه بطريقة غير مشروعة تحقق للمقاول مكاسب ضخمة .

وأدعو الله أن ييسر لي نشرها ، فالنشر ليس بالأمر الميسور . وربما كانت صعوبات النشر مما يعوق التعريب .

رابعا : المراجعة المستفيضة لما وضعناه من مقابلات عربية لألفاظ أجنبية بقصد جعلها أكثر سلاسة وقابلية للتداول والانتشار .

خامسا : تقويم ألسنة الصغار بالوسيلة الناجعة الباهرة ـ أعنى إلزامهم بحفظ الأجزاء الخمسة الأخيرة من القرآن الكريم فى سنوات التعليم الابتدائى كله بحيث يحفظون جزءا كاملا كل سنة . يبدأون بجزء « عم » فى السنة الأولى ثم جزء « تبارك » فى السنة الثانية ، وجزء « قد سمع » فى السنة الثالثة ، وجزء « قال فما خطبكم » فى السنة الرابعة ، وجزء « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » أو (الأحقاف) فى السنة الخامسة . وبهذا تستقيم الألسنة المعوجة للمعلمين والمذيعين والصحفيين والسياسيين وغيرهم ممن يلوثون الأسماع بنطقهم الشائه لكلمات لغتنا الجميلة .

سادسا : تعريب التعليم الجامعى وخصوصا فى كليات الطب والهندسة والعلوم . فإلى جانب كون التعريب مسألة قومية تتعلق بأصولنا وكياننا ، أثبتت الدراسات أن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة القومية هو أحد عناصر النجاح فى زرع العلم والتكنولوجيا فى مجتمع ما . وبينما يدرس الصينيون واليابانيون والروس والألمان والفرنسيون .. إلخ فى جامعاتهم بلغتهم القومية ، نأتى نحن فى آخر الزمان ندرس المقررات فى كليات التجارة باللغات الأجنبية بدلا من أن ينصرف جهدنا إلى التركيز على تعريب المقررات فى كليات الطب والعلوم .

ونجد هذا الاتجاه الخاطىء الغافل يزحف من كلية التجارة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية حيث تحولت السفارات الأجنبية فى بلادنا إلى مورد للأساتذة الذين يفدون من لندن أو باريس لإفادتنا عن أفضل الطرق لتدريس هذه المواد بلغتهم لا بلغتنا . وهكذا أصبحنا غرباء فى بلادنا ، وعدنا من جديد إلى الغزو الأجنبى لجامعاتنا »[10] .

سابعا : الدعوة ـ بلا كلل أو ملل ـ إلى نبذ العامية التى انتشرت فى وسائل الإعلام ، وانتقلت منها إلى العامة والخاصة . وتبنى الفصحى بدلا منها . ولننظر إلى القسم العربى بهيئة الإذاعة البريطانية الذى يحافظ على سلامة العربية وفصاحتها فاستقطب المستمعين المتعلمين وغير المتعلمين على السواء . وانفض الجميع من حول إذاعاتنا بعدما عجزت عن اتخاذ الفصحى لغة تخاطب بها المستمعين .

ثامنا : العكوف على وضع معاجم عربية : لغوية ومتخصصة ، متأنية الأحكام والمستويات ومتجددة الطبعات ـ وذلك لمواكبة التطورات اللاهثة فى كل المجالات من حولنا .

ما أحوجنا اليوم إلى صحوة وطنية وغيرة قومية على أصولنا : لغتنا وديننا . فلقد انتشرت العامية ، وطغت العجمة والرطانة . وفى غيبة وعى ، وفى سباق محموم ، راح أبناء العربية يتبارون فى إطلاق أسماء : بعضها أجنبى وبعضها مسخ شائه عديم المعنى منحوت من كلمات عربية وأخرى أجنبيـــة على محلاتهم وشركاتهم ومنتجاتهم . والمنتجون إما اختاروا لمنتجاتهم أسماء غريبة لا معنى لها ، يدفعهم إلى ذلك الحاجة إلى سرعة الكسب وكثافته .

---

(١٠) من مقال للدكتور عبد العظيم أنيس ، بعنوان : هموم تعليمية ، مجلة الهلال ، فبراير ١٩٩٦ .

توصيات المؤتمر السنوى الثانى لتعريب العلوم

نظمت جامعة الأزهر بالتعاون مع الجمعية المصرية لتعريب العلوم المؤتمر السنوى الثانى لتعريب العلوم فى الفترة من ١ إلى ٢ من شهر ذى القعدة ١٤١٦ هـ الموافق ٢٠ - ٢١ من شهر مارس ١٩٩٦ م وقد استعرض المؤتمر فى خلال هذه الفترة وعلى مدار خمس جلسات شملت ثلاثة وثلاثين بحثا فى مختلف موضوعات التعريب وغطت المحاور التالية :

١ - المحور الأول : التعريب مفهومه ومنهجه والخطوات العملية .

٢ - المحور الثانى : معوقات التعريب والحلول المقترحة .

٣ - المحور الثالث : الخبرات التاريخية فى تعريب العلوم .

٤ - المحور الرابع : مفهوم المصطلح وكيفية توليده .

٥ - المحور الخامس : الأرقام والرموز .

وقد افتتح المؤتمر فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر - ورئيس المؤتمر ، والأستاذ الدكتور / عبدالحافظ حلمى رئيس الجمعية المصرية لتعريب العلوم - نائب رئيس المؤتمر ، والأستاذ الدكتور / جعفر عبدالسلام - نائب رئيس جامعة الأزهر مقرر عام المؤتمر ، وشارك فى المؤتمر كوكبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية ومن المهتمين فى مجالات التعريب .

وقد توصل المؤتمرون إلى هذه التوصيات :

أولا : توصيات عامة :

١ - التوصية باعتبار التعريب مشروعا قوميا توفر له كل الامكانات المادية والبشرية والتشريعية التى تلزم استخدام اللغة العربية فى كل الأنشطة ووضع التشريعات والقوانين الملزمة لذلك .

٢ - سيادة اللغة العربية على خطاب المؤتمرات العلمية وتوجيه كافة الأنشطة فى المجتمع إلى منع استخدام غير العربية .

٣ - ضرورة إنشاء هيئات متخصصة للمصطلحات فى مختلف فروع المعرفة .

٤ - الاستفادة بالتقنيات الحديثة مثل الترجمة الآلية إلى اللغة العربية مع توفير البرامج والمعاجم العربية فى كافة التخصصات والمستويات والتمحيص الجيد لهذه البرامج .

٥ ـ استصدار تشريع يقرر سيادة اللغة العربية الفصحى فى وسائل الاعلام والمدارس والمؤسسات العلمية والخدمية والهيئات والوزارات والمصالح وغيرها من نشاطات المجتمع .

٦ ـ وضع مصطلح واحدا للمفهوم العلمى الواحد ومراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعلمية واستخدام الوسائل اللغوية فى توليد المصطلحات العلمية الجديدة .

ثانيا : فيما يتعلق بجامعة الأزهر والجامعات الأخرى :

١ ـ إنشاء مركز للتعريب والترجمة تابع لجامعة الأزهر ذى طبيعة خاصة تكون مهمته التعريب والترجمة من اللغات الأجنبية وإليها باعتبار الجامعة حصن العربية الأول والتنسيق والتكامل مع الجمعيات المعنية فى هذا الصدد .

٢ ـ إنشاء مركز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

٣ ـ أن يكون لكل جامعة خطة فى مجال التأليف والتعريب وتشجيع تفرغ أعضاء هيئات التدريس لهذا الغرض والتنسيق بين كل الجامعات فى هذا الشأن .

٤ ـ إدخال جهود التأليف العلمى باللغة العربية والترجمة إليها ضمن الأعمال المطلوبة للترقية فى الجامعات .

٥ ـ جعل اللغة العربية مادة أساسية فى الكليات العلمية والنظرية فى جميع سنوات الدراسة فى جامعة الأزهر والجامعات والمعاهد الأخرى .

٦ ـ عقد دراسات تخصصية فى اللغة العربية لأعضاء هيئة التدريس فى الجامعات والمعاهد العليا والمراكز العلمية وذلك بصفة دورية لملاحقة التقدم العلمى .

٧ ـ إلزام أعضاء هيئات التدريس الدارسين بالخارج بترجمة رسائلهم العلمية إلى العربية واعتبار هذا من شروط تعيينهم فى وظائف التدريس بالجامعات ومراكز البحوث والهيئات العلمية .

٨ ـ إلزام الأساتذة فى كل التخصصات العلمية فى مؤسسات ومعاهد العلم المختلفة بترجمة أو تأليف كتب مرجعية كل خمس سنوات لملاحقة التطور المستمر فى هذه التخصصات .

ثالثا : فيما يتعلق بالنقابات والجمعيات العلمية :

١ ـ أن يكون للنقابات والجمعيات العلمية دور أساسى فى التعريب بإعداد معاجم مهنية والتنسيق مع الجامعات فى هذا الشأن .

٢ ـ مناشدة كل العلميين لدفع حركة التعريب فى مجال التخصص تأليفا وترجمة وتعليما على كل المستويات والتخصصات .

رابعا : وفيما يتعلق بالتعليم العام والأزهرى :

١ ـ الاهتمام باللغة العربية فى جميع مراحل التعليم المختلفة والتركيز على المادة المعجمية .

٢ ـ تدريب مدرسى اللغة العربية وتأهيل مدرسى المواد الأخرى للتدريس باللغة العربية .

٣ ـ الاهتمام باللغات الأجنبية فى التعليم الأزهرى فى المراحل المختلفة .

والله الموفق ..

مصطفى صادق الرافعى

فى ذكراه التاسعة والخمسين

(١٨٨٠ ـ ١٩٣٧)

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الفصل الأخير

كنت أمُرُّ أثناء قراءاتى فى (وحى القلم) للرافعى بفصلٍ فيه يحمل عنوان : (النجاح وكتاب سر النجاح)[١] ، دون أن ألتفت جيدا ـ وبالقدر الكافى ـ لأهمية هذاالفصل البالغة للكشف عن دواعيه ودلالاته .. إلى أن عُدْتُ بالأمس ، إلى إمعان النظر فى فحواه ، والتغلغل فى تنبيهاته وإشاراته ، فى محاولة ذاتية لتفسير (الظاهرة الإبداعية) فى أدب الرافعى ، وتعقبها منذ النشأة الأولى ، والسير معها قدما فى تطورها ونموها ـ أثناء مرحلة الإعداد والتكوين ، أى : منذ الغرْس الأول ، حتى مسيرة النضج والإيناع والازدهار ..

ومن ثم تبين لى أن موضوع هذا الفصل يدور حول كتاب يحمل هذا العنوان ، ترجمه الدكتور يعقوب صرُّوف عن الإنجليزية إلى العربية ، ونشر لأول مرة ببيروت ١٨٨٠م ـ أى فى السنة التى وُلد فيها الرافعى ـ وتعددت طبعاته بعد ذلك .. وكتب الرافعى عنه ، مُعرِّفا ومُنوِّها به ، بمناسبة ظهور طبعته الرابعة سنة ١٩٢٣م .

وأدركت مدى تأثر الرافعى العميق بمضمونه ، بعد قوله عنه إنه « يعلِّم الضعيف كيف يقْوَى ، والعاجز كيف يجتهد ، والمضطرب كيف يثبت ، والمحزون كيف يأمل ، واليائس كيف يثق ، والمنهزم فى الحياة ، كيف يُقْبل ، والساقط كيف ينهض »[٢] ، وبكلمة واحدة ، فإن هذا الكتاب ، يتحدث فى صميمه ، عن عباقرة هزموا اليأس ، وقهروا الصعب ..

ويذكر الرافعى ، فى ختام تعريفه لهذا الكتاب ، أنه عرف ـ منذ زمن ـ طالما كان يدرس فى الأزهر ، نفض له نفسه ، بقوله : إن الأزهر وعلومه وفنونه ، والمتون وما فيها ، والشروح وما إليها ، والحواشى وما يرد ويعترض ، ويجاب به ، ويقال فيه .. كل ذلك كان عند هذا الطالب الأزهرى ، بمثابة جعلت « كل كلمة بساعة من العمر ، وكل سطر بيوم ، وكل جزء بسنة ! » ثم استقل قائلا : « وتركتُ ورائى كذا وكذا فدانا ، وأقبلت على كذا وكذا علما ، فلا حصدت من هذه ، ولا من تلك ! »[٣] .

---

(١) جـ ٣ ص ٤٤١ ط ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م .   (٢) ، (٣) المصدر السابق ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

وقال الرافعي لهذا الطالب ، وهو يحاوره :

ـ وما يمسكك .. والباب مفتوح ، ولا يسألك الأزهر : إلى أين ؟ ولا تسألك الدنيا ـ إذا خرجت إليها ـ: من أين ؟

قال الطالب : والله ما ربطني إلى هذه الأعمدة ، خمس عشرة سنة كاملة ، على يأس ومضض ـ إلا كتاب : (سر النجاح) ، وما أمضيت نيتي مرة ، على وجه من وجوه العيش ، إلا رأيت هذا الكتاب ، قد ضرب وجه هذه النية ، فردها إلى هذا المكان ، وألقاها في هذا المستقر .. وما هممت بترك الأزهر ، إلا انتصب في وجهي كل الأبطال ، الذين قرأت أخبارهم فيه ، وأمسكوني ـ لا من يدي ولا من رجلي ـ ولكن .. من اعتقادي وإيماني وأملي !» .

قال الرافعي له معقبا : « فوالله لا يدعك حتى تنجح ، وما ربط الله على قلبك بهذا الكتاب ، وثبّت فؤادك باليقين الذي فيه إلا وقد كتب لك الخير كله ... »[4] .

* * *

وقد رجعنا ، بدورنا ، إلى كتاب (سر النجاح) هذا ، ووجدنا مؤلفه يقول في الفصل الأول منه ، تحت عنوان : « الاعتماد على النفس » : « ... ورجال العلوم والفنون والآداب ، وأرباب الأفكار وأهل الحصافة ، لم ينحصروا في فئة من البشر ولم يختصُّوا بأهل المراتب العالية .. بل نبغوا من المدارس والمعامل ، ومن الدساكر والمزارع : من أكواخ الفقراء والمعدمين ، وقصور الأغنياء الرفيعة .. وكم من أناس ارتقوا من أدنى الدركات ، إلى أعلى المراتب ، ولم تصدهم المصاعب عن نيل ما شمروا له الذيل ، بل كثيرا ما كانت تستحيل إلى أكبر مساعد لهم ، بإثارتها قوتهم ونشاطهم ، وإيقاظها ما ربما كان يخمل من قواهم .. لو لم تكن الحال كذلك .. »[5] .

إلى أن يقول مؤلف هذا الكتاب : « والغنيُّ يستأجر مَنْ يعمل له أعماله ، ولكنه لا يستطيع أن يستأجر مَنْ يفكر عوضا عنه ، ولا أن يشتري العلم والتهذيب ، ولا الشهرة التي يستحقها لأجلهما »[6] .

* * *

وإذا تقدمنا خطوة أخرى ، للاستزادة من أنباء تثقيف الرافعي لنفسه ، ومكوِّنات موهبته ، نجد تلميذه وصفيه المرحوم محمد سعيد العريان ـ الذي لازم الرافعي لعدة سنوات ، ونَعِمَ بصحبته وخلطه بنفسه ـ يقول من رصيد ذكرياته عن الرافعي :

---

(٤) المصدر السابق ص ٤٤٤ .
(٥) أنظر ص ٥ من هذا الكتاب .
(٦) المصدر السابق ص ١٤ ـ ١٧ .

إنه : « فى القهوة ، وفى القطار ، وفى الديوان ، لا تجد الرافعى وحده ، إلا وفى يده كتاب .. وكان فى أول عهده بالوظيفة كاتبا بمحكمة طلخا ، وكان يسافر من طنطا كل يوم ويعود ، فيأخذ معه فى الذهاب والإياب (ملازم) من كتاب ـ أى كتاب ـ ليقرأها فى الطريق .. وفى القطار ـ بين طنطا وطلخا (وبالعكس) ـ استظهر كتاب (نهج البلاغة) فى خطب الإمام على ـ رضى الله عنه ـ وكان لم يبلغ العشرين بعد »[7] .

ويزيدنا الأستاذ العريان ـ رحمه الله ـ علما بمدى حرص الرافعى على تثقيفه الذاتى لنفسه وصقل موهبته ، لاحتلال مكانه المناسب بين بلغاء العربية فى شتى عصورها ، بقوله : « ونظر الرافعى فيما يكتب الكُتَّاب فى (الجرائد) ، وما يتحدث به الناس فى المجالس ، فرأى عربية ليست من العربية ، وهى عامية متفاصحة ، أو عُجْمة مستعربة ، تحاول أن تفرض نفسها لغة ، على أقلام المتأدبين وألسنتهم ، فقرَّ فى نفسه أن هذه اللغة لن تعود إلى ماضيها المجيد ، حتى تعود « الجملة القرآنية » ، إلى مكانها ، مما يكتب الكتاب ، وينشىء الأدباء ، وما يستطيع كاتب أن يشحذ قلمه لذلك ، إلا أن يتزود له زاده من الأدب القديم .. »[8] .

ومن ثم عاد الرافعى يقرأ من جديد ، ينظر فيما كتب الكتاب ، وأنشأ المنشئون ، فى مختلف عصور العربية ، يبحث عن التعبير الجميل ، والعبارة المنتقاة ، واللفظ الجزل ، والكلمة النادرة ، فيضيفها إلى قاموسه المحيط ، ومعجمه الوافى ، لتكون عونا على ما ينشىء من الأدب الجديد ، الذى يريد أن يحتذيه أدباء العربية .

زِدْ على ذلك حُسْن استخدامه لموهبته فى التوليد والابتكار ، للمعانى والأفكار ، بما لا يدانيه فيه أحد ، حتى قال العقاد يوما قولته المشهورة عن الرافعى ـ قبل الخصومة التى نشبت بينهما : إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ، مالا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية ، فى صدر أيامها !...[9] .

ولا شك أن الرافعى قد أخذ الكثير عن (الجاحظ) من الأقدمين بصفة خاصة ، كما أخذ الكثير باعتباره قيمة كبيرة ، بل قمة سامقة ، بين شيوخ تراثنا الأدبى الزاخر .. وحسبنا قول (ثابت بن قرة الحرانى) الفيلسوف عن الجاحظ : « سبحان من سخر له البيان وعلَّمه ، وسلم فى يديه قصب الرهان وقدمه ، مع الاتساع العجيب ، والاستعارة الصائبة ، والكناية الثابتة ، والتصريح المغنى ، والتعريض المنبى ، والمعنى الجيد ، واللفظ الفخم ، والطلاوة الظاهرة ،

---

(٧) أنظر كتاب (حياة الرافعى) لسعيد العريان ص ٣٣ .

(٨) المصدر السابق ص ٧١ .

(٩) أثبت العريان هذه العبارة للعقاد عن الرافعى بكتابه (حياة الرافعى) ص ١٨٣ تحت عنوان : (الرافعى والعقاد) .

والحلاوة الحاضرة .. إن جدَّ لم يسبق ، وإن هزل لم يُلحق ... إلخ »[10].

كذلك أخذ الرافعى عن الشيخ محمد عبده ، من المعاصرين ، « نزعته إلى الإصلاح الديني والاجتماعى ، وإيمانه بالثقافة العربية والإسلامية ، ومحافظته على التراث اللغوى والأدبى » ، كما يقول الدكتور شوقى ضيف[11].

وقد أثبت الرافعى دعوة الأستاذ الإمام محمد عبده له ، بمستهل الجزء الأول من كتابه : (وحى القلم) التى يقول فيها للرافعى : « لله ما أثمر أدبك ، ولله ما ضمن لى قلبك ، لا أقارضك ثناء بثناء ، فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء ، ولكن أعدك من خلَّص الأولياء ، وأقدم صفَّك على صف الأقرباء » .

إلى أن يقول له : « وأسأل الله أن يجعل من لسانك سيفا يمحق الباطل ، وأن يقيمك فى الأواخر ، مقام (حسان) فى الأوائل »[12].

وفى عام ١٩٢٤ أصدر الرافعى كتابه : (السحاب الأحمر) وتحدث فيه عن الإمام محمد عبده ، فى الفصل الأخير من هذا الكتاب ، بقوله : « كان هذا الإمام الفذ ، فى قوة من ربه ، كقوة الجبل يحمل ما يحمل ولا يتلوَّى ، وفى سعة من طبعه ، كاستفاضة البحر : يغمر ما يغمر ، ولا يتغير »[13] .

وحينما أصدر الرافعى الجزء الأول من كتابه: (تاريخ آداب العرب) عام ١٩١٠م وهو فى الثلاثين من عمره ـ بعد إعلان الجامعة المصرية عن مسابقة بين الأدباء لتأليف كتاب فى هذا الموضوع لتدريس مادته للطلبة بها ـ أثنى على كتاب الرافعى كبار الأدباء والنقاد ثناءً جماً ، لما بذل من جهد كبير فى إعداده ، ينمُّ عن إطلاع واسع ، وإحاطة تامة بموضوعه ، الذى لم يسبقه إليه أحد من مؤرخى الأدب العربى ، وكتب الأستاذ أحمد لطفى السيد عنه مقالة مستفيضة بـ (الجريدة) ، التى كان يتولى رئاسة تحريرها بعد أن ظل يخطب عن هذا الكتاب أسبوعا فى مجالس العاصمة[14] ، لأن هذا الكتاب كان سببا فى وضع ما وضع من الكتب فى هذا العلم بعد ذلك .. وفى مقالته عن هذا الكتاب ، يقول الأستاذ لطفى السيد :

(قرأنا هذا الجزء، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة فى بابه، يدل على أن المؤلف قد ملك

---

(١٠) انظر كتاب (مصطفى صادق الرافعى) للأستاذ حسين مخلوف سلسلة (كتاب الهلال) عدد مايو ١٩٧٦ وكتاب (رسائل الرافعى) للأستاذ محمود أبو رية ط ١٩٨٠ ص ٢٢ و(حياة الرافعى) للأستاذ محمد سعيد العريان ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(١١) وتاريخ كتاب الإمام محمد عبده للرافعى ، فى الخامس من شوال ١٣٢١هـ الموافق الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٠٣ ، وكان الرافعى فى هذا التاريخ قد أكمل عامه الثالث والعشرين ..

(١٢) أنظر كتابه (الأدب المعاصر فى مصر) ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

(١٣) أنظر ص ١٤٣ .

(١٤) أنظر (حياة الرافعى) ص ٦٩ ـ وهذه عبارة الأستاذ لطفى السيد إلى الرافعى .

موضوعه ملكا تاما ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التي بسطها في هذا الجزء ، إلا بعد درس طويل وتعب ممل .. وأما أسلوب الرافعي في كتابه ، فإنه سليم من الشوائب الأعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا ، نحن العرب المتأخرين ، فكأني وأنا أقرؤه أقرأ من قلم المبرّد ، في استعماله المساواة ، وإلباس المعاني ألفاظا سابغة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ، ولا قصيرة عن مداها ، تودي ببعض أجزائها »[١٥] .

وفي عام ١٩١٢م ، أصدر الرافعي الجزء الثاني ن هذا الكتاب ، وجعل موضوعه : « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » وفي مقدمته يقول الرافعي : « وليس رجل ذو علم بالكلام العربي وصنعته ، ينازع أو يرتاب في أن القرآن معجزة هذه العربية ، في نظمه واتساق أوضاعه وأسراره ... » .

وكتب له عن هذا الجزء تلميذه صادق عنبر يقول : « إنك من البلاغة بحيث لا يصفك كما أنت إلا قلمك أنت ، وما أجد في الثناء على كتابك أقل من أن أقول : لقد أعجزت ، إذا لم أجد لغيرك أكثر من أن أقول له : أحسنت ... » .

وقال عن الكتاب أيضا ، الأستاذ عبد العزيز البشرى ، بمقال له في جريدة (كوكب الشرق) مخاطبا الرافعي : « قرأت (إعجاز القرآن)، فإذا هو أبلغ ما كتب مخلوق في كلام الخالق .. فإن ما جلوت من البيان ، لمن الإلهام الذي يعلو على التصرف ، ويجلّ عن التأليف ... » .

وفي الجزء الثاني من كتاب الرافعي الذي يحمل عنوان (وحي القلم) ، نجد به مقالة تحمل عنوان : « قلت لنفسي وقالت لي » ، وهي تظهر لنا بجلاء ، ووضوح رأى الرافعي في الحياة والناس ، ونهجه في إبداع فنه ، وطموحه الذي لا نهاية له ، والذي نتبينه من قوله :

« قلت للنفس : ويحك يا نفس ! مالي أتحامل عليك ، فإذا وفيت بما في وسعك ، أردت منك ما فوقه .. وكلفتك أن تسعى .. فلا أزال أعنتك من بعد كمال فيما هو أكمل منه ، وبعد الحسن فيما هو الأحسن .. » إلى أن يقول :

« أنت يا نفس سائرة على النهج ، وأنا أعتسف بك ، أريد الطيران لا السير ، وأبتغي عمل أعمار في عُمرٍ .. » وتجيبه النفس – في حوار طريف عميق : « ليست دنياك يا صاحبي ما تجده من غيرك ، بل ما توجده بنفسك .. فإن لم تزد شيئا على الدنيا ، كنت أنت زائدا على الدنيا ، وإن لم تدعها أحسن مما وجدتها ، فقد وجدتها وما وجدتك ، وساعة الراحة بعد أيام التعب ، هي في لذتها ، كأيام من الراحة بعد تعب ساعة .... إلخ »[١٦] .

---

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) وحي القلم جـ ٢ ص ٨٧ – ٨٨ .

وفى الجزء الثالث من (وحى القلم) ، يتحدث الرافعى عن (رسالة الأزهر فى القرن العشرين) ، بقوله :

« .. علماء الأزهر اليوم أسهم نافذة من أسهم الله ، يرمى بها من أراد دينه بالسوء ، فيمسكها للهيبة ، ويرمى بها للنصر » إلى أن يقول :

« أنا مستيقن أن فيلسوف الاسلام ــ الذى سينشر الدين على يده فى أوروبا وأمريكا ــ لن يخرج إلا من الأزهر ، وما كان الشيخ محمد عبده ــ رحمه الله ــ إلا أول التطور المنتهى إلى هذه الغاية ، وسيكون عمل فلاسفة الأزهر ، واستخراج قانون السعادة لتلك الأمم ، من آداب الإسلام وأعماله .. »[١٧] .

وأخيرا ، وليس آخرا ، فإننى أعتقد أن أحدا لم يوفّ الرافعى حقّه ، ولم يصفه الوصف الدقيق البليغ ، مثلما فعل ذلك صديقنا الدكتور محمد رجب البيومى ، حينما قال : « إذا طلبت للرافعى الناثر شبيها يحاكيه ، فاترك الانسان إلى غيره من مظاهر الطبيعة ، لتجد للرافعى ، ذلك الشبيه المنشود .. هل رأيت الرعد الجلجل ، الذى يأخذ عليك سمعك وشعورك حين يدوى فى الفضاء ؟

وهكذا يكون الرافعى ، حينما يزأر غاضبا ، لحرمة تنتهك ، أو معصية تذاع .

هل رأيت الزلزال المدمر ، يبعث اللهب ، ويرمى بالشواظ ؟..

هكذا يكون الرافعى ، حين يقف أمام أعداء الإسلام ، ليرجمهم بالنقد القاتل ، ويسحقهم بالصاعق المبيد .

ثم .. هل رأيت النسيم الهادىء ، يرفّ على الروض الزاهر ، فيحمل عبيره الفوّاح إلى النفوس .. يشرح به الصدور ، ويمتع الأحاسيس ؟

.. هكذا يكون الرافعى ، إذا رقّ فى عتاب ، أو عذب فى مناجاة ، أو حنّ إلى حبيب غائب ..

إلى أن يقول بلغة هى أقرب إلى لغة الشعر الصادق المُعبِّر :

« ثم .. هل رأيت النمير العذب ، يترقرق به الجدول الصافى ، فتنهل منه شرابا لذيذ الرشف ، حلو الوقع من اللهاة والصدر ؟

هكذا يكون الرافعى ، إذا روى حديثا عن السلف الصالح ، يفيض بالعبرة الواعظة ، ويدعو إلى القدوة الحسنة ، عن هدى وإيمان .. » .

هذه هى أشباه الرافعى حقا حين تتطلب التشبيه ، فى دنيا النثر والناثرين ..

رحم الله الرافعى رحمة واسعة ..

---

(١٧) وحى القلم جـ ٣ ص ٣٧ .

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ عادل رفاعي خفاجة

العلم والعلماء

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

المجادلة : ١١

فالله ـ جل جلاله ـ يرفع المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ومن هنا فكل مسلم مطالب بأن يسعى لطلب العلم ، فالعلم لا يخالط قوماً إلا زانهم ولا يفارق قوماً إلا شانهم ويقول النبي ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ... » .. رواه البخارى

وتحت عنوان « العلم والعلماء فى الإسلام » وردت رسالة القارىء كمال عبدالمنعم محمد خليل ـ الكوم الأحمر ـ بنى سويف .

يقول فيها :

لقد مدح الله ـ سبحانه ـ العلماء فى القرآن الكريم فقال تعالى :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة المجادلة ـ ١١

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

سورة فاطر ـ ٢٨

وبين رسول الله ﷺ ثواب العالم والمتعلم ، أما

العالم فقد قال عنه النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال لعلى ـ رضى الله عنه : « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » . متفق عليه .

وأما المتعلم فقد روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

هذه هى منزلة العلم والعلماء فى الإسلام .

إن أفضل علم يجب تعلمه هو كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة النبى ﷺ ، لأن فيهما النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وليس معنى ذلك أن نترك باقى العلوم الكونية من طب وفلك وهندسة وغيرها ، ومن هنا قال علماؤنا : إن تعلم هذه العلوم فرض كفاية .

والمسلم مأمور بالتعلم دائما حتى ينفع نفسه أولاً وينفع مجتمعه بعد ذلك حتى يدخل تحت قول النبى ﷺ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » رواه مسلم عن أبى هريرة .

الإيمان والأمل

وردت رسالة القارىء : سالم عبدالعظيم محمد

الطالب بالثانوية الأزهرية ـ شبرا النونة ـ ايتاى البارود ـ بحيرة :

يقول فيها :

يقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل » .

فى هذا الحديث نجد النبى ﷺ يحث المؤمنين على فعل الخيرات ويزرع فى نفوسهم الأمل والثقة والتفاؤل حتى ولو قامت الساعة ، وقارب الزمان أن ينتهى ، فالأمل هو الذى يجعل الإنسان يحب الحياة ويعمل من أجل خيره وخير الناس إيماناً منه بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

والإيمان يرتبط بالأمل ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن أن ينفصل عنه أو ينفصم ، ومن هنا لا يصح أن يدخل اليأس والقنوط إلى نفس المؤمن أو يتسرب القلق إليها من شدة مايرى من محن وابتلاءات ، لأن القرآن الكريم حرم اليأس وندد باليائسين واعتبر اليأس قرين الكفر والضلال قال تعالى :

﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

سورة يوسف ـ آية ـ ٨٧

وقال : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ . **سورة الحجر ـ آية : ٥٦**

والأمل يعد نعمة كبرى أنعم الله بها على عباده ورحمة منه إليهم .

قال رسول الله ﷺ : **« لولا الأمـــل ما أرضعت أم ولداً ولا غرس غارس شجراً »** رواه الخطيب البغدادى فى التاريخ .

والإيمان يعد فطرة أصيلة فى نفس الإنسان

وضرورة حياتية يغذيها الأمل الذى هو نتيجة طبيعية للإيمان ـ فالمؤمنون وحدهم هم الذين تمتلىء نفوسهم بالسكينة والطمأنينة وتحظى بالأمل والثقة والتفاؤل . ومن هنا يتبين أنه لا يجوز اليأس والقنوط فى دين الله لأن اليأس قاتل للرجال وهازم للأبطال ومدمر للشعوب وفيه تفويت لأسباب عزتها ...

ســتر العيوب

القارىء : عماد الدين عبدالمنعم دار طباعة النقد بالبنك المركزى المصرى .

أرسل يقول :

يتمتع المجتمع الإسلامى بصفات حميدة ، يستقيها من أحكام القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة . ومن بين هذه الصفات ، صفة نبيلة ، يتعين أن تكون متوفرة بين الناس ، وهى الحث على ستر العورات ، وغض النظر عنها .

وكما يقول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه :

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعرضك صيّن
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكــلك عوراتٌ وللنــاس ألسنُ

وستر العورات يحول دون التسبب فى الفضائح ونشر الفتن ، وذيوع الفساد فى المجتمع ، والإنسان السّوىّ لا يتتبع العورات ، ولا يتعدّى حدود الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، فهو سبحانه الذى يعلم السر وأخفى ، ويعلم الباطن وما اختفى وليس ظاهرا أمام العيون ، فبرحمته وحكمته البالغة يستر عباده كى لا يفتضح بعضهم أمام بعض ، ويتعرضون للسخرية والاستهزاء والتشهير ، وهذا يفتح الباب على مصراعيه ليعود المخطىء إلى صوابه ، ويتوب المسىء من غلوائه .

وصفوة القول ، أنه إذا كان المولى سبحانه وتعالى يستر على العباد ، ليهديهم طريق الرشاد ، ويجعل الحسنة بعشرة أمثالها ، ولا تجزى السيئة إلا مثلها ، لتكون فرصة النجاة مضاعفة أمام من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .. إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يعمد بعض الناس إلى فضح بعضهم بعضا ؟!

نسأل الله أن يهدينا إلى سواء السبيل .

التــــكبر

القارىء : عماد ميزار عبدالعظيم جابر ـ محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام .

أرسل كلمة عن التكبر يقول فيها :

التكبر رذيلة بغيضة تنشأ عن الجهل والغرور بالنفس ، فتدعو صاحبها إلى المبالغة فى تعظيم شخصه .

ومن أبرز صفات المتكبر : حب الظهور والعلو فى الأرض ، والسعى وراء اكتساب المدح والإطراء بكل الوسائل المستطاعة لينال الحظوة والتوقير لذاته ، وقد يكون بخيلا ولكن لذة التكبر تغلب على شح نفسه وحب ماله فيخسر بذلك أجر كل عمله وعبادته لأنه إنما أتاها رئاء الناس لا حبا فى رضا الله وحسن الجزاء .

قال تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سورة هود : الآيات ١٥ ، ١٦

فكم تعصب المتكبر لرأيه وإن كان باطلا ومن المحال أن يعترف بخطئه إذ يرى ذلك عجزا ونقصا وهو لكبره لا يريد أن يكون إلا متبوعا لا تابعا ، بل يريد أن يكون ناقدا لا مادحا ، فهو أحمق يسرع إليه الغضب والهياج لأتفه الأسباب لأنه يقدس نفسه ويراها منزهة عن العيوب .

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ .

سورة البقرة آية : ٢٠٦

فهو لا يطيق أن يعترف بفضل ذى فضل عليه ، ولايتنازل فيشكر إحسان من أحسن إليه بل هو يرى الإحسان إليه تشرفا وفرضا واجبا له ، وهكذا من كان فى قلبه مرض الكبر أصبح متعصبا عنيدا

قال الله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

سورة غافر آية : ٣٥

مجلة الأزهر : لا مبرر أصلا للكبر فى إنسان إذا ما من إنسان إلا هو عرضة للنقص مما لا يتسق مع صفة الكبر ، ومن هنا كانت الذات العلية وحدها هى صاحبة الكبر فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذات التى لا يعتريها نقص بحال ، ولها الكمال كله فى كل الأحوال .

﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

آخر سورة الجاثية ٣٧

محمد بن زكريا الرازى

أما القارىء : خالد عبدالوهاب ـ قسم لغات الأمم الإسلامية ـ كلية الآداب ـ عين شمس .

فقد أرسل نبذة عن حياة الإمام ، محمد بن زكريا الرازى »

يقول فيها :

ولد الرازى فى عام ٢٥١ هـ فى مدينة (الرى) ببلاد فارس ـ إيران حالياً ـ ولقد كان باحثاً متعمقاً ، امتلك شوقاً وشغفاً كبيراً فى تحصيل العلم ، وتعلم فى شبابه علوم الرياضيات والفلك ، وأغلب علوم زمانه . ولما كان العلماء يمارسون الكيمياء فى زمانه ، فقد أظهر هو ـ أيضاً ـ ميلاً كبيراً فى هذا الصدد . وكان الكيميائيون يريدون أن يحصلوا على المادة التى عن طريقها يبدلون بها الفلزات الأخرى ذهباً .

ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف كان الرازى يمارس تجاربه المختلفة . وعلى إثر هذه التجارب ابتلى بمرض فى عينيه فراجع الطبيب مضطراً ، وقيل إن الطبيب أخذ منه خمسمائة قطعة ذهبية من أجل معالجة عينيه وقال للرازى : « هذه هى الكيمياء وليست تلك التى تبحث عنها » .

فأثر هذا الكلام فى الرازى كثيراً وشرع بعد ذلك فى تحصيل علم الطب وكانت بغداد مركز

العلم في ذلك الزمان ، فذهب الرازى هناك وصرف جزءا من عمره في تحصيل الطب ، وحظى بشهرة واسعة . بعد ذلك عاد إلى وطنه في مدينة الرى وأقام مستشفى ، وشرع الرازى هنالك في علاج المرضى وتدريس الطب . ولقد عرف الرازى بأنه أكبر طبيب في زمانه ، لذلك كان كثير من الأمراء يدعونه من أجل معالجة المرضى في بلادهم .

وعلى الرغم من أن الرازى كان مشغولاً في علاج المرضى وإدارة المستشفيات إلا أنه قد ألف مائتين وخمسين (٢٥٠) كتاباً وأكثر هذه الكتب متعلقة بعلم الطب . وأكثرها شهرة كتابه المسمى بالحاوى وهو من أمهات الكتب الطبية ، وقد ترجمت كتب هامة للرازى إلى اللغات الأجنبية . وكان الأساتذة الكبار يدرسون هذه الكتب في جامعات العالم المشهورة لعدة قرون .

والكحل ـ الذى له استخدامات كثيرة في الصناعة والطب اليوم ـ هو من اكتشافات هذا العالم الكبير الذى هو أحد مفاخر المسلمين .

من ابداعات القراء

صلاة الفجر

شعر/ نجاح عبدالقادر سرور(*)

يا صـــلاة الفجـــر جـــودى ... أنـــت أفراحـــى وعيـــدى
أنـــت معنـــى عبقـــرى ... من أهازيـــج الخلـــود
أنـــت للوجـــدان رىّ ... فى صـــدورى وورودى
أنـــت هـــذا البلسم الشـــا ... فى مـــن الهـــم الشديـــد
حـــيث ذكـــر الله ربـــى ... فـــى ركوعـــى وسجـــودى
قربينـــى من إلهـــى ... قربينـــى للـــودود
واسقينـــى ريـــاً من التقـــ ... ـــوى وحبّـــى لى وزيـــدى
يا صـــلاة الفجـــر جـــودى ... أنـــت أفراحـــى وعيـــدى

---

* مدرس ثانوى بمحافظة البحيرة ـ كوم حمادة ـ كفر بولين .

ردود وتعليقات

القارىء : أبـو الحسن محمـد رمضان حسين ـ قنا ـ إسنا ـ القرايا ـ كليـة الدراسات .

مساهمتك جيدة ، ولكنا ننتظر منك ما هو أكثر إجادة .

القارىء : أحمد عبدالكريم البسيونى ـ صفط العنب ـ كوم حمادة ـ كلية اللغة العربية .

الثلاثيات التى أرسلتها تحت عنوان « دنيا ودين » تحتاج إلى صياغة بأسلوبك تُظهر فيها وجهة نظرك . ويسعدنا أن نتلقى منك مساهمة أخرى .

القارىء : عادل على على إسماعيـل ـ قورص ـ أشمون ـ منوفية .

كلمتك بعنوان « لحظات فى تاريخ الأمة » تتسم بالاختصار الشديد ، وليس ذلك عيبا فى حد ذاته ، ولكن أين الشواهد التاريخية حتى يكتمل الموضوع ؟

القارى : عزت الديب السيد خليفة ـ معهد كوم جابر الثانوى الأزهر ـ الصف الثالث .

قصيدتك « الجرح بعدك » فى وداع الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق قصيدة جيدة وتنبىء بثبوت قدمك فى هذا المجال ونجتزىء منها هذه الأبيات :

لم يـــبق فى هذه الحيـــاة تصبر
من بعـــد أن رحـــل الإمــام الأكبر

لكـــن أمـــر الله فينـــا نافـــذ
وهــو الحقيقــة أمرهـــا لا ينكـــر

قد عاش فى كـــف الحيـــاة مكابـــداً
فلعلـــه يوم الشدائـــد يؤجـــر

القارىء ع. ح. ع ـ أسيوط ـ موشا ـ شارع الجلاء .

بالنسبة للعنوان الأول فهو : الإدارة العامة للأزهر ـ القاهرة .

أما بالنسبة للعنوان الثانى فهو : مدينة نصر ـ إدارة جامعة الأزهر .

القارىء : (الذى لم يذكر اسمه)

هذا كاتب يحاول منذ نحو ربع قرن أن يصنع لنفسه هالة دون جدوى ، فهو يريد أن يشتهر فيلج هذه المداخل ونحن لا نسمح لأنفسنا أن نضع قدمه على سلم الشهرة .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى - مصطفى عبد المجيد

زيارة شيخ الأزهر للوجه القبلى

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة للوجه القبلى حيث زار محافظات أسوان/مدينة الأقصر/قنا/سوهاج يرافقه فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.

وقد التقى فضيلة الإمام الأكبر بالسادة المحافظين والقيادات الشعبية والتنفيذية بهذه المحافظات وقد تم بحث وسائل دعم العملية التعليمية بقطاع المعاهد الأزهرية والعمل على إزالة المعوقات التى تعترض مسيرة التعليم الأزهرى بتلك المحافظات ، كذلك تفقد فضيلته المعاهد الأزهرية بهذه المحافظات و لجان امتحانات النقل بالمعاهد الأزهرية للاطمئنان على سير الامتحانات بها .

كذلك تفقد فضيلته المعاهد الأزهرية التى أضيرت بالزلزال للوقوف على ماتم إنجازه من بناء وترميم وإصلاح بها ، وقام فضيلته بوضع حجر الأساس لبعض المعاهد الأزهرية بمحافظة سوهاج .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطبة الجمعة بمسجد سيدى عبد الرحمن القنائى بمحافظة قنا .

اجتماع اللجنة العليا لإعمار الأزهر

عقدت اللجنة العليا لإعمار وتجديد الجامع الأزهر الشريف اجتماعها التاسع برئاسة فضيلة الإمام الأكبر وذلك بقاعة الاجتماعات بمبنى مكتبة الأزهر بالدراسة ، وذلك لبحث ماتم تنفيذه من قرارات اللجنة فى اجتماعها السابق الذى أصدر فيه السيد المهندس/محمد إبراهيم وزير التعمير لإسناد تنفيذ أعمال المشروع ومتابعة تنفيذه برئاسة فضيلة الشيخ/فوزى

الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وتشكيل لجنة إدارية عليا للمشروع برئاسة الأستاذ الدكتور محمد النواوى عميد كلية الهندسة جامعة الأزهر الشريف .

يتولى السيد المهندس محمود زايد نائب رئيس جهاز تجديد أحياء القاهرة الفاطمية الإسلامية الإشراف العام على جميع الأعمال التنفيذية والتصحيحية التى تقوم بها الشركة المنفذة .

كما أصدرت اللجنة توصياتها بإخلاء الجامع الأزهر من المكاتب العاملة به سواء من إدارة الأزهر أو الجامعة أو وزارة الأوقاف حتى تتمكن الشركة من تنفيذ أعمالها .

استقبالات الإمام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٥ المحرم ١٤١٧ ٢٣/٥/١٩٩٦ سماحة الشيخ عكرمة سعيد صبرى مفتى القدس والوفد المرافق ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف .

وقد أشاد سماحة مفتى القدس بالدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف ومايقدمه للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها من خدمات جليلة ونفع لجميع المسلمين .

وقد دار الحديث حول إنشاء كلية للقرآن الكريم بالقدس ، ومساهمة الأزهر الشريف فى وضع المناهج وإمداد الجامعة بالأساتذة المتخصصين .

كما استقبل فضيلة الامام الأكبر بمكتبه وفد جامعة ماليزيا الإسلامية برئاسة الدكتور عثمان إسحاق رئيس الجامعة .

قدم الوفد التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر باسم السيد رئيس الوزراء الماليزى وحاكم ولاية قدح .

أعرب الوفد عن شكره لما يقوم به الأزهر من استكمال فرع جامعة الأزهر الشريف بماليزيا ليتم تخرج طلاب الدراسات العليا بها .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد قائلاً : إن الأزهر الشريف وجامعته لايدخران وسعاً فى تقديم العون للمسلمين وأن ماليزيا تعتبر قلعة إسلامية فى آسيا التى تحمل المنارات العلمية والثقافية وخاصة المعمارية ذات الطراز الإسلامى الحديث .

كذلك استقبل فضيلته الدكتور عبد الله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى ؛ وذلك لتهنئة فضيلته بتعيينه شيخا للأزهر ولبحث توثيق الروابط بين الأزهر ورابطة العالم الاسلامى .

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه معالى الدكتور/عبدالله بن عبدالمحسن التركى وزير الأوقاف والشئون الدينية بالمملكة العربية السعودية والوفد المرافق لسيادته ؛ وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً

للأزهر الشريف . كما تم تبليغ فضيلته رسالة شفهية من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تتعلق بالتهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الكريمة وحمله إبلاغ تحياته وشكره وتقديره لخادم الحرمين الشريفين حكومةً وشعباً .

حضر اللقاء سعادة السفير/أبو بكر رفيع سفير المملكة العربية بالقاهرة

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد محمد عثمان الميرغني زعيم الطائفة الختمية بالسودان ، يرافقه الدكتور أحمد السيد حمد وزير التجارة السابق والسيد/خاتم السر على وزير الدولة السابق بالسودان ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

وقد أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى مختلف أنحاء العالم ودوره البارز فى مجال نشر الدعوة الإسلامية .

كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه سماحة الشيخ/ابراهيم صالح الحسيني مفتى دولة نيجيريا يرافقه السيد إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل .

وقد قدم الضيف التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف ، وحلول العام الهجرى الجديد ،

وأبلغ فضيلته تهنئة رئيس وحكومة نيجيريا باختياره لهذا المنصب الرفيع .

كما تناول اللقاء دور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما قدم شكره لبعثة الأزهر الشريف على الدور البارز الذى يقوم به أعضاء البعثة فى نيجيريا .

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر الشكر للضيف على التهنئة الصادقة ، وحمله إبلاغ تحياته وشكره لفخامة الرئيس النيجيرى وحكومة وشعب نيجيريا الشقيق ،كما قدّم الشكر للأستاذ ابراهيم شكرى رئيس حزب العمل على تهنئته .

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المطران/مايكل فيزجيرالد مندوب الفاتيكان للحوار بين الأديان والوفد المرافق لسيادته يرافقه سفير الفاتيكان بالقاهرة والأنبا الدكتور/يوحنا نائباً عن الكنيسة الأرثوذكسية .

تناول اللقاء بحث التعاون بين الأديان فى سبيل خدمة الإنسانية ونشر الفضائل ونصرة المظلوم .

كما تناول تقدير الأزهر لجميع الأديان والعقائد ، وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلى الرباط الذى يربط بين الأزهر والفاتيكان من منطلق الإيمان العميق بحرية العقائد ؛ مؤكداً على ضرورة أن يتحد أصحاب العقائد والأديان السماوية جميعاً لنشر الفضائل ونصرة المظلومين فى العالم أجمع مثل الشيشان والبوسنة والهرسك وفلسطين وغيرها حتى يسود السلام والحب والوئام بين الجميع .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبد الحميد بشير

القاهـــرة

أعدت جامعة الدول العربية جدول أعمال القمة العربية الموسعة التي ستشهدها القاهرة في الفترة من ٢١ إلى ١٩٩٦/٦/٢٣ لأوائل صفر الحالي .

حيث يجرى تجهيز الملفات المهمة المتعلقة بلم الشمل العربي ورأب الصدع الإسلامي ، وذلك في القمة الثانية والعشرين من القمم العربية التي يؤمل أن تكون قمة التضامن والمصالحات العربية .

هذا وقد أكد السيد/مدير مكتب الرئيس مبارك للشئون السياسية أن هدف المؤتمر المزمع عقده إعطاء كل طرف في الشرق الأوسط فرصة تنفيذ التزاماته واحترام تعهداته نحو السلام ، وأن المؤتمر لم يكن الدافع إليه تغيير حكومي في إسرائيل وإنما هو استجابة لمواجهة تحديات كبيرة فرضت على العرب .

مؤتمـــر القمـــة

واصل الرئيس حسنى مبارك اتصالاته مع الملوك والرؤساء العرب للمشاركة في قمة القاهرة الموسعة التي دعت قمة دمشق الثلاثية لعقدها في أوائل صفر الحالي .

وصرح وزير الخارجية المصري بأن عشرين دولة عربية على الأقل ستحضر القمة المزمعة ، وأن الدعوة وجهت للسودان ، وأن الصومال سيمثلها مندوبها الدائم بالجامعة العربية ، وأن العراق استثنى لظروف خاصة وأن هدف القمة استعادة التضامن العربي ، ومساندة مسيرة السلام العادل والشامل .

هذا وقد رحب مجلس الشعب المصري ببيان قمة دمشق مؤكدا أن إعادة التضامن العربي هو الذي دفع بقادة مصر وسوريا والسعودية إلى عقد هذا المؤتمر الذي يمثل هاجس الشعب العربي من المحيط إلى الخليج .

لبنان

بينما عززت إسرائيل وجودها العسكرى فى جنوب لبنان أخذت تتصاعد حدة تصريحات المسئولين الإسرائيليين ضد لبنان والمقاومة الإسلامية فيه داعية إلى إلغاء تفاهم نيسان - ذى الحجة - الماضى .

وإلى جانب المصفحات والآليات العسكرية كثف الطيران الحربى والاستطلاعى الإسرائيلى طلعاته على جنوب لبنان ، ودعا رئيس الأركان الإسرائيلى للاستمرار فى ضرب المقاومة اللبنانية - أينما وجدت - وزعم رئيس الوزراء الإسرائيلى المنتخب أن حكومته ستشن معركة حاسمة ضد (حزب الله) بعد تشكيلها ، واعتمدت مزاعمه إلى تأكيد أن إسرائيل لن تعيد لسوريا - بحال - مرتفعات الجولان - ، وأن اسرائيل لن تقبل قيام دولة فلسطينية مستقلة ، كذلك وزعم أن القدس ستظل عاصمة إسرائيل الأبدية .

الشيشان

أكدت قيادة القوات الروسية فى الشيشان أنه تم البدء فى سحب القوات الروسية من أراضى الجمهورية الإسلامية طبقاً للاتفاق الذى تم التوصل إليه فى نزرات (عاصمة انجوشيا المجاورة) . ويبدو أنه اتفاق تم مع حكومة شيشانية موالية لها لا تمثل الشعب الشيشانى فى شىء .

ويرى المحللون السياسيون أن هذا الاتفاق من قبيل الدعاية الانتخابية للرئيس الروسى ، وأنه لا يزيد عن سوابقه من الاتفاقيات التى لم ينفذ منها شىء البتة .

القدس

اجتمع السيد فيصل الحسينى أحد كبار مسئولى منظمة التحرير الفلسطينية بدبلوماسيين من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وايطاليا وهولندا واسبانيا وتركيا واليونان والفاتيكان .

وذلك فى بيت الشرق بمدينة القدس لبحث ماينطوى عليه انتخاب الحكومة الإسرائيلية اليمينية الجديدة . والمعروف أن إسرائيل تعتزم إغلاق بيت الشرق حيث تزعم أن القدس الموحدة عاصمة الدولة اليهودية الأبدية .

وأكد الحسينى أن اغلاق بيت الشرق من شأنه تدمير مفاوضات السلام وأن القدس إن لم تكن جزءاً من الاتفاق فإنه لا يعتقد أن عملية السلام سوف تستمر .

والمعروف أن رئيس الوزراء المنتخب قد أراد التخلص من تعهدات طالما راوغ أسلافه فى تنفيذ أى منها .

L'étude de la faune dans le Coran nous permet de voir l'importance accordée à certains sujets concernant les animaux. De nombreuses sourates et versets traitent de ces sujets: Comparaison entre les animaux et les êtres humains se trouvent dans (21 versets de 17 sourates), les animaux sont des preuves de la miséricorde d'Allah (17 versets de 14 sourates), les animaux mentionnés dans un récit (21 versets de 12 sourates), les animaux sont des preuves de la puissance d'Allah (11 versets de 10 sourates), les animaux licites et les animaux prohibés (9 versets de 5 sourates), et enfin les paraboles qui parlent des animaux (5 verset de 4 sourates).

D'après cette étude en remarque également qu'il y a des sourates qui accordent une grande place aux versets portant sur les animaux, ce sont les sourates: (Al Nahl- 9 versets, Al Baqara - 7 versets, Al Ana'am - 7 versets, Youssef - 6 versets) - Parmi tous les animaux mentionnés dans le Coran, le bétail et les quadrupèdes occupent la plus grande place, vu leur importance dans la vie humaine: le bétail est mentionné - 30 fois et les quadrupèdes 18 fois.

Après avoir étudié l'utilité des animaux dans la vie humaine, après avoir décelé les remarques qu'on peut faire à ce sujet, on peut tirer la conclusion suivante: les animaux nuisibles sauf le loup et le serpent ne sont pas mentionnés dans le Coran, cela montre que le Coran met l'accent sur les animaux utiles, signes de la miséricorde d'Allah.

On remarque aussi que l'animal est mentionné souvent dans une communauté, comme les abeilles, le bétail, les chameaux, les chevaux, les fournis, les papillons, les quadrupèdes et les signes, ce fait montre qu'Allah nous invite à vivre en groupe et à organiser notre vie comme les animaux.

Allah a créé la faune pour servir l'homme, c'est pour cela qu'Il insiste particulièrement sur l'utilité de l'animal, l'animal peut servir comme monture, literie, nourriture, jouissance, source de chaleur, maison, meuble, force militaire et mode de déplacement rapide, de plus, il peut être un modèle à suivre pour l'homme, car l'observation des animaux permet à l'homme de réfléchir et de tirer des leçons qui lui serviront dans sa vie.



La chair du bétail nous fournit la viande dont on se nourrit, c'est une viande que nous distribuons comme aumône aux pauvres. Allah Tout Puissant dit dans le verset suivant:

"Pour témoigner des bienfaits qui leur ont été accordés; pour invoquer le nom d'Allah aux jours fixés, sur la tête des troupeaux qu'il leur a accordée. Mangez-en et nourrissez en le pauvre, le malheureux"

Sourate 'Al Hadj' verset 28

On remarque que le bétail est mentionné plusieurs fois comme une nourriture pour montrer qu'il est indispensable à la croissance de l'être humain.

Les chevaux sont un plaisir pour l'être humain et ils représentent aussi une force militaire car ils sont un mode de déplacement rapide. Ceci est expliqué dans le verset suivant:

Préparez pour lutter contre eux, tout ce que vous trouverez de force et de cavalerie afin d'effrayez l'ennemi d'Allah et le vôtre et d'autres encore en dehors de ceux-ci et que nous ne connaissez pas, mais qu'Allah connaît."

Sourate 'Al Anfal' verset 60

Les quadrupèdes sont une preuve de la miséricorde d'Allah étant un bienfait dont l'homme peut tirer profit comme il peut en être privé. De plus, certains animaux servent de paraboles pour les êtres humains, par exemple, l'homme peut apprendre des abeilles l'organisation de sa vie et de sa vie et de sa maison. Allah gloire à Lui dit:

Ton Seigneur a révélé aux abeilles; "établissez vos demeures dans les montagnes, dans les arbres et les ruches

Sourate 'Al Nahl' verset 68

L'homme peut également trouver le signe de la toute puissance divine dans la création de la moustique, la plus petite des créatures.

Allah ne répugne pas à proposer en parabole un moucheron ou quelque chose de plus elevé, les croyants savent que c'est la vérité venue de leur seigneur, les incroyants disent: "qu'est-ce qu'Allah a voulu signifier par cette parabole?" il en égare ainsi un grand nombre et il en dirige un grand nombre mais il n'égare que les pervers

Sourate 'Al Baqara' verset 26

L'utilité des animaux dans La vie humaine d'après le Coran

Iman Ahmad Farahat

Etant un message destiné à toute l'humanité, le Coran n'a pas manqué de parler de la faune et de son utilité dans la vie de l'homme. En effet, les animaux occupent une place importante dans le Coran; mais la raison pour laquelle ils y sont mentionnés diffère d'une Sourate à l'autre et d'un verset à l'autre. Ils sont mentionnés comme preuve de la miséricorde d'Allah ou de la puissance d'Allah, ils servent comme paraboles pour expliquer certaines choses concernant l'être humain, d'autres fois ils font l'objet d'une comparaison avec l'homme, ils sont cités dans un récit et parfois Allah nous indique simplement qu'il est licite de consommer certaines animaux.

Les animaux sont une preuve de la miséricorde d'Allah envers l'être humain car Allah les a crées pour servir l'homme dans sa vie. Ce fait explique pourquoi les animaux domestiques ceux qui sont souvent mentionnés dans le Coran.

Ce sont les animaux dont les bédouins se servent dans leur vie comme l'âne, le bétail, les chevaux et les quadrupèdes: l'âne est présenté comme une monture, le bétail est surtout mentionné comme un bienfait d'Allah, c'est une puissance pour l'être humain. Il sert de monture mais aussi de literie et de nourriture, le bétail est aussi mentionné comme source de chaleur et de nourriture. Allah tout puissant dit:

"Il a crée pour vous les bestiaux, vous en retirez des vêtements chauds, d'autres avantages encore et vous vous en nourrissez" Sourate 'Al Nahl' verset 5

De même, la peau du bétail sert à fabriquer des tentes et des meubles.

Allah gloire à Lui dit.

"Allah vous a procuré un abri dans vos maisons comme Il vous a procuré des habitations faites de peaux de bêtes, afin que vous les trouviez légères le jour où vous vous déplacez et le jour où vous campez"

Sourate 'Al Nahl' verset 80



parents et s'abstenir de faire ce qui leur déplait. Bienheureux celui qui profite de leur existence pour leur obéir et bien les traiter: Malheureux celui qui leur désobéit ou leur cause de la peine. Le Prophète -b.s-dit un jour: "*Malheureux! malheureux! malheureux celui assite à la vieillesse de ses parents ou de l'un d'entre eux et qui n'en profite pas pour gagner le Paradis*".

Hadith rapporté par Muslim.

Celui qui leur rend des égards verra aussi ses enfants lui rendre la pareille. Le Prophète -b.s- dit: "*Soyez bienfaisants envers vos parents pour que vos enfants soient bienfaisants envers vous*".

Hadith rapporté par Al-Tabarany.

La piété filiale envers la mère doit être trois fois plus grande qu'envers le père car c'est elle qui l'a élevé et qui, en plus, a supporté les peines de la grossesse, de l'accouchement et de l'allaitement. Un homme alla un jour chez le Prophète -b.s- et lui dit: "*Qui dois-je mieux traiter? - Ta mère lui dit-il. Et puis qui? demanda l'homme - Encore ta mère, dit le Prophète -b.s- Et ensuite? fit l'homme. - Toujours ta mère, répéta le Prophète -b.s- Et après elle? - C'est ton père*", dit le Prophète -b.s-.

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Donc le fils doit bien plus de tendresse et d'amour envers sa mère qu'envers son père. Toutefois, l'épouse doit d'abord l'obéissance à son mari, avant celle qu'elle doit à ses parents. Le Prophète -b.s- a dit: "*La femme qui accomplit ses prières obligatoires, jeûne son mois (Ramadan), préserve sa chasteté et obéit à son mari il lui sera dit le jour de la Résurrection: Entre au Paradis par n'importe quelle Porte que tu voudras*".

Hadith rapporté par Abu Daoud et Ahmed.

Néanmoins cette obéissance ne doit pas être en contradiction avec la législation d'Allah. Il a été dit à ce propos: "Point d'obéissance quand il s'agit de désobéir à Allah".

A Suivre

demander la permission de prendre part à la guerre sainte. *"Tes parents sont-ils vivants?" lui demanda-t-il. Oui, répondit l'homme! "Que ta lutte pour la cause d'Allah leur soit réservée" dit le Prophète -b.s-.*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Un autre homme alla trouver le Prophète -b.s- afin de lui prêter le serment pour l'émigration et il laissa ses parents en pleurs, à cause de *sa séparation. Le Prophète -b.s- lui dit: "Retourne auprès d'eux et fais-les rire comme tu les a fait pleurer"*

Hadith rapporté par Abu-Daoud.

La piété filiale s'applique aux parents et aux grands-parents car personne ne peut assez leur exprimer de la gratitude ou leur rendre les égards qui leur sont dus. Le Prophète -b.s- dit: *"Aucun enfant ne peut exprimer la gratitude à ses parents, à moins qu'ils ne soient des esclaves et qu'il les rachète pour les affranchir".*

Hadith rapporté par Muslim.

On raconte aussi qu'un homme alla trouver le Prophète -b.s- et lui dit: *"Mes parents ont tellement vieilli que je supporte d'eux ce qu'ils ont supporté pour moi durant mon enfance. Me suis-je acquitté de ce que je leur dois?". "Non, dit le Prophète -b.s- tu fais cela en attendant qu'ils meurent, alors qu'eux ils le faisaient en souhaitant que tu vives".*

Hadith rapporté par Al-Kurtuby.

Un ançarite alla trouver le Prophète -b.s- et lui dit: *"O Messager d'Allah! après la mort de mes parents, puis-je encore exprimer ma piété filiale envers eux?". "Oui, dit le Prophète -b.s-, il te manque quatre devoirs à accomplir: tu peux: prier pour eux, implorer le pardon d'Allah pour eux, t'acquitter de leurs engagements, bien traiter leurs amis en conservant les liens de parenté avec les membres de leur famille".*

Hadith rapporté par Abu-Daoud.

Ces droits étant reconnus par le fils et accomplis dans le but de plaire à Allah, le musulman doit encore obéir aux ordres de ses

désobéissance aux parents." Comme il était **accoudé,** *il se redressa subitement et ajouta: "Gare au faux témoignage! Gare au faux témoignage".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Ce Hadith confirme les paroles d'Allah:[Dis: **Venez, je vais réciter ce que votre Seigneur a interdit: ne Lui associez rien et soyez bienfaisants envers vos parents.]**

Surate 6. "Al-An'am". (Les bestiaux) V.151.

Allah a interdit de dire à ses parents "Fi", c'est une interjection exprimant l'exaspération et le refus. Il a interdit également de les réprimander ou de les traiter rudement. Le Prophète -b.s- a interdit d'attirer des insultes à ses parents et il a compté ce fait parmi les graves péchés. Il a dit: *"C'est un grave péché d'insulter ses parents!".*

On demanda: *"O Messager d'Allah y a-t-il un homme qui insulte ses parents?" - "Oui, dit-il, l'homme insulte les parents d'un autre homme, alors ce dernier riposte en insultant le père et la mère de l'autre".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

La piété filiale n'est pas réservée exclusivement aux parents musulmans; mais, même si les parents sont incroyants ont doit leur exprimer de la reconnaissance et de la bonté. Ainsi, Asma' fille d'Abou Bakr rapporte ce fait: *"Je reçus la visite de ma mère qui était encore polythéiste. Je demandai alors au Prophète -b.s- s'il m'était possible de lui venir en aide". "Oui, dit le Prophète -b.s-, sois bienfaisante envers ta mère".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

On dit que cela fut la cause de la Révélation de ces paroles d'Allah: **[Allah ne vous défend pas d'être bienfaisants et équitables envers ceux qui ne vous ont pas combattus pour la religion et ne vous ont pas chassés de vos demeures. Car Allah aime ceux qui sont équitables].**

Surate 60 - "Al-Mumtahanah" (L'Eprouvée) V.8.

On raconte qu'un homme se rendit chez le Prophète -b.s- pour lui

La piété filiale

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophète -b.s- dit: "J'ai été envoyé pour parfaire les nobles qualités". Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le Musulman est dévoué à ses parents et il leur doit tous les égards. Ce sont eux qui lui ont donné le jour, l'ont éduqué, lui ont fourni tous les biens et ont subvenu à tous ses besoins... Que de fois ils ont veillé pour qu'il dorme, que de fois ils ont supporté la privation pour qu'il soit rassasié. Combien de fois n'ont-ils pas enduré la peine et l'inquiétude pour lui assurer la paix et la sécurité! Allah-Gloire à Lui-a ordonné de Lui vouer un culte exclusif et Il a associé à cela la piété filiale. Il a dit: **[Ton Seigneur a ordonné de n'adorer que Lui, et a prescrit d'être bon envers ses père et mère].**

Surate 17. " Al-Isra' " (Le voyage nocturne) V.23.

Il a allié également la reconnaissance envers Lui à la reconnaissance envers les parents. Il a dit: **[Sois reconnaissant autant envers Moi qu'envers tes père et mère].**

Surate 31. "Luqman" V.14.

Lorsqu'on demanda au Prophète -b.s-: "Quelle est l'oeuvre la plus agréable à Allah? Le Prophète -b.s- répondit: *"C'est d'accomplir les prières aux heures prescrites". "Et ensuite"? lui demanda-t-on "La piété filiale". "Et puis?" - "la lutte pour la cause d'Allah".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Donc, la piété filiale vient en second lieu après la prière qui est le pilier fondamental de l'Islam.

L'ingratitude envers les parents est considérée comme l'un des plus graves péchés. Le Prophète -b.s- a dit un jour à ses compagnons: *"Voulez-vous que je vous dise quels sont les plus graves péchés? - Volontiers," répondirent les compagnons. "C'est le polythéisme et la*

REVUE AL AZHAR

vol. 69 part II

Safar 1417 H. June/July 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

necessity in the interest of the army itself, because it had saved the Muslims from being entirely exterminated by the Romans whose numbers on the battlefield were so overwhelmingly greater than the Muslims.

The essential significance of the battle of Mu'tah despite the retreat of the Muslim army was that it had constituted the first military confrontation with the Roman army, which had been considered the strangest army at that time. Despite the overwelming numbers of the Roman army, the Muslims had not hesitated in fighting it, moreover, they had inflicted very many casualities among the Romans who had not been able to kill more than 12 Muslim martyrs. However, the battle had been considered a fruitful lesson to the Muslims who benefited a lot from this unmatchable event through which they had been able to gain valuable information about the Roman military mobilization and fighting tactics. A year later, the Muslims, then under the leadership of the prophet (PBUH), had again been in a position to challenge and defy the strong powerful Roman armies in the battle of (Tabouk).

In addition, it was after the prophet's (PBUH) death that the Muslims under the leadership of Khalid Ibn Al-Waleed, were able to defeat the Roman empire which was one of the great powerful influential empires of the old world. In short, the Muslims were able to put an end to the prevailing legend that the Roman empire was undefeatable and no nation even dared to fight it.

Muslim warriors showed great bravery and extraordinary courage despite the fact that the enemies army outnumbered theirs. Zaid Ibn Haritha, who had been in command and to whom the prophet (PBUH) handed care of the flag, continued to fight bravely and fiercely until he was killed by the spears of the enemy. According to the prophet's (PBUH) strict orders, Ja'far Ibn Ali Talab thereupon took up the flag, i.e. took command, and he continued to fight bravely until he was killed.

After Ja'far's death, the flag was held by Abdullah Ibn Rawaha who had, as well, continued to fight bravely until he met his end like the other two brave leaders. At this time the Muslim army had to elect a new commander from among themselves, as the prophet (PBUH) told them. It did not take long because the Muslim militants chose Khalid Ibn Al-Waleed, who was a brave warrior, as their commander.

The new commander fought as bravely as ever, until he had broken nine swords. But after a while Khalid Ibn Al-Waleed decided to retreat with the remnants of his army, after he became totally convinced that the continuation of the battle would eventually cause the extermination of the Muslims because of the far greater number of the Romans. Meanwhile, Khalid Ibn Al-Waleed believed that such a retreat should be wisely done in order to withdraw his army successfully. So, he thought that if he were to re-arrange the organization of his army he would be able to deceive the enemy and safely withdraw. Hence, in order to fulfil this strategy Khalid Ibn Al-Waleed completely reversed the organization of his army, in that he exchanged the rear by the front and the left side by the right side. This strategical withdrawal yielded its fruitful results because the Roman were deceived into thinking that the Muslims had been reinforced with the support of fresh troops, so they became extremely alarmed. Moreover, Khalid Ibn Al Waleed waited until after nightfall and then he ordered his army to withdraw to a safe secure place. The Muslims remained in their new positions for seven days engaging only in limited clashes, while the Romans, themselves, did not dare to launch any major offensive fearing that the Arabs would lure them out into the middle of the desert.

Later on, the Muslim army began its retreat to Medina. When they had reached Medina the Muslims there began to condemn them for their withdrawal. But the prophet (PBUH) was able to calm down the Muslims and conviced them that this withdrawal had been a

During the month of Jumada I of the year 21 after the Revelation, the prophet (PBUH) ordered an army of three thousand Muslims under the command of Zaid Ibn Haritha to get ready and then advance towards the city of Busra. Before heading to the city of Busra the prophet (PBUH) gave his orders that if Zaid Ibn Al-Haritha was killed then Ja'far Ibn Ali Taleb would replace him and if Ja'far was killed then Abdullah Ibn Rawaha would replace him and if Abdullah was killed then it would be up to the Muslim army to choose the most suitable person among them to be the commander. However, the prophet (PBUH) had not forgotten to remind his army of the principles of the Islamic warriors, i.e. they had neither to betray nor seek revenge and so he urged them not to kill newly-born children, women, aged people, christian monks in their monastries and not to demolish houses.

After the Muslim army had begun to advance towards the city of Busra to confront the enemy, Sharhabeel Bin Amr, who had murdered the prophet's envoy, gathered more than 100,000 warriors to fight the Muslims and exterminate their army in the hope of putting an end to this fast widespreading new religion. When the Muslims had reached the place of (Ma'an) they were informed about Sharhabeel's huge army, which had by then completed the necessary preparations to fight them. For two day the Muslims were hesitant as to whether they should seek further reinforcement from the prophet (PBUH) or to go into the battle according to the plan on which they had previously agreed. To put an end to this perplexing situation, Abdullah Ibn Rawaha made a speech to arouse the religious fervour of the Muslims and encourage them to fight their enemies. He reminded them that they came to the battlefield with the desire for martyrdom and that they were going to fight the enemy not with their strength or their number but with the strength of their religion and strong faith in Allah Almighty.

Abdullah's words filled the Muslims' hearts with courage and enthusiasm and they carried on their march towards their target; the city of Busra and they had chosen the village of Mu'tah as the battlefield. Meanwhile, the Roman Emperor Hercules, according to historical sources, had gathered an army of 100,000 men and led them to a place named Al Balaqa'a so as to confront the Muslim army. On Knowing this, Sharhabeel had brought his followers together to unite with the army of Mercules against the Muslims. When the two armies had met on the battlefield, the enemies had been astonished that the

The Great Battles of Islam

6 . The Memory of the Day of Mu'tah

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph. D.

After the prophet (PBUH) had signed the Hudaybiyya peace treaty with the Qureish, he found it an opportunity to spread the message of Islam outside the Arabian Peninsula. The first step that had been taken on this track was sending letters and envoys to many different parts of the old world calling on the kings and monarchs of the different nations to embrace Islam being the seal of all the true religions. The clear evident true fact which the prophet (PBUH) confirmed in his call was that Islam has neither been a regional nor a racist religion, but a universal religion sent for all people with no distinction.

Among those to whom the prophet (PBUH) had sent his envoys was the Roman governor of the city of (Busra). This was the first time in which the prophet (PBUH) began to direct his call to embrace Islam to people who were not Arabs in origin. The main aim was to achieve the universality of this new religion which was sent for the welfare of the entire humanity. But, unfortunately, before the prophet's envoy Al-Harith Ibn Omair Al Azdi reached the city of Busra, he had met Sharhabeel Ibn Al-Ghassani who had murdered him on knowing that Al-Harith was one of Muhammad's envoys.

When the prophet (PBUH) received the news of Al-Harith's death he was deeply sorrowful and thereupon decided to take a certain punitive action against those who committed this crime because Al-Harith was neither a transgressor or an aggressor but he had only commissçoned to deliver a message on behalf of the prophet (PBUH). Moreover, the prophet (PBUH) became fully aware that overwhelming and conquering the Jews in each of the battles of Khaibar, Fadak, Tayma'a and Wadi Alqura had only established security on the northern side of Medina and not on the entire Peninsula. Therefore, he decided to launch a detering attack against the murderers who had killed his envoy to the prince of Busra otherwise anarchy and chaos would prevail everywhere.

*** And made therein mountains standing firm, lofty (in stature); and provided for you water sweet (and wholesome)?* (77/27)**

On the other hand, the original source of springs and underground wells is also rainwater, that infiltrates the ground to collect in huge underground aquifers. This is a discovery of modern science (Plessey 1570 AC.), that was stated explicity in the verse:

*** Seest thou not that Allaah sends down rain from the sky, and leads it through springs in the earth* (39/21)**

For centuries, the saline seas and oceans were the main sources of pearls and other precious stones. Relatively recently, however, it was discovered that some freshwater rivers also contain a variety of precious stones. These include pearls in some rivers in the British Isles, Czechoslovakia and Japan, as well as several other stones like diamonds, sapphire and zircon in different rivers and rivers sediments. This confirms the information given in the verses:

*** Nor are the two seas alike, the one palatable, sweet, and pleasant to drink, and the other, salt and bitter. Yet from each (kind of water) do ye eat flesh fresh and tender, and ye extract ornaments to wear* (35/12)**

*** He has let free the two seas meeting together: Between them is a barrier which they do not transgress: Then which of the favours of your Lord will ye deny? Out of them come pearls and coral* (55/19-22)**



He combines them together, then makes them into a heap? - Then wilt thou see rain issue forth from their midst. And He sends down from the sky mountain masses (of clouds) wherin is hail* (24/43)

These combinations result in "heavier" and more dense clouds, that are more amenable to rain fall. This process is accompanied with intense electric discharges, manifested as lightning and thunder, as in the following verse:

*** It is He Who doth show you the lightning, by way both of fear and of hope: It is Who doth raise up the clouds, heavy with (fertilizing) rain!. Nay, thunder repeateth His praises* (13/12-13)**

Spreading of clouds in the sky can take one of two modes: either horizontal spreading with little height; or vertical buildup of layers of ice (cumulonimbus). The latter take mountain-like shapes, an observation only recently made during air flights. Quraan differentiates clearly between these two modes, using different expressions:

*** It is Allaah Who sends the winds and they raise the clouds: then does He spread them in the sky as He wills, and break them into fragments, until seest rain-drops issue from the midst thereof...* (30/48)**

*** ... makes them into a heap? — Then wilt thou see rain issue forth from their midst. And He sends down from the sky mountain masses (of clouds) wherin is, hail* (24/43)**

It is the latter cumulonimbus clouds that normally give hail stone, as well as thunder and lightning. This is the context of the latter verse above, which also indicates that rain comes from "within" clouds, and not from the bottom surface, as our ancestors could have imagined.

12-Water resources:

For centuries, it was not known that rivers originate mainly from clouds colliding with the cold peaks of lofty mountains. They condense into rain water, or freeze as ice that melts away later. Both flow down the water stream. This coupling between lofty mountains and river formations is stated in a verse:

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part IV

by Nabil Abdel-Salam Haroun

More Proofs

The three proofs given in this article are concerned with rain, water resources and agriculture and how Quraanic verses deal with them.

11-Rain:

Clouds are formed when wind induces water evaporation. It also stirs sea mist as well as dust particles, and cosmic ray-ionized gases. These act as nuclei to collect water vapour of the atmosphere into clouds. This is expressed in Quraan:

*** It is Allaah Who sends the winds, and they raise the clouds*** (30/48)

*** It is Allaah Who sends forth the winds, so that they raise up the clouds*** (35/9)

It is as though wind inocculates or "fecundates" the clouds with these various particles. This very expression is used in the verse:

*** And We send the fecundating winds, then cause the rain to descend from the sky*** (15/22)

Further, the wind drives the clouds here and there. Oppositely charged clouds are "combined" together into "heaps" or piles, as in the Quraanic verse:

*** Seest thou not that Allaah makes the clouds move gently, then**

AL-AZHAR MAGAZINE

Safar 1417 H.



ENGLISH SECTION

vol. 69 part II

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
Al. - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فهمي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٩٠ ٢٣٣٨ - ٢٧٣ - ٥٩٠٠

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

وأنتم الأعلون والله معكم

مع مولد خير البرية ، وأكملها خلقا وخُلقا وعلما ، وأنفعها للناس - جميعا .

مع رسولنا المصطفى محمد ﷺ نعيش لحظات هذه الافتتاحية لنستوعب قطرات مما أوحى به ربنا - عز وجل - إليه ليزداد به المؤمنون هدى وبصيرة ، وسلوكا في نور ، وعملا غير مأزور .

وإنه لا يزال - والحمد لله - كثير من الناس ممن عاصر عبور القوات المصرية قناة السويس ، واحتلالها جزء كبير من سيناء العربية - يذكر - وقتئذ - « مناشدة .. جولدا مائير » للعالم الغربي ، وبخاصة الولايات المتحدة مساعدتها - في ضراعة شديدة حتى لقد ذهبت في ندائها إلى تصوير أمتها بأنها أمة مسكينة تطلب العون وتريد السلام .. إلخ .

وهكذا ظهر فجأة طلب السلام والجنوح إليه فيما هو ظاهر لنا وللعالم المعاصر حينئذ . ذلك ما يدعونا إلى اللقاء مع سيدنا رسول الله ﷺ لنذكر من شريعته كيف يكون الصلح والسلام في الإسلام ... هذا الدين الذي يأمر أتباعه بالكف عن العدوان ، لأن العدوان ظلم والله - جل وعلا - لا يحب المعتدين ، ولا ينصر الظالمين .

ومع طبيعة السلام الذي يحبه المولى للبشر كانت توجيهات الإسلام في الصلح والسلام ، ومن توجيهات الخالق ــ جل شأنه ــ الذي خلق الأشياء وقدرها تقديرا ، ولا ينبئك مثل خبير .

ومن هنا كانت آيات الله ــ تعالى ــ للنبي الأمين ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ مبيحة للمؤمنين عندما يطلب المعتدى الصلح ــ قال ــ تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

وقال ــ سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنفال

وقال ــ عز من قائل : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٥] .

والآيات العزيزة تعني في مجملها ــ والله أعلم :

احذروا عدوكم ، وأعدوا له قوة ضاربة تفوق قوته ، فإن طلب السلام بصدق فسالموه . ولا تضعفوا فتبدأوه بطلب السلام فأنتم الأعلون ، وأنتم المؤمنون بالله ــ وحده ــ دون أعدائكم ، فالله معكم وهو ناصركم ، ومنجز لكم وعده بالنصر :

احذروا أعداءكم وافطنوا لهم بكل ما استطعتم من وسائل الفطنة لتكون أمورهم في متناول أبصاركم وعقولكم ؛ فتكون المبادرة بأيديكم ؛ فإن حذرتم خيانة ، فهي خيانة لا تسموها بغير اسمها ، ولا تنصتوا لتفسير العدو لها بل اقطعوا الطريق حتى لا تنال منكم ، ولا يخدعنكم تفسير العدو لها .

ولتكن لكم القوة المثلى ؛ فإنها وسيلة الضغط الناجحة ، ولا كلام ؛ إذ العدو لا يخنع لغيرها ، ولا يذل الأعداء إلا بها .

﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ .

سورة النساء

فإذا طلبوا السلام وناشدوكم الصلح فاستجيبوا وميلوا للصلح ماداموا صادقين في طلبه ، ولاتتمادوا في قتال ، وإلا كنتم معتدين ، ومن اعتدى كان ربنا ــ عز وجل ــ عليه ، ولم ينصره ، فإن الله ــ سبحانه ــ لا يشد أزر الظالمين .

ثم أنتم الأعلون ، وإيمانكم له أهدافه الإنسانية الرحيمة العادلة ، وأنتم بها تنصرون الحق في غير عدوان . وتنصرون مبادىء الله ــ العزيز العليم ــ وسوف يجزيكم ولا ينقصكم أجوركم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ سورة محمد

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الأنفال .

نسأل المولى ــ عز وجل ــ جميل هديه ، وعزيز نصره ، إنه سميع قريب مجيب .

تفسير سورة البقرة


بسم الله الرحمن الرحيم
الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

سورة البقرة من السور التى ابتدئت ببعض حروف التهجى .

وقد وردت هذه الفواتح تارة مفردة بحرف واحد ، وتارة مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة .

فالسور التى بدأت بحرف واحد ثلاثة ، وهى : سور ص ، ق ، ن .

والسور التى بدأت بحرفين تسعة وهى : طه ، يس ، طس ، و(حم) فى ست سور هى : غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف .

والسور التى بدأت بثلاثة أحرف ثلاث عشرة سورة وهى : ﴿ الم ﴾ فى ست سور : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة و ﴿ الر ﴾ فى خمس سور هى : يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، إبراهيم و ﴿ طسم ﴾ فى سورتين هما : الشعراء ، القصص .

وهناك سورتان بدئتا بأربعة أحرف وهما . الرعد ، ﴿ المر ﴾ ، والأعراف ، ﴿ المص ﴾ ، وسورتان ـــ أيضا ـــ بدئتا بخمسة أحرف وهما : مريم ﴿ كهيعص ﴾ ، والشورى ﴿ حم عسق ﴾ فيكون مجموع السور التى افتتحت بالحروف المقطعة تسعا وعشرين سورة .

هذا ، وقد وقع خلاف بين العلماء فى المعنى المقصود بتلك الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور القرآنية ، ويمكن إجمال خلافهم فى رأيين رئيسين :

الرأى الأول يرى أصحابُهُ : أن المعنى المقصود منها غير معروف ، فهى من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه .

وإلى هذا الرأى ذهب ابن عباس ـــ فى إحدى رواياته ـــ كما ذهب إليه الشعبى ، وسفيان الثورى ، وغيرهم من العلماء ، فقد أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبى أنه سئل عن فواتح السور فقال : إن لكل كتاب سراً ، وإن سر هذا القرآن فى فواتح السور .

ويروى عن ابن عباس أنه قال : عجزت العلماء عن إدراكها .

وعن على ـــ رضى الله عنه ـــ أنه قال : « إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى » .

وفى رواية أخرى عن الشعبى أنه قال : « سر الله فلا تطلبوه » .

ومن الاعتراضات التى وُجِّهَتْ إلى هذا الرأى ، أنه إذا كان الخطاب بهذا الفواتح غير مفهوم للناس ، لأنه من المتشابه ، فإنه يترتب على ذلك أنه كالخطاب بالمهمل ، أو مثله المتكلم بلغة أعجمية مع أناس عرب لا يفهمونها .

وقد أجيب عن ذلك بأن هذه الألفاظ لم ينتف الإفهام عنها عند كل الناس ، فالرسول ﷺ كان يفهم المراد منها ، وكذلك بعض أصحابه المقربين ـــ ولكن الذى ننفيه أن يكون الناس جميعاً فاهمين لمعنى هذه الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور .

وهناك مناقشات أخرى للعلماء حول هذا الرأى يضيق المجال عن ذكرها .

أما الرأى الثانى فيرى أصحابه : أن المعنى المقصود منها معلوم ، وأنها ليست من المتشابه الذى استأثر الله ـــ سبحانه ـــ بعلمه .

وأصحاب هذا الرأى قد اختلفوا فيما بينهم فى تعيين هذا المعنى المقصود على أقوال كثيرة ، من أهمها ما يأتى :

١ ـــ أن هذه الحروف أسماء للسور ، ولا يخلو هذا القول من الضعف ، لأن كثيراً من السور قد افتتحت بلفظ واحد من هذه الفواتح ، والغرض من التسمية رفع الاشتباه .

٢ ـــ وقيل إن هذه الحروف قد جاءت هكذا فاصلة للدلالة على انقضاء سورة وابتداء أخرى .

٣ ـــ وقيل : إنها حروف مقطعة ، بعضها من أسماء الله ـــ تعالى ـــ وبعضها من صفاته ، فمثلا ﴿ الم ﴾ أصلها : أنا الله أعلم .

٤ ـــ وقيل : إنها اسم الله الأعظم .

إلى غير ذلك من الأقوال التى لا تخلو من مقال ، والتى أوصلها السيوطى فى « الإتقان » إلى أكثر من عشرين قولا .

٥ ـــ ولعل أقرب الآراء إلى الصواب أن يقال :

إن هذه الحروف المقطعة قد وردت فى افتتاح بعض السور للإشعار بأن هذا القرآن الذى تحدى الله به المشركين هو من جنس الكلام المركب من هذه الحروف التى يعرفونها ، ويقدرون على تأليف الكلام منها ، فإذا عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله ، فذلك لبلوغه فى الفصاحة

والحكمة مرتبة يقف فصحاؤهم وبلغاؤهم دونها بمراحل شاسعة ، وفضلا عن ذلك فإن تصدير السور بمثل هذه الحروف المقطعة يجذب أنظار المعرضين عن استماع القرآن حين يتلى عليهم إلى الإنصات والتدبر ، لأنه يطرق أسماعهم في أول التلاوة ألفاظ غير مألوفة في مجارى كلامهم ، وذلك مما يلفت أنظارهم ليتبينوا مايراد منها ، فيستمعوا حكما وحججا قد تكون سببا في هدايتهم واستجابتهم للحق .

هذه خلاصة لآراء العلماء في الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور القرآنية ، ومن أراد مزيداً لذلك فليرجع ـــ مثلاً ـــ إلى كتاب « الإتقان » للسيوطي ، وإلى كتاب « البرهان » للزركشي ، وإلى تفسير الألوسي .

ثم قال ـــ تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ .

﴿ ذلك ﴾ اسم إشارة واللام للبعد حقيقة في الحس ، مجازاً في الرتبة ، والكاف للخطاب ، والمشار إليه ـــ على الراجح ـــ الكتاب الموعود به ﷺ في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ . سورة المزمل/٥ .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : أخبرني عن تأليف ﴿ ذلك الكتاب ﴾ مع ﴿ الم ﴾ قلت : إن جعلت ﴿ الم ﴾ اسماً للسورة ففي التأليف وجوه . أن يكون ﴿ الم ﴾ مبتدأ و﴿ ذلك ﴾ مبتدأ ثانياً ، و ﴿ الكتاب ﴾ خبره . والجملة خبر المبتدأ الأول .

ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص ، وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتاباً ، كما تقول : هو الرجل ، أى : الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال .

وإن جعلت ﴿ الم ﴾ بمنزلة الصوت ، كان « ذلك » مبتدأ خبره « الكتاب » ، أى : ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل [1] .. اهـ ملخصاً

وقيل : المشار إليه ﴿ الم ﴾ على أنه اسم للسورة والمراد المسمى .

و﴿ الكتاب ﴾ مصدر كتب (كالكَتْب) ، وأصل الكَتْب : ضم أديم إلى أديم بالخياطة . واستعمل عرفا في ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط ، وأريد به هنا : المنظوم عبارة قبل أن تنظم حروفه التي يتألف منها في الخط ، تسمية للشيء باسم مايؤول إليه .

و(الريب) في الأصل : مصدر رَابَه الأمر إذا حصل عنده فيه ريبة ، وحقيقة الريبة : قلق النفس واضطرابها ، ثم استعمل في معنى الشك مطلقاً . وقال ابن الأثير : الريب هو الشك مع التهمة .

و(هدى) . مصدر هداه هُدًى وهداية وَهِدْيَةً ـــ بكسرها ـــ فهدى ، ومعناه : الدلالة الموصلة إلى البغية ، وضده الضلال .

و(المتقون) جمع متق ، اسم فاعل من اتقى وأصله اوتقى ـــ بوزن افتعل ـــ من وَقَى الشيء وقاية ، أى : صانه وحفظه مما يضره ويؤذيه .

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٣ .

والمعنى : ذلك الكتاب الكامل ، وهو القرآن الكريم ، ليس محلا لأن يرتاب عاقل أو منصف فى أنه منزل من عند الله ، وأنه هداية وإرشاد للمتقين الذين يجتنبون كل مكروه من قول أو فعل ، حتى يصونوا أنفسهم عما يضرها ويؤذيها .

وكانت الإشارة بصيغة البعيد ، لأنه سامى المنزلة أينما توجهت إليه :

فإن نظرت إليه من ناحية تراكيبه فهو معجز للبلغاء ،

وإن نظرت إليه من ناحية معانيه فهو فوق مدارك الحكماء ،

وإن نظرت إليه من ناحية قصصه وتاريخه فهو أصدق محدث عن الماضين ، وأدق محدد لتاريخ السابقين ، فلا جرم أن كانت الإشارة فى الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن ، وقد شاع فى كلام البلغاء تمثيل الأمر الشريف بالشىء المرفوع فى عزة المنال ، لأن الشىء النفيس عزيز على أهله ، فمن العادة أن يجعلوه فى مكان مرتفع بعيد عن الأيدى .

وصحت الإشارة إلى الكتاب ــ وهو لم ينزل كله بعد ــ لأن الإشارة إلى بعضه كالإشارة إلى الكل حيث كان بصدد الإنزال ، فهو حاضر فى الأذهان ، فشبه بالحاضر فى العيان .

ونفى عنه الريب على سبيل الاستغراق مع وقوع الريب فيه من المشركين حيث وصفوه بأنه أساطير الأولين ، لأنه لروعة حكمته ، وسطوع حجته ، لا يرتاب ذو عقل متدبر فى كونه وحياً سماوياً ، ومصدر هداية وإصلاح .

فالجملة الكريمة تنفى الريب فى القرآن عمن شأنهم أن يتدبروه ، ويقبلوا على النظر فيه بروية ، ومن ارتاب فى القرآن فلأنه لم يقبل عليه بأذن واعية ، أو بصيرة نافذة ، أو قلب سليم .

وقدم جملة ﴿ لا ريب فيه ﴾ على جملة ﴿ هدى للمتقين ﴾ لأنه أراد أن ينفى عن ساحة كونه كتاباً هادياً غبار الريب ، وغيوم الشكوك ، حتى يستقر فى النفوس وصفه ، وتطمئن القلوب لآثاره ومقاصده وهداياته .

وفصل جملة ﴿ لا ريب فيه ﴾ عما قبلها لكمال الاتصال ، حيث كانت جملة ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ مفيدة لكماله ، وجملة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ مفيدة لنفى الريب عنه .

والمراد بكونه ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ مع أنه هداية لهم ولغيرهم ، لأنهم هم المنتفعون به دون سواهم .

قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢) .

ومعنى كونه هدى لهم أنه يزيدهم هدى على ما لديهم من الهدى كما قال ــ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (٣) .

---

(٢) فصلت ــ ٤٤ .

(٣) سورة محمد ــ ١٧

ويصح أن يكون المعنى : هدى للناس الذين صاروا متقين بهذه الهداية ، كما أقول : هديت مهتديا ، أو كتبت مكتوبا ، على معنى أنى هديت شخصاً صار مهدياً بهذه الهداية ، وكتبت خطاباً صار مكتوباً بهذه الكتابة ، وهو أسلوب عربى صحيح . كما ورد فى حديث « من قتل قتيلا فله سلبه » .

قال صاحب الكشاف : ومحل ﴿ هدى للمتقين ﴾ الرفع ، لأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو خبر مع ﴿ لا ريب فيه ﴾ لـ « ذلك » ... والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحاً ، وأن يقال : إن قوله ﴿ الم ﴾ جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة برأسها .

و﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ جملة ثانية . و﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ثالثة . و ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ رابعة . وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم ، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير تسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض . فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها ، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة :

بيان ذلك :

أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ، فكان تقريراً لجهة التحدى ، وشدا من أعضاده ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف الريب ، فكان شهادة وتسجيلا بكماله : لأنه لا كمال أكمل من الحق واليقين . ولا نقص أنقص مما للباطل والشبه .

وقيل لبعض العلماء : فيم لذتك ؟ فقال : فى حجة تتبختر اتضاحاً ، وفى شبهة تتضاءل افتضاحا .

ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين ، فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله ، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثم لم تخل كل واحدة من الأربع — بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق — من نكتة ذات جزالة . ففى الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه . وفى الثانية مافى التعريف من الفخامة ، وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الظرف ، وفى الرابعة الحذف (1) .

ثم فصل القرآن بعد ذلك أوصاف المتقين ، ومدحهم بجملة من المناقب الحميدة ، فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أى : يصدقون بما غاب عن حواسهم ، كالصانع وصفاته ، وكاليوم الآخر ومافيه من بعث وحساب وثواب وعقاب .

والإيمان لغة : التصديق والإذعان ، وهو إفعال من الأمن .

وشرعاً : التصديق بما علم بالضرورة أنه من الدين ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. الخ .

وعدى ﴿ يؤمنون ﴾ بالباء لتضمينه معنى أقر واعترف .

والغيب : مصدر غاب يغيب ، وكثيراً مايستعمل بمعنى الغائب ، وهو الظاهر من هذه الآية الكريمة . ومعناه : مالا تدركه الحواس ، ولا يعلم ببداهة العقل .

---

(1) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٦ .

قال بعض العلماء : وخص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان ، لأن الإيمان بالغيب هو الأصل فى اعتقاد إمكان ماتخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوى ، فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول ، وللنظر فيما يبلغه عن الله ـــ تعالى ـــ فسهل عليه إدراك الأدلة ، وأما من يعتقد أنه ليس من وراء عالم الماديات عالم آخر ، فقد راض نفسه على الإعراض عن الدعوة ، كما هو حال الماديين الذين يقولون : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ (٥) .

والإيمان بالغيب : يستلزم التصديق به على وجه الجزم ، وهو لا يحصل إلا عن دليل . ولا شك أن قيام البراهين على صدق مَنْ أخبر بالغيب يجعل المؤمن بهذا الغيب مصدقاً عن دليل ، فنحن لا نحتاج فى الإيمان بالملائكة والكتب السماوية السابقة ، والرسل الذين أرسلوا من قبل ، والبعث ومافيه من ثواب وعقاب ، لا نحتاج فى الإيمان بكل ذلك إلى دليل زائد على الأدلة التى قامت على صدق نبينا محمد ﷺ .

والإيمان بالغيب دليل على اتساع العقول ، وسلامة القلوب ، إذ أن معنى الإيمان بالغيب هو أن عقولهم قد سلم إدراكها ، وتقشعت عنها غشاواتها ، وامتد نظرها فى الكائنات فأدركت أن لها مبدعًا حكيماً وخالقاً قديراً ، جعلها تسير بنظام محكم ، فهذه كواكب تظهر وتغيب ، وسماء مرفوعة بغير عمد ، وأرض راسية لا تميد ولا تضطرب .. ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٦) فكان من ذلك لتلك العقول براهين قاطعة على وجود خالق مدبر ، وحكيم قدير ، ومبدع لا تأخذه سنة ولا نوم .

والإيمان بالغيب الذى أخبر به الصادق المصدوق ﷺ يقوى ويعظم كلما قوى الإيمان فى القلوب ، واستولى الصفاء على النفوس ، وقد مدح النبى ﷺ المؤمنين بالغيب فى أحاديث متعددة ، منها ماجاء عن خالد بن دريك ، عن ابن محيريز قال : قلت لابن جمعة : حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قال : نعم أحدثك حديثاً . تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبوعبيدة بن الجراح فقال : يارسول الله ، هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك . قال : نعم ، قوم من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى » (٧)

قال ابن كثير : فقد مدحهم على ذلك وذكر أنهم أعظم أجراً من هذه الحيثية لا مطلقاً (٨) .

وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن منده وأبو نعيم عن بديلة بنت أسلم قالت : صليت الظهر أو العصر فى مسجد بنى حارثة ، واستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا سجدتين ، ثم جاء من يخبرنا بأن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت ، فتحول الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ، فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « أولئك قوم آمنوا بالغيب » (٩)

---

(٥) تفسير التحرير والتنوير جـ ١ ص ١١٨ للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، وهذا من سورة الجاثية ـ الآية ٢٤ .

(٦) سورة النمل ـ ٨٨ .

(٧ ، ٨) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢ .

(٩) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢ .

تلك أول صفة نتيجة التقوى وهي الإيمان بالغيب ، أما الصفة الثانية التي مدح الله بها المتقين فهي قوله — تعالى :

﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ .

الصلاة في اللغة : الدعاء ، من صلى يصلي إذا دعا ، واستعملها الشارع في العبادة ذات الركوع والسجود لاشتمالها على الدعاء ، والإقامة في الأصل : الدوام والثبات ، من قولك : قام الحق أي ظهر وثبت .

ومعنى ﴿ يقيمون الصلاة ﴾ : يؤدونها في أوقاتها المقدرة لها ، مع تعديل أركانها ، وإيقاعها مستوفية لواجباتها وسننها وآدابها وخشوعها ، فإن الصلاة المقامة بحق هي تلك التي يصحبها الإخلاص ، واستحضار جلال الله في الركوع والسجود ، وهي التي تترتب عليها الآثار العظيمة من تزكية النفس ، وعفافها ، وتركها لكل الشرور والآثام ، كما قال — تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

وقدم إقامة الصلاة على الإنفاق ، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولأنها تتكرر في اليوم خمس مرات ، ولأنها صلة بين العبد وربه ، والإنفاق صلته بالناس ، ولأن مشروعيتها كانت سابقة على مشروعية الزكاة .

أما الصفة الثالثة التي مدح الله بها المتقين فهي قوله — تعالى :

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

أي : ومما أعطيناهم وملكناهم يتصدقون في وجوه الخير ، ويمدون أيديهم بالإحسان إلى الفقير والمسكين .

والرزق — عند جمهور العلماء ما صلح للانتفاع به حلالا كان أو حراماً ، خلافاً للمعتزلة الذين يرون أن الحرام ليس برزق .

والإنفاق : إخراج المال وإنفاده وصرفه ، يقال : نفق — كفرح ونصر : نفد وفنى أو قلّ . وأنفق ماله أنفده ، وأصل المادة يدل على الخروج والذهاب ، ومنه : نافق فلان ، والنافقاء ، والنفق . وقال : « ينفقون » ولم يقل : أنفقوا ، ليشعر بأن الإنفاق منهم يتجدد بين وقت وآخر . ولم يحدد وجوه الإنفاق بل تركها مطلقة لتشمل الفرض والواجب وغيرهما من وجوه الإحسان .

وإيراد « من » في قوله — تعالى : « ومما رزقناهم » للإشارة إلى أن مواظبتهم على إنفاق أموالهم بين الحين والحين ، كفيل بتوصيلهم إلى زمرة المهتدين المفلحين ، وللإشعار بأنهم ينفقون بعض أموالهم مبتعدين عن الإسراف والتبذير حتى لا يتركوا ورثتهم عالة يتكففون وجوه الناس .

هذا . وقد عني القرآن الكريم عناية فائقة بالحض على الإنفاق في وجوه الخير ، ومدح الذين يفعلون ذلك مدحاً عظيماً في عشرات الآيات ، وذلك لأن الأمة التي يكثر فيها المنفقون لأموالهم في وجوه الخير ، لابد أن تعز كلمتها ، وتسلم من كوارث شتى ، كالجهل ، والفقر ، والمرض . فببذل المال تسد حاجات البؤساء ، وتشاد معاهد التعليم ، وتقام وسائل حفظ الصحة ، وتنمو المحبة والمودة بين الأغنياء والفقراء .

قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠)

ثم أضاف القرآن إلى صفات المتقين وصفاً رابعاً فقال :

﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ .

والمراد بقوله ــ تعالى ــ ﴿ بما أنزل إليك ﴾ القرآن الكريم ، وإنما عبر عنه بلفظ الماضي ــ وإن كان بعضه مترقباً ــ تغليباً للموجود على مالم يوجد .

والمراد بقوله ــ تعالى ــ ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ ، الكتب الإلهية السابقة التى أنزلها الله على أنبيائه كموسى وعيسى وداود ــ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ــ وهذا كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (١١)

والإيمان بما أنزل على الرسول ﷺ يستلزم الإيمان برسالته ، ويستوجب العمل بما تضمنته شريعته .

وإيجاب العمل بما تضمنه القرآن الذى أنزله الله على محمد ﷺ باق على إطلاقه . أما الكتب السماوية السابقة فيكفى الإيمان بأنها كانت وحياً وهداية ، وقد تضمن القرآن الكريم ما اشتملت عليه هذه الكتب من هدايات وأصبح بنزوله مهيمناً عليها ، قال ــ تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١٢)

وصار من المحتم على كل عاقل أن يعمل بما جاء به القرآن من توجيهات .

وقدم الإيمان بما أنزل عليه على الإيمان بما أنزل على الذين من قبله ــ مع أن الترتيب يقتضى العكس ــ لأن إيمانهم بمن قبله لا قيمة له إلا إذا آمنوا بمحمد ﷺ :

ولم يقل : ويؤمنون بما أنزل من قبلك بتكرير يؤمنون ، للإشعار بأن الإيمان به وبهم واحد ، لا تغاير فيه وإن تعدد متعلقه .

ويرى بعض العلماء أن المراد من الآية الكريمة ، أهل الكتاب الذين آمنوا بالكتب السماوية التى نزلت قبل القرآن ، ثم لما نزل القرآن على النبى محمد ﷺ وعرفوا أنه الحق ــ آمنوا به أيضاً ــ فصار لهم أجران ، كما جاء فى الحديث الشريف ، الذى ثبت فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين يوم القيامة : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها .

---

(١٠) سورة البقرة ــ ٢٦١ .

(١١) سورة النساء ــ ١٣٦ .

(١٢) سورة النحل ــ ٨٩ .

ثم وصف الله المتقين بوصف خامس فقال : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ الآخرة تأنيث الآخر .

وهذا اللفظ تارة يجيء وصفاً ليوم القيامة مع ذكر الموصوف ، كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (١٣) وتارة بهذا المعنى ولكن بدون ذكر الموصوف ، كما في الآية التي معنا ، وكما في قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (١٤)

وسميت (آخرة) لأنها تأتي بعد الدنيا التي هي الدار الأولى .

و﴿ يوقنون ﴾ من الإيقان وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، بحيث لا يطرأ عليه شك ، ولا تحوم حوله شبهة . يقال : يَقِنَ الماء إذا سكن وظهر ماتحته ، ويقال : يقنت ـ بالكسر ـ يقناً ، وأيقنت ، وتيقنت ، واستيقنت بمعنى واحد .

والمعنى : وبالدار الآخرة ومافيها من بعث وحساب وثواب وعقاب هم يوقنون إيقاناً قطعياً ، لا أثر فيه للادعاءات الكاذبة ، والأوهام الباطلة .

وفي إيراد « هم » قبل قوله « يوقنون » تعريض ، بغيرهم ، ممن كان اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق للحقيقة ، أو غير بالغ مرتبة اليقين .

ولا شك أن الإيمان باليوم الآخر ومافيه من ثواب وعقاب ، له أثر عظيم في فعل الخيرات ، واجتناب المنكرات ، لأن من أدرك أن هناك يوماً سيحاسب فيه على عمله ، فإنه من شأنه أن يسلك الطريق القويم الذي يكسبه رضى الله ـ تعالى ـ يوم يلقاه .

قال أبو حيان : وذكر لفظة ﴿ هم ﴾ في قوله : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ولم يذكرها في قوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ لأن وصف إيقانهم بالآخرة أعلى من وصفهم الإنفاق فاحتاج هذا إلى التوكيد ولم يحتج ذلك إلى تأكيد ولأنه لو ذكر ﴿ هم ﴾ هناك لكان فيه قلق لفظي ، إذ يكون التركيب ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١٥)

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك الثمار التي ترتبت على تقواهم فقال :

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾

المفلحون : من الفلاح وهو الظفر والفوز بدرك البغية ، وأصله من الفلْح ـ بسكون اللام ـ وهو الشق والقطع ، منه فلاحة الأرض وهو شقها للحرث . واستعمل منه الفلاح في الفوز ، كأن الفائز شق طريقه وفلحه للوصول إلى مبتغاه ، أو انفتحت له طريق الظفر وانشقت .

والمعنى : أولئك المتصفون بما تقدم من صفات كريمة ، على نور من ربهم ، وأولئك هم الفائزون بما طلبوا ، الناجون مما منه هربوا ، بسبب إيمانهم العميق ، وأعمالهم الصالحة .

والآية الكريمة كلام مستأنف لبيان أن أولئك المتقين في المنزلة العليا من الكمال الإنساني ،

---

(١٣) سورة الأنعام ـ ٣٢ .

(١٤) سورة الإسراء ـ ٢١ .

(١٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان جـ ١ ص ٤٢ .

فقد وصفهم ـ سبحانه ـ بأنهم على هدى عظيم ، ويدل على عظم هذا الهدى إيراده بصيغة التنكير ؛ إذ من المعلوم عند علماء البيان أن التنكير يدل بمعونة المقام على التعظيم . كما يدل ـ أيضاً ـ على عظم هذا الهدى وصفه بأنه « من ربهم » ، فهو الذى وفقهم إليه ، ويسر لهم أسبابه .

وفى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ على هدى ﴾ إشعار بأنهم تمكنوا منه من استعلى على الشىء ، وصار فى قرار راسخ منه .

وجملة « وأولئك هم المفلحون » بيان لما ظفر به المتقون الحائزون لتلك الخصال ، من سعادة فى الدنيا والآخرة .

وتعريف الخبر وهو ﴿ المفلحون ﴾ مع إيراد ضمير الفصل « هم » يفيد أن الفلاح مقصور على أولئك المتقين ، فمن لم يؤمن بالغيب ، أو أضاع الصلاة ، أو بخل بالمال الذى منحه الله إياه فلم يؤده فى وجوهه المشروعة ، فإنه لايكون من المهتدين ، ولا من المفلحين الذين سعدوا فى دنياهم وآخرتهم .

قال الإمام الرازى : وفى تكرير ﴿ أولئك ﴾ تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ، فقد ثبت لهم الاختصاص بالفلاح ـ أيضا ـ فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ، فإن قيل : فلم جىء بالعاطف ؟ وما الفرق بينه وبين قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝ ﴾ (١٦)

قلنا : قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف ، بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان ؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شىء واحد ، وكانت الثانية مقررة لما فى الأولى ، فهى من العطف بمعزل (١٧)

وقال صاحب الكشاف بعد تفسيره لهذه الآية الكريمة « ... فانظر كيف كرر الله التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى ، وهى : ذكر اسم الإشارة ، وتكريره ، وتعريف المفلحين ، وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين أولئك ، ليبصرك مرتباتهم ، ويرغبك فى طلب ماطلبوا ، وينشطك لتقديم ماقدموا ، ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمنى على الله مالاتقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته ... » (١٨)

وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد مدحت القرآن الكريم بما يستحقه ، وأثنت على من اهتدوا بهديه ، ووصفتهم بالصفات السامية ، وبشرتهم بالبشارات الكريمة .

ـ يتبع ـ

---

(١٦) سورة الأعراف ـ ١٧٩ .

(١٧) تفسير الفخر الرازى جـ ١ ص ١٦٩ .

(١٨) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٦ .

قبس من أنوار النبوة

أحبُ العبادِ إلى ربِّ العبادِ

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : أى الناس أحب إلى الله ؟ قال : أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربه ، أو تقضى عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعا .

ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحبُ إلىّ من أن أعتكف فى هذا المسجد ـ مسجد المدينة ـ شهرا . ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يُمضيهُ أمضاه ملأ قلبه (رضاً) يوم القيامة .

ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يُثبتها له أثبت الله ـ تعالى ـ قدمه يوم تزل الأقدام » .

رواه الطبرانى ، والأصبهانى ، وابن أبى الدنيا

البيان :

لقد صان الدين الإسلامى الذى شرعه الله لعباده ، وارتضاه لهم حين قال :

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة ٣

كيان المجتمع الإسلامى ، وصاغ أخوته على أساس من التعاليم السامية خاصة ، وحذر مما يوهن العلاقة الربانية بين أبناء الدين الواحد ، ودعا إلى إصلاح مابين المتنافرين والمتخاصمين والمختلفين حتى تتأكد الأخوة على أساس من المودة والرحمة التى أشار إليها القرآن الكريم فى كثير من آياته . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

سورة الأنفال

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

سورة الحجرات

تلك الأخوة التى وضع رسول الله ﷺ : قواعدها فى مجتمع المدينة المنورة بين المهاجرين والأنصار حتى استحقت أن ينزل فى شأنها قول الله - سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الحشر : ٩] .

وتحققت النعمة الكبرى التى أنعم الله بها على المؤمنين ، وذكرهم بها فى قوله تعالى :

﴿ ... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

[آل عمران : ١٠٣] .

ومن أجل الحفاظ على تلك الأخوة أمر الله جماعة المؤمنين أن يراقبوا العلاقات الأخوية ويوفروا لها ما يلزمها من الصفاء الدائم . فإذا حدث لها ما يهدد أخوة المجتمع ، أو يضعف تلك العلاقة أوجب على جماعة المؤمنين أن يهبوا ليصلحوا ما طرأ على العلاقة الأخوية من فساد ويزيلوا أسباب التصدع والخلاف . وليتخذوا من التعاون على البر والتقوى شعارا يحقق تضامنا مثمرا فى سبيل الخير ، وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع المسلم . حتى يسلم من شرور الفرقة والأثرة .

وإذا كان التعاون والإيثار ، دعامة من دعائم عقيدتنا وأساس من أسس ديننا بحكم إيماننا . فإن رسول الله ﷺ : يصف المتعاونين مع غيرهم على الخير والبر ، بأنهم أفضل العباد .

ووصفهم بأنهم مفاتيح للخير ، وأنهم أهل المعروف الآمنون من عذاب الله . فعن ابن عمر - رضى الله عنهم - قال : **قال رسول الله ﷺ إن لله عبادا اختصهم بحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله » رواه الطبرانى .**

وفى الحديث الذى معنا يرشد الرسول ﷺ أمته إلى أن أحب الناس إلى الله - عز وجل - أولئك الذين يعملون على نفع العباد ، ويسعون فى وصوله إليهم ، ودفع الضر عنهم .

وإن أحب الأعمال إلى الله - عز وجل - عمل تكشف به الكرب عن مكروب ، فتقضى عنه دينا ، و تطرد عنه جوعا ، بل إن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يجعل السعى فى قضاء مصالح العباد ، والدفاع عن حقوقهم وجمع كلمتهم تحت راية الإسلام أفضل وأحب إليه من الاعتكاف شهرا فى مسجده ﷺ .

وإن من يكبح جماح نفسه عند الغضب ويكظم غيظه مع مقدرته على تنفيذ ما فى خاطره ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا .

ثم يعود ﷺ إلى خدمة الإنسان لأخيه الانسان فبين أن الذى يثبت الحقوق للمسلمين يكون عمله هذا سببا فى تثبيت قدميه يوم تزل الأقدام على الصراط . يوم يقوم الناس لرب العالمين .

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

جعلنا الله على نصرة الحق . ورفعة شأن أمتنا - تحت راية الإسلام ، وعزة المسلمين .



مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير) صاحب "منال الطالب في شرح طوال الغرائب"

تحقيق د. محمود محمد الطناحي

تقديم: أحمد تقي الدين

غريب الحديث - ونعني به هنا: الكلمة التي قد يعثر فهمها عند القارئ، فيكون في حاجة الى تفسير لغوي لها، هذا الغريب كان علما اجتهد بعض العلماء للتصنيف فيه من القرن الثاني للهجرة[1]، واختلفت وتنوعت مصنفاتهم فيه، ومنهم: مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير، ومن تصانيفه المشهورة التي كتب لها البقاء: «النهاية في غريب الحديث والأثر» الذي فرق فيه الغريب على حروف الهجاء، وقد اقتضاه هذا أن ينتزع من الحديث الجزء المشتمل على الغريب وحده، فلا نكاد نجد فيه حديثا تاما، ولذا فهو يعد كتابا في اللغة.

ومنها: «منال الطالب في شرح طوال الغرائب» الذي نتناوله في هذا العرض السريع وقد جمع فيه الأحاديث الطوال والأوساط بتمامها وأخذ شرحها، فهو كتاب حديث ولغة، وإن كانت غايته من وضع الكتاب لغوية.

فقد بسط ابن الأثير في (المنال) ما اختصره في (النهاية)، ومن هنا كانت اختيارنا لهذا السفر القيم (منال الطالب) الذي قام على تحقيقه الدكتور محمود محمد الطناحي، ونشره مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

حوت النسخة المحققة سبعمائة وثمان وستين صفحة من القطع العادي وجاءت بدون تاريخ نشر.

بدأ المحقق بمقدمة تحدث فيها عن كتب غريب الحديث، وأشهر المصنفين في هذا العلم، ومعنى (الغريب) ناقلا التعريف الذي أورده الإمام (أبو سليمان الخطابي) في مخطوط لم ينشر بعنوان (غريب الحديث)، ومما جاء فيه (الغريب من الكلام إنما هو الغامض بعيد الفهم ...).

ثم أورد المحقق بعد ذلك ترجمة للمؤلف،

(١) وهو غير مصطلح (غريب) الذي يلحق بعض الأحاديث لبيان رتبته من حيث القوة والضعف، فهذا له مسلكه الخاص عند مصطلح الحديث.

تبدأ بها تناولنا لهذا الجهد الرائع المبذول من كل من المؤلف والمحقق .

نسب المؤلف :

هو : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيبانى الجزرى ، ويعرف بـ « ابن الأثير » .

ويعرف بذلك أيضا أخواه :

عز الدين أبو الحسن على صاحب كتاب « الكامل » فى التاريخ ، و« أسد الغابة فى معرفة الصحابة » .

وضياء الدين أبو الفتح نصر الله صاحب كتاب « المثل السائر فى أدب الكتاب والشاعر » و« كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب » .

ولادته ونشأته

ولد مجد الدين فى أحد الربيعين سنة ٥٤٤هـ بجزيرة ابن عمر من أعمال الموصل ، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى الموصل سنة ٥٦٥هـ ، فجالس علماءها وأخذ عنهم ، وقد حُبب إليه العلم ومجالسة العلماء .

أساتذته

تتلمذ ابن الأثير على يد طائفة من علماء عصره ، فسمع الحديث بالموصل من جماعة منهم خطيب الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسى المتوفى سنة ٥٧٨هـ .

وقدم بغداد حاجا فسمع بها من أبى القاسم يعيش بن صدقة بن على الشافعى المعروف بصاحب ابن الخل المتوفى سنة ٥٩٣هـ .

وسمع أيضا من ابن كليب ، وهو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد الحرانى ثم البغدادى الحنبلى التاجر المتوفى سنة ٦٠٧هـ .

وقرأ الأدب والنحو على ناصح الدين أبى محمد سعيد بن المبارك بن على بن الدهان البغدادى النحوى المتوفى سنة ٥٦٩هـ .

وقرأ النحو أيضا على أبى الحرم مكى بن ريان ابن شبه بن صالح الماكسينى النحوى الضرير ، نزيل الموصل المتوفى سنة ٦٠٣ هـ .

وأخذ النحو وسمع الحديث من أبى بكر يحيى ابن سعدون بن تمام بن محمد الأزدى القرطبى النحوى اللغوى المقرىء الأديب المتوفى بالموصل سنة ٥٦٧هـ .

تلاميــذه

وقد روى عن ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ جماعة ، منهم ولده ، والشهاب الطوسى ، وهو أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد نزيل مصر ، وشيخ الشافعية بها ، المتوفى سنة ٥٩٦هـ .

وروى عنه الوزير القفطى صاحب « إنباه الرواة » .

وآخر من روى عنه بالإجازة : فخر الدين بن البخارى ، وهو أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٩٠ هـ .

كلمة العلماء فيه

أثنى المؤرخون على مجد الدين بن الأثير ثناء حسنا ، فقال أخوه عز الدين : « كان عالما فى عدة علـوم ، مبرزا فيها ، منها : الفقـه والأصولان ، والنحو ، والحديث ، واللغة ،

وله تصانيف مشهورة في التفسير ، والحديث ، والنحو ، والحساب ، وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة .

وكان كاتبا مفلقا ، يضرب به المثل ، ذا دين متين ، ولزوم طريق مستقيم » .

وقال ياقوت : « كان عالما فاضلا ، وسيدا كاملا ، قد جمع بين علم العربية والقرآن ، والنحو ، واللغة ، والحديث وشيوخه وصحته وسقمه ، والفقه ، وكان شافعيا .

وقال ابن خلكان : « كان فقيها محدثا ، أديبا نحويا ، عالما بصنعة الحساب والإنشاء ورعا عاقلا مهيبا ذا بر وإحسان » .

وفاتـه

كانت وفاته يوم الخميس نهاية ذي الحجة سنة ٦٠٦ هـ حيث دفن برباطه بدرب دارج .

مصنفاته :

يقول المحقق الدكتور محمود محمد الطناحي : « ترك مجد الدين بن الأثير طائفة من المؤلفات القيمة تشهد بثقافته الواسعة ، وعلمه الغزير » .

وقدم المحقق تعريفا بمصنفات ابن الأثير مخطوطها ومطبوعها ، وما لم يذكر عنه شيء فهو مما ذكرته مصادر ترجمته فقط :

١ ـ الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف .

قال ياقوت : أربع مجلدات .

٢ ـ الباهر في الفروق .

في النحو : ذكره ياقوت والسيوطي ، وهو عند ابن السبكي باسم : الفروق والأبنية .

٣ ـ البديع .

في النحو . ذكره ياقوت والقفطي والسيوطي . وذكره ابن خلكان وابن السبكي وابن تغري بردي باسم : « البديع في شرح الفصول لابن الدهان » .

قال ياقوت : « نحو الأربعين كراسة » ، وقال : وقفني عليه (أخوه عز الدين ابن الأثير) فوجدته بديعاً كاسمه ، سلك فيه مسلكاً غريباً ، وبوّبه تبويباً عجيباً » .

٤ ـ تجريد أسماء الصحابة .

ذكره الأستاذ الزركلي ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ والكتاب بهذا العنوان معروف للحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) وهو مطبوع بالهند .

٥ ـ تهذيب فصول ابن الدهان .

ذكره ياقوت والسيوطي ، وهو في النحو أيضاً .

٦ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول .

قال ياقوت : « جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي ،

عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ، ووصف رجالها ، ونبّه على جميع ما يحتاج إليه منها ... ثم قال : أقطع قطعاً أنه لم يصنَّف مثله قطّ ولا يصنَّف » .

وقد طبع فى القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ ـ ١٩٤٩ ، فى اثنى عشر جزءاً ، بعناية الشيخين : عبد المجيد سليم وحامد الفقى ، وهى طبعة ناقصة ، ثم أعيد نشره كاملا بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط ، بدمشق سنة ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤ ، فى أحد عشر جزءاً ، وهى طبعة جيدة ، لولا أنها أخلّت بالفهارس ، وقد وعد الأستاذ المحقق بصنعها ، ولعل الله ييّسر له ذلك ، وبخاصة فهرس ألفاظ غريب الحديث .

٧ ـ الجوهر واللآل من إنشاء المولى الجلال .

ذكرها ابن الشّعّار الموصلى فى عقود الجمان ، وإسماعيل البغدادى فى هدية العارفين ، قال ابن الشعار : « وجمع رسائل الوزير جلال الدين أبى الحسن ، كتاباً ، وسماه : الجواهر واللآل من إنشاء المولى الجلال » .

٨ ـ ديوان رسائل .

قال ابن الشّعّار ، وهو يعدّد تصانيف ابن الأثير : « ورسائل مدونة فى مجلدتين ، عنى بجمعها أبو محمد إسماعيل بن على الكاتب الحظيرى ، وترجمها بالدر المنثور » .

٩ ـ رسائل فى الحساب مجدولات .

ذكرها ياقوت .

١٠ ـ الشافى ، شرح مسند الشافعى .

ويسمى : شافى العىّ بشرح مسند الشافعىّ .

قال ياقوت : « أبدع فى تصنيفه ، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه ، نحو مائة كراسة » .

منه نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٠٦) حديث فى أربع مجلدات ، ونسخة أخرى فى مجلد واحد ، برقم (١١٨٤ ـ ٢٢ ب) .

١١ ـ شرح غريب الطُّوال .

ذكره ابن السبكى : وهو كتاب « منال الطالب » الذى تقدّم له .

١٢ ـ صناعة الكتاب .

هكذا سماه إسماعيل باشا البغدادى ، وهو عند ابن خلكان وابن تغرى بردى باسم : « كتاب لطيف فى صنعة الكتابة » . وهذا وصف لا عنوان .

١٣ ـ الفروق والأبنية .

هكذا سماه ابن السبكى . وهو « الباهر فى الفروق » . وسبق .

١٤ ـ المختار فى مناقب الأخيار ـ أو الأبرار .

ذكره ياقوت ، وقال : « أربع مجلدات ، منه نسخة بليدن ، برقم (١٠٩٠) ، كما يوجد

النصف الثانى منه بمكتبة فيض الله باستانبول ، برقم (١٥١٦) ، ومنه صورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

١٥ ـ المرصع فى الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات والأذواء والذوات .

ذكره ياقوت وابن السبكى والسيوطى . قال ياقوت : « مجلد » . وقال السيوطى : وقفت عليه ، ولخصت منه الكُنى فى كراسة » .

طبع هذا الكتاب أول ماطبع فى « ويمار » سنة ١٨٩٦م ، بعناية « سيبولد » الألمانى ، فى ٢٦٧ ص من القطع الصغير . ثم أعاد نشره وتحقيقه الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى ، فى بغداد سنة ١٣٩١ ـ ١٩٧١ .

١٦ ـ المصطفى والمختار فى الأدعية والأذكار .

ذكره ابن خلكان وابن تغـرى بَردى وابن السبكى وابن العماد الحنبلى .

١٧ ـ منال الطالب فى شرح الغرائب .

وهو هذا الذى نُقدّم له .

١٨ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر .

أشهر كتب ابن الأثير على الإطلاق . وقد طبع عدة طبعات آخرها الطبعة التى نشرها الدكتور محمود محمد الطناحى سنة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ ، فى خمسة أجزاء بمطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة .



منال الطالب

لاحظ المحقق أن ابن الأثير قسم كتابه « منال الطالب فى شرح طوال الغرائب » إلى قسمين : الأول: فى أحاديث رسول الله ﷺ مما له فيه كلام ، أو ذكر سبق حديث له ، أو بُنى عليه .

ومعظم أحاديث هذا القسم يدور على أحاديث الوفود التى وفدت على رسول الله ﷺ وأحاديث المولد والمبعث ، ودلائل النبوة ، وخصائصه ﷺ وبلغ مجموع أحاديث هذا القسم إحدى وعشرين حديثا .

والقسم الثانى فى آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين له بإحسان ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

يقول المحقق : « وقد جرد ابن الأثير الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ من كتب السنة والسيرة ، وأفرد لشرحها هذا الكتاب » . أى الذى نحن بصدده .

منهج ابن الأثير

صدر ابن الأثير كتابه بمقدمة أبان فيها منهجه فى اختيار الأحاديث وشرحها ، ولأهميتها فى بيان منهج المؤلف نوردها كاملة كما أوردها المحقق :

أحمد الله على نعمه حقّ حمده ، وأثنى عليه بآلائه إلى منتهى الوُسْع وجُهده ، حَمْدَ مَن جعل الإخلاص غاية قصده ، والتوفيق قرين خطته وعمده ، وأصلى على محمد رسوله وعبده ، هادم مشيد الكفر وهازم جنده ، وحزبه المؤيَّد بنصر

من عنده ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه من بعده ، صلاة تُحِلّهم دار كرامته ورِفْده ، وتُنيل قائلها من نعيم الفلاح وَعْدَه .

أما بعد ، فإنى لما بلغت الأمل والغرض ، وأديت النفل والمفترض ، من تصنيف كتاب « النهاية فى غريب الحديث والأثر » ، وفرغت من تأليفه وجمعه ، وترتيبه فى أحسن وضعه ، وكان الغريب الوارد فيه ، المدرج فى أثنائه ومطاويه ، مفرقا فى أنواع صنوفه ، مقسما فى أبواب حروفه ، حيث التزمنا فى وضعه التقفية على حروف المعجم ، والابتداء بالأول فالأول ، والأقدم فالأقدم ، فلا تكاد تجد فيه حديثا تاما وإن قل كلمُه ، ولا أثرا متسقا وإن استقل منتظمه : أحببت أن استأنف كتابا مختصرا أجمع فيه من الأحاديث والآثار الطوال والأوساط ، ما أكثر ألفاظه غريب لا يفهمه أكثر الناس ، ويعز إدراك بعضه على كثير من الخواص ، أوردها كاملة متناسقة الألفاظ تامة الإيراد والاقتصاص ، وأتبع كل حديث منها وأثر شرح غريبه وتفسير معانيه ، وإيضاح المقاصد المودعة فيه .

وقد كان الأئمة والعلماء رحمة الله عليهم جمعوا الأحاديث الطوال ودونوها ، وأظهروا أسرارها للطالبين وأعلنوها ، فأتوا منها بكل حسن جميل ، وافتنوا به كل ذكر كريم وأجر جزيل ، إلا أنهم لم يقتصروا على نوع من طوال الحديث والأثر ، لكن جمعوا ما روى منها طويلا ، سواء كان غريبه كثيرا أو قليلا ، ونحن اخترنا من الطوال ما كان أكثر ألفاظه غريبا ، على أى حالية كان ، بعيدا أو قريبا ، توخيا للحفظ والتناجى ، وبلاغا للآمل والراجى . ولم نستقص فى جمع الأحاديث والاستكثار منها ، خوف الضجر والملل ، وهربا من الوقوع فى الخطأ والزلل ، فاقتصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة فى كتب الحديث والغريب ، واستقصينا شرح ما اخترناه منها ، وبسطنا القول فى إيضاح ما شذ من وجوه التأويل عنها ، وجمعنا بين أقاويل من تقدم من العلماء ، وسبق من الفضلاء ، فى شرحها وتفسيرها ، وتبيين معانيها وتقريرها ، وأضفنا إليه ما عسى أن يكون غفل عنه أو لم يبلغ الغرض منه . مستعيذين بالله تعالى ، ومتكلين عليه ، ومستمدين من ألطافه حسن التوفيق فى الدنيا ، والنجاة يوم الوقوف بين يديه . إنه وليّ الإجابة .

وقد قسمناه إلى قسمين : أحدهما فى أحاديث رسول الله ﷺ ، مما له فيه كلام أو ذكر ، سبق الحديث له ، أو بنى عليه .

والثانى فى آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان ، رضى الله عنهم أجمعين .

وسميته كتاب : « منال الطالب فى شرح طوال الغرائب » .

وبالله أعتضد وأستعين ، وأستمد التوفيق من ألطافه فيما آتيه وأذره من قول أو فعل ، وأرغب إلى كرمه أن يتغمدنى برحمته ، ويجرى الخير على لسانى ويدى ، مدة حياتى ، إنه ولى الإجابة ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

ويلاحظ المحقق أن ابن الأثير يورد الحديث كاملا ثم يذكر فى آخره من أخرجه من علماء الحديث والغريب ، ويعقب بما قيل فى الحديث جرحا وتعديلا ، وقبولا وردا وقد عرض لمسائل كثيرة فى علم النحو توجيها وإعرابا .

موارد ابن الأثير في كتابه :

أفاد ابن الأثير من جهود العلماء الذين سبقوه إلى التصنيف في غريب الحديث ، وصرح بالنقل عنهم ، وذكر في آخر كل حديث من أخرجه منهم ، ثم ذكر من الكتب :

الصحيحين للبخاري ومسلم ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والمغازي لمحمد بن إسحاق ، والسيرة لعبدالملك بن هشام ، والمعجم الكبير للطبراني ، ومعجم الحافظ أبي أحمد العسال ، والإكمال لابن ماكولا ، والحلية لأبي نُعَيْم الأصبهاني ، وما قالت القرابة في الصحابة ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني .

ويرى المحققون أن ابن الأثير يدور في فلك أربعة من العلماء : ابن قتيبة ، والخطابي ، والزمخشري ، وأبي موسى المديني الأصبهاني .

وقد أفاد ابن الأثير من كتب هؤلاء العلماء في غريب الحديث إفادة بالغة وعول عليهم كثيرا .

وأخذ المحقق على ابن الأثير أنه أودع في كتابه كثيرا من شروح الزمخشري وتوجيهاته التي سلخها من (الفائق) ونبه المحقق على ذلك في غير موضع من حواشي التحقيق . يقول المحقق : « وجدت ابن الأثير يغير على شرح الزمخشري كله في بعض الأحاديث مع تغيير بعض عبارات الزمخشري الخاصية الموغلة في الغرابة إلى ألفاظ مألوفة مأنوسة » .

ثمة ملحوظة وقفنا عندها وهي أن المحقق استخدم ترقيمين متماثلين :

الأول استخدمه في مقدمة التحقيق التي بدأت بصفحة ٣ . بعد أن أدخل الغلاف الداخلي ضمن الترقيم ولا أدري لماذا ؟ لتنتهي المقدمة بترقيمه ص ٥٠ ثم بدأ التحقيق من ص١ حتى ٧٦٨ وقد يقول قائل إن حروف الهجاء العربية ثمانية وعشرين حرفا أي نحو نصف عدد صفحات المقدمة ونرد على ذلك بأنه كان يمكنه عدم استخدام الترقيم في المقدمة أو استخدام الترقيم الكوفي مثلا .

تعقيب :

على أنه يحسب للمحقق أنه استعان بنحو مائتين وخمسين من عيون مصادر اللغة والأدب والتاريخ والتفسير والحديث رتبها جميعها على حروف المعجم ، وكان حريصا على التوثيق الدقيق لكل كلمة ينقلها عن هذه المصادر وابتعد تماما عن التصرف والتلخيص فيما ينقله ، ويبرر هذا في مقدمته ص ٥ بقوله « إني رأيت كثيرا من كلام الأوائل ـ رحمهم الله ـ يفقد حلاوته ودلالته معا حين نعمد إلى تلخيصه أو اختصاره » .

ويحسب للمحقق كذلك جهدا مضنيا بذله في إعداد فهارس التحقيق فجاءت الفهارس على النحو التالي :

- فهرس الموضوعات .
- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأمثال والأقوال المأثورة والتعبيرات النحوية .
- فهرس الأشعار والأرجاز .
- فهرس المواد اللغوية .
- فهرس الأدوات وحروف المعاني .
- فهرس مسائل العربية ويشمل : مسائل النحو ،

والصرف ، والعروض ، والبلاغة ، واللغة ، ومسائل من الفقه ، ثم متفرقات .

- فهرس الكتب .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن .
- فهرس الأيام والغزوات والحروب .
- فهرس المراجع .

أى أنه أعد ثلاثة عشر فهرسا جاءت جميعها فى نحو مئة وثمان وستين صفحة وحرص الباحث كذلك على أن تكون جميع الفهارس مرتبة على حروف المعجم ، وأحسب أن المحقق بذل فى إعداد هذه الفهارس وحدها أضعاف مابذله من جهد فى التحقيق نفسه والذى لم تخل - تقريبا - كل صفحة من صفحاته من تعليق وشرح وإحالات مرجعية ذخرت بها حواشى التحقيق الذى بلغ نحو سبعمائة وثمان وستين صفحة فى حين أن النسخة الأصلية حوت مئتين وثمان وخمسين صفحة مسطرتها خمسة عشر سطرا وفى هذا وحده دلالة على ما بذله المحقق من جهد ضخم .

وبعـد

فما أحسبنى أحطت كامل الإحاطة بجهد علمى بذله مؤلف نذر نفسه مجاهدا فى ساحة العلم يرجو بجهاده وجه الله تعالى ، ولا بجهد مضن للمحقق الدكتور محمود محمد الطناحى .

جزاهما الله خير الجزاء .



ذكرى أفضل مولود في الوجود

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ سورة الجمعة

ومايكاد شهر ربيع الأول من كل عام تشرق شمسه حتى ترى الأمة المحمدية فى مشارق الأرض ومغاربها قد تحركت بشعور فياض ، وقلوب سليمة ، ونفوس رحيمة ، لإحياء ذكرى سيد البشرية وأستاذ الإنسانية : خاتم رسل الله ﷺ سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المزجاة وقدوة الهداة ، ومعلم الدعاة : الذى أرسله ربه رحمة للعالمين ، فليس بعده رسول ، وأنزل عليه كتابا مباركا ليس بعده كتاب ، وقال له جل جلاله :

﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) ﴾ سورة ابراهيم

ومن آثار رحمة الله ومن مظاهر نعمته وفضله على الناس كافة أن استجاب الله لدعوة جده سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ قال لربه راجيا وضارعا خاشعا :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ سورة البقرة

وظلت هذه الدعوة مدخرة فى جوف التاريخ وأحضان الزمن حتى شاء الله ــ تبارك وتعالى ــ أن يبدل ظلام الحياة نورا ، وذل الأميين عزا ، فبعث فيهم صاحب الخلق العظيم وأيده برعايته واختصه برحمته وعنايته ، فقد وجده يتيما فآوى ، ووجده ضالا فهدى ، ووجده عائلا فأغنى ، فشرح صدره وأعلى قدره ورفع ذكره ، وقال له :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة الأحزاب

فصلوات الله وسلامه عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ويوم هاجر من مكة إلى المدينة ويوم يبعث حيا .

وحدة الرسالات الإلهية

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾

الآيات ـــ ١٣٦ ـــ ١٣٨ ـــ من سورة البقرة

أما العقيدة التي أرسل بها النبيون مبشرين ومنذرين من ربهم « رب العالمين » فهي ميسرة سهلة وغير معقدة ، لاعوج فيها ولا التواء ، يتقبلها العقل لترشده إذا ضل وتقومه إذا زل : والمرسلون قد أيدهم ربهم بالمعجزات الباهرة والأدلة الظاهرة والبراهين الساطعة الدالة على صدق رسالتهم التي يبلغونها عن ربهم ، وقد منحهم ربهم الصدق والأمانة والذكاء والفطانة لتبليغ رسالتهم وهداية أممهم وأداء مهمتهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ،

وكان كل رسول يقول لقومه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

الآية ـــ ٥١ ـــ آل عمران

فآمن من آمن وكفر من سفه نفسه وأضله الله على علم فاعوج سلوكه وشذ رأيه وأظلمت بصيرته ، فساءت سيرته وحبط عمله وخاب أمله وضل سعيه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾

الآيتان ـــ ٩٦ ـــ ٩٧ ـــ من سورة يونس

من أهداف الإسلام

لقد كان خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله رحمة للعالمين أجمعين ؛ وهذه الرحمة قد انتفع بها من آمن ومن لم يؤمن من أهل الأرض جميعا فقد جاء الإسلام ليحرر الناس من رق العبودية ؛ لأن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، فلا ظلم ولا استعباد ولا بغى ولا استبداد ، فالناس لآدم ، وآدم من تراب ، فلا تفاضل إلا بصالح الأعمال وبالآثار التى تنفع الأجيال ، لأن خير الناس أنفعهم للناس فى شريعة الإسلام التى جاءت لتهذيب النفوس لتتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان الذى كان سائدا فى مجتمع الجاهلية

قبل الاسلام ، فجاءهم الإسلام فأنساهم حمية الجاهلية الأولى لما رأوا النور المتلألىء أمام أعينهم ، الذى أرسل الله به رسولا كريما منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

الإسلام وتحدى المشركين

ولقد أراد فريق الشاردين عن الهدى ، الصادين عن سبيل الله الحاقدين على صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم أن يتحدّوا النبى بخوارق كونية حسية تبجحا واستكبارا وعنادا وضلالا وكفرا وبهتانا حيث طلبوا من النبى أمورا تترجم عن أحقاد سخيفة سجلها القرآن الكريم فقال فى سورة الأسراء :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

الآيات — ٩٠ — ٩٣ — من سورة الأسراء

إن الأمر ليس أمر خوارق كونية ولذلك رَدّ الله عليهم بقوله :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

سورة الإسراء

والتحدى الإلهى الأكبر موجود وقائم ودائم وهو القرآن الكريم .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

الآية — ٨٨ — من سورة الأسراء

ثم يقول جل جلاله تعقيبا على هذا بقوله :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

الآية — ٨٩ — من سورة الأسراء

ولئن كان الله قد أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله على يد سيدنا عيسى — عليه السلام — فتلك معجزة له ، كما كان انفلاق البحر معجزة لسيدنا موسى عليه السلام .. إلى غير ذلك من معجزات خارقات للعادات ظهرت على يد أصحاب الرسالات تأييدا لهم من الله تعالى لدعواهم الرسالة .

ولكن القرآن كتاب الله الخالد معجزة خاتم رسل الله محمد — صلوات الله وسلامه عليه — فالله قد ضمن له الحفظ والبقاء بقوله :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

الحجر ٩

عظمة شريعة الإسلام

والله يقول :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

سورة آل عمران

والاسلام يطلق الفكر من كل عقال ولكن يحذره من الخطأ أو الانحراف والشذوذ .

أما شريعة الإسلام فهي واضحة في أدلتها قوية في حججها عظيمة في آثارها وأحكامها ، لكن العقل البشرى وحده لايدرك أسرارها إلا مقترنة بوحى الله وسنة رسوله .

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ﴾

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾

سورة الحشر

والعقيدة في شريعة الإسلام تجلو الحقيقة لكى تصل بها الى أعماق القلب والنفس ، واستقرار إيمان بالله لايتزعزع ، ويقين لايتزحزح بوحدانية الله ذى الجلال والإكرام منزل القرآن وخالق الأكوان

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾

سورة الرحمن

وقد جرب الإسلام في الأيام الأولى (علما وعملا) فامتلأ به الأرض عدلا وسلاما وأمنا ، وذلك لأن الدين يتفاعل تفاعلا كاملا مع الحياة ليقضى على نوازع الشر فيها وليفتح للمجتمع طريقا إلى التقدم والحضارة النافعة والمدنية الفاضلة والحياة الطيبة

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

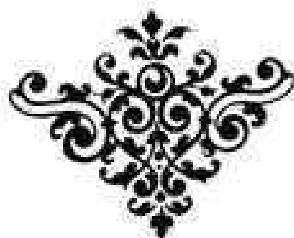
سورة النحل

لقد أوجب الله على البشر أن يهتدوا بهديه وأن يتبعوا صراطه المستقيم ومناهجه القويم منذ خلقهم وأسكنهم في أرضه فقال تعالى :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾

الآية — ١٢٣ — من سورة طه

لأن السعادة في طاعة الله وخشيته .



دراسة مقارنة

من وصايا الأنبياء

وصية يعقوب عليه السلام الى أبنائه عند وفاته

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

زعم اليهود وهم الإسرائيليون المعاصرون للنبي محمد ﷺ في المدينة وما حولها أن يعقوب عليه السلام جدهم الأعلى (والذى دعي باسم إسرائيل) أوصاهم حينما أشرف على الموت بالبقاء على يهوديتهم ، وأنهم من أجل ذلك أعرضوا عن دعوة الإسلام ولم يؤمنوا برسالة النبي الخاتم ﷺ[1] .

ولكن القرآن الكريم كذّبهم في دعواهم إذ نزلت آيات الذكر الحكيم حاسمة بالقول الفصل تعلن نص وصية يعقوب عليه السلام واضحة جلية لا لبس فيها ، وذلك في قول الله تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

فهاتان الآيتان تشيران بصريح اللفظ والعبارة إلى أن يعقوب عليه السلام وصى أبناءه بالمحافظة على عقيدة الإسلام اتباعا لوصية جده إبراهيم عليه السلام فيما قاله وصية لأبنائه في قوله :

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم الحزب الثاني بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الطبعة الأولى .

(2) سورة البقرة ١٣٢ ، ١٣٣ .

﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3] .

ولقد وجه يعقوب الوصية لبنيه فى صورة سؤال لبيان شدة اهتمامه بأمرهم ولطلب بسؤاله جواباً منهم يعبر عن رسوخ إيمانهم حيث أراد ألا يرشدهم إلى الجواب حتى ينبع ذلك من عقولهم دون إيحاء منه .

وقد أجاب أبناء يعقوب وأطنبوا وأسهبوا فى عبادتهم لله وحده اغتباطاً وتمسكاً بالحق وإيذاناً بأنه عقيدة مشتركة بين الأنبياء الثلاثة الذين ذكروهم وهم إبراهيم وإسماعيل وإسحق عليهم السلام ، كما هو عقيدة والدهم يعقوب عليه السلام ، وليس أمراً مخترعاً بل هو حقيقة الاتباع لإبراهيم أبى الأنبياء وذريته ، وأنهم مستمرون فى هذه العبادة والتمسك بدين الإسلام .

القرآن يكشف عن مزيد من معرفة أهل الكتاب بنبى الإسلام :

وذلك فى قول الله جل وعلا :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

وقوله فى سورة الأنعام :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[5] .

وقوله فى سورة الأعراف :

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[6]

فالآيات الكريمة تقرر أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعرفون أن محمداً ﷺ رسول من عند الله معرفة حقيقية كمعرفة الآباء للأبناء ، فالبشارة به موجودة بوضوح فى كتبهم المقدسة ، وعلماؤهم وأحبارهم يعرفونها حق المعرفة ولكنهم ينكرونها لمرض فى نفوسهم إلا من عصمه الله منهم فآمن مثل الحبر اليهودى عبدالله بن سلام قال

(٣) سورة البقرة ١٣٢ .

(٤) سورة البقرة ١٤٦

(٥) سورة الأنعام ٢٠ .

(٦) سورة الأعراف ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ .



تعالى :

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾(٧) .

وقد خص الله المتقين منهم برحمته وفضله وهم الذين يتبعون رسول الله محمداً ﷺ فهو الأمي الذى لم يمارس القراءة والكتابة ولم يجلس إلى معلم ويجدونه مكتوباً باسمه ونعته عندهم فى كتبهم لكن الكافرين من العلماء والأحبار كتموها أو أساءوا تأويلها ، كما تكررت البشارة عنه وعن أصحابه ﷺ فى مواضع أخرى فى تلك الكتب وقد كشفت سورة الفتح عن شىء من ذلك فى قوله تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٨)

كيف هى وصية يعقوب عليه السلام من واقع الكتاب المقدس عند أهل الكتاب ؟

وردت هذه الوصية فى سفر التكوين بالعهد القديم فى قوله :

ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام اجتمعوا واسمعوا يا بنى يعقوب واسمعوا إلى إسرائيل أبيكم ....

حتى إذا وصل فى وصيته إلى ابنه يهوذا قال : (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب)(٩) .

تفسير الباحث المهتدى إلى الإسلام زكى النجار بطهطا عن تلك الوصية :

كان ذلك الباحث نصرانياً أرثوذكسيا قبل إسلامه وبعد اعتناقه الإسلام سمى باسم محمد زكى الدين ويقول : عن النص المشار إليه أنه يعنى أن النبوة تبقى فى سلالة يهوذا أكبر أولاد يعقوب حتى يأتى شيلون أى حتى يأتى الإسلام الذى تخضع له سائر الأمم(١٠) فشيلون يعنى الإسلام .

ويتناول الأستاذ الدكتور أحمد حجازى السقا نص الوصية بالشرح فى أبحاثه فيقول :

إن يعقوب عليه السلام قرر قبل وفاته أن الملك يظل فى نسل ابنه (يهوذا) وتظل شريعة اليهودية يعمل بها حتى يأتى من غير اليهود من يتسلم الملك والشريعة من بنى إسرائيل ، أى حتى يأتى النبى المنتظر ، وقد أكد نبى اليهود حزقيال فى سفره على زوال الملك والشريعة عنهم ، بمجرد مجىء الذى له الحكم وكنّى عن الملك بالتاج وعن الشريعة بالعمامة(١١) .

---

(٧) جزء من الآية ١٦٢ من سورة النساء .

(٨) جزء من الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٩) سفر التكوين الأصحاح ٤٩ عدد ١ ، ٢ ، ١٠ .

(١٠) كتاب الإسلام نور الأكوان تأليف الأستاذ محمد زكى الدين النجار .

(١١) سفر حزقيال الأصحاح ٢١ عدد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

وبما أن يعقوب عليه السلام يتحدث عن نهاية الملك والشريعة فى أحفاده وذريته الإسرائيليين لذلك كان مقتضى الحال أن يكون الدور المقبل فى مستقبل الأيام لذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لأنه بنص كتاب اليهود المقدس له نصيب من بركة النبوة مثل نصيب أخيه إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وذلك فى قوله : (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره كثيراً جداً)[12] .

وينتهى الدكتور أحمد حجازى السقا إلى نتيجة يستخلصها مما سبق شرحه بأن النص المشار إليه فى وصية يعقوب إلى أبنائه يُشير إلى بروز أهمية بنى إسماعيل فى آخر الأيام بظهور النبى الخاتم منهم وأن شريعة الإسلام التى يدعو إليها هى التى ستقوم بنسخ شريعة اليهود التى كانت سارية قبل ذلك[13] .

ويقرر العلامة رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى أن وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه جاءت فى ترجمات كتاب اليهود التى تمت فى سنة ١٧٢٢م وفى سنة ١٨٣١م وفى سنة ١٨٤٤م بهذه العبارات (فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبّر من فخذه حتى يجئ الذى له الكل وإياه تنتظر الأمم) أما ترجمة النص فى طبعة سنة ١٨١١م فجاءت بالعبارات (فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجئ الذى هُوَ له وإليه تجتمع الشعوب) وعبارة (الذى له الكل) وعبارة (الذى هُوَ له) ترجمة للفظ شيلوه أو شيلون الواردة فى أصل نص الوصية فى كتاب اليهود المقدس قبل ترجمتها إلى اللغة العربية .

ويستشهد الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن على أن المقصود بهاتين العبارتين هو النبى محمد ﷺ بما ذكره الشيخ عبدالسلام وكان قبل إسلامه من أحبار اليهود ، ثم اهتدى إلى الإسلام فى عهد السلطان العثمانى بايزيد خان وصنف رسالة صغيرة سماها بالرسالة الهادية قال فيها عن النص المشار إليه أنه يعنى (لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجئ الذى له وإليه تجتمع الشعوب) وفى ذلك دلالة على مجئ سيدنا محمد ﷺ بعد تمام حكم موسى ثم المسيح عيسى بن مريم عليها السلام ، لأن المقصود به الحاكم ، هو موسى والمراد من الراسم هو المسيح وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

والعلامة الصريحة والدلالة الواضحة على ذلك هى قول النبى يعقوب (وإليه تجتمع الشعوب) فما اجتمعت الشعوب إلا إلى محمد ﷺ[14] .

البروفيسور عبدالأحد داود أستاذ اللاهوت وما يقوله فى وصية يعقوب المشار إليها

كان ذلك البروفيسور يدعى قبل إسلامه (دافيد بنجامين كلدانى) ويعمل كاهناً كاثوليكياً

(١٢) سفر التكوين الأصحاح ١٧ عدد ٢٠ .

(١٣) كتاب نبوة محمد فى الكتاب المقدس تأليف الدكتور أحمد حجازى السقا الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(١٤) كتاب إظهار الحق تأليف العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى طبعة سنة ١٢٨٠هـ .

لطائفة الروم الكاثوليك وفى بحثه لنص الوصية بعد ترجمته من العبرانية إلى العربية يكون بالرسم الآتى (لا يزول الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتى **شايلوه** ويكون له خضوع الأمم) ثم يتملكه العجب فيقول ذلك البروفيسور (من العجيب أن جميع تراجم العهد القديم من كتاب اليهود المقدس ، قد احتفظت بكلمة (شايلوه) كما هى دون ترجمة أو شرح لمعناها عدا الترجمة السريانية المسماه (البشيتا) فقد ترجمت الكلمة إلى (الشخص الذى يخصه) .

وبموجب هذه الترجمة الهامة فإن معنى (النبوءة) يظهر واضحاً كما يلى فى هذا النص وتفسيره :

١ ـ فيما يتعلق بصفات السلطان والنبوءة فإنها لن تنقطع من يهوذا وسلالته إلى أن يجىء الشخص الذى تخصه هذه الصفات ويكون له خضوع الأمم .

٢ ـ إنّ كلمة (شايلوه) مشتقة من الفعل (شلة Shalah) يعنى أرسَل وفَوّض من اسم المصدر (شلـــــوه Shaluh) أى المرسَل أو الرسول ، وفى هذه الحال فإن الكلمة سوف تأخذ معنى (شيلواح Shiluah) وتكون مرادفة تماماً لكلمة (رسول الله Asposile of Uah) وهو نفس اللقب المعطى للنبى محمد أنه (رسول الله) .

وتأسيسا على ما تقدم فإن البروفيسور عبدالأحد داود ينتهى إلى النتائج الآتية عن وصية يعقوب عليه السلام فى تحققها حرفيا فى رسول الله محمد ﷺ ويسوق على ذلك الحجج الآتية :

أولا : هناك إجماع بين المعلقين على أن التعبيرين المجازيين (الصولجان) و (التشريع) معناهما (السلطة الدنيوية) و (النبـــوة) ولا يتحققان فى آخر الأيام إلا إذا كان صاحبهما غريبا عن سلالة يهوذا وبنى إسرائيل كلية .

ثانياً : هذا السلطان والمشرع العظيم ليس موسى لأنه كان أول منظم لقبائل بنى إسرائيل الإثنى عشر ، وليس داود لأنه نبى من نسل يهوذا نفسه ، وليس المسيح عيسى بن مريم لأنه أعلن بنفسه أن من تنتظره إسرائيل لنْ يكون من نسل داود الذى هو من نسل يهوذا ، فضلا عن ذلك فإن المسيح المشار إليه لم يفكر فى سلطان دنيوى قط ، بل على العكس نصح اليهود أن يخلصوا لقيصر ويدفعوا له الضريبة ، وفى إحدى المناسبات حاولت الجماهير أن تنصبه ملكا لكنه تنصّل منها واختفى ، وكانت تعاليم إنجيله شفاهة وليست كتابة ، ولم يبطل شريعة موسى بل أعلن صراحة أنه جاء لتحقيقها لا لينقضها .

ثالثاً : أما محمد ﷺ فقد جاء بالسلطة الدنيوية وأيضاً شريعة القرآن فحلّا محل الصولجان اليهودى المهترىء وكذا شريعة اليهود القديمة ، فنادى بتوحيد الإله الحق وأعلن أنقى الأديان ، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر ووحّد بالإسلام أمما كثيرة لا تشرك بالله شيئاً وتحب رسوله وتحترمه لكنها لا تعبده ولا تقدسه ولا تجعله إلها .

وقد سحق اليهود وقضى على نفوذهم ووضع نهاية لسلطانهم فى قريظة وخيبر وغيرهما من

الأماكن اليهودية التي كانت تقيم فيها أو تستعمرها في بلاد العرب(١٥).

وبعـــد :

فقد تبين مما سبق عرضه أن وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه بني إسرائيل كما ذكرها القرآن الكريم في آياته هي المحافظة على الإسلام الذي كان عقيدته وعقيدة جدّه إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، والمراد بالإسلام هنا هو أتم وجوهه من إخلاص التوحيد لله وكمال الانقياد لأوامره واجتناب نواهيه في كل حال ، وأن ما زعمه اليهود من أن يعقوب جدهم أوصاهم قبل موته بالبقاء على يهوديتهم المحرفة زعم باطلا لا أساس له من الحقيقة ، وكان الأحرى بهم أن يعودوا إلى ملة إبراهيم النقية وهي الإسلام ذلك الدين القيم الذي دعا إليه النبي محمد ﷺ بدلا من عقيدتهم العنصرية والانطواء على أنفسهم قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١٦)

ومما يؤكد هذا الرأى النص الثابت في كتاب اليهود المقدس إلى يومنا هذا وفيه ـ على رأى أحد الباحثين ـ يبشر النبي يعقوب عليه السلام أبناءه وذريته بشروق شمس الإسلام في آخر الزمان عقيدة طاهرة نقية من جديد ليكون دينا عالميا تعتنقه سائر الأمم أو أنّ وصيته وعند باقي الباحثين تحمل البشارة بمجيء خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ من غير بني إسرائيل رسولا من الله يدعو لملة مختلف الشعوب والأمم بوصفها دعوة عالمية لسائر البشر لكن الذي حدث من اليهود بني إسرائيل وذرية يعقوب كما يدعون كان عكس ذلك إذ أنهم لم يستجيبوا لدعوة الإسلام ولم يؤمنوا برسالة النبي الخاتم ﷺ ، والتفسير الوحيد لهذا الموقف أن هؤلاء الناس انقطعت صلاتهم بمعنى الدين ، وأن سلوكهم العام لا يرتبط بما لديهم من تراث سماوى وأنهم لا يكترثون بما يقترب من عقيدة التوحيد أو أحكام التوراة لأنّ هذه وتلك مؤخرة أمام شهواتهم الغالبة وإثرتهم اللازبة ، ومن ثم شكك القرآن الكريم في قيمة الإيمان الذي يدعيه هؤلاء الناس اليهود وذلك الصنف من البشر قال جل وعلا :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾(١٧).

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٨)

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

---

(١٥) كتاب محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى تأليف البروفيسور عبدالأحد داود قسيس أوربا سابقا طبعة سنة ١٩٩٥ ترجمه من الإنجليزية م. محمد فاروق الزين .

(١٦) سورة الأنعام ١٦١ .

(١٧) جزء من الآية ٩١ من سورة البقرة .

(١٨) سورة البقرة ١٠١ .

هداية الإنسان في ذكر الرحمن

(٢) بقلم الأستاذ/ محمد عبد المحسن النقادي

فوائد الذكر :

* الذكر ضروري لحياة القلوب ، وقد أحرز العلماء فوائد للذكر تجاوز الثمانين فائدة مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة ، ورحم الله ـ تعالى ـ أصحابها بدأبهم الحثيث بحثا لها ، ونسأل الله العظيم أن يرحم أصحابها .

فمن فوائد الذكر أنه :

يرضي الرحمن ، ويطرد الشيطان ، ويزيل الهم والغم ، ويقوى القلب والبدن ، وينور القلب والوجه ، ويجلب الرزق ، ويكسب المهابة والحلاوة ، ويورث محبة الله ـ تعالى ـ التي هي روح الإسلام ، والمعرفة والإنابة والقرب وحياة القلب ، وذكر الله للعبد ، وهو قوت القلب وروحه ويجلو صدأه ، ويحط الخطايا ، ويرفع الدرجات ، ويحدث الأنس ، ويزيل الوحشة ، ويوجب تنزل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر ، ويشغل عن الكلام الضار ، ويسعد الذاكر ، ويسعد به أنيسه وجليسه ، ويؤمّن من الحسرة يوم القيامة ، وهو مع البكاء سبب إظلال الله للذاكر ، وبه تحصل العطايا ، ويكثر الثواب من الله ، وهو أيسر العبادات ، وأفضلها ، وهو غراس الجنة ، ويؤمّن العبد من النسيان لربه ، وانفراط أمور العبد ، ويسير بصاحبه في كل حال من أحواله ، وهو نور للعبد في دنياه وقبره ويوم حشره ، وبه تخرج أعمال العبد وأقواله ولها نور ، وهو رأس الولاية وطريقها ويثمر المعارف ، والأحوال الجليلة ، والذاكر قريب من مذكوره ، والله معه .. وأكرم الخلق على الله من لايزال لسانه رطباً من ذكر الله ، ويزيل قسوة القلب ، وما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل ذكره ، ويوجب صلاة الله والملائكة على الذاكر ، ومجالس الذكر مجالس الملائكة ، ورياض الجنة ، وجميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر الله تعالى ...»

ويكفى أن تعلم أن الذكر أنجع علاج لقسوة القلب .. « قال رجل للحسن ، ياأبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلبى . قال : أذبه بالذكر ..

فهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص فى النار .. فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله تعالى .

والذكر فى الحقيقة كله فوائد ، وهو أصل كل مقام وقاعدته التى يبنى عليها .. ويكفينا قوله تعالى :

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٤٢]

فالذكر طريق الحق ، ووسيلة الصدق ، وما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق الذكر .

أنواع الذكر

قلنا فيما سبق إن الذكر لا يقتصر على حالة واحدة ، أو هيئة مخصوصة ، ولا يختص بطريق معينة ، وإنما يشمل حياة المسلم كلها ..

فذكرُ الله تعالى على ثلاثة أوجه :

الأول : ذكر الله تعالى بأسمائه وصفاته والثناء عليه بهما ، وتنزيهه ، وتقديسه عما لايليق به تبارك وتعالى :

وهذا النوع هو المذكور فى أحاديث الرسول الكريم ﷺ مثل «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر» «سبحان الله وبحمده : عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته» «لاحول ولاقوة إلا بالله» .

وقد ألفت فى هذا النوع من الأذكار كتب كثيرة نوصى بالرجوع إليها . واقتناء بعضها[٤٣] :

الثانى : ذكر أمر الله ونهيه وأحكامه :

وهذا النوع يكون على ضربين :

أحدهما : ذكره سبحانه بأمره ونهيه ، كأن تقول : إنّ الله أمر بإقامة الصلاة

---

(٤٢) العنكبوت (٤٥)

(٤٣) مثل : الأذكار للنووى ، عمل اليوم والليلة : ابن السنى ، تحفة الذاكرين : للشوكانى .. وغيرها كثير .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٤٤)

وأن الله تعالى نهى عن الغيبة

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾(٤٥)

ثانيهما : ذكره سبحانه عند أمره ونهيه :

فذكره عند أمره بالمبادرة إلى فعل ما أمر به ، وذكره عند نهيه بالهروب مما نهى عنه ـ سبحانه .

والفارق بَيِّنٌ واضح .. فذكره بأمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ، فالأول : إخبار عنه ـ سبحانه ـ بأمره ونهيه .

والثانى : انقياد لأمره ـ سبحانه ـ وهروب من نهيه ..فعِ ذلك ـ يرحمك الله .

الثالث : ذكر آلائه سبحانه ونعمائه :

وهذا يكون بشكر النعم التى امتن الله بها على العبد ، وذلك مبنى على ثلاثة أركان كما قال العلماء رحمهم الله :

«أولها : الاعتراف بالنعمة باطناً .

ثانيها : التحدث بها ظاهراً .

ثالثها : تصريفها فى مرضاة الله وليها ومسديها ومعطيها ..

فإن فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره فى الشكر ..»

ولنضرب مثلا يوضح . نعمة البصر .. مثلا .. كى أكون شاكراً لله عليها .. علىَّ إذن :

* أن أدرك عظمة هذه النعمة ، وأنها من أجَلّ نعم الله علىَّ ، وأنها من فضله سبحانه ، وأنه سبحانه مالكها ـ كما أنه مالك كل شىء ـ ولو شاء جعلنى ضريراً .

* أن أحمد الله بلسانى دائماً على هذه النعمة «الحمد لله على نعمة البصر»

فإذا رأيت ضريراً .. تذكرت نعمة الله علىَّ أقول : «الحَمْدُ للهِ الَّذي عَافَانِي مِمَّا ابتَلاكَ بِهِ وفضَّلنى عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلا ..» (٤٦) وأمثال ذلك من الذكر .

* أن أسخر هذه النعمة فى مرضاة الله تعالى .. بأن أتأمل بديع خلقه ، ولطيف صنعه ، وأن

---

(٤٤) النور/ (٥٦)
(٤٥) الحجرات/ (١٢)
(٤٦) دعاء يقال عند رؤية المُبتلَى «رواه الترمذى وحسنه» .

أطالع بها المصحف الشريف .. فأتلو القرآن الكريم وأفهمه وأعيه ، وأطالع كتب السنة المطهرة وأتفقه فيها ، وأعلم الضرورى من دينى ، فإن كنت من أهل الاختصاص فى علم تبحرت فيه وعلمت أسراره حتى أنفع أمتى التى هى الآن أحوج ماتكون إلى المخلصين من أهل الاختصاص من أبنائها حتى يرفعوا شأنها .. وأمثال ذلك من الأمور النافعة فى الدين والدنيا معاً ..

أما أن أذلها بمعصية الله ، وإطلاقها بالنظر إلى ما حرمه سبحانه ، فبالطبع لن أكون شاكراً ولو قلت : «الحمد لله» أكثر من مليون مرة .

أرأيت ــ يرحمك الله ــ كيف أن دائرة الذكر تتسع لتشمل كل مناشط الحياة ، فتشمل كل حركة وكل سكنة بل كل خطرة فى قلب العبد ..

فأن تذكره بلسانك .. هذا ذكر ، وأن تخبر عنه بأمر أو نهى : هذا ذكر ، وأن تنقاد لأمره وتهرب من نهيه : هذا ذكر ، وأن تتأمل بديع صنعه ولطيف خلقه : هذا ذكر ، وأن تؤدى حق نعمه عليك فتجتهد فى تحصيل أمور دينك ودنياك ابتغاء وجه الله تعالى : هذا ذكر ..

فالذكر ليس قاصراً على حال دون حال ، ولا يختص بطريق معينة ، وإنما يشمل حياة المسلم كلها .. وقد كان النبى ﷺ خير قدوة فى ذلك فقد كان يذكر الله على كل حال .

درجات الذكر :

وللذكر ثلاث درجات ..

أعلاها وأفضلها : ماتواطأ عليه القلب واللسان .

والثانية ، ما كان بالقلب وحده .

والثالثة : ما كان باللسان وحده ..

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ، ويثير الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة ، ويَزَعُ عن التقصير فى الطاعات والتهاون فى المعاصى والسيئات ..

وذكر اللسان وحده لايوجب شيئا من هذه الآثار ، وإن أثمر فثمرته ضعيفة .

سرُّ فضيلة الذكر :

ترجع فضيلة الذكر إلى أنه استغراق فى حب الله ومراقبته ــ عز وجل ــ فإنه ــ تعالى ــ أنيس من ذكره .

« فالذكر ليس مجرد ترديد باللسان ، وإنما تفكير فى عظمة الله وآلائه وفى تواتر إحسانه

ونعمائه ، وتفكير فى تقصير العبد عن الشكر ، وعجزه عن القيام بأداء حقوق الله ، واعتراف بظواهر النعم وبواطنها ، ففى الذكر . تفكير وتأمل ..

● تفكير فيما اقترفه العبد فى حق نفسه من ذنوب وآثام .

● وتأمل فى نعم الله عليه وما وجب عليه من الشكر .» (٤٧)

الذِّكْرُ الصَّحِيحُ :

الذكر الصحيح المقبول عند الله ـ عز وجل ـ هو : ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، وكان موافقاً لهدى النبى ﷺ ، وهذا الذكر هو الذى يؤتى ثماره ، وهى :

● الالتزام بفرائض الإسلام وواجباته وسننه ومستحباته ، وإلا كان خادعاً مخدوعاً مزوراً على نفسه .

● كما يؤتى ثماره فى الأريحيات والمروءات فالذاكر صاحب عطاء وكرم نفسى إذ أن الإسلام لا ينتصر ببخل الناس أبداً وإنما بعطاء ذوى الإخلاص .

● ويؤتى ثماره فى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر وترك المحرمات والمكروهات وخلاف الأولى .. قال ـ تعالى :

﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٨)

مظاهر الخسارة لعدم ذكر الله :

يقول ربنا عز وجل :

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ (٤٩)

وتتمثل الخسارة فى :

(١) الموالاة للكافرين وما فيها من ذل وانكسار وتسلط واستلاب للثروات وحرب على الدين

---

(٤٧) الغزالى/ إحياء علوم الدين ج/ ص ٢٦٤ ، عن أحمد محمود صبحى ، الفلسفة الأخلاقية فى الإسلام ص (٢٥٢) .

(٤٨) العنكبوت (٤٥) .

(٤٩) المنافقون/ (٩)

والقيم وتخريب لكافة الخيرات بما لها من برامج تضمن مصالح الكفار وضياع مصالح المؤمنين وذهاب بأسهم .. يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٠)

إلى أن بينت الآيات سبب هذا التردى فقالت :

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥١)

(٢) نسيان الآخرة وعدم العمل لها فيكون العبث ويحل الفساد والإفساد وحيث أخذ الفاجر حذره من السلطة الزمنية وقانونها اندفع وراء أهوائه ، واعتدى على حقوق الآخرين ورويداً رويداً يفقد المجتمع أمنه ، ويفقد أفراده حقوقهم ومقدراتهم فإذا هم فى جحيم ، يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥٢)

(٣) الحرب الإعلامية على الذاكرين : كالحرب على عمار المساجد وعبادتهم ودعائهم ، وهذه نتاج الموالاة للكافرين والاستغراب والعمالة العمية المتقمصة ثوب العلم والعقل والحضارة وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٥٣) .

الخاتمة :

وبعد .. فما أحوجنا دنيا وآخرة إلى ذكر الله ـ تعالى ، وما أحوجنا إلى التذكير به قياماً بالمسؤولية وأداء للأمانة ، بل ما أحوج العاملين معنا إلى تذكره وعبادته والانتساب إليه جل شأنه ، وإن الأمر ليس اختياراً نذكره أو لا نذكره ، ونذكر به أم لا وإنما صلاح المعايش وسعادة الإنسانية والخير كل الخير فى ذكر الله .. فالله الله فى المؤمنين ، واللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

---

(٥٠) المجادلة /١٤
(٥١) المجادلة /١٩
(٥٢) الحشر /١٨ ، ١٩
(٥٣) القلم/ ٥١







الرَّحمَة المُهدَاة

بقلم : الشيخ/
معوض عوض ابراهيم (*)

الرحمة المهداة والنعمة المسداة التي ترجح كل ماسواها من أنعم الله هي سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه هدانا الله إلى الإسلام ، وكنا خير أمة أخرجت للناس وجل الله الذي قال :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ١٠٧

وقال :

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ .

سورة الفرقان ـ آية : ١

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

وكلمة ﴿ العالمين ﴾ فى الآيتين أدل دلالة ، وأوسع ساحة وأبعد مدى منها فى مثل قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

سورة آل عمران ـ آية : ٣٣

وقوله :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٤٧

وما حكى الله مما علم الملائكة .

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) ﴾ .

سورة آل عمران

فكلمة ﴿ العالمين ﴾ فى الآيات الثلاث وأمثالها تعنى زمان آدم ونوح وإبراهيم وبنى إسرائيل ، ونساء عصر مريم ـ عليهم السلام ـ ، وتتجرد فى سياق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعنى شمول الزمان وعموم ما خلق الله أكثر مما تفيده كلمة الناس فى مثل قول الله ـ تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ١٥٨

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾

سورة النساء ـ آية : ١٧٠

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

سورة سبأ ـ آية : ٢٨

ان ما سوى الله ـ عز شأنه ـ من ملائكة وإنس وجن وحيوان ونبات يغلقها جميعا لفظ ﴿ العالمين ﴾ ومنذ أنزل الله القرآن هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور وهو يغادى الحياة والأحياء ويراوحهما ، بما يديم بهما نعمة الصلاح وقد خاطب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس بالقرآن وحكت سور : الجن والرحمن والأحقاف ما أوحى من أمر الجن من آمن منهم ومن كفر ، حتى قال :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾

سورة الأحقاف ـ آية : ٢٩ ـ ٣٠

فلنقرأ ببصيرة وتدبر سور الرحمن والجن ، وما قصت سورة الأنعام وغيرها من ذلك لنزداد يقينا من رحمة الله للثقلين التى أتتهما عن طريق سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

ويوم سفهت أنفس المشركين فقال بعضهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا محمد .. أما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحدا يصدقك

فيما تقول ، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ، فائتنا بمن يشهد أنك رسول الله فنزل :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (١).

سورة الأنعام

وتسوق هذه الآية ههنا لإبراز حقيقة تجددها الأيام والليالى ، وهى : أن حجة رحمة الله للعالمين بالقرآن ماضية فى العالمين حتى تقوم الساعة منذ ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ أى أنه — صلى الله عليه وسلم — أنذر أهل مكة بالقرآن ، وينذر من بلغهم القرآن ووصل إليهم من الأسود والأحمر ، أو من الثقلين .

ووسائل الإعلام غداة رواحة بالقرآن أحبت أم كرهت فى بلاغ يؤكد عالمية ﴿ العالمين ﴾ فيما ذكرت وما لم أذكر من آيات القرآن وشواهد السنة النبوية . وقد أخرج أبونعيم وغيره عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : **« من بلغه القرآن فكأنما شافهته »**(٢) .

إن سيدنا محمدا — صلى الله عليه وسلم — هو رحمة الله التى وسعت ما سوى الله كما قال بعض الأئمة . فقد طبعه الله على الرحمة والرفق ، وأمتن عليه بقوله :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

سورة آل عمران — آية : ١٥٩

وجلت المنة وبورك ما فى تضاعيف الآية من وصايا أوجب الله فى ختامها حبه لسيد المتوكلين — صلى الله عليه وسلم — .

والنعمة المسداة — صلى الله عليه وسلم — قد تخلق أكثر ممن سواه من الناس بأخلاق الله اللطيف بعباده الرءوف بخلقه ، البر الرحيم أزلا وأبدا . إقرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة البقرة — آية : ١٤٣

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة التوبة — آية : ١٢٨

ألم تروا كيف تعرف سبحانه إلينا فى البسملة ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ .

وزادنا من ذلك وهو يقول فى فاتحة الكتاب : ﴿ **الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم** ﴾ .

سورة الفاتحة — آية : ٢ — ٣

---

(١) قال ذلك الأستاذ الألوسى فى تفسيره « روح المعانى » بتصرف وأورد قولا آخر دون ذلك القول قد يكون خاصا بآخر الآية فى اثبات وحدانية الله تعالى .

(٢) الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٢/٥١ فى ترجمة محمد بن إسماعيل الرازى وقال عنه « كان غير ثقة » .

وأطمعنا فى واسع رحمته إن نحن طلبناها بشرطها فى قوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ١٥٦ ـ ١٥٧

فلا عجب أن نرى الرسول رحمة تترقرق بل رأفة تتدفق وهو ينهض بتكاليف الرسالة ـ فى بداية الدعوة ـ ولا قوة له على إنقاذ المؤمنين من عدوهم الذى لا يخشى فى إعناتهم إلًّا ولا ذمة منذ رضوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا ، فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يواسيهم بمثل قوله « صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة »(٣) .

فقد جاء ـ صلى الله عليه وسلم ـ البشرية من ربه بخير ما جاء به نبى فى قومه ، وهو رسول منهم معروف الآباء والجدود والأعمام والأخوال والبنين والحفدة « خيار من خيار » وهو من أنفسهم وأزكاهم نفسا وذاتا ، وكم كان صعبا على نفس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تحيق بصحابته شدة أو تحل بساحتهم مكروه يؤثر أن يكونوا فى صفو عيش ويمن حال لأنه الإنسان السوى الذى أضفى عليه الله صفتين من صفاته العلا فقال : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ١٢٨

وإذا كان فى الناس من يقول كلمته ويمضى غير مبال بأنها الحق الذى توافقه أعماله ، وتصرفاته ، أم هى من الباطل الذى ينبغى ألا يشوب فعلا أو يغير عملا ، فلقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحمة الله فى ذاته وصفاته يجد صحابته فى حاله ومقاله : المواساة الحانية والتثبيت مما يعتورهم من صعاب ويلم بهم من ضوائق ، وكان يحلم على من يؤذيه أملا فى أن يعطفه بذلك إلى الإسلام ، وكم أفاد الناس من ذلك وهم يرونه يسبق حلمه غضبه ، ولا يزداد على كثرة الجهل عليه إلا عفوا دون أن يغيب عنه قول ربه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ١٩٩

وقوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ .

سورة المؤمنون ـ آية : ٩٦

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

سورة فصلت ـ آية : ٣٣ ـ ٣٥

فتعرفوا على الرحمة المهداة فى كتاب الله فقد كان خُلُقه القرآن ، كما قالت أم المؤمنين عائشة ، وتعرفوا عليه فى سنته وسيرته للتأسى والاقتداء .

---

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك ٣٨٣/٢ المطالب العالية ٤٠٣٤ والبداية والنهاية ٥٩/٣ .

ظهور الإسلام

معجزة باهرة وحجة ظاهرة وفتوحات ظافرة

بقلم: الدكتور عبد الفتاح ابراهيم سلامة (*)

إذا قال الله فقوله الفصل ، وإذا قضى فقضاؤه الحتم ، وإذا حكم فحكمه لا يرد ، وقد أخبر الله الناس أجمعين بأنه ناصر أجناده ، ومظهر دينه ، وذلك في قوله عز من قائل :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الفتح

فما هذا الإظهار ، وما صوره ، وكيف صار معجزة باقية إلى يوم القيامة ؟ هذه الأسئلة وغيرها نسأل الله العون على إجاباتها .

توطئة :

كتوطئة لفهم حقيقة إظهار الله لدينه : نحاول أن نفهم الآية الكريمة من أولها ، وهى قوله – تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾

فقد تضمن هذا الجزء من الآية الكريمة ما يلى :

أولاً : الحديث عن المُرسِل – جل جلاله – فعظمة المُرسِل – جل جلاله – دالة على عظيم شأن الرسالة ، وعلى كمال اختيار الرسول ، وذلك ما يدل عليه قوله – تعالى : ﴿ هو الذى أرسل ﴾

ثانياً : قوله – سبحانه : ﴿ رسوله ﴾ دال على وصف النبى ﷺ بصفة الرسالة والبلاغ ،

(*) الكاتب : أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية – سابقا .

وإضافة الرسول المخلوق إلى المُرسِل الخالق ـ جل جلاله ـ فيها وصف للنبي بصفة الرسالة ، وإشعار بأن الله ـ سبحانه ـ يؤيد رسوله ويعاضده ويصدقه ويكرمه ، ويحنو عليه ؛ لأنه رسوله ، ولو لم يكن النبي ﷺ أهلا لكل ذلك لما اختاره مولاه ، وهذا بعض ما يفهم من العطاء المغدق لقوله ـ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١٢٤/الأنعام) .

ثالثاً : وصف الله الرسالة بأنها « الهدى ودين الحق » والهدى إذا كان من الله فهو نور في العقل ، وطمأنينة في القلب ، وتبصرة بالطريق الأقوم ، وإضافة الدين إلى « الحق » لأنه منزل من الله الحق إلى الرسول الحق بالمنهج الحق .

معنى الإظهار لغة :

كلمة الإظهار في اللغة : تدل على المعاونة والمعاضدة ، والقوة والغلبة ، والسطـــوع ، والوضوح ، والبروز وللفعل « ظهر » وما يشتق منه معان كثيرة[1] بعضها يخرج عما نحن بصدده .

وللعرب تفنن في لغتهم ؛ فقد أطلقوا على أكثر أوقات النهار ضياء : وقت الظهر أو الظهيرة .

استعمالات الكلمة في القرآن الكريم :

وقد استعملت الكلمة في القرآن الكريم لعديد من المعاني نذكر منها أمثلة لما يتعلق بموضوعنا :

قال ـ تعالى : ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ (٢٩/غافر) .

فمعنى (ظاهرين) في هذه الآية الكريمة أي متمكنين في أرضكم غالبين عليها ، لكن هذه الغلبة الوقتية لا تكف بأس الله عنكم إن أراد بكم انتقاما .

وقول الله ـ عز من قائل :

﴿ ... فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ (١٤/الصف) .

أي : أيد الله الطائفة المؤمنة من بني إسرائيل على الطائفة الكافرة فأصبحت ظافرة منتصرة ، كما يدل على ذلك سياق الآية وألفاظها بتمامها ، وإنما اقتصرنا من الآية الكريمة على موضع الشاهد .

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ ﴾ (٢٦/الأحزاب)

أي : وأنزل اليهود الذين ظاهروا مشركي قريش في غزوة الأحزاب من حصونهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، ومعنى ظاهروهم في الآية : أي كانوا لهم عونا وعضداً وظهيراً .

وقوله ـ جل جلاله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا ﴾ (٤/التوبة) ، لم يظاهروا أي : لم يعاونوا ولم يناصروا عدوكم عليكم .

عود إلى الآية الكريمة :

ونعود إلى الآية الكريمة التي هي محور حديثنا :

---

(١) انظر مادة الظهر في القاموس المحيط جـ ٢ ـ ص ٨٤ ، ٨٥ ، وانظر المصباح المنير جـ ٢ ـ ص ٥٩٠ ، ٥٩١ ، وفيه فوائد نافعة لمن أرادها .

﴿ ليظهره على الدين كله ﴾

الفاعل فى « ليظهره » هو الله ـ جل ذكره ـ والهاء « ضمير عائد على « الدين » أى : ليعلى الله أمر هذا الدين على غيره من الأديان جميعاً .

وقد بدئت الآية الكريمة بالضمير العائد على لفظ الجلالة « هو » وفى هذا التعبير الكريم :

(هو الذى أرسل رسوله) تأكيد أن نبينا محمداً ﷺ رسول مرسل من ربه ، وتأمل قوله ـ سبحانه : « رسوله » فأضاف الرسول إليه ـ جل جلاله ـ وفى هذه الإضافة ما فيها من التكريم للنبى ﷺ ، وفيها من تصديق الله لنبيه ما لا يحتاج إلى مزيد بيان ، وقد تعرضنا لهذه المسألة آنفا .

وتصديق الله لنبيه ﷺ قد تتابع فى ثلاث آيات متتاليات فى سورة الفتح ، كل واحدة منهن تحمل فى بدايتها تأكيد هذا التصديق على النحو التالى :

١ ـ ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ .. ﴾ (٢٧/الفتح)

٢ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ... ﴾ (٢٨/الفتح)

٣ ـ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ... ﴾ (٢٩/الفتح)

فكل هذه الآيات تأكيد مؤكد لرسالة النبى ﷺ من المُرسِل العلى الأعلى ، وكلام العلى الأعلى هو القول الفصل ، وهو الصدق الذى لا يرتقى إلى مقامه أى صدق آخر ، ومنهج الرسول ﷺ هو بتعبير القرآن الكريم « الهدى ودين الحق » فالألف واللام فى (الهدى) للاستغراق ، وبذلك يعم اللفظ ، ويدل على كل ما هو هدى[٢] فالرسول ﷺ جاء بجميع أنواع الهدى ، وبالأصول الجامعة التى اتفقت عليها رسالات الله إلى جميع خلقه ، ولذلك بيّن لنا ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أنه جعل خاتم الأنبياء ﷺ سالكاً طريق الأكرمين من أسلافه ، مقتديا بهديهم ، كما يدل على ذلك قوله ـ عز من قائل :

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ سورة الأنعام

(ودين الحق)

دين الحق هو الإسلام ، وأضيفت كلمة « الدين » إلى « الحق » ، والحق : هو الله ـ عز وجل ـ فيكون الدين مضافا إلى الله الذى أنزله ، وقد يراد بالحق ما هو نقيض الباطل والإفك والضلال .

(ليظهره على الدين كله .....)

قال القرطبى (... ليظهره على الدين كله ...) أى : ليعليه على كل الأديان ، فالدين اسم بمعنى المصدر ، ويستوى لفظ الواحد والجمع فيه[٣] .

(وكفى بالله شهيداً)

« شهيداً » نصبت على التفسير والتمييز ، أى كفى الله شهيداً ، والله ـ تبارك وتعالى : شهيد

---

(٢) انظر تفسير الفخر الرازى جـ٢٨ ـ ص١٠٦ .

(٣) انظر القرطبى جـ١٦ ص٢٩٢ .

ونعم الشهيد ـ جل جلاله ـ على ثلاث قضايا وردت فى الآية الكريمة ، وسبق تفصيلها وهى :

١ ـ صدق الرسول .

٢ ـ الثناء على المنهج .

٣ ـ الوعد بإظهار الدين .

من صور إظهار هذا الدين الخاتم :

وظهور هذا الدين وعلو شأنه تجلى فى صور شتى منها :

١ ـ تأييد رسول الله ﷺ بالمعجزات الظاهرة والحجج الناهضة .

٢ ـ بقاء القرآن معجزة أبدية خالدة على الدهر ، وإعجاز القرآن الكريم ليس نمطاً واحداً ، وإنما هو صنوف كثيرة ، وهذا الإعجاز دال على صدق النبى ﷺ ، وسبب من أسباب خلود الرسالة إلى يوم القيامة .

٣ ـ انتصار المسلمين وظهورهم على أعدائهم فى مواطن كثيرة ، وانتشار نور الإسلام حتى عم المشارق والمغارب .

٤ ـ هيمنة الإسلام ونذكر لها صورتين :

(أ) هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة عليه ومجيئه مصدقاً لها ، متضمنا لأصولها التى أنزلها الله عليها .

(ب) نسخ الإسلام للشرائع السماوية السابقة عليه وتصحيحه لما حرفه أتباع الرسالات السابقة ولما بدّلوه .

الإظهار والإخبار بالغيوب المستقبلية السياسية : تمهيد وجيز :

ذكرت سورة الفتح ثلاثة أنواع من الفتح هى :

١ ـ صلح الحديبية وسمته السورة فتحاً مبيناً ودل عليه قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (١/الفتح)

٢ ـ فتح خيبر دل عليه قوله ـ تعالى : ﴿ ... فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الفتح

٣ ـ فتح مكة دل عليه قوله ـ تعالى : ﴿ ... وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١٨/الفتح)

ومن إعجاز القرآن الكريم إخباره بالغيوب المستقبلية ومن صوره :

أن هذه الآية أشارت إلى كل فتح سيقع فى الإسلام فى قوله ـ تعالى : ﴿ ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ... ﴾ وتلك مسألة تتعلق بفتوح الإسلام فى المشارق والمغارب ، وبصراع الإسلام مع أعدائه وبنصر الله لأوليائه ، وإعلاء شأن هذا الدين على غيره من الأديان وهاك البيان :

١ ـ **معارك الإسلام مع الوثنية** : فقد انتصر المسلمون على مشركى قريش ، ثم على مشركى العرب جميعاً حتى نزل قوله ـ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ (٢٨/التوبة) .

وطهرت الجزيرة العربية فى عهد الرسول ﷺ وخلافة الصديق من كل أثر من آثار الوثنية وخيانة الارتداد ، وصار أمر الناس كما قال ـ تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ (١ : ٢/النصر)

٢ ـ **معارك الإسلام مع اليهودية** : وكانت للمسلمين غزوات مظفرة ، وأيام منتصرة على

اليهود في (غزوة بني قينقاع) وفي (إجلاء بني النضير) كما في قوله ـ تعالى ـ عنهم :

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾

(٣/الحشر) ، وفي (غزوة بني قريظة) التي أشار إليها قوله ـ تعالى :

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ... ﴾

(٢٦/الأحزاب) ، ثم (غزوة خيبر) ، وقد بشر الله المؤمنين بها قبل فتحها في قوله ـ تعالى :

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾

(٢٧/الأحزاب) ، والشاهد في قوله ـ تعالى : ﴿ وأرضا لم تطؤوها ... ﴾ ، ثم لم تقم لليهود دولة في الأرض كلها خلال أربعة عشر قرنا من الزمان منذ نزل القرآن إلى أن وقع اغتصابهم لأرض فلسطين ودولة الباطل بإذن الله ستزول ونجمها في أفول .

٣ ـ معارك الإسلام مع الروم الذين كانوا يتلون الصليبية الغربية :

وقد كتب الله النصر للمسلمين في غزوتي : « مؤتة »[٤] و « تبوك »[٥] على تفصيل لا يتسع له النطاق ، ثم قام المسلمون بتحرير الشام ومصر من احتلال الروم في خلافة الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ ورغم كل الحروب الصليبية التي استمرت قرونا بين المسلمين وأعدائهم فإن الغلبة لله ـ عز وجل ـ وجنده .

٤ ـ معارك الإسلام مع المجوسية : وأما المجوسية فقد زالت من الأرض على أيدي المسلمين إلى غير رجعة ، وبدأ المسلمون حروبهم مع الفرس بتحرير أراض من شبه الجزيرة العربية ، وتحرير العراق من الاحتلال الفارسي ، ثم دخل الفرس أنفسهم في دين الله ، وأصبحت دولتهم من دول الإسلام .

٥ ـ معارك الإسلام مع الهندوكيـــة والبوذية : وكان لهاتين الديانتين الوضعيتين أنصار وأتباع فوصل الزحف الإسلامي إلى أرض السند والهند ، ودخل في الإسلام من أتباع هاتين الديانتين ما يعد بمئات الملايين ، أضف إلى ذلك انتشار الإسلام في أندونيسيا وماليزيا وغيرهما من البلدان الآسيوية حتى طرق في هذا القرن أبواب اليابان ، ودخل كثير من أبنائه في الإسلام .

على أننا نذكر القارىء بأن انتشار الإسلام في المشارق والمغارب موضوع دونت فيه مؤلفات ومطولات ، وقد ذكرنا هنا ما ذكرنا من هذه العجالات التاريخية ونحن بصدد تفسير قوله ـ تعالى : ﴿ ... ليظهره على الدين كله ... ﴾ وهو بعض آية من سورة الفتح .

---

(٤) وقعت غزوة « مؤتة » في شهر جمادى الأولى في العام الثامن للهجرة ، ومؤتة قرية تقع على مشارف الشام وتسمى اليوم بالكرك ، وقد قيل : إن هرقل جمع يومها مئة ألف مقاتل من الروم ، وأشباههم من العرب ، انظر سيرة ابن هشام جـ٣ ص٣٢٢ ، وغيرها من مراجع السيرة .

(٥) وقعت غزوة تبوك في شهر رجب من العام التاسع للهجرة ، وكان سببها أن الروم حشدوا جيوشهم وضموا إليهم أشباههم من قبائل « لخم وجذام » وغيرهم من نصارى العرب الخاضعين لسلطان الروم ، انظر سيرة ابن هشام جـ٤ ص١٢٨ طبعة كتاب التحرير بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد .

ـ تعقيب لأبي السعود[٦] :

وقد أوجز الشيخ أبو السعود ـ رحمه الله ـ فى تفسيره ما فصلناه آنفاً فقال عند تفسيره هذه الآية : « ... إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه ـ سبحانه ـ سيفتح لهم من البلاد ، ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة » .

نور الله غالب ولو كره الكافرون :

إن وعد الله ـ تبارك وتعالى ـ بإظهار دينه قد تأكد وتكرر فى القرآن الكريم فى آيات كريمة ، وبصيغ واعدة متنوعة ، ووردت كذلك الأحاديث الصحيحة المبشرة للأمة بأن نصر الله آت لاريب فيه ؛ وأن نور الله ـ جل جلاله ـ سيعم الأرجاء بلا ريب ولا امتراء .

تأكيد القرآن العظيم للوعد الكريم :

إن عبارة القرآن الكريم :

﴿ ...... لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (من ٢٨/الفتح) ، وردت ، فى ثلاثة مواضع من القرآن منها هذا الموضع من سورة الفتح ، ووردت كذلك فى موضعين آخرين هما :

(أ) قوله ـ عز من قائل :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة التوبة

(ب) وقوله ـ جل جلاله :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الصف

إن هذه الآيات الكريمة تتضمن الكثير من الدروس العميقة ، والكنوز التعليمية ، والوعود القاطعة الإلهية ، وتسترعى تفكير القارىء أن يتدبر بكل إمعان هذه الحقائق .

١ ـ إن إرادة الكفار مستمرة لأن يطفئوا نور الله ، وأن ذلك بأفواههم . ولن يكون .

٢ ـ إن إرادة الكفار فى خسر وتبار ، وإن كراهيتهم أهل الإيمان تنطق بها ألسنتهم وما تخفى صدورهم أكبر ، وقد بين هذه الكراهية قوله ـ تعالى : « ولو كره الكافرون » ، و« ولو كره المشركون » .

٣ ـ إن العاقبة الحسنى للمؤمنين ، وإن إرادة الله هى الغالبة ، وكلمته هى العليا .

« ويأبى الله إلا أن يتم نوره » « والله متم نوره » شهد التاريخ ، والواقع لايزال شاهدا .

أما المؤمنون فلا يحتاجون بعد وعد الله ـ تعالى ـ إلى وعد ز فاليقين ملء قلوبهم ، وشهادة الله ـ عز وجل ـ عندهم هى أعظم وأكبر شهادة .

وأما المرتابون ففتوحات الإسلام ، وانتصاراته فى المشارق والمغارب هى أكبر رد عليهم ، وأعظم إفحام لهم .

وأما الواقع فدلائله كثيرة ونكتفى فى مقالنا هذا بما رزقنا من زاد ، نسأل الله ـ جل جلاله ـ أن يجعله فى ميزاننا يوم المعاد .

---

(٦) انظر تفسير أبى السعود العمادى جـ٨/١١٤ .

القانون الدولي الإسلامي

في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني

(٢)

للأستاذ الدكتور/ محمد عبد الصمد مهنا[1]

يعتقد الكثير ، جريا وراء مقولات غربية وغريبة في ذات الوقت بوجود نظام قانوني دولي له شرعية دولية واجبة الاحترام ، تقوم هذه الشرعية أساسا على المنع المطلق لاستخدام القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات الدولية وإلزام الدول بضرورة اللجوء إلى الطرق السلمية لحل منازعاتها (مادة ٢ فقرة ٤ من ميثاق الأمم المتحدة) . الأمر الذي اقتضى وضع نظام للأمن الجماعي يمكن الأمم المتحدة من اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ مثل هذا الالتزام (مادة ٣٩ – ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة)[2] .

وقد اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة معيارا أغرب لانتهاك الالتزام بعدم اللجوء إلى القوة وذلك بتحديدها لمفهوم العدوان باعتبار من يلجأ أولا إلى استخدام القوة يعد معتديا بصرف النظر عن حقيقة النزاع .

وهنا يثور التساؤل عن مدى شرعية هذا النظام في ضوء أحكام القانون الدولي الإسلامي كما رسمه لنا مؤسسة الفقيه الشيباني استنادا إلى كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم :–

الشرعية الدولية :

من الغريب أن يكون تناقض فكرة الشرعية الدولية وفساد مفهومها دون النظر إلى الشريعة الإسلامية – أمراً بديهيا للغاية ، في الوقت الذي يتغنى بها حكام العالم ، وتجترها ألسنة السياسيين

---

(١) الكاتب : أستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر .

(٢) راجع في ذلك : المنظمات الدولية للأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام .

وتسيل لها أقلام الكتاب والمفكرين . ويكفى التدليل على ذلك بالآتى[3] :

أولا : إن تحديد مفهوم العدوان بمن يلجأ أولا إلى القوة بصرف النظر عن أصل النزاع يؤدى إلى نتائج خطيرة ومتناقضة تتلخص فى إعطاء الدول المغتصبة الحق فى إضفاء الشرعية على الأمر الواقع ، بل واستخدام القوة لرد الاعتداء حفاظا على هذا الواقع . فعلى سبيل المثال إذا هاجمت بعض الدول العربية اسرائيل لتحرير أراضيها المغتصبة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، فإنها تعد معتدية وحربها غير مشروعة طبقا لهذا المعيار فضلا عما يترتب على ذلك من آثار قانونية وأخصها إعطاء إسرائيل الحق فى رد هذا العدوان ، بل وإمكان استخدام نظام الأمن الجماعى عن طريق الأمم المتحدة لرد العدوان باعتباره مؤديا إلى الإخلال بالسلم والأمن الدوليين .

ثانيا : إن حرمان الدول من حقها الطبيعى فى الحرب العادلة وعجز الأمم المتحدة فى ذات الوقت بوسائلها السياسية والقانونية عن ضمان الحقوق ورد المظالم ، إلا إذا شاءت أمريكا أو الدول الغربية لمصلحتها خاصة ، يؤدى إلى فرض سلام ظالم على الدول المغلوبة على أمرها فيما أسموه فقه السلام وروح السلام بضرورة اللجوء إلى الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية .

ثالثا : إن الشرعية الدولية بتحريمها للحرب تتضمن تناقضا مطلقا غير قابل للحل . فالأمر يفترض واحدا من اثنين :

● إما أن تبدو الحرب كوسيلة غير مشروعة لاقتضاء حق مشروع .

● وإما أن تبدو كوسيلة غير مشروعة لحق غير مشروع .

ففى الحالة الأولى أليس من العدل ومن طبيعة الأشياء السماح لصاحب الحق المهضوم ، اقتضاء حقه وقد عجز النظام المزعوم عن ضمانه .

وإن كانت الثانية فكم من الأنظمة القانونية أو الدول معترف بشرعيتها اليوم من قبل النظام الدولى قد نشأت فى الأصل باستخدام القوة بل والإرهاب . ففى كتاب مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ، الذى أسماه «التمرد» والمنشور بالفرنسية يقول :

« لولا أعمال العنف التى ارتكبناها (وكان وقتها زعيما لمنظمة الأرجون الإرهابية) بالاشتراك مع اخواننا « الهاجاناه » و « وجروب اشترن » (وهما منظمتان ارهابيتان احداهما كانت برئاسة ابن جوريون والأخرى بزعامة اسحق شامير) ماقامت دولة إسرائيل . فعندما كنا ندخل قرية من قرى العرب كان السكان يفرون أمامنا وهم يصرخون دير ياسين ، دير ياسين» (اشارة إلى مذبحة دير ياسين المعروفة) . أما وقد قامت دولة إسرائيل ، فقد اعترف بها ، وحصل بيجن على جائزة نوبل للسلام . تلك هى الشرعية الدولية التى يتغنى بها عالم اليوم .

رابعا :

إن حرمان الدولة من حقها الطبيعى فى استخدام القوة ، يجردها من أهم عناصر التعبير عن وجودها ككيان طبيعى يحتل مكانه فى نظام الكون

---

(٣) انظر بحثنا بالفرنسية بعنوان : الحرب العادلة والسلام الظالم أمام مؤتمر اتحاد جامعات البحر الأبيض المتوسط بإيطاليا عام ١٩٩٥ .

الإلهي ، وبالتالي فهي محكومة بقوانين هذا النظام ونواميسه الخالدة وبه تحدد مسئوليتها . والحرب العادلة هي الأداة الطبيعية للعقاب . هذه المسئولية وهذا الصراع هو المعيار الطبيعي الذي يدور حوله النظام الكوني كله ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة - ٢٥١ .

فكل وحدة من وحدات هذا الكون إنما تجد مكانها في هذا النظام بصراعها من أجل الحق ، وبقدر صدقها في القيام به يتحدد مكانها في هذا النظام .

خامسا :

إن نزع حق الدول في استخدام القوة ، وإيكال هذا الحق لهيئة صورية كالأمم المتحدة بناء على فكرة وهمية تقوم على تصور امكان جمع الأمم المختلفة على مبادىء واحدة بفرض صحتها أمر لايخلو من سذاجة :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود

ويعتريه التناقض : ذلك أن اعتناق الدول وجمعها على مبادىء واحدة يقابله تنازل كل دولة عن المبادىء التي تكون اساس وجودها والتي تخالف غيرها ، وبالتالي تنحل فكرة الدولة وفكرة القانون الدولي نهائيا ، وهو أمر غير طبيعي مؤداه ذوبان مجموع الدول في دولة واحدة عالمية يتحول فيها الفرد إلى مجرد رقم وهو جهل بحقائق التاريخ والجغرافيا وطبائع الأمور .

سادسا : إن إلغاء الحرب وضمان السلام بحجة فكرة حقوق الإنسان وسلام وأمن الإنسانية ، إن هو إلا تكريس للباطل وتقنين للظلم . فعلته الدول باسم حقوق الإنسان بالمخالفة لقوانين الديان ومعزل عن النواميس الالهية ، لن يؤدي إلا إلى سريان النظام الدولي بصورة عشوائية ينتهي معها إلى تحلله النهائي . فالسلام كان دوما أملا لكل الحضارات السابقة والتي لم تكن الكراهية والعنف السمة المميزة لها مثلما نجد في هذه المدنية الحديثة . ومع ذلك لم يكن من المتصور التفكير في إلغاء الحرب ، هكـذا كان الإغريـق والرومـان والحضارات اليهودية والمسيحية . وهو مانص عليه القديس سان توماس الاكويني بقوله : « من أجل السلام شرعت الحروب » . كما يقول أرسطو « لأشرف صورة للموت تلك التي نلقاها في الحرب ، فهي أعظم وأجل المخاطر » . ولكن أني لمدنية ليس لديها ماتحارب من أجله أن تعي مثل هذه المعاني .

الشرعية الإسلامية

على عكس الشرعية الدولية ، فالحرب العادلة في الشريعة الإسلامية ليست محرمة ، بل يقع على عاتق دولة الإسلام أي « دار الإسلام » قتال « دار الحرب » وهي البلاد التي تظهر فيها أحكام الكفر ولاتطبق فيها أحكام الإسلام حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فالأصل في علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من البلاد هو الحرب فالسلم لايكون إلا بأمان أو إيمان أي بعهد ذمة أو إسلام[1] .

---

(١) انظر في ذلك السياسة الشرعية للشيخ عبدالوهاب خلاف ، وراجع د. عبد الكريم زيدان « الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام » مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ ، ص٥٤ .

وليس المقصود من قتال أهل دار الحرب حملهم على اعتناق الإسلام وإلا لما شرع (عقد الذمة) والذى من مقتضاه إقرار الدولة الإسلامية غير المسلم على عقيدته ، والتزامه بدفع الجزية إنما هو عنوان خضوعه لسلطان دار الإسلام وتبعيته لها . فالمقصود إذا هو اخضاع دار الحرب لحكم الإسلام وسريان قوانينه عليها لا إجبار أهلها على تغير عقيدتهم لقوله ــ عز وجل ــ

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ البقرة ــ ٢٥٦

وهذا هو ظاهر فقه الشيبانى فى (سيره الكبير) ، وقد خالف فيه أبا حنيفة والثورى ــ رضى الله عنهما ــ حيث يرى كل منهما أن قتال المشركين ليس بفرض إلا ان تكون البداية منهم دفعا لظاهر قوله : ﴿ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾[٥] وقوله ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾[٦]

وقد استدل الشيبانى على ذلك بقوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾[٧]

وقوله ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٨]

وقوله ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٩] .

وقولـــه ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[١٠]

والحاصل ماقاله الإمام السرخسى فى شرحه للسير الكبير إن الأمر بالجهاد وبالقتال نزل مرتبا :

فقد كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مأمورا فى الابتداء بتبليغ الرسالة والإعـــراض عن المشركين ، قال تعالى ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١١]

ثم أمر بالمجادلة بالأحسن ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[١٢] .

ثم أذن لهم فى القتال ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾[١٣]

ثم أمروا بالقتال إن كانت البداية من الكفار كما جاء فى الآيات السابقة .

ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١٤]

ثم أمروا بالقتال مطلقا بقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٥]

فاستقر الأمر على هذا ومطلق الأمر يقتضى اللزوم .

إلا أن فرضية القتال المقصود إعزاز الدين وقهر المشركين[١٦]

تلك هى حقيقة القانون الدولى الإسلامى فهل لنا من صياغة نظرية إسلامية خالصة للعلاقات الدولية تحفظ للأمة كرامتها ودينها .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٩١ .
(٦) سورة التوبة ، آية ٣٦ .
(٧) سورة التوبة ، آية ١٢٣ .
(٨) سورة البقرة ، آية ١٩٠ .
(٩) سورة التوبة ، آية ٢٩ .
(١٠) سورة الحج ، ٧٨ .
(١١) سورة الحجر ، آية ٩٤ .
(١٢) سورة العنكبوت ، آية ٤٦ .
(١٣) سورة الحج ، آية ٣٩ .
(١٤) سورة التوبة ، آية ٥ .
(١٥) سورة البقرة ، آية ٢٤٤ .
(١٦) السير الكبير شرح السرخسى ص١٨٨ .

مؤرخون من ليبيا

محمد بن علي الخروبي .. مؤرخا

(ت ٩٦٣ هـ).

بقلم د/ عبد الفتاح أبو سنة

منذ تعايشت مع هذا المفسر العظيم فى كتابه « رياض الأزهار وكنز الأسرار » الذى حصلت به على العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر حتى رأيتنى اكتشف منه جانبا آخر من جوانب شخصيته الفذة ، وهو أنه مؤرخ أيضا .. ذلك العالم الذى سعدت بولادته عليها ضاحية (قرقارش) بمدينة (طرابلس الغرب) وكانت أمه ـ رحمها الله ـ من مدينة (مصراته) .. وهكذا ترى أيها القارىء أن الأرض تشقى كما يشقى الانسان وتسعد كما يسعد .

نشأ بين يدى شيخه أحمد زروق وتأثر بدراسات التشريع والفنون الثقيفية السائدة فى عصره وترقى على منهج فى التأديب ومجاهدة النفس ، وتتلمذ على يد أساتذة هذا المنهج ، وتتبع أخبارهم وأحوالهم ، وسجل ذكرياته عنهم ولقاءهم والتعرف بهم ، وعندما يكتب يكون شارحا أو معلقا على بعض الرسائل أو مؤرخا ،يكتب ألوانا من الذكريات والانطباعات يصوغها فى تقييدات على هيئة كتاب صغير فى شكل ترجمات .. أو جوانب تاريخية لحياة معلميه .

أرخ العلامة الخروبى لجوانب من الحركة الصوفية فى ليبيا وترجم لصنوف من العباد والزهاد وأساتيد العلماء من أهل البلد أو ممن زاروها ومروا

بها ، كما أرخ لجوانب من مستوى الفكر فى عصره[1] والذى يهمنى منه الآن ذلك الجانب التاريخى أو منهاج ذلك المؤلف فى تناوله لكتاب السير والتراجم .

فالخروبى بجانب اهتمامه العلمى يعد كتابة متفجرة من الحيوية والنشاط ، متسع الادراك ، له سمعته التى تخطت حدود بلده .

إنه شيخ عرف الأسفار والترحال ، وعرفته السفارة والوفادة فى مجاليها : العلمى والسياسى ، وذلك بتجواله فى بلدان الشمال الأفريقى ، وتعرف إلى الأوساط السياسية والإدارية ، وعرفته مجالس الحكام والملوك والوزراء ، وليس أدل على ذلك من قيامه بدور السفير بين بلدين وحكومتين فى شأن نزاع كان مستفحلا أمره بين البلدين من أجل الحدود .

ولم تخل منه مجالس المناظرات العلمية فى أمور شغلت بال الكثير من رجال الفقه[2] فهو أستاذ دخل فى عداد الربانيين وطبقات الفقهاء ، ورجالات أهل الرأى والمشورة وأعلام المؤرخين .

قدم للمكتبة العربية والإسلامية بضع مؤلفات ورسائل لعل أهمها وأكبرها :

- تفسير القرآن الكريم الذى وزعت أجزاؤه على طلبة التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر وخاصة كلية أصول الدين بطنطا ، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة .
- شرح الحكم لابن عطاء الله السكندرى .
- رسالة فى شرح كلمات أحمد زروق .
- كتاب فى تاريخ وتراجم أساتذته ومعاصريه .

أوفدته حكومة الجزائر مرتين إلى بلاد المغرب الأقصى للقيام بمساع لتسوية أمور سياسية وإدارية ، لاسيما قضية الحدود التى كان متنازعا عليها بين الدولتين .

كانت المرة الأولى عام ٩٥٩ هـ والثانية عام ٩٦١ هـ واستقبلته حكومة مراكش بما يليق بمكانته العلمية .

تفرد الخروبى فى رسالة صغيرة له لم يتخذ لها عنوانا أو لعل الناسخ لم يكتب العنوان ، تفرد فى منهجه التاريخى بالحديث عن مواقف وجوانب من حياة معاصريه وأساتذته ، اعتمد فيها على إبراز صور ولقطات ، أو تسليط الضوء على هيئة ضوء سريعة فيها لون من الذكريات والانطباعات لا تخلو من هالات التقدير والاعجاب ولفت الأنظار إلى هذا الصنف من الرجال الذى جرد نفسه ووهبها لله ثم الناس ، وقد قامت مناهجهم فى تربية مريديهم على القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات ، ومجانبة الرخص وترك الشهوات ، والبراءة من التدبير والاختيار .. انظر إلى الصفحة الأولى من رسالته هذه (يقول عبدالله .. محمد بن على الخروبى تاب الله عليه آمين)

ثم تجلى بره بوالديه فى البدء بالكتابة عنهما فيحكى فى ترجمة والده :

(... نشأ فى عفاف وصلاح ، وصحب رجالا صالحين ، وكان هو الصدر فيهم والمشار إليه

---

(١) أنظر رسالة الدكتوراه جـ ١ د. عبدالفتاح أبوسنة عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) على مصطفى المصراتى / مؤرخ من ليبيا .

يمتثلون بأمره ويقتدون به في دينهم ودنياهم) .

ولعلك تدرك إيها القارئ، من هذه العبارات الموجزة أن والده كان من شخصيات المجتمع الليبي ، وله تأثير فعال بين أصحابه ، إذ كانوا منقادين لأمره ، يرجعون إليه في شئونهم الخاصة والعامة .

أما عن والدته فينقل عنها كثيرا من الحكايات من تاريخ وأحوال والده الذي كان الابن كثير الشغف بالتتبع والبحث عنها ـ أي عن أخبار والده ـ لتسجيلها والاعتزاز بها فهو يكتب :

(ولقد أخبرتنا السيدة الوالدة ـ رضي الله عنها ـ قالت : إن السلطان أبابكر ابن الأمير عثمان صاحب إفريقية كان يأتيه من قصبته على رجليه ومعه جنوده ووزراؤه فيأتون الدار يتبركون به ويستشيرونه في أمور المسلمين)[٢] .

ومن طرائف مايكتبه من ذكريات مداعبة شيخه زروق وفكاهته مع أسرته ، وقد كان كثير السؤال عنهم والتفقد لأحوالهم وليس ذلك بعجيب فقد كان الشيخ أستاذا للحاج محمد بوديكي المصراتي وصديقا حميما للشيخ على الخروبي ، ومربيا لولده محمد صاحب الترجمة التي بين أيدينا .

كان الشيخ زروق يمزح معهم قائلا : (.. يأولاد السرديكة قولوا لها : لاتقولي إن الزروق غرّبني عن بلادي وأهلي والله لا تركتهم) لاحظ أن الأم قد انتقلت من مصراته إلى قرقارش بلد الزوج فاعتبرت نفسها غريبة . وأما السرديكة بلهجة أهل طرابلس فهو « الديك » كما أن « البرّيح » هو الزعيق والاعلان بصوت مرتفع .

ولم تكن الأم أقل ربانية من الزوج ، بل كانت نعم المربية للصغار اليتامى بعد أن مات زوجها .

هذا هو العلامة الخروبي يحكي لنا عن جوانب من التربية التي تتصل بالجانب الديني من حياته .

(... كانت الأم تعلمنا الوظائف التي تقال عند النوم وعند القيام منه ، وعند الأكل ، وعند الشرب ، فتعلمنا عند النوم أن نقول : « اللهم أسلمت نفسي إليك ... » الحديث وعند القيام منه : « الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور » إلى آخر ذلك مما روته كتب السنة النبوية المطهرة الشريفة ، وكنا إذا عصيناها تحكي لنا قصة جريج وأمه المشهورة في كتب السنة) .

كان العلامة الخروبي لايتكلف السجع في كتاباته ، ولايعنى بترتيب الأحداث الزمنية ، ولايعقد الفصول الطوال ؛ بل كان في كتابه الموجز يكتفي أو يقتنع في كل فصل أو موضوع بسطور موجزات .

رحم الله العلامة الخروبي مفسرا ومؤرخا ، وسياسيا محنكا وشاعرا وناثرا ومناظرا بالتي هي أحسن ..

ورحم الله العلامة الخروبي عالما مجددا ومتبعا لامبتدعا .. ونفعنا الله بالمدرسة الزروقية التي أنجبت مثل هذا العالم الفذ الفريد .

---

(٢) المرجع السابق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السيد /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية طيبة وبعد ،،،

فنتقدم إلى سيادتكم برجاء الإفادة بتبين الحكم الشرعي فيما يقوم به البعض من استغلال حق الغير في المؤلفات والمصنفات الخاصة به بالعمل على طبعها أو نسخها دون إذن من صاحب الحق الأصلي مما يلحق به ضررا بينا مع عدم إذنه في نسخ هذا المنتج . فما حكم الشرع الشريف في ذلك ؟

رجاء الإفادة مشكورين ،،،

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه أجمعين

وبعد ...

فإن حق المصنفات الأدبية والعلمية والفنية من الأمور المحدثة التي جسدت في حياة الناس مما لا نجد للفقهاء رأيا فيها بخصوصها ، وعلماء العصر قد اختلفوا فيها فيرى كثير من علماء الهند من السادة الأحناف أن تلك الحقوق مستحلة وليست محفوظة حيث لا سلطان للمؤلف بعدما خرج مصنفه إلى الناس على نشره أو التحكم في ذلك ، ويرى آخرون من علماء الشام ومصر والمغرب أن الحقوق محفوظة يحرم الاعتداء عليها وقد أخذ قانون المصنفات المصرية بذلك الرأى فحفظ تلك الحقوق .

فيمكن لأهل مصر من عموم الناس الأخذ بما ذهب إليه الحاكم في ذلك حيث أن للحاكم تقييد المباح ، وإلزام الناس بشيء مباح في الشرع .

ومن هنا يجب ما ألزم به لا من باب لزومه في الشرع بل من باب طاعة ولى الأمر ، وعليه فنرى أن الاعتداء على المصنفات المذكورة في السؤال لا يجوز من باب مخالفة ولى الأمر والله أعلم .

السؤال من السيد/ ج . هـ . ع ـ البحيرة تقول فيه :

ما هو التوقيت الصحيح لصلاة الفجر حيث أنني قرأت في إحدى المجلات أننا نصلى قبل وقت الصلاة بحوالى ٢٠ دقيقة هل هذا صحيح أم لا ؟

٢ ـ أنني قبلت زوجي العاقد عليها ولم أدخل بها وكان ذلك في نهار رمضان حتى نزلت شهوتى ، فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فنفيد عن الأول : بأن ميقات الفجر يستحسن تأخير صلاته بعد الأذان عن الوقت المحسوب الآن بنحو اثنى عشرة دقيقة على الأقل ، قد تزيد في بعض الأيام إلى ربع ساعة ، وأكثر قليلا . حيث يحتمل الحساب ـ الشائع الآن ـ الخطأ ، وهو في طريقه إلى التصحيح .

وعن الثانى : بأن من باشر امرأة بلمسها في نهار رمضان حتى أنزل فقد فسد صومه وعليه قضاء ذلك اليوم بعد رمضان في أى يوم من أيام السنة سوى أيام الأعياد وقبل رمضان الذى بعده، وإن تأخر فعليه صوم يوم وفدية إطعام مسكين وإن تأخر أكثر من سنة زادت الفدية بعدد السنين . وهو بهذا الفطر آثم وعليه التوبة إلى الله سبحانه ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

السيد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ..

فمقدمه لفضيلتكم الشيخ/ السيد على حسنين إمام وخطيب مسجد الروضة بالمنيل ـ القاهرة ، وسؤالى :

حول حكم صلاة من لم يدرك الإمام الأصلى في أى فرض من الفروض ، ولكنه أدرك أحد المأمومين به فاتخذه إماما له ، حتى إذا فرغ من صلاته قام وأكمل ما بقى له من الركعات أو السجدات . هل هناك آراء واردة في ذلك ؟ وما الرأى الذى تستريح له اللجنة في صحة صلاة من ائتم بمأموم ؟ وما حكم صلاة المفترض خلف

المتنفل ؟ مع خالص التقدير ،،،

الجـواب :

أولا : من أدرك مسبوقا جاز له أن يتخذه إماما له وكذلك من وجد منفردا جاز له أن يتخذه إماما أيضا ، ثم يتم بعد سلامه ما عليه ، وكذلك يجوز للشخص بعد سلام الإمام أن يجعل شخصا آخر بجواره إماما له بعد الإمام الأول ليكمل معه الصلاة .

وكل هذا مبنى على أن نية الإمام ليست شرطا إلا فى الجمعة وإنما نية المأموم هى الواجبة .

ثانيا : اتحاد نية الإمام والمأموم ليست شرطا عند جمهور الفقهاء وعليه فيجوز صلاة النفل وراء الفرض وبالعكس ، وكذلك الظهر وراء من يصلى العصر أو غيرها وبالعكس ، وكذلك الأداء خلف من يصلى قضاء وبالعكس والله أعلم .

السؤال من السيد/الحاج بكر البيلى والحاج عزت لطفى ـ بنا أبو صير غربية يقولان فيه نحن من عشاق أكل الفسيخ والسردين (السمك المملح) ولكن بعض المشايخ يقولون بكراهة هذا النوع من السمك لأنه يخرج منه الدم وقت تمليحة فما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن السمك لا شك فى طهارته حيا أو ميتا لحديث : **(أحلت لنا ميتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال)** رواه أحمد والشافعى وابن ماجه والبيهقى والدارقطنى وهو ضعيف وصحح الإمام أحمد وقفه على ابن عمر كما قاله أبو زرعة وأبو حاتم ومثل هذا له حكم المرفوع ، لأن قول الصحابى : أحل لنا كذا وحرم علينا كذا مثل قوله : أمرنا ونهينا ، ولحديث الخمسة أى : أحمد وأصحاب السنن الأربعة .

وقد سئل الرسول ﷺ عن الوضوء بماء البحر فقال : هو الطهور ماؤه الحل ميته ؛ فالسمك إذا ملح ووضع بعضه على بعض صار فسيخا فإن لم يتحلل منه دم مسفوح كان طاهرا وحل أكله ، أما إن خرج منه دم مسفوح بواسطة الضغط عليه بثقل مثلا فقد صار نجسا لا يحل منه إلا الصف الأعلى مع غسله قبل أكله ، أما الطبقات السفلى فلا يحل أكلها على القول المشهور ، وذلك لنجاستها بمرور الدم عليها وعدم إمكان تطهيرها لامتزاجها بالدم ، ويحل أكله جميعه على رأى القابسى وابن العربى ، وعلى المشهور إن شك فى كونه من الصف الأعلى أو غيره جاز أكله ؛ لأن الطعام لا يطرح بالشك .

هذا هو حكم الفسيخ على رأى الإمام مالك ، ويذهب الحنفية أن السمك لا دم له فإذا ملح حتى صار فسيخا حل أكله سواء أكان من الصف الأعلى أم من غيره وذلك كله ما لم يخش ضرره وإلا حرم أكله من أجل الضرر (لأنه أحيانا يحدث التسمم) لا من أجل النجاسة أ هـ .

بعد هذا العرض يكون أكل الفسيخ حلالا عند الأحناف وبعض المالكية ، فليست الحرمة متفقا عليها والدين يسر وذلك بشرط عدم الضرر من أكله والله أعلم ...

من أعلام الأزهر



١

محب الدين الخطيب

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

أوجز ما يقال عن محب الدين الخطيب أنه كان أمة في واحد ، لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية عرفت منه الظهير المؤيد ، والمقترح المصمّم ، ولكنّ طبيعة الجندي في نفسه جعلته لا يطمح إلى منزلة القائد الرسمية ، أما في الواقع العملي فهو قائد حقًا ، وأنت حين تعرض أسماء : شكرى القوتلي ، والحسين بن علي ، وشكيب أرسلان ، وصالح حرب ، ونوري السعيد ، ولطفي الحفار ، وكرد علي ، وفارس الخوري ، وعبدالرحمن عزام ، وعزيز المصري ، تجد ارتباطاً قوياً بينهم وبين محب الدين الخطيب في كثير من المواقف الحاسمة على مدى نصف قرن متطاول ، لأن محب الدين قد انتقل في دنيا الكفاح الإسلامي ما بين دمشق وبيروت وتركيا والقاهرة واليمن ومكة انتقال المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف ، وليس انتقال الموظف الذي يحرص على مرتبه الشهري ، وما قامت حركة عربية في الشام لعهده إلا كان محب الدين صاحب الرأي الوطني المخلص في مسيرها ، وإذا كان في عهده الأخير قد قنع بالرأي في صحيفته دون الاشتراك بالعمل في ميدانه ، فلأن المسرح الذي يجمع زملاءه قد باعد بينهم وبين ما ينشدونه من كبار الآمال ، اكتفاء ببعض دون بعض ، وهيهات لمن كانت جذوة النضال تتوقد في أضلاعه أن يستنيم إلى الراحة ، وإذن فلابد من امتشاق القلم في الصحف الإسلامية شرقاً وغرباً ، فإذا لم يجد لدى أصحابها متسعاً فسيحاً لآرائه الحرة فلابد أن يصدر مجلة الزهراء ومجلة الفتح ، وأن ينشيء المطبعة السلفية لتنشر الكتب الهادفة في خطين متوازيين ، خط لأطايب التراث العلمي لدى الأجداد ، وخط للمبتكر من الشئون المعاصرة أدباً وعلماً وسياسة وإرشاداً ، بل لابد من النشرات الصغيرة في كتيبات متواضعة لا يزيد ثمنها الرمزي عن قرشين لتنشر ما يجب نشره من الآراء الإسلامية ذات التوجيه السديد !

هذا بعض ما قام به محب الدين في عمره السعيد ، حيث لم ينقطع يوماً واحداً عن التفكير في العمل الجاد ليهدي إلى الصراط القويم .

ولد محب الدين الخطيب بدمشق سنة ١٨٨٦ م ، وكان والده عالماً دينياً ، يخطب ويدرس في أحد المساجد ، كما يعمل أميناً لدار الكتب الظاهرية ، فنشأ في بيئة محافظة ، وتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ كتاب الله ، ثم التحق بمدرسة ابتدائية هي الوحيدة من نوعها ، وقد أسلمته إلى مكتب عنبر بلغة العصر وهي مدرسة ثانوية تدرس فيها جميع العلوم باللغة التركية ، حتى العربية نفسها تعلم بالتركية ، ويقبل عليها النابهون من الطلاب ؛ لأنها سُلّمٌ للكليات العالية بجامعة استنبول ، وتركيا حينئذ دولة الخلافة العثمانية ، وصاحبة الأمر ببلاد الشام ، ومتخرجو كلياتها يرجعون إلى بلادهم وقد أحرزوا أسمى الوظائف الحكومية ، وقد أتم الطالب تعليمه الثانوي ، والتحق بكليتي الحقوق والآداب معاً ، ولكنه لم يذهب إلى استنبول كما يذهب غيره ممن اختصروا

فى أفق التعليم الثانوى الضيق بل ذهب شاباً مستيراً ، درس العلوم الشرعية وآداب اللغة العربية خارج المدرسة حين اتصل بزملاء والده ، وآزروه بالرعاية بعد وفاته المفاجئة ، وكان أظهر من مدله يد العون شيخه الكبير العلامة طاهر الجزائرى ، ومقامه فى دمشق كمقام الأستاذ الإمام محمد عبده فى مصر ، إذ حمل راية الإصلاح الدينى وعمل على نشر الثقافة الإسلامية وجمع التراث العلمى وكأنه آنس لدى محب الدين قوة استعداده ، فجعله ينسخ كثيراً من المخطوطات الدسمة ليفيد علمياً ومادياً من أجرها ، وكانت للشيخ طاهر حلقة علمية بدار الكتب يؤمها المتحفزون من الشباب ، وذوو الاستنارة من الشيوخ ، وفى مجالس هذه الحلقة تكونت عقلية محب الدين ذات الاتجاه المتحفز ، وعرف عن طريقها كتب المصلحين من السابقين ، وكبريات الصحف والمجلات التى تصدر فى تركيا ومصر .

وكان مما أثر فى اتجاهه ما كتبه عبدالرحمن الكواكبى فى « طبائع الاستبداد » وما نشره محمد عبده فى كتاب « الإسلام والنصرانية » وفى رده الحاسم على هانوتو ، وفى ما راج من أعداد العروة الوثقى ، ومن ذلك كله مدد قوى للنهوض الفكرى والاستقلال الوطنى ، والإصلاح الدينى .

ولك أن تتصور شاباً طامحاً عرف طريقه الواضح ، وزار عاصمة الخلافة ليزداد علماً على علم ، ثم يفاجأ بما يعصف بآماله ، حين يرى صحف تركيا تستهجن لغة العرب ، ولا تحاول كلياتها الجامعية أن تعترف بالعربية لغة ذات مدنية وتاريخ ، لأن الدعوة إلى الطورانية قد خلقت نوعاً من التعصب لم يكن فى ترسيخه غير ما يوهى الروابط الوثيقة بين الربوع المستظلة بالخلافة ، ومنها بلاد الشام التى قاست كثيراً من تجبر الحكام ، وقد تحدث محب الدين عن الحالة العامة بدمشق واستنبول بمرارة أليمة تجدها تشيع فى مثل قوله عن المدرسة الثانوية بدمشق[1] :

« كان معلم العربية فى مدرستنا شيخاً تركياً مُسناً أرسلوه إلينا ليعلمنا العربية فى عاصمة العروبة والإسلام التى كان يؤمها : جرير والفرزدق والأخطل ! وكانت آمال النشء العربى فى هذه المدرسة أن يحذقوا لغة الترك تكلماً وأدباً وإنشاءً ليتولوا بعد ذلك وظائف الدولة فى بلادهم ، كانت العروبة يومئذ عنواناً لمدلول تسيه العرب منذ ألف سنة ، وتنكروا للمعدن الكريم الذى صنعها الله منه ، لولا أن الله تداركنا ، ففيض لنا آباءً روحيين أنقذونا من هذا الجو الخانق » .

كما يقول فى موضع آخر واصفاً ما لقيه بتركيا عند التحاقه بالجامعة[2] ، ومتحدثاً عن نفسه

(١) مقدمة محب الدين لكتاب (صلاح الدين القاسمى وآثاره) .
(٢) مذكرات محب الدين الخطية ص (٨) .

بضمير الغائب ! « هاله عند وصوله إلى هذه البيئة الجديدة أن جميع أبناء العرب من سوريين وفلسطينيين وعراقيين وحجازيين يجهلون قواعد لغتهم وإملائها ، فضلا عن آدابها وثقافتها ، ويتكلمون حتى فيما بينهم باللغة التركية ، وليس فيهم إنسان واحد له رسالة سامية في الحياة ولا لأحدهم مطمع إلا أن يحذق الكلام والكتابة باللغة التركية ويندمج في أهلها ، ثم يكون مستعداً للوظيفة التي يرجو أن يحصل على العيش عن طريقها » .

وبمواصلة الحوار الدائب استطاع محب الدين مع فريق من زملائه الذين زاملوه في مدرسة دمشق أن يؤسس في تركيا (جمعية النهضة العربية) داعية إلى نهضة اللغة وإحياء الثقافة الإسلامية المثبوتة في التراث العربي ، مع الاجتماع الأسبوعي للتداول في تحقيق رسالة الجمعية ، والعمل على نشر فروع لها في عواصم الدول العربية وقد ظلت الجمعية تؤدي رسالتها دون عائق حين قصرت اجتماعاتها على المنازل التي يقيم بها الأعضاء ، ولكنها قوبلت بالاضطهاد حين خرجت إلى المقاهي العامة ، والنوادي الثقافية في استنبول إذ وجدت من أساء الظن بأعضائها ، وعزم على التنكيل بهم . لولا أن مكنت الظروف رؤوسها من الفرار ، فارتحل محب الدين إلى دمشق قبل أن يكمل دراسته الجامعية ، ليجاوز عهد الطلب إلى عهد المسئولية المقدرة للعواقب ، الناهضة بالأعباء .

وكأن الأقدار كانت تهيء له ميداناً بكراً لجهادة ، إذ ما كاد يطأ دمشق ، حتى اجتمع بمن انضموا إلى جمعية النهضة في سوريا ، ومن بينهم الزعيم الشهير فيما بعد (فارس الخوري) فعرف منه أن القنصلية التركية في (الحديدة) تطلب ترجماناً مسلماً يجيد العربية والتركية ويلم بالقوانين العثمانية وأحكام القضاء بالبلاد ، فتقدم محب الدين لهذا السفر في إصرار ، لأن اليمن جزء من بلاد العرب ، ولابد من أن يدرس عن كثب أمورها الاجتماعية والعلمية وليعمل على نهضتها قدر ما يستطيع ، وقد احتفل أصحابه بتوديعه احتفالا سياسياً عقدت الآمال الكبيرة على جهوده ، ثم اتخذ طريقه إلى عمله الجديد ماراً بالقاهرة ليقابل بها أصدقاءه من رجال الإصلاح ، إذ أن بها محمد كرد على ، ورفيق العظم ، وطاهر الجزائري شيخ الثلاثة ، وقد اتسعت مدة الإقامة بمصر أسابيع ، فكانت مناسبة لزيارة أعلام الأدب والسياسة والصّحافة ، وفرصة لتبادل الآراء الدارسة بينه وبين ذوى اتجاهه .

حتى إذا انتقل إلى عمله وجد نفسه ، عارفا بما سيأخذ وسيدع ، وكانت ثقافته المتشعبة باب خير عليه ، إذ أن القائمين على شئون القنصلية باليمن لسوا من كفاءته ما جعل رأيه المقدم المسموع ، وقد استجابوا لاقتراحه بإنشاء مدرسة تعليمية بالحديدة تكون المصباح الأول للنشيء ، ولم يكن بالمدينة من يكفى للعمل من المدرسين ، فقام محب الدين بتدريس بعض المواد ،

وانعقدت الصلة بينه وبين طائفة من أولياء الأمور وذوى الإصلاح من الموظفين ، وصادف أن أعلن الدستور العثمانى ، فأفهم محب الدين زملاءه الموظفين أن الاحتفال بهذه المناسبة باليمن ، فى موكب رسمى يلفت المواطنين إلى حقوقهم السياسية دون أن يثير غضب الحكام فى تركيا ، فالاحتفال إشادة بجهودهم ، وكذلك تم ما أراد ، ولكنّ اتساع عمله السياسى ، ومحاولته التوفيق بين رجال الإمام يحى ، ورجال الخلافة قد فهم على أنه انحياز إلى أهل اليمن ، فأرسلت استنبول أمراً بإعفائه ، على حين جاءته الرسائل من دمشق ، تدعوه إلى ضرورة العودة كى يقوم على تحرير صحيفة سياسية تنطق باسم جمعية النهضة فأعلن الرحيل لرفاقه ، وكان من خير ثماره فى اليمن أن المدرسة التى أنشأها لأول مرة هناك قد اتسعت آفاقها ، وضمت أربعمائة تلميذ ترّبوا على نمط جديد ، وأخذوا قسطاً من التربية البدنية والتعليم العسكرى مع المواد الثقافية ، وحفظوا الأناشيد الحماسية ، ترددّ كل يوم فى الصباح ولاشك أن هذه البذور الناهضة قد نمت وترعرعت ، فآتت خير الثمار .

ولكن هل تهيأ لمحب الدين العمل بدمشق كما يريد ؟ إن الذين قاموا بإعلان الدستور فى تركيا ، وعزلوا عبدالحميد ، لم يشاءوا أن تمنح بلاد العرب دستوراً مماثلا ، وهذا كان يطلبه الأحرار فى كل وطن عربى ، وقد صدموا صدمات محرقة إذ رأوا خلفاء عبدالحميد ممن يسمون أنفسهم زعماء الترقى والنهوض ، قد بالغوا فى اضطهاد الأحرار ، ورصدوا الخطط لتكميم الأفواه ، فتعقبوا أعضاء جماعة النهضة وملأوا بالسجون من يفهم من خطابته أو كتابته أو رسائله بعض ما يوحى بالإصلاح ، وزادت النعرة الطورانية غلواً وارتفاعاً ، حيث أخذوا يحاربون من يدعو إلى ارتقاء وطنه تربية وتعليما ويعدون ذلك نشوزاً وخروجاً على طاعة الدولة ، وقد ظهرت المنشورات السرية منادية بالحرية ، وحوصرت الصحافة محاصرة من يتشمم الرائحة على أميال . والقوة هى القوة دائماً ! تستطيع أن تفعل بالحديد والنار ما لا يفعل اللسان بالخطابة والقلم بالكتابة ، فسدت السبل أمام المناضلين ، وقضت الظروف أن يترك محب الدين دمشق إلى مصر ، ليجد فى هوائها المتنفس المريح .

كانت الصحف المصرية تتمتع بالحرية التامة فى نشر ما تريد ، وإذا كان محب الدين كاتباً بطبعه ، فقد لفت إليه أحمد تيمور باشا صديق طاهر الجزائرى ولمس فى آرائه المخلصة ما مهد له السبيل إلى التحرير فى جريدة المؤيد ، لأن الشيخ على يوسف كان فى حاجة ماسة إلى كاتب يجيد التركية والعربية لينهض بتحرير ما يمكن استخلاصه من صحف تركية .

وفى ندوة المؤيد اتسعت دائرة محب الدين باتساع معارفه الكبار ممن يجتمعون فى أمسيات

الجريدة الأولى بمصر ، وإذا كان داود بركات بالأهرام ، وفارس نمر بالمقطم ، وأحمد لطفى السيد بالجريدة يقرأون ما يفد إلى القاهرة من الصحف العالمية ، ويبادرون بالتعليق عليه ، فإن المؤيد كانت فى حاجة إلى كاتب مماثل يجيد الفهم السياسى المستنير ، دون أن يتورط فى اتجاه خاص كما نعهد لدى من يشايعون فرنسا وانجلترا سفوراً دون حجاب ، وقد ظهرت مقالات محب الدين فى المؤيد وانتشر دويُّها ، وكانت مثار التعليق الكثير ، ولعل ما نشره محب الدين عن المبشرين البروتستانت نقلا عن الكاتب الفرنسى مسيو لوشاتليه ؛ كان قنبلة الموسم حيث أعاد للأذهان ما سبق أن نشره المؤيد من مقالات هانوتو حول الإسلام .

ولم يكن الكاتب الفرنسى المغرض يحسب أن مقالاته ستترجم فى أكبر صحف الإسلام ، بل ظنها ستكون مقصورة على الدوائر الكنسية وحدها ، فلما أذاعت المؤيد خلاصة ما يراه عن تنصير المسلمين كان ذلك فضيحة بلقاء لمن يرمون المسلمين بالتعصب ، وهم الذين يشنون الغارات الظالمة على عقائد المسلمين ! وقد نشرت مجلة المنار ترجمات محب الدين ، وسارت إلى المسلمين فى الشرق الأقصى والغرب الأدنى ، ومعها ملحقات نقدية بقلم المترجم سلطت الأضواء على معان تحتمل عدة وجوه فى بادىء الأمر ، ولكنها تهدف إلى ذبذبة فكرية تتناول أهم مقدسات الإسلام ، ومن هنا أخذ محب الدين مكانه فى العالم الإسلامى كاتباً إسلامياً يناوىء المعتدين بأقوى البراهين .

هذه واحدة ؛ أما الثانية فهى الملحقات المتوالية التى كان ينشرها محب الدين بعد ظهور العدد اليومى من المؤيد فى نشرات سريعة لتغطى أخبار الحرب الدائرة فى طرابلس ، فكان الباعة ينادون على « ملحق » المؤيد عصراً ، وبه ما ترجمه محب الدين عن وكالات الأنباء ، وقد تفرغ لتحليل الترجمات السياسية فى صحف أوربا ، ليرد على باطلها بالدليل ، وليوجد وعيا إسلاميا نحو الاعتداء الإيطالى الغاشم ، وعلى صفحات المؤيد فتحت أبواب التبرع ، وكتبت أسماء المتطوعين من ذوى الغيرة المشبوبة ، ولو أتيح لمحب الدين أن يجمع ما كتبه بشأن هذا الاعتداء الغادر لما توارت من حقائقه المؤلمة ما يجب أن يكون خالداً على مر الزمن ، ليرى الأجيال همجية المتوحشين ، الذين يدعون التقدم الحضارى ، وهم ووحوش الغابات على حد سواء !

وإذا كان محب الدين قد ظن أنه استقبل حياة الاستقرار بمصر حين انتظم فى تحرير المؤيد ، وحين افتتح المكتبة السلفية لنشر المؤلفات الهادفة ، فإن ماجد من الأحداث قد أزعجه عن الاستقرار بمصر إلى حين ، حيث قامت الحرب العالمية الأولى ، وانضمت تركيا إلى الألمان ، ورأى الحسين بن على ملك الحجاز أن يعلن انشقاقه عن تركيا ، مطمئناً إلى وعود الحلفاء ، وإذ

ذلك سارع محب الدين إلى الذهاب إلى مكة ليكون رئيساً لتحرير جريدة القبلة بالحجاز ، وقد أخلص النصيحة للحسين ، ولكن تشابك الأحداث ، وتلاحق العواصف ، لم يتح للرأى العربى أن يلتئم فى معسكر واحد ، لأن الجهات قد تشعبت ، ولكل وجهة هو موليها ولسنا الآن بصدد الحكم على حركة الشريف الحسين بن على ، ولكننا ننظر إلى ما أعقبها من النتائج فنجد الكارثة الفادحة ، إذ هجم الاستعمار الفرنسى على سوريا ولبنان وتناهبت إنجلترا العراق والأردن وفلسطين ، ورجع الذين انضموا إلى الحسين بن على ، ليواجهوا شراسة المستعمر الفرنسى فى دمشق التى سقطت تحت قذائف المعتدين فى يوم ميسلون !

وقد كان محب الدين من الذين هزمهم البغى الصارخ فى معركة غير متكافئة ، ووجد العدو يترقبه شر مترقب ، فخرج من دمشق متخفياً ، ولبس ملابس الأعراب ممتطيا بعض الإبل ليصل إلى القاهرة عن طريق فلسطين ، وقد تمكن من أن يستخرج جواز سفر باسم مستعار فى يافا ، ليدخل مصر دون اشتباه ، وهكذا كانت هذه العودة خاتمة رحلاته بين دمشق وبيروت واستنبول واليمن والعراق والحجاز .

وهى رحلات ذات نفع علمى لأن العيان قد أطلعه على حقائق مدهشة لا يحصيها التسجيل الكتابى ، وإذا كان الرجل من أكبر العارفين بأدواء العرب والمسلمين فإلى رحلاته هذه يعزى الفضل فى هذه الخبرة الحية ذات النقد البصير !

هذا وقد عرفت جريدة الأهرام محب الدين سبقه الأدبى ، ونضاله السياسى فضمه الأستاذ داود بركات إلى هيئة تحرير الجريدة الأولى بالعالم العربى ، وأدى دوره السياسى فى ترجمة الأحداث العالمية والتعليق عليها ، واتضحت ميوله العربية الصارخة وضوحاً لم يكن موضع الارتياح من القائمين على جريدة الأهرام ، لأن سياستهم الهادئة تمنع الوضوح الصريح ، ولا تمكن كاتبا ذا رسالة أن يجهر كل حين بما يجب أن يقال .

وهنا أخذ محب الدين يفكر فى إنشاء صحيفة إسلامية يومية تعيد مجد المؤيد ، وظهور صحيفة يومية إسلامية فى عهد الأحزاب السياسية بعد ظهور الوفد والأحرار الدستوريين والاتحاد مما يكاد يكون مستحيلا ! لذلك أخذ محب الدين يعد العدة لظهور مجلة أسبوعية ترضى نزعاته المشبوبة ، وتكون متنفسا لمن يعتقدون معتقده فى الإصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى عن طريق الإسلام وحده ؛ إذ هو صخرة النجاة التى يتطلع إليها الخائضون فى أمواج المحيط ، ويسيرون نحوها فى جد وعزيمة مهما بعد الشاطىء ، وتكاثف الغيم ، فلا يأس من روح الله وهو السميع المجيب .

يتبع

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

قال الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أيام خلافته : ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفتك ماسواهن ، وإن تركتهن لم ينفعك شيء سواهن ، قال : وماهن يا أبا الحسن ؟

قال : **إقامة الحدود على القريب والبعيد ، والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط ، والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود .**

قال عمر : لعمري لقد أوجزت وأبلغت .

النساء أربع ، والرجال أربعة

كان المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه : يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة :

رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها .

ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوامة عليه .

ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان .

ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة ، فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان .

أظلم الظالمين

أظلم الظالمين لنفسه : من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب في مودة من لا ينفعه ، ومدح من لا يعرفه .

أعد على ما ذكرت

خرج أعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة ، فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه أعرابى من حيّه ، فقدم إليه الطعام ، وكان الأعرابى جائعاً جداً ـ فسأله عن أهله ، قائلا له : ما حال ابنى «عمير» ؟ .

قال : على ما تحب ، ملأ الأرض والحى رجالاً ونساءً .

قال : فما فعلت « أم عمير » ؟ .

قال :

صالحة ـ أيضا ـ ، قال : فما حال الدار ؟

قال : عامرة بأهلها .

قال : وكلبنا « إيقاع » قال : قد ملأ الحىّ نبحا .

قال : فما حال جملى : « زريق » . ؟

قال : على مايسر .

فالتفت إلى خادمه ، وقال : ارفع الطعام فرفعه ، ولم يشبع الأعرابى .. ثم أقبل عليه يسأله ، وقال : يا مبارك الناصية ، أعد علىّ ما ذكرت !!

قال : سل عما بدا لك ، قال : فما حال كلبى « إيقاع » ؟ قال : مات ، قال : وما الذى أماته ؟ ، قال : اختنق بعظمة من عظام جملك « زريق » ، قال : أو مات جملى « زريق » ؟ ، قال : «نعم» قال : وما الذى أماته ؟ كثرة نقل الماء إلى قبر «أم عمير» ، قال : أو ماتت « أم عمير » قال : « نعم » ، قال : وما الذى أماتها ؟ قال : كثرة بكائها على «عمير» .

قال : أو مات «عمير» ؟ قال : «نعم» ، قال : وما الذى أماته ؟ قال : قد سقطت الدار عليه .

قال : أو سقطت الدار ؟ قال : «نعم» ، فقام عليه بالعصا ضاربا فولى الرجل هارباً .

أربعة أسطر

قيل : إن بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهراً فلم يصل إليه ، فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب .

فكان فى السطر الأول : العديم لا يكون معه صبر على المطالبة .

وفى السطر الثانى : الضرورة والأمل أقدمانى عليك .

وفى السطر الثالث : الانصراف من غير فائدة شماتة الأعداء .

وفى السطر الرابع : إما نعم فمثمرة ، وإما لا فمريحةٌ ، فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر ألف دينار .

ظننتك ساهراً

دخلت امرأة عجوز على السلطان سليمان القانونى تشكو إليه جنوده الذين سرقوا منها ماشيتها بينما كانت نائمة .

فقال لها السلطان : كان عليك أن تسهرى على مواشيك لا تنامى ، فأجابت العجوز : ظننتك ساهراً علينا يا مولاى فنمت مطمئنة البال .

طالبنا .. نوجدنا

قال شقيق البلخى : طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس :

١ ـ طلبنا النور فى القبر فوجدناه فى قيام الليل .

٢ ـ وطلبنا جواب منكر و ونكير ، فوجدناه فى قراءة القرآن .

٣ ـ وطلبنا الرى يوم القيامة ، فوجدناه فى صيام النهار .

٤ ـ وطلبنا الجواز على الصراط ، فوجدناه فى الصدقة .

٥ ـ وطلبنا البركة فى الرزق ، فوجدناها فى صلاة الضحى .

نعم الله

مدح رجل هشام بن عبدالملك ، فقال له : يا هذا ، إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه ، فقال : مامدحتك ، ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا .

فقال له هشام : هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه .

حقيقة

الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم ، والعلم كله هباء إلا موضع العمل ، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص ، وهذا هو العمل .

دعاء

اللهم إنى أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك ، الذى إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا استفرجت به فرجت .



من روائع الماضي بمجلة الأزهر



الإسلام والمباحث النفسية الحديثة

للشيخ صادق إبراهيم عرجون

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

لم يكن الإسلام أبدا بمعزل عن العلوم العصرية الحديثة ، بل إنه فى بعض أهدافه أشار إليها إشارة إقرار وتصديق ، وموقفى منها موقف الناقد الرقيب .

والذى ينظر إلى تعاليم الإسلام نظرة تأمل واعتبار ، يجد ذلك واضحا جليا ، ذلك لأن الإسلام دين سماوى ختم الله به الأديان ، وشريعته شريعة إلهية أكمل الله بها الشرائع ، فكان ــ والأمر كذلك ــ هو المرجع الوحيد للحقائق فى شتى أفرع المعرفة الإنسانية ، إذا قامت الحجة على صدقها وعدم مصادمتها للواقع .

وهذا المقال فيه من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية تأكيد ذلك ، لأن الإسلام دين الأمس واليوم والغد ، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها .

قال الأستاذ :

حدثت حركة سريعة فى الاتجاه العلمى ، ونشأت من جرائها مذاهب شتى ، بعضها يمس الدين مساً عنيفاً زلزل أقدام مداره الدين وحماته فى أوربا ، وبعضها يعضد الدين ويؤيده ، ويفسر بعض نظرياته تفسيرا علميا . وقد طرب الماديون عباد الطبائع إلى المذاهب الإلحادية وحبوها بعطفهم وعنايتهم ، وارتاح المتدينون ــ بعد تردد كاد ينقلب إلى معركة بين العلم والدين ــ إلى المذاهب المؤيدة للدين ، وإن سلكت فى البحث مسلكا يختلف مع مسلك الدين ، لأن الدين وحى من الله تعالى إلى صفوة من خلقه اختارهم ليكونوا سفراء لتبليغ شرائعه ، وتلك المذاهب تقوم على الوقائع الحسية والشواهد الملموسة ، والدلائل النظامية على حسب ما تواضع عليه أصحاب المذهب .

أما موقف الإسلام من هذه المباحث باعتباره دينا سماويا وشريعة إلهية ختم الله به الأديان فهو موقف الرقيب الناقد ، فإذا رأى حقا أسرع إلى احتضانه بين طيات نصوصه وقواعده ، وإذا رأى باطلا تجافى عنه ورده بالحجة الصادقة ، والبرهان القويم . وإذا كانت النظريات لا تزال فى طريق البحث فدأب الإسلام ألا يجحم إلى تصديقها أو تكذيبها . والقانون العام للإسلام فى هذا تأييد سنن الله الكونية ، وكثير منها لم يصل إليه الإنسان . وقد أشعرنا القرآن الكريم بهذا العجز فقال :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] .

وقال :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وقد أيد العلم هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن ، فكان ذلك آية من آيات الله في تصديق القرآن الحكيم ، وبيانا لعظمته العلمية .

اتسعت دائرة البحث الروحي ، وتدرجت مدارج مختلفة حتى أصبح الشغل الشاغل لكثير من الجمعيات التي تضم بين جنباتها أساطين العلم وعطارفة العلماء في القارتين الأوربية والأمريكية ، وذعر الماديون من شبح هذه البحوث لأنها ستقضي على ما في أيديهم من مزاعم كاذبة ، وآمن كثير منهم بأن وراء عالم المادة عالما آخر ، ووقف بعضهم في سفح الحيرة والتردد رغم مشاهداتهم لتجارب العلماء الواقعية ، وقد قام بها فريق كانوا يدينون بالمادية ، ولهم مقام ممتاز في المعارف ، ودفعهم إلى البحث في هذه الفنون إنكارهم الشديد على المشتغلين بها ، وتصريحهم بأن كل ما وصل إليه الروحيون نتيجة غش أو وهم أو تأثير عصبي ، ولكنهم رأوا صوت الروحيين مرفوعا فأفزع ذلك الفزيولوجيين .. وتأهبوا لبحث هذا الموضوع بحثا دقيقا . وحسبنا أن تعلم أنه قد تألفت في الندوة جمعية كبيرة[3] (سنة ١٨٦٩ م) لفحص ما يذيعه الروحيون ، وقد كان أعضاء هذه الجمعية من مشهوري الطبيعيين أمثال الفيلسوف (جون لبوك) الإنكليزي والفريد (رسل ولاس) مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي قبل « داروين » ، وقد استمرت في بحثها عاما ونصف عام ، وكتبت تقريراً أثبتت فيه صحة هذه المشاهدات الخارقة للمادة ، واقتنعوا بها تمام الاقتناع .

فهل تقبل روح الإسلام هذه المباحث إذا قامت الحجة على صدقها عند المسلم المفكر ؟

اتفقت كلمة الأنبياء عليهم السلام ، والحكماء إلا شرذمة الماديين ، على وجود الروح الإنساني ، غير أن حقيقة الروح ظلت لغزا عسرا على الفكر حله ، ومن ثمّ اختلفت أقوال الفلاسفة والعلماء فيها حتى نيفت على المائة قول ، وترجع في جملتها إلى قولين :

(**الأول**) تجردها عن المادة ، واتصالها بالبدن اتصال تدبير وتصرف لا اتصال حلول واتحاد ، وهو قول « أرسطو » من القدماء وحجة الإسلام الغزالي ، والإمام فخر الدين الرازي ، والراغب الأصفهاني ، وجمهور الصوفية من الإسلاميين .

(**الثاني**) عدم تجردها من المادة ، وهؤلاء اختلفت كلمتهم في تحديدها ، فقال « سقراط » : إنها جسم حال في هذا الهيكل حلول الدهن في السمسم ، وماء الورد في الورد . وقال تلميذه « أفلاطون » : هي حياة غير قابلة للفناء محصورة في سجن فان هو الجسد . وبقول سقراط قال إمام الحرمين وجمهور المتكلمين من المسلمين .

والقرآن الكريم ردد ذكر الروح كثيرا ، وأصرح نص ورد فيه عن الروح الإنساني قول الله تعالى : :

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .
(٢) سورة النحل .
(٣) دائرة المعارف للقرن العشرين .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾(٤)

قال الغزالى : وفى الآية جواب مقنع كاف لمن علم « الأمر » على ما هو عليه ، وذلك حيث جعل الروح من عالم « الأمر » .
وقال فى آية أخرى :

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾(٥) .

فجعل الخلق غير الأمر ، والخلق هو التقدير ، ويكون فى الأشباح الظاهرة التى تقع عليها المساحة والتقدير ، وهى الأجسام وعوارضها . وعالم الأمر هو عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والجهة والمكان والتحيز ، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير ، لانتفاء الكمية عنه :

الروح الإنسانى على أى معنى فهمته له آثار ظاهرة وخواص عجيبة ، فهو مرآة لجميع المعارف الكلية بذاته والجزئية بواسطة الحواس ، وله فى الأشياء تأثير يجعلها تنفعل أمامه ، سواء كان المتأثر به من جنسه أو من غير جنسه كالأجسام ، ويختلف التأثير قوة وضعفا تبعا لجوهر الروح فى أصل وجودها ، فإذا كانت الروح قوية كان لها تأثير ظاهر فى الأرواح التى هى أضعف منها ، وهذا التأثير قد يكون بمساعدة بعض الحواس وأقربها إلى الروح « البصر » لأنه ألطف الحواس ، ونتيجة هذا الأثر لها مظاهر متعددة ، منها ما سماه الشرع « العين » ، ومنها ما سماه « الحسد » ، وقد يكون منها ما يسمى علميا « التنويم » . وقد يكون التأثير بلا مساعدة شىء من الحواس ، ولا مقابلة لبعض الأجسام ؛ بل بتوجه الروح مباشرة إلى روح أخرى . وقد أشير إلى النوع الأول فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾(٦) .

ولكنه فقد شرط المنفعل ، لأن المخاطب فى الآية الروح الأعظم ﷺ ، ولو اجتمع الإنس والجن على أن يؤثروا فى روحه الكريمة ما قدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ويذكر بعض المفسرين أن بنى أسد اشتهروا بالعين ، فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام ، فلا يمر به أحد فيقول فيه : لم أر كاليوم مثله ، إلا عانه .

وروى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين » .

قال القسطلانى : وقد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص فى الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فيرى فى وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ، وكثير من الناس من يسقم بمجرد النظر إليه ، وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى فى الأرواح من التأثيرات ، ولشدة ارتباطها بالعين ، وليست هى المؤثرة ، وإنما التأثير للروح ،

(٤) سورة الإسراء آية ٨٥ .
(٥) سورة الأعراف آية ٥٤ .
(٦) سورة القلم آية ٥١ .

والأرواح مختلفة فى طبائعها وكيفياتها وخواصها ، فمنها ما يؤثر فى البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال ، ومنها ما يكون بتوجه الروح .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى : أن عامر بن ربيعة نظر إلى سهل بن حنيف فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، أى صرع وسقط على الأرض .

وفى قوله تعالى :

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾(٧) .

تلميح إلى النوع الثانى ، لأن الحاسد إنما يؤثر فى المحسود بتوجه روحه إلى المحسود دون مقابلة واتصال ، وكلما كانت الروح قوية كان تأثيرها أشد كما قدمنا ، وربما وصل إلى جذب بعض النفوس المفارقة .

قال الإمام فخر الدين الرازى : « النفوس إذا فارقت الأبدان قد يكون فيها ما يكون شديد المشابهة لهذه النفوس المرتاضة فى قوتها وتأثيراتها ، فإذا صارت هذه النفوس صافية انجذب إليها ما يشابهها من النفوس المفارقة ، ويحصل لتلك النفوس نوع ما من التعلق بهذا البدن ، والنفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة من الأرواح السماوية والنفوس الفلكية ، فتقوى بأنوار تلك الأرواح على أمور خارقة غريبة » . وقال أيضا : « النفس إذا كانت مستعلية على البدن كانت قوية التأثير فى مواد هذا العالم ، فإذا أراد إنسان إلجاء النفس الضعيفة بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها إلى بدن آخر ألزمها الرياضة فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية » .

إذا تأمل الباحث فى النصوص المتقدمة كلها أخذه العجب كل مأخذ ، لأنها تكشف الغطاء عن آثار الروح وجلالها ، وتظهر مرونة الإسلام ، وعناية علماء الإسلام بالبحث فى أغوص مسألة شغلت فلاسفة العالم ودخلت فى طور جديد .

وقد اتسعت عقول المسلمين لأكثر من هذا مما يدخل فى غور الفلسفة الروحية ، فقد روى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال فى بعض أحواله : « انسلخت من جسدى فرأيت من أنا » .

فلو أن جماعة من رجالات العلم فى معاهد الإسلام وأمصاره أقدموا على درس المباحث النفسية الحديثة والتنويم من الوجهة العلمية لوجدوا من دينهم وسيرة سلفهم نصيرا ؛ ولأدركوا فائدة جليلة لهذه الدراسة . قال أحد الباحثين من علماء الغرب : « التنويم المغناطيسى يثبت وجود الروح وخلودها ، ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة بأخرى مكتسية بالمادة » . وقال : العلامة باركس الجيولوجى الإنجليزى : « إنا لندرس الآن من استحضار الأرواح ما كان قبل ألفى عام الشغل الشاغل للفلاسفة » .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(٨) .

---

(٧) سورة الفلق آية ٥ .

(٨) سورة ق آية ٣٧ .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

ذلك القرآن

للشاعر
محمد عبد الرحمن
صان الدين

جوهر القرآن علم   عن عيون الفكر يخفى
نبعه الفياض عذب   من طهور المزن أصفى
جل عما يرتجيه العقل منظوما وحرفا
كُنهه الكونيُّ أسمى   عن مدى الإدراك وصفا
إنما الأقدار تعطي   كل عصر منه كشفا

كل يوم تبهر الألباب بما فيه آية
والزمان العدل يُغلي فوق صرح الحق راية
حين ولى الناس عنه في دياجير العماية
يقطعون العيش في الدنيا بلا قصد ، وغاية
غير قصف ، ومجون تحت سلطان الغواية

* * *

معجزات باهرات تتجلى كل حين
من ثناياه فترجى للورى حق اليقين
فيراه النابه اليقظان كالصبح المبين
حين يثنو عنه قوم من سقام في العيون
وسقيم لا يرى في الليل وضاح الجبين

* * *

منذ راح العلم يجلو بعض أسرار الطبيعة
واستبانت لانطلاق الفكر آفاق وسيعة
قد تجلت من كتاب الله آيات بديعة
عن عيون الفكر كانت خلف أستار منيعة
هل يرى الإنسان أن الله قد جلى صنيعة ؟

* * *

إن يكن هذا عجيب بالذي أملاه أعجب
كيف يدري ذلك الأمي مكنونا تحجب
عن ذوي الألباب ، والكهان ، والعلم المخصب
كيف ألقاه على أسماع أقوام تنهب
عقمه في العقل أمر منه قرص الشمس أقرب

* * *

إنما القرآن وحي جاء من رب الجلالة
فيه رشد ، فيه علم فيه محو للجهالة
كي يبعث الناس طرا من تباريح الضلالة
ما ابن عبدالله إلا مرسل أدى الرسالة
من تلقاها بوعي أصلح الديان باله

إنـــــه للنـــاس دستـــور يَقِـــي شر العِثـــار
إنـــــــه في الأرض بحر ساكـــن نائي القـــرار
فيـــه للصيـــاد دُرٌّ ليس من در البحـــار
إنـــــه أسرار هذا الكـــون في جوف المحار
حينما تبـــدو فإن العقـــل يحيـــا في انبهار

* * *

إنـــــه روض بهيج من ريـــاض الزهـــر أنضرْ
ينفـــح المرتـــاد رَوْحـــا من عبير المسك أعطـــر
إن أدمت الفكـــر فيـــه مكثراً أعطـــاك أكثر
كل حرف فيـــه كنـــز من يواقـــيت وجوهـــر
ليت تاليـــه بعقـــل مستنير فيـــه فكـــرْ

* * *

من وَعْـــي القـــرآن أمسى حاويـــاً سرَّ الوجـــود
كل شيء فيـــه يبـــدو من قريب أو بعيـــد
إنـــــه المصبـــاح للإنسان في كل العهـــود
ما لدى الألبـــاب بعـــد الوحـــي شيء من مزيـــد
غـــير إبْصـــار لما في الآيِ مـــن دُرّ فريـــد

قارىء القـــرآن صبحـــاً قبـــل أن يمســي ، وليـــلا
يرتقـــي عن سائـــر الإنسان إحساساً ، وعقـــلا
كلمـــا أنعـــمت فيـــه الفكـــر في وعـــي تجلَّـــى
كان كالمنشـــور يعطـــي كل حـــالٍ منـــه شكـــلا
مشكـــلاتُ العـــيش تلقـــى دون جهـــد فيـــه حلا

* * *

ليس للأمـــوات يتلى في دهاليـــز القبـــور
لا ولا في مأتم فخـــم لتطـــريب الحضور
لا ولا تعويـــذ طفـــل من أذى جنٍّ مغير

إنما القرآن للأحياء ضبط للضمير
كي يعيشوا في أمان من مغبات الشرور

***

قدّسَ القرآن حقا مَنْ بما فيه تخلَّق
لا يظنُّ بين حرز محكم الأقفال مُغلق
أو غلاف من حرير بِنُضار قد تنمَّق
أو يمين في تقاض أو كسول منه يُرزق
إنه المنهاج ، والأخلاق فوق الأرض أشرق

***

لست أدري ما الذي يدعو لكيد وعداء
لكتاب فيه للإنسان أسباب النجاء
غير أن الجهل يلقي في غيابات الشقاء
ليس يأبى الحقَّ إلا مبطل يحيا بداء
فاجتنب هذا وحلِّق أنت في روض السماء

***

دعك ممّا يدّعيه ناعب يهذي ببلقع
ملحد أو حاقد أو أحمق في الجهل يرتع
أو دعيٌّ يتغاضى الأجر من خصم ملفّع
إن نور الشمس من فوق السراة أصرح يسطع
منه خفاش مقيم في ظلام الزيغ يهجع

***

ليس يأتي الريب في القرآن إلا من قصور
نوره في كل آي ليس يخفى عن بصير
يلمح اليقظان ومضا باهرا بين السطور
ما نأى عنه وولّى غير مخبول الشعور
لا يرى إلا متاعا فيه وأد للضمير

***

ليس في الدنيا كتاب فيه منهاج قويمْ
غير قرآن وحاه الخالق الرب العليم

فيـــه للدنيـــا وللأخـــرى دليـــل لا تريم
فيـــه أمـــن وسلام   فيـــه عطـــر ونسيم
ليس ينـــأى عنـــه إلا   ذو فتـــون أو رجيم

* * *

إنـــه الصـــوت الـــذى يبقـــى على مَرّ الدهـــور
إنـــه المصبـــاح للإنسان فى كل الأمـــور
ويـــرد التائـــه الحيران عن سوء المصير
إنـــه الـــطب الـــذى يشفـــى تبـــاريح الصدور
إنـــه الإسلام محفـــوظ بسلطـــان القديـــر

* * *

حاول التجديـــف والتشكيـــك فى القـــرآن جاهـــل
عقلـــه من أى علـــم   مقفـــر كاليـــد قاحـــل
يدعـــى إدراك ما قد   غاب عن فهـــم الأوائـــل
ويظـــن العلـــم خلطـــا   يزدريـــه كل عاقـــل
وهـــو مخبـــول سفيـــه   أبـــدل الحق بباطـــل

* * *

إنما القـــرآن فجـــر الدهـــر قدسىُّ الضيـــاء
إنـــه الفرقـــان فى دنيـــا التجنـــى والريـــاء
إنـــه الكنـــز الـــذى جوفـــه دُرُّ السمـــاء
سوف يبقـــى غضةً فى الخلـــق عنـــد الأغبيـــاء
ومعينـــا زاخـــرا يروى عقـــول الأذكيـــاء

* * *

اجعـــل القـــرآن يا ربى ربيعـــا فى فؤادى
وثمارا يانعـــات   من جناهـــا الحلـــو زادى
واجعـــل الآيات حرزا   من أحابيـــل العـــوادى
ومنـــارا عنـــد صحـــوى   وأمانـــا فى رقـــادى
وظـــهيرى فى اجتماع   وأنيـــسى فى انفـــرادى

أشرف غاية

شعر: رشاد محمد يوسف

يا رسول الله يا أشرف غاية — جئت أستهديك أنوار الهداية
جئت والدمع شفيعي علني — أغسل الوجدان من أي غواية
جئت والجرح شفيعي آملا — أن ينال القلب من فيض العناية
جئت أستهدي بقلب راجف — يبتغي ركن أمان وحماية
يا رسول الله ضلت رحلتي — وعلى العين ضباب وعماية
عقني القلب زمانا ومضى — يرفع العصيان والغفلة راية
عقني الخطو وكم أرشدته — وهو يرتاد جموحا للنهاية
عقني فكري وطاشت أسهمي — رغم أني من أساطين الرماية
عقني الشعر وتاهت أحرفي — بين وهم وغرام وهواية
كيف فلسفت وجودي جاهلا — حكمة الخلق وأسرار الرواية ؟
وجنى العشق على القلب الذي — بات يستعذب هاتيك الجناية
يزدري ماكان من صبواته — ثم يقفو تابعا خطو الزراية
يدعي النسك صباحا تائبا — ومساء تمحي تلك الدعاية
هو في النساك شيخ زاهد — ومع الندمان يسعى بالسقاية
كالذي في البحر ألقى نفسه — وهو لا يملك للعوم دراية
يا خليل الفضل في تيه المدى — من أبي ظلك نالته الرعاية
يا رفيع الجاه تأسو لائذا — وتعين الكل من قبل الشكاية
يا رسول الله إني مسلم — من مواليك فخور بالولاية
يا شفيعي .. والمنى كل المنى — أن ينال القلبُ صفحا وهداية
جئت أستغفر ربي ضارعا — مؤمن الوجدان توحيدا وآية
أتقي الخطو وأشدو دائما — ليس غير الله للحيران غاية
وهن العظم وشاخت همتي — وأنا أحمل أنقاض البناية
يا رسول الله هل تقبلني — رغم ما قصرت في بعض الوصاية ؟
أترى تشفع لي بعد الذي — كان من عجزي ختاما وبداية ؟

يا رسول الله يا أشرف غاية

فلسطين

للإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمد الخضر حسين

هاتِ فلسطين الحديث عن الذى ... خلعت يداه على اليهود ولاء
وأعد للعرب الكرام قذيفة ... فتاكة أو طعنة نجلاء
يعطيهم عهد الحليف مداهنا ... ويسومهم سوء العذاب عداء
يسقيهم السم الزعاف فإن شكوا ... أعطاهم شهد الكلام رياء

يا من وهى الأوطان وهى أمينة ... واجتاح أطفالا بها ونساء
لا تأمن الدهر إن صروفه ... لا تقبل الذهب النضار فداء
والعرب تأبى الضيم إلا أن ترى ... خيما تسنم قبلها الجوزاء
ما وعد « بلفور » سوى الزبد الذى ... يطفو ويذهب فى الفضاء جفاء
أفبعد فتح ابن الوليد وصحبه ... للقدس وعد يستحق وفاء ؟

من مبلغ الحنفاء أمة أحمد ... نبأ يطير له الفؤاد هباء
لا تنجدوهم بالتحسر وحده ... إن التحسر لا يزيح عناء
لا تنهض الأوطان من كبواتها ... إلا على أيد تفيض سخاء
ومتى أرى قومى قد استبقوا العلا ... بسخاء كف يكشف اللأواء
أتنام عن إسعافهم والدين قد ... عقد الثلاثة بيننا وإخاء

الضرير

شعر/

البسيوني قنعان سليمان

سكن الظلام كريمتيه ، فاغتدى   كلُّ الذى يلقى أسودا !
الشمس فى عينيه تغرق فى الدجى   والصبح لا ينفكُّ ليلا سرمدا
العين تسبح فى الظلام ، وصدره   عبثَ الظلام بجانحيه وعربدا !
مات الضحى ، مات النهار ،فليلُهُ   قد غال ما صنع النهارُ وبددا
قالوا : السماء جميلةٌ ، ربَّاه ! كيف يرى السماء ، ويستعيد المشهدا ؟
والنيِّرات تلألأت بجمالها   والبدر فى كبد السماء تفردًا
والشمس أزمعتْ للمغيب نقابها   لتقول للأحباب : موعدنا غدا
والشمس هبَّتْ للشروق فبهتْ   ما كان فى ثوب الغروب تمددا
والغصن يرسم فى الغدير بهاءه   والزهر داعب خدَّه ثغرُ الندى
سبحان من زان الوجود ، فمقلةٌ   زُويتْ ، وأخرى بات يحرقها الصدى

كيف الحياةُ لمن يعيش ودونه   بابٌ على درب الرؤى قد أوصدا
عرفتْ عصاه طريقه ، وأضلَّه   طرف أقام على الطريق فما اهتدى
جنت يداه ما أتاه ، وخانه   بصرٌ تبلد حسُّه ، وتلبَّدا !!
ما أضيق الدنيا لديه ، فما رأى   منها سوى سجن الظلام ، فحدُّدا
فحدودها محدودة بحدوده   وبها يكون المنتهى ، والمبتدا !!
قد قيدته ظنونه ، وظلامُهُ   فغدا رهين الظلمتين مقيدا
إن سار لا تدرى خطاه مكانها   أو صاح : لا يدرى لمن يصل الندا
ما فوقه ؟ ما تحته ؟ ما خلفه ؟   وقد انتهى حدُّ الطريق أم ابتدا ؟
وأمامه ، ماذا يكون أمامه ؟   وصفيه يلقاه أم أَلدّ العدا ؟
أين الطريق ؟ وأين أين ذُروبه   إنى أرى حتى الطريق تمرّدا
أيدبُّ نحو الشوك أم فى حفرةٍ ؟   وإلى النجاةِ يسير ، أم خلف الردى ؟
خطر يُلِحُّ عليه ، يتبع ظلَّهُ   سيفٌ لقتل أمانه قد جُرِّدا
يا من يمنُّ على الضرير بنظرةٍ   فيرى له ما فاته أن يشهدا

يكفيك من بؤس سؤالك من يرى ... لك دربك الأعمى ويحبها يدا[1]
إن كان في ذلّ السؤال مهانةٌ ... فالذل أن تهدى الطريق فترفدا
أو كان في عجز الفتى متحقق له ... فالعجز أن يبقى سواك لك اليدا[2]
أو كان في القهر العنا ، وَعذابُهُ ... فالقهر أن تقضى حياتك مُقعدا
أو كان في وهم الفتى إيلامه ... فالوهم للأعمى قرين مذ بدا

من عاش في أسْر العمى فقد الهدى ... ما عاش عبدا للقيود ، مُعبدًا
كلا ، تُسيِّره العصا ، وتقوده ... أرأيت عقلا بالعصىّ قد اقتدى ؟
ياسيدى ، صف لى الحياة على العمى ... ضدّان كيف تجمّعا ، وتوحدا ؟
صف لى الذى فى أهله وديـاره ... قد عاش مغتربا ، وعاش مشردًا
صف لى الفراق ، وكيف يرزح تحته ... من لايعيش سوى الفراق مُؤبّدا
من فارق الأحباب وهو بدارهم ... من فارق الدنيا وفيها قد غدا !!
أتراه ينعم باللقاء ودونه ... سدّ كما شاء العمى قد مدّدا !!
صف لى الفراغ وبأسه . وصف الزمان تجمدت دقاته ، وتجمّدا !!
صف لى القبور ظلامَها وخرابَها ... إنّى أراك تعيش فيها مُفردا !!
صف لى الحياة تخلصت من نورها ... صف لى النهار من النهار تجرّدا !!
صف لى عيونا ما رأت عينا ، ولا ... شهدت على ظَهر البسيطة مَشهدا !!
صف لى نفوسا شاقها أن ترتوى ... صف لى قلوبا شفها بَلُّ الصدى !!
تتجدد الدنيا لناظر حسنها ... لتموت فى عين الكفيف ، وتخمدا
سبحان من قسم الحظوظ ، فرافل ... بين الضياء ، و(عاثر) فقد الهدى
سبحان من خلق الغصون ، فوردةٌ ... تشفى الفؤاد ، وشوكةٌ تدمى اليدا
هى حكمة الدنيا ، فمصباح بها ... يجلو الدجى ، وسواه غطّاه الصدا

عينُ الضرير ، ونفسه ، وفؤاده ... ألمٌ تقادم عهده ، وتجدّدا !!
يامن رأى بيت الدياجر مهجة الأعمى بها صار العذاب مُجمّدا !!
نفس تقسّمها الفناء ، فمقلةٌ ... ماتتْ ، وجسمٌ بالحياة تهدّدا !!

---

(١) يدا : نعمة .

(٢) اليدا : المساعدة والعون .

قُذفت بليل التائهين ، فليتها
وَلدتْ فما رأت الوجود ، كأنها
وتعيش تحلم بالخيال حياتها
وتظلُّ تستجدى الزمان هُنيهة
أوّاه !! لو كشف السّواد للحظة
وجلا سِرَاجاً كان غطّاه الصدا
رَبّاهُ ... كيف أرى الحياة ، وسِرّها
ما النور ؟ ما الألوان ؟ ما ضوء الضحى ؟
ما الفجر ... دب النور بين ضلوعه ؟
ما الورد ... رفَّ على الغصون بسحره ؟
ما الشمس ماستْ فوق عرش جمالها ؟
ما النجم في صدر السماء فلألأ ؟
أرنى الجبال الراسيات ، شموخها
أرنى البحار الطاميات تلاطمت
أرنى السماء تلبدت صفحاتها
أرنى الحياة ، وسرّها ، وجمالها
أوفي عيون ساجيات كالدجى
أو وَجْنَةٍ أُخترى الحياءُ غيها
أرنى ابتسامة طفلة لأرى الصفا
أرنى العيون ومائها ، إن العيو
دعنى أرَ الأشواق بين تخومها
دعنى أرَ القلق العميق بجوفها
وأرى الرِّضا بين الجفون مُسْطرا
رَبّاه ... إنى قد سئمت فعافنى
طُرُقُ العمى شتى ، وأقوتُها الذى
فاعاض بالقلب السليم بصيرةً
قل للذى نسى البصيرة والبرى
العين تخدع ربها[٣] ، ولعله

لا ينثنى ، وظلامها لن ينفدا !!
خلف الوجود تعيش ، أو خلف المدى
رَبّاه ... ما أقسى الخيال ، وأبعدا !!
ما ضرّ لوْ منّ الزمان وأسعدا
وأزاح عن لحظ كئيب أسودا
وأضاء مصباحاً طوته يد الردى
إنى ظمئتُ فأَوْرِدنى الموردا
ما الغصن ؟ ما الأزهار ؟ ما قطر الندى ؟
ما الأفق ... أضحى من شروق عسجدا ؟
ما الطير مال على الخميل مغردا ؟
ما الروض من وشى الزهور قد ارتدى
ما النهر بين ماس النجوم تقلّدا ؟
أقوى على الدهر العنيد وأخلدا
والموج أرغى في الفضاء وأزبدا
فغدت كوجهى بالعبوس تلبّدا
في قدّ غانية رشيق أملدا
أوفي خدود كالزهور توَرُّدا
أو بين ثغر باللآلىء نُضِّدا
ء على مُحيّا كالصفاء تجسّدا
ن تشفّ عما في النفوس قد اغتدى
لأرى سعير الشوق كيف توقدا ؟
دعنى أرى الحزن الدفين تمدّدا
والسخط في قاع النفوس تمرّدا
واغفر فإنى قد تجاوزتُ المدى
ذهب الزمان بمقلتيه وأفقدا
إن البصائر لاتضل من اهتدى
يزجى العيون لقد ضلت المقصدا
أرأيت ما أخفى السرابُ وما بدا ؟

---

(٣) صاحبها .

الشيخ الغزالى

و

الموت على المنبر

شعر :
عصام
الغزالى

أتمُّ الشوطَ بالموت المثالى   وكان البدرَ فى داجى الليالى
وقام على المنابر ، لم يدعها   إلى أن جاءهُ شدُّ الرحال
فخفَّ من احتفالٍ فى أناسٍ   وشفَّ إلى الملائكِ فى احتفال
وقال : على رسول الله صلّوا   دعانى الآن شوقاً .. أو دعا لى
فهل بين الصحابة لى مكانٌ ؟   وهل عند البقيع أرى مآلى ؟
سلامُ الله يا أهلى عليكم   فأهل الله يا أهلى حيالى
تركتُ العلمَ ، لم أترك يتامى   سوى طلاب علمى ، هم عيالى
خلتْ منك المنابرُ ، من سيرقى   ويصبح بعد شيخك فى المجال ؟!

وكان تواضعُ العلماءِ فيهِ   وكان يحفُّهُ نورُ الجلال
وكان مُوضِّحاً يمشى الهوينى   وكان موطَّأً دون ابتذال
وكان يصدُّ ما يرمى الأعادى   ولى يقول : زاد على احتمالى
وكنتُ تراهُ حين يزود عنا   غيوراً فى الفعالِ والانفعال
وكنتُ أراهُ فى حزنٍ علينا   وإشفاقٍ وعرفٍ وابتهال
وكان يعالج الإسراف فينا   فيَعتدُّ لنا ، ولكن فى اعتدال
وكان حياؤهُ سمحاً مهيباً   وكان وثوقُهُ دون اختيال
وكان يقول كلمته ويمضى   وإن غضبَ القياصرُ لا يُبالى
وكان ــ ولا يزال ــ الموت حقًّا   علينا ، والجميعُ إلى زوال
فمالى فيك أفتقد اتزانى   كأن الموتَ لم يخطر ببالى ؟!
كأنك لم تكن تموت يوماً   وتتركنا على وشك الخبال
يُدبَّرُ حولنا أمرٌ خطيرٌ   وتدفع ركبَنا ريحُ الضلال
وألمَّ فتنةٌ كادت لتردى   ويلتبس الحرامُ مع الحلال
فمن يضعُ النقاطَ على حروفٍ !   ومن يجد الجوابَ على سؤالى ؟!
رزئتُ ... فلستُ أعرف أين أبكى   إذا اجتمع الخطوبُ على نزالى
نجومُ العلمِ تأفل فى سمائى   وليلُ الكفرِ يطمعُ فى هلالى
وقاطرةُ المنيَّةِ فى انطلاقٍ   وركْبُ أئمةٍ فى توالى
فهل فى الأمرِ سرٌّ أن أتاهم   نداءُ الله فى ظرفٍ وحالى ؟
لعلك قد نجوتَ فلم تُلوَّث   هنيئاً يا (محمد يا غزالى)

من دلائل القدرة الإلهية فى بعض الظواهر البحرية

(٣)

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

البرزخ بين بحرين :

قال تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾(١).

هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الرحمن وردتا ضمن عدد كبير من الآيات الكريمة التى تعدد نعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده ، وتوضح دلائل عظمته وجلاله وقدرته التى تدل على وحدانيته وألوهيته المطلقة . وهناك آيات فى مواضع أخرى من القرآن الكريم تشير فى بعض معانيها إلى ظاهرة « البرزخ » أو « الحاجز » بين بحرين أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج .

كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾(٢).

وقوله عز من قائل :

﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الرحمن : ١٩ ـ ٢٠

(٢) سورة الفرقان : ٥٣

(٣) سورة النمل : ٦١

وكلمة « مرج » التي ورد ذكرها ـ في الآية ـ تعني الاختلاط بغير امتزاج تام . وكلمة « البحر » في اللغة العربية اسم يطلق على البحر المعروف ، يطلق ـ أيضا ـ على النهر برغم اختلاف طبيعة مياههما من حيث الكثافة ودرجة الملوحة[4] .

وهكذا نجد أن الآيات الكريمة تشير إلى قدرة الله ـ تعالى ـ في جعل مياه البحرين : العذبة والملحة لاتمتزجان لوجود برزخ أو حاجز بينهما يمنع عودة ماء النهر من البحر إلى النهر مرة أخرى بعد نزوله في منطقة المصب .

ماذا يقول العلم عن ظاهرة البرزخ بين بحرين ؟

إن الحقائق الكونية التي توصل إليها العلم الحديث يمكن أن نفيد منها في تعميق فهمنا لآيات القرآن الكريم والكشف عن المزيد من المعاني والأسرار المعجزة التي يتضمنها التعبير القرآني .

ذلك أن للقرآن الكريم أسلوبه الحكيم في الدلالة على آيات الله في الكون ، والهداية التي جاء من أجلها تقتضي ألا يخاطب الناس عن الكون بمايكرون ، أو بما يستعصى على أفهامهم ، فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته ، وحاملا على تكذيب مالم يحيطوا بعلمه .

وهي ـ أيضاً ـ تقتضي ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية في عصر نزول الوحي به ، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته في عصور التقدم العلمي والتقنى التي علم منزل القرآن أنها ستكون ، ووعد بإظهار مايشاء من آياته فيها بقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[5] .

وتجنُّب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع إعجاز أسلوبه ومن أكبر الدلائل على إنه حقا من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون .

على أن الحق والإنصاف يقتضيان ألا نتوقع من قدامى المفسرين ، أو من محدثيهم ـ الذين لم يدرسوا جانبا كافيا من العلم الكوني بعد أن ارتقى منهجه واستطاع الكشف عن حقائق كونية قطعية الثبوت ـ أن يحدثوا عن حقيقة كونية بما لم يعلموا قبل أن يهتدى إليها الناس من علم يقيني .

ولقد ساعد تقدم العلم والمخترعات الحديثة على فهم ظاهرة عدم امتزاج الماء العذب بالماء المالح عند الالتقاء الحادث بين مصبات الأنهار وشواطئ

(4) البحر : الماء الكثير ، ملحا كان أو عذبا ، سمى بذلك لعمقه واتساعه ، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب . راجع لسان العرب لابن منظور ، مادة بحر .

(5) سورة فصلت : 53

البحار ، حيث يظل نوعا الماء منفصلين لمسافات **طويلة وكأن بينهما حدا فاصلا .**

ويمكن إيجاز أهم اجتهادات العلماء لتفسير هذه الظاهرة فيما يلى :

١ ـ **تمثل الجاذبية حاجزا إلهيا** ، لأن مستوى مياه البحر هو دائما أقل مستوى فى الأرض يمكن أن تنساب نحوه الأنهار التى تنحدر عادة من مستوى أعلى عند المنبع إلى المصب . وهذا الميل الانحدارى الطبيعى يجعل انسياب الماء العذب نحو البحر أمرا حتميا ، وكأن الجاذبية حاجز طبيعى يمنع انسياب الماء فى الاتجاه المضاد ، اللهم إلا فى إطار التوازن الطبيعى القائم فى دورة تبخر الماء من البحار لإعادته إلى الأنهار (الدورة الهيدرولوجية) .

٢ ـ تنتقل الرواسب الضخمة الخشنة من الجزء الجبلى عند منبع النهر بفضل الانحدار الشديد الكافى لجعل الماء مضطربا بدرجة تؤدى إلى تحريك هذه الرواسب التى يقل حجمها تدريجيا قرب المصب حيث ينقص الاحتكاك وتزداد سرعة المياه رغم نقص الانحدار وازدياد العمق كلما اقتربنا نحو المصب . وبهذا تندفع مياه الأنهار المالحة فى البحار لاتستطيع أن تتحدى قوانين الجاذبية التى تمنعها من التدفق إلى المستوى الأعلى للأنهار . وبذلك تظل الأنهار عذبة ، وتظل البحار مالحة ، وبينهما البرزخ الناشىء أساسا عن الجاذبية ، مع ملاحظة أن تبخير مياه البحر بواسطة الشمس فى الدورة «الهيدرولوجية» يحافظ دائما على ثبوت درجة الملوحة لمياه البحار (تقريبا) بسبب الانتقال اللانهائى المستمر لبخار الماء بين البحر والهواء واليابسة[٦] .

٣ ـ تنشأ قوة التوتر أو الشد السطحى بين البحرين العذب والمالح من اختلاف التجاذب بين جزئيات الماء العذب والماء والمالح لاختلاف كثافتيهما ، ويبدو لنا بوضوح الحد الفاصل كحاجزا أو برزخ بينهما ، حيث يتكون لكل سائل قوة تعمل عمل غشاء مطاطى يحافظ على توازنه وثباته ويمنع خروجه عن مجاله .

٤ ـ تشير الدراسات الحديثة فى علوم البحار إلى أن منحدر الكثافة فى أى وسط مائى يمثل « حاجزا » أمام عملية مزج المياه التى تعلوه بالمياه التى توجد تحته . وتبدو علاقة هذا بالجاذبية

---

(٦) تدل الدراسات العلمية على أن ملوحة البحر لم تتغير منذ قرابة ٢٠٠ مليون سنة مضت إلا بنسبة ضئيلة جدا . راجع فى ذلك :
د. منصور حسب النبى ، القرآن الكريم والعلم الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١ .

ـ د. محمد فتحى عوض الله ، الماء الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ .

الأرضية علاقة مستقرة أيضا ، لأن طاقة هائلة لابد من بذلها لتحريك كتلة مائية من الأعلى إلى الأسفل أو بالعكس . وقد ثبت أن هذا « الحاجز » المستقر موجود فعلا بين طبقات المياه التي تتباين صفاتها الطبيعية والكيميائية كلما ازدادت في العمق . وتختلف هذه الطبقات في درجات حرارتها ونسب الأملاح الذائبة فيها ، وكل هذا من أسباب اختلاف خواصها الفيزيائية والكيميائية . ويستمر هذا الحاجز أو « البرزخ » يفصل بين هذه الطبقات المختلفة من المياه رأسيا وأفقيا ، ويتم هذا بوجود مياه ذات صفات وسطية تفصل بين كل نوعين متجاورين في البحر الواحد دون أن تسمح لها بالامتزاج التام .

خصائص منطقة الحاجز :

يتوقف شكل (منطقة الحاجز) على كمية وسرعة الماء المتدفق في حيز المصب ، فإذا زادت كمية الماء وارتفعت سرعته بَعُدَ الحاجز عن منطقة المصب ، وأصبح شكله دائريا . أما إذا قلت كمية الماء وانخفضت سرعته ، فإن الحاجز يقترب من منطقة المصب وقل انحناء سطحه . وفي جميع الأحوال تقل عذوبة ماء النهر المتدفق عند مصبه في البحر في النهاية . ويحدث العكس تماما في حالة تدفق ماء الخليج (الأكثر كثافة وملوحة) في ماء البحر أو المحيط (الأقل ملوحة) .

من ناحية أخرى ، لوحظ أن تيار الماء المتدفق من مصب النهر في البحر ، أو من فتحة الخليج مع البحر أو المحيط ، يزيح الصخور التي تعترض طريقه ، ويقذف بها بعيدا عن منطقة المصب والاختلاط ، وبذلك تكون منطقة المصب ذات خصائص مختلفة عن غيرها من المناطق ، سواء في لون الماء ، أو نوع الكائنات الحية التي تنمو فيها (كالطحالب والنباتات المائية مثلا) ، فهي - أي منطقة المصب ، حجر على صاحبها ، محجورة على ما بخارجها .

ومن أمثلة هذه الظاهرة البحرية عيون الماء العذب التي تفيض قرب (البحرين وقطر) داخل مياه الخليج العربي المالحة ، ونهر النيل الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط ، ومياه نهر الأمزون الذي يصب في المحيط الأطلنطي . وكذلك يوجد هذا « البرزخ » عند ملتقى نهر الكنج والجامونا في مدينة « الله أباد » .

إنها آيات ناطقة بقدرة الإله الواحد الذي وسع كل شيء علما ..

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(٧) صدق الله العظيم

وهكذا نجد التكامل مفيدا بين أهل اللغة والتفسير والعلم في فهم معاني الآيات الكونية الكريمة ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾(٨)

---

(٧) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥

(٨) سورة النساء : ٨٢

فضل المسلمين في تقدم الجيومورولوجيا

بقلم: حسنى عبد الحافظ

« الجيومورولوجيا » هو العلم الذى يهم بدراسة شكل الأرض وتضاريسها»[1] .. ويزعم فئة من مؤرخى الغرب ، أن هذا العلم من العلوم الحديثة التى لا جذور لها فى تاريخ الحضارات السابقة ، ونسبوا كل مبادئه وأسس هذا العلم إلى مواطنيهم ، ونسوا ـ أو بالأحرى أو تناسوا فضل المسلمين فى تقدمه .

وفى عجالتنا هذه .. سوف نركز الحديث عن (ظواهر جيومورولوجية) ، أشبعها أجدادنا العلماء بحثا ودراسة ، وتوصلوا إلى نتائج مبهرة ، لا تختلف عما هو متعارف عليه الآن .

« تصنيف الصخور »

من الظواهر التضاريسية التى يدين العلم الحديث للمسلمين فى تفسيرها .. ظاهرة تنوع الصخور ، وتباين أشكالها وأحجامها .. وقد قاموا بدراستها دراسة وافية ، اعتمدوا فيها على المشاهدة والتجريب .. وكانوا ـ بحق ـ أول من فسر نشأة الصخور وتكوينها .. وتصنيفها بطريقة علمية

(١) عبدالله الفالش : الجيولوجيا عند العرب ـ ص ١٨ ـ دائرة الشئون الثقافية العامة ـ بغداد ١٩٨٦م .

صحيحة ، وقد جاء تقسيمهم للصخور على النحو التالي :

« صخور نارية ، وهي ما يطلق عليها الآن اسم الصخور الحديدية النيزكية MEORITES ، وقد قال عنها أحد أجدادنا العلماء : « تتكون أنواع من الحجارة من النار إذا أطفئت : وكثيرا ما يحدث في الصواعق أجسام حديدية وحجرية بسبب ما يعرض للنارية أن تطفأ فتصير باردة يابسة » .

« صخور رسوبية ، وهي ما يطلق عليها الآن اسم الصخور الفتتية ـ DET RITAL OR CLASTIC ـ وقد أسهب الأصطخرى في حديثه عنها ، كذلك ابن سينا الذى قال عنها : « وقد شاهدنا في طفولتنا في مواضع كان فيها الطين وذلك شط جيحون ، ثم شاهدناه وقد تحجر تحجراً رخواً ، والمدة قريبة من ثلاث وعشرين سنة » .

« الصخور التي من أصل الماء ، وهي ما تعرف في الوقت الحاضر باسم الصخور الكيميائية CHEMICALROCKS أو التبخرية EVABOAITES .. ويقول ابن سينا عن هذا النوع من الصخور : « يتكون من الماء السيال على وجهين :

أحدهما : أن يجمد الماء كما يقطر أو كما يسيل برمته .

والثاني : ما يرسب منه من سيلانه شيء يلزم وجه سيله ويتحجر .. وقد شوهدت مياه تسيل فما يقطر منها على موضع معلوم ينعقد وينحجر أو يتحول إلى حصى مختلفة الألوان »

ومن الظواهر التي درسها العلماء المسلمين ، والمتعلقة بنشأة الصخور وتكونها .. ظاهرة التتابع الطبقي الصخري STRAIGRABHIC SEQUENCE ، التي لم يعرفها العرب إلا في القرن الثامن عشر الميلادى .. وظاهرة التعرية التفاضلية DIFFERENTIAL EROSIN ، وكان ابن سينا أول من وضع نظرية صحيحة عنها عند حديثه حول العلاقة بين التعرية وخواص الصخور .. وظاهرة تسهب المرتفعات BENEBLANATION[٢] .

وقد سبق إخوان الصفا العالم الأمريكي (ديفز) بأكثر من خمسمائة سنة ، فيما يتعلق بالتفسير الصحيح لظواهر :

- التسطح التحاتي (التسهب الأرضي) .
- التجوية .
- التحات .
- النقل .

« الجبال .. ونشأتها »

يرجع الفضل للعلامة الموسوعي ، ابن سينا ، في كونه أول من فسر ـ بشكل صحيح ـ طبيعة الجبال وتكونها وتباين ارتفاعاتها .. وقد أقر أكثر من مؤرخ وباحثة أورق أن ابن سينا سبق مواطنيهم إلى ذلك ، فهذا أحدهم يقدّم اعترافه بقوله : « إنك تجد

---

(٢) حسنى عبدالحافظ (كاتب الدراسة) : الجيومورولوجيا عند العرب (مجلة العلم ـ عدد ١٨٢ ـ نوفمبر ١٩٩١م ـ ص ٤٢ ـ تصدر عن أكاديمية البحث العلمي بالقاهرة) .

فى رسالة ابن سينا عن الحجارة فصلا عن منشأ الجبال لا يبتعد فيه عما يدرس اليوم»[3]

ومفاد نظرية ابن سينا : أن الجبال تتكون عن سببين .. إما نتيجة :

ارتفاع ملحوظ فى قشرة الأرض بفعل أحد الزلازل (ويعرف هذا السبب فى الوقت الحاضر باسم العمليات الداخلية ENDOGENIC - PROCESSES) .

وأما نتيجة عمل الماء بشق طريق جديد بحفر أودية، ويحدث جبالا، وذلك أنك تجد صخورا لينة، وصخورا ذات صلابة، فيذهب الماء والريح النسافة بالصخور اللينة، وتبقى الصخور ذات الصلابة، وهكذا يحدث أكثر الارتفاعات الجبلية (هذا السبب يُعرف الآن باسم العمليات الخارجية EXOGENIC PROCESSES) .

ويؤكد ابن سينا، أنه لكى تنشأ الجبال لابد من انقضاء أزمنة طويلة لحدوث جميع التحولات، ودليله لإثبات صحة نظريته هذه، هو : «أن الذى يدل على أن الماء سبب أساسى لذلك هو : وجود حيوانات مائية وغيرها على كثير من الصخور، ولا تصدر المادة الترابية والصفراء التى تستر وجه الجبال عما يصدر عنه هيكل الجبل، بل من الخلال بقايا الأعشاب والوحل الذى يأتى به الماء، ومن المتحمل تأتى من وحل البحر القديم الذى كان يغطى جميع الأرض فيما مضى» .

ويعلّق المؤرخ الفرنسى د. غوستاف لوبون، على نظرية ابن سينا، فيقول : «لقد أبصر أن تحولات الكرة الأرضية لم تنشأ عن الطوفانات الكبيرة، كما اعتقد (كوفيه) ، وإنما هى نتيجة تطورات بطيئة تمت بتعاقب القرون، وهذا ما أثبته علم الأرض الحديث»[4]، ويضيف المؤرخ مايرهوف : «نحن مدينون لابن سينا برسالته فى تكون الجبال والمعادن»[5].

* القارات الزاحفة *

وثمة نظرية مهمة، وضعها عمر الخيام، وأسماها (تراجع البحار) .. قال عنها المؤرخ فون هوف : «مؤداها، أن وجود الينابيع المالحة والسباخات فى قلب آسيا قد أوحى إلى ذهنه بأن البحر كان يغمر تلك الأماكن فى غابر الزمان، فتوفر على مقارنة خرائط عصره لتلك الأماكن بخرائط الفلكيين من الفرس والهنود القدماء، والتى رسمت للمناطق نفسها من ألفى سنة من زمن عمر الخيام، فأقنعته هذه المقارنة بثبوت نظريته»[6].

(٣) د. غوستاف لوبون : حضارة العرب ـــ ترجمة عادل زعيتر ـــ ص ٤٨٥ ـــ مطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة ١٩٦٩م.

(٤) المصدر السابق ـــ ص ٤٨٦ .

(٥) مايرهوف : تراث الإسلام ـــ إشراف أرنولد توماس ـــ ص ١٩٥ .

(٦) عن : عدنان النقاش ـــ سابق ـــ ص ٧ .

(٧) د. منعم مقلح الراوى : أسس الجيولوجيا فى (المعادن والآثار العلوية) لابن سينا (دراسة منشورة بمجلة معهد المخطوطات العربية) ـــ ج ٢ ـــ مج٢٨ ـــ ص ٥٥٥ ـــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـــ شوال/ربيع أول ١٤٠٥هـ .

وكان ابن سينا أول من درس ظاهرة تكوّن الأحافير FOSSILS[7]، وأهميتها في دراسة تاريخ الأرض، وعلـــل ظاهـــرة التحفـــر FOSSILIZATION[8]: «إن كل ما يحكى عن تحجر حيوانات ونباتات صحيح، والسبب فيه شدة قوة معدنية محجرة تحدث في بعض البقاع الحجرية، أو تنفصل دفعة من الأرض في الزلازل والخسوف، فتحجر ما تلقاه، فإن استحالة الأجسام النباتية والحيوانية إلى الحجرية أبعد من استحالة المياه، وليس من الممتنع في المركبات أن تغلب عليها قوة عنصر واحد تستحيل إليه، لأن كل واحد من العناصر التي فيها مما ليس من جنس ذلك العنصر، ولهذا تستحيل الأجسام الواقعة في الحريق إلى النار».

كما أدرك ابن سينا «حقيقة تأثير المحاليل المحملة بالمعادن الذائبة، وكيفيــة ترسيب ماتها من معادن.. أو ما نسميه الآن بالحمولة الذائبة»[9].

وكان أبوعثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني، الملقب بـ (الجاحظ) قد أشار إلى ظاهرة تغيير القارات أو الانجراف القاري CONTONTAL DRIFTING **وقد أسهب كل من: أبي الريحان البيروني والمسعودي في حديثهما عن هذه الظاهرة الجيومورلوجية الهامة[10].**

• أبحاث مهمة في شكل الأرض

وللعلماء المسلمين دراسات وأبحاث قيمة فيما يتعلق بطبيعة كوكبنا الأرضي والشكل العام له.. فقد كانوا أول من عرف أن الأرض كرة، وأن هذه الكرة لم تأخذ شكل الاستدارة الكامل، فانظروا إلى قول الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد: «.. الأرض في ذاتها مستديرة، ولكنها غير صادقة الاستدارة»، وكان المسلمون يدركون أن الأرض ليست ثابتة، وإنما تدور بصورة دائمة ومنتظمة[11].. ويبدو أن ما ذهبوا إليه حول كروية الأرض ودورانها، لم يعجب رجال الكنيسة في أوربا، فقد هاجموا ــ بشدة إلى حد الضرب والتعذيب والسجن ــ كل من يؤيد أفكار المسلمين من مواطنيهم الذين اطلعوا على مؤلفات علمائنا المترجمة الى اللغة اللاتينية منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادى فصاعدا.. فهذا هو معلم الكنيسة لاكتانتيوس LA CTANTIUS، أنظروا ماذا يقول بلفظه؟!

«هل هذا معقول..؟! أيعقل أن يجن الناس إلى هذا الحد، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم»[12].

---

(8) المصدر السابق ــ ص ٥٥٥.

(9) عدنان النقاش ــ مصدر سابق ــ ص ٦٥.

(10) حسنى عبدالحافظ ــ سابق ــ ص ٤٣.

(11) حسنى عبدالحافظ ــ الجيولوجيا عند العرب (مجلة الفيصل ــ ع ٧ ــ س ١٥ ــ ص ٢٢ ــ أكتوبر ١٩٨٥م ــ تصدر في المملكة العربية السعودية).

(12) د. زيغريد هونكة: أثر الحضارة العربية في أوربا ــ نقله عن الألمانية/فاروق بيضون، وكمال دسوقى ــ راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخورى ــ ص ٣٧٠ ــ منشورات دار الآفاق الجديدة ــ طبعة سادسة ــ بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

وقد عرف المسلمون نظرية مهمة أطلقوا عليها اسم (الأرجحان)، مفادهـــا: «أن الأرض تتأرجح تارة من الجنوب إلى الشمال وتارة بالعكس»، وقد أثبت علماء العصر الحديث بما أوتوا من تقنيات صحة النظرية الإسلامية، حيث ثمة أدلة على أن قطبي الأرض كانا خاليين من الجليد وكانا دافئين وقتا ما، وهناك آثار لنباتات المناطق الحارة في القطب الجنوبي.

وكان إخوان الصفا أول من أشار إلى ظاهرة التفلطح في شكل الأرض، وذلك عند حديثهم عن أثر الشمس على كوكبنا، ومما قالوه: «.. وإنما تجذبها إلى حيث دارت معها، وكيف مالت، وكان يجب أن يرتفع القطبـــان تارة وينخفضا تارة»، ويعلق عدنان النقاش على ذلك بقوله: «ثبت حديثا أن هناك ارتفاعا بمقدار خمسين ميلا عند القطب الشمالي يقابله انخفاض بالمقدار نفسه عند القطب الجنوبي»[١٣].

«بين اليابسة .. والماء»

وقد أشار نفر من علمائنا المسلمين إلى أن ثمة علاقة وثيقة بين اليابسة والماء، وأنه بسبب هذه العلاقة نشأ العديد من الظواهر الجيومورفولوجية، التي من أهمها ظاهرة وجود الصخور ذات النشأة البحرية بعيدا عن سواحل البحار، مما قاله ابن سينا عن هذه الظاهرة:

«فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الأيام، غير معمورة، بل مغمورة بالبحار فتحجرت.. أما بعد الانكشاف قليلا قليلا في مدد لا تفي التأريخات بحفظ أطرافها، وإما تحت المياه، لشدة الحرارة المحتقنة تحت البحر، والأولى أن يكون بعد الانكشاف، وأن تكون طينتها تعينها على التحجر، إذ تكون طينتها لزجة، وهذا ما يوجد في كثير من الأحجار إذا كسرت أجزاء الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها، وكثرة ما فيها من الحجر لكثرت ما يشتمل عليه البحر من الطين، ثم ينكشف عنه، وارتفاعها لما حفرته السيول والرياح فيما بينها».

وفي كتابه الموسوم (تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن) أشار البيروني إلى نفس هذه الظاهرة أيضا، وبين بإسهاب أسباب حدوثها بما لا يختلف ألبتة مع ما جاء به العلم الحديث[١٤].

ويرجع الفضل للعلماء المسلمين في أنهم.. أول من فسر ظاهـــــرة (عدم التوافـــــق UNCONFORMITY)[١٥] ومما قالـــوه عن هذه الظاهرة: يجوز أن ينكشف البر عن البحر، وكل بعد طبقه، وقد يسرى بعض الجبال كأنه منضود سافا* سافا، فيشبه أن يكون ذلك قد كانت طينتها في وقت ما كذلك سافا سافا، بأن كل ساف

---

(١٣) عدنان النقاش: سابق ــ ص ١٠٣.

(١٤) د. حمودي عدنان: تطور الفكر الجيومورولوجي في العصر الإسلامي الوسيط (القرن الخامس الهجري وما بعده) دراسة منشورة بمجلة رسالة الخليج العربي ــ عدد ١٨ ــ سنة ٦ ــ ص ١٥٤ ــ تصدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج ــ الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.

(١٥) د. منعم مفلح الراوي: سابق ــ ص ٥٦٢.

ارتكم أولا، ثم حدث ــ بعد مدة أخرى ــ ساف آخر فارتكم، وكان قد سال على كل ساف جسم من خلاف جوهره، فصار حائلا بينه وبين الساف الآخر، فلما تحجرت المادة عرض للحائل أن انشق وانتثر ما بين السافين، وأن حائلا بين أرض البحر قد تكون طينته رسوبية، وقد تكون طينته قديمة وليست رسوبية.

ويؤكد المسعودى.. أن ثمة علاقة متغيرة بين اليابسة والماء، ومما قاله بلفظه: «يستحيل موضع البحر، وموضع البر فليس البر أبداً براً، ولا موضع البحر أبداً بحرا، بل قد يكون برًا حين كان مرة بحرا، ويكون بحرا حين كان مرة براً»

• الأنهار .. والمياه الجوفية •

وإذا كان الغربيون ينسبون إلى مواطنيهم نظرية تكون الأنهار، ومنابعها، ومصابها، فإن حقائق تاريخ الحضارة تثبت، وبأحرف من نور، أن عالمنا الفذ (المسعودى) كان له السبق فى هذا الشأن.

وقد سبق ابن سينا، عالم فرنسا (جيتارد)، بأكثر من ستمائة سنة، فى تفسير ظاهرة (الرسوب فى الوديان.. والتوسع التدريجى لمجارى الأنهار)[(١٦)].

أما البيرونى .. فقد كان أول من تحدث بشكل علمى صحيح عن ظاهرة تفتت الصخور، وانتقالها من مكان لآخر.. وكذا ترسبها، وانخفاضها.. ويقول د. حمودى عدنان: «إن العلاقة التى حددها البيرونى بين سرعة المجرى المائى وقطر الجزيئات المنقولة تتخذ طابع القانون العام، والذى يمكن أن نطلق عليه اسم (قانون الفرز الميكانيكى للرواسب)[(١٧)].

وقد أدرك القزوينى العلاقة بين الأنهار والمياه الجوفية، فقال: «إذا وقعت الأمطار والثلوج على الجبال تنصب الأمطار إلى المغاور وتذوب الثلوج، وتفيض إلى الأهوية التى فى الجبال فتبقى مخزونة فيها، وتمتلىء الأوشال[(*)] فى الشتاء، فإذا كان فى أسافل الجبال منافذ ضيقة تخرج تلك المياه من الأوشال فى تلك المنافذ فيحصل منها جداول.. وتجتمع بعض الجداول إلى بعض فيحصل منها أودية وأنهار»

---

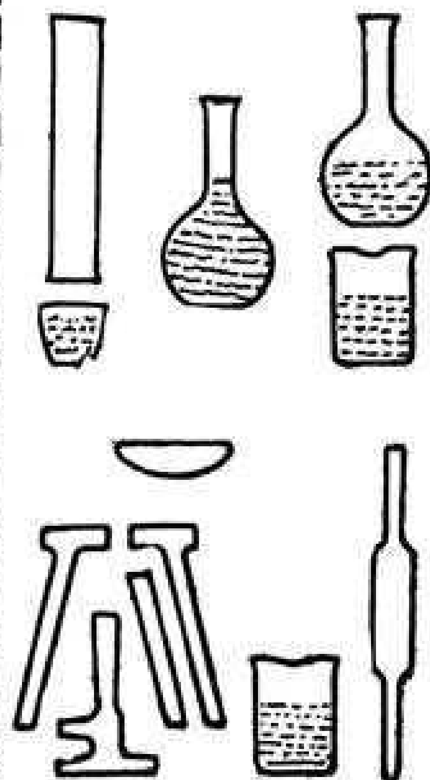
(١٦) حسنى عبدالحافظ: الجيومورولوجيا عند العرب ــ سابق ٤٢.

(١٧) د. حمودى عدنان: سابق ــ ص ١٥١ ــ ١٥٢.
(*) الأوشال: مجارى هذه المياه.

«ويخلق ما لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ مجدى السيد أحمد(*)



جهاز لاختبار المعدات الإلكترونية

أنتجت شركة بريطانية للإلكترونيات جهازاً حديثاً لاختبار (الاهتزازات عالية التكنولوجيا) ويستخدم فى فحص المعدات الإلكترونية المتطورة التى تهتز بعنف لاكتشاف العيوب وتصحيحها ، وتعتبر هذه الاهتزازات هى العدو الخفى الذى يمكن أن يتسبب فى مشاكل خطيرة فى عدد من الصناعات مثل : صناعة الطائرات والسيارات والأجهزة الكهربائية . وقد تم استخدام هذا الجهاز فى اختبار ماسحات الرادار الضخمة التى تستخدم فى برامج الفضاء الجوى الدولى .

اكتشاف سحب من بخار الماء فى الفضاء الخارجى

أعلن علماء الفلك فى معهد « ماكس بلانك » بألمانيا أن التلسكوب الفضائى الأوروبى صور ـ لأول مرة ـ وجود غاز ثانى أكسيد الكربون المتجمد حول مجموعة من الأجرام الفضائية فى مجرة « درب التبانة » ، كما يبث عمليات الرصد

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

وجود سحب واسعة من بخار الماء الساخن فى التكوينات الغازية الساخنة وهو الكشف الذى وصف بأنه مثير جدا وجديد تماما ، وقد رصد العلماء من قبل وجود الماء فى مثل هذه التكوينات ، إلا أنه لم يكن فى شكل بخار ماء ساخن ، ولم يكن شائعا بمثل هذه الدرجة .

جهاز جديد لإنتاج الزجاجات البلاستيكية

أنتجت شركة فرنسية جهازاً جديداً لإنتاج الزجاجات البلاستيكية المشكلة مسبقاً ، وهو يعمل بالنفخ بأسلوب آلى تماماً ، ويتم عمل الجهاز على عدة مراحل حيث يقوم بتسخين الزجاجات ، ثم مطها ، ثم نفخها داخل قالب ، ويتميز الجهاز الجديد بتحسين جودة (المط) للزجاجات وآلية تغيير الأشكال وسهولة استخدامه وقلة نفقات تشغيله .

بحث علمى يدحض نظرية تطور الإنسان

تحدى العلماء البريطانيون فى جامعة « ليفربول » الرأى العلمى السائد بأن الإنسان الأول كان يمشى على يديه ورجليه مثل الشمبانزى ، وذكر العلماء : أن الرأى الأرجح هو أن الإنسان الأول كان يسير منتصب القامة تماما مثل إنسان اليوم ، وأوضحوا أنه لو كان الإنسان القديم يسير منحنيا كما تصور ذلك بعض النظريات العلمية ، فإنه لم يكن من الممكن أن يعتدل فى قامته ويسير كما هو الآن أبدا ، وقد تم استخدام الحاسب الآلى لإثبات ذلك .

وقال العلماء : إن المشى بشكل منتصب يساعد الإنسان على التنفس بشكل جيد عكس قرود الشمبانزى عندما تمشى منحنية فإنها تسير لوقت قصير للغاية ، لأن هذا الوضع لا يساعدها على التنفس الصحيح ، هذا بالإضافة إلى أن علم الآثار أثبت أن الإنسان القديم كان يمشى لأكثر من ٢٠٠ كيلو متر ، وهذه المسافة لا يمكنه قطعها وهو فى حالة انحناء .

مادة بلاستيكية جديدة «جيدة التوصيل» للكهرباء

توصل بعض علماء الكيمياء البريطانيين إلى إنتاج مادة بلاستيكية مصنوعة من (مادة البوليمر) ، وتتميز هذه المادة البلاستيكية الجديدة بأنها جيدة التوصيل للكهرباء ، ولها بريق الذهب ويتم إنتاجها على شكل شرائط أو خيوط أو بلورات ويمكن أن تحل محل المعادن فى بعض الصناعات مثل صناعة (شرائح السيليكون) .

مجفف للمواد المطاطية

صممت شركة فرنسية مجففا يعمل بالأشعة فوق البنفسجية للصق مواد التغطية أو التغليف كالطلاء والغراء والصمغ على المسطحات البلاستيكية ، ويقوم المجفف بالتعديل السطحى للتركيب الجزيئى للمواد المطاطية والبلاستيكية لتقليل شد السطح ، ويتميز المجفف بأداء عال وهو مزود بجهاز نفخ يسمح بتغطية ناعمة وممتازة

للسطح دون إحداث أى خشونة حتى لو كانت طبقة الطلاء سميكة ، وهو مزود كذلك بمغير للسرعة يعمل باستمرار مع نظام تهوية ملائم موجود بداخله .

دراسة حديثة تؤكد أهمية (فيتامين «د»)

ذكرت دراسة أمريكية نشرت فى مجلة «أكاديمية العلوم الأمريكية»» ، أن إضافة فيتامين «د» إلى الطعام يمكن أن تؤخر أعراض الشيخوخة ، وأن تعاطى جرعة معتدلة من فيتامين «د» يمنع ظهور عدد من التغيرات التى تطرأ على المخ وخلايا الدم البيضاء مع التقدم فى السن ، وأثبتت التجارب التى أجريت على حيوانات التجارب أن زيادة كمية فيتامين «د» فى طعامهم ، أدت إلى تأخير ظهور التغيرات التى تؤدى إلى موت الخلايا ، ويقول الباحثون : إن فيتامين «د» يؤدى دورا مضادا للتأكسد ، ويحمى من التلف بسبب هذه العملية .

الليـزر لعـلاج آلام الظهـر

قامت مجموعة من أطبـاء جراحـة المخ والأعصاب بجامعـــة «جراتس» بالنمسا ، باستخدام أسلوب جديد لعلاج آلام الظهر يعتمد على استخدام نوع من أشعة الليزر ، حيث يتم إدخال إبرة تحتوى فى داخلها على ألياف ضوئية لتوصيل أشعة الليزر إلى مكان الغضروف الذى يسبب الألم ، ثم يقوم الجراح بتوجيه الأشعة إلى الغضروف والتخلص منه تماما ويستغرق ذلك كله حوالى ٥ ــ ١٠ دقائق ، دون الحاجة إلى تخدير كلى أو جراحة كبيرة ، وتتميز هذه الطريقة بالمحافظة على بقية العضلات والعظام وجذور الأعصاب المحيطة بالغضروف المصاب .

اكتشاف المورثة المسببة لمرض (الفيل)

توصل فريق من الباحثين الأمريكيين إلى المورثة التى تمثل الخلية العصبية (للورم الليفى) الذى يسمى «بمرض الفيل» ، وهذا الورم الليفى يتحول إلى أورام خبيثة تظهر فى أى مكان بالجسم وقد تغير شكل العظام وتسبب الشلل ، ويصيب هذا المرض مولودا من بين حوالى (٤٠٠٠) مولود بالولايات المتحدة الأمريكية ، وسوف يساعد اكتشاف هذه المورثة إلى تفادى هذا المرض وعلاجه .

جهاز طبى لعلاج (الأوديما) بجسم الإنسان

طورت شركة طبية فرنسية جهازا طبيا يساعد على دوران الدم الوريدى والسائل الليمفاوى بطريقة الضغط ، فيتم امتصاص أو اختفاء «الأوديما» ، ويعمل الجهاز آليا بحيث يزداد الضغط تدريجيا على أجزاء الجسم المطلوب علاجها بحيث لا تضر الأوردة السطحية ، فيتم تصريف السائل الليمفاوى بفاعلية ودقة متناهية ، ويتم استخدام هذا الجهاز بواسطة الأطباء المتخصصين فى الأوردة والأوعية الدموية .

اللغة والنقد

والأدب

أثر الأخطاء الصوتية للناطقين بغير اللغة العربية على ألفاظ القرآن الكريم

بقلم : محمد السيد (*)

تقديم : إن اللغة الإنسانية هي من أفضل الوسائل الاتصالية بين الأمم والشعوب ، كما أنها الخاصية التي حبا الله - سبحانه وتعالى - بها الإنسان وميزه عن سائر مخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ (١) .

ومن ثم فإن اللغة نعمة كبرى من نعمه تعالى على الإنسان ، فهي وسيلة لحمل المعاني المختلفة التي يرغب الإنسان في إيصالها لغيره . ومقوم من مقومات التعبير الأساسية ...

ولقد تبوأت لغتنا العربية مكانة مرموقة بين اللغات العالمية في عالم اليوم . حيث إنها تعتبر لغة عمل دولية في منظمة « اليونسكو » منذ عام ١٩٦٩ م ثم في الأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٤ م . وتستخدم كذلك في المنظمات الدولية و « الأفرو آسيوية » .

كما أصبحت هذه اللغة الثرية تغزو الفكر العالمي غزوا ، ويكشف الكثير من علماء الغرب مميزاتها المتفردة ، وخصائصها المميزة .

يؤكد ذلك « روفائيل بتي » في كتاب « THE ARAB MIND » ، فيقول : « إنني أشهد من خلال خبرتي الذاتية أنه ليس هناك من بين اللغات التي عرفتها لغة تكاد تنافس العربية سواء في طاقتها البيانية أو قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك وأن تنفذ بشكل مباشر إلى المشاعر والأحاسيس تاركة أعمق الأثر فيها » (٢) .

وفوق هذا كله فإن لغتنا العربية هي التي اختارها الله - عز وجل - لتكون لغة القرآن

(*) كلية التربية - جامعة المنوفية .

(١) سورة البلد آية رقم ٨ ، ٩ .

(٢) د . محمود كامل الناقة ، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ، مجلة دراسات عربية مكة المكرمة - جامعة أم القرى - العدد ١٤ : سنة ١٩٧٧ .

الكريم ، هذا الكتاب الجامع لكل المعانى وأنبل الأهداف وأسماها ، فضلا عن أن اللغة العربية هي الوحيدة التي تستخدم جهاز النطق الصوتى فى الإنسان على أتمه[*] ، دون إهمال مخرج صوت ، أو الضغط على حرف دون آخر .

كذلك ، تمتاز اللغة العربية بقوة بيانها ، وأصالة ألفاظها ودقة أصواتها فلم تختلط فيها الأصوات ، بل ميزت بين الفتحة والضمة والكسرة فكان ذلك دليل فصاحتها ، وشاهدا على دقة أصواتها ، [٣] وهي أداة من أدوات الاستمتاع والتذوق الأدبى الذى تنمو به الوجدان ، وتطرب لواضحة الآذان .

ومن ثم فقد أقبل الكثير من الناطقين بغير العربية على تعلمها فكان البدهيُّ أن تكون هناك جهود مبذولة لانتشار وتعلم هذه اللغة مثال ذلك :

● قرار مجلس التربية فى ولاية « كاليفورنيا » بشأن تدريس العربية فى جميع المدارس الثانوية بالولاية . وذلك باعتبارها لغة ثانية .

● طلب جامعة « بركلى » الاهتمام بتعليم اللغة العربية للأجانب ، وذلك لتوفير الأعداد اللازمة من المعلمين ، وكانت اللغة العربية فى بريطانيا من ضمن اللغات الأجنبية التى يختارها الطالب فى أكبر مدارس الحكومة فى لندن .

● وفى الأرجنتين كان هناك اتجاه سائد إلى الدراسات الإسلامية ، ومن ثم فقد اتجهت بطبيعة الحال إلى الدول العربية للاستعانة بها فى تدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

● فى الباكستان وبعض الدول الأفريقية تدرس اللغة العربية كلغة إجبارية بعد لغة هذه البلاد .

أما فى البلاد الأوروبية بوجه عام فإن اللغة العربية هى الرابعة أو الخامسة من بين أهم اللغات الأجنبية التى يتم تعليمها فى كثير من البلاد الأوروبية .

أما عن الجهود المبذولة على المستوى العربى لتعليم العربية فإنها تتمثل فيما يلى :

ـ فتح كثير من المراكز لتعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى وهذه المراكز منها ما هو موجود داخل الوطن العربى ومنها ما هو موجود خارجه .

ـ إيفاد المدرسين المجيدين ليعلموا اللغة العربية خارج الوطن العربى .

ـ تقوية ما لدى الأمة العربية من جذور خارج حدودها ، وتتمثل هذه الجذور فى السلالات البشرية التى تنتمى إلى الأصول العربية وطال عليها العهد خارج بيتها الأول .[٤] .

ـ إنشاء المراكز العلمية لتخريج المعلم المتخصص فى تدريس اللغة العربية وذلك مثل : مشروع مدينة البحوث بالأزهر ، ذلك المشروع العملاق الذى يقوم بتعليم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم للوافدين من أبناء العالم الإسلامى ، ومعهد اللغة العربية بالرياض ، ومعهد الخرطوم ، ومشروع

---

(٣) عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، القاهرة ، دار المعارف ص ١١ .

(*) ستقدم المجلة ـ بمشيئة الله ـ دراسة فى هذا الموضوع ونأمل أن يتم ذلك سريعاً .

(٤) د . مصطفى النحاس عبدالواحد : (أثر بعض طرق التدريس فى التغلب على الصعوبات الصوتية التى تواجه الأجانب فى تعليم اللغة العربية) رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ـ جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ م .

كلية الألسن لتعليم اللغة العربية بالراديو . وغير ذلك من المدارس والمعاهد والمراكز المستحدثة هنا وهناك .

ومع هذه الجهود المبذولة التي امتدت لتشمل العالم الغربي والعربي ، إلا أن هؤلاء الدارسين للغة العربية من غير الناطقين بها . لازالوا يستشعرون صعوبات كثيرة عند تعلمهم للعربية .

ولعل ذلك يرجع إلى أسباب متفاوتة يطول الحديث عنها في هذا المقام .

ولكن الذي يعنينا الآن هو كيف انعكست هذه الصعوبات على نطق بعض هؤلاء لألفاظ القرآن الكريم وتلاوة آياته ؟؟ وفيما يلى بسط ذلك :ــ

إن من يتعلم العربية من غير أبنائها له هدف يرمى إليه .

فالبعض يتعلمها كوسيلة لغاية يهدف إليها ، كفهم العلوم التي يدرسها بالجامعة مثلا ، والبعض الآخر يهدف من وراء تعلمها ربحا تجاريا ، ولكن البعض من هؤلاء يقبل على اللغة العربية كغاية في ذاتها ، أو وسيلة لقراءة **القرآن الكريم وتدبر آياته** وهذه الفئة يجدر بنا بسط الحديث عنها . فنقول :ــ

● إن الإقبال على تعلم العربية كوسيلة لقراءة كتاب الله غاية نبيلة ، وغرض سام ، ينبغى تقدير أصحابه ، وتشجيع ذويه ، ولكن وبنفس القدر من تشجيع هؤلاء يجب أن نقودهم إلى التعلم الصحيح ، والطريقة المثلى في نطق الكلمة العربية ، خاصة إذا علمنا أنهم إلى تلاوة القرآن يهدفون ، وإلى الإسلام ينتمون .

قد يقول قائل : (كفى هؤلاء الأعاجم نطق الكلمات القرآنية كيفما ينطقون ، وذلك تشجيعا لرغبتهم . وحرصا على استمرارهم في مسلكهم ، ولكن ـ ومع حرصنا على تشجيع هؤلاء ـ نؤكد على ضرورة ضبط النطق ، وسلامة الصوت ، والحفاظ على خروج الحرف من مخرجه الصحيح ، لأن الغاية لتعليم هؤلاء هي ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (*)

لذلك يشترط الاكتمال والدقة في نطق الآيات القرآنية ، خاصة وأن هؤلاء سيعودون إلى بلادهم مزودين بالطريقة الصوتية في نطقهم للكلمات القرآنية فيعلمون أولادهم وغيرهم هذه الآيات بتلك الطريقة الصوتية التي تعلموا بها .

ومع مرور الزمن تكمن خطورة هذا الخطأ والتشويش الصوتى الذى يجعل من الضرورى تزويد هؤلاء الدارسين(1) ببرامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتزويدهم بمنهج قرآنى يتدرج معهم في تعلمهم . بحيث يقوّم لسانهم ويدربهم على النطق القويم ..

ومما لا شك فيه أن الناطق بغير العربية يصعب عليه أن ينطق العربية مثل نطق أهلها . فمهما حاول أو أجاد فسيظهر في نطقه بعض الأخطاء

(*) سورة الزمر آية رقم ٢٨ .

التي يمكن التجاوز عنها في غير المفردات القرآنية وآيات الكتاب العزيز ، ولكن عندما يحصل النطق بالآيات القرآنية فلابد من الإجادة والدقة .

من الأخطاء الصوتية للناطق بغير العربية :

(أ) قد ينطق بعض الناطقين بغير العربية حرف الثاء من اللثة بدلاً من كونه من الأسنان فإن ذلك لا يؤثر في المعنى ، ولكنه عندما يقرأ بهذا النطق آية قرآنية فإن هذا يُعد عيبا يجب تقويمه .

(ب) ومن مظاهر ذلك ما يسمى « الفروق الفونيمية »(*) وهو أن يستبدل الناطق حرفا بحرف آخر ، فيقول في « سال » « ذال » فهذا الفرق في النطق فرق خطير ومن شأنه تعديل المعاني وإبعاد حقيقة مغزى الكلمات .. وكذلك الفرق بين الأصوات المتشابهة مثل [ت ، د] [د ، ض] . [ك ، ق] [ث ، د] [س ، ز] [ذ ، ظ] [س ، ص] [س ، ش] [ح ، هـ] .

فمثلا قد يقرأ البعض منهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٦)

« الثالمون » بإبدال الظاء ثاء » .

(جـ) ومن مظاهر ذلك أيضا ضعف قدرة بعض الأجانب على نطق حرف الحاء « واستبداله بحرف الهاء ، فيقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ﴾(٧) .

« الهاقة » .

وهذه بعض المشكلات الصوتية المتعلقة بـ « الفونيمات الأساسية » Phonemes والتي يجب أن تعالج في مهدها .

(د) ومن أمثلة المشكلات الصوتية في جانب « الفونيمات الثانوية » الخلط بين حرف اللين (الألف أو الواو أو الياء) وبين حركته المماثلة له ؛ حيث لا يفرق الدارس بين « الفتحة » والألف ، ومن ثم فإنه يقصر الألف التي تستحق المد ولا ينتبه للفرق بينها وبين الفتحة ، فينطق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾(٨) .

دون الألف الممدودة ، الأمر الذي لا يتناسب مع النطق الصحيح للآية القرآنية ..

وكذلك في حالة الواو حيث لا يمكنه التفريق بينها وبين الضمة فيقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٩) ...

قد أفلح المؤمنون دون إظهار حرف الواو .. وكذلك في حالة الكسرة حيث لا يستطيع أن يفرق بينها وبين الياء فينطق . قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾(١٠)

---

(٦) سورة الحجرات آية رقم ١١ .

(٧) سورة الحاقة آية رقم ١ .

(٨) سورة الرحمن آية رقم ٦ .

(*) الفونيمة : PHONEME ، وهي إحدى وحدات الكلام الصغرى التي تساعد على تمييز نطق لفظة ما عن نطق لفظة أخرى في لغة أو لهجة (منير البعلبكي) المورد ، قاموس إنكليزي عربي ـ بيروت دار العلم للملايين ـ ١٩٨٦ م ، ص ٦٨٢ .

(٩) سورة المؤمنون آية رقم ١ .

(١٠) سورة الزمر / ٧١ .

وسق الذين ، دون إظهار حرف الياء ، ظناً منه أن الياء هي الكسرة .

وهذا عيب خطير في نطق الكلمة العربية .. وأشد خطرا عندما يتصل بنطق لفظ من ألفاظ القرآن الكريم .

(هـ) هذا ومن المظاهر الموقفة للتأمل أن تجد من أبناء العربية من يخلطون بين الحروف فينطقون القاف كافا ، أو الثاء سينا ، فنجد بعض المذيعين ينطقون بعض الآيات .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ المؤمنون / ١٤

فينطق الثاء سينا ، والطاء تاء ، وهذه مشكلة تدعو إلى التأمل والدراسة والعلاج . حتى لا تتحول الحروف القرآنية إلى حروف أخرى . فيبعد المعنى وينأى المدلول .

(و) ومن مظاهر ذلك أيضا ما نراه ونسمعه في نطق بعض المذيعات حين تنطق القاف كافا فتقول في « قلب » « كلب » ، وهي رقة مصطنعة تحول دون المضمون الحقيقي لكل صوت من الأصوات . ولعمري كيف يتسنى للغة تأدية وظيفتها الدلالية والاتصالية إذا ما اختلطت إشاراتها ووحداتها الصوتية .

إن لكل صوت قالب معين إذا ما أخرج عنه ضاعت شخصيته ، وذهبت دلالته ، وكان اللبس والغموض في الكلام .

إن اللغة العربية : لغة القرآن ، ولسان الإسلام وترجمان المدنية والحضارة ، ومن واجب الأمة الإسلامية والعربية أن تعالج هذه الظواهر الصوتية سواء أكان الواقعون فيها من أبناء العربية أم كن الناطقين بغيرها ، فإذا كان الخطأ ناتجا عن الجهل بأصوات العربية أوجبنا تعلم الأصوات كما تفعل الأمم الحريصة على لغاتها ، فلقد قامت في إنجلترا جمعية المحافظة على صوت « R » ، وجعل أعضاؤها من أنفسهم حراسا عليه يراقبون الناطقين والمذيعين ويرشدونهم ويوجهونهم حتى لا يضيع هذا الصوت أو يشوه في يوم من الأيام[(١٦)] ..

وحيث إن لغتنا هي لغة القرآن الكريم فحريٌ بنا أن نحافظ على كل صوت فيها وكل حرف من حروفها .

إن هناك الكثير من المشكلات التي تواجه اللغة العربية عندما تغيب عنها نماذجها المثالية ، وقوالب أصواتها المحددة ، خاصة وهي في موقف إثبات ذاتها أمام دعوات هدامة ، وأفكار مستوردة يحمل قمامها : العَلْمانيون وغيرهم ، وهم يقصدون رمي اللغة العربية بالجمود والعجز أمام متطلبات العصر وتقدمه العلمي ، ولكن الله من ورائهم محيط .

ومن ثم فإننا مطالبون اليوم أن نعلّم لغتنا لغير الناطقين بها تعليما دقيقا ، يتمشى مع متطلبات المتعلم ، ويتلاءم مع تكوينه النفسي والعقلي ، كما نقدم له خير الطرائق والوسائل التعليمية التي تتضمن أنماطا موحدة في كل نظم اللغة العربية وأصواتها .

---

(١٦) فاطمة محجوب : دراسات في علم اللغة المقدمة . القاهرة ـ دار المعارف : ١٩٨٤ م .

أسباب الصعوبات الصوتية :

إن متعلمي اللغة العربية من غير أبنائها يجدون صعوبة في التحدث بها ـ وتظهر هذه الصعوبة في نطقهم للآيات القرآنية التي ينطقها المسلمون منهم ولعل هذه الصعوبات الصوتية ناتجة عن الأسباب التالية :

١ ـ عدم وجود بعض الأصوات في اللغة الأم للمتعلم ؛ فقد لا يوجد في لغته حرف الضاد المفخم ، فيتعود لسانه على نطق الحرف دالا .

٢ ـ خلط الناطق بين الحرف العربي وبعض الحروف عنده في لغته الأصلية ، ومثال ذلك : أن يخلط بين الصاد والسين مثلا .

٣ ـ خطأ الناطق في إدراك الفروق بين الأصوات العربية وظنه أنها ليست مهمة ، قياسا على ما في لغته ، مثال ذلك عدم التفرقة بين السين والزاي ، أو الثاء والظاء .

٤ ـ خطأ الناطق في إدراك ما يسمع ؛ فينطق على أساس ما يسمع فيؤدي خطأ السمع إلى خطأ النطق .

٥ ـ قد يضيف المتعلم إلى اللغة العربية أصواتا غريبة يستعيرها من لغته الأم ؛ فقد يميل الأمريكي إلى استخـــدام صوت « P » أو « V » لأنها مستعملة في لغته .

٦ ـ اشتراك اللغة العربية في بعض الأصوات التي قد توجد في لغة الناطق ولا تنطق ، مثال ذلك حروف الهاء عندما يكون في آخر الكلمة فإن من ينطق الإنجليزية كلغة أصلية لا ينطقها .

٧ ـ قد يصعب على غير العربي التمييز بين الحروف ، وذلك مثل التمييز بين حرف الهاء والحاء ، والهمزة والعين ، والكاف والقاف .

٨ ـ قد توجد بعض الاعتبارات الاجتماعية المتوارثة تحول بين النطق الصحيح للحرف وذلك يتمثل في حرف الثاء ، أو الذال ، فإن هذين الحرفين يحتاجا ـ إلى إخراج اللسان من الفم وجعله في منطقة الأسنان العليا وهذا يعتبر سلوكا معيبا عند بعض الشعوب ، ومن ثم فهم لا ينطقونها بشكلها الدقيق .. ومخرجها الصحيح ..

٩ ـ صعوبة نطق بعض الأصوات العربية بطبيعتها .. مثل : الضاد ، الظاء ، وهذه أصوات مفخمة تصعب على الناطق الأجنبي .

١٠ ـ وكما يصعب على الناطق للعربية وهو من غير أهلها نطق بعض الحروف ، فإنه كذلك يصعب عليه التمييز بين الضمة القصيرة والواو ، مثال ذلك « قتلوا » « قوتلوا » وكذلك يصعب عليه التمييز بين الكسرة القصيرة والياء الطويلة ، مثال ذلك : « بَعُدَ » و « بعيد » وذلك يتضح في نطق بعض المسلمين الذين يتحدثون الإنجليزية كلغة أم .

هذه بعض مظاهر الأخطاء الصوتية التي تعتري بعض الناطقين للغة العربية وهم من غير أبنائها . **وتتركز هذه الأخطاء عادة لدى مسلمي البلاد الآسيوية الذين يأتون لتعلم اللغة العربية والقرآن .**

وبدهي أن هذه الأخطاء ناتجة عن تعود الناطق للأصوات بطريقة معينة قد عوّده عليها أباؤه ، ثم البيئة المحيطة به . فيا وهو ينطق الحروف من مخارج معينة .

وقد تبقى بعض المخارج دون تدريب عليها أو استخدام ، ومن ثم فإن الناطق للعربية وهو من غير أبنائها يجد صعوبة في استخدام هذا المخرج .

إن ترك هؤلاء الناطقين لآيات الله على ما هم عليه من أخطاء صوتية يعد أمرا جد خطير ، ذلك لأن الأمر يتعلق بالألفاظ القرآنية . وهي تنزيل من حكيم حميد .

ومن ثمَّ **فإن على المعنيين بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم لغير العرب أن يؤسسوا تعليمهم على منهج قرآنى من قصار السور** « بحيث تمد المتعلم بأفكار نافعة وثروة لغوية مفيدة حيث يتعود النطق الصحيح لصوت الكلمة بمفرداتها وتراكيبها ، لأن المتعلم الأجنبى لا يستطيع أن يستوعب ما يتعلم ويجيد نطقه دون تعلم الأصوات »[12] . ورب قائل يقول : كيف يمكن تعلم المبتدىء الآيات القرآنية فى حين أنه لم يستطع نطق العربية نطقا صحيحا ؟؟ ونحن مع تسليمنا بأن الناطق من الأجانب للعربية سيجد بعض الصعوبات عند بداية تعلمه فإننا نرى من الضرورى حقا تقديم هذ المنهج المؤسس على الآيات القرآنية .

على أن يكون ذا مواصفات تربوية صحيحة بحيث يراعى فيه مطالب هؤلاء الدارسين ، وأهدافهم من تعلم العربية (تلاوة أو فهما ، أو تجويدا) ، وبحيث يكون هذا المنهج مراعيا لهذه لأهداف ولخصائص المتعلمين النفسية والعقلية ، كما يجب أن يكون هذا المنهج متدرجا من السهل إلى الصعب فليس من المعقول أن يقدم للأجنبى آية تتكون من عشرين كلمة قبل أن يُقدم إليه آية تتكون من عشر كلمات مثلا ، ومن ثم فإن المنهج يجب أن يتناسب مع مراحل دراستهم وبرامجهم .

كما نريد أن نؤكد على أن هذا المنهج القرآنى ينبغى أن يقدم لمن أنهى منهم دراسة المرحلة الثالثة أى بعد أن يكون المتعلم قد قطع شوطا كبيرا فى نطق الكلمة العربية وقراءتها وكتابتها وإملائها ، وإن كانت بعض الدراسات قد أكدت على الاهتمام بتعليم الأصوات مع بداية المرحلة الأولى من مراحل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها»[13] .

ومن الاقتراحات المثمرة فى هذا الصدد أن يتم التعلم للعربية وفق طرق ووسائل تربوية حديثة بحيث تستغل حواس المتعلم . استغلالا طيبا فى عملية التعلم ، ومن خير الوسائل التعليمية فى ذلك : المعامل الصوتية بحيث يكون المعلم الذى يقوم بالتعلم عليها ذا خبرة ودراسة كما أن طريقة المعلم وتحمسه للعمل يُعد خير عون لتحقيق التعلم المنشود .

وبقيت كلمة أخيرة وهى : أهمية إقبال الأجنبى على تعلم الفصحى مباشرة حتى ولو كان مبتدءا . فخير للأجنبى أن يتعلم جوهر اللغة العربية وحقيقة مضمونها ؛ من أن يتعلم خليطا من اللهجات العامية ، قد تكون سهلة إلا أنها غير مثمرة ، فليست المشكلة فى كم نعلم ، ولكن فى كيف نعلم ؟؟ .

---

(١٢) محيى الدين الألوائى : الوسائل العلمية لحل المشكلات اللغوية وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، الجزء الثانى ، الرياض مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤١٢ هـ ص ٥٩ .

(١٣) أنظر : مصطفى النحاس عبدالواحد (أثر بعض طرق التدريس فى التغلب على الصعوبات الكلامية التى تواجه الأجانب فى تعليم اللغة العربية) رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس . ١٩٨٩ م .

طبقات المحققين والمصححين

(٦)

الأستاذ الدكتور السيد الجميلي

من مشايخ المحققين المشاهير من أنعم الله عليهم برصيد وفير من الأخلاق الكريمة المرضية ، ولم يخرجوا عن أسلافهم الكرام في دائرة العلم والفضل والفضيلة، فقد كتب الله -تعالي- على أيديهم خيراً عميما ، وفضلا عظيما.

كانت الأمة أحوج ما تكون إلي ما قدموه وأسدوه في سخاء منقطع النظير.

كان من محققي الطبقة الثانية أيضا **الدكتور طه الحاجرى ، والدكتور صلاح الدين المنجد ، والدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء)** وهى كما نعرف العالمة المحققة ، أرملة الشيخ العلامة المرحوم أمين الخولى ، والذى كان تأثيره العلمى عليها قوياً ومباشراً ومثمراً .

وقد ألفت الدكتورة بنت الشاطىء عديدا من الكتب ولها كثيرٌ من البحوث والمقالات العلمية والمنشورات البحثية ذات الطابع المتميز ...

وحسبها تحقيق « مقدمة ابن الصلاح » التى قدمتها للمكتبة الحديثة فى دقة وبراعة .



كان الناشرون فيما خلا وسلف يتهافتون على العلماء للاستعانة بهم فى مقتضيات الضبط والتصحيح والنشر على وجه العموم ، والاستئناس بآرائهم وإرشاداتهم فى التأليف والتحرير والتصنيف ، وكان لكل ناشر عالم أو أكثر مأثور عنده مقرب منه ، وكان أولئك الناشرون فيما فرط من ذلك الزمان الطيب يقدرون جهود العلماء فأنزلوهم منازلهم من الإكبار والتقدير .

كان الخانجى يستأثر بالأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، وكان الحلبى يستأثر بالأستاذ إبراهيم الإبيارى والأستاذ محمد أبوالفضل إبراهيم ، كما كان أحمد نجيمر ـ رحمه الله ـ أحد مصححى الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

● من كبار علماء هذه الطبقة ورجالها المبرزين الأستاذ الدكتور الشاعر الكبير محمد عبدالمنعم خفاجى الأديب الذى ساير النهضة الميمونة مع الصفوة المختارة .

تخرج الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى فى الأزهر الشريف مثله مثل أترابه من أبناء القرية المصرية ثم ترقى فى التدريس حتى صار عميداً لكلية اللغة العربية أطال الله عمره وبارك فيه .

وهو شارح ومحقق كبير عنى بتحقيق وإخراج ونشر كثير من الكتب التراثية الدينية والأدبية والتعليمية وقد أعاد النظر فى كثير من كتب القدامى ، فعمد إلى نشرها وتبسيطها للدارسين بشروح نفيسة قيمة حاصرة ، مشفوعة بمقدمات علمية جامعة ما فيها من علم غزير ومادة سخية وثقافة واعية واسعة .

ولا ننسى ـ فى مقام رجع الفضل لأهله ـ أن نذكر سعيه المشكور ، وعمله المحمود ، وصنيعه الطيب على مدار ستين عاماً تقريباً من التأليف والتحقيق والنشر ما قدمه للمكتبة ، فقد حقق ونشر كتاب « الفصيح » لشيخ العربية أحمد بن يحى ثعلب ، و « شرح مقامات الحريرى » للشريشى ، و « دلائل الإعجاز » لعبدالقاهر الجرجانى و « أسرار البلاغة » له أيضاً ، وله « تهذيب الأجرومية » فى النحـــو والصرف وغيرها .

والأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ـ فوق هذا كله شاعر يقول الشعر ، فى مناسبات دينية وعلمية وأدبية ... وليس هذا جديداً ولا غريباً على عملاق قطع رحلة العلم غثاً

ودراسة وتحقيقاً ونشراً فضلاً عن عاطفة شاعرية، ونفس رقيقة شفافة دقيقة التكوين.

ومنذ نحو ربع قرن أو ما يقرب من ذلك كان يحرر في (مجلة الهلال) أبواباً ثابتة تقريباً تتميز كلها بالمنهج الأدبي البحثي الراقي لعالم له مكانته الأدبية، وله دوره المشهود، وإسهاماته الملحوظة في النهضة المعاصرة.

نسأل الله أن يُطيل لنا في عمره، وأن نستمتع ببحوثه وأشعاره على صفحات الأهرام وغيرها، فإنه بقية جيل العمالقة الأفذاذ.

● ● ●

● الأستاذ الصاوى، صاحب «لسان العرب»، من رجال الطبقة الأولى، وهو أحمد ابن محمد الصاوى العارف بالله، كان مالكياً خلوتياً ولد في «صا الحجر» من إقليم الغربية بمصر، وكان والده ـ رحمه الله ـ من كبار الأولياء. ولد سنة ١١٧٥ هـ، وتوفى سنة ١٢٤١ هـ، عن ستة وستين عاماً.

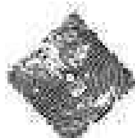
نشأ وترعرع في «صا الحجر» فحفظ القرآن الكريم صبياً، ثم انتقل للقاهرة بعد ذلك، فاجتهد في طلب العلم في الأزهر المعمور، وكان ذلك سنة سبع وثمانين ومائة وألف للهجرة.

وهو الذى عمد إلى ضبط وتحقيق لسان العرب وهو أول من فكر في ترتيبه ولم يكن معروفاً إلا بالصاوى في ذلك الوقت وهو اسم الشهرة له.

وله: «الفرائد السنية» شرح همزية البوصيرى وشرح ديوان جرير، وكانت له مطبعة فأغلقها.

وقد ترك تراثاً مضنوناً به من المخطوطات غير المطبوعة من تآليفه، وقد طُبع قليل منها بعد ذلك، ولم يعرف مصير غيرها، وقد احتضنه الأستاذ الأبيارى، وكان كبيراً للمصححين بالدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.

من مؤلفاته: «بلغة السالك لأقرب المسالك» وهى حاشية على الشرح الصغير لأقرب المسالك في الفقه المالكى لسيدى أحمد الدردير ـ طبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ، ثم طبعة مصر سنة ١٢٩٩ هـ، ثم طبع الجزء الثانى بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هـ و ١٣٢٣ هـ، و «حاشية على تفسير الجلالين» بهامشها تفسير الجلالين المذكور وقد طبع الجزء الرابع منه في بولاق سنة ١٢٩٥ هـ، ثم أعيدت طباعته في المبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ هـ وغير ذلك من الكتب.



حــول خاتمــة

ابن عباد المأسوية

بقلم: محمـــد عبدالوهـــاب

أطلعنا بشغف كبير على سلسلة المقالات الأخيرة ، التى خطّها يراع الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، بمجلة الأزهر الغرّاء ، عن نابغة الأدب العربى الإسلامى : الدكتور : عبد الوهّاب عزام ، رحمه الله .. وأثارت أسانا حقا ، فيما ورد بمقال عدد جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ . عن مأساة الملك المعتمد بن عباد (الملك الشجاع والشاعر المرزأ) كما وصفه الدكتور عزام ـ بعد أن تنكر يوسف بن تاشفين له ، ونفاه إلى المغرب ، فيمن تم نفيهم من ملوك الطوائف .

وإذا كان الخلع قد تم نتيجة فتوى فقهاء المغرب ، لضمّ بلاد الأندلس إلى طاعة المرابطين والعودة مرة أخرى إلى الجهاد ضد الأسبان .. فقد توقفنا طويلا أمام ما صاحب خلع ابن عباد من اضطهاد وتنكيل ، وحاولنا أن نعرف سببه ، وأن كان ولابدّ ، فقد كان بإمكان ابن تاشفين أن يكتفى بخلعه فقط ، خاصة بعد أن اشتركا كلاهما من قبل فى قتال الأسبان ، وتعانقا ، ودعوا الله أن يجعل جهادهما خالصا لوجهه الكريم ، ثم ما أظهره ابن عباد من بطولة رائعة ، أدّت إلى جرحه فى المعركة ، ومجاهدته الباسلة للأعداء ، وهو يتمنّى الاستشهاد .

وقد دفعنا موقف ابن تاشفين حيال ابن عباد ، إلى الرجوع إلى المصادر التاريخية لمعرفة الأسباب والدوافع لهذا الأمر ، وذلك إتماما للفائدة .. فمن ذلك قول ابن خلدون :

« إن الفقهاء بالأندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم ، فتقدم بذلك إلى ملوك الطوائف ، فأجابوه بالامتثال ، حتى إذا رجع عن بلادهم ، رجعوا إلى حالهم .. فلما أجاز ثانية ، انفضوا عنه ، إلا ابن عبّاد ... » .

وإذا كان الأمراء قد انتهجوا سبيل القطيعة بالنسبة إلى جند المرابطين ، فإن ابن عباد تميّز بأنه ظل يمد إليهم يده ، تحدوه إلى ذلك مصلحته كصاحب إمارة ، أكثر تعرضا لهجوم النصارى .. ولا شك أن المرابطين كانوا يدركون البواعث التي يصدر عنها عباد في موقفه ذاك ، لكنهم على ذلك لم يحاكوه الحساب .

على أنه سرعان ما اتضحت نوايا أمير أشبيلية (أى ابن عباد) فإنه يوم قام المرابطون بخلع عبد الله بن بلجين ـ صاحب غرناطة ـ لم يتردد المعتمد في المطالبة بإضافتها إلى أملاكه .. وهو أمر ما كان للمرابطين أن يسلّموا به ، فكأنما رأوا في مطالبته ، ما ينذر بمراوغته[1] .

هذه واحدة ، والثانية ما ذكره المستشرق الألماني (فون شاك) الذى أقام في أسبانيا عامى : ١٨٣٩ و ١٨٤٠ ، وأثمر ذلك تأليفه لكتابه : (الشعر العربى فى أسبانيا وصقلية) في ثلاثة أجزاء ، يقول في الجزء الأول منه : «وهكذا ثبت الإسلام أقدامه في الأندلس من جديد ولكن الذين كانوا شادته ، حتى هذه الساعة ، أمراء وملوكا ، (أى ملوك الطوائف) أزيحوا عن عروشهم ، أو احتوتهم السجون ، ودفعوا ثمن العون الذى قدّم لهم (من ابن تاشفين) غاليا على حين جعل يوسف من أسبانيا الإسلامية ، جزءا من امبراطوريته العظيمة »[2] .

وثالثة الأثافى التى يرويها لنا الأستاذ على أدهم عن ابن تاشفين تكمن في استضافة المعتمد له في أشبيلية ، وهو في طريق عودته إلى المغرب ، « وتولّى إكرامه والحفاوة به ، بما عرف عنه من فرط الكرم ، ولكن أصحاب يوسف بن تاشفين ، كانوا ينبهونه إلى تأمل النعمة التى يتقلب فيها المعتمد ، وما حفّه من أسباب الترف والدعة والاستمتاع .. ولا نزاع في أن يوسف بن تاشفين الذى أذهب صدر عمره في شظف العيش ، كان لا يرتاح إلى ما رأى عليه المعتمد ، من النعمة والترف ، وبدت منه كلمات عبر بها عن سوء ظنه بسلوك الأمير ، الذى يعيش على هذا النمط من أنماط الحياة ، وقدر أنه لابد أن يكون ظالما لرعيته ، مضيعا لحقوقها مقصرا في أداء واجباته والنهوض بتبعاته »[3] .

---

(١) انظر كتاب (ابن تاشفين) للأستاذ عبد الحق حنوش مطابع دار الكتب ـ الدار البيضاء .

(٢) انظر كتابه المذكور ص ٦٤ ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى ط دار المعارف ١٩٩١ م .

(٣) انظر كتابه صور تاريخية ص ١٢٣ .

ولكن المستشرق (دوزى) ينفى ظلمه لرعيته ، بدليل قوله عنه « لقد أسف عليه الناس أكثر مما أسفوا على أى شخص آخر ، دون استثناء ، تماما كما يأسف الإنسان على آخر وردة فى الموسم وآخر شعاع من أشعة الشمس الغاربة » « بعد أن أراد القدر له أن يكون آخر أمير أندلسى الأصل ، يحمل فى ـ جلال علم ـ ثقافة فكرية وقومية ، قدّر لها أن تنطوى ويذهب ريحها ، تحت ظل المرابطين الذين فتحوا البلاد .. لقد أحاط به عطف خاص ، لأنه كان أصغر ، وآخر فرد ، من أفراد تلك الأسرة الكثيرة العدد ، أسرة الأمراء الشعراء ، الذين حكموا الأندلس »(٤) .

هذا ، وقد أمر ابن عباد أن تكتب على قبره ، بعد وفاته ، الوصية الشعرية التالية :

قبر الغريب سقاك الرائح الغادى
حقا ظفرت بأشلاء ابن عبّاد
بالطاعن الضارب الرامى إذا اقتتلوا
بالموت أحمر .. لرائح الغادى

نعم . هو الحق وافانى به قدر
من السماء فوافانى لميعاد
ولم أكن ـ قبل هذا النعش ـ أعلمه
ان الجبال تهادى فوق أعواد

وهذا بعد أن وصف نفسه فى الأسر ، بأنه :

غريب بأرض المغربين أسير
سيبكى عليه منبر ، وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا
وينهلّ دمع بينهن غزير
إذا قيل فى (أغمات) مات جوده
فما يرتجى للجود بعد نشور
مضى زمن ، والملك مؤتنس به
وأصبح عنه اليوم وهو نفور

هذا ما أردنا تحقيقه وإضافته ، وبالله التوفيق .

---

(٤) انظر كتاب دوزى (تاريخ المسلمين فى أسبانيا) ص ٤٢٢ ، وكتاب الدكتور الطاهر أحمد مكى (دراسات أندلسية : فى الأدب والتاريخ والفلسفة) ط دار المعارف سنة ١٩٨٣ ص ٢٤١ .

تقديم الأستاذ عادل رفاعي خفاجة

التوكل على الله

فى كتاب الله العزيز الكثير من الآيات التى تحض على التوكل على الله ، والتى تأمر به ، لما للتوكل على الله من فضل عظيم على المسلم ، يضمن له السلامة مع الناس ومع النفس ، ومن هذه الآيات قول الله – تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ سورة الطلاق (٣)

وقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة – ٥١

وقوله : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ سورة إبراهيم (١٢)

وحول هذا المعنى وردت رسالة القارىء كمال عبدالمنعم محمد خليل – الكوم الأحمر – بنى سويف :

يقول فيها :

التوكل على الله تعالى صفة وصف الله بها عباده المؤمنين فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ سورة النحل (٤٢)

والذى يتوكل على الله تعالى لابد وأن يأخذ بالأسباب التى يترتب عليها نجاح أى أمر من الأمور ، وإن لم يفعل ذلك ويأخذ بأسباب النجاح فإنه يكون متواكلا أى متكاسلاً ، لأن التواكل عكس التوكل ، وقد ضرب لنا النبى ﷺ مثالاً بالطير الذى يأخذ بالأسباب من أجل أن يأتى برزقه الذى قسمه الله له ، فعن عمر بن الخطاب

رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا » رواه الترمذى وقال حديث حسن .

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى الطير وهى تصحو مبكرةً ، خاوية البطون فتسيح فى الأرض تبحث عن طعامها ، وتعود آخر النهار وقد امتلأت بطونها برزقها ، ولاعجب إطلاقا أن نتعلم من مخلوقات الله فى هذا الكون .

ونرى فى زماننا كثيراً من الشباب أخلد إلى الراحة وترك الأسباب وهو يريد للقمة أن تأتى إلى فيه ، وهذا لا يليق بشباب المسلمين الذين يقرأون فى سيرة النبى ﷺ ويعلمون موقفه فى الهجرة من مكة إلى المدينة والأمور التى فعلها لتتم الهجرة بسلام مؤديا واجبه مع علمه أن الله ناصره ومؤيده،فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فعلينا أن نتوكل على الله تعالى فى كل أمورنا ونأخذ بالأسباب التى تصل بنا إلى التفوق والنجاح ، وبذلك نكون فعلا من المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بقوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ② ﴾ سورة الأنفال

الحفاظ على المال العام فى الإسلام

ومما كتبه القارىء : حيشى حسن حسين ـ خطيب بالأوقاف طنـا ـ بيا ـ بنى سويف :

للإسلام تعاليمه فى الحفاظ على المال العام ومن ذلك ما ورد فى كتاب الله : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ **آل عمران : ١٦١**

أى أن من يأخذ شيئا من مال المسلمين بدون وجه حق ، يعذب به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وكلنا يعلم أن الدين يحارب الفساد ، الذى يؤدى بالمجتمعات إلى التهلكة ، واستغلال المال العام لمصلحة القائمين عليه من أسوأ أنواع الفساد فتكاً وتدميراً للمجتمعات فعن عبدالله بن عمر قال : « كان فى عهد رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات ، فقال رسول الله ﷺ هو فى النار فذهبوا ينظرون إليه ، فوجدوا عباءة قد غلها » رواه أحمد والبخارى .

ولقد ثبت فى البخارى وغيره من حديث أبى هريرة أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : « لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس أو شاه » .

وجاء فى حديث آخر متفق عليه أنه قال لمن غل شراكا ـ أى : سير نعل على ظهر القدم : شراك من نار أو شراكان من النار .

وهذه أدلة دامغة على حرص الإسلام على الحفاظ على المال العام .

من إبداعات القراء

ووردت من فضيلة واعظ مركز مغاغة الشيخ حسن رمضان فتوح هذه التحية إلى العاملين بمجلة الأزهر ، فشكراً له ونسأل الله دوام التوفيق لنا وله ولكل المؤمنين .

تحية إلى مجلة الأزهر!!

قمــرٌ مطــلٌ كل شهــر ... نورٌ على الدنيــا ظهــر
فقــهٌ وتفسيــرٌ جليــل ... علــمٌ وفتــوى وسور
وطرائــفٌ تُغنــى القلــوب ... وبــابُ شعــر مزدهــر
تحيــا به الــروح التــى ... تشقــى بآثــام كُثُــر
حكمــة الإسلام تتــرى ... فى بحوث تنــتشر
كلمــا ظهــر الهلال ... تتــع القلــبُ والنظــر
شكــراً «لشيــخ أكبر» ... بمواقــف التقــوى بهر
شكــراً لكــلِّ مشارك ... مِنْ مطعمــنَّ مبتكــر

القــدس

الأستاذ / مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية هزت مشاعره دعوة السناتور الأمريكي (بوب دول) إلى نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .. فأنشأ يقول ـ فى القدس .

الله بالإسراء أعلــى قدرهُ ... فأتــى إليــه محمــد يتشوّق
القــدسُ بالإصرارِ سوف نُعيــده ... والمسجــد الأقصى به يتألــق
ستعيــدهُ فى فرحــة ، أعلامنــا ... من رأسه مرفوعــةً تتعانــق

العبادة وإلف العادة

ومن القارىء : السعيد السيد المرسى ـ كلية أصول الدين ـ دسوق ـ كفر الشيخ :

وردت هذه الرسالة التى تحمل عنوان : خطر العادة ، وفيها يظهر متعة القصد فى العبادة . حيث يقول فيها :

إن الاسلام دين السماحة ودين الوضوح ، الذى زود كل عادة حسنة بذكر الله فجعل منها عادة وقربى ، تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ « ماتمتع المشركون بمتاع إلا تمتعنا به ، وزدنا عليه تقوى الله » .

إن أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ لتقصد بذلك أن المشركين يتمتعون ، ولكنهم يعصون الله ، أما المؤمنون ، فهم يتمتعون وفى كل متعة يجعلونها لوجه الله ـ سبحانه ـ فالمؤمن إذا أكل ذكر الله ، وإذا قام ذكر الله ، وإذا نام ذكر الله ، فكانت كل أوقاته معمورة بذكر الله قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ سورة الأنعام

إن الله ـ تعالى ـ قد فرض فرائض ، وسن النبى ـ ﷺ ـ الكثير من السنن ، وتمسك بها السلف الصالح وتبعهم المؤمنون من بعدهم ، ولكن أخوف شىء على الأمة أن ترى قوماً ليس لهم من عباداتهم غير تقليد ورثوه ثم هو بعد ذلك عادة ألفوها .

فأخطر ما فى ذلك أن عملهم بلا مقصد ، لأنهم إنما قاموا لأداء عادة لا إقامة عبادة . وهذا طريق من طرق الشيطان إلى الإنسان .

ولكن المؤمن ـ حقا ـ هو الذى يعلم أن العبادة : عبادة فى مضمونها ، عبادة فى مقصدها ، عبادة فى فعلها ، فعليه أن يكون متوجهاً إلى الله ـ سبحانه ـ بكل جوارحه ، حتى يجد حلاوة إيمانه تثمر فى قلبه ، فالغزو الفكرى ضد الإسلام والمسلمين أول أهدافه أن يحول تلك العبادة إلى عادة ، حتى يسهل عليهم أن يقتلعوا العبادات من جذورها ، ولعل ذلك مما يوده المبطلون من حصر الإسلام فى مجرد أداء الصلوات ، ولكن هيهات ... فالإسلام الذى ارتضاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده الصالحين أشمل وأعمق ويصل إلى أدق تفاصيل حياة المؤمن وأجل خصائص الأمة .

عبد الرحمن بن عوف

أما القارىء : طه حامد إسماعيل أفندى ـ قلما ـ قليوب :

فقد أرسل هذه السطور عن سيدنا عبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ يقول فيها :

هو : سيدنا عبدالرحمن بن عوف بن الحارث ، من أعلام الإسلام النابهين ، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين ، عاش فى مكة ، ونشأ عزوفاً عن أباطيل الجاهلية ، أسلم على يد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وهاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر الهجرة الكبرى إلى المدينة بعد هجرة النبى ﷺ إليها ، مضحيا بماله فى سبيل الله ، وكان ـ

دعوة الاستغفار

كما حملت رسالة القارئ : ربيع عبدالعظيم الأكيادى ، دعوة الاستغفار ، يقول فيها :

روى الترمذى عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : « أنزل الله أمانين لأمتى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

الأنفال ـ ٣٣

فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة .

إنها دعوة صريحة لمن يريد الأمان بكثرة الاستغفار فمن فوائد الاستغفار :

* ما ورد فى القرآن العظيم حكاية عن نوح ـ عليه السلام ـ وهو ينصح قومه :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾

سورة نوح

ففى هذه الآية ست فوائد للاستغفار :

وفى الحديث الذى رواه أبوداود وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وفى الحديث ثلاث فوائد .

وهناك الكثير والكثير .

فعلينا أن نلزم الاستغفار ، لنفوز بالأمان .

رضى الله عنه

رضى الله عنه ـ مثالياً فى كل شىء ، فقيها فى الدين بصيراً بالكتاب والسنة ، وهو أحد الذين توفى الرسول ﷺ وهو عنهم راض .

وكان من الستة الذين رشحهم عمر ـ رضى الله عنه ـ لاختيار أحدهم خليفة ، لكنه بايع عثمان ـ رضى الله عنه .

ومات ـ رضى الله عنه ـ سنة ٣١ هـ بعد أن عاش ٧٤ (أربعاً وسبعين) سنة ، قضاها فى نصرة الإسلام والبر بالفقراء والمحتاجين ، وعتق الرقاب ، فجزاه الله عنا وعن الإسلام أعظم الجزاء .

ردود وتعليقات

القارىء : محمد عبدالعاطى عبدالرحيم زراعة
الأزهر ـ أسيوط .

قصيدتك « حى على الجهاد » محاولة طيبة ، ونتمنى لك مزيدا من التقدم والإتقان ، وأملنا أن يفك الله أسر القدس ويلم شمل العرب والمسلمين فى كل مكان .

القارىء : على عبدالحميد عبدالله
الدقهلية ـ مركز بلقاس ـ قرية العريض .

يسعدنا أن ترى نظرياتك النور إذا كانت ـ تلك الأفكار ـ تقوم على قواعد علمية ثابتة ونهنئك بها .

وعليك أن ترسل إلى إدارة المجلة بعضاً منها ، وسنقوم بعرضها على أساتذة متخصصين لإبداء الرأى وإفادتك .

القارىء : حمادة محمد كمال عطية
دكرنس ـ شربين ـ دقهلية .

مرحبا بمساهماتك ، ونحن على استعداد لنشر ما فى مستوى النشر منها ـ بإذن الله ـ تعالى .

القارىء : كمال محمد حسن حميدة
البحيرة ـ إيتاى البارود .

نأسف لعدم توفر الأعداد التى طلبتها من مجلة الأزهر فجميع الأعداد السابقة نفدت ، أما بالنسبة للاشتراك فى المجلة عن الأعداد التالية فعليكم الاتصال بقسم الاشتراكات بجريدة الأهرام شارع الجلاء ـ القاهرة .

القارىء : أشرف سليم سيد محمد
ببا ـ سدس الأمداد ـ بنى سويف .

نرحب بمساهماتك ، ونحن نساند كل ما هو جديد طيب ، أما بخصوص الكتب التى طلبتها فعليك الاتصال بإدارة المشتريات بالأزهر ـ المجاورة لمدينة البعوث الإسلامية .

القارئة : ماجدة حسين هجرس (أم حسن)
المعلمة بمدرسة حسنى مبارك الاعدادية ـ الزقازيق .

وصلتنا مساهمتك بعنوان « القرآن والعلوم المختلفة » ونرحب بمساهمات أخرى أكثر إفاضة بمشيئة الله تعالى .

● بمشيئة الله تعالى ستوالى المجلة نشر الرسائل التى ترد إليها تباعاً .

أنباء وآراء



تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

قرارات لشغل الوظائف القيادية الخالية بالأزهر الشريف

- أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر قرارا بندب فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى وكيل قطاع المعاهد الأزهرية للخدمات للقيام بعمل أمين عام مجمع البحوث الإسلامية .

- كذلك أصدر فضيلته قرارا بإسناد أعباء وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية للخدمات إلى فضيلة الشيخ على محمد على فتح الله الذى كان يشغل مدير عام المكتبات والكتب الدراسية .

- كما أسند إلى فضيلة الشيخ أحمد على الصغير مدير عام التعليم الابتدائى القيام بعمل وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق .

- وأسند إلى فضيلة الشيخ محمد إبراهيم عبدالغنى خفاجى مستشار مادة (أ) بدرجة مدير عام القيام بعمل وظيفة مدير عام التعليم الابتدائى .

- وأسند إلى فضيلة الشيخ أحمد مصطفى الجندى مستشار مادة (ب) بقطاع المعاهد القيام بوظيفة مدير عام المكتبات والكتب الدراسية .

- وأسند إلى فضيلة الشيخ محمد على معوض القيام بعمل وظيفة مدير عام شئون المناطق الأزهرية .

- وتم نقل فضيلة الشيخ محمد صبحى دياب مدير عام منطقة الشرقية إلى وظيفة مدير عام منطقة المنصورة الأزهرية .

- كما أسند إلى أصحاب الفضيلة الآتية أسماؤهم بعد العمل بوظيفة مدير عام منطقة على النحو التالى :

● فضيلة الشيخ أحمد محمد حسن لمنطقة الشرقية الأزهرية .

● فضيلة الشيخ محمود محمد سيد الحجر لمنطقة القليوبية الأزهرية .

● فضيلة الشيخ أحمد عبداللطيف السوساتى لمنطقة شمال سيناء الأزهرية .

● فضيلة الشيخ سعد عبداللطيف أبوسعيد لمنطقة البحيرة الأزهرية .

الإمام الأكبر فى تفهنا الأشراف

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة لقرية (تفهنا الأشراف) إحدى قرى محافظة الدقهلية . حيث قام بوضع حجر الأساس لبعض المشروعات المزمع إقامتها بالقرية ، كذلك قام فضيلته بافتتاح المنشآت التى تم الانتهاء من إقامتها ، وتفقد فضيلته المعاهد الأزهرية وبعض كليات جامعة الأزهر بالقرية .

فى بداية جولة فضيلته بالقرية قام بوضع حجر الأساس للمستشفى القروى ومبنى كلية الدراسات الإنسانية للبنات ومدينة مبارك الجامعية للطلاب .

كذلك افتتح فضيلته مبنى المدينة الجامعية المؤقتة للطلاب ، ومبنى الطالبات الجديد ومبنى كلية التربية للبنين ومجمع الخدمات للجامعة والقرية الذى يشمل (السنترال) ومكتب البريد .

كذلك تفقد فضيلته بعض المشروعات الجارى إنشاؤها ، وقام فضيلته بزيارة مبنى كلية الشريعة والقانون ، كما زار المعاهد الأزهرية بالقرية بمختلف مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية ، وكلية التجارة - فرع البنات ومصانع الأعلاف ومبنى المركز الإسلامى الذى يشمل المسجد والمكتبة ودار الحضانة القائمة على مساحة ١٢٠٠ م .

وفى ختام الزيارة شهد فضيلته المؤتمر الشعبى الذى أقيم بمناسبة زيارة فضيلته للقرية وشهده محافظ الدقهلية والسيد صلاح عطية المشرف على المشروعات المقامة بالقرية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر والقيادات السياسية والشعبية بمحافظة الدقهلية .

إستقبالات الإمام الأكبر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ أحمد الخليلى مفتى سلطنة عمان يرافقه معالى الوزير يحيى ابن محفوظ المنذرى وزير التعليم العالى ورئيس جامعة السلطان قابوس وسعادة السفير عبدالله البوسعيدى سفير السلطنة بالقاهرة .

وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف .

كذلك أبلغ السيد السفير فضيلته تهنئة جلالة السلطان قابوس بن سعيد بهذه المناسبة ، كما تناول اللقاء الإشادة بالدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف من خلال بعثاته التعليمية المنتشرة فى مختلف ربوع العالم الإسلامى والعربى لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وقد وجه سماحة المفتى دعوة رسمية من جلالة السلطان قابوس بن سعيد لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة سلطنة عمان فى الوقت الذى يحدده فضيلته .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف والوفد المرافق على هذه التهنئة كما حمله إبلاغ شكره

وتقديره باسم الأزهر الشريف بجميع هيئاته وعلمائه وطلابه لجلالة السلطان قابوس بن سعيد والحكومة وشعب سلطنة عمان الشقيق .

كما أبلغ فضيلة الإمام الأكبر سماحة مفتى عمان قبول الدعوة التي وجهها جلالة السلطان قابوس لزيارة السلطنة في القريب العاجل .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وبعض قيادات الأزهر الشريف .

برقيات الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رسالة إلى خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية إثر حادث إنفجار (الخُبَر) .

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

هزت مشاعرنا أنباء العمل الإجرامى البعيد عن الإسلام وتعاليمه السمحة وقيم المجتمع السعودى الذى ينأى عن مثل هذا العمل الجبان الذى راح ضحيته أبرياء والذى قامت به فئة لا ترعى الله ولا مبادىء الإسلام وقيمه .

والأزهر الشريف وهو يستنكر هذا الحادث الأليم ، والجرم العظيم لهو على يقين من حكمتكم الرشيدة فى معالجة هذا الحادث بما يعيد الأمور إلى أوضاعها الطبيعية لهذا البلد الآمن المستقر وحُرمة الحرمين الشريفين .

وباسم الأزهر الشريف وعلمائه وطلابه ، وجميع هيئاته والعاملين فيها - وباسمى - أقدم خالص العزاء لضحايا هذا الحادث .

وادعو الله سبحانه وتعالى أن يجنب المملكة وشعبها كل سوء وأن يجعلها كعهدنا بها بلدا آمنا مستقرا . وأن يحفظ الله الشعب السعودى من كل سوء .

كذلك بعث فضيلته ببرقيات مماثلة لكل من : صاحب السمو الملكى الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولى العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى ، وسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام .

توزيع جوائز مسابقة فضيلة الشيخ الشعراوى

قام فضيلة الشيخ أحمد السيد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف بتوزيع جوائز الفائزين فى مسابقة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عن العام الهجرى ١٤١٥ هـ فى مجالين أولهما : الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم ، وثانيهما : فى مجال رد الشبهات عن الإسلام .

ففى المجال الأول فاز بالمراكز الثلاثة الأولى السادة : ١ - محمود عبدالفتاح .

٢ - محمد عباس محمد عراقى .

٣ - السيد عبدالحكيم عبدالله .

وفى المجال الثانى فاز بالمراكز الثلاثة الأولى السادة : ١ - على عبدالحميد أحمد جمعة .

٢ - محمد محمد محمد شتا أوسعد .

٣ - إبراهيم عبدالله إبراهيم صالح .

اعلان نتيجة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية (الدور الأول) للعام الدراسي ١٩٩٦/٩٥ .

تقدم للامتحان / ١٢٢٨٣٠ تلميذا وتلميذة .

تخلف منهم / ٦١٠ تلميذا وتلميذة .

حضر منهم / ١٢٢٢٢٠ تلميذا وتلميذة .

نجح منهم / ٧٠٨٥٦ تلميذا وتلميذة .

وبلغت نسبة النجاح ٥٧,٩٧٪ .

وفيما يلي بيانا بأسماء العشرة الأوائل على مستوى الجمهورية :

١ ـ إيمان عبدالله إبراهيم راجح ـ محافظة كفر الشيخ .

٢ ـ أيمن أحمد بسيونى العماوى ـ محافظة الغربية .

٣ ـ إسلام عبدالمنعم عبدالحفيظ ـ محافظة أسوان .

٤ ـ أميمة محمد مجيب محمد ـ سوهاج .

٥ ـ أحمد عبدالرحمن أحمد بيومى ـ محافظة الشرقية .

٦ ـ هبة فتح الله سعد فتح الله ـ محافظة كفر الشيخ .

٧ ـ حاتم على أحمد عبدالمطلب ـ محافظة سوهاج .

٨ ـ عبير محمود عبدالحليم ـ محافظة البحيرة .

٩ ـ فاطمة أحمد أبوالفتوح حمودة ـ محافظة القاهرة .

١٠ ـ عبدالرحمن عبدالرحمن على ـ محافظة الشرقية .

١٠/ مكرر ـ السيد محمد السيد محمد أحمد ـ محافظة الغربية .

الإمام الأكبر يشهد ندوة القدس الشريف في العقيدة الإسلامية (القدس عربية)

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف « ندوة القدس الشريف » التى نظمتها جامعة الأزهر تحت رعاية فضيلته وبرئاسة فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجمعة .

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته أمام الجلسة الافتتاحية أن قضية القدس مصيرية بالنسبة للأمة العربية والإسلامية ، وأن فلسطين أمانة فى أعناقنا مشيرا إلى ضرورة الوقوف إلى جانب إخواننا فى فلسطين بصفة عامة وفى القدس بصفة خاصة ،

وقال فضيلته : إن القرآن الكريم عندما سجل أحداث الغزوات الإسلامية فى آياته إنما قصد تنبيه المسلمين إلى الجهاد والاستشهاد من أجل الحق ، وقال : إن الحق العربى فى القدس لو لم يجد القوة التى تحميه يموت وإن الحق يكون حيا تكون القوة .

وقال فضيلته : إننا يجب أن ندافع عن حقوقنا بشتى الطرق بما فى ذلك الاستشهاد من أجل استعادة حقوقنا الشرعية مؤكدا أن من يفعل ذلك

فإنه يلقى وجه ربه وقد رضى الله عنه .

وأضاف فضيلته أن القدس تحتل أهمية كبيرة فى وجدان كل مسلم على وجه الأرض حيث تحتضن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ .. وفى هذه البقاع صلى الرسول بالأنبياء جميعا ، واستشهد فيها عشرات من صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ أجمعين .

وقال الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية فى الكلمة التى ألقاها نيابة عنه السيد السفير أحمد حلمى رئيس الإدارة العامة للشئون العربية بالجامعة :

إن القضية الفلسطينية هى جوهر الصراع العربى الإسرائيلى ، وإن القدس العربية هى لب الصراع ، لذا تحتل أهمية القدس فى تصدرها لجميع قرارات مؤتمرات القمة العربية والأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية ، والتى أكدت ضرورة انسحاب إسرائيل منها ، والتصدى لممارسات سياسات الإحلال التى تستهدف تهويد القدس ومحاولات تزييف التاريخ لاضفاء الشرعية التاريخية والدينية على اطماعها .



وأكد السيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة المشترك مع جامعة الأزهر فى تنظيم الندوة ـ على أن هذه الندوة هى تعبير عن الضمير العربى الإسلامى إزاء قضية القدس وفلسطين ولتأييد الشعوب العربية والإسلامية لقادتها والتلاحم معهم أى القادة ـ فى مساعيهم النبيل لإنقاذ قبلة المسلمين الأولى وتأكيد حق الشعب الفلسطينى فى دولته المستقلة مشيرا إلى أن أقوى ضمان للسلام المنشود هو أن يزول الظلم الصارخ عن شعب فلسطين ، وأن يمارس حقه المشروع فى دولته المستقلة وعاصمتها القدس .

ثم تحدث الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر مؤكدا على أن القدس جزء من العقيدة الإسلامية مشيرا إلى أن جامعة الأزهر قد عقدت ندوات عديدة للتوعية بقضية القدس التى تهم جميع المسلمين .

ودعا فضيلته إلى تحريك الرأى العام العالمى للوقوف إلى جانب الحق الفلسطينى والعربى فى دفاع المشروع عن قدسه الشريف .

وأكد الأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة أنه بإمكان العرب التركيز على حقهم بالقانون . وقدم بحثا بعنوان (القانون الدولى وقضية القدس) ، ونبه سيادته فى الكلمة التى ألقاها إلى أهمية المدخل القانونى فى معالجة أية قضية عربية أو إسلامية خاصة قضية الصراع العربى الإسرائيلى عند اللجوء إلى المنظمات الدولية فى عرض قضاياها ، وقال : إننا أمام عدو يتذرع ببنود القانون الدولى ويستشهد بها لتبرير عدوانه ضدنا برغم صدور عشرات القرارات الدولية التى تؤكد حقنا فى مدينة القدس ، وأكد الدكتور مفيد شهاب على أن دعوته إلى سلوك المنهج القانونى فى مواجهة الخصوم لا تعنى التخاذل عن دعم كافة مصادر قوتنا العسكرية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتكنولوجية أو الاكتفاء بأننا أصحاب حق ، وإنما المقصود أنه لو صلح استخدام المنهج القانونى السليم سياسيا أو إعلاميا لكتسب العرب وضعا أفضل فى المجتمع الدولى ومع المؤسسات الدولية يضمن لهم استرجاع هذه الحقوق .

الإمام الأكبر يترأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع المجلس الأعلى للأزهر ، وقد بعث المجلس برقية تهنئة وتأييد للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربى بالقاهرة ونجاحه فى جمع الشمل هذا نصها :

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .

يتشرف المجلس الأعلى للأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بأن يتقدم لسيادتكم بأسمى آيات التقدير والتأييد مهنئا بنجاح مؤتمر القمة العربى .

ويعرب علماء المجلس الأعلى للأزهر الشريف عن ارتياحهم الكامل وسعادتهم الغامرة لسياستكم الرشيدة فى لم الشمل العربى وتضميد الجراح وتوحيد الأمة العربية إلى هدف واحد تحقيقا للسلام الشامل والعادل .

رعاكم الله وأبقاكم وسدد على طريق الخير خطاكم ودمتم ذخرا للأمة العربية والإسلامية .

هذا وقد بحث المجلس قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والوافدين بمرحلة الإجازة العالية بكليات جامعة الأزهر للبنين والبنات للعام الجامعى ١٩٩٧/٩٦ .

كما بحث المجلس الموافقة على تطبيق قواعد تعيين المعيدين والمدرسين المساعدين الصادرة بالقانون ١٤٢ لسنة ١٩٩٤ على المعيدين والمدرسين بجامعة الأزهر .

كذلك تم النظر فى الموافقة على إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم وحدة جامعة الأزهر لأبحاث الذكورة والتناسل وعلاج العقم » بكلية الطب بنين » .

ضم معاهد جديدة

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضم المعاهد الآتية للأزهر الشريف :

ـ معهد الشيخ عبدالمنعم أبوالعطا الإعدادى للفتيات بالبصراط ـ مركز المنزلة ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد كفر علام الابتدائى ـ مركز منية النصر ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد الحاج السيد البيومى الابتدائى بالصباغ ـ مركز دكرنس ـ محافظة الدقهلية

ـ معهد منشأة عبدالرحمن الابتدائى ـ مركز دكرنس ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد نجير الابتدائى ـ مركز دكرنس ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد ميت خضير الابتدائى ـ مركز المنزلة ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد الحسينة الابتدائى مركز تمى الأمديد ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد الروضة الإعدادى للبنين مركز فارسكور ـ محافظة دمياط .

ـ معهد فتيات أحمد أبوشامة الثانوى بكنيسة دمشيت مركز طنطا ـ محافظة الغربية .

ـ معهد الصحافة الابتدائى مركز مشتول السوق ـ محافظة الشرقية .

ـ معهد المدينة المنورة الابتدائي بالمعادي ـ محافظة القاهرة .

ـ معهد « أبو حنيفة النعمان » الإعدادى للبنين ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد الحريزات الشرقية الابتدائي ـ مركز المنشأة ـ محافظة سوهاج .

الإمام الأكبر فى محافظة المنوفية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لمحافظة المنوفية يرافقه السيد محافظ المنوفية وفضيلة مدير عام المنطقة الأزهرية ولفيف من العلماء والقيادات السياسية والشعبية ، حيث افتتح فضيلته المعهد الأزهرى الابتدائي المتطور (بقرية سنتريس) .

كذلك افتتح فضيلته مجمع المعاهد الأزهرية بسبك الأحد الذى تم بناؤه بالجهود الذاتية .

وقد شهد فضيلته المؤتمر الشعبي الكبير بقصر الثقافة الجماهيرية بالمحافظة حيث قام خلال المؤتمر بتوزيع الجوائز المالية على الفائزين فى مسابقة حفظ القرآن الكريم حيث بلغت جملة الجوائز مائة ألف جنيه . وقد ألقى فضيلته كلمة فى جموع الحاضرين بين فيها فضل القرآن الكريم وحفظه والعمل به وحث المسلمين على التمسك بكتاب الله الخالد « القرآن الكريم » الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وشكر القائمين على هذا العمل .

ودعا فضيلته الأئمة والوعاظ بمنطقة المنوفية إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتوحيد فتاواهم ومحاربة الجهل والتعصب لتوضيح حقائق الدين الحنيف وتعريف الناس بشريعتهم الإسلامية السمحة الغراء . كما وجههم بأن يكونوا قدوة طيبة حسنة لغيرهم .

الإمام الأكبر يلتقى وعلماء الوعظ بالأزهر الشريف

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأصحاب الفضيلة العلماء مديرى عموم مناطق الوعظ بالأزهر الشريف على مستوى الجمهورية ، وذلك فى المؤتمر الذى عقد بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر ، وقد تم خلال الاجتماع مناقشة القضايا الخاصة بحسن سير الدعوة والعمل على تذليل العقبات لكى ينطلق جهاز الوعظ والارشاد بالأزهر فى النهوض برسالته ومواجهة التحديات التى تواجه الأمة فى الفترة الراهنة .

وبعد أن استمع فضيلة الإمام الأكبر لممثل علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر قال : إنهم واجهة الأزهر وهمزة الوصل بينه وبين جماهير الأمة ، ووعد فضيلته بالعمل على حل جميع المشكلات التى تعوق مسيرة الدعوة .

وفى ختام المؤتمر قرر علماء الوعظ إرسال برقية تهنئة إلى السيد رئيس الجمهورية على نجاح مؤتمر القمة العربى مبايعين سيادته على مواصلة الجهد فى خدمة دينهم الحنيف وأمتهم الإسلامية .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة

الشيخ السيد عسكر مدير عام الدعوة والإعلام الديني بالأزهر ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

ـ استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد المشير محمد عبدالرحمن سوار الذهب رئيس مجلس الإنقاذ السابق بالسودان ونائب رئيس المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف .

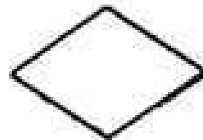
وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الصادقة داعيا المولى ـ عز وجل ـ أن يوفقه للعمل على نشر رسالة الأزهر الشريف في مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ـ كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد على ضناوى رئيس جمعية الإنقاذ الإسلامية اللبنانية ورئيس بيت الزكاة اللبناني حيث قدم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر وسلم فضيلته رسالة شفهية من سماحة الشيخ محمد رشيد قباني مفتى لبنان تتضمن تهنئة سماحة المفتي لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختيار فضيلته شيخا للأزهر الشريف .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على تهنئته الصادقة وعلى رسالة سماحة مفتى لبنان .

ـ كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير/ بشار ياقيس ـ سفير تركيا بالقاهرة والوفد المرافق لسعادته وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف كما تناول اللقاء طلب زيادة المنح الدراسية التي يقدمها الأزهر الشريف لأبناء تركيا للدراسة بالأزهر الشريف ، وقد أشاد الضيف بدور الأزهر الرائد في مجال الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة الدينية في مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وفي نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير والوفد المرافق لسيادته على المشاعر الطيبة الصادقة نحو فضيلته والأزهر الشريف .



أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد بشير

القاهرة

قال الرئيس حسني مبارك في مقابلة - مع مندوب الصحيفة الفرنسية « لوفيجارو » - نشرت يوم الجمعة ١٩ من صفر الماضي أنه يجب ألا نهتم كثيراً بالتصريحات العلنية التي تصدر عن رئيس الوزراء الإسرائيلي المنتخب ، لكن الرئيس - نفسه - حذر من مغبة تنصل إسرائيل من التزاماتها ، وقال إن عواقب ذلك ستكون وخيمة ليس على إسرائيل وحدها بل على المنطقة بأسرها ، وعارض الرئيس من زعم أن السلام ما هو إلا سراب قائلا : إنه حقيقة لا بديل عنها .

ولما سئل سيادته ، هل تتوقعون حربا بين العرب وإسرائيل ؟ .

استبعد سيادته قيام حرب جديدة بين العرب وإسرائيل وأضاف أنه يخشى في هذه الحالة أن يعم الإرهاب المنطقة كلها . وذكر إسرائيل بالانتفاضة الفلسطينية وقال ان نتنياهو متشدد وهو ما يعقد كل شيء وأعرب عن الأمل في إمكان حدوث انفراج إذا تم لقاء شخصي بينهما .

تقوم مصر - حالياً - بجهود مكثفة لدفع مسيرة السلام في الشرق الأوسط والتغلب على العقبات التي تعترضها وكانت البداية بالقمة العربية الموسعة أول هذا الصيف والتي نجحت في لم الشمل العربي وإبراز إصرار العرب على السلام . ثم كان لقاء مبارك وشيراك في باريس ثم لقاء مبارك والشيخ زايد ابن سلطان في جنيف الشهر الماضي .

وتواصل مصر جهودها مع الدول الافريقية خلال القمة التي عقدت يوم الاثنين صفر في ياوندى عاصمة الكاميرون ، حيث أجرى وزير الخارجية سلسلة لقاءات مع نظرائه الأفارقة تناولت نتائج القمة العربية التي يأمل أن تتبناها قمة ياوندى وذلك بعد وصول اليمين الإسرائيلي إلى سدة الحكم .

دمشق

أعلنت إيران موافقتها على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع البحرين وذلك بإعادة سفيرى البلدين إلى كل من طهران والمنامة ، وأكد مسئولون إيرانيون أن وزيرى خارجية البلدين

سيلتفيان ـ قريباً ـ وقد يكون ذلك فى دمشق .

وكانت العلاقات بين إيران والبحرين قد ساءت بعد اتهام المنامة لطهران بأنها سببت القلاقل السياسية التى شهدتها البحرين وهى الأحداث التى على اثرها استدعت الدولتان سفريهما وصرح وزير خارجية إيران لوكالة الأنباء الإيرانية بأن الجانبين اتفقا على تحسين العلاقات بينهما وأن سوريا ستستمر فى الوساطة بينهما .

لاهـــــــاى

استمعت محكمة جرائم الحرب فى لاهاى بهولندا إلى مزيد من الأدلة بشأن ما قام به القائد السياسى والعسكرى بحرب البوسنة فى القتل الجماعى لمسلمى البوسنة والهرسك فى جيب « سرى برى نيتشا » العام الماضى وقال أحد الناجين من تلك المذابح أنه شاهد الجنرال ملتدتش ـ مرتين ـ فى مخيم الاعتقال الذى أخذ منه المسلمين ، وأنه أبلغ المسلمين أن بعضهم سيقتل ، واعترف جندى سابق فى جيش صرب البوسنة أنه شارك فى قتل مئات المسلمين وأكد أن الأوامر جاءت من مقر قيادته مباشرة وبدأ المحققون فى فحص مقبرة جماعية بالقرب من « سرى برى نيتشا » ومعروف أن تلك المحاكمات ليس إلا مناورة مفضوحة يخفى بها المجتمع الدولى تقاعسه عن مناصرة الحق .

اعتــرافات مــــروعة

أجهش الجندى العــرقى ـ ذو الأربعــة والعشرون عاماً ـ بالبكاء عندما قال للمحكمة أنه كان أحد أفراد مجموعة من جنود صرب البوسنة الذين أعدموا أكثر من ألف رجل مسلم فى مزرعة قرب روب فنيك وقال : ان عمليات القتل كانت تستمر طوال اليوم حيث تصل الحافلات التى تحمل الرجال إلى مصيرهم المحتوم وتطلق عليهم النيران من الخلف ، وأجبر سائقى الحافلات المذعورين على قتل رجل واحد على الأقل حتى لا يدلوا بشهادات مخالفة وزعم الجندى انه احتج على ما كان يحدث فردوا عليه قائلين إن الخيار سهل وهو أقتل أو تُقتل وأبلغ المحكمة أنه لا يدرى كم قتل من المسلمين ..؟!

ندوة قضايا اللغة العربية

يقام بمركز « تعليم اللغة العربية للأفارقة » التابع لمعهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة ندوة فى الرابع عشر من سبتمبر ٩٦ حول قضايا اللغة العربية فى شرق أفريقيا .

وتستهدف الندوة دراسة أوضاع اللغة العربية فى كل من : السودان ـ ارتريا ـ أثيوبيا ـ الصومال ـ جيبوتى ـ كينيا ـ أوغندا ـ تنزانيا ؛ وذلك بهدف بحث الخلفية التاريخية لانتشار لغتنا وثقافتها العربية وما تعانيه من مشكلات راهنة فى مجال الانتشار والحفاظ على مكانتها ، سواء بفعل تعقيدات السياسات اللغوية أو التأثير القوى للغات الأوروبية التى أخذت وضعاً متميزاً كلغات تعليم وثقافة ، وأيضاً بحث كافة التعقيدات الاقتصادية والفنية المتعلقة باستخدام الحروف العربية فى كتابة اللغات الوطنية فى الدول الأفريقية .

وكذا بحث قضايا تدريس اللغة العربية ووضعها فى المقررات التعليمية ، إضافة إلى بحث سبل دعم السياسات الثقافية العربية فى الدول الإفريقية فى شرق القارة ودعم أداء المنظمات والهيئات العربية المعنية بالرسالة العربية والثقافة بشكل عام فى افريقيا الشرقية ، وصلة ذلك كله بالموقف العربى العام فى القارة .

liens de parenté et vient du verbe"Rahama" qui veut dire pitié, faire miséricorde. Allah a pour attribut "Al-Rahmân" c'est à dire Le Miséricordieux. ,Ces mots ont donc la même racine. Dans un hadith **Qudoussy (à thème divin), le Prophète -b.s- a dit : "Allah Gloire à Lui a dit au sujet des liens de parenté (Cilat Al-Rahim): "Je t'ai créé avec mes mains, J'ai dérivé ton nom du Mien, Je t'ai aussi rapproché de** Moi, Je jure par Ma Gloire et par Ma puissance que Je m'attacherai à quiconque s'attache aux liens de parenté et je couperai tout lien avec celui qui les rompt et que je ne serai satisfait que si ces liens sont respectés".Hadith rapporté par Al-Tirmidy.Ce hadith prouve que les parents ont des droits, s'ils ne les reçoivent pas en ce monde, ils les réclameront le Jour du Jugement Dernier. Il montre aussi que l'approbation d'Allah est tributaire de la satisfaction du lien de parenté (Rahim) qui, à sa création, se suspendit au pied du Trône divin en implorant de n'être point rompu comme nous l'apprend ce hadith du Prophète-b.s-:"Lorsqu'Allah créa la matrice, elle s'accrocha au pied du trône, alors Allah lui demanda: "Que veux-tu? Elle dit:"Ici c'est le lieu reservé à celui qui implore Ton secours afin de n'être **point rompu". Alors, Allah-Gloire à Lui-lui dit: "Oui, Certes. Serais-tu** satisfaite si Je m'attache à celui qui respecte tes liens et si Je romps avec celui qui les rompt? Hadith rapporté par Al Bokhary.

(a suivre)



lui. S'il est malade on lui rend visite, on essaye d'alléger sa peine en le reconfortant afin qu'il garde l'espoir en la miséricorde de son seigneur; on le soigne, on prend soin de sa famille durant sa maladie. S'il est égaré on l'incite à suivre le droit chemin, on le conseille, on le guide calmement avec amour et tendresse, sans rudesse en évitant de couper toute relation avec lui. Le Coran nous apprend que le Prophète d'Allah Ibrahim à lui salut dit un jour à son père en l'incitant à suivre le Droit Chemin : (O mon père, je crains que tu ne sois touché d'un châtiment du Tout Miséricordieux et que tu ne deviennes l'allié de Satan). 19 Surate

"Maryam"(Marie)V.45.Mais le père refusa de suivre les conseils de son fils, comme nous l'apprend le Coran; alors le Prophète d'Allah supporta avec patience le refus de son père et lui dit:[Paix sur toi, j'implorerai mon Seigneur, pour qu'Il te pardonne, Il a toujours été généreux envers moi.]19 Surate "Maryam" (Marie)V.47Plusieurs exemples sont cités dans le Coran pour nous montrer les diver manières de consolider les liens familiaux. Le Musulman doit être affable et indulgent avec ses frères et ses amis, mais cette conduite diffère quand il s'agit des liens de parenté.Le Prophète-b.s- a dit:"on ne peut être considéré comme ayant respecté les liens de parenté que si l'on a supporté avec indulgence de la part de l'un d'eux une offense et lui avoir pardonné, puis avoir maintenu ces liens quand même".Hadith rapporté par Al-Bokhary.Donc, rendre la pareille à un proche parent ce n'est pas maintenir les liens de parenté, mais, pour atteindre ce degré il faut que le fidèle ait surmonté un désaccord ou une séparation pour l'amour d'Allah sans rendre le mal par le mal à un proche parent. C'est pour cette raison que la plus grande noblesse de caractère consiste à pardonner l'offense, à se rapprocher de celui qui nous a abandonnés et à donner à celui qui nous a privés. Tel était le caractère du Prophète -b.s- à qui Allah a recommandé une telle conduite en disant:[Pratique le pardon, ordonne le bien et ecarte-toi des ignorants].Surate 7"Al-Araf"(Les limbes)V.199. Le mot "Rahim" désigne la matrice de la femme mais il désigne aussi l'origine des

Le respect des liens de parenté *(Cilat Al-Rahim)*

Par Hoda Hussein Chaâraoui.

Le mot "Rahim" désigne à la fois la matrice - le lieu où le foetus se développe - et les parents utérins comme les frères et les soeurs. Viennent après eux les fils des oncles et des tantes maternels ainsi que les fils des oncles et des tantes paternels. Le Musulman doit observer tous les égards envers sa mère et sa tante maternelle car toutes les deux sont utérines, ainsi que son père et son oncle paternel.

Nous voyons donc comment les liens de parenté sont de degrés divers allant du plus proche au plus lointain des membres de la famille.

L'importance des liens de parenté se place directement après la piété filiale. Dans la Surate "Al. Nissa" Allah nous a ordonné de lui vouer un culte exclusif et de lui obéir puis d'obéir à nos parents et de **respecter les liens de parenté. Allah-Gloire à Lui- a dit : (Adorez Allah** et ne lui associez personne. Soyez bons envers les parents et les proches...) Surate 4"Al Nissa" Les femmes,V.36.Ceci prouve que les proches parents ont des droits qui leur sont dus en ce monde. Ces droits se résument dans le fait de les traiter avec bonté et d'être **bienfaisant avec eux : c.à d. de leur procurer tout le bien et d'éloigner** d'eux tout mal, chacun selon ses possibilités et ses moyens. Ces liens diffèrent d'un parent à l'autre, si le proche parent est dans le besoin, il faut lui fournir l'aide financière. Le Prophète-b.s-a dit:"La charité faite à un nécessiteux est une simple charité, mais celle qu'on fait à un proche parent est à la fois une charité et une consolidation des liens de parenté".Hadith rapporté par Al-Tirmizy.Si le proche parent est opprimé on l'assiste, on le défend contre celui qui a été injuste envers



L'Imam Ahmad Al Nisa'i et Ibn Halân ont rapporté, selon Ibn Al Fakih que ce dernier a entendu le Messager d'Allah -b.s.- dire: "Satan attend le fils d'Adam dans tous les chemins. Il est posté sur le chemin de l'Islam et lui dit: "Vas-tu devenir musulman et renier ta religion et celle de tes pères? Mais l'homme lui désobéit et embrasse l'Islam. Alors Satan s'est posté sur le chemin de l'émigration et lui a dit: "Vas-tu émigrer et quitter ta terre et ton ciel?". Mais l'homme lui désobéit et émigra. Ensuite Satan l'a attendit sur le chemin du Djihad et lui a dit: "C'est une lutte pour la cause d'Allah où tu sacrifies ta vie et tes biens. Tu combats et tu es tué, alors ta femme en épouse un autre et tes biens sont divisés". Mais l'homme lui a désobéi et a lutté, pour la cause d'Allah.

Pourtant cela ne décourage pas Satan qui ne cesse de tenter les humains. C'est pour cette raison qu'Allah nous a donné l'ordre de chercher protection auprès de Lui contre Satan. De plus on trouvé maintes fois exprimée dans le Coran la recommandation de faire cela. D'autre part, les pieux, lorsqu'ils sont touchés par les instigations de Satan, se souviennent de cette recommandation, comme le dit la parole divine :

[Ceux qui sont pieux, lorsqu'il sont touchés par quelque démon, se souviennent; alors ils deviennent clairvoyants]

Sourate "Al A'raf", V 201.

Ceux qui craignent Allah recherchent sa protection pour fuir auprès de lui les instigations de Satan qui ne cesse de parer le mal à leurs yeux et de les tenter par les passions. C'est pourquoi il faut expressément avoir recours à Allah, comme le recommande le Coran :

[Si Satan t'incite à faire le mal, cherche protection auprès d'Allah; Il est celui qui entend et qui sait parfaitement]

Sourate "Fuçilat", V 36.

Combien de fois Satan n'a-t-il pas tenté les humains si bien que la majorité d'entre eux s'est laissée aller à satisfaire ses passions et à se plonger dans les jouissances illicites !

Le Prophète -b.s.- a pris soin de prévenir les hommes contre tout ce qui peut les conduire à leur perte en leur attirant la colère d'Allah.

à suivre

"Le Prophète prévient sa nation contre les instigations de Satan"

par Dr. Rokeya Gabr.

En ce mois sacré où la nation islamique fête l'anniversaire de la naissance de notre bien-aimé Mohammad -b.s.- le Prophète envoyé par Allah afin de guider l'humanité toute entière nous aimerions ici rappeler les conseils judicieux qu'il a donnés aux hommes.

Par ses innombrables qualités, Mohammad -b.s.- a toujours été un modèle vivant pour tous les humains. Ajoutons à cela ses dires et ses actions qui constituent la "Sunna" ou tradition prophétique qui est, après le Coran, le document fondamental pour tout musulman.

Les Messager d'Allah -b.s.- est donc l'exemple le plus sublime de la perfection humaine. Allah a fait de lui un imam pour les gens afin de les inciter à faire le bien de les détourner du mal et de les guider vers la Voie Droite d'Allah. Il était compatissant envers sa communauté, en les incitant à faire le bien et en réprouvant leurs actions lorsque celles-ci présentent quelque faible, ou sujettes à suspicions. Ainsi il a voulu bloquer toutes les voies à Satan car ce dernier-un ennemi déclaré de l'homme et Allah nous a prévenus contre lui comme l'affirme le verset qui dit :

/ Satan est certes pour vous un ennemi, soyez donc ses ennemis /

Sour. "Fatir", V 6.

Comment peut-il ne pas être votre ennemi, alors que c'est lui qui a tendu un piège à nos encêtres Adam et Eve en les tentant pour les faire chasser du Paradis. C'est ce qui explique cet avertissement d'Allah - qu'il soit exalté - destiné aux humains à qui Il recommande de sa méfier de lui et de ne pas succomber à ses tentations. Allah - gloire à lui-dit:

/ O fils d'Adam, que Satan ne vous séduise pas comme il l'a fait en faisant chasser vos ancêtres du Paradis /

Sour. "Al A'raf", V 27.

Comme il l'a fait avec Adam et Eve, Satan ne laisse passer aucune occasion sans tenter de séduire les humains. Il tend ses pièges pour assiéger l'homme de toutes parts.

REVUE
AL-AZHAR

Vol-69 part III

Rabi Al-Awwal 1417h. July/Aug. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammed OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

because, as it has been said earlier, the prophet (PBUH) had no intention to offend the sanctity of the Holy City of Mecca. Therefore, on Friday, Ramadan 20 of the 21st year of the Revelation (8 of the Hijra) the Muslim army was able to enter Mecca without encountering any form of resistance.

After that, when the victorians commander (PBUH) of the Muslim army entered Mecca on his camel, his head was bent, because he held himself humble before the power of Allah Almighty. He then visited the ancient house and performed the circumambulation around the Ka'aba (as part of the Islamic pilgrimage ceremonies). Then, he ordered the destruction of 360 idols which surrounded the black stone and he ordered, as well, throwing them out of the Holy Mosque. He gave his orders that all the paintings which had been painted inside the Mosque had to be erased.

Though most of the idolaters feared the vengeance of the prophet (PBUH) and thought he would humiliate and torture them for all the sins and evil deeds they had committed against him and against the Muslims, but to their astonishment, he told them they were free people and he would not do them any harm and asked Allah to forgive them and have mercy on them.

In fact, the surrender of Mecca marked the advent of a new era which witnessed the prevailing of Islam all over the Arabian Peninsula and the downfall of the idolater's sovereignty. After entering Mecca without any fight, both men and women had come forward to declare their faith in Islam in front of the prophet (PBUH) who, thereafter, stayed in Mecca for 19 days from the day he had victoriously entered it. During his stay the prophet (PBUH) had despatched Khalid Ibn Al-Waleed to demolish Al-Ozza, which had been the greatest idol of the Qureish. Afterwards, the prophet despatched some of his men to demolish the great idols of the other tribes.

In short, it can be said that after the peaciful surrender of Mecca the Muslims were extremely happy because what Allah Almighty had promised them had become true and because Islam had become deeply rooted in the Arabian Peninsula.

The Muslim army had started out on the march to Mecca after it had completed such mobilization and preparations, which had never been known before in the Arabian peninsula.

Moreover, the prophet (PBUH) had sent out a squadran and ordered it to march towards a place named (Adamm) so as to deceive the Qureish by making them think that Mecca was not the main target and in the meantime take them by surprise and henceforth prevent them from making the necessary preparations for the battle against the Muslims.

The main Muslim army, which was composed of same 10,000 militants, continued its march until it arrived to a place beside Mecca. When the Muslims had made their camp in that area, the prophet ordered every man of the army to light his own fire. Thus, within minutes, some 10,000 fires had been set alight by the Muslims to deceive the Qureish who would believe that there were huge numbers of the Muslim warriers awaiting to fight a fierce battle.

In the meantime, the Qureish had been informed that the Muslim troops were on the march to Mecca, therefore they sent Abu Sufian, Hakim Ibn Hizam and Budail Ibn Warqaa' to discover by themselves what was really going on. No sooner did they reach the place of the Muslim camp when they were captured by the Muslim guards. To save their lives the three idolaters declared their faith in Islam in front of the prophet.

The Muslim army had continued its advance and when it reached a valley near Mecca, the prophet (PBUH) ordered the army to be divided into two wings. The right wing was under the leadership of Khalid Ibn Al-Waleed and the left wing under the leadership of Al Zubair Ibn Al-Awwam. In addition, the prophet (PBUH) had appointed Sa'd Ibn Abada as the leader of the Ansar (Helpers), and appointed Abu Obeida Ibn Al-Jarah as the leader of Al Muhajirin (the Emigrants).

On seeing such numerous troops, Abu Sufian was allowed to go back to the Qureish to inform them of that he had seen, in order to persuade them to surrender without showing army sign of resistance

After the tribe of Khoza'a had been attacked a delegation from them went immediately to inform the prophet (PBUH) that the Qureish had violated the provisions and tenus of the Hudaybiyya peace treaty. On hearing this, the prophet (PBUH) had promised the tribe of Khoza'a to help them against their enemies.

In the meantime, the Qureish, being aware of violating the treaty, decided to send Abu Sufian Ibn Harb to Medina, because they believed that the situation had become very dangerous and they were fearing that the prophet (PBUH) would resort to any punitive measure against them. To his disappointment, Abu Sufian was badly received by the people of Medina and when he met the prophet (PBUH) he could not elicit from him what he intended to do or what he was up to or what were his future plans. The prophet's wisdom and deep insight appeared here; for he did not give any clear hint to what was going on in his mind on what he was going to do.

After Abu Sufian's return to Mecca with no news about the prophet's (PBUH) intentions towards Qureish after violating the treaty, the prophet gave his orders that the Muslim army should be prepared for the next battle. He began to gather the Muslims from every part. Members of the tribes of Aslam, Ghafar, Mazina, Ashja' and Juhaina had arrived in Medina asking to be recruited as part of the Muslim army.

The prophet (PBUH) had kept the readiness for war of the Muslims as a secret so that they could take the Qureish by surprise. However, it is noteworthy to mention that though the prophet was preparing an army, yet he had not the intention of launching an attack against the Qureish, he aimed to enable the people of Mecca to become Muslims by peaceful means and without offending the sanctity of the city.

When the time to move arrived, the prophet (PBUH) made the announcement that the Muslim army's destination and objective was Mecca, moreover, on the way to Mecca he dispersed his fellowers widely in order to distract the Qureish's attention and prevent them from receiving any important details regarding the approach of a Muslim army.



The Great Battles of Islam

The Great March to Mecca

by Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

As it has been stated earlier, the Hudaybiyya peace treaty had permitted any of the Arab tribes to establish an alliance with either of the two parties of the treaty, i.e. the prophet (PBUH) or the Qureish. In accordance with this treaty, the tribe of Khoza'a had established an alliance with the prophet (PBUH), whereas the tribe of Bakr had established an alliance with the Qureish. Because there had been a lot of wars between these two tribes during the pre-Islamic era, it happened that a man of the Bakr tribe was killed by a man of the Khoza'a tribe for insulting the prophet (PBUH). This incident had once again ignite the enmity between the two tribes for the Bakr tribe was determined to avenge the killing of its man. Naturally, being in alliance with Qureish, the tribe of Bakr requested the support of Qureish who promised to supply the tribe with both men and weapons. On receiving help from Qureish, the tribe of Bakr had launched a surprise attack against the Khoza'as and killed a number of them nearly 20.

***Proclaim ! (or Read !) In the name of thy Lord and Cherisher, Who created — Created man, out of a clinging mass* (96/1-2).**

Also, the following verses describe the whole stages of development of human embryo from an "alaqa" to an almost a morsel of flesh. At first, the multiplying cells do not show any definite shape, but gradually most of the cells evolve into different organs of the body, while other cells do not contribute to any form. Then a cartilage structure forms, that later evolves into the skeleton bones. Later these bones are clad with muscles. Compare this sequence with the following verses :

***(consider) that We created you out of dust, then out of sperm, then out of a clinging mass, then out of a morsel of flesh, partly formed and partly unformed* (22/5)**

***Man did We create from a quintessence (of clay); then We placed him as (a drop of) sperm in a place of rest, firmly fixed; then We made the sperm into a clinging mass; then of that ... We made a (foetus) lump; then We made out of that lump bones and clothes the bones with flesh; then We developed out of it another creature* (23/13-14)**

During pregnancy; the embryo floats all the time in the amniotic fluid, that supplies it with all its needs. This liquid is kept in a strong "omnion" membrane. It gets its supply of food (and rejects wastes) through a second "chorion" membrane, that is intermediary between the omnion membrane and the third "decidua" membrane. These three membranes might be the "three-fold gloom" mentioned in the verse :

*** He creates you in the wombs of your mothers, in stages, one after another, in three veils of darkness* (39/6)**

Another possibie interpretation could be the three consequtive locations of the ovum during its trip from ovulation to the bith of the full baby, i.e. :

1) the ovaries.
2) the fallopian tube where fertilization occurs.
3) the uterus.

gically correct. Products of digestion are diverted into : milk to the udder, blood to the veins, and remnants to the stool and urine, according to the verse :

***And verily in cattle (too) will ye find an instructive sign : from what is within their bodies, between excretions and blood, We produce, for your drink, milk, pure and agreable to those who drink it* (16/66)**

15-Embryology :

Several verses in the Quraan deal with the formation and development of human embryos, in such precise words as to conform with the modern science of embryology. Pregnancy starts with the combination of a single father's sperm with a single mother's ovum; to form a combined fertilized cell. The genetic characteristics are determined according to the respective cromosomes, combines or according to the respective cromosomes, "mingled" together. Here the Quraan states :

*** Verily We created man from a drop of mingled sperm, in order to try him* (76/2)**

It is only one sperm out of millions that succeeds in fertilizing the ovum, and deciding the fate of the outcome. This very minute portion of semen is described by the Arabic word "nutfah"; which means : traces or minute remains of liquid :

*** Was he not a drop of sperm emitted (in lowly form)* (75/37)**

For this reason also, it is almost impossible, except for Allah to know beforehand the gender of the new embryo, before much further growth :

***Allaah doth know what every female (womb) doth bear, by how much the wombs fall short (of their time or number) or do exceed* (13/8)**

As soon as the ovum is fertilized, it migrates back to the uterus where it 'implants" itself to the wall. Recall that the ovum fertilization occurs also through a sort of "impalnting" the sperm to its wall. Either or both of these implanting or clinging processes are referred to clearly by the Arabic word of "Alaq", in the first verses revealed in the Quraan :

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part V

by Nabil Abdel Salam Haroun

In this article the proofs given will deal with zoology and embryology which add more evidence showing why Islam is the best religion revealed by Allah to His people through His prophet Muhammad (MPBUH)

14-Zoology :

Modern studies of animal life have confirmed the diversity of their communities, being divided into : classes, orders, families .. etc. Each has typical social patterns, ways of life, and even languages of communication, much so like human societies. This is referred to in the Quraan, where all the animal species are referred to as "nations."

*** There is not an animal (that lives) on the earth, nor a being that flies on its wings, but (forms part of) communities like you* (6/38)**

All variations of biological life; animal or plant, even microscopic creatures, depend for their life on water. This was emphasized several centuries back in the Quraanic verses :

*** And Allaah has created every animal from water* (24/45)**

***... We made from water every living thing. Will they not then beleive ?* (21/30)**

The Quraan also describes the gushing (origination) of milk from grazing livestock, in a manner that is both anatomically and physiolo-

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabi Al-Awwal 1417h.



ENGLISH SECTION

Vol-69 part III

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عبد الفتاح عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غنامي خفاجة

المراسلات : باسم مدير التحرير - الإدارة العامة - بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٩٩٠ - ٥٩٠٢٣٢٨ - ٥٩٠٠٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٢٢٢٢٦ ع

دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

هذا الشباب

وهو شبابنا ، عزيز علينا أن تلم به خواطر السوء ، وتتلاعب بفؤاده النغض وساوس الشيطان ، ويترصده كيدُه في أعز ما استقر في قلبه .. في عقيدته التي هي كيانه وشخصيته وعليها أمله في حياته ويوم لقائه بربه .

هؤلاء ثلاثة من الشبان التقوا بي الواحد بعد الآخر .. ولئما تفاوت بينهم من زمن ، ولما اختلف بينهم من حال .. ولما تباعد بينهم من مكان تدرك - تماما - عدم معرفة بعضهم لبعض . فليس يجمعهم - على شيء واحد - إلا أنهم جميعا في اضطراب مما تلقيه الشياطين في صدورهم لتهز في أعماقهم عقيدتهم ، وتترك كلا منهم - وربما غيرهم كثير - أشبه بذبيح انتهى أمره وفقد النجاة . ويشتد به الألم الصاعق أن يرى مصيره النار ، وليس بين يديه ما يدفع هذا الوسواس الخبيث بينما الأمر أيسر بكثير مما يتصور هذا الشباب .

وبداية لا خوف عليه ولا ضيعة طالما التزم ممارسة فرائض الإسلام ، ولم يركن ـ إزاءها ـ إلى إهمال . وليطمئنوا نقول : قد حدث الذى فى صدورهم لبعض أصحاب رسول الله ﷺ .. روى مسلم ـ بسنده ـ إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال :

« جاء ناسٌ من أصحاب النبى ﷺ فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : ـ عليه الصلاة والسلام ـ : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم .. قال ﷺ : ذاك صريح الإيمان !! » .

يعنى هؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بقولهم : ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، أى نجد التكلم بما يوقعه الشيطان فى صدورنا أمرا عظيما لاستحالته فى حقه تعالى .

ورده ﷺ عليهم بقوله : « ذاك صريح الإيمان » معناه : أن استعظامكم الكلام به ، وشدة الخوف منه ، ومن النطق به ، فضلا عن رفضكم اعتقاده ، دليل ـ بين أيديكم ـ على استكمالكم الإيمان استكمالا محققا انتفت عنه الريبة والشكوك .

وروى عبدالله بن مسعود ـ وذاك من حديث صحيح لمسلم أيضا ـ قال : سئل النبى ﷺ عن الوسوسة ؟ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « تلك مَحْضُ الإيمان » .

ومعنى كلمته ﷺ : أن سبب الوسوسة هو هذا الإيمان الخالص ، أو الوسوسة علامة الإيمان الخالص .

ولقد كانت هذه الحالة من الحالات التى وجدت من علمائنا ـ رحمهم الله ـ تعالى ـ دراسة مستطيلة تُعالج وتُطَمْئِنُ هذا الشباب .. قالوا ـ فى هذا الأمر : إنما يوسوس الشيطان ـ بهذه الوسوسة ـ لمن رأى من حاله أنه لن يستطيع أن يُغْوِيَهُ بارتكاب الكبائر ، فإنْ يئس من إغوائه نكد عليه بالوسوسة .

ويعني كُلّ ما قدمنا أن الوسوسة ليست بالشيء الذي نجعل حياتنا تضطرب له .

ويمضي علماؤنا ـ رحمهم الله ـ تعالى ـ إلى النظر والدراسة في ذات الخواطر التي تُلْقَى في النفس توصلا إلى الإحاطة بمضمونها . فيحددونها :

(أ) خواطر يلقي بها الشيطان في صدور الناس متعلقة بالذات العلية .. بالله ـ سبحانه وتعالى ـ علوا كبيرا .. منها ـ والعياذ بالله ـ تعالى ـ ما يدعو إلى الجحود ، أو متعلقة بالنبوة كذلك توصلا إلى إنكارها والتشكيك في أمرها ـ والعياذ بالله .. وهذا اللـــون هو « الوسوسة » .. وتتميز بأنها تأتي النفس وتذهب عنها .. فهي غير مستقرة ، وهذه الخواطر لا يهتم الإنسان لها ، ولا يشغل بها نفسه ، وليس عليه ـ إزاءها إذا عرضت ـ إلا أن يستعيذ بالله منها ، ويلجأ إليه في دفعه شرها ، ويعرض عن الإصغاء إليها ، ويشغل فكره بغيرها . والله ـ تعالى ـ مُعِينُهُ ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

(ب) وخواطر أخرى تعرض للنفس في صورة شبهة في أمر ما مثل : هذا طفل صغير لم يبلغ ، أو يتيم .. لماذا تجب الزكاة في ماله ، لِمَ لا يعفى من الزكاة .. ؟ .. وأمثال هذه من الخواطر .. وهذه الشُبَهُ تستقر في النفس ولا تزول إلا بدفعها ، وإنما تدفع بالرجوع ـ في شأنها ـ إلى المختصين ، وطرحها أمامهم فيتجلى له وجه الحق فيها فتزول ..

وبعد :

فما على شبابنا ـ إذا عرض عليه خاطر ـ إلا أن يرى مضمونه ، وليعتصم بالله ـ عز وجل ـ مطمئنا إليه مستنصرا به ، فهو ـ سبحانه ـ نعم المولى ونعم النصير ..

د. علي أحمد الخطيب

كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

مساء ليلة الثاني عشر من ربيع الأول ١٤١٧ هـ في قاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر بالقاهرة

الإمام الأكبر شيخ الأزهر

العلماء الأجلاء

الإخوة والأخوات

إن من أيام التاريخ أياماً هي بمثابة المعالم المضيئة على الطريق ، تنير سبل السالكين ، وترشد إلى الغاية المأمولة .. من هذه المعالم ما يبقى بقاء الزمن ، بل منها ما يتحدى عوادي الزمن .

وليس من شك في أن من أهم معالم التاريخ المضيئة وأيامه الباقية الخالدة ، هذا اليوم الذى أشرقت فيه الدنيا بمولد رسول البشرية وخير الأنام ، سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام .

ففى هذا اليوم ، أهدى الله إلى الإنسانية من سيجدد إنسانيتها ، ويقيل عثرتها ، ويقود نحو الحق والخير والسلام مسيرتها .

فقد تتابعت النبوات ، وتوالت منذ بداية الخليقة الرسالات ، كل نبى أو رسول يضع فى صرح الإيمان لبنة ، ويعلى من روح الفضائل درجة ، وظلت حياة الناس محتاجة أشد الاحتياج إلى من يتمم رسالة الله فى الناس ، فيصحح عقيدتهم بالوحدانية الخالصة ، ويضبط أحوالهم بالشريعة العادلة ، ويقوم أخلاقهم بالفضائل الرفيعة .. ولهذا أطلع الله فجر محمد ﷺ فى تلك الليلة المباركة ، ليكون ميلاده ميلاد المنقذ ، وليتلقى أمانة المسئولية ، فيصدع بأمر ربه ، ويؤدى رسالته كأعظم ما تؤدى الرسالة ، فيحدث بذلك أعظم ثورة شهدها تاريخ الإنسانية ، تلك الثورة البيضاء السمحاء ، الشاملة الكاملة ، التى أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، وأنقذتهم من مهاوى الضلال ، فصححت عقولهم بأنقى عقيدة ، ونظمت حياتهم بأرقى شريعة ،

وهذبت أخلاقهم بأرفع قيم ، وحققت ـ بذلك ـ أكبر تحول نحو الخير والرشاد فى تاريخ البشرية .. ومن هنا لا نبالغ إذا قلنا : أن ذلك الميلاد ، كان بداية الإنقاذ والارتقاء الحقيقى للعالم كله .

الميلاد عبرة من الماضى إلى الحاضر

إننا ، نحتفل بهذا اليوم سعداء به ، مقدرين لقيمته أعظم تقدير ، منتفعين بذكراه انتفاع الواعين المدركين ، عملا بقول ربنا : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

وكما قلت فى مناسبات سابقة ، فإن أفضل احتفال بهذه الذكرى الكريمة ، هو أن نأخذ منها الدرس والعبرة ، وذلك بمراجعة الماضى والاسترشاد بأفضل منجزاته وآثاره ، ثم نتأمل الحاضر بإيجابياته وعثراته ، وأخيراً بالتطلع إلى المستقبل واستشراف آفاقه وأبعاده .

فإذا ما تأملنا الماضى ـ فى ضوء سيرة الرسول الكريم ﷺ وجدنا أن هذا الماضى قد شهد تحولات جذرية عميقة للعرب ومن حولهم ، وذلك بفضل تلك القيم والمبادىء التى احتضنتها رسالته وقامت عليها دعوته .

أما العرب فقد تحولوا من قبائل مفرقة ممزقة ، إلى أمة موحدة ، كما خرجوا من بداوة متخلفة ضائعة ، إلى حضارة متقدمة رائعة ، وانتقلوا من وجود منعزل تابع ، إلى كيان متفاعل ومستقل ، كان له إسهامه الملموس فى الارتقاء بحضارة الإنسان ورسالته فى الكون .

وغرس الإسلام فى قلوب المؤمنين قيما جديدة ، أساسها التسامح والتراحم والترابط ، والعدل بين كافة البشرية وإعلاء قيمة العمل ، ومحاربة التفرقة والظلم والتعصب ، والبعد عن الشطط والتطرف ، والكف عن الأذى والإضرار بالآخرين ، وتجنب الحقد والضغينة .

هكذا ، قام المجتمع الإسلامى على أسس راسخة متينة ، لأن القيم هى الضمان الأكيد لسلامة البنيان واستقامة السلوك ، وهى المعيار الذى يحكم صلابة النسيج الاجتماعى ، والعنصر الذى يقيم التوازن بين مصلحة الفرد وخير الجماعة ، ويشكل رؤية الإنسان لدوره فى الأرض صانعاً للسلام ، وناشرا للخير ، ومبشراً بالمجد والتقدم .

وبذلك ، ربح العالم حضارة إسلامية كبرى ، حفظت للإنسانية تسلسل الحضارات ، وتفاعلت مع غيرها من الثقافات دون خوف أو تردد تنهل منها وتضيف إليها ، فأسهمت بهذا فى إثراء التجربة البشرية وتدعيم مسيرتها على مر القرون .

هذا بإجمال ما تأخذه من عبرة الماضى ونحن نحتفل بهذه الذكرى العطرة .

---

(١) الذاريات

ظواهر سلبية

أما ما يقوله استقراء الحاضر ، فهو أن أمتنا تعانى فى داخلها من بعض الظواهر السلبية التى تنهك قواها ، وتعوق مسيرتها ، وتهدد كيانها ، فى الوقت الذى تخوض فيه أمم أخرى معركة التنمية الشاملة والنهضة العلمية والتكنولوجية ، وتحقق إنجازات كبرى فى شتى مجالات الحياة ، وسط منافسة ضارية قاسية ، يكون البقاء فيها للأصلح والأقوى ، القادر على اللحاق بركب التقدم ، وحيازة مقومات ثورة العلم والمعلومات ، وفى هذا الخضم الحافل لا يكون هناك مكان للضعفاء ، ولا موضع للكيانات الصغيرة ، فضلا عن الكيانات الغافلة الغارقة فى السلبيات المعوقة والصراعات المفرقة .

فرغم أن ديننا الحنيف قام على تأكيد مبدأ الحق والعدل ، وشدد على عدم العدوان على حق الغير فى أرضه أو ماله ، وفى حريته وكرامته وأمنه ، نجد أن بعض من ينتسبون إلى الأمة الإسلامية ، قد تورطوا فى العدوان على حقوق إخوتهم فى الإسلام ، وفى تهديد أمنهم وسلامتهم دون مراعاة لحق أو أخوة ، ولا لحرمة الجوار التى أكد عليها الإسلام بكل الإصرار .

كذلك لجأ بعض من ينتسبون للإسلام فى السنوات الأخيرة ، إلى التدخل فى شئون بعض الدول العربية الإسلامية الشقيقة ، وذلك عن طريق التآمر والتخريب ومساندة الإرهاب ، من أجل ترويع الآمن وزلزلة الاستقرار ، سعياً لإقامة مناطق نفوذ خارج حدودها ، وحمل شعوب إسلامية شقيقة على الرضوخ لإرادتها وقبول هيمنتها ، عن طريق الضغط والابتزاز ، والتهديد والوعيد .

وقد نسى هؤلاء الضالون أن ديننا الحنيف يقدس حرمة ممتلكات الغير ، كما يقدس حرمة روحه ودمه ، ولا يبيح لأحد ـ لأى سبب ـ أن يروع الآمنين ، ويسيل الدماء أو يتسبب فى إزهاق أرواح الأبرياء .. لقد نسى هؤلاء الآثمون قول المولى ـ عز وجل :

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[2]

وقوله ـ سبحانه وتعالى :

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[3]

كما نسوا قول الرسول الكريم ﷺ « **كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه** »[4] وقوله ـ صلوات الله عليه : « **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه** »[5] وهكذا أكد القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف أن هذه الصور للعدوان الذى يؤدى إلى قتل الأبرياء وترويع الآمنين ، هى أمور تتناقض تماما مع روح الإسلام وتعاليمه وقيمه ، بل أنها تسىء إليه إساءة كبرى ، وتشوه صورته فى أذهان الشعوب الأخرى .

---

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .
(٣) سورة المائدة آية ٣٢ .
(٤) أخرجه مسلم .
(٥) رواه البخارى .

الإسلام والسلام

إن جوهر الإسلام وتعاليمه السامية ، يقضيان باحترام النفس الإنسانية ، وبالحفاظ على التضامن بين أبناء الأمة ، وتوحيد صفوفهم والكف عن الأذى والضرر ، عملا بقول الرسول الكريم : « لا ضرر ولا ضرار »[٦] وكل هذا يشكل مبدأ من أهم مبادىء الإسلام العظيم ، دين العدل والرحمة ، كما أنه يمثل التطبيق الصحيح لمبدأ الأخوة الإسلامية ، التى تفرض التعاطف والترابط ، والتجمع والتضامن بين الأخوة من أبناء الدين الواحد .

ويلى هذا المبدأ فى الأهمية ـ بعد مبدأ التضامن ـ مبدأ التمسك بالسلام ، وأعنى به السلام العادل والشامل والدائم فهذا السلام هو فى الإسلام أساس العلاقات بيننا وبين أنفسنا ، كما أنه أساس العلاقات بيننا وبين غيرنا ، فليس من الإسلام أن يتقاتل المسلمون فيما بينهم ، وأن يحمل المسلم السلاح فى وجه أخيه . كما أن حمل السلاح لمحاربة الغير ، لا يكون فى الإسلام إلا للدفاع عن النفس ضد عدوان وقع ، أو قامت أدلة كافية على أنه قد دبر ليقع .. فالسلام إذن هو الأساس الثابت فى الرؤية الإسلامية والحرب هى الاستثناء العارض .. وما أروع قول المولى فى تحديد ذلك : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾[٧] ولذا كان ديننا الحنيف هو الذى كتب علينا التضامن لنقوى ونعز وتكون لنا كلمة مسموعة وراية مرفوعة ، كما يحضنا على السلام لكى نأمن ونستقر ، وفى مناخ الأمن والسلام نعمل ونبنى ونعمر ونلحق بركب الحضارة والتقدم .

سياسة التضامن والسلام

ومن أجل هذا فإننا نتبنى سياسة التضامن والسلام ، ونؤمن بوجوب إتباعهما كخط استراتيجى ثابت ، يتفق مع قيم ديننا الحنيف ، التى نحرص عليها ونسير على هديها ومن أجل مبدأ التضامن نعمل جاهدين دون توقف أو ملل ، ونسعى ما وسعنا الجهد على لم الشمل وجمع الكلمة ووحدة الصف ، ونحمد الله ـ عز وجل ـ على نجاح القادة العرب فى توحيد الصف ولم الشمل فى مؤتمر القمة الذى عقد بالقاهرة منذ أسابيع ، والذى سيبقى دائماً علامة مضيئة وصفحة ناصعة فى التاريخ العربى ، ومن أجل مبدأ السلام ، سعينا ـ ومازلنا ـ من أجل تحقيقه عادلا وشاملا ودائماً ، حتى يتأكد العالم أننا لسنا دعاة حرب ، وإنما نحن أصحاب حق ودعاة سلم ، على أن سلامنا هو سلام الأعزاء القادرين ، لا سلام الضعفاء العاجزين ، كما أننا نعتمد فى مطالبتنا بالحق العربى على الحوار والتفاوض ، الذى يقوم على الأساليب الحضارية ويحتكم أطرافه إلى الشرعية

---

(٦) رواه مالك فى الموطأ .

(٧) البقرة ـ ١٩٠ .

الدولية وقواعد القانون والعدالة ومن هنا نقول لمن يهددون مسيرة السلام أو يشككون فى توجهنا إليه ، إننا مُصرُّون على السلام الذى اخترناه والذى بدأناه ، لأن ديننا يدعو إليه ويحض عليه ، ولأن مصلحتنا ومصلحة عالمنا ترتبط به وتتوقف عليه ، ولا يملك أحد أن يشكك فى نوايانا أو يحملنا على تغيير موقفنا ، لأن السلام الذى نسعى إليه هو السلام العادل والشامل والدائم ، وهو السلام الذى أكدته الاتفاقات المرعية ، وساندته الأسرة الدولية ، لأنه يشكل النهج الذى يعطى كل ذى حق حقه ، ويقيم التوازن المطلوب بين حقوق الأطراف والتزاماتهم ، ويوفر الحماية اللازمة للمصالح المشروعة .

السلام سبيلنا

أما السلام فهو سبيلنا إلى الأمن والاستقرار ، وهما السبيل إلى البناء والتعمير والإنتاج والرخاء ، وتجربتنا فى ذلك خير دليل على ما نقول ، فبالسلام وجّهنا جهودنا إلى إصلاح ما أفسدته الحرب ، وشيدنا المدن الجديدة ، وضاعفنا المصانع المنتجة ، ووسعنا الرقعة المزروعة ، وبذلك ضاعفنا الإنتاج ، ووفرنا الخدمات ، وبدأنا مرحلة جديدة نأمل أن تمتد آثارها الطيبة إلى شتى صور الحياة على أرض مصر الطيبة ، والأمل كبير فى تحقيق تلك النهضة الشاملة ، والارتقاء بمصر الحبيبة أكثر فأكثر هذه خواطرى بمناسبة الاحتفال بذكرى مولد الرسول الكريم أرجو أن تكون رسالة أخوية أبعث بها إلى إخوانى المسلمين فى كل مكان ، وأسأل الله أن تجد هذه الرسالة ما تستحقه من استجابة تتوافق مع ما تتصف به من صدق فى التوجه ، وأمل فى حسن التلقى ، حتى يكون غد أمتنا أفضل من حاضرها ، ويكون مستقبلها الكريم مكافئاً لماضيها العظيم ، والله الموفق ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .. كل عام وأنتم بخير .



كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في

الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

ألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى هذه الكلمة فى الاحتفال بذكرى المولد الشريف الذى أقيم بقاعة المؤتمرات مساء الثانى عشر من ربيع الأول .

قال فضيلته بعد تحيته للحفل :

إننا عندما نحتفل بذكرى ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ إنما نقصد بهذا الاحتفال الاعتبار والاتعاظ والاقتداء بصاحب الذكرى ﷺ والقرآن الكريم قد أمرنا بأن نقتدى بالصالحين وعلى رأسهم سيدنا رسول الله ﷺ وصدق الله إذ يقول :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(1) .

كما أمرنا القرآن الكريم أن نتبع الرسول ﷺ فى أقواله وفى أفعاله ، وأن نقتدى به فى عبادته ، وفى إخلاصه لدينه ، وفى ثباته على مبدئه ، وفى شجاعته بالنطق بكلمة الحق و « ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ »(2) .

إن ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ ، وإن بعثه ، وإن رسالته كانت تجديداً لميلاد الإنسان .. تجديداً لميلاد الإنسانية جمعاء .. يحدثنا التاريخ أن العالم قبيل مولد سيدنا رسول الله ﷺ وقبيل بعثته كان يموج بالفتن ، وكان الإنسان لا يعرف لماذا خلق ولا إلى أين سيصير وإنما هى أرحام تدفع وقبور تبلع وبطون بين ذلك لا تشبع .

---

(1) الأحزاب ـ ٢١ .

(2) آل عمران ـ آية : ٣١ .

كانوا كما قال القرآن الكريم :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٣) .

جاء سيدنا رسول الله ﷺ برسالته فعزز الإنسان وكرمه وبين له أنه خليفة الله فى أرضه وإن الله سبحانه وتعالى قد كرمه على كثير من خلقه كما قال عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٤) .

وجاء سيدنا رسول الله ﷺ برسالته فأمر الإنسان أن يكون من الذين يبنون ولا يهدمون .. من الذين يعمرون ولا يخربون .. من الذين يصلحون ولا يفسدون ، ومن الذين يعطون أكثر مما يأخذون .

جاء رسول الله برسالته التى علمت الإنسان وعلمت المسلم أن غير المسلمين بالنسبة له ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، أما قوم لا يعيشون معنا فى بلادنا وإنما هم يعيشون فى بلادهم ولكنهم لا يسيئون إلينا بأى لون من ألوان الإساءة وهؤلاء يقول القرآن الكريم فى شأنهم :

﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٥) .

وأما قوم يسيئون إلينا بشتى ألوان الإساءة ويعلنون الحرب الظاهرة والخفية علينا وعلى أوطاننا وهؤلاء قال القرآن الكريم بالنسبة لنا فى شأنهم :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٦) .

وأما قوم يعيشون معنا فى بلادنا تظلنا سماء واحدة وتقلنا أرض واحدة وتجمعنا مصالح مشتركة نشرب من ماء واحد وهؤلاء تقول لنا شريعة الإسلام بالنسبة لهم (لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

جاءت شريعة الإسلام لكى يبين لنا سيدنا رسول الله ﷺ أن العقائد لا إكراه عليها وأن التعصب الأعمى يؤدى إلى الخسران فى الدنيا والآخرة وأن العقائد لا تباع ولا تشترى والإكراه على العقائد لا يولد مؤمنين وإنما يولد منافقين .

(٣) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٤) الإسراء ـ ٧٠ .
(٥) التوبة ـ ٧ .
(٦) البقرة ـ ١٩٠ .

رسالة الرئيس محمد حسني مبارك
في المؤتمر العالمي الثامن
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

استضافت مصر علماء من أنحاء الوطن الإسلامي كان بمناسبة المؤتمر العالمي الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى انعقد بالقاهرة يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأول ١٤١٧هـ / ٢٤/٧/١٩٩٦ م .

رأس المؤتمر الذى رعاه السيد الرئيس فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ، وموضوعه : « الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى » .

وهذه رسالة السيد الرئيس فى الإخوة علماء العالم الإسلامى ، والتى ألقاها نيابة عنه الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

« أرحب بكم على أرض مصر التى كانت منذ فجر التاريخ مهد الحضارة والمعرفة وكان يحج إليها طلاب المعرفة فى الزمان القديم من فلاسفة اليونان أمثال طاليس وأفلاطون ممن جاءوا يدرسون الحكمة على يد رهبانها ، وبقيت آثارها إلى اليوم شاهدا على عظمة إنسانها القديم الذى اتجه إلى البناء والتعمير .. ولولا الأمن الذى عاشته مصر كما أراد الله لها لما استطاعت أن تبنى حضارتها العظيمة ولا أن تكون فى طليعة الشعوب التى ظلت تبحث عن جوهر الدين .. فأهلا ومرحبا بكم فى مصر التى على أرضها تحاورت الأديان وتحاورت المعتقدات وتفاعلت الحضارات منذ آلاف السنين والتى ارتبط تاريخها منذ أكثر من ألف عام بالأزهر الشريف الذى ينشر تعاليم الإسلام السمحة فى غير تعصب أو انغلاق .

مصر وسماحة الأديان

وأضاف الرئيس قوله : إن مصر لا تزال حتى اليوم وكالعهد بها دائما تعيش فى ظل سماحة الأديان وإخاء الإنسان ، ولا تزال بلدا يسعى إلى

السلم والسلام القائم على العدل ويمد يده لكل شعوب الدنيا متعاونا بلا حدود من أجل خير الإنسان .

وليس هناك شك فى أن لقاءكم التاريخى فى القاهرة فى المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية يعد فرصة تاريخية لتبادل الرأى حول مستقبل الحوار الحضارى ويشكل إسهاما كبيرا فى إثراء هذا الحوار من أجل مستقبل مشرق للبشرية جمعاء .

وقال الرئيس :

إننا نعيش الآن فى عالم تتشابك فيه المصالح بدرجة لم يسبق لها مثيل وأضحى العالم مثل قرية كونية كبيرة يعتمد فيها كل على الآخر بأى صورة من الصور وبأن أى حدث يجرى فى أى مكان من العالم يكون له صداه وتأثيره بشكل أو بآخر فى كل أركان الدنيا .

ومن هنا فإنه لم يعد هناك مكان للانعزال فنحن فى مرحلة لا مفر فيها من التعامل مع الآخرين بصرف النظر عن اتجاهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم .

مؤشرات للسلام

أيها الإخوة الأعزاء .. ضيوف مصر الكرام :

إنه على الرغم من كل ما يجتاح العالم اليوم من صراعات دموية وأعمال عنف مختلفة ومشكلات صعبة على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية . وما يمكن أن يسببه ذلك كله من شعور لكثيرين من محبى السلام والداعين إليه بالاحباط واليأس ، فإن هناك مؤشرات لا يمكن تجاهلها تشير إلى أن العالم قد سئم الحروب والمنازعات وأنه متجه بشكل أو بآخر إلى السلام وأن السلام سوف يفرض نفسه فى نهاية الأمر وأن القرن الواحد والعشرين سوف يشهد تحولات هامة على جميع المستويات .

لكن السلام المنشود ليس من الأمور التى تأتى بطريقة تلقائية وإنما يحتاج إلى توفر إرادة السلام وصدق النوايا وتكاتف كل الجهود من أجل الوصول إلى التفهم الكامل والإقدام المتبادل والتعاون المشترك بين كل الشعوب ، وهذه أمور لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الحوار . فالحوار هو لغة المستقبل ، والسلام هدف مشترك لكل بنى البشر ، ولن يتحقق السلام بين الشعوب إلا إذا كان هناك سلام بين الأديان . ولن يكون هناك سلام بين الأديان إذا لم يكن هناك حوار جاد وموضوعى ومنصف بين أتباع هذه الأديان .

السلام ضرورة حياتية

وقال سيادته :

إن السلام كما نعتقد جميعا إنما هو ضرورة حياتية والحياة بدون سلام حياة فارغة لا معنى لها . ولا نعدو قول الحق إذا قلنا أن السلام فى حقيقته أصبح ضروريا للحياة مثلما أن الهواء ضرورى للتنفس .

إن الإسلام قد دعا منذ نشأته إلى الحوار والتعايش بين البشر والدخول فى السلم ، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب ، وكانت دعوته إلى الحوار بين الأديان دعوة صريحة وواضحة فى القرآن الكريم : حيث يقول :

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

سورة آل عمران ـ آية : ٦٤

وأكد الرئيس فى رسالته على أن الإسلام دعا أيضا إلى ضرورة أن يكون الحوار بالأسلوب الهادىء المتعقل والنظرة الموضوعية للأمور .

ويشهد القرآن على ذلك فى قوله تعالى :

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

سورة العنكبوت ـ آية : ٤٦

وقد نبه القرآن الكريم إلى حقيقة أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة وأن الكرامة التى منحها الله للإنسان تشكل كل إنسان فى كل زمان ومكان .

الإسلام دعوة للسلام

ومن هذا المنطلق كانت دعوة الإسلام إلى الفهم المتبادل والاحترام والتعاون المشترك بين البشر جميعا .

وقد نظر الإسلام إلى الإنسانية لا بوصفها مفهوماً مجردا يحوم فى سماء التجريد ولا صلة له بالواقع بل نظر إلى الإنسانية بوصفها تمثل مجموع البشر الذين يعيشون معا على أرض الواقع .

ومن هنا فإن الاعتداء على فرد واحد من أفراد البشر .. يعد اعتداء على البشرية كلها ، وفى المقابل فإن من يقدم الخير لفرد واحد فكأنه قدم الخير للبشرية كلها .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان الذى يبحث عن السلام ينبغى أن يبحث عنه لنفسه وللآخرين فى الوقت نفسه ، فهم الذين ينتمون إلى نفس الأسرة الإنسانية التى هو جزء منها أراد أو لم يرد .

فالتعددية فى نظر الإسلام أمر واقع وملموس ولكنها بدلا من أن تكون مجالا للخلاف والنزاع ينبغى أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك والجهود المشتركة من أجل السلام .

ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى فى قوله :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ .

سورة الحجرات ـ آية : ١٣

والتعارف هنا إنما هو حوار بين هذه الشعوب المختلفة .. وبهذا هو اللغة الحضارية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، أما استخدام السلاح أو العنف كلغة التخاطب بين البشر فإنما هو أداة بربرية تعادى الحضارة والتقدم وترد الإنسان إلى عصور ما قبل التاريخ .

الرسول ﷺ يشخص حال الأمة

ثم قال الرئيس :

لابد لنا ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين من أن نرتجع أنفسنا جيدا وأن نستعد لدخول هذا القرن بفكر جديد وتوجيهات جديدة .

ومن هنا دعت الحاجة إلى أن يكون موضوع مؤتمركم هذا العام ، هو «الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى» ونحن على يقين من أن مناقشاتكم البناءة والهادفة سيكون لها أثرها فى تنبيه الأذهان

ولفت الأنظار إلى أهمية القضايا المطروحة للبحث ، وهذا فى حد ذاته أمر له أهميته بالنسبة لكل فرد من أفراد البشرية فى أى مكان فى العالم وأنتم هنا تمثلون هذا العالم ، ونحن جميعا أردنا أم لم نرد نشترك فى مصير واحد .

إن نبى الإسلام محمد ﷺ قد صور المصير البشرى كله من خلال مثال معبر عما نحن فيه الآن فى عالمنا المعاصر أبلغ تعبير .. وفى هذا المثال يصور النبى الناس جميعا كما لو أنهم يستقلون سفينة فى عرض البحر وقد توزع الركاب فى أنحائها فاستقر بعضهم فى أعلاها والبعض الآخر فى أسفلها .. وكان الذين فى أسفلها إذا أرادوا الحصول على الماء صعدوا إلى أعلى السفينة وأحضروا الماء .

وحين رأوا أنهم قد تعبوا من الصعود والهبوط والمرور على الركاب فى أعلى السفينة قرروا إحداث خرق فى أسفلها يأخذون منه حاجتهم من الماء ويوفرون على أنفسهم مشقة الصعود والهبوط .

ويعنى حديث محمد ﷺ أن ركاب السفينة إذا تركوا يفعلون ما يشاءون فسيكون نتيجة ذلك غرق السفينة وهلاك الجميع ، ولكن لو تم منعهم مما أرادوا فإن ذلك سيكون سببا فى نجاتهم جميعا .

فالمصير البشرى مصير مشترك ولم يعد فى استطاعة أحد أن يقف مما يجرى فى العالم اليوم من حروب وصراعات بدون اهتمام وبلا مبالاة ، لأن عاقبة ذلك ستعود عليه بشكل أو بآخر فلا مفر أمام الإنسانية من أن تسعى جاهدة نحو السلام الذى يضمن لها الأمن والاستقرار .

الأخوة الأعزاء ضيوف مصر ..

إن على مؤتمركم هذا أن يؤكد للعالم أجمع أن الحوار هو اللغة الحضارية الوحيدة التى يمكن أن تؤدى إلى التفاهم والتعاون والعمل البناء من أجل خير الإنسان وأن الحروب لا يمكن أن تحل المشكلات ، بل على العكس من ذلك تزيدها تعقيدا بوضعها العقبات تلو العقبات فى طريق السلام .

وعلى مؤتمركم أن يبين أن الحوار الحضارى هو الأساس فى التعامل بين البشر وأن الصراع أمر طارىء لا ينبغى أن يكون هو القاعدة وأن يؤكد أن رسالة الأديان هى : رسالة المحبة والسلام وأنه لا يجوز إساءة استخدام الأديان مما يجعلها أداة للصراع ولغرس الأحقاد فى النفوس ؛ فإن ذلك جرمًا فى حق الأديان وفى حق البشرية جمعاء .

الأخوة الأعزاء ..

لقد شاركتم فى المؤتمر للعام السابع للمجلس الذى كان موضوعه : « عطاء الأديان لخدمة الإنسان » فليكن مؤتمركم هذا دعوة قوية للإنسان فى كل مكان كى ينهض بدوره فى خدمة قضايا السلام والتمكين فى أرض الله لقيم الحق والعدل والتعايش البناء بين الإنسان والإنسان .

إن الحوار المنشود لن يحقق نتائجه إلا إذا تجرد الإنسان من أنانيته وأيقن أن الكون الفسيح يمكن أن يسع الجميع إذا خلصت النوايا وتضافرت الجهود لبناء عالم يختفى منه العنف وتصان فيه الدماء، وتتوقف النزاعات والحروب ، فليكن مؤتمركم علامة على الخروج بالعالم من أزمته الراهنة وتعبيد الطرق للخلاص الآمن من المخاوف والأخطار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى الفترة من ٨ الى ١١ ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ - ٢٧ يوليو ١٩٩٦

قال فضيلته - بعد مقدمة - حيا فيها الحاضرين :

لا أكون مبالغا إذا قلت أن ألفاظ اللغة العربية على اتساعها وعلى غناها لا تكفى للتعبير عما يحس به الإنسان عندما يجلس بين شيوخه وإخوانه وأبنائه لا من أجل متعة فانية ولا من أجل شهوة زائفة ، وإنما تجتمع جميعا من أجل خدمة ديننا وأمتنا ، تجتمع من أجل اعتناق الفضائل ، واجتناب الرذائل ، تجتمع جميعا لكى نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

وإذا كانت المجالس تشرف بمقاصدها وبغاياتها فإن مجلسكم هذا له أعلى وأسمى ألوان الشرف والكرامة ، اجتمعنا جميعا من أجل أن نساهم فى بناء حضارة فاضلة ، وقد أعجبنى أن يكون موضوع هذا المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية : « الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى » .

أصارحكم القول بأن هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التى لفتت نظرى منذ مدة طويلة وعندما أرجع إلى القرآن الكريم فى أكثر من ألف وسبعمائة مرة ، أجد هناك حواراً متنوعاً ، نقرأ القرآن الكريم نجد حوارا حول وحدانية الله عز وجل ، ونجد حوارا حول اليوم الآخر ، نجد حوارا حول القرآن الكريم ، نجد حوارا مع المنافقين ، نجد حوارا يدور بين أهل الجنة وأهل النار ، وحوارا مع الملائكة ، نجد حوارا بين العقلاء فيما بينهم ، نجد حوارا يدور بين الأشرار فيما بينهم ، نجد كل ذلك بألفاظ : - قالوا - قل - يقولون وهكذا تحدث القرآن الكريم عن هذا الحوار المتنوع فى مئات من الآيات القرآنية ، على سبيل المثال لا نجد سورة من سور القرآن الكريم حتى من قصار المفصل إلا وتحدثت بألفاظ صريحة عن اليوم الآخر وما فيه من ثواب وما فيه من عقاب .

وحكت أقوال المنكرين وردت عليهم بأسلوب يقنع العقول والعواطف الشريفة ، وجاء معظم الحديث بلفظ : قالوا ، كما في قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٤٩

ويلقن القرآن الكريم النبي ﷺ الجواب الذي يخرس ألسنتهم فيقول :

﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۞ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٥٠

يرد عليهم القرآن الكريم بهذا الأسلوب الحواري البليغ المؤثر :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ .

سورة يس ـ آية : ٧٨

وهكذا نجد القرآن الكريم يسوق لنا في مئات من الآيات ألوانا من المحاورات التي دارت بين الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وبين أقوامهم : محاورات دارت بين سيدنا نوح وبين قومه وجميع الرسل ، جاءوا برسالة واحدة هي « إخلاص العبادة للواحد القهار » ، وكل نبي كانت الكلمة الأولى التي يوجهها إلى قومه :

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٦٥

يمكث سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يجادل قومه ويحاورهم ويقول كما حكى القرآن الكريم عنه :

﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۞ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ۞ ﴾ .

سورة نوح

ويجادلهم بأسلوب منطقي رصين ولكنهم يقولون له كما حكى القرآن :

﴿ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

سورة هود ـ آية : ٣٢

نجد سيدنا هودا ـ عليه السلام ـ ينصح قومه بألوان من النصائح وبألوان من المحاورات .

﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ۞ ﴾ .

يردون عليه بسفاهة : ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة هود

وانظروا إلى الغرور عندما يستقر في النفوس .

﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ سورة هود ـ آية : ٥٤

وليس جميع آلهتهم يصفون نبيهم ومرشدهم بأن آلهتهم الصماء هي التي أصابته بالجنون أو ما يشبه الجنون .

نجد محاورات متعددة يسوق لنا القرآن الكريم ألوانا منها على لسان الرسل الكرام مع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مع أقوامهم .

سيدنا شعيب ـ وهو خطيب الأنبياء ـ يدعو قومه إلى وحدانية الله ويأمرهم بإيفاء المكيال والميزان ويقول لهم :

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ سورة هود

ثم تراهم يردون عليه هذا الرد القبيح يقولون له :

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ . سورة هود

وهنا يرد عليهم بقوة وشجاعة كما حكى القرآن الكريم :

﴿ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ .

سورة هود ـ آية : ٩٢

وتستمر في المحاورات مئات الآيات يحكيها لنا القرآن الكريم ، يسوق لنا كيف حاور الرسل أقوامهم ، وكيف حاور سيدنا إبراهيم أباه بهذا الأسلوب المؤثر البليغ :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة مريم

ويرد الأب الكافر : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي

يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ . سورة مريم

ويرد عليه سيدنا إبراهيم كما يقول القرآن :

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ .

سورة مريم ـ آية : ٤٧

الحوار مرحبا به ، وما أجمل الحوار عندما يكون بين العقلاء فيأتى بالخير الوفير وينتج السعادة والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، مرحبا بالحوار الذى يؤدى إلى رقى الأفراد ورقى الجماعات وأجمل ما يكون الحوار عندما يصدر عن لسان صادق وقلب طاهر ومشاعر نقية وعقول راجحة وقلوب لا تحمل إلا الخير والبر ، لا تعرف الحقد والحسد ، لأن الحوار يفسد عندما تستولى الأطماع والأحقاد والأهواء على النفوس . أما عندما نجد الحوار بين العقلاء كما نقرأ فى أواخر سورة الكهف فى الحوار الذى دار بين سيدنا موسى وبين الخضر نجد حوار العقلاء الأخيار والاحترام المتبادل وسلامة القلب وصدق اللسان وطهارة المشاعر وهذا هو الحوار الذى نسعى إليه .

وعندما يلتقى أخيار الأمم والمفكرون فى هذا الملتقى الكريم من أجل الحوار من أجل الوصول إلى الحق والفضائل والوصول إلى ما يرضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما نرى هذا الجمع الكريم الذى شرفت به مصر وشرف به الأزهر ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

شرفنا به جميعا وسعدنا بكم جميعا عندما نجد هذا اللقاء على طاعة الله نقول ما قاله الصالحون من قبلنا :

« الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

وبعد أن انتهى القرآن من بيان شأن الكتاب وأثره في الهداية والإرشاد ، وتصوير حال المتقين الذين اهتدوا به ، وما اكتسبوه بالهداية من أوصاف سامية ، وما كان لهم على ذلك من خير العاقبة وحسن الجزاء ، أقول بعد أن انتهى من بيان كل ذلك ؛ شرع في بيان حال الكافرين ، وما هم عليه من سوء الحال وقبيح الأوصاف .

ففي هاتين الآيتين بيان لأحوال طائفة ثانية من الناس ، على الضد في طبيعتها وأوصافها ومآلها من الطائفة الأولى التي فازت برضوان الله .

والكفر ـ بالضم : ضد الإيمان . وأصله المأخوذ منه الكفر ـ بالفتح ـ وهو ستر الشيء وتغطيته ، ومنه سمي الليل كافراً ، لأنه يغطي كل شيء بسواده ، وسمي السحاب كافراً لستره ضوء الشمس .

ثم شاع الكفر في مجرد ستر النعمة ، كأن المنعم عليه قد غطى النعمة بجحوده لها . ويستعمله الشارع في عدم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وسمي من لم يؤمن بما يجب الإيمان به بعد الدعوة إليه ـ كافراً ، لأنه صار بجحوده لذلك الحق وعدم الإذعان إليه كالمغطى له .

والمراد بالذين كفروا في الآية التي معنا : طائفة معينة صمت آذانها عن الحق ، عناداً وحسداً ، وليس عموم الكافرين ، لأن منهم من دخل في الإسلام بعد نزول هذه الآية .

وسواء : اسم مصدر بمعنى الاستواء والمراد به اسم الفاعل أي : مستو ، ولذلك يوصف به كما يوصف بالمصدر ، كما في قوله ـ تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾

أي : مستوية .

والإنذار : إخبار معه تخويف في مدة تتسع للتحفظ من المخوف ، فإن لم تتسع له فهو إعلام وإشعار لا إنذار ، وأكثر ما يستعمل في القرآن في التخويف من عذاب الله ـ تعالى .

والمعنى : إن الذين كفروا برسالتك يامحمد مستو عندهم إنذارك وعدمه ، فهم لايؤمنون بالحق ، ولايستجيبون لداعي الهدى ، لسوء استعدادهم ، وفساد فطرهم .

وجاءت جملة «إن الذين كفروا» مستأنفة ولم تعطف على ماقبلها لاختلاف الغرض الذي سيق له الكلام ، إذ في الجمل السابقة حديث عن الكتاب وآثاره وعظمته ، وهنا حديث عن الكافرين وأحوالهم .

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال[1] :

«فإن قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله :

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ .

وغيره من الآيات الكثيرة ؟

قلت : ليس وزان هاتين القصتين وزان ماذكرت ، لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى المتقين ، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت ؛ فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب ، وهما على حد لامجال فيه للعاطف» .

وقوله ﴿سواء﴾ خبر إن و﴿عليهم﴾ متعلق به ، و﴿أأنذرتهم﴾ مؤول بمصدر فاعل سواء أي : إن الذين كفروا سواء عندهم إنذارهم وعدم إنذارهم . وإنما استوى لديهم الإنذار وعدمه ، مع أن الإنذار إنما يواجههم به نبي قوي أمين مؤيد من الله ـ تعالى ـ لأنهم لما جحدوا نعم الله ، وعموا عن آياته ، وحسدوا رسوله على ما آتاه الله من فضله ، صاروا بسبب ذلك في حضيض

---

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٦ .

جمد معه شعورهم ، وبرد فيه إحساسهم ، فلا تؤثر فيهم موجعات القول ، ولاتنفذ إلى قلوبهم بالغات الحجج . فهم كما قال الشاعر :

لقد أسمعت إذ ناديت حيا ... ولكن لاحياة لمن تنادى

ولم يذكر - سبحانه - التبشير مع الإنذار ، لأنهم ليسوا أهلا للبشارة ، ولأن الإنذار أوقع فى القلوب ، والذى لايتأثر به يكون عدم تأثره بغيره أولى .

ولم يقل - سبحانه : سواء عليك أأنذرتهم أم لم تنذرهم .. الخ ، لأنه بالنسبة له ﷺ لايستوى الأمران ، إذ هو فى حالة إنذاره لهم مثاب ومأجور ، أما فى حالة عدم إنذاره فهو مؤاخذ من الله - تعالى - لأنه مكلف بتبليغ ما أنزل إليه من ربه .

وجملة ﴿ لا يؤمنون ﴾ مفسرة لمعنى الجملة التى قبلها ومؤكدة لها ، لأنه حيث كان الإنذار وعدمه سواء ، فلا يتوقع منهم الإيمان . ولذلك فصلت .

وفى هذه الجملة إخبار بعدم إيمانهم البتة ، وذلك لأن حرف «لا» إذا دخل على الفعل المضارع - كما هنا - أفاد أن الفعل لايقع فى المستقبل حتى تقوم قرينة تقصر النفى فى المستقبل على وقت محدد .

والحكمة فى الإخبار بعدم إيمان هذه الطائفة المعينة من الكفار ، تسلية النبى ﷺ حتى لايكون فى صدره حرج من تمردهم وعدم إيمانهم بعد أن قام بواجب دعوتهم ، وفى ذلك تذكرة لكل داع مصلح بأن لايحترق قلبه أسفا على قوم أعرضوا عن سلوك الصراط المستقيم بعد أن دعاهم إليه ، وبذل قصارى جهده فى تبصيرهم وإرشادهم .

ثم بين - سبحانه - بعد ذلك الموانع التى حالت بينهم وبين الاهتداء إلى الحق فى الماضى والمستقبل فقال تعالى :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ .

والختم : الوسم بطابع ونحوه ، مأخوذ من وضع الخاتم على الشىء وطبعه فيه للاستيثاق ، لكى لايخرج منه ما هو بداخله ، ولايدخله ما هو خارج عنه .

قال القرطبى : «والختم مصدر ختمت الشىء ختما فهو مختوم مختم ، شدد للمبالغة ومعناه التغطية على الشىء والاستيثاق منه ، وقد يكون محسوسا كما فى ختم الكتاب والباب ، وقد يكون معنويا كالختم على القلوب»[1] .

والقلوب : جمع قلب ، وهو المضغة التى توجد بالجانب الأيسر من صدر الإنسان ، ويستعمل فى القوة العاقلة التى هى محل الفهم والعلم .

---

(1) تفسير القرطبى جـ1 ص186 .

والسمع : مصدر سمع ، ويطلق على الآلة التي يقع بها السمع .

ولما كان الختم يمنع من أن يدخل في المختوم عليه شيء ، استعير لإحداث هيئة في القلب والسمع تمنع من خلوص الحق إليهما .

الأبصار : جمع بصر ، وهو في الأصل الإدراك بالعين ، ويطلق على القوة التي يقع بها الإبصار ، وعلى العين نفسها . وهذا المعنى أقرب ماتحمل عليه الأبصار في الآية . وهو الأنسب لأن تحمل عليه غشاوة . ومفاد الآية أن تصير أبصارهم بحيث لاتهتدى إلى النظر في حكمة المخلوقات وعجائب المصنوعات . باعتبار وتدبر وحتى لكأنما جعلت عليها غشاوة .

والغشاوة : مايغطى به الشيء ، من غشاه إذا غطاه . يقال :

غشية غشاوة ـ مثلثة ـ وغشاية . أى : ستره وغطاه .

فهذه الآية الكريمة تفيد عن طريق الاستعارة أو التمثيل أن هناك حواجز حصينة ، وأقفالا متينة قد ضربت على قلوبهم وعلى أسماعهم ، وغشاوات مطبقة على أبصارهم حتى أصبحوا لايخيفهم نذير ولايرغبهم بشير .

وعبر في جانب القلب والسمع بالختم ، وفي جانب البصر بالغشاوة ، لمعنى سام ، وحكمة رائعة ، ذلك أن آفة البصر معروفة ، إذ غشاوة العين معروفة لنا ، فالتعبير في جانب العين بالغشاوة مما يحدد لنا مدى عجزهم عن إدراك آيات الله بتلك الجارحة ، وأما القلب والسمع فإنهما لما كانا لاتدرك آفتهما إلا بصعوبة ، فقد صور لنا موانعهما عن الاستجابة للحق بصورة الختم .

وعبر في جانب القلب والسمع بجملة فعلية تفيد التجدد والحدوث ، وفي جانب البصر بجملة اسمية تفيد الثبات والاستقرار ، لأنهم قبل الرسالة ماكانوا يسمعون صوت نذير ، ولا يواجهون بحجة ، وإنما كان صوت النذير وصياغة البراهين بعد ظهور النبي ﷺ . وأما مايدرك بالبصر من دلائل وجود الله وآيات قدرته ، فقد كان قائماً في السماوات وفي الأرض وفي الأنفس ، ويصح أن يدرك قبل الرسالة النبوية ، وأن يستدل به المتبصرون والمتدبرون على وجود ربهم وحكمته ، فلم يكن عماهم عن آيات الله القائمة حادثاً متجدداً ، بل هم قد صحبهم العمى من بدء وجودهم ، فلما دعوا إلى التبصر والتدبر صمموا على ماكانوا عليه من عمى ، **وجمع القلوب والأبصار ، وأفرد السمع : لأن القلوب تختلف باختلاف مقدار ماتفهمه مما يلقى إليها من إنذار أو تبشير ، ومن حجة أو دليل ، فكان عن ذلك تعدد القلوب بتعدد الناس على حسب استعدادهم ، وكذلك شأن الناس فيما تنظره أبصارهم من آيات الله في كونه ، فإن أنظارهم تختلف في عمق تدبرها وضحولته ، فكان من ذلك تعدد المبصرين بتعدد مقادير ما يستطيعون تدبره من آيات**

الله في الآفاق . وأما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعا شيء واحد هي الحجة ينادبهم بها المرسلون ، والدليل يوضحه لهم النبيون .

لذلك كان الناس جميعاً كأنهم على سمع واحد ، فكان إفراد السمع إيذاناً من الله بأن حجته واحدة ، ودليله واحد لايتعدد .

ونرى القرآن هنا قدم القلب في الذكر على السمع ، بينما في سورة الجاثية قدم السمع في الذكر على القلب فقال :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الجاثية

وذلك لأنه ـ سبحانه ـ في سورة الجاثية قد ذكر الختم معطوفاً على قوله ﴿ اتخذ إلهه هواه ﴾ ومن اتخذ إلهه هواه يكون أول مايبدو منه للناس ويعرف هو إعراضه عن النصح ، وليّ رأسه عن استماع الحجة ، فكان مظهر عدم السماع منه أول مايبدو للناظرين ، فلذلك قدم السمع على القلب .

وأما آيتنا هذه وهي قوله ـ تعالى ـ ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ فقد جاءت إثر الآية المختومة بقوله ﴿ لايؤمنون ﴾ والإيمان تصديق يقوم على الحجة والبراهين ، وإدراك الحجة والبرهان إنما هو بالقلب فكان التعليل المتصل الواضح لنفي الإيمان : أن قلوبهم مغلقة لاتنفذ إليها الحجة ، أولا يتسرب إليها نور البرهان ، ولذلك قدم القلب على السمع .

هذا وقوله ـ تعالى ـ ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ .. إلخ . لاينفي عنهم تبعة الكفر ، لأنهم هم الذين باشروا من فاسد الأعمال ، وذميم الخصال ، ومتابعة الهوى ، ما نسج على قلوبهم الأغلفة السميكة ، وأصم إلى جانب ذلك آذانهم وأعمى أبصارهم ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة الزخرف

ولعلماء الكلام كلام طويل حول هذه المسألة فليرجع إليه من شاء .

ثم بين ـ سبحانه ـ ما يستحقونه من عذاب بسبب إغراقهم في الكفر . واستحبابهم للمعاصي فقال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

أي : ولهم بسبب سوء أعمالهم عذاب موجع مؤلم لأبدانهم وأجسامهم .

وأصل العذاب : المنع ، يقال : عذب الفرس ـ كضرب ـ امتنع عن العلف . وعذب الرجل إذا ترك المأكل والنوم ، فهو عاذب وعذوب . ثم أطلق على الإيجاع الشديد لما فيه من المنع عن اقتراف

الذنب . والعظيم : الكبير ، من عظم الشيء ، وأصله كبر عظمه ، ثم استعير لكل كبير محسوساً كان أو معقولاً .

ووصف العذاب بالعظيم على معنى أن سائر مايجانسه من العذاب يكون بالنسبة إليه حقيراً هيناً .

قال أبو حيان في البحر : وقد ذكروا في هاتين الآيتين من ضروب الفصاحة أنواعاً .

الأول : الخطاب العام اللفظ ، الخاص المعنى .

الثاني : الاستفهام الذي يراد به تقرير المعنى في النفس . أي : يتقرر أن الإنذار وعدمه سواء عندهم .

الثالث : المجاز ويسمى الاستعارة وهو في قوله ـ تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ وحقيقة الختم وضع محسوس على محسوس يحدث بينهما رقم يكون علامة للخاتم ، والختم هنا معنوي ؛ فإن القلب لما لم يقبل الحق مع ظهوره استعير اسم المختوم عليه ، فبين أنه من مجاز الاستعارة .

الرابع : الحذف وهو في مواضع منها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي : القوم الذين كفروا بالله وبك وبما جئت به ، ومنها ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي بالله وبما أخبرتهم به عنه[3] .

وإلى هنا يكون القرآن قد حدثنا عن طائفتين من الناس : طائفة المتقين ومالها من جميل الصفات ، وجزيل الثواب ، وطائفة الكافرين ومالها من ذميم النعوت ، وشديد العقاب .

ثم ابتداء القرآن بعد ذلك حديثه عن طائفة ثالثة ليس عندها إخلاص المتقين ، وليس لديها صراحة الكافرين ، وإنما هي طائفة قلقة مذبذبة لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك ، تلك الطائفة الثالثة هي طائفة المنافقين الذين فضحهم القرآن . وأماط اللثام عن خفاياهم وخداعهم فقال :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قال صاحب الكشاف : « افتتح ـ سبحانه ـ كتابه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله ،

(3) تفسير البحر المحيط لأبي حيان جـ1 ص. د

وواطأت قلوبهم ألسنتهم ، ووافق سرهم علنهم ، وفعلهم قولهم ، ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً ، قلوباً وألسنة ، ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، وأبطنوا خلاف ماأظهروا . وهم الذين قال فيهم : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده ، لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً ، وبالشرك استهزاء وخداعاً ، ولذلك أنزل فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ووصف حال الذين كفروا في آيتين ووصف حال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية ، نعى عليهم فيها خبثهم ، ومكرهم ، وفضحهم ، وسفههم ، واستجهلهم ، واستهزأ بهم ، وتهكم بفعلهم ، وسجل طغيانهم ، ودعاهم صما بكما عميا ، وضرب لهم الأمثال الشنيعة . وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا ، كما تعطف الجملة على الجملة »[4] .

والناس : اسم لجماعة الإنس . قال القرطبي : « واختلف النحاة في لفظ الناس فقيل : هو من أسماء الجموع ، جمع إنسان وإنسانة على غير اللفظ ، وتصغيره نويس ، فالناس من النوس وهو الحركة ، ويقال : ناس ، ينوس أي : تحرك . وقيل : أصله نسى ، فأصل ناس نسى ، قلب فصار نيس ، تحركت الياء وانفتح ماقبلها فانقلبت ألفاً ، ثم دخلت الألف واللام فقيل : الناس .

قال ابن عباس :

نسي آدم عهد الله فسمي إنساناً . وقيل : سمي إنساناً لأنسه بربه ، قال الشاعر :

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ولا القلب إلا أنه يتقلب[5]

واليوم الآخر : هو اليوم الذي يبتدئ بالبعث ولاينقطع أبداً ، وقد يراد منه اليوم الذي يبتدئ بالبعث وينتهي باستقرار أهل الجنة في الجنة . وأهل النار في النار .

وقال القرآن في شأن المنافقين ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ **مجرداً إياهم من الوصفين السابقين ، وصف الإيمان ووصف الكفر ، لأنهم لم يكونوا بحسب ظاهر الأمر مع الكافرين ، ولابحسب باطنه مع المؤمنين ، لذا عبر عنهم بالناس لينطبق التعبير على ماحاولوه لأنفسهم من أنهم لاهم مؤمنون ولا هم كافرون ، وفي ذلك مبالغة في الحط من شأنهم . فهم لم يخرجوا عن كونهم ناساً فقط ، دون أن يصلوا بأوصافهم إلى أهل اليمين ، أو إلى أهل الشمال الصرحاء في كفرهم ، بل بقوا في منحدر من الأرض ، لايمر بهم سالك الطريق المستقيم ولاسالك المعوج من الطرق .**

وعبر القرآن بلفظ ﴿ يقول آمنا ﴾ ليفيد أنه مجرد قول باللسان ، لاأثر له في القلوب ،

---

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص٥٤ .

(٥) تفسير القرطبي جـ١ ص١٩٢ .

وإنما هم يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم .

وحكى القرآن عن هؤلاء المنافقين أنهم اقتصروا فى إظهار الإيمان على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر ، ليزيدوا فى التمويه على المؤمنين بادعاء أنهم أحاطوا بالإيمان من طرفيه ، لأن من يؤمن بالله واليوم الآخر ، استجابة لدعوة الرسول ﷺ فإن من شأنه أن يكون ـ أيضاً ـ مؤمناً برسل الله وملائكته وكتبه .

وقد كذبهم الله ـ تعالى ـ فى دعواهم الإيمان ، فقال :

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾

فهذه الجملة الكريمة رد لما ادعوه من الإيمان ، ونفى له على أبلغ وجه ، إذ جاء النفى مؤكداً بالباء فى قوله ﴿بمؤمنين﴾ ثم ان الجملة نفت عنهم الإيمان على سبيل الإطلاق ، فهم ليسوا بمؤمنين لا بالله ولا باليوم الآخر ، ولا بكتب الله ولا برسله ولا بملائكته .

ثم بين ـ سبحانه ـ الدوافع التى دفعتهم إلى أن يقولوا :

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

فقال :

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

والخدع فى أصل اللغة : الإخفاء والإيهام ، يقال خدعه ـ كمنعه ـ خدعا ، ختله وأراد به مكروها من حيث لايعلم ، وأصله من خدع الضب حارسه إذا أظهر الإقبال عليه ثم خرج من باب آخر .

وخداعهم لله ـ تعالى ـ معناه إظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر ليحقنوا دماءهم وأموالهم ، ويفوزوا بسهم من الغنائم ، وسمى فعلهم هذا خداعاً لله ـ تعالى ـ لأن صورته صورة الخداع ، فالجملة الكريمة هنا مسوقة على أسلوب المشاكلة ، ولايجوز حملها على الحقيقة ، لأنه ـ سبحانه ـ لايخفى عليه صنع المنافقين ؛ بل لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

قال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ .

أما خداعهم للمؤمنين فمن مظاهره إظهارهم لهم أنهم إخوانهم فى العقيدة وأنهم لايريدون لهم إلا الخير . بينما هم فى الحقيقة يضمرون لهم العداوة ويتربصون بهم الدوائر .

وجاءت الآية الكريمة هكذا بدون عطف ، لأنها جواب سؤال نشأ من الآية السابقة ، إذ أن قول المنافقين « آمنا » وماهم بمؤمنين ، يثير فى نفس السامعين استفهاما عما يدعو هؤلاء لمثل تلك الحال المضطربة والحياة القلقة المقامة على الكذب ، فكان الجواب : إنهم يفعلون ذلك محاولين مخادعة المؤمنين ، جهلا منهم بصفات خالقهم .

وقال القرآن : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ولم يذكر مخادعتهم للرسول ﷺ ، ولعل الحكمة فى ذلك أن القرآن يعتبر مخادعة الله مخادعة لرسوله ، لأنه هو الذى بعثه إليهم ، وهو المبلغ عن الله أحكامه وشرائعه . قال ـ تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقال ـ تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ .

ثم بين ـ سبحانه ـ غفلتهم وغباءهم فقال : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ .

الأنفس : جمع نفس بمعنى ذات الشىء وحقيقته ، وتطلق على الجوهر اللطيف الذى يكون به الحس والحركة والإدراك .

ويشعرون : مضارع شعر بالشىء ـ كنصر وكرم ـ يقال : شعر بالشىء أى : فطن له ، ومنه الشاعر لفطنته ، لأنه يفطن لما لايفطن له غيره من غريب المعانى ودقائقها .

والشعور : العلم الحاصل بالحواس ، ومنه مشاعر الإنسان أى : حواسه .

والمعنى : أن هؤلاء المنافقين لم يخادعوا الله لعلمه بما يسرون ، ولم يخادعوا المؤمنين لأن الله يدفع عنهم ضرر خداع المنافقين ، وإنما يخدعون أنفسهم لأن ضرر المخادعة عائد عليهم ، ولكنهم لايشعرون بذلك ، لأن ظلام الغى خالط قلوبهم ، فجعلهم عديمى الشعور ، فاقدى الحس .

وأتى بجملة «وما يخدعون إلا أنفسهم» بأسلوب القصر مع أن خداعهم للمؤمنين قد ينالهم بسببه ضرر ، لأن أولئك المنافقين سيصيبهم عذاب شديد بسبب ذلك ، أما المؤمنون فحتى لو نالهم ضرر فلهم عند الله ثوابه .

ونفى عنهم الشعور مع سلامة مشاعرهم ، لأنهم لم ينتفعوا من نعمتها ، ولم يستعملوها فيما خلقت له ، فكانوا كالفاقدين لها .

ثم بين ـ سبحانه ـ العلة فى خداعهم لله وللمؤمنين فقال : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾

والمرض : العلة فى البدن ونقيضه الصحة ، وقد يستعمل على وجه الاستعارة فيما يعرض للمرء فيخل بكمال نفسه ، كسوء العقيدة والحسد ، والبغضاء والنفاق ، وهو المراد هنا .

وسمى ما هم فيه من نفاق وكفر مرضا ، لكونه مانعا لهم من إدراك الفضائل ، كما أن مرض الأبدان يمنعها من التصرف الكامل .

وجعل القرآن قلوبهم ظرفا للمرض ، للإشعار بأنه تمكن منها تمكنا شديداً كما يتمكن الظرف من المظروف فيه .

ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأنهم بسبب سوء أعمالهم قد زادهم الله ضلالا وخسراً فقال :

﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ .

لأنهم استمروا فى نفاقهم وشكهم ، ومن سنة الله أن المريض إذا لم يعالج مرضه زاد لا محالة مرضه ، إذ المرض ينشىء المرض ، والانحراف يبدأ يسيراً ثم تنفرج الزاوية فى كل خطوة وتزداد .

والمعنى : أن هؤلاء المنافقين قد زادهم الله رجساً على رجسهم ، ومرضاً على مرضهم ، وحسداً على حسدهم ، لأنهم عموا وصموا عن الحق ، ولأنهم كانوا يحزنون لأى نعمة تنزل بالمؤمنين . كما قال ـ تعالى :

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ .

ثم بين ـ سبحانه ـ سوء عاقبتهم فقال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ .

﴿ أليم ﴾ أى : مؤلم وموجع وجعاً شديداً . من ألم ـ كفرح ـ فهو ألم ، وآلمه يؤلمه إيلاماً ، أى : أوجعه إيجاعاً شديداً .

والكذب : الإخبار عن الشىء بخلاف الواقع . ولقد كان المنافقون كاذبين فى قولهم « آمنا بالله وباليوم الآخر » وهم غير مؤمنين .

وجعلت الآية الكريمة العذاب الأليم مرتبا على كذبهم مع أنهم كفرة ، والكفر أكبر معصية من الكذب ، للإشعار بقبح الكذب ، وللتنفير منه بأبلغ وجه ، فهؤلاء المنافقون قد جمعوا الخستين ، الكفر الذى توعد الله مرتكبه بالعذاب العظيم ، والكذب الذى توعد الله مقترفه بالعقاب الأليم .

وعبر بقوله : ﴿ كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ لإفادة تجدد الكذب وحدوثه منهم حيناً بعد حين ، وأن هذه الصفة هى أخص صفاتهم وأبرز جرائمهم .

ـ يتبع ـ

نَظَرَاتٌ فِي رَسْمِ المُصْحَفِ

بقلم د. على ابراهيم محمد
مدرس أصول اللغة العربية - كلية اللغة العربية
بالقاهرة - جامعة الأزهر

تناول بعض الدارسين العلاقة بين رسم المصحف والإملاء الاصطلاحي بما يوحي بأنّ هناك انفصالاً وتباعداً بين النظامين، وذلك في حين أن رسم المصحف يلتقي مع الإملاء الاصطلاحي في أكثر الأمور، ولا يختلف معه إلا في جزئيات بسيطة تتعلق برسم بعض الصوامت، وبرسم بعض الحركات الطويلة.

وفي هذا المقال سأحاول - إن شاء الله - أن ألقي الضوء على الرسم المصحفي فأوضح المقصود به، وظروف النشأة، وظواهره، وموقف العلماء من تفسير هذه الظواهر.

أولا : المقصود برسم المصحف :

الرسم : أصله الأثر، والمراد أثر الكتابة في اللفظ وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها[1]، ومن الواضح أنّ هذه الكلمة جاءت من مراعاة عمل القلم في تصوير الحروف ونقشها. ومصطلح الرسم شاع من قبل ويشيع اليوم في إطلاقه على كتابة المصحف الشريف[2] والمُصْحَف والمِصْحَف أصله : الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين؛ كأنه أُصْحِف. والكسر والفتح فيه لغة. قال أبوعبيد : (تميم) تكسرها و(قيس) تضمها، ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما

(١) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات. د. عبدالفتاح شلبي ص٩ ط مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠.

(٢) في علم الكتابة العربية لأستاذي الدكتور عبدالله ربيع محمود ص ١٤٣ ط١ سنة ١٩٩٢م.

ذلك عن اللحيانى عن الكسائى[٣] .

وسُمى المصحفُ مصحفًا لأنه أُصْحِف ، أى جُعل جامعًا للصحف المكتوبة بين الدفتين .

وحينما يُطلق (المصحف) مع كلمة (رسم) يقصد منها المصاحف العثمانية التى أجمع عليها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ . ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على ذلك العلم الذى اتخذ مادته وموضوعه من ظواهر رسم المصحف . وسمَّاه بعضهم بعلم رسم المصحف كما فى كشف الظنون لحاجى خليفة ٩٠٢/١ ، وسماه بعضهم بعلم الرسم التوقيفى كما فى دليل الحيران شرح مورد الظمآن للمارغنى ص٠٤ وعرَّفه بأنَّه علم تُعرف به مخالفات خط المصاحف لأصول الـرسم القياسى .

ثانيًا : ظروف النشأة :

كان للإسلام أثر عظيم على اللغة العربية بشكل عام ، وعلى نظامها الكتابى بشكل خاص . وكان من مظاهر هذا الأثر على الكتابة العربية تلك المجالات الواسعة التى دخلتها هذه الكتابة ، وذلك الاستعمال الواسع الذى نقلها من كونها مجرد كتابة محصورة فى معاملات تجارية وأغراض محدودة لبضع جماعات من العرب إلى كتابة عالمية تخدم حاجات دولة امتدت فى قرن من الزمان إلى مساحات مترامية الأطراف ضمت أقواما شتى ، استعملوا هذه الكتابة فى مختلف أمور حياتهم لأنها الكتابة التى دُوِّن بها كتاب الله ـ تعالى ـ .

ومن الواضح أن الخط العربى الذى استُخدم فى كتابة القرآن الكريم هو ذلك الخط الذى ساد استعماله عند الناس فى كل أمور الحياة فى بداية الإسلام وحتى ظهور علماء المِصْرَيْن : البصرة والكوفة . يضع الهورينى ـ رحمه الله ـ أيدينا على هذا فيقول : « كان أكثر الصحابة ومن وافقهم من التابعين وأتباعهم يوافقون الرسم المصحفى فى كل ما كتبوا ولو لم يكن قرآنًا ولا حديثًا ، ويكرهون خلافهُ ، ويقولون لا نُخالف الإمام ، يريدون بذلك المصحف الذى كُتب بأمر عثمان ـ رضى الله عنه ـ فإنهم كانوا يسمونه الإمام من حيث اتباعه رسما ، واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء المِصْرَيْن ، وأسسوا هذا الفن ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية ، وأصولهم الصرفية سموها علم الخط القياسى أو الاصطلاحى المخترع ، وسمَّوا رسم المصحف بالخط المتبع[٤] .

ومع ظهور الفروق الظاهرة بين المكتوب والمنطوق فى هذا الرسم المتبع آنذاك والذى

---

(٣) لسان العرب لإبن منظور مادة (ص ح ف) ط دار المعارف.

(٤) المطالع النصرية للشيخ نصر الهورينى ص١٨، ١٩ . ط المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤هـ .

استخدم في رسم المصحف وغيره لم يحاول علماء العربية تقنين هجائها وتنميط رسمها إلا بعد فترة غير قصيرة لأنهم قد ارتضوا في أول الأمر الكتابة المصحفية التي كُتبت بها المصاحف الشريفة واستعملوها في كل أمور حياتهم .

وقد أراد الله ـ تعالى ـ لهذا الرسم البقاء ، وكان من أقوى أسباب بقائه ارتباطه بالقراءات القرآنية حيث كان هذا الارتباط عاملا أساسيًا في الحفاظ على رسم الكلمات على صورتها التي كُتبت بها قديمًا .

وقد دفع ارتباط الرسم بالقراءات العلماء إلى حصر الكلمات التي جاءت في المصحف مكتوبة بصورة تخالف ما اصطلح عليه الناس في الفترات اللاحقة مما شكّل مادة وموضوعًا لكثير من المصنفات التي أسست ما يُسمى اليوم بعلم رسم المصحف والتي منها :

(١) اختلاف المصاحف لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٤٨هـ) .

(٢) كتاب المصاحف لأبي بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٣١٦هـ) .

(٣) المصاحف لابن أشته (ت ٣٦٠هـ) .

(٤) البديع في هجاء المصاحف لابن معاذ الجهني (ت ٤٤٢هـ) .

(٥) المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) .

وغير ذلك المؤلفات التي أُفردت لرسم المصحف ، وقد وردت فصول عنه في ثنايا الكتب التي تدور في فلك علوم القرآن مثل البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي ، وكذلك وردت فصول عنه في الكتب الخاصة بالقراءات القرآنية مثل النشر لابن الجزري والاتحاف للبنا الدمياطي .

هذا بالإضافة إلى ما كتب حديثا عن الرسم المصحفي والذي منه : رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات د. عبدالفتاح شلبي ،

ورسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د. عبدالحي الفرماوي . وإيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام للشنقيطي وغير ذلك كثير .

ثالثا : ظواهر الرسم المصحفي :

تتلخص أهم ظواهر الرسم المصحفي في ظاهرة الحذف ، وظاهرة الزيادة ، وظاهرة البدل ، وظاهرة رسم هاءات التأنيث بالتاء ، وفيما يلي الإشارة إلى هذه الظواهر .

١ ـ ظاهرة الحذف :

ذكر الشيخ الضباع ـ رحمه الله ـ أن الحذف جاء في المصاحف على ثلاثة أقسام : حذف إشارة ، وحذف اختصار ، وحذف اقتصار .

أما حذف الإشارة فهو ما يكون موافقًا لبعض

القراءات نحو «وإذ وعدنا»(٥) فقد قرئ بحذف الألف وإثباتها فحذفت الألف فى الخط إشارة لقراءة الحذف . ولا يشترط فى كونه حذف إشارة أن تكون القراءة المشار إليها متواترة بل ولو شاذة لاحتمال أن تكون غير شاذة حين كتب المصاحف(٦) .

وأما حذف الاختصار فهو مالا يختص بكلمة دون مماثلها فيصدق بما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها كحذف ألف جموع السلامة نحو «العلمين ، وذريت» والأصل : (العـــالمين وذريات) .

وأما حذف الاقتصار فهو ما اختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها مثل «الميعد» فى الأنفال ، وأصلها الميعاد(٧) .

وما يحذف من حروف الهجاء فى المصاحف خمسة حروف هى الألف والواو والياء واللام والنون فمن أمثلة حذف الألف حذفها فى بعض الأسماء الأعجمية الزائدة على ثلاثة أحرف نحو « لقمن وسليمن » .

ومن أمثله حذف الواو حذفها فى الفعل (يدع) فى قوله تعالى «ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير»(٨) .

ومن أمثلة حذف الياء حذفها من كلمة (الداع) من قوله تعالى «يوم يَدْعُ الدَّاعِ»(٩) ومن أمثلة حذف اللام حذفها من كلمة (الليل) حيث ترسم بلام واحدة حيث وقعت ومن أمثلة حذف النون حذفها من كلمة (فنجى) من قوله تعالى «فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ»(١٠) .

٢ ـ الزيادة :

ما يُزاد فى المصاحف من حروف الهجاء ثلاثة : الألف والياء والواو .

فمن زيادة الألف زيادتها فى قول الله ـ تعالى ـ «أولا أذبحنه»(١١) وفى قوله ـ تعالى ـ «ولاتقولن لشاىء» . ومن زيادة الياء زيادتها فى قوله ـ تعالى ـ «تلقاىء نفسى»(١٢) . ومن زيادة الواو زيادتها فى قوله ـ تعالى ـ «سأوريكم دار الفاسقين»(١٣) وفى قوله ـ تعالى ـ «سأوريكم آيتى»(١٤) .

---

(٥) من الآية ٥١ / البقرة . وقرأ أبو جعفر والبصريان بقصر الألف من الوعد وقرأ الباقون بالمد من المواعدة . ويُنظر النشر لابن الجزرى ٢/٢١٢ ط د الكتب العلمية بيروت .

(٦) سمير الطالبين للشيخ على محمد الضباع ص٣١ ط مكتبة المشهد الحسينى .

(٧) السابق ص ٣١ ـ ٣٨ بتصرف .

(٨) من الآية ١١ سورة الإسراء .

(٩) من الآية ٦ / سورة القمر .

(١٠) من الآية ١١٠ / سورة يوسف .

(١١) من الآية ٢١ / النمل .

(١٢) من الآية ١٥ / يونس .

(١٣) من الآية ١٤٥ / الأعراف .

(١٤) من الآية ٣٧ / الأنبياء .

٣ ـ البـــدل :

يقصد بالبدل كتابة رمز محل رمز آخر ككتابة الألف ياء أو واواً . ويختص الرسم العثماني في هذه الظاهرة بكتابة ألف الصلاة ، والزكاة ، والربا ، والحياة إذا وقعت هذه الكلمات غير مضافة . وكذلك ألف الغداة ، ومشكاة ، والنجاة ، ومناة .

ومن ظاهرة البدل في الرسم العثماني أيضًا أنه يرسم بالياء كل ألف منقلبة عن ياء نحو : «يتوفيكم»[15] في اسم أو فعل اتصل به ضمير أولا . لقي ساكنًا أم لا مثل «ياحسرتى»[16] «ياأسفى»[17] إلا «لدالباب»[18] في سورة يوسف فإنها كتبت بالألف[19] .

٤ ـ رسم هاءات التأنيث بالتاء

من ظواهر الرسم المصحفي رسم هاءات التأنيث بالتاء في بعض المواضع . من ذلك : كتابة كلمة الرحمة . فقد رسمت بالتاء في سبعة مواضع بالتاء منها قول الحق ـ عز وجل ـ «أولئك يرجون رحمت الله »[20] وكلمة النعْمة كتبت بالتاء في أحد عشر موضعا في القرآن الكريم منها قول الله ـ تعالى ـ «واذكروا نعمت الله عليكم»[21] وكلمة سُنَّة كُتِبت بالتاء في خمسة مواضع منها قول الله ـ تعالى ـ «فقد مضت سنت الأولين»[22] .

تلك هي أهم الظواهر الخاصة بالـرسم المصحفي التي أسعف المقام بذكرها ، وهناك من الظواهر ما ينفرد بها هذا الرسم أيضا مثل ظاهرة وصل الكلمات التي تُفصل عن بعضها في الإملاء الاصطلاحي أو العكس ، وهناك بعض الأمور التي تتعلق برسم الهمزة والتي يخالف فيها الرسم القرآني الإملاء الاصطلاحي والتي منها حذف الألف التي هي صورة الهمزة في أصل مطرد وهو قول الله ـ تعالى ـ «لأملئن جهنم»[23] حيث وقع[24] .

هذا وقد شغل العلماء قديما وحديثًا وجود تفسير لهذه الظواهر وهذا ما توضحه السطور التالية .

---

(١٥) من الآية ٦٠ / الأنعام .
(١٦) من الآية ٥٦ / الزمر .
(١٧) من الآية ٨٤ / يوسف .
(١٨) من الآية ٢٥ / يوسف .
(١٩) سمير الطالبين ص٨٩ ـ ٩٠ بتصرف . المقنع ص٣٣،٣٤ .
(٢٠) من الآية ٢١٨ / البقرة .
(٢١) من الآية ٢٢ / البقرة .
(٢٢) من الآية ٣٨ / الأنفال .
(٢٣) المقنع للداني ص٨٢،٨٣ ط الكليات الأزهرية .
(٢٤) وردت في أربعة مواضع في القرآن أو لها ١٨/ الأعراف ، ١١٩/ هود ، ١٣/السجدة ، ٨٥/ص وجميعهم في المصاحف التي تحت أيدينا بالألف أي بإثباتها .

رابعًا ـ تفسير ظواهر الرسم المصحفي :

شغلت هذه الظواهر العلماء قديمًا وحديثًا فحاولوا تفسيرها ، وقد اختلفت وجهات النظر في شأن هذا التفسير وكان أهم هذه الاتجاهات ما يلي :

١ ـ تفسير بعض الظواهر بعلل لغوية

ذهب فريق من العلماء إلى تفسير بعض ظواهر الرسم المصحفي بعلل لغوية من هؤلاء (الفراء) في كتابه (معاني القرآن) . من ذلك تفسيره لبعض مواضع الحذف حيث يقول عند قول الله تعالى : ﴿ واخشوني ﴾[٢٥] :

وقـولـه : ﴿ واخشـوني ﴾ أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها ، وكل ذلك صواب ، وإنما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدل عليها وليست تهيب العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوراً . من ذلك «ربّي أكرمن»[٢٦] و«أهانن»[٢٧] في سورة الفجر ، وقوله ـ تعالى ـ «أتمدونن بمال»[٢٨] . ومن غير النون «المناد»[٢٩] و«الداع»[٣٠] وهو كثير يكتفى من الياء بكسرة ما قبلها ومن الواو بضمة ما قبلها مثل قوله ـ تعالى ـ «سندع الزبانية»[٣١] ، و«يدع الإنسان»[٣٢] وما أشبهه ، وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماع اكتفاء بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا: قد ضربُ وفي قالوا: قد قالُ . قال وهي في هوازن وعليا قيس ، وأنشدني بعضهم :

إذا ما شاءُ ضروا من أرادوا
ولا يألوا لهم أحد ضِراراً

وتفعل ذلك في ياء التأنيث كقول عنترة :

إن العدو لهم إليك وسيلة
إن يأخذوكِ تكحلي وتَخضبِ[٣٣]

ومن قبيل التعليل بعلل لغوية ما ذكره الخليل ابن أحمد ـ رحمه الله ـ حين علل لكتابة كلمة «الحياة» بالواو وحيث قال: «ليُعلم أن الواو بالياء»[٣٤] . وفي هذا إشارة من الخليل إلى أنها كُتبت بالواو للدلالة على أصلها وهو الواو .

وفي نظري أن التعليل بعلل لغوية قد ينطبق على بعض الظواهر ولا ينطبق على بعضها الآخر . فهو لا ينطبق مثلا على زيادة الألف في قول الله ـ تعالى ـ «أولا أذبحنه»[٣٥] . لذلك لا ينبغي أن

---

(٢٥) من الآية ١٥٠ / البقرة .
(٢٦) من الآية ١٥ / الفجر .
(٢٧) من الآية ١٦ / الفجر .
(٢٨) من الآية ٣٦ / النمل .
(٢٩) من الآية ٤١ / ق .
(٣٠) من الآية ٦/ القمر .
(٣١) من الآية ١٨ / العلق .
(٣٢) من الآية ١١ / الإسراء .
(٣٣) معاني القرآن للفراء ٩١،٩٠/١ بتصرف تح أحمد نجاتي ومحمد علي النجار ط الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠م .
(٣٤) العين للخليل بن احمد مادة (ح ي و) تح د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي ط مؤسسة الأعلمي بيروت ١٩٨٨م .
(٣٥) من الآية ٢١ / النمل .

يتخذ هذا الاتجاه منهجاً عاماً فى تفسير هذه الظواهر كما ذهب إلى ذلك الدانى ـ رحمه الله ـ حين قال : «وليس شىء من الرسم ولا من النقط اصطلح عليه السلف ـ رضوان الله عليهم ـ إلا وقد حاولوا به وجهاً من الصحة والصواب وقصدوا به طريقاً من اللغة والقياس»[٣٦] .

٢ ـ رد تلك الظواهر إلى خطأ الكاتب

فسّر بعض العلماء ظواهر الرسم المصحفى بأنها ترجع إلى خطأ الكاتب . من هؤلاء الفراء الذى فسّر بعض هذه الظواهر بهذا الأمر . من هذا تفسيره لزيادة الألف فى قول الله ـ تعالى : «ولا أوضعوا خلالكم»[٣٧] حيث يقـــول :

وكُتبت بلام ألف وألف بعد ذلك ولم يكتب فى القرآن لها نظير وذلك أنهم لا يكادون يستمرون فى الكتابة على جهة واحدة ألا ترى أنهم كتبوا «فما تغن النذر»[٣٨] بغير ياء و «وما تغنى الآيات والنذر»[٣٩] باليـــاء وهـــو من سوء هجـــاء الأولين[٤٠] . وهذا موقف من الفراء يُلفت النظر

ففى حين يعلل حذف الياء فى قول الله ـ تعالى ـ «فما تغن النذر»[٤١] بسوء هجاء الأولين تراه يعلله ـ كما سبق فى مواضع أخرى بعلل لغوية ويستشهد لذلك بما ورد عن العرب .

وذهب إلى هذا الرأى ابن قتيبة الذى جعل خطأ الكاتب أحد احتمالين فى توجيه هذه الظواهر بقول ابن قتيبه : وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الأعراب أو تكون غلطاً من الكاتب[٤٢] .

وفى رأيى أن هذا الاتجاه الذى يفسر ظواهر الرسم المصحفى بخطأ الكاتب نتيجة لعدم انتشار الكتابة بين الصحابة ـ كما صرح بذلك ابن خلدون[٤٣] ـ اتجاه تعوز أقواله الدقة وينبغى الحذر منه لأن أقواله منتقصه بكثير من الأدلة التى تدل على أن كثيراً من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يعرفون الكتابة معرفة جيدة وأنها ـ أى الكتابة ـ لم تكن حديثة العهد عندما دُوّن القرآن الكريم . من هذه الأدلة :

(أ) أن كلمة القراءة ومشتقاتها قد وردت فى القرآن الكريم الذى هو ـ بالإضافة إلى صفته القدسية ـ الأثر العرفى الوحيد المنسهب المكتوب الذى وصل إلينا كما كُتب فى عهد النبى ﷺ قد وردت حوالى تسعين مرة ، وأن كلمة الكتابة

---

(٣٦) المحكم فى نقط المصاحف للدانى ص١٩٦ تح د. عزة حسن ط دار الفكر سوريا ١٩٨٦م .
(٣٧) من الآية ٤٧ / التوبة .
(٣٨) من الآية ٥ / القمر .
(٣٩) من الآية ١٠١ / يونس .
(٤٠) معانى القرآن للفراء ٤٣٩/١ .
(٤١) من الآية ٥ / القمر .
(٤٢) رسم المصحـــف د. غانم قدورى ص٢٠٧ ط العراق ١٩٨٢م نقلا عن : تأويل شكل القرآن لابن قتيبة ص٤٠،٤١ .
(٤٣) السابق ص٢٠٩ نقلا عن تاريخ ابن خلدون ٧٥٧/١، ٧٩١ .

ومشتقاتها قد وردت نحو ثلاثمائة مرة ، وأن أول آيات القرآن الكريم نزولا آيات سورة العلق قد نوّهت بالقراءة والكتابة تنويهًا عظيماً «إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربّك الأكرم . الذى علّم بالقلم . علّم الإنسان مالم يعلم»[٤٤] .

(ب) هناك أحاديث نبوية شريفة تدل على أن النبى ﷺ كان يتحرى الدقة مع كُتّابه وكان يطبق معهم مبدأ هامًا يدل على دقة المُمْلى والمستملى وهو مبدأ عرض المكتوب بعد كتابته . من هذه الأحاديث :

عن ابن سليمان بن زيد بن ثابت عن أبيه عن جده زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال كنت أكتب الوحى عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان إذا أنزل عليه أخذته بُرحاء شديدة وعَرِق عَرَقًا مثل الجمان ثم سُرّى عنه فكنت أدخل بقطعة القتب أو كسره فأكتب وهو يُملى على فما أبرح حتى تكاد تنكسر رجلى من ثقل القرآن وحتى أقول لا أمشى على رجل أبداً فإذا فرغت قال «اقرأه» فاقرأه فإن كان فيه سَقْط أقامه ثم أخرج به إلى الناس»[٤٥] .

هذا وغيره مما يضعف الاعتماد على هذا الاتجاه فى تفسير ظواهر الرسم المصحفى .

٣ ـ حمل اختلاف الرسم على اختلاف المعنى

ذهب بعض العلماء إلى تفسير هذه الظواهر تفسيراً يقوم على اختلاف المعنى إذا اختلف الرسم . ويُعَدُّ ابن البنا المراكشى (ت٧٢١هـ) رائد هذا الاتجاه . فقد ألف كتابًا فى الكشف عن الأسرار التى يتضمنها الرسم العثمانى سماه الزركشى والسيوطى : «عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل» وقد نقل السيوطى فى الإتقان كثيرا مما ورد عن المراكشى من هذا تفسيره لحذف الواو فى قول الله ـ تعالى ـ «ويدع الإنسان»[٤٦] وقوله ـ تعالى ـ «ويمح الله»[٤٧] ... حيث نقل عنه السيوطى قوله «السر فى حذفها التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدّةوقوع المنفعل المتأثر به فى الوجود»[٤٨] .

ولما كان هذا الاتجاه يقوم على أسس فلسفية باطنية قد يقع من ينتهجه فى تناقض رفضه بعض الدارسين[٤٩] .

---

(٤٤) الآيات من ١ ـ ٥ / العلق .

(٤٥) أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى ص٧٧ ص دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١م .
والحديث ذكره الخطيب البغدادى فى كتابه الجامع لأخلاق الراوى ١٢٣/٢ تح د. محمود الطحان ط مكتبة المعارف بالرياض وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٥٢/١ باب عرض الكتاب بعد إملائه بنحوه وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله موثوقون .

(٤٦) من الآية ١١ / الإسراء .

(٤٧) من الآية ٢٤ / الشورى .

(٤٨) الإتقان للسيوطى ١٥٠/٤ تح محمد أبوالفضل إبراهيم . ط دار التراث د.ت .

(٤٩) رسم المصحف د. غانم قدورى ص٢٢٩ وما بعدها .

٤ ـ تفسير بعض الظواهر باحتمال القراءات

ذهب بعض العلماء إلى أن المصحف العثمانى كُتب ليشتمل على الأحرف السبعة أو أنه جاء شاملا لما يحتمله رسمه منها . وبناء على ذلك حاول بعض العلماء تعليل حذف أو زيادة بعض الرموز الخاصة بأصوات المد بأن المقصود من ذلك أن تحتمل الكلمة القراءات المتنوعة الصحيحة الواردة فيها . بل إن بعضهم جعل من مزايا الرسم العثمانى الدلالة على القراءات المتنوعة فى الكلمة الواحدة .

ومن أمثلة هذا الاتجاه تعليلهم لقول الله ـ عز وجل ـ «إن هذان لساحران»[٥٠] . حيث قال بعضهم : رسمت فى المصحف العثمانى هكذا : «ان هذن لسحرن» من غير نقط ولا تشديد ولا شكل ولا تخفيف فى نونى (ان هذان) ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من « هذان » ومجىء الرسم كذلك كان صالحًا عندهم لأن يقرأ بالأوجه الأربعة التى وردت كلها بأسانيد صحيحة وهى :

قراءة نافع ومن معه بتشديد النون فى (إن) ويخففون (هذان) بالألف .

= قراءة حفص بخفف النون فى (إن) و(هذان) بالألف وبالتخفيف أيضًا .

= قراءة ابن كثير بخفف النون فى (إن) ويشدد النون فى (هذان) .

= قراءة أبى عمرو بتشديد النون فى (إن) وبالياء وتخفيف النون فى (هذين)[٥١] .

وفى نظرى أنه يمكن الإفادة من هذا الاتجاه فى تفسير بعض الظواهر لكن لا ينبغى أن يقتصر عليه فى تفسير جميع الظواهر ، فلعل بعض الظواهر يمكن تفسيرها من خلال ما اهتدى إليه علم اللغة الحديث من خلال الدراسة الشاملة لظروف الكتابة العربية ومعرفة الأصل الذى أخذت عنه فكثير من ظواهر الرسم المصحفى ما هو إلا موروثات ورثتها الكتابة العربية عن ذلك الأصل النبطى الذى أخذت عنه هذه الكتابة من ذلك مثلا ـ ظاهرة حذف الألف فى بعض كلمات نحو «الله ـ الرحمن ـ لقمن ـ سليمن» فالكتابة النبطية التى أخذت عنها الكتابة العربية لم تكن تمثل للحركات بأية صورة ، وقد تأثرت الكتابة العربية بهذا الأمر فظلت حينًا لا تمثل للحركات . وقد ظهر من ذلك بعض الصور فى الكتابة المصحفية .

---

(٥٠) من الآية ٦٣ / سورة طه .

(٥١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د. عبدالحى الفرماوى ص٨٥، ٨٦ بتصرف ص مكتبة الأزهر ١٩٧٧م .

(٥٢) اتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطى جـ٢/٢٤٨، ٢٤٩ بتصرف تح د. شعبان محمد إسماعيل ط عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٨٧م .

قبس من أنوار النبوة

دعوة الإسلام للعمل وتكريمه للعاملين

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ يسأله : فقال له النبى ﷺ : « أما فى بيتك شىء ؟ قال : بل حلس[1] نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب[2] نشرب فيه الماء : قال النبى « إئتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : « من يشترى هذين ؟ .. قال رجل : أنا آخذهما بدرهم : قال رسول الله ﷺ : « من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا » .

قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى ، وقال : « اشتر بأحدهما طعاما فانبذه[3] إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما ، فأتنى به ، فأتاه به ، فشد عليه رسول الله ﷺ عودا بيده . ثم قال له : أذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، وجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة » .

« إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مقطع ، أو لذى دم موجع » . رواه أبوداود والنسائى والترمذى

(١) الحلس : كساء يوضع تحت الرحل ويبسط للفرش والغطاء .

(٢) القعب : إناء من فخار .

(٣) فانبذه : قدمه طعاما لأولادك .

(٤) أصاب : ربح .

□ البستان :

إن الإسلام يرفع من قدر الإنسان الذى كرمه الله وفضله على كثير من المخلوقات بالعمل ، وإن الحياة بدون حركة وعمل وسعى تكون خرابا رهيبا ، وموتا محققا كئيبا ، ولا ثمرة بدون جهد وعمل ولا غاية بدون وسيلة .

لقد أرشد الإسلام فى آيات القرآن الكريم إلى رزق الله الذى ساقه إلى مريم البتول فى الوقت الذى تعانى فيه من آلام الوضع وضعف الولادة إلى العمل الذى تستطيع القيام به لتناول رزقها ، حيث قال الله تعالى : فى سورة مريم :

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ .

سورة مريم ـ آية : ٢٥ ، ٢٦

وإن الطيور السابحة فى الفضاء لا تملأ حواصلها من حبات الأرض إلا بالحركة والسعى ، وإلى هذا يشير حديث رسول الله ﷺ حيث قال :ـ فيما رواه الترمذى : « **لو توكلتم على الله حق التوكل ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ـ جائعة ـ وتعود بطانا ، مليئة بطونها بالطعام** .

الحث على العمل فى الكتاب والسنة :

إن فى القرآن الكريم ما ينيف عن ثلثمائة آية تدل على عناية الإسلام بالعمل ، منها :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ١٠٥

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ٨٠

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ .

سورة الكهف ـ آية : ٣٠

والعمل فى الإسلام لا ينحصر فى الأعمال الروحية كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، ولكن تتسع دائرته حتى تشمل كل عمل مثمر مفيد للنفس وللغير ، وكل سعى لخير البشرية ، ولحفظ كيان الجماعة الإنسانية قال الله ـ تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

سورة الملك ـ آية : ١٥

والعمل فى الإسلام ، قرين العبادات : دنيا ودين ، صلاة وسعى ، عبادة وتجارة ، مسجد ومعمل .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

سورة الجمعة ـ آية : ١٠

و « ما أكل عبد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » رواه البخارى .

ولقد رأى رسول الله ﷺ ، رجلا من الأنصار قد خشنت يده ، فسأله عن سبب ذلك فقال الرجل : إنه من أثر المسحاة التى يعمل بها حتى ينفق على أولاده فقال الرسول ﷺ كما فى أسد الغابة ـ « **هذه يد لا تمسها النار** ، وفى

رواية هذه يد يحبها الله ورسوله » وروى أن النبى قبل يده » .

والإسلام يجعل عمر الإنسان كله وقفا على العمل حتى آخر لحظة فى الحياة جاء فى عمدة القارى شرح البخارى (للعينى) أن النبى ﷺ قال : «إن قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها ، فله بذلك أجر » .

وفى الحديث الذى معنا توجيه نبوى كريم لهذا الأنصارى ولغيره من المسلمين إلى يوم القيامة : بأن ذل السؤال وعزة المؤمن لا يجتمعان فى نفس رجل واحد أبدا ، وأن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع ، أى الفقر الشديد الذى لا يحتمل كأنه ألصق صاحبه بالرقعاء ، وهو التراب لشدته .

أو لذى غرم مفظع ـ أى إنسان عليه دين وحل أجل الوفاء به .

أو لذى دم موجع ـ أى أن يتحمل إنسان دية لأولياء المقتول وإن لم يؤدها قتل المتحمل عنه ، فيطلب مساعدته وإعانته لأداء الدية وما عدا ذلك فإنما هى جمرة من النار .

لمن تحل الصدقة ؟ :

أخرج الترمذى : أن النبى ﷺ قال : « إن الصدقة لا تحل لغنى أى : الذى عنده ما يغذيه أو يعشيه ـ ولا لذى مرة سوى ـ أى الشديد القوى السليم من الآفات ـ ، ولا تحل إلا لذى فقر مدقع ، أو غرم مفظع ، أو دم موجع ، ومن يسأل الناس ليثرى به ماله كان خموشا فى وجهه يوم القيامة ، ورضفا يأكله من جهنم ـ أى حجارة محماه ـ فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر » وزاد رزين ـ رحمه الله ـ « وإنى لأعطى الرجل العطية فينطلق بها تحت إبطه أو جاعلها فى بطنه وما هى إلا نار . فقال له عمر ـ رضى الله عنه ـ فلِمَ تعطى يا رسول الله ما هو نار . فقال ﷺ أبى الله لى البخل ، وأبوا إلا مسألتى » .

وأخرج مسلم ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر » .

والمسكين المستحق : هو الذى حدد رسول الله ﷺ ملامحه فى الحديث الذى أخرجه الستة إلا الترمذى ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن به فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » .

وفى سنن أبى داود أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ﷺ : « إذا أعطيت شيئا من غير أن تسأله فكل وتصدق » .

وبعد ..

فإن الإسلام يرفع من قدر الإنسان ، ويعلى مكانته ، ويكرِّمه ويضعه فى المكان اللائق به فطوبى لمن انتفع بتوجيهات الإسلام واهتدى بهدايته ، ونفذ تعاليمه ومبادئه وتجمل بفضائله .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..

عقد التأمين ومدى مشروعيته في الفقه الإسلامي

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

٧

للدكتور / عبدالله مبروك النجار

والتأمين التجاري ، هو النوع الثالث من أنواع التأمين ، وهو يسمى : التأمين بقسط ثابت . وهذا النوع من التأمين لا يمكن أن يباشره قانونا غير شركات المساهمة المملوكة للمصريين[1] ، وفيه يتميز شخص المؤمن عن أشخاص المؤمن لهم ، ويسعى إلى تحقيق الربح عن طريق إجراء المقاصة بين المخاطر ، فيوزع تلك المخاطر على المؤمن لهم في صورة أقساط سنوية ثابتة يحددها باللجوء الى الإحصاءات وحساب الاحتمالات ، وهذا القسط الذى يقع على عاتق المؤمن له لا يقبل في الأصل تغييرا بحسب ما تحقق من مخاطر ، وكما أن المؤمن هو الذى يتحمل تبعة ما يتحقق من مخاطر ، فإن الربح كمبدأ يعتبر من حق شركة التأمين ، ويلتزم المؤمن وحده بدون تضامن مع المؤمن لهم بدفع مبلغ التأمين عند تحقق الخطر[2] ، وهذا النوع من التأمين قد اشتد الخلاف حوله واحتد وانقسم الرأى فيه إلى قولين :

• الكاتب أستاذ مساعد / كلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر

(١) وذلك وفقا لما نصت عليه المادتان (٣٧،١٧) من القانون المصرى رقم ١٠ لسنة ١٩٨١م . بشأن الإشراف والرقابة على التأمين ، راجع : صناعة التأمين في مصر ــ ص٨ ، وما بعدها ، كتاب الأهرام الاقتصادي ــ العدد (٨٠) أكتوبر ١٩٩٤م .

(٢) د. أحمد شرف الدين . ص١٨ ، د. حسام الأهوانى ــ المبادىء العامة للتأمين ــ ص ٢٢ ــ القاهرة ١٩٧٥م وراجع الباب التمهيدى من البحث .

أولهما : يرى أن هذا العقد حرام ، لما يكتنفه من الغرر المنهى عنه ، ولما يتضمنه من القمار والمراهنة ، والربا بنوعيه ، وقد استدل هذا الرأى لما ذهب إليه بأدلة قوية نعرض لها فى حينها(*) .

ثانيهما : يرى أنه مباح(٣)، وقد أسس رأيه على أدلة عقلية تدور حول أنه عقد جديد لم يكن معروفا فى عهد السلف ، ويمكن تخريج حِلّه بالقياس على عدد من العقود المشروعة ، مثل عقد الوديعة بأجر ، أو ولاء الموالاة عند الحنفية ، أو الوعد الملزم عند المالكية ، أو ضمان خطر الطريق ، أو نظام العواقل ، أو عقد الحراسة إلى غير ذلك مما ذكروه من أدلة ؛ ويبدو من كثرة الأصول التى قاسوا عليها هذا ، أنهم أكثروا من البدائل للاستدلال على رأيهم ، حتى إذا طاش دليل حل محله آخر ، وهو أسلوب ربما ينم عن عدم تركيز فى الاستدلال ، وكان محلا لمناقشات عديدة من القائلين بالتحريم كما سنرى .

ونحن من جانبنا نعرض لبيان تلك الآراء بتجرد

(*) من أصحاب هذا الرأى : ابن عابدين ، وقد حرم التأمين البحرى ، ومنهجه يؤدى إلى تحريم أنواع التأمين الأخرى ، والشيخ محمد بخيت المطيعى ، وعبدالرحمن قراعة (وكلاهما كان مفتيا للديار المصرية ، والشيخ محمد خاطر مفتى ديوان الأوقاف المصرية والشيخ أحمد إبراهيم وعبدالرحمن تاج ، والشيخ محمد أبو زهرة — والدكتور عيسوى أحمد ؛ من أساتذة الشريعة الإسلامية بكليات الحقوق المصرية ، والشيخ محمد على السايس ، والشيخ طه الديناري من عمداء كلية الشريعة بجامعة الأزهر ، والشيخ عبداللطيف السبكى ، الرئيس الأسبق للجنة الفتوى بالأزهر ، والدكتور الصديق محمد الضرير ، رئيس قسم الشريعة بجامعة الخرطوم ، وعبدالله القلقيلى مفتى الأردن ، وعبدالستار السيد ، مفتى طرطوس بسوريا ، وأحمد الزهاوى من علماء العراق ، ومحمد الجواد الحسينى عميد كلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب ، والشيخ محمد العوالى ، والدكتور يوسف القرضاوى ولم يرو عن أحد من شيوخ الأزهر أنه أباح التأمين حتى الآن ، راجع : بحث الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى — المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية — ج ٢ — ص١٤٧ والدكتور عيسى عبده — التأمين بين الحل والتحريم — ص١١٥ وما بعدها ، والدكتور عبدالناصر العطار — حكم التأمين فى الشريعة الإسلامية — ص٠٢ وما بعدها .

(٣) ومن أنصار هذا الاتجاه : المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف ، والشيخ محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى ، أستاذ العلوم العالية بجامعة القرويين ، والشيخ على الخفيف أستاذ الشريعة بكليات الحقوق المصرية وإن كان الشيخ فرج السنهورى قد ذكر أنه قد أخبره بعدوله عن رأيه وميله إلى عدم جواز التأمين على الحياة لكنه لم يذكر دليلا ، والشيخ عبدالرحمن عيسى مدير تفتيش العلوم الشرعية بالأزهر ، فلما استأنف الذهبيات هذا القرار إلى المحكمة الشرعية العليا والدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ، والشيخ الطيب النجار عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر ، والأستاذ مصطفى الزرقا أستاذ الشريعة الاسلامية بكليات الحقوق بسوريا ، والشيخ عبد الحميد السائح ، وزير الأوقاف سابقا بالأردن ، والشيخ على آل كاشف الغطاء إمام النجف الأشرف من الشيعة الامامية بالعراق ، والدكتور محمد يوسف موسى ، المرجعان السابقان ، وخاصة بحث الشيخ السنهورى — السابق — ص١٩٨ . ومن الباحثين من أباح بعض أنواع التأمين وحرم البعض الآخر ، فمنهم من أباح التأمين من المسئولية الناشئة عن فعل الإنسان ، كنجم الدين الواعظ ، مفتى العراق ، ومنهم من أباح التأمين من المسئولية ، أحمد السنوسى من مصر ، ومنهم من أباح التأمين من الأضرار كالشيخ محمد مبروك عضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر ، ورامز ملك ؛ أمين الإفتاء فى طرابلس ، ومنهم من أباح التأمين على الحياة كعبدالوهاب خلاف ، ومنهم من رأى جوازه إذا خلا من الربا ، كالدكتور محمد يوسف موسى ، كما أجاز الشيخ محمد فرج السنهورى أنواع التأمين عدا التأمين على الحياة لصالح مستفيد غير المؤمن له ، وعدا التأمين الإدخارى ، راجع : بحث الشيخ السنهورى — السابق ، د. عبدالناصر العطار ص٢١، ٢٢ .

وموضوعية بغية الوصول إلى الحق في هذا الموضوع الهام ، الذي تعددت بشأنه الآراء واختلفت فيه الأقوال ؛ فنبين رأي القول الأول وأدلته ، ثم نبين أثناء عرض الأدلة ؛ ما اعترض به المجيزون للتأمين عليها ، ونبين رد القائلين بالتحريم على تلك الاعتراضات ؛ وذلك كله في الفصل الأول .

أما الفصل الثاني : فنخصصه لبيان حجج المجيزين وما ورد عليها من مناقشات ، ثم نبين في النهاية ما يترجح لدينا .

الفصل الأول
القول بالتحريم وأدلته

من المعروف أن أصحاب القول الأول قد انتهوا إلى أن هذا النوع من التأمين حرام يعاقب الشارع على فعله ويثيب على تركه[4] ، ويقوم هذا النوع من التحريم على أسس استقرأها الباحثون ودرسوها ، وهي تتمثل في اشتماله على الغرر ، والقمار والمراهنة ، والربا ، ولما كانت هذه الأمور محرمة تحريما قاطعا ، فإن حلولها بالتأمين يجعله نوعا منها ، حيث تتعدى أدلة تحريم تلك الأمور إليه ، وتنال من مشروعيته ، ونخصص لدراسة كل منها مبحثا ، فنبين في المبحث الأول : معنى الغرر وأدلة تحريمه ، وتضمن التأمين لمعنى الغرر ؛ ونبين في المبحث الثاني : معنى القمار والمراهنة وأدلة تحريمهما ، وتضمن التأمين التجاري لهما ، ونبين في المبحث الثالث : معنى الربا وأدلة تحريمه واشتمال التأمين عليه ، وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول
التأمين التجاري يقوم على الغرر المحرم

تمهيد

الأصل الذي رسمته الشريعة لصحة العقد أن يقوم على الرضا . وقد اتفق المجتهدون على أن الرضا هو مناط صحة العقود . هذا الأصل قائم في كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، وإجماع علماء المسلمين .

---

(4) وقد رفضت محكمة مصر الشرعية دعويين تتعلقان بالتأمين على أساس أنه محرم شرعا ، وذلك في الدعوى رقم 24 لسنة 1906م ، وفي هذه القضية عين المؤمن له زوجته مستفيدا من التأمين على حياته فلما توفي رفع ابناه من زوجة أخرى ، دعوى لإبطال التأمين لصالح الذي أبرمه مورثهما الزوجة ، فرفضت المحكمة الدعوى لاشتمالها على مالا يجوز المطالبة به شرعا .

فلما استأنف المدعيان هذا القرار بالاستئناف رقم 51 بتاريخ 1906/12/24 ، فحكمت في 28 ديسمبر سنة 1907 ، بصحة القرار المستأنف ، ورفض الاستئناف ، لأن القرار المستأنف في طلب والاستئناف غير مقبول ، مجلة الأحكام الشرعية ، س6 ، ص83 وما بعدها ، ومنتخبات الأحكام الشرعية ــ جـ1 ــ ص 71 ، وراجع : بحث الشيخ فرج السنهوري 157 وما بعدها .

كما رفضت محكمة الاسكندرية الكلية الشرعية النظر في دعوى التأمين التي تقدم بها الناظر على وقف أحمد على فرغلي بطلب إذن المحكمة بالتأمين على أعيان الوقف من ريعه ، لأن بها شونة أقطان ومنازل بها دكاكين تحتوي على مواد ملتهبة ، وقد رفضت هيئة المحكمة الشرعية هذا الطلب في 1931/2/7م لأنه سبق الفصل فيه بالرفض من هذه المحكمة بعدم قبوله شرعا ، لما فيه من المخاطرات التي لا يجيزها الشرع ولا القانون ، وقد استأنف الناظر هذا الحكم ، فأيدته المحكمة العليا الشرعية في مارس سنة 1931م . وقد بنت المحكمتان الرفض على المخاطرة التي لا تجوز شرعا ، راجع : بحث الشيخ السنهوري ــ السابق ــ ص158 .

كما قضت المحكمة الشرعية العليا سنة 1917 ، بأن دعوى الوارث استحقاقه لنصيبه في مبلغ بشركة (السيكورتاه) ، تعهد مدير الشركة بدفعه دفعة واحدة في ظرف مدة معينة ، أن لو مات الوارث فيها ، نظير دفعه للشركة مبلغا كل شهر ؛ غير صحيحة لاشتمالها على ما لا تجوز المطالبة به ، راجع : المحاماة س7،ص937، رقم545 .

أما الكتاب : فيقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[5]، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6] حيث دلت الآية الأولى على أن الحق سبحانه وتعالى قد نهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، ولم يستثن سوى التعامل بالرضا ، كما دلت الآية الثانية على نهيه سبحانه عن أكل أموال الناس بالباطل ، ليكون وسيلة لأكل فريق من أموال الناس بالإثم ، فيكون المنهى عنه حرام وما خرج بالاستثناء على خلافه ، ومن باب أكل أموال الناس بالباطل : أخذ مال الغير لا على وجه إذن الشرع[7] ، وبالتالى يكون الرضا أساسا من أسس التعامل .

وأما السنة : فيما روى عن عمرو بن يثربى قال : شهدت خطبة النبى ﷺ ، بمنى ، وكان فيما خطب به أنه قال : «ولا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه» ، فقد دل هذا الحديث على ما دلت عليه الآيتان الكريمتان السابقتان ، وهو أن مال المرء لا يحل إلا برضاه التام .

وأما الإجماع : فإنه منعقد على أن الرضا هو أصل التعامل ، ولم يخالف فيه أحد[8] .

الرضا أساسه العلم النافى للجهالة :

ولئن كان الرضا هو أساس التعامل فى شرع الله ، فإن العلم النافى للجهالة هو أساس الرضا وشرط صحته ، ذلك أن الرضا فى مجال التعاقد يعنى رغبة العاقد فى شىء مع العزم عليه والتوجه إلى إنشائه ، ولا يتوائم مع طبيعته أن يرغب الإنسان فيما لا علم له به ، فالرغبة فى الشىء فرع عن تصوره التام ووجوده الواضح ؛ فالرضا قبل حقيقة المعرفة[9] لا يتصور ، ولا يمكن تبين وجود الرضا على مجهول[10] ، لأن العلم بالمعقود عليه هو الأساس الذى يحدد المتعاقد من خلاله مركزه فى التعاقد ويستعدّ له .

فإذا انتفى العلم عند التعاقد بمحل المعاوضة كعدم وثوق أحد عاقديها بحصوله على العوض ، أو لعدم معرفته بقدر هذا العوض ، أو أجل الوفاء به ، فإن المعاوضة تبطل لانتفاء الرضا بها ، وهذا ما يعبر عنه لدى الفقهاء باشتمال الشىء على الجهالة والغرر ، ويعنون بذلك أن الرضا بالمعاوضة لا يترتب عليه حكمه شرعا ، إذا اشتملت هذه المعاوضة على الجهالة والغرر[11] .

الغرر ينافى الرضا :

ولهذا كان وجود الغرر فى العقد مما يطيح به ، ويجعله غير صحيح من الناحية الشرعية ؛ ويكون من المهم بيان حقيقة الغرر ، ومدى انطباقه على

---

(5) سورة النساء ــ آية ٢٩ .
(6) سورة البقرة ــ آية : ١٨٨ .
(7) القرطبى ــ الجامع لأحكام القرآن ــ جـ٣ ــ ص٣٣٨ ، وتفسير الطبرى ــ جـ٣ ــ ص١٨٣ .
(8) راجع : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ٥ ــ ص١٥٠ .
(9) الرافعى ــ فتح العزيز ــ شرح الوجيز ــ جـ٨ ــ ص١٥٣ .
(10) المحلى ــ لابن حزم الظاهرى ــ جـ٩ ص٣٧٢ ، راجع : الدكتور حسن صبحى فى بحث له بعنوان : الرضا وعيوبه فى العقد ــ نشرته لجنة تجلية مبادىء الشريعة الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ضمن مجموعة بحوث عنوانها : الفقه الإسلامى أساس التشريع ــ ص٢٨٦ وما بعدها .
(11) د. حسين حامد ــ ص٥٥ وما بعدها .

عقد التأمين التجارى ؛ وسوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين ، نخصص أولهما : لبيان حقيقة الغرر وأنواعه وأدلة تحريمه ، ونخصص ثانيهما : لبيان شروط التحريم بالغرر ووجوده فى عقد التأمين التجارى .

المطلب الأول
حقيقة الغرر وأنواعه وأدلة تحريمه
الفرع الأول

تعريف الغرر وتمييزه عن الجهالة

الغرر فى اللغة : الخداع والطمع بالباطل ، يقال : غره الشيطان ، يغره بالضم غررا بالفتح ، وغرورا بالضم ، أى خدعه وأطمعه بالباطل[12] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾، أى ما خدعك رسول لك ، حتى أضعت ما وجب عليك ، فالغرر معناه الخداع الذى هو مظنة ألا رضا به عند تحققه ، فيكون من أكل أموال الناس بالباطل[13] .

وفى اصطلاح الفقهاء :

عرفه الحنفية بأنه : «الخطر الذى استوى فيه طرف الوجود والعدم بمنزلة الشك» ، كما عرفه السرخسى بأنه : ما يكون مستور العاقبة[14] .

وعرفه المالكية بأنه : المجهول العاقبة[15] ، كما عرفه ابن عرفه المالكى بأنه : «ماشك فى حصول أحد عوضيه أو مقصود منه غالبا»[16] ، ونقل عن مالك رضى الله عنه أنه عرفه بقوله : «مالا يدرى أيتم أم لا»[17] ، كما عرّف بأنه : «ما يحتمل حصوله وعدم حصوله» ، أو «ما تردد بين السلامة والعطب»[18] .

وعرفه الشافعية بأنه : «ما احتمل أمرين أغلبهما أخوفهما»[19] ، أو هو : مالا يوثق بحصول العوض فيه»[20] .

وعرفه الحنابلة بأنه : «المجهول العاقبة»[21] ، وقد جاء فى شرح منتهى الإرادات أن القاضى وجماعة فسروا الغرر بأنه : «ما تردد بين أمرين ليس أحدهما أظهر»[22] .

وعرفه الظاهرية بأنه : «هو البيع الذى لا يدرى فيه المشترى ما اشترى أو البائع ما باع»[23] . ولايخرج معنى الغرر فى بقية أقوال الفقهاء عن هذا المعنى ، حيث يتمثل فى عدم معرفة هل يحصل الشىء أم لا ؟ ، وهو بذلك يتضمن خطرا يلحق أحد المتعاقدين فيؤدى إلى ضياع ماله ، كبيع مالا يعلم وجوده وعدمه ، أو لا تعلم قلته وكثرته ، أو لا يقدر على تسليمه[24] ، وتعريف السرخسى من الحنفية ،

---

(12) تاج العروس - جـ3 - ص443 ، والقاموس المحيط - ج 2 - ص104 .

(13) سورة الإنفطار - آية 6 ، وسبل السلام للصنعانى - جـ2 ص15 .

(14) الكاسانى - بدائع الصنائع - جـ5 - ص263 .

(15) المنتقى للباجى - جـ5 - ص42 ، والفروق للقرافى - جـ3 - ص27 .

(16) مواهب الجليل جـ4 - ص362 .

(17) المرجع نفسه - ص368 .

(18) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير - جـ3 - ص55 .

(19) حاشية الرملى على نهاية المحتاج - جـ3 - ص392 .

(20) حاشية قليوبى وعميرة - جـ2 - ص58 .

(21) مجموع فتاوى ابن تيمية - جـ29 - ص22 .

(22) شرح منتهى الإرادات - جـ2 - ص145 .

(23) المحلى لابن حزم - جـ2 - ص343 .

(24) الفقه الإسلامى وأدلته ، د. وهبه الزحيلى - ج 4 - ص437 ، دار الفكر .

والباجي من المالكية ، وشيخ الإسلام ابن تيمية للغرر بأنه هو المستور العاقبة ، أو المجهول العاقبة هو الذي يعبر عن حقيقته ، وهو أرجح التعاريف لذلك .

تمييز الغرر عن الجهالة :

وإذا كان الغرر وفقا لما عرفه به الفقهاء هو مالا يدرى حصوله أم لا ، فإنه بهذا المعنى يختلف عن الجهالة ، حيث أن الجهالة يعلم حصولها ، ولكن صفتها مجهولة ، كمن يبيع لآخر ماق كمه ، فإن ما ق كمه حاصل فعلا ، ومعلوم وجوده ولكن لا يدرى أى شيء هو ، فالغرر والمجهول كل واحد منهما أعم من الآخر من وجه ، وأخص من وجه ، وقد يوجد كل واحد منهما مع الآخر أو بدونه ، فالجهالة بدون الغرر مثل بيعه حجرا لا يدرى أزجاج هو أم ياقوت ، ورؤيته تقتضى القطع بحصوله فلا غرر ، وعدم معرفته تقتضى الجهالة به[25] .

وأما اجتماع الغرر والجهالة فكالعبد الآبق المجهول الصفة قبل الإباق ، ثم أن الغرر والجهالة يقعان ق سبعة أشياء ، ق الوجود ، كالآبق بعد الإباق والحصول إن علم الوجود كالطير ق الهواء ، وق الجنس كسلعة لم يسمها ، وق النوع كعبد لم يسمه ، وق المقدار كالبيع إلى مبلغ وق الحصاة ، رمى التعيين كثوب من ثوبين مختلفين ، وق البقاء كالثمار قبل بدو صلاحها ، فهذه سبعة موارد للغرر والجهالة[26] . ويستبين من النصوص المتقدمة أن هناك فرقا بين الغرر وبيع المجهول ، فبيع الغرر هو الذى لا يعلم هل يحصل أم لا ؟ ، كبيع الطير ق الهواء والسمك ق الماء ، وأما بيع ما علم حصوله وجهلت صفته فهو بيع المجهول كبيعه ماق كمه ، على أن الفقهاء قد يتجوزون ق إطلاق اللفظين ، فيستعملون الواحد موضع الآخر وإن كان الغرر أعم من الجهالة ، فكل مجهول غرر ، وليس كل غرر مجهول ، فقد يوجد الغرر بدون الجهالة كما ق شراء الآبق المعلوم الصفة ، ولكن لا توجد الجهالة بدون غرر[27] .

الفرع الثانى
أنواع الغرر

ومن المهم معرفة أنواع الغرر ، ذلك أن بعض تلك الأنواع تلقى تساهلا ق مجال التعامل ، وسبب هذا التساهل يرجع إلى اعتقاد أصحابه أن مثله مما يمكن أن يتسامح فيه الشرع لقلته ، ويكيفونه على أنه لتلك القلة يعد استثناء من أصل حظر التعامل المشوب به ، وربما كان السبب هو الاستهانة به من ناحية تكييفه ق التعامل المعروض قلة وكثرة ، ولذلك تكون معرفته وما قرره الفقهاء ق هذا الصدد أمرا مهما .

---

(25) راجع : بداية المجتهد ــ جـ2 ــ ص129 ، وما بعدها ، والفروق للقراق ــ جـ2 ــ ص150 وما بعدها ، وجـ3 ص265 وما بعدها ، وتهذيب الفروق ــ جـ1 ــ ص170 وما بعدها وراجع موطأ الإمام مالك ــ ص412 طبعة الشعب حيث يقرر أن الغرر هو الخداع الذى هو مظنة عدم الرضا عند ظهور الحقيقة فيكون من أكل أموال الناس بالباطل مثل أن يعمد الرجل قد ضلت دابته (أو نحوها) وثمن الشيء من ذلك خمسون دينارا ، فيقول رجل آخذه منك بعشرين دينارا ، فإن وجده المبتاع ذهب من البائع ثلاثون دينارا ، وإن لم يجده ذهب البائع من المبتاع بعشرين دينارا .

(26) القراق ــ المرجع نفسه .

(27) ق هذا المعنى : مصادر الحق ق الفقه الإسلامى ــ للسنهورى ــ جـ3 ــ ص49 والفقه الإسلامى وأدلته د. وهبة الزحيلى ــ جـ4 ــ ص460 .

أنواع الغرر عند الحنفية :

يقول الإمام السرخسي : «ولا يجوز شراء اللبن في الضرع كيلا ولا مجازفة ، بدراهم أو غير ذلك ، لنهي النبي ﷺ الغرر ، والغرر ما يكون مستور العاقبة ، ولا يدرى أن ماق الضرع ريح أو دم أو لبن ، ولأن البيع يختص بعين مال متقدم بنفسه ! واللبن في الضرع بمنزلة الصفة في الحيوان ، ولا يكون مالا متقوما بنفسه قبل الحلب ، وأوصاف الحيوان لا تقبل البيع كاليد والرجل ، ولأن اللبن يزداد ساعة فساعة ، وتلك الزيادة لا يتناولها البيع واختلاط المبيع بما ليس بمبيع من ملك البائع على وجه يتعذر تمييزه مبطل للبيع ، ثم تمكن المنازعة بينهما في التسليم ، لأن المشترى يستقصى في الحلب ، والبائع يطالبه بترك داعية اللبن ، وكذلك بيع أولادها في بطونها لا يجوز لمعنى الغرر وانعدام المالية والتقوم فيه قبل الإنفصال ، وعجز البائع عن تسليمه ، واستدل بنهي النبي ﷺ عن بيع حبل الحبلة ، منهم من يروى بالكسر (الحبلة) فيتناول بيع الحمل ، ومنهم من يروى بالنصب (الحبَلة) فيكون المراد : بيع ما يحمل هذا الحمل ، وقد كانوا في الجاهلية يعتادون ذلك ، فأبطله النبي ﷺ بنهيه عن بيع المضامين والملاقيح ، وعن بيع حبل الحبلة ، قيل المضامين ما تتضمنه الأصلاب ، والملاقيح ما تتضمنه الأرحام ، وقيل على عكس هذا : «المضامين ما تتضمنه الأرحام ، والملاقيح ما تتضمنه الأصلاب»[28] ، ومنه أيضا بيع الملامسة والمنابذة والحصاة ، والمزابنة والمحاقلة وبيع ثوب من أثواب ونحوها مما فيه جهالة كغير المملوك في الحال[29] .

أنواع الغرر عند المالكية :

يقول القراف : «ثم الغرر والجهالة ثلاثة أقسام ، كثير ممتنع إجماعا كالطير في الهواء ، وقليل جائز إجماعا ، كأساس الدار وقطن الجبة ، ومتوسط اختلف فيه هل يلحق بالأول أو الثاني ، فلارتفاعه عن القليل ، ألحق بالكثير ، ولانحطاطه عن الكثير ألحق بالقليل ، وهذا سبب اختلاف الفقهاء في فروع الغرر والجهالة»[30] .

---

(٢٨) المبسوط للسرخسي ـ جـ١٥ ـ ص١٩٤ .

(٢٩) فتح القدير للكمال بن الهمام ـ جـ٥ ص١٩٦ ، وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ـ جـ٤ ـ ص١١٦ ، واللباب في شرح الكتاب ـ جـ٢ ـ ص٢٥ ، والمزابنة : هي بيع الرطب أو العنب على النخل أو الكرمة بتمر مقطوع أو زبيب مثل كيله خرصا ، أى بتقديره تخمينا ، والمحاقلة : بيع الحنطة في سنبلها بحنطة مثل كيلها خرصا وتخمينا .

(٣٠) الفروق للقراف ـ السابق ، وراجع : بداية المجتهد ـ لابن رشد ـ جـ٢ ـ ص١٢٩ وما بعدها ، حيث يقول : ومن البيوع التي توجد فيها هذه الضروب من الغرر ، بيوع منطوق بها ، وبيوع مسكوت عنها ، وأما المسائل المسكوت عنها في هذا الباب اختلف فيها من فقهاء الأمصار فكثيره ، لكن نذكر أشهرها لتكون كالقانون للمجتهد النظار .

المسألة الأولى : المبيعات على نوعين : مبيع حاضر مرئى ، فهذا لا خلاف في بيعه ، ومبيع غائب أو متعذر الرؤية ، وقد اختلف فيه الفقهاء : فقال قوم بعدم جوازه بحال من الأحوال لا ماوصف ولا مالم يوصف ، وهذا هو المشهور عن الشافعي وأصحابه ، وقال مالك : يجوز بيع الغائب على الصفة إذا كانت غيبته مما يؤمن أن تتغير فيه قبل القبض صفته ، وقال أبو حنيفة يجوز بيع العين الغائبة من غير صفة ، ثم أن له الخيار إذا رآها ، فإن شاء انفذ البيع وإن شاء رده ، وكذلك المبيع على الصفة من شرطه عندهم خيار الرؤية وإن جاء على الصفة ، وعند مالك : إذا جاء على الصفة فهو لازم ، وعند الشافعي لاينعقد البيع أصلا في الموضعين ، وسبب الخلاف بينهم : هل نقصان العلم المتعلق بالصفة عن العلم المتعلق بالحس ، هو جهل مؤثر في بيع الشيء فيكون من الغرر الكثير ، أم ليس مؤثر ، وأنه من الغرر اليسير المعفو عنه ؟ فالشافعي رآه من الغرر الكثير ، ومالك =

وجاء في القوانين الفقهية لابن جزي : في بيع الغرر : وهو ممنوع للنهي ، إلا أن يكون يسيرا جدا فيغتفر ، والغرر الممنوع على عشرة أنواع (النوع الأول) ، تعذر التسليم كالبعير الشارد ، ومنه بيع الجنين في البطن دون بيع أمه ، وكذلك استثناؤه في بطن أمه ، وكذلك بيع مالم يخلق كبيع حبل حبلة ، وهو نتاج ما تنتج الناقة ، وبيع المضامين ، وهو ما في ظهور الفحول ، (النوع الثاني) : الجهل بجنس الثمن أو المثمون كقوله : بعتك مافي كمي (النوع الثالث) : الجهل بصفة أحدهما ، كقوله : بعتك ثوبا من منزلي ، أو بيع شيء من غير تقليب ولا وصف ، ويجوز على المذهب بيع الشيء الغائب على الصفة أو رؤية متقدمة ، وأجازه أبو حنيفة من غير صفة ولا رؤية ، ومنعه الشافعي مطلقا ويشترط في المذهب ، في البيع على الصفة خمسة شروط ، الأول : ألا يكون بعيدا جدا ، كالأنـــدلس وإفريقية ، الثاني : ألا يكون قريبا جدا كالحاضر في البلد ، الثالث : أن يصفه غير البائع ، الرابع : أن يحصرهـــا بالأوصاف المقصودة كلهـــا ، الخامس : ألا ينقد ثمنه ، بشرط ألا يكون في المأمون كالعقار ، ويجوز النقد من غير شرط ، ثم أن خرج المبيع على حسب الصفة والرؤية لزمه البيع ، وإن خرج على خلاف ذلك ، فللمشترى الخيار ، ويجوز بيع ما في الأعدال من الثياب على وصف البرنامج ، بخلاف الثوب المطوى دون تقليب (النوع الرابع) الجهل بمقدار أحدهما : كقوله : بعت منك بسعر اليوم ، أو بما يبيع الناس ، أو بما يقول فلان إلا بيع الجزاف وقد تقدم ، ولا يجوز بيع القمح في سنبله للجهل به ، ويجوز بيعه مع سنبله خلافا للشافعي ، وكذلك لا يجوز بيعه في تبنه ، ويجوز بيعه مع تبنه ،

اغتفره من الغرر اليسير ، وأما أبو حنيفة فإنه رأى أنه إذا كان له خيار الرؤية ، فلا غرر هناك ، وإن لم تكن له رؤية ، وأما مالك فإنه رأى أن الجهل المقترن بعدم الصفة مؤثر في إنعقاد البيع ، ولا خلاف عند مالك : أن الصفة تنوب عن المعاينة لمكان غيبة المبيع أو لمكان المشقة التي في نشره ، وما يخاف أن يلحقه من الفساد بتكرار النشر عليه ، ولهذا جاز البيع على البرنامج على الصفة ، ولم يجز عنده بيع السلاح في جرابه ، ولا الثوب المطوي في طيه حتى ينشرا وينظر إلى ما في جرابها ، وقد أجاز مالك بيع الشيء برؤية متقدمة ، أعني إذا كان من القرب بحيث يؤمن أن تتغير صفته .

المسألة الثانية : وأجمعوا على أنه لايجوز بيع الأعيان إلى أجل ، وأن من شروطها تسليم المبيع إلى المبتاع بأثر عقد الصفقة ، وإنما منع ذلك الجمهور لما يدخله من الدين بالدين ، ومن عدم التسليم ، ويشبه أن يكون بيع الدين بالدين من هذا الباب ، أعني لما يتعلق بالغرر من عدم التسليم من الطرفين لا من باب الربا .

المسألة الثالثة : أجمعوا على بيع الثمر بطنا واحدا يطيب بعضه وأن لم تطب جملته معا ، واختلفوا فيما يثمر بطونا مختلفة والأصل عند مالك من الغرر ما يجوز لموضع الضرورة .

المسألة الرابعة : اللفت والجزر والكرنب جائز عند مالك بيعه إذا بدا صلاحه ، وهو استحقاقه للأكل ولم يجزه الشافعي إلا مقلوعا لأنه من باب بيع المغيب ، ومن هذا الباب بيع الجوز واللوز والباقلاء في قشره أجازه مالك ومنعه الشافعي ، وسبب اختلافهم ، هل هو من الغرر المؤثر في البيوع أم ليس بمؤثر ، وذلك أنهم اتفقوا أن الغرر ينقسم لهذين القسمين ، وأن غير المؤثر هو اليسير ، أو الذي تدعو إليه الضرورة أو ما جمع الأمرين .

المسألة الخامسة : ومن هذا الباب بيع السمك في الغدير أو البركة ، اختلف فيه أيضا ، فقال أبو حنيفة يجوز ، ومنعه مالك والشافعي فيما أحسب ، وهو الذي تقتضيه أصوله ، ومن ذلك بيع الأبق ، أجازه قوم بإطلاقه ، ومنعه قوم بإطلاقه ، ومنهم الشافعي ، وعند مالك إذا كان معلوم الصفة ، معلوم الموضع عند البائع والمشترى جاز ، وأظنه اشترط أن يكون معلوم الإباق ، ويتواضعان الثمن أعني أنه لايقبضه البائع حتى يقبضه المشترى ، لأنه يتردد عند العقد بين بائع وسلف ، ومن قال بجواز بيع الأبق والبعير الشارد ، فهذان الشيء ، وأجاز مالك بيع لبن الغنم أياما معدودة ، إذا كان ما يحلب منها معروفا في العادة ، ولم يجز ذلك في الشاة الواحدة ، وقال سائر الفقهاء لايجوز ذلك إلا بكيل معلوم بعد الحلب .

ولا يجوز بيع تراب الصاغة ، ويجوز بيع الفول الأخضر والجوز واللوز في القشر الأعلى ، خلافا للشافعي . (النوع الخامس) الجهل بالأجل كقوله : إلى قدوم زيد أو إلى موت عمرو ، ويجوز أن يقول إلى الحصاد أو إلى معظم الدراس ، أو إلى شهر كذا ، ويحمل على وسطه . (النوع السادس) بيعتان في بيعة ، وهو أن يبيع مثمونا واحدا بأحد ثمنين مختلفين ، أو أن يبيع أحد مثمونين بثمن واحد ، فالأولى أن يقول : بعتك هذا الثوب بعشرة نقدا ، أو بعشرين إلى إلى أجل على أن البيع قد لزم في أحدهما . (النوع السابع) بيع ما لا ترجى سلامته ، كالمريض في السياق . (النوع الثامن) بيع الحصاة وهو أن يكون بيده حصا ، فإذا سقطت وجب البيع . (النوع التاسع) بيع المنابذة ، وهو أن ينبذ أحدهما ثوبه إلى الآخر ، وينبذ الآخر ثوبه إليه فيجب البيع بذلك . (النوع العاشر) بيع الملامسة وهو أن يلمس الثوب فيلزمه البيع بلمسه وإن لم يتبينه[31]

أنواع الغرر عند الشافعية :

يقول الرملي : نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة رواه الشيخان ، بأن يلمس ثوبا مطويا أو في ظلمة ثم يشتريه ، على أنه لا خيار له إذا رآه ، أو على أن يكتفي بلمسه عن رؤيته ، أو يقول : «إذا لمسته فقد بعتكه اكتفاء بلمسه عن الصيغة أو على أنه متى لمسه انقطع خيار المجلس أو الشرط ، وعند المنابذة ، بأن يجعل النبذ ، أى الطرح بيعا اكتفاء به عن الصيغة ، أو يقول : إذا نبذته فقد بعتكه ، أو متى نبذته انقطع الخيار ، أو على أنك تكتفي بنبذه عن رؤيته ، وبطلانه لعدم الرؤية أو الصيغة أو الشرط الفاسد ، وعن بيع الحصاة ، بأن يقول بعتك من هذه الأثواب ما تقع هذه الحصاة عليه أو يجعل الرمى لها بيعا ، ولك أو لي أو لنا الخيار إلى بيعها»[32] ، كما يدخل فيه ، بيع المضامين والملاقيح ، وبيع مالم يملك ، وبيع ما عجز عن تسليمه حالا وبيع حبل الحبلة ، وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها[33] .

أنواع الغرر عند الحنابلة :

والغرر عند الحنابلة له ثلاثة أنواع ، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : الغرر ثلاثة أنواع :

الأول : المعدوم كحبل الحبلة

الثاني : المعجوز عن تسليمه كالعبد الآبق .

الثالث : المجهول المطلق ، أو المعين المجهول جنسه أو قدره كقوله : بعتك عبدا أو بعتك مافي بيتي أو بعتك عبيدى ، وهو في كل أما غرر في صيغة العقد ، وأما غرر في محل العقد[34] .

والغرر في صيغة العقد معناه : أن ينعقد العقد بكيفية وصفة يتحقق فيها أى معنى من المعاني التي تؤكد وجود الغرر فيه ، مثل بيع الحصاة ، وبيع المزابنة وبيع المحاقلة ، وبيع الملامسة والمنابذة .

وأما الغرر في محل العقد : فهو توافر هذه المعاني في كل ماورد عليه العقد ، وذلك قبل الجهل بذات المحل كبيع شاة من قطيع ، والجهل بجنس

---

(31) القوانين الفقهية ، لابن جزى ـ ص256 وما بعدها .

(32) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ـ جـ3 ص432 وما بعدها ـ وحاشية الشرقاوى على التحرير ـ جـ2 ص50 وما بعدها .

(33) حاشية الشرقاوى على التحرير ـ جـ2 ـ ص50 ، 64 ، وتحفة الطلاب ، للشيخ زكريا الأنصارى ـ ص152 وما بعدها .

(34) مجموع فتاوى ابن تيمية ـ جـ29 ـ ص25 ، والمغنى لابن قدامة ـ جـ4 ـ ص66 ، وما بعدها ، وص229 .

المحل ، مثل بعتك سلعة من غير أن يذكر اسمها ، والجهل بصفة المحل كالبيع بثمن مجهول ، والجهل بمقدار المحل كبعتك كمية من القمح دون تحديد لمقدارها ، والجهل بالأجل : كبعتك حبل هذه الحبلة[35] ، أى ولد هذه الناقة الحامل ، ويدخل فيه بيع العبد الآبق والجمل الشارد والسمك فى الماء والطير فى الهواء[36].

خلاصة هذه الأقوال :

وبالنظر فيما سبق من أقوال أهل العلم نجد أن أنواع الغرر التى تؤثر فى العقد وتبطله يمكن إرجاعها إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : الغرر فى الوجود : وذلك كبيع العبد الآبق والبعير الشارد .

النوع الثانى : الغرر فى الحصول : وذلك كبيع السمك فى الماء والطير فى الهواء وضربة القانص ورمية الصائد .

النوع الثالث : الغرر فى المقدار : كالبيع إلى مبلغ رمى الحصاة والجهل بأحد العوضين فى العقد .

النوع الرابع : الغرر فى الأجل : كبيع حبل الحبلة وجهالة الأجل وكوجوب العوض عند موت فلان أو نزول المطر أو موسم الحصاد أو قدوم الحاج[37].

وهذه الأنواع الأربعة من الغرر مما يؤثر فى العقد تأثيرا يجعله باطلا ، والعقد الباطل لا يترتب عليه أثره فلا ينتقل به الملك ولا يحل به أكل المال وتعاطيه فيكون حراما .

وهذه الأحاديث واضحة الدلالة على تحريم الغرر ، حيث ورد النهى فيها على تحريم عدد من المعاملات التى لا يعلم فيها نوع ما يلتزم به المتعاقدان أو أجله ، مما ينطوى على جهالة فاحشة تؤثر فى صحة الرضا وتؤدى إلى النزاع ، وهذا التحريم يصدق على جميع أنواع الغرر ومنها الغرر فى الوجود والغرر فى الحصول ، والغرر فى المقدار والغرر فى الأجل .

الفرع الثالث

أدلة تحريم الغرر

وقد قامت الأدلة على تحريم الغرر من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ والإجماع .

أولا : أما الكتاب الكريم :

اشتملت آيات القرآن الكريم على تحريم جميع أنواع الظلم كما حرمت كل تصرف ينطوى على الإضرار بالعباد ، وذلك فى إطار نصوص كلية عامة تصدق على عقود الغرر ، كما تصدق على غيرها من سائر التصرفات التى تؤدى إلى الظلم والضرر ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾[38] .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾[39] .

---

(35) المغنى لابن قدامة ـ جـ4 ـ ص231 .

(36) المغنى لابن قدامة ـ جـ4 ـ ص221 وما بعدها .

(37) وقد ذكر الإمام القرافى أن الغرر والجهالة يقعان فى سبعة أشياء وذكر منها : الغرر فى الوجود كالآبق ، وفى الحصول كالطير فى الهواء ، وفى المقدار كالبيع إلى مبلغ رمى الحصاة وبالأجل إن كان هناك أجل ، راجع الفروق ـ جـ3 ـ ص270 .

(38) سورة النساء ـ آية 29 .

(39) سورة البقرة ـ آية 188 .

وقوله تعالى :

﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ ﴾[40]

حيث دلت هذه الآيات المباركات على تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، من خلال النهى الصريح عنه فى الآيتين الأولى والثانية ، ومن خلال الذم الذى وصم به اليهود من أكلهم أموال الناس بالباطل فى الآية الثالثة على نحو يفيد التحريم أبلغ إفادة . والباطل المنهى عن أكل أموال الناس به : هو كل ما لا يحل شرعا ولا يفيد مقصودا ، لأن الشرع نهى عنه ، ومنع منه وحرم تعاطيه كالربا والغرر ونحوهما[41] .

ثانيا : وأما السنة النبوية :

فقد ورد النهى عن بيع الغرر واضحا وصريحا فيها ، حيث دلت أحاديث كثيرة على تحريمه ومنها :

١ ــ ما رواه مسلم عن أبى هريرة قال : «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاه وعن بيع الغرر»[42] ، حيث ورد النهى عن بيع الحصاه ، والغرر ، والنهى يفيد التحريم .

٢ ــ ومما رواه سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : «نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة والمخابرة والمخاضرة ، والملامسة والمنابذة»[43] .

وقد دل الحديث بالنهى عن عدد من البيوع لما فيها من الغرر ، والمحاقلة : بيع الزرع القائم بكيل معلوم من الطعام ، والمخابرة الأرض البيضاء يدفعها الرجل إلى الرجل فينفق فيها ثم يأخذ من الثمر[44] ، والملامسة ، لمس الثوب لا ينظر إليه ، والمخاضرة ، بيع الثمار قبل أن تطعم ، والمنابذة : أن ينبذ كل من المتبايعين الثوب إلى الآخر فيتبايعا على ذلك[45] وقد حرمت تلك البيوع لما فيها من الغرر .

٣ ــ ومما روى عن أنس رضى الله عنه قال : «نهى رسول الله عن بيع المضامين والملاقيح»[46] ، حيث دل هذا الحديث على بيع المضامين والملاقيح لما فيهما من الغرر ، حيث أن المضامين : هى ما فى أصلاب الفحول وهى مجهولة ، والملاقيح : هى ما فى أرحام الإناث ، أو ما فى بطون الحوامل[47] .

٤ ــ ومما روى عن ابن عمر رضى الله عنه ، أنه ﷺ : «نهى عن حبل الحبلة»[48] . وحبل الحبلة المنهى عنه ، أجل للبيع ، ويكون المبيع شىء آخر ، وهذا الأجل مجهول جهالة فاحشة ، وهو

---

(٤٠) سورة النساء ــ آية ١٦١ .

(٤١) راجع : أحكام القرآن لابن العربى ــ جـ١ ــ ص٤١ وما بعدها طبعة ١٣٧٩هـ ، ورسالة الغرر وأثره فى العقود فى الفقه الإسلامى ــ للدكتور الصديق محمد الضرير ــ جامعة القاهرة ــ سنة ١٣٨٦هـ ــ ص٥٤ وما بعدها .

(٤٢) صحيح مسلم بشرح النووى ــ جـ١ ــ ص١٥٦ وما بعدها ونيل الأوطار ــ جـ٥ ــ ص١٤٧ ، والسنن الكبرى للبيهقى ــ جـ٥ ــ ٣٣٨ ط ١٣٥٤هـ ، والغرر : هو المستور العاقبة ، أما بيع الحصاة ، فهو أن يقول : أى ثوب وقعت عليه الحصاة فهو عليك بدرهم راجع : الغرر وأثره فى العقود ــ د. محمد الصديق الضرير ــ ص١١٢ .

(٤٣) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ٥ ــ ١٤٧ ، وصحيح البخارى ــ جـ٩ ــ ص١١ ، سبل السلام ــ جـ٣ ــ ص١٩ .

(٤٥) المرجع نفسه ، ص١٢٩ .

(٤٤) د. الصديق الضرير ــ المرجع نفسه ــ ص٢٠٧ هامش (٨) .

(٤٦) سبل السلام ــ جـ٣ ــ ص١٩ وما بعدها .

(٤٧) د. محمد الصديق الضرير ــ المرجع نفسه ص١٨٣ .

(٤٨) سبل السلام ــ المكان السابق ، ونيل الأوطار للشوكانى ــ جـ٥ ــ ص١٦٩ .

أن تلد الناقة ثم يكبر ما تلده ، ويلد هو الآخر ولا يخفى ما فى هذا من الغرر والجهالة[49] .

٥ ـــ ومما رواه ابن عباس وأنس أنه ﷺ : «نهى عن المزابنة والمحاقلة»[50] ، والمزابنة اشتراء التمر بالتمر على رؤوس النخل[51] ، وعلة النهى عن هذين النوعين من البيع لما فيهما من الغرر والجهالة .

٦ ـــ ومما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : «نهى رسول الله ﷺ أن تباع ثمرة حتى تطعم ، ولا يباع صوف على ظهر ولا لبن فى ضرع»[52] ، ومن الواضح أنه علة النهى عن بيع تلك الأمور لما فيهما من الغرر ، وهذا ما يدل على تحريمه .

٧ ـــ وفيها ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ : «نهى عن بيع مالم يقبض»[53] .

ومما روى عن حكيم بن حزام قال : قلت يا رسول الله : يأتينى الرجل فيسألنى عن البيع ليس عندى ما أبيعه منه ، ثم ابتاعه من السوق ، فقال : «لا تبع ماليس عندك»[54] .

٨ ـــ وعن شهر بن حوشب عن أبى سعيد قال : نهى النبى ﷺ : عن شراء ما فى بطون الأنعام حتى تضع ، وعن بيع مافى ضروعها ألا بكيل ، وعن شراء العبد وهو آبق ، وعن شراء المغانم حتى تقسم ، وعن شراء الصدقات حتى تقبض ، وعن ضربه الغائص»[55] .

ثالثاً : وأما الإجماع :

فقد حكاه كثير من الفقهاء فى بيع كثير من صور الغرر كما فى بيع المعدوم ، حيث نقل النووى : إجماع الفقهاء على بطلان بيع المعدوم[56] ونقل ابن المنذر الإجماع على بطلان بيع الثمرة سنين[57] ، وهو بيع غرر ، ونقل ابن رشد إجماع الفقهاء على حرمة بيع المضامين والملاقيح[58] ، كما حكى الإجماع فى بيع الملامسة والمنابذة عن ابن رشد[59] .

كذلك حكى القراف الإجماع على امتناع الغرر الكثير وحرمته[60] ، وحكى الشوكانى الإجماع على حرمة جملة من بيوع الغرر كالسمك فى الماء ، والطير فى الهواء[61] .

وبهذا يتبين أن بيع الغرر محرم ، وأن حرمته ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع .

---

(٤٩) د. محمد الصديق الضرير ـ المرجع السابق ـ ص٢٨ .

(٥٠) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ٥ ـ ص١٩٨ ، نصب الراية ـ جـ٤ ـ ص١٢ .

(٥١) د. محمد صديق الضرير ـ ص٢٠٧ .

(٥٢) رواه الطبرانى فى معجمه وأخرجه الدارقطنى والبيهقى فى سننهما ، راجع : نصب الراية ـ جـ٤ ص١١ ، ونيل الأوطار ـ جـ٥ ـ ص١٤٩ .

(٥٣) رواه أحمد فى مسنده ، وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه : إذا ابتعت بيعا فلا تبعه حتى تقبضه ـ راجع نصب الراية ـ جـ٤ ـ ص٣٢ .

(٥٤) رواه الخمسة وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حسن صحيح ـ راجع نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ٥ ـ ص١٧٥ .

(٥٥) رواه أحمد وابن ماجه ـ راجع نيل الأوطار الشوكانى ـ جـ٥ ـ ص١٦٨ .

(٥٦) تكملة المجموع ـ جـ٩ ـ ص٢٥٧ .

(٥٧) المرجع نفسه .

(٥٨) بداية المجتهد ٣١/٢ .

(٥٩) إحكام الأحكام ـ لابن دقيق العيد ١١٠/١ .

(٦٠) الفروق ٦٥/٢ .

(٦١) نيل الأوطار ١٤٣/٥ .

من تراث محمد أبو الفضل ابراهيم

تجاربي .. في تحقيق التراث العربي

- ٢ -

يظن بعض الناس أن عالما في الطبيعة يصلح أن يحقق كتابا فيها ، أو أن شاعرا ينهض لتحقيق ديوان ، أو أن فقيها يستقيم له أن ينشر كتابا في الفقه ، وأى عالم يستطيع أن يحقق كتابا في فنه .. ولكن ـــ لكى يستطيع أن يقوم واحد من هؤلاء بالتحقيق ـــ يجب أن يكون جاريا من هذه الصناعة على عرق ، عارفا بقواعدها وأصولها ، وأن يجتمع له ، بعد ذلك ، من الوسائل ما يعبّد له السبيل ، ويذلل له الغاية ، من وفرة المعاجم والمراجع والفهارس ، وطول ممارسته لها وخبرته بما فيها .

وأولى خطوات العمل ، في هذا الباب :

أن يكون لدى محقق الكتاب جميع نسخه الأصلية ، والمطبوعة ـــ إن كان مما سبق طبعه ـــ وما وقع على الكتاب من اختصار أو شرح أو تعليق ، ثم ترتب هذه النسخ بحسب أصالتها ، ويختار أدناها إلى الصحة أصلا يدور عليه التحقيق ، وتثبت فروق النسخ في الحواشي ، بعد أن يبقى في الأصل ، النص المختار ، الذى يترجح عند المحقق أنه الصواب .

ويختلف المحققون في القدر المطلوب إثباته من هذه الفروق ، فبعضهم يسرف في ذلك إسرافا يؤدى إلى إثبات الخلافات النحوية ، والوجوه الإملائية ، والألفاظ المحرّفة ، الواضح بطلانها ، كما فعل ذلك كثير من المستشرقين ومن نحا نحوهم وسلك مذهبهم . وبعضهم يختار النص الذى يصح عنده ، لا يعلق عليه ، ولا يشير إلى أى خلاف يقع فيه ، أو أى كلمة تناولها بالتصويب

والتصحيح .. وعندى أن كلا المذهبين غير مستقيم ، وأمثل الطرق هي : إثبات الفروق ذات الدلالة ، والإشارة إلى الألفاظ التى وقع عليها الترجيح ، على حسب ما يبدو للمحقق من وجه الصواب فيه .

واستقصاء النسخ الأصلية أمر ضرورى عند تحقيق الكتاب . وكثيرا ما نجد نصا غامضا فى نسخة ، توضحه أخرى ، أو نقصا فى موضع ، يوجد ما يكمله فى موضع آخر .. وحينما أخذت دار الكتب المصرية فى نشر كتاب (الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى) ، على أساس المخطوطات التى كانت لديها فى ذلك الحين ، ونشرت الأجزاء الأولى منه ، تيسر لها بعد طبعه ، الحصول على مخطوطات أخرى منه ، فوجدت فيها زيادات فى الأخبار والأشعار ، بل وجدت تراجم كاملة مثل ترجمة (مسلم بن الوليد) ــ وغيره .

والجزء الحادى والعشرون الذى قام بنشره «رودلف برنو» من هذا الكتاب ، وطبع سنة ١٣٠٥هـ ملحقا للنسخة المطبوعة فى بولاق سنة ١٢٨٥هـ ، إنما هو تراجم كاملة عثر عليها فى مخطوطات أخرى لم تقع لمصححى كتاب الأغانى فى هذه الطبعة .. وحينما أخذت فى إعادة تحقيق «تاريخ الطبرى» رجعت إلى مخطوطات منه ، لبعض الأجزاء ، لم يرجع إليها مصححو (طبعة ليدن) ، ووجدت فيها تصويبات هامــة ، تصحيحا لأعلام محرفة ، وتوضيحا لأساليب كانت مبهمة مضطربة .



وكما يجب على المحقق أن يستقصى نسخ الكتاب الذى يقوم بتحقيقه ، يجب عليه ، أيضا ، أن يعنى بمراجعة المصادر التى أخذ منها مؤلف الكتاب ، أو الكتب التى نقلت عنه ، وخاصة حينما لا تتيسر لديه النسخ الأصلية منه ، وأن يرتبها ترتيبا يعينه على الإفادة منها .. وقد فعلتُ ذلك حينما كنت أقوم بتحقيق «أنباه الرواة على أنباء النحاة» للوزير (جمال الدين القفطى) ، وصحَّ عندى أن النسخ الباقية من هذا الكتاب ، لا ترتقى فى صحتها أو سلامتها ، لأن تكون أصولا كافية لتحقيقه ، فعنيت عناية خاصة بالرجوع إلى المصادر التى نقل (القفطى) عنها ــ صرَّح بذلك أم لم يصرح ــ مثل مراتب النحويين (لأبى الطيب اللغوى) ، ونزهة الألباء (لابن الأنبارى) ، وتاريخ بغداد (للخطيب البغدادى) ، ويتيمة الدهر (لأبى منصور الثعالبى) ، ودمية القصر (للباخرزى) ؛ بل إنى رجعت من هذه المصادر إلى مصورة من مخطوطة لكتاب طبقات النحويين اللغويين (للزبيدى) ، محفوظة بمكتبة «نورعثمانية» باستنبول ، بعد أن ثبت عندى أن هذه النسخة هى عينها النسخة التى رجع إليها (القفطى) عند تأليف كتابه ، وقد أفدت منها فى جميع ما نقل عنها .. وكذلك الأمر فى الكتب التى تنقل عن المؤلف وتأخذ منه .. إن الرجوع إليها لا يقلّ ، عما سبق ، شأنا ولا خطرا ..

ومن التجارب التى وقعت لى فى ذلك الأمر أنى حينما كنت أعمل فى تحقيق كتاب «مراتب النحويين لأبى الطيب» لم يكن لدى سوى النسخة الوحيدة المحفوظة (بمكتبة شليمور) بدار الكتب المصرية ، فوجدتُ ورقة ساقطة منها ، وكان من التوفيق أن وجدت ما يقابل هذه الورقة فى كتاب

المزهر للسيوطى ، إذ كان قد نقل الكتاب برمته ، وبالرجوع إليها استقام تحقيق الكتاب ، وأمكن نشره كاملا . والأمثلة فى هذا الباب كثيرة .



ويأتى بعد مرحلة جمع الأصول والمصادر ، وإثبات الفروق فى الحواشى ، ما يقتضيه التحقيق من التعليق والشرح والإيضاح . وتختلف طرائق المحققين فى هذا أيضا ، فبعضهم لا يرى إثبات شىء من ذلك أصلا عدا فروق النسخ ، كما فعله قدامى المستشرقين ومَنْ تبعهم من المحققين ، ودعواهم فى ذلك أنه لا غاية من التحقيق سوى نشر الكتاب على أقرب صورة من نسخة المؤلف ، وحَسْبُ القارىء ما يجد فيها من التصويب وتحرير النص وفروق النسخ والفهرسة . **وفريق آخر يرى التعليق أمرا حتما لازما ، لأنه يعين على فهم الكتاب ، وييسر الانتفاع به ، ويضيف معارف أخرى إلى معارف المؤلف ، وهى الطريقة التى أرى انتهاجها . ولكن على ألا يخرج التعليق عن شرح الغريب ، فى قصد وإيجاز ، أو تخريج الحديث والشعر ، فى غير فضول أو إسفاف ، أو احتجاج لتوجيه التصحيح والتصويب . ومدار الأمر فى ذلك كله يرجع الى إحساس المحقق وشعوره بمواضع التعليق ، وعلى حسب طبيعة الكتاب وموضوعه** . فلا يليق أن تخرج الأحاديث فى كتاب الأدب(١) ، أو تشرح المذاهب الفقهية فى كتب التاريخ أو يستطرد إلى ذكر النصوص الأدبية فى كتب التفسير ، بل يكون لكل كتاب ما يقتضيه ، ولكل مقام ما يصح أن يتوفَّر فيه ، أما ما يعمد إليه بعض المحققين من ترجمة جميع الأعلام وتخريج الشعر من كل مكان ، واستطراد إيراد القصص والأخبار ، فهو أمر يثقل الكتاب بما لا غناء فيه .



ولا يكتمل تحقيق الكتاب ، على النحو الذى يرضى العلماء ، إلا إذا صُنعت له الفهارس التى تنبثق من روح الكتاب وموضوعه ، وهى التى تربط أطرافه ، وتوضح أهدافه ، وتعين على استيعابه ، فى سهولة ويسر ، وفى أضيق وقت وأقل مجهود . **والرأى الرشيد فى عمل الفهارس أن تصنع للكتاب بأجمعه ، ولكل أجزائه ـ إن كان فى أجزاء ـ وأن تقتصر على ما ورد فيه ، دون حواشيه** .. وفيما قام به محققو كتاب الأغانى والنجوم الزاهرة وسير أعلام النبلاء وسيرة ابن هشام ، مِنْ وضْع فهارس لكل جزء إعنات للباحث ، ومشقة على الدارس ، إلا أن يجتمع من الفهارس المتفرقة ، فهرس عام فى آخر الكتاب .

ولست بحاجة فى هذا المقال أن أذكر ما يجب على المحقق من مراعاة علامات الترقيم والزيادة ، وطرق الرسم ، وغير هذا مما يكمل تحقيق الكتاب ، فإن هذا أمر مُتعارف ، قد تناوله بالتفصيل جميع من كتبوا فى هذا الباب .

(١) فى الحق ذلك موضوع لا يسعنى تركه ، وما يراه الكاتب ــ رحمه الله تعالى ــ إنما هو وجهة نظر .. يخالفه فيها محققون آخرون ، ذلك أن ميدان الحديث الشريف كان يوما مرتعا للكذابين ، مما يقتضى التخريج للحديث فى أى فن احتراما لتراث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم تقديرا لعقلية القارىء .. الخطيب

ويجب أن يخرج كاملا كما وضعه مؤلفه ، دون حذف أو تغيير ، ودون إخلال بترتيب الفصول والأبواب ، فالكتب حقائق تاريخية ووثائق علمية ، لا يمكن الثقة بما فيها ، أو الاطمئنان إلى ما نُقل عنها ، إلا إذا صدرت سليمة ، أقرب ما تكون إلى أول نسخة كتبت بها .

ولخيرٌ للكتاب أن يظل قابعا فى دور الكتب ، بعيدا عن الحذف والتغيير ، من أن يطبع ناقصا أو مبدلا ..

وعلى العموم فإن من يتصدَّى لتحقيق الكتب العربية ، سيواجه نصوصا مُحرَّفة وعبارات مُبْهمة وأخرى مستغلقة ، وألفاظا يعوزها الضبط والإعجام والشرح ، وأخبارا غريبة ، وحوادث قد لا تكون معروفة أو متداولة ، فعليه أن يلتمس الوسائل فى رد المحرَّف إلى أصله ، ويصرف أعنَّة الفكر لتوضيح مبهمه ، فى صبر وأناة ، وبذلك يكون قد أضاف إلى فضل المؤلف فضلا آخر ، وأسدى للباحثين والدراسين خيرا كثيرا .



هذا وللموسوعات العلمية والكتب المطولة ، ذات الأجزاء ، شأن خاص عند نشرها لابد أن يوضع فى الاعتبار . يجب أن يدرس كل كتاب قبل الشروع فيه ، من حيث إعداد الأصول واختيار المحققين وما يقتضيه من جهد ومال ، بحيث يسير العمل فيه بنشاط على طريق مرسوم ونهج مدروس . **ولقد حدث لبعض الهيئات العلمية أن** شرعت فى نشر بعض الكتب المطولة ، وعلى تعاقب السنين لم يصدر منها سوى جزء أو أجزاء قليلة ، وبقيت مبتورة ، فلا هذه الهيئات تمضى فيها ، ولا استطاع غيرها أن يقوم بإكمالها ، حدث ذلك فى كتاب (الأغانى) لأبى الفرج الأصفهانى ، (ومسالك الأبصار) للعمرى ، (وسير أعلام النبلاء) ، (وتاريخ الإسلام) للذهبى ، (وأنساب الأشراف) للبلاذرى ، (وتاريخ دمشق) لابن عساكر ، (والذخيرة) لابن بسام(٢) ، وغيرها من الكتب العتيدة ، ذات القيمة العلمية البعيدة المدى

ولعل مما يعين على بعث تراثنا العربى جميعه ، ونشر كنوزه المخبوءة على أوسع نطاق ، أن تنسق الجهود بين العلماء ، وأن تتعاون الأقطار العربية فى النهوض بهذا العبء ، حتى لا تتكرر الأعمال ، ويعوق بعضها بعضا .. والأمة العربية ــ وإن كانت ممتدة على رقعة واحدة ــ وتصطنع لغة واحدة .. ــ إلا أن هناك اعتبارات جغرافية ، أو تاريخية ، ممكن ملاحظتها فى هذا الشأن وهى نفسها تعين على وفرة الإنتاج وظهوره على الوجه الأكمل ، فإذا قام (العراق) مثلا بطبع تاريخ بغداد محققا ، ونشر ما ذُيِّل به عليه السمعانى وابن النجار والدبيثى وابن الدمياطى ، ونهضت المملكة العربية السعودية بنشر تاريخ مكة والمدينة والطائف واليمامة ، واستكملت دمشق طبع تاريخ ابن عساكر ، وأخذت مصر فى تحقيق خطط المقريزى ــ وعلى هذا النحو تقوم باقى الدول العربية ــ أمكن للتراث العربى أن يُبعث كله ، وأمكن لهذا الشباب العربى المتوثب أن يعرف تاريخ بلاده على الوجه الصحيح

---

(٢) شاء الله ــ سبحانه ــ أن يكتمل لبعض هذه الكتب أجزاؤها بعد وفاة الأستاذ الكاتب ــ رحمه الله ... المحقق

تحقيق صحفي

القمة العربية وواقع الأمة الإسلامية

قدم له وأجراه / د. محمد عبد الحكيم محمد (*)

الوحدة الإسلامية أضحت ضرورة مُلحة لمواجهة التحديات التى تواجه أمتنا الإسلامية ، ففيها القوة والعزة والمنعة ، لا سيما ونحن نعيش عصر التكتلات والأحلاف بين الدول غير المنسجمة فى الشرق والغرب ، وهناك نواة فى « المؤتمر الإسلامى »[1] يمكن أن تزيد روابط الأمة حتى النهاية .

وليس من شك أن المسلمين وقد تجاوزوا المليار مسلم ؛ هم الأجدر ـ بإسلامهم ـ بهذه الوحدة والتكتل ـ إن شاء الله تعالى ـ ، ولكننا فى وقت من الأوقات أبينا إلا الافتراق والاختلاف وعدم التجمع على كلمة سواء ، فماذا جنينا ؟

تقدم غيرنا ، أما نحن فقد تأخرنا ـ بكل ما يحمله « التأخر » من معنى فى كل مقومات حياتنا ـ بداية من أبسط ما نريد إلى أقصى ما نريد من أسباب القوة ، على الرغم مما أفاء الله به علينا من مقومات التقدم وأسباب العزة والمنعة ، وهى جميعا بأرضنا ، بل تحت أقدامنا .

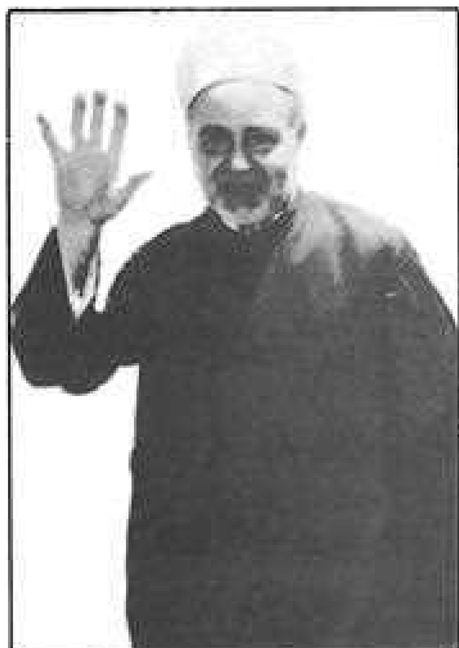
وقد كانت « القمة العربية » مهمة من أجل لم الشمل العربى وإزالة الخلافات ، وها هى القمة العربية قد خرجت ـ بالفعل ـ برسالة واضحة إلى العالم تقول : إن الأمة العربية شرعت فى إنهاء مرحلة التمزق وعملت على تجميع كلمتها .

(*) الكاتب : حاصل على درجة الدكتوراة فى الصحافة والإعلام من كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ويعمل بمجلة الأزهر

(١) المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد فى الفترة من ٨ ـ ١١ ربيع الأول ١٤١٧ هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٧ يوليو ١٩٩٦ م .

الإمــام الأكبــر شيـخ الأزهــر :

● هناك سبع ركائز لتحقيــق مفهــوم الأمــة الواحــدة
● عـلى الأمــة أن تتكاتــف دفاعــا عن دينـــها وكرامتــها
● الوحــدة العــربية تحقـق معنى التضامن ولها أثر طيب



ولعل من أهم نتائج القمة العربية أنها أوقفتنا ـ باتعقادها فى ذلك الوقت العصيب ـ على حقيقة الوضع المتردى لأحـوال العـرب والمسلمين ، وفتحت عيوننا على حقيقة التحديات التى تواجه أمتنا بأبعادها المختلفة .

تلك التحديات التى لم تفارق أمتنا فى الماضى متمثلة فى : الحروب الصليبية والغزو المغولى وسقوط الأندلس .

وفى الحاضر متمثلة فى الاستشراق والعلمانية والحركات الهدامة داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، وانسلاخ كثير من الشباب عن الصدور عن قوميته ؛ فإذا هو طامح إلى الغرب بكل ما فيه من مسوخ الإنسانية .

ولعل ما يزيد من خطر المسئولية هو : إدراك حجم المخططات الساعية لمسخ شخصية الأمة وتشويه صورة إسلامها وتبديد طاقاتها وثرواتها وتذويب ثقافتها .

من ثم كانت فكرة هذا « التحقيق الصحفى » لاستطلاع رأى بعض الأساتذة والعلماء وذوى الاختصاص من المهتمين بالشئون الإسلامية وطرح العديد من الأسئلة عليهم فى محاولة لتشخيص الأزمة وإبراز مظاهر الضعف فى الواقع العربى الإسلامى ، وبيان قدرة الإسلام على مواجهة التحديات الكبرى التى تعترض طريقة ، حتى تتجاوز خط التخاذل والتواكل إلى العمل والتأثير فى ركب الحضارة العالمية .

وكان فى مقدمة من التقيت بهم فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، وهو رجل يفيض علما وحياة يغريان بطول اللقاء وطرح المزيد من الأسئلة على فضيلته ، لولا الإحساس بكثرة الأعباء وجسامة المسئوليات ، ومن ثم كان لقائى مع فضيلته قصيرا .

وهذا بيان بتفصيل ما صرح لى به فضيلته ، وما صرح لى به وغيره من العلماء والأساتذة المتخصصين فى هذا الشأن :

● فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : فضيلتكم فى خطبة الجمعة .. (خطبة الخامس من صفر ١٤١٧ هـ أول أيام مؤتمر القمة العربية) دعوتم الملوك والرؤساء العرب إلى ضرورة التمسك بالوحدة والعمل من أجل الإسلام والمسلمين ، كيف ترون فضيلتكم مؤتمر القمة العربية بعد أن أنهى أعماله وأصدر بيانه الختامى ؟

□ أنا استمعت إلى كلمات السيد الرئيس التى قالها فى افتتاح مؤتمر القمة ، كما استمعت ـ أيضا ـ إلى البيان الذى ألقاه السيد/ عمرو موسى وزير الخارجية ، وكل هذه الكلمات تدل على أن الأمة العربية والإسلامية عندما تلتقى للتعاون على البر والتقوى ، وتلتقى من أجل بيان حقوقها ، وبيان ما يجب عليها نحو أفراد شعوبها إنما تحقق معنى التضامن الإسلامى .

هذه القمة العربية كان له أثرها الطيب فى النفوس وفى القلوب . ولدى الشعوب العربية والإسلامية نفسها ، لأنها بيّنت بوضوح : أن الأمة العربية والإسلامية عندما تلتقى بملوكها ورؤسائها ـ تستطيع أن تفعل الكثير والكثير .

فهؤلاء الملوك والرؤساء قد اجتمعوا ـ جميعا ـ من أجل الدفاع عن حقوقهم ، والدفاع عن حقوق شعب فلسطين والدفاع عن حقوق الشعب السورى ، والدفاع عن حقوق الشعب اللبنانى ، والدفاع عن حقوق الشعوب العربية والإسلامية بصفة عامة .

ولا شك أن هذه اللقاءات من شأنها أن تغرس فى النفوس المحبة والإخلاص وتزيل ما علق فى بعض النفوس من آثار لا تتناسب مع الأخوة الإسلامية ومع الإخوة العربية .

لذا فهذه القمة وما تم فيها من لقاءات ، وما تم فيها من مشاورات ، وما تم فيها من قرارات : كلها ـ والحمد لله ـ لصالح الأمة الإسلامية والعربية .

● فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : انطلاقا من هذه الرؤية المستقبلية لأهداف هذا المؤتمر ، ما ركائز البقاء ، وأولويات العمل من أجل تحقيق مفهوم « الأمة الواحدة » أو « الجسد الواحد » الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ؟

□ هذه الركائز أشار إليها البيان الذى ألقاه سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فى مفتتح مؤتمر القمة ، فقد أشار سيادته إلى سبع ركائز ، وكل ركيزة منها متى طبقت ومتى نفذت ستعود على الأمة العربية والإسلامية بالخير .

ركيزة الاتحاد .

ركيزة التكاتف .

ركيزة التعاون .

ركيزة الإخلاص .

ركيزة الشعور بأننا جميعا فى مركب واحد .

وأننا ـ جميعا ـ تظلنا سماء واحدة ، وتقلنا أرض واحدة .

وأننا تجمعنا مصالح مشتركة .

فالأمة العربية يجب عليها أن تتكاتف من أجل الدفاع عن حقوقها ومن أجل الدفاع عن دينها ، ومن أجل الدفاع عن كرامتها .

ونحن نؤيد كل ما جاء فى هذه الكلمات التى قالها الملوك والرؤساء فى هذا الشأن .



رئيس قطاع المعاهد الأزهرية :

● قدم سلفنا الصالح النموذج الأمثل فى العطاء الحضارى .
● الإسلام انتشر بذاتيته قبل أن يكون له سيف وسلطان .
● حبا الله أمتنا بمقومات القوة وأسباب العزة .

فضيلة الشيخ/ محمد بشير عبدالعال

رئيس قطاع المعاهد الأزهرية

● فى تصور فضيلتكم .. ما مظاهر الضعف فى الواقع العربى والإسلامى ، وكيف ترون سبيل المواجهة ؟

□ (١) الفرقة والتمزق (٢) التنازع والاختلاف (٣) الفقر والأمية .

هذه هى الأسباب التى تمثل أهم مظاهر الضعف فى الواقع العربى والإسلامى ، وكل ذلك ناتج عن تقصيرنا نحن فى حق أنفسنا ، فلم يكن هذا هو الوضع الذى كان عليه سلفنا الصالح فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين الذين كانوا بالفعل خير أمة أخرجت للناس ، واستحقت هذا الوصف فعلا - الوارد بقوله - تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

آل عمران/١١٠

ولكننا أحدثنا بعدهم . فخالفنا أمر الله - تعالى - ، فلم نعد نعتصم بحبل الله جميعا ، فحدثت الفرقة فى صفوفنا ، ولم نعد نتفق ونجتمع على كلمة سواء ، بل اختلفنا وتنازعنا ، فأصبح بأسنا بيننا بمخالفة قول الله - تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

آل عمران/١٠٣

وقوله - تعالى - :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

الأنفال/٤٦

ومخالفة قول نبينا ﷺ فيما نصح به الأمة : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » - رواه البخارى .

و « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى وغيره .

فمخالفة منهج الإسلام فى الوحدة والاعتصام وعدم التنازع ترتب عليه بعض مظاهر الضعف كالفرقة والتنازع وانتشار الأمية وإهمال عناصر التنمية ، وتبديد الثروات التى حبانا الله بها كأمة إسلامية فيها كل مقومات الحياة .

من هنا حدث الخلل والفقر الذى تعانى منه دول العالم الثالث ومعظمها دول إسلامية .

أما عن سبل المواجهة :

فإنى أرى فى مؤتمر القمة العربية الذى عقد بالقاهرة - بعد تشدد حكومة الليكود - خطوة بناءة على الطريق الصحيح ، ولكن بتيسير تنفيذ توصيات المؤتمر .

ومن ناحية أخرى لابد للأمة أن تبذل كل طاقاتها وتشمر عن ساعد الجد للاستفادة مما حبانا الله - تعالى - به من النعم الكثيرة والثروات الهائلة التى ملكنا الله - تعالى - إياها حتى نملك قرارنا ، **فمن لا يملك خبزه لا يملك قراره** ، وحتى لا نجعل لغيرنا سبيلا علينا ، بل نجعل الغير هو الذى يطرق أبوابنا ، ويطلب منا ما يعينه على الحياة ، وبذلك نكون - حق - خير أمة أخرجت للناس ، ونكون أجدر بالانتماء لخير النبيين سيدنا محمد ﷺ .

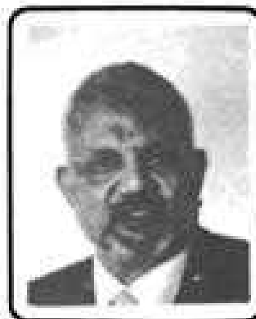
ما أعظم أسلامنا ، انظر كيف يحثنا إلى بذل الطاقات لتوفير الاحتياجات فى مثل قوله ﷺ :

« **ما زرع مسلم زرعا ولا غرس غرسا فأكل منه طير أو بهيمة أو إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقة** » . رواه الطبرانى فى الأوسط عن عمرو بن العاص .

و « **إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل** » رواه أحمد .

أرأيت كيف يستنهض الإسلام همم المسلمين فى ألا يدخروا جهدا ولا وقتا إلا فى عمل نافع يعود على الغير بالخير ، **لن تتحقق لنا الإرادة الكاملة إلا إذا توفرت لدينا متطلبات الحياة كاملة** .

• • •



أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

- **مما يقض مضجع المسلمين ، نذر التدهور المطرد فى الأمة**
- **الأمة التى قادت العالم مئات الأعوام قادرة - بالله - على الانبعاث**
- **علتنا الرئيسية هى ، التقصير فى تطبيق المنهج الإلهى .**

فضيلة الشيخ/ سامى محمد متولى الشعراوى :
أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

● **أولا نهنئكم بهذا المنصب الجديد كما نهنئكم على ثقة فضيلة الإمام الأكبر فيكم ، ثم نسألكم بوصفكم أحد المراقبين لحالة العرب والمسلمين عن سبب تقدم الغرب وتأخر المسلمين ، وكيف السبيل إلى استرداد أمتنا لدورها ومكانتها ؟**

□ نشكركم ونسأل الله العون والسداد ، وبالنسبة لسؤالكم فهو يطرح قضية كبيرة متشعبة الأبعاد لا نستطيع أن نلم بها فى جلسة ، أو نجيب عنها فى سؤال . والحقيقة أنه هم كبير يقض مضجع العلماء والمفكرين وكل مسلم غيور على دينه ومصالح وطنه وأمته ؛ أن يرى نذر التدهور المطرد فى أمته الإسلامية ذات العطاء الحضارى

الشامخ فى الدين والدنيا ، ويرى فى ذات الوقت شعوبا من حوله تنطلق متسابقة إلى الأمام وهمتها مشغولة بعصر الفضاء والتقدم والأفق البعيد ، لا شك أن ذلك مما يغمر المسلم الصادق بالأسى والحزن .

وفى تقديرى أن الأمة التى قادت العالم مئات السنين قادرة بالله - عز وجل - متى استقامت على نهج ربها - على النهوض والانبعاث والتقدم ، لأن تلك الأزمة ترجع حقيقة إلى علة رئيسية تفرع عنها بعض التداعيات والنتائج السلبية ، وهى جميعها تجتمع فى قوله - تعالى :

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

الحشر/١٩

فالعلة الرئيسية هى ترك المنهج الذى وضعه - برحمته وحكمته - خالق النفس البشرية للنفس البشرية ، ذلك المنهج المتمثل فى طاعة الله - عز وجل - ورسوله - من خلال الأوامر والنواهى التى تحقق للمسلمين السعادة فى الدارين .

وبقدر ما يظهر فى الأمة من ضعف وقصور وتدهور يكون التقصير فى العمل بمقتضى هذه الأوامر والنواهى كما هو حاضر المسلمين ، وبقدر ما يظهر من نهوض وتقدم يكون نتيجة تلقائية للإقبال عليها ، كما حدث مع المسلمين الأوائل .

وقد ترتب على تقصير المسلمين فى هذا المنهج نتائج عدة يمكن إجمالها فى نقطتين جاءتا إثر بعضهما :

(١) البعد عن قيمنا وتقاليدنا وحضارتنا .

(٢) تأخر المسلمين وتقدم غيرهم فى مجالات العلوم والتقنية .

فضعف السمت الإسلامية للشخصية الإسلامية ؛ غابت المثل الإسلامية لدى النشء ، وافتقد الشباب القدوة ، فحدث اضطراب ثقافى وخلل فكرى أفقد الأمة وحدتها وقوتها . ولعل ما ساعد - أيضا - فى هذا الاضطراب عامل خطير هو :

نشأة الخلافات الفرعية التى تفرق كلمة الأمة وتوزع ولاءها بين اتجاهات مختلفة .

والحقيقة أنها (بالونات) غريبة يطلقها الأعداء لأهداف لا تخفى على أحد منها : تشتيت عقل المسلم ، فتجد صراعات فكرية حول قضايا لا أساس لها مثل : **قضية حقوق المرأة مثلا** ، وغيرها كثير مما أنهى الإسلام الحكم فيه .

ويستطرد الشيخ سامى متسائلا : وهل هناك من أنصف المرأة مثل الإسلام الذى أكرمها بنتا وأختا وأما وزوجة ؟

إلى غير ذلك من القضايا الفرعية والخلافية التى تأخذ بتلابيب الأمة الإسلامية وتشدها إلى أسفل تمنعها من النهوض والتحليق بجناحى المادة والروح التى وازن بينهما منهج الإسلام خير موازنة .

باختصار شديد نحن متأخرون لأننا لا نحسن استخدام ما أفاء الله به علينا من النعم ،

وصدق شوقى عندما قال عن تخلف المسلمين :

بأيمانهم نوران : ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

كيف تكون هذه المصابيح الساطعة فى أيدينا وفوق رءوسنا ومع ذلك لا نستخدمها ونهتدى بضوئها ؟

ينبغى الالتفات إلى أوامر الله - تعالى - ورسوله - ﷺ ، ففيها عودتنا إلى دورنا ومكانتنا .



عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة :

- الأمة الإسلامية تحيط بها مخاوف وعوامل هدم كثيرة .
- أهمية القضاء على نزعة التعصب للجغرافيا والتاريخ .
- التنازع والخلاف والجهل والفقر ، أهم مظاهر الضعف .

الأستاذ الدكتور/ سعد عبدالمقصود ظلام
عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ جامعة الأزهر

● فيما يتعلق بالتحديات التي تواجه المسلمين فى هذا العصر ، هناك أزمة توهن جسد الأمة الإسلامية ، وهذه الأزمة لها عناصر أو مظاهر ضعف ، نود التفضل بإلقاء الضوء على عناصر هذه الأزمة وبيان كيفية التغلب عليها ؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم .. الأمة الإسلامية فى الظروف الراهنة تحيط بها مخاطر كثيرة ، هذه المخاطر قد تكون هي سببها ، وقد تكون خارجة عن نطاقها ، وفى الحالتين هى مخاوف ـ حقيقة ـ تثقل كاهل العمل الإسلامي وتحجب عنه رؤية الطريق .

أما المخاوف أو عوامل الهدم التى تحيط بالأمة الإسلامية من داخلها فهى كثيرة ، وأخطرها فيما أعتقد :

(١) التنازع والخلاف

لقد حطم الخلاف البنية الحية فى الوجدان المسلم ، وكسر حدود الرؤية والمعرفة ، فلم يعد أمامنا منار نهتدى به ولا وحدة تجمعنا ، ولا فكر موحد يمنعنا من الخطأ .

التنازع هذا استمرناه استمرارا ، مع أننا نعلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نهانا عن التنازع ، ورتب عليه أخطر الأحوال : « الفشل » قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

الأنفال/٤٦

ولا أجد تعبيرا يعبر عن حال الأمة الإسلامية الآن أفضل من الفشل كما جاء فى القرآن الكريم ، ثم رتب على الفشل حقيقة أخرى أفظع « **وتذهب ريحكم** » ، ومعنى ذهاب الريح : ضياع القوة وبالتالى هيبتنا من قلوب أعدائنا وذلك ما عليه المسلمون الآن .

مواجهة التنازع والخلاف بالاعتصام

يذكرنا القرآن الكريم بأنه من أروع ما يقدمه الإسلام لهذه الأمة حتى تبقى ناهضة نابضة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

آل عمران/١٠٣

ويذكر المؤمنين بنعمة الله عليهم فى الإلفة والتلاقى :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

ففى هذه الآية أخرى يذكر القرآن الكريم لرسول الله ﷺ أن أجلّ نعمة يمنها الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه وعلى الأمة الإسلامية نعمة الإلفة والأخوة .

﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ آل عمران/١٠٣

(٢) الجهل :

مما يفت فى عضد الأمة ـ أيضا ـ عامل الجهل ـ فنحن أمة لا تزال فى آخر خطوط العالم المتقدم ، ليست لنا طموحات تحدد رؤيتنا للقرن القادم .

ولو أننا فى العصر الحديث أعطينا للعالم شيئا من لدنا ـ من اختراع وابتكار ـ لأرغمناه أن يلتفت إلينا ؛ بل وأن يخشانا .

(٣) الفقر :

والفقر أحد عوامل ضعف الأمة الإسلامية ، على الرغم من أننا من أغنى أغنياء الأرض بثرواتنا وكنوزنا التى ينتفع بها الغرب ، يُصنّع منها مواده الأولية ثم يصدرها لنا بالملايين .

بلد مثل اليابان ليس عنده موارد أولية على الإطلاق ولكنه يعلم أمته ورجالها وخططها المستقبلية وبرؤيتها الواضحة للعالم تحولت اليابان إلى دولة صناعية كبرى .

العالم الإسلامى يستورد لقمة الخبز ، والذى لا يملك قوت يومه لابد أن يكون خائفا ، فنحن خائفون ، والرسول ﷺ يقول : « **من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** » رواه البخارى فى الأدب والترمذى والبيهقى عن عبدالله بن محصن .

مواجهة الفقر بالعمل

فلابد من العمل المتواصل والاستفادة خيرات الأرض الاسلامية وكنوزها ومواردها التى حبانا الله بها حتى نقضى على عامل الفقر الذى يعوق نهوضنا وتقدمنا .

٤ ـ التعصب للجغرافيا والتاريخ :

واقصد بذلك الخلافات على الحدود بين بعض الدول الإسلامية .

فما من شك أن الرضا القانع بالإسلام كفيل بالقضاء على هذه النزعة قضاء مبرما ، فالأرض إسلامية ومن عليها مسلمون ، فأى داع لإثارة مشكلات حول أبنيتنا وأرضنا ، فهى أرضنا ـ على أية حال ـ هنا أو هناك .

هذه فى تقديرى أهم مظاهر الأزمة التى توهن من جسد أمتنا الإسلامية ، فقد لا يسعف الوقت فى إحصائها كلها ، وهذه سبل التغلب عليها ، وفى كل الأحوال وعلى هذا فإنه ينبغى التمسك الكامل بالكتاب الكريم والسنة النبوية ، ومعايشتهما بوعى وإيمان ، فكل ذلك كفيل بتصحيح مسارنا ، والله ـ سبحانه ـ يقرر لنا هذه القاعدة :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ محمد/٧

فمتى ننصر الله ؟

أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر

● لابد من استيعاب كتاب الله المسطور وكتابه المنظور
● سيكون لنا دور في خريطة العالم بالخروج من الأزمة الفكرية



الأستاذ الدكتور/ على جمعة عبدالوهاب أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر ، وعضو لجنة الفتوى بالأزهر

في محاولة لتشخيص الأزمة التي أصابت جسد الأمة الإسلامية كيف ترون سيادتكم أسباب هذه الأزمة ودوافعها ؟ وكيف تسترد أمتنا العربية والإسلامية دورها ومكانتها ؟

☐ بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .

الحضارة الإسلامية بنيت لما أن كان الفكر الإسلامي فكرا نشطا ، وهناك فارق بين الفقه والفكر .

فالفقه هو قراءة النص المقدس من كتاب أو سنة .

والفكر : مجاله الواقع لندركه ولنفهمه ونحسن كيف نطبق النص عليه .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أمرنا بالقراءتين : قراءة كتابه المسطور وقراءة كتابه المنظور :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾

هاتان القراءتان ينبغي أن يستوعبهما المسلم جيدا .

والأزمة الحقيقية التي يحياها المسلمون ويمرون بها « أزمة فكرية » .

لأنهم ينبغي عليهم أن يحددوا أنفسهم في مواقف واضحة بإزاء الكتاب والسنة وبإزاء الواقع المعاش ، سواء كان هذا الواقع ممثلا ومبحوثا من خلال الفكر الإسلامي وقراءته ، أو الفكر الإنساني وتراثه .

ينبغي على المسلم أن يحدد نفسه في كيفية التعامل مع الوحي وفي كيفية التعامل مع الواقع ، هذه تحتاج إلى تحديدات معرفية ومنهجية **إذا استطاع المسلم أن يواجه هذا التحدى فسيخرج من أزمته الفكرية ، وستعاد له الحضارة ، وسيكون له دور في خريطة العالم حين تكون له القوة والبصيرة التي يطبق بها عامل الوحي ليصوغ به الواقع .**

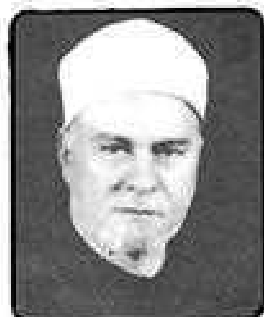
يستطيع حينئذ أن يدعو الناس ولو كانوا أقوى منه كما دعا صاحب سورة الكهف مُحاوِرَهُ إلى الإيمان بالله ـ تعالى ـ وقال :

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ ﴾ سورة الكهف

إذن القضية أن الناس تحاججنا ولكننا نكبل أنفسنا بأطر من موقف غير متفاعل مع الوحي الشريف ، ولا ندرك خصائصه من كونه كلمة الله للعالمين ، فإذا بنا نريد أن ننقل للناس تراثنا الثقافي وليس ديننا الإلهي ، وهذه مصيبة كبرى ، إذ تحولنا بدلا من أن نكون دعاة إلى الله نكون فتنة على الآخرين .

ينبغي علينا أن نتعدى الأزمة الفكرية حتى نسترد حضارتنا .

وكيـــل قطـــاع المعاهد الأزهرية



- صلاح الحال الأمة مرهون بتحقيق العبودية التامة لله .
- تصر الربوبية على الحق جدير بالخضوع له و الخوف منه .
- من تـام بحـق العبودية يظهره اللـه على العالمين .

فضيلة الشيخ/ فؤاد محمد البرعي
وكيل قطاع المعاهد الأزهرية

● بوصفكم أحد المهتمين بالعمل الإسلامي ونقاء عقيدتنا ، وبوصفكم من حملة كتاب الله ـ عز وجل ـ ما لنا في القرآن الكريم لإخراج الأمة الإسلامية من أزمتها الراهنة ؟

□ يبدو أن الشيخ فؤاد من المؤمنين بمقولة «خير الكلام ما قل ودل» لأنه تحدث بإيجاز شديد ، ولكنه إيجاز غير مخل إذ قال :

يقول الله - تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء/٩٢

ويقول ـ أيضاً :

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

النحل /٢

ثم قال الشيخ : إذا حققت الأمة العبودية التامة لربها ، واتقته حق تقاته لابد أن يصلح الله حالها وبالها .

ليس مطلوباً من الأمة الإسلامية إلا أن تقوم بالوظيفة التي خلقها الله من أجلها : تمام العبودية له - سبحانه - وما تقتضيه هذه الوظيفة من الخضوع له - سبحانه - والخوف منه .

وسترى بعد ذلك كيف سيظهر الله عباده الذين قاموا له بتبعات العبودية - على العالمين .

ولاحظ كلمة «أنا» في الآيتين وما توحيه من قصر الربوبية والعزة والعظمة والكبرياء على ذاته وحده ، أليس جدير بمن هذا وصفه أن يعبد ويخشى ؟

كما تلاحظ مدلول كلمة «أنا» في الآيتين وما توحيه من معنى التودد بين العبد والمعبود ، والخالق والمخلوق ، وكأنه - عز وجل - يقول لعباده : «أنا ربكم أولى بعبادتكم وأنتم أولى برحمتي» .

وتركت الشيخ وأنا أقول في نفسي : حقا إن عبوديتنا له ـ سبحانه ـ ارتقاء وسعادة ، وعبودية البشر لغيره خضوع ومهانة .

عميد كلية القرآن الكريم بطنطا :



● التحديات التى تواجه المسلمين تأتى من الخارج والداخل أيضا.

● هناك أصابع خارجية تعمل على عزل المسلمين عن التقدم

● الصراع حول الخلافات الفرعية يستفيد منه خصوم الإسلام

الأستاذ الدكتور/ جودة محمد أبو اليزيد المهدى
عميد كلية القرآن الكريم بطنطا

● التحديات التى تواجه المسلمين فى وقتنا الحاضر ، ما أهمها من وجهة نظركم ؟

□ أهمها فيما أعتقد : الحركات الهدامة ، وليست هذه الحركات منحصرة فيما يفد على المسلمين من الخارج كالإلحاد الهدام ـ سواء كان شيوعياً أو علمانياً ـ والاستشراق المعادى ؛ إنما تأتى من الداخل ـ أيضا ـ ، ففى تقديرى أن الغزو الفكرى نوعين :

غزو خارجى .

وغزو داخلى .

والثانى أخطر من الأول ، لأن الأول أنا أعرف اتجاهه ومصدره وأعرف كيف أواجهه ، أما الثانى فترجع خطورته إلى أنه يأتى من قبل بعض المنتسبين للإسلام ، فيتحدثون باسم الإسلام ويضعون السمّ فى العسل .

هذا الفريق الثانى يعمل للأسف ـ مخدوعاً ـ بأصبع خارجية ١٠٠ ٪ خبيثة ومعادية ، تحرص على استبقاء المسلمين معزولين عن قضاياهم وحقوقهم الرئيسية ، ومعزولين فى نفس الوقت عن حركة التقدم العلمى .

فالقوى المعادية للإسلام هى التى تزكى لدينا الخلافات الفكرية حتى نستهلك أنفسنا بأنفسنا ، فتجد مثلا صراعا فكريا حادا بين الشباب حول قضايا فرعية مثل : اللحية ، والاحتفال بالمولد ، وكرامات الأولياء الصالحين ، وأضرحة المساجد ، وما يمازج تلك الخلافات الفكرية من خلط عجيب بين الحق والباطل ، يستفيد منها للأسف أعداء الإسلام المتربصون به .

أخي القارىء :

وبعد .. فقد كانت تلك جولة مع بعض العلماء والمفكرين المهتمين بشئون المسلمين حول التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في عالمنا المعاصر ـ داخلية كانت أو خارجية ـ وهكذا بدت لنا رؤية العلماء المتخصصين لهذه التحديات ، ولقدرة الإسلام على مواجهتها

فقد اجتمعت الكلمة على :

● أن المخرج لمصائبنا كامن في اتباع تعاليم الدين الإسلامي وسرعة العمل على وحدة الصف الإسلامي .
● أن تأخر المسلمين اليوم لا يرجع إلى الإسلام كما يروج أعداء الإسلام ، إنما يرجع إلى جهلنا وسوء فهمنا للمنهج الإلهي الداعي إلى العلم والعمل وقيادة ركب التقدم .
● أن لدى الأمة الإسلامية أسباب العزة والمنعة ومقومات القوة التي إن أفادت منها نهضت ووضعت بلادها في الدرجة التي يحبها الله ـ عز وجل ـ .
● أن الأمة الإسلامية تواجه خطرا متفاقما ومخططات ساعية إلى مسخ شخصيتها وتشويه دينها وتضييع ثقافتها وتبديد طاقاتها وثرواتها .
● أن القمة العربية التي عقدت مؤخرا في القاهرة ، خطوة بناءة على الطريق الصحيح ، ينبغي منها مواصلة الجهود ومتابعة التوصيات لتحقيق أهدافها كاملة .

هذا وبعد :

فإن دور العلماء والدعاة يظل مهماً في حسم المسائل الفرعية والقضايا الخلافية ، وتوجيه الشباب المسلم إلى فهم الإسلام على وجهه الصحيح ، بعيدا عن التعصب والتشدد والجدل البغيض الذي يستفيد من أعداء الإسلام ، ولبيان أن وعد الله ـ تعالى ـ لنا بالنصر والاستخلاف والتمكين في الأرض مشروط بمناصرة الله ـ عز وجل ـ :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
سورة محمد

ولا حول ولا قوة إلا بالله هو حسبنا ونعم الوكيل .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

فقد ورد إلينا من السيد : ا . إبراهيم السؤال الآتى :

أريد أن أخرج زكاة مالى ولى أقرباء كثير محتاجون .

هل يجوز لى إعطاء جزء من هذه الزكاة على المرضى والمستشفيات وما الحكم ؟ .

□ الجـواب :

نفيد بأن الزكاة التى شرعها الله سبحانه وتعالى فى المال تكون واجبة حين بلغ هذا المال النصاب المقرر شرعة ومقداره ٨٤/٥ جراما من الذهب الخالص بضرب عيارات فى سعر يوم إخراجها بالعملة المصرية الورقية ويشترط لذلك أن يمر على هذا المال حول كامل (سنة قمرية) وقد ذكر

الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز المصارف الثمانية التى تعطى لهم زكاة المال فقال تعالى :
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾
سورة التوبة ـ آية : ٦٠

ولا تعطى الصدقات على هذا النحو إلا لمن يستحقها والبحث عنهم واجب حتى لا تكون الصدقة فى غير محلها أو فى غير ما أراد الله .
﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ .
سورة البقرة ـ آية : ٢٧٣

فإذا كان للقارىء أقارب أو معارف أو جيران من هذه المصارف فإنهم أحق من غيرهم ، والممنوع فقط من أخذ الزكاة هو أصل الشخص كأبيه وأمه أو فروعه كابنه أو أبنائهم .

ولا مانع شرعا من إخراج جزء من الزكاة للمرضى الفقراء والمساهمة فى بناء مستشفى لأن ذلك تحت ﴿ وفى سبيل الله ﴾ والله تعالى أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
مقدمته لفضيلتكم الآنسة / ن . ع . أ .

أنا فتاة متدينة تخرجت حديثا من أحد المعاهد العالية ، وأريد أن أعرف رأى الدين فيما يأتى :

١ ـ مواصفات الزى الشرعى للفتاة المسلمة .

٢ ـ أيهما أولى بالنسبة لصلاتى ، البيت أم المسجد ؟

والدليل على ذلك .

مع خالص التقدير لفضيلتكم

□ الجــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ..

فنفيد بأن قول رسول الله ﷺ : « يا أسماء إذا بلغت المرأة فلا يرى منها إلا هذا وهذا ـ وأشار ﷺ إلى وجهه وكفيه ـ » ومن هنا يعلم أن جميع بدن المرأة ـ عورة ـ ما عدا الوجه والكفين ـ وعلى هذا يكون الزى الإسلامى على هذا النحو مع مراعاة تجنب الألوان الصارخة والملابس الضيقة واختيار الملابس التى لا تشف ولا تصف الجسد وزيادة فى الإيضاح نورد تعريف الخمار والنقاب والحجاب ـ فالخمار : هو ما يغطى به الرأس بأى شكل من الأشكال ـ كالطرحة والشال والإيشارب ؛ والنقاب : هو ما تضعه المرأة على وجهها لستره .

والحجاب : هو الساتر ـ ويراد به فى الشرع ما يمنع الفتنة بين الجنسين . ويتحقق ذلك بستر العورة وغض البصر ومنع الخلوة والكلام اللين واللمس .

فالحجاب أعم من الخمار والنقاب وهما مقوماته التى تتحقق بهما حكمة التشريع وهى منع الفتنة بين الرجال والنساء .

وعن الشق الثانى من سؤال السائلة فإننا نقول لها بأن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد ووردت أحاديث كثيرة ترغب المرأة فى صلاتها فى بيتها منها :

« خير مساجد النساء مقر بيوتهن » رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة والحاكم وصححه .

وروى أيضا أنه قال ﷺ : « صلاة المرأة فى بيتها خير لها من صلاتها فى حجرتها وصلاتها فى حجرتها خير من صلاتها فى دارها وصلاتها فى دارها خير من صلاتها فى مسجد قومها »

رواه الطبرانى بإسناد جيد .

أما الحديث الذى رواه أبو داود عن ابن عمر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن »

فإن هذه الأحاديث وغيرها تدل على جواز صلاة المرأة فى المسجد لكن صلاتها فى بيتها أفضل .

هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

ما حكم الإستمناء ؟

وما حكم الذى أقسم بالله أن لا يفعله ولكنه لم يستطع الصبر ؟

أرجو الإجابة عليها فى مجلة الأزهر .

□ الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ بعد ..

فنفيد بأن الاستمناء باليد أو بأى طريقة محرم شرعا ويسمى « زنا اليد » وهو منهى عنه لحرمته وخطورته فحرمته تأتى من كونه إهدار للماء الذى يجب المحافظة عليه .

وقد جاء فى الأثر : (احفظوا ماءكم فإنه عصب الحياة) .

وعن خطورة هذا الفعل القبيح يقول الأطباء بأنه يؤدى إلى أمراض خطيرة منها الجنون ـ والعياذ بالله ـ .

وللإقلاع عن هذه العادة السيئة فإننا ننصح بكثرة الصيام عملا بقول رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه البخارى أى وقاية من هذه الأفعال السيئة .

كما ننصح أيضا بكثرة القراءة المفيدة وعدم التفكير جنسيا فى أشياء تحرك إلى ممارسة هذه العادة السيئة .

ويا حبذا لو قطعت هذا التفكير بالوضوء الدائم فإن الوضوء سلاح المؤمن .

وعلى كل فإن المسألة لا تحل بالقسم ، بل يجب أن تكون عندك إرادة قوية وثقة بنفسك حتى تقلع عن هذه العادة والله أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كيف حال أميركم ؟

كان سيدنا عمر - رضي الله عنه - إذا قدم عليه الوفد ، سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد ، وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف ؟ وهل يعود المريض ؟ فإن قالوا نعم حمد الله - تعالى - وإن قالوا لا ، كتب إليه أن أقبل .

أجهل من قومى .. قومك

قال معاوية لرجل من « اليمن » ما كان أجهل قومك حين مُلكوا عليهم امرأة ؛ فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا : حين دعاهم الرسول ﷺ : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ولم يقولوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه » .

حقا

قال علي بن عبيد ، في وصف القلم : أصم يسمع النجوى ، أعيى من باقل ، وأبلغ من سحبان وائل ، يجهل الشاهد ويخبر الغائب ، ويجعل الكتب بين الأخوان ألسنا ناطقة وأعينا لاحظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة .

لا تتشبع

إن الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم ، والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة ، وهو قاتل نفسه ، وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره .

ثوبت لبسه لله

خرج سفيان الثورى - رضى الله عنه - ذات يوم وعليه ثوب ، قد لبسه مقلوبا ، فقيل له : ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه ويغيره لكنه تركه ، وقال : حيث لبسته نويت أن ألبسه لله ، والآن فما أغيره إلا لنظر الخلق فلا أنقض النية الأولى بهذه .

مالك لا تقول أبا بحر ؟

تكلم الناس عند معاوية فى يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت الأحنف ، فقال له : مالك لا تقول أبا بحر ، قال : أخافك إن صدقت ، وأخاف الله إن كذبت .

شجرة الأصل

إذا طاب أصل المرء طابت فروعــه
ومن عجب جاءت يد الشوك بالورد
وقد يخبث الفرع الذى طاب أصله
ليظهر فعل الله فى العكس والطـرد

« كيف .. إبنك ؟ »

قيل لأعرابى : كيف ابنك ، وكان به عاقا .
قال : عذاب لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتنى قد استودعته القبر .

أخوك يسمع

قال شقيق البلخي : أهديت لسفيان الثورى ثوبا فرده علىّ .
فقلت له : يا أبا عبدالله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده علىّ !! .
قال : علمت ذلك ، ولكن أخوك يسمع .

« الفرج بعد الشدة »

لا يعــز عنك هول خطب دامس
فلعــل فى طياتــه ما يسعــد
لو لم يمد الليــل جنــح ظلامــه
فى الخافــقين لما أضاء الفرقــد

« يظن بالمرء ما يظن بخليله »

لما حج عبدالله بن جعفر ، نزل مكة ليلا ، فلما أصبح ، قال : يا أهل مكة عرفنا خياركم من أشراركم فى ليلة واحدة ، قالوا : كيف ذلك ؟ قال : نزلنا ومعنا أخيار وأشرار ، فنزل أخيارنا على أخياركم ، وأشرارنا على أشراركم فعرفناكم ، واعلم أنه ليس الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب .

دعاء

ارحــم إلهى أمــة الهادى وبلغــ
ـهــم بفضلك منتهى العــزات
وانصرهــم ربى على أعدائهــم
نصرا مبينــا خارق العــادات

من أعلام الأزهر



٢

محب الدين الخطيب

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

كان من ديدن محب الدين أن يلابس الأحداث مباشرة ، إذ لم يكن ممن يجلسون في مكاتبهم ليدبجوا المقالات وحدها ، وإن كانت في صميم المشكلات الحيوية ، ومن هنا كان اتصاله المباشر بذوى التوجيه الفعال ممن يملكون أزمة الأمور ، وقد وجد نفسه محدوداً بمكتبته ومطبعته ومجلته ، وثلاثتها تستنفد جهد الكاتب المفكر المدبر ، ولكنه فكر فى ضرورة ملزمة تحتم إنشاء جمعية إسلامية تقف فى وجه التيار المتحلل ، وتصد الإلحاد الوافد مع من ذهبوا إلى أوربا ، ورجعوا بأراجيف أعداء الإسلام ، لتكون حقائق علمية تدرس فى الكليات ، فتسمم بها أفكار ناشئة لايملكون تصحيح الأخطاء ، وإذ ذاك دعا إلى إنشاء جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة تمتد فروعها داخلا وخارجاً فى آفاق المحيط الإسلامى ، وقد بدأ حديث الجمعية همساً بينه وبين الأستاذ محمد الخضر حسين ، ثم امتد فشمل أحمد تيمور وعبدالعزيز جاويش ومحمد الغمراوى وعبدالوهاب النجار ومن ورائهم سبعون شاباً من خيرة مثقفى الأزهر ودار العلوم والجامعة حتى إذا اكتملت الخطا العاقلة أسندت الرئاسة إلى الزعيم الإسلامى الغيور الدكتور عبدالحميد سعيد ، وأعلن تأليف الجمعية فى حفل مشهور فعبرت عن مشاعر الكثرة المؤمنة ممن وجدت لعصابات الإلحاد كبرى المنتديات ، وأوسع الصحف ، على حين ضاقت مصر بآمال السواد الأعظم من المؤمنين ، الذين لايجدون متنفساً لأفكارهم فى منتدى علمى جامع ، حتى قامت جمعية الشبان برسالتها الباسلة فأصبحت حقيقة فى الناس بعد أن كانت فكرة فى ذهن محب الدين الخطيب ، وقد تحدث عن فلسفة الجمعية فى تربية النشء الإسلامى فذكر أن الجهود الاصلاحية فى تكوين الأمة تتأسس من طبقات متوالية :

أولها تربية الأفراد تربية تتلاءم مع مقدسات شريعتها ، ومن فوقها تربية الجماعات فى المنزل والأسرة والمدرسة .

ويلى ذلك طبقة أخرى هى طبقة القائمين بالاستقلال الاقتصادى تجارة وزراعة وصناعة ، وتكوين هذه الطبقات من شأن الدعاة المنتسبين الى جمعية الشبان ؛ إذ إنهم يفهمون رسالة الإسلام فى تكوين الفرد والمجتمع على الوجه الصحيح ؛ لأن من المشاهد المؤلمة أن العنصر الإسلامى فى الشرق أضعف العناصر توجيها ، إذ للطوائف غير الإسلامية فى أوطاننا مدارسها وجمعياتها وأموالها المرصودة ، بينما المسلمون لايعتمدون إلا على مدارس الحكومة ، وهى آلية تملأ الأذهان ولاترقى الأرواح ، وتتجه بطلابها إلى الوظائف المحدودة لا للأعمال الحرة الناجحة ولابد أن تتغير النظرة إلى التعليم بحيث ينشأ جيل عامل متطلع إلى رحبات العزة والاستقلال والرخاء ، ولن يكون ذلك إلا بجهود جماعة الشبان المسلمين ، والحق أن هذه الجمعية فى سنواتها الأولى لعهد الإشراف الشعبى المنبعث من الجهود الخالصة كانت منارة إصلاح ، ورسالة توجيه ومجالا للتنفيس عن متطلبات

الشبيبة المؤمنة ، وليتها ترجع إلى أداء دورها الحقيقى بعيدة عن الرسميات المعوقة ، التى كادت تجعلها جسماً دون روح .

وقد قامت (مجلة الفتح) التى أنشأها محب الدين لتكون لسان النهضة الإسلامية المعاصرة بنشر أكثر ما يقال فى منتديات جمعية الشبان من محاضرات ، ومجلة الفتح كانت مدرسة أكثر منها صحيفة مطبوعة ؛ لأنها كونت جيلاً من كتاب الفكرة الإسلامية يعيشون أحزان عصرهم ، ويلمون بمشكلات العالم الإسلامى فى كل قطر من أقطاره ، وعلى صفحاتها برزت أقلام الصفوة من أبناء الإسلام فى الهند وتركيا وإندونيسيا وإيران والأفغانستان ؛ لأن متعلمى اللغة العربية من أبناء هذه الربوع قد أسعدهم أن يجدوا فى مصر عاصمة الإسلام وبلد الأزهر صحيفة تعيد مجد المؤيد واللواء فى الاهتمام بشئون العالم الإسلامى فى كافة أقطاره ، فانتشرت الفتح فى هذه الربوع النائية كما انتشرت (مجلة المنار) ، ولكن (الفتح) ذات رسالة سياسية فهى أوسع دائرة من (المنار) ذات الطابع العلمى المحدود ، وقد كان المعهود فى المجلات الدينية لعهد الفتح أن تقتصر على أبواب التفسير والحديث وسير الصحابة ومشاهير الدعاة ، والاجابة عن الأسئلة الدينية المعلقة بمسائل الفقة الإسلامى ، ولكن الفتح امتدت بموضوعاتها الى تحليل معضلات العالم الإسلامى الرازح تحت وطأة الاستعمار الغربى ، فجعلت من السياسة أدبا حياً يلابس المشاعر ، ويفصح عن الأهواء ، وقد تعرض صاحبها للسجن إذ جهر برأيه فى سلوك بعض الرؤساء ممن تحركهم أصابع الاستعمار ليكونوا عقبة فى سبيل التحرر ، وليس السجن بشىء أمام المصلح الغيور ، بل إنه يزيده حماسه وحمية ، وكأنه زيت صب على النار فساعد على الاندلاع ، ولو تفرد باحث أدبى لدراسة ماضمت الفتح من قصائد إسلامية تقدم لقراء العربية أدباً حياً يعلو صوته على مانعرف من رقاعات الخلاعة والمجون فيقف منها موقف الصبح من الغسق ، وكما اتجهت الفتح الى إذكاء الروح الإسلامية اتجهت مجلة الزهراء بمجلداتها الخمسة وإن تخصصت فى البحث العلمى بحيث تعد ذات (طابع أكاديمى) ، ولكنها سايرت الفتح من إيقاد الجذوات ، وإلهاب المشاعر ، ولن ينتظر غير ذلك من صحيفة علمية يقوم عليها محب الدين الخطيب ، ولازلت أكرر أن أدب الفضائل الخلقية أسمى غاية وأبعد نفاذاً فى السمو الخلقى وأدعى للهدوء النفسى ، وقد تورط دعاة الأدب المنحل فى إفساد قرائهم كما أفسدوا نفوسهم ، فباءوا بالخذلان ، وللأستاذ الخطيب توجيهاته الصريحة فى هذا المجال حين ناقش ما يدعى بمذهب (الفن للفن) فتساءل[1] :

هل يكون مزاج المتفن طليقاً من كل قيد ، أو تشمله القيود المحافظة ، أو بتعبير آخر :

هل يستوى الشاعر الذى يوقف مواهبه لخير الجماعة ، والشاعر الذى لا يبالى بما يصدر عن مواهبه من خير أو شر ؟

---

(١) الحديقة جزء (٥) ص ٩١ وما بعدها .

وقد اصطلح المشتغلون بالأدب على أن يتساءلوا : هل الفن للفن أو الفن للفضيلة والخير ؟ وفى الإجابة عن هذا السؤال يقول الكاتب :

هنا أمران يجب أن يلاحظهما كل من يخوض فى هذا الحديث :

الأول : أن الشاعر المتفنن الذى يعيش فى جماعة إنسانية قد يكون مثل الكوكايين يلذ ويؤذى وقد يكون كالورد يلذ وينفع فأى الطريقين ينتحى ؟!

والثانى : أن الاعتبارات الأدبية ليست متفقة فى كل أمة ، فما يتسامح به فى الأمة القوية ربما كان وبالاً على الأمة الضعيفة ، والشرق الآن نائم ويجب أن ينتفض من سنة الكرى التى امتلأت بها عيناه ، وأن يقتصد فى الوقت فيتخذ من كل قوة مددا لحياته ، وما دام الشعر قوة ذات سلطان على النفوس فيجب أن تنصرف هذه القوة للجد لا للهزل ، وللعمل لا للكسل ، وللرجولة لا للتخنث ، ولتوجيه القوى القومية إلى آفاق المجد ، وتحويلها عن أبواب الفناء الضائعة الآن تحت سقوف المقاهى والملاهى ، وإذا كانت دول الغرب آمنة بأساطيلها ، وجيوشها وجامعاتها ومصانعها ومصارفها من الأخطار القومية والعلمية والاقتصادية ، وعندها متسع من الوقت تتمتع فيه بالفن الذى صيغ للفن ، فنحن معشر الشعوب الناطقة بالضاد نعيش فى حريق هائل ، ولابد أن يشعر أدباؤنا بهول ما نكابد من أخطار .

وقد كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى فترة انبهار مدهش لدى من غرهم انتصار أوربا عالميا ، فظنوا أن ارتقاء العرب لن يكون بغير احتذاء أوربا فى القشور التافهة لا فى المكتشفات النافعة ، وحسبوا أن التجديد الحضارى ينحصر فى الحفلات الماجنة ، ولبس القبعة ، وكتابة الحروف من الشمال إلى اليمين ، والاختلاط السفيه فى المجتمعات المتبرجة ، إلى ما لايحصى من مظاهر الإسفاف فجهرت الفتح بالدعوة إلى التجديد النافع ، وطريقه : الاستعداد التام لمواجهة الأحداث بالقوة الرادعة ، والعلم الدقيق .

إذ لابد للأمة التى تريد التحرر أن يكون من أبنائها من يحسن صنع المدفع لا من يشتريه بالثمن الباهظ من أعدائه ، والمدفع لا يصنع إلا بالدراسة العلمية الدقيقة ، ثم لابد من الفولاذ الذى يهيء المادة ، ولابد تبعا لذلك من إدارات واعية تقوم على العلم والثروة والتنظيم ، وبهذا كله تتحقق أولى خطوات التجديد(*)

● ● ●

ثم يتساءل محب الدين عن المبادىء التى يقوم عليها التجديد الحقيقى المنشود ، فيرى خطته الناجعة فى أن نأخذ من كل مكان ما نحن فى حاجة إليه من أسباب العزة والقوة ، وأن نحتفظ بكل ما فى كياننا الوطنى والدينى مما لا يعد من عوامل الذل وبواعث الوهن ، وكلما كان ما نستعيره من الأمم الأخرى محدوداً لا يتجاوز منفعته المؤكدة كان ذلك أحرى ألا نذوب فى غيرنا ونخرج

(*) ولم يقصر الإسلام فى إلزام تابعيه بهذا النهج ، فأوجب فرضاً كفائياً أن يتعلموا كل علم نافع ، فإن لم يوجد بينهم جميعاً ــ أثموا ، وإلا فكيف يتحقق أن تكون لهم القوة التى تفوق قوة أعدائهم .

من أنفسنا ، فنحن نطلب من التجديد ما ننظم به حياتنا ، وما نستغنى به عن مصنوعات الأمم الأخرى مما تنتجه بأيدينا نحن ، أما التجديد القائم على انتهاز ما نحن فيه ذل وانحدار لإقناعنا بأننا من لم نكن شيئاً مذكوراً فمعناه أننا سنبقى فى منحدر الهوان ولن نتبوأ مقاعد العزة ، فالعلاقة بيننا وبين كل داع إلى التجديد والإصلاح أن ننظر فيما يدعونا إليه ، فإن كان يدعو إلى أسباب القوة من معارف وفضائل ، وتتجلى فى دعوته قرائن النصح لقوميته والحرمة لمفاخرها ، والإحياء لمآثرها ، فهو داعية إصلاح حقيقى ، وإن كان من الذين يريدون مخادعة الشباب الطاهر ليعزلوه عن تاريخه ويخرجوه عن نفسه بالاندماج فى أمة تستعبده وتحتله ، فمثل هذا مدسوس علينا ، ولعل العدو المجاهر بالعدواة أقل ضرراً من حامل هذه الثمار الخبيثة إلى أمة مستكينة تنشد العز والاستقلال .



وإذا كان لابد من الارتقاء العلمى كى نبلغ ما نريد من الاستقلال ، فإن العلم ليس وقفا على الدول الغربية وحدها ، حتى نستذل لمعارفها ، ولكن العلم قاسم مشترك بين الأمم جميعها[*] ، تنقّل من بدء الخليقة من مكان إلى مكان فأسهمت الأمم جميعها فى تكوينه ، فإذا طلبناه اليوم ممن تقدمنا فى ركب المدنية فإننا نطلب ميراث كان لأجدادنا الفضل فى تكوينه وسيعود إلينا لنضيف له بعض الجديد مما يعلى بناءه ، يقول الأستاذ الخطيب[(2)] .

« العلمى عالمى . لا تختص به أمة دون أمة . ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه ، إنه مشاع كالهواء الذى تتنفسه ، وكالبحار التى تحيط باليابسة ، لأنه مجموعة الحقائق التى توصل إليها العقل البشرى فى مراحل تفكيره ، وتجاربه ، وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن ، فجدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة فى القدم ، وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب فى كل وطن ، ولولا ما كان معروفا قبل المسلمين من علم الحساب ما توصلوا إلى إتحاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة الذى توصل علماؤنا إليه منذ مئات السنين ولما تقدمت فى العصور الأخيرة علوم الرياضيات التى وصلت بها الأعمال الهندسية إلى غايتها ، ولا غضاضة على أمة تطلب العلم بها حيث تجده ، وكذلك الطب وعلوم الطبيعة ؛ لأن العلم واحد فى كل أمة وهو سبيل القوة فى الحرب والسلم ، ولابد من تحصيله » .

ثم يؤكد الكاتب هذه الحقيقة فى مقالات متتابعة ، وقد يضطر إلى تكرار ما يقول مرة بعد مرة ؛ لأنه ينشد الإصلاح ، والكاتب المصلح محتاج إلى ترديد آرائه لترسخ فى أذهان قرائه ، فإذا

(*) الذى لاحظناه وعاصرناه أن الشرق فقد علماء من أبنائه كانوا يدرسون الذرة وما يتصل بها فى الغرب ـ فقدهم فى ظروف غير طبيعية ، يدعو تكرارها مع أكثر من عالم إلى الشعور الأصيل بالرغبة الأكيدة عند أعداء المسلمين ألا يتفوق من أبناء المسلمين أحد فى هذه الميادين .. مجلة الأزهر .

(2) مجلة الأزهر افتتاحية عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٤هـ .

رفض التكرار فى بحث علمى منهجى ، فإن هذا التكرار نفسه يكون مستلزما لمن يحرص على بث أفكاره ، دون أن يجد معترضا يفهم رسالته على وجهها الصحيح !



وليت شعرى ماذا يفعل محرر الصحف الأسبوعية الهادفة حين يجد الدعوات المتكررة لفصل مصر عن العروبة ، وعن الثقافة الإسلامية ، إنه يرد على هذه النعرات المنكرة ، بالدليل المفحم ، فلا يجد من يقتنع ، مع وضوح البرهان ، وقوة الاستشهاد ، بل يجد من يعيد اللغط العابث دون أن يكر على مَنْ وُجِّهَ إليه نقد ! هنا يضطر الكاتب الداعية إلى أن يكرر ما قال تكريرا يضيف الجديد من تفصيل مجمل ، أو إيضاح مبهم ، أو تحليل مركب ، وأنت تقرأ لمحب الدين عدة مقالات نارية تجمع المنطق المفحم تارة إلى التهكم الهازىء تارة أخرى ، وهو ـ عند من يستمعون أحسن القول ـ مصيب جاد ! إنه ينادى من يرون انفصال المصرى عن مصريته فحسب بأوضح لسان حين يقول (٣):

إذا كنت شريكا لرجل أو أكثر فى عمل مالى فمن حق هذه الشركة أن تكون أمينا لها حريصا على إنمائها ، فأنا بصفتى مسلما شريك لكل محمدى فى جامعة الإسلام ، وهى عندى أشرف الجامعات ، فإن لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة وإخلاص كان ذلك خيانة هذه الرابطة ، ودليلا على أنى عضو عاطل يتغذى من الجسم دون أن يفيده شيئا ، وأنا بصفتى متوطنا فى مصر ، اخترتها من دون آفاق الدنيا ، فإننى شريك لكل مصرى فى جامعة الوطن ، وهى من أقرب الجامعات إلىّ ، لأنى متصل بها مباشرة ، أنفعها بجهودى ، وانتفع منها فى أعمالى ، فإذا لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة وإخلاص كان ذلك تقصيرا يصيبنى قسط منه ، وتقع علىّ نتائجه ، وأنا بصفتى من أبناء هذه اللغة العربية ليس لى لغة غيرها ، ولا تصح نسبتى لغيرها فأنا أرى نفسى عربيا يشارك كل عربى على وجه الأرض ، فى بيانه وقوميته وعزته ومفاخره مهما اختلفت الألوان التى قضت السياسة أن تتلون بها الأقطار العربية ، فإذا فرّطت فى عربيتى فقد أذنبت لأن علامة العرقى الحرص على خير العرب ، ومن كان غير ذلك فقد برئت منه العربية وإن كان من أعرق قبائلها !

إن القومية فى الحضارة ، مناطها اللغة والمولد والشعور المشترك ، وهذا هو المعول عليه فى أوربا ، بل فى أشد بلاد أوربا تعصبا للقوميات ، ومصر على رأس القيادة الفكرية فى العالم العربى ، ولا يخطر فى وهم أحد أنها ستعدل عن البيان العربى إلى غيره إلى يوم الدين »

هذا ما أكده محب الدين من الناحية السياسية إزاء محاولة التنكر لعروبة مصر ، من أفراد يضعون على عيونهم الغشاوة فلا يبصرون ، ويسدون أسماعهم عن الحق فلا يعون ، وقريب من ذلك ما كرره بإزاء الدعوة المغرضة إلى ما يسمى بـ (الأدب الأقليمى) ، وهى دعوة ظاهرها

---

(٣) الحديقة ج ١٣ ص٧٢ وما بعدها .

الرحمة وباطنها العذاب ، وتزداد الحملة بلبلة واضطرابا حين يظهر دعاتها بمظهر من يفهمون حقائق علوم النفس والاجتماع والتاريخ ، ويؤكدون أنها جميعا تدل على صدق ما يتمنون ، ولهم في تقرير هذه الأراجيف تطاول مبكر وغطرسة يكاد صاحبها أن ينتفخ متورما إلى حيث ينفجر ، ومحب الدين يسبر أغوار هؤلاء ، ولا يجد أجدى من الصراحة الواضحة التي تتجلى في مثل قوله (٤) .

« الأدب مرآة للبيئة التي ينشأ فيها ، وعلى صفحاته تنعكس ألوان السماء التي يتمو تحتها ، وبين سطوره يجب أن تتجلى آلام الأمة وآمالها ، فالأدب في وادي بَرَدَى وبين جبال الشام يجب أن يسمعنا خرير ماء العيون منحدرة كالرحيق السلسل بين الصخور البلورية ، وعلى ضفاف النيل وبين حقوله الزمردية ، يجب أن يشعرنا بهيبة السكينة التي تحملها لجج هذا النهر المبارك من المنطقة الاستوائية حتى تنتهي بها المرحلة إلى شُعَب الدلتا الداخلة في غمار البحر الأبيض ، فإذا كان المراد من الأدب المصرى أن يكون مرآة لبيئته المصرية تنعكس عليها حقائق الحياة في حوافير هذا الوادى وقراه ، فأنا أقول بأن البلاد التي لا يقوم أدبها بهذه المهمة إنما هو أدب مزوّر على وطنه ، إذ يجب على الأدب العربى في كل قطر من أقطاره أن يؤدى هذه المهمة ليكون للشعوب العربية من مجموعة ثروة أدبية واسعة ، وإذن فالأدب المصرى المحمود هو الذى تنطبع فيه ألوان الطبيعة في أرض مصر وسمائها ومائها ، وهو الذى تنعكس على صفحاته أطوار الحياة المصرية بآلامها وآمالها » .

ومعنى هذا كله أن دعاة اللغة العامية يكرهون الأدب العربى لذاته ، لا لأنه لا ينطق بآمال بيئته وآلامها ، وهم حين يبحثون عن أدب إقليم بمعناه العلمي إنما يبحثون عن شيء يتضح وضوح الشمس لكل ناظر فيما نطالع من آثار الكبار والصغار من أدباء الجيل ، وإذا تميز أدب أقليم عن أدب أقليم فهو تميز فروع لا اختلاف أصول ، كما يتميز الأدب العباسى عن الأدب الأندلسى في بعض أغراضه ، أما أن يكون الأدبان مختلفين اختلافا جذريا ، فلا نجد الدليل الواقع عليه ، فليكن لدينا أدب مصرى وأدب عراقى وأدب مغربى ولكن هذه الآداب جميعها روافد تصب في محيط واسع هو الأدب العربى ، منه تنشأ وإليه تعود !

• • •

ولن نغفل ناحية التأليف المستقل في آثار محب الدين ، إذ قام بتصنيف كتب تاريخية واجتماعية مثل :

الرعيل الأول .

تقويمنا الشمسى .

الأزهر .

قصر الزهراء بالأندلس .

تاغور .

---

(٤) الحديقة ج٧ ص١٧٥ وما بعدها .

كما قام بتحقيق بعض كتب التراث مثل :
الميسر والقداح لابن قتيبة .
الخراج لأبي يوسف .
وتاريخ الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب .
العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي .
ولم ينس جانب الترجمة ، إذ نقل إلى العربية :
مذكرات غليوم الثاني .
قصة قميص من نار للكاتبة التركية خالدة أديب .
الدولة والجماعة للمفكر التركي أحمد شعيب .
أما ما أشرف على طبعه من الكتب الأصيلة بمطبعته المسماة ، بالسلفية ، فأكثر من أن نلم به ، وهو جهاد علمي متصل الحلقات ، ما بين تأليف وترجمة ونشر ، وكل ذلك يسير في خط متحد ، إذ يلتزم طريق الصحوة الإسلامية بما تتفرع عنه من اتجاهات .

• • •

وحين تولى الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين مشيخة الأزهر الشريف أسند رئاسة تحرير مجلة الأزهر إلى الأستاذ محب الدين الخطيب ، فقام على إعدادها بضع سنوات مثمرة ، كانت افتتاحيات كل عدد تتوهج بقلمه الحار المتأجج حماسة حتى بعد سن الكهولة ومما أذكره بهذه المناسبة أن الخطيب قد كتب إليّ يطلب أن أعد بعض مقالات تاريخية عن أعلام كبار حددهم بالأسماء وهم : عبدالرحمن الغافقي ، وقتيبة بن مسلم ، وعقبة بن نافع ، وعماد الدين زنكي ، لأن الشبيبة الإسلامية لا تعلم شيئا عن جهادهم الجبار ، فقمت بأمره ، ولعله اقترح موضوعات أخرى على نفر من الكتاب ، إذ كان دائما باعث حركة علمية أينما حل ، كما كان يحرص على أن يحول التاريخ الميلادي إلى تاريخ هجري إذا وجد في بعض المقالات إهمالا للتاريخ العربي ، وقد نبه الكتاب إلى ضرورة الاهتمام بتاريخ الهجرة دون سواه ، وحين ظهر مقاله الثائر (الثقافات الأجنبية استعمار عقلي والدعاة إليها طابور خامس) بافتتاحية عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ هـ ثارت عليه ثائرة بعض المتسرعين بالصحف اليومية ، وزاد اللغط إلى حد مستغرب ، وكان من رد الفعل أن عقدت ندوة بجمعية الشبان المسلمين لتأييد اتجاه الأستاذ رئيس التحرير ، تحدث بها الأساتذة : دراز ، والمدني ، والشرباصي ، وعبدالرحيم فوده ، ومازالت مقالات محب الدين في افتتاحيات مجلة الأزهر متفرقة لم تجمع ، وهي ككلّ آثاره في حاجة إلى أن تصدر في مجموعات تذكر الجيل الحديث بمضمونها الصحيح ، لأن الخطيب كاتب أدبي من الطراز الأول لا يقل عن أدباء الطليعة الذين يتردد ذكرهم في كل مجال ، وصحف الزهراء والفتح والأزهر والمؤيد والأهرام أكبر شاهد على ما نؤكده ، وما زال تلاميذه إلى اليوم يذكرون نشاطه الجم ، وتوجيهه الصائب وإيمانه الصلب الوثيق .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

المؤتمر العالمي للأديان بلندن



رسالة لحضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
محمد مصطفى المراغي
شيخ الأزهر

إعداد وتقديم: د. عبد الفتاح حسين الزيات

الدين فطرى فى الإنسان ، وهذا الشعور الدينى إذا عمق وصلح يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والثروة ، وبالتالى على الأنانية والحقد والحسد وحب الذات .

ودين الإسلام بشهادة المولى ـ عز وجل ـ هو دين الإنسانية جمعاء ، وخصائصه توضح ذلك ، ومن منطلق هذه الحقيقة فهو يعلن عن نفسه دائما فى كل زمان ومكان ويبصر الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

ومؤتمر الأديان منبر ينبغى أن يكون الوسيلة المباشرة لإعلاء الحق وإزهاق الباطل ، ولدراسة أفضل الوسائل للتقريب بين الشعوب ، وسد باب المنازعات بين الأمم .

وهذه كلمة الإسلام فى هذا المؤتمر لعلها تطرق أبوابا لقلوب منصفة تهتدى بالحق وتهدى إليه لتأكد لديهم أن الدين عند الله الإسلام .

قال فضيلة الأستاذ ـ رحمه الله :

يقام كل سنة مؤتمر عالمى للأديان فى عاصمة من كبريات عواصم الغرب الغرض منه دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب لحسم مادة الخلافات بينها تذرعا لإبطال الحروب والمخاصمات . وقد دعا المؤتمر فى هذه الدفعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر لإلقاء خطابة فى موضوع كيف تقرر زمالة عالمية بين الأفراد لمختلفى الأديان والنحل . وقد أجاب فضيلته الدعوة ؛ فأرسل للمؤتمر بحث طريف جامع فى الباب ، وأناب عنه فضيلة الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى شقيقه فى إلقائه ، واعتذر هو عن الحضور بنفسه لكثرة أعماله ، فقبل المؤتمر عذره ، وقابل خطابته بما هى أهل له

من الإطراء والإكبار . وها هو نص تلك الخطبة :

كلمة التحية للمؤتمر :

١ ـ تشرفت بالدعوة إلى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره ، وكنت شديد الرغبة فى شهوده وفى لقاء حضرات السادة ممثلى الأديان والمذاهب ، لكنّ أسبابا قوية حالت دون بلوغى هذه الأمنية ، فبعثت بكلمتى هذه وأنبت عنى فى إلقائها الشيخ عبد العزيز المراغى المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلندن ، وأنا راج منكم أن تتقبلوا أصدق عبارات التحية والإجلال وأصدق الأمانى لتحقيق الغرض السامى الذى تسعون إليه .

فكرة الزمالة طبيعية :

٢ ـ إن فكرة الزمالة تولدت فى الجماعات الساذجة ، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة فى أشكالها البسيطة ، ونمت الفكرة بنمو الجماعات ، وامتد سلطانها فشملت القبائل ، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة .

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها إلى بعض ، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة فى البشرية كلها بمأمن من الغوائل ، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة ، بل تحتاج إلى مشاركة عامة ، أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنسانى كله . ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية ، بل هى حاجة طبيعية تولدت فى النوع البشرى منذ دور الطفولة ، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان ، ويعود عليه بالخير .

أسباب التفرق طبيعية :

٣ ـ ومع شعور الإنسان بالحاجة إلى الزمالة ، ومع أن العقل يقتضيها ، فقد كانت عوامل التفرق دائما ملازمة لهذا الشعور ، لأن الإنسان لا يسيره العقل وحده ، ولكن تسيره أيضا غرائز حيوانية ركبت فيه ، ومن هذه الغرائز حُب الأثرة والغيرة ، والخوف والشك ، وقد أضيف إلى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب ، فوجد عامل آخر للتفرق ، حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الإنسانى المنشود تدافعه كل تلك النوازع فى الإنسان ، يبدو له أنه مطلب لا ينال فى هذه الحياة ، إذ يهوله ما يحتكم فيها من شرور تصرفها تصريفا جائرا شرسا لا قلب له ولا وجدان .

التدين هو الدواء :

٤ ـ ولا أعتقد أن التقدم العلمى والفلسفى بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها ، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولا ووحشية كلما ازداد تقدم العلم ، وأنه أمضى أسلحتها . بل فى الحق إنى لا أعتقد أنه سيجىء اليوم الذى تتحقق فيه المثل العليا للبشرية ، لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة فى الإنسان فإنه لا يمكن أن تنطفىء تلك النار .

٥ ـ لكن هذه العقيدة لا يصح أن تقفنا عن البحث عن الوسائل الملطفة لتلك الغرائز والكابحة لجماحها ، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل .

والمتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان قد اعتمدت فى الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، ودفعته إلى الثقة بأن

العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر ، وأن هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسئولية والمجازاة ، ففى التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته عوامل ليست أقل خطرا ولا أضعف أثرا فى دفع الإنسان إلى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية إلى الشرور ، والدافعة إلى الحرب والحرص ، وإفساد شأن الجماعة الإنسانية .

وليس من شك فى أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة ، واعتقاد أنها خير خالص يصل إليه الإنسان بالعمل الصالح ، أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر ، يجعل قلب الإنسان مطمئنا راضيا إذا ساء حظه فى الحياة الدنيا ، ويغير نظره إلى هذه الحياة تغييرا تاما . ثم اعتقاد أن الخير والشر يتزلان بمقدار بعد وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم ، يحفز الإنسان إلى الإكثار من عمل الخير ويبعده عن عمل الشر .

٦ ــ يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان من داخل الإنسان ، وهو خوف الله . وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا إلى جعل الإنسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ، ونبهوا الضمير الإنسانى بواسطة التهذيب والتربية ، أغنى ذلك عن التدين . لكن أنى لهم ذلك ، وكيف يستطاع تهذيب الدهماء ومن تلهيهم من أول أدوار الحياة الحاجةُ إلى القوت ! فالرجوع إلى غريزة التدين أسهل . وهذا الشعور الدينى إذا عمق وصلح أقوى ــ أو على الأقل ليس أضعف ــ من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب . وهذا الشعور يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والطبقة والثروة ، وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية ، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى ، ويهوّن عليها الفقر ، ويخفف ثورتها عليه .

وهذا الشعور يكرم النفس الإنسانية ويحدوها إلى المعرفة والحكمة ، ويكره إليها الجهل والحمق . كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلا لولا طوارىء أخرى . ومن هنا تقوى طماعية المتدين فى قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الإنسانية مهما عز ذلك أو بعد ، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الإنسان .

٧ ــ نعم إن الإنسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاد قاس مخيف ، أدار رحاه الخلاف الدينى ، وكان فيه الشعور الدينى الحاد الجاهل قوة طائشة دفعت إلى عنف وتدمير رهيب مروع . وإن الإنسانية لترنو فى خيبة إلى آلاف من الأجيال المتمدينة لم تدنها كثيرا من تلك الأخوة الإنسانية ، بل لا تزال إلى اليوم يائسة منها ، لكن المتدين مع ذلك كله يعاوده أمله القوى ، ويدرك أن تلك الذكريات المروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص فى طبيعة التدين أحدث ذلك كله ، بل إن ذلك فى الحق إنما سببته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين ، فتحكمت الحياة فى التدين ، حين كان ينبغى أن يحكم التدين فى الحياة ؛ وسببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر استغلوا الشعور الدينى استغلالا ماديا فى سبيل مآرب لا تثير دفين غرائزها . وحسبنا أن نقول : إن ما نال الإنسانية فى عصور التدين من شر ، وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو فى السلام الروحى ، ليس لشىء فى طبيعة التدين ، بل لانحراف فى اتجاه الشعور الدينى . على أن ناموس

التدرج الطبيعي يفسر هذا الذى كان من ألم وخيبة بأنه حال اقتضتها درجة رقى الحياة فى تلك العهود ، وأن ما صارت وتصير إليه تلك الحياة من رقى ، يؤهلها للانتفاع بالشعور الديني فى إدنائها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساده . وها هو ذا الرقى العقلى والنفسى قد حسم فعلا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية ، ووجه الشعور الديني توجيها أصلح نوعا مما كان قديما . ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان ، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية .

٨ - وهذا ما جعل اغتباطى بهذا المؤتمر عظيما ، فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية ، وهى الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنسانى وأممه ، فإنه بهذا السعى يحقق غرضا أساسيا من الأغراض التى سعت إليها الأديان وعُنى بها الإسلام الذى أدين به ، فقد نبه القرآن إلى وحدة الأبوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر ، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ، ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس ، ووضع معياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى الله ، وفى القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] .

وطلب القرآن إلى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان ، وفى القرآن الكريم :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2] .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادىء السامية ، حتى أبيح الإصهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها .

الزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة العالمية :

٩ - وإذا ما كانت تلك الزمالة أملا مرجو التحقيق يتداعى لتنمية رجال الدين ويحتفلون بذلك فى جد وحزم ، فمن الحزم إذاً أن نعود إلى هذا الشعور الديني نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته فى البشرية ، لنبدأ منه خطتنا فى تنمية الزمالة ، وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم بما فى الأديان من الشعور الديني المشترك بينها ، وبما فيها من الفضائل العلمية والغايات الاجتماعية الصالحة ، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها . وكل ما فى الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشرى أسس صالحة ترمى إلى الخير ، وإلى أن يكون الفرد عضوا نافعا فى المجتمع ، يعاشر أخاه بالمعروف ، ويدفع عنه النوائب ، ويجعل أواصر المودة بين أفراد الإنسان واقعة تحت الرغبات الإلهية ، مطلوبة للخالق الحكيم الذى يحيى ويميت ويرزق ، ويغيث

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) سورة الممتحنة .

الملهوف والمضطر ، ويعد بعد الموت حياة هنيئة لمن يعمل الصالحات .

والدعوة إلى تنمية الشعور الدينى المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم ، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعانى السامية ، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذى يداهم الإنسانية لا يجىء من أديان المخالفين ، وإنما يجىء من الإلحاد ومن المذاهب التى تقدس المادة وتعبدها ، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزؤا ولعبا .

الأغراض التى يسعى لها أهل الأديان :

١٠ ـ والأغراض التى أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان : معنوية ، وعملية . الأغراض المعنوية هى فى الإجمال إزاحة العلل التى حالت دون تأثير الشعور الدينى فى تقريب ما بين الناس ، وهى إما تلوثه بالشوائب المفرقة ، وإما ضعفه وتحلله .

فإن الناس بين رجلين : رجل مؤمن قوى الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شرور الحياة ، لكنه منحرف عن الجادة تثور فيه عناصر الحقد على المخالف والكره له والتربص به ، فهو فى حاجة إلى توجيه إيمانه توجيها نافعا ، وإلى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب ، وإلى فهم معنى التدين فهما صحيحا خاليا من الأغراض البشرية المادية . ورجل ضعف إيمانه أو أقفر قلبه منه ، وأكثر ما ترى هذا بين الطبقات التى تسمى مستنيرة ويدعوها الناس مثقفة . وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبى ، وما ثار بينهما من خلاف ، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى آراء فى الخير والفضائل العملية وقفت بعض الأديان فى سبيل الموافقة عليها ؛ أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة إلى نواح لم يوافق الدين على ترجيحها ، فكانت صلة العلم المادى والعمل الخلقى والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرماته ؛ وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سببا فى اتساع الهوة وجرأة المخالفة جرأة عصفت بالشعور الدينى فى قلوب أولئك المتعلمين ، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم .

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الدينى ، وإعادته يعمر القلوب ويملأ النفوس هيبة ورهبة من الله ، ورحمة ورفقا بعباد الله ، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية ، وأمام تيارات التقدم العقلى والتحرير الفكرى ، ولا شك فى أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقى الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة . ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الدينى فى قلوبهم ، فإنهم يكونون قوة فعالة فى تنمية وسائل الإخاء البشرى ، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم ، واستطاعتهم فهم ما فى الأديان من معان روحية سامية مجردة عن المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتنر طريقهم الفلسفة .

الأغراض العلمية هى على الإجمال جعل التدين أداة فعالة فى تهذيب الجماعة ، وتمكين العوامل المعنوية التى تشترك فيها الأديان ، من التأثير فى الحياة الإنسانية الواقعية ، وتعميم الفضائل العلمية

التى تدعو إليها الأديان كلها نظما عملية . بذلك يقل فتك الشرور بالإنسانية فى الأمم ، وتتقارب أنظارها ، وتدنو من الإخاء الإنسانى بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها .

١١ ــ ومما يثير العجب ويضاعف الألم ، أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضا مقاتلة أسرفوا فيها ، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك ، وسلكوا طرقا فى التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق ، مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة ، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج ، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذى هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة ، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل ، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول ، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه ، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل ، ونسوا أن العدو جاد فى إنزالهم من مكانهم اللائق بهم ، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية وتطغى على ما بقى فى النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية . وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر ، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة ، وهذه الإباحية التى يئن منها العقلاء ، وهذه العادة المستحكمة التى تجر الويلات على الآمنين بين حين وآخر ، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية .

لكن ما الذى كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل فى أهل الأديان كما تعمل فى غيرهم ، وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغرى غيرهم ، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم ، ويفترى بعضهم على بعض فى الدين كما يفترى غيرهم ؟

لكنّ قبسا من النور لا يزال باقيا للمتقين ، وهو أن الله أرحم بعباده من أن يتركهم فى هذه الشرور المتلاطمة أمواجها ، وأقدر على إيجاد الوسائل التى ترد إلى مواطن الشرف والفضيلة . وأنتم موطن الأمل ومعقد الرجاء .

الوسائل التى تحقق بها الأغراض :

١٢ ــ وسأعرض هنا لبعض الوسائل التى تساعد على تحقيق الغرض ، مكتفيا بالإجمال ، تاركا التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر ، وللابتكارات المتجددة التى ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبى الإنسانية :

(أ) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الدينى من الضغائن والأحقاد ، ولذلك وسائل ، منها :

١ ــ توجيه الوعظ الدينى فى الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنسانى ، بالأساليب التى يقررها أهل كل دين لوعاظه .

٢ ــ جمع كل ما فى دين من المعانى الإنسانية السامية العامة ، من الرفق بالبشر والبر بهم ، من حيث هم أفراد من نوع الإنسان ، دون نظر إلى الفوارق الأخرى ، وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل فى مختلف اللغات .

٣ ــ جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائما على أساس عقلى محض ، وحب للحقيقة ورغبة صادقة فى الوصول إليها ، مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة فى توجيه الاعتقاد والإغراء به ، وقصر الجهد على إبراز ما فى الدين المدعو إليه من محاسن .

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسما شريفا نزيها صادق الرغبة كفى المسالمة .

(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني ، وبخاصة في الطبقات المستنيرة ، فتعني بتأييد مركز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر ، تأييدا يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه التماسا للمعرفة ، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل ، وعن الارتكان على السلطة الروحية المستنيرة ،وبالجملة يبتعد عن الأخطاء الماضية التي دفعت الإنسانية ثمنها باهظا مرهقا .

ويكون لهذه الهيئة شُعب ، شعبة تحدد ما بين العلم التجريبي والدين من خلاف قائم أو خلاف يجدّ ، وتتبع ذلك في الدوائر العلمية المختلفة ، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حب للحقيقة وحرص عليها ، في لباقة لا تدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد . وشعبة تحتفى بالآراء الخلقية وبيان الفضائل ، وما يكون من ذلك جائرا على الحياة المعنوية ، متأثرا بأغراض تهمة ومطامع شريرة ، فتبحث ذلك في عمق ودقة ، ويذاع منه الآراء المقنعة التي تنال تأييد المفكرين المخلصين ، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة . وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها ، كالاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك ، تبين منها موضع الخير وناحية الحق ، وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحيـــاة . كل ذلك يذاع في الأسلـــوب الصحيح ، ليسمع الناس الرأى الصالح مؤيدا بالبرهان ، موفقا بينه وبين التدين ، مراعى في كل هذا وجه الله ، ووجه الحق ، ووجه الخير للإنسانية .

١٣ ـ ونظرا لأن الإنسانية قد نالها عسف كثير ترى (بحق أو بغير حق) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها .

فمن الحق أن تظفر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها . وأرى أن تؤكد الوحدة الدينية قولا وعملا ، وأن تجد في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لايطمحون إلى رغبات مادية ، ولا إلى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ ، وأنهم إنما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعاد الإنسانية وترقيتها ، وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها ، وأنهم قوّام على تفسير الناموس الإلهى بالحق والدعوة إليه ليس لهم من الأمر شيء ، ثم تحافظ على ذلك أشد المحافظة ، وتقوم من يند عن هذا المبدأ ويخالفه .

إذ ذاك تستفيد الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة ، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني ، وتكتسب المبادىء الدينية والفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة ، سلطة عملية تمكن من السعى إلى حماية النظم والقوانين ، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة .

وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع إلى تأييد مبادئهم وقواعدهم ، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة في الأديان ، فيقاوم الزنا ، وتحمى الأسرة ، ويعاقب على الكذب والغيبة والنميمة والدس والوقيعة ولو لم تصور في جرائم مادية ، وتحد الحرية في التمتع وأسباب

الشهوات ، وتحرم المنافسة غير الشريفة ، وتراقب المكاسب المادية ، وتحرم الخبيث منها ، وتعاقب على الجشع والخداع والتغرير ، إلى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الإنسانية من أدرانه ، فساء التطبيق ، وانحرفت وجهة التدين أو ضعفت ، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم ، والذين خلت قلوبهم من رهبة الله ورحمة عباده .

١٤ ـ وما من شك فى أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستتكر على يد رجالها الذين يزين الإيمان قلوبهم ، وتطمئن نفوسهم روحانية الدين الصادقة ، وسائل ناضجة فعالة لهذه الأغراض ، ولكن يجب ألا ننسى أن تلك الوسائل ينبغى أن تكون بعيدة عن التدخل فى أصول السياسة والاصطدام بها ، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الدينى والشعور بالفضيلة ، وعلى إنماء روح الكره لما يغمر العالم الآن من المفاسد والشرور التى نزلت بالإنسانية إلى مستوى منحط لا يفكر فى غير قضاء الشهوات وسد حاجة الغرائز البهيمية ، وإشباع نهم القوى الشرسة ، وصفات العدوان .

١٥ ـ ذلك ما رأيته لتنمية الرسالة العالمية ، وقد قام على أساسين صحيحين ، وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهى ممكنة وفعالة ، وإن كانت تحتاج إلى جهد ودأب طويلين ، لكن المطلب نبيل والخطب جليل . وإن الإسلام يمنحها تأييده القوى .

وفى أصول الإسلام أقوى الدعائم التى ترتكز عليها الفكرة ، فهو يقرر أنه لا إكراه فى الدين ، ويقول للرسول صلوات الله عليه :

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٣)

ويقرر أن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٤)

ويخاطب العقل وينبه إلى التفكير فيما خلق الله ، ويرفع العلم والعلماء .. ويقول نبى الإسلام : ﴿ **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** ﴾ ، ويقول له الله تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾(٥) .

ويحث على البر والرحمة ، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء ، بل وعلى الرفق بالبهائم ، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة فى بيت المال ، وجعل للفقراء حقا لازما مفروضا فى أموال الأغنياء ، وجعل الجناية على نفس واحدة جناية على الانسانية ، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام .

ولا أطيل عليكم أيها السادة ، فليس من غرضى ولا من غرضكم شرح أصول الإسلام وعرض مبادئه ، ولكنى بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم إلى أن الغرض الشريف الذى تسعون إليه لا ينافى قواعد الاسلام العامة .

١٦ ـ وإنى أيها السادة فى ختام كلمتى هذه أبتهل إلى الله أن يؤيدكم فيما تسعون إليه من خير للانسانية ، وأن ينير لكم الطريق ويهديكم سواء السبيل .

(٣) سورة يونس آية ٩٩ (٤) سورة النحل آية ١٢٥ (٥) سورة آل عمران آية ١٥٩

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم : د. محمد عبد الحكيم محمد

ربنا إياك ندعو

للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

ربنـا إيـاك ندعـو ربنـا   آتنـا النصر الـذى وعدتنـا
إننـا نبغـي رضاك إننـا   ما ارتضينـا غير ما ترضى لنـا
أنفسـنا طاهـرة طهـر الحرم   تملأ التـاريخ مجدا وكـرم
وافيـات بعهـودٍ والـذمم   راقيـات للمعـالى والهمم
للعـلا إن العـلا   واجبـات المسلم
خير عـالم خـلا   كـان فينـا ينتمى
للعـلا فإننـا   أمـة التقـدم
للعلا وهـا أنـا   بمـالى ودمـى
يا شـباب العالم المحمـدى   ينقض الكون شباب مُهتدى
فأزرهُ دينكـم كي يقتـدى   ديـن عقـل وضمير ويـد
يا شـباب العزمـات المبرمـة   عرفـوا الكـون العلا والمكرمـه
عرفـوا الكـون الهدى والمرحمة   عرفـوا الكـون النفوس المسلمـة

● ● ●

إننـا الطهـر الأماجيـد الألى   نزّلت فينـا السمـا مذ أنـزلا :
ذلك القـرآن أخلاقـا علي   كوكب الأرض محمـد العـلا
ليس كالمسلم في الخلـق أحـد   ليس خلق اليوم بل خلق الأبـد
إنما الإسلام في الصحـرا اتقد   ليجـيء كل مسلـم أسـد
في ضميرى دائمـا صـوت النبي   آمـرا : جاهـد وكابـد واتـعب
صائحـا : غالب وطـالب وادأب   صارخـا : كن أبـداً حراً أبي
كن سواء ما اختفى ، ومـا علـن   كن قويـا بالضمير والبـدن
كن عزيـزا بالعشير والوطـن   كن عظيمـا في الشعوب والزمـن

● ● ●

رب بالإسلام قد هديتنـي   رب من نورك قد آتيتنـي
فعلى العهـد ما أحييتنـي   أحرس الكنز الـذى وهبتنـي
أو أمـوت دونـه موت البطل   ثابتـا أحيـا بقلـب من جبـل
نيرا أحيـا بروح من شعل   جاهـداً أحيـا بجسم من عمـل

مِنْ وَحْيِ الأُمُومَة

للشاعرة جليلة رضا

من نبع قلبى ومن دمع الهوى الجارى ... ومن مداد دمى ... من قلبى النارى
رسمت ، لوحة حبّ ، كان من زمن ... قد حطّمته يدى فى ليل أقدارى
ولم أشأ أن أراعى فى الهوى ثمنا ... أو أحرم الحبّ من عطفى وإيثارى
فجئته بضيا عينى وبهجتها ... حتى يرى أفقه فى ظل أبصارى
ورحت أرسم تاجا فوق هامته ... ومن دعائى وآمالى وأشعارى
وخشية الريح أن يمتد ساعدها ... فيمحو الرسم فى لطم وتزآر
أحطته بإطار صغت أضلعه ... من الوفاء ومن عزمى وإصرارى
وإذ بدا الرسم تياها برونقه ... ولم يعد فيه من عيب وأوزار
عودته بدعاء الروح بارئها ... حتى يبوح بأشواقى وأسرارى
وقلت عد لى فإن النفس موحشة ... وأنت لحن حياتى .. أنت قيثارى
ورحت أرقب رسمى فوق « لوحته » ... وأرهف السمع كى أحظى بأخبار

● ● ●

وران صمت على الأجواء مستتر ... وظلت غفوة عينى بإنكار
ثم انتبهت فإذا بالضوء منهمر ... يندى عبيرا فمن ورد وأزهار
وراعنى ما رأت عيناى فى دهش ... رسما تبسم لى ..! يا قدرة البارى
رسما تبدل أنثى فى ملامحها ... خفرُ العذارى .. وحسن هادىء سارى
أنثى تراءت كأن الله أودعها ... سرّ الملائك من طهر وأنوار
تقطر النور تقطيرا جدائلها ... وتنثر الورد كفاها بمدرار
وتحت أقدامها تجرى مسلسلة ... جداول الماء فى تيار أنهار
ثم انثنت بجناحيها مرفرفة ... حولى مترنمة فى همس أطيار
أنا الأمومة لا حب يجاينى ... ولا بحال يحاكى حسنى العارى

● ● ●

وحينذاك خفضت الطرف خاشعة ... وفى ... أسبح فى حمد وإكبار

قلق الأشواق

من وحي المولد النبوي الشريف

شعر: إبراهيم عيسى

طاف بالأرض ظلامٌ كافرُ القلب غوى
كفَّنَ الليلُ ضحاه .. وهدى كل شقي
وانتشى كلُّ جهولٍ من ضلال أزلي
وانحنى للاتِ والعُزى ضعيفٌ وقوى
وطغت أغلالُ رِقٍّ تفرضُ الذلَّ الكمي
ظلمةٌ في النفس ما أبقت مع الخير تقي
أزهرَ الشرُّ وغنّاه غرورٌ آدمي
فسرت روحٌ من الله بإشعاع سني
وأتى نورٌ من الرحمن في طفلٍ نقي
أي نورٍ طاف في مكة من هذا الصبي
ونما .. حتى غدا بدراً .. بأفقٍ هاشمي
خطوة .. شلال ضوءٍ في ظلامٍ وَثَني
قولة .. أنهارُ ظِلٍّ في هجيرٍ بشري
رأيه .. شط غديرٍ لشروقٍ وظمي
اصطفاه الله ينبوعاً لنورٍ أبدي
فهمى غيثٌ من الرحمةِ والخيرِ الندي
من ضياءٍ عانق الأكوانَ لله العلي
من تراتيم الهُدى في لجةِ الليلِ المضي
جئتنا يا خاتمَ الرسل .. ويا خير نبي
جئتنا بالكون مسطوراً .. ومقروءاً .. ووحي
تغرس الإيمانَ في الروح بوحي قدسي
قبساً من فيض إيمانك يطوى البيد طي
تنجي الإنسانَ بالأمنِ على الموج العتي
فتمزقنا .. وعلقنا .. في هُدى القلبِ الرضي
والزمانُ الكهلُ .. أضحى بين أيدينا فتي
إنما دارت بنا الدنيا وذُقنا الويلَ كي
أمةُ الإسلامِ صارت في زمانٍ بربري
كلُّ جبارٍ بها أمسى كبركانٍ بغي
دنسُ الحقدِ ضلالُ السامري

هو تابوتٌ من الليل .. ينادينا إلى

وبنو الإسلام تاهوا فى الزمان الهمجىّ

سفحوا النورَ وعاشوا فى أسى ظُلْم دجىّ

والدمُ المُسْلمُ حِلٌّ بيد المسلم ... غَنِىّ

آهِ يا قابيل .. قد علّمتنى قتل أخى

وعجبنا كلما نادى فتى : يا عربى

وكأنّا لعنة أو عورة فى كلّ حَىّ

عربىٌّ !! بالجرح نازف تحت السعى

والضحى يرسف فى أغلال جبارٍ غبى

سيدى .. ياخيرَ خلقِ الله .. والنور النبى

أدرك الحق فقد أوشك أن يمحوه غىّ

بانيىَ .. كلُ خيرٍ أنت فيه كلُّ شىء

ياحبيبى ... جُد بفضلٍ هو للظمآنِ رِىّ

قلقُ الأشواقِ فى صدرى دعاءٌ ودوىّ

فاجتبنى .. واحتوينى .. فأنا قلبٌ نجىّ

حنَّ قلبى لحبيبى .. وارتوى مِنْ عبقرىّ

إنْ أنلْ قربك أهتف : أىُّ قُرْبٍ بِكَ أىّ

ويقينى .. يقينى فيكم فضل علىّ

واحتراقى فى جراحٍ يكشف السرَّ الخفىّ

يا فؤادى .. كم أنادى ... فاستمع صوت الرضىّ

قل لروحى .. لا تبوحى .. وكفى بالشوق عىّ

فاحتراق .. فى اشتياق .. آه ما أحلا الهُوىّ

يارسول النور إنى صرت من ذكرك حىّ

أنت فى قلبى قلبٌ .. ورنا فى مقلتىّ

أنت فى روحى كل .. وأنا جزء صبى

لك أنساك حياةً .. آلآنا .. أنساك وَىْ ؟

فأنا أهواك قلباً وصفاءً وصفىّ

وأنا أهواك فضلاً وعطاءً سرمدىّ

وأنا أهواك إيماناً وإشراقاً وفىّ

وأنا أهواك نوراً للبرايا .. يانبىّ

والهوى ما كان منى .. إنه منكم إلىّ

العلوم الكونية

من دلائل القدرة الإلهية فى تنوع الأصوات

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

مقـــدمة :

إن التنوع فى خلق الكائنات دليل من دلائل القدرة الالهية ، ومن كانت عقيدته هى التوحيد الإسلامى ، فإنه يعنى دائماً بالبحث عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع ، كما أنه يجد فى نفسه دافعاً أقوى مما يجد سواه نحو الكشف عن محور الوحدانية من خلال مظاهر التنوع والكثرة ، إيماناً منه بأن كل ما فى الكون من موجودات وسنن مستمد من إرادة الخالق ومتوقف عليها ، ولنا فى قصة خلق السلالات البشرية من نفس واحدة أوضح برهان وأقوى دليل على قدرة الخالق ووحدانيته ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١) .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل التنوع فى السلالات البشرية من ذرية آدم ـ عليه السلام ـ حتى يسهل التعارف بينهم ، فإنه ـ سبحانه ـ جعل معيار التفضيل عنده لايكون إلا بالتقوى ، مصداقاً لقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢) .

(١) سورة النساء : ١ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .



وقد أشار القرآن الكريم فى مواضع كثيرة إلى ضروب مختلفة من تنوع المخلوقات فى عالم الأحياء وعالم الجماد على حد سواء ، من ذلك قوله تعالى :

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(٣) **ويوافق هذه الآية الكريمة ماأكده أهل الاختصاص فى علوم الأحياء ، الذين يدرسون كل مايتعلق بالحياة الاجتماعية لكل حيوان يسعى فى الأرض أو يطير فى السماء ، من أن الكائنات الحية شعوب وقبائل وأمم تربطها صلات وعلاقات وثيقة ، فهى لاتختلف فى أسلوب حياتها ونشاطها عن أمم الجنس البشرى الذى يعمر الأرض إلا بقدر مايميزها عن باقى الأنواع فى عالم الأحياء .**

والمتأمل فى جنبات الكون الفسيح يجد من صور التنوع مايشمل الأجناس والألوان والأشكال والطبائع والغرائز والعادات واللغات والأصوات وغير ذلك .

تنوع الأصوات :

التنوع فى أصوات الكائنات آية تستوجب التأمل والتفكر ، فهناك العديد من الأصوات المتباينة التى تطرق أسماعنا فى حياتنا اليومية ليلاً ونهاراً ، وهى تنتقل إلينا على شكل تموجات تضاغطية تنشأ عن اهتزاز الأجسام المسببة لها ، على نحو ما نجد فى وتر العود أو الكمان ، أو فى الأوتار الصوتية عند الإنسان . وعندما تقع الموجات الصوتية على « طبلة الأذن » فإنها تؤدى إلى اهتزازها ، ويكون الإنسان قادراً على سماعها والتمييز بينها إذا كان تردد ذبذباتها فى المدى ٢٠ و ٢٠٠٠٠ هرتز(٤) ، وهو مدى الاستجابة الترددية للأذن البشرية العادية ، أو المدى المسموع Audible range .

أما الأصوات ذات الترددات الأعلى من ٢٠ ألف هرتز ، وتعرف بالموجات فوق السمعية Ultrasonic waves ، وكذا الأصوات ذات التردد الأقل من ٢٠ هرتز ، وتعرف بالموجات تحت السمعية Infrasonic waves ، فإن الأذن البشرية لاتستطيع سماعها على الاطلاق .

ويختلف المدى السمعى من شخص لآخر ، فهو يتراوح عند الشبان البالغين مثلا بين ١٦ و ١٥٠٠٠ هرتز ، بينما يستطيع الأطفال سماع ترددات تصل إلى ٢٠٠٠٠ هرتز أو أكثر ، أما كبار السن فإنهم لايستطيعون سماع أصوات يزيد ترددها على ٣٠٠٠ هرتز . وفى جميع الأحوال تقل القدرة على سماع الأصوات ذات الترددات العالية مع تقدم العمر نتيجة التعرض المستمر للضجيج والضوضاء فى المساكن وأماكن العمل ، وإحساس الأذن بالصوت يماثل الى درجة كبيرة احساس العين بالموجات الضوئية ، فنحن نستطيع رؤية

---

(٣) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٤) الهرتز HWRTZ وحدة تستخدم لقياس التردد الموجى ، وقد اختيرت بهذا الاسم تخليدا لذكرى الفيزيائى الشهير « هيرتز » الذى عرف بأبحاثه فى دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية وعادة ما نسمع عن البث الاذاعى بوحدات أكبر لقياس تردد الموجات ، أو عدد الذبذبات فى الثانية ، مثل الكيلوهرتز ، الذى يساوى ألف هرتز ، والميجاهرتز (أو الميجاسيكل) الذى يساوى مليون ذبذبة فى الثانية .

جميع درجات ألوان الطيف التى تصل إلى أعيننا ونميز منها الأشعة الحمراء والصفراء والبرتقالية والخضراء والزرقاء والنيلية والبنفسجية وهى ألوان ما يسمى «قوس قزح» السبعة التى نراها عادة فى الأفق بعد سطوع الشمس فى يوم مطير، أما الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية فلا يمكن للعين البشرية رؤيتها، مع أنها موجودة فعلا مع الأشعة الملونة لألوان الطيف المرئى، وذلك لأن ترددها تقع خارج حدود المدى المسموح للإحساس بالرؤية.

وهكذا يتضح لنا أن هناك أصواتاً مسموعة وأصواتا أخرى غير مسموعة مثلما أن هناك ألوانا مرئية وألوانا أخرى غير مرئية. وقد تكون الأصوات المسموعة جيدة يطرب لها الإنسان مثل صوت العود والناى والكمان وغيرها من الآلات الموسيقية، ومثل صوت البلبل والكروان وغيرهما من الطيور المغردة أو تكون هناك أصوات قبيحة ومنفرة تتأذى الأذن من سماعها، على نحو ما نجد فى «عواء الذئب» أو «نباح الكلب» أو «نهيق الحمار» الذى وصفه القرآن الكريم بأنه أنكر الأصوات على الإطلاق، وذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٥].

تنوع أصوات الحيوانات:

كان لعلماء الحضارة الإسلامية دور رائد فى تصنيف الحيوانات بحسب الأصوات التى تحدثها إلى: حيوانات ذوات الرئة، وهى التى تختلف أصواتها باختلاف أطوال أعناقها وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها الهواء وقوة دفع أنفاسها من أفواهها ومناخرها، وحيوانات ليس لها رئة، ولكن لها أجنحة كالزنابير، وهى التى تحدث الأصوات نتيجة لتحرك الهواء بالأجنحة، وحيوانات ليس لها رئة ولا أجنحة كالديدان والسلاحف، وهى تسمى الحيوانات (الخرس)، وتختلف الأصوات التى تحدثها باختلاف يبسها وصلابتها.

وفى كتاب «الحيوان» صنف الجاحظ الحيوانات بحسب أصواتها المعروفة فى اللغة العربية، فذكر أن من الحيوان الأعجم ما يرغو ويثغو وينهق ويصهل ويشحج ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفر ويهدر ويصوصى ويقوق ويتعب ويزأر ويبح.

وفى معظم الحيوانات الثدية الكبيرة، كالأسود والخيول والأغنام، تصدر الأصوات المميزة لكل منها عن طريق «عضو الصوت» الذى يشبه إلى حد ما حنجرة الإنسان وهو يوجد فى مقدمة القصبة الهوائية بعد تجويف الفم مباشرة، ويحتوى بداخله على «الأوتار الصوتية» التى تحدث تموجات الصوت عند اهتزازها.

أما الطيور على اختلاف أنواعها فقد أمدها الله سبحانه وتعالى بحنجرة مميزة تقع عند الجزء الأسفل من القصبة الهوائية بالقرب من الرئتين، وينتج عن وجودها فى هذا المكان العميق داخل الصدر أن تمر الأصوات التى تصدر عنها قبل انطلاقها إلى الخارج

(٥) سورة لقمان: ١٩.



عبر القصبة الهوائية بأكملها ، مما يجعل هذه الأصوات أكثر قوة ونقاء .

وبالنسبة للحشرات ، كالذباب والبعوض والجراد ، فلا توجد لديها حنجرة على الاطلاق ، ومع هذا فإن لكل منها صوتاً مميزاً ينتج فى أغلب الأحيان عن طريق حك الأرجل الخلفية بالأجنحة[6] .

ومن لطائف البحث العلمي الحديث فى هذا المجال أن علماء الحشرات كشفوا عن أكثر من ألفى (٢٠٠٠) نوع من « صراصير الغيط » لكل منها صوت لايفهمه أفراد الأنواع الأخرى ، وتلبى الأنثى نداء الذكر عندما تسمع الصوت الذى يصدره على بعد كيلو مترين ، وهناك نوع من الصراصير لايكف عن اصدار أصواته طوال ليالى الصيف ، حيث يكون النهار بمثابة فترة راحة له . ومن الاعجاز الإلهى الواضح فى خلق هذا النوع أنه يتمتع بأجنحة قوية تتحمل الاحتكاك لآلاف المرات لإصدار الصوت الخاص بها .

التخاطب بوسائل غير صوتية :

ليس بالضرورة أن يتم التخاطب عن طريق الصوت ، فقد عرف الانسان وسائل عديدة للاتصال ، كذلك أثبت العلم الحديث أن العديد من أنواع الحيوانات تتفاهم بوسائل مختلفة غير صوتية ذات دلالات خاصة ، وتظهر هذه الحقيقة واضحة جلية فى عالم الحشرات على وجه الخصوص .

فعلى سبيل المثال ، لاحظ الباحثون فى سلوك الحشرات ان جنود النمل الأبيض تضرب برؤوسها الكبيرة جدران الأنفاق إذا شعرت بهجوم على عشها أو أحست بأى خطر يتهددها ، فيفهم هذا التحذير باقى أفراد النوع ، ويأخذ كل حذره من الخطر المحدق به ، وهناك حشرات من رتبة الخنافس تسمى « ذباب النار » ، تعيش فى أواسط أفريقيا وأمريكا لها القدرة على إصدار ضوء قوى عبر غدد تقع فى الحلقات الخلفية من بطنها ، ويمكن رؤية هذا الضوء من مسافات بعيدة ، فهى أشبه بطاريات صغيرة تتحكم الانثى فى اضاءتها وإطفائها عن طريق أحبال عصبية كلما شاءت فتأتى اليها الذكور . وفى بعض الأحيان يوجد لدى الذكر بطارية حية فى بطنه ليعلن للأنثى عن مكانه ولايحدث هذا النوع من التخاطب إلا بين الإناث والذكور التابعة لنفس النوع من الحشرات .

ولعل أكثر اللغات شيوعاً فى عالم الحشرات هى اللغة الكيميائية التى يتم التحكم فيها بواسطة أجهزة إرسال واستقبال متقدمة تماثل عملية نقل وتبادل المعلومات عن طريق « الشفرة » . أما أجهزة الإرسال فهى مكونة من غدد متخصصة على جسم الحشرات لإفراز مركبات كيميائية متطايرة متنوعة التركيب ومختلفة الأغراض ، ولكل منها مغزى معين لدى أفراد النوع الواحد . ويتم استقبال هذه المواد المتطايرة بواسطة جهاز مكون من شعيرات حسية متصلة بالجهاز العصبى للحشرة ، حيث يتم ترجمة الاشارات الكيميائية وتحديد الغرض منها ونوع الاستجابة المطلوبة .

ومن المركبات الكيميائية المعروفة التى تستخدمها الحشرات كوسيلة غير صوتية للتخاطب فيما بينها مواد تسمى « الفرمونات

---

(٦) د . محمد رشاد الطوبى ، « بسم الله الرحمن الرحيم وبث فيها من كل دابة » ، دار المعارف سلسلة اقرأ ٥٣٨ بدون تاريخ النشر

الجنسية » ، تفرزها الأنثى لتدل الذكر على مكانها والاتجاه نحوها دون أن يخطئها الى غيرها حتى فى الظلام ، بل إن إناث الحشرات تفرز أيضا مواد أخرى لتنشيط الذكر وإثارته عن اقترابه منها ، وقد لوحظ أن بعض الفراشات تصدر رائحة مميزة تجذب الذكور من مسافات بعيدة تصل إلى خمسة كيلو مترات ، ومن العجيب أن تفقد الأنثى القدرة على اجتذاب الذكور عندما يتم التلقيح .

والنحل الذى يهاجم من يقترب من خليته يفرز مادة متطايرة فى مكان اللدغ على جسم الانسان تميز الشخص الذى تمت مهاجمته فيطارده باقى أفراد الخلية ، كما أن لكل خلية رائحة مميزة لها فلا تضل عنها الشغالات عند خروجها لجلب الغذاء ، وعندما تعود الى الخلية فإنها ترقص رقصات خاصة لتدل زميلاتها على مكان الغذاء .

وجماعات النمل أيضا تحدد مسارها الطويل ذهاباً وإياباً بواسطة إفرازات مميزة ، كما أن بعض أفراد النمل تفرز رائحة خاصة لتحذير باقى الأفراد من وجود خطر فى الطريق .

وقد كشف العلماء عن أسراب الجراد التى تهاجر من بلد لآخر فى أعداد هائلة تبلغ عدة ملايين منتظمة المسار ومحددة الاتجاه والمأوى ، تتبادل الأشارات الكيميائية مع تجمعات الجراد التى هبطت على الأرض لتنسق معها مكان الغذاء والمزروعات وتستدل منها على إمكانية الهبوط من عدمه . وقد توصل الباحثون حديثاً الى تصنيع بعض المركبات التى تفرزها الحشرات لاستخدامها فى التشويش على اتصالها مع بعضها حتى يمكن تضليلها والقضاء عليها بدلا من استعمال المبيدات السامة .

وهكذا يجد المتأمل دلائل واضحة على قدرة الخالق الواحد سبحانه وتعالى متجلية فى تنوع أصوات الكائنات وتنوع وسائل التخاطب غير الصوتية بين الحيوانات ، سواء عن طريق حركات معينة ، أو بإصدار إشارات ضوئية أو روائح مميزة ذات دلالات خاصة .

فسبحان الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى



الصحة الإنجابية

البروستاتا ومتاعبها

للدكتور/ أحمد رجائى عبدالحميد

«فى حديث بين رئيس التحرير وسيادة الدكتور أحمد رجائى عبدالحميد مدرس الصحة الإنجابية بالمركز الدولى الإسلامى للبحوث والدراسات السكانية، وإخصائى أمراض النساء والتوليد ـ عن أثر المشاهد الجنسية (الفيلم الجنسى) على الشباب، ومدى ما يلحقه منه من ضرر، رأى سيادة الطبيب أن يتحدث حديثاً علمياً مستفيضاً فى هذا الموضوع تبصرة وتوعية وثقافة، فكان هذا الموضوع».

البروستاتا ومتاعبها:

تقع غدة «البروستاتا» «الموثة» أسفل المثانة البولية ويخترقها مجرى البول عند خروجه من المثانة وهذه الغدة تقع أمام المستقيم الشرجى مباشرة ولذلك يمكن فحصها عن طريقه. وهى تتكون من ثلاثة فصوص، إثنان جانبيان والثالث فى الوسط.

تزن «البروستاتا» حوالى ٢٠ جم، وتتكون من ٣٠ ـ ٥٠ غدة، وتفتح فى مجرى البول بواسطة ١٥ ـ ٣٠ قناة.

وظائف البروستاتا:

تفرز البروستاتا حوالى ٣٠٪ من السائل المنوى، وهذا الجزء يحتوى على «أنزيمات» تساهم فى حركة ونشاط الحيوانات المنوية، كما تحتوى غدة «البروستاتا» على ألياف عضلية تتحكم بها فى مرور البول والمنى. ففى الأحوال العادية يكون

مجرى البول متسعا ليسمح بمرور البول ، أما عند الإثارة الجنسية فإن هذه الألياف العضلية تنقبض لتغلق الجزء العلوى من مجرى البول لتسمح بمرور المنى ـ وحده ـ فلا يختلط بالبول .

التغيرات الطبيعية للبروستاتا :

عند البلوغ تؤثر الهرمونات الذكرية فى غدة « البروستاتا » وتساعد على نضجها فى حوالى سن (العشرين) ، ثم لاتحدث أى تغيرات فسيولوجية تذكر ، ولكن بعد سن الأربعين تبدأ بعض الحويصلات فى التكون فتنمو وتكبر .

تضخم البروستاتا :

تتضخم البروستاتا ويكون تضخمها : حميداً ، أو التهابياً ، أو خبيثاً .

١ ـ التضخم الحميد : ومنه نوعان

(أ) نوع يكبر فيه حجم الخلايا التى تكون نسيج الغدة نفسها .

(ب) نوع تتكاثر فيه الخلايا فيزيد عددها .

ومن أهم المناطق التى تكون أكثر عرضة للتضخم المنطقة المحيطة بمجرى البول مما يزيد من فرص الاحتباس البولى .

٢ ـ التهاب « البروستاتا » المزمن :

وهذا النوع يحدث نتيجة للاصابات المتكررة بالالتهابات الحادة وتلك الالتهابات التى لا يتم علاجها تماما ـ غالباً .

٣ ـ سرطان « البروستاتا » :

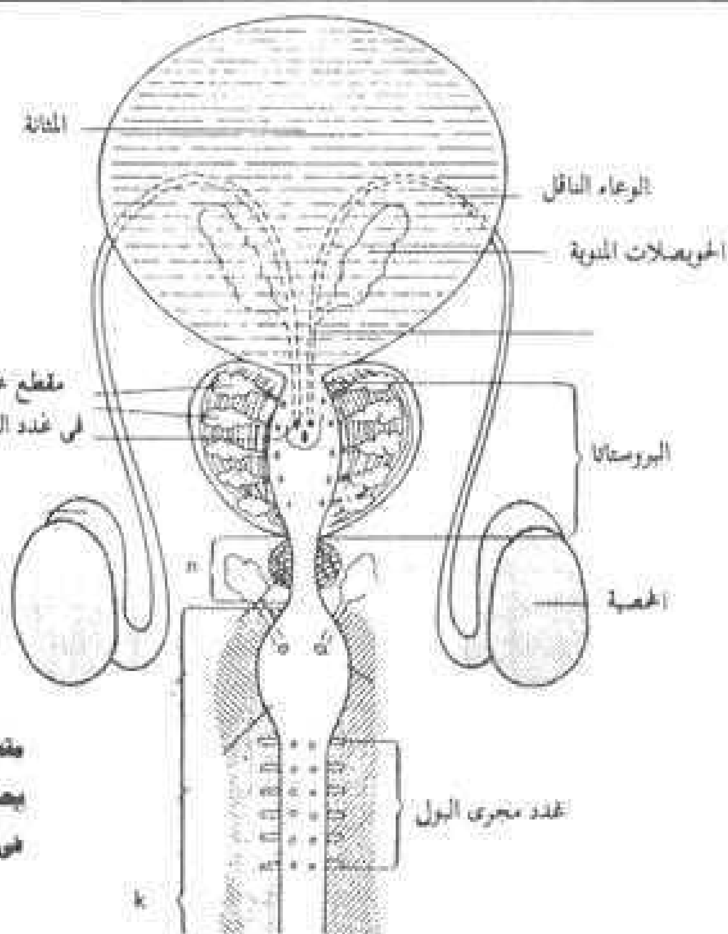
وفى هذا النوع يبدأ الورم عادة فى الأجزاء الطرفية بعيداً عن مجرى البول ومع النمو البطىء للخلايا السرطانية لايشكو المريض من أية أعراض (وأهمها احتباس البول) إلا فى المراحل المتأخرة أى عندما يكون الورم السرطانى قد انتشر تماما فى « البروستاتا » حتى يصل إلى مجرى البول .

احتقان « البروستاتا » : Congestion

يحدث هذا الاحتقان إما عن طريق كثرة ممارسة مايسمى (العادة السرية) ، وقد عولج هذا الأمر فى الماضى بطريقة مبالغ فيها وقد يؤدى هذا الاحتقان إلى سرعة القذف والضعف الجنسى .

ويحدث الاحتقان أيضا عن طريق الإثارة الجنسية المتكررة بدون إنزال . وهذا محتمل الحدوث هذه الأيام بالذات ، وذلك لكثرة انتشار « افلام » الإثارة وسهولة الوصول إليها ، مضافاً إلى ذلك مجلات العرى والإباحية ، وغيرها ، وبخاصة مع انتشار قنوات « الدش » وأفلام الفيديو ، وضعف الرقابة على هذه الوسائل .

وكذلك تفقد البروستاتا مرونتها عند كبار السن فتتصلب أليافها العضلية وتسبب الاحتقان .



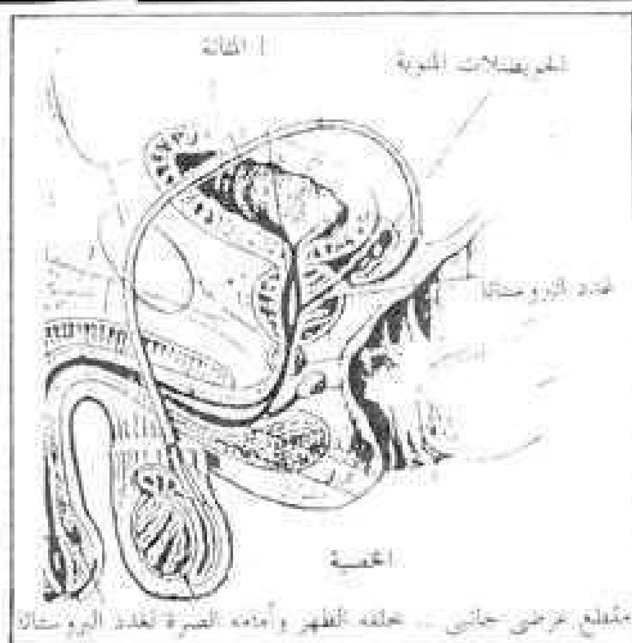
مقطع عرضي
بعرض البطن
في غدد البروستاتا

أعراض الاحتقان والتضخم :

هناك أعراض كثيرة منها كثرة الرغبة في التبول ، ونزول البول بصورة متقطعة ، وعدم التحكم في البول فقد يبدأ نزوله قبل الوصول إلى دورة المياه ، كما يحدث التنقيط بعد انتهاء التبول وأخيراً احتباس البول وحرقان أثناء التبول ، كما يشعر المريض بأنه لايزال يريد التبول ، وأن هناك بولاً محتجزاً في المثانة ، كما ينزل البول متفرقاً ويقل تدفقه ، وتبقى كميات من البول محتجزة داخل المثانة ـ فعلاً ـ وكلما تراكم البول داخل المثانة حدثت التهابات وتكونت حصوات مما يزيد الأمر سوءاً حيث إن هذه الحصوات قد تسد مجرى البول بدورها .

وإذا لم يتم علاج تضخم البروستاتا فإن أعراض الاحتباس البولي تزداد وتضغط على الحالب والكلى ، ويزداد تكون حصوات المثانة ، كما يزداد احتقان البروستاتا مما يسبب انفجار الأوردة المحتقنة ، وذلك يؤدى إلى نزول دم مع البول .

كذلك قد يحدث احتباس بولي حاد مما يستلزم إدخال قسطرة (أنبوب رفيع معقم) لإفراغ



مقطع عرضي جانبي .. خلفه الظهر وأمامه العجزة لغدد البروستاتا

صورة تبين مكان البروستاتا

المثانة . وإذا تفاقمت الحالة وأهمل علاجها فإن الكلى تبدأ فى التأثر مما يؤدى إلى ارتفاع نسبة (البولينا) فى الدم ، وارتفاع (ضغط الدم) ، و (الفشل الكلوى) .

أما عن الرغبة الجنسية فإنها تزداد عند بداية تضخم البروستاتا ، وإذا لم يتم علاج هذا التضخم فإنه يؤدى إلى فقدان الرغبة فى الجنس ، ثم ينتهى بالعنة : (عدم الإنتشار) .

البروستاتا والضعف الجنسى :

كثيراً ما تلام البروستاتا كسبب للضعف الجنسى بعد سن الأربعين ، وهذا خطأ حيث أن ٩٠٪ من أسباب الضعف الجنسى بعد سن الأربعين هى – فى الواقع – أسباب نفسية ، ونسبة الـ ١٠٪ الباقية تكون عضوية بسبب الإصابة بمرض السكر أو تضخم البروستاتا ، وكذلك إدمان الخمور والإفراط فى التدخين .

وهذه الحالة تؤدى إلى إحساس الشخص بالرغبة فى الجنس دون أن تكون عنده القدرة على مزاولته .

العلاج :

الوقاية أهم الأمور فى هذا الموضوع وذلك بالأعتدال الجنسى ، وكذلك إذا كانت هناك رغبة حقيقية فى الجنس فعلى الإنسان تحقيقها إذا كان متزوجاً ، وعليه البعد عن أية إثارة إذا لم يكن كذلك .

أما العلاج فهناك علاج جراحى أو دوائى . والعلاج الجراحى يتم بعدة طرق أهمها إزالة البروستاتا عن طريق فتح البطن ، أو عن طريق المنظار .

أما العلاج الدوائى فيتم عن طريق بعض العقاقير التى تؤدى إلى إراحة العضلات الملساء التى تحيط بمجرى البول ، أو مضادات الهرمونات الذكرية .

الرياضيات علم العلوم
(١)

بقلم د. عبد الرحمن أحمد السمان

مدرس الرياضيات - بكلية العلوم (بنين) - جامعة الأزهر

يهاب كثير من المثقفين ذكر الرياضيات فى مجالسهم وترجع هذه الرهبة إلى ما استقر فى وجدانهم من صعوبة الرياضيات كمادة دراسية ، وليس لهذا الخوف سبب معقول لأن العلوم جميعها خلقت سهلة ميسرة ، ولكن المشقة تدخل عادة الى حرم أحد العلوم على أيدى غير المتمكنين من تدريسه أو على يدى من لم يتذوق علوم من سبقوه فترى علمه أجوفا ، يتلقاه المتعلم بشىء من الشك والارتياب فاذا كان المتعلم ضعيف الإرادة مشوش التفكير استقر فى نفسه الحكم بصعوبة المادة .

والعلوم جميعها كائنات ذات جسد وروح فالجسد مجموعة القواعد التى تشكل الهيكل التنظيمى للعلم أما الروح فهى المعانى والمقاصد التى ترمى إليها تلك القواعد والقوانين .

وأى علم - بهذا المفهوم - هو كائن مضىء سواء استمد إضاءته من وحى سماوى كعلوم التشريع الإلهى والهدى النبوى ، أو كانت علوما دنيوية ناتجة عن الأخذ بالأسباب المادية والعقلية فى مجال نفاذية هذه الأسباب وإطار فعاليتها فى الكون ، وهى بهذا الطريق أيضا ذات صلة وثيقة بالهدى الإلهى .

والمتأمل فى هذا الكون

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) ﴾

سورة يونس

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ العنكبوت

وفى عالم الكائنات الحية على وجه الخصوص نجد أن الله - تعالى - أودعها واحدا من أسراره هو قدرتها على استقبال المعرفة والانتفاع بها ، وبتميز الإنسان على سائر المخلوقات بأن الله - سبحانه - علم أباه آدم

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

سورة البقرة - آية : ٣١ - ٣٢

من هنا نجد أن تعلّم الرياضيات أو غيرها من العلوم ليس صعبا . كما أن صرامة علوم الرياضيات وما فيها من منطق وعقلانية لا ينبغى أن تفتن المسلم عن دينه كما يفعل بعض الجهلاء الذين يختلقون صراعا بين العلم والدين .

وعلى الجانب المضىء من مزج الفكر والإيمان بالله على بصيرة . نقول إن : الرياضيات هى علم التقنين ، وإذا ذكرت الرياضيات يقفز إلى الذهن عالم المسائل والمشاكل استعدادا للبحث عن حلول لها ، ونظرا لأن حياة الكائنات فى هذا الكون هى مسألة أمام العقل البشرى ، فإن للرياضيات دوراً أساسيًا فى معالجتها واستخلاص الحلول لها ثم إسقاط هذه الحلول على مجال طبيعة المسألة .

وقد يتطلب ذلك بناء الأجهزة أو إنشاء المعامل وإقامة صروح البحث لإنتاج التقنيات وتطويرها .

وأساس الرياضيات فى الأزمنة الغابرة هو علم الحساب القائم على العد والإحصاء وما تبع ذلك من ابتكار نظم الأعداد واختراع (الصفر) ، ومسايرةً لتطور وسائل العيش ورغبةً من الإنسان فى الاستفادة القصوى من عناصر بيئته قام بحساب ما تحمله الأنهار من المياه فأنشأ من أجل ذلك السدود والمقاييس وتطلب ذلك إلمامًا ومعرفة بقواعد علم الهندسة الذى يقوم على عدة مفاهيم هى النقطة ، والمستقيم ، والمستوى ، والمعمور (الفراغ Space) الثلاثى . وتشهد على ذلك الحضارة التى قامت على ضفاف نهر النيل على سبيل المثال . وجدير بالذكر أن علماء المسلمين فى عصور النهضة الإسلامية قد أثروا الرياضيات بكثير من المفاهيم المبتكرة بعد دراستهم لعلوم الإغريق واليونان ، ولا يزال تراثهم فى الأندلس شاهدا على ما قدموه للبشرية من إسهامات أقام عليها الغرب خلال القرون الثلاث المنصرمة حضارته التى يزهو بها على المسلمين ؛ بل ويرميهم بالتخلف .

والذى يعنينا فى المقام الأول هو صورة الرياضيات فى العصر الحديث حتى يمكننا التعرف على آفاق الاستفادة من مختلف الفروع .

قبل مائتى عام ــ أو تزيد ــ أدخلت فكرة التجريد على علمى الجبر والهندسة فيما سمى بالرياضيات الحديثة ، وتنقسم الرياضيات إلى فرعين متمايزين هما : الرياضيات البحتة (Pure Mathematics) والرياضيات التطبيقية (Applied Mathematics) ، ويقوم الفرع الأول على فكرة التجريد التى هى استخدام المصطلحات بأوسع دلالة لها .

فكما نقول عن كلمة (الحج) فى اللغة إنها (القصد) فأى قصد يسمى حجا بينما تعنى هذه الكلمة شرعًا قصدا معينًا هو : قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج الذى هو ركن من أركان الإسلام .

وفى الرياضيات إذا قلنا إن (س) هى مجموعة فإننا نعنى أى طائفة من مفردات (تسمى عناصر) ذات صفات مشتركة محددة . ويلاحظ أن التعريف عام ويتسع لأى تجمع أى أنه يحمل معنى مجرداً من الخصوصية . وفائدة فكرة

التجريد هذه أننا نستطيع إسقاط الحقائق أو القواعد أو الأفكار التى تدخلها على المفهوم العام على أى مفهـوم خاص طالما كان متدرجـاً تحت المفهوم العام .

أما الشطر الثانى ـ وهو الرياضيات التطبيقية ؛ فهو القسم الذى يهتم أهله بحلول مشاكل الحياة العملية فى مختلف المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والسياسية والعسكرية مستخدمين كثيراً من فروع الرياضيات البحتة كوسائل لحلول هذه المشاكل بعد صياغتها رياضيا .

أى أن الرياضى التطبيقى (The Applied Mathematician) لابـد له من الإلمام بالرياضيات البحتة ، لأنها وسيلته للصياغة والحل ، ويضاف لذلك علمه بطبيعة المسألة التى يعالجها حتى يمكنه وضع الفروض المناسبة وقبول الحلول المعقولة ورفض الحلول غير المعقولة ، التى تتولد عن المعالجة الرياضية البحتة .

وفيما يلى نتعرض لعدد من المفاهيم الرياضية قاصدين الأخذ بيد القارىء إلى دائرة المعارف الرياضية حتى يألف هذه المفاهيم ويعتاد على طريقة بناء فكر رياضى أساسه المنطق ، ولعل الأسلوب الأمثل لعرض أية فكرة أو مفهوم رياضى يقوم على الأركان الآتية :

١ ـ تعريف المفهوم . وذلك بعدة جمل جامعة مانعة .

٢ ـ ترجمة التعريف رمزيا بحيث يسمى المفهوم باسم رمزى يحمل المعنى ويصبح علما عليه .

٣ ـ ضرب مثال أو أكثر لهذا المفهوم .

وسوف نلجأ إلى مجالى اللغة العربية وعلوم الفقه ـ ما أمكن ذلك ـ حتى يمكننا إنشاء جسر بين علوم الرياضيات وبقية العلوم .

ونبدأ بمفهوم المجموعة (Set) : وهى أى تجمع من مفردات ذات صفة مشتركة محددة تسمى عناصر .

فمثلا أركان الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

فاذا سمينا هذه المجموعة (ر) ورمزنا لكل ركن بحرف ابجدى مناسب كأن نقول :

س : تعنى الشهادتين (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) .

ص : (إقامة الصلاة) .

ز : (إيتاء الزكاة) .

ض : (صوم رمضان) .

ع : (حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) .

فإننا نكتب ر = { س ، ص ، ز ، ض ، ع }

ويظهر ضرورة ترتيب ذكر العناصر لارتباط ذلك بحديث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأن اكتساب صفة الإسلام لايتحقق إلا بالأخذ بهذه العناصر مرتبة ومجتمعة ، وقد يكون الترتيب غير ضرورى فمثلا مجموعة المحرمات زواجا ليس من الضرورى وجودهن جميعا حتى يحرمن .

وإذا سألنا سائل هل صوم رمضان واحد من أركان الإسلام فإننا نقول : نعم ، إنه ينتمى إلى

مجموعة أركان الإسلام واختصاراً نكتب ص د ر وتقرأ صه تنتمي إلى ر) . وإذا سئلنا هل امتلاك بيت (ونرمز له بالرمز هـ) ركن من أركان الإسلام . فنقول : لا ونكتب هـ ∉ ر وعلى ذلك فالرمز ∈ يعني « انتماء » ، والرمز ∉ يعني « نفي الانتماء » والصفة المشتركة هنا هي أن أي واحد من المفردات هو ركن من أركان الإسلام .

وعندما تكون عناصر المجموعة كثيرة بحيث يصعب ذكرها واحدا واحدا فإننا نرمز لأي واحد منها برمز عام س مثلا ، ونكتب المجموعة بالصورة : ل = { س : حيث س أحد ألفاظ اللغة العربية } .

ونقصد من ذلك أن ل هي مجموعة ألفاظ العربية المفيد منها وغير المفيد . فعلى الرغم من إحصاء ألفاظ اللغة إلا أنه يصعب ذكرها ؛ لذا رمزنا بالرمز س لأي واحد منها ، وذكرنا صفته المميزة والمقصودة .

وعند ذكر مجموعة أعضاء الحواس في الرأس (ع) مثلا نلاحظ وجود عين يمنى وأخرى يسرى كما نجد أذنا يمنى وأخرى يسرى عندئذ يمكننا ترقيم الأعين والأذنين فنقول إن العين اليمنى ع، والعين اليسرى ع٢ والأذن اليمنى ق، والأذن اليسرى ق٢ ثم نكتب

ع = { أ ، ف ، ع، ، ع٢ ، ق، ، ق٢ } .

وعلى الرغم من مرونة تعريف المجموعة واتساعه إلا أننا نستخدم كلمة مجموعة لجماعة محددة بصفة معينة ، وهذا يدفعنا إلى ذكر طائفة من ألفاظ العربية التي تعني مجموعة أو جماعة ، حتى نتبين ثراء اللغة العربية ودقة أدائها .

ففي اللغة العربية : أمة ، طائفة ، فصيلة ، حزب ، زمرة ، ثلة ، شرذمة ، قبيلة ، قوم ، قبيل ، معشر ، فريق ، جيل ، رابطة ، نقابة ، جمعية ، طابور ، تابور ، طبقة ، فيلق ، كتيبة ، جيش ، فوج ، جمع ، جماعة ، عصابة ، عصبة ، مملكة ، جنس ، نوع ، صنف ، جالية ، عشيرة ، شيعة .

وفي التنزيل العزيز :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

الآية ١٤٣ / البقرة

والأمة : جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد ، تجمعهم صفات موروثة وأماني ومصالح مشتركة ، ولغة واحدة ، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ الآية ٢٠ / المزمل

الطائفة : جماعة من الناس تجمعهم مذهب أو رأي يتميزون به . أو هي الجزء والقطعة وفي علم الأحياء وحدة تصنيفية كالحشرات من الحيوان .

﴿ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة

الحزب : جماعة فيها قوة وصلابة ، أو كل قوم تشابهت أهواؤهم وأعمالهم .

﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

الآية ٨ / الملك

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ الآية ٢٢ / الفجر

الصف : جماعة من العسكر من ثمانمائة الى ألف .

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الواقعة

الثلة : الجماعة من الناس .

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

سورة الشعراء - آية : ٥٤

الشرذمة من الناس : الجماعة القليلة .

ومن دعاء المصطفى - صلى الله عليه وسلم - « اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم » .

العصابة : الجماعة من الناس أو الخيل .

﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ الآية ٤١ / غافر

القوم : الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

الآية ٢٧ / الأعراف

القبيل : الجيل ... الجامعة .. الأتباع

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ الآية ٣٣ / الرحمن

المعشر : طائفة من الناس .

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾

الآية ١٢٢ / التوبة

الفرقة : جماعة من الناس تشتمل على عدة طوائف .

﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ الآية ٧٦ / القصص

العصبة : الجماعة من الناس أو الخيل .

ويندرج تحت مسمى الرياضة البحتة عدة فروع هى الجبر ، والتحليل الحقيقى ، والتحليل المركب ، والتحليل العددى ، والتحليل الدالى والتوبولوجى ، والهندسة التحليلية والهندسة التفاضلية ، والهندسة الإقليدية (نسبة إلى إقليدس) والهندس غير الإقليدية ، والهندسة الجبرية . هذا بجانب التفاضل والتكامل ، والمعادلات التفاضلية العادية والجزئية .

كما يندرج تحت مسمى الرياضة التطبيقية عدة فروع هى الميكانيكا التقليدية غير النسبية والميكانيكا التقليدية النسبية ، وميكانيكا الكم غير النسبية وميكانيكا الكم النسبية . والميكانيكا الهندسية ، والميكانيكا التحليلية ، وميكانيكا الموائع الساكنة والمتحركة والمرونة ، ونظرية الكهرباء والمغناطيسية الساكنة والمتحركة (الكهروستاتيكا والالكتروديناميكا) النسبية وغير النسبية والميكانيكا السماوية وعلوم الحاسبات .

ونتيجة للتطور السريع والتقدم النشط فى مختلف فروع العلم فقد ماعت الفروق الحادة بين شطرى الرياضيات وتداخلت المفاهيم بين القسمين وهذا يدعو إلى ضرورة إعادة النظر فى الخطط البعيدة المدى لبرامج الدراسات العليا والبحوث حتى يمكن بناء فكر موسوعى للباحثين يقوم على قاعدة عريضة من المعرفة المتواصلة بدلا من التقوقع والانغلاق حتى يمكن إعداد جيل من العلماء قادر على الأخذ بمقود التقدم .

التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/عبد السلام إبراهيم ناصف

تمهيد :

بينما ينازع أهل الغرب أهل الشرق فيمن أسس بنيان علم الاجتماع ومن مهد لتعميم آرائه ونظرياته ، ومن له فضل السبق في هذا المضمار الإنسانى الرفيع ، متخذين من (دوركايم) مؤسسا له غامدين دور ابن خلدون فيما كتب فأبدع ـ تصر الولايات المتحدة الامريكية على دور « بارسونز » فى تأسيسه .

وإذا كان من بديهيات النظرة فى هذا العلم أن الأسرة نواة المجتمع وأن المجتمع ما هو إلا مجموع الأسر فى كل مكان ، وأن الشذوذ الاجتماعى يأتى غالبا من تكوين لا يتسم بالوضع الأسرى .. إذا كانت هذه هى الحقيقة ، فكيف نغفل عن دور الوالدين فيما ينشأنه فى الطفل فينمو عليه من خير أو شر ... وهل يستطيع أن ينكر ذلك أحد ..؟!

وإذا كانت هذه هى الحقيقة فكيف نغفل دور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين يقول : ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه ـ رواه البخارى .

فهل تقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحد فى مضمار الاجتماع ..؟!

وفى قوله صلوات الله وسلامه عليه ما يشفى الغلّة حول هذا المبحث الإنسانى الذى يحدد خطوات عملية التنشئة الاجتماعية وما لها من أثر فى تربية الإنسان وتفاعله مع أعضاء مجتمعه وتكيفه معهم وتقبله لمعتقداتهم ومبادئهم ومُثلهم بل وحمايتها والدفاع عنها ، وبذل النفس والثمرات من أجل الذود عنها .



يولد الطفل ولديه إمكانيات سلوكية متعددة ، ويقوم مجتمعه : بأفراده ومؤسساته بتدعيم وتنمية هذه الإمكانيات على نحو يتفق مع ثقافته .. فسلوك الفرد محصلة للتفاعل بين رافدين أساسيين هما خصائص الفرد البيولوجية (إمكانياته) والبيئة الاجتماعية .

لذا فإن عملية التنشئة الاجتماعية التى يقوم بها المجتمع لأطفاله الصغار من أهم العمليات التى تعمل على استمرارية المجتمع وتواصله وتحافظ على



وحدته وتماسكه بتزويد أفراده الصغار بأنماط السلوك الانسانية التى تميزه عن غيره من المجتمعات وبمعنى آخر فهى تحوله من « كائن بيولوجى »[1] إلى إنسان اجتماعى إذ هو يتعلم الأساليب التى تساعده على البقاء والمحافظة على حياته معتمداً على نفسه وإمكانياته لتحقق له شخصيته وإنسانيته فيمتص قيم مجتمعه وعاداته وتقاليده ليصبح عضواً منسجما فيه يتقبل أحكامه وأعرافه بل ويدافع عنها .

(فأطفال الغابة) تحتاج للتربية بعيداً عن التنشئة الاجتماعية حين يتركون فى عزلة مع الحيوانات بلا رعاية . فخصائصهم البيولوجية لا تمكنهم وحدها من اكتسابهم صفة الانسانية اذ لن يستطيعوا تنمية مهاراتهم اللغوية او الفكرية أو الحركية التى يتميز بها المجتمع الإنسانى نتيجة لعزلتهم عن التفاعل الاجتماعى مع بنى البشر .

وتقوم التنشئة الاجتماعية السليمة على التوازن بين حاجة الفرد ومطالب المجتمع فهو يكتسب من مجتمعه الاعتماد على نفسه والاتصال ببقية أفراد مجتمعه وإقامة علاقات ناجحة معهم بالتزامه بمعايير سلوكية طيبة والسير على مقتضاها فى مراحل حياته المتغيرة والمتطورة .

ومن ثم فالتنشئة الاجتماعية تتضمن تنمية وتدعيم أنماط سلوكية مرغوبة من جانب ؛ واقتلاع أنماط سلوكية غير مرغوب فيها لا تتناسب مع ثقافة المجتمع من جانب آخر .

ويختلف تأثير كل جماعة عن الأخرى فى حياة الفرد لكنها فى مجموعها تتحدد بالإطار الثقافى مهما اختلفت أساليبها فى عملية التنشئة الاجتماعية .

فالأسرة ـ التى تعتبر المؤسسة الأولى فى توفير فرص التفاعل الاجتماعى للفرد ـ هى البيئة الأولى التى يتم فيها تكوين نماذج السلوك المرغوب فيه اجتماعيا . حيث إنها تتميز بقوة الارتباطات العاطفية بين أفرادها التى تؤثر فى استجابة الفرد لعناصر التنشئة الاجتماعية فهو يتعلم أنماط سلوك التغذية والنظافة والعناية بصحته ثم يتعلم مهارات الاتصال الاجتماعى والمشاركة الاجتماعية كأساس لنجاحه فى علاقاته مع الآخرين . عن طريق التقليد والملاحظة والمشاركة والقدوة والرغبة فى الثواب والخوف من العقاب .

ولا تنتهى التنشئة الاجتماعية عند مرحلة معينة لكنها عملية مستمرة طوال حياة الفرد فلكل مرحلة أساليبها ومطالبها ولابد للفرد أن يتعلم أنماط سلوكها ويتكيف مع أعضائها وعاداتهم وسلوكهم . والفرد لا يأخذ فقط وإنما يضيف ويجدد ويطور ويغير . خاصة فى المراحل السنية التالية .

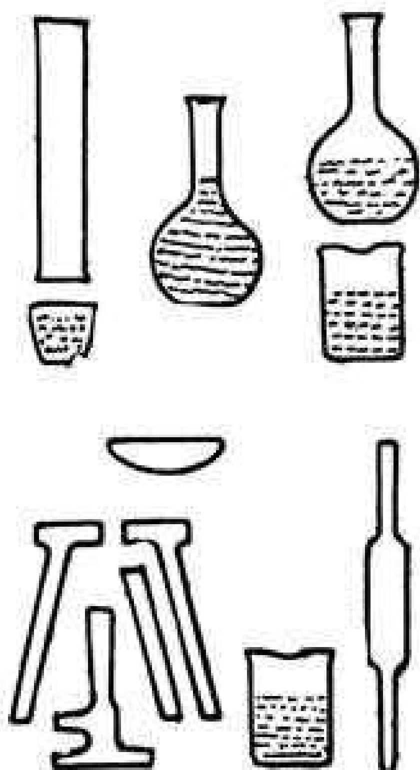
لذا يرجى من القائمين على عمليات التنشئة الاجتماعية أن يراعوا التدرج فى المستويات الخلقية المطلوبة لكل مرحلة من مراحل سنىّ الحياة والموازنة بينها وبين قدرات الطفل وإمكانياته دون مغالاة ودون تحيز أو تضارب حتى يشب الفرد منسجما متكيفا مع مجتمعه .

وسوف نواصل بيان الأنماط السلوكية الاسلامية للطفل فى كلماتنا القادمة .

« وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ مجدي السيد أحمد (*)



● الموجات الكهربائية للمخ لتشغيل الحاسب الآلي

أنتجت شركة أمريكية للتكنولوجيا برنامجا للحاسب الآلي يتم تشغيله عن بعد بالموجات الكهربائية للمخ ، وتعتمد هذه التقنية على فكرة رسام المخ الكهربائي الذي يسجل النبضات الكهربائية الدقيقة التي تحدث في المخ ، فعن طريق أقطاب مثبتة في طوق يوضع حول الرأس ترصد الموجات الكهربائية داخل المخ ، وتترجم التغيرات في هذه الموجات إلى تأثيرات تظهر على شاشة الحاسب الآلي ، ويمكن استخدام هذه التقنية في قيادة الطائرات بمجرد التفكير ، والتقاط نمط نشاط المخ بمجسات خاصة ونقله إلى الحاسب الآلي في غرفة القيادة وتتحرك تبعا له الطائرة ، وبنجاح هذه التقنية ستساعد الكثير من الطيارين المعاقين على قيادة الطائرات الحربية بمجرد النظر .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي ..

● خوذات (الكترونية) للممرضين لإسعاف المرضى

أعلنت إحدى الشركات البريطانية للاتصالات أنه فى غضون سنوات قلائل سيكون هناك متعاونون طبيون قادرون على فحص المصابين والتصرف الطبي بناء على تعليمات توجه إليهم عبر جهاز يربطهم بطبيب مختص فى إحدى المستشفيات المتخصصة ، والجهاز عبارة عن خوذة يرتديها رجال الإسعاف ومزودة بآلة تصوير وميكروفون ، ويتم نقل الصور واستفسارات رجال الإسعاف عبر الأقمار الصناعية إلى الطبيب المختص الذى يقوم بنقل إرشاداته الطبية إلى رجال الإسعاف دون الحاجة إلى تواجد الطبيب المختص فى مكان الحادث .

● أمراض يسببها الحاسب الآلى

تمكن فريق من الباحثين السويديين من التوصل إلى معرفة الأسباب التى تؤدى إلى أمراض الحاسب الآلى حيث تعود بالدرجة الأولى إلى الإجهاد والتوتر النفسى نتيجة متابعة نقاط الانبعاث على الشاشة وليست بسبب الإشعاع فقط كما كان رائجا من قبل ، وقد سجل الفريق الباحث زيادة ملحوظة فى نسبة بعض الهرمونات التى تسمى بهرمونات التوتر لدى تحليل دم بعض المصابين بمرض الحاسب الآلى ، ونصح الباحثون العاملين على الحاسب الآلى بالابتعاد عنه فور الشعور بهذه الأعراض والتأكد من زوالها قبل مزاولة العمل مجددا .

● نظام (الكترونى) لتوجيه السيارات

صممت شركة فرنسية لصناعة السيارات نظاما الكترونيا حديثا يوضع فى الجسم الخارجى للسيارة يلتقط إشارات المرور باستخدام الموجات اللاسلكية وتحت الحمراء ، ويتم بواسطته إرسال المعلومات والتعليمات إلى السيارة للإسهام فى توجيهها الكترونيا بالشوارع وضمان سلامتها .

● دراسة تكشف أهمية حشرة الجراد للنبات

اكتشف أحد علماء البيئة المتخصصين فى جامعة « جورجيا » أن الجراد بينما يشرع فى التهام بعض من أوراق النباتات التى يتوقف عليها يمنح للأوراق الأخرى التى يلامسها دون أن يأكلها نوعا من البروتين النادر المحفز للنمو ، وتوجد هذه الجزيئات البروتينية الدقيقة فى لعاب الجراد وتسمى « منشطات النمو » وتساعد النبات على الاستفادة القصوى من الهرمونات التى يفرزها ذاتيا لتحفيز نموه وتسمى « الأوكسينات » .

● مضخة طلاء جديدة

صنعت شركة أوربية مضخة طلاء جديدة تصلح لرش الدهان (اللاكيه) أو الوان الأثاث أو

الفلاء أو مزيج من الأصباغ المختلفة ، والمواد القابلة للتحلل فى الماء ، وتتكون المضخة من مرشح كبير وخراطيم للهواء وللمادة المستخدمة فى الرش ، وتحتوى على مسدس خفيف مزود برأس وأنابيب لضمان جودة الرش ، وتتميز هذه المضخة بأنها تحافظ على مادة الرش وتوفرها وتقلل نسبة التلوث ، كما أنها تعمل بدون صوت فلا تسبب أى ضوضاء أو تلوث للبيئة .

● جهاز آلى لتحويل العملة

أنتجت شركة فرنسية متخصصة فى الأجهزة البنكية جهازا آليا يقوم بتحويل العملات الأجنبية إلى عملة محلية طوال ٢٤ ساعة متواصلة يوميا ، ويتميز بصغر حجمه ، ويمكن وضعه أمام البنوك وفى الفنادق والمطارات ، ويتكون الجهاز من وحدة قبول العملات الأجنبية ، ووحدة توزيع الأوراق المالية ، ووحدة توزيع القطع النقدية المختلفة ، ووحدة طابعة لتسليم الايصالات ، وشاشة بزجاج مضاد للكسر .

● جهاز لتخفيف آلام المفاصل

تقوم شركة أوربية بتسويق جهاز لتخفيف الألم بعد أن أثبتت التجارب التى أجريت فى المستشفيات فاعليته فى تخفيف الآلام المزمنة فى الفقرات القطنية أو فى العنق ، يعمل الجهاز بالضغط على بلورتين من الكوارتز مما يولد تيارا كهربائيا ضعيفا ذا تردد عال وطاقة منخفضة آمنة للجسم البشرى ، ومسكنة لآلام المفاصل والعضلات ، ويكفى تمرير الجهاز على منطقة الألم لمدة دقيقتين فقط ، فيهدأ الألم لمدة ثلاث ساعات ، ويتميز الجهاز بعدم وجود آثار جانبية له ، كما يقلل من استهلاك الأدوية المسكنة للألم .

● الهندسة الوراثية لعلاج العقم

نجحت مجموعة من الأطباء بجامعة بروكسل ببلجيكا فى علاج عقم مجموعة حالات مستعصية باستخدام هرمون مصنع عن طريق الهندسة الوراثية يحفز عملية التبويض لإحداث التلقيح والحمل ، والهرمون الجديد نقى جدا ، ويمكن إنتاجه بكميات كبيرة ، ولكن البحوث عليه سوف تستغرق عدة سنوات قبل أن يتم إنتاجه على مستوى تجارى .

● جهاز آلى يعمل كجراح للمخ والأعصاب

تقوم حاليا شركة بريطانية للأجهزة الطبية ببناء أول جهاز آلى « روبوت » فى العالم يمكنه إجراء عمليات جراحية معقدة فى الدماغ البشرى ، وهو عبارة عن منظار مزود بكاميرا ذاتية الحركة تمكن الجراحين من استكشاف العالم الداخلى لأجسام مرضاهم ، ويستطيع هذا الجهاز استئصال أورام المخ بعد أن يأخذ منها عينات يقوم بتحليلها ومقارنة نسيجها المريض بأنسجة المخ السليمة .



اللغة والنقد والأدب

نظرات في ألفاظ القرآن الكريم

مادة حج

بقلم الشيخ / عبد الفتاح السيد جمعان

ثانيا : «حِجَّة»

الصيغة الثانية من صيغ هذه المادة (حجة) ذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة مجموعة (حجج) في قوله تعالى حكاية عن سيدنا شعيب لسيدنا موسى .

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(1)

أى قال شعيب لموسى ـ عليهما السلام ـ بعد أن تأكد من عفته وأمانته وقوته ومروءته : أريد أن أزوجك إحدى بنتي اللتين رأيتهما عند الماء تذودان أغنامهما وسقيت لهما ، أزوجك واحدة منهما على أن ترعى غنمي ثماني سنين فان تبرعت بزيادة فهو إليك وإلا ففي الثمان كفاية وما أرد أن أرهقك ولا أوذيك ولا أماريك وستراني ان شاء الله من الصالحين .

فالحجج جمع بكسر الحاء وهي السنة الكاملة وقد استدل العلماء بهذه الآية على عدة أمور :

(١) جواز زيادة الثمن في بيع الأجل على بيع النقد وهو مذهب الاوزاعي «رضى الله عنه».

(٢) جواز استئجار الأجير بطعامه وكسوته وهو مذهب الحنابلة واستأنسوا لهذا ما رواه ابن ماجه في سننه ان رسول الله «ﷺ» قال:

(ان موسى أجر نفسه ثماني سنين أو عشر سنين بعفة فرجه وطعمة بطنه) .

(٣) استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما اذا قال بعتك أحد هذين العبدين بمائة فقال اشتريت فإنه يصح .

(٤) وقالوا إن ذا المروءة اذا وعد بأحد شيئين أدى أفضلهما وأكملهما لما رواه البخارى ـ ان ابن عباس لما سئل عن أى الأجلين قضى موسى عليه السلام قال:

(١) الآية ٢٧ من سورة القصص .

(فقضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل) .

ثالثا : الـحُجّة

ومن صيغ هذه المادة فى القرآن الكريم لفظ الحجة وهى اسم مضعف على زنة فعلة لبرهان أهل الحق والدليل المقنع والبينة والبرهان البالغ درجة اليقين أو ما يحتج به الإنسان ليبين صحة رأيه ومن اشتقاقاتها المحجة وهو المقصد المستقيم وكأن صاحب الحجة سلك فى برهانه مقصدا اقتضى صحة أحد النقيضين أو المتخاصمين[٢] .

وقد جاء لفظ الحجة فى كتاب الله تعالى سبع مرات نستعرضها على النحو التالى :

(١) قوله تعالى فى معرض الحديث عن القبلة :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٣]

والمعنى :

عرفكم الله تعالى أمر القبلة لئلا يحتج عليكم اليهود فيقولوا يجحد ديننا ويتبع قبلتنا فتكون لهم حجة عليكم أو لئلا يحتجج عليكم المشركون فيقولوا يدعى محمد ملة ابراهيم ويخالف قبلته ومع وضوح الأمر على هذا النحو سيبقى الذين ظلموا على عنادهم[٤] ولجاجتهم وهم السفهاء الذين قال الله فيهم :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٥]

وكلامهم هذا لايعد حجة لأنه شبهة باطلة والحجة هى البرهان القاطع وقد عدها القرآن حجة لأنهم ساقوها مساق الحجة واحتجوا بها[٦] .

(٢) قوله تعالى :

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٧] .

أى أرسل الله رسلا يبشرون الطائعين بالجنة وينذرون العصاة بالنار ليقطع حجة الناس لو لم تأتهم الرسل اذ يقولون لو أرسل الله الينا رسلا لآمنا وأطعنا فقطع الله حجتهم بإرسال الرسل

---

(٢) بصائر ذوى التمييز جـ ٢ ص ٤٣١ وما بعدها والمعجم الوجيز جـ ١ ص ١٤٢ ومابعدها (بتصرف كثير)

(٣) الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

(٤) صفوة التفاسير للصابونى المجلد الأول ص ١٠٥ .

(٥) الآية ١٤٢ من سورة البقرة .

(٦) روح المعانى للألوسى جـ ٢ ص ١٧ (بتصرف) .

(٧) الآية ١٦٥ من سورة النساء .

والحجة المفترضة هنا برهان حقيقي لو كانت؛ وهيهات لأن الله قطعها وهو العزيز الغالب في المحاجة وغيرها الحكيم في صنعه وتصرفاته.

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[8] .

والمعنى :

أن الله تعالى أيد خليله ابراهيم بالحجج الباهرة التي احتج بها على قومه في اثبات وحدانية الله من أفول الكواكب والشمس والقمر لتكون له الحجة الدامغة على قومه لأنه سبحانه يرفع من اصطفاهم درجات بالعلم والفهم والنبوة لأنه حكيم يضع الأمور في مجالها عليم لايخفى عليه خافية ، وقال مجاهد : الحجة هي قوله ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[9] .

وقد صدق الله وحكم له بالأمن والهداية فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[10] .

(٤) قال تعالى :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[12] .

والمعنى :

ان شبهتكم الباطلة التي تحتجون بها لشرككم حين قلتم .

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ .

هذه الحجة الباطلة لاتقيم لكم عند الله عذرا ولاتدفع عنكم عقاب هذا الشرك الذى غرقتم فيه فقد أقام الله عليكم الحجة بأن جعل لكم سمعا وأبصارا وأفئدة وأرسل لكم الرسل فلله — أبدا — الحجة البالغة التي لاتنقض ولا تدحض فأنتم لم تقيموا على قولكم السابق برهانا من نقل أو عقل[13] .

---

(٨) الآية ٨٣ من سورة الأنعام .

(٩) الآية ٨١ من سورة الأنعام .

(١٠) الآية ٨٢ من سورة الأنعام .

(١١) تفسير ابن كثير المجلد الثاني ص ١٤٧ .

(١٢) الآية ١٤٩ من سورة الأنعام .

(١٣) التفسير القرآني للقرآن للأستاذ/ عبدالكريم الخطيب مجلد ٢ ص ٣٣٧ (بتصرف) .

(٥) قال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾(١٤) .

وفى هذه الآية جاءت الحجة بمعنى مخالف لما سبق فالمراد بها هنا الخصومة والمنازعة والمحاجة أى أن الأمر واضح بغير محاجة فلا يحتاج إلى حجة فلا ينبغى أن تكون بيننا خصومة أو منازعة ومعنى الآية بإيجاز أن الله أمر رسوله أن يدعو إلى الدين الحق وأن يستقيم عليه كما أمر ولايتبع أهواء الكافرين فى مفترياتهم وأن يعلن ايمانه بجميع الرسل والكتب وأن يقول لهم إن الله أمرنى أن أعدل بينكم فى الحكم فهو سبحانه المعبود لا إله غيره الذى يجمعنا جميعا يوم القيامة فيجازى كلا على عمله فلنا ثواب أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم وإذا كان الأمر كذلك فلا محاجة بيننا وبينكم لأن الأمر واضح لا يحتاج إلى خصومة وإلى الله المرجع والمصير .

(٦) قوله تعالى بعد الآية السابقة .

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾(١٥) .

والحجة هنا بمعنى الدليل الباطل وسمى حجة مجاراة لهم لأنهم يعتبرونه حجة فى زعمهم.

والمعنى أن الذين يجادلون فى دين الله من اليهود فيقولون للمسلمين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم وذلك بعد الاستجابة لهذا الدين ودخول الناس فيه أفواجا وبعد أن أقروا هم بصفات رسول الله فى كتابهم وبعد أن استجاب الله لرسوله فأيده بالمعجزات ، هؤلاء حجتهم باطلة ودليلهم واه وقد غضب الله عليهم وأعد لهم العذاب الشديد(١٦).

(٧) قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١٧) .

والمراد بالحجة هنا شبهة الكفار الباطلة فسماها حجة لأنها كذلك فى زعمهم الفاسد ، والمعنى والله أعلم : اذا تليت آيات الله الواضحات ناطقة بقدرة الله على البعث وإحياء الموتى ماكان للمشركين من شبهة الا أن قالوا للرسول ﷺ والمسلمين : أحيوا آباءنا وأسلافنا الذين ماتوا حتى نسألهم عن صحة ماتدعون من البعث إن كنتم صادقين فى دعواكم تلك(١٨) .

---

(١٤) الآية ١٥ من سورة الشورى .

(١٥) آية ١٦ من سورة الشورى .

(١٦) روح المعانى جـ ٢٥ ص ٢٥ (بتصرف) .

(١٧) آية ٢٥ من سورة الجاثية .

(١٨) التفسير الواضح جـ ٢٥ ص ٨٥ .

رابعا : المحاجة وما اشتق منها

وهناك ألفاظ من هذه المادة تتصل بالحجة بسبب قوى إذ هى من مشتقاتها وهى ألفاظ المحاجة وقد ذكرت فى الكتاب العزيز ثلاث عشرة مرة كلها أفعال منها خمس بصيغة الفعل الماضى وثمان بصيغة الفعل المضارع وكلها تفيد المحاجة وهى أن يورد كل خصم على صاحبه حجة وهذا يقتضى أن يكون مايورده المبطل حجة فى زعمه على الأقل أو من باب المشكلة كما سبق أن ألمحنا إلى ذلك فى استعراض ألفاظ الحجة .

ولنأخذ فى استعراض هذه الألفاظ بإيجاز :

(١) قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١٩] .

أى قال رؤساء اليهود لمن دونهم حين قالوا للمسلمين آمنا بمحمد مثلكم لأن أوصافه ثابتة فى كتابنا قال الرؤساء لهؤلاء أتحدثونهم بما فتح الله عليكم فى التوراة من وصف محمد لتكون بذلك الحجة عليكم أو ليحاجوكم فى ربكم لأنه ألزمكم باتباع محمد أو ليحاجوكم بذلك يوم القيامة[٢٠] .

(٢) قال تعالى :﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[٢١]

أى قل يامحمد لليهود أتجادلوننا فى نبوة محمد قائلين نحن أحق بالرسالة من العرب لأننا أهل كتاب وهم عبدة الأوثان فلو أرسل لكان منا فنحن أبناء الله وأحباؤه ويمكن أن يكون الكلام للعرب لقولهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٢٢]

وقيل الخطاب للجميع[٢٣] .

(٣) قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ...... ﴾[٢٤]

والمعنى :

ألم تفكر يامحمد فى شأن هذا الطاغية الذى ادعى الألوهية لأن الله أعطاه الملك أربعة قرون

---

(١٩) آية ٧٦ من سورة البقرة .

(٢٠) مفاتيح الغيب للرازى جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٢١) الآية ١٣٩ من سورة البقرة .

(٢٢) الآية ٣١ من سورة الزخرف .

(٢٣) مفاتيح الغيب للرازى جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٢٤) الآية ٢٥٨ من سورة البقرة .

فلما دعاه إبراهيم إلى الإيمان بالله حاجه وجادله ابراهيم بدوره فغلبه إذ قال له إن كنت إلها حقا فائت بالشمس ولو مرة واحدة من جهة الغرب فبهت اللعين لأن الله لايهدى الظالمين إلى البرهان الصحيح[٢٥].

(٤) قال تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٢٦].

والمعنى :

فإن جادلوك يامحمد فى شأن نبوتك أو بشرية عيسى بعد العلم اليقين الذى جاءتهم به التوراة فى هذين الأمرين فإن جادلوك بعد ذلك بالمغالطات والأقاويل المزورة ففوض أمرك إلى ماكلفت به من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرك ..[٢٧].

(٥) قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٢٨]

أى فمن حاجك وجادلك من أهل الكتاب فى شأن عيسى عليه السلام من بعد ماجاءك من العلم فيه بأنه عبد الله ورسوله وأن مثله كمثل آدم خلقه من تراب فمن خاصمك فقل لهم تعالوا ندع نحن وأنتم خاصتنا من الأزواج والذرية ثم نجتهد فى الدعاء باللعن على الكاذب من الفريقين .....[٢٩].

(٦) قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٣٠].

والمعنى :

يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تجادلون فى ابراهيم ويدعى اليهود أنه كان يهوديا ويدعى النصارى أنه كان نصرانيا مع أن الديانتين وكتابيهما ورسوليهما كانا بعد ابراهيم بمئات السنين فكيف ينتسب السابق للاحق أفلا تعقلون[٣١].

---

(٢٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٩٦ .

(٢٦) الآية ٢٠ من سورة آل عمران .

(٢٧) تفسير القرطبى ص ١٢٨٧ ــ ط. الشعب .

(٢٨) الآية ٦١ من سورة آل عمران .

(٢٩) تفسير القرطبى ص ١٣٤٦ ــ ط. الشعب .

(٣٠) الآية ٦٥ من سورة آل عمران .

(٣١) روح المعانى جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٧) قال تعالى :

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٣٢]

والآية تتمة لإبطال محاجة أهل الكتاب فى ابراهيم عليه السلام فإذا جاز أن يجادلوا فى شأن موسى وعيسى لأن عندهم علم بهما فلا يجوز أن يجادلوا فى أمر إبراهيم إذ لا علم عندهم به وإنما علم ذلك عند الله أما أنتم فلا تعلمون[٣٣] .

(٨) قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ ﴾[٣٤] .

والمعنى :

ينهى طائفة من اليهود طائفة أخرى منهم أن لايؤمنوا إلا لمن كان على شاكلتهم وينهونهم عن إظهار ماثبت لديهم من أن المسلمين أوتوا كتابا سماويا مثلهم ولهم رسول كرسولهم حتى لايحاجوهم يوم القيامة فتلزمهم الحجة[٣٥] .

(٩) قال تعالى :

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ... ﴾[٣٦] .

والمعنى :

أن قوم ابراهيم عليه السلام جادلوه فى توحيد الله فأنكر عليهم ذلك وقال كيف تجادلوننى فى الله بعد أن هدانى إلى الإيمان به.

(١٠) قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾[٣٧]

والمعنى :

والله أعلم إن الله تعالى يخبر عن تخاصم أهل النار فى النار فيقول الأتابع للسادة إنا أطعناكم فيما دعوتمونا إليه من الكفر فى الدنيا فهل تتحملون عنا اليوم جزءا من العذاب ...[٣٨]

هذا والله أعلم وبه التوفيق

---

(٣٢) الآية ٦٦ من سورة آل عمران .

(٣٣) روح المعانى جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٣٤) الآية ٧٣ من سورة آل عمران .

(٣٥) روح المعانى للألوسى جـ ٣ ص ٢٠٠ (بتصرف) .

(٣٦) الآية ٨٠ من سورة الأنعام .

(٣٧) الآية ٤٧ من سورة غافر .

(٣٨) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٨٠ .

طبقات المحققين والمصححين

الجيل الثانى أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام



الشيخ عبد المتعال الصعيدى «١٨٩٤ - ١٩٥٨»

٧

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

هذا الشيخ العلامة اللغوى الثبت فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، المؤلف ، المحقق الذى أثرى المكتبة اللغوية : النحوية والصرفية والبلاغية والتاريخية والنقدية بالكثير والكثير من المؤلفات النفيسة ، والتحقيقات القيمة على مدار ثلث قرن من الزمان تقريباً أو يزيد .

ولد - رحمه الله - سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف ، وتوفى رحمه الله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف .

ولد الشيخ الصعيدى فى قرية (النجبة) ، أو (النجباء) من أعمال مديرية الدقهلية ، وأصل هذه القرية من صعيد مصر ، لكنها أشخصت إلى الوجه البحرى إذ ضربت بجرانها ، وألقت عصاها وعدنت فى هذه البقعة من محافظة الدقهلية ، وهى تتبع مركز أجا .

واسمه : عبد المتعال بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الصعيدى ، نشأ فى قريته فلاحاً مصرياً فى أسرة مسماة بأسرة الصعيدى . وهذا اللقب غالباً ما يطلق على كل أسرة نزحت من صعيد مصر ، تمييزاً لها عن باقى جيرانها .. لكن أسرة عبد المتعال الصعيدى نزحت من قديم ، والدليل على هذا انقطاع صلتها بالموطن الأصلى فى الصعيد انقطاعاً تماماً ، وقد عرف هذا أكثر معارفهم .

بيد أنه تنوقل أن أصلها من قرية تسمى : (التبنلية) بجوار بنى عدى ، وأنها منسوبة للأشراف إلى آل بيت رسول الله ﷺ .

كانت قرية (النجباء) التى ولد بها شيخنا محدودة صغيرة تحتوى على أعداد معروفة من الأسر وهى - لابد : بل حتما - تجدُ فى هذه النجوع أو الدساكر والأصقاع ، حيث تتداخل الأسر فى بعضها بطبيعة الحال ، ويكثر الزواج من بعضها البعض ، وهذا المعهود فى كل القرى .

ولوحظ أن كل الأسر فى (كفر النجباء) ، وهى التى لا تربو على أربع تعيش كلها فى مستوى متقارب ؛ إذ تكاد تكون جميعها من الطبقة المتوسطة ، وربما كان هذا منطوياً على خير وسعادة ، وذلك لخلوها من الإقطاعيين ، فالناس فيها كلهم طبقة واحدة ، وفى مستوى واحد ، مما أورث الشيخ الصعيدى عزة وإباء نفس .

كان أبوه يحفظ القرآن الكريم ، ويجيد القراءة والكتابة ، ولعله كان الوحيد فى أسرة الصعيدى الذى نال هذه الحظوة والبركة السابغة إذ أن أفراد الأسرة كانوا مشتغلين بالزراعة ، فقد كانت مصدر رزقهم الأوحد ، ولذلك اشتغل عبد المتعال أول حياته ، وفى الطور الأول من

عمره ، مع إخوته فى الزراعة وفلاحة الأرض .

وكان أبوه قد اختلف إلى طنطا للاشتغال بطلب العلم نحو سنة ، ثم انقطع عن ذلك متفرغاً للعمل بالزراعة مع باقى أفراد الأسرة .

ولم يمض على ولادة الشيخ عبد المتعال إلا شهر واحد حتى مات أبوه ــ رحمه الله ــ فيما بين العشرين والثلاثين من عمره فى شرخ شبابه .

لذلك فقد تعهدته أمه ــ رحمها الله ــ بالتربية وأعطيت نصيبها من ميراث أبيه ، وكان منزلا متواضعاً وقطعة أرض بسيطة ، وهو ــ وإن كان ميراثاً قليلاً ــ إلا أنه كان مباركاً فيه .

لكن لابد من شيء من المعاونة ، وكان جده لأمه حياً فشمله وأمه برعايته وحدبه ومكانفته ، وقد كان رجلاً شهماً طيباً معداقاً .

وجدير بالذكر أن أباه الذى مات صغيراً فى عنفوان شبابه كان قبل وفاته بأيام يوصى زوجته بأن تحفظ وليدها القرآن الكريم ، وتدخله الأزهر فى حين أنه لم يكن متعلماً ولا أزهرياً .

لم يقف الأمر عند مجرد الوصية الشفوية لكنه كان يهددها بأنها إن لم تنفذ هذه الوصية ، فإنه سوف يأتيها مناماً ويطبق على عنقها ويخنقها .

فقامت الأم ــ رضى الله عنها وأرضاها ــ جاهدة صابرة محتسبة تعمد إلى تنفيذ وصية هذا الزوج الراحل عن عالم الفانية إلى الباقية .

وهى فى سبيل إصرارها على تنفيذ هذه الوصية قدمت من التضحيات ما لايطاق من مثلها ، وهى فى صباها الباكر إذ صرفت عنايتها ورعايتها وجهدها لتنشئة ابنها تنشئة صالحة ، ليكون عالما أزهريا من أعلام عصره ، كما كان يرجو أبوه أن يكون ، وقد كان .

وبعد أن قضى عبد المتعال طرفاً من عمره الباكر فى الفلاحة تحول عنها ، وأشاح بوجهه عن طريقها واستدبرها تماماً منصرفاً إلى الكتاب فى القرية حيث حفظ القرآن الكريم ، وكان ذلك وهو فى سن التاسعة من عمره .

كان الصعيدى محوطاً بعناية الله ، مرعياً بالتوفيق والتسديد ؛ إذ سارت حياته ميسرة فى كتاب القرية الذى أدركته نهضة تجديدية مثيرة ، وفيه تعلم الخط وتجويده على قواعده الثلاث : النسخ والرقعة والثلث . ثم تعلم المطالعة فى كتاب (الفوائد الفكرية) من تأليف على فكرى باشا ، وهو كتاب نفيس شائق .

ثم شورع بإنشاء مدرسة أولية حديثة فى ذلك الوقت بدعوة نظارة المعارف العمومية فى قرية النجيا ، وكان من حظ عبد المتعال أن يكون واحداً من تلاميذ تلك المدرسة العصرية المتطورة آنذاك ، وكان لعبقريته ونبوغه أول زملائه فى تلك المدرسة ، وقد شهد له مفتش وزارة المعارف العمومية بالتفوق والتبريز حتى أنه ناداه أمام زملائه بقوله : يا عبد المتعال بك .

ثم أتم دراسته بالمدرسة الأولية فى سنوات أربع إلى أن بلغ عمره ثلاث عشرة سنة تماماً ، كان فيها مكبا على العلم مقبلا على التحصيل بشغف ونهم لتشجيع أمه ورعاية جده ــ رحمهم الله جميعاً .

انتقل الصعيدى ــ بعد ذلك ــ إلى النظام الحديث الذى يجمع بين العلم الأزهرى القديم ، وبين العلم الحديث ، فالتحق بالجامع الأحمدى بطنطا ، وكان كدأبه وعادته متفوقاً على كل أترابه وأقرانه .

ثم إنه قد بلغ من نبوغه وتبريزه أنه لم يكتف ــ فى السنة الأولى له بالمعهد الأحمدى ــ بمذكرة شرح الأجرومية فى علم النحو ، وقد كان هذا

الكتاب مقرراً على السنة الأولى ، بل اشترى كتاب : (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) وهو لم يكن مطلوبا منه فى تلك السنة الأولى .

ولما تقدم للامتحان فى علوم الشهادة الأولية كان الممتحن له هو الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ مفتى مصر الأسبق ـ وكان هو الآخر صعيدياً من (بنى عدى) فلما مثل أمامه سأله الشيخ مخلوف :

ـ هل أنت صعيدى ؟

قال عبد المتعال :

ـ نعم .

ـ من أى بلد فى الصعيد ؟

ـ من بلدة النيتلية .

فاستغرب الشيخ حسنين مخلوف من عجيب المصادفة إذ إن هذه البلدة تجاور قريته « بنى عدى » ، فهش لعبد المتعال واغتبط اغتباطاً شديداً لذلك .

حصل على الشهادة الثانوية من المعهد الأحمدى ، وكان وهو فى السنة الرابعة بالمعهد يعد نفسه لامتحان العالمية التجريبى حتى يتسنى له بعد ذلك التقدم لامتحان العالمية فى الأزهر الشريف ، وكان امتحاناً عسيراً له هيبته ورهبته وروعته وترويعه .

اجتاز امتحان العالمية بنجاح وتفوق إذ كان ترتيبه الأول بالنسبة إلى طلاب معهد طنطا والثالثة بالنسبة إلى طلاب معهدى طنطا والإسكندرية .

ثم تعيينه بعد ذلك مدرساً بالمعهد الأحمدى ، وكان قد حاول أن يسلك طريقاً حديثة فى تدريس النحو العربى تخالف وتباين الطريقة الأزهرية المألوفة ، وفى المعهد الأحمدى كان موكولا إليه تدريس متن الآجرومية لطلاب السنة الأولى بالقسم الأول ، مع شرح الشيخ الكفراوى عليها .

وقد تجلت آية ابتكاره للوسيلة التعليمية الحديثة فى كتابه الموسوم بـ « الآجرومية العصرية » وكتابه (نقد نظام التعليم الحديث للأزهر) وقد كان فى قرارة نفسه وفى معتقده أنه يحاول أن يقدم جديداً مشروعاً ، وقد نُعِى عليه بأنه يهدم التراث ويخرج إلى دائرة المحظور ، ولكنه مضى ـ فى طريقه ـ يتوخى ما يراه حقاً .

ثم تزوج الشيخ عبدالمتعال الصعيدى ، وأعقب من الأبناء والبنات تسعاً : ستة ذكور ، وثلاث بنات .

نُقل الشيخ ـ بعد ذلك ـ إلى كلية اللغة العربية فى الثامن والعشرين من شهر أغسطس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد ، وكان نقله هذا بإرشاد من الشيخ مصطفى عنانى مفتش العلوم العربية بالمعاهد الدينية الأزهرية لشيخ كلية اللغة العربية .

وينتقل الشيخ إلى القاهرة ويترك طنطا ، وهذا ما كان يرجوه ويصبو إليه ؛ لأن مكثه ولبثه فى القاهرة يرضى طموحه العلمى ، ويقضى به نهمته فى التزود من العلم بغير حدود .

وكان له ما أراد ... ثم عمد إلى الاجتهاد ، وذلك بإدخال وسائل تعليمية جديدة من محض أفكاره وابتكاراته الشخصية تيسيراً على طلبة العلم والدارسين لعلوم العربية .

وقد عهد إليه بتدريس كتاب الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، وهو الكتاب المشهور ، وفيه هذب كثيراً من طريقة السكاكى فى كتاب « المفتاح » فى علوم البلاغة الثلاثة . وقد وضع الصعيدى شرحاً على متن هذا الكتاب

جارياً على طريقته وفى مضماره ، متمما فيه ما وسعه الجهد تهذيب ما بقى من آثار طريقة السكاكى .

ولم يكن هذا الكتاب مقصوراً على كلية اللغة العربية ، أو المعاهد الدينية فى مختلف أرجاء مصر وحسب ، ولكن فى متباين أقطار الأمة العربية والإسلامية ، ولذلك فقد تعددت نشرات هذا الكتاب وطبعاته ، بل إن كل من له عناية باللغة العربية وآدابها وبلاغتها لاشك كان معنياً بأمر هذا السفر النافع ، ولابد أن يكون الشيخ الصعيدى مذكوراً ، محفوظ المكانة ملحوظ المنزلة مهما خولف فى بعض آرائه أو اختلف على كثير من مؤلفاته ، إنما لايمكن أن يكون هذا الخلاف والاختلاف فى يوم من الأيام داعياً لأن يجحد فضله فقد كان علماً من أعلام مصر الخصيبة وعنصراً مورقاً كل الإيراق من دوحتها العالية ، وسرحتها الظليلة الأفياء .

رحم الله عبد المتعال الصعيدى ، وأفسح له فى قبره ونور له فيه ، وجعل حسناته مقبولة ، وصحفته مفتوحة بالرضا والرضوان آمين آمين .

مخطوطات مؤلفات المرحوم عبد المتعال الصعيدى

اسم الكتاب	الفن	الصفحات
الفهارس القرآنية	علوم قرآن	٥٨٣
مفاتيح كنوز القرآن	علوم قرآن ـ جزءين	١٥٠٠
فى الحدود الإسلامية	فقه عام	١٥٠
دائرة المعارف الخاصة أو جامع الأسفار ومورد الأفكار أو الكتاب المفتوح إلى آخر الزمن (الكتاب مضمون ثلاثة عناوين)	الجزء الأول عدد صفحاته من ١ـ٥٣	٥٣
	الجزء الثانى عدد صفحاته من ١ـ٥٧	٥٧
	الجزء الثالث عدد صفحاته من ١ـ٤٨	٤٨
	الجزء الرابع عدد صفحاته من ١ـ٦١	٦١
	الجزء الخامس عدد صفحاته ١ـ٥٠	٥٠
	الجزء السادس عدد صفحاته ١ـ٦٩	٦٩
	الجزء العاشر عدد صفحاته ١ ـ ٤٨	٤٨
	الجزء الحادى عشر عدد صفحاته ١ـ٤٨	٤٨
	الجزء الثانى عشر عدد صفحاته ١ـ٦٧	٦٧
مع الأزهر التقدمى من الشيخ السبكى إلى فولتير	معارف عامة	١٠٢
الإصلاح الإسلامى فى أدب صدر الإسلام	أدب	٢١٦



الثورة الأدبية لقدامى المولدين	أدب	٣٠٩
الرجعية الأدبية فى العصر المرواني	أدب	٤٠٠
النهضة الأدبية قبل الإسلام	أدب	٦٩
معلومات تاريخية عن العرب وغيرهم	تاريخ	٥٢
أضواء على فلسفة ابن خلدون	فلسفة	١٨٠
الرسالة العروضية	عروض	٢٩٤
كتاب فى دروس النحو	نحو	٣٦
بحوث وتعريف دائرة معارف وجدى البستاني	معارف عامة	٧٣
مصحف شريف ويسمى المصحف المبوب	مصاحف	
الشكل المصرى للخط العربي (نسختان)	خط	٣٣
رسالة فى التصورات	منطق	
البلاغة العالية فى علم البيان	بلاغة	١٨٠
ثقافات دينية وأدبية	معارف عامة	١٢٩
فى ميدان التجديد	معارف عامة	١٤٤
حياة مجاهد فى الإصلاح	تاريخ	١٤٩
الميراث فى الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية الوضعية	ميراث	

١ ـ الأجرومية العصرية :

أول كتاب ظهر لى ، وهو للمبتدئين فى النحو ، ألفته على الطريقة الاستنتاجية قبل ظهور كتاب النحو الواضح ، فنال علماء الجامع الأحمدى ـ مطبوع .

٢ ـ أبو تمام بين قدامى المولدين والمتأخرين

دراسة لأبى تمام ومدرسته فى توجيه الشعر لتقليد الشعر القديم ـ مخطوط .

٣ ـ أبو العتاهية الشاعر العالمى

دراسة له وموازنة بينه وبين شعر أبى نواس لتقديمه على شعراء عصره ـ مطبوع .

٤ ـ الأزهر وكتاب دراسة قرآنية

ومعه تكملة لهذه الدراسات ـ مخطوط .

٥ ـ أسرار التمثيل بين الطريقة الأدبية والتقريرية

دراسة عالية للتمثيل عند عبدالقاهر وعلماء البلاغة قبله والمعاصرين له والمتأخرين وكيف صرفوا مذهب فيه ـ مطبوع .

٦ ـ الإصلاح الإسلامــي في أدب صدر الإسلام

دراسة لتاريخ الأدب في هذا العصر على أساس التوجيه الإسلامي فيه ـ مخطوط .

٧ ـ أضواء على فلسفة ابن خلدون

دراسة لمذاهب ابن خلدون في مقدمته التي وضع فيها علم العمران ـ مخطوط .

حـرف البـاء

٨ ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح

شرح للإيضاح في علوم البلاغة يجارى طريقته في تهذيب المفتاح للسكاكي ، ويتمم ما فاته من تهذيبها ـ مطبوع .

٩ ـ بغية أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك في علم النحو ـ مطبوع .

١٠ ـ البلاغة العالية في علـم المعـاني ـ مطبوع .

١١ ـ البلاغة العاليـة في علـم البيـان ـ مخطوط .

حـرف التـاء

١٤ ـ تجديد علم المنطق في شرح الخبيصى على التهذيب

تعليقات جديدة على هذا الشرح تجمع بين المنطق القديم والحديث وتوازن بينهما ـ مطبوع .

١٥ ـ (تجديد علم الوضع) كينونة الوضع في اللغة دراسة له تشتمل على تجديدات فيه ـ مخطوط .

١٦ ـ تعليقات على سر الفصاحة في علم البلاغة ـ مطبوع .

١٧ ـ تعليقات على شرح السراجية في علم الميراث ـ مطبوع .

١٨ ـ تعليقات على تفسير النسفي في علم التفسير ـ مخطوط .

١٩ ـ تعليقات على المنتهى في علم الأصول ـ مخطوط .

٢٠ ـ تهذيب كشف الظنـون عن أسمى الكتب والفنون

يجمع كل فن وكتبه في باب واحد بدل تفريقها في كشف الظنون على ترتيب الحروف الأبجدية ـ مخطوط تم منه نحو الثلث ولم يكمل .

٢١ ـ تهذيب الكفاية في فقه الشافعيـة ـ مخطوط ومودع في المكتبة المحمودية التجارية لطبعه .

٢٢ ـ التوجيه الأدبي للعبادات في الإسلام في حكمة التشريع لبيان أن المقصود الأول من العبادات ما فيها من آداب ـ مطبوع .

٢٣ ـ توجيهات نبوية في أربعين حديثا

اختيار وشرح يشتمل على توجيهات جديدة فيها ـ مطبوع .

٢٤ ـ توجيهات وتحقيقات في عشرين حديثا

اختيار وشرح يشتمل على توجيهات جديدة فيها ـ مطبوع .

٢٥ ـ ثقافات إسلامية

يشتمل على بحوث إسلامية متنوعة نشرت في الجرائد والمجلات ـ مطبوع .

٢٦ ـ ثقافات دينية وأدبية

يشتمل على بحوث دينية وأدبية متنوعة نشرت في الجرائد والمجلات ـ مخطوط .

٢٧ ـ ثلاثون حديثا نبوية

اختيار وشرح لها يشتمل على توجيهات جديدة فيها ـ مطبوع .

٢٨ ـ الثورة الأدبية لقدامى المولدين

دراسة لتاريخ الأدب فى عصر قدامى المولدين .

حرف الحاء

٢٩ ـ الحرية الدينية فى الإسلام

يبين أنه لا إكراه على الإسلام لغير المسلم وللمسلم المرتد ـ مطبوع .

٣٠ ـ حرية الفكر فى الإسلام

يقصد منه إثبات الحرية الدينية والعلمية والسياسية فى الإسلام مع تراجم لبعض أحرار الفكر من قدامى المسلمين ابتداء من عثمان بن عفان ـ مطبوع .

٣١ ـ حياة مجاهد فى الإصلاح ـ مخطوط .

حرف الدال

٣٢ ـ دائرة معارف على الهوامش

تجمع كل ما يهم معرفته من تقييداتى بهوامش الكتب والمجلات وغيرها مما طالعته مع نقد ما يستحق النقد منه ـ مخطوط .

٣٣ ـ دراسة كتاب فى البلاغة

نقد لشرح للإيضاح فى علوم البلاغة على الطريقة الأزهرية .

٣٤ ـ دراسات إسلامية

بحوث إسلامية متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات ـ مطبوع .

٣٥ ـ دراسات دينية وأدبية

بحوث إسلامية وأدبية متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات ـ مطبوع .

٣٦ ـ دراسات قرآنية

بحوث قرآنية فيها توجيهات تفسيرية جديدة ـ مطبوع .

حرف الراء

٣٧ ـ الرجعية الأدبية فى العصر المروانى

دراسة للأدب فى هذا العصر وترتيب على أساس النكسة الرجعية الأدبية فيه ـ مخطوط .

٣٨ ـ الرسالة العروضية

فى علم العروض ـ مخطوطة .

٣٩ ـ روائع النظم والنثر

مختارات من روائع النظم والنثر للقدامى والمحدثين ـ مطبوع .

حرف الزاى

٤٠ ـ زبدة العقائد النسفية مع شرحها وحواشيه

من تأليفى فى عهد الطلب على الطريقة الأزهرية ، وهو مما كان يعتمد عليه طلاب العالمية الأزهرية فى الاستعداد لامتحانها ـ مطبوع .

٤١ ـ زعامة الشعر الجاهلى بين امرىء القيس وعدى بن زيد

دراسة وترجمة للشاعرين لبيان زعامة عدى لشعراء الجاهلية دون امرىء القيس ـ مطبوع .

حرف السين

٤٢ ـ السياسة الإسلامية فى عهد النبوة

٤٣ ـ السياسة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين

عرض سياسى جديد لتاريخ الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن وعمر بن عبد العزيز ـ لبيان مثلها العليا وأثرها فى فتوحاتهم ـ مطبوع .

حرف الشين

٤٤ ـ شباب قريش فى بدء الإسلام

وكان يسمى فى الطبقة الأولى ـ تاريخ الجماعة

الأول للشبان المسلمين برياسة النبي ﷺ - وفي الطبقة الثانية - شباب قريش في العهد السرى للإسلام - وقد اعترضت الرقابة على التسمية الثانية فسميته بذلك ، وهو يؤرخ لفكرة جديدة شرحتها فيه - مطبوع .

٤٥ - شرح ديوان مجنون ليلى

برواية أبي بكر الوالبي - مطبوع .

٤٦ - شرح ديوان مجنون ليلى

برواية ابن طولون الدمشقي المسمى - بسط سامع المسامر في اختيار مجنون بني عامر - مخطوط .

٤٧ - الشرح الجديد للأجرومية على الطريقة الاستنتاجية

مخطوط مودع عند المكتبة المحمودية التجارية لطبعه .

حرف الفاء

٤٨ - في الحدود الإسلامية

٤٩ - في ميدان الاجتهاد

بحوث دينية متنوعة نشرت في الجرائد والمجلات - مطبوع .

٥٠ - في ميدان التجديد

بحوث متنوعة نشرت في الجرائد والمجلات - مخطوط .

يقصد منه إثبات أن القطع في السارق واجب على التخيير لا التعيين ، وكذلك رجم الزاني وجلد القاذف وشارب الخمر - مخطوط .

حرف القاف

٥٣ - القضايا الكبرى في الإسلام

وهو أول كتاب في أمتنا درست فيه أشهر القضايا الإسلامية من عصر النبوة إلى عصرنا الحديث - مطبوع .

٥٤ - قضية مجاهد في الإصلاح

شكوى إلى مجلس الدولة من ظلم الرجعية مع بحوث دينية وعلمية ومقال في الحدود الإسلامية وتحقيق اللجنة الأزهرية فيه - مطبوع .

٥١ - القرآن والحكم الاستعماري

دراسة قرآنية جديدة في هذا الموضوع - مطبوع .

٥٢ - القصص القرآنية ونواحيها التاريخية

يقصد منه دراسة القصة القرآنية ورواياتها التاريخية لتحقيق ما بينهما من مطابقة أو مخالفة - سيشرع قريبا في تأليفه .

حرف الكاف

٥٥ - الكميت بن زيد شاعر العصر المرواني وقصائده الهاشميات

دراسة للكميت وشرح هاشمياته وإثبات زعامته بها على شعراء عصره - مطبوع .

حرف اللام

٥٦ - لماذا أنا مسلم ؟

مناظرات بين قسٍّ من المبشرين المسيحيين وطالب بالمدارس الثانوية ، دفعت فيها بأسلوب قصصي أقوى طعونهم .

حرف الميم

٥٧ - المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر

وهو أول كتاب درست فيه أحوال المسلمين والمعاصرين لهم من الأمم في هذه القرون مع بيان المجددين في كل قرن على ضوء هذه الدراسة - مطبوع .

٥٨ - مختارات الشعر الجاهلي أو دواوين الشعراء الستة الجاهليين .

شرح لدواوين امرىء القيس وعلقمة الفحل وطرفة بن العبد والنابغة الزبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد ، وبآخره فهارس علمية لها ـ مطبوع .

٥٩ ـ مشروع المجلة الأزهرية

العدد الأول من المجلة الأزهرية ، وفيه نقد لمتن الأجرومية ـ مطبوع .

٦٢ ـ مع زعيم الأدب العربي في القرن العشرين بحوث في نقد بعض كتب الأستاذ طه حسين وبحوثه الأدبية والعلمية ـ مطبوع .

٦٣ ـ مع الأزهري التقدمي من الشيخ السبكي إلى فولتير نقد لبعض كتب الأستاذ خالد محمد خالد ـ مخطوط .

٦٤ ـ المصحف المبوّب والمفسر تبويب للمصحف بهامشه على أساس كتاب النظم الفني للقرآن ، وتفسير بباقي الهامش خلاصة دراسات واسعة قديمة وحديثة ـ مخطوط .

٦٥ ـ المصحف ومراجعات آياته إرشادات بهامش المصحف لمراجعات في آياته من الكتب بأرقام صفحاتها ـ مخطوط .

٦٦ ـ المقرر من تاريخ أدب اللغة لطلاب السنة الرابعة هو من تأليفي ، وإن أضيف إليه مدرس من إخواني بالجامع الأحمدي لأنه كان يشاركني في دراسة هذا المقرر ـ مطبوع .

٦٧ ـ مفاتيح كنوز القرآن فهارس علمية لما يشتمل القرآن عليه .

٦٨ ـ تعليق حديث على هذا الشرح ـ مطبوع .

٦٩ ـ من أين نبدأ ؟ دراسة لكتاب من هنا نبدأ للأستاذ خالد محمد خالد وكتاب من هنا نعلم للأستاذ محمد الغزالي في الرد عليه مع بيان خطأ الكتابين ـ مطبوع .

٧٠ ـ الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية ظهر في طبعته الأولى باسم الميراث في الإسلام والرد على الفيلسوف بنتام دراسة جديدة لبيان الميراث بتوسع في الإسلام وبإجمال في غيره من الشرائع مع موازنات تبين فضل الميراث في الإسلام على غيره ـ مطبوع .

٧١ ـ النحو الجديد نقد للمحاولات الحديثة لتجديد علم النحو ، ووضع نحو جديد قريب إلى المقصود من وظيفة الإعراب في النحو ـ مطبوع .

٧٢ ـ النظم الفني في القرآن ظهر في طبعة الأولى باسم ـ الأقوال الحسان في نظم القرآن ـ ويقصد منه بيان مقصد كل سورة وانتظام آياتها فيه للرد على من يطعن على نظمه من أعداء الإسلام في عصرنا ـ مطبوع .

٧٣ ـ نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف أول كتاب عني بنقد هذا النظام ـ مطبوع .

٧٤ ـ نقد كتاب في الشعر الجاهلي تفسيمة لكتاب الأستاذ طه حسين ـ في الشعر الجاهلي ـ وبيان سرقاته من كتب المفسرين المسيحيين ـ مطبوع .

٧٥ ـ النهضة الأدبية قبل الإسلام .

حرف الواو

٧٥ ـ الوسيط في تاريخ الفلسفة الإسلامية دراسة لمنهج الفلسفة الإسلامية في كلية اللغة العربية مع تلخيص ونقد كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد ـ مطبوع .

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

كلمة تمهيدية :

اقترح عليّ فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب ـ أثناء تناقلنا شجون الأحاديث ، كعادتنا ، بين الحين والحين ، حول الشعر والإلهام ـ أن أتخذ هذا الموضوع الطريف ، مادة للبحث ، عسى أن أنتهى فيه إلى نتيجة ما تكون أدنى إلى الموضوعية .. ومن ثم ، طفقت ألتمس المصادر والمراجع ، التى تعين على تعمق الدراسة ، وأنا أستعيذ بالله من همزات الشياطين ، وأن يحضرون ، وخشية أن تحيد بى عن قصد السبيل ، جاعلا نصب عينى قوله ـ تعالى ـ فى محكم آياته :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ سورة الشعراء

الإنسان والشيطان

وتذكرت ـ بادىء ذى بدء ـ قول الإمام أبى العزائم فى بعض مواجيده :

أمهل ـ ونفسى لاتمهل ـ إلى الهدى ... هل النفس إلا شعلة من نار ؟

وقول الإمام البوصيرى فى (البردة) :

وخالف النفس والشيطان ، واعصهما ... وإن هما محضاك النصح ، فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولاحكما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وكيف لا .. ونحن نعلم أن الشيطان يأخذ موقف العداوة الراسخة ، منذ بدء الخليقة ، من الإنسان ، ومن ثم فمن المحال أن يكون الشيطان ، فى نفثاته ، يقصد خيرا بشاعر ما ، وهو يجرى منه مجرى الدم فى العروق ، كسائر البشر ، إلا من عصم الله عز وجل .

وقد اتفق لكاتب هذه السطور، أنه قال في هذا المعنى، مخاطبا (الشيطان)، في قصيدة له تحمل عنوان: (في رحاب الإيمان)[1]

كم قلت نأيت عن البلــــــــوى وخشعت بصومـــــــــي وصلاتي
والبلـــــوى .. أن يغتـــــر عزمـــــي وأحـــــوم بساح الشبهات
ويوسوس شيطـــاني: ـــــ أبـــدا لن تظفـــــر يومــــا بنجـــاة
أتبـــعك كظلـــــك في دأب بالغـــــدوة أو .. بالروحـــــات
بشهيــــــق وزفير أسرى بنخـــاعك، بل .. بالخطـــــرات

***

وأجيـب: اخســـــأ ياملعـــون قد بؤت بسخـــــط وشتـــــات
مطـــــــرود من رحمة ربي ومـــا لك عظـــة لتقـــاة
إخســـأ! فقصاراك الدنيـــــا كجنـاح بعـــوض الرقـــات
وعـــاد الـــرحمن بمنـــأى عن بغيــك .. بتمام ثبـــات

***

وقد جاء في كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي «ص ١٢٨ ـ ١٢٩» في حديثه عن إيحاء إبليس للشعراء:

إنه ـ لعنه الله ـ قد لبس عليهم، وأراهم أنهم أهل الأدب، وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم .. فتراهم يهيمون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء، وهتك الأعراض، والإقرار بالفواحش، وأقل أحوالهم، أن الشاعر يمدح الإنسان، فيخاف أن يهجوه، فيعطيه اتقاء شره، أو يمدحه بين جماعة، فيعطيه حياء من الحاضرين. وجميع ذلك من جنس المصادرة .. إلى أن يقول:

وجمهور الأدباء والشعراء، ـ إذا ضاق بهم رزق ـ تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الأقدار، كقول بعضهم:

لئن سمت همتي في الفضل عالية فإن حظي ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بي مالا أسر به وكم يسيء زمان جائر حنق

وقد نسي هؤلاء، أن معاصيهم تضيق أرزاقهم، فقد رأوا أنفسهم، مستحقين للنعم، مستوجبين للسلامة من البلاء، ولم يتلمحوا مايجب عليهم، من امتثال أوامر الشرع، فقد ضلت فطنتهم، في هذه الغفلة.

ورأى ابن الجوزي، في الشعراء، ليس صحيحا على إطلاقه.

---

(١) انظر ديوان (أنداء وظلال) ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٦ ص ٨٠ ـ ٨١.

ليس كل الشعراء كذلك

ولئن انطبق على بعضهم ، فإنه لا ينسحب عليهم جميعا ، والمولى ـ عز وجل ـ قد استثنى بعضهم ـ بكتابة الكريم ـ بقوله عز من قائل : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ ﴿٢٢٧﴾ « الشعراء »

وقد أورد ابن الجوزى نفسه ، فى ثنايا كتابه هذا (ص ٢٢٤ وما بعدها) قول عامر بن الأكوع :

لا هم لولا أنت مااهتدينا ولاتصدقنا ولاصلينا
فألقين سكينة علينا وثبت الأقدام إذ لاقينا

وقد سأل رسول الله ﷺ ـ بعد سماعه لهذين البيتين ـ عن قائل هذا الشعر ، ومن هو ؟

فقيل له (ﷺ) ـ هو عامر بن الأكوع .

فقال ﷺ :ـ يرحمه الله .

وكذلك أورد نشيد الاستقبال والترحيب الخالد ، من أهل المدينة ، لرسول الله ﷺ عند قدومه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وأورد قول الشاعر :

ياغاديا فى غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم .. لاتخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
ياعجبا منك ! وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

بل وذكر ـ فى مجال حديثه عن مآثر كبار العباد ماكان من أمر الإمام ابن حنبل ، حين سمع هذين البيتين :

إذا ماقال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب عن خلقى وبالعصيان تأتينى ؟

إذ طلب إعادة سماعها ثم قام ودخل بيته ، ورد الباب .. وقد سمع انخراطه فى البكاء وهو يرددها .

ومن ثم ، فقد كفانا ابن الجوزى مئونة أن نورد العديد من شواهد الشعر السامى وشوارد وأوابد الشعر الأخلاقى والاجتماعى ، بما أثبته بكتابه ، لكثير من الشعراء فى جولات رحيبة فى ميادين سمو الروح وصدق الدين ، مع روعة الفن وجلال الأداء .

وقد جاء على ألسنة بعض الشعراء ـ منذ أقدم ماوصلنا من الشعر العربي ، وحتى عصرنا هذا ـ ذكر لشياطين يستلهمهم هؤلاء الشعراء ـ في اعتقادهم ـ فيما يدعون من شعر :

فورد في جمهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب القرشي ٨١/١ :

إن شيطان أمرىء القيس كان يدعى : (لافظ بن لاحظ) وشيطان عبيد بن الأبرص كان يدعى (هبيد) ، وشيطان زياد بن معاوية الذبياني ، كما يدعى (هاذر) وهو الذى استنبغه ، حتى سمي بـ (النابغة) الذبياني .. وقد ذكر الذبياني أن الجن هي التي شيدت لسيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ هياكل بعلبك بمدينة تدمر ، كما جاء في قوله :

إلا سليمـــان إذ قال المليـــك له   قم في البريـــة فاحددهـــا عن الفنـــد[1]
وخـــيس الجن إني قد أذنت لهم   يبنـــون تدمـــر بالصُّفّـــاح والعمـــد[2]

وهذا يذكرنا بقول الشاعر المعاصر فخري أبو السعود ، وهو بإزاء منظر ربيعي خلاب :

أهـــذه الأرض مازالت كما عهـــدت   أم بدلتها جـــود من سليمانـــا !؟

ويقول الجاحظ بالجزء الأول من كتابه الحيوان ص ١٤١ ، في رواية عن ابن عباس رضي الله عنه :

إن الجني إذا كفر وظلم وتعدى وأفسد ، قيل : شيطان .

وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع ، قيل : مارد .

وإن زاد فهو : عفريت ،

فإن زاد ، فهو : (عبقرى) .

وربما كان (وادى عبقر) ، الذى زُعِمَ أن الجن كانت ـ أو مازالت ـ تسكنه ـ قد أخذ مسماه من كلمة (عبقرى) السالف ذكرها ، بقول ابن عباس رضي الله عنه .

وقد ذكر ابن الأثير في كتابه (النهاية) أن « الخيتعور » وهو أحد أبناء الشيطان ، هو من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل خلق آدم ـ عليه السلام ـ ثم آمن برسول الله ﷺ بعد بعثته ـ وينسب إليه أنه قال ـ واصفا حاليه : قبل الايمان ، وبعده :

حدت من حط أوزارى ومزقهـــا   عني ، فأصبـــح ذنبـــي الآن مغفـــورا
وكـــنت آلـــف من أقطـــاب قرطبـــة   خودا ، وبالصين أخرى .. بنت تجورا
أزور تلك ، وهـــذى .. غير مكتـــرث   في ليلـــة قبـــل أن أستوضح النـــورا

(١) أنظر (ديوان نابغة الذبياني)بتمامه ، صنعة ابن السكيت بتحقيق الدكتور شكرى فيصل ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٦٨ ص ١٣ واحددها : أي صنها ورد عنها الفند : خطل الرأى يقال أفند فلان : إذا أخطأ .

(٢) خيس الجن : أي سيطر عليها وذلك لخدمته الصفاح جمع : صفاحة أي الحجر العريض الرقيق .

ولا أمـــــر على وحش ولا بشر إلا وغادرتـــــه ولهان مذعـــــورا

إلى أن يقول :

وأحضر الشرب أغـــويهم بآيـــده يرجـــون عودا ومزمـــرا وطنبـــورا
فلا أفارقهـــم حـــى يكـــون لهم فعـــل يظـــل به (ابلـــيس) مسرورا

إلى أن يقول واصفا توبته :

ثم اصطلحت ، فصارت توبتي مثـــلا من بعد ما عشت بالعصيان مشهـــورا[3]

***

يقول المستشرق جوستاف فون جرنباوم فى كتابه (دراسات فى الأدب العربى) ترجمة الدكتور إحسان عباس وآخرون ، « وكان الناس يعتقدون أن للشاعر الجاهلى شيطانا أو رئيا من الجن يلهمه ، وأحيانا كان يدفعه بفظاظة إلى الانشاد[4] » ويضيف بعد ذلك فى الفصل الذى تحدث فيه عن (روح الإسلام كما تبدو فى الأدب العربى) : « فلما جاء الإسلام ، اقتضى الوضع الجديد أن يميز الناس بين الوحى ، الذى يختص به النبى ﷺ والإلهام الذى يتصل بالشعر ، وهذا حال دون رفع الشعر إلى مستوى الإلهام الصادر عن قوة لا إنسانية »

وهنا نتساءل عن أمر لم يفصح عنه جرنباوم ، أعنى « القوة اللاإنسانية » فإن كان يريد بها « القوة الإلهية » فقوله حق ؛ إذ أنّ إلهام القوة الإلهية للأنبياء وحى فوق قدرة البشر والجن وغيرهما من خلق يعلمه الله ، وبالتالى ؛ فإن الشعراء أعجز من أن يحوموا حول هذا المستوى ؛ فهذا هو المرتقى المستحيل فأما إن كان تصوره ـ فى هذه المقولة ـ قوة لا إلهية ـ فذلك فى اعتقادى تصور خاطىء ؛ لأن الشاعر حينما يستغرق فى تأملاته ، فى لحظات التجلى ، يجىء إلهامه خارج دائرة الشعور غير متأثر بشىء يشغله عن رؤى وتجليات « معملة السحرى » ـ وفق تعبير الشاعرة جليلة رضا ـ أو يحدد له ماينبغى : وما لاينبغى أثناء انثيال زخات الإلهام بواعيته الباطنة ، وهى بسبيلها إلى الانسياب ، والتماس الأزياء اللفظية للمعانى المبهمة التى تسعى جاهدة إلى الوضوح والاتساق بعد استنزال الشاعر لها أثناء تحليقاته فى تلك اللحظات النادرة ، وهنا يأتى الشاعر بالروائع العجيبة مستفيدا من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى مجالى :

ا ـ الألفاظ والمعانى والأسلوب البلاغى .

ب ـ ومجال آخر متعدد الميادين فى الكتاب العزيز والسنة الشريفة من مثل : حقيقة التكوين الإنسانى التى تشير إليها بعض الآيات من مثل قوله ـ تعالى :

(٣) أنظر كتاب (لقط المرجان فى أحكام الجان) للإمام جلال الدين السيوطى ط سنة ١٩٨٨ ص ١٦٢ .
(٤) أنظر الكتاب المذكور ص ٤٤

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ « النساء ـ ٢٨ »

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ « الكهف ـ ٥٤ »

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ « الأنبياء ـ ٣٧ »

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾ « العلق ٦ ، ٧ »

وغيرها كثير فى تبيان طبيعة النفس البشرية بيانا ما كان الإنسان أن يدركه بطبيعته أبدا إلى ميدان آخر ، كميدان الوصف ، وهو ثر فى هذين المصدرين الجليلين ، وانظر فى ذلك وصف بعض ماجاء فى الجنة .. وفى النار .. وغيرهما .. مما فتق فى العقلية الشاعرة طرقا استفادت منها الكثير فى براعة الوصف مستهدفة فى ذلك هذه الآثار الإسلامية .. كذلك ميدان التاريخ الحق لأهم مواقع الحودث البشرية وتغيير مسارها .. إلى آخره .

***

لقد أدرك منزلة القرآن الكريم والحديث الشريف ، ليس أدباء العربية وفحولها فحسب ، بل أدباء كثير فى الغرب من أمثال جوتة فى ألمانيا ، وملتون فى انجلترا .. وغيرهما كثير .

وصفوة القول إن (هوميروس) أقدم وأكبر شعراء اليونان ، يقول فى مستهل (الإلياذة) ، بترجمة البستانى الشعرية لها ، وهو يثنى على (أخيل) بطل الملحمة الهومرية :

ربة الشعر ، عن أخيل بن فيلا أنشدينا ، وارو احداثا ويلا

وكأنه يتوسل إلى مادة الإلهام ، أو (ربة) الشعر وهى ـ أو هو ـ شيطانه عند العرب وعندهم كما جاء فى معتقدات اليونان القدماء فى جاهلية من الشرك تشبه تلك التى كانت فى العرب ـ تعالى الله عنها علوا كبيرا .

وقد ذكر البستانى فى مقدمة ترجمته للإلياذة ، إنه تحرى الصدق فى الترجمة ، مع مراعاة قوام اللغة ، قائلا : « وطدت النفس على أن لا أزيد شيئا على المعنى ولا أنقص منه ، ولا أقدم ولا أؤخر ، إلا فيما اقتضاه تركيب اللغة ، فكنت أعمد إلى الجملة سواء تناولت بيتا أو أكثر أو أقل ـ وأسكبها بقالب عربى ، أجلو رواءه على قدر الاستطاعة » .

ومن ثم أبقى (البستانى) أسماء معبودات اليونان القدماء فى وثنيتهم على حالها .

وفى المقال التالى نتحدث بالتفصيل عن شياطين الشعراء ، بين الشرق والغرب ، مع ذكر النماذج الدالة ، بجلاء ووضوح .

(للبحث بقية)

تقديم : أحمد تقى الدين

الدعــاة الأوّل
فى أرض الكنانة

للدكتور
محمود محمد رسلان
الأستاذ المساعد فى كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر
والأستاذ المشارك فى جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة فرع الجنوب

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م

من القضايا التى تشغل بال الكثير ، بل الغالبية من أبناء أمتنا الإسلامية قضية « الدعوة الإسلامية » بعد أن دلف إلى هذا الميدان من ليسوا أهلا له ، بل ـ أيضاً ـ العاطل الذى لم يجد عملاً ، والجاهل الذى لم يتلق تعليماً حتى اختلط الصالح بالطالح حتى كاد الناس يفقدون الثقة فى الداعية .

ومن ثم كانت العودة إلى أسلوب وفكر السلف فى الدعوة إلى الإسلام مطلباً ملحاً لنرى كيف جاهد رجال عظماء ونجحوا .

ومن هنا يكتسب مؤلف الدكتور محمود محمد رسلان ، الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر وعنوانه : « الدعاة الأول فى أرض الكنانة » أهميته .

يقع الكتاب فى ٣٩٦ صفحة من القطع العادى وطبع سنة ١٩٩٤ بدون اسم الناشر

منهج الدعاة

صدر المؤلف كتابه بمقدمة خصصها للحديث عن أهمية بحثه ، حيث أكد على أن حلول المسلمين فى أرض الكنانة كان حلول خير ورحمة ، فهى جديرة بهم وبرسالتهم التى قاموا بنشرها ، وأن مصر التى احتضنت الإسلام وسعدت به ، واستمتعت منه بدفء الإيمان وحرارة اليقين فانتصرت به على أعدائها فى الداخل والخارج ، ليسعدها اليوم أن تعاود الكرة وأن تتحمس لأحياء دور الدعاة الذين وفدوا إليها فاتحين ناشرين ألوية العلم والخير والفضيلة .

وأضاف الباحث أن الصحابة الذين نزلوا أرض الكنانة كانوا يحملون مجموعة ضخمة من الأحاديث النبوية والحكم التربوية التى أثروا بها الفكر الروحى والعقدى مما كان لها التأثير الطيب فى نفوس المصريين .

«ولم يمكث الدعاة الأوائل فى عاصمة البلاد جبارين يسخرون المصريين لمآربهم كما فعل الرومان والفرس ، بل نزلوا القرى والأرياف يعملون ويكدحون يحرصون الحرص كله على أداء شعائر الإسلام ، فكانت علاقتهم بأهل مصر علاقة الحب والوفاء» .

وعرض المؤلف فى مقدمته لمنهج الدعاة المسلمين الأوائل فى مصر ذاكرا أنه كان منهجاً فريداً ، حيث أزاحوا القوى الغاشمة التى تحجب عن العقول حرية الفكر والعقيدة وعدم الاكراه فى بسط تعاليم الإسلام ، وجعلوا من أرض الكنانة مجتمعاً يشعر بإنسانيته فى إيمانه وروحانيته فى عقيدته ، ولقد ظهر أثر الصحابة الطيب فى أرض مصر .

وتحت عنوان ولمحة عن أرض البحث ، تحدث المؤلف عن دخول أنبياء الله ـ عز وجل ـ ابراهيم ، ويوسف ، ويعقوب ، وموسى ـ عليهم السلام ـ أرض مصر عارضاً سيرتهم فيها من خلال القرآن الكريم .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن محمد ﷺ وصحابته ـ رضى الله عنهم ـ حيث كان من حكمة العليم الخبير أنه ربى محمداً ﷺ ليربى به العرب ، وربى محمد صحابته ليهذبوا الناس جميعاً ، فهم ـ رضوان الله عليه أجمعين ـ تلامذة مدرسة النبوة وأساتذة العالم كله .

والصحابى ـ فى بعض التعريف به : هو من لقى النبى ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام .

تسامح عجيب

ثم يقدم المؤلف نبذة عن عمرو بن العاص فاتح مصر ، عارضاً نسبه ولمحة من سيرته ودوره فى فتح مصر ثم تحدث عن نظرة ابن العاص إلى الواقع الاجتماعى فى مصر ، حيث وجد أن العاملين على زراعة الأرض كانوا يعملون بلقمتهم الجافة ، ولم يكن معترفاً لهم بالحرية الإنسانية فكان من نتائج الفتح الإسلامى لمصر أن أصبح هؤلاء العمال أحراراً يتملكون الأرض على قدر مالديهم من مال .

وتحدث الباحث عن (حرية العقيدة) التى تمتع بها المصريون فى ظل الفتح الإسلامى حيث كان المتوقع أن يشن المسلمون الفاتحون حملة دينية لبسط عقيدة الإسلام وفرضها فرضاً حيث إنهم

ألفوا من الرومان الاضطهاد الديني حتى أن بطريرك الكرازة المرقسية نفسه كان مشرداً في تلك الأيام لاختلاف مذهبي بينه وبين الرومان . ولكن الأيام كشفت عن تسامح الإسلام العجيب بحيث اتيح للبطريرك المختفي في الصحراء قرابة ثلاثة عشر عاماً أن يحضر ليلي أمر طائفته وهو آمن على نفسه وعلى أتباعه .

ووجد المصريون المسلمين أكثر تنزيها لأنبيائهم ، يكنون لهم الحب والتعظيم للمسيح عليه السلام وأمه الطاهرة البتول وراعى المسلمون حقوق أهل الذمة ، وخاصة في العقيدة والمال والجوار ، بل وانتسبوا إلى أهل مصر ، وهذا تواضع من قوم غلبوا الفرس والروم في الوقت الذى أنف فيه الفرس أو الروم أن يتسموا بالمصريين ترفعاً وتكبراً .

وهكذا أحاطت الدعوة وأحاط الدعاة الأول بمصر من جميع الجهات فصبغوها بالصبغة الإسلامية ، فلم تعارض مصر وكأنها كانت على موعد مع الإسلام .

الدعوة في أرض الكنانة

ثم تحدث المؤلف عن : « نشر الدعوة في أرض الكنانة » حيث اتخذ المسلمون منهجاً فريداً في نشر الدعوة في مصر تمثل في إزاحة القوى الغاشمة المتمثلة في الرومان ومن على شاكلتهم والتى تحجب عن العقول حرية العقيدة والفكر ، مع عدم الإكراه في بسط تعاليم الإسلام حتى تمكنوا الشرائع الله في الأرض عن طريق التطبيق العملى لشرع الله .

لقد جاء الإسلام ليدفع عن المظلومين الأذى والفتنة التى كانوا يسامونها ويكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم والنجاة الأخروية وما شرع الإسلام الجهاد إلا لتقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة « لا إكراه في الدين » .

وقد أخذ الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على عاتقهم اقامة حكم الله في الأرض قولاً وعملاً ، فقد حكم المسلمون القرآن الكريم فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وأقاموا حدوده وطبقوا شريعته بادئين بأنفسهم ثم من يليهم ، فحازوا إعجاب المصريين حتى تحول الإعجاب إلى اقتناع ثم اعتناق لدين الفاتحين .

وامتاز الصحابة بأنهم كانوا جامعين للدين والخلق متأسين بمحمد ﷺ إيماناً وعقيدة ، وعدلاً وخلقاً ، وتربية وتهذيباً ، ومن ثم كانوا سبب نهضة الإسلام وعلو كعبه .

صفات الدعاة

ثم تحدث المؤلف عن « صفات الدعاة الأول في أرض الكنانة » فقال أن صلتهم بالله سبحانه وتعالى تميزت بالقوة كان إيمانهم ارتباطاً مطلقاً بالله تعالى مع التوكل الراسخ عليه والتسليم الكامل لكل مايأتى به من غير شك أو ريب فكانت دعواتهم نابعة من أفعالهم ، وبمثل هذه الصلة الصادقة مع الله ــ عز وجل ــ كان اكتمال عقيدة الدعاة في أرض الكنانة فكانوا الخير كله لأهلها .

ثم تتبع المؤلف صحابة رسول الله ﷺ الذين دخلوا أرض الكنانة فاتحين ، أو اتخذوها قاعدة لفتوحاتهم الخارجية إلى إفريقية والأندلس أو الذين دخلوها بعد الفتح مستوطنين ، مركزاً على ذكر أسماء الصحابة وألقابهم وكُناهم ووفادتهم على رسول الله ﷺ وأشهر أعمالهم مرتباً أسماءهم على حروف المعجم معتمداً على كتب الرجال كالاستيعاب ، وأسد الغابة ، وتاريخ البخارى الكبير ، والإصابة ، وتقريب التهذيب لابن حجر المصرى ، وحسن المحاضرة للسيوطى الخ .

وهؤلاء الدعاة الأول الذين شملتهم الدراسة كان منهم من المهاجرين عمرو بن العاص وابنه عبدالله ، والزبير ، وعبدالله بن عمر ، وسعد بن أبى وقاص ، وخارجة بن حذافة ، وقيس بن أبى العاص السهمى ، والمقداد بن الأسود ، وعبدالله بن سعد بن أبى سرح ، ونافع بن عبد قيس الفهرى ، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ ، وابن عبده ، وعبدالرحمن ، وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة .

وكان منهم من الأنصار : عبادة بن الصامت ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو أيوب خالد بن يزيد ، وأبو الدرداء عويمر بن عامر ويسمى عويمر ابن يزيد .

وما من شك فى أن هؤلاء الصفوة وضعوا أسس مدرسة الحديث الشريف بمصر .

واستطاع المسلمون أن يسوسو مصر حتى دانت بالإسلام وصارت قاعدة لفتح بلاد إفريقية والأندلس .

تعقيب

الذى يظهر من عنوان البحث أنه يحمل مضموناً جديداً فى بابه «الدعاة الأول فى أرض الكنانة» فهو - على قدر علمى - موضوع لم يطرق خاصة وان الباحث قدم كما هائلا من أسماء الصحابة رضوان الله عليهم ممن دخلوا مصر فاتحين داعين الى شهادة : الا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقد كان غريباً ألا يضم البحث اسم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خليفة المسلمين وصاحب قرار فتح مصر والذى كانت له مواقف مشهودة أسهمت بلاشك فى توطيد حركة الدعوة إلى الإسلام فى مصر .

ألم يكن هو الذى اقتص للمصرى من ابن عمرو بن العاص .

كذلك كان ينبغى للباحث أن يتعقب الأسباب التى أتت بمنهج أو أكثر فى طريقة الحكم حتى يشرق من بين هذه الصفحات الوجه الكريم لأصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله تعالى عنهم .

ونرجو أن يهتم الباحث بمعالجة الأخطاء المطبعية حيث جاء خطأ فى الآية ٥٥ من سورة يوسف

﴿قال : اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾ ص١٣ وليس من الصواب السكوت عليه .

وفى ص١٤ غفل عن ذكر المصدر فى الهامش رقم ٣ وتركه خاليا . وفى ص٣٥٦ قال : «أن أبا هريرة» بدلا من «أن أبا هريرة» .

نسأل الله - تعالى - أن ينفع بهذا البحث





إعداد الأستاذ
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من أهم روافد الاشعاع الثقافى ..

ومجلة الأزهر إيمانا منها بأهمية الدور الذى يؤديه الكتاب تقدم هذا المقال الذى يعرف بعض الكتب بعنوان « دوحة الكتب » .

نقدمها دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة نود منها تعريف القارىء بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية والله الموفق .

المحرر

معانى الألفاظ الفريدة

معجزة جديدة للقرآن

تأليف / حمدى العليمى

الناشر : مطابع دار الفتح بالدقى

هذا الكتاب يُعد علماً جديداً من العلوم التى تبين إعجازاً لا مثيل له فى وحدة السورة القرآنية من جهة المحتوى والمضمون - أى وحدتها الموضوعية .. فمن قائل بأن السورة القرآنية - ويعنى هنا بوجه خاص السورة الطويلة نسبياً - ليس لها موضوع رئيسى موحد تدور حوله ، بل تتعدد موضوعاتها وتتنوع أغراضها . ومن قائل بأن للسورة موضوعاً رئيسياً وأن الموضوعات الأخرى الواردة فيها تخدم هذا الموضوع

الرئيسي ، بوجه أو بآخر، وتدور في فلكه أو ترتبط به ارتباط الجنين بأمه .

هذا الكتاب حصل مؤلفه على الإجازة والموافقة على الطبع والنشر من الأزهر الشريف، ويقع في ٨٠ صفحة ، تعرض الآراء ورد المؤلف ..

كذلك تحدث المؤلف عن نزول القرآن منجماً والحكمة منه (والطريقة العجيبة في ترتيب آيات السورة) ثم يورد الباحث رسماً تخطيطياً لروابط سورة المائدة ممثلاً بمحيط الدائرة ..

وينتهي المؤلف إلى ذكر المراجع التي استعان بها. والخلاصة في هذا الكتاب : أنه ترك سور القرآن ذاتها تقوم بالرد على المشككين في وحدة السورة ، وذلك بطريقة إعجازية مبهرة .

كيف ذلك .؟؟ إنها مثاني الألفاظ الفريدة ، أو الألفاظ والتعبيرات التي تنفرد السورة الواحدة بذكرها ، ثم تقوم بتكرارها مرة ثانية أو أكثر لتؤكد بذلك مصداقيتها .

جدد حياتك

المؤلف / فضيلة الشيخ محمد الغزالي
الناشر : دار نهضة مصر
الطبعة الثانية ١٩٩٥

هذا الكتاب يلفت الجاهلين بالاسلام والقاصرين في فقهه إلى الخاصّية الأولى في هذا الدين ، وهي أنه دين الفطرة فتعاليمه المنوعة في كل شأن من شئون الحياة هي نداء الطبائع السليمة والأفكار الصحيحة ، وتوجيهاته المثبوتة في أصوله متنفس لما تنشده النفوس من كمال ، وتستريح اليه من قرار .

هكذا بدأ مؤلف هذا الكتاب الذي جمع فيه كثيراً مما يتعلق بدين المسلم ودنياه من منظور إسلامي معاصر ..

يقع الكتاب في (٢٠٨) صفحات بدأها بمقدمة طويلة تلاها بفصول تناول فيها : تجديد الحياة ، عش في حدود يومك ، إزالة القلق ، حياتك من صنع أفكارك ، العمل بين الأثرة والايثار وبين الايمان والإلحاد ، وأخيرا حاسب نفسك .

وخاتمة انتهت بهذه الكلمة الطيبة :

إنَّ أنفسنا وبلادنا وحياتنا وآخرتنا في ظمأ هائل ، إلى مزيد من المعرفة والضياء بمهارة فائقة وعين بصيرة .

استطاع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في مؤلفه هذا إن ينقل القارىء إلى الحياة الإسلامية ليرد السائب للأصل الراسخ .

محمد عبده أديبا وناقدا

تأليف الأستاذ الدكتور / السيد تقي الدين السيد
الناشر : دار نهضة مصر
الطبعة الأولى ١٩٨٩

لا شك أننا في عصر التخصص ، وأن كانت كل جماعة منا اليوم تخصصت في ناحية من نواحي الإصلاح، بعد أن كان محمد عبده، ومن سبقوه من رجال القرن الماضي على وتيرة مخالفة .. والشباب المصري في مستهل القرن العشرين كان في حيرة من أمره أخذ يقلب البصر في الظلام الكثيف ، يتلمس بصيصاً من نور ، وينطلق الى رائد يرشده .

سرعان ما وجده في شخص رجل قد زانته الحكمة وصقلته الثقافة وحنكته التجارب ، دون أن تفقده حدة الذهن وتأجج العاطفة وعزيمة الشباب .

وقد خلف لنا هذا الامام تراثاً إنسانيا خالداً ، مضت عليه عشرات العقود منذ بدأ رحمه الله جهاده فى الميدان العام .

وقد توزع فى أطواء الزمن بين حياته وهو تلميذ وحياته فى رياسة الوقائع المصرية ، واشتراكه فى الثورة العرابية ، وجهاده فى المنفى بيروت وباريس، ثم فى مصر إلى أن توفى .

نهج مؤلف هذا الكتاب نهجاً جديداً فى تحليل وبيان حياة الامام لتصبح دراسة جديدة تنير الطريق أمام الشباب والشيوخ الذين لم يعاصروا هذا الامام العالم .

قسم المؤلف منهجه إلى أصول ثلاثة :

« تاريخى » ويعنى به دراسة الوسط الذى أحاط بالإمام من مناخ وبيئة طبعية وأحوال سياسية واجتماعية ونحوها .

« نفسى » من حيث تأثر أدب الإمام ونقده بشخصيته ، لأن نفس الإمام هى المنبع الذى صدرت عنه أعماله الأدبية والنقدية .

« نقدى » يبحث الأداء الفنى عند الإمام بين النظرية والتطبيق .

والكتاب : يقع فى (٤٠٨) صفحات .

استعان المؤلف بأكثر من ١٠٨ من أدق المراجع العربية ثم بعض المخطوطات والدوريات وقسم هذه الدراسة المستفيضة إلى ستة فصول تناولت :

آراء وأحاديث : حياته وبيئته، آثاره، الاتجاه الأدبى عند الإمام شكلاً وموضوعاً . ثم نظرية الأنواع الأدبية عند الإمام .

وأخيراً : النقد بين النظرية والتطبيق .

ومن ذلك نرى أن المؤلف قد سلك مسلكاً واضحاً جلياً فى توضيح مفهوم الإمام الذى بين لنا فيه أن محمد عبده قد حول النقد الأدبى إلى حركة اجتماعية تربوية عملية، ولم يجعله مجرد نظرية أو فكر، كما لم يجعله قاصراً على فرد، بل وجهه إلى خير المجموع .

قبسات من السنة

تأليف الشيخ / أحمد البسيونى

هذا الكتاب يقع فى جزأين : الجزء الأول (٣٢٠) صفحة والجزء الثانى (٤٥٠) صفحة وقد اشتمل هذان الجزآن على عدة مقدمات لكبار العلماء .

والكتاب يقدم وجبات روحية على مائدة رسول الله (ﷺ)

سلك فيه المؤلف منهجاً فريداً فى بابه مزج فيه بين الفقه والوعظ واختار الأحاديث فى إطار موضوعات اجتماعية دوت غلة ، وأزالت شبه ، وحررت أحكاماً . وألقت فى القلوب طمأنينة وسكينة .

بدأ الجزء الأول بالبيان والتعريف لعلم الحديث ثم كلمة فى حديث: (إنما الأعمال بالنيات) وتلاه بأحاديث أخرى كثيرة تناولها بالشرح والتوضيح والإفاضة ومزجها بالموعظة الحسنة والقصص الهادف .

وأنهى طائفته الأولى من القبسات بموجبات الجنة، وأفرد فى تقديمها وتوضيحها أكثر من ثلاثين حديثا فى هذا الجزء .

وحوى الجزء الثانى موضوعات عدة بدأت بكلمته (اتباع لا ابتداع) وانتهت بموضوع (الحلال والحرام) . وفى هذا الجزء تناول أكثر من أربعين حديثا نبوياً شريفاً تعتبر زاداً للدعاة وتوجيهاً للمثقفين ، ولمن أراد أن ينتفع بعلم الحديث الشريف والعمل به . ومن أراد الله به خيراً فقهه فى الدين .

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

موقف الإسلام من تعليم المرأة

حرص الإسلام على العناية بالمرأة ، فأعطاها حقوقاً لم يعطها إياها أى قانون أو تشريع شهدته البشرية ، ولم ينصفها مثلما أنصفها الإسلام .

فهانحن بين أيدينا حديث رسول الله ﷺ إذ يقول : « من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها ، وعلمها فأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعم الله الذى أسبغ عليه ، كانت له منعة وستراً من النار » رواه الطبرانى . وقوله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً » رواه مسلم . ومن هذه الوصية يتفرع الاهتمام بالمرأة تعليماً وتأديباً . وحول هذا المعنى وردت إلينا رسالة القارىء ناصر مصطفى عبد الحميد ـ محافظة الشرقية ـ قرية شوبك اكراش ـ يقول فيها :

للعلم مكانة فى الإسلام لم تكن فى غيره قط ، وهذا نراه واضحاً فى الآيات الكريمات بداية من أول سورة أنزلت « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ »(١) حتى انبسط أمره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ »(٢) .

(١) سورة العلق ١ .

(٢) الزمر ٩ .

وفى الحديث الشريف الذى يرويه أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ يقول : قال رسول الله ﷺ : « **طلب العلـــم فريضة على كل مسلم** »[3] ولفظ « مسلم » هنا يقصد به الرجل والمرأة ؛ لأن فيها تعميم ولذلك يرى بعض العلماء أن الإسلام حث على تعليم المرأة حيث يقول الله ـ تعالى :

« **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** »[4] .

ويقول الرسول ﷺ : « **أيما رجـل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسـن تعليمها وأدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران** »[5] .

وكانت عائشة ـ رضوان الله عليها ـ أفقه نساء العالم وأكثرهن رواية للحديث عن رسول الله ﷺ .

إذن : فالإسلام لا يمنع تعليم المرأة ، ولكن المشكلة هى نوعية العلم الذى تتلقاه المرأة .

إنه العلم بأصول دينها أولا .

ثم العلم بشئون الأسرة وتربية الأولاد وتدبير المنزل والشئون الصحية وسياسة الأطفال وغير ذلك مما تحتاجه فى بيتها .

أما أن تتعلم المرأة الجيولوجيا والتنقيب عن البترول ، وغير ذلك مما لا يتفق وصبغتها فلا لزوم له ، وللمرأة حقوق فى التعليم والتربية ، وأولى بالمرأة أن تعرفها وتلم بها ، مصداقاً لقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[6]

وكيف يقى المسلم أهله وبناته من النار إن لم تتعلم المرأة ما ينفعها فى دنياها وآخرتها ، ويجعلها أكثر قدرة على المشاركة فى الحياة الزوجية ، وأعرف بأصول تربية أطفالها .

ومن هنا يقول الرسول ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » ويشمل مدلول الحديث كل مسلمة ـ أيضاً ـ إلا أن التعبير بالمسلم من باب التغليب »[7] .

ومن المستحسن أن تلم فتياتنا بالطب والتدريس ليكون الذى يعالج المرأة والذى يعلمها امرأة مثلها ، وقيام المرأة بمثل هذه المهام من طب وتدريس وتربية للنشء ودعوة لغيرها من النساء يستدعى إلمامها بما استجد من علوم فى هذه المجالات مثل : علوم الكائنات الحية والصيدلة وعلوم النفس والاجتماع وعلوم تنمية شخصية الطفل ... إلخ .

وتستطيع المرأة أن تمارس الرياضة فى بيتها ، وما تشاء من علم لم يحرمه الإسلام ، فقد استعاذ أسلافنا من علم لا ينفع .

---

(3) أخرجه ابن عدى والبيهقى فى شعب الإيمان ، والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود وصححه الألبانى فى الجامع الصغير ٣٨٠٨ .

(4) الأحزاب ٣٤ .

(5) رواه البخارى .

(6) التحريم ٦ .

(7) أختى المسلمة .. النبى قد علمها عليك الحقائق للدكتور سعد الدين السيد صالح ص ٩ ، ١٠ الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ دار الأرقم ـ الزقازيق .

فضل تعليم المرأة :

وفي الحديث الشريف « **من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان ، فأحسن صحبتهن ، واتقى الله فيهن ـ وفي رواية ـ فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة** »[٨] .

وهذا الإحسان الذي يشير إليه الحديث الشريف هو إحسان التربية والأدب ، والنشأة ، ولا يكون ذلك إلا مع العلم الذي يكفل ثقافة العقل وتهذيب النفس[٩] .

ولقد تقدمت المرأة في طلب العلوم الإسلامية حتى صارت فقيهة .. من أولئك ابنة الإمام أحمد ابن حنبل ، وفاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي صاحب « تحفة الفقهاء » ، فقد تفقهت على أبيها ، وحفظت تحفته ، وتزوجها علاء الدين بن أبي بكر صاحب البدائع ، وكان زوجها يخطيء فترده إلى الصواب ، وكانت الفتوى تأتي ، فتخرج وعليها خطها وخط أبيها فلما تزوجت ، بصاحب البدائع ، كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها .

العدل في المجتمع الإسلامي

كما أرسل القارىء : **محمد على البلجيهي ـ أويش الحجر ـ المنصورة ـ تلك الكلمة عن العدل في المجتمع الإسلامي ـ يقول فيها :**

لقد بلغت العدالة في المجتمع الإسلامي الأول أوجهها لا سيما في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ، ففي هذه الحقبة الزمنية تحققت أحلام المصلحين وآمالهم ، في مجتمع تظله العدالة ، وتحكمه الرحمة والمودة فصار المثل الأعلى للعدالة واقعاً حياً في دنيا الناس .

إن المجتمعات التي تدين بالإسلام في عصرنا الراهن ، لازالت تجد في المجتمع الإسلامي الأول ، الأسوة والقدوة في كل تشريع ، تستهدف به جوهر العدالة لتصون الحق وتقاوم الفساد .

لقد أمر الله حكام الأمة الإسلامية بالعدل ، وكذلك كل من يتولى شأناً من شئون المسلمين ، ويتأمر على جماعة صغيرة كانت أو كبيرة ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ٥٨ النساء

قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم :

« إن هذه الآية نزلت في الأمراء » ! . هذ النبي

---

(٨) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحيهما ، والترمذي واللفظ له .

(٩) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة للبهي الخولي ص ٢١٠

هدى القرآن الكريم يحقق الأمن

* وردت رسالة القارىء : عبد العظيم محمد إبراهيم شيخ مقرأة الشيخ الدرديرى .

يقول فيها :

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ سورة المائدة ـ آية ١٥ ، ١٦ .

إننا نقرأ الآن ونسمع عن حوادث مؤلمة ومفجعة تشمئز منها القلوب وتقشعر منها الأبدان ، ومن العجيب أن هذه الحوادث تحدث فى أهم البلاد وأعظمها تقدماً وحضارة فى هذا العصر الحديث . وكان المفروض أن تقدم هذه البلاد وحضارتها يقفان مانعاً حصيناً من حدوث مثل هذه الحوادث . ولكن الواقع يثبت غير ذلك ، فما هو السبب الحقيقى فى وقوع مثل هذه الحوادث ؟

القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال إجابة صريحة يقرها الواقع الملموس :

فيقول الله تعالى فى صفة القرآن الكريم ، أنه تعالى يهدى به من اتبع رضوانه سبل السلام أى طرق الأمن والسلامة ، والمقصود بكلمة الرضوان فى الآية الكريمة هو اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه لأن ذلك يرضى الله تعالى فأسماه بالرضوان . ولم يكتف الله تعالى فى وصف القرآن الكريم بأنه يهدى إلى طرق الأمن والسلامة بل زاد على ذلك فى وصفه فقال واصفاً متبعى رضوانه بأن الله يخرجهم من الظلمات إلى النور أى يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان واليقين ، ويهديهم إلى الطريق المعتدل الموصل إلى الجنة فلو أن الناس جميعاً عملوا بهذا الهدى الكريم لأراحوا أنفسهم من الشحناء والبغضاء والكراهية التى تسبب العدواة بين الناس وتحفزهم إلى التقاتل والحروب .

فما أحوج الناس فى هذا الزمن بل فى كل الأزمان إلى تفهم القرآن الكريم وتدبر معانيه كما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

سورة الحجرات ـ آية ١٣

والمقصود بالتعارف فى الآية الكريمة هو التقارب وجمع الشمل والتعاون فى البر والتقوى لا التباعد والتنافر المفضى إلى الكراهية والبغضاء .

فهل آن لنا أن نعمل بكتاب الله فنتعاون فيما بيننا على البر والتقوى ونعيش فى أمن وسلام ، ونعمل أيضاً بحديث رسول الله ﷺ **« أحب لأخيك ما تحب لنفسك تكن مؤمناً »**.

أرجو أن يوفقنا الله إلى ذلك :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

سورة هود ـ آية : ٨٨

ثمرة شجرة الإيمان

كما حمل إلينا البريد رسالة القارىء : **أحمد محمود الطباخ ـ مدرس علوم عربية بالمعهد الثانوى بأبى حمص ـ بحيرة ـ وفيها يقول :**

إن الإيمان شجرة طيبة تضرب بجذورها فى الأصول الثابتة المتينة ، وهذه الشجرة لها فروع وغصون وأفنان هى تلك الأعمال الصالحة ، فالإيمان قوة دافعة للخير ، وشاحنة للبر ، محلها القلب الذى بمثابة التربة الصالحة التى تنمى الإيمان وترعاه وتزيده طالما كان القلب طاهراً من الذنوب ، مبرءاً من الأمراض ، ولذلك سترى الشجرة قد أثمرت الاستقامة ولـذلك سأل سفيان بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ الرسول ﷺ ليقول له قولاً لايسأل عنه أحداً غير الرسول ﷺ فقال له الرسول ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه الترمذى وقال حسن صحيح ـ إن الإيمان إذا وقر فى القلب اطمأن الإنسان فعندئذ يكون مؤمناً إيماناً حقيقياً متسجماً مع ظاهر الجوارح لأن حياته لن يكون فيها غش ولاتدليس ، من أجل ذلك كان جزاؤهم يوم الحساب الجنة ونعيمها **فيقول ـ تعالى :**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

إن المجتمع لو استقام ما رأينا هذه الصور الغريبة التى يندى لها الجبين . وتقطع لها نياط القلب لأننا نتمنى أن نرى مجتمعا يسوده الحب والوفاق والترابط كالجسد الواحد ، فاللهم حقق آمالنا .

الحكمة الإلهية من إرسال الرسل

كما أرسل القارىء : **سالم مهنى عبد العظيم محمد ـ قرية شبرا النونة ـ إيتاى البارود :**

اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يرسل الناس رسلاً منهم مبشرين ومنذرين لإنقاذ البشرية من الضياع والتخبط والحيرة ، أرسلهم ليرشدوا العقول إلى معرفة الخالق ـ سبحانه ـ وإدراك ما يتصف به من كمالات ، وليجمعوا كلمة الحق على توحيده وإفراده بالعبادة والتقديس وليبينوا للناس أحوال الآخرة وما فيها من ثواب يرغب فى الخير وعقاب يرهب من الشر وما يجب عليهم عمله لتجنب العذاب واكتساب الثواب ويعبرون عن ذلك بأسلوب يناسب طاقة العقول والمفاهيم أرسلهم الله ليبلغوا شرائعه التى تحدد للناس كيف يقومون أنفسهم وكيف يكبحون جماح شهواتهم وليضعوا قواعد العدل التى يخضع لها عباد الله ، يشرعون الحدود العامة التى يسهل رد أعمال

الناس إليها وينظمون العلائق والصلات بين الأفراد والجماعات فى الدين والمعاملات ويبينون مع ذلك الصفات الفاضلة ، كرعاية الحقوق واحترام الأعراض والاعتراف لكل مخلوق بحقه وأن يعين قويهم ضعيفهم ويهدى راشدهم ضالهم .

أرسلهم الله لبيان الخلق الفاضل وأيدهم بمعجزات باهرات حتى تذعن العقول لهم وتصدق بما يخبرون ، ويركن الجميع لما جاءوا به ويتم الإقناع بصدق رسالتهم لتقوم بهم الحجج فتنقطع معاذير الخلق وتعليلاتهم وتبطل حججهم أمام الله - عز وجل .

قال - تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

سورة الإسراء - آية : ١٥

فإرسال الرسل إذن من أهم ما تحتاج إليه البشرية فى بقائها ويتوقف عليه صلاح معاشها ومعادها لذلك أرسلهم الله :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾

سورة النساء - آية ١٦

الإسلام وحقيقته ومنزلته

كما وردت رسالة القارئة : أم هاشم حسين يوسف - قنا - إسنا - الزاوية البيضاء .. تقول فيها :

الإسلام فى اللغة : الانقياد ، والخضوع ، والتسلم وهو بذلك :

دين الله على لسان جميع الأنبياء لجميع الأمم هو الإخلاص لله تعالى والرجوع عن الهوى إلى حكمه .

والمسلم : هو من أسلم وجهه لله ورضى بقدره وبطاعته وانقاد لحكمه قال - تعالى :

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ سورة لقمان

والإسلام : دين سمح ، تكاليفه واضحة وسهلة وميسرة ، فهو دين كامل من جميع النواحى قال تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

سورة المائدة - آية : ٣

فمن أجل ذلك انتشر الإسلام بذاته لا بجاه ولا بقوة .

والإسلام : دعوة عامة إلى الثقلين « الجن والإنس » قال تعالى :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾

سورة الأنعام - آية : ١٩

فيدخل الجن مع الإنس فى عموم قوله **﴿ ومن بلغ ﴾** وكذلك الإنس .

والإسلام : عقيدة معتدلة وسطية تخاطب الروح والعقل معاً وتدعو إلى تهذيبهما .

قال - تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

سورة البقرة ـ آية : ١٤٣

وقال ﷺ « الـوسط : العـدل » رواه الترمذي .

والزيادة على العدل إفراط والنقص عنه تفريط وكلاهما مذموم ، والفضيلة في الوسط .. ويقال : خير الأمور الوسط .

والإسلام : آخر الأديان وخاتمها لأن رسوله الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين .

قال ـ تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

سورة الأحزاب ـ آية : ٤٠

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القرآن الكريم

ومن القارىء محروس عبد الفتاح يس ـ الإسماعيلية ـ حي السلام ـ وردت هذه الرسالة عن القرآن الكريم يقول فيها :

القرآن كتاب عربي أتى على نسق ما ألفه العرب في لغتهم ، ومن حيث المفردات والجمل ومن حيث القواعد والقوانين التي تصاغ بها هذه المفردات ، وتتكون منها تلك الجمل :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1]

فينبغي ـ علينا ـ حين قراءته الالتزام بالطريقة الصحيحة في نطق ألفاظه ، ومراعاة ضبط آياته وتشكيلها بالصورة التي تلقيناها من سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

وذلك للابتعاد بالقرآن الكريم عن اللحن : خفية وجلية ، ولإظهار ما له من جلال وجمال وحلاوة وطلاوة . « عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجيء أقوام من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبان والنوح مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم** »[2] .

والتهاون في هذا الجانب يخل بمعنى اللفظ المقروء ، وقد يفهم على عكس مراد الله من ذكره . فيؤدي إلى إنكار حقائق إيمانية ثابتة ، أو قلب مفاهيم عقائدية واضحة .

وأوضح مثل على عدم الدقة والالتزام بتشكيل الحرف ؛ قراءة لفظ « ورسوله » من قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾[3]

بكسر اللام . فذلك يفيد أن الله بريء ـ حاشا لله ـ من رسوله ، مع أن القرءة السليمة التي يستقيم بها الفهم ، ويتضح معها المعنى الحق : القراءة بضم اللام .

(١) آية رقم ٢ من سورة يوسف .

(٢) موطأ الإمام مالك ، وسنن النسائي .

(٣) آية رقم ٣ من سورة براءة « التوبة » .

رسائلكم وصلت

وحيد حامد الدهشان ـ المطرية
أحمد محمود الشريف ـ الملك فيصل ـ جيزة
محسن عبد المعطى عبد ربه ـ المحلة الكبرى
سعيد ربيع ـ حلمية الزيتون
صالح غانم أحمد راشد ـ سوهاج ـ ادفو
طلعت نصر الدين عبد الوهاب ـ المنصورة
يحيى السيد النجار ـ دمياط
داود الطيب خليفة عثمان ـ كلية اللغات
محمود عبد الوهاب محمد ـ الاسكندرية
على حمدون أحمد ـ كفر الشيخ
جمعة شعبان غرباني ـ أبو الوقف البلد
عبد الرحمن حمدى عبد التواب ـ القاهرة
محمد أحمد جمعة السحرى ـ الغربية
ياسر محمود مصطفى ـ معهد الدعاة
السيد الشافعي ـ الرحمانية
السيد التحفة ـ بحيرة
كامل جيلاني ـ جرجا
إسماعيل حاتي ـ الجزائر

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تواصل المجلة اهتمامها بعرض الرسائل التى تتلقاها تباعاً .

تنـــويه

تود إدارة المجلة أن تؤكد على اهتمامها بتخريج الأحاديث النبوية ، وأنـه كثيراً ما تحجب موضوعات جيدة عن النشر لعـدم تخريج الأحاديث الواردة بها ، لذا نذكر السادة القراء الذين يراسلون المجلة بضرورة الاهتمام بذلك .



تقدير الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يفتتح المخيم الدولى الثانى لشباب العالم الإسلامى

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بافتتاح المخيم الدولى الثانى لشباب العالم الإسلامى الذى أقيم هذا العام بمحافظة الإسماعيلية تحت شعار « دور الشباب فى تحقيق التضامن الإسلامى » ونظمه المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامى بحضور لفيف من شباب العالم الإسلامى الدارسين بالأزهر الشريف .

وقد تحدث إليهم فضيلته مطالبا إياهم بالتمسك بالتكاليف الشرعية وأداء العبادات التى فرضها الله تعالى حتى تستطيع الأمة الإسلامية أن تنهض بهذا الشباب المسلم المتمسك بدينه ، مشيرا إلى أن الشباب إذا تمسك بدينه وحب العلم النافع وعشقه عرف السعادة وسار على الطريق الصحيح .

ووجه فضيلته نصيحته للشباب قائلا : إننى أنصح الشباب بالتسلح بالعلم ، حتى يكونوا قد وقفوا على أرض صلبة وقد أسسوا أنفسهم تأسيسا صحيحا كما ينبغى منهم لأن العلم يزيد الإنسان إيمانا وثباتا ويعمق صلتنا بخالقنا .

وأضاف فضيلته : أيها الشباب والأبناء يجب عليكم أن تتسلحوا بسلاح الخلق القويم لأن العلم إذا استعمل فى الشر والمعصية يكون مدمرا والأخلاق تحمى العلم من الانحراف ، والإسلام يتميز بأنه دين سهل وواضح فى الأخلاق والعبادات والمعاملات وهذا الوضوح الذى ييسر على أتباعه الالتزام به يأتى من أنه دين الفطرة ودين الوسطية وليس فيه طلاسم ولا غموض .

وأكد فضيلته فى ختام كلمته أن اجتماع الشباب من مشارق الأرض ومغاربها من أجل إحياء التضامن الإسلامى هو عمل جليل ومهم وهو يمثل للأمة دور القلب بالنسبة للجسد .

شهد اللقاء فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة والدكتور مانع الجهنى أمين عام الندوة العالمية للشباب الإسلامى .

وبمعسكر إعداد الدعاة بالإسماعيلية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ان تعاليم الشريعة الإسلامية اهتمت بتربية الفرد دينيا وخلقيا وعلميا واجتماعيا ونفسيا وبدنيا ، وأن هذه التعاليم فيها كل اعتدال وعدالة وسماحة .

جاء ذلك خلال لقاء فضيلته بالطـلاب المشاركين فى معسكر إعداد الدعاة الذى نظمته جامعة الأزهر بمدينة الإسماعيلية حيث ألقى كلمة حملت أماليه بمستقبل زاهر لهم من أجل خدمة دينهم وأمتهم ، ومن أجل أن يعيشوا فى هذه الحياة يبنون ولا يخربون ، يصلحون ولا يفسدون .

وقال فضيلته إن الأزهر بفضل دراسته الإسلامية كفيل أن يخرج منه الذين ينشرون النور فى الأرض وينشرون الحق والعدل ومكارم الأخلاق ، يعتنقون الفضائل ويجتنبون الرذائل ويتعاونون على البر والتقوى .

وأكد فضيلته على أن أبرز مميزات الشريعة الإسلامية الوضوح فليس فيها طلاسم أو ألغاز ولكنها شريعة واضحة وضوح الشمس تقف بجانب المظلوم حتى يحصل على حقه ، وتقف فى وجه الظالم حتى يرتدع عن ظلمه ، وتأمر المسلمين بأن يتعاونوا فيمـــا بينهم على البر والتقوى .. واشتملت على القضايا والوصايا الهامة الكريمة التى تسعد الفرد فى دينه ودنياه وفى كل حال من الأحوال : يقول الحق تبارك وتعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

سورة النحل ـ آية : ٩٠

فهذه الآية الكريمة اشتملت على مكارم الأخلاق وعلى ما يسعد الإنسان فى عقيدته وسلوكه وصلته بغيره ويسعده فى حياته كلها .

وأوضح فضيلته أن الأمر بالعدل فى الآية الكريمة معناه أن تنشر الحق بين الناس وتعدل بينهم بمعنى أن تنطق بالكلمة التى لا ظلم فيها لأحد ، والله أمرنا أن نعدل فى أقوالنا ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ وفى أحكامنا ﴿ وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ﴾ وفى شهاداتنا ﴿ واشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ لأنه بالعدل قامت السموات والأرض .

وفى ختام كلمته أشار فضيلته إلى أننا فى حاجة إلى أن نغرس فى نفوس شبابنا مكارم الأخلاق ، والصدق ، والعفاف والطهارة ، وعشق الاطلاع

والقراءة ، لأن العلم ينفعك فى دينك ، ودنياك حيث قال رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الصحيح « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم » والعلم كما قال على بن أبى طالب لكميل بن زياد العلم خير من المال ، فالعلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، والمال محكوم والعلم حاكم .. وحينما نطلب العلم لله سيعطينا الله من فضلـه ، والاخلاص فى العلم يغرس التقوى فى القلوب .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ .

سورة الطلاق ـ آية : ٢

شهد اللقاء فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ولفيف من قيادات جامعة الأزهر الشريف .

ويؤكد فى مؤتمر إسلامى بمحافظة الشرقية: رسالة الأزهر لا تقتصر على مصر وحدها

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ولفيف من قيادات الأزهر والأوقاف وجامعة الأزهر بزيارة لمحافظة الشرقية حيث قاموا جميعا يرافقهم الدكتور حسين رمزى كاظم محافظ الشرقية بافتتاح مسجد النادى الرياضى بمدينة ههيا الذى أقيم بالجهود الذاتية وتكلف أكثر من ربع مليون جنيه .

وفى نهاية الزيارة شهد فضيلته ومرافقوه المؤتمر الذى عقد بديوان عام المحافظة حيث ألقى فضيلته كلمة أكد فيها ، على أن الأزهر الشريف مؤسسة تعليمية لتخريج الدعاة والأئمة والمستنيرين الذين يقومون بنشر المفاهيم الصحيحة للإسلام بعيدا عن التعصب والتطرف .

وأكد فضيلته أن الأزهر يقوم بإيفاد بعثات دينية إلى دول العالم الإسلامى حيث أن رسالته لا تقتصر على مصر وحدها ، بل تمتد إلى جميع دول العالم حيث يستقبل سنويا عشرات الآلاف من أبناء العالم الإسلامى بمذاهبهم المتعددة ، ويتيح لهم فرصة التعليم المجانى المعتدل ليعودوا إلى بلادهم لنشر كلمة الحق والعدل .

وأضاف فضيلته بأن الأزهر الشريف يضم آلاف المعاهد الدينية التى تنتشر فى جميع أنحاء مصر وتقوم بنشر التعليم الدينى بين أبناء مصر .

وتحدث فى المؤتمر فضيلة الدكتور وزير الأوقاف الذى أعلن أن أكثر من ١٥٠ إماما يحاضرون حاليا بصفة دائمة فى معسكرات الشباب لتوعيتهم بأهم القضايا التى تشغل الوطن وللإجابة على الاستفسارات المتعلقة بالمسائل الدينية .

كذلك تحدث الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وأعلن أنه تقرر قبول جميع الناجحين هذا العام فى الثانوية الأزهرية بالجامعة دون التقيد بشرط المجموع .

وقال فضيلته تقرر قبول الطالبات الحاصلات على الثانوية العامة هذا العام بقسم اللغات والترجمة بكلية الدراسات الإنسانية بالجامعة فرع البنات وذلك من الحاصلات على مجموع ٧٥٪ على الأقل .

معاهد جديدة تنضم للأزهر الشريف

كما وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ضم المعاهد الآتية للأزهر الشريف .

١ ـ معهد البوها الابتدائى ـ ميت غمر ـ محافظة الدقهلية .

٢ ـ معهد عبدالغفار الشرقاوى ـ قطور ـ محافظة الغربية .

٣ ـ معهد نزلة العريان ـ قطور ـ محافظة الغربية .

٤ ـ معهد قسطا الاعدادى بنين ـ كفر الزيات ـ محافظة الغربية .

٥ ـ معهد سنبو الكبرى الاعدادى ـ زفتى ـ محافظة الغربية .

الأزهر فى لجنة تحكيم بالجزائر

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على سفر فضيلة الشيخ حسن عبدالنبى عبدالجواد عراق ـ موجه القراءات بقطاع المعاهد الأزهرية إلى الجزائر ممثلا للأزهر الشريف فى لجنة التحكيم لمسابقة القرآن الكريم التى تجريها لجنة مسجد الأمير عبدالقادر والجامعة الإسلامية بقسنطينة بالأزهر بمناسبة المولد النبوى الشريف لسنة ١٤١٧ هـ .

ويشهد ختام الدورة التدريبية لأئمة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحفل الختامى للدورة الثالثة والثلاثين للسادة الأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى ضمن الدورات التدريبية التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف ، شارك فى هذه الدورة أئمة ودعاة يمثلون دول : المالديف ـ زامبيا ـ البانيا ـ جنوب افريقيا ـ الفلبين ـ النيجر .

وقد ألقى فضيلته كلمة دعا فيها الأئمة والدعاة إلى أن يكونوا دعاة خير ورسل سلام وأن ينقلوا لأهليهم وذويهم فى بلادهم ما تلقوه من علم ومعرفة فى رحاب الأزهر الشريف ، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجمعوا الناس على كلمة سواء ، وأن يبتعدوا عن مواطن الخلاف والشقاق مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

وفى نهاية الحفل قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين وأهدى كل واحد منهم مكتبة إسلامية .

حضر الحفل السيد مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية والعامة والدينية بوزارة الخارجية وسفراء الدول الإسلامية المشاركة فى هذه الدورة ورجال السلك الدبلوماسى ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يوقع اتفاقية تعاون بين الأزهر ووزارة الأوقاف الكويتية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوقيع إتفاقية التعاون بين الأزهر الشريف والأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت .

وقع الاتفاقية عن الجانب الكويتي معالي وزير الأوقاف الكويتي الدكتور علي فهد الزميع . تتضمن الاتفاقية الاطار العام للتعاون بين الأزهر الشريف والأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت في مجالات البحث العلمي وخدمة الطلاب الدارسين بمعاهد الأزهر الشريف وجامعته .

إعلان نتائج شهادات الأزهر الشريف

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتائج امتحانات الشهادات الأزهرية حيث جاءت على النحو التالي :

بلغت نسبة النجاح في الشهادة الاعدادية ٤٨,٤٪ .

بلغت نسبة النجاح في الشهادة الثانوية للبعوث ٣٣,٢٪ .

بلغت نسبة النجاح العامة في الشهادة الثانوية الأزهرية بشعبها الثلاث على النحو التالي :

الأدبي ٥٠,١٪ .

علوم ٦٤,٩٪ .

رياضيات ٦٠,٥٪ .

من ناحية أخرى أدى طلاب النقل بمختلف مراحل التعليم بالأزهر الشريف امتحانات الدور الثاني حيث أعلنت النتائج تباعا بمختلف المعاهد على مستوى الجمهورية .

كذلك يؤدي طلاب الشهادتين الاعدادية والثانوية امتحانات الدور الثاني اعتبارا من يوم ١٧ أغسطس ١٩٩٦ حيث تستمر الامتحانات وفق الجداول المعلنة بالمعاهد الأزهرية .

ومن المنتظر إعلان النتائج فور الانتهاء من عمليات التصحيح وتقدير الدرجات والرصد وذلك بعد الانتهاء من أداء الطلاب للامتحان .

ويتلقى برقية شكر من رئيس الجمهورية

● هذا وقد تلقى فضيلته برقية شكر من السيد الرئيس محمد حسني مبارك ردا على البرقية التي بعث بها فضيلته لسيادته بمناسبة نجاح مؤتمر القمة العربية التي عقدت بالقاهرة مؤخرا هذا نصها :

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف .

أشكركم على تهنئتكم الرقيقة بنجاح مؤتمر القمة العربية ومشاعركم الصادقة نحوي داعيا المولى سبحانه وتعالى أن يسدد على طريق الخير خطاكم مع أطيب التمنيات .

الإمام الأكبر يهنئ رئيس الجمهورية

بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ببرقية التهنئة التالية للسيد الرئيس محمد حسني مبارك بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف .

السيد الرئيس محمد حسني مبارك

رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

بمناسبة المولد النبوي الشريف يسعدني أن أهنيء سيادتكم بهذه المناسبة الطيبة داعيا الله سبحانه وتعالى أن ينعم عليكم بموفور الصحة والسعادة .

وباسم الأزهر الشريف وجميع هيئاته وعلمائه وطلابه والعاملين فيه وباسمي أعبر لكم عن أسمى آيات التهنئة .

داعيا الله سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا الحبيبة وشعبنا وأمتنا العربية والإسلامية بالسلام والأمان والرخاء في ظل قيادتكم الرشيدة .

إنه سميع مجيب ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

● كما بعث فضيلته ببرقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسني مبارك بمناسبة الاحتفال بعيد ثورة يوليو هذا نصها :

السيد الرئيس محمد حسني مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فبمناسبة عيد ثورة يوليو المجيدة يسعدني أن أقدم لسيادتكم وشعب مصر أصدق آيات التهنئة والأماني الطيبة .

وباسم الأزهر الشريف بجميع هيئاته وعلمائه وطلابه والعاملين به وباسمي أدعو الله سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا وأمتنا العربية بالأمن والأمان والسلام والرخاء .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير محمد حسن الصدر بمناسبة تعيينه سفيرا لدى دولة الفاتيكان ، حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بسيادته داعيا له بالتوفيق والسداد في أداء مهمته وأن يكون خير خلف لخير سلف وأن تزداد المودة والتعاون بين الديانات وأن توجه للوجهة التي تخدم الوطن في الداخل والخارج .

وأعرب الضيف عن شكره وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر ووعد فضيلته بأن يعمل جاهدا من أجل خدمة الوطن ورفع شأنه في الداخل والخارج .

● كما استقبل فضيلته السيد / كومستيس موسوف المستشار الثقافى لسفارة اليونان بالقاهرة حيث قدم سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لحضور لقاء (الدين والعلم والبيئة) المزمع عقده فى العام القادم وينظمه البطريرك فارتولوميوس مسئول الكنيسة الأرثوذكسية فى استانبول والسيد/ جاك سانتر رئيس الاتحاد الأوروبى .

● واستقبل فضيلته بمكتبه السيد الأستاذ أقديا حسن القائم بأعمال سفارة البوسنة بالقاهرة .

فى بداية اللقاء قدم الضيف شكره وتقديره للأزهر الشريف وأساتذته لمساعدته لبلاده وتقديمه العون الدائم والمستمر لطلاب البوسنة المتمثل فى المنح الدراسية وكذلك المساعدات المادية والعينية التى قدمتها حكومة جمهورية مصر العربية لبلاده .

كذلك تم خلال اللقاء بحث زيادة المنح الدراسية المخصصة لطلاب البوسنة ، ومعادلة المناهج الدراسية بما يتفق ومناهج الأزهر الشريف حتى يكون الطريق ممهدا أمام الوافدين للأزهر الشريف .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم أى عون سواء ماديا أو معنويا معربا عن استعداد الأزهر الشريف لدراسة كافة المطالب التى تقدم بها الضيف تمهيدا للعمل على تلبيتها .

شهد اللقاء سعادة الأستاذ/ إسلام فارس المستشار لسفارة البوسنة بالقاهرة .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ نور الله خان القائم بالأعمال بسفارة باكستان بالقاهرة حيث تسلم فضيلة الإمام الأكبر الدعوة الموجهة لفضيلته من السيدة / بنظير بوتو رئيسة وزراء باكستان لزيارة جمهورية باكستان ، وقد اقترح فضيلة الإمام الأكبر موعدا مبدئيا لهذه الزيارة فى الفترة من ١٤ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٩٦ .

متفرقات

شهد الأزهر توقيع عدة إتفاقيات إسلامية هامة :

● حيث تم توقيع اتفاقية بين الأمانة العامة للأوقاف بالكويت والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الإسلامية (الاسيسكو) لدعم التعاون فى مجالات العلوم الإسلامية المختلفة وإنشاء بنك للمعلومات وتنظيم منتدى إسلامى للباحثين فى الفكر الإسلامى والتنمية وقع عن الجانب الكويتى الدكتور على فهد الزميع وزير الأوقاف الكويتى وعن المنظمة الدكتور عبدالعزيز التويجرى المدير العام للمنظمة .

● كذلك تم توقيع ثلاثة برامج تنفيذية بين جامعة الأزهر والأمانة العامة للأوقاف بالكويت وقعها فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وعن الجانب الكويتى الدكتور / عبدالمحسن محمد الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف بالكويت ، تتضمن هذه البرامج رعاية خمسمائة طالب من الطلاب المتفوقين بجامعة

الأزهر لمدة أربع سنوات بالاضافة إلى تنظيم مسابقة بحوث ثقافية لطلاب الجامعة والمعاهد الأزهرية .

وكذا توفير المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا الكويتيين للدراسة بجامعة الأزهرالشريف .

وقد حضر مراسم توقيع الاتفاقيات فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من قيادات الأزهر .

● أكد فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف رئيس الادارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر أن الأزهر يقوم بمجهودات مستمرة فى مجال العملية التعليمية بأريتريا من خلال إيفاد المبعوثين أو استقدام الطلاب على منح الأزهر الشريف كما يقوم الأزهر بدعم المؤسسات التعليمية الأريترية بالمناهج والكتب الدراسية ، كذلك يتم استقدام الأئمة والوعاظ للمشاركة فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر من خلال اللجنة العليا للدعوة الإسلامية .

وأضاف فضيلته أنه تم إرسال بعثة تعليمية من الأزهر تضم عشرة مدرسين خلال العام الدراسى ٩٥ ـ ١٩٩٦ يعملون بالمعهد الدينى بأسمرة ، كما يقوم الأزهر بدفع مرتبات (١١) مدرسا أريتريا بنفس المعهد .

وأضاف أنه فى مجال استقدام الطلاب من أريتريا للدراسة بالأزهر تم قبول أكثر من مائة طالب على منح الأزهر وبيت الزكاة الكويتى وهيئة الاغاثة .

● ومن ناحية أخرى انتظم حوالى (١٤) إماما وواعظا من أريتريا فى الدورات التدريبية التى عقدت خلال هذا العام عن طريق اللجنة العليا للدعوة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبد الحميد بشير

القاهرة

تلقى الرئيس محمد حسنى مبارك ، اتصالا هاتفيا من الملك حسين أطلعه فيه على نتائج محادثاته مع الرئيس السورى حافظ الأسد ، وكان العاهل الأردنى قد اجتمع فى دمشق مع الرئيس السورى بعد طرح خلافاتهما السابقة جانبا ، وذلك للتركيز على مسيرة السلام فى الشرق الأوسط ، وهذه أول زيارة يقوم بها ملك الأردن لسوريا منذ سنتين .

وقال لدى عودته للأردن من زيارة استمرت بضع ساعات إن زيارته لدمشق كانت ناجحة .

وصف الرئيس حسنى مبارك اجتماعاته التى عقدها مع الرئيس الأمريكى ولقاءاته بالمسئولين الأمريكيين من شيوخ ونواب خلال زيارته الأخيرة لواشنطن الشهر الماضى بأنها كانت هامة للغاية وضح فيها وجهات النظر العربية حيال السلام فى المنطقة . ونقل السيد وزير الإعلام فى تصريح للصحفيين عن الرئيس قوله خلال ترأسه جلسة مجلس الوزراء السبت ١٨ ربيع الأول الماضى أن هذه الاجتماعات كانت للتأكيد على : المبادىء والقيم والرؤى الواقعية والمستقبلية التى تتمسك بها الدول العربية لتحقيق السلام العادل والشامل .

وأضاف أنه لم يطرأ أى تغيير على الموقف الأمريكى ، وأكد ضرورة الإسراع فى عملية السلام وأن السلام لا يتحقق إلا باستعادة الأرض .

رأى حر

وصف المفكر الفرنسى المسلم « رجاء جارودى » القرار الإسرائيلى الذى يسمح بالتوسع فى بناء المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة بأنه تكريس للسياسات والأيديولوجيات الصهيونية والأفكار التوراتية التى تزعم أن هذه الأرض هى هبة أعطاها الله لليهود .

وقال في مؤتمر عقده في عمان يوم السبت ١٨ من ربيع الأول الماضي : إن مفهوم عملية السلام تنتهكه إسرائيل التي ترفض قرارات الشرعية الدولية التي تنص على الانسحاب وإعادة القدس ومرتفعات الجولان ، وجنوب لبنان ، وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة .

وأكد أن إسرائيل تتنكر لأبسط حقوق الإنسان .

وقال : إن زيارتي لبلدة « قانا » ـ بجنوب لبنان ـ أكدت الكثير من القناعات كما أنها جعلتني ألمس عزم الرجال على استرداد حقوقهم .

أصـــداء

قال وزير الخارجية المصري : إن قرار إسرائيل برفع الحظر عن توسيع المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة قد يعرض مستقبل محادثات السلام في الشرق الأوسط للخطـــــر ، وأضاف في تصريحات للصحفيين قائلا : نحن لا نعبر إلا عن الدهشة ومشاعر الإحساس بالخطر التي يمكن أن تؤثر في العملية السلمية إزاء ما سمعناه في موضوع الاستيطان .

واستنكرت اليمن قرار إسرائيل برفع القيود واستئناف الاستيطان اليهودي على أراضي الغير واعتبرت ذلك تهديدا للسلام وناشدت راعيي السلام الضغط على الحكومة الإسرائيلية المتطرفة للتراجع عن قرارها غير الحكيم والوفــاء بالالتزامات التي تحتمها عليه العملية السلمية .

قلادة الجمهورية لاسم المرحوم شيخ الأزهر « السابق »

كرم الرئيس حسني مبارك اسم فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق أمس بمنحه قلادة الجمهورية . تسلم القلادة من الرئيس مبارك نجل الإمام الراحل . يأتي هذا التكريم من الرئيس مبارك للإمام الأكبر الراحل كاحتفاء بمكانته الإسلامية بعد ان كان مقرراً ان يمنح الإمام الأكبر وسام العلوم والفنون .



garçon qu'Al Khidr-à lui salut- avait tué. Allah-gloire à Lui- dit dans le Coran: [Nous avons voulu que leur Seigneur le leur remplace par un fils plus pur et plus digne de tendresse].Surate 18"Al-Kahf" La caverne V.81.Ainsi Allah-gloire à lui- nous montre l'importance des droits des parents en disant:[Les parents ont cependant priorité de droit les uns sur les autres, dans le livre d'Allah. Allah est l'omniscient].Surate 8"Al-Anfal" Les butins V.75.Une des obligations envers les proches parents c'est de leur recommander de faire le bien et de leur interdire de faire le mal. Il est reprouvé de laisser son frère égaré loin d'Allah ou de voir ses proches commettre un péché sans les admonestrer par la raison, les conseils et les bonnes exhortations. Allah-gloire à lui- nous éclaire en disant:[Ordonne à ta famille de faire la prière et fais la toi même régulièrement].Surate 20"Taha"V.132Allah-gloire à lui- fait l'éloge d'Ismaïl-à lui salut-en ces termes:[Il recommandait à sa famille de s'acquitter de la prière et de faire l'aumône et il était satisfait auprès de son Seigneur].Surate 19 "Maryam"Marie V.55. Certains prétendront que les problèmes de la vie quotidienne, et les soucis les empêchent de contacter leurs proches ou de les visiter; mais c'est là un prétexte peu valable car les moyens aujourd'hui ont facilité les contacts. Il y a le téléphone, le télégramme, le courrier, les fleurs qu'on envoie aux malades chez eux ou dans les cliniques, ainsi que tout ce qui entretient l'amour familial et l'affection qui unit les coeurs pour maintenir des relations durables.Une seule cause peut justifier la rupture des liens de parenté: c'est lorsque le proche est un libertin pervers, dont on ne peut éviter la méchanceté, et qui refuse tout conseil; lorsqu'on se rapproche de lui davantage il n'en devient que plus aggressif et plus entêté. Dans ce cas on a recours à la rupture tout en invoquant Allah de le guider et de lui pardonner. Nous en avons un exemple dans la conduite du Prophète d'Allah, Ibrahim-à lui salut- qui dit à son père après avoir désespéré de le convertir:[Paix sur toi, j'implorerai mon Seigneur pour qu'Il te pardonne, Il a toujours été généreux envers moi].Surate 19"Maryam" MarieV.47.Le Prophète-b.s-a dit:"Celui qui voudrait qu'Allah lui accorde la prospérité et allonge le terme de sa vie qu'il consolide les liens de parenté". Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le respect des liens de parenté *(Cilat Al-Rahim)*

par Hoda Hussein Chaâroui

Quels sont ces liens entre le serviteur et Allah ? C'est le fait d'être guidé par Lui et de mériter Sa Miséricorde; quant à la rupture avec Lui, elle signifie qu'on a mérité Son courroux et Son Châtiment. Or, quel est celui d'entre nous qui peut supporter cela?A maintes reprises, le coran signale l'importance des liens de parenté. En voici un exemple: lorsque Moussa.à lui salut, se mit en colère contre son frère Aaron, et le gronda d'avoir laissé son peuple adorer le veau,. Aaron. voulut attendir son frère en lui rappelant les liens de parenté qui les lient. Il lui dit"[Ô fils de ma mère! ne me prends ni par la barbe ni par la tête].Surate 20"Taha",V.94.Aaron ne s'adressa pas à son frère en lui disant:"mon frère" mais en lui disant"fils de ma mère", ou plutôt mon frère utérin.De même, lors de la prise de la Mecque, Om Hani fille de Abou Talib alla se plaindre au Prophète-b.s-de son frère Aly. Elle lui dit:Ô Prophète d'Allah, j'ai promis ma protection à un homme et le fi.ls de ma mère prétend qu'il le tuera". Le Prophète-b.s-lui dit:" Nous accordons notre protection à celui que tu as protégé Om Hani".Hadith rapporté par Al- Bokhary.On raconte aussi que le Prophète-b.s-visita un jour sa fille Fatma et la trouva fâchée contre son mari qui avait quitté le foyer conjugal et s'était dirigé vers la mosquée. Pour attendrir le coeur de sa fille, le Prophète-b.s-lui dit:"où est ton cousin?", pour lui rappeller les liens de parenté et adoucir son coeur. Elle lui dit:"Il s'est mis en colère contre moi, m'a quitté et n'a pas fait sa sieste". Le Prophète-b.s-alla le chercher et le trouva endormi à la mosquée; un pan de sa chemise était retombé et la poussière l'avait sali. Le Prophète-b.s-nettoya la poussière et lui dit:"Lève toi le poussiéreux". Ce surnom plut tant à Aly qu'il lui plaisait d'être interpelé ainsi. Nous voyons comment le Prophète-b.s-ne se mêla pas de l'objet de la dispute entre les époux ni ne la reprocha à son gendre.Voici un autre exemple tiré du Coran: c'est l'histoire du

en leur expliquant qu'il n'y a rien d'embarrassant et rien de mal en cette situation.

Il voulait par là protéger ces deux compagnons ainsi que les autres humains - contre les instigations de Satan. Ce dernier risquait, en effet de jeter dans leur coeur des pensées qui les menèraient à leur perte. Car celui qui pense du mal du Prophète -b.s.- est coupable d'incroyance, d'autant plus que Mohammad -b.s.- craint pour sa communauté les dangers auxquels les expose Satan.

Aussi expliqua-t-il à ces deux Ançars que c'était son épouse Safiya qu'il raccompagnait afin qu'ils sachent qu'il ne commet point de péché et qu'Allah l'a préservé de Satan.

Mohammad -b.s.- connaissait pourtant la force de la foi et la fermeté de la conviction de ses deux compagnons. Néanmoins, il craignit pour eux qu'ils ne soient victimes des instigations de Satan. En outre il voulait exhorter la nation en leur personne et leur apprendre que Satan coule comme le sang dans les veines des humains tant ses instigations sont puissantes et dangereuses. Sa puissance réside également dans la multitude de ses acolytes.

C'est pourquoi le croyant doit leur bloquer toutes les voies et ne pas laisser à Satan le moindre accès à son coeur. Seul celui dont la foi est ferme et qui est un serviteur soumis et fidèle jouit de la protection et des soins d'Allah. C'est lui - qu'il soit exalté - qui dit :

[Tu n'as point d'emprise sur Mes serviteurs, à l'exception des égarés qui t'ont suivi].

Si le Messager d'Allah -b.s.- a agi de la sorte alors qu'il jouit d'une grande dignité auprès d'Allah, c'est pour que tout croyant évite de se mettre dans une situation douteuse et qu'il fournissent si c'est nécessaire toutes les explications susceptibles de dissipper les doutes qui peuvent naître dans l'esprit d'autrui par les instigations de Satan. Cela est meilleur pour la religion, l'homme et la réputation.

Nous avons ainsi pu voir au moyen d'un exemple vivant, comment le Messager d'Allah éduquait sa nation en leur offrant un modèle à suivre par ses paroles, son comportement et ses actions.

"Le Prophète prévient sa nation contre les instigations de Satan"

(suite)

par : Dr. Rokeya Gabr.

Voici un exemple de ce qu'il a dit pour prévenir sa nation contre les pièges de Satan :

La Mère des croyants, Safiya bint-Huyay- qu'Allah soit Satisfait d'elle - a rapporté ceci: "Le Prophète -b.s.- était dans une retraite et je me rendis pour le visiter durant la nuit. Je lui parlui puis je me levai pour rentrer; alors il se leva avec moi pour me. A ce moment raccompagner, ce moment deux hommes des Ançars -A.s.- passèrent. Lorsqu'ils virent le Prophète -b.s.- ils pressèrent le pas; mais le Messager d'Allah les interpela en ces termes: "C'est Safiya -bint-Huyay"; ils ripostèrent. "Qu'Allah soit Exalté, O Messager d'Allah!". Alors il répliqua: "Satan court dans les veines du fils d'Adam tout comme le sang circule dans son corps et j'ai craint qu'il ne jette quelque mal dans vos coeurs" (ou il dit: quelque mauvaise pensée".

Hadith rapporté par les deux Sahihs, par Ahmad, Abou Daoud et autres.

Par ce Hadith on voit comment le Prophète prévient sa nation contre les situations douteuses, afin qu'ils veillent à éviter les actions qui peuvent offrir à Satan l'occasion de semer, le doute dans le coeur de l'homme.

En effet dans le hadith cité ci-dessus, le Prophète s'étant levé pour ramener son épouse qui était aller le voir dans sa retraite comme deux des Ançars passaient, ils le virent et par pudeur envers le Messager d'Allah -b.s.- et par respect pour lui, ils pressèrent le pas. Mais le Prophète -b.s.- les interpela pour leur recommander de ralentir le pas

REVUE AL-AZHAR

Vol 69 Part IV

Rabi' Al Akhar 1417 H. Aug./Seb. 1996 -

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

history thrown open. Later, discoveries of the Royal tombs has demonstrated that mummies of kings could be kept intact - through mummification (embalming)- to the present times. Particularly, the mummies of the 18th dynasty Pharoahs, who witnessed the struggle between the Prophet Moses and the Pharoah, were all intact. These include the well-known Thotmoses, Ramses, and Mernbetah. The latter is beleived by most historians to be the so-called "Pharoah of Exodus", who was drowned while chasing Moses and the Israelites. The Quraan, however, revealed that, after drowning, the Pharoah's mummy has been kept as is, for future generations to witness:

***This day shall We save thee in thy body, that thou mayest be a Sign to those who come after thee* [10/92]**

Tooth brushing with natural (Siwaak), or artificial brush, and gargling the mouth after meals and before prayers are also enacted.

Moderation in food intake, eating slowly in a seated upright position, fetching the proper medication, avoiding infected areas, and even the principle of holding carantines during epidemics have been ordained by the Prophet (pbuh).

Protection of the environment from the uncontrolled spread of parasites, and the avoidance of rabies infection from dogs are two more examples of practices prescribed in Islam, much earlier than human civilization could grasp the reasons for that. Citations from Quraan and the Prophet's "Hadiith" (sayings and deeds) are too numerous to include in this concise work.

18-Natural history:

Paleantology is the science that deals with investigating prehistoric forms of life on earth, through the survey and study of extinct plant and animal fossils. The Quraan has referred to precisely this same concept:

***Say: Travel through the earth and see how Allaah did originate creation* [29/20]**

19-Moses and Pharoah:

The history of ancient Egyptians remained buried for tens of centuries. Only in this century, with the discovery of the Rosetta Stone, were the gates of this

follow the ways of Thy Lord, made smooth: there issues from within their bodies drink of varying colours, wherein is healing for men* [16/69]

On the other hand, modern scientific discoveries have confirmed the medical wisdom of prohibiting certain foods and drinks. These include dead animal meats; that were not given the time to bleed off completely. This can only be guaranteed by the Islamic slaughtering practice of cutting the throat, in such a manner as to allow for the drainage of the blood. Animal blood, also prohibited in Islam, easily absorbs and promotes bacteria from within and outside sources.

The prohibited pork meat carry a list of dangerous parasites. Tinea, that seriously damage the human organs, including the brain and intestines, is only one type of these parasites. Also pork fat is the most indigestible and highest in cholestrol.

Alcohol, prohibited in Islam, is considered a great threat to civilization, medically, psychologically and socially, next only to AIDS. Adultery and homosexuality, the main sources of AIDS and other venereal diseases, are also prohibited. Besides, all venues leading to such practices are discouraged.

Much of modern hygienic practices, essential for personal and community health care, have been prescribed by the Prophet (pbuh), who was an illiterate living in a primitive community 14 centuries back. These include the periodic washing of the whole body (at least once a week and after every intercourse), and

ablution i.e. washing of hands, face, arms and feet; and wiping the hair with water. This is repeated up to five times a day, as a prelude for the five prayers.

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science

Part VI

By : Nabil Abdel-Salam Haroun

Proofs why we choose Islam to be our religion can be also found in topics related to breast feeding, food and hygiene, natural history and Moses an Pharaoh. These topics will be discussed in this article with evidence related to each from Qur'anic Verses.

16-Breastfeeding:

The Quraan prescribes breastfeeding of infants for a full two year period, in accordance with the most modern health practices. Only recently, the vital importance of breastfeeding is realized. Breastmilk is perfectly balanced, easily digested food, that also provides antibodies essential both for immunization and anti-allergy:

***The mothers shall give suck to their offspring for two whole years, for him who desires the complete term* [2/233]**

17-Food and hygiene:

The Quraan emphasizes the medical benefits of honey, confirmed by modern medical knowledge, for the treatment and well-being of humans:

***And thy Lord taught the Bee to build its cells in hills, on trees, and in (men's) habitations; then to eat of all the produce (of the earth), and**

(praise be to Him) included in it laws and regulations for several aspects of life and behaviour. The human community cannot operate without those laws, for they were prescribed by The Most Knowing, Most Wise (praise be to Him). It is an inclusive system for man himself, and his relation with Allah, and to the society in which he lives. It also covers the relations between a Muslim country and others, including laws, regulations, and general principles, which are suitable, reasonable and acceptable. Thus, the Muslim Ummah (population) does not need to imitate or follow others, unlike the non-Muslims.

(I) ISLAM: DECREES HUMAN RIGHTS:

Human rights were decreed in Islam over fourteen centuries ago, and that included also the rights of animals. Those rights were complete and all inclusive, and were instigated by human conscience and the fear of Allah, before any laws were drafted for man's liberties and rights. They were clearly and strongly stated, and were revealed to the unlettered prophet as mercy to manking. They were universal and not restricted to the Muslims only, or just to the pious ones among them.

Islam prescribed mercy on animals so that their slaughter should not be performed with a dull knife, or while other animals are watching the event and waiting for their turn. Animals and birds should not be driven to the slaughter in a cruel or forceful way, and should not be wrestled down, or thrown and tormented, or confined in a cage without proper nourishment.

Human rights were prescribed to all people without regard to their rank or religion. Islam respected the beliefs of the other people of the Book (Christians and Jews) and let them practise their beliefs, and recommended special care for the neighbours, even the non-Muslims among them. They all had the right to education, medical treatment, help, accommodation, marriage and raising of offspring, justice and fair treatment (refer to 17:70, 2:256, 49:11, and 10:99).

Thus, humanitarianism needed the wisdom of Islam, and righteously, Islam is the last (and seal) of all religions.

have men who are holy or infallible except the Prophets and Messengers. It does not have holy men of religion, but has theologians who are like other men but specialists in Islamic beliefs and laws.

Every man is directly and fully responsible for his deeds; no one else shares with him that responsibility as long as he is of sound mind and has been fully warned. Everyone prays directly to Allah without a mediator, as stated in the Quran (refer to 17:13-15, 99:7-8, and 2:186).

Therefore, let us study Islam from its sources, the Quran and the Sunnah, so that we may follow its righteous ways and avoid any pitfalls and errors, and get closer to the right way by knowledge and deeds.

(F) ISLAM: THE RELIGION OF FREEDOM AND EQUALITY:

Freedom is the predominance of good tendencies over bad ones. It is man's self control, and the liberation of the mind from straying and superstition. It is protecting the freedoms of others and liberating oneself from falling (into sin) and slavery (except to our Creator). It is the respect for oneself and the worship of nothing but the Truth, without threat or intimidation, as stated in the Quran (refer to 2:256 and 3:64).

People are all equal in humanity, with the same rights and duties, and the female and male are equal, as in the Quran (refer to 3:195 and 4:1).

(G) ISLAM: THE RELIGION OF ALL HUMANITY:

The Islamic teachings are suitable for all times and places, because of their generality, flexibility, and for being the final Scripture. It is rich with what humanity needs in this world and the Hearafter: in this world in the areas of belief, politics, and sociology. Thus Islam became the last of all religions, and its Prophet became the last Messenger and Prophet, and the Quran the last of all Scriptures. The Quran tells us that each of the prophets ..as sent to his people, but Prophet Mohammad was sent to all humanity to the Day of Judgement, as seen from the quotations from the Quran (refer to 26:10-11, 26:69-70, 26:105-110, 26:123-126, 26:141-145, and 26:160-163).

And the Quran describes the message of Prophet Mohammad and its generality (refer to 7:158 and 21:107-108).

Thus, Islam is for the entire humanity till the Day of Judgement.

(H) ISLAM: A RELIGION AND A GOVERNMENT:

Islam is not just a religious belief, or just a moral system, but it is a combined religion and government. Being the religion of all humanity and the final message, Allah

united, as in the case of the tribes of Aws and Khozrog in Medina who ended their enmity and united together, in the days of Prophet Mohammad (peace be upon him). Similarly, after the death of the Prophet, the Muslims united under the Muslim Khalifes even after the spread of Islam to extensive geographical areas. This unity brought to them and to humanity peace, dignity and prosperity (refer to 5:2, 3:103, 3:61-63 and 21:92).

(C) ISLAM: THE RELIGION OF SOCIAL UNITY:

In Islam, Muslims are equal like the teeth of a comb, without any superiority of one race over another, or one tribe over another, or one person over another, or a white person over a black one, or a poor person over a rich one, etc... They are all equal except according to their humanitarian deeds, and piety which leads one towards the good and keeps him away from evil. Islam also prohibited boasting by one's relations and ancestors; because all people are of one origin, and their best is the one who does the most good (refer to 49:11-13).

Thus, division and disunity lead to weakness, defeat, torment and eventual loss. The Muslims and non-Muslims in a given country have the same rights and duties. The non-Muslims should also be allowed to apply their own religious laws (in personal matters), because the Prophet Mohammad (peace be upon him) ordered us to respect their religious beliefs. The Khalifa Omarbin-Khattab ordered that a non-Muslim be allowed as much relief and support as he and his family need as long as he is living in a Muslim country.

(D) ISLAM: THE RELIGION OF REASON AND THOUGHT:

Islam advocates knowledge, respects thoughts, and makes it a duty for every Muslim man and woman to learn and seek education; so that he can by himself discover the belief in the one God. It condemns those who refuse the messages of the Prophets just because they want to imitate blindly their parents and grandparents. In Islam, learned people are successors to the Prophets, and one should learn what is of benefit to mankind, not what would destroy it, as mentioned in the Quran (refer to 2:164, 35:27-28, 2:269, and 43:21-25).

Thus, in the past, the Muslims and the Arabs excelled in the sciences and inventions, when they followed the blessings of the Quran. Their knowledge and contributions were of great benefit to the recent scientific and technological advances in the world.

(E) ISLAM: THE RELIGION OF ORIGINALITY AND CLARITY:

Everything in Islam is clear, for Islam communicates with the brain, the heart and the soul. Islam has no secrets, or mediators between man and his Creator, and does not

THE NEED FOR ISLAM

It is not possible for man, with his physical limitations, to ascertain the reason for his being, or the reason for which he was created, or what is good or bad for him, except with the aid of the message from Allah (praise be to Him). And Allah has bestowed His mercy on mankind from the time of Adam to the Day of Judgement by sending prophets for guidance and warning; so that each person will be responsible for his deeds and follow in the light of Allah's Messages and their guidance.

As some long time passes after one Prophet's message, people tend to forget its basic beliefs and instructions, and change or replace parts of the message so that it eventually becomes quite different from Allah's original message. At such a time, Allah bestows His mercy by sending another prophet with another Message for guidance, clarity and direction to the truth and overall well-being.

The concluding Message is that of Islam, which was revealed some long time after the Message of Jesus (peace be upon him), at which time it was urgently needed, as stated in the Quran (refer to 4:163-165).

Islam orders us to believe in Allah and His Prophets, and not to distinguish between His Prophets (refer to 4:150-152).

The Quran also states that Prophet Muhammad is (refer to 33:40).

SOME ATTRIBUTES OF ISLAM

Each religion has certain attributes that distinguish it from all the others, and being the concluding heavenly Message, Islam has the following attributes:

(A) <u>ISLAM: CALLS FOR RELIGIOUS UNITY:</u>

Islam prescribes the belief in the one God "Allah", praise be to Him, as stated in the Quran (refer to 112:1-4 and 59:22-24).

Islam has shown to us that all of Allah's earlier Messages complete each other in beliefs, similar to continued education; so that it is all one and the Muslims believe in it all (refer to 2:136).

(B) <u>ISLAM: THE RELIGION OF POLITICAL UNITY:</u>

Islam promotes political unity for its followers to achieve prosperity and well-being for them and all humanity, and all of Allah's creations. In the days before Islam, the Arabs belonged to different warring tribes, but after acceptance of Islam, they became

The Message of Islam

By : Tawfiq Mohammad Shahin, Ph.D

Religion was communicated by Allah (praise be to him), to His gracious Messengers, to guide His creations to the straight path, for their benefit in this world and the Heareafter. It also defines the relationships, the duties and rights to Allah the Creator and to man himself and mankind.

The basic beliefs in religion have not changed from one prophet to the other, throughout the time when Allah The Supreme blessed His people with messages to Adam, Noah and all the Prophets and Messengers who followed them, until the messages were finally completed with the revelations to Prophet Mohammad (peace be upon him).

The basic beliefs in all the revelations are: the belief in the One God Who has no partner; the belief in the angels and the holy books; the beliefs in the Prophets and Messengers whom He sent to mankind; and the belief in the Day of Judgement. They are described in the Quran (refer to 2:285 and 42:13-14).

And that is what Muslims and believers believe.

"Islam" is the final heavenly message, and the exalted "Quran" and the Prophet's "Sayings" (Hadith) help explain the beauty of Islam. The Quran also was equitable to the Torah and the Bible, and confirmed the Scriptures that came before it and guarded them in safety, as stated in the Quran (5:44-48).

This means that the Quran is the last Book of God, the Seal of all His Books. The Quran exists as a guardian and a watcher to set up the facts, and its message is always to ensure these facts.

The Quran is very specific in stating that all prophets are humankind and Jesus (p.b.u.h.), is also a messenger of God and he and his mother are a miracle of God (refer to 112:1-4).

The Quran also states that all mankind is equal in humanity, however, they differ according to their good deeds.

The Quran also states what God has allowed and what God has prohibited.

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabi' Al Akhar 1417 H.



ENGLISH SECTION

Vol 69 Part IV

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

*"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah :
Indeed it was the truth."*

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس



٢٢٢٦٤ع
دوريات



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

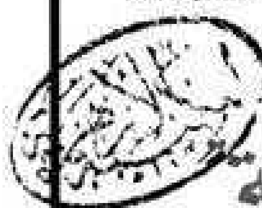
● المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه وتابعيه ـ بإحسان ـ إلى يوم الدين



العِلْمُ أمانةٌ مُؤدّاة

لعل من أندر النصوص - إن لم يكن أندرها مطلقا في موضوعنا - هذا النص الفريد الذي يقدم لنا أعرق مدرستين فقهيتين في صدر الإسلام نشأتا بين أئمة كرام من مُقدَّمي صحابة رسول الله ﷺ رضي الله - تعالى - عنهم أجمعين.

جاء بـ «الآثار» لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري عن الإمام أبي حنيفة - بسنده قال:

«تفقه من أصحاب النبي ﷺ ستة رهط: ثلاثة منهم يلقى بعضهم على بعض، وثلاثة يلقى بعضهم على بعض؛ فكان ابن مسعود وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت يلقى بعضهم على بعض، وكان علي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وأُبيّ بن كعب يلقى

بعضهم على بعض(١)».

● ويقضى الله - عز وجل - فينتقل قرعان جليلان من هاتين المدرستين إلى «الكوفة» من العراق إلى الجنوب من بغداد وشمال النجف؛ فيستقر بها ابن مسعود من مدرسة عُمر، وأبو موسى من مدرسة علىّ، يعلّمان الناس ويفقهانهم، وإذا بتلك القضية تُطرح على كل منهما:

روى يوسف عن أبيه عن أبى حنيفة عن حماد [هو ابن أبى سليمان مسلم الأشعرى الكوفى الفقيه] عن إبراهيم [النَّخعى]: «أن أعرابيا ولدت امرأته، فمات ولدُها، فكثُر اللبنُ فى ثديها، فقالت له: امصُصْهُ ثُمّ امجُجْهُ».

فهى تطلب إلى زوجها أن يمتص اللبن من ثديها حتى يشق لنفسه طريقاً فيسيل فتتخلص من ألم تجمعه، ثم ترشده أن يقذفه من فيه عقب امتصاصه.

«ففعل ذلك، فدخل بعضُهُ فى حلقه، فأتى أبا موسى فسأله عن ذلك، فقال - رضى الله عنه: حَرُمَتْ عليك امرأتُك»!!!

ثم أتى ابن مسعود - رضى الله عنه - فسأله عن ذلك، وأخبره بقول أبى موسى! فقال [ابنُ مسعود]: إنما كنتَ مداويا، وأنه لا رضاع بعد فطام، وإنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم والعظم؛ فأمسك عليك امرأتك. فأتى [الرجلُ] أبا موسى فأخبره بقول عبدالله. فقال [أبو موسى]:

لا تسألونى ما دام هذا الحَبْر فيكم»(٢).

هاتان فتويان، ولا غرابة فى تضادهما، ولا فى جمع الخبر لهما معاً؛ فإنه عِلْمٌ يتسع حتى... الكلمة الأخيرة، ولا غرابة أيضاً فى هذا التواضع العظيم الذى صدر عن أبى موسى فى إقراره بعلم ابن مسعود، ودقة فتواه؛ فأولئك أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم المولى - عز وجل - لرسوله - عليه الصلاة والسلام - جُنْداً وقادة ومعلمين عظام.

● وبعد:

فلقد اضطرب الناس فى أمر «ختان البنات المسلمات»، وأحدث شأنه ثغرةً بينهم، وإمامنا الأكبر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى هو لها - بمشيئته تعالى - يصلح أمرها

---

(١) أبو يوسف يعقوب - الآثار ص ٢١٢ ط الاستقامة سنة ١٣٥٥هـ وانظر معه:
للإمام شمس الدين بن القيم - إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٥. ط - السعادة سنة ١٣٧٤هـ.
والإمام محمد بن الحسن الشيبانى - الآثار ص ١٤٥ ط أنوار محمدى لكنهو - الهند - بلا تاريخ.

(٢) آثار أبى يعقوب - نفس المصدر الأول ص ١٣٤

ويستأصل شأفتها . حتى تهدأ الخواطر ، ويثوب الناس إلى رضًا حكيم ، وإن فضيلته ليرضى لى أمانـــــة العلــــــم ، ومــــــن أمانتــــــه هذا الــــــذى أراه :

لقد كان الختان موجودًا بمكة موانا طويل الأمد فى حياة الناس ، وقد روى الإمام البخارى - فى صحيحه - قالة حمزة عم النبى ﷺ لسِباع بن عبد عمرو بن ثعلبة بن غُبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى - يوم أُحُد : ياسِباع ، ياابن أمّ أنمار مُقطِّعَة البظور ، أتُحادّ الله ورسوله ﷺ ؟ .. ثم شدّ عليه فكان كأمس الذاهب [أى صيَّرهُ عَدَما] .

وجاء فى سيرة ابن إسحاق - وقد وقعت لنا والحمد لله - وهى أقدم السير الموجودة على الإطلاق : « هلم إلىّ ياابن مُقطِّعَة البظور »(٣)

قال ابن حجر - فى « فتح البارى » : أم أنمار كانت مولاة لشريق بن عمرو الثقفى والد الأخنس : ثم قال ابن حجر - عن البظور : جمع بظر ، وهى اللحمة التى تقطع من فرج المرأة عند الختان ، قال ابن اسحاق : كانت أمّهُ ختانة بمكة تختن النساء « ١ هـ .

ومعنى « مولاة » أنها كانت - أصلا - أمة ، وكذا ذكر عمر بن شبة فى « كتاب مكة »(٤)

فإذا كان بمكة أيضاً خاتنة أخرى تسمى أمّ حبيبة فلاغرابة ، كما لا غرابة فى أن تكون من المهاجرات وتزاول نفس العمل بالمدينة ، وأخرى ، أو أخريات يشاركنها المهنة .

والدارس لمذهب الحُمْس القرشى ، ولنا - فيه والحمد لله - دراسة مستفيضة ، يعلم أن العرب كانت تقتدى بمكة فى معظم شئونها ، وبخاصة الدينية ؛ بل لم تكن مكة تزوّج بناتها فى القبائل الأخرى خارجها حتى يعتنق الزوج « حُمْسَها » هذا ، وإلا مارضيت به صهراً لها ، ومن هنا انتشرت شئون المكيين الدينية فى القبائل .

هذا ... وإذا كانت الأحاديث الأخرى ضعيفة ... فلتكن .. فحسبنا حديث حمزة - رضى الله تعالى - عنه - وهو وارد فى الصحيح ، ولست فى هذا البحث أريد أكثر مما دلّ عليه .

---

(٣) انظر : أ ـ صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ غزوة أحد ، ومسند أحمد ٣/ ٥٠١ نشر المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان
ب - فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ٧ / ٢٨٣ - دار المعرفة - بيروت - لبنان
ج - محمد بن إسحاق بن يسار - كتاب المبتدأ والبعث والمغازى - تحقيق د. محمد حميد الله - نشر : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - المغرب - ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م - ص ٣٠٨
د - أبو محمد عبدالملك بن هشام - سيرة النبى ﷺ - ٣ / ١٧ ط دار التراث .
هـ - ابن كثير - السيرة النبوية ٣ / ٣٨ ط عيسى البابى الحلبى ١٣٨٥ هـ
و - الإمام على برهان الدين الحلبى - السيرة الحلبية ٢ / ٢٢٦ ط البهية - القاهرة ١٣٢٠ هـ
ز - الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى - سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٤ / ٣١٩ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٤ / ١٩٩٣ .
ح - ابن حزم - جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٢ - دار المعارف ١٣٩١ / ١٩٧١ مصر

ودلالته واضحة فى وجود الختان بمكة عصر الرسالة كما هو واضح من رواية الإمام البخارى التى رواها فى « كتاب المغازى » : « باب غزوة أُحُد »

● ثم .. ما السُّنَّة .. ؟

إن سُنَّة رسول الله ﷺ تكوّنت للأمة من وجوه ثلاثة : قوله ﷺ وفعله وتقريره .

وتقريره – عليه الصلاة والسلام – هو عدم إنكاره لأمر رآه ، أى سكوته ﷺ إزاءه ، فلاينهى عنه ، وفى هذا السكوت تقرير لهذا الأمر بأنه جائز ، بل هو سُنَّة ، لأنه ﷺ لايسكت على منكر أو حرام ، وصارت تلك الثلاثةُ : الضروبَ التى يُستدل بها على هذا الدين .

قال صاحب « فتح الملهم » بشرح صحيح مسلم – فى مقدمته فى بيان سنة التقرير وكيف يكون : « وصورته أن يسكت النبى ﷺ عن إنكار قول قيل بين يديه ، أو فى عصره وعَلِمَ به، أو سكت عن إنكار فعل فُعِل بين يديه، أو فى عصره وعلم به، فإن ذلك يدل على الجواز ... قال ابن القشيرى : وهذا مما لا خلاف فيه .

ومما يندرج تحت التقرير إذا قال الصحابى : كنا نفعل كذا ، أو كانوا يفعلون كذا ، وأضافه إلى عصر رسول الله ﷺ وكان مما لا يخفى مثله عليه ... قال : ولابد أن يكون المقرَّر منقاداً للشرع ، فلا يكون تقرير الكافر على قول أو فعل دالاً على الجواز .

وجاء فى « إرشاد الفحول » : وإذا وقع من النبى ﷺ الاستبشار بفعل أو قول فهو أقوى فى الدلالة على الجواز »(٥) .

☐ وتلك أمثلة ثلاثة للسنة :

أمره ﷺ كما فى قوله : توضَّأْ كما أمَرَكَ الله .(٦)

ونهيه ﷺ كما فى نحو قوله : لاتكونوا إمَّعَة .(٧)

ولقد أقرّ ﷺ أشياء بسكوته عن النهى عنها ، فأقر المضاربة ، وأقر غناء الجاريتين ..الخ .

---

(٤) ابن حجر – فتح البارى ٧ / ٩٨٣

(٥) شيخ الإسلام الإمام شبير أحمد العثمانى ـــ مقدمة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ص ١٠٧ ـ ١١٠ . الناشر : مكتبة الحجاز ٩١٩٤١ ـ بلاك بى ، شمالى ناظم آباد ـ كراتشى .

(٦) سنن الترمذى – « الجامع الصحيح » ٢ / ١٠٢ ط مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٦ / ١٩٣٧

(٧) نفس المرجع ٤ / ٣٦٤

وهنا نتساءل - ونحن نفترض فى تحفظ شديد : أن الأحاديث الواردة فى ختان البنات ضعيفة - فهل ثبت عن رسولنا ﷺ النهى عن ختان البنات - ولا جدال فى وجوده كما لا جدال فى ممارسته فى مكة بين من أسلم من الأسر المؤمنة والمشركة على السواء ، وهذا قدر ليس لإنكاره سبيل، وبين أيدينا ختانة ذكرت فى حديث صحيح ، ولانستطيع أن نقول: إن المكية - إذا آمنت - لم تخض بناتها ، ويعنى ذلك أن الرسول ﷺ بلغه أمر ختان البنات عن مؤمنين ، كما علمه من غيرهم شأن علم حمزة - رضى الله تعالى عنه - وسكت ﷺ والمقرّر فى أحد الفريقين مؤمن لا محالة ؛ فهو - فى حقه - سنة ، وشبيه ما شئت فى حق غير المؤمنات ، فعموم أمره واضح .

لقد سكت ﷺ عنه طيلة ثلاث عشرة سنة بمكة بافتراضنا ضعف الأحاديث الواردة ، وسكت عشرا بالمدينة ، فهو سنة تقريرية لها حكمها ، وذلك ما عليه الأئمة الأربعة الذين أجمعوا على إقراره ، وذهب بعضهم إلى وجوبه ، ولقد سُمى ختانهن خفاضا لما هو مطلوب فيه من عدم المبالغة فى القطع إلا إذا زاد زيادة فاحشة يعرفها جيداً أطباؤنا وغيرهم .

والله أعلم وأجل وأعظم .

د. على أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

في هذه الآيات ، وصفهم الله تعالى ـ بجملة من الرذائل والقبائح مضافة إلى قبائحهم السابقة ، منها :

الفساد : وهو خروج الشيء عن حالة الاعتدال والاستقامة ، وعن كونه منتفعاً به ، وضده الصلاح ، يقال : فسد الشيء ، فساداً ، وأفسده إفساداً .

والمراد به هنا كفرهم ، ومعاصيهم ، ومن كفر بالله وانتهك محارمه فقد أفسد فى الأرض ، لأن الأرض لا تصلح إلا بالتوحيد والطاعة .

ومن أبرز معاصى هؤلاء المنافقين ، ما كانوا يدعون إليه فى السر من تكذيب الرسول ﷺ وإلقاء الشبه فى طريق دعوته ، والتحالف مع المشركين ضد المسلمين كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

وسلك القرآن هذا الأسلوب فقال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ بالبناء للمفعول دون أن يسند الفعل إلى فاعله ، لأن مصدر القول المعبر عن النهى عن الإفساد ليس مصدراً واحداً ، فقد يصل آذانهم هذا النهى مرة من صريح القول . وأخرى مما كانوا يقابلون به من ناحية الرسول ﷺ وأصحابه من تجهم وإعراض .

وعلق بالفعل الذى هو الإفساد قوله : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ إيذاناً بأن الإفساد مهما ضاقت حدوده ، فإنه لابد يوماً أن يتعدى الحدود إلى ما وراء ذلك فقد يعم ويشمل إذا لم يشتد فى الاحتياط له ، لذلك جعل ظرف إفسادهم الأرض كلها مع أنهم موجودون فى بقعة محصورة هى المدينة المنورة .

ولقد حكى القرآن جوابهم على نصيحة الناصحين وما فيه من تبجح وادعاء فقال : ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ . فقد بالغوا فى الرد فحصروا أنفسهم أولا فى الإصلاح مبالغة المفجوع الذى أذهلته المفاجأة بكشف أستار حقيقته ، فتراهم لم يقتصروا على أن يقولوا : ﴿إنا مصلحون﴾ بل قالوا وإنما . ثم أكدوا الجملة بكونها اسمية ليدلوا بذلك على أن شأنهم فى الإصلاح ثابت لازم . قال الراغب : صوروا إفسادهم بصورة الإصلاح لما فى قلوبهم من المرض ، كما فى قوله ـ تعالى : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ . فاطر ـ ٨

وقوله :

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

الأنعام ـ ٤٣

وقوله : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

الكهف ـ ١٠٣ : ١٠٤

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

فأنت ترى أن القرآن الكريم قد وضع فى الرد عليهم جملة صدرها بأداة الاستفتاح إيذاناً بأن ما قالوه يجب أن يهمل إهمالا ، بل يجب أن يكون وصفهم بالإفساد قضية مبتدأة مقررة حتى يتلقاها السامع وهو منتبه النفس ، حاضر الذهن .

ثم أكد الجملة بعدة تأكيدات منها : وصل «ألا» بـ «إن» الدالة على تأكيد الخبر وتحقيقه ، ومنها تأكيد الضمير بضمير منفصل حتى يتم التصاق الخبر بالمبتدأ ، ومنها اسمية الجملة ، ومنها إفادة قصرهم على الإفساد فى مقابل تأكيدهم أنهم هم المصلحون .

ولما كان هذا الرد المؤكد عليهم يستدعى عجباً ، لأنهم زعموا أنهم لا حال لهم إلا الإصلاح ، مع أنهم فى الحقيقة لا حال لهم إلا الإفساد ، لما كان الأمر كذلك ، فقد أزال القرآن هذا العجب بقوله :

﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

أى : أنهم ما قالوه إلا عن غباء استولى على إحساسهم ، ونفى عنهم الشعور بما يصدر عنهم من الفساد ، فأمسوا لا يدركون من شأن أنفسهم شيئاً ، ومن أسوأ ألوان الجهل أن يكون الإنسان مفسداً ولا يشعر بذلك ، مع أن أثر فساده ظاهر فى العيان ، مرئى لكل ذى حس . فعدم شعورهم بالفساد الواقع منهم منبىء باختلاف آلات إدراكهم ، حتى صاروا يحسبون الفساد صلاحا ، والشر خيراً .

وليس عدم شعورهم رافعاً العقاب عنهم ، لأن الجاهل لا يعذر بجهله خصوصاً إذا كان جهله يزول بأدنى تأمل لوضوح الأدلة ، وسطوع البراهين .

ثم بين القرآن أن الناصحين قد أمروهم بالمعروف بعد أن نهوهم عن المنكر فقال :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ .

المراد من الناس : المؤمنون بالرسول ﷺ الصادقون فى إيمانهم .

السفهاء : جمع سفيه ، وأصل السفه : الخفة والرقة والتحرك والاضطراب يقال : ثوب سفيه ، إذا كان ردىء النسج خفيفه ، أو كان باليا رقيقاً . وتسفهت الريح الشجر . أى : مالت به . وزمام سفيه : كثير الاضطراب ، لمنازعة الناقة إياه ، وشاع فى خفة العقل وضعف

الرأى . وهو المعنى المقصود بالسفهاء فى الآية . فقد كان المنافقون يصفون المسلمين بذلك فيما بينهم . وروى أنهم كانوا يقولون : أنؤمن كما آمن سفيه بنى فلان ، وسفيه بنى فلان ؟! فأوحى الله للنبى ﷺ بهذا الذى كانوا يقولونه .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : لم وصفوهم بالسفه وهم العقلاء المراجيح ؟! قلت لأن المنافقين لجهلهم وإخلالهم بالنظر ، اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق ، وأن ما عداه باطل ، ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً ، ولأنهم كانوا فى رياسة من قومهم ويسار ، وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال مثل (صهيب وبلال وخباب) . فدعوهم سفهاء تحقيراً لشأنهم [1] اهـ ملخصاً .

وقد رد الله عليهم بما يكبتهم ويفضحهم فقال :

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ يفيد أن السفه مقصور عليهم فلا يتجاوزهم إلى المؤمنين ، وقد تضمنت هذه الجملة من المؤكدات ما تضمنته الجملة السابقة فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ .

وإنما قال فى الآية السابقة «ولكن لا يشعرون» وقال فى هذه الآية ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ لأن الآية السابقة وصفتهم بالإفساد ، وهو من المحسوسات التى تدرك بأدنى نظر فيناسبه نفى الشعور الذى هو الإدراك بالمشاعر : الحواس ، أما هذه الآية فقد وصفتهم بالسفه ، وهو ضعف الرأى والجهل بالأمور ، وهذا لا يدركه الشخص فى نفسه إلا بعد نظر وإمعان فكر . فيناسبه نفى العلم .

ثم بين القرآن ما هم عليه من سلوك ذميم ، وأنهم يقابلون الناس بوجوه مختلفة فقال :

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

---

(1) تفسير الكشاف جـ1 ص64 .

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته وصادفته وكان قريباً منك . والمصدر اللقاء واللقى واللقية . والمقصود : استقبلوهم وكانوا فى مواجهتهم وقريبا منهم . ومرادهم بقوله «آمنا» أخلصنا الإيمان بقلوبنا لأن الإقرار باللسان معلوم منهم .

وإذا خلوا إلى شياطنهم ، أى : انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبهين الشياطين فى تمردهم وعتوهم وصدهم عن سبيل الحق . يقال : خلابه وإليه ومعه ، خلوا وخلاء وخلوة : سأله أن يجتمع به فى خلوة ففعل وأخلاه معه .

أو المعنى : وإذا مضوا وذهبوا إلى شياطينهم ، يقال : خلا بمعنى مضى وذهب ، ومنه قوله تعالى :

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٧

أى مرضت .

وعدّ عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة ، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة إيذانا بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالمؤمنين ولا طمأنينة منهم إليهم ، فهم لا يجالسونهم ولا يسامرونهم ، وإنما كل ما هنالك أن يلقوهم فى عرض طريق ، أما شأنهم مع شياطينهم ، فهم إليهم يركنون وإليهم يتسامرون ويتحادثون ، لذلك هم بهم يخلون .

والمعية فى قولهم ﴿إنا معكم﴾ ، المراد منها موافقتهم فى دينهم ، وأكدوا ما خاطبوا به شياطينهم بحرف التأكيد ، إذ قالوا ﴿**إنا معكم**﴾ ليزيلوا ما قد يجرى فى خواطراهم من أنهم فارقوا دينهم وانقلبوا إلى دين الإسلام بقلوبهم .

ولم يؤكدوا ما خاطبوا به المؤمنين ، إذ قالوا لهم ﴿آمنا﴾ ولم يقولوا وإنا آمناء ليوهموهم أنهم بمرتبة لا ينبغى أن يترددوا فى إيمانهم حتى يحتاجوا إلى تأكيد .

وقوله ـ تعالى ـ حكاية عنهم : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ . **وارد مورد الجواب عما قد يعترض به عليهم شياطينهم إذا قالوا لهم : كيف تدعون أنكم معنا مع أنكم توافقون المؤمنين فى عقيدتهم وتشاركونهم فى مظاهر دينهم ؟**

فكان جوابهم عليهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ **والاستهزاء : السخرية والاستخفاف بالغير ، يقال : هزأ منه وبه ـ كمنع وسمع ـ واستهزأ به ، أى : سخر .**

والمعنى : إننا نظهر للمؤمنين الموافقة على دينهم استخفافاً بهم وسخرية منهم ، لا أن ذلك

صادر منا عن صدق وإخلاص ثم بين ـ سبحانه ـ موقفه منهم فقال : ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ .

حمل بعض العلماء استهزاء الله بهم على الحقيقة وإن لم يكن من أسمائه المستهزىء ، لأن معناه : يحتقرهم على وجه شأنه أن يتعجب منه ، وهذا المعنى غير مستحيل على الله ، فيصح إسناده إليه ـ تعالى ـ على وجه الحقيقة .

ويرى **جمهور العلماء** أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس كأن يظهر المستهزىء استحسان الشيء وهو في الواقع غير حسن ، أو يقر المستهزأ به على أمر غير صواب ، وهذا المعنى لا يليق بجلال الله ، فيجب حمل الاستهزاء المسند إليه تعالى على معنى يليق بجلاله ، فيحمل على ما يلزم على الاستهزاء من الانتقام والعقوبة والجزاء المقابل لاستهزائهم ، وسمى ذلك استهزاء على سبيل المشاكلة[1] كما في قوله تعالى :

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾

الشورى ـ ٤٠

وهذا دليل على غيرة الله على عباده المؤمنين ، وانتقامه من كل من يستهزىء بهم أو يؤذيهم ، وعبر بالمضارع في قوله ﴿يستهزىء﴾ للإيذان بأن احتقاره لهم ، أو مجازاتهم على استهزائهم يتجدد ويقع المرة بعد الأخرى :

ثم بين ـ سبحانه ـ لونا آخر من ألوان غضبه عليهم فقال : ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ .

المد : الإمهال والمطاولة والزيادة ، من المد بمعنى الإمهال ، يقال : مده في غيه ـ من باب رد ـ أمهله وطوّل له ، ويقال : مد الجيش وأمده إذا ألحق به ما يقويه ويكثره ويزيده ، وقيل : أكثر ما يستعمل المد في المكروه ، والإمداد في المحبوب ، والطغيان : مجاوزة الحد ، ومنه طغا الماء ، أي : ارتفع .

ويعمهون : يعمون عن الرشد ، أو يتحيرون ويترددون بين الإظهار والإخفاء ، أو بين البقاء على الكفر وتركه إلى الإيمان . يقال : عمه ـ كفرح ومنع ـ عمها ، إذا تردد وتحير ، فهو عمه وعامه ، وهم عمهون وعمه كركع **والمعنى** : أن الله تعالى يجازى هؤلاء المنافقين على استهزائهم وخداعهم ، ويمكنهم من المعاصي أو يملى لهم ليزدادوا إثماً . حال كونهم يعمون عن الرشد ، فلا يبصرون الحق حقاً ولا الباطل باطلا .

ثم بين ـ سبحانه ـ لونا من ألوان غبائهم وبلادتهم فقال :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ .

الاشتراء : أخذ السلعة بالثمن . **والمراد** : أنهم استبدلوا ما كره الله من الضلالة بما أحبه من الهدى ، قال ابن عباس : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

والمشار إليه بـ «أولئك» هم المنافقون : الموصوفون فى الآيات السابقة بالكذب والمخادعة ، والإفساد فى الأرض ، ورمى المؤمنين بالسفاهة واستهزائهم بهم .

والسر فى الإشارة إليهم والتعبير عنهم بأولئك تمييزهم وتوضيحهم بأكمل صورة وأجلى بيان إذ من المعروف عند علماء البلاغة أن اسم الإشارة إذا أشير به أشير به إلى أشخاص وصفوا بصفات يلاحظ فيه تلك الصفات ، فهو بمنزلة إعادة ذكرها وإحضارها فى أذهان المخاطبين . فتكون تلك الصفات ، وهى هنا الكذب والمخادعة وما عطف عليها ، كأنها ذكرت فى هذه الآية مرة أخرى ليعرف بها علة الحكم الوارد بعد أسم الإشارة ، وهو هنا اشتراء الضلالة بالهدى . أى : اختيارها . واستبدالها به .

وعبرت الآية بالاشتراء على سبيل الاستعارة لينحدد مقدار رغبتهم فى الضلالة ، وزهدهم فى الهدى ، فإن المشترى فى العادة يكون شديد الرغبة فيما يشترى ، رغبة تجعله شديد الزهد فيما يبذله من ثمن . فهم راغبون فى الضلالة ، زاهدون فى الهدى .

وقوله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾

لا يقتضى أنهم كانوا على هدى من ربهم فتركوه ، بل يكفى فيه أن يجعل تمكنهم من الهدى لقيام أدلته . بمنزلة الهدى الحاصل بالفعل .

ثم بين ــ سبحانه ــ نتيجة أخذهم الضلالة وتركهم الهدى فقال :

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ أى : أنهم لم يحصلوا من أشترائهم الضلالة بالهدى على الربح ، وإذا كانت التجارة الحقيقية قد يفوت صاحبها الربح ، ولكنه لا يقع فى خسارة بأن يبقى له رأس ماله محفوظاً ، فإن التجارة المقصودة من الآية هى استبدال الضلالة بالهدى ، لا يقابل الربح فيها إلا الخسران ، فإذا نفى عنها الربح فذلك يعنى أنها تجارة خاسرة .

ثم قال ــ تعالى : ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ أى : وما كانوا مهتدين إلى سبيل الرشاد وما تتجه إليه العقول الراجحة من الدين الحق ، وما كانوا مهتدين إلى طرق التجارة الرابحة ، فهم أولا لم يربحوا فى تجارتهم بل خسروها ، وهم ثانياً ذهب نور الهدى من حولهم فبقوا فى ظلمة الضلال .

وما أوجع أن يجتمع على التاجر خسارته وتورطه ، وما أوجع أن يجتمع عليه أن ينقطع عن غايته ، وأن يكون فى ظلمة تعوقه عن التبصر .

« يتبع »

مع سورة يس

من أدلة قدرة الله ووحدانيته خلق الأنعام وتذليلها للإنسان

بقلم أ. د
ابراهيم
خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله ـ تبارك وتعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

بعد أن ذكر ثلاثة من أصول الدين وهي : الوحدانية في قوله ـ تعالى : ﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

والبعث والحشر في قوله : ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ ﴾ والرسالة في قوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ .. الآية . أعاد الكلام على الوحدانية وأقام الأدلة عليها في هذه الآيات .

والهمزة في « أَوَلَمْ يَرَوْا » للإنكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة ، أي : ألم يتفكروا ، أو ألم يلاحظوا ولم يروا ، والرؤية هنا

بصرية لأن الناس يرون الأنعام بأعينهم ، ويجوز أن تكون الرؤية علمية والمعنى ألم يعلموا علما يقينياً مشابها للمعاينة .

وهذه الآيات سيقت لتقرير دلائل الوحدانية مع تعداد نعم الله فى الأنعام وتذكير العباد بها .

ومعنى **خلقنا لهم** . أوجدنا وأنشأنا لأجلهم وانتفاعهم .

« مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا » من المعلوم أن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث ، وظاهر هذا يفيد أن لله «يدا» . وقد اختلف السلف والخلف فى المراد من «أيدينا» فالسلف يفوضون ويرون أن لله تعالى يدا لا كيد المخلوقين ، الله أعلم بها بناء على قوله تعالى «ليس كمثله شيء» وأما الخلف فيؤلون ويرون أن معنى «مما عملت أيدينا» مما تولينا إحداثه وانفردنا بإيجاده لم يشاركنا فى ذلك أحد ، والكلام عندهم من قبيل الاستعارة التمثيلية ، **وفى رأيى أن الخطب سهل والأمر يسير مادام كل من السلف والخلف يقصد تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث** .

والأنعام هى : الأزواج الثمانية الإبل والبقر ويدخل فيه الجاموس ، والغنم وتشمل الضأن والمعز ، وقد سمى الله ـ تعالى ـ سورة باسم الأنعام وهى السورة السادسة فى ترتيب المصحف ، وخصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع ، قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ الأنعام ١٤٢

وقال ـ تعالى :

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ الأنعام

﴿ فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

الفاء تفريعية ، وإنما جيء بها جملة إسمية للدلالة على استقرار ملكيتهم لها واستمرارها ، وفى هذه الجملة معنيان :

الأول : فهم لها مالكون ملكا شرعيا بحيث يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات من بيع وإجارة ورهن وغير ذلك .

الثانى : أن يكون المراد بملكها ضبطها أى قهرها والاستيلاء عليها وكلا المعنيين مراد .

﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾

يعنى صيرناها سهلة غير مستعصية عليهم فى شيء مما يريدون بها ، حتى الذبح ، وقد يملك الشيء ولايكون مسخرا ، ومن الذى يقدر على تذليل الإبل لولا أمر الله بتسخيرها ؟

والفاء فى قوله : «فمنها ركوبهم» لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها ، وهى طريقة قرآنية بارعة حيث يذكر الشيء مجملا ثم يذكر مايترتب عليه مفصلا ، و«ركوب» فعول بمعنى مفعول ، وهو مايركب والتاء للمبالغة ، ومن للتبعيض أى وبعض منها يأكلون ، وغير الأسلوب . فجعل الجملة الأولى «فمنها ركوبهم» اسمية وجعل الثانية «ومنها يأكلون» فعلية لأن الأكل عام فى الأنعام بخلاف الركوب فإنه فى الإبل خاصة .

« وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ »

الضمير فى «فيها» يعود على الأنعام .

وفى هذه الآية بيان أن فى الأنعام منافع أخرى غير الركوب والأكل ، كالجلود والأصواف

والأوبار وغيرها كالحرائة . قال تعالى :

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾

« ومشارب » جمع مشرب ، والمراد اللبن المأخوذ من الضرع ، وخص بالذكر مع دخوله في المنافع لشرفه واعتناء العرب به وخروجه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين .

قال ـ تعالى ـ ممتنا على عباده :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون ٢١ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾ « النحل ٦ ، ٧ » .

وقد زاد في هذه الآية مايستلذ به الانسان من الجمال في الغدو والرواح وحمل الأمتعة إلى بلاد نائية يشق الوصول إليها .

« **أفلا تشكرون** » الهمزة للاستفهام الإنكارى ، والفاء للعطف على محذوف تقديره : أيشاهدون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها ويخصونه ـ سبحانه بالعبادة ، وفي هذه الجملة توبيخ لهم على ترك العبادة شكرا ، ولو شكروا لزادهم من فضله ولو كفروا لسلبها منهم .

والغرض منها : استدامة الشكر لهذه النعم والاستزاده منه . قال ـ تعالى : « ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴾ » إبراهيم

إن آيات الله في الأنعام التى خلقها الله لهم وملكهم إياها وذللها لهم يركبونها ويأكلون منها ويشربون ألبانها وينتفعون بها منافع شتى كثيرة وكل ذلك من قدرة الله تعالى وتدبيره .

ومايملك الناس أن يصنعوا من ذلك شيئا ومايملكون أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وما يملكون أن يذللوا ذبابة لم يركب الله في خصائصها أن تكون ذلولا لهم .

إن الانسان حين ينظر بعين الاعتبار في خصائص هذه الأنعام التى تحدث عنها القرآن الكريم يحس أنه مغمور بفيض من نعم الله تعالى يتمثل في كل شيء حوله وفي كل مرة يركب فيها دابة ، أو يأكل قطعة من لحم أو يشرب جرعة من لبن أو يتناول قطعة سمن أو جبن ، أو يلبس ثوبا من شعر أو صوف أو وبر ، لمسة وجدانية يشعر فيها قلبه بوجود الخالق ورحمته ونعمته ، وتعود حياته كلها تسبيحا لله وحمدا وعبادة آناء الليل وأطراف النهار ، ولكن أكثر الناس لايشكرون ولايخصون الله بالعبادة والاستعانة ، ولذا قال الله بعد هذا .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾

والغرض من ذكر هذه الآية زيادة توبيخهم وتبكيتهم . فقد وضعوا الشرك مكان الشكر فلا أظلم منهم ، حيث رأوا منه ـ تعالى ـ تلك القدرة الباهرة والنعم الظاهرة ، وعلموا أنه المتفرد بها واتخذوا آلهة من الأصنام وغيرها آملين منها النصرة فيما نزل بهم من الشدائد ، وآملين أن يشفعوا لهم في الآخرة وهيهات هيهات .

وجملة واتخذوا من دون الله آلهة معطوفة على

محذوف يفهم من سياق الكلام ، تقديره : ما شكروا النعم ولاوحدوا المنعم واتخذوا ...

« لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ » الخ جملة مستأنفة للرد عليهم ولبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم فلا تقدر آلهتهم على نصرتهم .

﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ . تحتمل معانى كثيرة منها : أن يكون العابدون جند للمعبودين ، ومنها : أن المشركين جند لآلهتهم فى الدنيا محضرون للنار فى الآخرة ، ومنها : أن المشركين لآلهتهم جند محضرون يوم القيامة على أثرهم فى النار ، وجعلهم « جندا » من باب التهكم والاستهزاء .

ومعنى « وهم لهم » أى الآلهة معدون محضرون لعذاب أولئك المشركين يوم القيامة لأنهم يجعلون وقود النار ، ومحضرون عند حساب الكفرة وذلك لإظهار عجز الآلهة ولاقناط المشركين وتيئيسهم من شفاعتهم . قال ــ تعالى ــ فى سورة البقرة ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ٢٤ ، وقال فى سورة « فاطر » : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ ١٣ ، ١٤ ..

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنبياء

وهذه الآية تفيد أن العابدين والمعبودين فى جهنم إلا عيسى والملائكة فقد عبدوا وكانوا غير راضين بعبادتهم .

قال ــ تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ « الأنبياء ١٠١ »

إن الإنسان ليعجب كل العجب من هؤلاء الذين غمروا بنعمة الله وأحاطت بهم من كل جانب ومع ذلك لم يشكروا المنعم عليهم بل أشركوا به ما لاينفع ولايضر ولايسمع ولايبصر ولايغنى عنهم شيئا . والشرك ألوان تختلف باختلاف الزمان والمكان . ففى الماضى كانت الآلهة أصناما وأوثانا أو شجرا ونجوما أو ملائكة أو جنا . ولاتزال الوثنية فى بعض بقاع الأرض حتى يومنا هذا .

ولم يرتق بعض الناس اليوم عن هذا التصور إلا من حيث الشكل فقط ، فهم لايبعدون كثيراً عن الشرك حيث إنهم يؤلهون الطغاة ويحمون طغيانهم ويدافعون عنه وينسون خالقهم فهؤلاء مشركون وإن تظاهروا بالإيمان قال تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ « يوسف

إن الوثنية هى الوثنية فى شتى صورها وحينما اضطربت عقيدة التوحيد الخالص جاءت الوثنية وجاء الشرك ولاعصمة للبشرية الا بالتوحيد الخالص الذى يفرد الله وحده بالألوهية والعبادة والتوجه والاعتماد والطاعة والتعظيم .

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

الخطاب فى هذه الآية لرسول الله ﷺ ولكل داعية وهو يواجه الذين اتخذوا من دون الله آلهة والذين لايشكرون ولايذكرون ، ليطمئنوا بالا من ناحيتهم فهم مكشوفون لعلم الله ، وكل مايدبرونه ويملكون مكشوف لقدرة الله القادرة ، والله من ورائهم محيط ، ولقد هان أمرهم بهذا وما عاد لهم

من خطر يحسه مؤمن يعتمد على الله وهو يعلم أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون وأنهم فى قبضته وهم لايشعرون .

والغرض من ذكر هذه الآية تسلية رسول الله ﷺ وتهوين الخطب عليه وعلى كل داعية يدعو إلى الله ، وهى أيضا تهديد ووعيد للمشركين وتخويف لهم .

والفاء فى قوله ﴿فَلَا يَحْزُنكَ ..﴾ فصيحة أفصحت عن شرط مقدر . أى إذا كان هذا حالهم مع ربهم - عز وجل - فلا تحزن بسبب قولهم عليك هو شاعر ، أو إذا كان حالهم يوم القيامة ما سمعت فلا تحزن بسبب قولهم على الله - سبحانه - أن له شركاء تعالى عن ذلك علوا كبيرا . أو قولهم على الله - تعالى - وعليك ما لايليق بشأنه - عز وجل - وشأنك ، والنهى وإن كان بحسب الظاهر متوجها إلى «قولهم» لكنه فى الحقيقة متوجه إلى رسول الله ﷺ والمراد نهيه - عليه السلام - عن التأثر من الحزن على أبلغ وجه .

وقوله - تعالى ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف .

والمعنى إنا نجازيهم على جميع جناياتهم التى منها : العقائد الزائفة والعداوة لك ، والذى يعلنونه من كلمات التكذيب والأشراك ونحوها من اتهامك بالسحر والشعر والجنون ، وإنما قدم السر على العلن فى قوله : ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ لأمور كثيرة منها : بيان إحاطة علمه - سبحانه وتعالى - بحيث إن علم السر عنده كأنه أقدم من علم العلن ، ومنها أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن فما من شىء يعلن إلا وهو مضمر فى القلب قبل ذلك ، ومنها الإشارة إلى الاهتمام بإصلاح الباطن فإنه ملاك الأمر كله .

مايؤخذ من الآيات :

١ - من أدلة وجود الله ووحدانيته خلق الأنعام ومن فضله ونعمته على الناس تذليلها لهم وتسخيرها لمنافعهم فى الركوب وأكل اللحوم وشرب الحليب وصنع الجبن والسمن .

٢ - أن الآلهة المزعومة حجرا كانت أو شجرا أو بشرا أو نحوها لاتستطيع نصر عابديها . ومع ذلك فهم يخدمونها ويدفعون عنها ويغضبون لها فى الدنيا وستكون تلك الآلهة جند للعابدين يوم القيامة محضرون معهم فى النار يعذبون بها وهذا المعنى ثبت فى صحيح مسلم وكذا فى جامع الترمذى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : **يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب صليبة ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون .**

هذا الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب صفة الجنة باب ما جاء فى خلود أهل الجنة وأهل النار ج٤ ص٦٩١ رقم ٢٥٥٧ وقال عنه هذا حديث حسن صحيح .

٣ - أن الله تعالى مطلع على مايسر الكافرون ويظهرون من القول والعمل فيجازيهم بذلك يوم القيامة .

وبالله التوفيق

- يتبع -

ولا تتخذوا آيات الله هزوا

للأستاذ / عبد العزيز أحمد رضوان (*)

كثيرا ما يتلاعب البعض بآيات القرآن فيضعونها على غير موضعها ، ويلتمسون لها تفاسير توافق أهواءهم ، وتناصر أباطيلهم .

وكثيرا ما يتحدون ـ في وضح النهار ـ على الأحكام فينكرونها ، ويخترعون لأنفسهم (شرعا) ما أنزل الله به من سلطان .

وأكثر ما تكون الجرأة على الأحكام المالية ، فالحقوق مأكولة والرحم مقطوعة ، والأهلية منعدمة .

وما رتب الإسلام أداء الحقوق المختلفة من دين وزكاة ومواريث وهبات ووصايا وغيرها ، إلا ليصون العلاقات بين جماعات المسلمين وليؤكد أواصر القربى والأخوة بينهم .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ

(*) الكاتب ـ مفتش أول وعظ كفر الشيخ .

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴾(١) .

تلك وصايا المولى — عز وجل — وكثير من الناس أبعد ما يكون عنها ولو أننا تتبعنا صور هذا التلاعب لطال بنا المقام فهذه الصور كثيرة بدليل تراكمها على المحاكم ودور العدالة ، والقصور في سرعة متابعتها وإصدار الحكم العادل فيها في زمن يسير يقضي على شهوات المتلاعبين .

ويكفينا — فقط — ضرب بعض الأمثلة :

١ — هذه طائفة من المسلمين تنكر توريث البنات ، فإذا مات المورث استولى الذكور على التركة واقتسموا حق البنات فيما بينهم ، وحين تتزوج البنت ويكبر أولادها ، وتنوء بمسئولياتها ، وتطالب أخاها بحقها لا يمكنها منه ، فإذا لجأت للقضاء تحايل — كسبا للوقت — بإنكار أخوتها ، وتطالبها المحكمة بإثبات النسب والميراث ، فتلف وتدور هنا وهناك ، والأهل كلهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ، ومع ذلك لا يشهدون ولا يخشون الله .

هذا مع أن الإسلام أوصى بالنساء على وجه الخصوص ، سواء كن بنات أو زوجات أو أمهات .

قال — تعالى — :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾(٢)

وقال :

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾(٣) .

وقال :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(٤) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : ((**من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ، وضم أصابعه**))(٥) .

رواه مسلم

---

(١) سورة الأنعام : الآيات من ١٥١ — ١٥٣ .

(٢) سورة النساء : من الآية ١ .

(٣) سورة البقرة : من الآية : ٢٣١ .

(٤) سورة لقمان : الآية : ١٤ .

(٥) رواه مسلم .

وقال : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم)(٦)

رواه الترمذى

٢ ـ وهذه طوائف تتلاعب بكيفية توزيع الميراث ولا ترضى بتقسيم الله ـ عز وجل ـ ، فهذا أب لم يعقب ذكورا ، وذريته من البنات ، ولا يحب ـ بعد موته ـ أن يؤول شيء من تركته لأقرب ذكر من عصبته بعد حظ بناته وزوجته ـ مع أنه شيء يسير ـ فينشيء عقد بيع صوريا ، كأنه باع لبناته وزوجته كل ما يملك ويقوم بتسجيل البيع حتى يقطع الطريق على الأقربين من بعد المستحقات من ولده ، مع أن الله ـ سبحانه ـ وصية بمن يحضر قسمة من المعوزين ليعطى منه يقول ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(٧)

ويشدد على وجوب إنفاذ أحكامه فيقول :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٨)

٣ ـ وهذه طوائف تعطى الذكور نصيبا أكبر من الإناث أو تعطى بعض الأولاد الذكور نصيبا أكبر من غيرهم دون سند من دين أو شرع ، وقد نهى الله ـ عز وجل ـ عن هذا فقال :

﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾(٩) .

٤ ـ وهذه طوائف تعطى التركة كلها لأبناء زوجة له عطية أثيرة ، وتحرم أبناء الزوجة الأخرى .

وغير هذا كثير وكثير !! .

وبسبب ذلك يحدث الهرج والمرج وقطع الأرحام وإذكاء العداوات ، وترتفع الصيحات ثم يكون الضرب والاقتتال الذى يتجلى عن قتلى ومشوهين ونزلاء سجون وأرامل ويتامى وخصومة إلى الأبد .

فهل لنا أن نطيع ربنا عز وجل ولا نتخذ آياته هزوا ؟ .

---

(٦) الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٧) سورة النساء : الآية : ٨ .

(٨) سورة النساء : الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

(٩) سورة النساء : من الآية : ١١ .



دخول الجنة برحمة الله وفضله

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :

« يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من الله عليه . فيقول الله لأصغر نعمة - أحسبه قال - فى ديوان النعم : خذى ثمنك من عمله الصالح ؛ فتستوعب عمله الصالح ، ثم تنحى وتقول : وعزتك مااستوفيت ، وتبقى الذنوب والنعم ، وقد ذهب العمل الصالح ؛ فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال : ياعبدى قد ضاعفت لك حسناتك ، وتجاوزت عن سيئاتك - أحسبه قال : « ووهبت لك نعمى » . [رواه البزار]

من صفات أهل الإيمان ، أهل التقوى ، وأهل المغفرة ؛ أنهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، كما قال عنهم رب العالمين فى محكم كتابه :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء / ٥٧]

وحيث قال عنهم خالقهم :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء / ٩٠]

أهل الإيمان الذين يتوجهون إلى الله بكليتهم فى كل مايفعلون ومايتركون

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[السجدة / ١٦ ، ١٧]

عن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت : « قلت يارسول الله . قول الله - تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

[المؤمنون / ٥٧ - ٦١]

أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق ، قال : لايابنة الصديق ، ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه »

رواه أحمد والترمذى

عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ فى بيتى ، وكان بيده سواك ، فدعا وصيفة له ـ أو لها ـ حتى استبان الغضب فى وجهه فخرجت أم سلمة إلى الحجرات فوجدت الوصيفة وهى تلعب ببهمة - أى ولد الضأن - فقالت : ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله ﷺ يدعوك ؟ فقالت : لا والذى بعثك بالحق ماسمعتك ؛ فقال ﷺ : « لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك »

وفى رواية : « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك » رواه أبو يعلى

فهذا الحديث الشريف يصوّر منهج الذين يأخذون من سيرة رسول الله ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة . سئل أحدهم - حاتم الأصم - عن صلاته ، فقال : إذا حان وقت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت المصلى فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبىّ ، والصراط تحت قدمىّ والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، وأظنها آخر صلاتى ؛ فأتمها بين الخوف والرجاء فى أتم خشوع ، ثم لا أدرى بعد أمقبولة منى أم مردودة علىّ ؟!

إن العبد المؤمن الذى يعيش حياته بين الخوف والرجاء . يبشره رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : وعزتى ، لاأجمع لعبدى خوفين ولاأمنين ، فإن هو خافنى فى الدنيا أمّنته يوم القيامة ، وإن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة »

رواه أبو نعيم ، والبزار وابن حبان

ولقد دخل النبى ﷺ على شاب وهو يموت ، قال : « كيف تجدك ؟ فقال : أرجو الله وأخاف ذنوبى . فقال عليه الصلاة والسلام : ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمّنه من الذى يخاف » .

الحاف السادة المتقين جـ١٠ ، ص٢٧٧ .

على أن العمل لايُدخل أحد الجنة ، ولكن بفضل الله ورحمته .

روى واثلة بن الأسقع - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ - قال : يبعث الله يوم القيامة عبدًا لاذنب له ، فيقول الله : أى الأمرين أحب إليك ؟ أن أجزيك بعملك أو بنعمتى عندك ؟ قال : يارب إنك تعلم أنى لم أعصك . قال : خذوا عبدى بنعمة من نعمى ؛ فمابقى له حسنة إلااستغرقتها تلك النعمة فيقول : رب بنعمتك ورحمتك ، فيقول : بنعمتى ورحمتى »

[رواه الطبرانى]

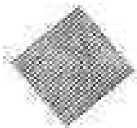
وهاهو رسول الله ﷺ يعلن لأمته هذه الحقيقة - فيمارواه البخارى ومسلم - عن عائشة - رضى الله عنها - أنها كانت تقول : قال رسول الله ﷺ : « سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لم يُدْخِلَ أحدًا الجنة عَمَلُهُ ، قالوا : ولاأنت يارسول الله ؟ قال : ولاأنا إلاأن يتغمدنى الله برحمته »

إن عمل ابن آدم مهما عظم - كما تقدم - لايكافىء أدنى نعم الله عليه .

عن محمد بن أبى عميرة - رضى الله عنه - وكان من أصحاب النبى ﷺ أحسبه رفعه إلى النبى ﷺ ، قال : « لو أن رجلا خر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما فى طاعة الله - عز وجل - لحقره ذلك اليوم ، ولود أنه رُدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب »

[رواه أحمد]

إنه رجل يقضى حياته منذ وُلِدَ إلى أن يموت ساجدًا خاشعًا خاضعًا لربه ، يقضى عمره كله . من مهده إلى لحده فى طاعة ربه ؛ فإذا حاسبه الله على فضله الذى غمره به فى حياته لاستصغر عمله ، وتمنى لو يرجع إلى الدنيا ليزداد من الصالحات والطاعات . ومع كل هذا لايدخل الجنة إلابرحمة الله .



من رجال الحديث الشريف

عثمان بن سعيد الدارمي

تقديم الأستاذ / أحمد تقى الديب

هو الإمام الحافظ الناقد أحد الأعلام الثقات أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد التميمى الدارمى السجستانى نزيل « هراة » ومحدثها .

ولادته :

قال الذهبى : ولد قبل المائتين بيسير .

رحلته فى طلب العلم وشيوخه :

كان الدارمى واسع الرحلة طاف بالأقاليم طلبا للحديث . سمع لكبار المحدثين بالحرمين والشام ومصر والعراق والجزيرة وبلاد الشام ..

مثال من سماعاته :

فسمع بمصر : سعيد بن أبى مريم ، وعبد الغفار بن داود الحرانى ، ونعيم بن حماد ، وأبا صالح عبد الله بن صالح (كاتب الليث) .

وسمع بالعراق : سليمان بن حرب ، وموسى ابن إسماعيل التبوذكى ، ومحمد بن كثير ، وسهيل ابن بكار بالبصرة (وبها كتب الحديث مع يحيى ابن معين) ، ويحيى بن عبدالحميد الحمانى .

وسمع بالشام : هشام بن عمار ، وسليمان ابن عبد الرحمن التميمى ، وهشام بن خالد .

ومحمد بن عبد الله بن بكر الخزامى المقدسى ، ومحبوب بن موسى الأنطاكى ، وكتب معه بالشام ، الحسن بن على ، وأبو على الخلال الحُلوانى ، ومحمد بن صالح كيلجة البغدادى .

(*) رجعنا فى إعداد هذا المقال إلى كتاب : تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن أبى زكريا يحيى بن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم ، تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة .

وسمع بالحجاز : إسماعيل بن أبى أويس .

وسمع بخراسان : إسحاق بن راهويه .

ودخل جرجان وأقام بها سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

وروى من خلائق فى رحلاته هذه ، منهم عبد الله بن رجاء الغدانى البصرى وفروة بن أبى المغراء الكوفى ، ومحمد بن المنهال الخزامى ، وعمرو بن عون الواسطى ، ومسلم بن إبراهيم البصرى ، ومسدد بن مسرهد وغيرهم .

وعاد الدارمى من رحلاته بعلم جم ، فاق أهل زمانه ، فقد جالس يحيى بن معين ، ودون عنه سؤالاته فى الرجال ، وأخذ عنه وعن على بن المدينى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه علم الحديث وعلله ونقد الرجال .

كما أخذ الفقه من أبى يعقوب البُوَيْطى صاحب الشافعى ، والأدب عن ابن الأعرابى .

رأى العلماء فيه :

قال أبو داود السجستانى عندما سُئِلَ عن عثمان ابن سعيد الدارمى : منه تعلمنا الحديث .

وقال أبو الفضل يعقوب بن إسحق الهروى القرّاب : ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ، ولا رأى عثمان مثل نفسه .

وقال أبو حامد الأعمشى : ما رأيت فى المحدثين مثل : محمد بن يحيى ، وعثمان بن سعيد ، ويعقوب ابن سفيان الفَسَوى .

وقال أبو عبد الله بن أبى ذهل : قلت لأبى الفضل القراب : هل رأيت أفضل من عثمان بن سعيد الدارمى ؟ فأطرق ساعة ثم قال : نعم إبراهيم الحربى .

وسُئِلَ أبو زرعة الرازى عن عثمان بن سعيد ؟ فقال : ذاك رُزِقَ حسن التصنيف .

وقال أبو الفضل الجارودى : كان عثمان إماما يُقتدى به فى حياته وبعد مماته .

اعتزازه بمكانته فى العلم :

كان الدارمى مثلا لاعتداد العلماء العاملين بعلمهم ، والترفع بتلك المكانة عن الابتذال ومواطن الذلة والصغار ، فقد كرمه الله بالعلم ، فيجب أن يكرم العلم من أن يُمتهن أو يكون سلما لمغنم أو جاه .

قال أبو الفضل القراب : كنا فى مجلس عثمان ابن سعيد غير مرة ، ومر به الأمير عمرو بن الليث ، فسلم عليهم ، وقال : وعليكم . ولم يزد على رد السلام .

مقومات المحدث عند الدارمى :

كان الدارمى يقول : من لم يجمع حديث : شعبة ، وسفيان ، ومالك ، وحماد بن زيد ، وابن عيينة ، فهو مفلس فى الحديث .

مؤلفاته :

- المسند الكبير .
- كتاب فى الرد على الجهمية .
- كتاب فى الرد على بشر المريسى صاحب فتنة خلق القرآن .
- سؤالات عن الرجال ليحيى بن معين .

تلاميذه والآخذون عنه :

روى عنه ابن خزيمة ـ وهو من شيوخه ـ وروى عنه أبويحيى زكريا بن أحمد بن يحيى البلخى ، وأحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفى ، والمؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسىُّ ،

وأبوعمرو أحمد بن محمد الحيرى ، وأبوالعباس أحمد بن محمد بن الأزهر السجزى ، ومحمد بن يوسف الهروى نزيل دمشق ، وأبوعبدالله محمد بن إسحق الهروى ، والحسن بن على بن نصر الطوسى ، وأبوالنضر محمد بن محمد الطوسى الفقيه ، وحامد الرفاء ، ومحمد بن إبراهيم الصرام ، وأبوالفضل يعقوب بن إسحق القراب ، وخلق كثير من أهل هراة ، وأهل نيسابور .

وفاته :

فى ذى الحجة سنة ثمانين ومائتين كانت وفاة عثمان بن سعيد الدارمى وكانت وفاته فى مدينة هراة .

تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى

والكتاب الذى بأيدينا عن هذا الحبر الجليل هو - فى الواقع - أسئلته - الموجهة إلى شيخه يحيى ابن معين ، ويحمل عنوان : «تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن أبى زكريا يحيى بن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم» وحتى نعطى فكرة عن قيمة هذا الكتاب نقول :

فى الكتاب أحد عشر فصلا اشتملت أسئلة عثمان الدارمى الموجهة إلى يحيى بن معين عن : أصحاب الزهرى . ثم يليها أسئلته عن أصحاب قتادة ، فالأعمش ، فأيوب السختيانى ، فأصحاب عمرو بن دينار ، فالشعبى ، فإبراهيم ، فأبى إسحاق السبيعى ، فأصحاب منصور ، فسفيان الثورى ، فشعبة ، يتلقى فى كل ذلك حكم يحيى عليهم وما فى هذا الحكم من بيان لمنازلهم فى التحديث .

يلى ذلك ستة وعشرون بابا منتظمة مع الحروف الهجائية سقط منها حرفا التاء ، والظاء ، وفى كل منها يسأل عن محدثين تبدأ أسماؤهم بالحدث الذى عُنونَ له بابه .

وهذان نموذجان من اللونين :

(أ) جاء فى (أصحاب الزهرى) عن رواى الكتاب وهو أبو يحيى زكريا بن أحمد البلخى قال : حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى ، قال : سألت يحيى بن معين عن أصحاب الزهرى ، قلت له :

١ - معمر أحب إليك فى الزهرى أو مالك ؟ فقال : مالك .

٢ - قلت : فيونس أحب إليك وعقيل أم مالك ؟ فقال : مالك ... الخ ص٤١ .

(ب) باب الألف :

قال الراوى عن عثمان : « أخبرنى عثمان قال : قلت ليحيى بن معين :

١١١ - إبراهيم بن ميسرة . ما حاله ؟ فقال : ثقة .

١١٢ - قلت : هو أحب إليك عن طاووس أو ابن طاووس ؟ فقال : كلاهما .

وهكذا حتى ينتهى إلى الياء .

ولذلك نجد أن فهرس الأعلام بالكتاب جمع من المحدثين ثبتا يقع فى إحدى وخمسين صفحة متوسط ما تحويه الصفحة منها نحوا من أربعة وعشرين محدثا ومحدثة .

لذا يعتبر هذا الكتاب إحدى نوادر التراث الإسلامى الأمينة فى هذا الفن الشريف .

أثر الأخلاق في بناء الفرد والمجتمع

فضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

الأخلاق قاعدة أساسية فى بناء الأفراد والأمم ، وركيزة راسخة فى تكوين المجتمعات النافعة الراقية لأن الحياة لا تستقيم إلا بمكارم الأخلاق ، ولأهمية الأخلاق فى حياة المسلم جعل الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهم أهداف رسالته أن يتمم مكارم الأخلاق ، فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ولقد أعده ربه وأكمله وهيأه لتحمل أعظم رسالة وأضخم مهمة ، فأدبه فأحسن تأديبه ، وتولاه واجتباه واصطفاه ، وشرح صدره ، ورفع ذكره وأعلى شأنه وقدره ، ومنحه أكرم وصف ظهر على الأرض فقال ربه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ .

سورة القلم ـ آية : ٤

فكان خلقه القرآن الذى بنى به صاحب الخلق العظيم أمة الإسلام التى قال لها ربنا :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١١٠

والله عز وجل جعله أسوة حسنة للمسلمين أجمعين فى كل وقت وحين ، وإن اختلفت الأوطان والألوان :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٢١

● مدير عام الوعظ والإرشاد سابقا .

والإسلام قد انتشر بالقدوة كما انتشر بالدعوة : وبين أيدي المسلمين المنهج والقدوة : أما المنهج فهو كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأما القدوة فرسول الله ﷺ الذي قال له ربه :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . سورة الجاثية

وبالسلوك المستقيم والخلق القويم ، وبالقول الطيب الكريم ، وبالعمل الصالح تتحقق وتتأكد للمؤمنين حياة طيبة .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾

سورة فاطر ـ آية : ١٠

وبمكارم الأخلاق يستقر الأمر وينتشر الأمن .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ٩٧

والله عز وجل يمنح الأمن للذين آمنوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فيقول :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ . سورة الأنعام

وبمكارم الأخلاق تظهر الأمم وتسعد الأمم :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لأن الإسلام عقيدة وسلوك ، اعتقاد ومنهج ، عقيدة ونظام متكامل شامل ، وهو كل لا يتجزأ وهو دين أكمله الله ، أكمل به الملة وأتم به النعمة فقال :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٣

وذلك لأن مكارم الأخلاق ثمرة الإيمان ، فلا إيمان لمن لا أمان له ، ولا دين لمن لا عهد له ، والمؤمن مَنْ أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولقد جاء الإسلام بكل ما يهذب النفوس ويربيها ويؤدبها ويرقيها ويطهرها ويزكيها لأن الأفراد لبنات في بناء الأمة المؤسس على تقوى من الله ورضوان .

يقول رسول الله ﷺ : « ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من خلق حسن » رواه الترمذي .

والنفس البشرية إذا أصابها غيث الهدى تطهرت وأثمرت بالخير وأفلحت .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ سورة الشمس

والنفس إذا تجردت للاستقامة والبر فهي المطمئنة الراضية المرضية ، لأنها جبلت على صالح الأعمال في كل المجالات والاتجاهات ، لأنها موصولة بالله لا تعبد إلا إياه ولا تذل لأحد سواه ولا تقول لغير الله :

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

عملا بقول الله ـ تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الأنعام

فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ سورة النازعات

وهذه النفس الطاهرة التقية النقية البريئة من دنس الذنوب ورجس العيوب لا يصدر منها إلا ما يرضى الله من قول وفعل وفضائل ، وهى التى يقال لها ترحيبا بها وتقديرا لها :

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ .

سورة الفجر ـ آية : ٢٧ ـ ٣٠

وما أحوج المسلم إلى أن يحمل نفسه على الطاعة والبر ومراقبة الله سرا وعلانية ، لتطمئن بذكر الله سبحانه .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩ ﴾ .

سورة الرعد

ما أحوج الناس إلى التوبة قبل فوات الأوان .

والندم توبة

وأما النفس اللوامة ، فهى التى تلوم صاحبها وتشعره بوخزات الضمير إذا اقترفت سوءا بجهالة فأنابت ورجعت إلى رشدها وتابت إلى ربها من قريب ، ولم ترجع إلى ذنبها لإصرارها على رضا ربها .

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ ﴾ سورة النساء

وقد ابتليت المجتمعات بشرذمة من أصحاب النفوس الخبيثة الشريرة ، التى جبلت على اللؤم والخسة والإيذاء والإضرار بالناس من نفاق مضلل وكذب كريه وغش وخديعة ، ودس ووقيعة ، فهم شياطين الإنس يعيثون فى الأرض فسادا وأولئك هم شر البرية : وهم أصحاب النفوس الأمارة بالسوء التى تدمر صاحبها وتعصى خالقها وقد جاء ذكرها بوصفها فى سورة يوسف :

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٣ ﴾ . سورة يوسف

والإسلام يريد من المسلم أن يكون سليم الصدر عف اللسان طاهر القلب نقى السيرة طيب السريرة يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا يمشى على الأرض هونا : يقصد فى مشيه ويغضض من صوته ومن بصره ، لأن الإسلام شديد الحرص على صون الأعراض وطهارة الأنساب ، فشرع الضمانات الكافية الشافية والله يقول :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ . سورة النور ۝٣٠

ويقول عز وجل :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ . ۝٣١

وقد فرض الله الاستئذان وحرم اقتحام البيوت بغير إذن أهلها ولو كان من ذوى القربى : وجعل للوالدين حقا مفروضا ، وجعل للأبناء عليهما واجبا معلوما بينته شريعة الإسلام التى جاءت بكل ما فيه سعادة الناس فى دنياهم وأخراهم ، وذلك لأن الله قد كرم الإنسان وخلقه فى أحسن

تقويم ومنحه العقل السليم وبين له الخلق القويم والصراط المستقيم ، لأنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى وإنما وُجد ليعبد الله .

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ .
سورة الذاريات

ثم ما هي العبـادة ؟

والعبادة ، معناها الواسع تشمل كل ما يرضى الله ورسوله ، كالصلاة والزكاة والحج والصوم والأمر بالخير والنهى عن الشر ، وإتقان العمل والإخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى والصدق فى القول والفعل وأداء الأمانات إلى أهلها لأن الإنسان والوقت قوتان عظيمتان تسير بهما عجلة الحياة وتعمر بهما الأرض إذا استثمرا استثمارا نافعا تمتلىء الأرض خيرا فيه منافع للناس ، لأن الوقت هو عمر الإنسان ، ويجب أن يقدر من قدره ، لأن الحركة دليل الحياة والركود دليل الممات وفقدان الشعور وضعف الإحساس بالمسئولية .

من يهن يسهـل الهوان عليـــه
ما لجرح بميت إيـــــــلام

والمسلم لا يكون كسولا خاملا خائبا خائنا لنفسه ولوقته (خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وساء عمله) .

لأن الإسلام يربى أتباعه على صدق الإرادة وقوة العزيمة ليعرفوا للحياة قيمتها ، فلا عبث ولا ألاعيب ولا إهمال ولا أكاذيب ، لأن كل إنسان مسئول عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه .

ومن الأعمال الصالحة : تربية الأولاد على الفضائل ومكارم الأخلاق « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ولا يخفى أن العبادة تخرج بالإنسان من ظلمة الشهوات الحيوانية الكثيفة إلى السمو الإنسانى يمشى فى الحياة سويا على صراط مستقيم .

وصراط الله المستقيم هو الذى أمرنا الله باتباعه فقال :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ . الأنعام ـ ١٥٣

الإسلام منهاج متكامل

الإسلام هو المنهاج المتكامل الشامل للحياة الفاضلة المثالية إذا استجاب الناس لما يحييهم بطاعة الله ورسوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ « الأنفال/ ٢٤ » .

فلقد جاء الإسلام مكملا لرسالات النبيين والمرسلين السابقين ودعوات المصلحين الأقدمين التى تهدى إلى الصراط المستقيم ، وذلك لأن للعقيدة الإسلامية جلالها وجمالها فهى قاعدة الإيمان السليم والخلق القويم الذى يهدى إلى الفضائل والشمائل التى صنعت من المؤمنين رجالا صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فعمرت بهم الدنيا وسعدت بديهم البشرية ، وامتلأت الأرض عدلا وأمنا وسلاما .

وقد جاءت الفضائل واضحة فى القرآن الكريم الذى أنزله ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم

هدى وبينه للناس خاتم رسله الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، والأخلاق الإسلامية جاءت من عند الله فهى التى جعلت السلوك ثمرة الايمان :

﴿ قل آمنت بالله ثم استقم ﴾ .

إن التوتر النفسى الذى يصيب السلبيين والمتعطلين قد يجرهم إلى الانحراف وضعف الانتماء لدينهم الإسلامى القيم ، ويترتب على ذلك عدم الوفاء وعدم الولاء لشريعته المطهرة ، ومن هان عليه دينه هان عليه شرفه ، ومن هان عليه شرفه فقد أهان نفسه وفقد حسه ودمر شخصه و المكرم الإنسانى و فقد كرم الله بنى آدم والله بقوله :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ ﴾
سورة التين

ولقد اقترن الأمر بالتقوى بالأمر بالخلق الحسن فى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » (رواه الترمذى) .

فلا انفصال بين العبادات والمعاملات لأن الإسلام لايتجزأ وشريعته اقترنت العقيدة فيها بالأخلاق والسلوك والله يقول :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾
سورة الأنعام

فاقترن الإيمان بالإصلاح فى هذه الآية :

كما بين لنا ديننا أن العفة والعزة والسماحة والشهامة والمروءة والسخاء كل هذا من أعظم القربات عند الله ، وبالإيمان والأخلاق يصلح البال وتستقيم الأحوال :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ﴾
سورة محمد

إن الإسلام لا يأمر إلا بكل خير ولاينهى إلا عن كل شر : فهو ينهى عن الخداع والغش والايذاء .

والنفس إذا لم تطهرها اخلاق الاسلام ضلت وزلت وانحرفت واتبعت هواها وقادها شيطانها !!

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وما أحوج الناس إلى أن تسود فيهم الأخلاق فى كل شئونهم : لأن مكارم الأخلاق من مميزات الإسلام التى جعلته يشق طريقه إلى قلوب الملايين وعقولهم ، فقد انتشر بقوته الذاتية ، لأنه لم يخالف فطرة الله التى فطر الناس عليها إذا صادفت قلوبا نقية لايهيمن عليها إلا الحق الواضح المستبين :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾
سورة الروم

المساواة خلق إسلامى

ولقد جاء الإسلام وجاءت معه حقوق الإنسان كاملة : فقد سوى الإسلام بين بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى ، وبين كبار الصحابة من أبناء الإسلام فى أيام الإسلام

الأولى وأولئك هم خير البرية : وقد اجتمعوا على كلمة لا إله إلا الله وفيها تكمن القوة ، وفى كلمة « محمد رسول الله » الإيمان بالقدوة والقيادة ، لأن الله قد جعل طاعة رسوله من طاعته ، ورتب محبته على اتباعه :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

آل عمران ــ ٣١

والإسلام يريد من المسلمين أن يقتدوا به فى أفعاله وأقواله ويتبعوه فى كل ماجاءت به رسالته المقدسة التى جاء بها القرآن لهداية البشرية جميعها. والله يقول :

﴿ الٓر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

« الحقد آفة المجتمعات »

الحقد سبب الويلات والنكبات والحوادث والخصومات والضغائن والمؤامرات وفقدان المودة والمجاملات والشهامة والمروءات ، وسبب الوقيعة والقطيعة وتمنى زوال النعمة عن الآخرين

داريت كل الناس لكن حاسدى
مداراته عزت وعز نوالها

وكيف يدارى المرء حاسد نعمة
إذا كان لايرضيه إلا زوالها

وقد يبتلى المرء بحاقد قد يسبب له الضوائق والمكاره إذا ميزه الله بفضل منه ونعمة عمن حوله فلا علاج إلا بالصبر . (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ماتأكله

وحينما تجتمع الأنانية والطمع والحقد فى قلب جهول ، يصبح مصدر أذى لغيره لأنه فقد الحياء فلا خير فيه ، فهو يطلق لسانه بقول الزور وبالسوء والأذى ، لأن الخسيس الخبيث الحقود إذا ارتفع جافا أقاربه وأنكر معارفه . واستخف بالأشراف وتكبر على أهل الفضل والانصاف ، فكن على حذر من اللئيم إذا أكرمته ومن الكريم إذا أهنته ، وكن على حذر من صحبة الأشرار المطرودين من رحمة الله تعالى

إن الكـريم إذا تمكـن من أذى
جاءته أخلاق الكـرام فأقلعـا

وترى اللئيم إذا تمكن من أذى
يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

القربات وإهداؤها للموتى

دكتور/ أحمد محمود كريمه

يشغل بال الكثيرين قضية فقهية يثار حولها الجدل وتتباين فيها الآراء ، ألا وهي «قيام الإنسان الحي بعمل قربة من القربات الشرعية ـ قولية كانت كالدعاء والاستغفار ، أو فعلية كالصدقة وما أشبه ذلك ـ مما ليست واجبة على الميت ثم يهب ثوابها إليه ، فهل ينتفع الميت بهذا الثواب أم لا ؟

بطبيعة الحال فإن مسألتين فقهيتين تبرزان فيما نحن بصدده وهما :

الأولى : حكم انتفاع الميت بالدعاء والصدقة من الحي .

الثانية : حكم بانتفاع الميت بغير الدعاء والصدقة من الحي مثل قراءة القرآن الكريم والحج والعمرة والصيام ، وما أشبه ذلك.

وقبل بيان ما يجب بيانه في المسألتين أعرض :

معنى القربة لغة وشرعاً :

أ ـ معنى القربة لغة : القربة ـ بضم القاف وسكون الراء ـ هي كل شيء يتقرب به العبد إلى الله ـ تعالى ـ وتجمع على قُرَب وقُرُبات[1] .

ب ـ معناها شرعاً : هي فعل مايثاب عليه بعد معرفة من يتقرب إليه ، وإن لم يتوقف حصولها على نية[2] .

جـ ـ ألفاظ ذات صلة :

١ ـ العبادة : ومايثاب على فعله ويتوقف على نية.

٢ ـ الطاعة : فعل مايثاب عليه ، توقف على نية أم لا ؟ عارفاً من يفعل لأجله أم لا ؟

بشيء من النظر في تعريف القربة والعبادة والطاعة يتضح أهم الفروق بين القربة والعبادة والطاعة. فالقربة ـ على ضوء ما ذكر ـ ما يفعله العبد لله ـ تعالى ـ مما يترتب عليه مثوبة شريطة أن تكون لله ـ تعالى ـ مما شرعه الشارع وليس بالضرورة توقفها على نية في جميع صورها وأنواعها.

---

(١) لسان العرب مادة ((قرب)) .

(٢) حاشية ابن عابدين ٧٢/١ طبعة احياء التراث العربي .

أما الطاعة فلا يشترط فيها معرفة الطائع لمن يطيع ، والعبادة تتوقف على نية[3] وعليه فالقربة تفارق ماذكر على النحو التالي :ـ

• القربة لابد فيها من معرفة من يتقرب إليه وهو الله ـ تعالى ـ .

• القربة لاتتوقف ـ غالباً على نية[4] .

إذا علم هذا : فإن إهداء القربات من الحي للميت تشتمل على عدة مسائل أبرزها ما سلف إيراده وتفصيل ذلك فيما يلي :ـ

المسألة الأولى : حكم انتفاع الميت بالدعاء والصدقة من الحي .

• اتفق الفقهاء على أن الحي إن تصدق أو دعا بخير للميت ووهب ثواب ذلك إليه فإن الثواب يصل إليه وينتفع به[5] .

سند الاتفاقية : دليل القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع :

أولاً : دليل القرآن الكريم : آيات منها :ـ

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6] .

وجه الدلالة : امتدح الله تعالى المؤمنين على دعائهم لمن سبقهم من إخوانهم المؤمنين فدل على انتفاع السابقين بدعائهم[7] .

ب ـ قول الله ـ تعالى ـ ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[8] .

وجه الدلالة : أمر الله ـ تعالى ـ الأبناء بالدعاء لآبائهم وأمهاتهم[9] فدل على انتفاع الأبوين بالدعاء وأنه من وسائل البر بهما بعد موتهما من الأبناء .

ثانياً : دليل السنة النبوية : أخبار كثيرة منها :ـ

أ ـ خبر ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له﴾[10] .

وجه الدلالة : ـ أخبر الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ أن الميت ينقطع عمله إلا من عدة أمور عد منها دعاء ولده الصالح له ، فدل على وصول دعاء الإبن لأبيه وانتفاعه به بعد وفاته .

ب ـ خبر ﴿استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل﴾[11] .

وجه الدلالة : أمر النبي ـ ﷺ ـ شهود الجنازة الأحياء بالاستغفار للميت فدل على انتفاعه بذلك .

جـ ـ ما رواه أصحاب السنن بسندهم أن النبي ـ ﷺ ـ كان يقول ـ فى أدعيته ـ ﴿اللهم اغفر لحينا وميتنا ... ﴾ الحديث[12] .

(3) المرجع السابق ٢/٢٣٧ .

(4) القربات د./ حسين عبدالمجيد ص٨ مطبعة الأمانة .

(5) فتح القدير ٣/١٤٢ طبعة الحلبي ، الشرح الكبير للدردير ٢/١٠ طبعة الحلبي ، مغني المحتاج ٣/٦٩ طبعة الحلبي ، المغني لابن قدامة ٢/٥٦٦ طبعة مكتبة ابن تيمية .

(6) الآية ١٠ من سورة الحشر .

(7) تفسير الرازي ١٥/٤٨٠ طبعة دار الفكر العربي ، تفسير ابن كثير ٣/٤٧٥ دار القرآن بيروت .

(8) الآية ٢٤ من سورة الإسراء .

(9) تفسير القرطبي ١٠/١٦٠ طبعة دار الكتب العلمية ، تفسير ابن كثير ٢/٣٧٣ .

(10) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٦٧ طبعة الشعب

(11) سنن أبي داود ـ كتاب الجنائز ـ ٣/٢١٥ .

(12) سنن النسائي ٤/٧٤ ـ باب الجنائز .

وجه الدلالة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ الدعاء للموتى وأرشد إليه يدل ذلك على وصول الثواب وانتفاع الموتى به .

د ـ ما روى أن النبي ـ ﷺ ـ كان يدعو لأهل بقيع الغرقد[13] .

وجه الدلالة : أنه ـ ﷺ ـ كان يزور قبور المسلمين للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم[14] فدل على انتفاعهم بهذا .

هـ ـ ما روى أن النبي ـ ﷺ ـ سئل :ـ ﴿إن أبي مات وترك مالاً ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم﴾[15] .

و ـ ما روى أن سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ توفيت أمه وهو غائب عنها فقال للنبي ـ ﷺ ـ إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها ؟ قال : « نعم » ، فقال : إني أشهدك أن حائطي والمخراف[16] صدقة عليها[17] .

وجه الدلالة : أذن رسول الله ـ ﷺ ـ وقرر لأصحابه الصدقة عن الميت يدل على وصول الثواب عن الصدقات للموتى وانتفاعهم به .

ثالثاً : دليل الاجماع : أجمع العلماء سلفاً وخلفاً في شتى الأعصار والأمصار على أن ثواب الدعاء والصدقة يصلان إلى الميت وينتفع بهما[18] .

المسألة الثانية :ـ حكم انتفاع الميت بغير الدعاء والصدقة من الحي كقراءة القرآن الكريم والصيام والحج والعمرة ، وما أشبه بذلك .

• اتفق الفقهاء على أن العبادة البدنية المحضة كالصلاة والصوم والوضوء والغسل تمتنع فيها النيابة عن الحي[19] .

وسند الاتفاقية : دليل الأثر والمعقول والإجماع :ـ

أ ـ دليل الأثر : ما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال (لايصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد)[20] وروى مثل ذلك عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ[21] .

ب ـ دليل المعقول : أن التكاليف البدنية مقصودها الابتلاء والمشقة وتحصل باتعاب النفس والجوارح بالأفعال المخصوصة ، وهو أمر لايتحقق بفعل نائبه فلم تجز النيابة ، وهذه العبادات يتوقف أصل حصولها على النية ، والمقصود منها إمتحان عين المكلف بها ، وغيره لا يقوم مقامه فيها ، وكذلك الخضوع بها لله ـ تعالى ـ والتوجه إليه ، والتذلل بين يديه ، والانقياد لحكمه ، وعمارة القلب بذكره ، ولاتحصل ذلك إلا من المكلف نفسه[22] .

جـ ـ الاجماع : أجمع العلماء على امتناع النيابة عن الحي في العبادة البدنية المحضة[23] .

أما عن الميت فلا تجوز النيابة في العبادة البدنية المحضة إلا ما أخرج بدليل كالصوم وفيما كان واجباً على الميت .

---

(13) صحيح مسلم بشرح النووي 635/2 .
(14) زاد المعاد 526/1 طبعة الرسالة .
(15) صحيح مسلم بشرح النووي 165/2 .
(16) المخراف المكان المثمر : فتح البارى 386/5 ـ باب الوصايا
(17) المرجع السابق .
(18) بداية المجتهد 337/2 طبعة الحلبي . المغنى 566/2 .
(19) المنثور للزركشي 312/3 طبعة الخليج بالكويت .
(20) سنن البيهقى 257/4 طبعة حيدر آباد .
(21) مغنى المحتاج 344/2 طبعة الحلبي .
(22) المرجع السابق .
(23) المنثور 312/3 .

وأختلفوا فى حكم وصول ثواب القراءة للقرآن الكريم والحج والعمرة وغيرها من الطاعات أو القربات ولم يوص الميت بها له من الحى وذلك على أقوال أشهرها قولان :ــ

القول الأول : جواز فعلها من الحى للميت وانتفاعه بثوابها وذهب إلى ذلك الحنفية والحنابلة ومتأخرو المالكية والشافعية فى قول[٢٤] .

القول الثانى : عدم الجواز وعدم وصولها للميت من الحى وعدم انتفاع الميت بها ذهب الى ذلك جمهور المالكية والشافعية فى المشهور عندهم[٢٥] .

الأدلـــة

استدل أصحاب القول الأول القائلون بالجواز وانتفاع الميت بهذه القربات بدليل السنة والأثر والمعقول :

أولا : دليل السنة النبوية : منها :

أ ــ خبر ((أن رجلاً سأل النبى ــ ﷺ ــ فقال : كان لى أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لى برهما بعد موتهما ؟ فقال ــ ﷺ ــ: إن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك وأن تصوم لهما صيامك))[٢٦] .

وجه الدلالة: أمر النبى ــ ﷺ ــ للسائل بالصلاة والصيام عن والديه الميتين يدل على الجواز والمشروعية وانتفاع الميت بهذه القربات .

ب ــ خبر ((مر النبى ــ ﷺ ــ بحائط من حيطان المدينة فسمع صوت انسانين يعذبان فى قبورهما ......)) إلى أن قال ((.... ثم دعا بجريدة رطبه فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة فقيل له : لم فعلت هذا ؟ لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا))[٢٧] .

وجه الدلالة : إذا كانت الجريدة الرطبة ينتفع بها الميت اذا وضعت على قبره فالقراءة للقرآن الكريم أولى ويقاس على ذلك سائر القربات[٢٨] .

ثانيا : دليل الأثر : ((ما رواه محمد بن قدامه قال لأبى عبدالله أحمد بن حنبل ــ رحمه الله تعالى ــ ما تقول فى مبشر الحلبى ؟ قال : «ثقة ، قال : فأخبرنى مبشر عن أبيه أنه أوصى إذا دفن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها» وقال سمعت ابن عمر ــ رضى الله عنهماــ يوصى بذلك ...))[٢٩] .

وجه الدلالة : ظاهر.

ثالثا دليل المعقول : قياس وصول القراءة للقرآن الكريم ونحو ذلك على وصول ثواب الصدقة والدعاء بجامع أن كلا عبادة .

ـــ استدل أصحاب القول الثانى القائلون بعدم الجواز وعدم انتفاع الميت بالقربات ــ غير الدعاء والصدقة ــ بدليل القرآن الكريم والسنة والمعقول

أولاً : دليل القرآن الكريم : آيات منها :

(أ) قوله ــ تعالى ــ

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[٣٠] .

---

(٢٤) حاشية ابن عابدين ٣٤٣/٢ ، الانصاف ٥٥٧/٢ ، بلغة السالك ١٨٩/١ ، فلوى ١٧٥/٣ .

(٢٥) الشرح الكبير وحاشية الدسوق ١٠/٢ ، مغنى المحتاج ٦٩/٣ .

(٢٦) الفتح الربانى لمسند أحمد ١٠٨/٨ ، نيل الأوطار ١٠٥/٤ .

(٢٧) فتح البارى ١١٠/٢ طبعة الكليات الأزهرية .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) السنن الكبرى ٥٦/٤ .

(٣٠) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

وجه الدلالة : ليس للإنسان إلا كسبه خيراً أو شراً وعلى هذا فعمل غيره لا ينفعه .

(ب) قوله — تعالى —

﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[31] .

وجه الدلالة : الإنسان لايجازى إلا على عمله إن خيراً وإن شراً ولايجازى على عمل الغير .

(جـ) ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[32] .

وجه الدلالة : أخبر الله تعالى بأن الإنسان ليس له فى يوم الجزاء إلا ما عمله وعليه فلا ينتفع ولا يؤاخذ بعمل أو سعى غيره .

ثانياً : دليل السنة النبوية : أخبار منها :

(أ) ما روى أن النبى — ﷺ — قال ((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علّمه ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثّه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً بناه لابن السبيل ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته .....))[33] .

وجه الدلالة: دل الحديث الشريف على أن انتفاع الميت بالقربات إنما ماكان بسبب فعله حال حياته ، فدل على عدم انتفاعه بفعل غيره لحصر هذه القربات فى هذا الحديث .

(ب) قوله — ﷺ — ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .....))[34] .

وجه الدلالة : أخبر النبى — ﷺ — بأن الميت ينقطع عمله إلا ما كان سبباً فيه حال حياته من صدقة جارية أو علم ينتفع أو ولد صالح يدعو له ، فدل على أن غيرها مما ليس من عمله لاتصل إليه وبالتالى لاينتفع به .

ثالثاً : دليل المعقول : بوجوه منها :

١ — أن إهداء قراءة القرآن الكريم وما شاكلها من القربات إلى الميت حوالة وهى إنما تكون بحق لازم[35] ، والأعمال لاتوجب الثواب وإنما هو مجرد تفضل من الله — تعالى — فكيف يحيل العبد ثواب عمله إلى الميت على مجرد الفضل الذى لايجب على الله — تعالى — بل ذلك تابع لمشيئته — سبحانه — .

٢ — الإيثار بالقرب مكروه[36] فكيف يجوز الايثار بنفس الثواب .

المناقشة :

يناقش أصحاب القول الأول بما يلى :

أولاً : مناقشة دليل السنة

١ — المقصود بالصلاة فى الحديث الشريف الدعاء لا الصلاة بمفهومها الشرعى ، والمقصود بالصيام قضاء صيام النذر وقضاء صوم الفرض عنهما .

يجاب : لفظ (الصلاة) فى الخبر يحتمل المعنين ولابد من مرجح يرجح أحدهما وهو غير موجود فيبقى على عمومه الدعاء والشرعى معاً ، ويجوز ترجيح الثانى — الصلاة بمعناها الشرعى — لأن قوله ((أن تصلى لهما بصلاتك) يدل على أن المراد الصلاة بمعناها الشرعى ، أما الصيام فهو هنا عام يتناول القضاء للفرض والنذر وغيره .

---

(٣١) من الآية ٥٤ من سورة يس .

(٣٢) من الآية ٣٩ من سورة النجم .

(٣٣) سنن ابن ماجه ١٠٦/١ .

(٣٤) سبق ذكره وتخريجه .

(٣٥) عون المعبود ٨٧/٨ .

(٣٦) الأشباه والنظائر للسيوطى ص١٢٩ طبعة الحلبى .

٢ ـ وضع الجريدة الرطبة على القبرين إنما هو خصوصية لرسول الله ـ ﷺ ـ.

يجاب : لم يرد مايفيد أنه خصوصية فيبقى على إطلاقه .

ثانياً : مناقشة دليل الأثر : ما نسب لابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قول صحابى وهو محل خلاف فى حجيته .

يجاب : ما ذكروه صحيح فيما لو انفرد بقوله لكن هناك الأحاديث والآثار التى تقوم بمجموعها على مشروعية وصول ثواب القربات وانتفاع الميت بها .

ـ يناقش أصحاب القول الثانى بما يلى :

١ ـ مناقشة دليل الكتاب : قوله ـ تعالى ـ ((ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون)) لايدل على نفى وصول ثواب القربات للموتى بل نفى عقوبة الإنسان بعمل غيره ومؤاخذته بجرم غيره والسياق يدل على هذا ((فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))[٣٧] .

٢ ـ مناقشة دليل السنة :

(أ) خبر ((أن مما يلحق المؤمن من عمله ....)) ليس على سبيل الحصر فلا دلالة إذن على انتفاع الميت بعمل غيره من القربات وإهدائها له .

(ب) خبر ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ....)) ليس فيه ما يدل على عدم انتفاع الميت بعمل غيره وإهداء هذا العمل له من الحى بل فيه انتفاعه لأن انتفاع الناس بعلمه ودعاء الولد الذى يشمل قراءته للقرآن الكريم والإستغفار والذكر الشرعى وما أشبه يصل إليه وينتفع به .

٣ ـ مناقشة دليل المعقول :

(أ) قياس حوالة المخلوق على مثله ، وحوالة المخلوق على خالقه قياس مع الفارق يعضده أن قيام الورثة بأداء ديون مورثهم التى عجز عنها يبرئه أمام الله ـ تعالى ـ ، وعمل وقف له وما أشبه ذلك مشروع فينقض ما قالوه .

(ب) القول بأن الإيثار بالقرب مكروه خارج عن محل النزاع لأن ما نحن فيه إهداء الثواب للموتى أما هذا القول فمعناه إيثار القرب من الحى للحى بمعنى التباطؤ فيها وعدم المبادرة إليها والاتكال على الغير فى فعلها .

ـ الرأى المختار : وبعد عرض القولين بالأدلة والمناقشة اتضح أن ماذهب إليه أصحاب القول الأول من مشروعية فعل الحى للقربات وإهدائها للموتى وانتفاعهم بها ووصل ثوابها إليهم والأصل فيه ما ورد فى صحيح مسلم بسنده (جاءت إمرأة إلى النبى ـ ﷺ ـ فقالت يارسول الله ـ ﷺ ـ إن أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ فقال (أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان ذلك يؤدى عنها ؟ فقالت (نعم) فقال : (فصومى عن أمك)[٣٨] .

فدل الحديث الشريف على مشروعية قضاء الديون عن الميت وتبرئة ذمته بهذا القضاء وأداء صيام النذر عنه فدل على انتفاع الميت بعمل الحى..

يضاف إلى ذلك أن هذا القول يحقق مصالح شرعية والمصالح معتبرة .

والله أعلى وأعلم

(٣٧) من الآية ٥٤ من سورة يس .

(٣٨) صحيح مسلم ٨٨٠/٢ طبعة الحلبى .

الإسلام وصلة الرحم

لفضيلة الشيخ زكريا أحمد نور

الإنسان مدنى بطبيعته ، آلف مألوف لايستطيع أن يعيش وحيدا فى مجتمعه ولا انعزاليا فى دنياه .

والدين الإسلامى الحنيف مبناه العدل المطلق المنصف القائم على البر والتقوى والرحمة والتراحم والعطف والتعاون .

وأولى الناس ببرك - أخى المسلم - ومودتك وعطفك ألصق الناس بك وهم بنو رحمك ، وكل من كان بينك وبينه قرابة من أخوة وأعمام وأخوات وعمات وخالات وأخوال وأبناء كل رحم ، فالرحم هو الخيط الذى يجمع الحبات المتفرقة من أبناء العائلة الكبيرة فيكون من ذلك الجمع والضم عقد واحد هو الأسرة ، ومن الأسرة يكون المجتمع ومن المجتمع تكون الأمة . وإذا كانت الأسرة مترابطة متآلفة كانت الأمة كذلك مترابطة متماسكة قوية عزيزة .

صلة الأرحام ولغة القرآن :

حث القرآن الكريم على صلة الأرحام ، وأصل الصلة هى الوصلة من وَصَلَ الشىء بالشىء ، يَصِلُهُ وَصْلاً وصِلَةً بالكسر والضم إذا ربطه به ووصلهُ .

ولصلة الأرحام منزلة عالية وشأن عظيم من بين سائر الصلات والروابط والعلاقات فهى تؤدى - فى الأسرة - إلى الصلاح والفلاح والتعاطف والمودة والوئام والتراحم والتآلف .

وصلة الأرحام تعتبر من أهم علامات الإيمان البارزة لأنها ركن من أركان العلاقات الإنسانية وجاء الأمر باتقاء قطيعة الرحم مقرونا بالتقوى ، فقال - تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾(١)

الرحم المأمور بصلتها ثلاث :

الرحم التى أمر الله - سبحانه وتعالى - باتقاء قطيعتها ثلاث ، هى : رحم عامة ورحم خاصة وثالثة ليست بعامة ولا خاصة .

فالرحم العامة هى الروابط الدينية الإسلامية التى تربط جميع أفراد مجتمع الإسلام بعضهم ببعض فى جميع أقطار الأرض ، وهذه الرابطة لمسناها عمليا فى رحلتنا لأمريكا الشمالية فقد وجدنا شبابا - من جنسيات مختلفة عربية وغيرها شرقية وغربية - مترابطا بهذا الرباط الدينى العظيم اتحد الجميع فى هذا الدين الذى هو نعمة الله التى أنعم بها على المسلمين فقال :

* الكاتب : مفتش عام الوعظ بالأزهر
(١) سورة النساء من الآية (١)

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2]

والرحم الخاصة هى رابطة الدم والقرابة التى تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض وتدعو إلى التحامهم وتضامنهم كالأبوة والبنوة والعمومة والخئولة فالآباء والأبناء والأخوة والأخوات تربط بينهم رابطة الرحم .

والرحم الثالثة يمثلها أقارب المسلم غير المعتنقين للإسلام من أصحاب الديانات الأخرى وهى رحم واجبة البر مادام طرفها غير المسلم لايمثل عدوانا على المسلمين ولا يبيته قال الله تعالى

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[3]

وتكون الصلة بهم بالتزاور والتهادى وقضاء حوائجهم والتسامح معهم فى غير الطعن فى الإسلام والوقوف بجانبهم فى الشدائد والملمات . وقد كانت السيدة صفية أم المؤمنين ــ رضى الله تعالى عنها ــ تبر رحمها .

صلة الأرحام والإسلام :

لاخلاف فى أن صلة الأرحام واجبة فى الشريعة ؛ لأنها من أهم أسباب الصلة بين العبد وربه ، وهى من طيب الخصال وكريم الخلال التى تجعل المسلم قريبا من رحمة الله وحفظه والإحسان إلى ذوى القربى والبر بذوى الأرحام وصلة الأرحام من الواجبات الأولية التى أمر الشرع الحنيف بالمحافظة عليها فيجب أن نحافظ عليها ولانفرط فيها .

صلة الأرحام من سمات الإيمان :

إن من سمات الإيمان باليوم الآخر ومافيه من ثواب لمن أطاع ربه وآثر مايبقى على مايفنى لذا يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى كلماته النورانية : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[4] وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحمه » .

الصدقة غير المقبولة :

وثمة أخبار تبين أن الصدقة لاتقبل إذا أنفقها المسلم فى غير قرابته المحتاجين ، كذلك أوضح رسول الله أن من أسباب القرب من دار السلام والبعد عن فيح جهنم صلة الرحم ؛ فعن أبى أيوب ــ رضى الله عنه ــ أن أعرابيا عرض لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ، ثم قال : يارسول الله ، أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى عن النار قال : فكف النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم نظر فى أصحابه ، ثم قال : لقد وفق ــ أى فى السؤال ــ قال : كيف قلت ؟ فأعادها فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم : تعبد الله ولاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم ، فلما

(٢) سورة الحجرات من الآية (١٠)
(٣) سورة الممتحنة الآية (٨)
(٤) رواه مسلم فى صحيحه .

أدبر قال رسول الله : « أن تمسك بما أمرته به دخل الجنة »[٥] .

صلة الأرحام ووصايا الرسول :

لقد حظى أبو ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ بالكثير من وصايا رسول الله الجامعة لكل معانى الخير .

يقول ـ رضى الله عنه ـ أوصانى خليلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصال من الخير : أوصانى ألا أنظر إلى من هو فوق ، وأن أنظر إلى من هو دونى ، وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم ، وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت ، وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا ، وأوصانى أن أكثر من « لاحول ولاقوة إلا بالله » فإنها كنز من كنوز الجنة[٦] .

وحسب صلة الرحم منزلة عند قيوم السموات والأرض أن الله العلى الحكيم يصل عبده بالعناية والرعاية والرحمة لأنه هدى إلى الطيب من العمل فوصل رحمه ، وأما الذى تنكب الطريق وبعد عن رحاب الاستقامة وتأبى بنفسه عن صلة رحمه وقطع مابينه وبينهم فجزاؤه من جنس عمله ، فلا ينال رحمات رب العالمين ؛ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت : بلى قال فذلك لك ، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقرأوا إن شئتم : فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم[٧] .

الإسلام والقاطعون لمن يصلهم :

أمام هذا الواقع المحسوس نرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصورة الحية المشرقة يوجهنا أن تكون أيدينا دائما مبسوطة ممتدة بالعطاء وان نتخلق بخلق الإسلام فنقابل سيئة القريب بالحسنة ، وقطيعته بالوصال ، وجهله بالحلم ، ومرض قلبه بسلامة أفئدتنا ، وبذلك نقتلع من نفوسهم الحقد والحسد والضغينة . وهذا هو الإمام أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ يقول لنا ماشاهده من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إن رجلا قال : يارسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلى ، أحلم عليهم ويجهلون على فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادامت على ذلك »[٨] .

إن ديننا الحنيف يحثنا على صلة القريب ولو لم يتفيأ ظلال حلاوة الإيمان ولم يشرح الله صدره للإسلام فعن أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنها ـ قال : قدمت علىّ أمى ـ وهى مشركة ـ فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : فاستفتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت : قدمت على أمى وهى راغبة أفأصلُ أمى يارسول الله ؟ قال : نعم صلى أمك .

---

(٥) الأحاديث القدسية .

(٦) رواه أحمد والطبرانى .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

(٨) رواه مسلم فى صحيحه .

من تراث محمد أبو الفضل إبراهيم

أئمة التصنيف فى الإسلام

أبو العباس المبرد وكتابه الكامل

١ - هو - على ما ذكره الزبيدى فى الطبقات - محمد بن يزيد عبد الأكبر بن عمير بن حسان ابن سليم بن سعد بن عبدالله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبدالله بن بلال بن عوف بن أسلم - وهو ثمالة - ابن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث .

وكان مولده بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ، على المشهور وبها نشأ وتأدب ، وثقف المعارف والآداب على شيوخها وأعيانها وكان ـ كما وصفه عبدالله بن حسين بن سعد الكاتب ـ من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وكرم العشرة وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الخط وصحة القريحة وقرب الإفهام ووضوح الشرح وعذوبة المنطق على ماليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه .

٢ - ثم انتقل من البصرة إلى (سُرّ من رأى) ، وكان لانتقاله قصة ذكرها الرواة قالوا : قرأ الخليفة المتوكل على الله يوما ، وبحضرته الفتح بن خاقان : (ومايُشعِرُكُمْ أنها إذا جاءتْ) ، فقال له الفتح بن خاقان : ياسيدي (إنها إذا جاءتْ) بالكسر ، ووقعت المشاجرة ، فتبايعا على عشرة آلاف دينار ، وتحاكما إلى (يزيد بن محمد المهلبي) ـ وكان صديقا للمبرد ـ فلما وقف (يزيد) على ذلك خاف أن يسقط أحدهما ، فقال : والله ماأعرف الفرق بينهما ، وما رأيتُ أعجب من أن يكون باب أمير المؤمنين يخلو من عالم متقدم . فقال المتوكل : فليس هاهنا من يُسأل عن هذا ! فقال : ماأعرف أحداً يتقدم فتىً بالبصرة يعرف بالمبرّد ، فقال : ينبغي أن يُشخص مكرّما .

قال الراوي : فحدثني محمد بن يزيد ، قال : وردتُ سُرّ من رأى ، فأُدخلت على الفتح بن خاقان فقال لي : يابصري ، كيف تقرأ هذا الحرف : (وما يُشعِرُكُم أنّهَا إذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُون) بالكسر ، أو (أنّها إذا جاءتْ) بالفتح ؟ فقلت : (إنها) بالكسر ، هذا هو المختار ، وذلك أن أول الآية :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ .

(سورة الأنعام)

ثم قال ـ تبارك وتعالى ـ : يامحمد :
﴿ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

باستئناف جواب الكلام المتقدم ، قال : صدقت ، وركب إلى دار أمير المؤمنين . فعرّفه بقدومي ، وطالبه بدفع ما تخاطرا عليه وتبايعا فيه ، فأمر بإحضاري فحضرت ، فلما وقعت عين المتوكل عليّ قال : يابصري ، كيف تقرأ هذه الآية : ﴿ ومايُشعِرُكُمْ أنّهَا إذَا جَاءَتْ ﴾ بالكسر ، أو (أنها إذا جاءت) بالفتح ؟ فقلت : ياأمير المؤمنين ، أكثر الناس يقرؤها بالفتح ، فضحك وضرب برجله اليسرى ، وقال : احضر يافتح المال ، فقال : إنه والله ياسيدي قال لي خلاف ماقال لك ، فقال : دعني من هذا ، أحضر المال . وأُخرجتُ فلم أصل الى الموضع الذي كنت أُنزلت فيه حتى أتتني رسل الفتح ، فأتيته ، فقال لي : يابصري ، أول ماابتدأتنا به الكذب ! فقلت : ما كذبت ، فقال : كيف وقد قلت لأمير المؤمنين : إن الصواب (ومايُشعِرُكُمْ أنها إذا جاءت) بالفتح ؟ فقلت : أيها الوزير ، لم أقل هكذا ، وإنما قلت : أكثر الناس يقرؤها بالفتح ، وأكثرهم على الخطأ ، وإنما تخلصت من اللائمة ، وهو أمير المؤمنين ، فقال لي :

أحسنت .

قال أبوالعباس : فما رأيت أكرم كرما ، ولا أرطب بالخير لسانا من الفتح .

٣ - وظلّ أبو العباس بـ (سرّ مَنْ رأى) ، حظيّا عند المتوكل ، كثير الغشيان لمجالسه ، مغمورا بعطاياه ، وله فى ذلك قصص وأشعار ، إلى أن قُتِل المتوكل ، فضاق بـ (المبرد) عيشه ، واضطربت أسباب حياته ، قال (القفطى) : ولما قتل المتوكل بـ (سرّ مَنْ رأى) دخل (المبرد) بغداد ، فقدم بلداً لاعهد له بأهله ، فاختلّ وأدركته الحاجة ، فتوخى شهود صلاة الجمعة ، فلما قُضِيت الصلاة أقبل على بعض من حضره ، وسأله أن يفاتحه السؤال ليتسبّب له القول ، فلم يكن عند من حضره علم ، فلمّا رأى ذلك رفع صوته ، وطفق يفسرّ ويُوهم بذلك أنه قد سُئِل فصارت حوله حلقة عظيمة وأبو العباس يصل فى ذلك كلامه ، فتشوّف (أحمد بن يحيى ثعلب) إلى الحلقة ، وكان كثيرا مايرد الى الجامع قوم خراسانيون من ذوى النظر ، فيتكلمّون ويجمع الناس حولهم ، فإذا أبصرهم (ثعلب) أرسل من تلاميذه من يفاتشهم ، فإذا انقطعوا عن الجواب انفضّ الناس عنهم . فلمّا نظر (ثعلب) إلى من حول أبى العباس المبرّد أمر إبراهيم بن السرىّ الزّجاج وابن الخياط بالنهوض وقال لهما : فضّا حلقة هذا الرجل ، فنهض معهما مَنْ حضر من أصحابه ، فلمّا صاروا بين يديه قال له إبراهيم بن السرىّ : أتأذن : أعزك الله فى المفاتشة ؟ فقال له المبرّد :

سَلْ عماّ أحببت ، فسأله عن مسألة فأجابه عنها بجواب اقنعه ، فنظر الزجاج فى وجوه أصحابه متعجبا من تجويد أبى العباس للجواب ، فلما انقضى ذلك قال أبو العباس : أقنعت بالجواب ؟

فقال : نعم ، قال : فإن قال قائل فى جوابنا هذا كذا ، ماأنت راجع إليه وجعل أبو العباس يوهن جواب المسألة ويفسده ويعتلّ فيه . فبقى إبراهيم بن السرىّ سادرا لايجُيد جوابا ، ثم قال : إن رأى الشيخ - أعزه الله - أن يقول فى ذلك ، فقال المبرد : فإن القول يكون على نحو كذا ، فصحّح الجواب الأول وأوهن الاعتراض ، فبقى الزّجاج مبهوتا ، ثم قال فى نفسه : قد يجوز أنه كان حافظا لهذه المسألة مستعدا للقول فيها فسأله مسألة ثانية ، ففعل (المبرد) فيها مافعله فى الأولى حتى سأله أربع عشرة مسألة ، وهو يجيب عن كلّ واحدة منها بما فعله فى المسألة الاولى .

فلما رأى ذلك الزجاج قال لأصحابه : عودوا إلى الشيخ ، فلست مفارقا هذا الرّجل ، ولا بدّ لى من ملازمته والأخذ عنه ، فعاتبه أصحابه وقالوا : تأخذ عن مجهول لا يُعرف إسمه وتدع من شهر اسمه وعلمه ..وانتشر فى الآفاق ذكره ! فقال : لست أقول بالذكر والخمول ، ولكنى أقول بالعلم والعمل . قال : فلزم الزجاج أباالعباس ، فسأله عن حاله ، فأخبره برغبته فى النظر ، وأنه قد حبس نفسه على ذلك ، إلا ما يشغله من صناعة الزجاج فى كل خمسة أيام من الشهر ، فيتقوّت بذلك الشهر كلّه . ثم أجرى عليه فى الشهر ثلاثين درهما ، وأمره (أبو العباس المبرد) بإخراج كتب الكوفيين ، ولم يزل ملازما له ، وآخذا عنه حتى برع من بين أصحابه . وكان أبو العباس لايقرئه أحدا «كتاب سيبويه» حتى يقرأه على إبراهيم ،

ويصحح به كتابه فكان ذلك أول رياسة أبي إسحاق الزجاج .

٤ – وفي بغداد تألق نجمه وعظم شأوه وذاع صيته وإليه انتهى علم العربية بعد (الجرمي) و (المازني) قال القفطي : قرأ المبرد كتاب (سيبويه) على (الجرمي) ثم توفي (الجرمي) فابتدأ قراءته على المازني وقيل : سمع (أبو العباس) الكتاب على (الجرمي) وعمله على (المازني) . وقيل رأينا (محمد بن يزيد) وهو حدث السن متصدرا في حلقة أبي عثمان المازني يقرأ عليه كتاب (سيبويه) و (أبو عثمان) في تلك الحلقة كأحد مَنْ فيها .

وقال (اليوسفي) الكاتب : كنت يوما عند (أبي حاتم السجستاني) إذْ أتاه شاب من أهل نيسابور فقال : ياأبا حاتم إني قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء وأنت شيخ هذه المدينة وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب (سيبويه) فقال : الدين النصيحة إن أردت أن تنتفع بما تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام (محمد بن يزيد) فتعجبت من ذلك .

٥ – وكان أكبر نظراء (المبرد) وأنداده أحمد بن يحيى المعروف (بثعلب) وكانا لعلمهما وفضلهما يتعذر الحكم بينهما ، سئل (أبوبكر بن السراج) أي الرجلين أعلم ؟ ثعلب أم المبرد ؟ فقال : ماأقول في رجلين العالم بينهما .

وقال : محمد بن عبيد الله بن عبدالله بن طاهر : قال لي أبي : حضرتُ مجلس أخي محمد بن عبدالله بن طاهر وحضره أبوالعباس المبرد وثعلب فقال لي أخي : قد حضر هذان الشيخان فليتناظرا قال : فتناظرا في شيء من علم النحو مما أعرفه فكنت أشركه فيه إلى أن دققا فلم أفهم ثم عدت اليه فلم أعرف ما المجلس فسألني فقلت : إنهما تكلما فيما تعرف فشركتهما ثم دققا فلم أعرف ما قالا ولا والله ياسيدي مايعرف من أعلمهما إلا من هو أعلم منهما !

وقال أبوبكر بن الأزهر :

أيا طالب العلم لاتجهلن
وعذ بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى
فلا تك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مقرونة
بهذين في الشرق والمغرب

ولكن على الأيام نشب بينهما مايكون بين المتعاصرين من المنافسة والمنافرة قال بعض الأدباء :

كفى حزنا أنا جميعا ببلدة
ويجمعنا في أرضها شرُّ مشهد

نروح ونغدو لانتزاور بيننا
وليس بمضروب لنا يوم موعد

فأبداننا في بلدة والتقاؤنا
عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وكان (المبرد) يحب الاجتماع بثعلب وثعلب يكره ذلك حكى أبوالقاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي – وكان صديقهما – قال : قلت

لأبي عبدالله الدينوري ختن ثعلب: لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟

فقال : لأن المبرّد حسن العبارة حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين فإذا اجتمعا في محفل حُكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن .

وجاء رجل إلى ثعلب فقال له : ياأبا العباس قد هجاك المبرد :

فقال : بماذا ؟ فأنشده :

أقسم بالمبتسم العذب
ومشتكى الصبّ إلى الصبّ
لو أخذ النحو عن الرّبّ
مازاده إلا عمى القلب

فقال ثعلب متمثلا :

أصحى عبد بنى مسمع
فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له
ومَنْ يعضّ الكلب إن عضا

وكان لكل منهما أنصار ، ألّف كل من ابن فارس وأبوبكر بن الأنبارى في الانتصار لثعلب ، وانتصر ابن درستويه والزجاج للمبرد ، وقال أحمد ابن عبدالسلام :

وكان الشعر قد اودى فأحيا
أبو العباس داثر كل شعر
وقالوا ثعلب رجل عليم
وابنَ النجم من شمس وبدر
وقالوا ثعلب يُفتِى ويُملى
وأين الثعلبان من الهزبر
وهذا في مقالك مستحيل
تشبه جدولا وشلا ببحر

وانتهت المنافسة بما روى أن ثعلبا نال من المبرد بكلام قبيح ، فبلغ ذلك المبرد فقال :

رُبَّ مَنْ يعنيه حالى
وهو لايجرى ببالى
قلبه ملآن منى
وفؤادى منه خالى

فلما بلغ ثعلبا لم تُسمع منه بعد ذلك في حقه كلمة قبيحة ، قال الزبيدىّ : وكانا بعد إذا تلاقيا على ظهر الطريق ، تساءلا وتوافقا ـ رحمهما الله ـ .

وفي سنة ٢٨٥ هـ مات المبرد ، بعد أن ملأ الدنيا علما وأدبا ، وممن رثاه ابن العلاف قال :

ذهب المبرد وانقضت أيامه
وليذهبن إثر المبرد ثعلبُ
بيت من الآداب أضحى نصفه
خربا وباقى النصف منه سيخربُ
فتزودوا من ثعلب فبكأس ما
شرب المبرد عن قريب يشربُ
أوصيكُمْ أن تكتبوا أنفاسه
إن كانت الأنفاس مما يكتب

٦ ـ وكان للمبرد شعر جيد كثير لا يدعيه ولا يفخر به مذكور في الكتب التي ترجمت له ، وله مصنفات كثيرة ، وهى على ما ذكره (القفطى) في إنباه الرواة كتاب الكامل ، وكتاب الروضة ، وكتاب المقتضب ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب الانواء والأزمنة ، وكتاب الخط والهجاء ، وكتاب المدخل الى سيبويه ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب معانى القرآن ، والكتاب التام ، وكتاب احتجاج القرأة ، والرسالة

الكاملة ، وكتاب الرد على سيبويه ، وقواعد الشعر ، وإعراب القرآن ، وكتاب الحث على الأدب والصدق ، وكتاب عدنان وقحطان ، والزيادة المنتزعة من سيبويه ، والمدخل فى النحو وشرح شواهد كتاب سيبويه ، وضرورة الشعر ، وأدب الجليس وكتاب الحروف ومعانى القرآن الى سورة طه ، وصفات الله جل اسمه ، وكتاب الممادح والمقابح ، والرياض المونقة ، واسماء الدواهي عند العرب ، وكتاب الإعراب ، والجامع ، وكتاب التعازى ، وكتاب الوشى ، وفقر كتاب سيبويه ، والناطق ، ومعنى كتاب الأوسط للأخفش ، وكتاب البلاغة ، والعروض ، وشرح كلام العرب وتلخيص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها ، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه فى القرآن وكتاب الفاضل ، وطبقات النحويين لبصريين وأخبارهم ، وكتاب العبارة عن أسماء الله ـ تعالى ـ ، وكتاب الحروف وكتاب التصريف .

وطبع القليل من هذه الكتب ، والكثير لم يطبع .

٧ - ومن أشهر كتبه كتاب الكامل ، اشتمل كما يقول مؤلفه : « على ضروب من الأدب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة » كما ان به قدرا من مختار الشعر ، وخاصة المراثى وكثيرا من أخبار العرب وحروبهم وخاصة أخبار الخوارج ، واستطرد إلى ذكر كثير من أشعارهم ثم فسر ما فيه من كلام غريب أو معنى مستغلق وشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا ، وغرضه فيما يقول : أن يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يرجع إلى احد فى تفسيره مستغنيا .

وهو بهذا الاختيار قد اشتمل على عصارة ماجادت به أخيلة الشعراء ، وهدرت به شقاشق الخطباء ، ورشحت به أقلام الكتاب والمترسلين فكان غنية المتأدب ومراد القارىء ومتعة النفس والخاطر .

وقد ذاعت شهرته ، وتعددت فى مشارق الأرض ومغاربها نسخه ، وشاعت طبعاته ، وتناوله القدماء بالشرح والنقد والتعليق .

من هؤلاء :

١ - أبو القاسم على بن حمزة البصرى ، نبه على الأغلاط الواردة فيه ، مع بقية تنبيهات على كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى والنوادر لأبى زياد الكلابى والمقصور والممدود لابن ولاد ، ومن مجموعة هذه التنبيهات نسخة مخطوطة نادرة فى دار الكتب .

٢ - أبو الوليد الوقشى الأندلسى وضع شرحا عليه سماه نكت الكامل .

٣ - ابن السيد البطليوسي ، ذكر تعليقات على أبياته ، كما فعل فى أبيات أدب الكاتب لابن قتيبة وسماه الاقتضاب .

٤ - التنبيهات لأبى عبيد البكرى ، وضع على كتاب الكامل تنبيهات على نحو تنبيهاته على نوادر القالى . ومن هذه الكتب الثلاث نسخة مخطوطة بمكتبة الحمراوية بالرباط .

٥ - وفى العصر الحديث عمل العالم اللغوى الكبير سيد بن على المرصفى كتابا شرحا وتعليقا عليه أسماه « رغبة الآمل من كتاب الكامل » أكمل القصائد وشرح الشواهد ، وملأه بكثير من الفوائد ، يقع فى ثمانية أجزاء ، وطبع فى سنة ١٩٢٧ م .

أهمية العمل في الإسلام

بقلم الأستاذ/ السيد أحمد المخزنجي

اهتم الإسلام بالعمل وأعلى من قيمته فى المجتمع ، لما له من دور أولى فى بناء الأمة الإسلامية ، وتحقيق نهضتها بين الأمم والمجتمعات المعاصرة . والعمل فى الإسلام ـ بقصد التكسب ـ فرض عين على المسلم ، لأن إقامة الفرائض تقتضى حتما قدرة بدنية ونفسية ، وهذه لاتتأتى إلا بطعام ونفقة ، ومن المعلوم أن مايتوصل به إلى إقامة الفريضة ، هو ـ بدوره ـ فرض يثاب فاعله ويأثم تاركه ، كما يقول الفقهاء :

كذلك هو : أى العمل ـ فى الإسلام ـ واجب لتوفير حاجة المجتمع مما أحله الله ـ عز وجل ـ فقد قال رسول الله ﷺ : إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لايقوم حتى يغرسها فليفعل(*) .

هذا ، ويعرف أحد أساتذة الاقتصاد « العمل » فى الفكر المعاصر بأنه : (المجهود الإرادى الواعى الذى يستهدف منه الإنسان إنتاج السلع والخدمات لإشباع حاجاته ، ومن ثم فإن مجهود الحيوانات أو مجهود الإنسان لغير هذا الهدف لايعتبر عملا)(١) . بالمعنى المقصود

* رواه أحمد عن أنس بن مالك ـ مسند أحمد ٣/١٩١ ، والفسيلة : الجزء من النبات ينفصل عنه ثم يغرس .

١ ـ الإسلام والاقتصاد .. للدكتور عبد الهادى على النجار ، (عالم المعرفة) ، الكويت العدد ٦٣ ـ ١٩٨٣م ، ٢٦ .

فالعمل إذن هو العنصر الفعال للكسب الذى أباحه الإسلام ، وهو الدعامة الأساسية للإنتاج ، وعلى قدر عمل المسلم واتساع دائرة نشاطه يكون نفعه وجزاؤه .

قال ـ تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾
(سورة النحل/٩٧)

ومن هنا أمر الإسلام بتحصيل الأموال من طرق فيها الخير للناس ، وفيها النشاط والعمل ، وعمارة الكون والتقلب فى الأرض ، ففيها الاختلاط والتعارف والتعاون والمبادلة[٢] .

وجه القرآن الكريم المسلمين إلى تحصيل الأموال بطرق الكسب الحلال ، وسمى طلبها ـ بذلك ـ ابتغاء من فضل الله ، وقد بلغت عنايته بالأموال أن طلب السعى فى تحصيلها بمجرد الفراغ من أداء العبادة المفروضة .. قال ـ تعالى

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾
(الجمعة/١٠) .

وقال ـ سبحانه :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾
(النبأ/١٠ ، ١١) .

فإن النهار مسرح المعاش بجانب شعائره الدينية .

على أن الإسلام لا يعتبر العبادة قاصرة على الشعائر ، فالحياة كلها خاضعة لشريعة الله ، ومن ثم تعد كل خدمة اجتماعية ، وكل عمل من أعمال الخير فيه عبادة . قال ﷺ : (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار) رواه الشيخان والترمذى والنسائى .

وبعد أن بين القرآن الكريم أسلوب تحصيل الأموال وكيفيته التى يجب على المسلم اتباعها ، حدد لهذه الأموال طرقاً ومجالات للانتفاع بها والمحافظة عليها وإنفاقها كذلك ، فنهاه عن الإسراف فيها ، أو البخل بها ، وجعل الاعتدال فى صرفها من صفات المقربين عباد الرحمن ،

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾
(الفرقان/٦٧) .

لقد سبق الإسلام ـ إذن ـ إلى تقرير الحاجات الأساسية ذات الطبيعة الاقتصادية فأوردها على سبيل الحصر ، وجمع فى تقريره لها بين الدقة الكاملة وبين تكريمه للإنسان على سائر المخلوقات . ويستفاد ذلك من قوله ـ تعالى :

---

٢ ـ منهج القرآن فى بناء المجتمع ، للشيخ محمود شلتوت ، كتاب الهلال ، القاهرة العدد ٣٧٠ لسنة ١٩٨١م ، ص ٧٦ .

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

ومن الحاجات الأساسية التى نستخلصها من هذه الآيات مايلى :

أن العمل فى سبيل تدبير المعاش هو أول الأسباب التى يتخذها الفرد لكسب الرزق ، أو مايعرف « بالدخل » ، ومن الدخل ماينفقه الفرد فى إشباع حاجاته ومنه مايدخره .. ومن المدخرات تبنى رؤوس الأموال الخاصة ورؤوس أموال الشعوب ، ومن ثم يكون العمل هو السلوك الفطرى لحصول الناس على الأرزاق أو الدخول أو الثروات[3] .

وفى القرآن دلالة واضحة مشيرة إلى اقتصاد شىء من الدخل يقول ـ تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة/٣) ، فهم لاينفقون كل مايرزقون .

ومن ثم فللعمل دور إيجابى وخصب ـ أيضا ـ فى الشريعة الإسلامية فى استثمار المال وحيازته لتحقيق مجتمع الكفاية والعدل ، فبالعمل يكون الإنتاج وزيادته ، حيث تتحقق بفضله الكفاية والإنتاجية ، وبالتالى يزيد الفائض الادخارى .

دعا الإسلام إذن إلى العمل والسعى فى الأرض ، وأثنى على البطالة ونفر منها ، واعتبر الكسب عن طريق الصدقة ـ مع القدرة على العمل والتمكن منه ـ سحتا .

على أن الإسلام أولى العامل المادى للمشكلة الاقتصادية مركز الصدارة ويؤيد ذلك آيات كثيرة وردت فى القرآن الكريم ، منها قوله ـ تعالى :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ (سورة الكهف/٤٦) .

وورد فى الأحاديث النبوية الشريفة قول النبى ﷺ : (أطيب الكسب عمل الرجل بيده) .

رواه الإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك .

و (من فقه الرجل أن يصلح معيشته) رواه البخارى .

وخير الناس من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا (أى عبئا) على الناس[4] .

ومن فقهاء الإسلام من يرى أن الصنعة (الاحتراف) أطيب المكاسب ، ويدلل على ذلك بقول النبى ﷺ : (ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده) رواه البخارى .

كذلك يجب أن يوفر للفرد أن يؤدى عملا ذا عائد فيه الكفاية لمن يعولهم ، إلى جانب إنتاج جزء من احتياجات المجتمع .

ويعلق ابن حجر العسقلانى شارحا : « وفى

---

٣ ـ موسوعة الاقتصاد الإسلامى ـ للدكتور محمد عبد المنعم الجمال ص ٢٧ ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ط/ ١ ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ٢٧ .

٤ ـ راجع موسوعة الاقتصاد الإسلامى ، د. الجمال ، المرجع السابق ص ٣٧ .



الحديث فضل العمل باليد ، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره ، والحكمة في تخصيص داود – عليه السلام – بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة (أي شدة العوز) لأنه كان خليفة في الأرض ، كما قال الله – تعالى :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (سورة ص ٢٦) .

وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد[5] .. الخ .

يؤكد ذلك قوله الشريف : (إن الله يحب العبد المؤمن محترف[6]) . وفي الحديث – أيضا – عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : (طلب الحلال فريضة بعد الفريضة)[7] . وفي رواية أخرى : (طلب الحلال جهاد)[8] .

إن كل إنسان في مجتمع الإسلام مطالب بأن يعمل ، مأمور أن يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله ، كما قال – تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ (الملك / ١٥)

إن العمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر ، وهو السبب الأول في جلب الثروة ، وهو العنصر الأول في عمارة الأرض التي استخلف الله فيها الإنسان ، وأمره أن يعمرها[9] ، كما قال – تعالى – على لسان صالح لقومه :

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود / ٦١) .

فالعمل أحد عناصر الإنتاج والكسب الأساسية في النشاط الاقتصادي وهو المشاركة إيجابية للإنسان بجهده في العملية الإنتاجية ، وأساس العمل في الإسلام هو مبدأ الاستخلاف – كما بينا – فالإنسان مسئول عن إعمار الكون ، ومسئول عن العمل في مال الله من طيبات وثروات واستثمارها وتنميتها بهدف إشباع الحاجات البشرية ، وبالتالي فإن العمل « تكليف إلهي »[10] . قال – تعالى :

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٩) الأعراف

وتشير آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآثار السلف إلى قيمة العمل والإنتاج ووجوبهما على القادرين ، وجعل الله – تعالى – العمل سبباً للجزاء في الدنيا والآخرة .

فالأصل أن يشبع الإنسان حاجته المعيشية من ثمار عمله ونتاج سعيه إذا كان قادرا على ذلك ،

---

٥ – عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وانظر : المناوي ، فيض القدير ، شرح الجامع الصغير للسيوطي ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

٦ – رواه عبد الله بن مسعود وأورده البيهقي في شعب الإيمان : « مشكاة المصابيح » ، وانظر المناوي : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠ .

٧ – رواه ابن عباس وأورده القضاعي : انظر المناوي نفس المرجع .

٨ – وانظر للمزيد : « دراسة إسلامية في العمل والعمال » ، تأليف : لبيب السعيد سلسلة « قضايا إسلامية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ص ٢٠ – ٢٦ والمراجع المشار إليها فيها .

٩ – المناوي : المرجع السابق جـ ٤ ، ص ٢٧٠ .

١٠ – دراسة إسلامية في العمل والعمال تأليف : لبيب السعيد ، لسلسلة «قضايا إسلامية » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م ، ٢٠ – ٢٦ .



وإلا فإن حمايته من العوز تكون مسئولية الدولة ، فالعمل فرض عين على كل مسلم قادر على العمل والإنتاج ، وذلك لكفاية احتياجاته الذاتية سواء بإنتاجها مباشرة ، أو بالعمل والكسب لشراء ما يحتاج إليه وهو غير قادر على إنتاجه[11] .

فالعمل سيدر على صاحبه غلة أو ربحا أو أجرا ، يمكنه من إشباع حاجاته الأساسية وتحقيق كفايته وكفاية أسرته ما دام النظام الإسلامي هو الذى يحكم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويوجهها وفقاً لأحكامه ووصاياه[12] .

إن الفرد الذى ينتج ما يزيد عن حاجته يساهم فى ازدهار مجتمعه ، فالعمل فى أى باب مشروع تعود ثمرته النافعة على المجتمع ، وذلك هو فرض الكفاية الذى لا يسقط إلا بعدم حاجة المجتمع إليه .

ولهذا كانت بعض الأعمال فرض كفاية فى نظر الإسلام ، كالزراعة والحدادة والنسيج والتجارة والطب والهندسة ... الخ ، أى أن المجتمع كله كوحدة متضامنة يتحمل مسئولية أداء هذه الأعمال وفقا لاحتياجاته الأساسية وأن كان يتفاوت مقدار الوجوب فى هذه الأعمال حسب درجة أهميتها لتحقيق خير المجتمع ، الأمر الذى يتعين على المجتمع الإسلامى أن يعمل على إظهار ذوى الكفاءة فيه ، وأن يكفل لهم سبل الراحة والاستقرار تمكينهم من أداء هذه الأعمال على خير وجه .

وهكذا نجد أن كل الأرزاق والأقوات والمعايش التى يسرها الله للإنسان فى الأرض ، لا تنال إلا ببذل الجهد ، وقد رتب الحق ـ سبحانه ـ الأكل من رزقه على المشى أو الضرب فى مناكب الأرض ، فمن مشى أكل من رزق الله ، ومن قعد وتكاسل وكان قادرا على الكسب والعمل كان جديرا بألا يأكل[13] .

وقد روى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رأى بعد الصلاة جماعة فى المسجد لا يهمون إلى عمل خارجه ، فعلاهم بدرته (أى ضربهم بعصاه) وقال لهم كلمته المشهورة : « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وأن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[14] (الجمعة / ١٠) .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الحث على ممارسة العمل المشروع : « من بات كالا من طلب الحلال ، بات مغفورا له »[15] .

فمحصلة ذلك كله أن الله ـ تعالى ـ هو الكفيل بالرزق ، وليس على الإنسان إلا أن يسعى إلى ذلك ، مطيعا ربه ومجتنبا نواهيه ، وتأسيسا على ذلك نجد أن العمل منوط بشدة بالإنسان فى الإسلام ، وخصوصا أن فائدته لا تعود على العامل وحده ، بل عليه وعلى المجتمع كله .

---

١١ ـ تنمية المال فى الاقتصاد الإسلامى ، للدكتورة أميرة عبداللطيف مشهور ، كتاب الأهرام الاقتصادى ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٢٣ .

١٢ ـ الزكاة ودورها فى التنمية ، د. أحمد الفقرى ص ١٧ .

١٣ ـ السياسة الشرعية ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ١٩ ـ ٢١ .

١٤ ـ الإسلام والاقتصاد ، د. عبدالهادى النجار ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

١٥ ـ رواه ابن عساكر فى كنوز الحقائق ، وفى الجامع الصغير رواية ابن عساكر عن أنس .

هذا وقد يختلط العمل برأس المال كعنصر من عناصر الإنتاج ، وقد يتم القيام بالعمل دون اعتماد على رأس المال ، وفي هذا يكون أبر طرق الكسب في الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : (إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة قيل : فما يكفرها يا رسول الله ؟ قال : الهموم في طلب المعيشة[16] .

وإذا كان القيام بهذه الأعمال مسألة واجبة تقع على عاتق الدولة والمجتمع ، فإن مسئولية الدولة تنصرف كذلك إلى مكافحة الأعمال غير المشروعة التي تضر بالمجتمع وقيمه ، إذا مارسها أو اشتغل بها بعض الأفراد دون وازع من تقوى أو ضمير .

فالإسلام يبيح للمسلم ان يختار من مجالات العمل المشروع ما تؤهله له كفايته واستعداداته وميوله وقدراته ، وخبراته ، ولا يفرض عليه عملا معينا إلا إذا كان على علم به ، وتعين ذلك لمصلحة المجتمع على النحو الذي أشرنا إليه من قبل .

مما سبق نخلص إلى حقيقة جوهرية بالغة الأهمية وهي أن « الإنسان المسلم إذا قام بعمله في المجتمع حسب منهج الإسلام الذي حدده له ، فهو بذلك يحقق أمرين :

أولهما : إغناء نفسه وحفظ كرامته من ذل المسألة ، وسد حاجته وحاجة أسرته بعيدا عن اللجوء إلى معونة فرد أو مؤسسة .

وثانيهما : أنه يسهم بنصيب ما في إغناء المجتمع ـ أو على الأقل ـ المساهمة في تسيير عملية التنمية الاجتماعية فيه .

ومن ثم يجوز لولي الأمر في الإسلام أن يؤدب كل سليم البنية قادر على التكسب ، يريد أن يعيش عالة على المجتمع ، متخذا من سؤال الناس حرفة له ، أو معتمدا على أن له حقا ـ في زعمه ـ من مال الزكاة .

فالزكاة على مثله حرام ، لأنها لو أعطيت له فستساعده على القعود والكسل عن أداء دوره في تنمية المجتمع . كما أن سؤاله الناس يعد في حقه معصية ، وكل معصية لا حد فيها ولا كفارة ، يجوز للحاكم المسلم أن يعزر عليها (أي يوقع عقوبة التعزير على المخطيء) وأن يؤدب من يقترفها بما يراه مناسبا من أنواع العقوبات .

وإذا كانت الزكاة لا تؤخذ إلا ممن يكون لديه مال يسمح بإخراج النصاب الشرعي منه ، زكاة لهذا المال وطهرة له . فمن المعلوم بداهة أن المال « أو الأجر » هو النتيجة المباشرة المترتبة على (العمل) المشروع الذي يقوم به المسلم في المجتمع ، أداء لوظيفته في الحياة ، وتحقيقا للرسالة التي فرضها الله ـ عز وجل ـ عليه لعمارة الكون .

من هنا كان لابد أن نتناول بيان قيمة العمل في الإسلام ، باعتباره أول طريق مشروع لإشباع حاجات الإنسان الضرورية والمعيشية ، إلى جانب دوره الاجتماعي في تحقيق مصالح الناس ، إذ اعتبر الإسلام بعض الأعمال فرض كفاية على أفراد المجتمع أن يتحملوها ، كل حسب كفاءته وقدراته ، كوحدة متضامنة لتحقيق الخير والاستقرار فيه .

---

١٦ ـ رواه الإمام الشيباني في كتابه : الاكتساب في الرزق المستطاب ص ٣٧ ـ مطبعة الأنوار ـ ١٩٣٨م .



مدينة السلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر

الإسلام والقدس

سجل القرآن الكريم ، مكانة القدس ، حين وضح أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أسرى بعبده وحبيبه سيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث قال جل شأنه :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١)

وسمى بالمسجد الأقصى ، لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة(٢) .

والمراد بالبركة المذكورة فى الآية الكريمة . فى قوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ البركة الحسية والمعنوية ، فأما الحسية فهى ما أنعم الله ـ تعالى ـ به على تلك البقاع من الثمار ، والزروع والأنهار ، وأما المعنوية فهى ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية ، حيث كانت مهبط الصالحين ، والأنبياء والمرسلين ، ومسرى خاتم النبيين وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين .

---

(١) سورة الإسراء آية : ١ .

(٢) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٢١١ .

والمسجد الأقصى : هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى »[٣] .

ومعنى هذا الحديث : أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلا هذه المساجد الثلاثة ، لأنه لا يسافر أصلا إلا لها ، وقد بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الحديث الصحيح : عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : يارسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال المسجد الحرام ، قلت .. ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال أربعون سنة ، وأينما أدركت الصلاة فصل ، فهو مسجد[٤] .

وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة فى الإسلام ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

روى الطبرى فى تاريخه ، عن قتادة قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا .

ومما يدل على فضل بيت المقدس ومكانته ، أنه أرض الحشر والمنشر ، وعن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قالت : قلت : يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس ، قال : « أرض الحشر والمنشر » إئتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره»[٥] .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس » .

وفى مدينة القدس دفن عدد كبير من الصحابة والتابعين ، منهم : الصحابى الجليل عبادة بن الصامت وشداد بن أوس ، فهى مهد النبوات والشرائع والرسل الذين وجدوا هناك فى هذا العصر ، ولقد كان المسجد الأقصى قبلة لهم ، وهذا كله يمثل البركة الدينية التى أحاطت به ، وأما البركة الدنيوية : فكثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض ، وهذا ما يراد بقوله تعالى :

﴿ الَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ .

وروى أن الذى أسس المسجد الأقصى هو يعقوب بن اسحاق ـ صلى الله عليهما وسلم ـ بعد بناء إبراهيم الكعبة ، وقد قام سليمان ـ عليه السلام ـ بتجديده ، وقد أشكل ذلك ، لأن بانى البيت الحرام إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبانى المسجد الأقصى داوود وابنه سليمان بعده ، وبينهما مدة طويلة تزيد على الأربعين التى ذكرت فى الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض، فقال: المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاما

(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وابن ماجه .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه ابن ماجه .

ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركت الصلاة فصل فيه فإن الفضل فيه » .

وأجاب عن هذا الإشكال أبو جعفر الطحاوى فى شرح معانى الآثار : بأن الوضع غير البناء ، والسؤال فى الحديث السابق عن مدة ما بين وضعهما لا عن مدة ما بين بنائهما ، فيحتمل أن يكون واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داوود وسليمان ، ثم بناه بعد ذلك .

وللمسجد الأقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين ، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحى ومنتهى رحلة الإسراء ، وبداية رحلة المعراج .

وقد مر الرسول ﷺ فى رحلته إلى المسجد الأقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وهى طور سيناء فصلى بها ركعتين .

ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام ، وهـــى : « بيت لحم » فصلى بها ركعتين ، ثم وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى جمع من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعا ، ثم عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى .

وقد عاد رسول الله ﷺ من هذه الرحلة المباركة ، وأخبر قومه ، فكان منهم من صدق ، ومنهم من كذب .

وذهب بعضهم إلى أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – ، وأخبروه ، فما كان جوابه إلا أن قال لهم : والله لئن كان قاله فقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إنى أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء ، وقد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم ، يسألون الرسول ﷺ فى نعت عن بيت المقدس ، ومنه من كان قد رآه ، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون الرسول ﷺ فى حرج ، ولكنه – وهو المؤيد من قبل ربه – وصف لهم بيت المقدس وصفا كاملا فى غاية الدقة ، وأخبرهم عن آياته .

يقول الرسول ﷺ :

« فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس على بعض الشيء فجلى الله لى بيت المقدس ثم جعلت أنظر إليه دون دار عقيل ، وأنعته لهم » فقالوا : أما النعت فقد أصاب ، وكان أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – كلما وصف لهم الرسول ﷺ وصفا – يقول : صدقت أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن عيرهم ، وعن أحمالها ، وعن دقائق الملابسات ووصفها أكمل وصف ، وقال لهم : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ، ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم .

﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ .

سورة النور – آية : ٤٠

وفى رحلة الإسراء والمعراج فرض الله – سبحانه وتعالى – الصلاة ، وهى الصلة القوية بين العبد وربه وكانت القبلة آنذاك هى صخرة



بيت المقدس حيث أمر الرسول ﷺ باستقبالها وكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهما ، عندئذ أمره الله ـ تعالى ـ أن يتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهرا .

وكان يدعو ربه ويبتهل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام ، فخطب الناس وأعلمهم بذلك ، وكانت أول صلاة : صلاة العصر ، وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٦) .

وعن البراء ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته ـ قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال :

أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان قد مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٧) .

ومما يؤكد عاطفة المسلمين نحو القدس الشريف كواحد من أهم معالم الإسلام أنه قد أسرى الله برسوله ﷺ إليه ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ، ففى رواية أنس ـ رضى الله عنه ـ :

« .. ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن » فقال جبريل :

« أخذت الفطرة » وقال الإمام النووى رحمه الله : المراد بالفطرة هنا : الإسلام والاستقامة .

وفى رواية ابن مسعود : ... ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم .

وفى رواية أبى أمامة ـ عند الطبرانى ـ ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا حتى قدّموا محمد ﷺ . فصلى إماما بالأنبياء جميعا فى المسجد الأقصى ، ولقد أطلع الله ـ سبحانه وتعالى ـ رسوله ﷺ فى هذه الرحلة المباركة على نماذج لثواب الطائعين ، وعقاب العاصين ، ومن هذه النماذج ما رآه من ثواب المجاهدين فى سبيل الله :

« مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما

---

(٦) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

حصدوا عاد كما كان ، فقال لجبريل ـ عليه السلام ـ : ما هذا ؟ .

قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لم الحسنة إلى سبعمائة ضعف .

﴿ وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾(٨)

وفى هذا المشهد توضيح لمكانة الجهاد والمجاهدين ، وفى هذا النموذج المحسوس لمثوبة الجهاد ، تجيش فى نفوسنا عواطف الإيمان ، لتدفعنا لتطهير القدس الشريف واسترداده ، وتطهير كل بقعة فى الوطن الإسلامى ، ونجاهد من أجل إعادة الحق إلى أصحابه الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

وكما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩١

وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ، وصلا للحاضر بالماضى ، وتقديرا لمنزلة هذه البقعة المباركة ، التى عاشت عمرا كبيرا تنشر على ظهرها الهداية ، وتستقبل فى رحابها النبوات ، وظل بيت المقدس مهبط الوحى الإلهى سنين عديدة .

فلما عصا اليهود أمر ربهم ، وتنكروا لوحى السماء تحولت النبوة عنهم ، وانتقلت إلى ذرية إسماعيل ، وتحولت بالتالى القيادة الروحية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، فانتقل الرسول ﷺ إلى هذه البقعة المباركة تقديرا لإخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين ، وإعلانا عن إكباره لهم وللدين الذى انتشر نوره وسناه فى هذه البقاع المباركة ، لأن الرسول ﷺ والمؤمنين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، كما قال سبحانه :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (٩)

ولقد جمع الله تعالى له الرسل السابقين ، فاستقبلوه ، وصلى بهم إماما ومضى فى ليلة الإسراء والمعراج وفى رحاب المسجد الأقصى ذلك العهد والميثاق الذى أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا ويمهد بعضهم لبعض ، وأن يؤمنوا بمن سيرسله وأن ينصروه ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

سورة ال عمران ـ آية : ٨١

وهكذا كانت إمامة الرسول ﷺ للأنبياء والمرسلين فى هذا المكان المقدس إعلانا لختم رسالات السماء وأن رسالته خاتمة الرسالات ،

(٨) رواه الطبرى والبزار .

(٩) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

ودستوره السماوى وهو القرآن كلمة السماء الأخيرة ، وأنه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

وصلاة رسول الله ﷺ بالأنبياء لا ينافيها كون الأنبياء كانوا قد ماتوا من قبل ، لأن الذى أسرى هو الله الخالق القادر على كل شيء فهو القادر على تغيير بشرية الرسول ﷺ ليصلى بالأنبياء ، وهو القادر على تغيير قانون برزخية الأنبياء السابقين ليصلى بهم .. فما أراده الله تعالى حدث ، وبالكيفية التى أرادها رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ.

وفى هذا إعلان لعالمية الإسلام ، وإعلان بأنه التشريع الخاتم والرسول الذى ختم الله به الأنبياء والمرسلين .

وإن حادث الإسراء والمعراج ليضع فى أعناق المسلمين فى كل الأرض أمانة القدس الشريف ، وأن التفريط فيه تفريط فى دين الله وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا فى حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها .

فعلينا أن نوحد جهودنا ، وألا نتفرق ، لنكون بوحدتنا ، قوة إسلامية لا يستهان بها ، ولا نضعف فى المطالبة بحقوقنا ، فطريق الوحدة ومناشدة القوة هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التى هى جزء من عقيدتنا وديننا .

إن القدس مسرى خاتم الأنبياء ، وبوابة الأرض إلى السماء ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ولكم تعرض إلى العدوان والتخريب ، فلماذا ؟ وهو الموطن الإسلامى ، ولولا الصفة الإسلامية للقدس وفلسطين ما كانت لتعانى كل هذه المعاناة .

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ .

سورة البروج ـ آية : ٨

ألكونها مسلمة تحتل وتكثر المستوطنات اليهودية بها يوما بعد يوم ؟!

ولكون شعبها مسلم يضطهد ويشرد ويتعرض للإبادة والتفكيك ؟! هل أصبحت هذه سمة البلاد والشعوب الذين يتعرضون لتهاون النظام العالمى ؟!

فنرى أمثال هذه المعاناة فى البوسنة والهرسك والشيشان !!

أقول : إن الجهاد فرض عين فى الدفاع عن القدس ، كما أنه فرض عين فى الدفاع عن البوسنة والهرسك والشيشان وكل وطن إسلامى على ظهر الأرض .

وفرضية الجهاد للدفاع عن الأوطان ليست مقصورة على ساكنى هذه الأوطان المسلوبة أو المنهوبة فحسب ، بل إن فرضية الجهاد على جميع المسلمين فى كل الأرض ، ومن هنا فإن كل معونة جهاد والحكم الشرعي الذى قرره الفقه الإسلامى أن أعداء الإسلام إذا دخلوا بلدا يقيم فيه المسلمون فيجب الخروج لقتالهم ولايجوز لأحد أن يتخلى عن هذا الواجب ، قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ سورة التوبة ١٢٣

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا »(١٠)

فإذا نادى الواجب المسلمين ، لتحرير أوطانهم ورفع العدوان عنها ، واسترداد الحق ، فإنه يجب عليهم أن يخفوا لتلبية هذا النداء وألا يتثاقلوا ، قال الله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(١١)

وفى سبيل إقرار الحياة الآمنة المستقرة ، ونشر الإسلام فى ربوع الأمة يجب علينا ألا نتفرق وألا نختلف ، بل نتوحد فلا نتنازع .

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

سورة الأنفال .. آية ٤٦

وأن نتجمع ولا نتفرق .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٠٣

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

التوصيات

لقد تكررت المآسى فى القدس الشريف من جراء انتهاك السلطات الإسرائيلية لحقوق هذه المدينة وحقوق الفلسطينيين ، حيث تعددت المجازر البشرية ، والاستمرار فى زيادة المستوطنات اليهودية ، كما تعرضت إلى حوادث الإحراق والعدوان على الأنفس والأموال ، واستهانت إسرائيل بالشرائع السماوية ، والمقدسات الدينية والحقوق الإنسانية ، وكانت لها ممارسات إرهابية فى المنطقة ، باشرت من خلالها كل وسائل العدوان والعربدة !! .

ولما كانت القدس لها منزلتها الأثيرة فى قلوب المسلمين والمسيحيين والعرب جميعا فهى مسرى رسول الله سيدنا محمد ﷺ ، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وعاش فيها المسيح عليه السلام .

ولما كان السلام الشامل والدائم فى المنطقة رهنا بالتسوية العادلة والكاملة ، واسترداد الحق لأهله ولما كانت القدس البلد الوحيد الذى عانى الأمرين وكان الشعب الفلسطينى أكثر من تحمل فى سبيل الدفاع عن وطنه من معاناة وقتل وتشريد وضياع أوصت ندوة القدس بالتوصيات التالية :

١ ـ تأكيد الدعوة إلى استمرار صمود المجاهدين من أبناء فلسطين ، دفاعا عن الحق والشرعية ووقوف الدول العربية والإسلامية مع هذا الشعب المظلوم استردادا لحقه ، وانتصارا للشرعية والحق .

٢ ـ الدعوة إلى توحيد القوى العربية والإسلامية والإنسانية عامة المحبة للسلام الواثقة

---

(١٠) رواه البخارى .

(١١) سورة التوبة الآية ٣٨ .

بجانب العدل والحق ، فلا يضيع الحق إلا بضعف أهله ، ولا قوة لنا إلا فى وحدتنا ، استجابة لقول الله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٠٣

٣ ـ تحريك الرأى العام الدولى بإظهار الحق ومناشدة الضمير الإنسانى فى كل الأرض لمناصرة الحق ومناهضة الباطل والظلم .

٤ ـ مطالبة النظام العالمى بإيقاف الهجرة اليهودية وإيقاف المستوطنات ، وإعادة الحق لأهله حتى يسود السلام الدائم والشامل .

٥ ـ تضميد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب والمسلمين حتى تتم وحدة الصف والهدف ، وتقوى الأمة فى مواجهة التحديات .

٦ ـ مطالبة النظام العالمى ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى بتحقيق القرارات التى سبق أن أبرمت مطالبة بحقوق القدس وفلسطين والشعب الفلسطينى .

٧ ـ دعوة الأمة أفرادا وجماعات وأمما وشعوبا إلى توثيق الصلة مع الله ، وتأكيد تطبيق التعاليم الإسلامية التى فيها انتصار لدين الله مما يترتب عليه انتصارنا مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾

سورة محمد

وقوله :

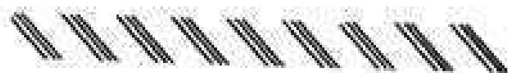
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

سورة الحج

٨ ـ تشكيل لجنة دولية تمثل أهم الشخصيات الدولية الذين يمكنهم متابعة توصيات هذه الندوة ، حتى تأخذ طريقها إلى العمل الجاد ، ولا تبقى كغيرها من التوصيات حبرا على ورق .

وبالله التوفيق ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أمين .



فتوى

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

فى ختان البنات

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ــ أثناء توليه مهام منصب الإفتاء لجمهورية مصر العربية ــ استفتاء حول ختان البنات من السيد الدكتور محمود ابراهيم القسط مدير عام الادارة العامة للثقافة والإعلام الصحى وقد أجاب فضيلته بالفتوى التالية :

السيد الأستاذ الدكتور / على عبد الفتاح وزير الصحة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فبناء على الخطاب المرسل من السيد الدكتور / محمد ابراهيم القسط ــ مدير عام الإدارة العامة للثقافة والإعلام الصحى .

بشأن الحكم الشرعى بالنسبة لختان البنات ، نفيد سيادتكم بما يلى :

(أجاب)

١ ــ اتفق الفقهاء على أن الختان بالنسبة للذكور من شعائر الإسلام ، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى اعتمد عليها الفقهاء فى ذلك ، مارواه الحاكم والبيهقى عن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم ختن الحسن والحسين فى اليوم السابع من ولادتهما .

وأما الختان ــ أو الخفاض ــ بالنسبة للإناث ، فلم يرد بشأنه حديث يحتج به ، وإنما وردت آثار حكم المحققون من العلماء عليها بالضعف ..

ومنها حديث (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) وحديث (لا تُنهكى فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل) ومعنى : (لا تنهكى) لا تبالغى فى استقصاء الختان . وفى رواية (أشمِّى ولا تنهكى) أى : اقطعى شيئا يسيرا . ومنها حديث (ألق عنك شعر الكفر واختتن) وحديث (من أسلم فليختتن) .

وقد ذكر هذه الأحاديث جميعها الإمام الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) ج١ من ص١٣٧ ، ١٤٠ وحكم عليها بالضعف ــ بعد الكلام المفصل عن أسانيدها ــ وذكر قول الإمام ابن المنذر : (ليس فى الختان خبر يُرجع إليه ولا سُنة تتبع) .

وقال صاحب كتاب عون المعبود شرح سنن أبى داود ج ١٤ ص ١٨٣ وما بعدها ــ بعد أن ذكر ماجاء فى الختان ــ (وحديث ختان المرأة رُوى من أوجه كثيرة ، وكلها ضعيفة معلولة . مخدوشة لا يصح الاحتجاج بها كما عرفت) .

ثم قال : وقال ابن عبد البر فى التمهيد والذى أجمع عليه المسلمون أن الختان للرجال .

٣ — وجاء فى كتاب (الفتاوى ص ٢ ، ٣ لفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت تحت عنوان : (ختان الأنثى) قوله (وقد خرجنا من استعراض المرويات فى مسألة الختان على أنه ليس فيها مايصح أن يكون دليلا على (السنّة الفقهية) فضلا عن (الوجود الفقهى) وهى النتيجة التى وصل لها بعض العلماء السابقين ، وعبر عنها بقوله : (ليس فى الختان خبر يُرجع إليه ولا سنة تتبع) .

٤ — وقال فضيلة الشيخ سيد سابق فى كتاب (فقه السنة) ج١ ص٣٣ (أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شىء) .

٥ — وكتب فضيلة المرحوم الشيخ محمد عرفة — عضو جماعة كبار العلماء — بحثا عن الختان بمجلة الأزهر المجلد ٢٤ لسنة ١٩٥٢ ص ١٢٤٢ جاء فيه : (وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعى لبيان حكمه فى الشرع ، ويبحث فيه العالم بوظائف الأعضاء ليبين وظيفة هذا العضو الذى يقع عليه الخفاض ، ويبحث فيه العالم الاجتماعى ليبين آثار الخفاض الاجتماعية ، أهى آثار حسنة أم آثار سيئة .

وعلم وظائف الأعضاء يرى ، أن هذا العضو حساس ، وأنه معين على إتمام عملية التخصيب ، وأن قطعه وإنهاكه يبعد الشهوة .

وبعض علماء الاجتماع يرى أن الخفاض سبب فى انتشار المخدرات فى البلاد التى تزاوله ومنها مصر ، لأن الزوج يجد شهوته أقــرب من شهوتها .. فيستعين ببعض العقاقير التى شاع خطأ أنها تبطىء مواقاة الماء من الرجل .

ويزيدون فيقولون : (إذا أريد القضاء على آفة استعمال الحشيش والأفيون والمواد المخدرة ، فينبغى القضاء على أسبابها ، وهو ختان المرأة لتكون طبيعية ، ويكون الرجل طبيعيا) ..

ثم قال فضيلته : فإذا ثبت كل ذلك ، فليس على من لم تختتن من النساء من بأس ، ومن اختتنت فيجب ألا ينهك هذا العضو منها . وإذا مُنع فى مصر كما منع فى بعض البلاد الإسلامية كتركيا وبلاد المغرب فلا بأس .

٦ — والذى نراه بعد أن استعرضنا اراء بعض العلماء القدامى والمحدثين فى مسألة (الختان) أنها سنة أو واجبة بالنسبة للذكور ، لوجود النصوص الصحيحة التى تحض على ذلك .

أما بالنسبة للنساء ، فلا يوجد نص شرعى « صحيح يحتج به على ختانهن ، والذى أراه أنه عادة انتشرت فى مصر من جيل الى آخر وتوشك ان تنقرض وتزول بين كافة الطبقات ، ولا سيما طبقات المثقفين .

ومن الأدلة على أنها عادة ، ولا يوجد نص شرعى يدعو إليها ، أننا نجد معظم الدول الإسلامية الزاخرة بالفقهاء — قد تركت ختان النساء ، ومن هذه الدول : السعودية ومعها دول الخليج وكذلك دول اليمن ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، وليبيا ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب ... الخ .

ومادام الأمر كذلك ، فإنى أرى أن الكلمة الفاصلة فى مسألة ختان الإناث مردها إلى الأطباء فإن قالوا : فى إجرائها ضرر تركناها لأنهم أهل الذكر فى ذلك وإن قالوا غير ذلك فعلى وزارة الصحة فى مصر أن تتخذ كافة الإجراءات القانونية لإجراء هذه العملية بالنسبة للإناث بطريقة يتوفر فيها الستر والعفاف والكرامة الإنسانية ، التى تصون للفتاة أنوثتها السوية ، وبالله التوفيق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

● السؤال : من السيد/ زكريا عبدالعزيز السيد ـ مدير عام شركة الرواد للسياحة :

يوجد في منطقتنا ضريح لأحد الصالحين اعتاد الناس زيارته ، ولكن البعض يجهل آداب وشروط زيارة الأضرحة ، فنود التفضل بذكرها تجنبا لأية مخالفات شرعية ، وهل يجوز غلق الضريح أو استخدامه في مشروع ذي نفع عام ؟ وهل يجوز زيارة المرأة للضريح ؟

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله .

أما شروط زيارة الأضرحة فهي شروط زيارة مقابر المسلمين ، فنبدأ بالسلام على أهل القبور وندعو لهم بالخير ، ونسأل الله أن يلحقنا بهم على خير ، وأن يرزقنا ما رزقهم من تقوى وعمل صالح ، ونعتبر بالموت واعظًا ، ولايجوز للمرأة زيارة القبور المعتادة ، ويجوز لها زيارة أضرحة الأنبياء كقبر نبينا ﷺ بل يسن لها ذلك ، وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام وقبور العلماء والصالحين كالحسين والشافعي ، بدون اختلاط ولا فعل منكر ولا اعتداء في الدعاء ، ولا يجوز إغلاق المكان إلا سياسة شرعية من قبل المسئولين ولوقت مؤجل بأجل ، ويجب تعليم الناس عن طريق الخطبة والدرس والكتب النافعة التي تبين آداب الزيارة والموعظة الحسنة ، ولايجوز تحويل الضريح إلى مشروع آخر ، ويجوز عمل المشروع بجواره .. والله أعلم .

● السؤال : مقبرة فى مدينة حيفا كانت وقفا من أوقاف المسلمين وحتى يومنا هذا ، ثم هجرت ، وأفتى علماء الشرع الشريف بجواز نبشها ونقل قبورها لذلك الهجر ولمنفعة المسلمين ، فهل يجوز البناء عليها لمصلحة الوقف واستغلالها حتى تدر إيرادا وثمرة تعود على وقف المسلمين بالخير ، ويستعمل ذلك الإيراد فى شئون المسلمين بتلك البلاد ، وتسدد ديونها التى عليها لحكومة البلاد ، ويصرف بعد ذلك على جهات الخير التى تراها نظارة الوقف لصيانة المساجد والمدارس والصحة ونحوها ؟ .

الجواب : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وبعد. فيجوز والحال كما ذكر فى السؤال البناء على هذه الأرض بالاتفاق ، ولا نعلم خلافا فى الحالة على ذلك ، ويجوز لنظارة الوقف أن تتصرف فى الإيراد والثمرة الناتجة من البناء وغيره على تلك الأرض فيما ذكر ونحوه .

ولا يجوز إنهاء وقف المسلمين ، ولا أن يذهب لغيره ، ولا أن يضع أحد من غير المسلمين يده عليه أو على ثمرته لا رتبة ولا انتفاعا .

ويجوز أن يشترك المسلمون مع غيرهم فى بناء مبنى يؤول فى النهاية إلى الوقف ، وينتفع الوقف بما يقدمه غير المسلمين من مشاركة وإيراد ، دون أن يملكه أحد من غير المسلمين لا حالاً ولا مآلاً .

● ورد استفتاء إلى السيد صاحب الفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وحول إلى لجنة الفتوى للإجابة عليه .. وهذا نصه :

الهيئة العامة للاستعلامات

الإدارة العامة للاتصال الداخلى

مكتب المدير العام

السيد صاحب الفضيلة الدكتور / أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

تحية طيبة وبعد ...

تشرف بالإجابة بأنه ورد للهيئة العامة للاستعلامات خطاب من مكتبنا الإعلامى فى كانبرا يطلب فيه موافاته بمعلومات وافية عن :

موقف الأزهر الشريف فيما يتعلق بأطباق الاستقبال الفضائى (الدش) للاستفادة بها فى البحث الذى يعده السيد/ ستيفن باراكلوش من مركز دراسات الشرق الأوسط ووسط آسيا بالجامعة الوطنية الاسترالية .

برجاء موافاتنا بالمعلومات المطلوبة حتى يتسنى لنا الرد على مكتبنا الإعلامى المذكور .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

مدير عام الاتصال بالمؤسسات

عبدالرحمن هلال

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، فنفيد بأن الأحكام الشرعية من حل وحرمة .. إنما تتعلق بأفعال البشر ولاتتعلق بذوات الأشياء ، فذوات الأشياء لا حكم لها ، إنما الحكم على تناولها واستعمالها ونحوها من الأفعال البشرية ..

والدش آلة من الآلات وهى كجهاز « التليفزيون والفيديو » لها استعمالات متعددة بعضها مباح كنقل الأخبار والتعلم والترفيه الحلال ، وبعضها حرام كإثارة الشهوات ونشر الإلحاد والأمر بالفساد ، فشأنها كشأن السكين تستعمل فى المباح وتستعمل فى قتل النفس التى حرم الله قتلها ، وإذا تركب فى آلة المعنيان ولم تتعين الحرمة فاتخاذها حلال . واستعمالها فى الخير حلال ، ويمتنع استعمالها فى الشر ، لأن القاعدة المقررة لدى الفقهاء « أن الحرمة إذا لم تتعين حلت » .

ويصبح مثل هذا فى كل ما كان له استعمالان فأكثر واختلط الحلال بالحرام ، كالمكياج والعطور والملابس النسائية التى تتبرج بها المرأة ، وقد تتزين بها فى بيتها ، ومثل بناء المبانى التى قد تستعمل لإدارة الحرام ، كالقمار وشرب الخمر ، وللحلال كالاستضافة والاجتماع فكل ذلك يدخل تحت قاعدة « أن الحرمة إذا لم تتعين حلت » ، ويفتى بحل صناعة وبيع واتخاذ أمثال ماذكر ، أما إذا تعينت الحرمة كالثلاجات التى تحفظ بها الخمر أو الخنزير فقط ، ولا تصلح لحفظ غيرها . وكالملاهى الليلية التى لاتصلح إلا لذلك - مع ماهو معروف ومشهور عنها من ارتكاب المنكر بها - فإنه لا يحل بناؤها أو اتخاذها أو تأجيرها أو العمل بها ، حيث قد تعينت الحرمة .. والله تعالى أعلم .

● السيد صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فمقدمه لفضيلتكم الدكتور : ع. ع. ع. ص.

الموضـــــوع

أنا وزوجتى مصريان مسلمان مقيمان فى أمريكا ونحمل الجنسية الأمريكية ولسبب ما طلبت زوجتى الطلاق وأصرت عليه وقدمت شكوى أمام المحكمة فى أمريكا ، وهى محكمة مكونة من قضاة غير مسلمين ، فمنهم يهود ومسيحيون . أرجو إصدار الفتوى الشرعية الإسلامية فى الآتى :

١ - هل يجوز أن تقوم هذه المحكمة بالفصل فى منازعات الزوجية بين زوجين مسلمين ، علما بأن الشهود فى هذه القضية غير مسلمين ، وكذلك المحامين ؟ .

٢ - وإذا حكمت هذه المحكمة المدنية الأمريكية بالطلاق ، وتزوجت زوجتى من شخص آخر زواجا مدنيا دون أن أطلقها طلاقا شرعيا ، فما حكم هذا الزواج الثانى وما هى عقوبته فى القانون المصرى ؟ .

٣ - وإذا اختلت برجل غيرى وأنا لم أطلقها شرعيا فما هو حكم الدين ؟ .

٤ - وإذا حضرت إلى مصر وهى ما زالت زوجتى شرعيا ماذا يكون تصرفى لأطبق الشرع وما الحكم ؟ وهل يجوز لى الزواج من أكثر من واحدة .

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد :

١ - بأنه لا يجوز لمحكمة من غير المسلمين الحكم على مسلمين فى مسائل الأحوال الشخصية ، بل ولا فى غيرها حيث لا ولاية لغير المسلم على

المسلم قال تعالى :

﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ (سورة النساء)

وأجمعت الأمة على عدم جواز سريان حكم غير المسلم على المسلم .

٢ ـ فإذا حكمت محكمة هذا شأنها بالتطليق على زوجة مسلمة فحكمها لا يعتد به شرعا وهي على حال الزوجية كما هي ، فإن تزوجت بناء على ذلك الحكم فزواجها باطل ، وصلة الرجل الجديد بها زنى ، تأثم به عند الله إن علمت الحكم ، وهو وطء شبهة إن لم تعلم وعليها المبادرة بتركه عند العلم ، والتوبة من ذلك .

٣ ـ فإن حضر الزوجان دار الإسلام فليترافعا بما شجر بينهما أمام قاضي المسلمين ، وهو يحكم بينهما بما أنزل الله ، وبذلك يعرف الجواب على البنود ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ من السؤال .

٤ ـ يحق للمسلم أن يجمع بين أكثر من امرأة واحدة حتى أربع قال تعالى :

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً .. ﴾

بعض آية ٣ سورة النساء .. والله تعالى أعلم .

إعـــلان للقـــارىء

تأسف إدارة المجلة لما وقع من خطأ فنى فى ترتيب ملازم بعض نسخ (عدد ربيع الآخر ١٤١٧ هـ) . وتعلن إدارة المجلة استعدادها لإعطاء كل قارىء حصل على نسخة بها خطأ نسخة سليمة من نفس العدد ، يتقدم بها مشكوراً إلى إدارة الأزهر - بحى الحسين - رضى الله عنه - ليتسلمها ، على أن يقدم النسخة التى حصل بها الخطأ المذكور .

وسيبدأ صرف هذه النسخة ابتداء من يوم ١٦ من جمادى الأولى ١٤١٧ هـ .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من أدبك ؟ »

قيل لسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ : من أدبك ؟

قال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته .

« الظلم وتخريب الديار »

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ فقال كعب : إني لأجد في كتاب الله المنزّل أن الظلم يخرب الديار .

فقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ إني أجده في القرآن الكريم ، قال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ .

سورة النمل ـ آية : ٥٢

« الذى يخدع نفسه »

قالوا : من طلب الرخص من الإخوان عند المشاورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبه فقد خدع نفسه .

« علامات حسن الخلق »

جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال :

هو أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، برا وصولا ، وقورا صبورا شكورا رضيا حليما ، رفيقا عفيفا ، لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا ، بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ، ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق .

« حقا »

من لم يكن عنصره طيبا ... كل امرىء يشبهه فعله

لم يخرج الطيب من فيه ... وينضح الكوز بما فيه



« ما أخذتم بواحدة من اثنتين »

مرت أعرابية بقوم من بني نمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : يابنى نمير ، والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين : لا بقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

ولا بقول جرير :

فغض الطـــرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابـــا

فاستحى القوم من كلامها وأطرقوا .

« حازم .. وأحزم منه »

الناس حازمان وعاجز ؛ فأحد الحازمين الذى إذا نزل به البلاء لم يبطر ، وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم منه العارف بالأمر إذا أقبل يدفعه قبل وقوعه ، والعاجز فى تردد وتمن ، حائر بائر لا يأتمر رشدا ، ولا يطيع مرشدا .

ستة لا يخلون من الكآبة

رجل افتقر بعد غنى ، وغنى يخاف الفقر ، وحقود ، وحسود ، وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء بغير أدب .

« كان من خالصة الله »

عن عون بن عبدالله قال : كان يقال : من كان فى صورة حسنة ، ومنصب لا يشينه ووسع عليه فى الرزق ، كان من خالصة الله .

« ثلاثة جبال »

لقد أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر :

« الجودى » بسيدنا نوح ـ عليه السلام ـ .

« وطور سيناء » بسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ .

« وحراء » بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

« دعاء »

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اكف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأسا وأشد تنكيلا .





للمستشار محمد عزت الطهطاوي

فقيه من كبار الفقهاء ومن علماء تفسير القرآن الكريم ، ومن رجال الحديث ومن المكثرين الاطلاع في كتب الأدب والتاريخ ، كما كان من الزهاد الأتقياء في عصره .

ذلك هو الشيخ الأزهري كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي وكنيته أبو البقاء وينسب إلى دميرة ، بلدة من أعمال محافظة الدقهلية بالديار المصرية وإن كان ولد بالقاهرة في سنة ٧٤٢هـ التي توافق ١٣٤٤م .

قال عنه الحافظ ابن حجر (تبغ في الفقه والحديث والأدب ووعظ وأفاد وخطب فأجاد ، وكان ذا حظ من العبادة تلاوة وصياما ومجاورة بالحرمين ، سمعت من فوائده واجتمعت به مرارا وكنت أحب سمته) .

ويصفه المقريزي المؤرخ فيقول عنه

(صحبته سنين وحضرت مجلس وعظه مرارا لإعجابي به ، وأنشدني وأفادني ، وكنت أحبه ويحبني في الله ، لسمته وحسن هديه وجميل طريقته ومداومته على العبادة)[1] .

نشأته وشيوخه :

كانت نشأته في القاهرة وتكسب في أول أمره بصناعة الخياطة ، ثم أقبل على العلم فدرس في

(1) مجلة العربي الكويتية العدد ١٥٢ جمادى الأولى سنة ١٣٩١هـ يوليو (تموز) سنة ١٩٧١م في مقال تحت عنوان الدميري في كتابه ـ حياة الحيوان الكبرى بقلم الأستاذ عبد الستار فراج

الأزهر وتفقه على مذهب الإمام الشافعي وجعل يأخذ ذلك من كبار العلماء فى زمانه فقرأ على أحمد بن التقى السبكى وأبى الفضل النويرى والجمال الأسنوى وابن الملقن والبلقيني

وأخذ الأدب عن القيراطى والعربية وغيرها عن البهاء بن عقيل فبرع فى التفسير والحديث والفقه وأصوله والعربية والأدب وغير ذلك من العلوم[٢]

رحلاته فى طلب العلم

لم يقتصر الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى على ما حصله من علماء مصر ، بل رحل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنين متفرقة وتلقى هناك من علمائهما ، كما روى الحديث من كتب الحديث المشهورة سماعا على الأئمة المتخصصين فى الحرمين الشريفين وحتى بعد تحصيله للعلم داوم على التردد بين القاهرة ومكة المكرمة حتى توفى بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ التى توافق سنة ١٤٠٥م

تصدره للتدريس

بعد أن اكتملت حصيلته العلمية وعاد إلى مصر حيث قام بالتدريس بالجامع الأزهر فكانت له فيه حلقة يوم السبت من كل أسبوع ، كما درس فى القبة البيبرسية علم الحديث .

أما فى يوم الجمعة فكان يقوم فيه بوعظ الناس بمدرسة البقرى داخل باب النصر وبعد عصر الجمعة يدرس بجامع الظاهر فى الحسينية[٣]

المصنفات التى قام بتأليفها

ألف مصنفات جيدة نذكر منها :

١ ــ شرح سنن ابن ماجه فى نحو خمس مجلدات سماه الديباجة .

٢ ــ شرح المنهاج فى أربع مجلدات سماه النجم الوهاج ، لخصه من شروح السبكى والأسنوى وغيرهما وزاد ذلك زوائد نفيسة .

٣ ــ كما نظم فى الفقه أرجوزة مفيدة .

٤ ــ اختصر شرح الصفدى للامية العجم

٥ ــ أما أهم مؤلفاته فهو كتاب (كتاب الحيوان الكبرى) فى جزئين كبيرين الأول منهما يصل فى صفحاته الى ٦٠٢ صفحة والجزء الثانى إلى ٤٠٠ صفحة تقريبا[٤]

المراجع التى رجع إليها عند تأليفه لكتبه

لو تم إحصاء ما يذكره الشيخ كمال الدين محمد ابن موسى الدميرى من كتب نقل عنها وبعضها فى عدة أجزاء ضخمة لعرفنا مقدار ما كان عليه ذلك العالم الجليل من ذكاء ومن تنظيم دقيق ومن حشد لقواه الفكرية فى استحضار ما يتصل بموضوع مؤلفه المشار إليه (حياة الحيوان الكبرى) المتشعب الأطراف فهو ينقل :

١ ــ من القرآن الكريم وتفسيره : كتفسير الزمخشرى وتفسير الثعلبى وغيرهما من التفاسير

٢ ــ ومن كتب الحديث للأئمة البخارى ومسلم وسنن الترمذى والنسائى وأبى داود وابن ماجه ومسند الإمام أحمد ومسند أبى يعلى والطبرانى

---

٢) ملخصة من كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكانى مع مقدمة بكتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى

٣) مجلة العربى الكويتية المرجع السابق

٤) ملخصة من كتاب البدر الطالع المرجع السابق

٣ ــ ومن كتب الأدب كالأمالى للقالى والكامل للمبرد وغيرهما من الكتب الأدبية

٤ ــ ومن كتب التاريخ كالنهاية لابن الأثير وكتاب تاريخ بغداد ووفيات الأعيان لابن خلكان وكتاب حلية الأولياء لأبى نعيم

٥ ــ ومن كتب الطرائف ككتاب الفرج بعد الشدة للتنوخى ، والأذكياء لابن الجوزى

٦ ــ وأيضا من كتب التصوف والزهد ككتاب إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى وكتاب سراج المريدين لابن عربى وكتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى وكتاب سراج الملوك للطرسوسى

٧ ــ هذا إلى جانب كتب اللغة وما يتصل بها

منهجه فى تأليفه كتاب حياة الحيوان الكبرى

خط لنفسه منهجا سليما فى تصنيف ذلك الكتاب ، وكانت طريقته غاية فى التنظيم وفى رعاية التأليف المفيد ، إذ رتبه ترتيبا معجميا يبدأ بما أوله همزة فإذا انتهى منه بدأ بما أوله باء ثم ما أوله تاء وهكذا إلى أن ينتهى بما أوله ياء

وهو فى عرضه لكل حيوان يبدأ بتعريف الحيوان ووصفه حسب ما وصل إليه من معلومات فى عهده وحسب ما قرأه فى كتب السابقين ولا ينسى التصريف اللغوى للفظ الحيوان يعتمد فى كل كل ذلك على ماجاء فى كتب اللغة

ثم يأتى بحكم أكل هذا الحيوان هل هو محرم أو حلال أو مكروه وأقوال الفقهاء فى ذلك ، ويتلو ما كتب بذكر ما قيل فيه من أمثال عربية ثم يذكر خواصه والمنافع التى تجلبها أجزاؤه

ثم يفسر معنى رؤية الحيوان المشار إليه فى المنام فى أوضاعه المختلفة ناقلا ذلك من كتب تفسير الأحلام تحت عنوان (التعبير)

ويبلغ الغاية فى الإبداع عندما يورد فى ترجمته للحيوان ما يكون له من ذكر فى آية قرآنية أو حديث نبوى أو حكمة ومثل أو نادرة أدبى أو فى حادثة تاريخية أو قصة مروية[٥]

مثال مما أورده فى كتابه فى باب الحاء المهملة حسب ما يقتضيه المقام فى هذا المقال

(الحيوان) هو جنس الحى ، وهو ماء فى الجنة ، وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان)[٦] أى ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها ، والحيوان مصدر حى وقياسه حييان ، فقلبوا الياء الثانية واوا ، وقال ابن عطيه : الحيوان والحياة بمعنى واحد وقال الجاحظ الحيوان على أربعة أقسام : شىء يمشى وشىء يطير وشىء يعوم وشىء ينساح فى الأرض وضرب أمثلة على الحيوانات التى تمشى وتلك التى تطير دون ذكر لباقى الأقسام ثم قال : إن الملائكة تطير ولها أجنحة لكنها ليست من الطير وكذلك جعفر بن أبى طالب ذو جناحين يطير بهما فى الجنة وليس من الطير

وفى الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله من مثّل بالحيوان)

---

(٥) مجلة العربى الكويتية المرجع السابق
(٦) جزء من الآية ٦٤ من سورة العنكبوت



والخواص، أجوده حولى المعز، ومنفعته سرعة الانهضام، ومضرته أنه يرخى المعدة، ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة، ويجب أن يعلم أن أفضل لحوم الحيوان ماكان معتدلا فى الهزال والسمن وأجود اللحوم على الإطلاق لحم الضأن المتناهى الشباب، والبقر لم تبلغ سن الشباب

والتعبير: من كلّمه حيوانٌ من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنه كما قال، وإن لم يفهم ماقاله فليحذر على مال يذهب منه لأن الحيوان مأكله، وقد تكون هذه الرؤيا باطلة فلا ينبغى أن يفتش عنها، وجلود سائر الحيوان ميراث، وقيل الجلود بيوت لمن يملكها لقوله تعالى:

(وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا)(٧)

وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس وأموال موروثة أو مغتصبة، وأما القرون فتدل رؤيتها على الأعوام والسنين أو السلاح أو ما يتحمل به من الأموال والأولاد والعز والجاه

مثال آخر فى باب الدال المهملة

الدابة ــ وهى ما دب من الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس منها لقوله تعالى:

(وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)(٨).

وفى قوله جل وعلا:

(وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين)(٩).

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى إن هذه الآية مصرحة بضمان الحق ــ تبارك وتعالى ــ الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين.

وفى شفاء الصدور لابن سبع السبتى عن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (لا تضربوا وجوه الدواب فإن كل شيء يسبح بحمده)،

وقال الإمام أحمد: من شتم دابة قال الصالحون لا تقبل شهادته لحديث المرأة التى لعنت الناقة، وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء ــ رضى الله عنه ــ (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) ويستحب أن يقول ــ عند ركوب الدابة ــ ما رواه الحاكم والترمذى وصححاه عن على بن ربيعة قال: (شهدت على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال (بسم الله) فلما استوى على ظهرها قال (الحمد لله) ثم (سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)(١٠) ثم قال (الحمد لله) ثلاث مرات ثم قال (الله اكبر) ثلاث مرات ثم قال (سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ثم ضحك فقيل: يا أمير المؤمنين من أى شيء ضحكت؟ قال: رأيت

---

٧) جزء من الآية ٨٠ من سورة النحل

٨) جزء من الآية ٣٨ من سورة الأنعام

كتب الحيوان ــ الجزء الأول لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون ــ مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

٩) سورة هود الآية رقم ٦

١٠) الآية ١٣ والآية ١٤ من سورة الزخرف

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت قال (إن ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري) .

ويجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ولا يجوز إذا لم تطقه ففي الصحيحين عن أسامه بن زيد ـ رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أردفه حين دفع من عرفات الى مزدلفة ثم أردف الفضل بن العباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ من المزدلفة الى منى وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أردف معاذا ـ رضي الله عنه ـ على الرحل وأردفه على حمار يقال له عفير

وإذا أردف صاحب الدابة فهو أحق بصدرها ويكون الرديف وراءه إلا أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك

وروى الطبراني عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى أن يركب ثلاثة على دابة وأما دابة الأرض التي ذكرها الله ـ تعالى ـ في سورة سبأ .

(فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته)[11] فدابة الأرض هذه هي الأرضة وقيل سوسة الخشب ، ثم ذكر الدابة التي هي أحد أشراط الساعة وذلك في قوله تعالى .

(وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم)[12] .

فقد روى أنها تخرج حين ينقطع الخير ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يبقى منيب ولا تائب ،

وفي الحديث أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول أشراط الساعة وكذلك الدّجال وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى (تكلمهم) فقال السدى : (تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام) وقيل : كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر وقيل : كلامها ما قاله الله عز وجل :

(أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)[13] .

ويكون كلامها بالعربية ، (هكذا جاء في كتابه)[14]

ملاحظات على كتاب حياة الحيوان الكبرى

يرى بعض النقاد أن الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى وإن بلغ في مؤلفه المشار إليه الغاية في القدرة ، والنهاية في الإبداع عما يورده في ترجمة كل حيوان مما يمر له من ذكر في آية قرآنية أو حديث نبوى أو حكمة أو مثل أو نثر أدبى أو في حادثة تاريخية ، فإن ما يورده من المسائل التاريخية قد يكون بعضه من كتب غير دقيقة في أخبارها أو من كتب أدبية ملفقة غير وثيقة فينقل ذلك دون تمحيص

ومهما يكن من أمر فإن الكتاب حتى إذا طرحت منه أخبار الخرافة فإنه بحق يعتبر موسوعة تحتوى على كثير من العلم والأدب والتاريخ والطرافة ؛ لذلك لقى رواجا بين عامة الشعب وطبع طبعات كثيرة كانت أول طبعة منها في مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ثم توالت طبعاته بعد ذلك .

---

(١١) جزء من الآية ١٤ من سورة سبأ

(١٢) جزء من الآية ٨٢ من سورة النمل

(١٣) جزء من الآية ٨٢ من سورة النمل

(١٤) كتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٦هـ سنة ١٩٥٦م ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر



من روائع الماضي مجلة الأزهر

الميراث في الجاهلية والإسلام وحال الناس منه الآن

لصاحب الفضيلة الشيخ / محمد مصطفى شادي

إعداد وتقديم: د. عبد الفتاح حسين الزيات

هوى النفس هو اللبنة الأولى للانحراف الأخلاق ، لأن النفس فى مجملها أمارة بالسوء ، حيث إنها تنزع إلى الهوى غالبا .

وإذا تسلط هوى النفس على الإنسان أصبح أسير هواه .

فقد كانت هناك قديما عادات تستحكم فى عقول أهلها حتى أصبحت تقليدا موروثا ، وأبرز هذه العادات عادة التوريث فى الجاهلية ، وهى عادة تجافى الواقع ، وتقطع أواشج الروابط الأسرية ، فلما جاء الإسلام نظر إلى تلك الاعتبارات الظالمة ، وعمل على إلغائها تدريجيا ، حتى لا يحدث صدمة فى النفوس ، ووضع ضوابط لهذه المسألة الهامة نزل بها القرآن محددا أنصبة المواريث وأصحابها ، وجاءت السنة النبوية فزادت الأمر إيضاحا حتى لا يكون لأحد حجة بعد الرسل .

ومن أظلم ممن يجاهر اليوم بالمساواة بين الرجال والنساء فى الميراث ناسيا أو جاهلا حكمة الله ، زاعما أن النظام الأسرى فى عالم اليوم يتطلب إعادة النظر فى نظام التوريث وحجته أن لا فرق بين الرجال والنساء فى عالم اليوم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

قال الأستاذ :

نظام توريث المال بين الأقارب من النظم الإسلامية الهامة ، المؤسسة على خير الأسس الصالحة لكل الأزمان ، الموافقة لحاجات الجماعات والبيوت والشعوب ، لأنه تشريع الله

الذى يعلم من أمر الخلق مالا يعلم الخلق من أمر أنفسهم ، فاذا كان قد ران على بعض القلوب جحود حجبها عن الحقيقة ، وحجبت الأبصار غشاوة حالت بينها وبين النور ، ووصلت إلى العقائد أثارة من الإلحاد والشك ، بعدت بها عن الرجوع إلى حجر الإيمان الثابت واليقين الصادق ، والطريق القويم ، مما أدى إلى شيوع روح التمرد من بعض الذين يكمن فى طبائعهم التمرد والجموح على الدين ، وإلى ذيوع البحث فى هذه القاعدة الهامة من قواعد الدين الإسلامى بين كثير من المسلمين وغيرهم ، بحثا تعدوا فيه حدود الله ، وخرجوا على ما افترض ، وناقضوا ما وصى به ـ فإنى أجلو الحقيقة فى نظام توريث المال فى الجاهلية والإسلام ، لعلى أحول بين هذه القلوب وبين الجحود والظلمة والشك والالحاد :

لقد كان أهل الجاهلية يتوارثون بشيئين : أحدهما النسب ، وثانيهما العهد ، أما توريثهم بالنسب فلم تكن تنظمه المساواة الحقة بين الذكور والإناث والصغار ، فإنهم ما كانوا يورثون الصغار ولا الإناث ، وإنما كانوا يقصرون الميراث على الرجال الذين يشنون الغارات ، ويخوضون المعارك ، ويظفرون بالغنائم والأسلاب . وأما العهد فمن ناحيتين : الحلف والتبنى . أما الأول فقد كان الرجل فى الجاهلية يقول لصاحبه : دمى دمك ، وهدمى هدمك ، وترثنى وأرثك ، وتطلب بى وأطلب بك . فإذا تعاهدا على هذا الوجه فأيهما مات قبل صاحبه كان للحى ما اشترط من مال الميت . وأما التبنى فإن الرجل منهم كان يتبنى ابن غيره فينسب إليه دون أبيه من النسب ، فإذا مات مدعى البنوة ورثه الإبن المتبنى . والتبنى نوع من أنواع التعاهد .

ولما بعث رسول الله ﷺ وأعلن الدعوة للإسلام بين الجاهليين ، لم يكن نظام الميراث بالشىء الذى يوضع له التشريع قبل تصحيح العقائد ، وإعداد النفوس ، فترك نظام التوريث على ما كانوا عليه فى الجاهلية . ورأى بعض العلماء أنه لا مانع من أن يكون الله سبحانه وتعالى قد أقرهم على ذلك ، لقوله تعالى :

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ .

ولقوله :

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾[1] .

إذ المفهوم من الآية الأولى التوارث بالنسب ، ومن الثانية التوارث بالعهد .

وقد وضع النبى ﷺ للوراثة بين المسلمين الأولين نظاما وقتيا مبنيا على الهجرة والمؤاخاة .

فأما الهجرة فقد كان المهاجر يرث أخاه المهاجر ، على شريطة أن يكون كل منهما مختصا صاحبه بمزيد المخالطة والمخالصة . وأما المؤاخاة فقد كان المتآخيان اللذان يؤاخى بينهما رسول الله ﷺ يرث أحدهما الآخر .

(١) النساء آية ٣٣

واستمر الحال على هذا المنوال فى الميراث إلى أن استشهد سعد بن الربيع ـ رضى الله عنه ـ وترك ابنتين وزوجا وأخا ، فأخذ الأخ المال كله . فجاءت زوجه إلى الرسول ﷺ وقالت : يارسول الله هاتان ابنتا سعد ، وإن سعدا قد قتل ، وإن عمهما أخذ ما لهما . فقال رسول الله ﷺ : « ارجعى فلعل الله سيقضى فيه » . وبعد فترة من الزمن عادت باكية إلى النبى ﷺ ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾(٢) .

إلى آخر آيات التوارث . فدعا رسول الله ﷺ عمهما وقال له :

أعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقى فهو لك .

وهذا أول ميراث وقع فى الإسلام .

وقضى الله على التوارث بالتبنى بقوله ـ جل شأنه :

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾(٣) .

وأبطل التوارث بالهجرة والمؤاخاة أيضاً بقوله تعالى :

﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾(٤) .

بهذه الآيات بطل نظام التوارث فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وقام النظام الجديد مقامه ، وهو المعمول به بين المسلمين إلى اليوم .

وصية الله ووجوب تنفيذها :

فنظام توريث المال بين الأقارب ـ كما قلنا ـ أعدل نظام وأحكم دستور ، لأنه من صنع خالق البشر ، والمسيطر على القوى والقدر ، والعليم بحاجات الأسر ، وما يتركز فيها من عناصر النفع والضرر ، ولذا فقد صدره الله بكلمة الوصية فقال جل شأنه :

﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم** ﴾ الآية ، وختم هذه الوصية بقوله :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٥) .

وفى هذا بيان للناس أن التمرد على هذا النظام ، والخروج على قوانينه ، تمرد على المشرع الأعظم ، وخروج على وصيته التى دانين بها الآباء نحو أبنائهم ، وفرضها على أولى الأرحام بعضهم نحو بعض

---

(٢) سورة النساء آية ١١
(٣) سورة الأحزاب آية ٥
(٤) سورة الأحزاب آية ٦
(٥) النساء ١٣ ، ١٤ .

الشاكون في هذا النظام هم العادون :

ليس من شك في أن الذى يعطل هذا القانون إنما يتعدى حدود الله التى حددها ، ويخرج على شريعته التى اشترعها ، سواء كان أبا أو ابنا ، فالآباء الذين يحبسون أموالهم على أبنائهم الذكور ، والأبناء الذين يحملون آباءهم على حبس المال عليهم ، خارجون على وصية الله ، معطلون لأحكامه .

الإسلام أنصف المرأة في الميراث :

يخطىء كثيرا أولئك الذين يغضون من الإسلام حكمه بين الرجل والمرأة في الميراث ، ولو تجردوا من تعصبهم وراموا الاقتناع والخضوع للحق ، لأيقنوا أن الإسلام أكرم المرأة بهذا التشريع وأغدق عليها من الفضل ما تستحقه ، يقول الله تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(٦)

هذه القوامة التى للرجال على النساء إنما راعى فيها الشارع أصل الطبيعة البشرية ، فإن الرجل أكمل من المرأة في الصفات الخلقية والعقلية وأصلح منها للاضطلاع بالوظائف العامة وأقبل منها على البذل في المشروعات الكبيرة والمرافق العامة ، وأقدر منها على تجشم المشاق في سبيل إسعاد أسرته وأمته . ونصيب المرأة من الميراث سبيله الادخار والجمع ، ونصيب الرجل موزع على زوجه وأولاده ، فالرجل مكلف بالمرأة وليست المرأة مكلفة بالرجل ، فإذا جعل الإسلام نصيبها على النصف منه فقد أكرمها وساعدها ، ورفق بها وأسعدها .

عدل الإسلام في الميراث يتجلى في حظره المفاضلة والمحاباة فيه ، كما يؤخذ في الأحاديث الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع ﷺ :

١ - فعن النعمان بن بشير قال : قال النبى ﷺ : « اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم » رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

٢ - وعن جابر قال : قالت امرأة بشير : انحل ابنى غلاما وأشهد لى رسول الله ﷺ . فأتى رسول الله ﷺ فقال : « إن ابنة فلان سألتنى أن أنحل ابنها غلامى . فقال النبى : له إخوة ؟ قال نعم ، قال : فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته ؟ قال بشير : لا . قال : فليس يصلح هذا وإنى لا أشهد إلا على حق » رواه أحمد ومسلم وأبو داود ، ورواه أبو داود من حديث النعمان بن بشير ، قال فيه : « لا تشهدنى على جور ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم » .

انقسم أولو الرأى في النظر إلى هذه الأحاديث وفهمها وتحرى وجه الحق فيها إلى قسمين : مجوزين للتفاضل ، ومانعين له ، أما المجوزون فقد سلكوا مسالك في التأويل والتخريج سدها المانعون عليهم بما أوضح الحق ، وبين المعالم ، وترجم عن الروح الحقيقى الذى قصد إليه الشارع ، وقضى فيه بالنصر والظفر والسلامة من الضعف والتعصب .

طغيان المادة على العقيدة في هذا العصر قد ولد حالة اجتماعية ينكرها الإسلام :

---

(٦) النساء آية ٣٤



إن الذين تحرروا من قيود التعصب المذهبي أو الطائفي أو الجنسي من العلماء والباحثين ، ليعتقدون عن حق لامرية فيه أن الترقيات المادية التي تمت في هذا العهد الأخير قد زجت بالناس في حالة من الشذوذ والانحراف ، والخروج على العقائد ومقومات الأخلاق ، تجعلهم عرضة للفوضى الطاغية ، وقذفت بهم إلى معمام من التزاحم والتناحر لا تتفق وشرف الإنسانية ، ولا المدنية الفاضلة ، هذه الحالة الشاذة التي خلقها التنازع على المال قد عالجها الإسلام بنظامه المالي القيم ، فجعل أمته متكافلة متعاونة في الاستفادة والافادة من الثروة العامة ، وسن للوراثة قسمة عادلة لا يستطيع المتمردون على الدين أن يجدوا فيها عوجا ولا حيفا .

على أن الإسلام لم يعتبر المال كل شيء في الحياة ، ولم يجعله الثمرة الشهية ، والنتيجة الطيبة بعد هذه الحياة ، بل إنه نظر إليه كقوام للحياة يدور به دولابها ، ويتقدم به سيرها ، وينال به ما فيها من متاع وعرض ، وآمال ورغـــائب ومطالب ، ولكن الإسلام جعل العقيدة والعمل الصالح الجواز الذي يوصل إلى السعادة الحقيقيه ، والخلق الكريم العامل المهم في الدنيا والآخرة . ولما كان مجال التوريث يمكن أن يتسرب منه شر مستطير ، وضع الإسلام له نظاما محكما وحظر على أهله تعديه ، فالذين يحبسون أموالهم على بعض أولادهم ، والذين يستكتبون آباءهم في الأيام الأخيرة لهم ليستأثروا بأموالهم ، أو يزورون عليهم وثائق ، أو يطمعون في أخواتهم يمنعونهن النصيب الذي قدره الله لهن ، إنما هم خارجون على وصية الله وحكم الله في الأموال ، مسيئــون إلى الإنسانية ، مقطعون أرحامها ، عادون على قوانينها ونظمها ، راجعون بها إلى عهود البداءة والغارات ، هادمون لدعائم المجتمع ، لما يترتب على ذلك من حقد القلوب ، وحنق الصدور ، وتقطيع صلات المودة والقربى ، وشيوع العداء بين الأسر والجماعات .

ولقد بين القرآن الكريم أن إيثار يعقوب عليه السلام ليوسف بالحب والحنان ، قد دفع إخوة يوسف ــ عليه السلام ــ إلى الجرأة على أبيهم وعقوقه حتى قالوا : « **إن أبانا لفي ضلال مبين** » ، ودبروا القتل لأخيهم ، فكيف بالتفضيل المادي في أمة ملكها حب المال ، وجعلت إلهها هواها ، وأسرفت في المتاع والشهوات ؟!

وكذلك فإن الدولة الإسلاميــة الأولى ، وحياتها الاجتماعية ، وما قام عليه الناس على عهدها من المثل العليا والسمو الروحي وما جبلت عليه نفوسهم ، وامتلأت به قلوبهم من الإنسانية الرشيدة المعرضة عن لذائذ الجسد ، ومطامع النفس ، وزخارف الدنيا ، ووساوس الشيطان ، كل ذلك ليقوم دليلا على أن الأمة الإسلامية الأولى ، وروائدها كتاب الله وشرع رسوله ، لم تعبد المال كما يعبده أهل هذا العصر ، بل قصرت عبادتها على الله ، ولم تحكم بالمال كما يحكم به أهل هذا الجيل ، بل حكمت بكتاب الله ، ولم تشرع لأنفسها تبعا لهواها كما يشرع أهل هذا العهد لأنفسهم ، بل ارتضت وأذعنت وصدقت بشرع الله ، ولذلك مكن الله لها في الأرض ، وسلمت لها كل عناصر الحياة وأسبابها ، وارتبطت كلها برباط واحد هو حب الله تعالى .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم :

د.محمد عبد الحكيم محمد

بك أستعين

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

بك أستعين ومن سواك يعين	ويعز معتصماً به ويصون
بك أستعين على المكاره والأسى	وأنا بأغلال الحياة سجين
بك أستعين إذا تشابكت الرؤى	وتكحلت وهم السراب جفون
بك أستعين إذا تلفت خاطر	أو طاش لبٌ شارد مجنون
بك أستعين فأنت نور بصيرتى	تعنو إليك مشاعر وعيون
لك فى عبادك يا كريم شئون	وبهم إليك تضرع وحنين
يا عالم النجوى وكل سريرة	يا مدركاً للغيب كيف يكون
سويتنى جلت يداك بحكمة	تجلو لأصحاب النهى وتبين
كرمتنى دون الخلائق شامخاً	تختال منى هامة وجبين
من نطفة كونت أصل حكايتى	ماء بأصلاب الرجال مهين
فحفظتنى ورعيتنى فى مأمن	وأنا بأكناف الظلام جنين
أحيا على درب الحياة مسافراً	مهما تطاول أعمر وقرون
لابد من موت وضجعة راحل	لم تغن عنه قلعة وحصون
يا رب والدنيا صراع دائر	تقسو علينا تارة وتلين
والفكر أثقله الصراع مشتت	تبدو عليه حيرة وظنون
يارب جنبنا العثار وبخنا	فبغير نورك لن تسير سفين
وامنن علينا من رضاك تكرماً	فرضاك كنز للقلوب ثمين
يارب يا رحمن صرخة حائر	بك يستعين ومن سواك يعين

الإمام الشافعي

رضي الله عنه

المتوفى سنة ٢٠٤ هـ

هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي ، يجتمع مع رسول صلى الله عليه وسلم في عبد مناف .

كان الشافعي ـ رضي الله عنه ـ كثير المناقب ، جم المفاخر ، وكان من أعلم الناس في عصره بكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ـ وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويلهم .

ويعتبر من أعرف أهل زمنه بلغة العرب وهو الذي استنبط الكثير في (أصول الفقه) وأيقظ أهل الحديث .

قال أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ « ما من أحد ممن بيده محبرة وورق إلا وللشافعي في رقبته منة » .

واتفق كافة العلماء من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة وغيرهم على ثقته وأمانته وعدالته ، وسخائه ، وزهده ، وورعه ، ونزاهة عرضه ، وعفة نفسه ، وحسن سيرته ، وعلو قدره .

وللشافعي شعر كثير في أغراض مختلفة اجتهد البعض في جمعه ـ كله أو معظمه ـ في ديوان سمي باسمه ومن شعره في المؤاخاة

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير في ود يجيء تكلفا
ولا خير في خل يخون خليله ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشا قد تقادم عهده ... ويظهر سرا كان بالأمس في خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق يصدق الوعد منصفا
إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة ... وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا

السحر والساحر

للشاعر / محمد عبد الرحمن صالح الدين

هل صحيح يعترى الأحياء فوق الأرض سحر
هل به يلتاث فى الإنسان إحساس وفكر
هل به يعمى بصير أو يصيب السمع وقر
هل به قد جف ماء أو به ينشق نهر
إنه فى محكم القرآن تخييل وكفر

• • •

هل أقام السحر ملكا أو به قد هار ملك
هل به قد حل ضنك أو به قد زال ضنك
هل جرى حقا بأيدى ساحر عقد وفك
لا ورب ليس فى بطلان دعوى السحر شك
كل ما يجريه أو يرويه أهل الزيغ إفك

• • •

أيها الإنسان إن الطبع فى الأحياء فِطْرة
ليس للمخلوق فى تغيير صنع الله قدره
ينفث المحتال فى أوداج بعض الناس هذْره
سحره الإيهام والتخييل فى إبان سكره
ثم يصحو بعدها المخدوع فى هم وحسرة

• • •

عالم في الكيمياء قالوا قديما عنه : ساحر
إنه في أعين الجهال والأغرار قادر
يجعل الحصباء درا ومعدنا كالنجم باهر
ويشع النور منه في ظلام للنواظر
بعد أن يُطلى (بفسفور) خفى غير ظاهر

• • •

كان هذا في زمان الجهل والعهد القديم
كيف يبقى ساريا كالداء في بعض الحلوم
في زمان فيه تجلو اللبس أضواء العلوم
فإذا الأسرار تبدو ساطعات كالنجوم
في وضوح ذمه الاسلام في الذكر الحكيم

• • •

لا يصيب السحر إلا كل فج الفكر جاهل
أو سقيم النفس غِر غائب الإدراك غافل
ما رأينا أن سحرا منه عانى أى عاقل
مستنير ليس يغويه يمين قول قائل
إن نور العلم والايمان يأبى كل مائل

توضيح :

- بعض الدجالين ومدعى الولاية كان يدهن جسمه بالفسفور فيظهر للناس مشرقا فيعتقدون أن هذا من نور التقوى .

- الحلوم = العقول - فج = غير ناضج - غر = غير مجرب - يمين = يكذب ويمان

حَنِينُ المغْتَرِب

شعر: د. ربيع محمد صادومة (*)

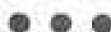
بمصر تركت فلذات الفـؤاد   بَنِيَّ وأمهم وثـرى بلادى
رُبيتُ بها وأبنائى وأهلى   وبين رُبوعها ممسى وغادى
يناديني بَنِيَّ إلى رُباها   يناغون الجنى يوم الحصاد
فهام القلب بعد النأى عنها   هُياما منهُ ألم البعاد
فأعقب لوعة نكأت جراحا   وأعقب لذعة قدحت زنادى
أحِنُّ مع الصباح إلى شذاها   وأشقى بالحنين مع السُّهاد
وكيف النوم والذكرى رياحٌ   تبُثُّ صريرها تحت الوساد ؟
فيبكى الساهر الأرِق اشتياقا   ويسليه الرُّؤى بَرْد الرُّقاد
تمكَّن حبك العذرى منى   وما لهوى الأحبة من نفاد
إذا سكنتْ ملوك الأرض قصرا   فمسكنك المشيَّد فى فؤادى



فيا مصر الكنانة كيف أسلو   وصوتك ساحرٌ أذن الجماد ؟
بألحان سرَتْ فى كل ليل   وأنغام رَنَتْ فى كل نادى
وآثار حوتْ من كل فن   صنوفا من وثائقه التلاد
وأهرام ثوت حصنا منيعا   حمى مجد الجدود من الأعادى
فشُردت الطغاة بكل فج   ومُزقت البغاة بكل وادى
منحت حضارة الدنيا سجلا   يعزُّ مثاله بين العباد

(*) الشاعر أستاذ مساعد بجامعة الأزهر ، سابقا ، وهو معار إلى السعودية .

فسطرت العلوم قبيل «روما» وشيدت المعالم بعد «عاد»
على البردى مخطوطات «مينا» منمقة بألوان المداد



يممت القريض أزيل بثي لعل من القريض شفاء شادى
فما بلت بحور الشعر غصني ولا روت المياه عروق صادى
أبعد النيل للظمآن غيث يبث الحب في جوف الرماد؟
فرتم القفار عروس نهر وتبتسم الأباطح والبوادى
فيا أم القرى من غير منٍّ، وكم لك في البرية من أيادى!
فديتك ما حييت فأنت روحى وعافيتي وترياقي وزادى
إذا أيامنا افترقت فإني لذو أمل أرد إلى معاد

ضراعة للشاعرة روحية القليني

أنا عبد بابك يا حبيبي لم أجد إلاه بابا
أنا ما لجأت لغيره بضراعتي أرجو الثوابا
فاشمل بعطفك يا إلهي من إليك أتى وتابا
إني أرى الدنيا بغير رضاك ـ يا ربي ـ سرابا



أنا ما قصدتك مرة إلا وذللت الصعابا
وإذا لجأت إليك يصبح مطلبي أملا مجابا
إن قلت يا ربي ترد مع الرضاء لي الجوابا
الليل يعرفني سهادا بالتقى دمعا مذابا



والفجر يشهد كيف أتلو بالضراعات الكتابا
فإذا عفوت فعفوك المرجو يلهمني الصوابا
أني اتجهت أراك يا ربي فتكشف لي الحجابا
فأرى الحقيقة في ضمير الكون تمحو الارتيابا



ناديت بالقرآن يا رحمن قلبي فاستجابا
وأطاع أمرك مسلما فامنحه يارب المثابا

المنتصرون

شعر: عبد الغفار الدلاش

سلوا الشيشان عن أمره
وما يلقاه من عصره ! ؟
وللإلحاد والشذاذ
إصرار على ذخره
فيا للمسلم العملا
ق من فخر على صبره !
تُروّعُ دولة عظمى
فلم تقدر على قهره !

● ● ●

يُمدُّ الحقُّ من والاه
بالأمداد من بِرّه
ويخذل باغي العدوان
مهما كان من مكره
يمضي البغي مندحراً
يريح الناس من شره
وَيَخْفِزُ جاهلا بالكيد
والعدوان في قبره !
وتعلو راية الإيمان
يوم النصر في ظفره !!



العلوم الكونية

كيف نتعامل مع العلوم الكونية

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

إن العلم ـ بتطبيقاته وتقنياته ـ يصب مباشرة فى نفس الإنسان ووعيه وتجربته ، ويلقى بظلاله على أنماط العلاقات والسلوك بين الأفراد والمجتمعات ، ويسهم إسهاماً مباشراً فى رسم تصورات الإنسان عن هيئة الكون الذى يعيش فيه ، ويؤثر فى كل مرحلة يبلغها من تطوره على مناهج التفكير وطبيعة التحول فى مختلف ضروب النشاط الإنسانى . ولقد تشعبت القضايا المتعلقة بصناعة العلم فى عصرنا بحيث أصبح من الضرورى البحث عن أسلوب أمثل فى التعامل معه لفهم طبيعة نموه ومجالات تأثيره وآفاق تسخيره لخدمة حياة الأحياء كما أرادها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الأرض .

ونشأ نتيجة لهذا مبحث جديد يسمى «علم العلم Science of Science» ، ويقوم على تحليل لغة العلم من جوانب مختلفة لايمكن للعلم أن ينسلخ عنها هى :

١ ـ تاريخ العلم :

وهو أحد فروع «علم العلم» المعنى بوصف وتقويم حركة العلم عبر مراحله التاريخية المتعاقبة للوقوف على عوامل تقدمه أو تعثره من وجهات نظر متعددة ، ويتميز تاريخ العلوم الكونية عن تاريخ الأحداث الماضية للأشخاص والحضارات بأنه يتكون دائما من حقائق قابلة للتحقيق والاختبار والاستنتاج إذا ما توفرت لها نفس الظروف أو اتبع فى استنتاجها نفس الأسلوب .

وسرد هذه الحقائق تحكمه نظرة انتقائية منظمة لها وفقاً لمحور أساسى يضمها ويجذبها إلى مسار له اتجاهه الخاص ، ذلك لأن الحقائق العلمية ليست كلها على درجة متكافئة من الأهمية والدلالة عندما يتناولها المؤرخ بالتحليل والتفسير فى أى عصر من العصور .

من هنا تتضح أهمية تاريخ العلم فى صياغة نظريته العامة ، حيث يستحيل انفصال العلم عن تاريخه ، باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان ، وإذا

---

(١) د. أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤م

د. صلاح قنصوه ، فلسفة العلم ، القاهرة ١٩٨١م .

ما ران على العلم جهل بتاريخه ، فإنه لامحالة مخفق فى مهمته . ومايهمنا فى هذا المبحث الهام أنه يشمل جزءاً كبيراً من التاريخ العلمى والحضارى يخص الحضارة الإسلامية ودورها الرائد فى ترقية الحياة البشرية وتطوير العلوم ومناهجها .

٢ ـ «سيكولوجية العلم» :

وهى التى تبحث فى العمليات النفسية والعقلية التى تتعلق بالكشف العلمى ، وما يقترن بها من القدرات الإبداعية والخيالية الموجهـــة لحل المشكلات العلمية . فالكشوف العلمية تأتى فى المقام الأول تأملات عقلية يوشيها الخيال العلمى السليم ، ثم تخضع بعد ذلك لمنهج التحليـــل والتحقيق . والمسائل العلمية لها أصول عميقة فى الوعى البشرى . قد تصعب ـ أحيانا ـ على مستوى التحليل ، ولكنها سرعان ماتبدو للعباقرة فيلتقطوها بالحدس أو البداهة ، ثم يفرغوها فى نظريات علمية تتطور مع الزمن شيئاً فشيئاً . وتاريخ العلوم حافل بالكثير من أقوال وسير العلماء الذين صنعوه ، وفيها مايتضمن إدراكهم الواعى لأثار تجاربهم واكتشافاتهم ، وثقتهم المسبقة فى سلامة نظرياتهم على المدى البعيد .

٣ ـ «سوسيولوجية العلم» :

وتعنى بالبحث فى التفسير الاجتماعى لتطور النظريات العلمية ومدى تقبل المجتمع لها ، بالإشارة الى أسلوب التنظير العلمى ونمطه الذى يعكس الصيغة السائدة فى مجتمع ما . وهنا يأتى دور المعايير الثقافية والسلوكية والعقائدية فى التأثير على تحديد الاتجاهات العقلية . وما حدث لجاليليو وغيره من علماء أوروبا يدل على أن حالة الثقافة السائدة فى زمن ما ومكان ما يمكن أن تكون عقبة تحول دون صياغة الفروض التى تؤدى مباشرة إلى توجيه ملاحظات وإجراء تجارب تدور حول وقائع قد سبق تحديدها تحديداً يجعل منها علما ، وهنا أيضا تبرز أهمية التربية السليمة فى بناء المزاج العلمى للمجتمع وتكوين الثقافة العلمية المتكاملة والارتقاء بالذوق العلمى العام ، لما لها من أثر بالغ فى تحديد الاتجاهات العقلية بما فيها التفكير العلمى ومنهجية البحث فى العلوم المختلفة . وعندئذ نجد الملاذ فى المنهج الإسلامى الذى يحرر العقل من الخرافات والأوهام ويطلقه للتفكير بغير حدود للكشف عن آيات الله فى الوجود[١] .

٤ ـ «اكسيولوجيا العلم» :

وهى ما يعرض للبحث فى القيم والمثل العليا ومدى ارتباطها بالعلم وخصائص التفكير العلمى باعتبار المعرفة العلمية واحدة من أهم فاعليات النشاط الإنسانى وأرقاها . إن كثيرين من العلماء والمفكرين يتوقون الى الانفلات من النظام المحكم الصارم القائم على العلم الواقعى لكى يستشعروا نشوة التأمل فى النواحى الجمالية والجوانب الانسانية المتعلقة بقيم الحق والخير ، ولذا نجد أن كتب التأمل التى يكتبها العلماء بعد كل كشف علمى يوسع نطاق معرفتهم قد حظيت باهتمام كبير ، ولانعجب من قول «اينشتين» بأنه أفاد من الروائى الروسى «دستويفسكى» بأكثر مما أفاد من العالم الرياضى المعـــروف «جاوس» . كما أن الاطلاع على الفيزياء المعاصرة مثلا يسوغ ـ من ناحية أخرى ـ الإعراب عن آراء لاتقتصر على موضوع بناء المادة وعلاقتها بالطاقة وحسب ، بل تعدوها الى طبيعة الحياة ووجود الارادة الحرة وغيرها .

وتظهر أهمية هذا الجانب «الأكسيولوجي» من «علم العلم» واضحة جلية في هذا العصر الذي نعيشه أكثر من أي عصر مضى ، لأن الفلسفات العلمية المعاصرة ، باستخدامها لرمزية اللغة ، ساعدت على ظهور فئات عديدة منفصلة انفصالاً فكرياً بعضها عن بعض ، بما تعانيه من تجارب وما تستعمله من ألفاظ ، وما تطلقه على الرموز من معان . ومن ثم فإن فلسفات العلوم المعاصرة تنتظر من يأخذ بيدها ويفرغها في صيغة جديدة ، في نطاق معان إنسانية واسعة تتفق مع مطالب الذهن المثقف بكل ما أغرته هذه العلوم من حقائق علمية . والمنهج الإسلامي هو ما يجد فيه هذا المثقف المنتظر عناصر الفهم الكامل للحقيقة المطلقة التي يسعى الإنسان إلى إدراكها من وراء بحثه في ظواهر الكون والحياة ، وهو ما يجد فيه ـ أيضا ـ الأجوبة الشافية على المسائل التي تؤرق العقل عن الكون ومصير الإنسان . بل إن هذا المثقف المنتظر سوف يجد في المنهج الإسلامي متسعا لكل أنواع القيم النبيلة التي تجعل من المعرفة غاية سامية لخدمة المجتمع الإنساني بأسره .

٥ ـ «أبستمولوجيا العلم» :

وتعني البحث في نظرية العلم من حيث إمكان المعرفة العلمية ومصادرها وطبيعتها والبحث في إمكان المعرفة يتضمن النظر في إمكان العلم بالوجود أو العجز عن معرفته ، وفيما إذا كان في وسع الإنسان عن طريق العلوم المختلفة أن يدرك الحقائق اليقينية وأن يطمئن إلى صدق إدراكه وصحة معلوماته ، أم أن قدرته على معرفة الأشياء مثار للشك وعدم اليقين . أما البحث في مصادر المعرفة فيتعرض للنظر في منابعها وأدواتها المتمثلة في العقل والحس والحدس وغيرها من الملكات الإدراكية التي أنعم الله بها على الإنسان ، وكذا للنظر في أنواع المناهج العلمية المستخدمة لوسائل المعرفة ومدى مقدرتها على ضمان سلامة التحصيل المعرفي . وأما البحث في طبيعة المعرفة فيمس حقيقتها وقيمتها وحدودها بين الاحتمال واليقين ، وكذا ماهية العلاقة بين الباحث وموضوعات بحثه في مختلف العلوم . وهناك يحسم التصور الإسلامي كل أشكال الجدل المثار بشأن قضية المعرفة ومصدريها في الوحي والكون وغاياتها في بلوغ الحقيقة الناصعة بعيداً عن أوهام الفلسفات الوضعية الرديئة .

٦ ـ «أنطولوجيا العلم» :

وتعني البحث في كشف طبيعة الوجود اللامادي في القضايا «الميتافيزيقية» المترتبة على التصورات أو المفاهيم والقوانين العلمية ، مثل : المادة والطاقة والزمان والمكان والكيف والعلة والقانون وغيرها ، فمثل هذه المفاهيم تشكل وحدات أساسية في نسيج المعرفة العلمية ، بالإضافة إلى أنها تدخل في رسم الصورة التي يتخيلها الإنسان عن الكون وفق ما ترتضيه هويته الثقافية ونزعته الفلسفية أو الدينية .

وهكذا فإن كل ما يعني من العلوم بالبحث حول العلم ولايكون جزءاً من لغته الموضوعية إنما يندرج تحت «علم العلم» بمعناه الأعم والأشمل ، وهو ضروري لكل من يريد تعاملا واعيا وفهما حقيقيا لقضايا العلوم الكونية في نطاق الثقافة السائدة وفي حدود أوضاع اجتماعية واقتصادية وروحية وأخلاقية لايمكن إغفالها .

الصحة الإنجابية

٢ الأمراض التناسلية المنقولة جنسياً

الدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

قدمنا ـ في العدد الماضي ـ كلمة عن أمراض البروستاتا مع عرض لما يترتب على الإثارة الجنسية السلبية، ومثلها غير الطبيعية .. وأثر ذلك عليها ، ونواصل ـ في هذا العدد ـ الحديث عن الأمراض التناسلية المنقولة جنسيا ، تلك التي حذر الإسلام منها ، ونقصد بها التي تنتقل بالجماع ، ويعتبر الوطء المحرم ـ بكل أنواعه ـ وبخاصة مع المحترفين والمحترفات هو أهم أسباب الإصابة بهذه الأمراض . وفيما يلي نقدم عرضا لبعض هذه الأمراض :

(أ) الكلاميديا : هو المرض التناسلي الأول في العالم ، والميكروب المسبب لهذا المرض هو نفس الميكروب المسبب لمرض (التراكوما) بالعين.

الأعراض في الأنثى :

١ ـ حرقان بالبول مع كثرة التبول.

٢ ـ قد يكون هناك احمرار بالفرج مع حرقان.

٣ ـ التهاب في عنق الرحم.

٤ ـ إجهاض مبكر.

٥ ـ عقم.

أما بالنسبة للذكر

فإن الأعراض هي كثرة التبول مع وجود افرازات صديدية من الذكر مع حرقان.

التشخيص :

هو مرض صعب التشخيص ويحتاج إلى تحليل من نوع خاص.

(ب) السيلان : الميكروب المسبب للمرض ، هو ميكروب يسمى Gonococcus وفترة حضانته تتراوح بين يومين إلى أسبوعين . (فترة الحضانة هي الفترة بين دخول الميكروب وظهور الأعراض).

الأعراض في الأنثى :

١ ـ حرقان في البول مع كثرة التبول.

٢ ـ إفراز صديدى مع قناة البول.
٣ ـ حرقان بالفرج واحمراره.
٤ ـ أعراض التهاب الرحم، أو التهاب قناة (فالوب) الحاد.

وفى الذكر :

حرقان فى البول مع كثرة التبول.

إفراز صديدى من قناة مجرى البول.

حرقان بفتحة الذكر مع احمرارها.

المضاعفات :

قد ينتشر الالتهاب فيمتد إلى الرحم والمبيض، وقد يمتلىء البوقان بالصديد وتحدث التصاقات لقناتى (فالوب) مما يؤدى للعقم، وتؤدى الالتهابات والالتصاقات الحادثة إلى آلام فى الحوض ، وآلام عند الجماع ، واضطراب الدورة الشهرية، وإمساك مزمن.

وبالنسبة للرجل: فإن أهم المضاعفات هى انسداد القنوات الناقله للمنى مما يؤدى الى العقم.

التشخيص :

يتم التشخيص بواسطة الأعراض، وأخذ عينات من عنق الرحم، وقناة غدة (بارثولين) بالنسبة للمرأة ، وقناة مجرى البول لدى الرجل، وبعض اختبارات الجلد فى الجنسين.

٣ ـ الزهرى : الميكروب المسبب للمرض ميكروب حلزونى الشكل يشبه (البريمة) ، وأكثر أماكن دخول الميكروب للسيدات تكون من الفرج، وعنق الرحم. وفى الرجل من قناة مجرى البول والشرج.

أعراض المرض :

يظهر المرض فى ثلاثة أطوار ...

أ ـ الطور الأول : بعد دخول (الميكروب) يظل فى فترة حضانة تتراوح بين عشرة أيام إلى ثلاثة أشهر، بعدها تظهر قرحة صلبة على الأغشية المخاطية، وعادة تكون القرحة غير مؤلمة، وتكبر معها الغدد الليمفاوية فى المنطقة، ويرشح سائل خفيف من هذه القرحة، وهو معد للغاية.

التشخيص :

يتم التشخيص بواسطة الأعراض (الإكلينيكية) وفحص السائل المرشح (ميكروسكوبياً) بواسطة طريقة إضاءة خاصة حيث يمكن رؤية (الميكروب).

ب ـ الطور الثانى : يختفى الطور الأول بعد أن يبقى عدة أسابيع، وبعد حوالى شهرين تغزو الميكروبات الدم، ويظهر طفح جلدى عام ذو لون نحاسى، وهذا الطفح لايسبب هرشاً، وتظهر التهابات وبقع بيضاء فى الفم والأغشية المخاطية مع ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة، وقد تظهر ثآليل تناسلية زهرية على الفرج، وحول الشرج، وقد تستمر هذه المرحلة إلى سنتين، وإذا حملت السيدة ـ فى هذه الحالة ـ وضعت طفلاً مشوهاً أو ميتاً، أو يحدث لها إجهاض.

التشخيص :

يتم عن طريق الأعراض (الإكلينيكية)، وتاريخ المرض، وفحص السائل من البقع التى على الأغشية المخاطية (ميكروسكوبيا) بإضاءة خاصة، أو بعمل تحليل للدم مثل اختبار (وزرمان) أو (فى . دى . آر . ال V . D . R . L).

ج ـ الطور الثالث : إذا لم يعالج المرض أثناء طوريه: الأول والثانى، فقد يسكن المرض، ويكمن لعدة سنوات قد تصل إلى ثلاثين سنة، وفى هذه

الفترة الطويلة تهاجم الميكروبات أجهزة الجسم المختلفة، وبخاصة القلب والأوعية الدموية والمخ والأذن والعين والمفاصل والعظام، مما يؤدى إلى عدة أمراض خطيرة مختلفة مثل: تمدد الشريان الأورطى، وهبوط القلب، والشلل، والجنون.

التشخيص :

تحليل الدم والفحص (الباثولوجى) للأنسجة المصابة.

٤ ـ الهربس التناسلى :

هناك نوعان من الهربس البسيط :

النوع الأول : يصيب الشفاه والفم، ونراه غالباً مع الإصابة بالحميات.

النوع الثانى : يصيب الجهاز التناسلى.

أعراضه :

بعد فترة تتراوح بين يومين إلى سبعة أيام تظهر الأعراض لأول مرة. وقد تظهر الأعراض ـ بعد ذلك ـ على فترات نتيجة لنشاط (الفيروس) الكامن وهى:

١ ـ تنميل (numbness) وحرقان على الجزء من الجلد الذى سوف يظهر فيه المرض.

٢ ـ ظهور فقاقيع صغيرة، أو حويصلات مائية على أرضية حمراء، وتظهر هذه الفقاقيع على الفرج والمهبل وعنق الرحم.

٣ ـ تنفجر هذه الفقاعات وتترك قُرَحاً سطحية مؤلمة للغاية.

٤ ـ حرقان وألم شديد عند التبول.

٥ ـ حرقان وألم شديد عند الجماع.

٦ ـ أعراض تشبه الأنفلونزا مثل: التعب، والإرهاق، وارتفاع طفيف فى درجة الحرارة.

٧ ـ إفرازات صفراء أو خضراء، أو شفافة.

٨ ـ احتباس فى البول نتيجة الالتهاب الشديد.

الهربس التناسلى والحمل :

تكون أعراض هذا المرض أكثر حدة أثناء الحمل، وقد ينتقل المرض إلى الطفل أثناء الولادة مما يؤدى إلى وفاته.

الهربس وسرطان عنق الرحم :

لوحظ ارتفاع نسبة حدوث سرطان عنق الرحم مع المصابات بالهربس.

أمراض تناسلية أخرى

١ ـ القرحة الرخوة : وتظهر على شكل قرحة لينة مؤلمة جداً على الأعضاء التناسلية ، مع تضخم الغدد الليمفاوية الموضعية، وقد يتكون بها صديد.

٢ ـ الالتهاب الكبدى نوع (ب) : ينتقل هذا المرض عن طريق الدم، والحقن، وكذلك عن طريق الاتصال الجنسى الطبيعى، وكذلك الشاذ ويسبب: مرض الصفراء، ثم تليف الكبد، ثم فشل الكبد ثم الوفاة.

ـ (ليمفوجرانيولوما فينيروم) : يبدأ المرض بقرحة صغيرة على الأعضاء التناسلية، ثم تتضخم الغدد الليمفاوية الأربية، وتحدث (خراريج) بها، ثم تحدث (نواسير) بين الغدد وسطح الجلد.

٤ ـ (ليمفوجرانيولوما انجوينال) : وهى عبارة عن قرح على الجهاز التناسلى مع تضخم الغدد الليمفاوية الأربية، وحول الشرج، مما يسبب انسداد المهبل والشرج، وقد يتحول إلى سرطان فى حالة إهمال العلاج

طرق الوقاية : من الممكن تحديد طرق الوقاية من الأمراض التناسلية فى طريق واحد وهو : الالتزام بتعاليم الدين الاسلامى الحنيف والتمسك بشرائع الله.

الأسرة ودورها فى عملية التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/عبد السلام ناصف

يبدأ الإنسان نموه من خلية واحدة تنمو فى « قرار مكين » فى رحم الأم ــ إلى عدة بلايين من الخلايا المتمايزة المتخصصة ، ثم يصير إلى ما أراد الله سبحانه وتعالى من نوع وصورة قال رب العزة ــ سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ سورة آل عمران

واهتم علماء النفس والاجتماع بدراسة النمو حيث تعتبر التغيرات التى تحدث فى هذه المرحلة ذات أثر بعيد فى حياة الفرد . ومن عجب أن يزداد وزن الجنين نحو ستة آلاف مليون ضعف منذ كان نطفة إلى أن صار وليداً . بينما لا يتضاعف وزنه أكثر من عشرين ضعفا من بعد مولده حتى يبلغ رشده ففى الشهر السابع يتم نمو الجهاز العصبى للطفل ، ويكتمل نمو أعضاء جسمه ، وإمكانياتها الوظيفية وفى الشهر التاسع يكون الطفل مستعداً للحياة .

وتؤثر العوامل الوراثية والبيئية كالجنس واللون وتفاصيل الملامح فى سلوك الطفل إلى جانب حالة أمه الصحية والنفسية التى تهتم بها المؤسسات الأممية الدولية .

ويبدأ الطفل فى النمو جسمياً ، وحسياً ، وحركياً ، وانفعاليا وعقلياً ويرتبط هذا النمو بمستوى درجة ذكائه وصحته العامة وسلامة جهازه العصبى ، ودرجة ثرائه الاجتماعى والحضارى فى البيئة التى يعيش فيها .



ومع بداية اهتمامه بغيره فإنه يميل إلى تقليد الكبار والتعاون مع رفاقه ، فتتطور عواطفه وانفعالاته ومداركه ويعتمد على لغة بيئته للتعبير والتفاهم والتخاطب — ويؤثر في ثروته اللغوية مستوى أسرته الثقافي والاجتماعي والاقتصادي — وإن بدت بعض المشكلات السلوكية تبدو في حياته كميله للعدوان وعدم الالتزام بالطاعة — ومن ثم وجب وضع مقاييس ومعايير وحدود لسلوكه ، تحدد له مسارات للالتزام بالسير عليها — أو بمعنى آخر : تعد له أنماطاً سلوكية تُصَبُّ فيها السلوك السوى المختار للالتزام بحدودها والسير على هداها — وتختلف من طفل عن سواه في هذا النمو داخل تلك الأطر .

لذا نود أن نفرد للأسرة حديثا يعني بكل جوانبها كمؤسسة تساهم في تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية باعتبارها أول وأهم مؤسسة في حياته باعتبارها نوعاً من المشاركة الإيجابية والقانونية بين الرجل والمرأة . فهي عبارة عن وحدة الناحية عضوية تقوم على أساس العلاقة الزوجية بين رجل وامرأة لتكون أول مؤسسة تتعهد الطفل وتقوم بصبغ سلوكه بصبغة اجتماعية ، إذ هي البادئة بأول عملية تنشئة اجتماعية وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه في ضوء المعايير الاجتماعية السائدة والقيم المتعارف عليها بين كل طبقة وبين كل مجتمع .

قال تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾

سورة الذاريات — آية : ٤٩

تمتاز الأسرة بخصائص معينة تقوم على أساس الود والاخاء والحرية والصراحة ، ومن ثم يتعلم الطفل كيف يعيش وكيف ينمى اتجاهاته وميوله في جوى سوى باعتبارها النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل فيها الطفل مع اعضائها وجها لوجه ، ويتوحد معهم ، ويعتبر سلوكهم نموذجاً يحتذى به .

لذا وجب أن يتم اختيار اعضائها — المؤسسين — بدقة واحتراس وعلى الرجل — خاصة في مجتمعاتنا الشرقية التي تعطيه الحق في الاختيار لشريكة حياته — في بناء أسرته وفق تعاليم الإسلام . إذ يقول رسولنا صلى الله عليه وسلم : (تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء وانكحوا إليهم) (١) .

ويقول : (تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الأمم) (٢) .

ويقول : (ألا أخبركم بخير مايكنز المرء ؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته) (٣) .

فالأسرة هي الأمة الصغيرة التي تعلم الطفل أفضل خلق في جو مفعم بالرحمة والود والرأفة والغيرة والعزة والوفاء والمروءة والايثار ولولاها ماكان توارث وبها يحفظ النوع الإنساني إذ لا أمة بلا أسرة بل لا آدمية فاضلة حيث لا أسرة .

---

(١) اخرجه ابن ماجه والبيهقي وصححه الحاكم .

(٢) رواه ابو داود ج٢/٢١٩ والنسائي والحاكم واحمد ج٣/٢٤٥ .

(٣) اخرجه الطبراني في الأوسط ، والحاكم وصححه الذهبي ووافقه .

وتقوم الأسرة على أنها كيان دائم مليء بالود والوئام فقد قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٤)

أسس قيام الأسرة في الإسلام :

أكد الإسلام على اختيار الزوجة باعتبارها بيئة عضوية مؤثرة في تكوين الجنين ونموه ، والمحافظة عليه في الرحم وعند المولد وفي الرضاع والعناية بنظافته وتغذيته ، وتحصينه وعلاجه وتربيته وإعداده للمؤسسات التخصصية التي تليها بالرعاية والتربية والتعليم تحت إشرافها — فهو في المدرسة أو النادي أو الشارع أو مع الرفاق يكون تحت رعايتها . لذا فقد اشترط الإسلام حسن الاختيار وركز الدين بصفة خاصة على اختيار الزوجة من حيث الأصل والنشأة والمساواة والمودة والرحمة والتكافل الاجتماعي فقال صلى الله عليه وسلم : (تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك)(٥)

ويقول الإمام مالك — رضي الله عنه — أهل الإسلام كلهم لبعضهم أكفاء ويقول صلوات الله عليه وسلامه : (أربع من السعادة — منها المرأة الصالحة)(٦)

إذ أن اختيار الزوجة الدقيق يؤثر في ولدها ، إذ هي منوط بها تخريج جيل إسلامي يحمل على أكتافه عبء الدعوة إلى الله .

ولقد حثت السنة ولي أمر الزوجة بتحري الدقة في إختيار شريكها والتأكد من خلقه ودينه فلقد قال صلى الله عليه وسلم : (إذا خطب إليكم من ترضون دينه ، وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)(٧)

وقال الحسن — رضي الله عنه — لولي أمر زوجة : (زوجها رجلا يتقي الله ، إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها)(٨) .

كذا يود الإسلام أن تؤسس الأسرة على الدين والخلق فيعلو بنيانها ، محتضنا في داخله نفوساً ساكنة ، هادئة ، مطمئنة ، مستقرة ، يأنس بعضها الى بعض ومن بيت صلاح وتقوى لتكون الذرية طاهرة صالحة إذ ينشأ الأولاد على العفة والطهارة والاستقامة .

فعلى راغبي الزواج أن يحسنوا الاختيار إن ارادوا أن يكون لهم ذرية صالحة وسلالة طاهرة وأبناء مؤمنين وبنات مؤمنات ، ففي سوء الاختيار — كتفضيل الجمال أو المال — لا تتحقق للحياة الزوجية غير الأذى والصراع والتنافر مادام الدين قد غاب ولم يؤخذ في الاعتبار عند الاختيار — تعاليم ديننا الحنيف في هذا المجال .

ولقد وضع الإسلام أسسا لصيانة الأسرة نجملها فيما يلي :

١ — غض بصر الزوج والزوجة عن كل ماحرم الله : فيقول رب العزة سبحانه —

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ

(٤) الحجرات الآية ١٣ .

(٥) رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وأحمد .

(٦) أخرجه ابن حبان وأحمد والبزار والحاكم .

(٧) أخرجه الترمذي ١٠٩٠ وصححه الذهبي .

(٨) أورده البغوي في شرح السنة ٩/١١ .

﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

سورة النور

٢ ــ التزام الأدب فى التعامل مع مختلف الأسر فيقول جل جلاله : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ الأحزاب/٥٣ .

٣ ــ الاستئذان فى دخول البيوت وتحديد مواعيد التزاور .

٤ ــ الالتزام بعدم سفر المرأة الا مع محرم اذ ورد فى الحديث الشريف (لا تسافر المرأة ثلاثة ايام الا مع ذى محرم) البخارى ٢/٦٥٩ .

٥ ــ النهى عن ابداء الزينة الا للزوج وذوى القرابة من المحارم سواء كانت الزينة مادية أو معنوية .

٦ ــ النهى عن الاختلاط اذ هو باب لفوضى الاخلاق لما يحمله من وباء يكثر صرعاه ويزداد ضحاياه .

٧ ــ النهى عن اشاعة الفاحشة بين المسلمين فيقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ النور ١٩

وهكذا يلبى الاسلام بنظامه العام حاجات الأسرة الضرورية للحفاظ عليها وصيانتها من كل مايدنسها ويشوه صورتها ويعطل مسيرة نهضتها ويجعل منها خلية صالحة تهيىء للطفل جوا عائليا يساعده على النمو وتكوين شخصيته وعاداته واتجاهاته وميوله اذا ماالتزمت بالسير على هذه الركائز :

١ ــ تحقيق حاجة الطفل للحب وشعوره بأنه مرغوب فيه ، وقد يفقد الكثير من هذه الوجبة تحت مسمى عمل المرأة .

٢ ــ تحقيق ذاتية الطفل وتنمية قدراته وامكانياته بالتشجيع والاستحسان .

٣ ــ تخليصه من حب ذاته واحترام حقوق غيره .

٤ ــ تعويده على التحلى بالنماذج المثل بصدق وواقعية .

٥ ــ الاعتدال فى المعاملة والتعامل .

٦ ــ التمسك بعادات المجتمع وتقاليده واعرافه .

ولقد اجريت بعض الدراسات الاجتماعية التى توضح دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية خلصت الى بعض نتائج من أهمها :

أولا : نظام تغذية الطفل يؤثر فى حركته ونشاطه فعادة مص الاصابع عادة ما تكون نتيجة لعملية الرضاعة غير المستقرة ــ كما ان الفطام المفاجىء قد يحدث نوعا من الاضطراب لديه ــ كما ان التزمت فى عملية الرضاعة والقسوة فى الفطام قد تدفع الطفل الى الوهن النفسى اى الاعتماد على غيره .

ثانيا : قسوة الوالدين قد يؤدى الى الميل الى العدوان .

ثالثا : الوفاق بين الوالدين وقيام العلاقات السوية بينهما يخلق جوا يشبع حاجة الطفل نفسيا واجتماعيا وينمى لديه الثقة والأمان وتقبل الآخرين .

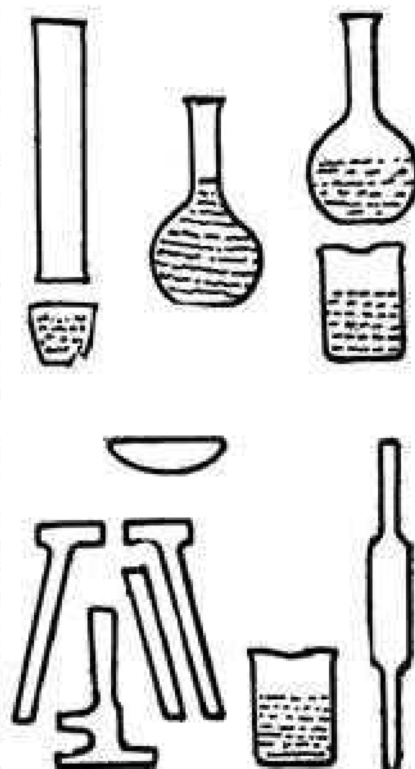
رابعا : التوازن بين الحرية والانضباط والتدريب الحكيم عليها يخرج جيلا سويا من الأطفال .

خامسا : تصدع العلاقات الأسرية او انهيار الجو الأسرى قد يؤدى الى اضطرابات نفسية وفقد للثقة والأمان مما يزيد نسبة الجنوح إذ أثبتت بعض الدراسات الانجليزية أن هناك ٢٨٪ من الجانحين من أسر غير سوية .

«ويخلق ما لا تعلمون ..»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)



الإملاء على الحاسب الآلي بالعربية :

أعلنت إحدى الشركات العالمية للحاسب الآلي عن توافر نظام يتيح للمستخدم العربي إملاء الوثائق بصوته المجرد لإحالها إلى الحاسب الآلي ، وهذا النظام يتيح التعرف على ٣٢ ألف كلمة و ٢٠ ألف كلمة يضيفها المستخدم عبر عملية التدريب ، ويتطلب الإملاء الصوتي أن يكون كل كلمة عبر ميكروفون صغير حساس ، فيتحول الإملاء إلى نص مكتوب على الشاشة يمكن إخضاعه للتصحيح والتعديل والضبط ، ثم يعطى الإنسان بصوته ـ أيضاً ـ أمر الطبع فيتحول ما قاله إلى نص مكتوب .

٢ ـ تزويد السيارات آلياً بالبنزين :

تم تصنيع جهاز آلي « روبوت » في ألمانيا لتزويد السيارات آلياً بالبنزين حيث يتحرك الجهاز بمجرد أن تلمس العجلات الأمامية للسيارة شريطاً خاصة بمحطة البنزين ، فتقوم ذراع فولاذية بمساعدة آلات تصوير بفتح غطاء الخزان وتعبئة البنزين خلال دقيقتين .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

تحذير من خطورة الأشعة فوق البنفسجية :

حذرت دراسة علمية أمريكية من أن الأشعة فوق البنفسجية التي تسبب سرطان الجلد ومرض العيون المسمى بالمياه الزرقاء ، قد زاد تدفقها على الأرض خلال السنوات الأخيرة مع تآكل طبقة الأوزون التي تحمي الأرض من الأشعة الكونية الضارة ، وتؤكد الدراسة أن الزيادة في معدلات نفاذ هذه الأشعة حدثت عند خطوط العرض المتوسطة والعالية حيث يعيش معظم سكان العالم وحيث تقع معظم الأراضي الزراعية وسوف تكون هذه الأشعة مدمرة ليس فقط للإنسان ، ولكن لبعض أنواع المحاصيل الزراعية والحياة البحرية .

جهاز تمييز درجات الألوان آلياً :

ابتكرت شركة بريطانية جهازاً صغيراً يساعد في اختيار الألوان وفحص درجات اللون المطلوب في الأقمشة والملابس ، والجهاز يحتوى على شاشة عرض من الكريستال السائل ، وزر للتشغيل ، والآلة تعمل ببطارية يعاد شحنها ، وفكرة الجهاز تعتمد على وضعه فوق قطعة القماش أو على الملابس ثم الضغط على زر التشغيل فيظهر على الشاشة إشارة إلى الاختلاف في اللون أو مدى جودته ، وهنا تكون حرية الاختيار في الألوان بعد عرض جميع درجاتها .

أكياس هوائية لحماية ركاب السيارات

صممت شركة أمريكية لصناعة السيارات أكياساً هوائية لحماية ركاب السيارات في حالة التصادم ، وكيس الهواء موجود داخل أنبوبة في حجم أنبوبة معجون الأسنان ويوجد حول حافة المقاعد الأمامية ، وعندما يحدث التصادم فإنه يضرب لوحة خاصة بتفجير الغاز الذى يملأ الكيس في أقل من ثانية وبذلك يمنع التصادم بين الركاب والجسم المعدنى للسيارة .

أسطوانة ضخمة تسحب الفحم من المناجم :

أنتجت شركة بريطانية للصناعات الفولاذية أسطوانة ضخمة يمكنها سحب حوالى عشرة ملايين طن من الفحم سنويا من عمق يصل إلى كيلومتر تحت الأرض ، وتقوم الشركة بتحويل الكتل المعدنية المصبوبة والمعدة للتشكيل إلى مجموعات كبيرة من المكونات الهندسية لمحطات الطاقة الكهربائية والتوربينات البخارية ومولدات القدرة الكهربائية من خلال ورش عملاقة للكبس والتشكيل الحرارى .

إنتاج البروتين من حرير القز :

حاول العلماء الفرنسيون إنتاج بعض الأدوية النادرة من حرير دودة القز عن طريق الهندسة الوراثية ، وقد كان الهدف الرئيسى من محاولاتهم هو انتقاء سلالات من دود القز تنتج حريراً أكثر

مقاومة وأكثر مناعة لأعراض متعددة ، كما يمكنها أن تنتج بروتينات قيمة مع ماتفرز من خيوط الحرير . وقد جذب هذا الاتجاه بعض الشركات العاملة فى مجال التقنية الحيوية ، فأولت اهتماما خاصا بتطوير معالجة دود القز وراثياً .

أسلوب جديد لتشخيص سرطان الرحم

اكتشف مجموعة من الأطباء فى النمسا أسلوبا جديدا لتشخيص سرطان تجويف الرحم فى مراحله المبكرة عن طريق وجود علاقة وثيقة بينه وبين نسبة هرمون الميلاتونين فى الدم ، وأثبتت الدراسة التى أجريت أن السيدات اللاتى يعانين من سرطان تجويف الرحم تنخفض لديهن ـ أيضا ـ نسبة الميلاتونين فى الدم الى مستويات أقل من الأصحاء بمعدل كبير ، وتكون نسبة هرمون الميلاتونين فى الصباح أكبر ما يمكن ، وفى الظهيرة أقل ما يمكن لتأثره بكمية الضوء .

علاج سرطان الدم بطريقة جديدة

تمكن العلماء ـ مؤخراً ـ من استخدام خلايا دم الأم الموجودة فى مشيمة الأطفال حديثى الولادة كعلاج لسرطان الدم ، وذلك بعد أن نجحوا فى استخدام هذه الخلايا كبديل فعال للنخاع العظمى الذى كان يتم الحصول عليه من المتبرعين ، ويتوقع العلماء أن تفتح هذه الخطوة المجال أمام إنشاء بنوك لخلايا دم الأم المأخوذة من المشيمة للمساهمة فى القضاء على ندرة الأشخاص المناسبين لمنح المرضى نخاعاً عظمياً صالحاً للزرع يشفيهم من المرض .

حليب جديد سهل الهضم

أنتجت شركة أمريكية حليبا يضاهى حليب البقر الطبيعى بل يتميز عليه ، فهو قليل الدسم وخال من الكلوسترول ، كما يحتوى على نسبة قليلة من سكر الحليب (اللاكتوز) الذى يسبب الغازات المضمية فى الكبار فينفرهم من شرب الحليب الطبيعى ، والحليب الجديد مصنع من المادة السائلة الموجودة فى اللبن والتى تنفصل عنه فى صناعة الجبن مضافا إليها زيت نباتى ومغذيات ومشتقات بعض الأعشاب البحرية .



أثبتت الأبحاث العلمية أن العنب يحتوى على نسبة لابأس بها من الحديد والكالسيوم وفيتامينات أ ، د ، هـ ، ج ، كما يحتوى على بعض الإنزيمات والأحماض العضوية التى تفيد فى معادلة الأحماض الضارة المتخلفة عن هضم بعض الأطعمة فى الجسم مثل : اللحوم والأسماك والدهنيات والحبوب فكلها مصادر غذائية هامة ولكن ينتج عن هضمها أحماض حرة ضارة بالجسم تؤدى إلى اضطرابات فسيولوجية والأحماض الموجودة فى العنب تعادل هذه الأحماض الضارة .



اللغة والنقد والأدب

أبو منصور الثعالبي وكتابه فقه اللغة

د. محمد رياض السيد كريم (*)

أولا : أبو منصور الثعالبي :

هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، ولم تزد كتب التراجم في نسبه على هذا ، وقد ولد سنة ٣٥٠ هـ بإجماع من أرّخ له ، وكان مولده بنيسابور ببلاد فارس .

(*) الكاتب ـ أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ الزقازيق .

نشأته وحياته :

سكتت كتب الطبقات والتراجم عن كثير مما يتعلق بهذه الشخصية الفذّة ، فلم ترو لنا شيئا عن نشأة هذا العالم الجليل ، ولا عن أسرته وحياته .. والمصادر التى استقى منها معارفه وآدابه ، وما صادف من أحداث وأحوال ، وما عسى أن يكون قد تقلده من وظائف وأعمال ، كما صمتت أو كادت عن شيوخه وتلاميذه ، وصلاته بالسلاطين والملوك والأمراء والوزراء والعلماء والكتاب والشعراء من معاصريه ، فحياته تكاد تكون مجهولة أو شبه مجهولة ، وكل ما يُعرف عنه أنه صاحب التصانيف الكثيرة التى بعثر الزمن بعضها وانتهى إلينا منها جملة رائعة تشير إلى صاحبها ومكانته فى العلم واللغة والأدب .

ويظهر أن أبا منصور الثعالبى كان من أسرة متواضعة تعمل فى خياطة جلود الثعالب وعملها ، ولذا لقب بالثعالبى نسبة إلى هذه الصناعة ، فقد كان فراءً[1] ، وإلى جانب ذلك عمل مؤدب صبيان فى مكتب[2] ، ويبدو أن « عمل الجلود لم يكن صناعة يعيش منها ، ويحيا لأجلها ، بل كانت من الأعمال التى يعالجها المؤدبون فى الكتاتيب وهم يقومون بالتأديب والتعليم ، وما أشبه هذه الحال بحال مؤدبى الصبيان فى مكاتب القرية المصرية فى عهد مضى ، وقد شد كل منهم خيوط الصوف إلى رقبته والمغزل فى يده[3] .

وقد ترقى أبو منصور بجهده وبما وهبه الله من عقلية واعية ، وذكاء بارع ، إلى مرتبة رفيعة ، فصار – كما يقال : إمام وقته[4] ، و « يلقب بجاحظ زمانه »[5] ، وسار فى ركاب السلاطين والملوك والأمراء والوزراء والرؤساء وأعيان العصر ، فهو القائل : « طال ما لقيت فى شبيبتى وكهولتى وعند شيخوختى وعلو سنى أعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، ونجوم الأرض ، وبدور الصدر ، من أصحاب الأقلام والسيوف[6] » .

---

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان : ٣٥٢/٢ واللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير : ٢٣٧/١ .
(2) طبقات النحاة واللغويين لابن شهبة الأسدى : ١١٠/٢ ومن عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى : ٤٦٠/١٣ ، وهما مخطوطان بدار الكتب المصرية الأول تحت رقم ٢١٤٦ تاريخ تيمور ، والثانى تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ .
(3) فقه اللغة وسر العربية للثعالبى تحقيق مصطفى السقا وآخرين : ص ٥ .
(4) المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء : ١٦٢/٢ .
(5) من عيون التواريخ لابن شاكر (٤٥٧/١٣) وطبقات النحاة واللغويين لابن شهبة (١٠٨/٢) آ
(6) تتمة اليتيمة للثعالبى : ٦٨/٢ .

وقد أصاب من وراء ذلك خيرا كثيرا ، فعاش في نعمة عريضة ، وثراء واسع ، وأصبح من ملاك الضياع والرقيق ، فقد ذكر في مقدمة كتابه (فقه اللغة) أنه استأذن الأمير (أبا الفضل الميكالي[7] صديقه في الخروج إلى ضيعة له ، ليخلو إلى تأليف كتابه المذكور ، واستعمار تلك الضيعة ، ووجدناه يشكر هذا الأمير على سقيه كرماله بقوله :

يا بلدر صدر بنيسابور مطلعة ... وبحر جود لأهل الفضل مترعة
سقيت كرمي ماء فيه أربعة ... من المياه وخير الماء أنفعة
ماء الحياة وماء الوجه يشفعة ... وماء الشباب وماء الورد يتبعة

ثم قال :

للعرف تصنعة والخير تزرعة ... والجد تجمعه والمدح تصنعة[8]

ووجدناه أيضا يقول في مملوك له باعه :

يا دهر حسبك قد أطلت نحيبي ... وتركتني في موطني كغريب
وسلبتني ثوب السرور بجامع ... ما بين وصفي خادم وحبيب[9]

شيوخه :

لم تشر كتب الطبقات والتراجم التي رجعت إليها إلى شيوخ أبي منصور الثعالبي الذين كان لهم فضل في صنع هذه العبقرية التي كان لها أياد بيضاء على اللغة والأدب اللهم إلا ما ذكره أبوالبركات الأنباري في كتابه (نزهة الألباء) من أخذه عن أبي بكر الخوارزمي[10] ، وقد ذكر له الثعالبي ترجمة وافية في الجزء الرابع من كتابه (يتيمة الدهر) وذكر نماذج من شعره ونثره ، وقد وجدته في كتابه (فقه اللغة) يقدم لبعض فصوله بقوله : « فصل وجدته في تعليقاتي عن أبي بكر الخوارزمي[11] » .

---

(٧) هو الأمير أبوالفضل عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي ، أديب شاعر ، من أهل نيسابور ، من مصنفاته : مخزن البلاغة ، فضائل الملوك ، ديوان شعره ، مات سنة ٤٣٦ هـ ، انظر ترجمته في : يتيمة الدهر للثعالبي (٣٥٤/٤) ومعجم المؤلفين لكحالة (٢٣٧/٦) .

(٨) خاص الخاص للثعالبي : ص ١٩٠ .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) نزهة الألباء : ص ٣٦٥ .

(١١) فقه اللغة وسر العربية : ص ٤٤ .

وهو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، أصله من (طبرستان) ، ومولده ومنشؤه في (خوارزم) ، وكان يتسم بالطبري ، ويعرف بالخوارزمي ، ويلقب بالطبرخزمي ، وهو شاعر أديب ذو مكانة عند حكام عصره ، وقد استفاد من صلته بهم مالا وفيرا ، وقد توفي في شوال سنة ٣٨٣ هـ ، وكان مولده في سنة ٣٢٠ هـ[١٢] .

تلاميـــذه :

مما لا شك فيه أن أبا منصور كان له تلاميذه الذين ظفروا بالتلقي عنه ، والتأدب على يديه ، إلا أن كتب التراجم صمتت عن هؤلاء التلاميذ ، ولهذا لم نعرف له منهم سوى تلميذ واحد هو (أبوالحسن علي بن الحسن الباخرزي) الأديب الشاعر المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ، صاحب كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) الذي يعد ذيلا لكتاب أستاذه (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) ، وقد حدثنا عن برّ أستاذه به في كتابه المذكور بقوله : « وكنت وأنا بعد فرخ أزغب في الاستضاءة بنوره أرغب ، وكان هو ووالدي بنيسابور لصيقي دار ، وقريبي جوار ، فكم جملة كتب تدور بينهما في الإخوانيات وقصائد يتقارضان بها في المحاورات ، وما زال في ربوها ، وعليّ حانيا ، حتى ظننته أبا ثانيا ، ــ رحمة الله عليه ــ كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج تياره[١٣] » .

وعلى الرغم من اعترافه بفضل أستاذه عليه ، وبرّه به ، نجده قد قصر في حقه حيث لم يذكر لنا شيئا عن حياته وكتبه (١٤) ، وشيوخه وتلاميذه ، ولو فعل لأزال كثيرا من الغموض الذي أحاط بحياة هذا العبقري الذي ملأ صيته سمع الزمان وبصره .

منزلته العلمية :

لأبي منصور الثعالبي منزلة سامية ، ومكانة رفيعة عالية ، تشهد له بها كتبه ، فقد برع في الأدب واللغة ، ونال حظوة عند ملوك وأمراء عصره ، وقد اعترف بفضله القدماء والمحدثون ، فهذا (أبوإسحاق الحُصري القَيْرواني) صاحب كتاب (زهر الآداب) المتوفى سنة ٤٥٣ هـ يقول : « وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا ، وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب[١٥] » .

---

(١٢) انظر يتيمة الدهر : ٢٠٤/٤ وما بعدها .

(١٣) دمية القصر للباخرزي : ص ١٨٣ .

(١٤) زهر الآداب : ١٦٨/١ .

(١٥) دمية القصر : ص ١٨٣ .

ووصفه تلميذه أبو الحسن على الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ، بأنه « جاحظ نيسابور » ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت العيون فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان »[١٦] .

و « قال ابن بسام صاحب الذخيرة (المتوفى سنة ٥٤٢ هـ) فى حقه : كان فى وقته راعى تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين فى زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب طلوع النجم فى الغياهب »[١٧] .

وقد علق الدكتور زكى مبارك على كلمة ابن بسام بقوله : « عبارة ابن بسام هذه قد تبدو وكأنها نوع من المدح الفضفاض الذى يقال بلا حساب ، ولكن الواقع أن (الثعالبى) فوق كل مدح ، وفضله على اللغة العربية أعظم من أن يقدر ، وماظنك برجل لو ضاعت مؤلفاته لفقدت اللغة العربية جزءا عظيما من ثروتها الأدبية ، ومن الذى يستطيع أن يحدد خسارة الأدب لو ضاعت (يتيمة الدهر) أو (ثمار القلوب) »[١٨] .

وأهمية الثعالبى عنده ترجع إلى أنه « شغل بتدوين الفنون الأدبية واللغوية ، فقدم لأهل عصره ولقراء اللغة العربية فى مختلف الممالك وعلى اختلاف الأجيال غذاء قويا للعقول والمشاعر والأذواق ، ووضع أمام قرائه صورا مختلفة للقرائح والعبقريات التى عرفها بنفسه ، أو سمع بأخبارها ، أو قرأ آثارها ، حتى يمكن الحكم بأن القرن الرابع كان يمحى أو يكاد لو لم يظفر بذلك الحافظ الأمين »[١٩] .

وفى أبى منصور يقول أبوالفتح على بن محمد البستى :

قلبى رهينٌ بنيسابور عند أخ ... ما مثله حين تستقرى البلاد أخ
له صحائف أخلاق مهذبة ... من الحجا والعلى والظرف تنتسخ[٢٠]

---

(١٦) وفيات الأعيان (٣٥٠/٢) ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده : (٢٣٢/١) .
(١٧) من مقال للدكتور زكى مبارك فى مجلة البلاغ الأسبوعى (العدد ١٧٢ ـ السنة الرابعة ـ يوليو سنة ١٨٣٠ م) ص ١٤ .
(١٨) المصدر نفسه .
(١٩) زهر الآداب : ١٦٩/١ .
(٢٠) تتمة اليتيمة : ٦٩/٢ .

ويقول أبو الحسن مسافر بن الحسن الذى أهدى إليه أبومنصور الثعالبى كتابه (خاص الخاص) :

أفدى الإمام الأوحد الفرد الذى من شاء قرة زمانه فليُسْمه
لا زال منصورا كما يُكنى به ولتفخر روحٌ غدت فى جسمه
فداء أرواح الورى من كُتْبه والظرف فيهم من لطائف رسمه(21)

كتبه :

رزق أبومنصور الثعالبى البركة فى التأليف ، فألف كتبا كثيرة ، من أشهرها كتاب (يتيمة الدهر) وكتاب (فقه اللغة) ، وكتبه تدل على علو كعبه فى ميدان اللغة والأدب ، وترق به إلى أعلى الرتب ، فقد كان ـ رحمه الله ـ عبقرية فذة ، وعقلية نادرة ، صاغت الدرر والغرر ، والظرائف واللطائف ، فى عرض شائق ، وأسلوب راق رائق ، جعل نتاجه جديرا بأن يهدى للسلاطين والملوك والأمراء والوزراء فى وقته ، وحريا بإعجاب قراء العربية على مرّ القرون ، وتعاقب الأجيال ، فكتبه جذابة ممتعة ، تشدك إليها شدا ، وتأسرك بحسنها أسرا ، وهى وإن كانت كثيرة العدد إلا أن بعضها رسائل صغيرة ، ذات أوراق قليلة ، ولكنها ثقيلة الوزن ، كبيرة الغُنم .

وقد ظهر لنا أنه كان بعيد النظر فى بعض كتبه التى أخرجها للناس ، فيهذب فيها وينقح ، ويرتب وينظم ، ويضيف ويجدد ، كى تخرج مرة أخرى فى ثوب قشيب له رونقه وبهاؤه ورواؤه ، مما يدل على تطلعه إلى الجودة والكمال ، كما فعل فى كتابه (يتيمة الدهر) وغيره .

يقول فى مقدمة يتيمة الدهر بعد أن ذكر أنه ألفه فى صدر شبابه سنة ٣٨٤ هـ : « وحين أعرته على الأيام بصرى ، وأعدت فيه نظرى ، تبينت مصداق ما قرأته فى بعض الكتب أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتابا فيبيت عنده ليلة إلا أحب فى غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا فى ليلة واحدة ، فكيف فى سنين عدة ؟ »(22) .

ثم يقول : « فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت فى تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيّرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت توصيفها ، وأحكمت تأليفها ، وصار مثلى فيها كمثل من يتأنق فى بناء داره التى هى عشه وفيها عيشه »(23) .

---

(٢١) يتيمة الدهر : ٥/١ .
(٢٢) المصدر نفسه : ٦/١ .
(٢٣) الكناية والتعريض : ص ٢ .

وقد ذكر أن الأمير أبا العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه طلب نسخة من كتابه (الكناية والتعريض) وإرسالها إلى خزانة كتبه ، فأعاد نظره في الكتاب ، وهذّبه وذهّبه ، وأنشأه نشأة أخرى ، يقول في مقدمته : « قد كنت ألفته بنيسابور في سنة أربعمائة ، فلما جرى ذكره على اللسان العالي ـ أدام الله علاه ـ وخرج الأمر المتمثل ـ أدام الله رفعته ـ بإنفاذ نسخة منه إلى الخزانة المعمورة ـ أدام الله شرفها ـ أنشأته نشأة أخرى ، وسبكته ثانية بعد أولى ، ورددت في تبويبه وترتيبه ، وتأنقت في تهذيبه وتذهيبه ، وترجمته بكتاب الكناية والتعريض ، وشرفته بالاسم العالي ، ثبته الله ما دامت الأيام والليالي[24] .

وذكر أيضا أنه أخرج كتابه (سحر البلاغة وسر البراعة) في نسختين متقاربتي الكمية والكيفية ، متشاكلتي الصنعة والصيغة ، أهدى إحداهما إلى الشيخ الرئيس (أبي سهل أحمد بن الحسن الحمدوني) ، وأهدى الأخرى إلى صاحب الجيش (أبي عمران موسى بن هارون الكردي) ، ثم أخرجه مرة أخرى في نسخة تجمع بينهما ، وتزيد فضل تنقيح وتهذيب ، وزيادة طرائف ولطائف ، وأهداها للأمير أبي الفضل الميكالي[25] .

وفـــاته :

توفي أبومنصور الثعالبي ببلدة نيسابور[26] بعد حياة حافلة بالتأليف والنتاج الأدبي الوفير ، وثمة خلاف يسير بين من أرخوا له في تحديد السنة التي توفي فيها ، والمشهور أنه توفي سنة ٤٢٩ هـ ، وقد ذكر هذه السنة تاريخا لوفاته (ابن خلكان)[27] وغيره[28] ، وذكر (ابن شاكر الكتبي) وغيره أيضا أنه توفي سنة ٤٣٠ هـ[29] .

وهذا الاختلاف اليسير في تاريخ وفاته لا تترتب عليه نتائج ذات بال ، وقد يكون منشؤه أنه توفي في نهاية سنة ٤٢٩ هـ فحدث هذا اللبس .

---

(٢٤) سحر البلاغة : ص ٥ ، ٦ .

(٢٥) الموسوعة العربية الميسرة : ص ٥٨٠ .

(٢٦) وفيات الأعيان : ٣٥٢/٢ .

(٢٧) المختصر في أخبار البشر (١٦٢/٢) والبداية والنهاية (٤٤/١٢) وهدية العارفين (٦٢٥/١) والأعلام (٦٠٠/٢) .

(٢٨) من عيون التواريخ لابن شاكر (٤٥٧/١٣) وانظر طبقات النحاة واللغويين (١١١/٢) والخلاف (٥٣/٣) .





الجيل الثالث أو الطبقة الثالثة من المحققين الأعلام

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

وهم تلاميذ الإبيارى ، وعبدالسلام محمد هارون ، ومحمد أبوالفضل إبراهيم ، من المعاصرين .

وكذلك الأستاذ الدكتور عبدالمجيد دياب ، وغيرهم من الأعلام الذين لهم إسهامات واضحة وبصمات مؤثرة فى نشر التراث العلمى والانسانى فى صورة علمية مشرقة ، ولنا ـ إن شاء الله ـ عودة أخرى للتعريج على مناهج هؤلاء جميعاً ، والجديد الذى أثروا به هذه النهضة الميمونة المباركة من تدقيق وتمحيص شهد له الصادر والوارد ، والله سبحانه وتعالى ـ على كل خير وفضل مستعان به .

طبقات المصححين

● الطبقة الأولى من المصححين ، المقصودين من كلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات - رحمه الله - التى تصدرت هذا المقال ، كان المقصود بهم هذه الطبقة الأولى من المصححين العلماء بـ « المطبعة الميرية » ، وكانوا نحو سبعة أو ثمانية كما أسلفت ، منهم : الشيخ قطة العدوى ، والشيخ حسن العدوى - رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة .

كان هناك أيضا « الشيخ أحمد سعد على » ، وكان أحد علماء الأزهر ، عمل رئيساً للتصحيح بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

حقق - رحمه الله تعالى - «سنن أبى داود» وهو أحد الصحاح الستة وقد عمد الشيخ أحمد سعد على إلى إخراج وضبط كثير من المتون إخراجا وضبطاً دقيقاً ، لعل أهمها كتاب (مجموع مهمات المتون) المطبوع فى المطبعة المذكورة ، وقد احتوى على متون عديدة فى : اللغة ، والنحو والصرف ، والأدب ، والفقـــه ، والأصول ، والحديث ، والمنطق ، والحكمة ، وغيرها وهو مايصل عدده نحوا من ستة وستين متناً ، وقد نشر هذا المجموع سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف وهذا عمل جليل النفع ، عظيم العائدة والفائدة .

أيضا الشيخ عبدالوصيف محمد - رحمه الله - كان هو الآخر من علماء الأزهر الشريف ، وكان يعمل أيضاً شارحاً ومصححاً بمطبعة الحلبى فى حقبة الثلاثينيات وفى سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف قام بضبط وتصحيح «التحفة السنية شرح الثمرات الجنية فى الأسئلة النحوية» من تأليف محمد بن محمد الأمير بن حسين ، مفتى المالكية . وهذا الكتاب النفيس نهل منه كثير من المؤلفين فى علم النحو والصرف والإعراب لما تميز به من أسلوب تعليمى يفيد المدرسين والدارسين على حد سواء ، وقليلون أشاروا إليه لكن الأكثر لم يشر إليه .

كان أبناء الأزهر من العلماء يدربون فى مطبعة بولاق على يد الشيخ العالم الجليل قطة العدوى - رحمه الله - ومنهم كانت الطبقة الأولى الذين صححوا كل كتب مطبعة بولاق ، والتى لاتزال نشراتها بين أيدينا حتى الآن ناطقة بحق وصدق على مدى إخلاصهم وإتقانهم .

الطبقة الثانية من المصححين

كانوا من أبناء الأزهر أيضا المجيدين للغة العربية والعلوم الشرعية ، ويجانبهم نخبة من أبناء دار العلوم ، الذين يجيدون اللغة العربية إجادة تامة ، كانوا يعملون مصححين فى دار المعارف ، ومكتبة الحلبى ، والمطابع الخاصة ، وكذلك مطبعة دار الكتب المصرية .

● من هذه الطبقة المرحوم الأستاذ عبداللطيف أبوحليمة وكان يعمل مفتشا للغة العربية ، ثم موجها لها

● والأستاذ كامل مصطفى - رحمه الله - وقد عرفته منذ خمس عشرة سنة تقريباً كان يقطن قريباً منى فى ضاحية المعادى ، وكان مدار حديثنا الدائم فيما بيننا التحقيق والنشر والطباعة .

وُلد الأستاذ كامل مصطفـــى فى الخامس والعشرين من يناير سنة ثلاث وتسعمائة وألف من

الميلاد.. وقد توطدت العلاقات الشخصية بيننا لدرجة كبيرة ، وكان يعتبرنى أحد أبنائه.. وقد عمل فترة خدمته ، مديراً للتفتيش بالنيابة الإدارية ، وأقام فى أول حياته بحلوان ثم انتقل إلى المعادى سنة ١٩٦٨ ، وكان قد عايش وعاين نهضة التحقيق الكبرى الشاملة مع أعلامه الكبار ، وكانت له مواقف مشهودة معهم .

وظللنا سنوات وسنوات نلتقى فى بيته أو فى مطبعة ابنه التى تعمل حتى الآن بالمعادى ، وكنت معه أكثر الوقت ، حيث كان يتمتع بطيبة القلب وسلامة الصدرة ورقة الشعور ، ودفء العاطفة.. وقد أسس مكتبة خاصة فى بيته تحتوى بضعة آلاف من الكتب النادرة والموسوعات الفريدة.. وقد قدم للمكتبة كثيراً من الكتب النافعة التى توفر على نشرها وتحقيقها مثل «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر ، وكتاب «الاتباع والمزاوجة» لابن فارس ، وغيره ، ولكنه كما حكى لى قد ضاق بالنشر ومعوقاته وصعوباته فترك المضمار مبكراً ، وأوى إلى الظل مكتفيا بالنشاط النشرى الذى يمارسه نجله فى هذا المجال ، مطمئناً إلى أن الولد امتداد لأبيه ، وإن كان قد ترك الساحة منذ سنة اثنين وستين وتسعمائة وألف إلا أنه كان متابعا لها ، وقارئا ممتازاً لاتفتر له عزيمة ولم يهن له عزم فى مسايرة الباحثين بالمشورة والنصح والتوجيه من واقع خبرته البعيدة ، ودربته المديدة ، وممارساته القديمة .

وقد توفى – رحمه الله – فى ليلة الثانى من شهر أبريل سنة تسعين وتسعمائة وألف . رحمه الله رحمة واسعة .

● محمد محمود الشنقيطى : ولد رحمه الله فى شنقيط وتبحر فى اللغـة والأدب ، واشتهر بالفصاحة والبيان وقوة العارضة فى علم الأنساب . اتصل بالشريف عبدالله أمير مكة ، وقد اشتهر بالمجادلة وقوة الحجة ، فقد ناظر الشيخ سليم البشرى ، والشيخ البكرى ، وقد توفى بمصر سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة المشرفة . قام الأستاذ الشنقيطى بتصحيح كتاب الأغانى ، وقد عنى بنشره الشيخ محمد عبدالجواد الأصمعى ، نقلا عن نسخة الأستاذ الشنقيطى المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وقد جمع به أغلاط نسختى بولاق والساسى . وطبع بمطبعة الجمالية سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، أى مايوافق سنة ست عشرة وتسعمائة وألف للميلاد .

وللشنقيطى : «الحماسة السنية الكاملة المزية فى الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية» ، وهى قسمان :

الأول : يحتوى على قصائد أربع ومقطوعة .

الثانى : يشمل قصائد خمساً ومقطوعة . مطبعة الموسوعات ١٣١٩ ص ٢٤ ، ٧٠ . راجع فهارس دار الكتب المصرية (٣/٩٠) ط ١٩٢٧م ، ومعجم إليان سركيس (١١٤٩/٢) ، والوسيط فى أدباء شنقيط (٣٧٤) . رحم الله الشنقيطى لقاء ما أعطى وبذل وقدم .

والحمد لله رب العالمين ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

٢

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

صنف (العقاد) كتابا برأسه أسماه (إبليس) استوعب فيه كدأبه في دراساته وبحوثه ـ سيره هذا اللعين وتاريخه منذ بدء الخليقة ومرورا بأطوار الحياة المختلفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وكما يصور ذلك كله قوله تعالى بسورة الأعراف :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١)
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
(١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ (١٧) قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الأعراف

وقد استهل العقاد كتابه آنف الذكر ببيان أن الإنسان يوم عرف الشيطان كان ذلك عناية فاتحة خير له للتمييز بين الخير والشر .

وهناك حقيقة راسخة ، لابد من الوقوف عليها ، متأملين متدبرين ، وهي أن إبليس اللعين ، مهما بلغت وساوسه من قوة تأثير فإنه ليس إلا مجرد مخلوق من مخلوقات الله ـ عز وجل ـ فما أهون شره إزاء قدرة الله سبحانه ـ وتعالى ـ على محوها وإنقاذ الناس منها فالله هو المهيمن الأعظم

على الحياة والأحياء جميعا . يقول عز من قائل فى محكم آياته : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ . سورة الأعراف

ويقول - سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾

سورة النحل - آية : ٩٨ - ١٠٠

وبذلك فليفرح المؤمنون وتنشرح صدورهم ، ولا يخشون كيد الشيطان لأن حزب الله هم الغالبون .

والتزاما بطبيعة الموضوع الذى نعالج الكتابة فيه ، نقتصر فى بحثنا هذا على ماذكره العقاد فى كتابه « إبليس » عن : « الشيطان والفنون » .. الذى استهله ببيت لأبى العلاء المعرى يقول فيه : **وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنا عدوه من صنعه الجن** .

ويؤكد العقاد أن العبقرية عند الأوربيين منسوبة إلى الجن أيضا ، كما ينسبها العرب أى : « الجاهليون » إليه - أيضا - سواء بسواء بل ذهب هؤلاء العرب إلى اعتبار « وادى عبقر » مقرا لهم كما رأى الأوربيون جبل « أولمب » مقرا لشياطينهم وإن عدوهم آلهة ، فالعقلية تكاد تكون فى جاهليتها واحدة ومعنى العبقرى عند الأوربيين أنه صاحب الجنة أو الشبيه بالجنة فى القدرة والتفوق كائنا ماكان العمل الذى يتفوق فيه ، وكلمة جينياس genius أى : « عبقرى » تطلق على كل صاحب قريحة خارقة للمألوف ، فى الابتكار والابتداع سواء كان ابتداعها فى الشعر والنثر ، أو فى التصوير والنحت أو فى الانشاد والتلحين أو فى العلم « أو الصناعة » أو تدبير المال وسياسة الشعوب .

وعن عمل الشيطان فى الفنون يلاحظ العقاد أن ملكه .. الخيال تتقارب فى رواياته وأقاصيصه بين المشرق والمغرب كأنها تصدر عن إنسان واحد يتخيل الشيء الواحد فى أوقات مختلفة .. فالعرب يتحدثون عن شياطين الشعراء واليونان - ومن نقل عنهم - يتحدثون عن جنيات الفنون

التى اصطلح العقاد على تسميتها بالعرائس ولم يسلها بذلك نسبتها إلى الجان . ولسنا مع العقاد فى قوله : «فالغالب على شياطين الفنون أنها شياطين قدرة وإبداع وليست بشياطين غواية وإفساد » إذ أن الشيطان هو الشيطان فى أى مجال من المجالات يمزج السم بالدسم فى جميع الأحوال ووسوسته شر محض لا يبغى بها « هداية » الإنسان أو إمتاعه بمتعة بريئة ، انظر ص ١٦٧ « ٥ » المصدر السابق ص ١٨٠

فلا شك أن له وحيه ووسوسته وفى الكتاب العزيز :

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ **سورة الأنعام**

ولقد يوسوس الشيطان لإنسان ويوحى إليه بإبداع نشوى من مجالات حسية أو معنوية يفعل ذلك ليسوقه أو يسوق إلى فاحشة أو يغرى بها وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ . **سورة « النور — ٢١ »**

ونعود لنسوق للعقاد رأيه حيث يستطرد فيقول : وإذا كان الفن من آلات الإصلاح والعظة فشيطانه من شياطين القدرة والجمال وإذا كان من آلات الفتنة والغواية فشيطانه من جند إبليس ..

ومحال فى تقديرنا أن يكون شيطان ما من آلات الإصلاح والفطنة فاسمه وطبيعته ونزعته مما يحول دون الإصلاح والفطنة ، وللعقاد كتاب آخر اختار له عنوان : « عرائس وشياطين » . يقول فى التمهيد له « اتفقت الأساطير أن الشعر من وحى العرائس أو من وحى الشياطين فاختار الأوروبيون أن يتلقوا وحيهم من عروس واختار العرب أن يتلقوا وحيهم من شيطان ولا نراهم اختلفوا كثيرا فى نهاية المطاف وإن اختلفوا قليلا فى الخطوة الأولى فنهاية العروس أن تعمل بشيطان ، ونهاية الشيطان أن يعمل بعروس .

وما نظنهما عملا قط منفردين فى فؤاد إنسان ، ثم يختم العقاد تمهيده بقوله : هذه الصفحات نخبة مجموعة من وحى العرائس ذوات الشياطين أو من وحى الشياطين ذوى العرائس تلقيناها من هؤلاء وهؤلاء وجعلناها هدية للقراء .

وحصيلة هذا الكتاب نخبة من القصائد التى اختارها العقاد من الشعر العربى وأضاف إليها بعض النماذج التى ترجمها من الشعر العالمى وأجاز العقاد لنفسه كما يقول ، الحذف والتبديل مداراة

لإسفاف في العبارة أو إسفاف في الذوق والأدب ، وعليه – أي العقاد – تبعة القليل الذي طرأ عليها من الحذف والتبديل .

ومن مختارات العقاد في كتابه هذا قول ابن المعتز بعنوان : « الشعر » :

أن ذا الشعـر فيـه ضيـق نطـاق　　ليس مثـل الكـلام من شاء قالا
يكتفـى فيـه بالخفـى من الـوحش　　ويحـال قائلـوه احتيـالا

ويورد العقاد بعد ذلك ترجمة لرأى الشاعر الفارسي السعدى الشيرازى في أن للشيطان صورة جميلة على العكس مما يعتقد الناس عن هيئة الشيطان يقول العقاد مقدما لهذه الترجمة .

الشيطان ما الرأى فيه ؟ جميل هو في سيماه أو دميم ؟ هو على كل حال موصوف بين الناس بصفة لا اختلاف فيها وهي الغواية .. ولهذا قال الشيخ السعدى أنه جميل لأن الغواية لا غنى لها من مظهر خادع وصورة لا تنفر منها العيون ، أول نظرة ، وتلك هي وجهة نظر الشاعر الفارسي القديم حينما قال :

رأيت الشيطان في حلم فيا عجبا لما رأيت ! رأيته على غير ما وهمت من صورته الشنعاء التي تخيف من ينظر اليها .

قامة كفرع البانة عينان كأعين الحور طلعة كأنها تضيء بأشعة النعيم .

قاربته وسألت : أحق أنت الشيطان المريد ؟

أحق ذلك ولا أرى ملكا له جمال محياك ؟

ولا عين نظرت إلى شبيه سيماك ؟

ما بال أبناء آدم يتخذونك لهم ضحكة فيما يصورونك ؟ وفي وسعك أن تجلو لهم وجها كصفحة البدر وابتسامة تشرق بالنعيم !

أولئك الرسامون يبغضونك إلى العين .. الخ .

سألت وتسمعت .

فتحرك الحلم الساحر وترفع له صوت فخور ولاحت على طلعته كبرياء وقال : لا تصدق يا صاح أنه مثالى ذلك الذى رأيت فيما يمثلون فإن الريشة التي ترسمنى ، تجرى بها يد عدو وحسود سلبتهم السماء فسلبونى الجمال !(1) .

وإلى لقاء – بإذن الله تعالى – إلى سائر الأعمال الشعرية العربية والعالمية ثم مثلها .. في الأعمال المنشرة لكلا الفريقين .

---

(1) انظر كتاب عرائس وشياطين للعقاد ص ٧ – ٨ .



حول تعليق المجلة على بعض الأحاديث الواردة فى مقال

خصائص النبوة وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم

للشيخ/ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

جاء فى تعليق مجلة الأزهر الغراء على بعض الأحاديث الواردة فى مقال « خصائص النبوة وأسماء النبى ﷺ - الذى صُدِّرَ به كُتيب هدية المجلة - عدد ربيع الأول سنة ١٤١٧ هـ ، وعنوانه : « حكمة النبى - ﷺ - فى تغيير أسماء أصحابه » .

وهذه الأحاديث هى :

« أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لى أسماء ، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » .

« وأخرج أحمد والطيالسي في مسنديهما وابن سعد والحاكم والبيهقي عن جبير : سمعت النبي ﷺ يقول : **أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي والخاتم والعاقب** » .

« وأخرج أحمد ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال : سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا ، ومنها ما لم نحفظ . قال : **أنا محمد ، وأنا أحمد ، والمقفى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، ونبي الرحمة** » .

« وأخرج أبونعيم وابن مردويه في تفسيره والديلمي في مسند الفردوس عن أبي الطفيل قال : قال رسول الله ﷺ لي عشرة أسماء عند ربي : **أنا محمد ، وأحمد ، والفاتح ، والخاتم ، وأبو القاسم ، والحاشر ، والعاقب والماحي ، ويس ، وطه** » .

قال تعليق المجلة : كثير من هذه الأحاديث نود أن نحظى بتقويم علمي بشأنها يبين درجتها في مراتب الحديث .

وبالرجوع إلى « الجامع الكبير » الذي يسمى : بـ « جمع الجوامع » للسيوطي والذي يشرف مجمع البحوث الإسلامية على تحقيقه ، وهو كتاب يعتني بمراجع الحديث وضبطه وبيان درجته وُجد ما يأتي :

بالنسبة للحديث الأول قال السيوطي : أخرجه الطبراني وابن مردويه عن جبير بن مطعم ، وابن سعد عن أبي موسى الأشعري .

وأخرجه البغوي في الجعديات ، وابن عساكر عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه ، وقالت لجنة التحقيق : ذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم ٢٧٠١ عن أبي موسى الأشعري ورمز لصحته ، وبرقم ٢٧٠٢ ورمز لصحته ، وفي حديث لمسلم بلفظ « **أنا محمد وأحمد والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة** » .

وبالنسبة للحديث الثاني ذكره السيوطي في « جمع الجوامع » برقم ٨٤٨٩ بلفظ « أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى ونبي الرحمة ونبي الملحمة » .

وقال : أخرجه مالك والبخاري من حديث جبير بن مطعم ، ومسلم عن أبي موسى الأشعري .

وقالت لجنة التحقيق : أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم ٢٧٠١ ورمز له بالصحة ، ومعنى « نبي الملحمة » أي الحرب ، ووصف به لحرصه ﷺ على الجهاد ، « ونبي الملحمة » من رواية الطبراني فقط ، ولم نعرف لأعلى منه ، هكذا ذكر الشيخ المناوي في شرحه للحديث ، ورواية الصغير في ألفاظها بعض مغايرة .

ولفظ رواية مسلم عن أبي موسى قال : كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه بأسماء ، فقال : **« أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذى يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي »** .

ولمسلم رواية أخرى عن جبير كذلك جـ ١٥ ق ١٠٤ في باب « أسماؤه ﷺ » **والمقفى** بشدة الفاء وكسرها لأنه جاء عقب الأنبياء ، وفي قفاهم أو المتبع آثارهم .

والتعليق على الحديث الثاني يدخل في نطاقه الحديث الثالث ، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة والحسن .

أما الحديث الرابع فقد أخرجه السيوطي في جمع الجوامع برقم ٧٠٦٥ وقال : أخرجه ابن عدى في الكامل وابن عساكر عن أبي الطفيل ـ ولم تذكر لجنة التحقيق شيئا عن درجة الحديث .. وكأنها اكتفت بما جاء في نهاية كل عدد من سلسلة الكتاب حيث قالت : ما انفرد به ابن عدى في الكامل وابن عساكر في التاريخ وذكرت أسماء كتب أخرى ـ فهو ضعيف ، فيستغنى بالعزو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفه .

وإن كان هناك من إضافة إلى ذلك فهي : أن الحديث الأخير ذكره السيوطي في كتابه « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » في سورة طه عن أبي الطفيل بلفظ : قال رسول الله ﷺ : **« إن لي عشرة أسماء عند ربي »** قال أبوالطفيل : حفظت منها ثمانية : **محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحي والعاقب والحاشر » وزعم سيف أن أبا جعفر قال : الاسمان الباقيان : طه ويس** .

وروى القرطبي في تفسيره في سورة طه هذا الحديث الذى رواه أبو الطفيل كما ذكره أبو نعيم وابن مردويه والديلمي .

ورواه القرطبي أيضا مرة أخرى في تفسير سورة يس ، وروى حديثا آخر عن الماوردي ـ وكتاب الماوردي اسمه : معرفة الصحابة ، قال عنه السيوطي : لم أقف على سوى الجزء الأول منه وانتهى إلى حرف السين . قال ـ أي الماوردي ـ عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى أسماني في القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبدالله » .

وهناك أقوال أخرى حول هذه الأسماء وبخاصة «طه ويس» ، أوردها علماء الحديث وهم فرسان هذا الميدان ، وأولى بالتحدث فيه ، وشكرا لمجلة الأزهر على غيرتها المحمودة ، وحرصها على تحرى الصواب ، والله ولى التوفيق .

كتاب الجمهورية
يصدر عن دار التحرير للطبع والنشر
رئيس مجلس الإدارة: سمير رجب
رئيس التحرير: فاروق نعمي

شرح ومعاني جُزْءُ تبارك

محمد محمد عتريس

عرض وتقديم: د. محمد عبد الحكيم محمد

☐ تمهيد

استوقفتني عبارة للمؤلف ذات دلالة في مقدمة كتابه[1] نصها:

« لقد توالت – ولسوف تتوالى – اجتهادات بني البشر في مجال تفسير القرآن العظيم، إلا أن اللفظ القرآني يبقى في كل مرة أكثر ثراءً وأوسع مدى، ولاتزال إيحاءاته في الذهن وآثاره في القلب أكبر من كل التفاسير والاجتهادات، وهكذا القرآن الكريم، لايبلى على كثرة الرد، ولاتنقضي عجائبه ».

وجدت – في العبارة – مفتاحاً لشخصية مؤلف الكتاب الأستاذ محمد عتريس[*]، فهو يدرك بداية قبل التعرض لشرح ومعاني ألفاظ القرآن الكريم، أن هذا الكتاب السماوي الخالد قد حظي بعناية فائقة من المسلمين وغيرهم لم يحظ بها كتاب آخر.

---

(١) شرح ومعاني جزء عم – القسم الأول – ص ٦

(*) حفظ القرآن مبكراً وعمل وتمرس في حقل الترجمة ويعمل بمجلس الشعب على درجة وكيل وزارة.

كتابٌ يُعد نواة لمعجم لغوى معاصر فى القرآن الكريم

يعى المؤلف حقيقة ثراء القرآن الكريم، فهو الكتاب الذى فسره المفسرون ، واستنبط منه الفقهاء مادة فقههم ، ولازمه الأساتذة الأدباء محاولة الوقوف على بلاغته وفصاحته وسر إعجازه عبر القرون الإسلامية المديدة واحْتُجَّ به علماء اللغة والنحو وأرشد النحاة إلى لغات ما كانت لتخطر قواعدها لهم على بال كلغة لزوم المثنى الألف وغيرها . وطفق الكتاب والشعراء يزينون نثرهم وشعرهم بأقباس من معانيه وألفاظه .

كما تنبىء عبارة المؤلف – فى نفس الوقت – بأنه على يقين بأن القرآن الكريم أكبر من كل تفسير واجتهاد .

المؤلف وكتابه :

والذى يطالع قسماً من الأقسام السبعة التى صدرت للمؤلف عن جزء « عم » وجزء « تبارك » لا بد أن يسأل نفسه هل هذا الكتاب تفسير؟[٢] أو هل المؤلف هنا يعتبر مفسراً ؟

وإذا ثبت أنه كتاب تفسير ، على الرغم من أنه لم يصدر منه سوى شرح لمعانى جزئين فقط من أجزاء القرآن الثلاثين ؛ فما موقعه ومكانته المنتظرة بين القديم والحديث من كتب التفسير ؟

وهذا سؤال من الأهمية بمكان ، وإحقاقاً للحق أقول : ان فضيلة الدكتور على الخطيب رئيس التحرير هو صاحب فكرة هذا السؤال ، فقد قال لى : « عندما نعنى بتقديم كتاب جديد أحبُّ أن أعرف – ويعرف القراء معى – وجه التميز أو الإضافة فى هذا الكتاب بالقياس إلى ما سبقه من أشباه ونظائر » .

وللإجابة عن هذا السؤال تجدر الإشارة إلى معنى : علم التفسير ، وإعطاء نبذة عن تطور هذا العلم من الوجهة التاريخية ، والمناهج التى سار عليها أشهر المفسرين فى بيانهم لكتاب الله – عز وجل – فهى خلفية مهمة لابد منها .

التفسير لغة واصطلاحاً

(١) **التفسير لغة** : البيان والإيضاح ، وأصل كلمة التفسير « الفَسْر » ، والفَسْر هو : البيان وبابه : ضرب ، و (التفسير) مثله ، واستفسره كذا : سأله أن يفسره ، وقد وردت لفظة التفسير فى كتاب الله – جل وعلا – :

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾

[الفرقان / ٣٣]

« والتفسير لغة يستعمل فى الكشف الحسى كما يستعمل فى الكشف عن المعانى ، واستعماله فى الأخير أكثر من استعماله فى الأول »

[علم التفسير للذهبى : ٥]

(٢) وهو الكتاب الذى نحن بعرضه والتعليق عليه .

التفسير في اصطلاح علماء التفسير :

العلم الذى يفهم به كتاب الله .. وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه وهو أيضاً : علم يبحث عن مُراد كلام الله - تعالى - بقدر الطاقة البشرية ، فهو شامل لكل مايتوقف عليه فهم المعنى وبيان مراده »

[علم التفسير للذهبى : ٦]

التفسير من الوجهة التاريخية :

مرّ علم التفسير عبر مراحل عدة قبل أن يستقر على صورته الحالية (٤) :

(أ) المرحلة الأولى للتفسير : كان أهم مصادرها : القرآن الكريم نفسه ، ثم ما فسره الرسول ﷺ ، وتفسير الصحابة رضوان الله عليهم ، وذلك هو التفسير بالأثر ، وصحبه أسباب النزول ، غير أن علم التفسير فى هذه المرحلة لم يكن علماً قائماً بذاته ، بل كان عبارة عن روايات منقولة بالإسناد كالحديث النبوى الشريف .

(ب) المرحلة الثانية للتفسير :

وقد بدأت بنهاية عصر الصحابة فخلفهم التابعون الذين كان لهم فضل كبير فى إثراء علم التفسير وتطويره وتوضيح معانى القرآن الكريم التى مر عليها الصحابة ، حيث كانت لاتشكّل فى عصرهم حاجة إلى تفسير . ومن هؤلاء كان فى « مكة » مدرسة « عبدالله بن عباس » التى روّج لها : سعيد بن جبير ومجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبى رباح ، وفى « المدينة » اشتهر من التابعين زيد بن أسلم وأبو العالية وابن كعب القرظى ، وغيرهم ممن كانوا ينتصرون للصحابى الجليل « أبى بن كعب » .

كما أسس عبدالله بن مسعود مدرسته التى نبغ فيها : الحسن البصرى وعامر الشعبى وعلقمة النخعى - رضى الله عنهم أجمعين - .

ولعل مايُعكر صفو التفسير فى هذه المرحلة دخول بعض الإسرائيليات وتسامح بعض التابعين فى إدخالها ، وقد يكون دخولها - فيما بعد - على أيدى النُّسّاخ لدى الوراقين ويكون التابعون منها براء .

(ج) التفسير فى مرحلته الثالثة :

فى هذه المرحلة بدأت حركة التدوين لحديث رسول الله ﷺ ، وخلالها انفصل التفسير عن الحديث واستقل عنه ، وقيل : إن هذا الانفصال لم يتم إلا فى فترة متقدمة من المرحلة الثالثة على يد « ابن ماجه » ٢٧٣ هـ ، والطبرى ٣١٠ هـ .

(٣ ، ٤) مجلة الأمة - العدد الثانى والخمسون - شوال ١٤٠٥ هـ

- ابن جرير - الطبرى وكتابه ، ص ٦٧ بتصرف .

وقد قام المفسرون في هذه الحقبة بجمع تفسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، وهـو مايُسمى : « التفسير بالمأثور » ، وقد امتدت هذه المرحلة من أواخر عهد بني أمية إلى أوائل عصر بني العباس ، وخلالها خطا التفسير خطوات عظيمة إلى أن أصبح مرتباً على المصحف ، وقد تم ذلك على يد « الطبري » في حين تواصلت الخطوات الأخرى لعلم التفسير تباعاً ، ولا تزال متواصلة حتى عصرنا هذا ، فظهرت خلال هذه المرحلة – التي لما تنته بعد – أنواع عدة من التفسير يمكن حصرها في خمسة مناهج :

(١) التفسير بالمأثور

وهو الذي يجمع تفسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، ومن ذلك : تفسير الطبري ٢٢٤ هـ ، وهو يُعد من أئمة المفسرين بالمأثور ، وكذلك : تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤) هـ . والدر المنثور لجلال الدين السيوطي (٩١١) هـ .

(٢) التفسير بالرأي أو التفسير العقلي .

(٣) التفسير الموضوعي .

وهو الذي يهتم فيه المفسر بموضوع خاص من القرآن ، ومنها : التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية (٧٥١) هـ .

(٤) التفسير الإشاري :

وهو الذي يقوم على تأويل آيات الذكر الحكيم ، على خلاف ظاهرها ، ركونا إلى أن « لكل آية ظهر وبطن » ، وهي قضية غير متفق عليها بين علماء الأمة .

(٥) التفسير العلمي :

وهو الذي يستخرج ما تحمله عبارات القرآن من آراء علمية ، وقد اهتم بهذا الجانب : حجة الإسلام : الغزالي ، والسيوطي في كتابيه : الإكليل ، والإتقان ، وحديثاً : الشيخ : طنطاوي جوهري ، والشيخ : مصطفى المراغي ، والشيخ : محمود شلتوت [٧] .

المؤلف ومنهجه :

بعد هذه التقدمة المهمة عن علم التفسير وتطوره ؛ نعود إلى مؤلف كتاب : « شرح ومعاني جزء تبارك » لنتعرف على منهجه وموقع كتابه ومكانته من مناهج المفسرين وكتبهم .

لقد عمل المؤلف في حقل الترجمة ، وألجأه تمرسه في هذا الحقل إلى التعمق في دراسة اللغتين

(٥ ، ٦) التفسير بالمأثور والتفسير الاشاري للدكتور عبد الفتاح أبو سنة مجلة منبر الإسلام – عدد ربيع الآخر ١٤١٧ هـ ص ٢٢ والواقع أن هذا الوصف – أعني كلمة « العلمي » تثير الدهشة بقدر ما تضعنا أمام استفهامات لا حصر لها ... فهل ما فات من ألوان التفسير خلا من العلم ؟

(٧) مجلة الأمة : مرجع سبق .

العربية والإنجليزية ، وإلى التعامل اليومي مع عشرات المعاجم الإنجليزية ، ومن ثم وجد أن المعاجم العربية قليلة التصنيف والاختصاص العلمي فيما بينها إذا ما قُورنت بمثيلاتها في اللغات الأوربية . كذلك لاحظ أن المعاجم المتخصصة باللغة العربية لا وجود لها - تقريباً - لكن المعاجم الإنجليزية المتخصصة تغطي كل فروع العلم والفن والمعرفة .

ونظراً لأن المؤلف بدأ حياته التعليمية بحفظ القرآن الكريم ، فقد كانت تستوقفه منذ طفولته - كما نص على ذلك في مقدمة كتابه جزء عَمَّ - « تتابعات صعبة وعجيبة للحركات والسكنات والشدات » . ثم بعد أن يسَّر الله له أسباب المطالعة والبحث في كُتب التفسير ومعاجم اللغة تأكد لديه مدد القرآن الذي لا ينفد ، وأنه يمكن للعاشقين أن يخترقوا مادة قشيبة لمعاجم قرآنية متخصصة ، بعضها في العقيدة ، وبعضها في الأحكام ، وبعضها في التعبيرات القرآنية ، وغيرها .

ومن ثَمَّ ، عمد متوفراً على وضع كتاب « شرح ومعاني جزء عَمَّ » ثم تلاه بـ « شرح ومعاني جزء تبارك » . انتهج فيهما عمل كشاف لمعظم الكلمات والمفردات الواردة في الجزئين .. سورة سورة وآية آية وكلمة كلمة ، لاسيما الغريب الذي يستعصي على الفهم في وقتنا الحاضر ، فكأنه عمد إلى إرساء نواة لمعجم لغوي معاصر للقرآن الكريم ، معجم يفيد من جهود السابقين يبني عليهم ويضيف إليهم وهو ما يمكن أن يكون منهجاً جديداً في بابه ؛ بعدما اشتهرت مناهج : التفسير بالمأثور ، والتفسير الإشاري ، والتفسير العقلي ، والتفسير الموضوعي ، والتفسير العلمي ، وظل التفسير اللغوي في حاجة إلى جهد دءوب من العلماء والمتخصصين .

فما أمسَّ حاجتنا إلى هذا الجهد الذي يُعد إضافة وتتمة لبناء سبق أن شيد صرحه ووضع لبناته مؤلفون عظام في مؤلفات ومعاجم جمة الفائدة مثل : مفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ، وإعراب القرآن ، وتفسير غريب القرآن للسجستاني ، وإعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ؛ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، والمخصص لابن سيده ، إلى جانب معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي أصدره مجمع اللغة العربية ، والقاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم الذي أصدره مجمع البحوث الإسلامية وغيرهم ممن فتح الله عليهم لخدمة كتابه الكريم .

وبعد أن أوقفنا القارىء على مناهج التفسير ، وعلى مذهب المؤلف نقدم بعض نماذج من عمل المؤلف في كتابه « شرح ومعاني جزء تبارك » :

بَلَوْنَاهُم :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾

[القلم - ٦٨]

بَلاهُ يَبْلُوه بَلْواً وبلاءً : اختبره .

جاء في تفسير ابن كثير : هذا مثل ضربه الله

تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعمة الجسيمة ، وهو بعثة محمد ﷺ . فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ، ولهذا قال تعالى : « إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ » أى اختبرناهم ﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ .

وبمناسبة الإشارة إلى المال والبنين ، والبطر الذى يبطره المكذبون ، يضرب لهم مثلا بقصة يبدو أنها كانت معروفة عندهم ، ويذكرهم فيها بعاقبة منع الخير والاعتداء على حقوق الآخرين . ويشعرهم أن مابين أيديهم من نعم إنما هو ابتلاء لهم كما ابتلى أصحاب هذه القصة .

والأداء الفنى للقصة فيه حيوية فى العرض حتى لكأن السامع - أو القارىء - يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى .

أصحاب الجنة :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾

[القلم - ١٧]

الجنة : البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه .

﴿ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ هم أصحاب بستان بأرض اليمن قريبا من صنعاء ورثوه عن أبيهم ، وكان يؤدى للمساكين حقَّ الله فيه ؛ فلما مات بخلوا به فكان من أمرهم ماقصه الله فى هذه السورة .

كان للمساكين كل ماتعداه المنجل فلم يجذّه من الكرم ، فإذا درسوا كان لهم أيضاً كل شىء انتثر . فلما مات أبوهم قالوا : قلَّ المال وكثر العيال ، وتحالفوا ليغدون غدوة قبل خروج الناس ويقطعون الثمر ولاتعرف المساكين .

قال بعض العلماء : على من حصد زرعاً أو جدَّ ثمرة أن يواسى منها من حضره ؛ وذلك معنى قوله : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [١٤١ / الأنعام] وأنه غير الزكاة . وقال بعضهم : وعليه ترك ماأعطاه الحاصدون . وكان بعض العباد يتحرون أقواتهم من هذا .

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

[القلم - ٦٨]

صَرَمَ النخل - من باب ضرب - جَزَّه أى قطع ثمره . وأصل الصَّرْم القطع ، صَرَمَه يصرمه صَرْما : قطعه .

المعنى : حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمر البستان فى الصباح الباكر قبل خروج الفقراء والمساكين ، فيتوفر ثمرها عليهم ولايتصدقون منه بشىء . ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ أى داخلين وقت الصباح ، من أصبح أى دخل فى الصباح .

● ● ●

ألم :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

١٦ - المرسلات

قال الراغب : « ثُمّ » تقتضي للماضي ، ويدخل عليه ألف الاستفهام للتقرير .

ومعنى الآية : قد أهلكنا الأولين السابقين جميعاً ممن كذبوا بالرسل ، مثل : قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ، وإهلاكهم وتدميرهم أمر ثابت مقرر قد وقع وحصل .

الأولين :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾

١٦ - المرسلات

قيل : « الأولين » هم السابقون جميعاً ممن كذبوا بالرسل ، مثل : قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ، وإهلاكهم وتدميرهم أمر ثابت قد وقع وحصل .

الآخرين :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾

- المرسلات

« الآخرين » : هم أهل مكة وأضرابهم .

هذا وعيد وزجر لأهل مكة ومن على شاكلتهم من المشركين والكافرين ، فمعنى « نتبعهم الآخرين » : سنفعل بهم مثل هذا النكال ، فهذه هي سنتنا الماضية التي لا تحيد ، وطريقتنا في عقاب كل مجرم كافر : نأخذه ونهلكه مثلما أهلكنا من سبق من المجرمين ؛ وهو معنى قوله تعالى : كذلك نفعل بالمجرمين وفيه إنذار وتخويف من عاقبة الكفر ، فيرتدع وينزجر أهل الشرك والكفر .

قرأ العامة « ثم نُتْبِعُهم » بالرفع على الاستئناف ، وقرأ الأعرج « نتبعْهم » بالجزم عطفاً على « نهلك الأولين » . والمراد أنه أهلك قوماً بعد قوم على اختلاف أوقات المرسلين .

الكاف من « كذلك » في موضع نصب ، أي مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مجرم .

وبعد .. فإن المؤلف يدرك أن : اللغة « لفظ ومعنى » فهو إلى جانب أخذه باجتهادات المفسرين في سبيل شرح المعنى المراد من الآية ، نجد اهتمامه كبيراً بالألفاظ والمفردات القرآنية ، فهو يلح على إبرازها مع مشتقاتها وبيان دلالاتها المختلفة ، متوسلا في ذلك بمعاجم اللغة وعلوم الإعراب .

ودعما لهذا التفسير اللغوى لألفاظ القرآن الكريم ، فإن المؤلف يدعم رؤيته لمعانى الألفاظ بالشواهد الشعرية العربية - إعانة منه للقارىء على فهم غريب القرآن .

من ذلك على سبيل المثال : أنه يدعم شرحه لمعنى كلمة (بَسَر) في قوله تعالى : « ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » المدثر / ٢٢ ، بعد أن ذكر أن العرب تقول : وجه باسر بيِّن البسور إذا تغير واسوَدّ ، تراه يقول : قال توبة بن الحمير :

وقد رابنى منها صدود رأيته
وإعراضها عن حاجتي وبُسورها

وفى شرحه لمعنى « يوفضون » فى قوله تعـــالى : « كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ » المعارج / ٧٠ ، بأنها بمعنى : يسرعون ، يقول : قال الشاعر :

فوارس ذبيان تحت الحديـ ـد يوفضن من عبقر

ثم لايترك كلمة (عبقر) بدون توضيح ، بل يذكر فى الهامش أن عبقر : موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن .

وما أكثر الشواهد الشعرية المتناثرة فى تفسيره اللغوى .

وفى نهاية بحثه نراه قد جمع الكلمات التى تناولها بالشرح والمعنى فى كشاف مرتب ترتيبا « ألفبائيا » حسب نطق الكلمة فى سياق الآية دون اعتداد بأصل الكلمة التى اشتقت منه ، وذلك على طريقة المعاجم الانجليزية والفرنسية ، لا كما هو الحال بالنسبة لمعجمنا العربى ، على أنه قد وفق فى ذلك أيما توفيق لأنه الأيسر على القارىء للكلمة التى يبحث عنها فى حرفها الأول مباشرة ولعل من أهم مايتميز به هذا التفسير اللغوى ، أو كما أسماه المؤلف « شرح ومعانى » أنه لم يعتمد فيه على اجتهاداته الشخصية بل استند إلى اجتهادات المفسرين والمعاجم العربية المعتمدة ، وفرق كبير بين رأي عابر ورؤية موّصلة للألفاظ والمعانى ، فتراه يعتمد على القديم والحديث معاً ، مثل :

القرطبى وابن كثير والجلالين والوسيط وفتح القدير للشوكانى وصفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين مخلوف ، و « معجم ألفاظ القرآن الكريم » والمعجم الوسيط والمعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية ولسان العرب لابن منظور ، وغيرهم .

والكتاب فى مجمله يضم فوائد متعددة ومعلومات قيمة موافقة لأهل التحقيق ، ليس فيه ميل إلى الفرق الضالة أو ذكر لشىء من الإسرائيليات .

دعوة لدراسة الإعجاز اللغوى

وأرجو المؤلف وأدعو غيره من الباحثين إلى مواصلة الجهد فى دراسة الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم ، وتكثيف الجهود وتسخير العزائم من أجل استمرار البحث فى دلالات الألفاظ قبل نزول القرآن الكريم وقياسها إلى دلالاتها نفسها فى القرآن الكريم ، وهناك بعض الملاحظات على هذا العمل النافع :

١ - خلو المقدمة من ذكر المنهج الذى سار عليه فى وضع الكتاب وتأليفه ، لاسيما وأنه كتاب مستقل عن « جزء عم » وكان حرياً به ذكر ذلك فى المقدمة ، كما تفضل وذكر ذلك فى مقدمة كتابه عن « جزء عم » .

١ - عدم تخريج كثير من الأحاديث النبوية وهذا مانود مراعاته فى الطبعات القادمة لأهميته - كما يعلم - فى التوثيق العلمى .

ثم لازلت أريد أن أفهم : لماذا جمع فى عنوان الكتاب هذين اللفظين : « شرح ومعانى »

وأخيراً أسأل الله - تعالى - لهذا العمل القبول والانتشار .



تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

كيف نتقى الله عز وجل

فى كتاب الله العزيز الكثير من الآيات التى تحض على التقوى وتبشر المؤمنين المتقين ، وتشير إلى ارتباط التقوى بالصبر ، وارتباط الصبر بالفرج ، والوصول إلى المخرج من كل ضيق . وأن جزاء المتقين رضوان من الله ، وجنة عرضها السموات والأرض .

ومن هذه الآيات :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ الطلاق ـ ٢

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ الطلاق ـ ٤

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف ـ ١٢

وعن التقوى وردت رسالة القارىء مصطفى سعيد إبراهيم الوكيل ـ كلية الخدمة الاجتماعية / حلوان بعنوان : كيف نتقى الله عز وجل ؟

يقول فيها :

إن التقوى هى أجل وصية من الله عز وجل ـ للأولين والآخرين إذ يقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾

النساء ـ ١٣١

وهى وصية النبى ﷺ لأمته .

قال رسول الله ﷺ : «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذى ٨ / ١٥٥ ورواه أحمد ٥ / ١٥٨

وقوله ﷺ «حيثما كنت» أى : السر والعلانية ، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه .

* التقوى وصية جميع الرسل الكرام لقومهم مثال ذلك قول الحق تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾

سورة الشعراء

* والتقوى وصية السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ ولذلك يقول الحافظ ابن رجب الحنبلى ـ رحمه الله ـ فى كتابه «جامع العلوم والحكم» ص ١٥٠ ـ ١٥١ :

(لم يزل السلف الصالح يتواصون بها ، فكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يقول فى خطبته : أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله .

* ويقول الإمام الثورى ـ رحمه الله ـ : «إن اتقيت الله كفاك الناس وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً» .

الفوائد المنسوب لابن القيم الجوزية

* والتقوى ميزان الكرم ـ سئل رسول الله ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : «اتقاهم لله» رواه البخارى ٦ ـ ٤١٧ .

فكيف نتقى الله ـ عز وجل ؟

يقول فى ذلك الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ فى كتابه (منهاج العابدين) ص ٧٦ ـ ٧٧ «من أراد أن يتقى الله فليراع الأعضاء الخمسة ، فإنها الأصول : وهى العين والأذن واللسان ، والقلب والبطن ، فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضرراً فى أمر الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف من حلال ، وإذا حصل صيانة هذه الأعضاء .. ويكون قد قام بالتقوى الجامعة لجميع بدنه لله ـ تعالى .

التفرق والاختلاف انتكاس بالإنسانية

ويرسل القارىء/ سالم مهنى عبد العظيم محمد ـ قرية شبرا النونة ـ إيتاى البارود ـ بحيرة : يقول :

لقد كرم الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه واستخلفه فى الأرض وسخر له ما فيها من النبات والحيوان والجماد ليتمكن من تحصيل معاشه وتحقيق رغباته وقد فطر الإنسان على أن يحيا فى جماعة تتبادل المنافع وتتعاون على دفع الضر ، والفرد من العمل ما يخدم الجماعة وللجماعة من العمل ما لا يستغنى عنه الفرد ، ولذلك فإن عند الفرد شعوراً قوياً بحاجته إلى الجماعة ، وكلما ازدادت حاجته قويت الصلة بينه وبين أفراد الجماعة وتدرجت من الأسرة إلى العشيرة إلى الأمة إلى سائر بنى الإنسان ، ولذلك فإن ضعف هذه الصلة يؤدى إلى التفرقة والاختلاف اللذين يأباهما الإسلام الحنيف ويحاربهما ، لأنهما فى الحقيقة انتكاس بالإنسانية وتفويت لأسباب رفعة الأمة وعزتها الحقيقية يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾

سورة المؤمنون آية ٥٢

ويقول :

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

سورة الأنفال آية ٤٦

ويقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

سورة الأنعام آية ١٥٩

ويقول :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

سورة آل عمران آية ١٠٣

على ضوء هذه القواعد الراسخة سار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن بعدهم من القرون المشهود لها بالخير ولم يقع بينهم اختلاف أو تفرق لكن الناس فى هذا الزمن فترت هممهم وضعفت عزائمهم وقويت فيهم المطامع والشهوات فنرى الإنسان وقد حوّل المحبة والأخوة إلى منافع ينتفع بها ويخيل إليه أن لذته تتحقق بالاحتيال للحصول على رغائبه بدون عمل ، فيجهد فكره فى استنباط الحيل لسلب ما فى يد الغير ويهيىء وسائل استعمال القوة للحصول على ما يريد ولا يبالى بإهلاك من يقف فى طريقه ، نتيجة لذلك قام التنازع بين الناس مقام التسامح وحل الاختلاف والتباعد والتخاصم محل التوافق والتقارب والتصالح . فهل آن الأوان لنصبح إخوة معتصمين بدين الله ، نتحاب ولا نتباغض نتقارب ولا نتباعد ؟ وهل أذن الله لنوره أن يشرق على الأرض من جديد ؟ وهل أراد للإنسان أن يحيا حياة طيبة يسودها الإيمان والحب والعمل والإحسان ؟ هذا ما تشهد به الآيات قال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

سورة الفتح آية ٢٨

والحمد لله أولا وآخراً .



القارىء / خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ :

يقتطف هذه الكلمة من كتاب : « الجواب الكافى » لابن القيم الجوزية تحت عنوان : « إلى أصحاب العقول » .

جاء فيها ما يلى :

« كيف يكون عاقلا وافر العقل من يعصى الله وهو فى قبضته وفى داره ، وهو يعلم أنه يراه ويشاهده ؟ فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ، ويستعين بنعمه على مساخطه ، ويستدعى كل غضبه عليه ولعنته له ، وإبعاده من قربه ، وطرده من بابه » .

فكن أخا الإسلام ذا عقل سليم ، وكن على حذر من المعاصى مبتعداً عنها حتى تصل إلى درجة الإحسان كما جاء فى حديث الرسول ﷺ لجبريل ـ عليه السلام ـ : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » الحديث من كتاب الأربعين النووية .

الخليل الصالح

أرسل القارىء / مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية :

يقول :

لا شك أن الخليل الصالح كنز ثمين نعتز به ، ونفخر ؛ فهو الساعد الأيمن الذى يعين فى النوازل والحوادث ، وينصح ويرشد ، وهو الذى نأتمنه على أموالنا وأسرارنا ، وها هى ذى نصيحة من لقمان الحكيم لابنه فى اختيار الخليل الصالح .

قال لقمان لابنه وهو يعظه : « اعلم ـ بنىّ ـ أن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من وخز الإبر ، وأن القلوب مزارع ، فازرع فيها طيب الكلام ، فإن لم ينبت كله نبت بعضه ، وليكن أول شىء تكسبه بعد الإيمان بالله هو الخليل الصالح ، فإنما مثل الخليل الصالح كمثل النخلة ، إن احتطبت من حطبها احطبتك (أى : أعطتك حطبا) وإن استظللت بظلها أظلتك ، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيباً » .

هؤلاء أدركوا حقيقة الدنيا

أما القارىء / عبد الناصر مصطفى أحمد ـ أسيوط ـ موشا ـ ش الجلاء :

فقد اختار هذا الجزء من الإحياء جـ٣ ص٣٣٢ ، وقد جاء فيها :

(قال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله ـ عز وجل ـ قد أهان الدنيا ولم يرضها لأوليائه ، وأنها عنده حقيرة قليلة ، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها ، أخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يُلهى ، لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، وأكلوا من الطعام ما سد الجوعة ، ونظروا إلى الدنيا أنها فانية ، وإلى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب ، وفخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوب لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم ، تعبوا قليلا وتنعموا طويلا) .

فحق عليهم قول القائل :

إن لله عـــــبادا فُطَنـــــا
طَلّقوا الدنيـــا وخافُــوا الفتنــا
نظـــروا فيها فلمـــا علمـــوا
أنها ليست لِحَـــىٍّ سَكَنـــا
جعلوهـــا لُجَّــــةً واتخذوا
صالـــحَ الأعمـــال فيها سُفنـــا

مدرسة التواضع

أما القارىء/ ربيع عبد العظيم الإكيادى ـ رابطة شباب الأزهر ـ بإكياد :

فقد كتب تحت عنوان : « مدرسة التواضع » كلمة نوجزها فيما يلى :

إن المتواضعين فى كل جيل هم دفعة تخرجت من مدرسة التواضع التى افتتحها الإسلام ، ففى الحديث الذى رواه الإمام مسلم : (.. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) .

وقال ـ تعالى :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

سورة الشعراء

وقال :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾

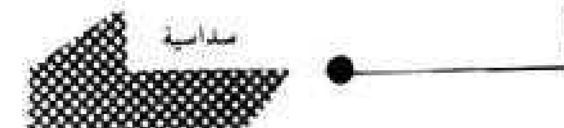
الإسراء/ ٣٧ ، لقمان/ ١٨

وقال فى جزاء المتواضعين :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾

القصص/ ٨٣

وقال رسول الله ﷺ فى الأمر بالتواضع : « إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » رواه مسلم .



أما القارىء/ محمد أحمد مكرم ـ الواسطى ـ أسيوط :

فيرسل هذه السداسية التى يقول فيها :

هناك ستة أشياء كفيلة بأن تغلق أبواب جهنم عن وجه من يتمسك بها ويعمل بها وهى : اللسان ، والقلب ، والنظر ، والبطن ، واليد ، والقدم .

١ ـ أما اللسان : فيمنعه المؤمن من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

٢ ـ القلب : فيُخرج منه العداوة والحسد ولا دواء لهما إلا بالعلم والعمل .

٣ ـ النظر : فلا ينظر إلى الحرام من المأكل والمشرب والملبس ولا إلى الدنيا بالرغبة ، ويغض البصر عما لا يحل له .

٤ ـ البطن : فلا يدخل فى بطنه حرام ، فإنه إثم كبير فكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به .

٥ ـ اليد : فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدها إلى ما فيه طاعة الله ـ تعالى ـ .

٦ ـ القدم : فلا تمشى قدمه فى معصية الله ، بل تمشى فى طاعته ورضاه وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

إما نعمة وإما نقمة

أما القارىء / السعيد السيد الريس ـ محافظة كفر الشيخ ـ دسوق ـ سنهور المدينة :

فقد بعث إلينا هذه الكلمات التى يتكلم فيها عن أثر المال الإيجابى والسلبى .. يقول :

المال سلاح ذو حدين ، يُحمد فى أشياء كثيرة ، ويظن الناس أنه بالمال تمتلك كل شىء وغاب عنهم ما حدث لقارون فقد ملك المال الكثير ، وتكبر وتجبر على الناس حتى أنهم عندما نصحوه ووعظوه قال : لقد ورثته كابراً عن كابر ، وبطش بالناس وانضم إلى فرعون فخسف به وبداره الأرض وهذا مصير من يتكبر بالمال .

ومن الناس من يعلم أن المال نعمة ، يشكر الله عليها ، فها هو أبو بكر الصديق يأتى بكل ماله إلى رسول الله ﷺ فيقول له ﷺ : ماذا تركت لأولادك فيقول : تركت لهم الله ورسوله ، فعاد مال أبى بكر عليه وعلى المسلمين بالخير العميم .

ردود سريعة

* القارىء / محمد سعد لطفى على
المنصورة ـ قرية طناح ـ دقهلية
نرحب بإنتاجك الأدبى ، وبخصوص الشعر فإننا نلتزم بنشر الشعر الجيد الذى يعالج الأفكار الجيدة ولايخرج عن ضوابط الشعر فى الوزن والقافية .

* القارىء / محمد سيد أحمد محمد

كلية التربية ـ جامعة الأزهر
نشكر لك اهتمامك بالمجلة ، واقتراحك جيد ولعلك تراه قريبا .

* القارىء / إبو شرف الدين ـ طشقند ـ أوزبكستان
نشكر لكم اهتمامكم بأمور المسلمين ، واهتمامكم بما ينشر عن هذا الموضوع ، وهو ما لمسناه بإشارتكم إلى مقال : « الإسلام فى الكتب المدرسية فى أوروبا الغربية » بقلم الأستاذ الدكتور عبد الجواد فلاطورى والذى نشرته مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى شهر المحرم ١٤١٥ هـ . وهو ما لمسناه ـ أيضا ـ فى تعليقكم على كتاب « مصر والمصريون » الذى نأمل أن نقدمه فى عدد قادم بمشيئة الله ـ تعالى ـ وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

أنباء وآراء





تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي . مصطفى عبد المجيد

إعتماد حركة رؤساء البعثات

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حركة رؤساء بعثات الأزهر الشريف التعليمية إلى الدول العربية والافريقية والأسيوية للعام الدراسى ١٩٩٧/٩٦ شملت الحركة ايفاد رؤساء خمس بعثات جدد لأول مرة فى هذا العام وهم :

فضيلة الشيخ عبداللطيف سمعان . رئيساً لبعثة الأزهر فى لبنان

فضيلة الشيخ محمد عبدالرازق الجمل رئيساً لبعثة الأزهر فى النيجر .

فضيلة الشيخ مصطفى ضيف رئيساً لبعثة الأزهر فى مالى .

فضيلة الشيخ محمد عبدالفتاح عبدالدايم رئيساً لبعثة الأزهر فى اندونيسيا .

فضيلة الشيخ معوض محمد عويضة رئيساً لبعثة الأزهر فى اليمن .



تكريم أوائل الشهادات الأزهرية

قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بتوزيع الجوائز المالية وشهادات التقدير على أوائل الشهادات الأزهرية (الابتدائية ـ الأعدادية ـ الثانوية ـ معهد البعوث) للعام الدراسى ٩٥ ـ ١٩٩٦ على مستوى الجمهورية .

كذلك قام فضيلته بتوزيع الجوائز على الفائزين فى مشروع الجائزة الكبرى على مستوى الجمهورية للعاملين برعاية الطلاب بالأزهر الشريف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة حث فيها الفائزين على بذل الجهد والعرق والمثابرة للحفاظ على دوام الفوز والتقدم ، فهم علماء المستقبل وحاملو رايته .

حضر الحفل فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة نائب رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

جولة الإمام الأكبر فى صعيد مصر

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر بزيارة لعدد من محافظات الصعيد شملت المنيا واسيوط وسوهاج وقنا والأقصر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن قافلة الدعوة التى تنظم أجهزة الدعوة فى مصر تعمل وفق منظومة واحدة ولاتعارض بينها مشيرا إلى الهدف الأسمى للدعاة فى الأزهر جامعاً وجامعة وفى الأوقاف توعية المسلمين بالفكر الدخيل على الإسلام ذلك الفكر الذى يدعو للعنف ويستحل دماء الأبرياء وممتلكاتهم .

واشار فضيلته إلى أن قافلة الدعوة التى تجوب مدن ومحافظات الصعيد هدفها أمران :

الأول : تأكيد المودة والمحبة ووحدة الهدف والرسالة بين سائر أجهزة الدعوة .

الثانى : تجديد العهد على أن الدعاة سيظلون حماة للفضائل لنشر نعمة الأمان والاطمئنان والسلام والاستقرار والرخاء والسماحة وأن شريعة الإسلام هدفها نشر الخير والحث على فعله انطلاقا من قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) .

وجدد شيخ الأزهر حرص العلماء على الوقوف فى وجه الارهاب والافساد والتعدى على أموال الناس وحرماتهم وممتلكاتهم ايا كانوا مسلمين وغير مسلمين لأن الفضائل لاتتجزأ مع المسلم وغير المسلم .

وأوضح فضيلته ان القرآن الكريم حرم ارتكاب الفواحش على المسلم وغير المسلم فالظلم والعدوان والقتل حرام على المسلم وغير المسلم مشيراً إلى أن اختلاف الناس فى العقائد أمر يحاسب عليه الله وحده ولا يجوز لبشر أن يحاسب بشراً آخرين على عقائدهم ودياناتهم .. وعلى المسلم الا يسيء إلى من يحترم عقيدته وشريعته .

وأكد الدكتور وزير الأوقاف أن الدعوة فى مصر تعيش عصرها الزاهر متعاونة على خير هذا المجتمع ليس كما يكتب البعض متهما الهيئات الإسلامية بأنها تزرع بذور الكراهية والتعصب وأن الدعاة يحتقرون المرأة ويقللون من شأنها مؤكداً أن هذا كلام غير صحيح .

الإمام الأكبر يفتتح اللقاء الثانى للحوار بين الأديان

شارك فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى أعمال افتتاح اللقاء العام الثانى للحوار الإسلامى المسيحى الذى عقد بمدينة الاسكندرية فى الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ أغسطس الماضى تحت عنوان (الإنسان المصرى وتحديات القرن الحادى والعشرين) كذلك شارك فى أعمال اللقاء فضيلة الشيخ أحمد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر ووزارة الأوقاف .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمة ألقاها فى الجلسة الافتتاحية لهذا اللقاء على أن الأديان السماوية التى انزلها الله سبحانه وتعالى على انبيائه تدعو إلى الفضائل وتنبذ الرذائل وأن الإنسان المصرى عندما تقرأ تاريخه ترى أنه يقبل التحديات لأن الحياة ما هى إلا لون من ألوان التحديات وصراع بين الخير والشر بين العقلاء والسفهاء .. وأشار فضيلته إلى أن المصرى سواء كان مسلماً أو مسيحياً يتساوى فى الحقوق والواجبات .

وأضاف : أن جميع الأديان تأمرنا بالدفاع عن انفسنا ضد من يسيء إلينا .. وعملا بقول الحق تبارك وتعالى (لا إكراه فى الدين) لأن الاكراه فى العقائد لا يولد مؤمنين وإنما يولد منافقين .

وأكد فضيلته على أن العقيدة الدينية مستقرة داخل الإنسان المصرى منذ عصر الأهرامات .

وأكد فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف فى الكلمة التى ألقاها نيابة عنه فضيلة الدكتور عبدالرشيد سالم وكيل وزارة الأوقاف أن كل المصريين متساوون فى الحقوق والواجبات مشيراً إلى أن مصر كانت أرض تصحيح الانحرافات .

استقبالات الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور محمد اليعقوبى مدير المركز الإسلامى بالسويد ومبعوث الحكومة السويدية للمشاركة فى المؤتمر الثامن للحوار الحضارى الذى نظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٢٤ ـ ٢٧ يوليه الماضى .

وقد دار اللقاء حول مناقشة سبل التعاون بين الحكومة السويدية والأزهر الشريف وحاجة المسلمين فى السويد لعلماء الأزهر الشريف لتبصيرهم بأمور دينهم .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد البشارى رئيس وفد فرنسا لدى المؤتمر ورئيس الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا ، حيث اطلع سيادته فضيلة الإمام الأكبر على أحوال المسلمين فى فرنسا وسبل التعاون بينهم وبين الأزهر الشريف .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور مهير ميتلان محافظ جنوب الفلبين الذى قدم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة توليه مشيخة الأزهر الشريف وقدم كذلك الشكر للأزهر الشريف على مايقدمه من مساعدات ومنح دراسية لأبناء مسلمى الفلبين للدراسة بالأزهر .

● واستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير / محمد على محمود سفير كينيا بالقاهرة وذلك بمناسبة تسلمه لعمله كسفير لبلاده بالقاهرة .

وقد قدم سيادته التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة توليه مشيخة الأزهر الشريف ودار الحديث خلال اللقاء عن الدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف فى كينيا لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

كذلك قدم السيد السفير شكره لفضيلة الإمام الأكبر لقيام الأزهر الشريف بانشاء المعهد الأزهرى فى كينيا وامداده بالمدرسين والكتب الدراسية وفق خطة ومناهج الأزهر مما سيكون له أكبر الأثر على ابناء المسلمين بكينيا فى تعليم اللغة العربية وعلومها .

وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته للرئيس الكينى وحكومة وشعب كينيا مؤكداً على استعداد الأزهر لتقديم كل عون لابناء كينيا الدراسين بالأزهر .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير كانوال سيبال سفير جمهورية الهند بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دور الأزهر البارز فى شتى بقاع الأرض فى مجال نشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى .

وقد قدم السيد السفير دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الهند ، حيث شكره فضيلة الإمام الأكبر على تلك الدعوة ووعد ببحثها تمهيداً لتلبيتها فى القريب العاجل .
وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير شكر الأزهر الشريف لحكومة وشعب الهند الصديق .

● واستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد فاروق حسنى وزير الثقافة ، حيث تناول اللقاء إسهام هيئة الآثار فى ترميم الجامع الأزهر وتقديم الجوانب الفنية لعملية الترميم لكى يظهر مبنى الجامع الأزهر الشريف بالمظهر اللائق به كتراث دينى وعلمى وثقافى يزيد عمره على ألف سنة .
وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير على هذا الاهتمام وعلى الخدمات الفنية الرائعة التى تقدمها وزارة الثقافة وهيئة الآثار لمبنى الجامع الأزهر الشريف .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد جامعة قطر برئاسة الدكتور محمد الابراهيمى نائب رئيس الجامعة .
تم خلال اللقاء بحث التعاون بين قطر والأزهر الشريف ومعادلة الشهادات المتوسطة فى قطر بالشهادات الأزهرية .
شهد اللقاء الدكتور يوسف عبيدان عميد كلية الادارة والاقتصاد بقطر والدكتور عبدالحميد الانصارى عميد كلية الشريعة السابق بجامعة قطر .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد السفير ف . ك . راجان سفير سنغافورة بالقاهرة ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف دار اللقاء حول دعم التعاون الثقافى والدينى بين الأزهر الشريف ودولة سنغافورة وزيادة المنح الدراسية لأبناء سنغافورة للدراسة بالأزهر الشريف لما لذلك من أثر كبير على أبناء سنغافورة فى فهم أمور دينهم ، ولما للأزهر الشريف من دور بارز فى هذا المجال .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر السفير / وكيلرت إسرافيل سفير دولة أذربيجان فى القاهرة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .
وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر دعوة رسمية لفضيلته من أجل زيارة جمهورية أذربيجان وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الكريمة وحمله إبلاغ شكره وتقديره للرئيس حيدر ياييف والحكومة وشعب أذربيجان الشقيق ، كما وعده بدراسة الدعوة تمهيداً لتلبيتها .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / حمدى عبد الحميد بشير

مبارك يؤكد على وحدة العراق

أكد الرئيس حسنى مبارك ان موقف مصر ثابت ومبدئى من وحدة الأراضى العراقية حيث إنه لابد من الحفاظ على هذه الوحدة وقال : نحن نقف بشدة ضد كل محاولة لتقسيم العراق وقال سيادته فى حديث نشرته صحيفة مايو الصادرة يوم الإثنين ٢٥ من ربيع الآخر الماضى :

إن العراق شعب عربى شقيق ، ودولة عربية تحرص على كيانها ووحدتها شأن أية دولة عربية أخرى تكن لها هذه المشاعر الأخوية ، وتلتزم تجاهها بتلك المبادىء .

وقال سيادته : إن تجزئة العراق أمر خطير للغاية .

وتناول سيادته فى تصريحاته سياسة الإصلاح الاقتصادى فى مصر وما حققته من نتائج ، وأعلن أن الاتفاق الجديد مع صندوق النقد الدولى ، والخاص بإسقاط الشريحة الثالثة من الديون سيتم توقيعه يوم أول أكتوبر ١٩٩٦م ، وأكد سيادته التزامه بعدم تحميل أعباء جديدة على محدودى الدخل وأشار إلى أن مكانة مصر فى العالم تزداد رسوخاً ، وأن مصر بموقعها وبقوة إرادة شعبها قادرة على التأثير فى مجريات الأمور . بإذن الله ــ تعالى .

عودة لاجئى البوسنة

تعهد الرئيس البوسنى على عزت بيجوفتش بعودة اللاجئين المسلمين المطرودين من بلدة برتشكو الواقعة تحت السيطرة الصربية إلى منازلهم وإلا حدثت اضرابات خطيرة ، جاء ذلك فى خطاب حماسى ألقاه أمام مظاهرة صاخبة نظمها خمسة آلاف من مؤيدى حزبه على مقربة من بلدة برتشكو ، وذلك قبل الانتخابات العامة التى ستجرى أوائل جمادى الأولى ١٤١٧هـ .

مجلس التعاون يطالب إسرائيل بالانسحاب

أدلى وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي في بيان ختام اجتماعاتهم بالرياض الأحد ٢٤ ربيع الآخر الماضي : إن تحقيق السلام الشامل والعادل في الشرق الأوسط يستوجب انسحاب إسرائيل الكامل من مرتفعات الجولان السورية المحتلة إلى خط الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، وكذلك الانسحاب الكلي غير المشروط من جنوب لبنان تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ ، ومبدأ الأرض مقابل السلام والانسحاب الفعلي من كافة الأراضي الفلسطينية ، وتمكين الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها : القدس الموحدة ، ودعا راعي مؤتمر مدريد للسلام : للسعي تجاه استمرار العملية السلمية ، والمفاوضات ، وانضمام إسرائيل لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ، وإخضاع كل مرافقها النووية للتفتيش الدولي وجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل ، كما طالبوا العراق بتنفيذ القرار رقم ٨٦٩ المعروف بالبترول مقابل الغذاء والدواء .

انسحاب القوات الروسية من الشيشان

يقضي الاتفاق المبرم بين الشيشان وموسكو بانسحاب القوات الروسية من الشيشان وتشكيل حكومة ائتلافية من المقاتلين والموالين للروس وتأجيل المطالبة بالاستقلال مدة ٥ سنوات ، إلى جانب إعادة إعمار ما خربته الحرب .

مصر تحذر إسرائيل

طالبت مصر إسرائيل مجدداً بالتراجع فوراً عن « اللاءات » التي يطلقها اليمينيون في وجه عملية السلام . وقال مصدر دبلوماسي في القاهرة : إن الإسرائيليين بانتهاكاتهم للاتفاقيات الموقعة ، ومراوغاتهم التي تهدد مسيرة السلام بالتوقف ، يشيعون التوتر الذي قد يؤدي إلى انفجار الموقف ، وإن إسرائيل تخطيء إذا تصورت أن صبر العرب ليس له حدود ، إذ أن استمرار تجميد عملية السلام وإطلاق حرية الاستيطان ما هو إلا مصادرة لمكاسب السلام الهش .

(a.s.e) au Prophète -b.s.- à qui dois-je donner? (aumône, présent...) -"Au çoisin dont la porte est la plus proche" lui dit-il.

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Si, par malchance, on a un mauvais voisin, qu'on use d'endurance, car la patience finira par en triompher. Un homme alla se plaindre au Prophète -b.s.- de son voisin. "Supporte-le,", lui dit-il.

A la 3e ou à la 4e fois qu'il se plaignit, le Prophète -b.s.- lui dit: "Sors tes meubles dans la rue". Ce qu'il fit. Les passants s'arrêtaient pour lui en demander la cause. "Mon voisin, m'a beaucoup nui," répétait-il à chacun. Alors ils repartaient en maudissant le voisin. Ce dernier, ayant vu cela, alla le trouver et lui dit: "Remet tes effets chez toi; je jure de ne plus recommencer".

"Hadith rapporté par Abu-Daoud."

On raconté qu'Abu Hanifa al-No'man[1] avait un voisin cordonnier qui passait toute le soirée à s'énivrer en chantant avec une voix discordante cette chanson :

"Ils m'ont perdu et n'ont pas connu ma valeur, Je pouvais les défendre en un jour de guerre, en surveillant les frontières".

L'Imam endurait avec patience toute cette gêne, sans dévoiler le secret de son voisin et son mauvais caractère. Un jour, le cordonnier fut arrêté et conduit en prison. Le soir, l'Imam attendit en vain la voix et le bruit, alors il s'informa des nouvelles de son voisin et apprit ce qui était arrivé à ce dernier. Alors, il intercéda en sa faveur et le cordonnier fut relâché. A son retour, l'Imam prit le cordonnier par la main et lui dit: "Est-ce que nous t'avons perdu, Ô jeûne homme? L'homme plein de honte, tout confus par la conduite de l'Imam, se repentit, s'orienta vers le Droit chemin et fut un bon musulman.

---

1) Un des quatre chefs des écoles jurisprudentielles.

insectes nuisibles. D'autos épient leurs voisins pour révéler leurs défauts et leurs imperfections. D'autre encore utilisent les hauts parleurs en différentes occasions (cérémonies, mariages ou autres), ce qui porte préjudice au malade, au vieillard, à celui qui passe sa nuit en actes d'adoration ou encore à l'étudiant. D'autres haussent la musique des cassettes de leurs autres si bien qu'ils dérangent les passants et les autres conducteurs; ou bien ils conduisent trop rapidement en effrayant les piétons, sans ce soucier des personnes âgées ou des autres autos.

Tout ceux qui ne respectent pas les lois du bon voisinage seront exposés au châtiment d'Allah et privés de l'intercession du Prophète - b.s.- Ils perdent leurs bonnes actions - s'ils en ont - sinon les péchés de ceux qu'ils ont offensés seront ajoutés aux leurs. De plus, dans le monde d'ici - bas, ils subiront toutes sortes de châtiments, d'après ce que nous apprend le Prophète -b.s.- : "Celui qui nuit à autrui, Allah se chargera de lui nuire, celui qui cause des difficultés à autrui Allah se chargera de lui causer des difficultés".

"Hadith rapporté par Al-Tirmizy."

Notre Prophète -b.s.- invoquait son Seigneur en cex termes: "Ô Allah! préserve-moi d'un voisin qui s'il voit un de mes bienfaits, le dissimule, et s'il voit un de mes méfaits, le divulgue".

"Ô Allah! préserve-moi d'un voisin malfaiteur dans ma résidence sédentaire parce que le voisin compagnard s'en va".

Il faut observer une conduite saine: en empêchant ses enfants de se vanter d'avoir des jouets, des vêtements neufs ou des fruits, devant les enfants des voisins - qui ne peuvent pas en acheter. Il faut aussi, les empêcher de prendre avec eux à l'école ce qui peut éveiller l'envie de ceux qui sont privés. D'autre part, cela les rend vaniteux et orgueilleux. Le Prophète -b.s.- a également défendu d'indisposer son voisins par l'odeur d'une viande grillé, sinon on doit lui offrir un plat ou l'inviter à sa table. Le bon musulman se montre déférent envers son voisin et doit lui rendre service. "J'ai deux voisins, dit Aïcha

maison est contigüe à la nôtre, le campagnon provisoire de route, le voisin qui partage avec nous un moyen de transport; Allah a exigé de notre part d'être bienfaisant envers tous ceux - la.

Le verset se termine par une conclusion qui nous fait sentir que le fait de ne pas être bienfaisant avec son voisin ou de lui faire du tort ne peut provenir que de la part d'un orgueilleux qui est fier et dont le coeur est plein de mépris pour autrui.

Le Prophète -b.s.- a recommandé dans plusieurs hadiths de conserver de bons rapports de voisinage, Il a dit: "L'Archange Jibril ne cessait de me recommander le voisin si bien que je crus qu'il allait lui assigner une part de la succession".

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Le Prophète -b.s.- a prévenu qu'il ne allait en aucune façon faire tort à son voisin, soit par la parole soit par les actes. Il a dit: "Je jure par Allah qu'il n'est point croyant, je le jure par Allah! Je le jure -mais qui donc?" lui demanda-t-on.

— "Le voisin dont on redoute la méchanceté dit-il.

"Hadith rapporté par Abou-Horaïra."

On rapporté qu'un homme alla trouver le Prophète -b.s.- et lui dit: "Ô messager d'Allah, une telle jeûne le jour, fait généreusement l'aumône, prie jour et nuit mais tourmente ses voisins". Le Prophète -b.s.- lui dit alors: "Elle ira en enfer".

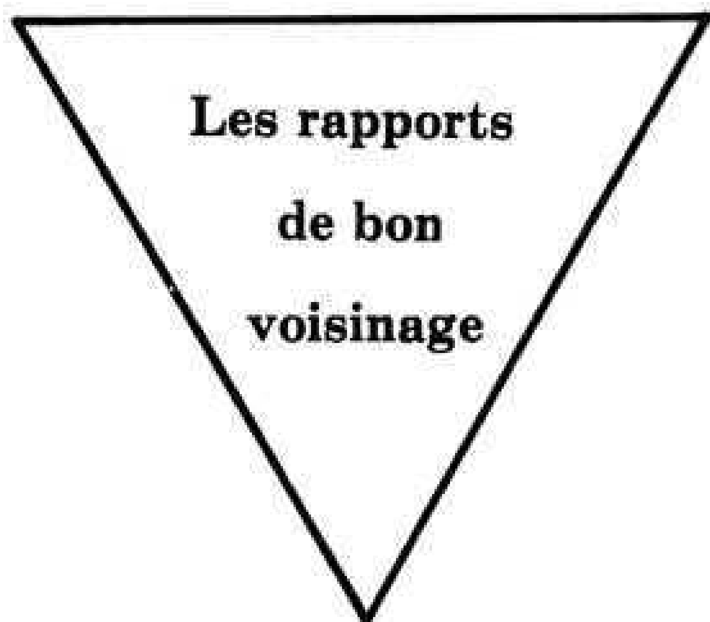
Hadith rapporté par Abou-Horaïra.

De plus, le Prophète -b.s.- a montré que le croyant doit s'informer de l'état de son voisin, car ce dernier a plus droit à sa bienveillance et à ses soins. Il nous dit cela en ces termes: "Celui qui s'endort rassasié alors que son voisin a faim et qu'il le sait, n'a pas cru en mon message".

"Hadith rapporté par Al-Bazzar."

Ce qui chagrine, c'est que, de nos jours, les gens ne respectent pas cela et font des choses qui déplaisent à Allah et à Son Prophète -b.s.- en causant du tort à leurs voisins: Ils jettent les ordures par la fenêtre ce qui nuit aux voisins par les odeurs fétides et la propagation des





Les rapports de bon voisinage

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le droit de voisinage est reconnu par le musulman, il doit être sauvegardé et respecté de part et d'autre. Allah - gloire à Lui - a prescrit ce droit en disant: [adorez Allah et ne Lui associez rien. Traitez avec bonté vos père et mère, vos proches, les orphelins, les pauvres, le voisin apparenté, le voisin étranger, le proche compagnon, le voyageur et les esclaves: Allah n'aime pas ceux qui sont orgueilleux et fiers].

"Surate 4. "Al-Nissa" des femmes V. 36."

Ce verset expose plusieurs sortes de relations de voisinage: il y a le voisin proche avec qui on a des liens de parenté, le voisin dont la

guer l'application des prescriptions de l'Islam des fausses prétentions des hypocrites qui, en fait, s'opposent à l'Islam.

Le premier de ces signes c'est que le musulman est celui dont les musulmans ne craignent ni les paroles ni les actions. Le Prophète entend par là que celui dont l'Islam atteint la perfection par l'accomplissement du culte et des prescriptions tout en évitant les interdits ne cause de tort à autrui. Il ne dit point du mal des autres ni par les paroles ni par les gestes ni même par des signes, qu'il agisse de vivants ou des morts. Il ne tend point la main pour nuire aux autres en les blessant de n'importe quelle façon.

La seconde partie du hadith où le Prophète -b.s.- dit que le vrai croyant est celui en qui les gens ont confiance et avec qui ils se sentent en sécurité — Ceci est en effet la conséquence naturelle de la conduite du vrai croyant qui inspire la confiance aux autres.

Bien plus, le Messager d'Allah -b.s.- dans certaines de ses recommandations explique clairement aux gens que celui qui ne se comporte pas toujours avec ses semblables, n'a pas le droit de prétendre être croyant ni faire partie de ceux qui portent l'étendard de l'Islam.

Le Musulman et le croyant

par Dr Rokeya Gabr

Le Message de l'Islam depuis qu'il fut transmis par Mohammad -b.s.- vise en premier le bonheur de l'humanité tout en assurant la paix et la sécurité au sein des sociétés humaines afin que ces dernières mettent toute leur énergie à peupler la terre en fonction des prescription d'Allah - gloire à Lui - En effet, Allah a placé les hommes en qualité de représentants d'Allah sur la terre, puis Il les observe afin de voir comment ils se comportent à cet égard.

Parmi les recommandations du Prophète -b.s.- à ce sujet, on trouve le Hadith d'Al-Tirmidhy rapporté d'aprés Abu Huraïra qui raconte que le Messager d'Allah -b.s.- a dit: "Le croyant est celui dont les croyants ne craignent ni les paroles ni les actes; le croyant est celui à qui les gens confient en toute sécurité leur vie et leurs biens". Par ce hadith, le Messager -b.s.- nous explique que l'Islam et la foi sont les deux aspects d'une même chose: qui est la vraie croyance en la religion d'Allah — qu'Il soit glorifié —

Le Prophète a montré que cette croyance a deux aspects :

Le premier aspect concerne le musulman lui-même et le second concerne les sentiments des gens à l'égard de cette personne. En effet l'individu ne vit pas isolé; il est un membre de la société humaine avec laquelle il est en perpétuelle interaction: il réagit donc avec cette société. Lorsque cet échange est correct il est fructueux; mais s'il ne l'est pas ses résultats ont un effet contraire et provoquent troubles des suspicions, l'insécurité et même ce qui déforme cette religion.

Afin de ne point laisser cela à l'appréciation individuelle ou aux penchants personnels, le Prophète -b.s.- a indiqué avec précision des signes visibles et apparents qui permettent de reconnaître les expressions de le vraie foi et du comportement de manière à pouvoir distin-

REVUE AL-AZHAR

Vol. 69 Part VII
Jumada Al-Ula 1417 H., Sep. Oct. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى
ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠

" Alms are only for the poor and the needy, and the official appointed over them, and those whose hearts are made to incline to truth and the captives, and those in ordinance from Allāh, and Allāh is Knowing, Wise." (9:60)

Therefore the Holy Qur'ān classifies the eligible recipients of Zakāh as follows :

1. Poor Muslims, to relieve their distress.
2. Needy Muslims, to supply them with means whereby they can earn their livelihood.
3. New Muslim converts, to enable them to settle down and meet their demands.
4. Muslim prisoners of war to liberate them by payment of ransom money.
5. Muslims in debt, to free them from their liabilities incurred under pressing necessities .
6. Muslim employees, appointed by a Muslim governor for the collection of Zakāh to pay their wages.
7. Muslims in service of the cause of Allāh by means of research or study or propagation of Islam.
8. Muslim wayfarers who are stranded in a foreign land and in need of help.

Who pays Zakàh ?

Every Muslim who owns something beyond his basic needs at the end of the year should pay Zakàh . The amount to pay is based on the (excess) wealth of that person.

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

"Take alms of their wealth so that you cleanse them thereby and cause to grow in purity...." (9:103).

Significance of Zakāh:

Briefly they may be summed up as follows :

1. Zakah purifies the property of the people and cleanses it from the shares which don't belong to it any more, the shares which must be distributed among the due beneficiaries.
2. Zakāh doesn't only purify the property of the contributor but also purifies his heart from selfishness and the greed for wealth.
3. Zakāh purifies the heart of the recipient from envy, jealousy and hatred.
4. Zakāh cultivates in the recepient's heart goodwill, and warm wishes for the contributor. Consequently, this will purify the society from ill feelings, distrust, corruption, disintegration and from all such evils.
5. Zakāh reduces the sufferings of the needy and poor members of society.
6. Zakāh is a healthy form of internal security against selfish greed, social dissension and against penetration of subversive ideologies.
7. Zakāh is a vivid manifestation of the spiritual and humanitarian spirit of responsive interaction between the individual and society.
8. Zakāh shows the general philosophy of Islam which adopts a moderate and middle course between capitalism and socialism, between materialism and spirituality.

The eligible recipients of Zakāh :

The items of utilization of Zakah stated in Holy Qur'ān:

ALMS (ZAKAH) :

The Third Pillar of Islam

by: Sheikh Muhammad M. Gemea

Introduction :

Zakāh (almsgiving) is an important pillar of Islam. It is given by those Muslims who have wealth, for the benefit of those Muslims who are poor or in need . The important of Zakāh can be understood from the fact that the Holy Qur'an mentioned Zakāh many times with prayer e.g. Allāh says:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

"Those who believe and do good deeds and establish regular prayer and regular Zakāh will have their reward from their God." (2:277) .

Thus, in the Muslim community, Zakāh(alms), acts as developing the higher sentiments of man, the sentiments of love and sympathy towards his fellow man, while the other rigid systems of state ownership and equality of distribution helps to kill man's instincts.

Therefore, giving Zakāh cleanses and purifies the giver by making him aware that he should not be selfish with the wealth Allāh has given him Allāh says in Qur'ān:

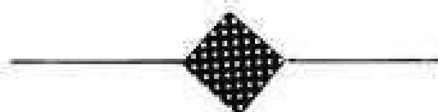
Islam is a universal message, revealed to all humanity, irrespective of race, language or place:

This is no less than a reminder to (all) the worlds [38/87]

We have not sent thee but as a (Messenger) to all mankind, giving them, and warning them (against sin) [34/28]

To be a Muslim, you need no intermediary. Just think independently, you are free to decide:

Let there be no compulsion in religion: Truth stands out clear from error [2/256]





(It will be said:) "Thou wast heedless of this; now have We removed thy veil, and sharp is thy sight this Day"[50/22]

At such a time, you will be totally helpless, devoid of money, power, family or freinds:

The Day whereon neither wealth nor sons will avail [26/88]

Nobody will be forgiven for blindly following the influence of parents, leaders, clergy or society:

Then would those who are followed clear themselves of those who follow (them) [2/166]

Then will the weak say to those were arrogant, "For us, we but followed you; can ye then avail us at all against the wrath of Allaah?" [14/21]

Nay! they say: "We found our fathers following a certain religion, and we do guide ourselves by their footsteps" [43/22]

In Islam, the doors of repentance are widely open, any time for anybody. So, do'nt miss a valuable chance:

Say: "O my servants who have transgressed against their souls! Despair not of the mercy of Allaah: for Allaah forgives all sins [39/53]

CONCLUSION

Dear Reader:

Once you have read the preceding simple presentation, scientifically and logically presented here, as a proof of the truth of the message of Islam, you are from now on: "responsible" before the "Source" of that Message, The One God: Allah. It is time for self reckoning. Please give yourself a few moments of truth, liberating yourself from all pre-conceived ideas. Think freely, and do'nt take the issue lightly, for you have not been created in vain, nor just by chance:

Did ye then think that We had created you in jest, and that ye would not be brought back to us (for account) [23/115]

The matter is serious. Once you put your hands on the evidence, everything you think of or stand for, will be either rewarded or penalized. So do not hesitate . Act now, before you finish your term of life on this earth. This can come at any moment, regardless of your wish or plan; and beyond your control:

But no one soul will Allaah grant respite when the time appointed (for it) has come [63/11]



These verses were revealed at a time when the new Muslim faith was at its lowest ebb, hardly surviving the deadly seige by all contemporary forces, in and outside the Arab Peninsula. Nevertheless, all of this and more (indeed much more) came true.

v-A few years before the death of the Prophet Muhammad (peace be upon him), Persia has given a strong blow to the Romans, that was culminated by the conquest of Jerusalem in 614-615 AC. The Quraan, however, has given a prophecy, against all odds at that time, that victory will swing back to the Romans, within less than 10 years:

***The Romans have been defeated - in a land close by: But they, (even) after (this) defeat of theirs, will soon be victorious - within a few years* [30/2-4]**

The surprise victory did occur, in the decisive battle of Issues in the year 622 AC. and the Romans struck into the heart of Persia in the year 624 AC. This gave a further confirmation to the truth of the Quraan.

vi-Environmental degradation of land and water, induced by human mishandling, was also predicted by the Quraan:

***Mischief has appeared on land and sea because of (the meed) that the hands of men have earned* [30/41]**

There may be nothing strange in predicting land spoiling or degradation, a usual consequence of wars, neglect and crimes in all ages. But spoiling of water does not normally ensue from such causes. It has become significant only recently, in the form of marine and fresh water pollution, threatening marine life. It is such an outstanding prophecy, being mentioned in the text of Quraan , that was revealed fourteen centuries ago.

revelation, is predicted in the following verses:

Nay, they charge with falsehood that whose knowledge they cannot encompass, even before the interpretation thereof hath reached them [10/39]

And ye shall certainly know the truth of it (all) after a while [38/88]

Who will ... show you His signs, so that ye shall know them [27/93]

*For every Prophecy is a limit of time, and ... *ye shall* know it* [6/67]

*... *We will* show them our Signs in the ... *horizons* ..., and *within themselves*, until it becomes manifest to them that this is the truth* [41/53]

That this has gradually come true is the context of this booklet (paragraphs 1 to 19).

iv-The conquest of Mecca was prophesied in the Quraan:

*Verily He Who ordained the Quraan for thee, will bring thee back to the Place of Return

(1:a title of Makkah; 2:the occasion when we shall be restored to the Presence of our Lord)* [28/85]

Truly did Allaah fulfill the vision of his Messenger: Ye shall enter the Sacred Mosque, if Allah wills [48/27]

whether recited in the seventh or in the twentieth centuries; whether by Arabs in the Middle East or by Turks, Indonesians, Nigerians or Americans.

ii-The Quraan challenges everybody, anywhere, anytime to compose or imitate such a unique literary style, superb language, or perfect expression of the text of the Quraan:

***Or they may say, "He forged it". Say: "Bring ye then ten Suras forged, like unto it, and call (to your aid) whomsoever ye can, other than Allaah!- if ye speak the truth"* [11/13]**

***Or do they say, "He forged it"? Say: "Bring then a Sura like unto it, and call (to your aid) anyone you can, besides Allaah, if it be ye speak the truth"* [10/38]**

***And if ye are in doubt as to what We have revealed from time to time to Our servant then produce a sura like thereunto, and call your witnesses or helpers (if there are any) besides Allaah, if ye are truthful* [2/23]**

***Say: "If the whole of mankind and Jinns were to gather together to produce the like of this Quraan , they could not produce the like thereof, even if they backed up each other with help and support* [17/88]**

The proof of the history of the Arabic literature has been such that no other text, whatsoever, stood to the challenge.

iii-Humanity will, gradually, come to grasp the correct scientific interpretation of several Quraanic statements, beyond what was known at the time of

WHY ISLAM

Proofs of Modern Science Part VII

by: Nabil Abdel-Salam Haroun

The last of the proofs: for why an intellectual should embrace Islam is the prophecies of history. These prophecies are found in the Quraan and by time were proven to be true.

20-Prophecies of history:

Prophecies given in the Quraan have been subsequently proven, one by one, with the march of history. Prophecies of such nature could have not all come true, unless their source was the All-Knowing Creator of this universe. Examples are:

i-Predicting that the text of the Quraan will be preserved forever:

We have, without doubt, sent down the Message; and We will assuredly guard it (from corruption) [15/9]

In spite of the fact that it was first revealed in a community that was largely illiterate, and in the absence of modern documentation facilities, not a single word or letter has been changed or modified. In contrast to other scriptures, the Quraan is the Quraan,



AL-AZHAR MAGAZINE

Jumada Al-Ula 1417 H..



ENGLISH SECTION

Vol. 69 Part VII

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

سلوا أهل الذكر

من ميراثنا الطيب قول رسول الله ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن[1] » ويعنى الحديث الشريف أن الكلمة الدالة على نفع ، الهادية إلى خير التى لا يختلف أمام مضمونها عقلاء البشر . هذه الكلمة يطلبها المؤمن أشد الطلب كما يجد بحثا عن شئ فقده ، أى كما يبحث عن ضالته .

ويحدد علماؤنا الحكمة فيقولون : « الحكمة وضع الشئ فى موضعه » .

والمؤمن يظلم نفسه ظلما فاحشا إذا هو وضع نفسه فى موضع ليس له ، وقضى بأمر فى شئ ليس من اختصاصه ، ولا هو من أهله ، ويوم ينبغ فى هذا الأمر إنسان نجده قطع شوطا عميقا فى دراسته ، وسلخ زمنا من أزهى حياته فى الوصول إليه ، ليحظى بالتخصص فيه .

(١) رواه الترمذى معلقاً ، العلم ١٩ ، ورواه ابن ماجه بلا تعقيب ، زهد ١٥ .

ومن أعجب أخطائنا التي نمارسها في بساطة ، وبلا مسئولية الحديثُ في الطب وفي الدين ، ومن نحو عشر سنوات حملت إحدى افتتاحيات هذه المجلة كلمة لي في هذا الشأن وددت بها لفت النظر إلى ما يترتب على ذلك من ضرر جسيم بدني أو ديني .

ويحثني — اليوم — للعودة إلى هذا الأمر « فتاوى » عجيبة تصدر من غير علماء في هذا الدين ، تحمل معها جرأة المُفْتين العجيبة التي يغلفون بها حديثهم بقولهم : إن الدين ليس حكرا على أحد . نعم ، ليس الدين حكرا على أحد ، لكن علوم الدين من تفسير للكتاب الكريم وحديث صحيح شريف ، وفقه ، وأصول فقه .. الخ ليست أمراً مشاعا يدلى فيه أى الناس بدلوه .. بل كل منها علم له أسبابه وأهدافه ومراقيه وسنوات من العمر لمكن التخصص فيه .

وأدوات المفتى تلك العلوم كلها إلى علوم أخرى دقيقة بجانب القرآن الكريم والحديث والفقه والأصول ، ومما يؤسف له أن يتجاوز بعض شبابنا هذا كله ليفتى الناس ، فتاوى ضالة مضلة .

— لبيت دعوة لبعض الأصدقاء في « عقيقة » لكريمته .. وقد وفر الداعى لهذه العقيقة سنتها فذبح ذبيحتها ، ودعا أصدقاءه ، وإذا أحدهم يعتذر عن تلبية الدعوة .. وإلى هنا لا غرابة .. لكنه عقب اعتذاره بكلمة رهيبة تسود لها صفحة السماء .. إذ قال :

نحن لا نأكل ذبائحكم !!!

وياهولها من كلمة .. لا تجد لها وجها مقبولا مهما ألحفت في البحث لصاحبها عن مخرج ، وليست مساحة الافتتاحية — الآن — بالتى تسمح بالتحليل لهذا الخروج عن سنن الإسلام وإنها — على أى الأحوال — لكلمة ضالة مفرّقة هدامة ، ليست من ديننا ولا من سماحته في شيء ، وليس من سنته ﷺ أن يدعوه مسلم فيشترط في إجابته أمراً بعينه .

● وآخر ضاقت زوجه بأيمان الطلاق التي يلقي بها بين حين وآخر وهي ـ أعني الزوجة ـ على ثقافة ، وخشيت والحال هذا ـ معاشرته ، وتجادلا في أمرها ، فقال يخاطبها : إنني درست القانون في فرنسا ، وحظيت بالدكتوراه ، وهي أرفع شهاداته ، وإنني أعلم من أمر هذه الأيمان مالا تعلمين ..!

ازدادت الزوجة الشابة خوفاً وحذراً ولجأت إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .. فلم يكن الأمر يحتمل كل هذه المهاترة .

● وثالثة الأثافي فتوى مضللة تحرم على الإنسان أن يستخدم « نظارة » ملونة بدعوى أنها تغير خلق الله ـ تعالى .

قلت للسائل : أين هذا التغيير الذي تم في جسد حامل النظارة حتى تقول : إنه بحمله النظارة غيّر خلق الله .. يا أخي لا تلتفت إلى هذا الضلال .

ولا أملك إزاء العُجاب الذي أسمعه من وقت لآخر إلا أن أقول :

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة ـ ١٥٦ ، فإنها مصيبة لو يعلمون .

وسبحان القائل : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل ٤٣ / الأنبياء ـ ٧ .

د. علي أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بعد أن وصف الله ـ تعالى ـ حال المنافقين فى الآيات السابقة ساق مثلين لتوضيح سوء تصرفهم ، وشدة حيرتهم واضطرابهم فى هذه الآيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ تعالى ـ :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

وقوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أى : صفتهم ، وأصل المثل بمعنى المثل ــ بكسر الميم وسكون الثاء ــ والمثل النظير والشبيه ، ثم أطلق على القول السائر المعروف لمماثلة مضربه ــ وهو الذى يضرب فيه ــ لمورده الذى ورد فيه أولا ، ولا يكون إلا فيما فيه غرابة ثم استعير للصفة أو الحال أو القصة إذا كان لها شأن عجيب وفيها غرابة ، وعلى هذا المعنى يحمل المثل فى هذه الآية .

وإنما تضرب الأمثال لإيضاح المعنى الخفى وتقريب المعقول من المحسوس ، وعرض الغائب فى صورة الشاهد ، فيكون المعنى الذى ضرب له المثل أوقع فى القلوب ، وأثبت فى النفوس .

واستوقد النار : طلب وقودها بسطوع نارها واندلاع لهيبها ، أو أوقدها لأن أوقد واستوقد قد يكونان بمعنى واحد كأجاب واستجاب .

والنار : جوهر لطيف حار محرق ؛ من نار ينور إذا نفر لحركتها واضطرابها ، وأضاءت ماحوله : جعلت ماحوله مضيئاً ، أو أشرقت فيما حوله ، وحول الشيء : مايحيط به من جميع نواحيه ، ولذا قيل للعام حول ، للفه ودورانه حتى يعود كما كان .

والنور : الضوء الذى يكون للشيء المضيء ، وهو مأخوذ من النار .

ومعنى : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ سلبه منهم ، وفى إسناد ذهب إلى الله ــ تعالى ــ إشعار بأن النور الذى سلب عنهم لن يستطيع أحد أن يرده عليهم ، لأن الذى سلبه عنهم إنما هو الله الغالب على أمره .

وقال : ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل بنارهم ، لأن إيقاد النار يكون للإضاءة وللإحراق ؛ والمقصود من إيقاد النار الواردة فى المثل إنما هو الإضاءة .

وقال : ﴿ **بنورهم** ﴾ ولم يقل بنوره ، مع أن الضمير يعود على ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾ وهو بحسب الظاهر مفرد ، لأن ﴿ **الذى** ﴾ قد يطلق أحيانا بمعنى الذين ، كما فى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ أو لأن ﴿ **الذى** ﴾ أريد منه جنس المستوقد ، لا مستوقد بعينه ، فصار فى معنى جماعة من المستوقدين .. وصح أن يعود عليه ضمير الجمع فى قوله : ﴿ **بنورهم** ﴾ لذلك .

وأورد الظلمات بصيغة الجمع للمبالغة فى شدتها ، فكأنها لشدة كثافتها ظلمات بعضها فوق بعض ، وأكد هذا بقوله : ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ أى : أن هذه الظلمات بالغة فى الشدة حتى أولئك الخاطين بها لا يتأتى لهم أن يبصروا ، كما أن الشأن كذلك بالنسبة للذين طمس على أعينهم .

وعبر ــ سبحانه ــ بقوله : ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ ولم يقل : ذهب بنورهم وبقوا فى ظلمات ،

ليدل بذلك على قطع الصلة بينهم وبين ربهم ، وأنهم متروكون غضباً عليهم ونكاية بهم .

هذا ، وللعلماء رأيان فى تطبيق هذا المثل على المنافقين :

أما الرأى الأول : فيرى أصحابه ، أن هذاالمثل قد ضرب فى قوم دخلوا فى الإسلام عند وصول النبى ﷺ إلى المدينة ، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الكفر والنفاق فيقال فى تطبيق هذا المثل عليهم : إن قصة هؤلاء المنافقين الذين اكتسبوا بإيمانهم نوراً ، ثم أبطلوا ذلك بنفاقهم ، ووقعوا فى حيرة عظيمة ، كقصة من استوقدوا ناراً ، فلما أضاءت ما حولهم ، سلب الله منهم الضوء فراحوا فى ظلام لايهتدون إلى الخروج منه سبيلا .

وأما الرأى الثانى : فيرى أصحابه أن هذا المثل إنما ضرب فى قوم لم يسبق لهم إيمان وإنما دخلوا فى الإسلام من أول أمرهم نفاقاً ، فيقال فى تطبيق هذا المثل عليهم : إن قصة هؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام نفاقاً ، فظفروا بحقن دمائهم وبغنائم الجهاد وسائر أحكام المسلمين ، وتمتعوا بذلك فى الدنيا قليلا ثم صاروا إلى ظلمات العذاب الدائم فى الآخرة ـــ قصة هؤلاء كقصة من استوقدوا نارا لتضيء لهم وينتفعوا بها ، فأضاءت ماحولهم قليلا ، ثم طفئت وصاروا إلى ظلمة شديدة مطبقة .

ثم قال ـــ تعالى ـــ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

قال القرطبى : والصمم فى كلام العرب : الانسداد ، يقال : قناة صماء إذا لم تكن مجوفة ، وصممت القارورة إذا سددتها ، فالأصم من انسدت خروق مسامعه ، والأبكم الذى لا ينطق ولايفهم ، والعمى ذهاب البصر . وليس الغرض مما ذكرناه نفي الإدراكات عن حواسهم جملة ، وإنما الغرض نفيها من جهة ما .

والآية الكريمة خبر لضمير مقدر يعود على المنافقين ، أى هم : صم بكم عمى .

ووصف المنافقون بهذه الصفات لأنهم وإن كانت لهم آذان تسمع ، وألسنة تنطق ، وأعين تبصر ، إلا أنهم لا يسمعون خيراً ، ولا يتكلمون بما ينفعهم ولا يبصرون مسلكا من مسالك الهداية ، ومن كان كذلك كان هو ومن فقد حواسه سواء ، فقد صرف الله عنهم عنايته ووكلهم إلى أنفسهم .

ووردت هذه الصفات مجردة من حرف العطف ، فلم يقل : صم وبكم وعمى ، لما عرف من استعمالات البلغاء . أن تجريد أمثال هذه الأوصاف من حرف العطف يفيد تأكيدها ، حيث إن المتكلم قد قصد إلى تقرير كل صفة منها على حدة .

ومعنى : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ، لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه ، أو لا يرجعون عن الضلالة بعد أن اشتروها .

والفاء في قوله — تعالى — : ﴿ فهم ﴾ للتفريع أو التسبيب ، لأنها توحى بأن عدم رجوعهم عما هم فيه من النفاق متفرع على تلك الآفات ، ومسبب عن هذه العاهات .

ثم ساق — سبحانه — المثل الثانى فقال :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ .

« أو » : للتسوية بين الشيئين وهى : مفيدة أن التمثيل بأيهما أو بمجموعهما يؤدى إلى المقصود ، فهى مانعة خلو مجوزة للجمع بينهما .

و (الصيب) : كسيد — المطر ، من الصوب وهو النزول . يقال : صاب صوباً ، إذا نزل أو انحدر ، سمى به المطر لنزوله ، وفى الجملة الكريمة إيجاز بحذف ما دل عليه المقام دلالة واضحة . والتقدير : أو كمثل ذوى صيب . والمعنى أن قصة هؤلاء المنافقين مشبهة بقصة الذى استوقد ناراً ، أو بقصة ذوى صيب .

والسماء : كل ما علاك من سقف ونحوه ، والمراد بها السحاب .

والرعد : الصوت الذى يسمع بسبب اصطدام سحابتين محملتين بشحنتين كهربيتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة .

والبرق : هو الضوء الذى يحدث بسبب الاصطدام ذاته .

وإيراد هذه الألفاظ بصفة التنكير للتهويل ، ويكون المعنى : أو أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل قوم نزل بهم المطر من السماء تصحبه ظلمات كأنها سواد الليل ، ورعد يصم الآذان ، وبرق يخطف الأبصار ، وصواعق تحرق ماتصيبه . ثم قال — تعالى — :

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ .

الصواعق : جمع صاعقة من الصعق وهو شدة الصوت الذى يصحبه — غالباً — قطعة من نار لا تأتى على شىء إلا أهلكته .

(ومن) فى قوله — تعالى — : ﴿ مِّنَ الصَّوَاعِقِ ﴾ للتعليل . وإنما كانت الصواعق داعية إلى سدهم آذانهم بأصابعهم ، من جهة أنها قد تفضى بصوتها الهائل إلى الموت ، وجاء هذا مصرحاً به فى قوله — تعالى — : ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ .

والمعنى : يسدون آذانهم من أجل الصواعق خوفاً من أن تقتلهم بشدة صوتها .

ومن المعروف أن الذى يجعل فى الآذان عند الفزع بعض الأصابع لا كلها ، إلا أنه عبر بالأصابع مبالغة فى فرط فزعهم وشدة اضطرابهم ، ومسايرة للمألوف فى اللغة من نسبة ما يكون لبعض الشىء إلى ذلك الشىء ، حيث يكون المراد جلياً واضحاً . وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الكل وإرادة البعض .

وقوله : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ يدل على أنهم لم يموتوا من تلك المفزعات وهذه المروعات . إمدادا فى عذابهم . ومطاولة فى نكالهم .

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ جملة معترضة فى أثناء ضرب المثل بذوى الصيب .

وإحاطته ــ سبحانه ــ بالكافرين على معنى أنهم لا مهرب لهم منه ، فهو محيط بهم إحاطة تامة وهو قادر على النكال بهم متى شاء وكيف شاء .

ولم يقل محيط بهم مع تقدم مرجع الضمير وهو أصحاب الصيب ، إيذاناً بأنهم إنما استحقوا ذلك العذاب بكفرهم .

ثم قال ــ تعالى ــ : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ .

يكاد من الأفعال التى تدخل على اسم يسند اليه فعل بعده نحو : ﴿ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ ﴾ فدل على أن المسند إليه وهو البرق قد قارب أن يقع منه الفعل وهو خطف الأبصار .

والخطف : الأخذ بسرعة ، والأبصار : جمع بصر ، وهو : قوة مودعة فى العين يدرك بها الألوان والأشكال .

والمعنى : أن البرق لشدة لمعانه يقرب من أن يخطف أبصارها ، وهو تصوير بليغ لشدة ذلك البرق ، وترك بيان شدة الرعد اكتفاء بما ذكره فى جانب البرق ، ولم يذكر توقيهم للأعين بوضع شىء عليها اكتفاء بما ذكره فى توق الآذان أو لأنهم شغلوا بالآذان عن الأعين .

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ وصف رائع لما يصنعه أهل الصيب فى حالتى ظهور البرق واختفائه .

وكل ظرف ، وما مصدرية ولا تصالها بكل أفادت الشرط والعامل فيها هو جوابها وهو ﴿ مشوا ﴾ و ﴿ أضاء ﴾ بمعنى : لمع ، و ﴿ أظلم ﴾ من : الإظلام وهو اختفاء النور .

و﴿ قاموا ﴾ أى وقفوا وثبتوا فى مكانهم ؛ من قام الماء إذا جمد ، ويقال : قامت الدابة إذا وقفت .

والمعنى : أنهم إذا صادفوا من البرق وميضاً انتهزوا ذلك الوميض فرصة ، فخطوا خطوات يسيرة ، وإذا خفى لمعانه وقفوا فى مكانهم ، فالجملة الكريمة تدل على فرط حرصهم على النجاة من شدة ماهم فيه من أهوال .

ثم قال ـــ تعالى ـــ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ .

لو : أداة شرط ، وشاء بمعنى أراد . أى : لو أراد الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لزاد فى قصف الرعد فأصمهم ، وفى ضوء البرق فأعماهم . أو يقال : إن قصف الرعد ولمعان البرق المذكورين فى المثل سببان كافيان لأن يذهبا بسمع ذوى الصيب وأبصارهم لو شاء الله ذلك . فيكون قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ ﴾ ، إشعاراً بأن الأسباب فى مسبباتها إنما هو بإرادته ـــ تعالى ـــ .

وخص السمع والبصر بالذهاب مع أنها من جملة مشاعرهم ، لأهميتها . ولأنها هى التى سبق ذكرها ، أو من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى ، لأنه إذا كان قادراً على إذهاب ما حافظوا عليه ، كان قادراً على غيره من باب أولى .

ثم ختم الآية بقوله ـــ تعالى ـــ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

الشىء فى أصل اللغة كل : ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ، ويحمل فى هذه الآية على الممكن خاصة موجوداً كان أو معدوماً ، لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات دون الواجب والمستحيل .

والقدير : الفعال لما يريد ، يقال : قدَّره على الشىء أقدره قدرة وقدراً .

وهذه الجملة الكريمة بمنزلة الاستدلال على ما تضمنته الجملة السابقة من أن الله ـ تعالى ـ قادر على أن يذهب بأسماع أصحاب الصيب وأبصارهم متى شاء .

وتطبيق هذا المثل على المنافقين يقال فيه : إن أصحاب الصيب لضعفهم وخورهم لايطيقون سماع الرعد الهائل ، ولا يستطيعون فتح أعينهم فى البرق اللامع ، فيجعلون أصابعهم فى آذانهم فزعاً من قصف الرعد ، وخوفا من صواعق تجلجل فوق رءوسهم فتدعهم حصيداً خامدين ، وكذلك حال هؤلاء المنافقين فإنهم لضعف بصائرهم ، وانطماس عقولهم ، تشتد عليهم زواجر القرآن ووعيده ، وتهديده وأوامره ونواهيه ؛ فتشمئز قلوبهم ويصرفون عنه أسماعهم خشية أن تتلى عليهم آيات تقع على أسماعهم وقع الصواعق المهلكة .

قال ابن كثير : « وذهب ابن جرير ومن تبعه من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين ، وتكون « أو » في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أو كصيب ﴾ بمعنى الواو ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أو تكون للتخيير ، أى ، اضرب لهم مثلا بهذا ، وإن شئت بهذا ، أو للتساوى مثل : جالس الحسن أو ابن سيرين . قلت : وهذا يكون باعتبار أجناس المنافقين ، فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله ـ تعالى ـ فى سورة براءة بقوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى ﴾ (الآية ٤٩) ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ (الآية ٧٥) ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (الآية ٥٨) الخ . فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم[١] .

هذا : ويرى فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز . أن المثلين لطائفتى الكافرين والمنافقين ، فالمثل الأول وهو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ينطبق تمام الانطباق على الأوصاف التى ذكرها الله للكافرين ، وأن الذى ينطبق على صفات المنافقين إنما هو المثل الثانى وحده وهو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ فقد ضرب الله لكلتا الطائفتين مثلا يناسبها

قال فضيلته : فضرب مثلا للمصرِّين المختوم على قلوبهم بقوم كانوا يسيرون فى ظلام الليل فيهم رجل استوقد لهم ناراً يهتدون بضوئها ، فلما أضاءت ما حوله لم يفتح بعض القوم أعينهم لهذا الضوء الباهر ، بل لأمر ما سلبوا نور أبصارهم ، وتعطلت سائر حواسهم عند هذه المفاجأة ، فذلك مثل النور الذى طلع به محمد ﷺ فى تلك الأمة على فترة من الرسل ، فتفتحت له البصائر المستنيرة هنا وهناك ، لكنه لم يوافق أهواء المستكبرين الذين ألفوا العيش فى ظلام الجاهلية ، فلم يرفعوا له رأسا بل نكسوا على رءوسهم ، ولم يفتحوا له عيناً بل خروا عليه صما وعميانا .

وضرب مثلا للمترددين المخادعين بقوم جاءتهم السماء بغيث منهمر فى ليلة ذات رعد وبرق ، فأما الغيث فلم يلقوا له بالا ولم ينالوا منه نيلا ، فلا شربوا منه قطرة ، ولا استنبتوا به ثمرة .. وأما تلك التقلبات الجوية من الظلمات والرعد والبرق فكانت هى مثار اهتمامهم ، ومناط تفكيرهم ، ولذلك جعلوا يترصدونها ، ويدبرون أمورهم على وفقها ، لابسين لكل حال لبوسها : سيراً تارة ، ووقوفاً تارة ، واختفاء تارة أخرى .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٦ .

فكانوا إذا رأوا عرضاً قريباً وسفراً قاصداً وبرقت لهم (بروق) الأمل فى الغنيمة ساروا مع المؤمنين جنباً إلى جنب ، وإذا دارت رحا الحرب وانقضت ﴿ صواعقها ﴾ منذرة بالموت والهزيمة أخذوا حذرهم وفروا من وجه العدو قائلين : « إن بيوتنا عورة » حتى إذا كانت الثالثة فلم يلمحوا من الآمال بارقة ولم يتوقعوا من الآلام صاعقة ، بل اشتبهت عليهم الأمور فهناك يقفون متربصين لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ولكن يلزمون شقة الحياد ريثما تنقشع سحابة الشك :

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . (النساء الآية ١٤١) .

ذلك دأب المنافقين فى كل أمرهم ، إن توقعوا ربحاً عاجلا التمسوه فى أى صف وجدوه ، وإن توقعوا أذى كذلك تنكروا للفئة التى ينالهم فى سبيلها شىء مكروه ، وإذا أظلم عليهم الأمر قاموا بعيداً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، أما الذى يؤمن بالله واليوم الآخر فإن له قبلة واحدة يولى وجهه شطرها ، هى قبلة الحق لايخشى فيها لومة لائم :

ولـيس يـبالى حين يقتـل مسلمـا على أى جنب كان فى الله مصرعـه[1]

هذا هو رأى فضيلة الدكتور دراز ، وهو رأى مستساغ يتمشى مع روح الآيات وأهداف السورة ، وأيا ما كان فالمثلان يصوران أحوال المبطلين بصورة حسية واضحة تتجلى فيها بلاغة القرآن الكريم فى إبراز المعانى المعقولة فى صورة محسة واضحة من شأنها أن تهدى الناس إلى طريق الحق والرشاد .

– يتبع –

(١) من كتاب النبأ العظيم ص ١٦٤ ، لفضيلة المرحوم الدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز .



سورة يس

قضية البعث والنشور

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ أولم يرَ الإنسان أنا
خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٧٧) وضرب لنا
مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨)
قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم
(٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم
منه توقدون (٨٠) أوليس الذي خلق السموات والأرض
بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم (٨١)
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢)
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (٨٣) ﴾

بقلم أ . د / ابراهيم خميس

بين الله تعالى فى الآيات السابقة الأدلة على قدرته عز وجل ووجوب طاعته وعبادته وبطلان الشرك به ، وفى هذه الآيات يذكر شبهة منكرى البعث ويرد عليهم بأجوبة أربعة هى :

أولاً : أن الإعادة مثل البدء بل هى أهون .

ثانياً : قدرة الله على ايجاد النار من الشجر الأخضر .

ثالثاً : خلق ماهو أعظم من الإنسان وهو السماوات والأرض .

رابعاً : فورية ايجاد الأشياء بقوله « كن فيكون » .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾

كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا فى أنفسهم مايوجب التصديق به كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله ـ عز وجل ـ بعد ما عاينوا ما بأيديهم ومايوجب التوحيد والإسلام ، والغرض من ذكر هذه الآيات تسلية رسول الله ﷺ .

سبب النزول :

نزلت فى أبىّ بن خلف الجمحى خاصم النبى ﷺ فى إنكار البعث ، وأتاه بعظم قد رمّ وبلى ففتته بيده وقال : أترى يحيى الله هذا بعد مارم ؟

فقال النبى ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار ، فأنزل الله هذه الآيات .

والاستفهام فى « أو لم ير » تقريرى ، و « أل » فى « الإنسان » للعهد ، والمراد به الكافر ، لأنه هو الذى يخاصم خالقه وينكر البعث .

والنطفة : القدرة من مادة الحياة ، وتطلق على اليسير من الماء ، مأخوذ من نطف إذا قطر .

وإذا للمفاجأة ، ووجهها أن ذلك الإنسان خلق ليعبد الله ، ويعلم مايليق به ، فإذا لم يجر على ذلك وكأنه فاجأ بما لم يكن مترقباً منه ، والخصيم . فعيل مبالغة فى معنى مفاعل أى مخاصم شديد الخصام .

وقد جاءت آيات كثيرة فى معنى هذه الآية ، قال تعالى :

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ .

سورة مريم ـ آية : ٦٦

وقال تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ القيامة

خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين .

ولا تكرار فى هذه الآيات ، بل كل آية تعالج القضية بأسلوب مغاير .

والمعنى :

قد علم الإنسان علماً هو فى ظهوره كالمحسوس بالبصر انا أوجدناه من نطفة قذرة فإذا هو مخاصم بليغ الخصومة ، مبين . ويعنى فى غاية البيان عما يريده حتى إنه ليجادل من أعطاه العقل والقدرة فى قدرته تعالى . فما أجرأه على مَنْ خلقه وما أغباه ، قال الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رمانى

وكـم علمتـه نظـم القـوافى
فلمـا قـال قافية هجـانى

وهذه الآية تواجه الإنسان بواقعه فى خاصة نفسه ، وهذا الواقع يصور نشأته وصيرورته مما يراه واقعاً فى حياته ، ويشهده بعينه وحسه مكروراً معاداً ثم لا ينبه إلى دلالته ولا يتخذ منه مصداقاً لوعد الله ببعثه ونشوره بعد موته ودثوره ، وخلقه من نطفة أمر لا يشك أحد فى أنها أصله القريب ، إنها نقطة من ماء مهين لا قوام لها ولا قيمة. نقطة من ماء تحوى ألوف الخلايا . خلية واحدة من هذه الألوف هى التى تصير جنيناً ثم تصير هذا الإنسان الذى يجادل ربه ويخاصمه ويطلب منه البرهان والدليل ، والقدرة التى أوجدته على هذا النحو لا يبعد أن تعيده وتنشره بعد البلى والدثور .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾

ضرب . أورد وذكر .

والمثل ، القصة الغريبة والحالة العجيبة .

والاستفهام فى قوله ﴿ من يحى العظام ﴾ ، إنكارى .

وجملة ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ ﴾ ، مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل : أى مثل ضرب ؟ أو ماذا قال ؟ فقيل : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ .

والمعنى : أورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الأمر هى فى الغرابة والبعد عن العقول كالمثل ، وهى إنكار إحيائنا العظام فالمثل على هذا هو إنكار إحيائه تعالى للعظام فإنه أمر عجيب فى نفس الأمر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلاً لأن العقول تجزم ببطلان الإنكار ، ووقوع المنكر لكونه كالإنشاء بل هو أهون منه فى قياس العقل .

ويصح أن يكون المعنى : أوجد لنا مثلاً وأظهره للناس .

وأتى لهم بتشبيه حال قدرتنا بحال عجز الناس . إذ جعل إحيائنا العظام محالاً بعد أن أرمت .

ومعنى : ونسى خلقه . نسى أننا خلقناه من نطفة ، ولم يهتد إلى أن ذلك أعجب من إعادة عظمه والله تعالى يحيى ما هو أضعف من العظام . فيحيى الإنسان من رماده ومن ترابه ، ومن عجْب ذنبه ، ومن لا شىء باق منه ، إن إحياءه بعد موته على هذا النحو أيسر من أن يدور حوله سؤال فما بال الجدل الطويل .

ورميم . مأخوذ من رم بمعنى بلى ، وكان مقتضى الظاهر أن يقول وهى رميمة ؛ لأن « فعيلاً » بمعنى « فاعل » يفرق بينه وبين مؤنثه بالتاء ، وأجاب المفسرون عن هذا بأجوبة كثيرة :

منها أن فعيلا الذى تلحقه التاء شرطه أن يبقى على وصفيته ، وهو هنا انسلخ عن الوصفية وصار اسماً فلا تلحقه التاء .

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالجواب على سؤال أُبَىّ وأمثاله على طريقة أسلوب الحكيم وبيان ذلك أن استفهام القائل : ﴿ من يحى العظام ؟ ﴾ لم يكن قاصداً تعيين المحيى وإنما أراد استحالة الإحياء فأجيب إجابة من يطلب تعيين المحيى .

والخطاب فى قوله : ﴿ قل يحييها ... ﴾ للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب

والغرض من هذا القول لهم . التبكيت والتأنيب والتوبيخ بسبب نسيانهم خلقهم الأول وإرشادهم إلى قياس بعثهم على النشأة الأولى .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾

سورة الروم ـ آية : ٢٧

ولا شك أن الإحياء بعد أهون من الإنشاء قبل فمن قدر على الإنشاء كان على الإحياء أقدر وأقدر .

وقد يقول قائل : قد يطرأ العجز مستقبلاً ، والجواب ، عن هذا أنه لا احتمال لعروض العجز لأن قدرة الله ذاتية أزلية لا تقبل الزوال ولا التغير بوجه من الوجوه .

وهذه الآية ترد على منكرى البعث ، وهم فريقان :

فريق استبعد البعث بلا شبهة .

وفريق له شبهة على استبعاده ، فقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ رد على من استبعد البعث بلا شبهة .

وقوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ رد على منكره وإبطال لشبهته التى هى قولهم : إن الإنسان بعد العدم لم يبق شيئاً . فكيف يصح إعادة المعدوم عقلاً ؟ أو كقولهم إن الإنسان إذا نشأ متغذياً بلحم إنسان آخر فلا بد أن لا يبقى للآكل وللمأكول جزء يمكن إعادته .. فأجاب الله ـ تعالى ـ عن الأول بقوله : ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يعنى كما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً فإنه يعيده وإن لم يكن شيئاً ، وأجاب عن الباقيتين بقوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ فيجمع الأجزاء المتفرقة فى البقاع والسباع ... وهكذا ويعلم الأصلى من الفضلى فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل والمأكول .

وبهذا الرد يبطل سؤال أبى بن خلف الذى سأله لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء بعظم قد رم وبلى كما تقدم فى سبب النزول ولو علم أن النطفة لا تزيد حيوية أو قدرة أو قيمة على العظم الرميم المفتت لما وقع منه هذا السؤال . أو ليس من تلك النطفة كان الإنسان أو ليست هذه هى النشأة الأولى ؟ أو ليس الذى حول تلك النطفة إنساناً وجعله خصيماً مبينا بقادر على أن يحول العظم الرميم مخلوقاً ؟

وهذه الجملة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ جملة تذييلية كالعلة لما قبلها ، والضمير فى « وهو » يعود على الله ـ تعالى ـ ، و ﴿ بكل خلق ﴾ يعنى بكل مخلوق ، ﴿ عليم ﴾ مبالغة فى « عالم » فالله يعلم جميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها ، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلاً من ذلك على النمط السابق مع القوى التى كانت من قبل ، وإنما جىء بهذه الجملة أهمية للتنبيه على أن علمه ـ تعالى ـ بما ذكر أمر ثابت ومستمر .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾

هذه الآية هى الجواب الثانى رداً على شبهة المنكرين للبعث ، فقد نبه الله ـ تعالى ـ فيها على وحدانيته ودل على كمال قدرته فى إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندى الرطب ، وذلك أن الكافر قال : النطفة

حارة رطبة بطبع الحياة فخرج منها الحياة ، والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة ؟ فأنزل الله ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ... ﴾ وإنما أعاد الموصول فقال : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم ﴾ ولم يقل وجعل لكم : لأمرين :

التأكيد ، ولتفاوتهما في كيفية الدلالة ، وفي المراد بالشجر . قولان :

الأول : أنه المرخ والعفار . يتخذ من المرخ وهو ذكر . الزند الأعلى ، ومن العفار ـ بفتح العين ـ وهو أنثى . الزندة السفلى ، ويسحق الأول على الثانى وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار بإذن الله ـ تعالى ـ وهذا معنى قوله : ﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ أى فإذا أنتم من ذلك الشجر الأخضر توقدون النار لا تشكون في أنها نار حقيقة تخرج منه لمشاهدتكم ذلك ورؤيتكم له بالعين المجردة . فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها . فإن الماء بارد رطب ، والنار حارة يابسة كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فيبس وبلى .

الثانى : أن المراد من الشجر الأخضر هو جميع الشجر . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا « العناب » ، وعلى ذلك ، فليس المراد من الأخضر . اللون ، وإنما المراد لازمه وهو الرطوبة ، لأن الشجر أخضر اللون ما دام حياً فإذا جف . زالت منه الحياة استحال لونه إلى الغبرة فصارت الخضرة كناية عن رطوبة النبت وحياته .

والمعنى على هذا : الذى بدأ خلق الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذاثمر يانع ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار من قدر على ذلك فهو قادر على ما يريد لا يمنعه شىء فهذا التحول والتقلب من عنصر الرطوبة إلى عنصر الحرارة يدل على إمكان إعادة الرطوبة إلى ما كان يابساً .

والرأى الأول هو الأرجح ، وبناء على هذا فالمفاجأة فى قوله : ﴿ فَإِذَآ أَنتُم ... ﴾ دالة على عجيب إلهام الله ـ تعالى ـ البشر لاستعمال الاقتداح بالشجر الأخضر واهتدائهم إلى خاصيته ، والإيقاد هو إشعال النار ،وإنما قال : ﴿ تُوقِدُونَ ﴾ ، ولم يقل أوقدتم ؟ لإفادة تكرر ذلك واستمراره .

ويقول : صاحب الظلال مرجحاً الرأى الأول وشارحاً له .

والمشاهد الأولية الساذجة تقنع بصدق هذه العجيبة التى يمرون عليها غافلين ، عجيبة أن هذا الشجر الأخضر الريان بالماء يحتك بعضه ببعض فيولد ناراً ثم يصير هو وقود النار بعد اللدونة والاخضرار . والمعرفة العلمية العميقة لطبيعة الحرارة التى يختزنها الشجر الأخضر من الطاقة الشمسية التى يمتصها ويحتفظ بها وهو ريان بالماء ناضر بالخضرة ، والتى تولد النار عند الاحتكاك كما تولد النار عند الاحتراق هذه المعرفة العلمية تزيد العجيبة بروزاً فى الحس ووضوحاً ، والخالق هو الذى أودع الشجر خصائصه هذه ، والذى أعطى كل خلقه ثم هدى ، غير أننا لا نرى الأشياء بهذه العين المفتوحة ولا تتدبرها بذلك الحس الواعى فلا تكشف لنا عن أسرارها المعجبة ولا تدلنا على مبدع الوجود ولو فتحنا لها قلوبنا لباحت لنا بأسرارها ولعشنا معها فى عبادة دائمة وتسبيح .. ج ٥ ص ٢٩٧٧

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ ﴾ .

الهمزة . للإنكار والنفي ، والواو للعطف على محذوف تقديره . أليس الذى أنشأها أول مرة ، وليس الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، وليس الذى خلق السمٰوات والأرض بقادر والكلام فى هذه الآية استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر عليه السلام بأن يخاطبهم به ، والمعنى أن من خلق السماوات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت ، والأرض السبع بما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار ، وهى أعظم من خلق الإنسان ، إن من خلق ذلك قادر على خلق مثل البشر وإعادة الأجسام وهى أصغر وأضعف من خلق السماوات والأرض ، بلى هو قادر على ذلك .

وكلمة « بلى » حرف جواب كنعم ، والفرق بينها وبين « نعم » أنه لا يؤتى بها إلا بعد كلام منفى لتحقيق ما بعدها وتثبيته . وهو جواب من قبله تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكارى من تقرير ما بعد النفى . أى بلى هو قادر ، وجملة « وهو الخلاق العليم » معطوفة على الجملة المحذوفة ، و « الخلاق » . صيغة مبالغة توحى بكمال القدرة ، و « العليم » كثير العلم يعلم الكليات والجزيئات ويعلم الخلايات والذرات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض .. ، والخلاصة . أن خلق الأشياء العظيمة برهان قاطع على خلق ما دونها كما قال تعالى : لخلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس .. » « غافر » ٥٧ ، وقال سبحانه « أولم يروا أن الله الذى خلق السمٰوات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى ؟ بلى إنه على كل شىء قدير » « الأحقاف » ٣٣ ، والسماوات والأرض خلق هائل عجيب دقيق . وهذه الأرض التى نعيش عليها ويشاركنا فيها ملايين الأجناس والأنواع ونحن لا نبلغ شيئاً من حجمها ، ولا نعلم عنها حتى اليوم إلا القليل ، هذه الأرض كلها تابع صغير من توابع الشمس التى تعيش أرضنا الصغيرة على ضوئها وحرارتها ، والله سبحانه وتعالى يخلق هذا الخلق العجيب وغيره بلا كلفة ولا جهد ، ولا يختلف بالقياس خلق الكبير وخلق الصغير .

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

اختلف المفسرون فى المراد من « أمره » على أقوال . أحدها أن يكون المراد شأنه ، فليس هناك قول لفظى ، والثانى . أن يكون المراد . الأمر اللفظى فيوافق قوله تعالى « إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » « النحل » ويراد به القول النافذ ،والصحيح أنه لاقول أصلا ، وإنما المراد تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى مراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع فى سرعة حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف على شىء وافتقار إلى أولية عمل واستعمال آلة . قطعاً لمادة الشبهة وقياس قدرة الله على قدرة الخلق ، فمعنى « أن يقول له كن فيكون » أن تتعلق به قدرته تعالى تعلقاً تنجيزيا .

وعلى هذا فالمراد بقوله « كن » توجه القدرة إلى إيجاد المقدور ، وقد شبه الشىء الممكن حصوله .

بشخص مأمور وشبه انفعال الممكن لأمر التكوين بامتثال المأمور لأمر الآمر ، وهذا الممكن الذى تتوجه إليه القدرة لإيجاده عام يشمل السماوات والأرض ، والبعوضة والنملة ، فليس هناك صعب ولا سهل وليس هناك قريب ولا بعيد . هذا وذاك سواء أمام الكلمة « كن فيكون » . فتوجه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائنا ما يكون ، إنما يقرب الله للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشرى المحدود .

﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

الغرض عن ذكر هذه الآية . تنزيه الله تعالى عما وصفوه به وتعجيب مما قالوا فى شأنه . وقوله « بيده ملكوت كل شيء » إشارة إلى المبدأ ، وقوله « وإليه ترجعون » إشارة إلى المعاد وإذا تقرر الطرفان فما بينهما الوسط المشتمل على التكاليف والرسالة فتكون هذه الآية كالنتيجة للمقدمات السابقة فى السورة .

والفاء فى قوله « فسبحان » فصيحة دلت على أن فى الكلام شرطاً محذوفا تقديره إذا ظهر كل ما سمعتم من الدلائل على عظيم قدرة الله وتفرده بالإلهية وأنه يعيدكم بعد الموت فيجب تنزيهه عما يقولون فى حقه . لأن بيده الملك الأتم لكل موجود .

والملكوت . مبالغة فى الملك « بكسر الميم » ولفظة ملكوت بصياغتها هذه تضخم وتعظم حقيقة العلاقة بين الوجود وخالق الوجود ، فهى علاقة الملكية المطلقة لكل شيء فى الوجود والسيطرة القابضة على كل شيء من هذا المملوك ،

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » يعنى لا إلى غيره مرجع العباد بعد البعث فى الدار الآخرة فيجازى كل إنسان بما عمل فليعبده الناس جميعاً وليوحدوه ويطيعوه تحقيقاً لمصلحتهم .

ما ترشد إليه الآيات :

١ ـ التعجيب من أمر الإنسان كيف خلقه الله من يسير الماء وأضعف الأشياء ثم يصبح مخاصماً ربه مجادلا فى الخصومة .

٢ ـ لقد نسى هذا الإنسان المخلوق الضعيف أن الله أنشأه من نطفة ثم جعله إنسانا حيا سويا . فهذا دليل حاضر من نفسه على إمكان البعث .

٣ ـ من أدلة وحدانية الله تعالى وكمال قدرته على إحياء الموتى ما يشاهده الناس من إخراج المحروق اليابس من العود الندى الطرى . فإن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان ، فأخرج الله منه النار فيدل ذلك على أنه تعالى هو القادر على إخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير .

٤ ـ إن الذى خلق السماوات والأرض التى هى أعظم من خلق الناس قادر على أن يبعثهم مرة أخرى .

٥ ـ إذا أراد الله خلق شيء لا يحتاج إلى تعب ومعالجة وإنما أمره نافذ فوراً ولا يتوقف على شيء آخر .

٦ ـ إن الله تعالى نزه نفسه عن العجز والشرك لتعليم الناس وإبراز الحقيقة فبيده مفاتح كل شيء ومرد الناس ومصيرهم بعد مماتهم إليه تعالى ليحاسب كل امرىء على ما قدم فى دنياه من خير وشر .

الإمام الأكبر فى حديث صحفى عن قضايا الساعة

أجرى الحديث السيدة/ سناء السعيد

● إسرائيل باقتحامها المسجد الأقصى ، وقتلها للفلسطينيين ، وتجاهلها التام للمقدسات ، وضربها صفحا بالتزامات حكوماتها قبل المفاوضات تنتهك بذلك كافة المقدسات الدينية ، والأعراف الإنسانية ، والقوانين الدولية .

● الولايات المتحدة ينبغى أن تكون موضوعية ، ولا تساند العدوان .

● التطبيع الذى يضر بالقضية الفلسطينية خرافة ستجرف فى أثرها كل ألوان التطبيع .

● القدس عربية إسلامية أبداً .

الأرض الإسلامية

● فضيلة الإمام الأكبر مايحدث فى الأرض الفلسطينية ومايحدث فى باكستان أو أفغانستان أو الصومال يثير أسئلة شتى ، لماذا بات العالم الإسلامى مضطربا ومستهدفا إلى هذه الدرجة ؟

● ● سؤالك ينقسم إلى شقين :

الشق الأول أن المسلمين أصبحوا مستهدفين من جميع أعدائهم .

الشق الثانى : أننا نرى اضطرابا بين المسلمين فيما بينهم .

بالنسبة للأول فهو أمر واقع وموجود فى كل زمان ومكان ، ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الحياة نزاعاً موصولاً بين الحق وبين الباطل ، بين الخير وبين الشر ، بين العقلاء وبين السفهاء ، هذه سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، منذ أن أوجد الله الناس فى هذه الحياة وهم فى صراع فيما بينهم ؛ بل عندما كانت الإنسانية تتكون من أب واحد وأم واحدة وعدد من الأبناء ، وجدنا أحد الأخوين يقتل الآخر . هذه سنة الحياة .

بالطبع إن أعداءنا لايريدون لنا الخير ، وهذه قاعدة موجودة فى كل زمان ومكان ، نعم المسلمون مستهدفون وهذا مانراه فى أماكن كثيرة مثل الصومال وأفغانستان ، ولكن إذا وجد هذا الاضطراب علينا أوّلا أن نسأل أنفسنا عن أسبابه ولا نلصقه بغيرنا :

الاضطراب الداخلى قد يكون ناشئا عنا ، وقد نكون نحن من أسبابه ، كما نرى فى الصومال وأفغانستان ، هنا لا أستطيع القول بأن قوى خارجية هى التى تجعل المسلمين فى قتال بينهم وبين بعضهم كما هو حادث فى الصومال ولا أستطيع أن أجزم بأن هناك قوى خارجية فى أفغانستان هى التى جعلت المسلمين يقتل بعضهم بعضا .

ولو سلمنا بأن هناك قوى ، ففى هذه الحالة يجب أن نقول : إنه حتى لو وجدت ، فالعقلاء لا يستسلمون لهذه القوى ، وإنما يدافعون عن دينهم ويسلكون طريق العقل ، وطريق المنطق ، وطريق الاصلاح ، وطريق التعاون على البر والتقوى ، فسواء كان مايحدث فى أفغانستان أو

الصومال أو غيرهما من الدول الإسلامية من اضطراب فيما بينها ، وسواء كان هذا بسبب خارجي أو داخلي ، فإن أصحاب تلك الدول تقع عليهم المسئولية العظمى ؛ لأنهم لو كانوا عقلاء لما استجابوا للعدوان الخارجي .

فلسطين والقدس

● **ماذا عما يجرى الآن فى الأرض الفلسطينية مع ممارسات إسرائيل العدوانية بما فيها تجميد عملية السلام ، وفرض الطوق الأمنى الشامل ، وفتح نفـق البـــراق ، واقتحام المسجد الأقصى ، وقتل الفلسطينيين ؟**

● ● مايحدث فى فلسطين الآن هو عدوان سافر مجرم من إسرائيل ونحن نشجع إخواننا الفلسطينيين ونحمد لهم مواقفهم ؛ لأنهم قابلوا هذا العدوان بكل مايستطيعون من ألوان المقاومة .

وإذا كان عدد الشهداء من إخواننا الفلسطينيين أكثر من عدد القتلى الإسرائيليين فهذا ـ أيضا ـ لا يخيفنا ولن يزحزحنا عن حقنا ، فطالب الحق عندما يثبت على مطالبته ، وعلى إيمانه ودفاعه عن وطنه ومقدساته وحقنا ـ نحن المسلمون فى المسجد الأقصى ـ فلابد أن تكون العاقبة له مهما كثر عدد شهدائه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الحج

● **ألا يعد اقتحام المسجد الأقصى انتهاكا صارخا لحرمة الدين الإسلامى ؟**

● ● اقتحام المسجد الأقصى بالصورة البشعة التى قامت بها إسرائيل عمل عدوانى إجرامى آثم يجب أن يقف المسلمون أمامه جبهة واحدة للدفاع عنه ـ المسلمون عامة والفلسطينيون خاصة .. موقفا مستميتا يذودون فيه عن مقدساتهم وعن المسجد الأقصى الذى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين ونحن معهم ؛ بل على كل المسلمين وعلى كل منصف فى العالم أن يقف إلى جوار المظلومين من أهل فلسطين وأن يقدم لهم العون ماديا كان أم معنويا ، وأن نقدم لهم السلاح الذى يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم .

● **ما الموقف الذى ينبغى أن تتخذه الدول الإسلامية ؟**

● ● لاشك أن عقد مؤتمر إسلامى على مستوى القمة سوف يكون فيه خير كثير للمسلمين ، ولكن عهدنا أن هذه المؤتمرات تجتمع وتنفض ولا تسفر إلا عن نتائج محدودة ، ولكن لا بأس من عقده بشرط أن يكون مؤتمرا فيه من الشجاعة والقوة والتأثير مايجعل إخواننا الفلسطينيين يحصلون على كل حقوقهم كاملة غير منقوصة .

● **المشكلة أن أمريكا تدعم إسرائيل ولا أدل على ذلك من أنها فى كل مرة تحول دون استصدار قرار من مجلس الأمن لإدانة إسرائيل ، وهذا ما حدث أخيرا فى أعقاب المصادمات التى جرت بعد فتح نفـق البـــراق ؟**

● ● إذا كانت أمريكا أو غير أمريكا تشجع العدوان فهى ظالمة ويجب عليها أن تقلع عن هذا الظلم وأن تكون دولة موضوعية تؤيد الحق وتبطل الباطل ، ونحن ضد أمريكا فى هذا الموقف . ونحن نقول لها : أخطأت فى هذا الموقف الذى يشكل انحيازا إلى الظلم إلى الباطل وليس إلى الحق ، إلى العدوان وليس إلى السلام ، على أمريكا أن تكون موضوعية بما يتفق والدور الذى تضطلع به كراعية لعملية السلام فى المنطقة وكشريك أمين نزيه شريف .

● **وما الذى يجب على المجتمع الدولى فعله ؟**

● ● عليه طرح ازدواج المعايير ، وأن يناصر الحق والعدل ويدافع عن المظلوم بكل ما يملك .

● وما الدعوة التي يمكن أن توجهونها للعالم الإسلامي ؟

● ● أقول : علينا جميعا أن ننصر المظلوم ولو أدى هذا إلى أن نشهر في وجه الظالم السلاح، وأن نقاتله مادام لم يستجب للنصح ومضى في غيه يعمل ضد السلم. قال تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

الأنفال ـــ ٦١

إننا نمد أيدينا بالسلام لكل من يسالمنا ، ونكون على استعداد لأن نضحي بكل ما نملك من أجل الدفاع عن ديننا وأرضنا وعرضنا وكرامتنا .

يجب ألا نستضعف، فلا رحمة لمستضعف. نحن في عالم القوة فيه فوق الحق ، وعلينا أن نستعمل قوتنا في الدفاع عن معتقداتنا وأرضنا ، إنني أدعو الدول العربية والإسلامية إلى التكاتف ومناصرة دولة فلسطين ؛ لأن ما يحدث من إسرائيل يتنافى مع العدل والكرامة الإنسانية والتعاليم الدينية التي أمرتنا بعدم الاعتداء ورد المعتدى .

● عندما قامت الأوقاف الفلسطينية بترميم في المسجد الأقصى أخيرا احتجت إسرائيل بدعوى وجوب حصول الفلسطينيين على ترخيص من إسرائيل أولا حيث إن السيادة على القدس تؤول إليها ؟

● ● القدس إسلامية عربية وليست لإسرائيل. والمسلمون عندما يرممون مسجدا من المساجد بصفة عامة ، والأقصى بصفة خاصة فهم وحدهم ـــ دون غيرهم الذين يعرفون ما هو الخير وما هو الشر.. ما هو الصالح وغير الصالح ، وليس من حق إسرائيل أو غيرها أن تتدخل في ترميم مقدساتنا الدينية ـــ كما أننا ليس من حقنا أن نتدخل في ترميم مقدساتهم الدينية ..

● ما موقف الأزهر من نفق البـــــراق الذى تم في الرابع والعشرين من الشهر الماضي ؟

● ● سواء أكان نفقا أو غير نفق فكل ما يلحق ضررا بالمسجد الأقصى نحن ضده .

إن من يتولى إدارة وشئون المسجد الأقصى والمحافظة عليه هم المسلمون وحدهم ، وهم الذين يقيمون فيه. وهم : مفتي المسجد الأقصى ، وإخوانه العلماء من الفلسطينيين ، وأهل الرأى والسياسة والاقتصاد والسيد الرئيس عرفات ، فهؤلاء مسئولون مسئولية كاملة عن المسجد الأقصى ، وليس لأحد أن يتدخل في شئونهم إلا على سبيل العون والمساعدة عندما يطلبون ذلك .

● إسرائيل تصادر الأرض العربية في القدس ، لإحكام القبضة عليها بالتهويد والتأكيد على أنها العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل .

● ● المحاولات التي تقوم بها إسرائيل لتهويدها يجب أن تقابل بمحاولات أشد من جانبنا ؛ لأنني كما قلت : الصراع بين الحق والباطل موجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فعلينا أن نقابل المحاولات الباطلة بما هو أشد منها.. بمحاولات تعتمد على الحق والعدل والسلام والصراحة والشجاعة قبل ذلك . وهي التي تجعل الإنسان على استعداد لأن يضحي بكل شيء في سبيل عقيدته ودينه ومصلحة أمته .

● هناك من دعا إلى تشكيل لجنة دولية لتحرى الوضع والتأكد من أن فتح نفـــق البـــــراق يؤثر على المقدسات الإسلامية ويهدد بانهيارها .

● ● إذا كانت هذه اللجنة موضوعية محايدة تحق الحق وتبطل الباطل فمرحبا بها . لكن إذا كانت ممن يؤيد الباطل فنحن نرفضها ..

● اسرائيل تلجأ إلى مواقف مستفزة للعرب الفلسطينيين ومن ذلك ما فعلته عندما عززت وجود قواتها عند ضريح سيدنا يوسف بنابلس .

● ● نحن نعلم أن إخواننا فى فلسطين وعلى رأسهم الرئيس عرفات لا يفرطون فى حقهم ونحن نؤيدهم ونشجعهم ونقف إلى جوارهم ونمدهم بكل ما يحتاجون إليه من ألوان العون سواء كان مادياً أو معنوياً .

● ولكنهم مغلوبون على أمرهم ويكفى الحصار التجويعى الذى فرضته عليهم إسرائيل .

● ● ولهذا يجب علينا أن نعاونهم ونقف إلى جوارهم ونمدهم بكل ما هم فى حاجة إليه . ذلك أننا إذا لم نفعل نكون مقصرين فى حق ديننا وأمتنا. علينا أن نعمل بكل الوسائل على ردع الظالم ورده عن ظلمه .

● هل يأتى فى إطار ذلك وقف التطبيع مع إسرائيل ؟

● ● طبعا ، إذا وجدنا أن هذا التطبيع فيه ضرر بإخواننا فى فلسطين أو فيه ضرر بالأمة العربية أو الإسلامية فسحقا لهذا التطبيع .

● عشية يوم الغفران ــ ٢٣ من الشهر الماضى ــ وقبل فتح النفق قال نتياهو .

إن الفلسطينيين لن يحصلوا على السيادة المطلقة .

ولن يكون للحكومة الفلسطينية الحق فى إبرام معاهدات عسكرية مع الدول .

ولن يسمح للفلسطينيين باستخدام احتياطات الماء فى الضفة .

● ● على أية حال فإن مثل هذه التصريحات مردود عليها بواسطة إخواننا الفلسطينيين ــ فهم على استعداد لمجابهتها بأفعال أشد وليس بمجرد تصريحات. إن كل تصريح فيه ظلم وضرر وعدوان علينا أن نقابله بالرفض وأن نضعه تحت أحذيتنا ، وأولى الناس بفعل ذلك هم إخواننا الفلسطينيون لأنهم هم الذين يعانون فأيديهم فى النار .

ليبيا والعراق

● ماذا عن الظلم الذى يشكله المجتمع الدولى فى فرض الحصار على دول كليبيا والعراق حتى الآن وهو ما يستهدف القضاء على مقدراتهم ؟

● ● كرجل شرعى أقول : إن كل حصار لدولة عربية إسلامية أو لغير عربية إسلامية ــ مبعثه الظلم والعدوان فهو حصار مرفوض مرفوض مرفوض . ويجب أن يقف العالم كله ضد هذا الحصار .

● ماذا نحن فاعلون إذا عم الظلم وشاع أكثر، ولم يستطع الإنسان أن يرده ؟

● ● لابد للإنسان أن يرد الظلم بكل ما يستطيع أن يرده به. وإذا وجب الأمر أن يحاربه بالسلاح فليحاربه ، نصرة للمظلوم لأن الحديث النبوى الشريف يقول: **« من وقف إلى جانب مظلوم لكى يثبت له حقه ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام » .**

الناس من خوف الذل فى ذل ومن خوف الفقر فى فقر . وفى ذلة المظلوم عذر الظالم ، نحن لانبرر ظلما ولانقبل الظلم ، والحياة مع الحرية أفضل من أن يعيش الإنسان مع الذل والاستعباد .

من تراث المحقق محمد أبي الفضل إبراهيم

أسباب النزول

بسم الله الرحمن الرحيم

نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة وسؤال ، و« النزول » هنا لفظ مجازى ، ومعناه : إعلام النبيّ ﷺ بالقرآن عن طريق الوحي .

ومعرفة أسباب النزول وأثرها في التشريع والتفسير وتوضيح الأحكام ، من المباحث الهامة التي وردت في علوم القرآن ، وقد زعم بعضهم أن هذه الأسباب تجرى مجرى التاريخ ، وأنها لا تدخل في هذا الفن ، ويرى الجمهور من علماء المسلمين أن معرفة أسباب النزول من الأمور الهامة لفهم القرآن ومعرفة مقاصده ، في الإيمان والتشريع والدعوة إلى فضائل الأعمال .

وقد انفرد بالتصنيف جماعة من علماء المسلمين ، منهم عليّ بن المديني شيخ البخارى ، وعلى بن أحمد الواحدى النيسابورى ، وكتابه مطبوع متداول ، قال في أوله :

«والذى هدانى إلى إملاء هذا الكتاب ، الجامع للأسباب لينتهى إليه طالبو هذا الشأن ، والمتكلمون في نزول القرآن ، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ، ويجدّوا في تحفظه بعد السماع والطلب » ، كما وضع السيوطى فيه كتابا آخر ، ذكر أنه اختاره من جوامع الحديث الأصول ، وأسماه : « لباب النقول في أسباب النزول » ، وأفرد له الزركشى بابا جامعا في كتابه البرهان ، وتأليف السيوطى في ذلك أيضا في كتابه « الاتقان » ، هذا عدا الأحاديث المروية في كتب الصحاح من الحديث ، والروايات المحررة في كتب التفسير :

ولمعرفة أسباب النزول فوائد مهمة :

منها الوقوف على المعنى الصحيح ، ودفع الإشكال :

١ ــ مثال ذلك ما أشكل على مروان بن الحكم في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

آل عمران ــ ١٨٨

فقال : لئن كان كل امرىء فرح بما أوتى ، وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل مُعذَّبًا ــ لنعذَّبن أجمعون ، فقال ابن عباس : إنما نزلت في أهل

الكتاب حينما سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، وأروْهُ أنهم أخبروه بما سألهم عنه ؛ واستحمدوا ذلك إليه ، فذلك قوله تعالى :

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

٢ ـ زعم بعضهم أن الخمر مباحة ، يحتجُّ بقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ المائدة ـ ٩٣

وفي صحيح الآثار أن السبب في نزول هذه الآية أن ناساً قالوا : لما حُرِّمت الخمر : كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر قبل تحريمها ، فنزلت الآية خاصة بهؤلاء .

٣ ـ قال تعالى :

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ البقرة ـ ١١٥

ولو فسرت الآية على مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلّي لا يجب عليه استقبال القبلة ، سفراً ولا حضراً ؛ وهذا خلاف الإجماع ؛ والذي ذكره المفسرون في أسباب النزول ؛ أن هذه الآية نزلت فيمن صلّى بالاجتهاد وأخطأ ، ثم بان له خطؤه .

٤ ـ ومن فوائد أسباب النزول معرفة الحِكَم الباعثة على التشريع ، ومن ذلك ما ورد من الأسباب التي دعت إلى التدرج في تحريم الخمر ؛ قال بعض المفسرين : إن الله تعالى لم يدع شيئاً من الكرامة إلا أعطاه هذه الأمة ، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة ؛ ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة ..

أتى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار رسول الله ﷺ ، فقالوا : أفتنا في الخمر والميسر ؛ فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ البقرة ـ ٢١٩

وإثم الخمر ما يصدر من الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ، وإثم الميسر ضياع الأموال في غير وجهها ، ونفع الخمر ما كانوا يجلبونه من الربح الوافر في تجارتها ؛ إذ كانوا يجلبونها من الشام بثمن رخيص ، ويبيعونها في الحجاز بثمن غال مرتفع . ومنفعة الميسر ، ما كان يجلبه أحياناً من كسب المال من غير كدٍّ ولا تعب فكان قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ .

إشارة إلى أنّ من كثر إثمهُ حرُم فعله ؛ فكانت هذه خطوة أولى في التحريم ؛ إلا أن بعض المسلمين كان يشربها ، ويقول : نشربها للمنفعة لا للإثم . ثم حدث أن ناسًا شربوا الخمر ، وحضروا الصلاة وهم نشاوى ؛ ولم يدروا كم يصلون من الركعات ، ولا ما يقولونه في الصلاة ؛ بل روى أن بعضهم دخل في صلاة المغرب ، فقرأ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، فلم يُقمْها[1] ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

النساء ـ ٤٣

---

(١) أي لم يقرأها قراءة صحيحة .

فامتنعوا عن شربها قبل الصلاة ؛ وكانت خطوة ثانية فى التحريم . ثم ان فريقا من الأنصار شربوا وسكروا ، فاعتدى واحد منهم بالضرب على آخر ، وشهد عمر بن الخطاب ذلك فذهب الى النبى ﷺ وذكر عيوب الخمر ، وما ينزل بالناس من أجلها ؛ ثم دعا إلى الله وقال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » ، فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

المائدة ـ ٩٠

فقال عمر : انتهينا .. انتهينا .

* * *

ومن الأحكام التى سبقها بعض الأسباب : « تحويل القبلة » من المسجد الأقصى ببيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكة ؛ روى أن النبى ﷺ لما قدم المدينة ، كان يصلى نحو بيت المقدس نحو ستة عشر شهراً أو نحو سبعة عشر شهرا ، أو تسعة عشر شهرا ؛ وكان يحب أن يتوجه نحو الكعبة .. وكان قد استمكن الإسلام بالمدينة واستحصر أمره ـ فأنزل الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

البقرة ـ ١٤٤

فاعترض بعض اليهود ، وقالوا : « ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ، فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢)

البقرة ـ ١٤٢

* * *

ومن أسباب النزول ما تكون معرفتها سببا ، فى توضيح بعض الآيات ، وتمكيننا لها فى افهام المؤمنين :

١ ـ فى « غزوة أحد » خرج النبى ﷺ والصناديد من قومه وعشيرته من المدينة لحرب المشركين من قريش ، وخرجت قريش من مكة برجالها . وأضغانها وأحقادها ؛ بعد أن وترهم المسلمون فى « غزوة بدر » ؛ وكانت معركة قتل فيها من المسلمين عدد وافر ؛ ومنهم حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء وعم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، قتله وحشى : غلام جبير بن مُطْعِم .

قال وحشى : كنت غلاماً لجبير بن مُطْعِم ، ولما شاءت قريش الخروج إلى أحد قال جبير إن قتلت حمزة بعمّى طعيمة ، فى « غزوة بدر » ، فأنت حرٌّ عتيق .. قال : وكنت حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة فلا أخطىء بها شيئا ؛ فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة ـ رحمه الله ـ حتى رأيته فى عُرْض الجيش مثل الجمل الأورق يهدّ الناس هدّاً ، ما يقوم له شيء ؛ فوالله إنى لأتهيأ له ، وأستتر منه بحجر ، وإذا به يدنو منى ، وتقدمنى إليه سباع بن عبدالعزى ، فلما رآه حمزة ؛ ضربه فوالله ما أخطأ رأسه . وهززت أنا حربتى حتى وصلت بها ؛ ودفعتها إليه ، فوقعت

(٢) يرى العلماء أن الآية الكريمة « سيقول السفهاء من الناس ... » نزلت قبل قوله تعالى . « قد نرى تقلب وجهك ..... » .

فى بطنه حتى خرجت من بين رجليه ؛ فذهب ليأفحني فغلب على أمره فتركته حتى مات ... ثم أتيته فأخذت منه حربتى ، ثم رجعت إلى الناس ، وعدت إلى العسكر ، ولم يكن لى بغيره حاجة ؛ إنما قتلته لأعتق ..

وجاء رسول الله ﷺ فرآه صريعا ؛ فلم ير شيئا كان أوجع لقلبه من هذا المنظر ، رآه ممثلا به وقد شق بطنه ، واصطلم أنفه ، وجُدعت أذناه ، فقال : لولا أن يحزن النساء ، أو تكون سنة بعدى لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير[3] ؛ لأمثلن مكانه بسبعين رجلا ، ثم دعا ببردة وغطى بها وجهه ، فخرجت رجلاه ، فجعل عليها الأذخر ، وهو نوع من الحشيش طيب الريح ، ثم قدمه فكبر عليه عشرا ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه ؛ حتى صلى عليه سبعين صلاة ــ وكان القتلى سبعين ــ فلما دفنوا وفرغ منهم ؛ نزل قوله ــ تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

النحل ١٢٥ ــ ١٢٧

٢ ــ ومن ذلك ما كان سببا فى الآيات التى نزلت فى شأن مسجد الضرار ؛ روى أن جماعة من بنى عوف وهم قبيلة من الأنصار ؛ بنوا مسجدهم المسمى مسجد قباء ، ودعوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم ، فأتاهم ، وصلى بهم ، فحسدهم جماعة من بنى عمومتهم ؛ وقالوا نبنى مسجدا ، ونرسل إلى محمد ليصلى فيه كما صلى فى مسجد بنى عمنا ، ثم نجعل هذا المسجد مقاما لأبى عامر الراهب حين يجىء .. وكان أبو عامر رجلا منهم ترهّب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وأنكر الإسلام حينما جاء ، وخرج إلى الشام ، وقابل قيصر ، وأرسل إلى قومه ، ليبنوا له مكانا يقيم فيه سرًّا ، لحرب الرسول ﷺ فكان هذا هو المسجد الذى بناه قومه ليضاروا به المسلمين وذهبوا إلى رسول الله ﷺ منافقين وقالوا : يا رسول الله إننا بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والأمسية الشاتية وإننا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فدعا رسول الله بقميصه ليلبسه ويأتيهم ؛ فنزل عليه قوله ــ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

التوبة ١٠٧ ــ ١٠٩

وهكذا من الروايات المشورة فى كتب الصحاح والتفسير ، مما يوضح ويبين مواضع العبرة ، ويعين على فهم كتاب الله الكريم .

(٣) أنظر للإمام على بن برهان الدين الحلبى ــ السيرة الحلبية ٢/٢٤٨ ط البهية ــ القاهرة ١٣٢٠ هـ .

قبس من أنوار النبوة

... أضمن لكم الجنة

لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .

جامع الأحاديث للإمام السيوطى جـ١ ص٦١٣ برقم ٣١٨٢ ، وقال : رواه : أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى .

□ البيـــان :

يضمن رسول الله ﷺ لمن حافظ على هذه الخصال الست بوحى من الله ـ أن يدخله الله الجنة دار النعيم ، وحين يكون الرسول هو الضامن وهو الكفيل فإنها ـ ولا شك ـ صفقة رابحة ، وميثاق قوىّ ، وجزاء مؤكد ممن لا ينطق عن الهوى .

ولنستمع إليه ـ عليه السلام ـ فى مثل ذلك من الضمان حيث يقول : أنا زعيم ـ أى كفيل وضامن ـ ببيت فى ربض الجنة ـ فى مدخلها ـ لمن ترك المراء (أى : الجدال) وإن كان محقا . وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا . وببيت فى أعلى الجنة لمن حسّن خلقه) (رواه أبو داود . عن أبى أمامة) .

ولنصغ إليه ﷺ حين يحدثنا فيقول : (فيما رواه الطبرانى عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ « اضمنوا لى ست خصال أضمنْ لكم الجنة : لا تظالموا عند قسمة مواريثكم ، وأنصفوا الناس من أنفسكم ولا تجبنوا عند قتال عدوكم ، ولا تغلُّوا غنائمكم ـ (أى لا تأخذوا من الغنيمة مثل قسمتها) وأنصفوا ظالمكم من مظلومكم » .

وها هو ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ يضمن دخول الجنة لمن حفظ الأجوفين (الفم والفرج)

فيقول : - فيما رواه البيهقي عن جابر - رضي الله عنه - من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له دخول الجنة ، وفي حديثنا هذا يعرض - الرسول الكريم - ست خصال لو مارسها الإنسان وحافظ عليها - يضمن الرسول أن يدخله الله الجنة ، ودخول الجنة أعظم جزاء يطمع فيه الإنسان ، وخير مآب ينقلب إليه بعد أن تنتهي حياته .

وأولى هذه الخصال الست : الصدق : وهو الإخبار عن الحقيقة ، والصدق أساس الفضائل . كما أن الكذب مفتاح الرذائل . فإذا سئلت عن شيء أجبت بالصدق ، وإذا طلبت في شهادة ذكرت الحقيقة ، تقول الحق ولو على نفسك أو الأقربين ، ولا تتحدث إلا بما تعلم ، فلا تردد الشائعات وتكون بوقا للأكاذيب .

فمن أخبر عن شيء بما يطابق الواقع فهو من المتقين الذين قال لله - عز وجل - في شأنهم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

سورة التوبة - آية : ١١٩

ويقول الصادق المصدوق ﷺ في الدعوة إلى الصدق : **« عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »** رواه مسلم .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأن يضعني الصدق - وقلما يضع - أحب إلي من أن يرفعني الكذب - وقلما يفعل » .

وقال بعض الحكماء : الصدق منجيك وإن خفته ، والكذب مرديك وإن أمنته .

وإن الله عز وجل يحذرنا من الكذب وينفرنا منه حيث يقول :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ .

سورة النحل - آية : ١٠٥

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

سورة الزمر - آية : ٦٠

ثم هو صفة المنافقين : قال ﷺ : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان . متفق عليه .

ومن حكيم الشعر :

حسب الكذوب من البليـــة
بعض ما يحكـــى عليـــه
فإذا سمعت بكذبـــــــة
من غيره نسبت إليـــــه

وقال لقمان لابنه : « يا بني إياك والكذب فإنه يفسد عليك دينك ويمحو عند الناس مروءتك ، ويضع منزلتك . ويضيع جاهك ،

فلا يسمع أحد منك إذا حدثت ، ولا يصدقك إذا قلت ، ولا خير لك فى الحياة إذا كنت كذلك ، وإذا اطلع الناس على ذلك فى أمرك ثم صدقت اتهموك وحقروا شأنك ، وأبغضوا مجلسك ، وأخفوا عنك أسرارهم ، وخصموا حديثهم وكتموه ، وحذروك فى أمر دينهم ، ولا يأمنوك فى شىء من أحوالهم وهذه حالتك فى قلوب الناس ، وأكبر من ذلك مقت الله وعقوبته فى الآخرة » .

ومما يؤهل الإنسان لدخول الجنة هذه الخصلة الثانية : الوفاء بالوعد والعهد فلا تعد بشىء إلا إذا كان فى مقدورك ، فإذا وعدت وجب الوفاء ، فهذا موقف الإنسان الذى يحترم كلمته ، ويحافظ على كرامته بين الناس .

إذا قلت ـ نعم ـ فى شىء فأتممه
فإن (نعم) دين على الحر واجب

وإلا فقل ـ لا ـ تسترح وترح بها
لئلا يقول الناس إنك كاذب

إن الوعد الذى ترتبط به لدى الطرف الآخر مصلحة لا تتحقق إلا إذا وفيت بما وعدت ، فإذا أخلفت موعدك تعرض صاحبك لمتاعب أو مخاطرات أنت المسئول عنها أمام ضميرك وأمام الناس .

وأداء الأمانة ، ثالثة الخصال التى تُدخل الجنة ، فهى تشمل كثيراً من الأمور :

ـ العمل الذى تؤجر عليه أمانة بين يديك .

ـ أهلك وأولادك أمانة أنت راعيها ومسئول عنها .

ـ أجر العامل الذى تستخدمه أمانة يجب أن تؤديها قبل أن يجف عرقه .

ـ الوديعة أمانة واجبك أن تحافظ عليها وتردها عند طلبها .

ـ كلمة السر التى يفضى بها إليك صاحبك أمانة تفرض عليك الكتمان إلا أن تكون كلمة شر وبغى وعدوان .

ـ وكلام الرجل لزوجه ، والمرأة لزوجها سر يجب كتمانه .

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ٥٨

وفى وصف المؤمنين قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

سورة المعارج ـ آية : ٣٢

والرسول ﷺ ينفى الإيمان عن كل من لا أمانة له .

والرابعة : من صفات أهل الجنة الذين ضمن لهم الرسول دخولها « غض البصر » عن كل ما حرم الله ، وبخاصة العورات بين الجيران .

قال الشاعر :

وأغض الطرف إن بدت لى جارتى

حتى يوارى جـــارتى مأواهـــا

لأن فى غض البصر عن محارم الله مجاهدة للنفس عن الانزلاق وراء الشهوات ، وحماية لأعراض الناس ، ورعاية لتعاليم الإسلام .

والخامسة : حفظ الفرج عن غير ما أحل الله ــ تعالى ــ لك . والمقصود بذلك العفة والحصانة للرجل والمرأة على سواء . ولذلك كانت عقوبة التفريط وتعدى حدود الله فى هذه الخصلة عقوبة شديدة تصل إلى حد الإعدام بالرجم ، وما استهان قوم بذلك إلا فشت فيهم الأمراض التى لم تكن فى أسلافهم . واختلطت الأنساب ، وانحلت روابط المجتمع . وذلت كرامة الإنسان .

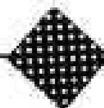
قال ــ تعالى ــ فى وصف المؤمنين :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .

سورة المؤمنون ــ الآيات : ٥ : ٧

وقال ﷺ فيما رواه الترمذى ــ حين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : تقوى الله وحسن الخلق . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : الفم والفرج .

والسادسة : من الخصال التى ضمن الرسول أن يدخل الله صاحبها الجنة كف الأذى قال ﷺ : ــ وكفوا أيديكم ــ أى عن الأذى وما حرمه الله ، فليستخدم الإنسان يده فى الخير للبناء لا للهدم ، لإماطة الأذى عن الطريق لا لإلقاء القمامة والقاذورات وأذى الجيران ، ولمساعدة الضعيف لا لمدافعته ، للبذل والعطاء ، لا للسلب والاغتصاب . للدفاع عن الحق لا للبغـــى والعدوان .. وفقنا الله لصالح القول والعمل وهدانا سواء السبيل .





الإمام أبو سليمان الخطابي البستي

المتوفى سنة ٣٨٨ هـ.

تقديم الأستاذ/ أحمد تقي الدين

كان الإمام أبو سليمان الخطابي في مقدمة العلماء الذين قاموا بالتأليف في الدين واللغة ابتغاء وجه الله.

والخطابي: هو الإمام العلامة أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي الخطابي الشافعي، من ولد زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي من أقدم المؤمنين صحبة لرسول الله ﷺ ولد بمدينة بست من بلاد الأفغان سنة ٣١٩ هـ.

أقام مدة بنيسابور يصنف، فعمل (غريب الحديث) و(معالم السنن)، و(العزلة)، و(الغنية عن الكلام وأهله)، وله تصانيف أخرى كثيرة.

وقال ياقوت: رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر (معجم الأدباء ٢٦٨/١٠).

وقال السبكي: سمع الحديث من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، «وأبي بكر بن داسة» بالبصرة، وإسماعيل بن الصفار ببغداد، وأبي العباس الأصم بنيسابور (طبقات الشافعية ٢٨٢/٣).

وقال السمعاني: ذكره الحاكم أبو عبدالله في التاريخ فقال: أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدث بها، وكثرت الفوائد من علومه (الأنساب ١٥٧/٥).

وكان يكسب قوته من التجارة، وفي أخريات حياته مال إلى الصوفية، فدخل خلوتهم، وتوفي في «بست» سنة ٣٨٨ هـ. أو سنة ٣٨٦ هـ.

شيوخه:

ابن الأعرابي وهو الإمام الزاهد، شيخ الحرم أبو سعيد، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر، صاحب التصانيف.

وقال الذهبي عنه في «التذكرة»: كان ثقة، ثبتاً، عارفاً، عابداً، ربانياً، كبير القدر، بعيد الصيت. صنف معجماً لشيوخه، وتاريخاً كبيراً للبصرة، مات سنة ٣٤٠ هـ.

---

* اعتمدنا في اعداد هذا المقال على كتاب «غريب الحديث» وهو واحد من أهم مؤلفات الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي تحقيق الدكتور عبدالكريم ابراهيم العرباوي، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة جامعة أم القرى ط ١٩٨٢ وهو يقع في ثلاثة أجزاء.

● ابن داسة : الشيخ الثقة العالم محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق ، أبو بكر بن داسة ، روى عن أبي داود السجستاني ، وأبي جعفر محمد بن الحسن بن يونس الشيرازي. توفي ابن داسة سنة ٣٤٦ هـ .

● مكرم بن أحمد القاضي ، أبو بكر البغدادي البزاز ، قال الخطيب : كان ثقة ، مات سنة ٣٤٥ هـ .

● أبو العباس الأصم : محمد بن يعقوب بن يوسف النيسابوري .

نقل الذهبي عن الحاكم : كان محدّث عصره بلا مُدافعة . وقال : حدّث في الإسلام ستاً وسبعين سنة ، ولم يُختلف في صدقه وصحة سماعه ، مات سنة ٣٤٦ هـ .

● الخُلْدِيّ : جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم ، أبو محمد الخوّاص المعروف بالخُلْدِيّ ، شيخ الصوفية .

كان ثقة ، صادقاً ، ديّناً ، فاضلاً ، سمع الكثير ، وحدّث كثيراً ، وحج ستين حجة ، كان ديناً . مات سنة ٣٤٨ هـ .

● أبو علي الصفّار : إسماعيل بن محمد بن إسماعيل .

وثّقه الدارقطني وقال : صام أربعة وثمانين رمضاناً ، وكان متعصباً للسنة .

وله شيوخ غير هؤلاء . نقل الذهبي عن أبي طاهر السِّلَفيّ قال : في شيوخ الخطابي كثرة ، وكذلك في تصانيفه .

تلاميــذه :

تلاميذه كثيرون ، نذكر منهم :

● أبو حامد الاسفرايني : أحمد بن محمد بن أحمد ، شيخ طريقة العراق .

قال الخطيب : أقام ببغداد مشغولاً بالعلم حتى صار أَوْحَد وقته ، وانتهت إليه الرياسة ، وعَظُم جاهه عند الملوك والعوام ، وقال : لو رآه الشافعي لفرح به .

وقال السبكي : حافظ المذهب وإمامه ، جبل من جبال العلم منيع ، وحَبْر من أحبار الأمة رفيع . مات سنة ٤١٠ هـ .

● أبو أحمد الحاكم : محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه الحافظ الكبير .

قال الخطيب : كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة . وقال الذهبي في الميزان : إمام صدوق . مات سنة ٤٠٥ هـ .

● أبو ذر : عبد بن أحمد بن عبدالله الأنصاري الهروي المالكي . قال الخطيب : كان ثقة ، ضابطاً ، ديناً ، فاضلاً . مات بمكة سنة ٤٣٤ هـ .

هذا ، إلى تلاميذ كثير يصعب حصرهم والتعريف بهم .

رأي العلماء فيه :

قال الثعالبي (٤٢٩ هـ) : كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علماً وأدباً ، وزهداً ، وورعاً ، وتدريساً ، وتأليفاً ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً ، وكان أبو عبيد مُفحماً .

قال السمعاني (٥٦٢ هـ) : « إمام ، فاضل ، كبير الشأن ، جليل القدر ، صاحب

التصانيف الحسنة . ونقل عن الحاكم أنه قال : الفقيه ، الأديب ، البستى : أبو سليمان الخطّابى ، أقام عندنا بنيسابور سنين ، وحدّث بها ، وكثرت الفوائد من علومه .

وقال ابن الجوزى (٥٩٧ هـ) : له فَهم مليح ، وعلم غزير ، ومعرفة باللغة والمعانى والفقه ، وله أشعار جيدة .

وقال ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) : قال الحافظ أبو المُظفّر السمعانى : كان حُجّـةً صدوقاً ، رحل إلى العراق والحجاز ، وجال فى خراسان ، وخرج إلى ما وراء النهر .

وقال أيضاً : كان محدثاً فقيهاً ، أديبـاً ، شاعراً ، لغوياً .

وقال : كان الخطّابى من الأئمة الأعيان .

وقال ابن خلكان (٦٨١) : كان فقيهاً ، أديباً ، محدثاً ، له التصانيف البديعة ، منها : غريب الحديث ، معالم السنن ، أعلام السنن ، كتاب الشجاج ، شأن الدعاء ، إصلاح غلط المُحَدِّثين .

ونقل الذهبى (٧٤٨ هـ) عن أبى طاهر السلفىّ (٥٧٦ هـ) قوله : وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبى داود ، فإذا وقف مُنصِف على مصنفاته ، واطلع على بديع تصرفاته فى مؤلفاته تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته ، وكان قد رحل فى الحديث وقراءة العلوم ، وطوّف ، ثم ألف فى فنون من العلم وصنف ، وفى شيوخه كثرة ، وكذلك فى تصانيفه .

وقال الذهبى : كان ثقة متثبتاً ، من أوعية العلم .

وقال السبكى (٧٧١ هـ) : كان إماماً فى الفقه والحديث واللغة . وذكره الإمام أبو المُظفّر السمعانى فى كتاب : « القواطع فى أصول الفقه » قال : قد كان من العلم بمكان عظيم ، وهو إمام من أئمة السنة ، صالح للاقتداء به والإصدار عنه .

وقال ابن كثير (٧٧٤ هـ) : أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المجتهدين المكثرين ، سمع الكثير ، وصنف التصانيف الحسان ، وله فهم مليح ، وعلم غزير ، ومعرفة باللغة والمعانى والفقه .

[مصنفاته] :

- معالم السنن فى تفسير كتاب السنن لأبى داود .
- أعلام السنن فى شرح صحيح البخارى ، أو تفسير المشكل من أحاديث البخارى .
- كتاب شرح الأسماء الحسنى .
- كتاب غريب الحديث .
- كتاب العزلة .
- كتاب الغُنْية عن الكلام وأهله .
- كتاب إصلاح غلط المحدثين .
- كتاب الشّجاج .
- كتاب الجهاد .
- رسالة فى إعجاز القرآن .
- علم الحديث .

على أن الكتب الأربعة الأولى كانت هى أكثر مؤلفاته أهمية فى إثبات فضل الخطابى وغزارة علمه ، وقوة احتجاجه واقتداره ، وتجاوبه مع ما يجرى فى زمنه ، ولذلك تناولها هنا فى شىء من الإيجاز :

معالم السنن في تفسير كتاب السنن لأبي داود.

أوضح الخطابي في هذا الكتاب ما أشكل من متون ألفاظ كتاب السنن، وشرح ما استغلق من معانيه، وأبان وجوه أحكامه، ودل على مواضع الانتزاع والاستنباط من أحاديثه، وكشف عن معاني الفقه المنطوية في ضمنها، ليستفيد تلاميذه.

وبين لتلاميذه منزلة كتاب السنن فقال:

«اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف، لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من الناس كافة، فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فلكل فيه وِرْد ومنه شِرْب، وعليه معول أهل العراق، وأهل مصر، وبلاد المغرب وكثير من مدن أقطار الأرض.

ويذكر الخطابي فضل الكتاب فيقول:

«وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم، وأمهات السنن، وأحكام الفقه، ما لا نعلم متقدما سبقه إليه، ولا متأخرا لحقه فيه».

ويبدو أن تلاميذه سألوه الكتابة عنه فقال يخاطب تلاميذه:

«وقد انتهيت من مسألتكم بقدر ما تيسرت له، ورجوت أن يكون الفقيه ـ إذا ما نظر إلى ما أثبته في هذا الكتاب من معاني الحديث، ونهجته من طرق الفقه المتشعبة عنه، دعاه ذلك إلى طلب الحديث وتتبع علمه، وإذا تأمله صاحب الحديث رَغَّبه في الفقه وتعلمه».

ويختم كلامه معهم: «وقد كتبت لكم فيما أمليت من تفسيرها، وأوضحته من وجوهها ومعانيها، وذكر أقاويل العلماء واختلافهم فيها علماً جماً، فكونوا به سعداء، ونفعنا الله وإياكم برحمته».

أعلام السنن في شرح صحيح البخاري

وهو من الكتب الهامة التي شرحت كتاب الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، أو بعبارة أدق تفسير المشكل من الأحاديث التي احتواها، وتبيين الغامض من معانيها.

ويبين الخطابي الفرق بين ما احتواه كتاب البخاري، وبين ما في كتاب السنن لأبي داود فيقول:

«كان معظم القصد من أبي داود في تصنيف كتابه ذكر السنن والأحاديث الفقهية.

وغرض صاحب هذا الكتاب، إنما هو ذكر ما صح عن رسول الله ﷺ من حديث في جليل من العلم أو دقيق، ولذلك أدخل فيه كل حديث صح عنده في تفسير القرآن، وذكر التوحيد والصفات ودلائل النبوة، ومبدأ الوحي، وشأن المبعث، وأيام رسول الله ﷺ وحروبه ومغازيه وأخبار القيامة والحشر والحساب، والشفاعة، وصفة الجنة والنار، وما ورد منها في ذكر القرون الماضية، وما جاء من الأخبار في المواعظ والزهد إلى ما أودعه بعد من الأحاديث في الفقه والأحكام والسِّيَر والآداب، ومحاسن الأخلاق وسائر ما يدخل في معناها من أمور الدين، فأصبح هذا الكتاب كنزا للدين وركازاً للعلوم، وصار حَكَماً بين الأمة فيما يُراد أن يعلم من صحيح الحديث وسقيمه، وفيما يجب أن يعتمد ويعول عليه».

سبب تأليف المشكل

ثم يذكر السبب الذى من أجله اتجه إلى تفسير المشكل فيقول : « إنى أفكرت بعد فيما عاد إليه أمر الزمان فى وقتنا من نضوب العلم وظهور الجهل ، وما عليه أهل البدع ، وانحراف كثير من أنشاء[1] الزمان إلى مذاهبهم ، وإعراضهم عن الكتاب والسنة ، وتركهم البحث عن معانيها ولطائف علومها ورأيتهم حين هجروا هذا العلم وبخسوا حظا منه فأهبوا وأمعنوا فى الطعن على أهله ، وكانوا كما قال الله عز وجل : « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ » (الأحقاف ١١) ووجدتهم قد تعلقوا بأحاديث من متشابه العلم قد رواها جامع هذا الكتاب ، وصححها عن طريق السند والنقل ، لا يكاد يعرف عوام رواة الحديث وجوهها ومعانيها ، إنما يعرف تأويلها الخواص منهم ، الراسخون فى العلم ، المتحققون به ، فهم لا يزالون يعترضون به عوام أهل الحديث والدُّخل والضَّعفة منهم ، فإذا لم تجدوا عندهم علما بها ومعرفة بوجوهها اتخذوهم سُلما إلى ما يريدون من ثلْب جماعة أهل الحديث والوقيعة فيهم ، ورموهم عند ذلك بالجهل وسوء الفهم ، وزعموا أنهم مقلدون ، يروون ما لا يدرون ، وإذا سئلوا عنه وعن معانيه ينقطعون ويسموتهم من أجل ذلك : حمالة الحطب ، وزوامل الأسفار ، ونحوها من ذميم الأسماء والألقاب .

فكم غُيِّرَ بغيرهم من الأغمار والأحداث الذين لم يخدموا هذا الشأن ، ولم يعطوه حق طلبه ، ولم يقضوا فى علمه بناجز ، فيصير ذلك سببا لرغبتهم فى السنن وزهدهم فيها ، لطرح كثير من أمر الدين عن أيديهم ، وذلك تسويل الشيطان لهم ، ولطيف مكيدته فيهم ، وتخوفت أن يكون الأمر فيما يناجز من الزمان أشد ، والعلم فيه أعز ، لقلة عدد من أراه اليوم يُعنى بهذا الشأن ويهتم به اهتماما صادقا ويبلغ فيه من العلم مبلغاً صالحاً » .

ويختم كلامه بقوله « ورأيت فى حق الدين ، وأجر النصيحة لجماعة المسلمين إلا أمنع ميسور ماأسيغ له من تفسير المشكل من أحاديث هذا الكتاب ، وفتق معانيها حسب ما تبلغه معرفتى ، ويصل إليه فهمى ، ليكون ذلك نصرة لأهل الحق ، وحجة على أهل الباطل والزيغ ، فيبقى ذخيرة لغابر »

كتاب شرح الأسماء الحسنى

وهو مخطوط ، ويسمى أيضاً تفسير الأسماء والصفات ، وكتاب الدعاء . ويذكر الخطابى سبب تأليف هذا الكتاب فيقول : « سألتمونى إخوانى عن الدعاء ، وما معناه ، وفائدته ، ومحله فى الدين ، وموضعه من العبادة ، وما حكمه فى باب الاعتقاد ، وما الذى يجب أن ينوى الداعى بدعائه ، وما يصح أن يدعو به من الكلام مما لا يصح منه ، إلى سائر ما يتصل به من علومه وأحكامه ، ويستعمل فيه من سننه وآدابه ، وطلبتم أن ألخص لكم ما شكل من ألفاظ الأدعية المأثورة عن النبى ﷺ التى جمعها إمام أهل الحديث محمد بن إسحاق بن خزيمة ــ رحمه الله ورضى عنه ــ إذ كان أولى ما يدعى به ويستعمل منه ما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ

(١) جمع نشىء .. أى أبناء الزمان .

وثبت عنه بالأسانيد الصحيحة ؛ فإن الغلط يعرض كثيراً فى الأدعية التى يختارها الناس لتباين مذاهبهم فى الاعتقاد والانتحال » .

إلى أن يقول : « وقد فعلت من ذلك ـ أكرمكم الله ـ ما تيسر لى ، وبلغه علمى ، وتوخيت الإيجاز والاختصار .. »

غريب الحديث

وقد كتب الخطابى له مقدمة وافية بين فيها فضل أئمة القرون الثلاثة الأولى على علم السنة ، وأنه لما ذهب هؤلاء الأعلام ، وتناقل الحديث العجم ، وكثرت الرواة ، وفشا اللحن ، ومرنت عليه الألسن ، رأى أولو البصائر والعقول أن يعنوا بجمع الغريب من ألفاظه ، وتفسير المشكل من معانيه ، وأن يدونوها فى كتب تبقى على الأبد لتكون لمن بعدهم قدوة وإماما ، ومن الضلال عصمة وأمانا .

ثم ذكر أن أول من سبق إلى ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام بكتابه غريب الحديث ، ثم انتهج نهجه أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، فألف كتابه فى الغريب أيضاً .

وبقيت بعدهما بقية من الأحاديث تولى الخطابى جمعها وتفسيرها فى كتابه « غريب الحديث » متيمما قصدهما ، ومتبعاً نهجهما ، بعد أن مضت عليه مدة من الزمان وهو يظن أنه لم يبق لأحد فى الحديث مقال ، مبتدئا أولا بأحاديث الرسول ﷺ ثم ثنى بأحاديث الصحابة ، وأردفها أحاديث التابعين ، وألحق بها مقتطفات من الحديث لم يجد لها سندا فى الرواية ، إلا أنها ـ كما يقول ـ قد أخذت عن المقانع من أهل العلم ، والأثبات من أصحاب اللغة ، وختم الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث ، يرويها عوام النقلة ملحونة ومحرفة عن القصد .

ولم يعرض الخطابى لشىء فسره أبو عبيدة أو ابن قتيبة فى كتابيهما ، إلا أن يتصل حرف منه بكلام ، فيذكر فى ضمنه ، أو يقع شىء منه فى استشهاد أو نحوه ، وإلا أحاديث وجد فى تفسيرها لمتقدمى السلف وأهل الاعتبار أقاويل تخالف بعض مذاهبهما .

وكان غرضه الأول من هذا أن يظهر الحق ويبين الصواب ، لا أن يكون القصد الاعتراض على ماض أو الاعتداد على باق .

ويسمو الخطابى إلى ذروة التواضع وإنكار الذات فيقول : « ولعل ما نأثره منها لو بلغ أبا عبيد وصاحبه ـ يعنى ابن قتيبة ـ لقالا به ، وانتهيا إليه وذلك الظن بهما يرحمهما الله » .

منهجه فى الغريب :

كان الخطابى يورد الحديث ، يتبعه بسنده ، وأحيانا كثيرة يأتى بسند آخر وبرواية أخرى ، ثم يفسر الكلمات اللغوية ، ويؤيد تفسيرها بحديث آخر ، أو ببعض حديث ، أو آية قرآنية ، أو بيت من الشعر أو الرجز ، وكثيراً ما يستطرد ، فيشرح الكلمات الغريبة فى هذه الشواهد فى إفاضة ومقدرة . وإذا كان فى الحديث شىء من الفقه سجله بعد الشرح .

وكان منهجه ألا يذكر حديثاً أو شرحاً سبقه به أحد زميلية أبو عبيد أو ابن قتيبة إلا أن يكون الحديث قد خلا من الشرح ، فيذكره ليشرحه ، أو يكون هناك خلاف بين صاحبيه فى معنى كلمة فيذكر قولهما ، ويختار أحد الرأيين مستدلا

بأحاديث أخرى أو شعر ، وغالباً ما ينصر أبا عبيد ويؤيده ، لأن النصوص كانت تؤيده .

وننقل هنا من كتاب « غريب الحديث » للإمام الخطابى مثالا يشير إلى غزارة علمه ، وسعة إطلاعه ، وحدة ذكائه :

قال أبو سليمان فى حديث النبى ﷺ أنه قال : « أريت فى المنام أنى أنزع على قليب بدلو بكرة ، فجاء أبو بكر ، فنزع ذنوبا أو ذنوبين ، فنزع نزْعا ضعيفا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر ، فاستقى ، فاستحالت غَرْباً ، فلم أر عَبْقَرِيّاً يَفْرِى فَرِيَّه ، حتى روى الناس وضربوا بعَطَن » .

قد وقع هذا الحديث أولا فى كتاب أبى عبيد ، وثانيا فى كتاب ابن قتيبة ، وفسّر كل واحد منهما طائفة من لفظه ، ولم يعرض واحد منهما لمعناه . وقد علمنا أن هذا مَثَل فى رؤيا أريها ﷺ ، وإنما يُراد بالمثل تقريبُ علم الشيء وإيضاحه بذكر نظيره ، وفى إغفال بيانه والذهاب عن معناه ، وعن موضع التشبيه فيه إبطال فائدة المثل وإثبات التفضيل لعمر على أبى بكر ، إذ قد وصف بالقوة ، من حيث وُصِف أبو بكر بالضعف وتلك نُحطّة أباها المسلمون .

والمعنى ، والله أعلم ، أنه ﷺ ، إنما أراد بهذا القول إثبات خلافتهما ، والإخبار عن مدة ولا يتهما ، والإبانة عما جرى عليه أحوال أمته فى أيامهما ؛ فشبّه أمر المسلمين بالقليب ، وهو البئر العادية ؛ وذلك لما يكون فيها من الماء الذى به حياة العباد وصلاح البلاد ، وشبه الوالى عليهم والقائم بأمورهم بالنازع الذى يستقى ، ويقربه للواردة ، ونزْعُ أبى بكر ذنوباً أو ذنوبين على ضعف فيه ، إنما هو قِصَرُ مُدّة خلافته ، والذنوبان مَثَلٌ فى السنتين اللتين وليهما وأشهراً بعدهما ، وانقضت أيامه فى قتال أهل الرِّدَّة واستصلاح أهل الدعوة . ولم يتفرغ لافتتاح الأمصار وجباية الأموال ، فذلك ضَعْف نَزْعه .

وأما عمر فقد طالت أيامه ، واتّسعت ولايته ، وفتح الله على عهده العراق ، والسّواد ، وأرض مصر ، وكثيراً من بلاد الشام وقد غَنِم أموالها فقَسَّمها فى المسلمين ، فأخصبت رحالهم ، وحَسُنت بها أحوالهم ، فكان جودة نزعه مثلا لما نالوه من الخير فى زمانه ، والله أعلم .

وما من كتاب أُلِّف بعد « غريب الحديث » للخطابى ، يتصل بالحديث أو غريبه إلا رجع إلى هذا الكتاب ، وكذلك الكتب اللغوية التى ألفت بعده ، سواء صرحت بذلك أم لم تصرح ؛ لأن النقل قد يكون عن طريق غير مباشر ، فمثلا نقل ابن الأثير فى « النهاية »[2] الكثير عن الخطابى مسجلا ذلك فى كثير من المواد ، و« النهاية » إحدى المصادر الخمسة التى ألف منها ابن منظور كتابه « لسان العرب » .

كما نقل البيهقى عن الخطابى فى السنن الكبرى .

وكان مرجعا للزمخشرى فى كتابه « الفائق » .

ولو تتبعنا كتب اللغة والحديث والفقه والأدب التى ألفت بعد هذا الكتاب لوجدناها قد أفادت منه ، لأنه حوى الكثير القيم من هذه المواد جميعا .

---

(٢) النهاية فى غريب الحديث .

الكفالة وهل يجوز تقاضي الأجر عنها؟

بحث موجز

للأستاذ الدكتور / محمد سيد غزلان

الكفالة في اللغة معناها : الضم ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ آل عمران / ٣٧

وفي الشرع : عبارة عن ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة بدين أو عين أو عمل أو نفس .

والكفالة تسمى : حمالة وضمانة وزعامة .

وهي تقتضي : (كفيلاً وأصيلاً ومكفولاً له ومكفولاً به) .

فالكفيل : هو الذي يلتزم بأداء المكفول به ، ويجب أن يكون بالغاً عاقلاً مطلق التصرف في ماله راضيا بالكفالة .

ويسمى الكفيل بالضامن والزعيم والحميل والقبيل .

والأصيل : هو المدين وهو المكفول عنه ، ولا يشترط بلوغه ولا عقله ولا حضوره ولا رضاه بالكفالة ، بل تجوز الكفالة عن الصبي والمجنون والغائب ، ولكن الكفيل لا يرجع على أحد من هؤلاء إذا أدى عنه ، بل يعتبر متبرعاً إلا في حالة ما إذا كانت الكفالة عن الصبي المأذون له في التجارة وكانت بأمره .

والمكفول له : هو الدائن ويشترط أن يعرفه الضامن .

والمكفول به : هو الدين أو العين أو العمل ، وغير ذلك مما وجب أداؤه على المكفول عنه[1] .

مشروعيتها :

الكفالة مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع ، وليس هنا مجال بسط الأدلة على ذلك .

موضعها من أقسام العقود :

يقسم العلماء العقود إلى أقسام بحسب طبيعتها ونوعها ، فمنها :

١ ــ عقود المعاوضات : ويندرج تحتها جميع عقود المبادلات سواء كانت مبادلة مال بمال كالبيع ، أو مبادلة مال بمنفعة كالإجارات أو مبادلة مال بغير مال ولا منفعة كالزواج والخلع .

٢ ــ عقود التبرعات : كالهبة والوصية والإعارة والإبراء من الدين والمحاباة في البيع والشراء والكفالة والحوالة في بعض صورها .

٣ ــ العقود التي تكون تبرعا ابتداء ومعاوضة انتهاء : كالإقراض والكفالة بأمر المكفول عنه والحوالة في بعض صورها .

وهناك أقسام أخرى لا داعي لذكرها لعدم تعلقها بموضوعنا .

وتأسيساً على ما تقدم نرى : أن الكفالة تتبع عقود التبرعات في إحدى صورها ، وتتبع العقود التي تكون تبرعا ابتداء ومعاوضة انتهاء في صورة أخرى ، فهي من عقود التبرعات في حالة ما إذا أدى الكفيل الدين عن المكفول ولم تكن الكفالة بأمره .

جاء في كتاب (أحكام العقود في الشريعة الإسلامية للشيخ علي قراعة[2] ص ١١ ، ١٢ ط دار مصر للطباعة) تحت عنوان (بيان صور عقود التبرعات وأمثلتها) :

(٦) الكفالة ، ومعناها ضم ذمة إلى ذمته في المطالبة وهي تفيد التزام الكفيل بأداء ما على المكفول ، وهي عقد تبرع ، ولهذا يشترط في الكفيل أن يكون من أهل التبرع .

---

(١) فقه السنة للسيد سابق جـ ٣ ص ٢٨٣ ط مكتبة دار التراث .

(٢) رئيس المحكمة العليا الشرعية سابقا .

وصورتها : أن يكون على إنسان دين بسبب شراء عين لم ينقد ثمنها وأراد صاحب الدين أن يستوثق لنفسه للحصول على دينه ، فيأتى شخص آخر مليء ويضمن لصاحب الدين دينه ، وحينئذ يكون لصاحب الدين الحق فى مطالبة الكفيل بالدين ، كما له الحق فى مطالبة الأصيل به ، وإذا أدى الكفيل الدين عن المكفول ولم تكن الكفالة بأمره لم يكن له الرجوع عليه بما أدى عند عامة العلماء ، لأن الكفالة بغير أمره تبرع بقضاء دين الغير فلا يحتمل الرجوع .

وجاء فى نفس المرجع ص ١٢ ، ١٣ تحت عنوان : (بيان صور العقود التى هى تبرع ابتداء .. معاوضة انتهاء) .

٢ ــ الكفالة بأمر المكفول فإنها تبرع ابتداء ولكنها إذ أدت إلى أداء الكفيل ما على المكفول من دين كان له الرجوع بما أدى عليه ، لأنه حيث كانت الكفالة بأمره لم يكن متبرعا بالأداء فتكون الكفالة فى هذه الحالة تبرعا فى الابتداء ومعاوضة فى الانتهاء .

وجاء فى مرجع آخر : (ضوابط العقود : دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى وموازنة بالقانون الوضعى وفقهه للدكتور عبد الحميد البعلى :(٣)

٣ ــ عقود التبرعات : وهى مايكون التمليك فيها بغير مقابل كالهبة والصدقة والوصية والوقف والإعارة والإبراء ، ويدخل فيها مايكون تبرعا ابتداء ومعاوضة انتهاء كالقرض والكفالة والحوالة .

وفيما يتعلق برجوع الكفيل على مضمون عنه ينص الشيخ سيد سابق ــ مرجع سابق ص ٢٨٧ ــ على أنه :

إذا أدى الضامن عن المضمون عنه ما عليه من دين رجع عليه متى كان الضمان والأداء بإذنه ، لأنه أنفق ماله فيما ينفعه بإذنه وهذا مما اتفق عليه الأئمة الأربعة .

واختلفوا فيما إذا ضمن عن غيره حقا بغير أمره وأداه .

قال الشافعى وأبو حنيفة : هو متطوع وليس له الرجوع عليه .

والمشهور عن مالك : أن له الرجوع به .

وعن أحمد روايتان .

قال ابن حزم : لايرجع الضامن بما أدى سواء بأمره أو بغير أمره إلا أن يكون المضمون عنه استقرضه .

قال : وقال ابن أبى ليلى وابن شبرمة وأبو ثور وأبو سليمان بمثل قولنا .

ويؤيد كونه عقد تبرع أيضا : ما جاء فى (المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ ٤ ص ٥٩١ مكتبة ابن تيمية) .

(فصل) ولايعتبر أن يعرفهما الضامن (أى المضمون عنه والمضمون له) ، وقال القاضى : يعتبر معرفتهما ؛ ليعلم هل المضمون عنه أهل

(٣) مكتبة وهبة ص ٣٠٤ ، والمؤلف أستاذ الفقه المقارن والاقتصاد الإسلامى كلية الشريعة وأصول الدين ــ جامعة محمد بن سعود الإسلامية .

لاصطناع المعروف إليه أولا وليعرف المضمون له فيؤدى إليه .

وذكر وجها آخر : أنه تعتبر معرفة المضمون له لذلك ، ولاتعتبر معرفة المضمون عنه لأنه لا معاملة بينه وبينه ، ولأصحاب الشافعي ثلاثة أوجه نحو هذه .

ولنا حديث على وأبى قتادة ، فإنهما ضمنا لمن لم يعرفاه عمن لم يعرفاه ، **ولأنه تبرع بالتزام مال فلم يعتبر معرفة من يتبرع له به كالنذر .**

وجاء فى نفس الكتاب ص ٥٩٢ مانصه : (وعموم قوله ـــ عليه السلام : « الزعيم غارم » **ولأنه التزام حق فى الذمة من غير معاوضة .**

وجاء فى كتاب (المجموع شرح المهذب للشيرازى تكملة الشيخ المطيعى جـ ١٣ ص ١٤ ط مكتبة الإرشاد بجدة) مايلى :

(والثانى) أنه لايصح حتى يعرف الضامن عنهما (المضمون عنه والمضمون له) لأن معاملته المضمون عنه فلابد من معرفته بعينه ليعلم هل هو أهل لأن يسدى إليه الجميل أم لا ؟ .

وجاء فى نفس الكتاب ص ٢٠ مانصه : (لأن الضمان رفق ومعروف) وفى ص ٢١ مانصه : (فصل : ولايثبت فى الضمان خيار ؛ لأن الخيار لدفع الغبن وطلب الحظ والضامن يدخل فى العقد على بصيرة أنه مغبون ، وأنه لاحظ له فى العقد) .

وجاء فى ص ٢٧ مانصه : (فصل : وإن قضى الضامن الدين نظرت ، فإن ضمن بإذن المضمون عنه وقضى بإذنه رجع عليه ؛ لأنه أذن له فى الضمان والقضاء ، وإن ضمن بغير إذنه وقضى بغير إذنه لم يرجع لأنه تبرع بالقضاء فلم يرجع ، وإن ضمن بغير إذنه وقضى بإذنه ففيه وجهان :

الأول : من أصحابنا من قال : يرجع لأنه قضى بإذنه .

والثانى : لايرجع وهو المذهب ، لأنه لزمه بغير إذنه فلم يؤثر إذنه فى قضائه ، وإن ضمن بإذنه وقضى بغير إذنه فالمنصوص أنه يرجع عليه ، وهو قول أبى على بن أبى هريرة ، لأنه اشتغلت ذمته بالدين بإذنه فإذا استوفى منه رجع ، كما لو أعاره مالا فرهنه فى دينه وبيع فى الدين .

وهكذا يتضح أن الكفالة عقد من عقود التبرعات فى الأصل ، فهى تطوع ومعروف وجميل ، وهو من أعمال المروءة التى يبتغى بها صاحبها وجه الله ـــ تعالى ـــ وواسع ثوابه ، شأنها شأن القرض الحسن ، ولذلك روى عن النبى ﷺ قوله : (مامن مسلم فك رهان أخيه إلا فك الله رهانه يوم القيامة) كما أباح له أن يأخذ من غيره إذا تحمل وغرم ، جاء فى الحديث الشريف : (لا تحل المسألة إلا لثلاثة فذكر رجلا تحمل بحمالة فحلت له المسألة حتى يؤديها ثم يمسك)* .

---

* رواه مسلم وأبو داوود والنسائى ، والحمالة (بفتح الحاء) مايتحمله الإنسان عن غيره من مال ـــ مثلا ـــ يستدينه ويدفعه لإصلاح ذات البين ، وبهذه الحمالة يكون كفيلا وضامنا .

* إذن فمدار الخلاف بين الفقهاء حول ما إذا كان للضامن أن يرجع على المضمون عنه بقيمة الدين أم لا ، ولم يقل أحد منهم قط : إنه يجوز له أن يأخذ على ضمانه أجرا .

وهنا قد يرد على الخاطر تساؤل :

أيشمل هذا الحكم الضمان على الدين بنوعيه :

الضرورى والاستثمارى ؟

أم أنه قاصر على الدين الضرورى فحسب ؟

وأقصد بالدين الضرورى : من يضمن من يقترض لإطعام أولاده مثلا ، وبالدين الاستثمارى : من يضمن من يقترض ليبنى مصنعا مثلا .

وللإجابة عن هذا التساؤل ، تجدر الإشارة إلى فتاوى هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامى المصرى ، وإلى قرار المؤتمر الأول للمصرف الإسلامى بدبى ، وإلى فتوى هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامى السودانى ، فبالنظر فى كتاب (مشكلة الاستثمار فى البنوك الإسلامية وكيف عالجها الإسلام)[4] نجد تأصيلاً لهذه الرؤية ، وذلك على الوجه التالى :

هل يجوز للبنك الإسلامى أن يتقاضى أجرا على مجرد الكفالة ؟

إن الأصل فى الكفالة هو : التبرع ، فلم تكن فى فهم السلف الصالح موردا من موارد الكسب ، ولا بابا من أبواب الارتزاق ، بل عملا من أعمال المروءة يقصد به رفع الضيق عن الصديق إيمانا واحتسابا لوجه الله .

قال الحطاب : ولا خلاف فى منع ضمان بجعل ـ أى بأجر ؛ لأن الشرع جعل الضمان والقرض والجاه لا يفعل إلا لله بغير عوض ، فأخذ العوض عليه سحت[5] .

وقد وجهوا ذلك بأن الضامن إذا أغرم الحق للطالب ، رجع على المدين بمثل ماغرم مع زيادة ما أخذه من الجعل ، فهذا لايجوز لأنه سلف بزيادة ، وإن لم يغرم بأن أدى الغريم ـ أى الدائن ما عليه من دين ـ كان أخذه الجعل باطلا إذ لا وجه لأخذه[6] .

إلا أن اتساع النشاط التجارى قد اقتضى أن تنتصب هيئات متخصصة للقيام بهذا الغرض تسهيلا للتبادل التجارى وتوفيرا للوقت والجهد ، وهى تتكلف فى سبيل ذلك الجهد والمال ، وتحتاج إلى ما يغطى تكاليف قيامها بهذه المنفعة فهل يمكن قياسا على ما قلناه ـ من جواز تقاضى القرض ـ أن نقول : بجواز تقاضى نفقات الضمان ؟

لقد عرض هذا الأمر على هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامى المصرى فأفتت

---

(٤) د / محمد صلاح محمد الصاوى ـ دار الوفاء ـ صفحات ٤٨٦ ـ ٤٨٨ (رسالة دكتوراه) .

(٥) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٤ /٤٩١ .

(٦) راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ٣ /٣٤١ .

أنه لا يجوز أخذ الأجر على مجرد الضمان ، ولكن إذا كان (خطاب الضمان) سيكبد البنك جهدا قبل إصداره أو بعده ، من دراسة للعملية التي صدر بشأنها الخطاب ، أو تحصيل لمستحقاتها ، أو متابعة لأعمالها فإنه يجوز للبنك أن يأخذ أجرا عن هذه الأعمال التي يصبح وكيلا عن عميله فيها ، ويكون الأجر مقابل هذه الأعمال وليس مقابل الضمان[٧] .

وقريب من ذلك ما أجاب به الشيخ بدر المتولى عبد الباسط المستشار الشرعي لبيت التمويل الكويتي عندما سئل عن هذه القضية ؛ لم يجز أخذ الأجر على مجرد الضمان ، أما بالنسبة للأعمال التي قام بها البنك نيابة عن عميله لدى الجهة المضمون لها فقد أجاز أن يتقاضى عليها أجر المثل[٨] .

وفي المؤتمر الأول للمصرف الإسلامي بدبي صدر القرار التالي :

وخطاب الضمان يتضمن أمرين : وكالة ، وكفالة .

ولايجوز أخذ الأجر على الكفالة ، ويجوز أخذ الأجر على الوكالة ويكون أجر الوكالة مراعى فيه حجم التكاليف التي يتحملها المصرف في سبيل أدائه لما يقترن بإصدار خطاب الضمان من أعمال يقوم بها المصرف حسب العرف المصرفي ، وتشمل هذه الأعمال بوجه خاص : تجميع المعلومات ، ودراسة المشروع الذى سيعطى بخصوصه خطاب الضمان ، كما يشمل مايعهد به العميل إلى المصرف من خدمات مصرفية متعلقة بهذا المشروع، مثل تحصيل المستحقات من أصحاب المشروع .

وتقدير ذلك الأجر متروك للمصرف بما ييسر على الناس شئون معاملاتهم وفقاً لما جرى عليه العرف التجارى .

كما يؤيد ذلك ما أقرته هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامي السوداني حيث ذهبت إلى (جواز أخذ أجر على إصدار خطابات الضمان ، شريطة أن يكون هذا الأجر نظير ما يقوم به البنك من خدمة لعملائه بسبب إصدار هذه الخطابات ، ولا يجوز أن يأخذ البنك أجراً لمجرد كونه ضامناً للعميل)[٩] .

والخلاصة : أنه لا أجر على مجرد الضمان ، لأنه يعتبر عملا من أعمال التبرع ، ولكن إذا صحب الضمان بعض الأعمال والخدمات التي يتكلفها المصرف الإسلامي بمناسبة إصداره لخطاب الضمان ، فلا بأس أن يتقاضى أجرا لاعن كونه ضامناً للعميل ، بل يكون الأجر مقابلاً لهذه الأعمال التي يقوم بها لمصلحة العميل ، ويعتبر في أدائها وكيلا عنه .

---

(٧) محضر اجتماع هيئة الرقابة الشرعية رقم ٣٢ ، ٣٤ يوم السبت والأحد ١٢ ، ١٣ من شوال ١٤٠٠ هـ ـ ١٤ /٨/ ١٩٨٠ .

(٨) الفتاوى الشرعية لبيت التمويل الكويتي : ٧٠

(٩) راجع : فتاوى بنك فيصل الاسلامي السودانى . العقود والمصارف الإسلامية . يوسف كمال ص ١٢٥ .

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

8

المطلب الثانى

شروط التحريم بالغرر ووجوده فى عقد التأمين

الفرع الأول
شروط التحريم بالغرر

للدكتور / عبدالله مبروك النجار *

والغرر الموجود فى التأمين ، غرر من النوع الفاحش ، وهذا المعنى يستبين من شروط الغرر المحرم ، وهو يتوافر فى الغرر الموجود فى عقد التأمين كما أن الغرر اليسير الذى لا يؤثر فى المعاملة له شروط ، وهذه الشروط لا تنطبق ، ولا تتوافر فى الغرر الموجود فى التأمين ، وبيان ذلك يستدعى استجلاء شروط تحريم العقد للغرر بما يجلى أساس التفرقة ، بينه الغرر الفاحش الموجود فى عقد التأمين ، والغرر اليسير المعفو عنه والذى لا يوجد فى عقد التأمين ، وقد جاء فى ضابط الغرر المؤثر بأنه : « الغرر الكثير فى عقود المعاوضات المالية ، إذا كان فى المعقود عليه أصالة ، ولم تدع للعقد حاجة(1) » ، ويبدو من أقوال الفقهاء ، ومن الفروع الكثيرة المتعلقة بأحكام الغرر ، ومايظهر من هذا الضابط أن الغرر المؤثر لابد أن تتوافر فيه شروط هى أن يكون فاحشا وأن يكون فى عقود المعاوضات ، وألا يرد نص بالتجاوز عنه ، وبين ذلك :

* الكاتب أستاذ مساعد / كلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر

(1) د. الصديق محمد الضرير ـ الغرر وأثره فى العقود ـ ص ٥٨٣ ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م

الشرط الأول : أن يكون الغرر فاحشا لا يسيرا :

جاء النهى عن بيع الغرر عاما ومطلقا ، وإن كان بعض الفقهاء قد خصوا الغرر اليسير بحكم مخالف ، والتجاوز عن الغرر اليسير جاء بمثابة استثناء على قاعدة ، ومن ثم فإنه فى وجوده وفى الحكم عليه ، يخضع لما يخضع له كل استثناء على قاعدة من ناحية الضبط والتوصيف الذى يحدده تحديدا قاطعا يجعله حريا باستحقاق حكم يخالف الحكم المقرر للأصل العام ومن هذا المنطلق حدد الفقهاء المقصود بالغرر اليسير ، كما بينوا شروطه ، وضربوا له الأمثلة التى تكشف عن حقيقته وتوضح ماهيته ، حتى إذا ما أردنا استبيان حكم الشرع فى معاملة لنعرف حكمها من ناحية الحل أو الحرمة ، كان علينا أن نبحث عما إذا كانت هذه المعاوضة تدخل تحت الغرر المنهى عنه ، أم أنها تمثل نوعا من الغرر اليسير الذى يستأهل حكما خاصا عما قضى به من أصل التحريم ؟ إن ذلك يستدعى بيان حقيقة الغرر اليسير وعناصره .

حقيقة الغرر اليسير :

يبدو من خلال استقراء أقوال أهل العلم فى المذاهب المختلفة ، أن المالكية هم أكثر الفقهاء تو سعا فى موضوع الغرر ، ومن ثم ذهب كثير من الذين قالوا بالجواز إلى الاحتجاج برأيهم[2] ، ولهذا يكون من المهم استجلاء حقيقة مذهب المالكية فى مسألة الغرر اليسير الذى لا يؤثر فى صحة المعاوضة عندهم ، فإذا ما استبان أن مثل هذا النوع من الغرر لا ينطبق على عقد التأمين التجارى كان القول بمشروعيته أمرا سائغا[3] .

وفى هذا الصدد يقرر صاحب «مواهب الجليل» من فقهاء المالكية : « واغتفر غرر يسير للحاجة ، لم يقصد ، أى كون متعلق الغرر اليسير غير مقصود ، وضرورة ارتكابه ، من ذلك بيع الجبة المجهول قدر حشوها الممنوع بيعه وحده ، وجواز الكراء لشهر مع احتمال نقصه وتمامه ، وجواز دخول الحمام مع اختلاف قدر الماء ولبثهم فيه ، والشرب من السقاء إجماعا ، وهو دليل على إلغاء ما هو يسير غير مقصور دعت إليه الضرورة »[4] .

وجاء فى الشرح الكبير للدردير : « واغتفر غرر يسير للحاجة ، أى للضرورة لم يقصد ، أى غير مقصود ، فخرج بقيد اليسارة : الكثير ، كبيع الطير فى الهواء والسمك فى الماء ، فلا يغتفر إجماعا ، وبقيد عدم القصد بيع الحيوان بشرط الحمل ، أى فإنه يقصد فى البيع عادة ، وهو غرر إذ يحتمل حصوله ، وعدم حصوله ، وعلى تقدير

---

(٢) ومن اللافت للنظر أن الفقهاء المالكية نصوصا فى هذا النوع من العقود تفيد تحريمه من ذلك ما ذكره صاحب الشرح الكبير : من أن البيع بالنفقة على البائع من المشترى مدة حياة البائع ، هو بيع فاسد ، للغرر الناشىء عن عدم العلم بمدة الحياة التى سيحياها البائع ، وهذا يفيد أن الحكم الشرعى لعقد التأمين على الحياة ، باطل للغرر وذلك لعدم علم المؤمن بالزمن الذى سيعيشه المؤمن عليه ، راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ حـ ٢ ـ ص ٥٧ ، وقال الباجى فى المنتقى على موطأ مالك : من دفع إلى رجل داره على أن ينفق عليه حياته ، روى ابن المواز عن أشهب ، لا أحب ذلك ولا أفسخه إن وقع ، وقال أصبغ : هو حرام ، لأن حياته مجهولة ويفسخ المنتقى على موطأ مالك ـ حـ ٥ ـ ص ٤١ .

(٣) فى هذا المعنى : د . حسين حامد ـ السابق ـ ص ٧٥ .

(٤) مواهب الجليل للحطاب ـ حـ ٤ ـ ص ٣٦٥ ، والقوانين الفقهية لابن جزى ـ ص ٢٥٦ وما بعدها ، وبداية المجتهد حـ ٢ ـ ص ١٥٥ ، والفروق ـ حـ ٣ ـ ص ٢٦٥ ، والمجموع حـ ٩ ـ ص ٢٥٨ ، والاعتصام للشاطبى ـ حـ ٢ ـ ص ٤٣ ، ص ١٤٤ ، وراجع : الغرر وأثره فى العقود ـ ص ٥٨٧ .

حصوله فهل تسلم أمه أم لا ؟ »[٥] ، ويمثل لذلك بقوله : « كأساس الدار فإنها تشترى من غير معرفة عمقها ، ولا عرضها ، ولا متانتها ، وكإجارتها مشاهرة ، مع احتمال نقصان الشهور ، وكجبة محشوة أو لحاف ، والحشو مغيب ، وشرب من سقاء ، ودخول حمام مع اختلاف الشرب والاستعمال »[٦] .

عناصر الغرر اليسير :

ويبدو من أقوال فقهاء المالكية أن الغرر اليسير الذى يغتفر فى عقود المعاوضات وتكون معه صحيحة يجب أن تتوافر فيه عناصر ثلاثة إذا فقدت جميعها ، أو واحد منها ، كان الغرر مؤثرا ومبطلا للمعاملة ، وهذه العناصر تتمثل فى قلة الغرر ، وإن يكون غير مقصود لذاته فى المعاملة ، وأن تدعو إليه ضرورة ونبين تلك العناصر .

أولا : قلة الغرر :

يجب أن يكون الغرر فى المعاملة قليلا ، أو نادرا ، أو كما عبر الفقهاء عنه بـ « يسارة الغرر »[٧] ، وهو يعنى أن تكون الزيادة أو النقص المحتمل فى قيمة العوض عما اتجهت إليه إرادة الطرفين فى العقد تافهة أو قليلة أو نادرة على نحو لا يجعل للنفوس تعلقا بها ، ولا يجعلها حرية باتجاه قصدهما إليها ابتداء ، ويمكن أن يدرك ذلك بمقارنة قيمة الزيادة أو النقص المحتمل فيما يحصل من العوض بالقيمة الكلية لهذا العوض ، فإن كانت النسبة بينهما قليلة تافهة ، كان الغرر فى مقدار العوض يسيراً ، ففى حالة بيع الجبة المحشوة مع جهالة نوع حشوها ، فإن كانت قيمة الجبة جيدة الحشو مائة جنيه مثلا ، فلو أن هذا الحشو كان من نوع أقل من الجيد لصارت قيمتها تسعين جنيها مثلا ، أو لخمسة وتسعين وبموازنة قيمة هذا النقص بمقدار الثمن الكلى ، نجد أنه يسير بالنسبة له ، ويمكن أن يتسامح الناس فيه عادة ، وإذا كان هذا النقص يمثل قيمة الغرر ، كان متسامحا فيه بالتالى ، ومثل تلك الحالة إجارة الدار شهرا مع احتمال نقص المدة يوما أو زيادتها يوما فإن نسبة اليوم بالنسبة للشهر يسيرة إذ هى لا تتجاوز واحدا على ثلاثين من قيمة المدة ، وقل مثل ذلك فى حالة بيع الدار مع الأساس ، والشرب من السقاء ، ودخول الحمام ، فإن الفرق فى القيمة فى هذه المعاوضات زيادة أو نقصا عما اتجهت إليه إرادة

---

(٥) الشرح الكبير للدردير ـ جـ٣ ـ ص٥٣ .

(٦) المرجع والمكان السابقان ، وراجع : الفروق للقرافى جـ٢ ـ ص٢٧١ حيث يقول : « والقسم الثانى : قليل جائز إجماعا ، كأساس الدار وقطن الجبة » .

(٧) د. حسين حامد ـ السابق ـ ص٧٦ ، وراجع أقوال الفقهاء فى الغرر : المبسوط ـ جـ١٢ ـ ص١٩٤ ، تبيين الحقائق للزيلعى ـ جـ٤ ـ ص٤٥ ، فتح القدير ـ جـ٥ ـ ص١٩١ وما بعدها ، وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ـ جـ٤ ـ ص١١١ ، وبداية المجتهد ـ جـ٢ ـ ص١٥١ ، ١٥٦ وما بعدها ، ومغنى المحتاج ـ جـ٢ ـ ص٣١ ، ٩٠ ، ٩٣ ، والمهذب للشيرازى جـ١ ـ ص٢٦٣ ، والمجموع للنووى ـ جـ٩ ـ ص٢٨١ ، ٣٧٤ ، والمغنى لابن قدامة ـ جـ٤ ـ ص٥٦ ، ٩٢ ، وسبل السلام للصنعانى ـ جـ٣ ـ ص١٩ .

المتعاقدين فرق تافه يسير إذا ما قورن بقيمة العوض فى تقديره[٨] .

ثانيا : أن يكون الغرر غير مقصود :

ويجب أن يكون متعلق الغرر اليسير غير مقصود ، بمعنى ألا يرد الغرر على أصل محل المعاوضة ، أى العوضين أو أحدهما ، ولا على أمر تابع للعوض يقصد منه المعاوضة عادة ، وإنما يجب أن ينصب على أمر تابع لمحل المعاوضة غير مقصود للمتعاقدين غالبا ، ومن ثم فإن الغرر فى بيع السمك فى الماء ، والطائر فى الهواء ليس غررا يسيرا ، لأنه يتسلط على محل المعاوضة نفسه ، أو هو غرر فى الوجود أو الحصول .

ومن أمثلة الغرر غير المقصود لذاته ، ماذكره فقهاء المالكية استشهادا لقولهم من بيع الدار من غير معرفة أساسها ، والجبة من غير معرفة حشوها وغيرهما من الأمثلة التى ضربوها للغرر اليسير ، فالغرر فى تلك المعاوضات لاينصب على أصل العوض بحيث يكون هذا العوض محتمل الوجود والعدم، أو الحصول وعدم الحصول ، ولا على أمر تابع يتصل بهذا المحل ويقصده المتعاقدان عادة ، وإنما يرد الغرر على أمر تابع لايتجه إليه قصد المتعاقدين عند الدخول فى المعاوضة ، حيث يدخل فى العوض الأصلى تبعا لا قصدا[٩] .

أما الغرر فى عقد التأمين ، فإنه يتعلق بأصل العوض ، وهو المحل المعقود عليه فى عقد التأمين ، حيث يتعلق بوجود العوض وبقدره وأجله ، وهذه كلها أمور تتجه إليها الإرادة قصدا ، فالمستأمن ما بذل الأقساط إلا فى مقابل الحصول على مبلغ التأمين عند وقوع الخطر ، وحصوله عليه أمر احتمالى قد يكون وقد لايكون ، وكذلك قدر الوفاء وأجله كل ذلك من الأمور التى تتجه إليها إرادة المتعاقدين قصدا[١٠] .

ثالثا : أن يكون ارتكاب الغرر ضروريا :

والأمثلة التى ضربها فقهاء المالكية للغرر اليسير تشير إلى أن ارتكاب الغرر فيها مما تفرضه ضرورة التعامل ، وهذا يعنى أن تكون هناك معاوضة مشروعة ، كالبيع والإجارة وغيرهما مما يحتاج الناس إليه ، ويكون منعهم منه كلية مما يمثل حرجا شديدا ، ومشقة زائدة[١١] ، ويكون هناك غرر

---

(٨) د . حسين حامد ـ السابق ـ ص٧٦ وما بعدها ، وراجع تكملة المجموع ـ جـ٩ ـ ص٢٤٦ ، ونظرية الغرر فى عقد البيع للدكتور رمضان حافظ عبد الرحمن ـ منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون العدد الثالث ـ ص٤٢ ، وراجع : المنتقى جـ١ ـ ص٤١ ، حيث وضع ضابط للغرر الكثير واليسير بقول : إن الغرر اليسير هو الذى لاتنفك البيوع منه ، وفسره الشيخ الدسوقى بأنه ما من شأنه التسامح فيه ، وراجع : الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ٣ ـ ص٥٢ ، وراجع : فى ضابط الغرر الفاحش واليسير ، الغرر وأثره فى العقود ـ السابق ـ ص٥٩١ وما بعدها .

(٩) د . رمضان حافظ عبد الرحمن ـ السابق ـ ص٤٣ ، وراجع : الغرر وأثره فى العقود ـ ص٥٩٤ ، حيث يبين شرط أن يكون الغرر فى المعقود عليه أصالة ، أى ما كان فى المعقود عليه أصالة ، أما الغرر فى التابع ، أى فيما يكون تابعا للمقصود بالعقد ، فإنه لايؤثر فى العقد ، ومن القواعد الفقهية المعروفة : يغتفر فى التوابع ما لا يغتفر فى غيرها ، وراجع : مجلة الأحكام العدلية مادة ٥٤ ـ .

(١٠) فى هذا المعنى : د . حسين حامد ـ ص٨١ .

(١١) راجع : الغرر وأثره فى العقود ـ السابق ـ ص٥٩٩ ، حيث يقرر أنه : يشترط لتأثير الغرر فى العقد ، ألا يكون الناس فى حاجة إلى ذلك العقد ، فإن كانت هناك حاجة إلى العقد لم يؤثر الغرر فيه ، لأن العقود كلها شرعت لحاجة الناس إليها ، ومن مبادىء الشريعة العامة المجمع عليها رفع الحرج قال ـ تعالى : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ (سورة الحج ٧٨) .

يسير فى أمر تابع غير مقصود لا ينفصل عن المعارضة غالبا ، ولو اشترطنا نفيه فى صحة المعاوضة لكون ذلك منعا الناس منها ، فبيع الدار مع الجهل بأساسها ، والجبة واللحاف المحشو مع الجهل بالحشو ، فإن البيع معاوضة مشروعة بالأدلة لضرورة الناس إليها ، وهو فى الحالات السابقة لاينفك عن غرر جهالـة الأساس و لحشو ، واشتراط منع الغرر ، هنا يستلزم منع لبيع فى تلك الحالات ، وهو ضرر يجب منعه ، أو يكلف البائع بإخراج الحشو والحفر على أساس الدار وهذا أمر متعذر لما فيه من اتلاف المال[12] ، ولذلك يقول الشيخ الدردير : واغتفر غرر يسير للحاجة ، أى للضرورة[13] ، ولكن ما هى الحاجة التى يبرر وجودها مشروعية الغرر حيث سيكون معها يسيرا ؟

المراد بالحاجة :

والحاجة ، هى أن يصل المرء إلى حالة بحيث لو لم يتناول الممنوع يكون فى جهد ومشقة ولكنه لا يهلك[14] ، فالحاجة إلى عقد من العقود تكون فى حالة ما إذا لم يباشر المرء ذلك العقد ، كان فى مشقة وحرج لفوات مصلحة من المصالح المعتبرة شرعا ، فعقد السلم مثلا تدعو إليه الحاجة ، لأن المزارع قد لايكون عنده المال الذى ينفقه فى إصلاح أرضه وتعهد زرعه إلى أن يدرك ، ولا يجد من يقرضه ، فهو فى حاجة إلى نوع من المعاملة يتمكن بها من الحصول على مايحتاج إليه من المال ، وإلا فاتت عليه مصلحة استثمار أرضه وكان فى حرج ومشقة ، فمن أجل هذا أبيح السلم[15] .

الحاجة والضرورة :

ويلاحظ أن السيوطى ذكر فى تعريف الحاجة عبارة : ولكنه لايهلك ، والغرض من هذه الجملة ، التفرقة بين الحاجة والضرورة ، فحالة الضرورة كما يعرفها السيوطى أيضا : « هى أن يبلغ المرء حدا إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب[16] ، وليس المراد بمقارنة الهلاك الإشراف على الموت ، إنما يكفى لوصول المرء حالـة الضرورة إن يخاف على نفسه الهلاك ولو ظنا » ، يقول الزرقانى : « حد الاضطرار أن يخاف على نفسه الهلاك علما أو ظنا ، ولا يشترط أن يصير إلى حال يشرف معها على الموت »[17] .

الفقهاء يستعملون كلمة الضرورة مكـان الحاجة :

ويلاحظ أن كثيرا من الفقهاء فى حديثهم عن الغرر لا يفرقون بين الحاجة والضرورة فيستعملون كلمة الضرورة فى موضع الحاجة ، بل إن من

---

(١٢) د. السنهورى ـ مصادر الحق فى الفقه الإسلامى جـ٣ ـ ص٤٥ ، د. رمضان حافظ عبد الرحمن ـ السابق .

(١٣) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقى ـ جـ٣ ـ ص٥٩ .

(١٤) الأشباه والنظائر للسيوطى ـ ص٧٧ .

(١٥) الغرر وأثره فى العقود ـ السابق ٦٠٠ .

(١٦) الأشباه والنظائر ـ السابق ـ وراجع : د. محمد سلام مدكور ، نظرية الإباحة ـ ص٣٤٢ ، حيث يقرر أن الاضطرار هو أقوى أنواع الحاجة وأبرزها ، وراجع : أيضا : الإكراه بين الشريعة والقانون ، للدكتور محمد زكريا البرديسى ـ مجلة القانون والاقتصاد ـ العدد الأول ـ ص٣١ ، ص١ ومابعدها .

(١٧) الزرقانى على الموطأ ـ جـ٣ ـ ص٩٥ ، وراجع : د. وهبة الزحيلى ـ نظرية الضرورة الشرعية ـ ص٢٤١ وما بعدها ، وفى معنى الضرورة ـ ص٦٤ وما بعدها .

الفقهاء من فسر الضرورة بمجرد الحرج والمشقة ، وهو معنى الحاجة ، يقول الدسوقي قوله : « للضرورة ، أي لما في حَلِّ العدل من الحرج والمشقة على البائع من تلويثه »[18] ، ومنهم من فسر الحاجة بالضرورة ، يقول الشيخ الدردير في شرحه لمتن خليل : واغتفر غرر يسير للحاجة ، أي للضرورة[19] ، كما أن بعضهم يعلل جواز الغرر في عقد من العقود للحاجة[20] ، بينما يعلله آخرون بالضرورة ، مما يدل على أنهم يستعملون الكلمتين في معنى واحد ، هو معنى الحاجة يقول الباجي : وإنما جواز الجعل في العمل المجهول والغرر ، للضرورة الداعية إلى ذلك[21] ، ويقول السيوطي : « الحاجة إذا عمت كانت كالضرورة »[22] ، ويستوي بعد ذلك أن تكون الحاجة عامة أو خاصة .

شروط الحاجة :

ويشترط لقيام الحاجة شروط :

أولها أن تكون متعينة :

ومعنى أن تكون الحاجة متعينة : أن تنسد جميع الطرق المشروعة للوصول إلى الغرض ، سوى ذلك العقد الذي فيه الغرر ، لأنه لو أمكن الوصول إلى الغرض عن طريق عقد آخر لا غرر فيه ، فإن الحاجة للعقد الذي فيه غرر ، لا تكون موجودة في الواقع ، ولهذا لم تجز إجارة الغنم لشرب لبنها ، كما لم يجز بيع لبنها في ضرعها لأن الحاجة غير متعينة ، إذ في الإمكان شراء اللبن بعد أن يحلب ، بينما جازت إجارة الظئر بإتفاق الفقهاء ، لأن الإرضاع لا يكون إلا عن هذا الطريق ، فالحاجة إلى هذا العقد متعينة[23] .

ثانيهما : أن تقدر الحاجة بقدرها :

كما أنه من القواعد الفقهية المعروفة : أن الحاجة تقدر بقدرها ، أي ما جاز للحاجة يقتصر فيه على ما يزيل الحاجة فقط ، وتطبيقاً لذلك يقدر الحنفية : أن خيار التعين لا يكون إلا في ثلاثة أشياء هي الجيد والوسط والرديء لأن الحاجة تندفع بالتحري فيها ، وكذلك تأقيت خيار الشرط بمدة ثلاثة أيام[24] .

يتبع

---

(18) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ـ جـ3 ـ ص24 ، والعدل ، والعديل : مثل المبيع وقدره مما يجمع في إعداد متساوية من جنس المبيع وربط ، راجع : مختار الصحاح ـ ص51 وما بعدها ، والقاموس المحيط ـ جـ4 ـ ص13 وما بعدها .

(19) المرجع نفسه ـ ص52 .

(20) المجموع للنووي ـ جـ9 ص258 ، وابن تيمية : القواعد النورانية الفقهية ـ ص118 ، 132 وما بعدها والمبسوط جـ13 ـ ص10 ، وبدائع الصنائع ـ جـ5 ـ ص174 ، وحاشية ابن عابدين على الدر المختار جـ5 ـ ص339 .

(21) الباجي ـ جـ5 ـ ص110 ، والقرطبي ـ جـ9 ـ ص232 ، والأشباه والنظائر ، ص79 ، والمغني لابن قدامة جـ5 ص656 .

(22) السيوطي ـ الأشباه والنظائر ـ المكان السابق .

(23) الغرر وأثره في العقود ـ السابق ـ ص604 .

(24) بدائع الصنائع ـ جـ5 ـ ص174 وما بعدها ، وراجع : الغرر وأثره في العقود ـ ص606 وما بعدها .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

● السؤال من السيد / عبد الحميد فتحى ـ المطرية

أقسمت على أم خطيبتى وقلت لها : إن فعلتِ هذا العمل تكون بنتك محرمة علىّ / فما الحكم ؟ علماً بأننى لم أعقد على خطيبتى حتى الآن .

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعدفيقول النبى ﷺ : من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت ـ الأربعين النووية ولا يجوز للخطيب أن يحلف على أم خطيبته بمثل هذا اليمين ، لأنه لا يستطيع أن يحرم ما أحله الله فلو فعلت أم الخطيبة العمل الذى أقسم عليه فإن عليه كفارة يمين وهى : إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ولا تحرم عليه مخطوبته ، بل العقد عليها لا شىء فيه والله ـ تعالى ـ أعلم .

● السؤال من السيد / مصطفى عبدالله ـ المطرية يقول فيه :

١ ـ ما حد السفر الذى يبدأ منه قصر الصلاة ؟

٢ ـ ما المسافة التى تقصر لها الصلاة ؟

٣ ـ وهل يجوز قصر الصلاة لمن تكون مهمتهم دوام السفر . وما الحكم ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فنفيد عن الأول بأن من المعلوم أن قصر الصلاة الرباعية فى السفر بأدائها ركعتين أمر مشروع سواء جعل ذلك رخصة لا يضر الأخذ بها أو عزيمة يجب الأخذ بها قال تعالى : ﴿وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم

﴿ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ النساء : ١٠١

وقد أجمع العلماء على أن مريد السفر له أن يقصر إذا خرج عن جميع بيوت القرية التي يخرج منها واستدلوا على ذلك بأن الرسول ﷺ لم يقصر في سفر من أسفاره إلا بعد خروجه من المدينة .

وعن الثاني : جاء في فقه المذاهب الأربعة أن المسافة التي تقصر فيها الصلاة في السفر هي ستة عشرة فرسخاً ذهاباً فقط والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع بذراع اليد وهذه المسافة تساوي ثمانين كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعين متراً .

والمالكية قالوا : أنت نقصت المسافة عن القدر المبين بثمانية أميال وقصر الصلاة صحت صلاته ولا إعادة عليه .

وعن الثالث : السفر يكون مؤقتاً وقد يكون دائماً والسفر المؤقت يُرَخِّصُ في القصر . أما مديم السفر الذي معه أهله وكل حاجاته فهو كالمقيم لا يحق له قصر الصلاة .

أما الذي يسافر كثيراً بحكم عمله وليس معه أهله فله قصر الصلاة والله ـ تعالى ـ أعلم .

● **السؤال مقدم من السيد / مصطفى كامل إمبابي ـ أسيوط ـ الوليدية .**

س ١ : بعض الناس يزعمون أنهم ينتسبون إلى أهل البيت وأن لهم شفاعة ، ولهم وضع خاص في الدنيا والآخرة .

(وهم يفعلون بعض الطقوس والعبادات) التي لم أسمع عنها . فما صحة هذا الزعم ؟

س ٢ : بعض الناس يدعون أن لهم أخوة بالجن وأنهم تابعون لهم ويفعلون أفعالاً يهددون بها الناس فما مدى صحة هذا الكلام ؟ وهل هناك آيات تقي من السحر وأعماله وغير ذلك ، وخاصة أن الناس تقع ضحايا للدجالين والأفاقين وجزاكم الله خيراً ؟

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد ، فرداً على رسالة الأخ مصطفى كامل امبابي من أسيوط الوليدية نجيب بالآتي :

لا أحد من المسلمين ينكر فضل أهل البيت والحرص على تكريمهم ومحبتهم قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ الشورى : ٢٣

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب : ٣٣

والمعروف أن أهل البيت على رأي كثير من العلماء والفقهاء قد انحصروا في ذرية سيدنا علي ابن أبي طالب من زوجته البتول السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ من نسل سيدنا الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما .

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة متعددة توضح أن أهل البيت كغيرهم من المسلمين لم يخصهم الرسول ﷺ بشيء أو أي أمر من أمور الدين أو الشريعة غير ما في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ وكان بعض الناس يميل إلى القول بأن الرسول ﷺ قد استأثرهم ببعض أسرار الرسالة وبعلم لم يطلع عليه غيرهم فسألوا في ذلك سيدنا علي ـ كرم الله وجهه . هل عندكم شيء غير ما في كتاب الله وسنة رسوله فقال : والذي خلق

الحبة وبرأ النسمة ليس عندنا شيء إلا كتاب الله وسنة رسوله وما في هذا الجراب (غمد السيف) ففيه أحكام الديات والقصاص وهذا يقطع بأنهم كباقي المسلمين .

وإذا كان بعض الأدعياء يفعلون بعض الطقوس والعبادات ولم تسمع عنها من قبل خاصة وأنك لم توضح لنا ما يفعلونه ولم تبين لنا نوع هذه الطقوس والعبادات فبالتالي لا يمكن الحكم على هذه الأمور بالصحة أو الفساد لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره وكما قلنا سابقاً : إن الرسول ﷺ قد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك كما نهى عن أن يتشبه المسلمون باليهود والنصارى فيما ذهبوا إليه من تقديس بعض أوليائهم وصلحائهم .

وعن الثاني نفيد :

فيما يتعلق بزعم بعض الناس أنهم مُخاوُون للجن تابعون لهم يأتون بأفعال يهددون بها الناس فما مدى صحة هذا الكلام ؟

الاستعانة بالجن والشياطين تحدث عنها القرآن الكريم في مواضع منه قال ـ تعالى ـ في سورة « الجن » :

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ سورة الجن

وقال ـ تعالى ـ في سورة الأنعام :

﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ﴾ الأنعام ١٢٨

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام ١١٢

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ البقرة ١٠٣

وقد ذهب بعض أهل العلم قديماً وحديثاً إلى إثبات تسخير الإنسان للجن ومصادقته باستخدام الرقى والعزائم والطلسمات .

وفي القرآن الكريم ما يقي الإنسان شرَّ أولئك الخلق وأعمالهم السفلية وسحرهم الأسود الذي يزعمه كثير من الدجالين والمشعوذين ، من ذلك : آية الكرسي بسورة البقرة ، والمعوذتان ، سورة الفلق وسورة الناس ، وغيرهما من آيات التحصين والاستعاذة بالله ـ عز وجل ـ والتوكل عليه ـ عز وجل ـ والله أعلم .

من أعلام الأزهر



الدكتور محمد يوسف موسى

بين دروس الفلسفة والتشريع الإسلامي

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

قام الدكتور محمد يوسف موسى بتدريس الفلسفة فى كلية أصول الدين بالقاهرة قرابة عشرين عاماً ، ثم انتقل إلى تدريس الفقه الإسلامى بكلية الحقوق بالقاهرة قرابة خمسة عشر عاماً ، فكانت مؤلفاته فى الفلسفة والتشريع على مستوى واحد من القوة والإبداع ، وهى مسألة تدعونا إلى السؤال المؤلم عن جماعة من أساتذة الجامعات اليوم ، لايكادون يعرفون شيئاً فى غير تخصصهم الدقيق ، أو فى غير فرع من فروع هذا التخصص الذى كتبوا فيه رسائلهم الجامعية ، وقد يحذر أستاذ الأدب عن تدريس الأدب الأندلسى ، لأنه كتب رسائله فى شأن من شئون الأدب العباسى ، هذه الظاهرة الملحوظة تحتاج إلى علاج حاسم ، وإذا جاز التخصص الدقيق فى العلوم التجريبية فلن يجوز فى كليات الثقافة الإسلامية ، إذ يجب أن يكون الأستاذ ملماً بنواحي هذه الثقافة على وجه عام ، يتيح له أن يشارك فى مسائلها ! وهذا ما نفتقده كل الافتقاد .

لقد تخرج الأستاذ محمد يوسف موسى فى الأزهر ، قبل أن تنشأ نظام الكليات ، فدرس علوم اللسان كما درس علوم الشريعة وعلوم العقيدة ، وكانت هذه الدراسة من أسباب تميزه فى أستاذيته ذات الشعب المتفرقة ، وقد أوتى مع سعة الاطلاع طموحا نادراً دفعه للسفر إلى أوروبا ، لينال أعلى الدرجات العلمية من (السوربون) ، لم يُسافر فى بعثة حكومية ترعاها الدولة ! ولكنه سعى إلى ذلك فلم يوفق ، فرأى أن يسافر على حسابه الخاص ، فقضى السنوات ذات العدد ذاهباً آيباً من الشرق إلى الغرب ، ولم يقتنع بالدكتوراه التى يحملها الدكتور طه حسين ، والدكتور منصور فهمى والدكتور زكى مبارك وأمثالهم بل طمح إلى دكتوراه الدولة ، وهى أعلى الدرجات العلمية فى فرنسا ، ولم ينلها غير قلة قليلة من دكاترة مصر ، نالها الدكتور محمد يوسف موسى فى حفل مشهود تحدث عنه الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى فى مجلة الرسالة فقال(1) تحت عنوان (أزهرى فى السوربون) :

فى قاعة (بديشيلو) الكبرى بالسوربون نوقش فضيلة الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة فى الأزهر الشريف لنيل درجة دكتوراه الدولة فى الفلسفة ، وقد تقدم إلى تلك المناقشة برسالتين : الأولى موضوعها :

(الدين والفلسفة فى رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط) .

وموضوع الثانية (التوجيه الفلسفى أو ما بعد الطبيعة فى القرآن) وكانت لجنة المناقشة مكونة من خمسة من أساتذة (السوربون) ، و(الكوليج دى فرنس) كما هو المتبع دائما فى دكتوراه الدولة وقد رأس المناقشة البروفسور (ليفى بروفنسال) ، وشهد الامتحان : الدكتور طه حسين ، كما شهده أكثر من مائتى طالب مصرى .

وكان الأستاذ موسى موفقاً كل التوفيق فى عرضه لنظريات رسالتيه ودفاعه عن آرائه فيهما واستمرت المناقشة خمس ساعات كاملة ثم أعلنت اللجنة أن الأستاذ موسى قد نال درجة دكتوراه الدولة فى الفلسفة بدرجة «مشرف جداً» .

وقد دعت السوربون الدكتور موسى لإلقاء محاضرات عن فلسفة التشريع الإسلامى فى القرآن باللغة العربية .

لقد كتب الأستاذ رسالتيه الجامعيتين وهو يقوم بأعباء التدريس فى كليته الأزهرية ، وكانت المواد التى يُدرِّسُها تخص شعبة الأخلاق ، فهى بعيدة عن موضوع الرسالة ، ولكنه كان يستعد للموقفين : موقف التدريس ، وموقف تحرير الرسالة .

---

(1) مجلة الرسالة ـ العدد ـ ٧٨٨ ـ ١٩٤٨/٨/٩م .

فهو فى الموقف الأول يصدر الكتب الجامعية لطلابه كتاباً بعد كتاب ، ويكتب فى الصحف الأدبية عن موضوعات تمس مايقوم بتدريسه ، وأذكر أنه كتب سلسلة مقالات عن تطور المفهوم الأخلاق ونشأته فى النفس الأولى ، كان بعضها مثار حوار شديد بين الباحثين ، لأن الأستاذ جعل الدين عاملاً أصيلاً فى نشأة الخلق وتكوين الضمير الإنسانى ، ولم يقتنع بذلك بعض من ألفوا أن يقرءوا كتب الاحتجاج الفرنسية ، وفيها مايدل على أن الخلق الإنسانى قد تكوّن بالتدريج منذ غادر الإنسان الأول كهوفه السحيقة ليكوّن مجموعة بشرية ، فقد اضطر بهذا الاجتماع إلى أن يرعى قوانين مجتمعه ويرى الاعتداء عليها مصدر خطر يهدده .

ومن هنا أخذت الأخلاق تتكوّن تدريجيا بحسب تطور النشأة البشرية ! فقامت مناقشات متعددة بين الأستاذ ومعارضيه ، ولكنها كانت ذات مستوى خلقى نادر يبتعد عن الإسفاف ومحاولة التهجم فهى مناقشة خلقية فى الصميم .

أما موقفه من تحرير الرسالة الجامعية بعيداً عن الأستاذ المشرف بباريس طيلة العام الدراسى فقد جعل يراسل أساتذته ما استطاع ، ليسأل فيجاب ، وقد حالت الحرب العالمية الثانية دون انتظام الرسائل فآثر أن يتتلمذ على الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق فى جلسات أسبوعية حددها له الأستاذ الأكبر مشكوراً .

ومن طرائف مايذكره الأستاذ موسى بصدد هذه الدروس الرازقية ، أن بعض أساتذة الفلسفة بالجامعة المصرية كانوا يزورون الشيخ الأكبر فرأوا مجلسه مع تلميذه ، فقال الزائر متعاظماً : إنك لاتجيد غير الفرنسية ، ويستحيل عليك أن تأخذ درجة علمية من السوربون إذا لم تدرس اليونانية والانجليزية ، لتفهم الفلسفة على وجهها الأصيل ورأى الشيخ الأكبر قسوة الزائر ، فقال فى ابتسام : أنا ياأخى أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية لمدة خمسة عشر عاماً ، وما احتجت إلى هذه اللغات ! فسكت الزائر خجلا ! وكانت هذه الجلسة مصدر قوة دافعة للأستاذ إذ صمم على أن ينال أعلى الدرجات فى الفلسفة تلك التى لم ينلها الزائر المتغطرس وممن ؟ ... من أساتذة السوربون .

وفى مجال العظة والاعتبار أذكر أن الأستاذ محمد يوسف موسى قد شكا ــ فى بعض مقالاته بالرسالة ــ أنه وهو فى فرنسا كان يطلب زيارة الأساتذة الكبار فى هيئة التدريس الجامعى بمنازلهم الخاصة فيرحبون بزيارته ويعطونه ما يريد أن يستعيره من الكتب والمراجع ، وقد كان الدكتور طه حسين فى إحدى زياراته لباريس ويستطيع أن يمهد له الاتصال ببعض المكتبات الباريسية ذات التخصص الفلسفى فجعل يطلب مقابلته ملحفاً ، ولايجد غير الإعراض التام وهى كما يقول الأستاذ موسى : (موازنة أليمة ترجح بها كفة أساتذة الغرب على أساتذة مصر) وفى ذلك كله ما

يصور جهاد الرجل الشاق فى إعداد رسالته الجامعية لأن الطريق لم يكن مفروشا بالورود والأزاهير ، بل يحتاج إلى قوة أولى العزم ممن لا تتعاظمهم الصعاب !

قلت إن الرجل ألف عدة كتب فى تاريخ الأخلاق وتطورها وصلة المفكرين العرب بالفلسفة اليونانية وقد اضطره المنهج الجامعي إلى أن يختصر بعض الأبواب ، وهذا ما أخذه عليه ــ فى أدب جمّ ــ أستاذنا الكبير العلامة محمد فريد وجدى حين تحدث عن بعض مؤلفاته فقال عن كتاب (تاريخ الأخلاق)[٢] :

«تتبع المؤلف تاريخ الأخلاق عند الأمم الشرقية القديمة ، وعند اليونانيين فى أدوارهم الثلاثة وفى القرون الوسطى وفى هذا الدور تحدث عن فلاسفة المسلمين ، ثم أتى على تاريخ الأخلاق فى العصر الحديث ، وعند الفلاسفة الذى يؤسسونها على علم الحياة ، أو على علم الاجتماع ، فجاء الكتاب على هذا النحو حافلاً بالمذاهب المختلفة للأخلاق بقلم عالم أزهرى يعرف اللغة الفرنسية ويتكلم بها ، ويستمد الآراء المتباينة من منابعها ، وهو فى نظرنا كتاب قيم يجب أن يعتمد عليه الذين يشتغلون بتهذيب الأخلاق ، ومما أعجبنا من مؤلفه أنه لم يدع لناقده سبيلاً حين قال فى مقدمته : (وقد أعلم قبل أن أخط كلمة فى هذه المحاولة . أن تاريخ الأخلاق ليس جمعا لأقوال أساتذة الأخلاق فى هذا الموضوع أو ذاك ، بل هو ما يعين القارىء على تتبع التطور لمسائل العلم المختلفة أعلم هذا كله ولكن الحاح الأيام والحاجة إلى شق الطريق جعلانى لا آتى بكل مانويت وقدرت ؛ والكمال لايكون الا بتعاون الجهود) .

ويقول الأستاذ وجدى تعقيباً على ذلك : لولا هذا لقلت كلمة فى نقد هذا الكتاب ، وهو إغفاله أكبر تطور حدث فى علم النفس وغيره» .

إننى أسجل هذه العبارات لأبين للقارىء كيف تكون شجاعة المؤلف حين يعترف أنه لم يبلغ كلّ ما يريد لأن إلحاح الأيام شديد لم يستطع معه أن يفى بما نواه ! كما يبين أدب الناقد حين يقول : إن هذا الاعتراف قد منعه أن يستطرد إلى ذكر مايراه ضرورياً فى تأليف مثل هذه الكتاب ! ... وشجاعة المؤلف وأدب الناقد مما يفرض علينا أن ننوه بهما فى مجال الأسوة والاحتذاء .

وليست هذه فريدة فى مناقشات الأستاذ وجدى للدكتور محمد يوسف موسى ، إذ كان يخصه وهو رئيس تحرير مجلة الأزهر بتعقيبات يراها ضرورية فى إيضاح وجهتى النظر المختلفتين فقد نشر الدكتور بحثاً تحت عنوان (بين رجال الدين والفلسفة) ذهب فيه إلى محاربة رجال الدين للفلسفة اليونانية بلا هوادة ، وكان المنطق يقضى تقبل هذه الفلسفة ولكنهم رفضوها جملة وتفصيلاً ورأوا فى رجالها وأشياعها أعداء للدين يجب الحذر منهم والتنكيل بهم ماوجدوا إلى ذلك سبيلاً»[٣] وقد تعقبه الأستاذ وجدى[٤] مقرراً أن المسلمين لم يجافوا الفلسفة اليونانية سذاجة وبلاهة

(٢) مجلة الأزهر : ربيع الأول سنة ١٣٦٣هـ ص ١٧٣

(٣) المصدر نفسه .

(٣) مجلة الأزهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

منهم ، ولكن لأن لديهم فلسفة ... تبتدىء من قواعد الآداب العادية ، وموجباتها الحيوية ، إلى الحالات العالية للنفس الإنسانية وبواعثها من العوامل الروحية ، ومن أوليات الأصول الاجتماعية ، إلى نهايات الوحدة الإنسانية ، بل العالمية ، ومن بسائط الأسس الإدارية إلى أعلى المبادىء الحكومية والدستورية .

وأفاض الأستاذ وجدى فى التدليل على ذلك بنصوص من كتاب الله ، وقد تلا الرد رد وتعقيب ، ولكن الذى نأخذه من ذلك كله هو حيوية النقاش واتجاهه إلى الأمور الفكرية بعيداً عن منازع الاستعلاء والتهجم ونحن مع الأستاذ وجدى فى أن للإسلام فلسفة مستقلة لاسبيل إلى إنكارها ... ولكن الدكتور موسى جارى المصطلح التاريخى المعروف الذى يجعل من كلام الكندى والفارابى وابن سينا ومن لف لفهم محوراً للفلسفة الإسلامية ومن السهل على ناقد أن يقول إن هؤلا قد نقلوا كلامهم عن أرسطو وأفلاطون وفلاسفة اليونان وقصارى أمرهم أن يكونوا شراحاً أو معقبين وإذن فلا فلسفة فى الإسلام بهذا الاعتبار وقد كتبت بحوث حديثه توضح مزايا الفلسفة الإسلامية مستقلة عن آراء اليونان وناهضة على النصوص الدينية ذات الطابع الصريح وبذلك انحسم الخلاف .

ولم يقصر الأستاذ فى هذه الفترة نشاطه على البحث العلمى أستاذاً بكلية أصول الدين ، وطالباً بالدراسات العليا بالسوربون ، بل جعل همه الإدلاء برأيه فى كل مشكلة إصلاحية تتنازع فيها الآراء ، فقد تحدث كثيراً فى مقالات بالرسالة والأهرام ومجلة الأزهر عن الإصلاح الأزهرى وضرورة الأخذ بالنظام الجامعى فى كليات الأزهر ، إذ لامعنى لأن يرسل الأزهر بعثات علمية للخارج يُكتب لأصحابها النجاح والتوفيق ، ثم يعودوا إلى جامعتهم الزعوم فلا يستطيعوا أن يفيدوا مما تعلموه لأن المناهج تقف أمامهم ! لقد كانت الكتب المقررة فى أكثر الكليات من كتب التراث وحده ووظيفة الأستاذ أن يقرأ النص ويشرحه للطلاب ، وقد يعترض على النص بما جاء فى حاشيته تعقبته من قبل ، وهذا يهدم الروح الجامعى الذى يجعل الموضوع هو أساس الدرس ويحتم أن تكون له عدة مراجع لامرجع واحد كما لايمنع أن يؤلف الأستاذ الجامعى كتاباً يضمن أحدث ما انتهى اليه العلم فى مادته ! لأن الكتاب المقرر حينئذ يقف عائقاً دون ذلك ! هذا ما انتقده الأستاذ محمد يوسف موسى مكرراً ومبدئاً ومعيداً ، وقد كنا نقرأ كلماته ونحن طلاب بالأزهر فنؤيدها تمام التأييد ثم كبرنا وصرنا أساتذة فى جامعة الأزهر بعد تطويرها فماذا وجدنا ؟ وجدنا أنفسنا نترحم على عهد التراث لأن المدرسين ـ فى أكثرهم ـ قد اكتفوا بطبع مذكرات ميسّرة ، وليس لدى الكثير منهم كفاءة تجعله مؤلفاً ممتازاً . فاكتفى بالنقل عن سواه ورصد همه فى توزيع الكتاب وهو على علاتية لايقدم شيئاً ذا بال مما جعلنا نضرب كفا بكف ونتذكر قول القائل .

ربّ يوم بكـيت منـه فلمـا　　　صرت فى غيره بكـيت عليـه !

وأعود فأكرر أننى أتحدث عن الطابع العام . ولا أنكر امتياز فريق جاء بالإتقان المبتكر والتحليل الدقيق ..

وإذا كان علم الكلام مما يتصل بأساليب المنطق الأرسطى بسبب واضح فى معالجة قضاياه فإن الدكتور محمد يوسف موسى كان أحد الأصوات الجهيرة التى انتقدت تدريس هذا العلم ، بوضعه المتنقل عبر العصور البعيدة فقد قال ـ صريحاً[1] ـ إن كتب (علم الكلام) التى يشقى بدراساتها طلاب الأزهر . والذين ينفقون فى فك غامضها قدراً كبيراً من طاقاتهم العقلية ، إنما تتعرض لمن أصبحنا لانحس لهم وجوداً من أرباب المقالات المخالفة للدين الحق ، وعقائده الصحيحة ، ومن العجب أن نعكف على مناقشة قوم لانكاد نحس لهم ركزاً ، وأن نترك أمثال : القاديانية والبهائية وأزيد فأقول : الوجودية والماركسية والمادية والعلمانية لهم من النشاط الدينى والدعاية لمذاهبهم ما هو معروف فى العالم جميعه إن على علماء الكلام أو التوحيد أن يطفئوا الإلحاد الذى استشرى من جانب من المثقفين ثقافة علمية عالية ، ممن يرون أن تفسير الوجود ممكن دون اللجوء إلى فرض وجود الله ، وإذا سألتهم عن الشبهات التى تحول بينهم وبين الوصول إلى اليقين بوجود الله مستعينا بكل ما عرفت من كتب علم الكلام لم تصل منهم إلى ما تريد ثم نقل الأستاذ محمد موسى قول العلامة الشيخ حسين والى فى كتابه (التوحيد) .

«إن هذا العلم نشأ فى زمن كانت الحاجة فيه ماسة إلى الرد على خصوم الإسلام من الدهريين والزنادقة والملاحدة ، أما الآن وقد ذهب هؤلاء الخصوم وجاء خصوم آخرون فلا يليق فرض الذاهب حاضراً وترك الحاضر الذى لايرده كتاب الله إذا بينه الرَّاد على وجهه وليس من الحزم أن يضيع الإنسان عمره فى الاشتغال بخصوم موهومين وترك الخصم الذى ضيق عليه المسالك» .

وكثير من الكتب التى نشرها المستشرقون فى هذا القرن تتجه إلى إحياء هذه الخصومات بنشر أقوال أهل الطوائف المتنازعة من الذين يحسنون الاعتراض ولايحسنون الجواب ، بل بنشر كتب المجاهرين بكفرهم الصريح كابن الراوندى ومن على شاكلته وهم يريدون إحياء هذه الشبهات القديمة لتضاف إلى ما جد من شبهات فى هذا العصر الحديث ! هؤلاء هم أعداء الإسلام ممن يتشحون برداء العلم فما بالنا لانلتفت إلى ما يريدون إذاعته من ترهات ! فنساعد نحن على إحيائها لتشغل الطلاب وتصدهم عن الصراط القويم .

---

(1) مجلة الأزهر ـ المجلد الحادى والعشرين ص ١٣١ .

وقد دعا اتحاد طلاب معهد التربية العالى بالاسكندرية وقد كنت حينئذ أحد هؤلاء الطلاب الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر لإلقاء محاضرة علمية من محاضرات الموسم الثقافى للمعهد سنة ١٩٥٠م فلبى الدعوة مرتاحا وألقى علينا محاضرة رنانة تحت عنوان (لتكن قوة تفعل لامادة تنفعل)(*) بدأها معترفا بأن التأثر بالقوى نافع مفيد ، إذا حسن استغلاله ولكننا اليوم نتأثر مبهورين بكل وافد ، والتأثر المفرط يضيع استقلال الفرد والجماعة ويذهب باستقلال الفكر وأصالة الرأى ذلك بأن من يتطلع دائما إلى غيره يسأله ماذا يرى وماذا يعمل ؟ يجعل من نفسه مادة يصورها ذلك الآخر وفق مايريد ويجعل نفسه بمرتبة البهيمة يقودها الحدث حيث شاء والذين يفعلون ذلك يجعلون من أجسامهم مقابر لنفوسهم التى أماتتها التربية السيئة بدل أن تكون هياكل لنفوس إنسانية لها حريتها واستقلالها فى هذا واضحة والجناية اثم ختم المحاضرة بقوله :

إن عامة الغربيين يرون فينا معشر الشرقيين جماعات لم يعد لها كيان مستقل ولاشخصية خاصة مادمنا نرى فى الغرب مثلنا الأعلى هؤلاء هم العامة ، أما الخاصة فيرون أن اتباع الشرق للغرب اتباع ظاهرى لأن للشرق روحه الخاصة التى لاتلبث أن تظهر من جديد ناصعة قوية يفيد منها الشرق والغرب معا ، بعد أن صار الغرب وقد أنهكت قواه الحضارة المادية بحاجة إلى بعث جديد يقوم على روح جديدة ، يتلمسها لدى الشرق والإسلام» .

وهكذا كان الدكتور محمد موسى فى المعهد العالى للتربية مربياً ممتازاً ، فقد بين العلة الموجعة التى جعلت الشرق يستسلم مبهوراً للغرب ولم يشأ أن يترك السامعين فى يأس من واقعهم الأليم ، فختم محاضراته بتفاؤل كبير حول مستقبل الشرق ، إذ أكد أن الخاصة من مفكرى أوروبا أخذوا بعد الحرب المهلكة ينقدون حضارتهم الزائفة التى قذفت بهم إلى هذه الأهوال وجعلوا يتطلعون الى الشرق من جديد ، وهو مشرق الديانات الصحيحة ، وحامل رسالات السماء !

(*) نشرت المحاضرة بمجلة الرسالة العددان ٨٨٠ ، ٨٨١ سنة ١٩٥٠م .

طرائف ومواقف

للأستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وكان المريض بخيلا

حكى الهيثم بن عدى ، قال : ماشيت الإمام أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ فى نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة ، وكان المريض «بخيلا» وتوصينا على أن نعرّض بالغداء ؟ فلما دخلنا وقضينا حق العيادة ، قال : أحدنا « آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » قال : فتمطى المريض ، وقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » .

فقال أبو حنيفة لأصحابه ، قوموا فمالكم هنا من فرج .

أخى



إذا جادت الدنيا عليك ، فجد بها
على الناس واعلم أنها تتقلب
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا هى تذهب

إن فى العلل نعما

قال بعضهم : إن فى العلل نعما لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها ، منها :

تمحيص الذنوب ، وثواب الصبر ، والإيقاظ من الغفلة ، والإذكار بالنعمة فى حال الصحة ، والاستدعاء للتوبة ، والحض على الصدقة ، والرضا بقضاء الله وقدره .

أعط سيبويه كسرة

وقف بعض الفقراء على باب نحوى فقرعه ، فقال النحوى : من بالباب ؟

فقال : سائل .

فقال : ينصرف .

فقال : اسمى « أحمد » .

فقال النحوى لغلامه : أعط سيبويه كسرة .

رأيتك في المنام

جاء رجل إلى الشيخ عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام الشافعي ؛ سلطان العلماء ، فقال : رأيتك في المنام تنشد :

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلّت

قال : فسكت ، ثم قال : أعيش ثلاثا وثمانين سنة ؛ فإن هذا الشعر لـ «كثير عزة» وقد نظرت فلم أجد بيني وبينه نسبة ، فإني سني وهو شيعي ، وأنا طويل وهو قصير ، وهو شاعر ولست بشاعر ، وأنا سُلمي وهو خزاعي ، وأنا شامي وهو حجازي ؛ فلم يبق إلا السن فأعيش مثله ، فكان كذلك .

« دعاء أعرابية »

دعت أعرابية على رجل ، فقالت : أمكن الله منك عدوا حسودا ، وفجع بك صديقاً ودودا ، وسلط عليك هما يُضنيك ، وجاراً يؤذيك .

أنت بالخيار !!

سأل أعرابي رجلا فحرمه . (أي لم يعطه) .
فقال له أخوه : نزلت والله بواد غير ممطور ؛ وبرجل غير مسرور فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .

نصيحة لناصح

تعمدني بنصحك بانفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

بيوت الشعر

قيل : إن بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب ؛ وكان جرير أفحل شعراء الإسلام في الأربعة .

فالفخر قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله :

إن العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله إنسانا

دعاء

اللهم عافني في بدني .
اللهم عافني في سمعي .
اللهم عافني في بصري .
اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر .
اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر .
لا إله إلا أنت .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الاتحاد

للأستاذ/ إبراهيم الجبالى

إعداد وتقديم : أ/ عبد الفتاح حسين الزيات

على مدار التاريخ ، لم نقرأ أو نسمع أن الفرقة تؤدى إلى الغلبة أو النصر ، وإنما كانت الوحدة دائما هى العزة والمنعة ، والواقع يؤيد ذلك دائما .

لقد جاء الإسلام سلما وسلاما ، هذا صحيح ، ولكنه لم يترك المسائل رهنا لظروفها ، وإنما وضع لها الأسس والضوابط ، خصوصا مايتصل فيها بمصائر الأمم والشعوب ، فشدد على الاتحاد مؤكدا على أن حياة الأمم تتوقف عليه ، ومصيرها معلق بالأخذ به ، وندد بالشقاق والفرقة والفردية باعتبارها عوامل قاتلة لحياة الشعوب ، وزاد هذا الأمر تأكيداً : قرآنا وسنة ، ويكفى أن تنظر فى العبادات بأنواعها ، لتأخذ صورة صادقة لمعنى الاتحاد .

وليس لمعترض أن يقول : فما بال المسلمين متفرقين شيعا وأحزابا تضرب فيهم معاول الهدم من كل اتجاه ـ إلا قليلا منهم ـ ؟ والجواب : أن مرجع هذا ضعف النفوس ، واتباع الأهواء ، والانشغال بالفردية ، العدو اللدود للاتحاد الذى جاء به الإسلام .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الاتحاد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١)

الدعوة إلى الاتحاد شعار كل مصلح ، ومقصد كل ناصح ، وغاية كل واعظ ومرشد ، وقلما تجد امرءا يدعو إلى الفضيلة ، بل قلما تجد من يدعو إلى سلوك خطة ، وانتهاج شرعة ، مهما قام فى وجهه مخالف وعانده معاند ، إلا وهو يدعو إلى الاتحاد .

غير أن الدعاة المختلفين إذا سئلوا : علام يتحد الناس ؟ فسر كل منهم الاتحاد الذى يدعو إليه بالاندماج فى خطته والإذعان لرأيه والتهاج منهجه ، ويقابله معاندوه بمثل دعوته ، ويفسرون الاتحاد فى رأيهم بالإقبال على ما هم عليه وترك ما عداه ، فتراهم دائما فى أمر مريج ، وترى دعوتهم غالباً تذهب أدراج الرياح ، وتراهم قد اتحدوا فى أن لا يتحدوا . ذاك أن كلا منهم حين يدعو إلى الاتحاد لم يترك أنانيته ، ولم يقصد بالاتحاد أكثر من أن يندمج رأى غيره فى رأيه ، ويترك كل امرىء ما عنده إلى ما عند ذلك الداعى ، وأنى له ذلك وعند كل منهم من الاعتداد بنفسه والحرص على تقديس رأيه ما عند صاحبه سواء بسواء ؟

فهل كانت دعوته ﷺ إلى الاتحاد على هذا الوجه الذى تكرر له الفشل وحق له أن يفشل ؟؟

لا .. لا ، ما كان مسلكه ﷺ هذا المسلك ، ولا نحا هذا المنحى ، ولكنه سلك مسلكا ممهدا ، وانتهج طريقاً معبدا ، أوضحه بالبينات والهدى ، ودعا الجميع إلى السير فيه عن بينة وبصيرة ، وبرهن عليه بالبرهان الساطع والحجة الدامغة ، فإذا السالكون فيه قد اتحدوا من تلقاء أنفسهم ، وإذا هم قلب واحد ، واتجاه واحد ، ووجدان واحد ، وإذا هم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وإذا هم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

هاك شريعته التى أوحاها إليه ربه ، وأمره أن يبلغها لكافة الخلائق ، فانظر إليها فى أصل عقيدتها وفروع عباداتها وأنواع معاملاتها ومظاهر أخلاقها ، انظر إلى كل قسم من ذلك على حدة ثم استوضحها جملة واحدة ، وانظر إليها متناسقة وبعد ذلك احكم عليها بما تراه من حكم عادل فى جملتها وتفصيلها .

تأمل فى خطابه للمعاندين المغترين بما أوتوا من كتاب أنزل عليهم ، فهم لا ينفكون يدعون إليه لا لشىء سوى أن فى يدهم كتابا ، فلا تسمح نفوسهم بأن يتركوه إلى غيره مهما وضح الحق وقامت الحجة ، انظر إلى خطابه لهم تجده يقول فيما أوحى إليه ربه وأمره به :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(٢)

---

(١) آل عمران آية ١٠٣

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤

ثم يقـــول عقبها :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة)

فماذا ترى فى هذا ؟ تراه قد اطرح الأنانية ، واطرح استمساك كل واحد بما عنده لمجرد أنه عنده ، وقال :

﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾

(ســـورة آل عمران)

لا على وجه أنكم خضعتم لنا أو أنا خضعنا لكم ، وإنما على أنا جميعاً خضعنا لإله واحد لا نعبد إلا إياه ولا نشرك به شيئاً ، فنمتثل الأمر لأنه أمره لا لأنه أمر بعضنا بعضاً ، فإذا كان هذا الأمر قد علمتموه عن طريقنا فلأنه قد أمرنا أن نبلغكموه ، وأيدنا وصدقنا فى دعوانا بما شاهدتموه من آيات بينة وحجة قاطعة لا تجد نفوسكم إلى الطعن فيها سبيلا ، ولا يجد الشك معها إلى النفوس المفكرة مسلكا ، فماذا يحول بينكم وبين أمر ربكم ؟ تعالوا وأطيعوا الرسول لا لأنه هو فلان بن فلان ، وإنما لأنه رسول الله ، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله . وعلى هذا نجد الأنانية التى من شأنها أن تحول بين المرء وبين الإذعان للدعوة والاستجابة لها قد زالت وقضى عليها .

وينخرط فى هذا السلك ما تقرأ فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(ســـورة البقرة)

ماذا تفهم منها بعد التأمل الصحيح والتفكر الصادق ؟ إنك حين تتأمل فيها وتفهمها حق فهمها تجدها تناديك باطراح الأنانية وإظهار أن المسألة ليست مسألة : نحن ، وأنتم ، وهم ، وأمثال ذلك مما يستمسك فيه كل فريق بما عنده ، حتى يقال عنهم : كل حزب بما لديهم فرحون ، وإنما الأمر أمر القانون العام والحجة الواضحة التى يجب أن تكون الحكم الفاصل بين الجميع ، وهو أن من صدق عليه أنه آمن بالله حق الإيمان ، وآمن بيوم الجزاء حيث لا يفيد المرء إلا ما عمل ، وقام بالعمل الصالح حق القيام ، فهو الذى لا خوف عليه ولا حزن يلحقه ، فأينما يتحقق فيه هذا الوصف فهو صاحب هذا الحكم حتما ، هل تجد من ينفر من حكم هذه القضية الصادقة العادلة ؟ كلا .. إذن فتعالوا نعرض إيماننا بالله وإيمانكم الذى تزعمون ، على محك النظر الصحيح . إنا نجد أنفسنا قد أسلمنا أمرنا لله ورضينا بكل ماحكم الله ، وامتثلنا كل ما أمرنا به الله ، ولكنكم أنتم اتخذتم لحكم أهواءكم ، وقلتم :

﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ .

(ســـورة المائدة)

وآمنتم ببعض وكفرتم ببعض ،إذن ليس الممتثل عندكم هو أمر الله ، وليس إيمانكم هو الإيمان بالله ، وإلا لاطرد الامتثال فى كل ماقامت الحجة عليه أنه أمر من الله ، وإذن فأنتم لم تؤمنوا حق

الإيمان باليوم الآخر ، وإلا لحذرتم خطر الجزاء العدل لمن خالف أمر ربه مالك يوم الدين ، وإذن فلم يكن القصد فى عملكم الى الصالحات ، ولا صالح إلا ما رضيه لكم ربكم وأمر به المهيمن عليكم ، وإنما أنتم تجيبون داعى أهوائكم وتقومون بما مالت إليه نفوسكم .

هذا نموذج واضح جد الوضوح فى بيان كيفية الدعوة إلى الله ، وأنها كانت تظهر على وجه اطراح الأنانية ، وأنها إنما كانت توجه إلى الحق من حيث هو الحق بقطع النظر عمن قام به ودعا إليه ، وهى أشبه شىء بقولهم : انظر إلى ما يقال لا إلى من قال . وهل بعد هذا منهج يرفع الخلاف وأسبابه ، ويمكن للاتحاد فى النفوس فضل تمكين ؟

تعال وانظر معى بعد ذلك فى فروع العبادات ، تجدها قد بنيت على ما يثبت روح الاتحاد فى القلوب ويمكنها من النفوس ، وها نحن أولاء نجلوها عليك فى أركان الإسلام الخمسة :

١ ــ شهادة أن لا إله إلا الله :

ماذا تقول فى قوم جزموا جزم اليقين ، وعلموا علم الشهود أن إلههم جميعاً واحد لا يعبدون إلا إياه ، فهم يشعرون جميعاً بأنهم خاضعون أمام عظمة واحدة هى مصدر وجودهم ، ومنشأ ما هم فيه من نعم جلت أو دقت ؟ إنها أكبر داع إلى توحيد قلوبهم ، وتوحيد اتجاههم ، وتوحيد غايتهم ، وهى الفوز بالزلفى إليه واكتساب مرضاته .

٢ ــ إقام الصلاة :

ماذا تشهد فى جموع متضافة متراصة كالبنيان تنطق بلسان واحد « الله أكبر » ، وتقوم فى وقت واحد بتحميده وتمجيده ،وتوجه إليه خالص العبادة ، وتسأله كلها فى آن واحد أن يمنحها معونته ، ويهديها إليه الصراط المستقيم ، فإذا ركعت خضوعاً لعظمته كانت جميعاً فى خضوعها ، وإذا استكانت أمام علو مجده كانت جميعاً فى استكانتها وذلتها ، وإذا وقفت قانتة لربها لمطيعة لأمره كانت كلها معا خاشعة قانتة ، ثم هى تتجه إلى جهة واحدة أمرها ربها أن تتجه إليها ، أليس الاشتراك فى هذا كله مدعاة إلى اتحاد الاتجاه ، واتحاد الأعمال والأقوال ، وبالتالى يثمر اتحاد القلوب ؟

٣ ــ إيتاء الزكاة :

ماذا تراه فى قوم تعاطفوا وتراحموا ، وشارك فقيرهم غنيهم فيما أنعم الله عليه به من رزق فأخذه من يده حلالاً طيبا : هذا يؤدى أمانة ائتمنه الله عليها ، وهى حق الفقير فى ماله ، طيبة بها نفسه ؛ وهذا يتسلم وديعة من الوديع عن طيب خاطر ، فيتفاصلان وكل منهما قد امتلأ قلبه محبة نحو أخيه : هذا بما استفاد من رزق ، وهذا بما كسب من أجر ، وكلاهما بما ساد بينهما من عطف ، أليس فى هذا أكبر داع إلى اتحاد القلوب ؟

٤ ــ صيام رمضان :

بخ بخ ! تصور يا رعاك الله قوما قد دعوا إلى توحيد أذواقهم ووجداناتهم الخصوصية : فكلفوا

أن يكفوا عن مشتهياتهم فى وقت واحد ، وأن يتناولوها فى وقت واحد ، كم يكون بينهم من الشعور باتحاد الوجدان واتحاد الميول والاتحاد فى المنح والحرمان ؟ إن من جرب حالة قوم جمعتهم ظروف خاصة قاسوا فيها معا مرارة ما فى الحياة وأفرج عنهم دفعة واحدة فنعموا معا فى وقت واحد ، يجد أنهم اعتبروا هذا الاشتراك جامعا بينهم لا يزالون يذكرونه طول حياتهم ولو صادفهم فى العمر مرة ، فكيف وهذا يتكرر على المسلمين فى كل عام مرة بل فى كل عام ثلاثين مرة ؟ إن قليلا من الانتباه يجلو لك هذا المعنى بمنتهى الوضوح إذا كنت من المنصفين .

٥ ــ حج البيت من استطاع إليه سبيلا :

ناهيك بهذا المؤتمر العام يعقده المسلمون فى كل عام ليشهدوا منافع لهم ، وليطوفوا بالبيت الحرام ، هل يخفى عليك ما فيه من توكيد الربط بينهم والوئام ؟ سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، والحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام !

أما إذا نظرت إلى قسم المعاملات بين الناس فيكفيك منه اجتلاء ناحية عامة فيه ، هى أنه بنى على العدل ، ودعى فيه إلى الفضل ، وأى اتحاد ينبت من بين إقامة العدل وزيادة الفضل ؟

ارجع بنفسك أنت إلى أثر هذين المبدأين الجليلين فستعرف أنت بنفسك أكثر وأكثر مما نستطيع أن نسطره لك فى هذه الكلمة الوجيزة .

ولايقتصر هذا على قسمة المعاملات المدنية ، بل تجده ساريا فى باب روابط الأسرة والحياة المنزلية ، انظر إلى أحكام الزوجين وما دعوا إليه ، واتل إن شئت قوله تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٣)

ثم التفت إلى باب نفقات الأقارب وما تضمنه من مغزى ربط القلوب وتحبيب أفراد الأسرة بعضهم لبعض ، وتحبيب كل منهم أن يكون الباقى فى نعمة ويسار ، إما ليكفى مؤنته أو ليستفيد معونته ، بل انظر إلى أحكام الجنايات والمقاصات تجد العدل فى قوله تعالى :

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ سورة البقرة (١٩٤)

وفى قوله تعالى :

﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (٤)

وتجد الفضل يتجلى فى قوله تعالى :

﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
(ســورة البقرة)

(٣) البقرة آية ٢٢٨

(٤) الاسراء آية ٣٣

وتجدهما قد تجليا معا على وجه يأخذ بالألباب في قوله جل شأنه :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

سورة النحل

هذا قليل من كثير من دواعى الاتحاد فى المعاملات ، وكلما تأملت فى باب منها وجدت ما يملأ قلبك اقتناعا ، ونفسك هدى ونورا . والأساس فيه كما قلنا تقرير العدل والترغيب فى الفضل ، ولايكون الفضل فضلا مثمراً إلا إذا نشأ عن رغبة واختيار .

فإذا أنت رجعت إلى الأخلاق التى بعث ﷺ لتتميمها فكم يتجلى لك هذا واضحاً جلياً . اقرأ إن شئت قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ سورة الحجرات

ومتى تعارفوا : تآلفوا ، واقرأ ما يحفها من آيات فى سورة الحجرات .

وليتك تراجع ما نشرناه على صفحات هذه المجلة من تفسير هذه السورة الكريمة ، واستعرض ماشئت من مثل حديث « **لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » ، وحديث « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » ، وحديث « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .. الخ** » ، وحديث « **لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا** » إلى غير ذلك مما لايكاد يأتى عليه الحصر فى مثل الكلمة .

نعم : لقد جاءت الدعوة إلى الاتحاد ، وقررت عوامل تنميته فى النفوس مستفيضة متفشية فى كل أبواب الشريعة الغراء ، وليس لمعترض أن يقول : فما بالنا نرى المسلمين متفرقين إلا قليلا منهم ؟ فإنا نجيبه بأن هذا كقولك : فما بالنا نرى الكثير من المسلمين قد تركوا العمل بأحكام دينهم وغرتهم ملاهى غيرهم ؟ والجواب عن هذا وذاك أن مرجع هذا إلى نفوسهم واتباع أهوائهم ، لا لنقص فى ضوء دينهم ونور هديهم :

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

نسأل الله أن يوفقنا برحمته إلى اتباع هدى شريعته ، والعمل بسنة نبيه ، إنه هو الفعال لما يشاء .

الشعر والشعراء

اعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

أيتها القيم العالية

للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين

تجلَّىْ لعين النُّهى من أَمَمْ وألقى القناع عروسَ القِيَمْ[1]
فقد حار فيك رشيد العقول وموج الظنون طغى والتطمْ !
تُرى أنتِ بنت الحقيقة أم أنـ ـتِ نسج الخيال ، وطيف الحُلُم ؟
وفي الأرض تحيين أم في السماء وراء البروج ، وفوق السُّدُمْ[2]
ودونك عن أهل هذى البقاع حجاب منيع ، وليل عَتَم
تألقتِ ذكرا تضَوَّع عطرا يثير الطموح ، ويذكى الهمم[3]
فكم فاض فيكِ لسان الخطيب وكَمْ خطَّ عنك بليغ القلم
وسار ابن آدم عَبْرَ القرون يُسَبِّح باسمك منذ القدم
فلُحْتِ لعيْنَىْ طيفا جميلا تردَّد في الفكر حتى ارتسم
فهِمْتُ بحُبِّكِ غضَّ الإهاب وحين اكتهالى ، وعند الهَرَم
وعلَّلْتُ نفسى طوال الحياة برؤياك تمشين بين النَّسَم[4]
فبِتُّ أشيمك أنّى خلَلْتُ وأرهف سَمْعِىَ حيث ألَمْ[5]
وأنشد ظلك بين الجموع سلالةِ عرب ، ونسلِ عجم
قطينِ البوادى ، وأهل الحوا ضِرِ ترْبِ الشقاء ، وخِدْنِ النِّعَم[6]
وفَظِّ الطباع ، وسمح الخصال شحيح الأنامل ، وابن الكرم
ورُبِّ اليراع ، ورب الحسام وعبد الإله ، وعبد الصَّنَم

(١) تجلى = أظهرى ، النهى = العقول ، أمم = قرب ، عروس = يا عروس .
(٢) السدم = المراد بها ما فوق الكواكب .
(٣) تضوع = فاح .
(٤) النسم = النفوس .
(٥) أشيمك = أتطلع إليك ، أنّى = حيث .
(٦) الترب = من ولد معه ، خدن = صديق .

وبين النساء ، وبين الرجال ... فتيّ الشباب ، وشيب اللمم
وخلف الشعارات ذات البريق ... تدسُّ السموم بقلب الدسم
تروّع قلبي اقفرار النفوس ... وفرط الجحود ، وموت الذمم
وشك يدمدم بين الصدور ... وحقد يؤجّجُ نار النقم
وأسر النُّضار أبيَّ النفوس ... وهتك السُّعار سياج الحُرَم[7]
وتزيين رجْسٍ ، وتمْيين حديث ... وتقديس زور ، تناهى وطمّ[8]
وذئبٍ تزيّا بسربال نُسْكٍ ... وأفعم بالذكر أشداق فمْ[9]
وغول تعُبُّ دماء الحياة ... وتفرى الجسوم بناب النهم
وزجْف القرائس بين الخنا ... لب تضحو ضحاء يذهب الرّجم[10]
شهيق نحيب ، وزجْعُ أنين ... وسيل نجيع ، ودمع سجم[11]
لمادت بيَ الأرض هولا ورعبا ... وسحَّتْ دموعي كسحِّ الديم[12]
وأنكرتِ عقلي ، وضقت بنفسي ... كأنى دُهيتُ بمسِّ اللَّمَمْ[13]
فواقيماه .. ترى أين أنت ... وفيمَ اختفاؤك والذِّيمُ عَمْ[14]

ورحتُ أنقّبُ بين الكهوف ... ببطن الجبال ، وفوق القمم
وأنفض عنك وجوه السهول ... وعمق الوهاد ، ووعر الأكم[15]
وساءلت عنك عروس الرياض ... وملك المروج ، ووحش الأجم[16]
وماء الجداول بين الحقول ... وغمْرَ الغدير ، وموج الخضم[17]
وجلت بفكري خلال المذاهب ... ذات البريق ، وذات الجَهَم
وطوفت حتى لبست العنَى ... ودب الكلال ، وشف القدم[18]
فلم أحظ منك بصوت مجيب ... كأن المنادَى كهيفٌ أصَمّ

(٧) النضار = الذهب ، السعار = نهم الجوع .
(٨) رجس = نجس ، مين = كذب .
(٩) سربال = ثوب ، نسك = عبادة .
(١٠) تضحو = تصبح ، الرجم = الحجارة .
(١١) نجيع = دم ، سجم = سال .
(١٢) مادت = اضطربت ، سحت = هطلت ، الديم = السحب .
(١٣) اللمم = الجنون .
(١٤) الذيم = العيب .
(١٥) انفض = أنظر ، الوهاد = المنخفضات ، الأكم = المرتفعات .
(١٦) الأجم = الشجر الكثيف الملتف .
(١٧) الغمر = الماء الكثير ، الخضم = البحر .
(١٨) شف = ضعف وهزل .

وعدت أخبُ بموج الهموم ... كئيبَ الشعور ، رهيبَ الألم[19]
أمهم أين ؟ وكيف ؟ ولِم ؟ ... واضرب كفًا بِكف أخم
فكيف يصح مسار الحياة ؟ ... بأرض القتاد ، وداجى الظُلَم[20]
وأنَّى يطيب المقام بغاب ؟ ... لِبَاب الضَّوارى خَنى واحْتكَمْ
يجلجل فيه زئير السباع ... وَفَحُ الصِّلال ، وخفق الرَّخَمْ[21]
ويذهب فيه بكل متاع .. ... غليظ الشعور طغى ، واقتحم
أهذا هو العيش .. يا كائنات ؟! ... أهذا ابن آدم رب النِّعَم ؟!
وظل التساؤل دون جواب ... وظلَّ المُعَنَّى يلوك البَرَمْ ![22]
فناديت أصرخ .. ياذا الوجود ... أمَا ثَمَّ ضوء يزيح الغَمَمْ ؟!
أما ثَمَّ قول صَدوق رشيد ؟ ... يُجلِّى أمام الحِجَا ما انبهَمْ ؟![23]
وذاب ندائىَ بين الأثير .. ... ومات الكلام ، وجف النأم .[24]
وخيَّم حولى ضباب كثيف ... وصمت رهيب كصوت العدم
ولف الفؤاد ظلام القنوط ... ودَبَّ بجسمى صقيع السأم
ولكن صوتا عميق الصَّدى ... من الغيب جاء جَلِىَّ الرَّنَمْ[25]
تَسَاقط فى الرُّوع عذب الحديث ... سحر المعانى ، ودُرّ الكلم .[26]
دَعِ الهَذْرَ واكتف ، فما أنت إلَّا ... حصاة تَنَزَّى بطود أشَمْ[27]
وهل أنت إلا وُرَيْقَة غصن ... توجهها الريح حيث تهُمْ ؟
وعند المساء تكون هباء ... يجوف الثرى أو بغيب يَمْ ؟
وكم أنت تبلغ من ذا الوجود ؟ ... وماذا تعى أنت مِمَّا ارتقم ؟
ورائد دربك عقل كليل ... قصير الشعاع مداه قدم
فقد سار قبلك ركب الحياة ... فَشَيَّد هذا ، وذاك هدم
وبعدك سوف يسير مَلِيًّا ... وسوف تقوم ، وتفنى أمم[28]

(19) أخب = أسرع .
(20) القتاد = الشوك .
(21) فح = صوت الثعابين ، الصلال = أخبث الثعابين .
(22) البرم = الضيق .
(23) ثم = هنا ، يجلى = يكشف ، الحجا = العقل .
(24) النأم = الصوت الضعيف .
(25) الرنم = الصوت الجميل .
(26) الروع = القلب .
(27) الهذر = الكلام الساقط ، تنزى = تتوثب ، بطود أشم = بجبل عال ، يم = بحر
(28) مليا = طويلا .

خِضَمٌّ ابــن آدم رحب عميــق ... عجيب ، يجيش بشتى الشِّيَم[٢٩]
وفيه الشّوى ، وفيه القوىّ ... وذلك تبر ، وهــذا حمم[٣٠]
ويقذف فوق الشواطئ منه ... يتيم اللآلي ، وجم الرّزم[٣١]
وما الناس إلا زفير الطبيعة ... منه العبير ومنه الزّهم[٣٢]
وكل توجّـه حيث هواه ... وكل بوسم نُهَاهُ النّسَم[٣٣]
كذلك كان نظام الإلـه ... ومَنْ ذا يماريه فيما نظم[٣٤]
فدونك ذاتك ، والزم مداها ... فما طاش عقل بهذا التزم
بأعماق نفسك كون رحيب ... بهيُّ الجمال ، شذِيُّ النّسَم
ترفّ عليه ظلال الصفاء ... وتشرق فيه شموس الحكم
وينبع منه جمال الحياة ... وسحر الوجود ، وعذب الشبم[٣٥]
فمُدّ إليه عيون حصيف ... وحلِّق عليه بفكر الفهم
وبدد بنور الرجاء ضبابا ... تلبد دون الرُّؤى ، وارتكم
فما العيش إلا بريق المنى ... وما الموت إلا قنوط جثم
إذا المرء أقفر منه الفؤاد ... تأجّجَ فيه الأسى ، واحتدم
وضاقت عليه رحاب الحياة ... فأهوى صريع الضّنى والسّقَم
فلا العيش طاب لذاك العليل ... ولا الجرح بالموت فيه التحم
سماء الفضائل حصن منيع ... تقاصَرَ عنه سهام الغشم[٣٦]
يكون ابن آدم فرقد ليل ... إذا هو لاذ بها واعتصم[٣٧]
ومَنْ يتفيأ ظلال السكينة ... يُلِف الوجود فسيح التخم[٣٨]
فمدت لنفسي أنامل عنمًا ... توارى عن الفهم ، حتى نجم[٣٩]

---

(٢٩) الشيم = الطبائع .
(٣٠) الشوى = الفاسد ، تبر = ذهب ، حمم = رماد .
(٣١) الزهم = الرائحة النتنة .
(٣٢) وسم = علامة ، نهاه = عقله .
(٣٣) يمارية = يجادله .
(٣٤) الشبم = البارد .
(٣٥) الغشم = الظلم .
(٣٦) فرقد = نجم .
(٣٧) يتفيأ = يستظل ، يلف = يجد ، التخم = الحدود والمدى .
(٣٨) نجم = ظهر .
(٣٩) البنان = طرف الإصبع ، العنم = شجر لين تشبه بفروعه أصابع الحسان .

فشعّت كواكب دنيا الجمال بسحر الضياء ، وزال القتم
ورفّت ملائكة الأنس تشدو بحلو النشيد ، وعذب النغم
وغمّ وجه الحياة بكف رشيق البنان كرطب العنم[40]
وتحنى على الكائنات وشاحا قشيبا من الحسن أوفى وتمْ
فأحسستُ في القلب بَرْدَ السلام ودفء اليقين ، وأمْنَ الحَرَم
وبان عن الوجه ليل العُبوس فضاء بنور الرِّضا وابتسم
أتعرفه ما وجدتُ بنفسى وكان شفاء لكل الألم
وجدت بها الدين دينَ الحنيفة طب النفوس ونور الظلم
له في شغاف الفؤاد قرار مكين ، فمبْنى كما قد رسم
وهل تستقيم شئون العباد بغير الخضوع لرب النعم ؟

خيوط العنكبوت

عقيد مهندس / عبد العاطى موسى عبد العاطى

تنياهو .... تنياهو كبير مثله تاهوا
أتى للحكم في صلف ظلام الحقد أعماه
وظنّ « الضاد » واهية وما بالأرض إلا هو
فلا عهد ليحفظه ولا سلم ليرعاه
عروبتنا .... أرومتنا فخار قد عهدناه
فإنا في الوغى حمم جحيم سوف يصلاه
ذرا الأهرام ترقبه وذا «بارليف» ينهاه
وبالإيمان ينصرنا ولغيلى جنده الله

---

(٤٠) بان = بَعُد وانقطع .



العلوم الكونية

البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

إن مشكلات البيئة المتزايدة والمتعددة تتصدر قائمة القضايا المعاصرة التي أفرزتها حركة التقدم العلمي والتقني ، والإنسان ـ بطبيعة الحال ـ واحد من مكونات البيئة ، دائم التأثير والتأثر في إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة ، بما فيها من يمثل بني جنسه . وقد عجزت المعاهدات الدولية والمؤتمرات العالمية ـ حتى الآن ـ عن تحقيق التوزان المطلوب بين الطموح الإنساني علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة ، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى ، ويمكن مواجهة هذا التحدي في إطار من التصور الإسلامي الرشيد القادر على استيعاب حركة العصر وتقديم الحلول الشافية لمشكلاته المختلفة .

وسوف تتناول هذه القضية من جوانب عدة ، فكرية وعملية .

مصطلحات ومفاهيم بيئية :

« البيئة » و« الباءة » و« المباءة » في اللغة العربية : أسماء بمعنى المنزل الذي يأوي إليه الإنسان أو الحيوان ويقيم فيه ، وهي مشتقة من الفعل « بوّأ » ، بتشديد الواو ، فيقال : أباءه منزلا وبوّأه إياه ، وبوّأه له وبوّأه فيه ، بمعنى هيأه له وأنزله ومكّن له فيه ؛ قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ ﴾[1] .

وتوصف هيئة التبوّؤ وحالته بالحسن أو السوء ، فيقال : إنه لحسن البيئة ، أو إنه باء بيئة سوء[2] والبيئة ENVIRON MEMT في العلوم الكونية .

---

(١) سورة العنكبوت : ٥٨ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، الجزء الأول ، مادة « بوأ » ، ص ٣٨٢ .



مصطلح يتسع مدلوله ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها ، ويرتبط مدلول مصطلح « البيئة » بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها ، فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى ، والبيت بيئة والمدرسة بيئة ، والحىّ بيئة والوطن بيئة والكرة الأرضية بيئة ، والكون كله بيئة . أى أن بيئة الإنسان تكبر وتتسع مع نموه واتساع خبراته ، فبيئة ما قبل الولادة عبارة عن موقع يعيش فيه الإنسان جنينا ويستمد منه مقومات نموه ، ويتأثر بالبيئة الخارجية من خلال تأثر أمه بها ، وفى هذه البيئة الأولى تتحدد صفات الإنسان وفق ما يغترف من ثروة « المورثات » (أو الجينات Genes) التى هى « البيئة الوراثية »[٣] . لذا فإن العناية فى اختيار الإنسان لزوجه أصبحت من العوامل التى يجب مراعاتها لتحسين النسل وتفادى العيوب الوراثية .

أما بيئة مابعد الولادة ، فتتدرج من البيت إلى الحى إلى المدرسة ، ثم الوطن والكرة الأرضية كلها ، من خلال وسائل الاتصال المختلفة ، ثم الكون كله ، وهو البيئة الكبرى للإنسان ، فالطاقة الشمسية التى تصل إلى الأرض باستمرار وانتظام هى الأساس فى كون الأرض بيئة صالحة لبقاء الحياة واستمراها ، على أن الإنسان فى هذا التدرج لا يكون معزولا فى بيئة معينة ولا يتأثر بغيرها ، فكوكب الأرض يتأثر بمكونات الكون الأخرى ، وهذا يعنى فى الواقع أن هناك بيئة كبرى واحدة تتمثل فى الكون بأسره ، وما يحدث فى جزء منه يؤثر فى الكل ، إلا أن العلم فى اهتمامه بالجزئيات ، ينطلق من البيت والأرض لتحديد إطار البيئة الشامل ، لأن النظرة الكلية الشاملة مرة واحدة إلى بيئة الإنسان الكبرى متمثلة فى الكون بأسره من شأنها أن تقود إلى متاهة كثيرة القنوات تضيع فيها فرصة فهم المعنى الحقيقى للبيئة ؛ وهذه واحدة من أهم المشكلات الفكرية والمنهجية التى يواجهها الإنسان فى التعامل مع البيئة وقضاياها ، ويمكن معالجتها بهدى من تعاليم الإسلام الحنيف الذى حدد العلاقة السليمة بين الإنسان والبيئة فى مختلف مراحل نموّها .

من ناحية أخرى ، يمكن النظر أيضا إلى تعريف « البيئة » من خلال الأنشطة البشرية المختلفة ، فنقول : البيئة الزراعية ، والبيئة الصناعية ، والبيئة الاجتماعية ، والبيئة الثقافية ،،، إلى آخره . وذلك لأن شخصية الإنسان ومسلكه واتجاهاته والقيم التى يؤمن بها فى بيئة ما بعد الولادة تحددها أنماط التفاعل مع عناصر ومكونات هذه البيئة ، بما فيها من يمثل بنى جنسه من البشر ، فالبيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته ، وإنما تشمل « البيئة » أيضا علاقة الإنسان بالإنسان التى تنظمها المؤسسات الاجتماعية

(٣) المورثات (أو الجينات Genes) هى : تجمعات المواد الكيميائية التى تحتوى على شفرة الصفات الوراثية للكائن الحى ، وتنتظم المورثات فى جسيمات أو خيوط متشابكة فى داخل نواة كل خلية من خلايا الجسم (الشبكة النووية) ، وتعرف هذه الجسيمات بالصبغيات (أو الكروموسومات) ، ويكون عددها ثابتا فى النوع الواحد من الكائنات الحية ، فالإنسان مثلا تحوى كل خلية من خلايا جسمه ٤٦ كروموسوما ، نصفها من الأم ونصفها الآخر من الأب ، وتتحدد الصفات الوراثية عند لحظة الإخصاب .

راجع : رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني ، البيئة ومشكلاتها ، عالم المعرفة ، الكويت العدد ٢٢ ، ذو القعدة/ ذو الحجة ١٣٩٩هـ - أكتوبر ١٩٧٩م .

والعادات والأخلاق والقيم ، وإغفال هذه المعانى عند تعريف « البيئة » يزيد من تفاقم مشكلاتها ، ذلك أن الاقتصار على التفسير المادى للبيئة يحوق أى جهد يُبذل لتقديم الحلول الشافية لمشكلاتها . وهنا ، مرة ثانية ، يمكن أن تتدخل الرؤية الإسلامية ، بهدى من تعاليم الإسلام الحنيف ، إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، لتصحيح النظرة المادية للبيئة وتصويب الأخطاء التى وقع فيها الإنسان ، ومداواة الخلل الذى أحدثه فى منظومة العلاقة بينه وبين البيئة (الكون) .

علم البيئة ومشكلات التلوث البيئى :

علم البيئة ، أو « الإيكولوجيا » Ecology ، من العلوم البيئية الحديثة التى تتجاذبها اختصاصات علمية متعددة (طبيعية وإنسانية) ، وهو يعنى بالبحث فى العلاقات المتبادلة بين الكائنات والبيئة المحيطة بها ، ويتتبع أسباب الخلل الذى يحدث فى التوازن البيئى للنظم البيئية المختلفة للوقوف على تأثيراته المباشرة وغير المباشرة ، ويحذر من أخطار عاجلة أو آجلة ، ويدل على أفضل الطرق لمكافحة التلوث والقضاء عليه .

وهكذا نجد أن علم البيئة (الإيكولوجيا) يتضمن مفهومين يحتاجان إلى إيضاح :

أما المفهوم الأول فيتعلق بمصطلح « النظام البيئى » Ecosystem ، ويطلق على أية وحدة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية ، تتفاعل مع بعضها البعض لتكوّن نظاما مستقرا فى إطار التوازن الكونى الشامل الذى قدّره الخالق - سبحانه وتعالى - لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة . فالصحراء والواحة والنهر والبحر كلها أمثلة لنظم بيئية محدودة ؛ وأكبر النظم البيئية التى نعرفها فى الكون هو ذلك الحيز الذى تظهر فيه الحياة على سطح الأرض ، مشتملا على الإنسان والحيوان والنبات ، ويعرف باسم الغلاف (أو المحيط) الحيوى Biosphere . وكل شىء فى شبكة الغلاف الحيوى مرتبط بكل الأشياء الأخرى ، والخلل الذى يحدثه الإنسان فى مكان ما يمكن أن يسبب تأثيرات ملحوظة فى أماكن أخرى ، قريبة أو بعيدة ، بصورة فورية وعاجلة أو متأخرة وآجلة ، أى أن النظم لا توجد بمعزل عن بعضها البعض ، فهى جميعها تشكل كُلًّا متكاملا يتميز باستمرارية الأخذ والعطاء فى اتزان معجز دقيق .

وأما المفهوم الثانى فيتعلق بمصطلح « التلوث » Pollution الذى يعنى علميا وجود أية مادة أو طاقة فى غير زمانها ومكانها المناسبين بكميات غير ملائمة لاستمرار التوازن البيئى ؛ فالماء يعتبر مادة ملوِّثة إذا ما أضيف إلى التربة الزراعية بكميات كبيرة ، فيحل محل الهواء فيها ويسبب اختناق جذور النبات ؛ والسماد المضاف إلى التربة الزراعية لتحسين خصوبتها يكون ملوِّثا إذا ما أضيف بكميات غير مناسبة ؛ والنفط يلوث رمال الشواطىء ومياه الأنهار والبحار عندما يتسرب إليها ؛ وهكذا يشمل تعريف « التلوث » كل ما يكدر أو يفسد أيا من عناصر البيئة ، سواء كان هذا العنصر كائنا حيا : كالإنسان والحيوان والنبات ، أو مكوِّنا طبيعيا غير حىّ : كالهواء والماء والتربة وغيرها ، هذا بالإضافة إلى ما تتضمنه كلمة « تلوث » من معنى معنوى عندما

تدل على تغيُّر يتناب النفس فكيدرها أو الفكر فيفسده أو الروح فيضرها ، وهذا التغير يكون دائما إلى ماهو أسوأ ، أو يكون تغيرا من أجل غرض ما[4] .

ولقد وجد الإنسان نفسه متورطا فى الانشغال الزائد بثورة العلم والتقنية دون النظر إلى آثارها الضارة على مختلف عناصر البيئة ، بما فى ذلك حياة الإنسان ذاته ، فهناك ـ على سبيل المثال ـ كميات هائلة من الطاقة الحرارية التى تنطلق إلى الجو مباشرة من المصانع ، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية ، وحرائق الغاز الطبيعى فى مناطق البترول ومصافى تكريره ، والمراجل (الغلايات) المتنوعة ، وأماكن التفجير النووى ، ومراكز تحلية مياه البحر ، ووسائل النقل ، ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلى والخارجى ، وغير ذلك من الآلات الحرارية والنووية . وهناك أيضا تزايد مستمر فى معدلات التلوث بالمواد الكيميائية والإشعاعات النووية والأمواج الكهرومغناطيسية والعناصر الثقيلة والضوضاء وغيرها[5] .

وخلال العقود الأخيرة تعالت صيحات التحذير من أخطار التلوث البيئى التى تصيب الحرث والنسل . ففى عام ١٩٨٨م أعلن العلماء فى مؤتمر عقده « برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة » أنهم يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو بما يتراوح بين ١٣ و٥٥ سنتيمترا قبل حلول عام ٢٠٢٥م ، وأن يرتفع بحدود مترين خلال قرنين من الزمن ويغمر أغلب المدن الساحلية .

وفى عام ١٩٩٢م عقد أكبر مؤتمر قمة عالمية فى تاريخ البشرية بمدينة « ريودى جانيرو » البرازيلية (أطلق عليه اسم « قمة الأرض ») للنظر فى المشكلة البيئية التى تهدد سلامة الإنسان وحياته على كوكب الأرض ، والاتفاق على معاهدات تنظم واجبات الدول فى مواجهة مختلف أشكال الخلل البيئى ؛ ولكن الضوابط والمعاهدات الدولية التى توصل إليها المجتمعون لم تحقق حتى الآن التوازن المطلوب بين الطموح الإنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة ، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[6]

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم ـ إن شاء الله ـ .

---

(٤) راجع : د. أحمد فؤاد باشا ، « الفلسفة الإسلامية ومشكلات البيئة » ، دراسة ألقيت فى المؤتمر العلمى الدولى الأول للفلسفة الإسلامية عن « الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة » ، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ٢٠ ـ ٢٢ أبريل ١٩٩٦م .

(٥) لمزيد من التفصيل عن مختلف صور التلوث البيئى راجع :
ـ د. محمد عبده العودات ود. عبد الله يحيى باصهى ، التلوث وحماية البيئة ، الرياض ١٩٨٥م .
ـ ود. أحمد مدحت اسلام ، التلوث مشكلة العصر ، « عالم المعرفة » ، الكويت عدد ١٥٢ ، ١٩٩٠ م .
ـ د. أحمد فؤاد باشا ، الإنسان ومشكلات التلوث البيئى ، مجلة الأزهر ، الأعداد : (٢) ١٩٩٢ ، (٣) ١٩٩٢ ، (٥) ١٩٩٣م .

(٦) سورة الروم : ٤١ .

الصحة الإنجابية

الأمراض المنقولة جنسيا
الأيدز والشذوذ الجنسي

٣

الدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

من أخطر ما يواجه العصر الحديث تفشى الشذوذ الجنسى وفى دراسة حديثة على (أطفال الشوارع)[١] وجد أن كل الأطفال الذى تم سؤالهم قد تم انتهاكهم جسدياً ، وهم بدورهم مارسوا مع امثالهم نفس الدور (اللواط) ممن هم أصغر منهم سناً ، وللشذوذ الجنسى أنواع عديدة ولكن الذى يهمنا فى هذا الموضوع هو هذه الظاهرة.(سنقوم بتفصيل الشذوذ الجنسى وعواقبه وأخطاره فى مقال لاحق إن شاء الله) .

وقد فصل فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق معنى اللواط (فى كتاب الأحكام الشرعية فى مسائل طبية نسائية)[٢] والذى اشتركت فى كتابة الجزء الطبى فيه قال ـ رحمه الله ـ تعالى :

جريمة اللواط من أشنع الجرائم وأقبحها ، وهى تدل على انحراف فى الفطرة وفساد فى العقل ، وشذوذ فى النفس .

ومعنى اللواط : أن ينكح الرجل الرجل ، ويأتى الذكر الذكر ، كما قال تعالى ـ عن قوم لوط :

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[٣] .

وسميت تلك الجريمة باللواط نسبة إلى قوم (لوط) الذين ظهرت فيهم هذه الفعلة الشنيعة ، وقد عاقبهم الله ـ تعالى ـ عليها بأقصى عقوبة ، فقلب الأرض بهم ، وأمطر عليها حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة ، وجعل ذلك قرآنا يتلى ؛ ليبقى عبرة للأمم والأجيال :

---

(١) المقصود بهم المشردون الذين فقدوا عائلتهم ، أو فقدتهم عائلتهم لسبب اجتماعى أو أكثر فلجئوا إلى الشارع الذى صار لهم مأوى على كل مافيه من حسن وقبح فنسبوا اليه فقيل : أطفال الشارع . أو الشوارع ..(مجلة الأزهر).

(٢) طبع المركز الدولى الاسلامى للدراسات السكانية .

(٣) سورة الشعراء الأيتان : ١٦٥ ، ١٦٦ .

﴿ فَلَمَّا
جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ . (سورة هود)

وأبرز عواقب اللواط مرض الايدز

مرض الايدز

هو مرض حديث مميت ، وهذه الكلمة «الايدز» اختصار لجملة تعني : «مرض نقص المناعة المكتسب» وهو يؤدى إلى إصابة الجهاز المناعي للجسم ، مما يؤدى إلى عدم قدرته على العمل بنفس الكفاءة السابقة على وجوده ، مما يجعل الشخص المصاب معرضاً للإصابة بكثير من العدوى التي لاتصيب الشخص السليم ، وحاليا ينتشر بسرعة كبيرة فى كثير من أنحاء العالم إن لم يكن فيها جميعاً .

ينشأ هذا المرض عن (فيروس) يدعى (HIV) أو «الفيروس» المسبب لفقدان المناعة فى الإنسان . هذا الفيروس يهاجم الخلايا الليمفاوية (ت ٤) (T4) التى من وظائفها مهاجمة الميكروبات والتخلص منها . وعندما يهاجم الفيروس هذه الخلايا الليمفاوية يتكاثر بها مما يؤدى إلى قلة نسبتها فى الدم فتضعف مناعة المصاب ضد الأمراض المختلفة ، وهو ككل الفيروسات يتكاثر فقط فى الخلايا الحية المصابة ، ولكنه يختلف عن الفيروسات الأخرى فى أنه يفرز (أنزيم) خاصاً يسمح بطبع المعلومات الجينيه .

أعراض الإصابة :

قد يكمن المرض عدة سنوات بدون ظهور أية أعراض ، ثم تبدأ فى الظهور .

وحيث إن (مرض الايدز) عبارة عن نقص المناعة الذى يؤدى إلى الإصابة بمجموعة أمراض ؛ فكذلك أعراضه تختلف باختلاف نوع العدوى ولكن أشهرها مايلى :

١ ـ ارتفاع مستمر فى درجة الحرارة .

٢ ـ تقرحات وطفح جلدى

٣ ـ إسهال شديد لمدة أكثر من شهر مما يؤدى إلى هزال شديد (ولذلك يطلق عليه مرض (Slim) وتعنى النقص الشديد فى الوزن فى أوساط (أفريقيا) .

٤ ـ تضخم عام فى الغدد الليمفاوية .

٥ ـ التهاب مستمر بالزور والحلق .

٦ ـ نزلات شعبية حادة ومتكررة والتهاب رئوى حاد .

٧ ـ سرطان فى الجلد (يسمى سرطان كابوسى) .

٨ ـ التهابات فى شبكة العين قد تؤدى إلى الاصابة بالعمى .

٩ ـ اضطرابات فى وظائف المخ ، وكذلك التهابات فى الغشاء السحائى للمخ .

كيفية العدوى :

عن طريق سوائل الجسم (مثل الدم ، المنى ، لبن الأم المصابة ، أنسجة المخ ، السائل المحيط بالمخ والنخاع الشوكى ، اللعاب) .

طرق العدوى :

١ ـ الشذوذ الجنسى ؛ وذلك لأن الغشاء المبطن للشرج والمستقيم رقيق جدا يسهل تمزقه بسهولة مما يؤدى إلى سرعة انتقال العدوى .

٢ ـ عن طريق الحقن الوريدى بحقن غير معقمة ،

وهذا يحدث كثيراً فى حالات تعاطى المخدر عن طريق الحقن فى حالات إدمان المخدرات .

٣ ــ عن طريق الجنس العادى (وهذا النوع أكثر مايتشر فى إفريقيا) .

٤ ــ عن طريق نقل الدم الملوث ، وبخاصة فى أمراض الدم التى تحتاج إلى نقل الدم باستمرار مثل (مرض سيولة الدم) .

٥ ــ الأطفال حديثى الولادة من أم مصابة بالايدز .

٦ ــ وأخيراً : توجد نسبة اصابة حوالى ٢٪ غير معروفة المصدر من الاصابة بالايدز .

التشخيص :

نظراً لكمون المرض فى الجسم عدة سنوات قبل ظهور الأعراض ، فإن أحسن وسيلة للتشخيص ــ عند الاشتباه ــ هى اختبار الدم ، لاكتشاف الأجسام المصابة . وهذا يجرى خاصة قبل إجراء عمليات نقل الدم ، وتوجد عدة اختبارات منها : اختبار « الإليزا » وهذا الاختبار يعتمد على تغيرات اللون لتوضيح وجود الأجسام .

كذلك يوجد اختبار « وسترن بلوت » الذى يظهر الأجسام المصابة ببروتين الفيروس .

وعادة إذا كانت نتيجة اختبار « الاليزا » إيجابية ، فإننا نلجأ إلى اختبار « وسترون بلوت » للتأكد ، فإذا أجريت هذه الاختبارات ــ قبل ستة شهور من الإصابة ــ وكانت النتيجة سلبية ، يجب أن تعاد ثانية حيث أن الأجسام المصابة تحتاج من شهر إلى ستة أشهر للظهور بعد الإصابة .

وحين تظهر الأعراض ، فإن التشخيص يسهل من الأعراض بالإضافة إلى اختبارات الدم ، ومجموع الأعراض فى شخص عمره أقل من ٦٠ سنة ، ولا يتعاطى أية أدوية مثبطة لجهاز المناعة مثل أدوية الكورتيزون التى تسهل عملية التشخيص .

طرق الوقايـة :

١ ــ التمسك بما جاء فى الشريعة الإسلامية الغراء من تحريم الزنا واللواط وإتيان المرأة فى الدبر ، وكذلك تحريم المخدرات ، فلا يقرب ذلك كله مسلم .

٢ ــ اختبار الدم قبل إعطائه للمحتاج ، وعدم التبرع بالدم عند الشك فى الإصابة .

٣ ــ منع الحمل والولادة لمن ثبت إصابتها بالإيدز هى أو زوجها .

٤ ــ استعمال الواق « الذكرى أو الأنثوى » (العازل) فى حالة الشك فى الإصابة .

٥ ــ هناك أبحاث تجرى لإنتاج مصل يعطى لبعض المتعرضين للإصابة مثل الأطباء الذين يعنون بمثل هؤلاء المرضى لكنه ــ حتى يومنا هذا ــ لم يثبت نجاحه .

٦ ــ عدم التبرع بالأعضاء (مثل الكلى) قبل الاختبار ضد الإيدز .

العــلاج :

لا يوجد فى الوقت الحالى علاج فعال ، لكن توجد بعض المحاولات لإنتاج مثل هذا العلاج .

أولاً : علاج الأعراض بالمضادات الحيوية وقابضات الإسهال ومضادات الفطريات ومضادات الطفيليات .

ثانياً : تقوية الجهاز المناعى باستخدام بعض الأدوية مثل (الأنترفيرون) .

ثالثاً : أدويـة مضادة للـفيروس مثـل « زيدوفيودين » أو « زيدوتيميدين » أو « الريبنايرين » .

الرفاق والزملاء

ودورهم فى التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/ عبد السلام ناصف

اجمع علماء الاجتماع على إن كلمة Sacialization تعنى التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى أو الاندماج الاجتماعى إذ هى تعنى الارتقاء من السلبية إلى الإيجابية فى المواقف الاجتماعية أو الانتقال من الاتكالية والاعتماد على الآخرين إلى الاستقلالية والاعتماد على النفس تبعا لما يكتسبه الفرد من خبرات خلال تفاعله مع أعضاء مجتمعه .

ولا تقف عمليات التطبع عند عمر زمنى محدد ، وإنما تمتد وتنشط على مدى الحياة ، بل إن أغلب علماء النفس الاجتماعى يرون ان سلوك الفرد ماهو إلا انعكاس لما يمر ، وأن القوى الاجتماعية فى موقف ماهى التى تحدد أشكال وأنماط سلوكه كاد يقع الإجماع على ذلك بدءاً من ابن خلدون إلى (دور كايم) الذى أكد أن البيئة مسئولة عن تكوين شخصية الفرد وأنه مدين لها فى نموه العقلى والخلقى والجسمى ، والبيئة تبدأ منذ لحظة خلق الجنين فى رحم أمه حتى وفاته .

وعملية التنشئة عملية « ديناميكية » مستمرة وأطول مراحلها مرحلة الطفولة التى تعتبر فى البشر أطول طفولة عنها فى اى طفولة حيوانية أخرى ، لذا كان التصاق الطفل بوالديه وملازمة لهما أشد وأوثق من حاجة أى طفل فى حيوان آخر ، ليحسنا تربيته وإعداده لأدوار الحياة المستقبلية فدور الإنسان فى الأرض من أهم وأعظم الأدوار فعليه ـ وحده ـ عمارتها واستثمار مواردها وبناء حضارتها .

ولقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن الأسرة هى البيئة الأولى التى يعول عليها فى هذا المضمار ، إذ هى النظام الفطرى الصالح الذى جعله الله مثابة للطفل وأمنا ، ولقد حرص الإسلام على توفير الوسائل التى تحقق تلك التنشئة السوية فى مراحل النمو المتعاقبة .

وإذا كنا قد عرضنا لدور الأسرة فى هذه العملية فلا يفوتنا أن نعرض للمـؤسسـات والمؤثرات التالية فى حياة الطفل بادئين بالدور الذى يلى دورها زمنيا ألا وهو دور الرفاق فى الملعب واللهو والنادى والشلة والعصبة توضيحا لآثار كل منها على تنشئة الفرد ، فإن الطفل يحقق ذاته عن طريق رفاق عمره لمشاركتهم فى أوجه النشاط المختلفة مقارنا بين مظاهر نموه ومظاهر نموهم وبين قدراته وطاقاته وإمكانياته ، وبين قدراتهم وطاقاتهم وإمكانياتهم وتستمر هذه المقارنة فى مراحل النمو المتعاقبة ليعرف مكانته من مكانة غيره من البشر ، حيث تشير الدراسات الاجتماعية إلى حاجة الفرد إلى الانتماء إلى جماعة الرفاق أو الزملاء أو الأصدقاء لتحقيق نوع من التفاهم والتقارب والاحساس المشترك لفهم مشاكل الحياة ، ومحاولة ايجاد الحلول المناسبة والممكنة لها .

ومن العلماء الاجتماعيين من يبالغ فى هذه النظرة الى حد القول بأن بعض الشباب قد يجد فى زملائه مالا يجده فى أسرته من التقارب والتآلف خاصة عندما تلجأ أسرته إلى توبيخه أو لومه أو تهديده عندما يسلك مسلكا لا ترتضيه مما قد يسبب له جرحاً لمشاعره أو النيل من كرامته أو طمس معالم شخصيته — بينما يجد فى سلوك أقرانه مايتفق مع أنماط سلوكه فيميل إليهم من أجل اكتشاف سمات شخصيته والاعتراف بذاته فى إطار جماعتهم وفى نفس الوقت يتخلص من السيف المسلط على رقبته الذى يتصوره فى قيود أسرته .

ولقد يكتشف فيما بعد أنه قد سقط فريسة لقيود وهمية من صنع أفكاره القاصرة التى زينتها له الاتجاهات العامة لجماعة الرفاق التى ينتمى إليها سواء كانت اتجاهات سوية او غير سوية والتى سايرها بعفوية،وقد تدفع به الى طريق مستقيم أو تلقى به فى متاهات التطرف والغلو والانحراف ، إذ لا يخفى أثر جماعة الرفاق على الفرد فى بعض السلوكيـات المنحرفـة كالهروب والـتشرد والانحراف والإدمان والسلوك الضار بالمجتمع .

ولقد وضع الإسلام الحنيف ركائز لسير الآباء والأمهات على هديها من أهمها :

١ — تربية الطفل على أسلوب المناقشة الموضوعية الجادة فى أى قرار أو معيار تتخذه — دون تردد أو خوف ، وتوضح للطفل مدى الإفادة المنتظرة منه بلا إجبار ولا قهر وإنما بتلقائية ومحبة واقتناع .

٢ — إبعاد الابن عن أية جماعة لا يتفق فكرها مع المنطق السليم والقيم والمثل النافعة بسبر أغوارها ومعرفة ما يدور فى فكر أعضائها وما تنتهى إليه مناقشتهم .

٣ — السماح بانضمام الطفل إلى من تطمئن إليهم قلوبهم وتركن إليهم مشاعرهم بعد دراسة سلوكهم وميولهم والتأكد من سلامتها وصحتها وسويتها وصحة اتجاهاتهم نحو الالتزام السليم .

٤ — تدريب الأبناء على الانتقال التدريجى من الاتكالية إلى الاستقلالية الموجهة داخل محراب آية جماعة تشبع رغباتهم ليتمكنوا من المشاركة الإيجابية والتفاعل المثمر بينهم وبين أعضائها .

٥ ــ تخير جماعات الرفاق من أطفال الأسر المسلمة النقية الصالحة المشهود لها بالالتزام والسمعة الطيبة والتي تهتم بالحرص على معايير الصلاح والانتماء إليه إذ لاتورد هذه الأسر إلا كل ماهو سويّ .

وتأخذ جماعات الرفاق أشكالاً وصوراً عدة يمكن ملاحظتها فى واقعنا الاجتماعى على النحو التالى :

١ ــ جماعة اللعب واللهو وهى التى تتكون تلقائيا لممارسة نوع من اللعب أو اللهو وتنتهى بانتهائه .

٢ ــ جماعة النادى وتتكون فى وسط رسمى يشرف عليه متخصصون فى كل ميادينه لإتاحة فرص النمو السوى سواء كان جسديا بأنشطة التربية الرياضية أو اجتماعيا بالرحلات والمعسكرات والمخيمات أو ثقافيا بالقراءة والاطلاع وعقد الندوات والمؤتمرات ومنها ماهو ترويحى كشغل وقت الفراغ سواء كان سلبيا أو إيجابيا .

٣ ــ جماعة الشلة : وهى الجماعة التى يتماسك أعضاؤها ــ رغم تباين وضعهم الاجتماعى ــ لوضوح هدفها ولوجود منهج لها يلتف حوله أعضاؤها يدافعون عنه ويستبعدون من بينهم من لايلتزم به ومن لا يحترمه .

٤ ــ جماعة العصبة وهى أشد تعقيداً من كل الجماعات السابقة حيث يصل التماسك بين أفرادها إلى درجة التعصب والتحزب وبذل النفس والتضحية وعدم الخوف من مصادر السلطة واللامبالاة بها وقد تتخذ رموزاً أو شارات أو علامات تميزها عن غيرها من الجماعات وقد تصطدم بعضها بالبعض الآخر الذى يخالف فكرها ومنهجها وهدفها .

وتسهم هذه الجماعات زرافات ووجدانا فى إتاحة الفرصة أمام الطفل فى التجريب والتدريب على الجديد والمستحدث من معايير السلوك وتكوين معايير جديدة تنمى الحس والشعور والنقد نحو المعايير الجديدة وتمثيل ادوار القيادة وتبوئها واكتشاف انماط جديدة للقيادة وتنمية الولاء للجماعة والمساعدة فى تحقيق أهدافها مما يحقق للفرد استقلاله واعتماده على نفسه واكتساب مهارات جديدة .

كما تسهم فى تأكيد ذاتية الطفل بالمشاركة الإيجابية فى نشاط الجماعة بعيداً عن رقابة الكبار مما يساعده على تحمل المسئولية واشباع رغباته واحتياجاته إلى الانتماء والمكانة والاعتراف به ولهذه الجماعات فضل كبير فى سد الثغرات التى تتركها الأسرة واستكمالها فى المناقشات التى لايمكن مناقشتها وكذلك تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التى قد يمنع الحياء مدارستها بالاختلاط والعمل مع الرفاق .

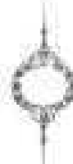
غير أنه ينبغى أن تكون هناك رقابة حكيمة واعية لتفهم أهداف هذه العصبات ، حتى لاتكون أداة تخريب وهدم لكل قيم المجتمع .

هذا وقد أبدت الدراسات الميدانية وجود علاقة وثيقة بين أساليب تنشئة الأطفال والصغار فى الشعوب البدائية وبين بناء الشخصية فتلك قبيلة تتسم شخصية أفرادها بالدقة والهدوء والمسالمة والصداقة والتعاون وعدم التنافس والتسلط بل يمقتون الصلف والغرور ولا يميلون إليه بسبب تنشئة أطفالها على المحبة والرعاية والمداعبة وتلبية المطالب بيسر دون تبرم .

بينما أظهرت هذه الدراسات ذاتها أن هناك قبيلة أخرى يتسم أفرادها بالتعصب والعنصرية والعدوان والارتياب نتيجة لتنشئة أطفالها على التنافس السلبى الملىء بالكراهية للآخرين وعلى تمجيد الشخصية العدوانية واعتبار المحارب فيها رمزاً للبطولة فشبوا على التوتر والكراهية والبغض فى عالم عدوانى عصيب .

كل ذلك يؤكد أن السنوات الأولى فى حياة الطفل أثر فعال فى وضع دعائم الشخصية ، وفى غرس بذورها ــ ثم جاءت مدرسة (سيجموند فرويد) للتحليل النفسى لتؤيد هذه الدراسات الانثروبولوجية وتعتبر السنوات الخمس الأولى فى حياة الطفل هى الأساس فى بناء شخصيته وبقدر ما يكون الجو النفسى والاجتماعى الذى يحيا فيه الطفل فى الأسرة أو جماعات الرفاق الأولى متسما بمشاعر الأمن والاستقرار،وبقدر حكمة والديه فى أمله والتزامهما بمعاملته معاملة متزنة وبقدر اختياره لرفاقة وزملائه وأصدقائه ومخالطيه ومعاشريه ، وبقدر التقائه معهم على العفة والطهارة والحب والإخلاص والتعاون بقدر ذلك كله يكون تمتعه بكل مقومات الصحة النفسية فى المراحل التالية من عمره ــ والعكس صحيح ــ فالشخص المضطرب نفسيا ماهو إلا ذلك الفرد الذى نشأ فى بيئة شاذة مليئة بالعادات السيئة .

بل إن هذه المدرسة ترى أن السبيل الأمثل لفهم شخصية الفرد فهما صحيحا ودقيقا إنما يكون بفهم ودراسة طفولته من جميع جوانبها الإيجابية والسلبية على حد سواء لمعرفة ظروف نه أسريا وبيئيا .



«وَيخلق مالا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد(*)



هاتف على هيئة ساعة يد

أنتجت إحدى الشركات الأوروبية هاتفا «تليفون» على هيئة ساعة يد يستطيع تحويل مكالمات من خلال قاعدته في الخطة التي توضع فيه، ويمكن استخدامه كوسيط اتصال مع حوالى ثلاثة من الأشخاص يلبسون نفس الساعة ضمن نطاق ٣٠٠ قدم من قاعدة «التليفون»، كما يمكن استخدام سماعة للأذن في حالة المكالمات الخاصة.

مشغل جديد لاسطوانات

الحاسب الآلى المضغوطة:

طورت شركة أمريكية مشغلا للاسطوانات المضغوطة يعمل بسرعة تبلغ أربعة أضعاف سرعة المشغلات التقليدية وبسعر منخفض وله القدرة على نقل البيانات بمعدل ٦٠٠ كيلو بايت في الثانية الواحدة، وهو مزود ببرنامج خاص بتشغيل الاسطوانات المضغوطة السمعية بالإضافة إلى البرامج الخاصة بنظام تشغيل «دوس» و «وندوز».

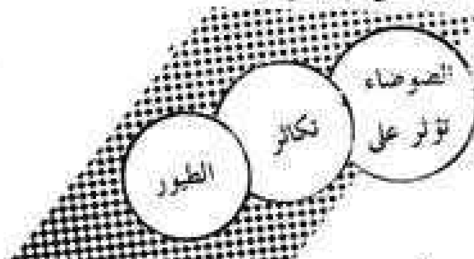
(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي



أنتجت شركة أوربية خوذة مضيئة لسائقى الدراجات تسهل على سائقى السيارات ملاحظة مرتديها ، وتعمل ببطارية صغيرة وتحتوى على لمبات يمكن تغيير مكانها على الخوذة بحيث تحقق أفضل رؤية من قبل السائقين الآخرين ، وتتميز هذه الخوذة بأنها آمنة ورخيصة .

جهاز الكترونى لضبط أنوار السيارات

استطاعت شركة « فرنسية » تطوير نظام أنوار السيارات بحيث يتم ضبطه باستخدام جهاز الكترونى يعمل بأشعة الليزر ويسمح بضبط جميع أنواع الأنوار واختبار إشارات التقاطع وإشارات الطريق ، وعند الانتهاء من ضبط الإشارة الضوئية المطلوبة ، يضاء مؤشر أخضر مركزى فى الجهاز ذاتيا ثم تظهر العلامة الدالة على نوعية الإنارة .



أوضحت دراسة قام بها مجموعة من الخبراء الهولنديين أن الضوضاء الصادرة عن السيارات تؤدى إلى حدوث اضطرابات فى جهاز الاتصال بين الطيور ويؤثر بشكل كبير على تكاثر الطيور التى تعيش بالقرب من الطرق الرئيسية ، لأن هذه الضوضاء تحجب تغريدها لجذب شريكها وتمنعها أيضا من طرد المتطفلين على مناطقها ، كما أن الضوضاء تجعل الطيور تحلق فى السماء بشكل مستمر مما يتسبب فى ضياع حيويتها .

تصنيع الألماس من الجرافيت

نجح معهد لأبحاث المعادن فى « ألمانيا » فى تصنيع الألماس من الجرافيت بتعريض الأخير لدرجات حرارة شديدة الارتفاع تصل إلى ٧٠٠ درجة مئوية ، وذكر الباحثون أن هذه النتيجة تعتبر شيئا مثيرا للاهتمام من الناحية التقنية ، ويمكن أن تفتح الطريق أمام فهم جديد لطبيعة التحول المباشر من الجرافيت إلى الألماس ، ويتكون الألماس فى الطبيعة حين يتعرض الجرافيت إلى ضغوط بالغة الشدة على مر الزمان مثل ما يحدث تحت قشرة الأرض .

رقائق الصابون

ابتكرت إحدى شركات التجميل الأمريكية نوعا جديدا من الصابون على شكل رقائق تسمى « أوراق الصابون » وهى قطع صغيرة شفافة ومعطرة تكفى الواحدة للاستخدام مرة واحدة ، وهى معبأة بطريقة سهلة يمكن سحب ورقة واحدة منها بسهولة ، كما أنها متعددة الألوان والرائحة .

العلاج الإشعاعي لتوسيع شرايين القلب .

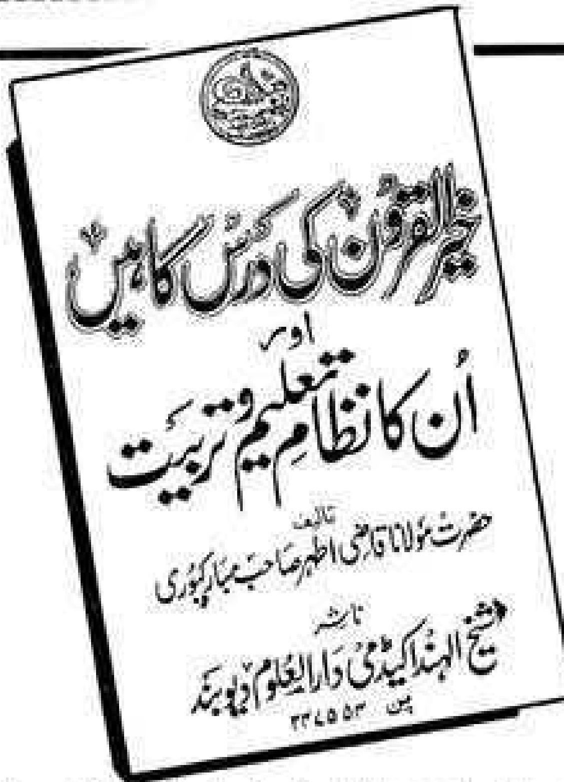
فيتامين « هـ » للحماية من الأزمات القلبية :

أثبتت دراسة أمريكية أن فيتامين « هـ » يحمي من أمراض الدورة الدموية والحد من مخاطر الموت بها ، وثبت من التجارب أن السيدات اللاتى يتناولن كميات كبيرة من فيتامين « هـ » تقل نسبة إصابتهم بالأزمات القلبية بنسبة ٤٠٪ بينما تنخفض نسبة الإصابة فى الرجال بنسبة ٣٧٪ ، ومن الأطعمة الغنية بفيتامين « هـ » القمح والذرة والزيوت النباتية ، والنباتات ذات الأوراق العريضة .

أعلن فريق من أطباء القلب الأمريكيين أنهم بصدد تعميم النتائج التى توصلوا إليها باستخدام الإشعاع فى توسيع شرايين القلب المسدودة من خلال وصلات على هيئة أنابيب معدنية صغيرة يتم وضعها داخل الشرايين المسدودة بعد توسيعها لإبقائها مفتوحة ، ويؤكد الباحثون أن استخدام جرعات صغيرة من الإشعاع داخل الشرايين على قساطر البالونات الحاملة للوصلات المعدنية يؤدى إلى الحد من فرصة عودة الانسداد مرة أخرى للشرايين ويحسن حياة المرضى .



يقوم مجموعة من أطباء العيون فى « الولايات المتحدة الأمريكية » بإجراء التجارب لمحاولة استخدام التقنية الحديثة و« الكمبيوتر » فى إعادة تشغيل الشبكية والعصب البصرى المفقود ، وتعتمد هذه الطريقة على استخدام رقائق « الكمبيوتر » لكى تقوم بوظيفة الشبكية أى تحويل الضوء إلى إشارات كهربية وبثها للعصب البصرى ليقوم بدوره بنقلها للمخ ، أى نقل التغير الكيمياوى والكهربائى إلى مركز الإبصار فى المخ فى صورة ذبذبات كهربائية ، وذكرت فى التقارير الطبية أنه على الرغم من عدم توصل هذه التجارب إلى نموذج أولى حتى الآن إلا أن الفكرة تمثل أكثر من بصيص أمل فى نظر الباحثين ، حيث أمكن التعرف على كيفية زرع هذا الجهاز فى العين دون آثار جانبية ، كما حصل الباحثون على أدلة تشير إلى أن المواد المستخدمة فى الجهاز الجديد تتلاءم مع الأعضاء الحية والفرصة ستكون أكثر تلاؤما مع فاقدى البصر الذين يحتفظون بشبكية سليمة .



عرض لفضيلة الدكتور/
عبد العزيز عزت عبد الجليل

● قبل بضعة شهور أهدانى الأخ الفاضل الجليل أبو المعالى القاضى أطهر مبار كبورى مؤلفه الأخير ، حلقات دروس خير القرون ونظام التربية والتعليم ، للناشر شيخ الهند أكادمى دار العلوم ديوبند شعبان سنة ١٤١٥ هـ ـ يناير سنة ١٩٩٥ م .

● وللمؤلف الفاضل مصنفات عديدة فى اللغة الأردية ، وبعض منها فى اللغة العربية أذكر من بينها الآتى :ـ

١ ـ عرب وهند عهد رسالت مين	أردو ـ العرب والهند فى عهد الرسالة ترجمة د. / عبدالعزيز عزت عبدالجليل
٢ ـ هندوستان مين عربون كي حكومتين	الحكومات العربية فى السند والهند ترجمة د / عبدالعزيز عزت عبدالجليل
٣ ـ خلافت راشده أور هندوستان	الخلافة الراشدة والهند
٤ ـ خلافت أموية أور هندوستان	الخلافة الأموية والهند

* عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

٥ ـ خلافت عباسية أور هندوستان	الخلافة العباسية والهند
٦ ـ سير ومغازى	أردو ـ السير والمغازى للرسول ﷺ
٧ ـ مآثر ومعارف	مآثر ومعارف ـ أردو
٨ ـ رجال السند والهند إلى القرن السابع	عربى ـ طبع دار الأنصار القاهرة

● وللقاضى الجليل بعض مؤلفات أخرى لم أحصل على نسخ منها ، علاوة على مقالاته الهادفة التى كان ينشرها فى جريدة ـ انقلاب ـ اليومية التى تصدر فى « بومباى » باب : أحوال ومعارف .

● يقول المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب : لقد كتبت سابقاً عن نظام التعلم والتعليم فى الإسلام ، وكان أول عمل فى هذا المجال ما جمعته عن نظام التعليم فى عهد الرسالة ضمنته : مقالتين بمجلة البلاغ الأردية .

إحداهما بعنوان : دار الأرقم ومركز التعليم الإسلامى .

وثانيهما بعنوان : أدوار ترقى المدارس الإسلامية وقد ضممت هاتين المقالتين إلى كتابى : (مآثر ومعارف) ثم كتبت بعد ذلك كتاباً مختصرا بعنوان : (الأنشطة التعليمية فى عهد السلف) .

وكتابى الذى أقدمه اليوم « حلقات ومجالس الدروس فى خير القرون ، ونظام التعليم فى زمن خير القرون » يعنى فى العهد النبوى ، وعهد الصحابة ، وعهد التابعين كان يحتاج إلى مزيد من التوسع ، ويقتضى كذلك مزيدًا من الإحصاء والاستقراء ولكنه جاء نموذجاً كاشفاً عن مدى اهتمام الإسلام والمسلمين بالعلم والتعليم .

● وقد بدأ المؤلف كتابه هذا بتمهيد ألقى فيه الضوء على المقامات والمراكز الأولى للعلوم الإسلامية ، وقيام المدارس ونشأتها فى عرض تاريخى للأدوار التى مرت بها فى مبدأ التاريخ الإسلامى .

● ثم تناول مجالس وحلقات الدروس فى العهد النبوى ، وعدَّ منها فى مكة قبل الهجرة : حلقة مسجد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وحلقة بيت فاطمة بنت الخطاب ، وحلقة دار الأرقم بن أبى الأرقم .

وفى المدينة المنورة : حلقة المسجد النبوى الشريف ، وحلقة مسجد بنى زريق ، وحلقة مسجد قباء ، وحلقة مسجد (نقيع الخضمان) ، وحلقة غميم بين مكة والمدينة .

● ثم تحدث عن أصحاب الصفة وصلة أطفال وشباب سكان هذه المناطق بهذه الحلقات ،

وكذلك صلة أطفال وشباب من خارج هذه المناطق بها ، وحالة المسنين ثم أبناء المعجم ، وتكلم عن بعض الصحابيات .

● وقد أوضح المؤلف طريقة التعليم التى كانت تتمثل فى السؤال والجواب تارة والإفهام والتفهيم تارة أخرى ، ومناقشة المتلقين بعضهم بعضا .

كما ذكر أنه كان من الأمور المعروفة فى هذه المجالس والحلقات بالنسبة لتعليم القرآن الكريم حفظ القرآن ، وزيادة أعداد الحفاظ ، والطريقة الثانية التجويد وحسن الصوت ، فضلا عن تعليم الكتابة ، وتشجيع دراسة علم الأنساب ، وغير ذلك من الأمور التى تتعلق بشئون الدارسين والمتلقين للعلم .

● وانتقل بعد ذلك إلى مجالس الدروس وحلقاتها فى عصر الصحابة وبدأ الحديث عن دور الصحابة فى أدائهم لهذه المهمة خاصة بعد أن انتشروا فى البلاد الإسلامية وعدم أخذهم أجرا على التعليم .

● وأوضح كيف كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يجمعون بين مختلف العلوم والفنون وعلم الدين والحديث .

● ومع عنوان : كيفية وهيئة الحلقات أو المجالس ؛ ذكر أن الرسول ﷺ كان يجلس عند عمود « أبو لبابة » ويتحلق الصحابة حوله فى مواجهته ، وأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يتمثلون ذلك فى حلقاتهم ، وقد ورد عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال ـ لأحد التابعين لهذه الحلقات : « عهدى بهذا المسجد ـ المسجد النبوى ـ كمثل الروضة اختر منها حيث شئت[1] » .

● وقد اتسمت كل تلك المجالس أو الحلقات بالهيبة والوقار ، والذكر ، والدعاء ، فعن عبدالله ابن عُمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه دعا فى إحدى هذه الحلقات بالدعاء الآتى : **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما يبلغنا حبك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا[2]** .

● وبعد ذلك تكلم عن : « كتابة الحديث الشريف » ، وعن أصحاب الدروس من الصحابة ص ١٤٦ من الكتاب ونقل فى ذلك ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته ص ٣٨٤ « ثم أن الصحابة لم يكونوا أهل فتيا كلهم ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالحاصلين

---

(١) المحدث الفاصل ص ١٨٥ .

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السنى ص ١٢٠ .

منهم للقرآن الكريم ، العارفين بناسخه ، ومنسوخه ، ومتشابهه ، ومحكمه ، وسائر دلالته مما تلقوه عن النبي ﷺ أو ممن جمعه منهم من عليتهم ، وكانوا يُسَمَّوْن لذلك « القراء » أي الذين يقرءُون الكتاب .

● وأعقب ذلك بذكر أسماء خمسة وعشرين من حلقات ومجالس الدروس في عهد الصحابة بدءاً من مجلس « أبيّ بن كعب الأنصاري ، وعبادة بن الصامت وسعد بن أبي وقاص والبراء بن عازب ، وعائشة أم المؤمنين ، وانتهاءً بمجلس الخامس والعشرين منهم عقبة بن عامر الجهني » .

● ثم ينتقل إلى عهد التابعين حيث أوضح مدى الاحتياط الذي ساد في عهدهم بالنسبة لتحصيل العلم الديني ، وضرورة ملاحظة النقد والجرح ، وبيان أهمية الحصول على السند أو الإجازة لمن يتصدى لهذا العمل ، وأبرز دور الأسفار العلمية التي قام بها نفر من التابعين .

● أورد بعد ذلك أسماء ثمانية وأربعين حلقة ومجلساً يأتي في أولها حلقة « سعيد بن المسيب » وفي نهايتها حلقة « الليث بن سعد المصري » .

● وتحدث بعد ذلك عن مكاتب التعليم والنظام الذي كانت عليه ، ونقل بعض الروايات التي تفيد أن أول من جمع الأولاد في المكتب لتعليم القرآن « عمر بن الخطاب » ـــ رضي الله عنه .

● كما نقل ما ورد في « المحلى لابن حزم » من كلام مضين بن عطاء : كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان فكان عمر يرزق كل واحد منهم خمسة عشر كل شهر(٣) .

● وذكر أن هذه المكاتب كانت تعطل يوم الجمعة وجاء ببيان حسن الرافعي بن أيوب الآتي : كنا نخرج كل يوم جمعة مع غلمان المدينة غلمان الكتاب » .

● ثم تحدث عن التأديب والعقاب في سبيل تربية النشيء مستدلاً بما ورد في السنة .

● وفي آخر فصل من فصول الكتاب تناول عدداً من المجالس العلمية والدينية والأدبية في المدينة المنورة على النحو التالي :

مجلس القلادة :

ومجلس القلادة هذا ذكره « محمد بن حسن بن زُبالة » المخزومي المتوفى سنة ١٩٩ هـ في تصنيفه ـ تاريخ المدينة ـ « وأنه المجلس الذي يقال له مجلس القلادة وكان يجلس فيه سروات الناس قديماً » وقال عنه صاحب القاموس مجد الدين « وإنما سمي القلادة لشرف من كان يجلس فيه من بني هاشم وغيرهم »(٤) .

---

(٣) المحلى لابن حزم جـ ٨ ص ١٩٥ وكنز العمال جـ ٢ ص ١٩٢ .

(٤) وفاء الوفاء جـ ١ ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

وقال في شأنه محمد بن حبيب البغدادي في كتاب (المنمق) ص ٤٤٥ : « وكان ذلك المجلس يسمى مجلس القلادة يشبه القلادة المنظومة بالجوهر لحسنه وجماله وشرف أهله ، وفي قول لمعاوية ـ رضي الله عنه ـ لأحد المسافرين من الشام إلى المدينة : لن تبرح المدينة عامرة ما دام مجلس القلادة » .

● مجلس الفقهاء السبعة :

كان هؤلاء الفقهاء السبعة بمثابة المجلس الفقهي في المسجد النبوي وهم كما أنشد الشاعر :

إذا قيل : من في العلم سبعة أبحر ... روايتهم ليست عن العلم خارجه
فقيل : هم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وفي بيان لعبد الله بن المبارك :

كان فقهاء المدينة سبعة ، وكانوا إذا جاءتهم المسألة دخلوا فيها جميعاً فنظروا فيها ولا يقضي القاضي حتى يرجع إليهم فينظرون(*) .

● وحتى لا نطيل على القارىء فإنني أذكر المجالس الباقية التي تناولها باختصار مع الاقتصار على ذكر أسمائها : مجلس الشورى ، مجلس علماء المغازي والسير ، مجلس زين العابدين وعروة ، مجلس اللغة والأدب ، مجلس وادي عتيق ، مجلس بئر عروة ، مجلس قصر إسحاق بن يعقوب وأخيراً مجلس بني المولى .

● كان ما سبق عرضاً موجزاً لما تناوله كتاب « حلقات دروس خير القرون » وهو في الحقيقة كتاب ممتع لما اشتمل عليه من موضوعات نجدها مفرّقة بين أمهات الكتب والمراجع في السيرة والتاريخ . جزى الله مؤلفه خير الجزاء ، وجعله في ميزان حسناته « يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » . الشعراء ٨٨ ـ ٨٩

وهو وحده ولي التوفيق ،

(*) تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٤٣٠ وسير أعلام النبلاء ذكر سالم بن عبدالله .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

تعود شهرة هذا البيت إلى استشهاد الحجاج بن يوسف الثقفي به في مناسبة مشهورة ، وهي أنه حين وجهه عبدالملك بن مروان إلى العراق أميرا ، وكان أهلها قد شقوا عصا الطاعة .. وخلعوا الولاء للخليفة .. وشغبوا على الأمراء .. قصدوا إلى الكوفة في إثني عشر راكبا على النجائب ، حتى دخلها فجأة وقد انتشر النهار ، فدخل المسجد معتما بعمامة خز أحمر قد غطى بها وجهه .. وهو متقلد سيفا .. متنكب قوساً ، يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه ، حتى صعد المنبر ، ومكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس لبعضهم البعض : قبح الله بني أمية ، تستعمل مثل هذا على العراق !! .. حتى قال عمير بن ضابيء البرجمي : ألا أحصبه لكم ؟ فقالوا له : أمهل الرجل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس إليه حسر العمامة عن فيه .. ونهض فقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق .. إني لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى .. إلى آخر الخطبة المشهورة التي أرهبت العراقيين وأرغمتهم .

وغلبت مناسبة استشهاد الحجاج بهذا البيت حتى لا يذكره أحد إلا ويذكر قصة الحجاج مع أهل العراق وشدته عليهم وتأديبه لهم وبطشه بهم .

الشاهد النحوي فيه :

ولكن البيت مع ذلك شاهد من شواهد النحو المشهورة ، ذكره سيبويه في كتابه ، وتبعه من جاء بعده من النحاة .. يستشهدون به على جواز منع صرف الاسم المنقول من الفعل بغض النظر عن كونه موازنا للفعل .

فقد قال عيسى بن عمر الثقفي ــ وهو من أئمة النحو المشهورين ، توفي سنة خمسين ومائة .

وهو صاحب الكلمة المشهورة التي تشهد بتقعر اللغويين : « مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا » ــ قال : بأن « جلا » علم منقول من الفعل ، وهو ممنوع من الصرف

لنقله ، فإذا سمى رجل بقتل وضرب فإنه لا يصرف ، واستدل ببيت الشاهد .

ولكن بعض النحاة رد هذا القول ، وقال : إن « جلا » في البيت ليست علما وحدها ، ولكن العلم هو الفعل مع ضميره المستتر ، فالعلم جملة محكية وليس مفردا .

ويُردُّ هذ الرد ـ ولو كان محكيا عن سيبويه ـ أن « جلا » ليس اسماً لأبي الشاعر الذي قال هذا البيت ، وليس لقباً له أيضا .. وذكر بعض النحاة أن هذه الجملة صفة لوالد الشاعر . ولكن ذلك مردود أيضا ، لأن شرط الجملة التي تقع وصفاً أن يكون الموصوف بعضاً من متقدم مجرور بـ «من» مثل قولك : مِنا ظعن ومِنا أقام . أي منا بعض ظعن وبعض أقام . أو مجرور بـ « في » مثل قولك : ما في قومه يفضله أي أحد يفضله .

وقد ذكر صاحب الأمالي ـ أبو علي القالي ـ في كتابه : أن « جلا » في اللغة معناه : المنكشف المشهور الأمر ، وذلك ما قرره المبرد أيضا في كتابه الكامل حيث قال : إن معنى « جلا » المنكشف الأمر .

ويرجح الشيخ المرصفي في شرحه على الكامل هذا الرأي فيقول : إن « جلا » ليس فعلا ، وإنما هو اسم مقصور من الجلاء ، فالمعنى : أنا ابن الواضح الأمر ، ويؤيد هذا أنهم يقولون : ابن جلا وابن أجلى .. وقيل جلا وأجلى معناهما الصبح .

ولكن يَرِدُ على هذا الرأي عدم تنوين جلا ، ولا موجب لمنع صرفه ، لذلك يرى بعض العلماء أنه لا مانع أن تكون هذه الكلمة علما محكيا .

وقد قال ابن منظور في لسان العرب : ابن جلا رجل مشهور بالفتك : فيكون الشاعر قد قال ذلك على التشبيه « يعني أنا كابن جلا في الغارة والشدة » .

معنى آخر للاستعمال :

وهناك معنى آخر يذكره ابن الحاجب في أماليه ، وهو أن يكون « جلا » اسماً لا فعلا .. وهناك مضاف محذوف وهو « ذو » ، والتقدير : أنا ابن ذي جلا ، والجلا هو انحسار الشعر عن مقدم الرأس ، أو نصف الرأس ، وهو ما يسمى بالصلع .

وقد جاء ذلك في كتب اللغة ـ قال ابن منظور في لسان العرب : الجلا بالقصر : انحسار مقدم الشعر ، يكتب بالألف ، وقيل : هو دون الصلع ، وقد جَلِيَ الرجل يَجْلَى جلًا . وهو أجلى ، وفي صفة المهدى ـ الذي يخرج آخر الزمان ـ أنه أجلى الجبهة .

ومواضع الصلع في الرأس تسمى مجالي ؛ وهي مقاديم الرأس ، قال الفقهسي ـ وهو أبو محمد عبدالله بن رِبْعي ـ يرثي حاله بعد أن اجتوته من يريدها :

قالت سليمى : إنني لا أبغية
أراه شيخــاً ذرئت مجاليــه
يقلي الغواني والغواني تقلية

واحده مَجْلَى ، واشتقاقه من الجلا ، وهو ابتداء الصلع ، وذرئت مجاليه : شابت ، والصلع من سمات العبقرية ومخايل النجابة ، وهو من دلائل الكرم وأمارات الشجاعة ، والعرب يقولون : الذي ولد أصلع يكون كريما حسب الغالب .

استعمال « جلا » فى لغة الشعراء :

وقد ورد لفظ « جلا » فى تعبيرات الشعراء مثل قول اللعين المنقرى[1] يخاطب رؤبة بن العجاج :

إنى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى
يا رؤبُ والحية الصماءُ والجبلُ
أبالأراجيز يابن اللؤم توعدنى ؟
وفى الأراجيز ـ خلت ـ اللؤم والفشل

يقول له : أنا ابن من لا ينكر يا رؤبة ، وأنا الحية الصماء التى تقتل من يتعدى لها ، وأنا الجبل الصعب المرتقى ، لا تحاول أن تخيفنى بأراجيزك المليئة باللؤم والفشل .

ومثل قول القلاخ بن حباب السعدى :

أنا القلاخ بن حباب بن جلا
أبو خناثير يقود الجملا

والخناثير : الدواهى ـ كما جاء فى اللسان ـ .

معنى بيت الشاهد :

يقول الشاعر : أنا ابن رجل واضح الأمر كريم الأصل ، شجاع لا يهاب ، جلد يرتقى الصعاب ، إذا استعددت للحرب ولبست خوذتها (العمامة) رأيتم منى العجب .

والعمامة : يقصد بها خوذة الحرب ، ووضعها : يعنى لبسها وجعلها فوق الرأس .

وقد يكون وضعها بمعنى خلعها . ويؤيد هذا المعنى أن الرجل ـ كان ـ إذا قتل له قتيل لاث على رأسه عمامة ، وستر بها رأسه ، وخرج لطلب ثأره ، ومايزال هكذا متلثما حتى يأخذ بثأره ، فيضع أوزار الحرب ، ومن بينها العمامة ، ويساعد على هذا المعنى أن الحجاج بن يوسف الثقفى أنشد هذا البيت ، وهو ينزع اللثام عن وجهه .

قال ثعلب ـ وهو من أئمة النحو واللغة ـ : العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم .

وعليه يكون المعنى : متى أضع العمامة تعلمون أنى الشجاع الذى لم أنم عن ثأرى .

من الشاعر ؟ :

والشاعر الذى قال هذا البيت هو : سُحَيْم بن وثيل بن أُعَيْفر بن أبى عمرو بن حمير الرياحى ، وهو شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام ، عاش فى الجاهلية أربعين سنة ، وفى الإسلام ستين سنة ، وتوفى وهو ابن مائة عام .

وسُحَيْم : تصغير أسحم على الترخيم ، من السُّحْمة وهى السواد .

ووثيل ـ بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة ـ وهو فى اللغة : الليف والرشاء الضعيف ـ سُمِّىَ به ـ وقيل : هو بالتصغير ـ لضم الواو وفتح الثاء .

وأُعَيفر ـ تصغير أعفر .

وهو : شاعر يمنى الأصل لأنه منسوب إلى حمير ، وهو أبو قبيلة مشهورة فى اليمن .

وهو شاعر معروف فى الجاهلية والإسلام عدَّه الجُمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، وقال : سُحَيم شاعر خِنْذِيذ[1] شريف مشهور الذكر فى الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع فى قومه .

---

(١) من شعراء بنى أمية ، اسمه : منازل بن زمعة ، وكنيته : أبو الأكيدر .

(١) الخنذيذ بكسر الخاء : الشاعر الجيد المفلق المُفْلِق ، والخطيب المصقع ـ اللسان ـ .

مناسبة القصيدة :

والبيت المذكور من قصيدة مشهورة ذكرها الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي صاحب « معاهد التنصيص » بعد أن ذكر مناسبتها .. قال :

جاء رَجُلٌ إلى الأُبَيْرِد الرياحي وابن عمه الأحوص ، وهما من رُدف[2] الملاك من بني رياح يطلب منهما قطرانا يهنأ به إبله ، فقالا له : إن أنت أبلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك ما تطلب .. فقال لهما : قولا ..

فقالا له : أبلغه :

فإن بداهتي وجراء حولي
لذو شقٍّ على الحطم الحروق[3]

وهذا البيت تعريض لسحيم بأنه لا يبلغ غايته لكبره وعجزه .

فلما جاء هذا الرجل إلى سحيم وأنشده البيت أخذ عصاه ، وانحدر إلى الوادي يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال له : اذهب فقل لهما :

أفاطم قبل بينك متعيني
ومنعك ما سألت كأن تبيني
فإن علالتي وجراء حولي
لذو شق على الضرع الظَّنُون[4]

أنا ابن الغُرِّ من سلفي رياح
كنصل السيف وضاح الجبين
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني
وإن مكاننا من حِمْيَري
فكان الليث من وسط العرين
وإني لا يعود إلى قرني
غداة الغب إلا في قرين[5]
بذي لبد يصد الركب عنه
ولا تؤتى فريسته لحين[6]
عذرت البزل إذ هي صاولتني
فما بالي وبال ابني لبون[7]
وماذا يبتغي الشعراء مني
وقد جاوزت حد الأربعين
أخو الخمسين مجتمع أشدي
ونجذني مداورة الشئون[8]

إلى آخر القصيدة ..

فجاء الرجل إلى الأبيرد والأحوص فأنشدهما ما قال : فذهبا إليه واعتذرا له ..

رأي لابن قتيبة في نسبة القصيدة :

وقال ابن قتيبة في كتابه « الشعر

---

(٢) ردف ـ بفتحتين ـ جمع ردف ـ بكسر فسكون ـ وهو الذى يجلس على يمين الملك ويخل مكانه حين يغزو فيكون خليفته حتى يعود ، وله ربع الغنيمة .

(٣) البداهة : أول جرى الفرس ، والجراء : مصدر جاراه ، والحول : العام ، والحطم ـ بفتح الحاء وكسر الطاء ـ : القوم المسن ـ والشق ـ بكسر الشين : المشقة ، والحروق : الفرس الذى لا ينقاد ، وإذا اشتد به الجرى وقف .

(٤) العلالة : بقية جرى الفرس ، الضرع : ضعيف ، والظنون : قليل الحيلة .

(٥) غداة الغب : اليوم الذى يسوقون فيه إبلهم ، والقرن : الكفء ، والقرين : المصاحب .

(٦) ذى لبد : أسد مفترس ، يقول : إن قرنى لا يجرؤ على القتال إلا مع رفيق كالأسد .

(٧) البزل جمع بازل وهو البعير المسن ، وابن اللبون : ولد الناقة إذا دخل فى السنة الثالثة .

والشعراء»[9] : مطلع هذه القصيدة مع أبيات آخر : هي للشاعر المُثقب العبدي ، قال : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلمه .. وهذا ما رواه ابن قتيبة :

أفاطم قبل بينك متعيني
ومنعك ما سألت كأن تبيني
ولا تبدى مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دوني
فإني لو تخالفني شمالي
بنصر لم تصاحبها يميني
إذن لقطعتها ولقلت : بيني
كذلك أجتوى من يجتويني[10]
فإما أن تكون أخي بحق
فأعرف منك غثي من سميني[11]
وإلا فاطرحني واتخذني
عدوًا أتقيك وتتقيني
وما أدرى إذا يممت أرضا
أريد الخير أيهما يليني ؟
آلخيرُ الذي أنا أبتغيه
أم الشرُّ الذي هو يبتغيني ؟

والأبيات السابقة تقوى أنها لسحيم ، أما اتفاقهما في المطلع فهو من باب توارد الخواطر .

شاهد بلاغي في البيت :

ويستشهد البلغاء بهذا البيت على الإيجاز بالحذف ، ذكر ذلك صاحب «معاهد التنصيص»[12] .

فإن الشاعر أراد قوله : أنا ابن الذي جلا ، أو ابن رجل جلا ، فقد حذف الموصوف اكتفاء بالصفة أو حذف الموصول اكتفاء بصلته .

طرفة أدبية حول البيت :

أخذ بعض الشعراء الظرفاء معنى البيت وضمنه في شعر له ، يعرض فيه برجل أصابه داء الثعلب وذهب بشعره وأصبح أقرع ، وكان هذا الرجل اسمه الرشيد ؛ فقال الشاعر :

عجبت لمعشر غلطوا وغضُّوا
من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا
متى يضع العمامة تعرفوه

ومن لطيف التورية ما قاله أحد الشعراء أيضا :

يُسَرُّ بالعيد أقوامٌ لهم سعةٌ
من الثراء ، وأما المقترون فلا
هل سرّني وثيابي فيه قومُ سبا
أو راقني وعلى رأسي به ابن جلا ؟

فهو يعني بقوله قوم سبأ قوله تعالى :

﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ .

(سبأ : ١٩)

ويعني بقوله «وعلى رأسي به ابن جلا» : أنه لا عمامة له ؛ لأن ابن جلا لم يعرف إلا بعد أن رفع عمامته .. أو ذهبت عمامته ..

---

(٨) تحلى : هدني ، والشئون : الأحوال .
(٩) ص ٢٣٤ .
(١٠) أجتوى : أقلي وأهجر .
(١١) الغث : الهزيل الذي لا غناء فيه .
(١٢) جـ ١ ص ٣٣٩ .

أبو منصور الثعالبى

- ٢ -

وكتابه فقه اللغة

د. محمد رياض السيد كريم (*)

كتاب فقه اللغة

هذا الكتاب من معاجم المعانى التى يؤمها من يعرف المعنى ويريد الوقوف على اللفظ الذى يعبر عن هذا المعنى ، وهو وإن كان الثعالبى فيه جماعاً لأقوال أئمة اللغة إلا أن هذا الجمع ونسجه وبناء أبواب وفصول منه تضم متناثر هذه الأقوال لتصير عقداً واحداً يزين به جيد فكره اللغوى كل محب للغة القرآن ـ لعمل رائع يستحق كل تقدير .

ولعلك تدهش معى إذا علمت أن أبا منصور الثعالبى حمل على تأليف هذا الكتاب حملاً ، وسيق إلى تصنيفه سوقاً من الأمير أبى الفضل الميكالى الذى كان صاحب فكرته ، والآمر به ، والمعين عليه .

* أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالزقازيق

وقد أشار إلى ذلك الثعالبي نفسه في مقدمته بقوله : «كانت تجرى في مجلسه (أى مجلس الأمير أبي الفضل الميكالي) – آنسه الله – نكت من أقاويل أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها ، مما لم ينتبهوا لجمع شمله ، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده ، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات ، لمع يسيرة كالتوقيعات ، وفِقَرٌ خفيفة كالإشارات ، فيلوّح لي – أدام الله دولته – بالبحث عن أمثالها ، وتحصيل أخواتها ، وتذييل مايتصل بها ، وينخرط في سلكها ، وكسر دفتر جامع عليها ، وإعطائها من التَّيقة(١) حقها ، وأنا ألوذ بأكناف المحاجزة ، وأحوم حول المدافعة ، وأرعى روض المماطلة ، لاتهاونا بأمره الذى أراه كالمكتوبات ، ولا أميزه عن المفروضات ، ولكن تفادياً من قصور سهمى عن هدف إرادته ، وانحرافاً عن الثقة بنفسى في عمل مايصلح لخدمته ، إلى أن اتفقت لى في بعض الأيام ، التى هى أعياد دهرى ، وأعيان عمرى ، مواكبة القمرين ، بمسايرة ركابه ، ومواصلة السعدين ، بصلة جنابه ، في متوجهه إلى فيروز آباد إحدى قراه الشاهات ، ومنها إلى نُحداى داد ، عمرها الله بدوام عمره ، فلما :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطىّ الأباطح

وعدنا للعادة عند الالتقاء في تجاذب أهداب الآداب ، وفتق نوافج(٢) الأخبار والأشعار ، أفضت بنا شجون الحديث إلى هذا الكتاب المذكور ، وكونه شريف الموضوع ، أنيق المسموع ، إذ أخرج من العدم إلى الوجود ، فأحلت في تأليفه على بعض حاشيته من أهل الأدب إذا أعاره – أدام الله قدرته – لمحة من هدايته ، وأمده بشعبه من عنايته ، فقال لى – صدق الله قوله ، ولا أعدم الدنيا جماله وطوله ، كما أذاق العدا بأسه وصوله :

إنك إن أخذت فيه أجدت وأحسنت ، وليس له إلا أنت . فقلت له : سمعاً سمعاً . ولم أستجز لأمره دفعا ، بل تقبلته باليدين ، ووضعته على الرأس والعين(٣) » .

وكان الأمير معه كالمشرف على رسالة علمية في زمننا ، يأخذ بيد الباحث ، ويقدم له النصح ابتغاء النجح ، حتى تخرج رسالته إلى الناس تامة الجودة ، حسنة الرواء .

يقول الثعالبي : «فأقام لى في التأليف معالم أقف عندها وأقفو حدها ، وأهاب بى إلى ما اتخذته قبلة أصلى إليها ، وقاعدة أبنى عليها ، من التمثيل والتنزيل ، والتفصيل والترتيب ، والتقسيم والتقريب ، وكنت إذ ذاك مقيم الجسم ، شاخص العزم ، فاستأذنته في الخروج إلى ضيعة لى متناهية الاختلال ، بعيدة المزار ، فاجمع فيها بين الخلوة بالتأليف ، وبين الاستعمار ، فأذن لى – أدام الله غبطته – على كره منه لفرقتى ، وأمر – أعلى الله أمره – بتزويدى من ثمار خزائن كتبه – عمرها الله بطول عمره – ما أستظهر به على ما أنا بصدده ، فكان كالدليل يعين ذا السفر بالزاد ، والطبيب

---

(١) في القاموس (ت و ق) : «التَّوق في مطعمه وملبسه : تجوّد وبالغ كتوّق ، والاسم : التِّيقة بالكسر» .

(٢) نوافج جمع نافجة وهى وعاء المسك . (القاموس : ن ف ج) .

(٣ ، ٤ ، ٥) فقه اللغة وسر العربية : ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ .

يتحف المريض بالدواء والغذاء[٤] » .

وهذا الأمير هو الذى سمى الكتاب (فقه اللغة) ، واختار له هذا العنوان ، يقول الثعالبى فى مقدمته : «وقد اخترت لترجمته ، وما أجعله عنوان معرفته ، ما اختاره ـ أدام الله توفيقه ـ من (فقه اللغة) وشفعته بـ (سر العربية) ليكون اسما يوافق مسماه ، ولفظاً يطابق معناه[٥] » .

ويبدو أن هذا الأمير استمد تلك التسمية من أحمد بن فارس صاحب كتاب (الصاحبى فى فقه اللغة) الذى يعد «أول من سمى من العلماء بفقه اللغة ، إذ لم يعثر أحد من الباحثين إلى الآن على أن أحداً سمى بها قبله[٦] » .

عنوانه :

مرّ بك آنفا أن الأمير أبا الفضل الميكالى هو الذى اختار عنوان هذا الكتاب ، وسمّاه (فقه اللغة) ، وقد ذُكِرَ كتابٌ آخر للثعالبى ضمن كتبه تحت عنوان : (سر الأدب فى مجارى كلام العرب) ذكره له أبو البركات الأنبارى[٧] وغيره[٨] ، تناول فيه الثعالبى سنن العرب فى كلامها مع الاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثر ما يذكره .

وقد جمع الثعالبى نفسه بين كتابى (فقه اللغة) و(سر الأدب) فى كتاب واحد سماه : (فقه اللغة وسر العربية) نشر بتحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الأبيارى ، وعبدالحفيظ شلبى ، وقد مر بك قوله فى مقدمته : «وقد اخترت لترجمته ، ما أجعله عنوان معرفته ، ما أختاره ـ أدام الله توفيقه ـ (يعنى الأمير أبا الفضل الميكالى) من (فقه اللغة) وشفعته بـ (سر العربية) ليكون اسماً يوافق مسماه ، ولفظاً يطابق معناه» .

ويبدو لى أن أبا منصور الثعالبى رأى أن العنوان الذى اختاره الأمير أبو الفضل الميكالى للكتاب وهو (فقه اللغة) لايتناسب مع موضوع الكتاب ، فأضاف إليه (سر العربية) الذى هو كتاب (سر الأدب فى مجارى كلام العرب) الذى ينهج فيه نهج ابن فارس فى كتابه (الصاحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها) ونقل فيه عن ابن فارس وإن كان لم يشر إليه عندئذ .

ومما يدل على جمعه بين الكتابين أيضا أنه عند حديثه عن النحت فى القسم الثانى من الكتاب وهو سر العربية فى مجارى كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها ، قال : «وقد تقدم فصل شاف فى حكاية أقوال متداولة من هذا الجنس[٩] » . وهذا الفصل الذى يعنيه موجود فى القسم الأول وهو (فقه اللغة) تحت عنوان فصل شاف فى حكاية أقوال متداولة على الألسنة[١٠] » .

وقد حمل هذا الكتاب الذى ضم الكتابين معاً عنوان (شمس الأدب فى استعمال العرب) أيضاً ، فقد ذكر بروكلمان لأبى منصور الثعالبى كتاباً بهذا العنوان ، وقال عنه : «كتاب فى الترادف ، ألفه وقد تقدمت به السن ، وهو مقسم إلى قسمين :

(٦) دراسات لغوية للدكتور أمين فاخر : ص١٧ .

(٧) نزهة الألباء : ص ٣٦٥ .

(٨) انظر : من عيون التواريخ (٤٥٩/١٣) وطبقات النحاة واللغويين (١٠٩/٢) وكشف الظنون (٩٨٥/٢) وهدية العارفين (٦٢٥/١) .

(٩) فقه اللغة وسر العربية : ص ٢٧٨ .

(١٠) نفسه : ص٢١٦ .

١ ـ أسرار اللغة العربية وخصائصها ، المترادف بالمعنى الضيّق .

٢ ـ مجارى كلام العرب برسومها ومايتعلق بالنحو والإعراب منها ، والاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثرها ، أو سر الأدب فى مجارى كلام العرب ، وهو ملاحظات أسلوبية ، ومعظمه مأخوذ حرفياً من فقه اللغة لأحمد بن فارس[١١] » .

ثم ذكر بروكلمان له كتاباً آخر بعنوان (فقه اللغة وسر العربية) وقال : « وهو يحتوى على الجزء الأول من الكتاب السابق[١٢] » .

ولفت نظرى إشارته إلى نشر مصطفى السقا وصاحبيْه له ، والذى نشره هؤلاء هو الجزء الأول والثانى من الكتاب السابق الذى ذكره ، وليس الجزء الأول فقط كما قال ، مما يدل على أن هذا الكتاب سمى (شمس الأدب فى استعمال العرب) و(فقه اللغة وسر العربية) ، وقد سمى أيضاً (سر الأدب) فقد اطلعت على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بهذا العنوان ، وهى تحت رقم (٦١٧ لغة) لأبى منصور الثعالبى ، وظهر لى أنها (فقه اللغة وسر العربية) بقسميه .

ولأبى منصور الثعالبى كتاب آخر تحت عنوان (لباب الآداب) حققه الدكتور قحطان رشيد صالح ، ونشر ببغداد سنة ١٩٨٨م ، وهو قسمان :

القسم الأول منه هو بعينه كتاب (فقه اللغة) للثعالبى . إلا أنه لم يذكره بهذا العنوان ، بل قال فى مقدمته : « والقسم الأول فى أسرار اللغة وجوامعها ، وطرائق العربية وخصائصها[١٣] » .

أما القسم الثانى من الكتاب فهو عبارة عن بعض الفصول التى تشتمل على رسائل أدبية فى تهنئة أو تعزية ونحو ذلك ، وقد وضع هذا القسم من الكتاب مكان القسم الخاص بسر العربية فى كتابه (فقه اللغة وسر العربية) .

قيمته العلمية

لهذا الكتاب أثره الذى لاينكر فى التأليف اللغوى بوجه عام ، وممن عرف له قدره من علماء اللغة السيوطى فى مزهره ، والزبيدى فى تاج العروس ، فقد نقل السيوطى منه فصولا كاملة فى كتابه (المزهر فى علوم اللغة وأنواعها[١٤]) وقال عنه : « وهو مجلد جمع (أى الثعالبى) فيه فأوعى[١٥] » .

وعده الزبيدى ضمن الكتب التى اعتمد عليها فى تأليف معجمه الجامع (تاج العروس من جواهر القاموس[١٦]) .

هذا ، وكتاب فقه اللغة وسر العربية قسمان :

القسم الأول منه تحت عنوان (فقه اللغة) .

والقسم الثانى تحت عنوان (سر العربية) .

والقسم الأول يقع فى ثلاثين بابا ، ويضم من الفصول مايناهز ستمائة فصل ، ويشغل معظم الكتاب ، وهو الذى يعد من معاجم المعانى وقد تميز بحسن التبويب والتقسيم ، وضم ماتناثر من ألفاظ اللغة فى كتب شتى فى مكان واحد يجمعها ، ومن أبرز أبوابه ذلك الباب الذى عقده الثعالبى لما

(١١ ، ١٢) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : ١٨٨/٥ .

(١٣) لباب الآداب : ١٩/١ .

(١٤) انظر المزهر : ١٤٣/١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٥٠ .

(١٥) نفسه : ٤٣٧/١ .

(١٦) انظر تاج العروس : ٤/١ .

يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية ، وأورد فيه أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة ، مثل : الكف والساق ، وأسماء قائمة فى لغتى العرب والفرس على لفظ واحد ، كالدينار والدرهم ، وأسماء تفردت بها الفرس دون العرب ، فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى ، كالكوز والابريق ، وما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية كالفردوس[17] .

والقسم الثانى من الكتاب يقع فى تسعة وتسعين فصلاً ، ويستغرق جزءاً صغيراً من الكتاب ، ويتبع فيه الثعالبى خطو ابن فارس فى كتابه (الصاحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها) ناقلا منه ، بادئاً بعض فصوله بقوله : «ومن سنن العرب» كما يفعل ابن فارس ، وإن كان لم يشر إليه عند النقل[18] .

وقد تناول فيه بعض المباحث اللغوية ، كالقلب ، والإبدال ، والنحت ، والتضاد والمشترك اللفظى ، إلى جانب بعض الموضوعات البلاغية ، كالتشبيه ، والاستعارة ، والطباق ، والجناس ، والحشو ، الى غير ذلك من سنن العرب فى كلامها .

منهجه :

تميز منهج الثعالبى فى الكتاب بما يلى :

١ ـ الجمع مع الاهتمام فى الغالب بنسبة مايذكره إلى أصحابه من أئمة اللغة ، كقوله : «الوَهْمُ : الجمل الضخم ، عن الليث . العُلْكُوم : الناقة الضخمة ، عن الأصمعي . الجحْشارة : الرجل الضخم ، عن ابن السِّكِّيت عن الفراء . الجَـأْبُ : الحمار الضخم ، عن ابن الأعرابى[19]» .

٢ ـ الاهتمام بتحقيق مايورده فى كتابه غير مكتف بالنقل ، كقوله : «فصل وجدته عن أبى الحسن أحمد بن فارس ثم عرضته على كتب اللغة فصح[20]» .

فإذا لم يقم بالتحقيق ألقى بعهدة مايذكره على من نقل عنه ، كقوله «فصل فى تعديد ساعات النهار والليل على أربع وعشرين لفظة عن حمزة بن الحسن وعليه عهدتها[21]» .

٣ ـ الإيجاز والاختصار ، وقد أدى به ذلك إلى حذف الشواهد فى الغالب ، فنجده يكتفى عند ذكر اللفظ بقوله : «وقد نطق به القرآن» أو «وهو فى شعر الأعشى» أو «فى شعر لبيد» أو «فى شعر الحطيئة» وهكذا[22] ، ولايذكر الشاهد .

٤ ـ العناية باللغات ، وقد عقد لها فصلا تحت عنوان (فصل فى حكاية العوارض التى تعرض لألسنة العرب) ، ومما جاء فيه قوله : «اللَّخْلَخانيَّة تعرض فى لغات أعراب الشِّحر وعُمان ، كقولهم : مشا الله كان ، يريدون : ما شاء الله كان[23]» .

٥ ـ الإشارة إلى المولَّد ، كقوله فى الفصل الذى عقده لترتيب القصاع : «فاما الغضارة فإنها مولدَّة ، لأنها من خزف ، وقصاع العرب كلها

(١٧) انظر فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٤ وما بعدها .

(١٨) أنظر ـ على سبيل المثال ـ فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٧١ ، ٣٧٣ والصاحبى ص ٣٢٩ ، ٣٤١ .

(١٩) فقه اللغة وسر العربية : ص ٦١ .

(٢٠ ، ٢١) نفسه : ص ٤٣ ، ٣١٥ .

(٢٢) انظر فقه اللغة وسر العربية : ص ٥٧ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ١٦٣ .

(٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) نفسه ص ١٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢٨٩ .

من خشب[٢٥]» .

٦ ـ التنبيه على الأصل في الاستعمال أحيانا ، كقوله : «الوَرْطة : تقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص منها ، ثم صارت مثلا لكل شدة يقع فيها الإنسان[٢٦]» . وقوله : «الشَّوْبُ والمَـذْقُ : خلط اللبن بالماء ، والقطب كذلك ، ومن ذلك يقال : جاء القوم قاطبة ، أى : جميعا مختلطين بعضهم ببعض[٢٦]» .

وقد يذكر مايصلح معه التأريخ لاستعمال بعض الألفاظ فى معنى من المعانى ، كقوله : «فإذا كان (أى الفرس) لاينقطع جريه ، فهو بحر شبه البحر الذى لاينقطع ماؤه ، وأول من تكلم بذلك النبى ﷺ فى وصف فرس ركبه[٢٧]» . وقوله : «فإذا مات (أى الإنسان) عن غير قتل قيل : مات حتف أنفه ، وأول من تكلم بذلك النبى ﷺ[٢٨]» .

٧ ـ الاهتمام بالمعرَّب ، وخير مثال لهذا ذلك الباب الذى عقده لما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية ، وقد مرت الإشارة إليه آنفاً .

٨ ـ العناية باصطلاحات الأطباء ، كقوله : «الجَثْر عند أهل اللغة أن يخرج فى العين حبّ أحمر ، وأظنه الذى يقوله الأطباء الجرب[٢٩]» .

وقد أورد فصلا فى تفصيل أسماء الأمراض وألقاب العلل والأوجاع ، وقال : «جمعت فيها بين أقوال أئمة اللغة واصطلاحات الأطباء[٣٠]» .

٩ ـ الاهتمام بالاستعمال المجازى ، كقوله : فصل فى الاستعارة ، عين أخضر ، موت أحمر ، نعمة بيضاء ، يوم أسود ، عدو أزرق[٣١]» .

١٠ ـ عدم الاستقصاء ، وقد اعترف الثعالبى بذلك فى بعض فصول الكتاب ، وذلك قوله : «فصل فى تسمية المتضادين باسم واحد من غير استقصاء[٣٢]» . وقوله : «فصل فى تفصيل أوجاع الأعضاء وأدوائها على غير استقصاء[٣٣]» .

مآخذ

مما يؤخذ على الثعالبى فى كتابه مايلى :

١ ـ الاضطراب ، وذلك بوضع بعض الفصول فى غير أماكنها ، وقد اعترف الثعالبى بذلك ، إذ قال فى الفصل الذى عقده لتفصيل أوصاف السنة الشديدة المحل : «وما أنسانيها إلا الشيطان أن أذكرها فى باب الشدة والشديد من الأشياء ، فأوردتها هاهنا عند ذكر الفقر بكونها من أقوى أسبابه[٣٤]» .

وإذا كان الثعالبى وجد سبباً يسوّغ ذكر هذا الفصل فى الموضع الذى وضعه فيه ، فهو لم يجد سبباً فى فصل آخر وضعه فى غير مكانه ، وهو فصل تفصيل نصال السهام ، فقد قال : «وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره فى فصولها التى تقدمت فصول القسىّ[٣٥]» .

٢ ـ عدم الاستقصاء ، ولـذا وجـدت السيوطى فى كتابه «المزهر» يستدرك عليه بعض مافاته فى الفصل الذى عقده للعموم والخصوص[٣٦] بعد أن نقله كاملاً فى كتابه ، يقول السيوطى معقباً عليه : «ومما لم يذكره الثعالبى : قال ابن دريد : الصبابة : رقة الهوى ، والحب ،

(٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) نفسه ص ٢٦٦ ، ١٧٢ ، ١٥٢ .

(٢٩ ، ٣٠ ، ٣١) نفسه : ص ١٢٤ ، ١٤٥ ، ١٠٦ .

(٣٢ ، ٣٣) نفسه : ص ٣١٥ ، ١٤٣ .

(٣٤ ، ٣٥) نفسه : ص ٨٥ ، ٢٥٥ .

(٣٦) انظر هذا الفصل فى فقه اللغة وسر العربية : ص ٣١١ ، ٣١٢ .

وقال نفطويه : الصبابة : رقة الشوق ، والعشق : رقة الحب ، والرأفة : رقة الرحمة . وقال أبو عبيد فى الغريب المصنف : سمعت الأصمعى يقول : الرَّبْع هو الدار حيث كانت ، والمرْبَع : المنزل فى الربيع خاصة ، والمَصْاف : المنزل فى البلاد ، والضياع ، والمنتجع : المنزل فى طلب الكلأ . الفم : واحد الأفواه للبشر وكل حيوان ، والأفواه الأزقة خاصة ، واحدها فُوهة ، مثال حمزة ، ولايقال فم ، قاله الكسائى .

وفى الجمهرة : فُوّهة النهر : الموضوع الذى يخرج منه ماؤه ، وكذلك فُوّهة الوادى ، قال : وأفواه الطيب واحدها فوه .

وفى الجمهرة : الفحيح من كل حيّة ، وهو صوتها من فيها ، والكشيش للأفعى خاصة ، وهو صوت جلدها إذا حكت بعضه ببعض .

وفى مقاتل الفرسان لأبى عبيدة : السُّهر فى الخير والشر ، والأرق لايكون إلا فى المكروه وحده[٣٧] » .

ومما يخفف من هذا المأخذ أن الثعالبى نفسه صرح بعدم الاستقصاء فى بعض فصول كتابه كما ذكرنا آنفا فى منهجه .

٣ ـ ذكره اللفظ مع مايفيد أنه مطلق ثم إعادة ذكره فى مكان آخر مع مايفيد أنه مقيد ، كقوله : « جذر كل شىء : أصله ، ومثله الجِذْم[٣٨] » .

وقوله بعد ذلك : « الشِّنْخ : أصل السنّ ، وكذلك الجذم[٣٩] » .

ولعل ذلك مردّه إلى نقله عن غير واحد من أئمة اللغة ، فالقول الأول ذكره من تعليقاته عن أبى بكر الخوارزمى أستاذه .

٤ ـ إشارته أحيانا إلى بعض الشواهد من القرآن الكريم والشعر دون ذكره ، كما مرّ فى حديثنا عن منهجه .

هذه بعض الملاحظات التى بدت لنا وهى لاتغض من قيمة الكتاب وجهد صاحبه فيه .

رحم الله أبا منصور الثعالبى وجزاه خير الجزاء جزاء ماقدم من خدمات للغة القرآن الكريم .

---

(٣٧) المزهر : ٤٣٤/١ .

(٣٨) فقه اللغة وسر العربية : ص ٤٤

(٣٩) نفسه : ١١٧ .

من المناظرات بين النحاة والفقهاء

بقلم
الدكتور
جمال عبد العزيز أحمد

الحمد لله وحده ، وصلاة وسلاماً على من لا نبى بعده .. وبعد

فإنه من غير شك أن للنحو دوراً أساسياً وغير منكور فى كشف معانى النص الشرعى ، إذ النحو أصل من أصول الدين ، ومعتمد من معتمدات الشريعة ، وما كان لباحث يتصدى للنظر فى القرآن الكريم والكتابة عنه أن يستقيم له فيه رأى ، أو يصح له حكم إلا أن يكون فقيها فى العربية ، ذلك لأن منزلة النحو من العلوم اللسانية منزلة الدستور من القوانين الحديثة ، هو أصلها الذى تستمد عونه ، وتستلهم روحه ، وترجع إليه فى جليل مسائلها وفروع تشريعها ، فلن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو ، أو يستغنى عن معونته ، أو يسترشد بغير نور هداه .

قال أبو هلال العسكرى : « ومما اختص به علم العربية من الفضل أن كل علم يفتقر إليه ، ولهذا تنافس فيه جلّة العلماء ، وأعاظم الفقهاء » .

(*) الكاتب : مدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

واحتياج الفقيه للنحو ظاهر للمقلد فى عدة أبواب كالأقارير والطلاق والعتق ونحوه ، وللمجتهد فى كل باب ، لأن النحو من جملة شروط المجتهد المطلق .

وتعلم النحو ومعرفته ضرورى فى تعلم الشريعة — كما يقول ابن خلدون — لأن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة .

هذا وقد سجلت لنا كتب التراجم والطبقات والأحاجى والألغاز بعض المناظرات التى دارت بين النحاة والفقهاء نورد بعضها حتى يتضح اهتمام سلف الأمة بعلم النحو تعلما وتعليما .

والمناظرة اصطلاحاً : تردد الكلام بين شخصين ، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله ، وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل منهما فى ظهور الحق. واللفظ مأخوذ من الرباعى « ناظر يناظر » مناظرة .

المناظرة الأولى :

بين الإمام أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ، ورد فيها أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : حدثنى سلمة عن الفراء قال :

كتب الرشيد فى ليلة من الليالى إلى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة : أفتنا — حاطك الله — فى هذه الأبيات :

فإن ترفقى ياهند فالرفق أيمن ... وإن تخرق ياهند فالخرق أشأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ... ومن يخرق أعق وأظلم
فبينى بها إن كنت غير رفيقة ... وما لامرىء بعد الثلاث مقدم

فقد أنشد البيت «عزيمة ثلاث» بالرفع ، «وعزيمة ثلاثا» بالنصب ، فكم تطلق بالرفع ، وكم تطلق بالنصب ؟ قال أبو يوسف : هذه مسألة فقهية نحوية ، إن قلت فيها بظنى لم آمن الخطأ ، وإن قلت : لا أعلم قيل لى : كيف تكون قاضى القضاة وأنت لاتعرف مثل هذا . قال أبو يوسف : ثم ذكرت أن أبا الحسن على بن حمزة الكسائى معى فى الشارع فقلت : ليكن رسول أمير المؤمنين بحيث يكرم ، وقلت للجارية : خذى الشمعة بين يدى فدخلت على الكسائى وهو فى فراشه ، فأقرأته الرقعة . فقال لى : خذ الدواة واكتب : أما من أنشد البيت بالرفع ، فقال :

«عزيمة ثلاث» فإنما طلقها واحدة . وأبانها أن الطلاق لايكون إلا بثلاثة ، ولاشيء عليه .

وأما من أنشد «عزيمة ثلاثاً» فقد طلقها وأبانها ؛ لأنه كأنه قال : أنت طالق ثلاثاً .

قال أبو يوسف : وأنفذت الجواب ، فحملت إلى آخر الليل جوائز وصلات ، فوجهت بالجميع إلى الكسائي .

تعقيب على المناظرة :

هنا ملاحظة على السؤال ، ذلك لو أن السائل اكتفى فى سؤاله بإيراد البيتين الأولين من قول الشاعر ، وترك البيت الأخير لكان أقوى فى توجيه السؤال لمعرفة مراد القائل عن طريق النحو وما يحمله الإعراب من دلالة فى توجيه المعنى ؛ لأن قوله فى البيت الأخير :

فبينى بها إن كنت غير رفيقة ... وما لامرىء بعد الثلاث مقدم

نص فى مراده ، وأنه قصد وقوع الطلاق ثلاثا ، ولهذه النكتة أخر ابن هشام البيت الثالث بعد أن ناقش القضية فى البيتين قبله ؛ لأن ذكر البيت الأخير فى السؤال يجعل معرفة المتكلم واضحة .

هذه المناظرة وقف النحويون أمامها كثيراً ، وكانت لهم فيها آراء وتوجيهات متعددة ، وامتدت تخريجاتهم الى كل كلمة فيها ، ولم تقف عند قوله : «ثلاث» رفعا ونصبا ، حتى أفردها بعضهم ببحوث ورسائل :

● فابن هشام يستدرك على الكسائى بأن الصواب أن كلا من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ، ولوقوع الواحدة ، وذلك إنما يكمن فى نوع «أل» فى قوله «والطلاق» أجنسية هى أم عهدية فإذا جعلناها لمجاز الجنس كانت رواية الرفع كما تقول : «زيد الرجل» ، أى هو الرجل المعتد به ، ولاتكون للجنس الحقيقى لئلا يلزم الإخبار عن العام بالخاص ، كما يقال : «الحيوان إنسان» ، وذلك باطل ؛ إذ ليس كل حيوان إنساناً ، ولا كل طلاق عزيمة ولاثلاثاً .

وإما أن يكون «أل» للعهد الذكرى ، مثلها قوله ـ عز وجل : ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ المزمل/١٦ ، أى الكلام المذكور عزيمة ثلاث .

● وأما النصب فعلى أنه مفعول مطلق ، وحينئذ يقتضى وقوع الطلاق الثلاث ؛ إذ المعنى فأنت طالق ثلاثاً ، ثم اعترض بقوله : والطلاق عزيمة ، أو أن يكون حالا من الضمير المستتر فى «عزيمة»

وحينئذ لايلزم وقوع الطلاق الثلاث ؛ لأن المعنى : والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثا ، فإنما يقع مانواه . هذا مايقتضيه معنى اللفظ مع قطع النظر عن شيء آخر ، لكن الطلاق الذى أراده الشاعر هو الثلاث ، بدليل قوله : «فبينى بها» .

فابن هشام وافق الكسائى فيما ذهب اليه ، وأضاف توجيهات أخرى فى إعراب الكلمة أفادت فى زيادة المعنى ، وكل من الكسائى وابن هشام قد وجها المعنى وفق مقتضى الإعراب أو وجهوا الإعراب بمقتضى مايكون له من دلالة فى المعنى ، فأبو يوسف لاحظ منذ البداية أن المسألة نحوية فقهية كما أن جواب الكسائى كان على ذلك ، فهو يصدر حكماً فقهيا بما أدى اليه معرفته لموقع الكلمة وما هى عليه من حركة إعرابية . وما دام الأمر فى المسألة قائما على التوجيه فهو مقبول ؛ لأن التوجيه هو الآخر قائم على الاحتمال .

وفى «حاشية الشيخ محمد الأمير» على «مغنى اللبيب» نرى دفاعا عن أبى حنيفة ضد الكمال بن الهمام على ابن هشام بأنه قد جهل بمقام الاجتهاد الذى يستلزم التعاون بين العلماء خاصة إذا كان المقام يحتمل ، وكون أبى يوسف استفتى الكسائى فلا يدل على أن أبا يوسف يجهل الإجابة ، إنما يريد التأكد من صحة الفتوى ؛ لأنه يتوقف عليها حلال وحرام ، فلابد من المشاورة إذ مقام الاجتهاد والإفتاء يقتضى ذلك ، قال الشيخ الأمير :

قيل : الصواب أن السؤال من الكسائى لمحمد قلنا : تعدد الواقعة ممكن .

وشنع الكمال بن الهمام على المصنف (أى ابن هشام) بأنه جهل بمقام الاجتهاد ، فإنه يستلزم معرفة أساليب الكلام ، فلا يحتاج أبو يوسف إلى مراجعة الكسائى ، قلنا : هذا من تعاون العلماء ومشاركتهم خصوصا أهل دولة واحدة ، بل عين إمامه أبى يوسف وكاله ، حيث لم يستقل برأيه مع عدم احتياجه ، وهكذا شأن السلف ، ولعمرى الكسائى أحد القراء السبعة وإمام العربية يتكلم معه فى مثل هذا» .

ويبقى أنها مناظرة دارت بين النحاة والفقهاء ، وكان النحو هو الكاشف لمعنى النص الفقهى ، والذى وجه الفتاوى ، واستقرت به الفتيا .





للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي
ـ رحمه الله ـ

هو العلامة المحقق الكبير محمد فؤاد عبد الباقي بن صالح بن محمد .

ولد هذا العبقري في شهر مارس (آذار) سنة ١٨٨٢ اثنتين وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد ، الموافق سنة تسع وتسعين ومائتين وألف للهجرة المشرفة .

كان أبوه ـ رحمه الله ـ يقطن بلدة « ميت حلفا » من أعمال مديرية القليوبية بمصر المحروسة ، وأصله من بلدة « قمن العروس » من أعمال الواسطى بالصعيد الأوسط .

وكانت أمه ـ رحمها الله ـ من بلدة « برنبال » مركز دكرنس ـ بمحافظة الدقهلية ، وهي بلدة (علي باشا مبارك) وزير المعارف ومنشىء دار الكتب المصرية ودار العلوم . ثم تحولت الأسرة عن ميت حلفا بعد ذلك إذ أخذت تضرب في الأرض في الأحياء الشعبية المصرية من حي « الماوردي » إلى حي « البغالة » إلى حي « شبرا » بالقاهرة .. هذه الأحياء التي كانت تحفل بأبناء المصريين الكادحين ، ويبدو المجتمع المصري فيها بكل أصالته وعاداته المعروفة .

والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي لم يستقر على دراسة مألوفة منتظمة ، بل كانت دراساته كلها حرة غير منتظمة ، فلم تلزم سمتا معروفاً ، لأنه لم يكن متقيداً فيها بمنهج مرسوم ، ولا بجدول محفوظ إنما كان يدرس ما يروق له من المعارف ، ويحصل ما يراه نافعاً مفيداً من العلوم .

والحقيقة التى يجب أن تكون جلية واضحة أن العبرة فى التلقى العلمى ليست أساساً بالدراسة المنظمة بقدر ما هى بالإقبال والنهم والشغف بالعلم ، إذ أن كثيراً من المنتظمين تقعد بهم المهمة ، ويقصر بهم الأمل ويتقاعس بهم الطموح فلا ينالون شيئاً ؛ فإذا اجتمعت الهمة مع النظام كان لهما نتاجاً مرموقاً ؛ فالرغبة فى العلم ــ هى أساساً ــ سبيل التفوق والازدهار والتبريز ، مهما توعرت الظـــروف ، وتعقـــدت الأمـــور ، واحلولكت الليالى الدهماء .

أقبل محمد فؤاد عبدالباقى على العلم إقبالاً منقطع القرين والنظير ، ثم عمد إلى التدريس بإحدى المدارس الحرة ، ثم انتقل إلى بعض المدارس الأميرية فى ذلك الوقت ، وكان يرافقه فى رحلة التدريس هذه زميلان من أحب أصدقائه إليه هما : الأستاذ صادق عنبر الأديب المعروف ، والأستاذ اللغوى الثبت عبدالله أمين . رحمهم الله جميعاً .

ثم ضاق محمد فؤاد عبدالباقى بالتدريس ؛ إذ كان ملولاً بطبعه ، لا يحب التقييد ، فانصرف عنه واشتغل بالبنك الزراعى المصرى سنة ١٩٠٥ خمس وتسعمائة وألف ، وظل يعمل به على مدى ثمان وعشرين سنة ، أى حتى سنة ١٩٣٣ ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف .

فلما تحول هذا البنك إلى الحكومة أخذ منه مكافآته فى نهاية هذه الخدمة ثم تركه ، وأشاح عن هذه الوظيفة ، ولم يعد إليها مرة أخرى .

إلا أن حبه للعلم والثقافة أبى إلا أن يكون موصولاً به على أية صورة من الصور ، وعلى أى وجه من الوجوه ، فعمد إلى فتح مكتبة للنشر ، وعمل هو نفسه مديراً لها فترة من الزمن ، وربما استغرق ذلك وقتاً طويلاً ، وقد كان هذا الصنيع خيراً وبركة عليه وعلى العلم إذ انطلق بهمة قوية مشحوذة وعزيمة فولاذية مطرورة إلى خدمة القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة بقوة وقدرة لا تعرف الملل ولا الكلال ولا السآمة .

وقد عاش طرفا من حياته فى الـــروضة بالقاهرة ، ثم انتقل منها إلى الجيزة ، حيث أقام فى جزء من عمارة على شاطىء النيل ، وقد ظل فى هذا المكان إلى أن توفى ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ فى الثانى والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٦٨ ثمان وستين وتسعمائة وألف للميلاد ، الموافق سنة ١٣٨٨ ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة .

تزوج المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى سنة ١٩١٠ عشر وتسعمائة وألف ، وقد رزقه الله بخمسة أبناء : ثلاثة رجال أكبرهم : « عز الدين » ، وهو يعمل موظفاً بالشهر العقارى ، والثانى : « جمال الدين » موظف بالأسلحة والمهمات ، والثالث : « عبدالباقى » وهو موظف بالشهر العقارى .

وله بنتان : إحداهما تعمل بالتفتيش العام للرياضة البدنية بوزارة التربية والتعليم ، والأخرى الأستاذة « عفاف » وهى مديرة كلية النصر بالمعادى (فكتوريا سابقاً) .

وقد حدث صديقه وخدينه وخليله المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى عن أبنائه حديثاً طيباً فى لقاء تم بينهما فى بيته يوم ستة وعشرين من شهر مايو سنة ١٩٦٤ أربع وستين وتسعمائة وألف .

وفى الحديث الذى دار بينه وبين الدكتور أحمد الشرباصى ذكر له أنه كان تلميذاً للمرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » ، وصاحب تفسير « المنار » الذى أعده من دروسه المستفادة من الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله - .

وذكر فؤاد أيضاً أنه كان تلميذاً للعلامة المحقق الكبير أحمد محمد شاكر .

وقد كانت صلته بالسيد محمد رشيد رضا قد بدأت سنة ١٩٢٢ اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف ، وقد استمرت هذه الصداقة والأخوة حتى توفى رشيد رضا - رحمه الله - فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ خمس وثلاثين وتسعمائة وألف .

وعزا سبب هذه الصداقة كما ذكر للدكتور أحمد الشرباصى إلى أن مطبعة المنار كانت أصدرت رسالة عن الاحتفال بذكرى الإمام الشيخ محمد عبده ، فذهب الأستاذ محمد فؤاد لشراء هذه الرسالة من مكتبة المنار ، وكان وقتذاك موظفاً بالبنك الزراعى ، ولم يكن قد مارس النشاط التأليفى البحثى فى ذلك الوقت . وفى مكتبة المنار تعرف إلى الأستاذ عبد الرحمن عاصم ، وهو ابن عم السيد محمد رشيد رضا ، وكان تعارفاً طيباً كريماً .

وفى إحدى زياراته لمكتبة المنار التقى - عن قدر لله - تعالى - بالسيد محمد رشيد رضا ، فأعجب فؤاد بذكاء الرجل وسعة أفقه ، وغزارة علمه ، وقد أرشد رضا فؤاد إلى جملة من الكتب ليقرأها ... وكانت عرى المودة قد توثقت بينهما

وأصبح يوم الأحد من كل أسبوع - وهو يوم إجازة محمد فؤاد من البنك الزراعى - عيداً لكونه موعداً مضروباً للقاء السيد رشيد ، حتى ينهل من علمه وفقهه وإرشاده وتوجيهه .

ولعل السبب الذى جعل « محمد فؤاد » متمسكاً بصلته وصداقته وتلمذته للسيد رشيد ، وهو كونه امتداداً وصورة مكرورة من أستاذه المرحوم الشيخ محمد عبده ، وكان الناس يرونه خلفاً للإمام .

* * *

ثقف الأستاذ محمد فؤاد نفسه بنفسه ، وعلم نفسه بنفسه ، حتى أنه برّز وتفوق على كثير من أترابه وأضرابه الذين كانت أحوالهم وظروفهم أنسب من أحواله لكنهم لم يبلغوا شيئاً مما بلغ هو ، ولم يقدموا أثراً يوازى معشار ما قدم وأسدى للمكتبة الإسلامية .

وحسبه أنه درس وتعمق فى اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية ، وقد ظل ردحاً طويلاً من الزمان ينهل من معين الأدب العربى ، وقبل ذلك كله كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، ثم نهل من كتب التفسير الكبرى المعروفة ، وكذا كتب الحديث والفقه والأصول .

* * *

أما حياة الرجل فقد كانت شديدة العجب والغرابة كان يسمى : صائم الدهر . إذ كان يصوم العام كله لا يفطر فيه إلا يومين هما : عيد الفطر ، وعيد الأضحى .

وكان غذاؤه نباتياً فلم يرغب فى الغذاء الحيوانى ، بل كان صادفاً عنه تماماً ، وقد كان يشترى أول كل شهر ثلاثين علبة من المحفوظات دفعة واحدة ، وهى تحتوى على جميع أنواع الخضروات المحفوظة .. ويصوم بغير سحور ، إذ كان يتناول وجبة واحدة كل أربع وعشرين ساعة ، ويبدأ فطوره بملعقتين من العسل الأبيض ، ثم علبة اليوم من البازلاء ، أو الفاصوليا ، أو اللوبيا ، ثم الزبادى ، ثم الفاكهة ، وفنجان القهوة كل ذلك بعد أذان المغرب . وهذا ما ذكرته ابنة أخيه الكاتبة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد عبدالباقى بتصرف .

ثم تقول د. نعمات : وفى الساعة العاشرة تماماً يشرب كوباً من الماء ، وبهذا تنتهى صلته بالطعام والشراب حتى مغرب اليوم التالى .

كان فؤاد عبد الباقى محافظاً على بزته وزيه الذى يتكون من حلة فرنجية كاملة صيفاً وشتاء ، وكما تذكر ابنة أخيه : كان لا يستطيع حَرُّ الصيف أن ينحى عنه رباط العنق الكرافت أو الدبوس ، كما لا تستطيع مواصفات العصر أن تمس المنديل الأبيض فى جيبه ، أو الطربوش القانى على رأسه ، أو العصا الأنيقة فى يده .

وكان من طيب عاداته ، ومبرور وفائه وجميل شيمه أنه كان يخصص يوم الجمعة لزيارة أخته التى يذهب إليها فى الصباح ولا يعود إلى داره إلا فى العاشرة مساءً .

• • •

ولئن كان صيام الدهر أو الوصال فى الصوم ورد فيه ما يمكن أن يفهم منه النبى عنه لأن فيه من العنت والمشقة ما فيه ، ولاسيما مع تقلبات الأيـــــام والفصــــول إلا أن أن الرجل كان متمسكا به طوال حياته حتى وفاته .

ولا أعتقد أن المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى ــ وهو عالم السنة البحاثة ــ يغيب عنه ذلك لكنه كان فى اعتقادى متأولا (وهذا أغلب ظنى) .

كان محمد فؤاد ــ رحمه الله ــ حديد العزيمة ، صليب القدرة لما بدا من بنيانه الجسدى وتكوينه البدنى .. فضلا عن تكوينه النفسى المكين مما يجعل شعوره بالإرهاق محدودا للغاية إن لم يكن معدوما تماما .

ولئن كانت هذه الظاهرة طفرة غير معهودة ، فى عصرنا ، لم نسمع بها ، ولست معتقدا أن أحدا يقدر عليها مهما كان جلدا قويا ، لكن هذه الطبيعة تدلنا على قدرة فائقة رهيبة على السيطرة التامة على النفس والوجدان ، كما أنها تدل على روحانية فائقة إذ إن الروح تسامى وتبلغ غاية رقيها وصفائها بالصيام المبرور .

ولا شك فالصائم فى معية الله وكلاءته ورعايته فى كل روحاته وغدواته ، وهذا دليل على صفاء النفس ، وسلامة الصدر ، وطهارة الفؤاد ، ونقاء الدخيلة ، وحسن الطوية ، فالنفحات الإلهية تترسل وتتسائل من مجاديف الرضوان ، والله سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء من عباده .

• • •

أما الكتب المؤلفة والمحققة والفهارس التى عملها فهى جميعا شواهد عدل وصدق على إخلاص الرجل وقوة عزيمته ، ومضاء صريمته .

ولا أعتقد أن هناك باحثاً أو عالما يشتغل بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولا يوجد على مكتبه أمام ناظريه « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » و « مفتاح كنوز السنة » ، والفهارس التفصيلية المسماة بـ « تيسير المنفعة بكتابى : مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » .

ومهما كان الباحث العالم حافظاً لكتاب الله ، أو محيطا بسنة وأحاديث رسول الله ﷺ فإنه لا يمكن أن يستغنى عن هذه الكتب والفهارس المعجمية الدقيقة التى لم يكن ليتوفر عليها وليعدها غير فارسها الأحوس ، وبطلها المغوار وابن بجدتها محمد فؤاد عبد الباقى الذى ذهب بصره بسبب عمله المتواصل المضنى الشاق ؛ حتى كف بصره تماما ومات وهو ضرير ، ولذلك فإنه مأجور إن شاء الله ـ تعالى ـ على قدر عمله الطيب واحتسابه المبرور .

مؤلفاته وتحقيقاته

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وقد طبع لأول مرة سنة ١٣٦٤ هـ ، سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف للهجرة بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهذا الكتاب النفيس يجمع الألفاظ القرآنية ، مُرتِّبا موادها حسب أوائلها ، فثوانيها ، فثوالثها ، وهلم جرا . يضع الكلمة وأمامها الآية أو الآيات بأرقامها من السورة ، وكذا رقم السورة التى وردت فيها ، والتنبيه على المكى والمدنى منها .

كان هذا العمل جهداً خطيراً ، وليس عملاً فطيراً ، ولم يكن ليقوى عليه إنسانٌ من تلقاء نفسه لولا لطف الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومعونته .

ولم يكن سهلًا ولا ميسوراً عمل فهرسة معجمية على هذا الجانب من الدقة والتحقيق ، إذ كان لابد من التوفر والتعمق فى دراسة محاولات السابقين فى هذا المجال ، ولذلك فقد كان عبد الباقى ـ رحمه الله ـ قد قرأ كل ما سبق فى هذا المضمار قراءة متأنية فاحصة ، وعلى سبيل الذكر كتاب « مفتاح كنوز القرآن » وكتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الألمانى « فلوجل » ، وكتاب : « فتح الرحمن » وغير ذلك من الكتب الموضوعة على هذا النسق .

ولعل كتاب فلوجل الألمانى ، كان رائدا له ، هادياً ومرشدا للطريق .

لكن عساك تقول أيها القارىء وأنت مأخوذ مندهش : وماذا ترك فلوجل من زيادة لمستزيد ؟ أفليس هو صاحب هذه الفكرة ومنفذها ، وصاحب الفضل الأول فى نشرها ؟ .

أقول : حقاً إن الأول لم يترك للآخر شيئاً ، وقد كان صعبا علينا أن يقدم ذلك الرجل الألمانى غير العربى غير المسلم كتابا مثل هذا الكتاب ، فما أحرانا وما أولانا نحن المسلمين والعرب بتحقيق هذه الصنائع لكن الأشد صعوبة ، والأكثر شكاية أن نكون نحن أنفسنا ساكتين تماماً لا نحرك ساكنا .

وليس ثمّ بشرٌ معصومٌ من خطأ ، فإن كتاب فلوجل لا يخلو من أخطاء ظاهرة ، أو مستورة أحياناً ، وفى هذه الحالة يكون السكوت عن هذه الملاحظات ، وعدم فحصها والاستدراك عليها بالتصحيح والتصويب ـ تقصيرا فاحشاً لا

مبرر له ، إذ إن مسايرته على أخطائه يعتبر إهمالا مرفوضاً لا يليق بعلماء المسلمين .

من ثم كان جهد العبقرى المفتح بتوفيق الله محمد فؤاد عبدالباقى - رحمه الله - فقد استدرك على فلوجل ، وراجـــع مواده مادة مادة ، وعرضها جميعا على معاجم اللغة ، وتفاسير علماء التفسير واللغة ، ثم كر على دراسة مواده ، ثم وضع كل واحدة فى موضعها الصحيح بعد إعادة الترتيب الذى اقتضاه الوضع الصحيح ، وبموجب الإرشاد اللغوى والتفسيرى .

وكان أمراً عادياً أن يخطىء فلوجل فى اشتقاق عشرا من المواد اللغوية ، أو الكلمات اللغوية عند ردها إلى موادها الأصلية ... فأخذ عبدالباقى على عاتقه تصحيح هذه الأخطاء وعالجها علاجاً شافيا ..

كان عبد الباقى متأثرا بطريقة الزمخشرى فى معجمه « أساس البلاغة » ومعجم « المصباح المنير » للفيومى ، ومدارها فى الفهرسة والترتيب على طريقة ترتيب أصول الكلمات على حسب أوائلها ، فثوانيها ، فثوالثها .

ابتدأ المادة بالفعل المجرد المبنى للمعلوم ، فالماضى فالمضارع فالأمر ، ثم المبنى للمجهول من الماضى فالمضارع ، ثم المزيد المضعف ، فالمزيد بحرف فأكثر .... الخ ... ثم يتبع ذلك باقى المشتقات مبتدئا بالمصدر ، ثم اسم الفاعل ، فاسم المفعول ، ثم باقى الأسماء تباعا ..... وهلم جرا ..

● ● ●

- ثم قام فؤاد عبد الباقى بترجمة كتاب : « تفصيل آيات القرآن الحكيم » وكان موضوعاً بالفرنسية لمؤلفه « جول لابوم » .

- ثم تجلت عبقرية الرجل فى خدمته للسنة النبوية المطهرة فى إعداده كتاب « مفتاح كنوز السنة » وهذا الكتاب بمثابة معجم مفهرس عام مفصل للكشف عن الأحاديث النبوية المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر .

هذا المعجم كان موضوعاً باللغة الإنجليزية للمستشرق الهولندى الكبير « ا.ى.فنسنك » أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن .

وقد كان ولايزال العلماء والباحثون الدارسون فى مسيس الحاجة إلى هذا المفتاح تيسيراً لعملهم ؛ بل وتوفيراً للوقت والجهد والمشقة .

فرغ الأستاذ محمد فؤاد من صنع هذا الكتاب - بهذه الصورة التى نراها بين أيدينا - يوم الجمعة لخمس عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق السابع والعشرين من شهر يوليو سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد .

- ثم كان كتابه : « تيسير المنفعة بكتابى : مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » .

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وهذا ليس نسخة مكررة من كتاب الشيخ حبيب الله الشنقيطى المسمى بـ « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » لكن فؤاد عبد الباقى زاد زهاء خمسمائة حديث على ما فى « الزاد » كانت فاتت الشيخ الشنقيطى - رحمه الله - .

كذا نشر الأستاذ فؤاد « معجم غريب القرآن» ونشر موطأ مالك محققا مشروحاً مضبوطاً فى جزأين وسنن ابن ماجه فى جزأين أيضا ، وصحيح مسلم فى أربعة أجزاء ، وجعل الخامس خاصا بالفهارس العلمية الدقيقة .

كما أخرج : « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » .

فضلًا عن إشرافه على تصحيح وتحقيق تفسير : « محاسن التأويل » للقاسمى ، وهو يقع فى سبعة عشر جزءاً .

كذا خرج آيات وأحاديث كتاب « شواهد التوضيح » و « الأدب المفرد » .

وعلى أى حال فهذه جملة من مؤلفاته وتحقيقاته وتصحيحاته الظاهرة الفضل بين ظهرانينا : ـ

ـ قرة العينين فى أطراف الصحيحين « خمسة أجزاء » .

ـ جامع مسانيد صحيح البخارى « ستة أجزاء » .

ـ جامع الصحيحين .

ـ دستور المسلمات المؤمنات : مالهن وما عليهن من كتاب الله والحكمة .

ـ كما كانت له بعض المقالات والبحوث المنشورة فى بعض المجلات ، مدارها فى الغالب على القرآن الكريم ، وعلى السنة النبوية المطهرة .

لذلك كان محمد فؤاد عبد الباق من أحق الناس ، وأجدرهم بالتقدير والإكبار ، ذلكم الرجل الذى لم يتخرج فى جامعة ، ولم يحصل على شهادة عالية ، لكن بإخلاصه وإتقانه ، وإصراره على النجاح والتفوق ، قدم للعلم والعلماء ما لم يستطع أحدٌ من الأعلام تقديمه سواء من الجامعة أو من خارج الجامعة .

رحم الله محمداً ـ رحمة دائمة موصولة ـ ، وجعله من المقربين الأطهار ، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة ، والحمد لله رب العالمين ..



شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

٣

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يُورِدُ أبو منصور الثعالبي في الثمرة الرابعة والتسعين من كتابه : (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)[1] قول جرير :

إني لَيُلقى عليَّ الشعرَ مكتهلٌ   من الشياطين إبليسُ الأباليس

ثم يعقِّب الثعالبي على ذلك ، بقوله : « وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن ـ يعني الشعراء ـ أن ذكروا لهم ـ أي للشياطين ـ أسماء .. فقالوا : إن اسم شيطان الأعشى (مِسْحَل) ، واسم شيطان الفرزدق (شِيقْناق) .. وفي مسحل يقول الأعشى :

وما كنت ذا قول ، ولكن حَسِبْتُني   إذا (مسحل) يبرى لي القول أنطق
خليلان فيما بيننا من مودة   شريكان : جِنِّيٌّ وإنس مُوفَّق

وقال يذكره :

حَبَانِي أخي الجِنِّيُّ ـ نفسي فداؤه ! بأفيح جيَّاشِ العشيات مُرْجم .

(والأفيح : الواسع .. أراد سعة خطوه ، والمُرجم : الذي يرجم الأرض بشدة وقع حوافره) .

وقال حسان بن ثابت (قبل إسلامه) :

إذا ما ترعرع منا الغلام   فليس يُقال له : من هُوَه
إذا لم يَسُدْ قبل شدِّ الإزار   فذلك فينا الذي لا هُوَه
ولي صاحب من بني الشيصبان   فحينا أقول ، وحينا هُوَه

« وشيصبان » ، « شيقناق » : رئيسان عظيمان من الجن ـ بزعمهم ولما ادَّعى بشار أن شيقناق يرغب في مصاحبته ومعاونته ، قال :

(١) تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله ، ط دار المعارف سنة ١٩٨٥ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

دعاني شيقاق إلى خلف بكرة فقلت اتركاني فالتفرّد أحمد[2]

يقول : أحسن لي في الشعر ألا يكون [لي] عليه مُعين .. فقال أعشى بني سليم ، يرد عليه :

إذا ألف الجنيُّ قِردا مُشنّفا فقل لخنازير الجزيرة .. أبشري ![3]

فجزع بشار لذلك ، كجزعه من قول حمّاد عجرد فيه :

ويا أقبح من قرد إذا ما عَمِيَ القردُ !

لأنه ـ أي بشار ـ كان مع تغزُّله ـ قبيح الوجه كأنه وجه قرد .

* * *

وفي زعمهم أن مع كل شاعر شيطاناً ، يقول أعشى بني سليم :

وما كان جنّيُّ الفرزدق قدوة وما كان فيها مثل فحل المُخبَّل
وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مِسحل

ويقول آخر :

إني وإنْ كنتُ صغيرَ السنّ وكان في العين نُبُوٌّ عني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

* * *

وقد تأثر شوقي في العصر الحديث بهذا الزعم ، فأورد في المنظر الأول من الفصل الرابع بمسرحيته (مجنون ليلى) التمهيد التالي : « حول ديار بني ثقيف ، في قرية من قرى الجن ، حيث اجتمعت طائفة منهم في شكل إنسيّ جميل الثياب ، يرتدي الحرير من فرعه إلى قدمه ، وعلى رأسه عقالان من الحرير المُحلّى بالذهب ، هو (الأموي) شيطان قيس ، الذي يبري قائلا :

بني الجن في أرضكم عابرٌ من الإنس يرسف في عثره
فغالوا به واعلموا أنه فتى تِيه الشعرُ من قدره

« عبيد »
وأين ترى هو ؟
(آخر) : ماذا يكون ؟
الأموي : وماذا يهمك من أمره ؟

ألم تعلموا أن لي صاحباً من الإنس أحكَمُ في شعره

« عبيد »

أجل أنت توحي له ما يقول وتعذف ما شئت في فكره

* * *

(2) والبكرة : الفتية من الإبل ، دعاه ليردفه خلفه .

(3) مشنف : أي في أذنه الشنف : وهو القرط .

ولعل كل ما قدمناه عن شياطين الشعراء ، لا يقاس بما كان للشاعر أبي نواس ، بصفة خاصة ، من تراده عجيبة مع كبيرهم (إبليس) ، كأنه كان على صلة وثيقة مباشرة به ، لمعرفته بخصاله الشريرة ، التي توافق هواه .. حتى لا يستحي أن يذكر ذلك علانية ، فيقول متحببا له ، متجاوبا معه ، مشيدا به :

لم نرض إبليس الظريف فعالنا حتى أعان قيادتنا بفساد

وكأنما كان الشاعر الذى قال :

وكنت فتى من جُند إبليس ، فارتقتْ بِيَ الحال ، حتى صار إبليس من جندى !

كأنما كان هذا الشاعر ينطق بلسان أبي نواس نفسه ، وكيف لا ؟ ، وقد بلغ الأمر بأبي نواس ، أن يتوعّد إبليس ـ قرينه ومعينه على الفساد ، بأن إبليس إنْ لم يستجب لما يطلبه أبو نواس منه ، فسوف يندم إبليس على ذلك .. لأن أبا نواس يهدده بأنه سوف يقلب لإبليس ظهر المجن ، بالعودة إلى حظيرة الإيمان ، غير آبه أو ملتفت لإغوائه ، ورغبته في أن يظل أبو نواس ، من أتباعه ومريديه .. ويصور أبو نواس ذلك في قصيدته ، أو قصته الماجنة ، التي يقول فيها :

لما جفاني الحبيبُ وامتنعتْ عني الرسالات منه والخبرُ
واشتد شوق فكاد يقتلني ذِكرُ الحبيب والحلم والفكر
.. دعوتُ إبليس ، ثم قلت له في خلوة ـ والدموع تنحدر :
أما ترى كيف قد بُليتُ وقد أقْرَحَ جفني البكاءُ والسهر
إنْ أنت لم تُلْقِ المودة في قلب حبيبي ـ وأنت تقتدر !
لا قلتُ شعرا ولا سمعتُ غنا ولا جرى في مفاصل السُكر
فما مضتْ بعد ذاك ثالثة حتى أتاني الحبيب .. يعتذرُ !

أى أن إبليس اللعين ، يُسارع إلى إنجاز ما يريده منه أبو نواس ، حتى لا ينفذ تهديده له ، ومن ثم (يخسره) إبليس ، كتابع أمين له !!

* * *

وهذا يذكّرنا (بفاوست) للشاعر الإنجليزى كريستوفر مارلو (١٥٦٤م ـ ١٥٩٣م) المعاصر لشكسبير ، والأصل في شخصية « فاوست » ، كما يقول الدكتور محمد غنيمى هلال[٤] . أسطورة شعبية ألمانية ، مُوجزها أن عالما كيميائياً يسمى (فاوست) وُلد في أواخر القرن الخامس عشر ، وكان ميكُيرا كـولا ، حياته غامضة عجيبة .. وعلى الرغم من وجوده تاريخياً ، فقد حاكت الأساطير الشعبية حوله كثيراً من الأقاصيص ، فزعمت أنه كان له صلة قرابة بالشياطين ، وأنه كان ساحراً ، وله قدرة على مخاطبة الموتى . وقد وقّع بدمه عقدا مع الشيطان ، عاهده فيه أن يطيعه ، على أن يُرجع له الشيطان شبابه ، ويَرْوِى ظمأه إلى العلم ، والعرفان .. وكما قال شاعرنا عبداللطيف النشار ـ رحمه الله :

(٤) انظر كتابه (النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة) ، ط سنة ١٩٦٤ ، ص ٧٧ .

ظمئي إلى العرفان لا يُرْوَى وإنْ   أُنْزِفْتُ ماءَ الفكر في بحر الكتبْ

وتحكي بعض الأساطير(٥) . أن (فاوست) مات طريداً من رحمة الله عقابًا له ، كما جاء في مأساة فاوست لمارلو التي صدرت بعد وفاته في سنة ١٦٠٤م ، في حين تحكي أساطير أخرى ـ اعتمد عليها الشاعر الألماني جوته ـ أنه إنما باع نفسه للشيطان ، ليوحي إليه بمعرفة الحقيقة ، وأنه عصى الشيطان بعد ذلك فغفر له ، واهتدى إلى الحقيقة .. وصارت شخصية (فاوست) عالمية بفضل جوته ، وذلك بإصداره الجزء الأول من مأساة فاوست سنة ١٨٠٨م ، ثم نشر الجزء الثاني في العام التالي لوفاة جوته في الثاني والعشرين من مارس سنة ١٨٣٢م .

وأصبحت شخصية (فاوست) قالبا لتصوير الأفكار الفلسفية والمعاني الإنسانية في الأدب ، ومن مشاهير من عالجوا الموضوع بعد ذلك : بول فاليري ، ثم توماس مان(٦) . وقد أوحت شخصية الشيطان للشاعر الروسي ليرمونتوف (١٨١٤ ـ ١٨٤١) قصيدته الدرامية ذات الطابع الغنائي ، وهو فيها متأثر بالشاعر الإنجليزي بيرون ، في تصويره للشيطان بمسرحيته : السماء والأرض Heaven and Earth التي نشرت عام ١٨٢٤ ، وبالشاعر الفرنسي ألفريد دي فيني في قطعته الشعرية التي عنوانها « إلوا » ..

ويتمثل الشيطان عند الشاعر الفرنسي فيكتور هيجو ، مخلوقاً معذباً لأن الله تعالى ـ يفيض ، على كل المخلوقات خيراً ورحمة ونوراً ، والشيطان يحسد بني آدم لذلك ، لأن في عيونهم الأمل في الله . والخير في الله ، وفي قلوبهم الحب فيما بينهم(٧) .

* * *

وكما عصى فاوست الشيطان ، في مسرحية جوته ، وفاء إلى الإيمان واليقين عند هذا الشاعر فكذلك كان شأن أبي نواس ، في أخرياته .. حتى قال (أبو العتاهية) :

« سبقني أبو نواس إلى ثلاثة أبيات ، وددت أني سبقته إليها بكل ما نظمته ، فإنه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الذنب عفو   الله من ذنبك أكبرْ

وحينما تاب وأناب ، أنشد أبو نواس أثناء قيامه بأداء شعائر الحج :

إلهنا ما أعدلك   مليك كل من ملك

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٧) راجع المصدر السابق ص ٧٤ ، وبول فاليري شاعر فرنسي معاصر اشتهر بقصيدته (المقبرة البحرية) ، وتوماس مان قصصي ألماني حصل على جائزة نوبل في الأدب .

لبــيك قد لبّــيْت لك   لبــيك إن الحمــــــد لك
والملك لا شريك لك   ما خاب عبـــــــد سألك

وقال فى ختام حياته :

دب فىّ الفنـاء سُفْــلا وعُلْــوا   وأرانى أمـــــوت عضوا فعضوا
ذهــبت شرتى وجــدة نفسى   وتذكـــرت طاعـــــة الله نضوا
لهف نفسى على ليــال وأيّــا   م سلكتهـــــن لعبـــا ولهوا
قد أسأنـــا كل الإساءة يا رب   فصفحـا عنـا .. إلهــىّ وعفــوا

وقال :

أرانى مع الأحيــاء حيــا ، وأكثر   • على الدهــر ميْتٌ قد تخرَّمــه الدهــرُ
فيــاربِ قد أحسنتَ عودًا وبــدأة   إلىّ ، فلــم ينهض بإحسانك الشكــر
فمـــن كان ذا عذرٍ لديك وحجـــة   فعُــذْرى إقــرارى بأنْ ليس عُذْرُ

* * *

ونجد فى (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى حديثاً شائقا عن (جنّة الجن) ، إذ يقول ـ على لسان ابن القارح : إنها مدائن ليست كمدائن الجنة الإنسانية ، ويسأل ابن القارح شيخ الجن عن اسمه ـ وكان يجلس على باب مغارة ـ فيجيبه شيخ الجن : أنا (الخيتعور) من بنى الشيطان ، ولسْنا من ولد إبليس ، ولكننا من الجن الذين سكنوا الأرض ، قبل بنى الإنسان وكنيتى ، أبو هَدْرش ، ثم يثبت المعرى على لسان هدرش قصيدة يصف فيها كيف طُرد الجن من مكة بعد مبعث الرسول :

مكّــةُ أقْــوتْ من بنــى الــدرديس   فمـــا لجنّـــىٍّ بها من حسيس
وقـــام فى الصفـــوة من هاشم   أزهـــر لا يُغفـــل حق الجليــس
ويرجــم الــزانى ذا العُــرْس لا   يقبــل فيــه سُؤْلــةً من رئــيس
يَجْلِــدُ فى الخمــر ويشتــدُّ فى الـ   أمــر ، ولا يُطلــق شرب الكــيس[8]

والخمر عند البوذيين ، بل وعند أغلب الصينيين والهنود ، وسيلة الشيطان للإيقاع بالبشر وإلحاق الأذى بهم ، وتقول أسطورة صينية : إن الشيطان تقدم إلى رجل ، وقال له : إنك توشك أن تموت ، ولكن فى استطاعتى أن أنقذك بأحد شروط ثلاثة : إما أن تقتل خادمك ، أو تضرب زوجتك ، أو تشرب الخمر !

فأجاب الرجل : دعني أفكر في الأمر .. إن خادمي رجل أمين ، وزوجتي امرأة كريمة طيبة ، ومن العبث أن أفكر في ضربها .. إذن ، فاشرب الخمر !

وشرب الخمر ، وثمل .. فضرب زوجته ، ثم قتل الخادم حين حاول الدفاع عن الزوجة ![8] .

* * *

هذا ، وقد سبق أن ذكرنا في مقالنا الأول عن شياطين الشعر[9] . رأى ابن الجوزى في أن « الأنبياء جاءوا بالبيان الكافي ، وقابلوا الأمراضَ بالدواء الشافي ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف ، فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شُبهًا ، وبالدواء سمًّا » .

إلى أن يقول : « فرأيت أن أُحذِّر من مكايده ، وأدل على مصايده » .

ويقول في مقدمة كتابه (تلبيس إبليس) (ص ٣ ، ٤) محذراً من الشعر والشعراء : إلا أننا نجده يستثنى الغناء والإنشاد الديني من تحريمه ، فيقول : « وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا ، فمنهم من حرَّمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ، ومنهم من كرهه مع الإباحة ، وفصل الخطاب أن نقول : ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ، ثم يُطلق عليه التحريم أو الكراهة ، أو غير ذلك ، والغناء اسم يطلق على أشياء ، منها غناء الحجيج في الطرقات ، فإن أقواما من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون في الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم ، والمقام .. وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل ؛ فسماع تلك الأشعار مباح ؛ وليس في إنشادهم إياها مما يُطرب ويخرج عن الاعتدال[10] .

ـ وفي معنى هؤلاء : الغزاة ، فإنهم ينشدون أشعاراً يُحرِّضون بها على الغزو ، وفي معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للأشعار تفاخراً عند النزال .

ـ وفي معنى هذا أشعار الحداة في طريق مكة ، كقول قائلهم :

« بشَّرها دليلُها وقالا غداً ترين الطَّلْحَ والجبالا »[11] .

---

(٨) انظر عدد مجلة الهلال الصادر في مايو سنة ١٩٧٤ ، ص ٢٢ ، والكشمش : نوع من النبيذ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(١٠) المنشور بعدد ربيع الثاني سنة ١٤١٧ هـ من مجلة الأزهر الغراء .

(١١) انظر كتابه (تلبيس إبليس) ، ط سنة ١٣٦٨ هـ ، ص ٢٢٣ .



على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائي والتطور المتلاحق في الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من أهم روافد الإشعاع الثقافي ، ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق في نبذة مختصرة ـ تعريفا بأحدث ما في المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

إعداد الأستاذ
محمود الفشني



القصة القصيرة والحكاية
في الأدب الفارسي
دراسة ونماذج
د. عبد الوهاب محمود علوب



القصة القصيرة والحكاية
« في الأدب الفارسي »

تأليف الدكتور/ عبدالوهاب محمود علوب

الناشر .. الهيئة المصرية

تعد القصة القصيرة من أخصب ميادين الأدب الفارسي المعاصر الذي يُعد من دعامات الثقافة الإسلامية على مر قرون عديدة ، وتحتل الحكاية فيه مكانة بارزة سواء في الشعر أو في النثر ويعد الكتاب خليفة أدبية وتاريخية لتطور فن القص الموجز في تاريخ الأدب الفارسي .

وتحظى القصة القصيرة في العقود الأخيرة بشعبية كبيرة سواء لدى كتاب القصة أو قرائها .

يقع المؤلف في ٢٥٢ صفحة ، مقسم إلى سبعة أبواب :

فتحدث المؤلف عن القصة القصيرة والحكاية ، التي لم تكن تمثل فنا جديدا على الأدب المشرق حين وردت صورتها الأدبية مع مطلع

القرن العشرين ، ثم تحدث عن المقامة فى الأدب الفارسى .

وأشار إلى تطور الحكاية فى أوائل القرن العشرين ، ثم تناول القصة القصيرة الحديثة فى الأدب الفارسى ثم انتقل إلى شرحها فى الفترة من ١٩٢١ إلى ١٩٤١ تحدث عن (فارس شكراست) كحكاية مقامية تحوى كل العناصر الأساسية للمقامة من حيث الإطار القصصى والبنية العامة ثم انتقل إلى المقدمة الأدبية لمحمد على جمالزاده ، واختار لنا نماذج من القصة الإيرانية، وأخيرا كتب ملاحظات على بعض كتاب القصة القصيرة مثل : بهرام صادق وفريدون تنكابنى وتسيم خاكسار وغيرهم .

والخلاصة : أن المؤلف ضم ترجمة نماذج مختارة من القصة القصيرة الفارسية عبر مراحل تطورها فى العقود الستة الأخيرة ، كما تتباين هذه المختارات من حيث تطور الشكل ؛ فإنها تتباين أيضا من حيث الموضوعات وأسلوب التناول والأفكار .

إيدز

دراسة إسلامية طبية قانونية

تأليف د/ عماد حمدى حارس

الناشر : مطبعة زهران بحىّ الأزهر

هذه الدراسة عن الإيدز أصبحت لها خطورتها على الصعيد الدولى ، والكاتب يناقش فى ١٢٨ صفحة الأسباب والدوافع وراء مشكلة البغاء وموقف الشريعة الإسلامية منها ، ورأى الطب النفسى من الناحية السيكولوجية والاجتماعية .

وقد اشتمل المؤلف على خمسة مباحث مهمة :

● الأول : موقف الشريعة الإسلامية من البغاء متضمنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ثم عذاب البرزخ فيه .

● ثم تناول فى المبحث الثانى بالشرح والتوضيح ، الأمراض التى تصيب الزانى والزانية وممارسى اللواط حيث إن هذه الأمراض تؤثر تأثيرا بالغا فى الأعصاب وتصيب فاعلها بإضعاف القوى النفسية والطبيعية ؛ فمن أمراض اللواط شرود الفكر والسويداء،ثم انتقل إلى العقاب فى القانون الوضعى مع تعريف عام للبغاء .



● وفى المبحث الثالث أشار إلى تاريخ ظهور الإيدز وتطوراته ، وهو ـــ بالمفهوم العلمى ـــ

ينتج من الإصابة بفيروس يقضى على المناعة البشرية ، وتناول الأعراض بعد العدوى مباشرة ، واكتشاف أول حالة مرضية ، ثم طرح : طرق انتقال الفيروس وعرض للاحصائيات فى العالم الغربى والعربى . وفى الكتاب شىء من خطأ المؤلف فى بحثه الميدانى لهذا المؤلف .

كيف نجعل أطفالنا علماء؟؟



تأليف : د. كمال زيتون

الطبعة الأولى ١٩٩٣

الناشر/ دار النشر الدولى

فى هذا الكتاب تقديم يشير إلى أهمية الكتاب وأهمية التربية فى حياة الشعوب كتبه د/ ياسين عبدالرحمن قنديل المشرف على السلسلة .

يحتوى هذا الكتاب على خمسة فصول :

تناول الأول : عمليات العلم ومكانتها فى التربية العلمية .

وفى الثانى : أشار إلى عمليات الملاحظة والتصنيف والاتصال والأسئلة الإجرائية وعلاقات العدد .

وفى الثالث : تحدث عن العمليات السببية ، وهى أولى العمليات العلمية .

وتناول فى الرابع العمليات التجريبية الفردية .

ثم شرح بتوسع ـ عن طريق الحروف والرسم البيانى ـ قياس عمليات العلم .



هذا المؤلف يعد من أحسن المؤلفات فى عالم الطفل والطرق التربوية للأطفال .

الأدب الإسلامى

تأليف الدكتور ـ أحمد محمد على

الطبعة الأولى سنة ١٩٩١

الناشر/ دار الصحوة رابطة الجامعات الإسلامية

يقع الكتاب فى ١٣٠ صفحة قدم له الدكتور/ عبدالقدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامى العالمية :

يضم الكتاب ثلاثة فصول :

● تناول المؤلف فى الفصل الأول الإسلام والإبداع الأدبى حيث تحدث عن الجمال فكشف لنا أن الجمال فى الإسلام روح سارية فى هذا الوجود كله ، يتناسق فيه الظاهر والباطن وينسجم فيه الجوهر والشكل .

وعالج الفصل الثانى قضية « الأدب الإسلامى » وفى الفصل الأخير تحدث عن قضيتين :

الأولى : قضية الوضوح والغموض حيث إن الأدب الإسلامى يرفض الغموض . كما بين أن اللغة العربية : بصرفها ونحوها وبلاغتها تفرُّ من الغموض واللبس .

الثانية : قضية الإسلام والمذاهب والأدبية المعاصرة .

ومع أن هذا ليس أول كتاب فى هذا الباب ولن يكون الأخير ، إلا أن المؤلف له بصمته الخاصة ورؤيته المتميزة ، وهو على أى حال إضافة إلى مكتبة الأدب الإسلامى ولبنة فى صرحه الكبير .



الرحيق المختوم « فى السيرة النبوية »

تأليف : فضيلة الشيخ/ صفى الرحمن المباركفورى :

الطبعة الأولى ١٩٩٥

الناشر : دار المنار بالباب الأخضر بالحسين

لعل من دواعى الغبطة والسرور ما أعلنته رابطة العالم الإسلامى فى مؤتمر السيرة النبوية الذى انعقد فى باكستان عن إقامة مسابقة على مستوى العالم الإسلامى للبحث حول موضوع « السيرة النبوية » تنشيطا للكاتبين وتنسيقا لجهودهم الفكرية .

وقد حصل مؤلف هذا الكتاب على الجائزة الأولى ، وقد قسم هذا الباحث السيرة النبوية إلى أكثر من سبعين فصلا تناول فيها : موقع العرب وأقوامهم ومعنى العرب وتقسيمهم ، ثم الحكم والإمارة فى العرب ، ثم ديانات العرب حتى وصل إلى مولد ونسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم تناول الدعوة بمراحلها السرية والجهرية وقصة الإسراء والمعراج حتى هجرة الرسول ﷺ



تناول أيضا الحياة فى المدينة والمرحلة الأولى من بناء المجتمع الجديد حتى وصل المؤلف إلى آخر البعوث ، ثم أشار إلى البيت النبوى بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، ثم انتهى إلى الصفات والأخلاق كل ذلك فى مجلد بارع منظم فى أكثر من ٤٥٦ صفحة ، فصل فيها كل مرحلة فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيسر وسهولة وإيجاز جلى .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

الإسلام وكفالة اليتيم

في كتاب الله العزيز آيات بينات تحض على الاهتمام بأمر الأيتام وآيات تحذر من يعتدي على أموالهم ظلماً، وتنذر ذلك المعتدي بنار جهنم.

وحول هذا المعنى وردت رسالة القارئ «محسن محمود محمد - تجارة الأزهر» تحمل كلمة بعنوان «الإسلام وكفالة اليتيم»، يقول فيها:

(اليتيم) من فقد أحد أبويه، وقالوا: واللطيم من فقد أمه، وقيل اليتيم من فقد والديه أيضا واليتيم هو أكثر أفراد المجتمع حاجة إلى من يحنو عليه ويمسح رأسه، ويغمره بحنانه وعطفه حتى لا يشعر بالحرمان والضياع والتشرد.

لذا أوجب الإسلام على الجماعة المسلمة رعاية اليتيم والعناية به ماديا ونفسيا.

فلقد ورد أن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى»[1].

وكفالة الأيتام والإحسان إليهم، وتوفير ما يحتاجونه من ملبس ومشرب، وإدخال السرور على قلوبهم من شأنه أن يزيل القسوة من القلوب ويمحو الغلظة من الصدور.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد.

فلقد أوصى الرسول ﷺ رجلا شكا إليه قسوة قلبه وغلظته بقوله : « امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين »[٢] .

الإمام النووى

أما القارىء/ محمد كمال الشامى ـ كلية التربية ـ أسيوط :

فقد أرسل هذه النبذة عن الإمام النووى يقول فيها :

ولد الإمام النووى الشافعى (شيخ الإسلام) فى المحرم سنة ٦٣١ هـ بإحدى قرى دمشق ، ونشأ ببلده وقرأ القرآن وتفقه فى الدين ، وتولى ـ رحمه الله ـ مهمة التدريس بدار الحديث الأشرفية بدمشق . وسعى الإمام النووى جاداً فى طلب العلم والتحصيل فى شبابه ، وأصبح يجد لذة فى العلم والتحصيل له وقيل : إنه كان يقرأ كل يوم اثنى عشر درساً .

وعندما بلغ الإمام النووى الثلاثين من عمره بدأ يشتغل بالتأليف وكانت مؤلفاته تبلغ الخمسين كتاباً ، وله مؤلفات عظيمة وعلى درجة عالية من الأهمية ومن أشهر مؤلفاته :

« المناسك الكبرى » ، « المناسك الصغرى » ، « طبقات الفقهاء » ، « الفتاوى » ، « شرح مسلم » ، « رياض الصالحين » .....ألخ.

ولقد أجمع أصحاب كتب التراجم بأن الإمام النووى كان ورعاً زاهداً ، وكان تقياً صالحاً وقدوة فى الورع ، وكان يكثر من السهر والعبادة .

وتوفى الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى شهر رجب سنة ٦٧٦ هـ ودفن ببلده . وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً . ارتفع فيه بكاء المسلمين وتزاحم الناس على قبره وجاء الشعراء يرثونه .

رحم الله الإمام النووى ورضى عنه وجعلنا ممن يسيرون مسيرته ونقتدى بها .

الجدل

ومن الصديق خيرى محمد إبراهيم ـ خطيب مسجد الحداد ـ بلقاس ـ دقهلية .

وردت رسالة بعنوان « الجدل » نقتطف منها هذا الجزء :

الجدل والمجادلة والجدال ألفاظ تدور حول معنى واحد ، وجادله : ناقشه وخاصمه . (انظر المعجم الوجيز ـ مادة جدل .

وقد وردت هذه المادة فى نيف وعشرين موضع فى القرآن الكريم ، والجدل يختلف عن المراء ؛ لأن من يجادل ـ إن كان منصفا ـ فهو يهدف إلى أن يظهر الحق بالحجة والبيان ، وقد يكون بباطل وقد يكون بغير علم ، فأما إن كان الجدال بالحق وجب أن يكون بالحسنى.

قال ـ سبحانه :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت/٤٦

---

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة .

وأما إن كان الجدال بغير علم ، أو جدالا بالباطل ، فلا يكون هدفه إلا الرياء أو المداهنة أو التباهى والتفاخر والانتصار على الخصم ، ولذلك نجد الدافع لذلك هو الكبر الذى نهينا عنه ، فإن الكبرياء لله ـ وحده .

يقول الإمام أبو حنيفة النعمان : « **ما ناقشت أحداً فى مسألة إلا وتمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه** » . ولعل أنجع علاج للجدل: ألا يتكلم المرء إلا بالصدق ولا ينطق إلا حقا . فإن لم يكن على بينة من الأمر فليسعه الصمت .

العلم

ويرسل القارىء عماد ميزار عبدالعظيم جابر ـ من قرية الإعلام ـ محافظة الفيوم ـ هذه الكلمة عن العلم يقول فيها :

الإنسان مكلف بتعليم وتهذيب نفسه ؛ لرقى درجات العلم والإيمان إلى منازل الكرامة ؛ لأن العلم والإيمان هما ميزان التفاوت بين الناس كما بين تعالى فى قوله :

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ المجادلة ـ آية ١١

وفى قوله : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف ـ آية ٧٦

وقد أثنى الله ـ تعالى ـ على أولى العلم أطيب ثناء بأنهم أولوا الألباب الذين يؤمنون به لأنهم يرون آثار رحمته وجزيل نعمته وعظيم قدرته ، فيخشون شديد بطشه وعواقب غضبه ؛ ولذا قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

سورة فاطر ـ آية ٢٨

ويقول :

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ سورة سبأ ـ آية ٦

ويقول ـ تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

سورة العنكبوت ـ آية ٤٣

وقد كان الرسول ﷺ يتعلم القرآن ويعلمه للناس إلى ما بعد الستين من عمره ، وأمره ـ تعالى ـ بطلب العلم فى قوله :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

سورة طه ـ آية ١١٤

والعاقل الحكيم لا يشبع من العلم مهما تعلم ولا يكف عن السعى لإنارة قلبه بنوره مهما تقدمت به السن فلقد قال أحد الحكماء : كفى بالعلم فخرا أن يدعيه من ليس فيه ، وكفى بالجهل عاراً أن يتبرأ منه من هو فيه .

ولن تصل إلى قمة العلم إلا عن طريق القرآن .
ولن تصل إلا عن طريق العلم إلى كمال الإيمان ، يقول ـ تعالى :

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية ٧

تمايز الطبقات

ويرسل القارىء : سالم مهنى عبدالعظيم هذه المساهمة بعنوان : تمايز الطبقات .

أفاض الله على بنى آدم النعمة وحباهم من الطيبات ، وسقاهم ماءً غدقا ، وسخر لهم ما فى الأرض جميعاً ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ؛ ليتكامل المجتمع فى نموه ولا يتم التكامل إلا بتفاوت أفراد البشر فى قدراتهم ، فأفانين الحياة تتطلب تبايناً فى القدرات ، ومن آياته أن وهب البشر مواهب يتمايز بها بعضهم عن بعض وهكذا .. ليحيوا حياة حسنة ، والحياة الحسنة لمجتمع صالح تقتضى أن يشتركوا فى التمتع بما أنعم الله عليهم اشتراكا عن تراحم بينهم مع تعاون وتعاضد من غير أن يتعدى بعضهم على بعض أو يزاحم بعضهم بعضاً ، لكنهم لما تعدوا وتزاحموا ولم يتراحموا انقسم المجتمع إلى طائفتين : مستعلية مستكبرة ومستذلة مستعبدة .

وظن الأقوياء المستعلون أن ما أوتوا من قوة ومال إنما أوتوه على علم عندهم ، وأنهم أعلى درجة ممن لم يحظ بنصيب من المال وساقهم عالم المادة إلى قياس العالم الربانى بما ألفوا من عالم المادة ، فازداد الشقاء .

فلينظر الإنسان إلى ما فرط فى جنب الله حتى يستقيم أمره كى تتجدد له النعمة بعد النقمة وإلا فله الهلاك والفناء . وما إرسال الرسل إلا رحمة للعالمين لينقذهم من الهلاك والفناء ولينعموا ببركات من السماء والأرض .

من إبداعات القراء:

هى الدنيا

وما للمرء فى الدنيا ... إذا ما غابت الأصحاب ؟
أيحيا المرء دنياه ... إذا ما أغلق الأبواب
صديقى إنما الدنيا ... صديق مخلص وكتاب
فكيف تعيش دنياك ... وتجفو الناس والأحباب

بقلم : السيد التحفة
شبراخيت/ بحيرة



جولة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي
مصطفى عبد المجيد

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى بزيارة محافظتى دمياط وكفر الشيخ يومى ١٨ ، ١٩/ ٩/ ٩٦ رافق فضيلته الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى على المدير العام للإعلام والعلاقات العامة بناء على الدعوة الموجهة لفضيلته من السيد محافظ دمياط والسيد محافظ كفر الشيخ .

وقد التقى فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق لفضيلته بمدير عام منطقة دمياط الأزهرية والعاملين بها بمبنى محافظة دمياط واطمأن فضيلته على سير العمل بالمنطقة والاستعداد لبدء العام الدراسى الجديد ١٩٩٧/٩٦ وقد وجههم فضيلة الإمام الأكبر إلى الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم والدراسة عامة والاستعانة بالمتقاعدين من مدرسى الأزهر الشريف للمشاركة فى العملية التعليمية وتحفيظ القرآن الكريم .

ثم قام فضيلته يرافقه محافظ دمياط والقيادات الشعبية والتنفيذية بالمحافظة بافتتاح مبنى جمعية دعوة الحق الخيرية المنشأة بالجهود الذاتية وافتتاح المسجد الملحق بها والعيادات الطبية والمستوصف الخيرى وأشغال (التريكو) والمعامل الطبية ، وقد أم فضيلته المصلين لأداء صلاة المغرب بمسجد الجمعية .

ألقى فضيلته محاضرة عن (أهمية المسجد فى الإسلام) ثم أجاب على أسئلة الشباب والحضور عقب صلاة المغرب .

ثم توجه فضيلته بعد ذلك إلى المجمع الرياضى الكبير ومركز التدريب بدمياط للقاء شباب الرياضيين من محافظات الإسماعيلية وبورسعيد والشرقية والمنصورة وأسوان ودمياط حيث ألقى فضيلته محاضرة عن : « أهمية الرياضة والتربية البدنية وتربية النشىء فى الإسلام » ووجه الشباب إلى تربية العقول بالاستعانة بالقراءة والاطلاع والثقافة الدينية لتكون مواكبة لتربية الأجسام حتى يكتمل الجسم والعقل وليصبح الشاب مواطنا صالحاً يرتقى بمستوى وطنه ، كما وجههم إلى عدم التعصب والبعد عن الأخطار والتطرف وأخذ رأي أولي الأمر من العلماء فيما يعترضهم من المسائل الدينية ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء : ٧

كذلك قام فضيلته والوفد المرافق بزيارة مبانى كلية الطب ــ جامعة الأزهر ــ والوقوف على ما تم إنجازه تمهيدا لافتتاحها .

وفى زيارته لمحافظة كفر الشيخ التقى فضيلته بالعاملين بمنطقة كفر الشيخ الأزهرية حيث اطمأن منهم على الاستعداد للعام الدراسى ووجههم كما فعل بدمياط إلى الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم لطلاب المعاهد الأزهرية بالمنطقة والاستعانة بأكفأ مدرسى هذه المعاهد لتحفيظ القرآن الكريم ، ثم قام فضيلته ومرافقوه بافتتاح عدة معاهد أزهرية أقيمت بالجهود الذاتية إبتدائية وإعدادية .

كما قام فضيلته بوضع حجر الأساس لكلية الدراسات الإسلامية والعربية كفرع لجامعة بكفر الشيخ .

* شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الجلسة الافتتاحية للندوة التى نظمتها كلية الطب ــ بنات ــ جامعة الأزهر تحت عنوان (الإدمان وأثره على المجتمع) كما شهد الجلسة الأستاذ الدكتور وزير الصحة والأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ونواب رئيس الجامعة .

وقد أكد فضيلة الإمام شيخ الأزهر الشريف فى الكلمة التى ألقاها على أن الإدمان رذيلة من الرذائل التى إذا انتشرت فى أمة كان أمرها فرطا ، فالإدمان جريمة ونكبة لها آثارها الاقتصادية والصحية والاجتماعية السيئة ، مشيراً إلى أن الإدمان من الأمراض الخطيرة التى تدل على ضعف الدين ونقصان العقل .

وقال فضيلته : إن الإدمان سواء بشرب الخمر أو بتعاطي الحشيش أو الأفيون أو السموم البيضاء إذا انتشر بين الشباب دمَّرَ أخلاقهم وذهب بقيمهم وتقواهم وورعهم وحولهم من طاقة معمرة منتجة إلى طاقة معطلة مخربة لاتجنى الأمة منهم إلا الخسران .

وطالب فضيلته ــ فى ختام كلمته ــ بأن يتكاتف الجميع ــ حكاما ومحكومين ــ ببذل الجهد من أجل القضاء على الإدمان وحماية المجتمع من خطره .

معاهد جديدة يضمها الأزهر

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ضم المعاهد الآتى بيانها إلى الأزهر الشريف وصدر قرار الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء بالموافقة على هذا الضم وهى :

ـ معهد حسين حماد الثانوى بنين محافظة الغربية

ـ معهد السعدية القبلية الابتدائية للبنين محافظة دمياط

ـ معهد فتيات البوصيرى الإعدادى النموذجى محافظة الشرقية

ـ معهد الحيس الإعدادى للبنين محافظة الشرقية

ـ معهد القنايات الإعدادى للبنين محافظة الشرقية

ـ معهد التجارين الابتدائى محافظة دمياط

ـ معهد ترسا الابتدائى محافظة الفيوم

ـ معهد دراجيل الإعدادى للفتيات محافظة المنوفية

هذا وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إنشاء معهد باسم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق الثانوى الأزهرى للبنين ببطرة ـ مركز طلخا ـ محافظة الدقهلية .

وقد صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء بإنشائه وذلك برقم ٢٠٨ لسنة ١٩٩٦

كذلك وافق فضيلة الإمام الأكبر على ضم المعاهد التالية للأزهر وقد صدر فى شأنها قرار الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء رقم ٢٨٩ لسنة ٩٦ وهذه المعاهد هى :

ـ معهد لاصقير البلد محافظة كفر الشيخ

ـ معهد أبو عيسى الإبتدائى محافظة كفر الشيخ

ـ معهد الديهمى الإبتدائى محافظة الجيزة

ـ معهد فتيات بهناى الثانوى محافظة الشرقية

ـ معهد بنوفر الإبتدائى محافظة الغربية

ـ معهد تكلا العنب محافظة البحيرة

ـ معهد العباسية الإبتدائى كفر سعد محافظة دمياط

ـ معهد المستشار سيد خالد محافظة بنى سويف

ـ معهد بنى عدى محافظة بنى سويف

ـ معهد الشيخ محمود عبد اللطيف الشافعى محافظة بنى سويف

ـ معهد الشيخ محمود عبد اللطيف الشافعى محافظة بنى سويف

ـ معهد نجع الشيخ حمد الابتدائى محافظة سوهاج

ـ معهد الحر الابتدائى الإعدادى محافظة الجيزة

كذلك وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضم معهد اسبيكو بمحافظة القاهرة حيث صدر قرار ضمه من السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء رقم ١٨٠ لسنة ١٩٩٦ كذلك وافق فضيلته على ضم معهد الجلاوية البلد الإبتدائى بمركز ساقلته بمحافظة سوهاج وصدر قرار السيد الدكتور رئيس الوزراء رقم ١٧٩ لسنة ١٩٩٦ بضمه .

شيخ الأزهر والتحدى الحضارى

نظمت رابطة الجامعات الإسلامية مع جامعة عين شمس ندوة : « العالم الإسلامى والتحدى الحضارى » التى رأسها فضيلة الإمام الأكبر وقد ندد المشاركون بالاعتداءات الوحشية التى تقوم بها إسرائيل على المقدسات الإسلامية والاعتداء على المصلين ، وقد دعا فضيلة الإمام الأكبر إلى توحيد الصفوف وشحذ الهمم ، ونبذ الفرقة لمواجهة كافة التحديات التى تهدد حاضر العالم الإسلامى ومستقبله بالإضافة إلى ضرورة وقف الحروب الأهلية التى تستنزف طاقات المسلمين وتعطى الفرصة لأعداء الإسلام ليتدخلوا فى أمورنا الداخلية بإذكاء نار الفتنة حتى تتحقق لهم مآربهم الدنيئة .

ودعا الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ رئيس جامعة عين شمس المسلمين إلى محاربة التيارات المغرضة التى تهدف إلى إثارة البلبلة والفتن فى صفوف المسلمين حتى تضعف قوتهم مثلما يحدث الآن وكذلك الأخذ بأساليب التقدم العلمى فى كافة المجالات لأن طلب العلم ووحدة الصف هى الفريضة الغائبة فى حياة المسلمين الآن .

وطالب الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية بتكوين جيش إسلامى يكون تابعا لمنظمة المؤتمر الإسلامى تكون مهمته الدفاع عن مصالح المسلمين وحماية أراضيهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم التى يعتدى عليها كل يوم من أعداء الأمة ، وكذلك لابد من تنفيذ توصية مؤتمر القمة الإسلامى بالكويت عام ٧٨ وخاصة فيما يتعلق بإنشاء محكمة عدل إسلامية دولية تكون مهمتها حل مشاكل المسلمين .

ترقيات بالندب

ـ أصدر فضيلة الإمام الأكبر قرارا بندب فضيلة الشيخ رفعت مجاهد متولى مديراً عاماً بالأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

ـ ندب السيد الأستاذ مصطفى هوارى عبد العال مديراً عاماً للتفتيش المالى والادارى بالأزهر الشريف .

ـ وندب السيد الأستاذ / سيد مكاوى السيد مديراً عاماً لشؤون العاملين بالأزهر الشريف .

اعتماد قرارات المجلس الأعلى للأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر .

وقد وافق المجلس فى هذا الاجتماع على الموضوعات التالية :

ـ اعتماد نتائج الحساب الختامى للحسابات الخاصة لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن العام المالى ١٩٩٦/٩٥ .



ـ اعتماد معادلة درجة دكتوراه (الفلسفة) في علوم الحاسب من جامعة ووترلو بكندا بدرجة دكتوراة (الفلسفة) في العلوم التي تمنحها جامعة الأزهر في التخصص المناظر .

ـ تطبيق اللائحة المالية والإدارية لمشروعات البحوث المشتركة مع جهات أجنبية أو دولية بالجامعات المصرية على جامعة الأزهر .

ـ اعتماد قواعد تحصيل قيمة الاستمارات المعدة للقبول بالمدن الجامعية لطلاب وطالبات جامعة الأزهر .

ـ فصل تخصص أصول التربية الإسلامية عن قسم (أصول التربية) ليصبح قسما مستقلا بكلية التربية جامعة الأزهر .

ـ فصل تخصص وحدة جراحة المخ والأعصاب عن قسم الجراحة العامة بكليتى الطب بنين وبنات بجامعة الأزهر لتصبح قسما مستقلا بكل كلية من الكليتين .

ـ اعتماد قواعد تشكيل اللجان العلمية الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين بجامعة الأزهر وكذلك اعتماد نظام العمل بهذه اللجان ، وكذا التشكيلات المقترحة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة .

ـ تحويل مستشفى الطلبة إلى وحدة ذات طابع خاص باسم (مستشفى الطلبة بجامعة الأزهر) .

ـ تعديل نص المادة رقم (٣٠٩) من اللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ٦١ وتعديل صياغة المادة (٦) مكرر المراد اضافتها للقانون حسبما ارتأى قسم التشريع بمجلس الدولة .

* كذلك وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إقامة الدورة التدريبية الخامسة والثلاثين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامي إلى الأزهر وذلك لمدة ثلاثة أشهر في الفترة من ١٩٩٦/١١/١ حتى ١٩٩٧/١/٣١

تشارك في هذه الدورة دول : سنغافورة/ البرتغال/ جنوب أفريقيا/ يمن الشعبية/ موريتانيا/ ألبانيا/ بنجلاديش .

جدير بالذكر أن هذه الدورات تنظمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية على مدار العام حيث يتحمل الأزهر الشريف نفقات السفر والإقامة والإعاشة بمدينة البعوث الإسلامية .

استقبالات الإمام الأكبر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه معالى الوزير أحمد موراق وزير الشئون الدينية والإسلامية بدولة الجزائر يرافقه سعادة السفير الدكتور مصطفى الشريف سفير الجزائر بالقاهرة .

يتناول اللقاء الوضع في الجزائر بصفة عامة كما تناول بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الدينية والإسلامية بدولة الجزائر بصفة خاصة وذلك من خلال دعم الأزهر الشريف لمؤسسات التعليم بالجزائر وإمدادها

بالمدرسين والعلماء والمناهج الدراسية والكتب والمراجع العلمية ، وتدريب الأئمة والوعاظ بالأزهر الشريف .

وقد وجه معالى الوزير الدعوة الرسمية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة الجمهورية الجزائرية .

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه الحاج/ إسماعيل نور الدين نائب وزير الأوقاف بسيراليون والمندوب الشخصى لفخامة رئيس جمهورية سيراليون ، وفى بداية اللقاء وجه الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة دولة سيراليون ، وتناول الحديث الوضع الداخلى وأوضاع المسلمين بسيراليون .

كذلك تناول اللقاء بحث طلب سيراليون زيادة المنح الدراسية ... للالتحاق بالأزهر الشريف ، وزيادة عدد مدرسى بعثة الأزهر لسيراليون لما لذلك من أثر طيب فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

تناول اللقاء كذلك بحث إمداد المساجد والمكتبات بسيراليون بالكتب والمراجع العلمية والثقافية والدينية .

وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر الضيف نقل تحياته لفخامة الرئيس السيراليونى . كما وعد فضيلته ببحث مطالب سيراليون مؤكداً على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى مساعدة أبناء هذا الشعب الكريم .

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الوزير/ محمد موسى شحيم وزير خارجية جيبوتى والوفد المرافق لسيادته .

نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر رسالة شفهية من الرئيس حسن جوليد رئيس جمهورية جيبوتى حملت شكره للأزهر الشريف على مايقوم به من دور بارز فى نشر الثقافة الإسلامية فى العالم أجمع .

وتناول اللقاء بحث طلب جيبوتى قيام الأزهر بإنشاء معهد أزهرى بجيبوتى نظراً للحاجة الماسة والتعطش الشديد لدى طلبة جيبوتى لتحصيل العلم الدينى القويم الذى يمثله الأزهر من اعتدال ووسطية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة مشروع إنشاء المعهد على أن يكون متطوراً يشتمل على المراحل الدراسية الابتدائية والاعدادية والثانوية وأن تكون مناهجه مطابقة لمناهج الأزهر الشريف .

وفى ختام اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر الضيف تحياته وشكره لفخامة الرئيس حسن جوليد وحكومة وشعب جيبوتى الشقيق .

حضر اللقاء السفير/ محمد محمد كامل سفير جمهورية جيبوتى بالقاهرة والسفير/ مصطفى يحيى سفير مصر فى جيبوتى .

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ/ داتو عبد القادر بن طالب مفتى كوالالمبور بماليزيا والوفد المرافق لسماحته .

في بداية اللقاء أشاد سماحة المفتي بدور الأزهر الشريف البارز في نشر الدعوة والثقافة الإسلامية في العالم أجمع من خلال البعثات الأزهرية التي يوفدها وبوجه خاص لدولة ماليزيا .

كذلك تناول اللقاء بحث بعض المسائل الفقهية حيث أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلة الوفد واستفساراته .

* كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الله محمد زين عميد كلية الدعوة الإسلامية بولاية (ترنجانو) بماليزيا والوفد المرافق لسيادته حيث أبلغ فضيلة الإمام الأكبر تحية وتهنئة سلطان الولاية لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ سامي الشعراوي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر الشريف .

* أدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صلاة الجمعة الموافق ١٤ من جمادى الأولى ١٤١٧ ١٩٩٦/٩/٢٧ بالجامع الأزهر الشريف حيث ألقى فضيلته خطبة الجمعة مطالباً جموع المصلين التي أدت الصلاة بأداء صلاة الغائب على أرواح شهداء الانتفاضة الفلسطينية ، وأكد فضيلته على ضرورة دعم المجاهدين في فلسطين وطالب المسلمين بالتصدي للعدو بكل قوة وأن يقابل العدو بسلاح أفتك مما يستخدمه معنا كما قال ﷺ « **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » .

هذا وقد أدت جموع المصلين عقب صلاة الجمعة صلاة الغائب على أرواح شهداء الانتفاضة الفلسطينية بالجامع الأزهر الشريف .

الأزهر والقدس

د. محمد عبد الحكيم محمد



الإمام الأكبر شيخ الأزهر

• الأمة الإسلامية فى أمس الحاجة إلى موقف موحد من تهويد القدس.

شهدت مدينة القدس فى الأيام الأخيرة شرارة انتفاضة لم تشهدها المدينة منذ سنوات فى أعقاب فتح نفق يهودى أسفل المسجد الأقصى ثم امتدت شرارة الأحداث لمدن عديدة فى الضفة .

وقد قام جنود الاحتلال بضرب المتظاهرين والمحتجين بالرصاص ،وطاردوا بعضهم داخل هذه المناطق التابعة للحكم الذاتى .

الأمر الذى دعا رجال الشرطة الفلسطينية للرد ، وبذلك تحولت القدس والضفة الغربية وغزة إلى ساحة حرب حقيقية ، وأعلنت سلطات الاحتلال الإسرائيلى حالة الطوارىء فى القدس والضفة وغزة ، وأرسلت تعزيزات عسكرية كثيفة لحماية قواتها ، وقال وزير الدفاع الإسرائيلى : إنه سيستخدم طائرات الهليوكبتر والدبابات والمدفعية حتى الصواريخ إذا تطلب الأمر لقمع هذه الانتفاضة

• الكاتب : يعمل صحفيا بمجلة الأزهر .

• شيخ الأزهر يطالب المسلمين بحماية المسجد الأقصى بكل مال وسلاح .

ولم تكتف السلطات الصهيونية بذلك ، بل فتحت نيران أسلحتها على الفلسطينيين العزل ، مما أدى إلى استشهاد العشرات وجرح واعتقال الآلاف ، واقتحمت المسجد الأقصى وقتلت المصلين داخله إمعانا فى التحدى والغطرسة ، كما اخترقت إحدى طائراتها : الأراضى المصرية وأصابت ضابطا مصريا كان يؤدى واجبه حارسا على حدود وطنه .

وإسرائيل إنما تجنى على نفسها بخرق القوانين والأعراف الدولية ، وتحديها فى ذات الوقت مشاعر أكثر من مليار مسلم ترتبط عقيدتهم بالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين .

الأمر الذى يستدعى تحركا دوليا إسلاميا سريعا تتلقى به إسرائيل درسا تحترم ـ بعده ـ الإسلام والمسلمين ، ويتم الحفاظ على المسجد الأقصى وإحباط المخططات الصهيونية لتهويد القدس الإسلامية العربية وقطع الطريق على ضمها إلى إسرائيل .

لقد أثارت هذه الممارسات الإسرائيلية غضب واستنكار العرب والمسلمين فى العالم كله ، وأكد علماء الإسلام على ضرورة التصدى لهذه المؤامرة بكل الوسائل المتاحة ، ودعم صمود الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن أرضه ومقدساته .

وفى خطبة الجمعة للإمام الأكبر يوم ١٤ من جمادى الأولى ١٤١٧هـــ ـ ١٩٩٦/٩/٢٧

• المساس بالقدس يستنهض المسلمين للدفاع عن عقائدهم

• شق النفق جزء من مخطط كبير يستهدف تهويد القدس

استنكر فضيلته المجازر الإجرامية الصهيونية التى جرت مؤخرا فى أعقاب التحرك الخطير لهدم المسجد الأقصى ، وأدان فضيلتــه العــدوان الإسرائيلى على المسجد الأقصى ، وناشد المسلمين جميعا أن يقفوا صفا واحدا مع إخــوانهم الفلسطينيين للدفاع عن المسجد الأقصى بكل الوسائل والسبل بما فيها : المال والسلاح .

كذلك أكد فضيلة الإمام الأكبر من فوق منبر الأزهر أن الدفاع عن المسجد الأقصى واجب مقدس باعتباره : أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ .

وبيّن فضيلته : أن حفر النفق تحت المسجد الأقصى يعد انتهاكا لحرمته وقدسيته ، وأن كل الحفائر والأعمال التى تضر بالمسجد الأقصى تعدُّ تعديا وانتهاكا لمقدسات المسلمين ، وأكد على أن الدفاع عن المساجد : واجب على جميع المسلمين خاصة المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوى ، وأن الذين قتلوا فى الأراضى الفلسطينية

● الحكومات الإسلامية مطالبة

بصد مؤامرة هدم المسجد الأقصى

دفاعا عن مقدساتهم شهداء عند الله - تعالى - ثم أدى فضيلته بجموع المصلين صلاة الغائب على أرواح الشهداء الطاهرة بالجامع الأزهر .

● مفتي القدس :

لن نتهاون في الدفاع

عن المسجد الأقصى .

وفي فلسطين : ناشد الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس والديار الفلسطينية القادة العرب والمسلمين سرعة التحرك لإنقاذ المسجد الأقصى بعد الممارسات القمعية الإسرائيلية الأخيرة وانتهاكات قواتها لحرمة المسجد الأقصى وقتل المصلين داخله يوم الجمعة الماضي .

وأضاف فضيلته : أن مسلمي القدس لم يفرطوا فى مقدساتهم ولن يسمحوا لليهود بالدخول إلى ساحات المسجد الأقصى مهما كان الثمن ، وأنهم على استعداد تام للدفاع عن هذه المقدسات حتى الموت ، فخير لهم أن يموتوا شهداء من أن يعيشوا أذلاء .

وقال فضيلته : إن إسرائيل تعلم أن المسجد الأقصى خط أحمر وأن القدس خط أحمر بالنسبة لأكثر من مليار مسلم فى العالم كله ، وأن العرب والمسلمين لن يتهاونوا إزاء عدوانها على أولى القبلتين وثالث الحرمين .

وأكد أن الأوضاع لن تهدأ حتى تغلق إسرائيل النفق الذى شقته تحت المسجد الأقصى ولن نرضى بأقل من ذلك . وكان الشيخ عكرمة قد أصيب فى المصادمات التى وقعت عندما حاول الجنود اليهود اقتحام المسجد الأقصى .

وحذر الشيخ عكرمة صبرى من أن إسرائيل تريد أن تفرض أمرا واقعا فى القدس قبل بدء مفاوضات المرحلة النهائية وذلك بسعيها الدءوب إلى تغيير المعالم والأوضاع السكانية فى القدس لصالحها عن طريق نزع ملكية الأراضى من الفلسطينيين والاستيلاء عليها لبناء مساكن عليها للمستوطنين اليهود ، وطرد العرب من منازلهم وعدم السماح لهم ببناء ولو طوبة واحدة على أرضهم وفرض الضرائب الباهظة على التجار العرب حتى يغلقوا متاجرهم ويهجروها إلى خارج القدس ، وكل هذه أساليب ملتوية لتهويد المدينة وتفريغها من سكانها العرب المسلمين ، حتى لا يتبقى شيء يمكن التفاوض عليه فى المستقبل .

وشدد فضيلته على أن مسلمى القدس لن يفرطوا فى حبة رمل من مقدساتهم وأنهم على استعداد للموت فداء للأقصى المبارك ولمقدساتهم الأخرى بالمدينة ، وأنهم يناشدون العالم العربى والإسلامى والمجتمع الدولى سرعة التحرك للضغط على إسرائيل لإغلاق النفق ورفع يدها عن الأماكن

• قتل الضابط المصرى إرهاب دولى وانتهاك لحقوق الحدود.

المقدسة وترك المسلمين يؤدون شعائرهم بحرية ويمارسون حياتهم الطبيعية .

وفى ندوة التحدى الحضارى ، قال فضيلة الإمام الأكبر : إن المسلمين الآن فى تحد مع إسرائيل وعليهم أن يقبلوا هذا التحدى .

وأوضح فضيلته فى هذه الندوة : أن الحياة كلها تقوم على التحدى ، وأن الانسان يظل يعيش فى تحد إلى أن يلقى الله ــ عز وجل ــ فيستريح ، لأن الحياة الأخروية خالية من أى تحد ، أما فى الدنيا فلا تخلو الحياة من التحدى أبداً ، بين العقلاء والسفهاء ، بين العلماء والجهلاء ، بين الأخيار والأشرار ، فهذه هى طبيعة الحياة .

وبيّن فضيلته أهمية امتلاك الأمة العربية والإسلامية لسلاح فتاك تستطيع أن ترد به على الأعداء وتواجه به التحديات ، ووصف فضيلته «**شق نفق القدس**» بأنه مؤامرة صهيونية كان يجب التصدى لها منذ بداية الحفر بالنفق .

وردا على سؤال مع فضيلة الامام الأكبر : السلام فى الإسلام ، وهل يقوم على الظلم والاستسلام ؟

قال فضيلته : إن الشريعة الإسلامية تطالب وتحث على السلام العادل الذى يعطى كل ذى حق حقه ، كما أن الشريعة الإسلامية ضد الاستسلام والظلم ، وأن الإسلام مستمد من السلام ، فإذا ما اتجهت إسرائيل إلينا انطلاقا من هذا الفهم مددنا لها أيدينا .

• لابد من الوقوف

مع إخواننا الفلسطينين

من أجل القدس.

وبعد :

فإنه عندما بدأت مسيرة السلام استبشر العرب والمسلمون خيرا ، ولكن مع هذه الانتهاكات للأعراف الدولية والمقدسات الإسلامية من جانب الحكومة الإسرائيلية ، فقد تأكد لنا موقف . حكومة الليكود من تدمير عملية التسوية السلمية والتخطيط لابتلاع الأراضى العربية وتهويد القدس فى تحد سافر لمشاعر أكثر من مليار عربى ومسلم فى العالم أجمع .

فقد آن أوان النظر فى وقف كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيونى واستيقاظ الأمة العربية والإسلامية من غفوتها لاتخاذ موقف موحد ينقذ القدس الذى بات يستصرخ المسلمين .

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .
٤٠ (ســورة الحج)

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبد الحميد بشير

القاهرة

عقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة اجتماعا صباح السبت ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٧ هجرية ٥ أكتوبر ١٩٩٦ برئاسة الرئيس حسنى مبارك رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة وذلك بمقر وزارة الدفاع وقد استعرض الرئيس مبارك ـ خلال هذا الاجتماع ـ أهم القضايا على الساحتين : الداخلية والخارجية موضحا الجهود التى تقوم بها مصر فى سبيل دعم ودفع عملية السلام فى الشرق الأوسط فى ظل مبادئها الراسخة فى تحقيق سلام عادل وشامل لكافة دول المنطقة ، كما أشاد بما وصلت إليه قواتنا المسلحة من مستوى رفيع الأداء فى كافة أولوية الدفاع الحديث .

وكان الرئيس قد قام قبل ذلك بزيارة النصب التذكارى للجندى المجهول فى بداية الاحتفالات بالذكرى الثالثة والعشرين لانتصارات رمضان أكتوبر المجيدة حيث وضع سيادته أكاليل الزهور وقرأ الفاتحة على أرواح الشهداء كما قام بزيارة قبر الرئيسين الراحلين جمال عبدالناصر وأنور السادات .

تهانى

أكدت جماهير عمال مصر أنها ستظل مع جيشها الباسل جبهة صلبة تحمى أمن الوطن ومنجزات الشعب تمضى باذن الله من نصر إلى نصر مع القيادة المخلصة الأمينة للرئيس مبارك جاء ذلك فى برقية تهنئة بعث بها رئيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر . كما بعث الأمين العام لجامعة الدول العربية ببرقيتى تهنئة لكل من الرئيس حسنى مبارك والرئيس السورى لنفس الغرض كما بعث المهندس مصطفى النتشة رئيس بلدية الخليل رسالة للرئيس مبارك شكره فيها على موقفه الشجاع إزاء اجراءات الحكومة الإسرائيلية وممارساتها التعسفية والمجازر البشعة التى اقترفتها ضد الشعب الفلسطينى فى الحرم القدسى الشريف .

طرابلس

طالب السيد نجم الدين أربكان رئيس الوزراء التركى بضرورة رفع الحصار الاقتصادى المفروض على ليبيا وأضاف سيادته أنه لمس الظلم الذى سببه هذا الحصار للشعب الليبى ، والمعروف أن أربكان سافر إلى ليبيا برا بسبب الحظر الجوى على

الرحلات الجوية إلى ليبيا منذ عام ١٩٩٢ بزعم دعمها للإرهاب ، وكان سيادته قد زار إيران فى وقت سابق من هذا العام . وجدير بالذكر أن وصول أربكان إلى السلطة قد أنهى أكثر من ٧٠ عام من الحكم المحلى العلمانى الموالى للغرب .

قطر

أكد وزير خارجية قطر أن بلاده ستوقف تطبيع علاقتها مع إسرائيل بسبب الأزمة الراهنة فى مسيرة السلام بالشرق الأوسط ، وقال : إنه أرجأ افتتاح مكتب تجارى لقطر فى إسرائيل كما أمر بوقف جميع الاتصالات المباشرة ــ والتى وصفت بالمرونة ــ مع المسئولين الإسرائيليين ، وندد سيادته تنديدا شديدا برئيس الوزراء الإسرائيلى واتهمه بأنه ليست لديه أى خطة للسلام .

فلسطين

عقد ياسر عرفات رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية مباحثات فى القاهرة مع الرئيس المصرى حسنى مبارك أطلعه فيها على نتائج قمة واشنطن الفاشلة والتى رفض الرئيس حسنى مبارك المشاركة فيها .

كان عرفات قد قال قبل وصوله إلى القاهرة إن الفلسطينيين لن يقوموا بأى تنازلات عن حقوقهم المشروعة .

هذا ومن المتوقع أن يصل وزير خارجية أمريكا إلى منطقة الشرق الأوسط للمشاركة فى الإشراف على المؤتمر الذى سيعقده رئيس السلطة الفلسطينية مع رئيس وزراء إسرائيل عند معبر ايرتيز .

أكد الرئيس حسنى مبارك أنه لن يكون هناك سلام فى منطقة الشرق الأوسط ما لم يتم تنفيذ جميع اتفاقيات السلام المعقودة بشكل كامل .

وقال سيادته فى كلمة ألقاها فى الذكرى ٢٣ للاحتفال بانتصارات أكتوبر ، أن القوة وحدها مهما كبر حجمها لن تضمن تحقيق أمن شامل وأضاف أنه يأمل أن تكون حرب رمضان/ أكتوبر هى آخر الحروب كما أعرب عن أمله فى أن تتجاوز عملية السلام كل العراقيل ، وكان وزير الخارجية المصرى قد أكد أن مسيرة السلام ستنهار ما لم يغير رئيس وزراء إسرائيل موقفه المتشدد .

وقال سيادته أن العالم العربى يساوره التشاؤم من احتمال عدم تحقيق أى نجاح فى الاجتماع المرتقب عند حاجز ايرتيز . والمعروف ان افتتاح إسرائيل لنفق شقته تحت المسجد الأقصى بالإضافة إلى المراوغة الدائمة فى تنفيذ اتفاقيات أوسلو من جانب إسرائيل كان من الأسباب التى أدت إلى المواجهات الدامية بين إسرائيل والشعب الفلسطينى .

جروزنى

اندلع القتال من جديد فى جروزنى العاصمة الشيشانية التى ظلت هادئة نسبيا منذ التوصل إلى اتفاق لإنهاء الصراع منذ شهرين تقريبا ، وقالت وزارة الداخلية الروسية : إن جنديا روسيا قد قتل فى أثناء معركة قصيرة مع المقاتلين الشيشان فى مركز قيادى بجنوبى غربى العاصمة ، ووصف الروس المعركة بأنها نقض لاتفاق السلام الذى عقده رئيس مجلس الأمن القومى الروسى مع القادة الشيشان وكان المقاتلون الشيشان يعمدون خلال الأسابيع الماضية إلى الالتزام بوقف إطلاق النار فى جروزنى بالمشاركة مع القوات الروسية . وقد عزل الرئيس الروسى القائد الذى تسبب فى هذه الحوادث .

poussière? Alors les anges répondent: "Ô Allah Tu es l'Omniscient!" Allah leur dit alors: "Je vous prends à témoins, Ô mes anges, que celui qui le consolera et le satisfaira Je lui donnerai satisfaction le Jour du Jugement Dernier".

"Hadith rapporté par Al-Kurtuby."

Le Prophète -b.s.- a dit également: "Celui qui hébergera un orphelin et pouverra à ses besoins trouvera un refuge contre l'Enfer le Jour du Jugement Dernier. Et celui qui caressera la tête d'un orphelin, il lui sera accordé un bienfait pour chaque cheveu de sa tête".

"Hadith rapporté par Al-Kurtuby."

Le Prophète -b.s.- a dit aussi: "Celui qui pourvoit à sa charge à la nourriture et à la boisson d'un orphelin, tant qu'il en a besoin, il aura pour récompense le Paradis".

"Hadith rapporté par Ahmed."

On raconte que le Prophète -b.s.- dit un jour à ses compagnons: "Voulez-vous que je vous indique les plus graves péchés?". Volontiers dirent les compagnons. "C'est, dit-il, l'association d'un autre Dieu à Allah, la magie, l'homicide commis injustement, l'usure, le gaspillage des biens de l'orphelin, la fuite du champ de bataille, l'accusation des femmes mariées, chastes et croyantes".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il a dit également: "Celui qui 'heberge un orphelin de parents musulmans, jusqu'à ce qu'il en soit dispenser, il recevra certes en récompense le Paradis".

"Hadith rapporté par Ahmed et Al-Tabarany."

Il a dit aussi: "Celui qui caresse la chevelure d'un orphelin par compassion, recevra un bienfait pour chaque cheveu que sa main aura touché".

"Hadith rapporté par Ahmed et Al-Tabarany."

On raconte également que le Prophète -b.s.- dit un jour: "La meilleure maison des musulmans est celle où est hébergé un orphelin et où il est traité avec bonté, la pire des maisons des musulmans est où est hébergé un orphelin et où il est maltraité".

"Hadith rapporté par Abu-Horaïra."

orphelins. Dis "faire ce qui est bien pour eux est la meilleure des actions. Et si vous les mêlez à vous, après tout, ce sont vos frères" Allah sait distinguer celui qui sème la corruption de celui qui fait le bien].

"Surate 2 "Al-Baqara" La Vache V.220."

Orphelins en ces termes: [Et donnez aux orphelins leurs biens, n'y substituez pas le mauvais au bon. Ne mangez pas leurs biens avec les vôtres: c'est un grand péché].

"Surate 4 - "Al-Nissa" Les Femmes V.2."

Allah - gloire à Lui - a ordonné aux tuteurs d'accorder aux orphelins la protection et de prendre soin de leur éducation physique, morale et spirituelle. Les tuteurs doivent faire fructifier l'argent des orphelins puis, lorsque ces derniers atteignent l'âge de la majorité, ils doivent leur remettre la totalité de leurs biens. Le tuteur doit mettre à l'épreuve la raison de l'orphelin et il doit aussi l'avertir contre ceux qui voudraient abuser de ses biens en profitant de son jeûne âge.

Mais que faire si le tuteur est dans le besoin? Dans ce cas, la loi lui permet de toucher un salaire en échange de sa gérance des biens et de leur fructification. Par contre, Allah - gloire à Lui - demande au tuteur riche de diriger les biens de l'orphelin bénévolement. Il dit: [Et éprouvez les orphelins. Lorsqu'ils atteignent la majorité et que vous sentez chez eux le bon sens alors remettez-leur leurs biens. Ne managez pas ceux-ci en gaspillage et dissipation à un point exorbitant. Quiconque est aisé, qu'il s'abstienne d'y toucher par charité! S'il est pauvre, alors qu'il en prenne modérément. Et, lorsque vous leur remettez leurs biens, prenez des témoins. Allah suffit pour évaluer cela].

"Surate 4 "Al-Nissa" Les Femmes V.6."

On raconte qu'un homme alla se plaindre au Prophète -b.s.- de la dureté de son coeur; le Prophète -b.s.- lui dit: "Si tu veux que ton coeur s'attendrisse, caresse la tête d'un orphelin et nourrit un pauvre".

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Le Prophète -b.s.- a dit: "Quand l'orphelin pleure le trône du Créateur frémit, alors Allah - gloire à Lui - dit à Ses anges: "Ô anges quel est celui qui a fait pleurer cet orphelin dont j'ai enseveli le père dans la

Il a dit également: "Celui qui subvient aux besoins de trois orphelins est semblable à celui qui passe la nuit en prière, jeûne le jour, et s'en va brandit son épée pour la cause d'Allah. Nous serons lui et moi au Paradis tels des frères tout comme ceux-ci". Et il joignit son index et son majeur.

"Hadith rapporté par Ibn Magah."

Le Coran nous montre le danger qu'on court à maltraiter l'orphelin. Il nous dit: [As-tu vu celui qui renie la religion?
Or, c'est celui qui rabroue l'orphelin,
et qui n'incite point à nourrir le nécessiteux].

"Surate 107 "Al-Ma'oum" les Ustensiles V.1 et 2"

Allah - gloire à Lui - fait une grâce à Son Prophète -b.s.- et lui recommande de bien traiter l'orphelin, Il lui dit: [Ne t'a-t-il pas trouvé orphelin? alors Il t'a donné asile?] [Quant à l'orphelin, ne l'opprime pas].

"Surate 93 "Al-Doha" Le Jour Montant V.6 et 9."

Allah - gloire à Lui - a interdit d'une manière générale de gaspiller l'argent des gens. Il a dit: [Ne dévorez pas à tort vos biens entre vous; n'en versez pas une part aux juges dans le but de manger injustement une part des biens d'autrui, alors que vous le savez].

"Surate 2 "Al-Baqara" La Vache V.188."

Malgré cet avertissement, Allah a expressément spécifié les biens de l'orphelin, en prohibant le gaspillage de ses biens, Il a dit: [Ceux qui mangent injustement les biens des orphelins en fait mangent du feu dans leurs ventres et ils brûleront en enfer].

"Surate 4 - "Al-Nissa" Les Femmes V.10."

Les compagnons du Prophète -b.s.- étaient si remplis de crainte qu'ils veillèrent à ne pas mélanger leur argent avec celui des orphelins qui étaient à leur charge. Ce qui leur causa beaucoup de peine tout en bloquant les capitaux des orphelins. Quelques uns d'entre eux demandèrent au Prophète -b.s.- s'ils pouvaient faire un commerce avec l'argent des orphelins pour faire fructifier le capital et le multiplier. Allah - gloire à Lui - révéla ceci: [Et ils t'interrogent au sujet des

La prise en charge des orphelins

par Hoda Hussein Chaâraoui

L'orphelin est celui qui a perdu son père avant d'atteindre l'âge de la puberté. L'orphelin pour l'espèce humaine est celui qui a perdu son père, tandis que dans l'espèce animale c'est celui qui a perdu sa mère. La prise en charge des orphelins est l'une des recommandations les plus importantes faites par le Prophète -b.s.- qui a annoncé les plus hauts degrés du Paradis à celui qui prend la charge de l'orphelin. Il a dit: "Moi et le tuteur de l'orphelin nous serons au Paradis, comme ceux-ci". Et il montra ses deux doigts: l'index et le majeur en les écartant.

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Il a dit encore: "Celui qui fait partager à un orphelin musulman, sa nourriture et sa boisson, Allah le fera entrer au Paradis sauf s'il a commis un péché impardonnable".

"Hadith rapporté par Al-Tirmizy."

Or, l'on sait que l'association d'un autre Dieu à Allah est le seul péché impardonnable.

le comportement d'une nation toute entière dont l'action est commune.

L'histoire du Hadj nous ramène à celle du Prophète Ibrahim qui en songe qu'il tuait son fis Ismaîl et qui, au moment où il allait exécuter l'ordre d'Allah, reçut un mouton à sacrifier à la place de son fils.

Cette histoire que nous évoquons par le Hadj renferme beaucoup de leçons :

— Il faut vouer un culte sincère à Allah exclusivement.

— Il faut obéir sans discuter aux ordres d'Allah même si cela semble trop difficile car, après l'épreuve, Allah nous offre la solution.

— Tout en étant sûr qu'Allah dissipera ses tourments, l'homme doit fournir un effort et rechercher les moyens appropriés en vue de surmonter cette épreuve. Si ses efforts s'avèrent inutiles, qu'il sache qu'Allah est auprès de lui et qu'Il viendra à son secours.

— Enfin, ce grand congrès islamique qui regroupe les musulmans venues des quatre coins du monde symbolise l'unité de la nation islamique. C'est un appel aux musulmans afin qu'ils unifient non seulement leurs rangs mais aussi leur action en vue d'assurer leur bonheur et leur suprématie en ce monde; c'est là la voie menant à la félicité éternelle dans la vie future. Rappelons à ce sujet le hadith du Prophète -b.s.- qui dit: "Les musulmans, par leur amour et leur compassion mutuels, sont semblables à un corps unique: si l'un de ses membres souffre, tous les autres membres en sont affectés.

Le Hadj est donc un culte individuel mais accompli en collectivité. Les musulmans apprennent donc du Hadj l'action commune et l'effort collectif, tout comme ils ont appris par leur acquittement de l'aumône prescrite (Al Zak'at) à combattre leur parcimonie et leur amour de l'argent et des biens.

Après avoir vécu les jours du Hadj les musulmans doivent donc rentrer dans leur pays avec la ferme résolution d'appeler leurs compatriotes à appliquer les leçons du Hadj dans leur vie et leur comportement les uns envers les autres.

Telle doit être la mission de ceux qui ont accompli en toute dévotion le culte du Hadj.

ROKEYA GABR

Après le Pélerinage

par Dr. Rokeya GABR

Les gens ont tort de penser - comme le disent certains proverbes - qu'après la fête on ne fait plus de gâteaux.

Or, ce proverbe populaire ne peut en aucun cas s'appliquer aux cérémonies religieuses, car en Islam on commence à préparer les gâteaux aussitôt que la fête est terminée. Ce qui revient à dire que les fêtes en Islam ont lieu comme couronnement d'un grand effort fourni dans deux des cultes fondamentaux, soit le jeune et le pélerinage. Chacune de ces deux formes de culte doit avoir des effets visibles sur le comportement du musulman; c'est pourquoi les gens récoltent les fruits de leur efforts déployés dans l'accomplissement du culte après s'en être acquittés.

Ainsi une grande responsabilité incombe à tous les musulmans qui rentrent chez eux après avoir accompli tous les rites du "Hadj". En effet tous les cultes islamiques doivent être accomplis avec une sincérité du coeur afin que le musulman en tire un profit véritable dont les effets sont durables.

Ainsi la prière détourne des actes immoraux et répréhensibles comme le confirme le Coran. Si la prière ne détourne pas celui qui l'accomplit de tout libertinage et de toute corruption, elle devient une suite de gestes et de mouvements dénués de sens comme l'a montré un Hadith du Prophète -b.s.-

On retrouve la même idée au sujet du jeûne exprimée par la Sunna du Prophète -b.s.- où plusieurs hadiths affirment que le jeûne qui consiste à se priver de nourriture et de boisson est vide de sens et n'atteint en aucune façon l'objectif spirituel visé par ce culte.

Par ailleurs, si la prière et le jeûne visent en premier à réformer l'individu, c'est pour que ces pratiques du culte préparent les individus à remplir des missions plus nobles au niveau de la société et de la nation toute entière.

Quant au "Hadj" il présente cette particularité: C'est une action commune accomplie dans un même lieu et en même temps. Ce trois unités (de lieu, de temps et d'action) symbolisent dans leur ensemble

REVUE AL-AZHAR

Vol. 69 Part VI

Jumada Al-Akhera 1417 H., Oct. Nov. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Roksya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

b. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ (٦٤) سورة النساء

"We sent not a messenger but to be obeyed". 4 : 64
Muhammad (PBUH) the last messenger should be obeyed.

c. "Say: 'Obey Allah and His messenger', but if they turn back, Allah does not like the kafirs." - those who reject faith. There are other verses with the same meaning.

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (٧) سورة الحشر

d. "Take what the messenger assigns to you and deny yourselves that which he withholds from you." 59 : 7.

e. ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (١٥٣) سورة الأنعام

"This is My way leading straight: follow it: follow not other paths, they will scatter you from His path." 6:153

The Holy Qur'an, as we have seen guides Muslims in matters related to the religion and their daily life. The Qur'an tells them to hold fast to its guidance and the guidance of prophet Muhammad (PBUH).

Chronologically the following verse is the last verse revealed to the prophet while he was on his way back from his farewell pilgrimage.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) سورة المائدة

"This day have I perfected your religion for you, completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion". 5:3.

On that occasion, the prophet (PBUH) said in a speech that he had left to Muslims two things, should they follow them they would not go astray: the book and his sunnah - hadith and traditions-.

This is a call to all Muslims everywhere to hold fast to the teachings of Islam. They should be aware of misleading calls.

﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٤٩) سورة المائدة

"Beware of them lest they beguile you from any of that (teaching) which Allah has sent down to you". 5:49. They should hold fast to Qur'anic teachings as well as to the sayings of the prophet (PBUH) actions and traditions. It is hoped that the so called anti hadith group should revise their stand and to hold fast to hadith.

Dr. Ahmed Shawky Arafa

One example of his good morals is mercy. He was kind and merciful to the young and the old, the males and females, the sick and the disabled, the servants, slaves and prisoners of war, the friends and neighbours, and to the poor and the destitute and even to the animals. Indeed Allah described Muhammad (PBUH) as a mercy for all the world. He is a mercy to all creaturfes Muslims and non-Muslims.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) سورة الأنبياء

"We sent you not, but as a mercy for all creatures." Sura 21:107

We can imagine what the world would loose should we reject the numerous hadith concerned with mercy and kindness.

6. The prophet (PBUH) collected zakah -alms- from the rich and distributed them to the poor and destitute ... etc.
   He also distributed the bounties of war.
7. He declared wars -struggles-, lead the armies or appointed the leaders of the armies. He held peace negotiations.
8. He taught Muslims how to perform pilgrimage.

These are very few duties and responsibilities of the prophet (PBUH) during his mission which lasted 23 years. In very few occasions did Allah change a rule or decision made by him, like for example, adoption and prisoners of war. This shows that Allah was pleased with the actions of His mesenger, speeches and decisions and that they were consistent with the religion.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ سورة النجم

"Nor does he say of his own desire, it is no less than inspiration sent down to him." 53: 3-4

There are many verses in the Holy Qur'an that endorse the hadith and sunnah :-

a. The words

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (١٢٩) سورة البقرة

"the book and the hikmah" are mentioned in the Holy Qur'an several times; ex, Sura 2 : 164.

The book means the Qur'an, and the hikmah means the sunnah and hadith.

Hold Fast to Sunna

By : Dr. Ahmed Shawky Arafa

Every now and then, there is a cry in the Muslim World from some people who consider themselves reformers. They also think that they are more enlightened than other Muslims.

Recently there is a group that aims at making changes in the religion of Islam. They do not want to rely on the Hadith or the traditions of Prophet Muhammad peace and blessings from Allah be upon him (PBUH). They want to depend solely on the Qur'an.

It seems that this group considers Muhammad (PBUH) was no more than a dispatch officer, whose duty was to convey the Holy Qur'an to the world. By scrutinizing the life history of the prophet, we will discover that he had many functions and will realize that he had many responsibilities. Some of these functions and responsibilities are enlisted below :-

1. He taught Muslims the Qur'an, and made them learn it by heart. He edited it to the Qur'an writers. He explained the meanings of some verses and also conveyed the Hadith Qudsi.
2. He taught Muslims how to pray to Allah and lead them in congregational prayers. He also taught them how to perform extra prayers as nawafel, funeral prayers, asking Allah for rain ... etc.
3. He issued rulings regarding matters arising in the lives of Muslims.
4. He spread the word of Allah among non-believers to convince them to embrace Islam, sent delegations to neighbouring countries and negotiated with friends, foes and allies.
5. The actions and deeds of the prophet (PBUH) are considered by Allah good examples to Muslims to emulate.

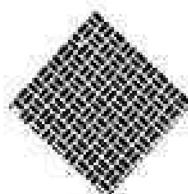
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ٢١ سورة الأحزاب

"You have indeed in the messenger of Allah an excellent exemplary". Sura 33:21

not give them except either their possessions on their captives. Thesefore, they agreed to take only their captives.

One year later, the Thaqeef had sent a delegation to the Prophet (PBUH) in order to declare their faith in Islam. The Prophet (PBUH), together with all the Muslims, rejoiced and wen extremely happy that Allah had fulfilled their wish and that the Thaqeef were now seeking to become true Muslims. The Thaqeef delegation asked the Prophet (PBUH) only one condition, i.e. that their idol (Allat) should not be demolished until after three years. The Prophet (PBUH) strongly refused this condition. In response to the prophet's (PBUH) stuborn refusal they earnestly begged him to exempt them from demolishing the idol with their own hand and to appoint whoever he chose to perform. that task.

Evaluating the cousequences of the battle of Hunayn, it can be said that it was the last major decisive battle between Islam and paganism. In effect, this battle had finally put an end to the pagan sovereignty over Mecca. This battle like the earlier ones had asserted but one important fact that the Muslims, who accompanied the Prophet (PBUH) in all these battles and fought fiercely and bravely, were faithful believers ready to die solely for the sake of Islam, the religion of Allah.



After the defeat of the first two groups of idolaters, the prophet (PBUH), accompanied by his followers, went in pursiut of those pagans who fled to Al Ta'ef. When the Muslims reached Al Ta'ef, the prophet (PBUH) discovered that the idolaters had secured themselves behind strong defensive positions with food supplies sufficient for one year. Therefore, the Prophet (PBUH) ordered the Muslim army to camp near the walls of Al-Ta'ef as a kind of siege. But being in the reach of the idolaters' arrows, the prophet (PBUH) changed his plan and ordered the Muslims to remove their camps at a distance which could not be reached by the pagan bowmen. The Muslim siege, in fact, remained for more them 20 days, during which the Muslims had been able to batter at the idolaters defences by using mangonel. Moreover, the Muslims, as another form of pressure, had cut down the idolater's palm trees and their grape vines hoping to comple them to surrender.

After the long siege of Al Ta'ef the prophet (PBUH), as he used to do in all the other battles, discussed with the Muslims the viability of the beseigment of Al Ta'ef. Hence, the Muslims decided amongst themselves to return to Mecca and, thus, raise the siege. Before leaving the place, the prophet (PBUH) prayed to Allah Almighty to give His guidance unto the Thaqeef so as to be converted to Islam. This event proves but only one impartant fact, vis that the prophet (PBUH) had never resorted to using force against the idolaters in order to compel them to declare their belief in Islam.

After ending the siege of Al Ta'ef, the Prophet (PBUH) began to distribute all the possessions captured in this battle among the Muslim army whether believers or non believers. The wisdom behind giving the non believers, who joined the Muslim army, a share in the booty was to strengthen in their hearts, their attitude towards Islam.

Later on, a delegation from Hawazin arrived to visit the Prophet (PBUH) in order to declare their faith in Islam in front of him. In the meantime, the delegation asked the prophet (PBUH) to give them back their possessions and captives for they had suffered heavy losses in this last battle. The Prophet (PBUH) told them that he could

distracted by the loot and the spoils of the battle thus causing the defeat of the Muslim army.

However, it is believed that the Muslims had not been totally defeated by the sudden attack of the enemies bowmen. Moreover, it is almost certain that the Muslims rapid withdrawal from the battlefield had been a strategic one, in order to give them time to regroup and formulate the strategy that would enable them to launch an effective counterattack against their enemies because, as it is known, the Muslim warriors never feared death. Therefore, in no time the Muslims were able to transform the apparent defeat into a major victory. This victory can be attributed to the wise strategic tactic of the prophet (PBUH) who, on seeing the Muslims fleeing from the battlefield, asked his Uncle Al-Abbas tocall for Al-Ansar and the other warriors to come back to the field. The Muslim warriors, at once responded to the prophet's call and all of them rejoined and waited for the prophet's order to launch their counterattack. The outcome of this battle resulted in complete and total defeat for the idolaters and the Muslims gathered together all the captives and all the other possessions of value.

Following the battle, the defeated idolaters had become divided into three groups. The first group managed to escape to a place called Nakhla. The second group had been able to make their camp in a place called Awtas and the third group had escaped to stronghold of Al Ta'ef.

Accordingly, the prophet (PBUH) gave his orders to the Muslims to pursue the idolaters who fled to the two weaker places of Nakhla and Awtas. Reaching these two places the Muslims launched their fierce attack aganist the idolaters thus, scattering them, taking as captives many of them and taking as well many of their possessions.

Accordingly, the prophet (PBUH) gave his orders to the Muslims to pursue the idolaters who fled to the two weaker places of Nakhla and Awtas. Reaching these two places the Muslims launched their fierce attack aganist the idolaters thus, scattering them, taking as captives many of them and taking as well many of their possessions.

The main front of the army was composed of Bani Saleem under the leadership of Khalid Ibn Al Waleed, while the vanguard of the army was composed of the horsemen, while the green squadron-which included the prophet — was composed of Emigrants (AL-Muhajrin) and the Helpers (Al-Ansar). The Muslims were extremely optimistic concerning victory especially after they had seen that they were much more numerous in comparison to their enemies.

After the idolaters had received information regarding the advance of the Muslim army, they made immediate preparations to confront them. They distributed their bowmen along the heights and the narrowest parts of the valley of Hunayn. As a military tactic, the idolaters believed that their bowmen from their positions could shoot their arrows down upon the Muslims so as to force them to scatter.

However, there are three separate historical accounts regarding the battle of Hunayn. Each account endeavours to provide us with the essential information appertaining to the encounter. The first account records that the Muslims had fought a fierce battle against the idolaters and had been able to defeat them. Later on, the idolaters managed to redeploy their forces and launch a counterattack, against the Muslims thereby defeating them.

The second account records that after the Muslim had entered the valley of Hunayn they were taken completely by susprise by the hidden bowmen, which routed the Muslims in complete disarray thus, they were defeated by the idolaters.

The third account records that the Muslim, at first, fought and defeated the idolaters but thereafter some of them began to claim possession of the spoils and loot left behind by the fleeing enemies. Unaware of the enemies bowmen who were lurking in wait along the heights of the valley, the Muslims were taken by surprise and were defeated by the idolaters.

These three historical accounts may seem to be correct especially if we take into consideration that the Muslim army had been partially composed of idolaters and other warriors who had only recently adopted the Islamic faith. In addition, many of the warriors had been

notewatly, in order to attack the Muslims in a surprising assault. It is notewerthy to say that the leader of the pagan troops, Malek Ibn Auf, to say that the leader of the pagan troops, Malek Ibn Auf, had been an enthusiastic young man famous of his great courage. However, this young man's military experience had not yet been developed in war, so he had been overtaken by his violent exuberance and despotism. The pagan troops which consisted of some 4000 Idolaters from the Hawazin and the Thaqeef who had volunteered to take part in this pattle, marched on their way to fight the Muslims in their own land.

The Prophet (PBUH) had been informed about the troops of the idolaters, so he sent Abdullah Al Salamy in disguise to insinuate himself amongst the tribe of Hawazin in order to gather information about their military intensions. Abdullah had been able to fulfil his mission successfully, he had penetrated right into the tribe of Hawazin and was able to gather all the information required, and he thereupon returned to the prophet (PBUH).

After Abdullah had informed the Prophet (PBUH) of the pagans' preparations, the prophet (PBUH) decided to face the idolaters who were doing their utmost to destroy Islam and revive paganism. Hence, the prophet (PBUH) made up his mind to launch his attack against them in their own land so as to prevent them from attacking the Muslims in Mecca. After the Prophet (PBUH) had ordered the Muslims to make their preparations and they had done so, 12000 warriors were ready to march towards Hunayn, 2000 of these were from Mecca and the rest from Medina. Moreover, 80 idolaters had volunteered to accompany the Muslim army such as : Safwan Ibn Umayya and Suhail Ibn Amr.

The Muslim army, after completing its preparations, marched to Hunayn which was a vally beside Al-Ta'ef about 15 miles from Mecca. When the army had reached the positions of their enemies, the prophet (PBUH) deployed his warriors and distributed the flags among the leaders.

The Great Battles of Islam
8 The Day of Hunayn

*By: Nahed Mohamed Wasfi Ph.p.**

WHEN the Muslims emerged as a victorious power and had been able to enter Mecca, this had aroused the fear of the tribes which still remained pagans such as : the Hawazin and the Thaqeef. It should be noted that when the Muslims were about to enter Mecca, the leaders of Qureish had asked for the help of their allies, namely the two tribes of Hawazin and Thaqeef. Therefore, after the victorious Muslims had entered Mecca, the leaders of the two tribes, Hawazin and Thaqeef, agreed to meet in order to discuss the situation concerning the fall of Mecca and its serious consequences regarding the Arabion peninsula. Thus, the leaders of these tribes decided amangst themselves to attack the prophet (PBUH) In order to prevent the Muslims from attacking them in their own lands.

However, there is no shred evidence in the history of Islam that the prophet (PBUH) had had, at any time, the slightest intensian of attacking either or both of these two tribes because the Muslims had never been transgressors. On the contrary, it was known that the prophet (PBUH) was determined to return to Medina after he had entered Meca and destroyed the sovereignty of the idolaters. Not knowing the true character of the prophet. (PBUH), who had always been in favour of peace rather than war, the tribes of Hawazin and thaqeef had decided first to fight the Muslims, in an attempt to prevent the new religion from spreading throughout the Arabian peninsula.

The two tribes of Hawazin and Thaqeef had automatically been supported by the pagan tribes of S'ad Ibn Bakr, and some parts of Bani Hilal. The pagan troops assembled under the leadershipof Malek Ibn Auf in order to attack the Muslims in a surprising assult. It is

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Jumada Al-Akhera 1417 H

Vol. 69 Part VI



الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

هموم الرشيد

للقدر الكريم خيوطه ، ثم هو إرادة الله - عز وجل - وحين نقول : إرادة الله - تعالى - فهى نافذة لا محالة ، والبصيرة المؤمنة لمّاحة لا تفجؤها العناصر التى تحيل أبهج المعالى ، وأجل الدرجات إلى آلام مكبوتة ، أو مصائر مشئومة .

كان الصَّباح الطبرى أخص خواص الخليفة هرون الرشيد ، مضى معه - يوماً - إلى « النهروان »(1) وقد خرج الرشيد إلى « خراسان »(2) لتأديب بعض الخوارج .

قال الصباح : فقال الرشيد .

يا صَبّاح ، لا أحسَبُك ترانى أبداً !

فقال الصباح : بل يردك الله سالماً ، قد فتح الله عليك ، وأراك فى عدوك أملك !

(1) النهروان - بلدة بين واسط وبغداد - تتصل بعض حدودها ببغداد .

(2) خراسان : من أقاليم إيران ، القريبة إلى بغداد ، وتمتد لاتساعها شرقاً إلى حدود سجستان وكرمان .

رجب ١٤١٧هـ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٦م الجزء السابع السنة التاسعة والستون

قال : يا صباح ، ولا أحسبُك تدرى ما أجدُ ..!

قلت : لا ، والله . قال : فتعال حتى أريك .

فانحرف عن طريق الناس قدر مائة ذراع ، فاستظل بشجرة ، وأومأ إلى خدمه الخاصة فتنحَّوا . ثم قال : أمانة الله ياصباحُ أن تكم عليَّ ! ... فكشف عن بطنه ، فإذا عصابة حرير حوالى بطنه ، فقال :

هذه عِلَّةٌ أكتمُها الناس كلَّهُمْ ، ولكل واحد من وَلَدى [يعنى المأمون والأمين وثالث] علىَّ رقيب ، فـ « مسرور »[3] رقيب المأمون ، و « جبريل بن بَخْتَيشُوع » رقيب الأمين ــ وسَمَّى الثالث فذهب عنى اسمُهُ ــ ومامنهم أحدٌ إلا وهو يُحصى أنفاسى ، وَيَعُدُّ أيامى ، ويستطيل عُمْرى ؛ فإن أردتَ أن تعرف[4] ذلك فالساعة أدعو بدابة فيجيئوننى ببرذَوْن أعجف قطوف [أى ضيق الخطا] ليزيد فى علتى .

فقلت : ياسيدى .. جعل الله ما يَشْتَكُوك من الجن والإنس والقريب والبعيد فداك ! ... ولا أرانا فيك مكروها ، وعمَّر بك الإسلام ، ودَعَّمَ ببقائك أركانه ، وشدَّ بك أرجاءه ، وردك الله مظفراً مفلحاً على أفضل أملك فى عدوك ، ومارجوت من ربك .

قال : ثم دعا ببرذَوْن فجاءوا به كما وصف ، فنظر إلىَّ فركبه ، وقال : انصرف غير مودَّع ... فودعتُهُ ، وكان آخر العهد به .



تلك رواية تنزل بالنفس فجيعة ، وكم يتمنى قارئها أن تكون كاذبة ، لكن أطبق على روايتها إماما التاريخ الإسلامى : الطبرى وابن الأثير[5] . فأى شيء ــ فى هذه الحياة ــ يجعل من أسبابها ــ استمداداً لسعادة حقة .

ألا ، إنه ، إن لم يكن لنا بالله ــ تعالى ــ سبب ، بل أسباب فذلك هو الخسران المبين .

ولقد يبرأ الأمين والمأمون ، ويكون ما حَلَّ بالرشيد أوهام وظنون .. ولكن .. تبقى الدنيا ــ من بعد كما هى من قبل ــ رأس كل خطيئة لمن أحبها لذاتها ، فرآها هواه ومبتغاه ، وهَمَّهُ ورضاه .

وفى آثار سفيان الثورى ــ رضى الله عنه ــ رواية هذه الحقيقة على لسان نبى من أولى العزم من الرسل ، قال هذا النبى الكريم : « حب الدنيا رأسُ كل خطيئة » ــ .

وبعـــد :

فهل وَجَدتْ أسمى الروابط وأنبل العواطف وقاية تحفظها أمام حب الدنيا .. وبريق المال .. ؟!

---

(3) مسرور واحد من العاملين بقصر الرشيد ، ومثله جبريل التالى بعده .

(4) يريد : أن أردت أن تعرف أن ما أقوله حق .

(5) انظر : تاريخ الطبرى ٣٣٨/٨ ط دار المعارف ــ مصر ، والكامل لابن الأثير ٢٠٧/٦ ط دار صادر ــ بيروت

تفسير سورة البقرة

وبعد أن بينت السورة الكريمة أقسام الناس الثلاثة ، وعاقبة كل قسم منهم ، ساقت لهم نداء عاماً دعتهم فيه إلى عبادة الله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - تعالى - :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

ففى هاتين الآيتين توجيه للناس إلى الأمر الذى خلقوا من أجله وهو عبادة الله دون ما سواه ، وبيان البراهين الساطعة التى تدل على وحدانية الله وعظيم قدرته .

و «يا» حرف نداء وهو أكثر حروف النداء استعمالا ، فهو أصل حروف النداء .

و «أى» اسم مبهم لكن يزول إبهامه بالاسم المقصود بالنداء الذى يأتى بعده .

و «ها» المتصلة به مؤكدة للتنبيه المستفاد من النداء .

و «العبادة» الخضوع البالغ الغاية .

وقد كثر النداء فى القرآن الكريم بهذه الطريقة لما فيها من التأكيد الذى كثيراً ما يقتضيه المقام .

وفى ذكره تعالى باسم الرب ، وإضافته إلى المخاطبين ، تقوية لداعية إقبالهم على عبادته .

فإن الإنسان إذا اتجه بفكره إلى معنى كون الله مالكا له ، أو مربيًا له وتذكر مايحفه به من رفق ، وما يجود به عليه من إنعام ، لم يلبث أن يخصه بأقصى ما يستطيع من الخضوع والخشوع والإجلال .

وإفراد اسم الرب دل على أن المراد رب جميع الخلق وهو الله – تعالى – ، إذ ليس ثمة رب يستحق هذا الاسم بالإفراد والإضافة إلى جميع الناس إلا الله .

ثم بيّن ـ سبحانه ـ الموجبات التى من شأنها أن تحملهم على عبادته وحده فقال :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ .

و «الخلق» : أصله الإيجاد على تقدير وتسوية ، ويطلق على القرآن وفى عرف الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة ، فهو إخراجها من العدم إلى الوجود إخراجًا لاصنعة فيه للبشر .

و «المعنى» : اجعلوا أيها الناس عبادتكم لله تعالى وحده ، لأنه هو الذى أوجدكم فى أحسن تقويم بعد أن كنتم فى عدم ، كما أوجد الذين تقدموكم .

وقدم وصفه بخلق المخاطبين مع أنه متأخر بالزمان عن خلق من تقدموهم ، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره .

وقوله – تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ فيه رد على الدهريين من المخاطبين الذين يزعمون أنهم إنما خلقهم آباؤهم فقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .

فكأن قوله : « وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » تذكيرا لهم بأن آباءهم الأولين لا بد أن ينتهوا إلى أب أول قد خلقه الله – تعالى .

وجملة «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» تعليل للأمر بالعبادة ، ولذلك فصلت .

و «لعل» حرف موضوع ليدل على الترجى ، وهو توقع حصول الشىء عندما يحصل سببه وتنتفى موانعه . والشىء المتوقع حصوله فى الآية هو التقوى وسببه العبادة ، إذ بالعبادة يستعد الإنسان لأن يبلغ درجة التقوى وهى الفوز بالهدى والفلاح ، والترجى قد يكون من جهة المتكلم وهو الشائع وقد تستعمل لعل فى الكلام على أن يكون الترجى مصروفًا للمخاطب ،

فيكون المترجى هو المخاطب لا المتكلم ، وعلى هذا الوجه يحمل الترجى فى هذه الآية ، لاستحالة توقع حصول الشىء من عالم الغيب والشهادة ، لأن توقع الإنسان لحصول الشىء هو أن يكون مترددًا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الوقوع ، وعليه فيكون المعنى : اعبدوا ربكم راجين أن تكونوا من المتقين ، الذين بلغوا الغاية فى الهدى والفلاح .

ثم أضاف - سبحانه - أسبابًا أخرى تحمل الناس على عبادته وطاعته فقال :

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ .

الفراش : مايفترشه الإنسان ليستقر عليه بنحو الجلوس أو المنام . أى : اجعلوا عبادتكم لله الذى صير الأرض لأجلكم مهاداً كالبساط المفروش ، فذللها لكم ولم يجعلها صعبة غليظة ، لكى يتهيأ لكم الاستقرار عليها . والتقلب فى مناكبها ، والانتفاع بما أودع الله فى باطنها من خيرات .

وتصوير الأرض بصورة الفراش لاينافى كونها كروية ، لأن الكرة إذا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح فى إمكان الانتفاع بها .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ يُقال لسقف البيت بناء أى : جعل السماء كالسقف للأرض ، لأنها تظهر كالقبة المضروبة فوقها كما قال - تعالى - ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ .

وقدم خلق الأرض على خلق السماء لأن الأرض أقرب إلى المخاطبين ، وانتفاعهم بها أظهر وأكثر من انتفاعهم بالسماء .

قال بعض الأدباء : « إذا تأملت هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل مايحتاج إليه ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منورة كالمصابيح ، والإنسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه ، وضروب الحياة مصروفة لمصالحه » فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل ، وتقدير شامل ، وحكمة بالغة ، وقدرة غير متناهية » .

ثم قال - تعالى - ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ :

السماء : السحاب . والثمرات : ماينتجه الشجر . والرزق : مايصلح لأن ينتفع به . والباء فى (به) للسببية .

أى : أنه جعل الماء سببًا فى خروج الثمرة ، وهو القادر على أن ينشئها بلا سبب كما أنشأ الأسباب .

وأورد ﴿ماء﴾ و ﴿رزقا﴾ فى صيغة التنكير التى تستعمل عند إرادة بعض أفراد المعنى الذى وضع له اللفظ لغة ، وذلك لأن من الماء مالم ينزل من السماء ، ومن الرزق مالا يكون من الثمرات . فمعنى الجملة الكريمة : أنزل من السماء بعض الماء ، فأخرج به من الثمرات بعض

مايكون رزقا لكم .

ثم قال - تعالى - ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

الأنداد : جمع ند ، وهو مثل الشيء الذى يضاده وينافره ويتباعد عنه .

وأصله من : ند البعير يند ندا وندادًا وندًا ، إذا تفرد وذهب على وجهه شاردًا .

والمعنى : فلا تجعلوا لله أمثالا ونظراء تعبدونها آلهة ، وتعتقدون فيها النفع والضر ، وتجعلون لها مالله تعالى وحده ، وأنتم تعلمون أنها أشياء لا يصح جعلها أندادًا مساوية له تعالى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى : وأنتم من ذوى العلم والنظر ، فلو تأملتم أدنى تأمل لانصرفتم بقوة إلى عبادة الله وحده . ولتركتم الإشراك به .

وصدرت الجملة الكريمة بالفاء لترتبها على الكلام السابق ، المترتب على الأمر بعبادة الله وحده

وسمى القرآن الشركاء المزعومين أندادًا تهكمًا بالعابدين لها ، ولأن المشركين لما تركوا عبادة الله إلى عبادة الأوثان ، وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة ، قادرة على مخالفته ومضادته ، وذلك معنى جعلها أندادًا الذى هو مصب النهى فى الآية .

وجملة (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) ، حالية ، ومفعول تعلمون متروك ، لأن الفعل لم يقصد تعليقه بمفعول ، بل قصد إثباته لفاعله فقط فنزل منزلة اللازم ، وفى هذه الجملة مبالغة فى زجرهم عن عبادة الأوثان من دون الله ، لأن ارتكاب الباطل من الجاهل قبيح ، وهو من العالم ببطلانه أشد قبحاً ، وأدعى إلى أن يقابل بأغلظ ألوان الإنكار . كما أن فيها إثارة لهممهم ليقلعوا عن عبادة غير الله فإن من كان من ذوى العلم لا يصح منه أن يفعل أفعال من لا عقل له ، وهذا لون جليل من ألوان التربية ، فإن من سمات المربى الناجح أن يجمع بين القسوة فى النهى عن القبيح ، وبين إثارة همة الموعوظ حتى لا يقتل همته باليأس ، لأن الإنسان إذا ساءت ظنونه بنفسه خارت عزيمته ، وفترت همته .

هذا ، وقد استفاضت الأحاديث النبوية التى تدعو إلى توحيد الله ، وتنهى عن الإشراك ، ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم عند الله ؟ (قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك) .

قال الإمام ابن كثير : وهذه الآية دالة على توحيده - تعالى - بالعبادة وحده لا شريك له ، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب وقد سئل : ما الدليل على وجود الله - تعالى - ؟ فقال : يا سبحان الله !! إن البعر ليدل على البعير ؛ وإن أثر القدم يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل هذا على وجود اللطيف الخبير[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٨ .

وبعد أن ساق - سبحانه - فى هاتين الآيتين البراهين الساطعة الدالة على وحدانية الله ؛ ونفى عقيدة الشرك ، أورد بعد ذلك الدلائل الدالة على صدق النبى ﷺ فيما يبلغه عن ربه ، وعلى أن هذا القرآن ليس من صنع بشر ، وإنما هو كلام واهب القوى والقدر فقال - تعالى - :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾

ففى هاتين الآيتين انتقال لإثبات الجزء الثانى من جزأى الإيمان ، وهو صدق النبى ﷺ - فى رسالته ، بعد أن تم إثبات الجزء الأول من ذلك وهو وحدانية الله - تعالى - وعظيم قدرته .

والمعنى : إن ارتبتم أيها المشركون فى شأن هذا القرآن الذى أنزلناه على عبدنا محمد على مهل وتدرج ، فأتوا أنتم بسورة من مثله فى سمو الرتبة ، وعلو الطبقة واستعينوا على ذلك بآلهتكم وبكل من تتوقعون منهم العون ، ليساعدوكم فى مهمتكم ، أو ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بما يماثله ، إن كنتم صادقين فى زعمكم أنكم تقدرون على معارضة القرآن الكريم .

والمقصود بقوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... ﴾ نفى الريب عن المنزل عليه - وهو محمد ﷺ - بنفيه عن المنزل وهو القرآن الكريم .

والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم هو الارتياب فى شأنه ، أو للتنبيه على أن كلامهم فى شأن القرآن هو بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح الدلائل الدالة على أن القرآن من عند الله - تعالى - .

وعبر بقوله : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ ولم يقل : وإن ارتبتم فيما نزلنا ، للإشارة إلى أن ذات القرآن لا يتطرق إليها ريب ، ولا يطير إلى أفقها شرارة من شك ، وأنه إن أثير حوله أى شك فمرجعه إلى انطماس بصيرتهم ، وضعف تفكيرهم ، واستيلاء الحقد والعناد على نفوسهم .

وأتى بإن المفيد للشك مع أن كونهم فى ريب مما نزلنا على النبى ﷺ أمر محقق ، تنزيلا للمحقق منزلة المشكوك فيه ، وتنزيهًا لساحة القرآن عن أن يتحقق الشك فيه من أى حد ، وتوبيخًا لهم على وضعهم الأمور فى غير مواضعها .

ووجه الإتيان بفى الدالة على الظرفية ، للإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف .

وقال ﴿نزلنا﴾ دون أنزلنا ، لأن المراد النزول على سبيل التدريج ، ومن المعروف أن القرآن قد نزل منجما فى مدة تزيد على عشرين سنة .

قال صاحب الكشاف : (فإن قلت : لم قيل : «مما نزلنا» على لفظ التنزيل دون الإنزال ؟

قلت : لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وذلك أنهم كانوا يقولون : لو كان هذا القرآن من عند الله ، لم ينزل هكذا نجومًا سورة بعد سورة ، وآيات عقب آيات ، على حسب النوازل ، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقًا حينًا فحينًا حسب مايعن لهم من الأحوال المتجددة ... فقيل لهم : إن ارتبتم فى هذا الذى وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج ، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه ، وهاتوا نجما فردا من نجومه : سورة من أصغر السور ، أو آيات شتى متفرقات ، وهذا غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل)[٢] أ.هـ ملخصاً

والمراد بالعبد فى قوله - تعالى - : ﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمد - ﷺ - وفى إضافته إلى الله - تعالى - تنبيه على شرف منزلته عنده ، واختصاصه به .

وفى ذكره ﷺ باسم العبودية ، تذكير لأمته بهذا المعنى ، حتى لا يغالوا فى تعظيمه فيدّعوا ألوهيته كما غالت بعض الفرق فى تعظيم أنبيائها أو زعمائهم فادعت ألوهيتهم .

والسورة : الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص ، والتى أقلها ثلاث آيات ، والضمير فى قوله (مِّن مِّثْلِهِۦ) يعود على المنزل وهو القرآن .

والمراد من مثل القرآن : مايشابهه فى حسن النظم ، وبراعة الأسلوب وحكمة المعنى . وهذا الوجه من الإعجاز يتحقق فى كل سورة .

وقيل : إن الضمير فى قوله (من مثله) يعود على المنزل عليه القرآن ، وهو النبى - ﷺ - ولكن الرأى الأول أرجح .

قال الإمام الرازى ماملخصه : وعود الضمير إلى القرآن أرجح لوجوه :

أحدها : أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى باب التحدى لا سيما ماذكره فى سورة يونس من قوله : ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ...﴾ .

وثانيها : أن البحث إنما وقع فى المنزل وهو القرآن ، لأنه قال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا .. ﴾ **فوجب صرف الضمير إليه ، ألاترى أن المعنى ، وإن ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم شيئا مما يماثله ، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله ﷺ أن يُقال : وإن ارتبتم فى أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثله .**

وثالثها : أن الضمير لو كان عائدا إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا أو انفردوا وسواء كانوا أميين أو عالمين ، أو لو كان عائدا إلى محمد ﷺ فذلك لا يقتضى إلا كون آحادهم من الأميين عاجزين عنه ، لأنه لا يكون مثل محمد إلا الشخص

---

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٩٧ .

الأمي ، فأما لو اجتمعوا وكانوا قارئين لم يكونوا مثل محمد ، لأن الجماعة لا تماثل الواحد . والقارىء لايكون مثل الأمي ، ولا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى .

ورابعها : أننا لو صرفنا الضمير إلى محمد ﷺ لكان ذلك يوهم أن صدور مثل القرآن مما لم يكن مثل محمد في كونه أميا ممكن ، ولو صرفناه إلى القرآن لدل ذلك على أن صدور مثله من الأمي ومن غير الأمي ممتنع فكان هذا أولى »(٣) .

وقوله - تعالى - : ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ ﴾ .

وادعوا : من الدعاء ، والمراد به هنا : طلب حضور المدعو أي : نادوهم .

وشهداءكم : أي : آلهتكم ، جمع شهيد وهو القائم بالشهادة ، فقد كانوا يزعمون أن آلهتهم تشهد لهم يوم القيامة بأنهم على حق - **وقيل** : الشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو الناصر أو الإمام ، وكأنه سمي به لأنه يحضر المجالس وتبرم بمحضره الأمور .

ودون : بمعنى غير : وتطلق في أصل اللغة على أدنى مكان من الشيء ، ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ، ودونك هذا أي : خذه من أدنى مكان منك ، ثم استعير للتفاوت في الرتب فقيل : زيد دون عمرو أي : في الشرف ، ومنه الشيء الدون ، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد ، وتخطي أمر إلى أمر .

قال الجمل : (والمعنى) : وادعوا إلى المعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله ، فإنه لايقدر على أن يأتي بمثله إلا الله .. ، أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ماأتيتم به مثله ، ولا تستشهدوا بالله ، فإن الاستشهاد به من عادة المبهوت العاجز عن إقامة الحجة ، أو شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة(٤) ...) .

وفي أمرهم بدعوة أصنامهم وهي جماد ، وفي تسميتها شهداء مع إضافتها إليهم مع أنها لا تعقل ولاتنطق ، في كل ذلك أقوى ألوان التهكم ، لكي يثير في نفوسهم من الألم ماقد يكون سببًا لتنبيههم إلى جهلهم ، وانصرافهم عن ضلالهم .

وقوله - تعالى - : ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ جملة معترضة في آخر الكلام وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق دلالة واضحة حتى صار ذكره في نظم الكلام ممايترل به عن مرتبة البلاغة .

والمعنى : إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم تقدرون على معارضة القرآن فأتوا بسورة من مثله . وادعوا آلهتكم وبلغاءكم وجميع البشر ليعينوكم أو ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بما يماثله في حكمة معانيه وحسن بيانه .

---

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص ٣٨ .

وفى هذه الآية الكريمة إثارة لحماستهم ، إذ عرض بعدم صدقهم ، فتتوفر دواعيهم على المعارضة التى زعموا أنهم أهل لها .

ثم قال – تعالى – : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

المعنى : فإن لم تفعلوا أى : تعارضوا القرآن ، وتبين لكم أن أحدًا لا يستطيع معارضته ، فخافوا العذاب الذى أعده الله للجاحدين وهو النار التى وقودها الناس والحجارة .

والوقود : ما يُلقى فى النار لإضرامها كالحطب ونحوه ، والحجارة : الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله كما قال – تعالى – : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ سورة الأنبياء

واقتران المشركين بما كانوا يعبدون فى النار مبالغة فى إيلامهم وتحسيرهم والاقتصار على ذكر الناس والحجارة لا يؤخذ منه أن ليس فى النار غيرهما بدليل ما ذكر فى مواضع أخرى من القرآن أن الجن والشياطين يدخلونها .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء بـ « إذا » الذى للوجوب دون « إن » الذى للشك ؟ قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم ، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام .

والثانى : أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يعاديه : إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكمًا به(٥) .

وقال : فإن لم تفعلوا ، ولم يقل فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، لأن قوله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ جار مجرى الكناية التى تعطى اختصارا ووجازة تغنى عن طول المكنى عنه ، ولأن الإتيان ما هو إلا فعل من الأفعال ، تقول : أتيت فلانا . فيقال لك : نعم ما فعلت .

وجملة ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ جملة معترضة بين الشرط والجزاء ، جيء بها لتأكيد عجزهم عن معارضته . فإن فى نفيها فى المستقبل بإطلاق تأكيدا لنفيها فى الحال .

قال الإمام الرازى : (فإن قيل : فما معنى اشتراطه فى إتقاء النار إنتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ فالجواب أنه إذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله ﷺ وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار ، فاتقاء النار يوجب ترك العناد ، فأقيم المؤثر مقام الأثر ، وجعل قوله : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ قائما مقام قوله فاتركوا العناد ، وهذا هو الإيجاز الذى هو أحد أبواب البلاغة ، وفيه تهويل لشأن العناد ، لإنابة إتقاء النار منابه متبعًا ذلك بتهويل صفة النار)(٦)

ومعنى ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ هيئت لهم ، لأنهم الذين يخلدون فيها ، أو أنهم خصوا بها وإن

---

(٥) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٠١ .

(٦) تفسير الفخر الرازى جـ ١ ص ٣٢٤ .

كانت معدة للفاسقين - أيضاً لأنه يريد بذلك نارًا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال - تعالى - ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء / ١٤٥]

وفي هذه الآية الكريمة معجزة من نوع الإخبار بالغيب ، إذ لم تقع المعارضة من أحد في أيام النبوة وفيما بعدها إلى هذا العصر .

قال صاحب الكشاف : (فإن قلت : من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو عليه حتى يكون معجزة ؟ .

قلت : لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال ، لا سيما والطاعنون فيه أكثف عددًا من الذابين عنه ، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به ، فكان معجزة)(٧) .

وقال بعض العلماء : (هذه الآية الجليلة من جملة الآيات التي صدعت بتحدى الكافرين بالتنزيل الكريم) . وقد تحداهم الله في غير موضع منه فقال في سورة القصص : ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية / ٤٩]

وقال في سورة الإسراء : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الآية / ٣٨]

وقال في سورة يونس : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ . وكل هذه الآيات مكية .

ثم تحداهم أيضاً في المدينة بهذه الآية ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ .. إلخ . فعجزوا عن آخرهم ، وهم فرسان الكلام ، وأرباب النظام ، وقد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم ، جعل الله لهم ذلك طبعًا وخلقة وفيهم غريزة وقوة . يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب ، فيخطبون ، ويمدحون ، ويقدحون ، ويتوسلون ، ويتوصلون ، ويرفعون ، ويضعون ، فيأتون بالسحر الحلال ... ومع هذا فلم يتصد لمعارضة القرآن منهم أحد ، ولم ينهض - لمقدار سورة منه - ناهض من بلغائهم ، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضارة والمضادة . وقد جرد لهم النبي - ﷺ - الحجة أولا ، والسيف آخرًا فلم يعارضوا إلا السيف وحده ، وما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنهم أعجز من المعارضة ، وبذلك يظهر أن قوله - تعالى - ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ معجزة أخرى ، فإنهم ما فعلوا ، وما قدروا .

وحيث عجز عرب ذلك العصر فما سواهم في هذا الأمر ... فدل على أن القرآن ليس من كلام البشر ، بل هو كلام خالق القوى والقدر أنزله تصديقًا لرسوله ، وتحقيقًا لمقوله(٨) ...

---

(٧) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٠٢ .
(٨) تفسير القاسمي جـ ٢ ص ٧٧ .

- يتبع -

قبس من أنوار النبوة

من هدى الرسول ﷺ فى تصحيح العقيدة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ؛ ولا صفر ، وفرّ من المجذوم كما تفر من الأسد » .

رواه البخارى وغيره بروايات وألفاظ وزيادات مختلفة .

المفردات :

١ — **لاعدوى** : انتقال المرض من جسم إلى آخر . كما تطلق على انتقال الخلق من شخص إلى غيره .

٢ — **ولاطيرة** : التطير : التشاؤم بالطير .

٣ — **ولا هامةَ** : بتشديد الميم وتخفيفها : هى الرأس ، واسم طائر ليلى هو البومة أو غيرها .

٤ — **ولا صفر** : اسم للشهر ، واسم حية عظيمة فى بطن الإنسان .

٥ — **وفر من المجذوم** : من أصابه المرض الذى تتآكل منه الأعضاء وتتساقط .

البيـــان

الإسلام دين الاعتقاد السليم الذى يطهر القلوب من الأوهام والأباطيل . ويصحح نظرة معتنقيه فى هذا الكون المحيط بهم ، بتصحيح عقيدتهم وتخليصها من كل مايشوبها من الشرك والتعلق بالوهم والخرافات والعقائد الباطلة .

وأساس الاعتقاد الصحيح الذى جاء به الإسلام يجعل القلوب فى يقين كامل بأن النفع والضر ، والمرض والشفاء بأمر الله وبإذنه . فهو على كل شىء قدير .

ولما كان شائعا فى الجاهلية بعض الخرافات والأوهام جاء التوجيه النبوى فى مواجهتها للقضاء عليها ؛ منها : اعتقاد تأثير الأمراض بذاتها وطبيعتها فى انتقال عدواها من المريض إلى السليم بمجرد القرب أو المخالطة . وهو معتقد باطل لصق بعقول بعض العرب فى جاهليتهم الأولى ويعنى ذلك أن العدوى تنتقل من المريض المخالط للسليم بذات المرض وطبعه وليس عن قضاء الله وقدره . فكان هدى النبى ﷺ « لا عدوى » منسبة عن مرض المخالط بطبعه وذاته ، بل بتأثير الله — تعالى — وأن المؤثر الحقيقى إنما هو رب العالمين لا هذه الأسباب ، ومالم يرد الله فلا تأثير . فقد وضع الخليل إبراهيم عليه السلام — فى النار — وهى محرقة — ولما لم يرد الله للنار أن تحرقه كانت عليه بردا وسلاما .

وهذا سيف الله خالد بن الوليد تجرع وعاء السم كاملا بعد أن سمى الله ـ تعالى ـ وذلك مرجعه سلامة العقيدة ، والعلم أن الله ـ تعالى ـ مسبب الأسباب ، والله تبارك وتعالى ـ قادر على إيجاد المسبب دون السبب ، كما هو ـ سبحانه ـ قادر على إبطال مفعول السبب .

وروى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ ـ « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » فقال أعرابى : يارسول الله فما بال الإبل تكون فى الرحل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ؟! فقال النبى ﷺ « فمن أعدى الأول » ؟!

ومع هذا فقد أقر الإسلام أن نأخذ بالأسباب مع اليقين الكامل والإيمان الراسخ بأن (ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن) .

كما قال ﷺ : فى نهاية حديث الباب « وفر من المجذوم فرارك من الأسد » .

« ولاطيرة » كانت العرب تعتقد أن من أراد البدء فى عمل أو الشروع فى سفر أن يزجر الطير الذى يلاقيه فإن انصرف إلى جهة اليمين تفاءل ومضى فى عمله ، وإن انصرف جهة الشمال تشاءم ورجع عن قصده . فنفى ـ ﷺ ـ خرافة التطير والتشاؤم ، لأن الطيرة توقع للبلاء ، وسوء للظن . جاء فى الأثر عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : وما كفارة ذلك ، قال : أن يقول : اللهم لاخير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك .

« ولا هامة » كان العرب يعتقدون أن روح القتيل الذى لايؤخذ بثأره تصير طائرا يطير بالليل ، ويصيح قائلا : اسقونى من دم قاتلى حتى يثأر له فتستقر .

وقيل : إن المراد بالهامة : البومة ، كانت إذا سقطت على دار أحدهم رأى أنها ناعية إليه نفسه أو بعض أهله .

فبين الرسول الكريم أن هذا من الحمية والجاهلية الأولى التى تحارب الدين الذى جاء بالعفو والصفح والتسامح .

ثم قال ﷺ : « ولا صفر » كانوا يتشاءمون من دخول هذا الشهر ، ويتوهمون فيه كثرة الدواهى لوقوعه بعد الأشهر الحرم ، فكانوا لايعقدون فيه زواجاً ولاينشئون سفرا لتجارة أو لغيرها . وفى ذلك تعطيل للمصالح وإخلال بنظام الحياة وقيل : المراد من « صفر » المنفى فى الحديث : ماكانت العرب تعتقده من أن منشأ الألم الذى يشعر به الجائع هو وجود حية عظيمة فى بطنه تنهش من أحشائه وأضلاعه فأبان لهم ـ ﷺ ـ أن هذا خرف لا يليق بعاقل أن يستسلم له ، كما أنهم كانوا يحلون شهر المحرم وينقلون التحريم إلى شهر صفر فكانوا يجعلونه حراما إذا اقتضت مصلحتهم أن يحاربوا فأبطل الإسلام ذلك . لقد وضح ﷺ حكم الإسلام الذى يؤكده طهر النفوس وينير البصائر والعقول والخير كل الخير لمن عرف ووعى وتمسك بماهدى إليه الرسول .

وصدق الله حيث يقول : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ يونس ـ ١٠٧

إن الأخذ بالأسباب لا ينافى الإيمان ـ فقد جاء وفد يبايع الرسول ﷺ وكان بينهم مجذوم فقال ﷺ : قد بايعناك فارجع .

وقال : لايوردن ممرض على مصح ـ وكما قال عمر ـ رضى الله عنه فرارا من قضاء الله إلى قضاء الله .



الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى

المتوفى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م

دراسة بقلم الأستاذ/ أحمد تقى الدين

ولد أبو عبيد فى هراة من أعمال خراسان فى العقد السادس من المائة الثانية ، وكان أبوه عبداً رومياً . وبدأ حياته بحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة . فلما شب عن الطوق ارتحل طالبا للعلم وكان أول مقصده « البصرة » ثم « الكوفة » حاضرتا العلم آنذاك وفيها تلقى أبو عبيد العلم على أيدى الصفوة من علماء الحديث والفقه واللغة والأدب ، ولما تم له ما أراد عاد إلى خراسان حيث عمل (مؤدباً) لأبناء هرثمة بن أعين والى خراسان فى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد ، وكان (التأديب) آنذاك احدا من أرفع الأعمال العلمية التى لا يليها إلا عالم ضليع باللغة والأدب .

ثم اتجه إلى (مرو) قصبة خراسان فأقام بها لفترة مواصلا عمله فى التأديب والتعليم ، وفى تلك المدينة التقى بطاهر بن الحسين وهو رجل من كبار الوزراء ، والقواد وكان فى طريقه إلى خراسان فطلب رجلا يحدثه ليلة فقيل له : ما هنا إلا رجل مؤدب ، فأدخل عليه أبو عبيد ، فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه ، فقال له : من المظالم تركك أنت بهذا البلد ، وقدم له ألف دينار قائلا : أنا متوجه إلى خراسان فى حرب ، ولست أحب استصحابك خوفا عليك ، فأنفق من هذا المال إلى أن أعود إليك ، فلما عاد طاهر من خراسان اصطحبه معه إلى (سامراء) حيث واصل التأليف والتحديث بتلك المدينة .

ثم ارتحل ابن سلام إلى (بغداد) حاضرة العالم الإسلامى وفيها التقى بثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الذى انتدبه ـ لما توسمه فيه من علم وورع وصلاح ـ لتأديب ولده ، فلما تولى ثابت بن نصر إمارة (طرسوس) صحب معه أبا عبيد حيث ولاه القضاء بها ، وظل أبو عبيد قاضياً بطرسوس طيلة ثمانية عشر عاما هى مدة ولاية ثابت بن نصر .

وفى ٢١٣ هـ ترك أبو عبيد قضاء طرسوس مفضلا الرحلة فى طلب العلم وسماع العلماء وتوجه إلى مصر مع يحيى بن معين حيث سمع من علمائها وألف بها .

ثم ارتحل إلى دمشق طالباً للعلم ومنها إلى بغداد ـ مرة أخرى ـ حيث بدأ يفسر غريب الحديث ، وأقبل عليه طلاب العلم يسمعون منه ، إلى أن انتهى بتأليف سفره الجليل « غريب الحديث » (وقد أخرجه مجمع اللغة العربية محققاً فى خمسة مجلدات) ، ولما فرغ أبو عبيد منه عرضه على (عبدالله بن طاهر بن الحسين) .. وكان من رجال المأمون المقربين ـ فاستحسنه وقال : « إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش » وأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر .

وقصد أبو عبيد مكة للحج عام ٢١٩ هـ وظل مجاوراً بها حتى وفاته عام ٢٢٤ هـ عن ثلاث وسبعين عاما وقيل عن سبع وستين[١] .

مكانته ورأى العلماء فيه :

كان ـ رحمه الله ـ إمام عصره فى كل فن : ويروى أن حمدان بن سهل كان يقول : « سألت يحيى بن معين عن الكتابة عن أبى عبيد والسماع منه ، فتبسم وقال : مثلى يسأل عن أبى عبيد ؟ أبو عبيد يُسأل عن الناس ، لقد كنت عند الأصمعى يوماً إذ أقبل أبو عبيد ، فشق إليه بصره حتى اقترب منه فقال : أترون هذا المقبل ؟ قالوا : نعم ، قال : لن تضيع الدنيا ـ أو لن يضيع الناس ـ ما حيى هذا المقبل » (تاريخ بغداد ٤١٤/١٢) .

---

(١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام ـ للحافظ أبى بكر أحمد ابن على الخطيب البغدادى ، طبع مكتبة الخانجى بالقاهرة ، والمكتبة العربية ببغداد ط ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣١ ص ٤٠٣ : ٤١٧ .

وكان إبراهيم الحربي يقول : « أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً ، تعجز النساء أن يلدن مثلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ، ما مثلته إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحارث ، فما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلا ، ورأيت أحمد بن حنبل ، فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين من كل صنف ، يقول ما شاء ، ويمسك ما شاء » (تاريخ بغداد ٤١٢/١٢) .

وكان إسحاق بن راهويه يجل أبا عبيد ، ويعترف له بالفضل والنبوغ في العلم ، إذ يقول : « أبو عبيد أوسعنا علماً ، وأكثرنا أدباً ، وأجمعنا جمعاً ، إنا نحتاج إلى أبي عبيد ، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا » (تاريخ بغداد ٤١١/١٢) .

وكثيراً ما كان الناس يقرنون أبا عبيد بأئمة الفقه والحديث ، ويفاضلون بينه وبينهم .

وسئل أبو قدامة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق وأبي عبيد فقال : « أما أفهمهم فالشافعي ، إلا أنه قليل الحديث ، وأما أورعهم فأحمد بن حنبل ، وأما أحفظهم فإسحاق ، وأما أعلمهم بلغات العرب فأبو عبيد » (تاريخ بغداد ٤١٠/١٢) .

وقال عبدالله بن طاهر : « علماء الإسلام أربعة : عبدالله بن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه » (تاريخ بغداد ٤١١/١٢) .

وذكر السبكي أن أبا عبيد ناظر الإمام الشافعي في معنى « القُرْء » هل هو الحيض أو الطهر ؟ فلم يزل كل منهما يقرر قوله ، حتى تفرقا وقد انتحل كل منهما مذهب صاحبه ، وتأثر بما أورده من الحجج والشواهد . ثم قال السبكي تعليقاً على هذا : « وإن صحت هذه الحكاية ففيها دليل على عظمة أبي عبيد ، فلم يبلغنا عن أحد أنه ناظر الشافعي ، ثم رجع الشافعي إلى مذهبه » .

كان أحمد بن حنبل يقول عنه . « أبو عبيد أستاذ » ولما عرض عليه كتاب « غريب الحديث » استحسنه وقال : « جزاه الله خيراً ، وكتبه أولا » وقال عباس الدوري : « سمعت أحمد ابن حنبل يقول : « أبو عبيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيراً » . ويروى عن محمد بن أبي بشر أنه قال : « أتيت أحمد بن حنبل في مسألة فقال لي « ائت أبا عبيد فإن له بياناً لا تسمعه من غيره ، قال : فأتيته فشفاني جوابه ، فأخبرته بقول أحمد فقال : يا ابن أخي ، ذاك رجل من عمال الله » (تاريخ بغداد ٤٠٧/١٢ ، ٤١٤) .

ومما يدل على ورعه وعزة نفسه وحبه للجهاد في سبيل الله ، أنه كان مع عبدالله بن طاهر ، فوجه إليه أبو دلف العجلي يستهديه أبا عبيد مدة شهرين ، فأنفذه إليه ، فأقام عنده شهرين ، فلما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : أنا في جنبة رجل ما يحوجني إلى صلة غيره ، ولا آخذ ما فيه من نقص . فلما عاد إلى طاهر بن الحسين وصله بثلاثين ألف دينار فقال له : أيها الأمير قد قبلتها ،

ولكن قد أغنيتني بمعروفك وبرك وكفايتك ، وقد رأيت أن أشترى بها سلاحاً وخيلا وأوجهها إلى الثغر ، ليكون الثواب متوفراً على الأمير ، ففعل . (تاريخ بغداد ٤٠٦/١٢) .

وكان رحمه الله يربأ بالعلم أن تنال به الحظوة أو يُسعى به إلى مجالس الملوك والأمراء ، وحدث أن طاهر بن عبدالله كان ببغداد ، فطمع أن يأتيه أبو عبيد ليسمع منه كتاب (غريب الحديث) فى منزله ، فلم يفعل أبو عبيد إجلالا لحديث رسول الله ﷺ ، فكان طاهر هو الذى يأتيه وهو آنذاك رجل المأمون القوى الملقب بـ (ذى اليمينين) وفى المقابل كان ابن سلام يحمل كتاب (غريب الحديث) قاصداً على بن المدينى وعباس العنبرى عندما أرادا أن يسمعاه منه ، فكان يأتيهما فى منزلهما فيحدثهما فيه إجلالا لعلمهما . (تاريخ بغداد ٤٠٧/١٢) .

كان ــ رحمه الله ــ يرى أن التمسك بالسنة أفضل من الجهاد فى سبيل الله روى على ابن عبدالعزيز : « سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول : المتبع للسنة كالقابض على الجمر ، وهو اليوم عندى أفضل من ضرب السيف فى سبيل الله عز وجل (تاريخ بغداد ٤١٠/١٢) .

شيوخه :

روى أبو عبيد ــ رحمه الله ــ عن جمع كثير من رجال اللغة والأدب ، والقراءات ، **والحديث والفقه** ؛ فقد روى فى اللغة والغريب والأدب عن مشاهير علماء البصرة والكوفة .

وهم : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو زيد الأنصارى ، والأصمعى ، وأبو محمد يحيى ابن المبارك اليزيدى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وأبو زياد الكلابى ، وأبو محمد عبدالله بن سعيد الأموى ، وأبو الحسن على بن حمزة الكسائى ، وعلى بن المبارك الأحمر ، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء وغيرهم .

وأخذ القراءات عرضاً وسماعاً عن :

إسماعيل بن جعفر ، وسليم بن عيسى ، وشجاع بن أبى نصر البلخى ، والكسائى ، ويحيى ابن آدم ، وحجاج بن محمد ، وسليمان بن حماد ، وعبدالأعلى ابن مسهر ، وهشام بن عمار وغيرهم .

وسمع الحديث عن :

إسحاق بن يوسف الأزرق ، وإسماعيل بن جعفر ، وحجاج بن محمد ، وسعيد بن أبى مريم ، وشريك بن عبدالله النخعى القاضى ، وعبدالرحمن ابن مهدى ، ويزيد بن هارون ، وإسماعيل ابن ابراهيم بن علية ، وإسماعيل بن عياش ، وحماد ابن سلمة ، وسفيان بن عيينة ، وعبدالله ابن المبارك ، ويحيى بن سعيد القطان ، وهشيم ابن بشير [٢] .. وغيرهم .

---

(٢) كتاب الأمثال ، لأبى عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش ، ط كلية الشريعة بمكة المكرمة ١٩٨٠ ، ص ١١ .

تلاميذه :

من تلاميذه علي بن عبدالعزيز البغـوي ، وأبو محمـد ثابت بن أبي ثابت اللغوي ، وعلي ابن محمد بن وهب المسعري ، وعبدالرحمن اللحنة ، وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي صاحب السنـن ، وأحمد بن القـاسم ، وأبـو بكـر ابن أبي الدنيا ، والحارث بن أبي أسامة ، وعباس ابن عبدالعظيم العنبري ، وعباس الدُّوري ، ووكيع ابن الجراح ، وأحمد بن يحيى البلاذري الكاتب ، ومحمد ابن يحيى المروزي وغيرهم .

وكان علي بن عبدالعزيز البغوي (٢٨٦ هـ) أخصَّ تلاميذ أبي عبيد ، وكان يلقب بصاحبه وكاتبه ، وقد روى عنه كل كتبه . قال عنه الذهبي : وهو أجل أصحابه وأثبتهم وراوية كتبه ، أصله من خراسان ، فانتقل إلى مكة ، ولزم أبا عبيد حتى مات بمكة عن بضع وتسعين عاماً .

وكان أبو محمد ثابت بن أبي ثابت اللغوي من أثبت أصحاب أبي عبيد فيما أخذ عنه ، وروى عنه كتبه . وله عدة كتب في اللغة ، أهمها كتاب « خلق الإنسان »[3] .

مصنفاته :

كان أبو عبيد القاسم بن سلام من المصنفين المعدودين وكان العلماء يتلقـون مصنفاتـه بالاستحسان . وكان حافظاً للحديث وعلله ، عارفاً بالفقه والاختلاف ، رأساً في اللغة ، إماماً في القراءات .

يقول الخطيب البغدادي : « أما كتبه في الفقه فإنه عمد إلى مذهب مالك والشافعي ، فتقلد أكثر ذلك ، وأتى بشواهده ، وجمعه من حديثه ورواياته ، واحتج فيها باللغة والنحو ، فحسنها بذلك » (تاريخ بغداد ١٢/٤٠٥) .

وقد ألف ابن سلام في غريب اللغة ، وغريب الحديث وعلوم القرآن والفقه والشعر ، وبلغت مؤلفاته بضعة وعشرين كتاباً رواها الناس عنه غير كتب كثيرة أخرى لم ترو عنه . يقول ابن درستويه « وله كتب أخرى لم يروها ، قد رأيتها في ميراث بعض الطاهريين تباع كثيرة في أصناف الفقه كله » (تاريخ بغداد ١٢/٤٠٤ ، ٤٠٥) .

وفيما يلي نذكر مؤلفاته :

- الغريب المصنف (مخطوط) .
- غريب الحديث (طبع بحيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٩٦٤ وأخرجه مجمع اللغة العربية محققا في خمسة مجلدات) .
- كتاب فضائل القرآن (حققه محمد تجاني الجوهري في رسالة ماجستير بكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣ هـ) .
- كتاب الأموال (تحقيق محمد خليل هراس سنة ١٣٨٨ هـ) .
- كتاب القراءات .
- كتاب معاني القرآن .

(٣) المصدر السابق ص ١١ ، ١٢ .

(٤) الأمثال ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

- كتاب الأمثال (تحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش ط كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٨٩٠ م) .

ومن مؤلفاته : كتاب غريب القرآن . كتاب عدد آى القرآن . كتاب الناسخ والمنسوخ . كتاب الإيمان ومعالمه . كتاب الأحداث . كتاب الأيمان والنذور . كتاب الحيض . كتاب الطهارة . كتاب الحجر والتفليس . كتاب أدب القاضى . كتاب الشعراء . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب النسب . كتاب الأضداد فى اللغة . كتاب ما خالفت فيه العامة لغات العرب . كتاب أنساب الخيل . كتاب أنساب العرب . كتاب استدراك الخطأ . كتاب الرحل والمنزل . كتاب الخطب والمواعظ . كتاب فضائل الفرس . كتاب الأمالى . كتاب فعل وأفعل . كتاب الإيضاح ، رسالة فيما اشتبه من اللفظ واختلف فى المعنى ، كتاب الأمثال[٥] .

ونعرض فيمايلى لاثنين من مؤلفاته وهما :

- غريب الحديث .
- كتاب الأمثال .

● غريب الحديث :

يقول عنه الإمام أبو سليمان الخطابى فى مقدمة كتابه : (غريب الحديث ...) أول من سبق إليه ، ودل من بعده عليه أبو عبيد القاسم ابن سلام ، أول من ألف فى غريب الحديث ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماما لأهل الحديث ، به يتذاكرون وإليه يتحاكمون »[٦] .

ويقول عنه ابن الأثير فى مقدمة كتابه (النهاية فى غريب الحديث والأثر) : « واستمرت الحال إلى زمن أبى عبيد القاسم بن سلام ، وذلك بعد المائتين ، فجمع كتابه المشهور فى غريب الحديث والآثار الذى صار ، وإن كان خيرا ، أولا لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة ، والمعانى اللطيفة ، والفوائد الجمة ، فصار هو القدوة فى هذا الشأن ، فإنه أفنى فيه عمره ، وأطاب به ذكره ، حتى لقد قال فيما يروى عنه : [إنى جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة وهو كان خلاصة عمرى] ولقد صدق - رحمه الله ، فإنه احتاج إلى تتبع أحاديث رسول الله ﷺ على كثرتها ، وآثار الصحابة والتابعين على تفرقها وتعددها حتى جمع منها ما احتاج إلى بيانه بطرق أسانيدها وحفظ رواتها »[٧] .

ويقول عنه ابن درستويه : « وأما تصنيفه فرغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه »[٨] .

● الأمثال :

ونورد هنا المقدمة التى افتتح بها الحافظ أبى عبيد القاسم بن سلام كتابه تتبعها نماذج مما أورده

---

(٥) الأمثال ١٦ ، ١٧ .

(٦) غريب الحديث لأبى سليمان الخطابى ، تحقيق الدكتور عبدالكريم إبراهيم العرباوى ط ١٩٨٢ .

(٧) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحقيق الدكتور محمود الطناحى ط ١٩٦٣ .

(٨) تاريخ بغداد ١٢/٤٠٥ .

من أحاديث مأثورة عن النبي ﷺ ضربها ، وتمثل بها ، هو ومن بعده من السلف .

قال رحمه الله :

رأيت في أول نسخة الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الأنباري اللغوي . وهي التي قرأها على أبي العباس أحمد الأحول اللغوي .. قال على ابن عبدالعزيز كاتب أبي عُبَيْ القاسم بن سلام : كتبتُ هذا الكتاب من نسخة أبي عُبَيْد من خطه بيده . وعارضتُ بها حَرْفاً حَرْفاً ، ثم قرأناه على أبي محمد سَلَمة بن عاصم النحوي ، صاحب الفرّاء ، فزادنا فيه أشياء ألحقتها في حواشي الكتاب ، ثم قرأته على أبي عبدالله الزُّبَيْر بن بكّار ، وهو قاضي أهل مكة ، فكتبتُ أيضاً ما زادنا فيه ، ونسبتُ ذلك إليه ، فوجدت خطَّ أبي عُبَيْد هذا كتاب الأمثال ، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تُعارض كلامها فتَبلغ بها ما حاولتْ من حاجاتها في المَنْطق ، بكناية غير تصريح ، فيجتمعُ لها بذلك ثلاثُ خلال : إيجازُ اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسنُ التشبيه . وقد ألفناها في كتابنا هذا على منازلها ، ولخَّصْنا صنوفها ، وذكرنا المواضع التي يتكلَّم بها فيها ، وتُضرب عندها ، وأسندناها إلى علمائها ، واستشهدنا بنوادر الشعر عليها ، أو على ما أمكن منها . **وكان مِمَّا دعانا إلى تأليف هذا الكتاب وحثَّنا عليه ما رَوَينا من الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ أنه قد ضربها وتمثَّل بها هو ومَن بعده من السَّلف . وقد ذكرنا بعض ذلك ليكون حُجَّة لمذهبنا .**

فكان مِمَّا حُفظ عنه ﷺ منها المَثلُ الذي ضربه للإسلام والقرآن ، وهو قوله ﷺ :

« ضَرَب الله مثلاً صراطاً مُستقيماً ، وعلى جَنْبَتَي الصِّراط سُورٌ فيه أبوابٌ مفتوحة ، وعلى تلك الأبواب سُتُورٌ مُرْخاةٌ ، وعلى رأس الصِّراط داعٍ يقول : ادخلوا الصِّراط ولا تعْوجُوا » .

قال : فالصِّراط : الإسلام ، والسُّتُور : حدود الله ، والأبواب المفتَّحة : محارم الله ، وذلك الداعي : القرآن .

ومن الأمثال أيضاً قوله ﷺ :

« مثل المؤمن كَمَثل الخامَة من الزَّرْع ، تُفيئُها الرِّيحُ مَرَّةً هٰهُنا ، ومَرَّةً هٰهُنا ، ومَثَلُ الكافر كمثل الأَرْزَة المُجْذِيَة على الأرض حتى يكون انجعافُها مَرَّةً » ومنها قوله حين ذكر الفتن والحوادث التي تكون في آخر الزمان ، فقال له حذيفة بن اليمان : أبعد هذا الشر خير ؟ فقال :

هُدْنَةٌ على دَخَنٍ ، وجماعة على أقذاء فقيل له وما هو ؟ فقال : **« لا ترجع قلوب قوم على ما كنت » .**

قال أبو عبيد : فقد علم الأقذاء إنما تكون في العين أو في الشراب ، وأن الدخن إنما هو مأخوذ من الدخان ، فجعل ذلك رسول الله ﷺ مثلا لنغل القلوب وما فيها من الضغائن والأحقاد .

ومنها حديثه ﷺ حين ذكر الدنيا وزينتها فقال :

وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم فأراد ﷺ أنها ، وإن كانت ذات زهرة وجمال ، فقد تؤول بصاحبها ، إذا سلك بها غير القصد ، إلى سوء المغبة ، كما أن آكله الخضر من الماشية إذا لم

تقتصد في مراعيها آل ذلك بها إلى أن تستوبله حتى تحبط عنه بطونها فتهلك . ومنها قوله عليه السلام لأبي سفيان بن حرب :

أنت يا أبا سفيان كما قيل : « **كل الصيد في جوف الفرا** » أي إنك في الرجال كالفرا في الصيد ، وهو الحمار الوحشي ، قال له ذلك يتألفه على الإسلام . ومنها قوله حين ذكر الضرائر فقال :

« **ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفىء ما في صحفتها** » فقد علم أنه لم يرد الصحفة خاصة ، إنما جعلها مثلاً لحظها من زوجها ، يقول : إنه إذا طلقها لقول هذه كانت قد أمالت نصيب صاحبتها إلى نفسها .

ومنها قوله ﷺ حين ذكر الغلو في العبادة فقال :

« **إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى** » يقول : إن هذا إذا كلف نفسه فوق طاقتها من العبادة بقي حسيراً ، كالذي أفرط في إغذاذ السير حتى عطبت راحلته ، ولم يقض سفره .

ومنها قوله ﷺ :

« **إياكم وخضراء الدمن قيل : وما خضراء الدمن ؟** » قال : « **المرأة الحسناء في منبت السوء** » . ومنها قوله ﷺ حين ذكر كثرة الربا في آخر الزمان فقال :

« **من لم يأكله أصابه من غباره** » فقد علم أنه ليس ثم غبار ، إنما هذا مثل لما ينال الناس منه . ومنها قوله ﷺ :

« **الإيمان قيد الفتك** » فقد علم أنه ليس هناك قيد ، ولكنه جعل منع الإيمان إياه تقييداً ثم قال :

« **الحرب خدعة** » (قال علي : قال أبو محمد سلمة : من قال : « الحرب خدعة » فمعناه أنه من خدع فيها خدعة فزلت قدمه وعطب فليس له إقالة ، ومن قال : « خدعة » أي أنها تخدع أهلها ، ومن قال : « الحرب خدعة » [بضم الخاء وتسكين الدّال] فهي تخدع ، فإذا خدع أحد الفريقين صاحبه فكأنها خدعت هي . قال أبو عبدالله الزبير بن بكار القاضي : هي عندنا « خدعة » قال الزبير : حدثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول : قال رسول الله ﷺ « الحرب خدعة » قال علي : فقلت للزبير : أتراها محكية ؟ فقال : نعم) ، وقال في فرس ركبه :

« **وجدته بحرا** » ، وقال أيضاً :

« **إن من البيان لسحراً** » ، وقال في أهل الإسلام وأهل الشرك :

« **لا تراءى ناراهما** » ، وقال :

« **للعاهر الحجر** » ، وقال :

« **لا ترفع عصاك عن أهلك** » ، فقد علم أنه لم يرد ضربهم بالعصا ، إنما هو الأدب ، وكذلك الحجر ، إنما معناه أنه لا حق له في نسب الولد . وقوله ﷺ :

« **لا يلسع المؤمن من جحر مرتين** » في أشياء كثيرة لا تحصى ، من الأمثال عنه ﷺ ، ثم جاءت عمن بعده من الصحابة وغيرهم .

وبعد :

فلقد جاد الأستاذ الدكتور عبدالمجيد قطاش بتحقيقه كتاب الأمثال الذي حل لنا هذا الكنز العظيم .

فضائل شهر رجب

بقلم الأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي على القرني

أخرج الطبراني عن محمد بن سلمة : عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم : إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا .

وخرج ابن أبى الدنيا والطبرانى وغيرهما من حديث أبى هريرة مرفوعا : «اطلبوا الخير دهركم كله ، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم ، فإن لله نفحات من رحمته يصيب منها من يشاء من عباده ، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم». كنز العمال ج ٢ ص ٧٤ ـــ الجامع الصغير ج ١ ص ١٤٣ .

وهذا الحديث يذكرنا بما يجب علينا نحو ربنا فى أيام دهرنا ، فقد كفانا هم الرزق ، وأغدق علينا من نعمه الوفيرة ، وخيراته الكثيرة ، ولكنا انشغلنا بالحطام الزائل والمتاع الفانى ، وعكفنا على جمع ما هو مضمون لنا ، وتركنا ما هو مطلوب منا حتى حق علينا ما يقوله ابن عطاء الله السكندرى ـــ فى حكمه الرائعة : «انشغالك بما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك» .

حقا إن انشغال الإنسان بالفانى عن الباقى ، وبالزائل عن الخالد قِصَرُ نظر وسوء تدبير ، فما أحوجنا إلى أن ننتبه إلى ما هو مطلوب ، ونتذكر ما هو واجب علينا .

ونفكر فى الحساب غدا وهذا الحساب لابد أن ننتبه .

والجزاء الآخرة لابد أن نستيقظ .

ولحفرة القبر لابد أن نستعد .

ولسؤال الملكين لابد أن نعد الجواب .

وليوم مقداره خمسون ألف سنة لابد أن نعد الزاد .

ولقد وفق الله بعض العلماء لمهمة التذكير والتنبيه ، ونصَّبهم لهذه المهمة الجليلة التى تأخذ بأيدى الناس من الظلمات إلى النور ، وتذكرهم بحق الله عليهم فى الأيام والشهور ، ومن هؤلاء العلماء الإمام النسائى المتوفى سنة ٣٠٣هـ فقد ألف كتابه «عمل اليوم والليلة» والإمام الحافظ ابن السنى المتوفى سنة ٣٦٤هـ له كتاب بنفس العنوان

وللمنذرى وأبى نعيم الأصفهانى لكلٍّ كتاب فى نفس الموضوع .

ولعل من أجمع الكتب فى هذا الفن كتاب ابن رجب الحنبلى وعنوانه «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» وقد تناول فيه واجب الإنسان فى كل لحظة من لحظات حياته وحقوق الأيام والشهور عليه .

وليس معنى ذلك ان ينفض الناس أيديهم من الدنيا تماما ، ويتحولوا إلى زهاد وعباد ويتركوا الدنيا لمن هى فى أيديهم يستخدمونها فيما يضر بالمسلمين ، ويلقون بالمسلمين إلى آخر الصفوف .

إن المطلوب أن يسعى الإنسان جهده فى عمله الدنيوى مستعينا بالله ، معتمدا على مولاه فسعيه فى هذه الحالة عبادة ، وانشغاله فى طلب الحلال قمة التقوى وذروة الإيمان وتقرب إلى الله وجهاد فى سبيله .

ثم إن الثروة من أسباب القوة التى أمرنا بإعدادها للعدو والتقصير فى اقتنائها تقصير فى إعداد القوة ، ولأن يكون الاقتصاد إسلاميا موجها للخير أفضل من أن يكون عدوانيا موجها للشر .

إن المسلم الحق ، الله فى قلبه والعمل فى يده .

وإذا كان كذلك كان عمله عباده ، وتقلبه عبادة ، وسعيه عبادة ، وشعاره الذى يجب أن يتخذه هو الدعاء المأثور : اللهم اجعل الدنيا فى أيدينا ولا تجعلها فى قلوبنا .

ونيته التى يجب أن تكون فى قلبه : أن يطلب الدنيا لله ، ويبذلها فيما ينبغى أن تبذل فيه من وجوه الخير ، وستر العرض وعفة النفس والأهل والجهاد فى سبيل الله ، لا للتباهى والاستكثار والتعالى على عباد الله .

من هو ابن رجب ؟

وابن رجب هو الإمام الحافظ الحجة عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الملقب بزين الدين ، والمكنى بأبى الفرج وهو ابن الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أبى العباس البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى .

ولد ببغداد سنة ٧٣٦هـ وطلب العلم وأتقنه وتفنن فيه وأنتج ، وله مؤلفات شتى تفوق الحصر فى مختلف الفنون والعلوم ، والعلوم ، منها هذا الكتاب الذى أشرنا إليه .

كان ابن رجب كريما زاهدا غنى النفس ورعا كثير العبادة يقول بما يفعل ، وهذه ميزة العلماء العارفين والأئمة المجتهدين .

وقد أثنى عليه العلماء ثناء هو له أهل ، وتوفى بعد حياة علمية حافلة بالخير والفضل سنة ٧٩٥هـ فى شهر رجب من السنة المذكورة .

من موضوعات كتابه

وقد تحدث فى كتابه عن أن الله ـــ جلت قدرته ـــ فضل بعض الشهور على بعض وبعض الأيام على بعض ، وبعض الساعات على بعض ، وبعض الأماكن على بعض ، ومن الشهور المفضلة شهر رجب الذى تعددت أسماؤه بفضل خصة الله به ، وجعله من الأشهر الحرم التى يحرم فيها القتال .

من أسماء رجب

قال ابن رجب : ذكر بعضهم أن لشهر رجب أربعة عشر إسما هى : شهر الله ، ورجب ، ورجب مضر ، ومنصل الأسنة ، والأصم ،

والأصب ، ومنفس ، ومطهر ، ومعلى ، ومقيم ، وهرم ، ومقشقش ، ومبرىء ، وفرد .

وللإشارة إلى معانى هذه الأسماء : أن رجب ، من الترجيب وهو التعظيم ، فقد كان يرجب أى يعظم كما قال المفضل الضبى والأصمعى والفراء .

وقيل : لأن الملائكة تترجب للتسبيح والتحميد فيه ، وأما قولهم : **رجب مضر** : لأن مضر كانت تزيد فى تعظيم هذا الشهر واحترامه فنسب إليهم ذلك الشهر ، وقيل : بل كانت ربيعة تحرم رمضان ، ومضر تحرم رجب فنسب إليهم ، وقد نسبه النبى — صلى الله عليه وسلم — إليهم فى خطبته فى حجة الوداع .

أما قولهم : **منصل الأسنة** فمعناه : أن الناس ينزعون الأسنة من أماكنها فى الرماح فى هذا الشهر حتى لا تصلح للقتال .

وسمى **الأصم** لأنه:لا يسمع للسلاح صوت فيه ، وتسميته بذلك من قبل المجاز ، وذكر صاحب اللسان حديثا يشير إلى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — سماه بذلك فقال : «شهر الله الأصم رجب» — مادة صمم — .

ويقال : إنه سمى بذلك لأنه لا يسمع فيه صوت مستغيث ، لأن الناس جميعا كفوا فيه عن القتال .

أما **الأصب** فلعله من تصبصب القوم إذا تفرقوا ، فلا اجتماع لديهم على قتال أو تشاور فيه .

وقولهم : **منفس** بمعنى مفرج وموسع، لأن الناس كفوا فيه عن الضيق والحرج الذى تسببه الحرب والقتال .

واسمه : **مطهر** من التطهير ، **ومعلى** : من العلو والارتقاء ، **ومقيم** : إقامة الناس فى أماكنهم وابتعادهم عن ميادين القتال . وقولهم : **هرم** ، على المجاز أيضا ، لأن الهرم لا حركة له ، وقد يكون من قولهم : قدح هرم أى متلم ، والمتلم لا أذى له ، فهذا الشهر لا أذى فيه .

أما قولهم : **مقشقش** فهو من القشقشة وهو التهيؤ للبرء ، وتقشقش الجرح أشرف على البرء . ويقال لسورتى : «قل هو الله أحد» ، «وقل أعوذ برب الناس» : المقشقشتان لأنهما كانا يبرأ بهما من النفاق وقيل : **هما** : «قل يأيها الكافرون» ، «وقل هو الله أحد» — اللسان — .

وسمى **مبرئاً** لهذا المعنى .

أما تسميته **الفرد فلانفراده عن الأشهر الحرم ، فقد جاء — وحده — بين أشهر حلال ، وبقية الأشهر الحرم جاءت متتابعة وهى : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .**

من أحكام شهر رجب :

كان الجاهليون يذبحون فى شهر رجب ذبيحة يسمونها « العتيرة » وقد أبطلها الإسلام ، وقد جاء فى صحيح البخارى فى كتاب « العقيقة » باب الفرع وباب العتيرة — قول النبى — ﷺ : « لا فرع ولا عتيرة » — رواه أبو هريرة .

وان كان بعض العلماء قالوا : هى مستحبة والذى أبطله الإسلام هو الوجه الذى كانت تذبح له — فأهل الجاهلية كانوا يذبحون للأصنام وهذا باطل ، أما المسلمين منهم يذبحون لله ، وهذا حق .

صـــلاة الرغائب :

قال ابن رجب : والأحاديث المروية فى فضل صلاة الرغائب فى أول ليلة جمعة من رجب كذب

وباطل لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين الحفاظ : أبو بكر السمعانى ، وأبو الفرج بن الجوزى ، وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم .

ونقول : ومنهم كذلك سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، وله كتاب فى ذلك يحاج فيه « ابن الصلاح » الذى كان يقول بجوازها ـ راجع طبقات الشافعية ـ للسبكى جـ٦ صـ ٨٠ .

كم الصوم فى رجب :

قال ابن رجب : وأما الصيام فلم يصح فى فضل صوم رجب بخصوصية شىء من النبى ﷺ ولا عن أصحابه ، ولكن روى عن أبى قلابة ـ وهو تابعى ثقة كثير الحديث ـ اسمه : عبدالله ابن زيد ـ .

قال : « فى الجنة قصر لصوّام رجب » .

وعلق البيهقى على هذه الكلمة بقوله : أبو قلابة من كبار التابعين لا يقول مثله إلا عن بلاغ .

أما صيام الأشهر الحرم كلها فقد ورد فيها الحديث الذى رواه أبوداود فى كتاب الصوم ـ باب فى صوم أشهر الحرم : « صم أشهر الحرم » .

وقد كان بعض السلف يصوم الأشهر الحرم كلها منهم : ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ والحسن البصرى وأبو إسحاق السبيعى وغيرهم .

حوادث عظيمة حدثت فى رجب :

قال ابن رجب : من الأحداث العظيمة التى ذكرها بعض الناس ولم تصح أن النبى ﷺ ولد فى أول ليلة من رجب ، وأنه بُعث فى السابع والعشرين منه ـ وقيل فى الخامس والعشرين ـ ولا يصح شىء من ذلك . . .

وصدق ابن رجب فى نفيه هذا ، فالمشهور عند الرواة أن النبى ﷺ ولد فى ربيع الأول فى ليلة الثانى عشر منه .

والحدث العظيم فى رجب هو : الإسراء بالنبى ﷺ فيه ، فقد روى القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهم ـ أن النبى ﷺ أسرى به فى السابع والعشرين من رجب ، وإن كانت هناك أقوال أخرى فى تاريخ هذا الحدث العظيم .

الجاهليون يعرفون فضل هذا الشهر :

وكان أهل الجاهلية يتحرون الدعاء فى شهر رجب على الظالم وكان يستجاب لهم ، ولهم فى ذلك أخبار مشهورة ذكرها ابن أبى الدنيا فى كتابه « مجابو الدعوة » .

وقد ذكر ذلك لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال : إن الله كان يصنع لهم ذلك ليحجز بعضهم عن بعض ، وإن الله جعل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر .

أما النبى ﷺ فقد كان يتهيج لدخول رجب ، وكان يدعو الله فيه قائلا : « **اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان** » ـ رواه احمد فى مسنده جـ١ صـ٢٥٩ من حديث أنس بن مالك .

روى عن أبى إسماعيل الأنصارى أنه قال : لم يصح فى فضل رجب غير هذا الحديث .

وفى هذا الحديث دليل على استحباب الدعاء بالبقاء إلى الأزمان الفاضلة لإدراك الأعمال الصالحة فيها ، فإن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا ، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله ،

وكان السلف الصالح يستحبون أن يموتوا عقب عمل صالح من صوم رمضان أو رجوع من حج .

قال ابن رجب : كان بعض العلماء الصالحين قد مرض قبل شهر رجب فقال : إنى دعوت الله أن يؤخر وفاتى إلى شهر رجب فإنه بلغنى أن لله فيه عتقاء فبلغه الله ذلك ، ومات فى شهر رجب . [فقد كان ذلك أجله] .

مفتاح أشهر الخير :

هذا شهر رجب ، وهو مفتاح شهور الخير ، فبعده شعبان ، ثم رمضان ، ثم شهور الحج التى يعج فيها الحجاج بالتلبية والدعاء والتسابق نحو بيت الله الحرام .

كان أبوبكر الوراق البلخى يقول : شهر رجب شهر الزرع ، وشهر شعبان شهر السقى للزرع ، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع .

وأثر عنه أنه قال : شهر رجب مثل الريح ، وشهر شعبان مثل الغيم ، ومثل رمضان مثل القطر ..

ويمضى الخيال السليم بأصحاب الوجد والشوق إلى الله فيقول أحدهم : السنة مثل الشجرة ، وشهر رجب أيام توريقها وشعبان أيام تفريعها ، ورمضان أيام قطعها ، والمؤمنون قطافها ، فجدير بمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة فى هذا الشهر ، وبمن ضيع عمره فى البطالة أن يغتنم فيه ما بقى من العمر .

حظ الشعر فى التعبير عن ذلك :

والشعراء الصالحون الذين استثناهم الله ـ تعالى ـ فى آية الشعراء بقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

لهم حظ فى التعبير عن مواجيدهم فى الاستئناس بالأشهر الحرم عامة ، وبشهر رجب خاصة ، ومن ذلك ما يقوله بعضهم :

بيض صحيفتك السوداء فى رجب
بصالح العمل المنجى من اللهب
طوبى لعبد زكا فيه له عمل
فكف فيه عن الفحشاء والريب

وقال بعضهم أيضا متخيلا أن رب العزة يخاطب عباده ويحثهم على اغتنام هذا الشهر العظيم للتوجه إليه بصالح الأعمال ومختلف الطاعات .

يا عبد أقبل منيبا واغتنم رجبا
فإن عفوى عمن تاب قد وجبا
فى هذه الأشهر الأبواب قد فتحت
للتائبين فكل نحونا هربا
حطوا الركائب فى أبواب رحمتنا
بحسن ظن فكل نال ما طلبا
وقد نثرنا عليهم من تعطفنا
نثار حسن قبول فاز من نهبا

وبعد ، فكتاب ابن رجب حافل بكثير من التوجيات والفوائد التى يجدر بكل مسلم أن يقتطفها ، وبخاصة فى هذا الزمن الذى طغت فيه المادة ، وكثرت فيه الغفلة ، وانصرف الناس عن كل جد ، وانكبوا على كل لهو ، وأصبحت الحياة عبثا لاهيا ، ولغوا فارغا .

نرجو الله أن يبصرنا بما يجب علينا ، ويذكرنا بعاقبة أمرنا والذكرى تنفع المؤمنين .

(١) آخر الشعراء .

النزعة العقلية عند الإمام الشافعي

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومي (*)

مولد الإمام الشافعي ونشأته :

ولد الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في مدينة غزة أو عسقلان[1] . كما روى عن نفسه : ولدت بغزة وحملتني أمي إلى عسقلان ، وكانت ولادته عام ١٥٠ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبوحنيفة .

يقول الربيع بن سليمان : «ولد الشافعي يوم مات أبوحنيفة» .

أما عن نسبه فهو قرشي الأصل ، يقول البيهقي : فنسب الشافعي في قريش ، واشتهاره بالمطلبي عند الخلفاء والعلماء والشعراء ، أشهر من ضوء النهار عند المبصر .

(*) ـ الكاتب : الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(١) راجع مناقب الشافعي ـ البيهقي ص ١٥٧ ج ١ تحقيق : السيد أحمد صقر ـ دار التراث .

وكان أبوه قد خرج إلى فلسطين لحاجة ، فتوفى . وعادت به أمه إلى مكة وهو ابن سنتين خوفا من ضياع نسبه . وعاش بشعب الخيف حياة فقر وإملاق ؛ لأن عائلته كانت فقيرة ــ وقد قال الشافعي ــ عن نفسه : « كنت يتيما فى حجر أمى ولم يكن لها مال ، وكان المعلم قد يرضى منى أن أخلفه إذا قام ، فلما جمعت القرآن دخلت المسجد وكنت أكتب فى العظم ، فإذا كثر طرحته فى جرة عظيمة ــ وخرجت من مكة ولزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها ، وآخذ اللغة العربية وكانت أفصح العرب » .

وكان أمه أزدية من الأزد[2] . يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : «نعم الحى الأزد والأشعريون ، لايفرون فى القتال ولا يغلون ، وهم منى وأنا منهم» .

«أخرجه أحمد والترمذى» .

وقد تعلم الشافعى الرماية ، وأغرم بها وأجادها حتى إذا رمى من السهام عشرا أصابت كلها .

قال الشافعى : خرجت أطلب النحو والأدب ، فلقينى مسلم بن خالد ، فقال : يافتى : من أين أنت ؟ قلت : من أهل مكة ، قال : وأين منزلك بها ؟ قلت : بشعب الخيف ، قال : من أى قبيلة أنت ؟ قلت : من ولد عبد مناف قال : بخ بخ !! لقد شرفك الله فى الدنيا والآخرة ، ألا جعلت فهمك هذا فى الفقه ، فكان أحسن بك ؟

وفى العشرين من عمره قصد «مالكا» وكان قد قرأ الموطأ ــ يقول الشافعى بعد ماسمع توجيه مسلم بن خالد : حفظت الموطأ قبل أن آتى مالك ابن أنس ، فلما أتيته قال لى : اطلب من يقرأ لك . فقلت : لا عليك أن تسمع قراءتى فإن أعجبتك قراءتى ، وإلا طلبت من يقرأ لى . فقال : هات ، فلما قرأت أعجبته قراءتى ، فقرأت عليه فأتيته وأنا ابن ثلاث عشرة سنة[3] .

واستطاع الشافعى الوصول إلى مالك بوصية من والى مكة ــ فلما قدم عليه ورآه مالك وكانت له فراسة أعجب به واتخذه تلميذا مقربا له[4] .

ودامت ملازمته له حتى بلوغه (٢٩) عاما حيث توفى مالك . وبعد ذلك خرج الشافعى إلى اليمن حيث تولى بعض المناصب فيها ــ وبعد المحنة ــ التى سوف يأتى ذكرها ــ فيما بعد ــ أقام فى بغداد وانصرف إلى العلم .

لم تعرف مدة إقامته فى بغداد على وجه الدقة ، والأغلب أنها كانت سنتين ، وفيها خرج على الناس بمذهبه بعد أن كان تلميذا لمالك ثم عاد إلى مكة .

رجع الشافعى إلى بغداد ثانية عام ١٩٥هـ وهناك استرعى انتباه كل العلماء ، وكان عمره نحو ٤٥ عاما فالتف حوله تلاميذه .

---

(٢) المصدر السابق ص ٨٤ . الأسد والأزد واحد ، وهما عبارتان عن قبيلة واحدة .

(٣) مناقب الشافعى ــ البيهقى ج١ ص ١٠١ .

(٤) سيأتى لذلك مزيد بيان وإيضاح عند الحديث عن نزعة الشافعى العقلية .

وفي هذه المدة من إقامته في بغداد ألف كتابه (الرسالة) التي وضع بها الأساس لعلم (أصول الفقه) ثم أعاد كتابتها في القاهرة .

وفي عام ١٩٩هـ رحل الشافعي إلى مصر وكان السبب في ذلك تمكن العنصر الفارسي في بغداد ، أيام المأمون وغلبة فرقة المعتزلة ، وتبنيهم لمسألة خلق القرآن .

الشافعي في العراق :

قدم الشافعي بغداد عام ١٩٥هـ فأقام بها سنتين ، ثم خرج إلى مكة فأقام بها شهرا خرج ــ بعده ــ إلى مصر .

يقول أبو ثور : لما ورد الشافعي جاءني (حسين الكرابيسي) وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي .

فقال : قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه ، فسأله الحسين عن مسألة ، فلم يزل الشافعي يقول : قال الله تعالى ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى أظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا واتبعناه[5] .

قال أبو ثور ــ إبراهيم بن خالد : لولا أن الله ــ عز وجل ــ مَنَّ عليَّ بالشافعي للقيت ربي وأنا ضال .

ويقول أيضا : قدم علينا ــ أي الشافعي ــ وأنا أظن أن الله ــ تعالى ــ لم يعبده أحد بغير مذهب الرأي .

ويقول إبراهيم الحربي : قدم الشافعي بغداد وفي المسجد الجامع الغربي عشرون حلقة لأصحاب الرأي ، فلما كان في الجمعة الثانية لم يثبت إلا ثلاث حلق أو أربع حلق[6] .

يصف حسين بن علي مجلس علمه فيقول : ما رأيت مجلسا قط أنبل من مجلس الشافعي ، كان يحضره أهل الفقه وأهل الشعر .

وكان يأتيه كبراء أهل الفقه والشعر ، فكل يتعلم منه ويستفيد . وكان أحمد بن حنبل ألزم للشافعي منا .

ويقول : رأيت أحمد ابن حنبل مغطى الرأس عند الشافعي .

وزاد غيره : وكذلك كان أحمد بن حنبل يدور على الفقهاء مغطى الرأس .

ويروى الربيع بن سليمان عن الشافعي ، قال : لما قدمت بغداد نزلت على (بشر المريسي) فأنزلت في العلو وهو أسفل إكراما منه لي ، فكنت عنده مدة ، فقالت أمه لي ذات يوم : ايش تصنع عند هذا الزنديق ؟ فخرجت من عنده وتركته !

ثم نزل في درب الزعفراني على الحسن بن محمد الصباح الزعفراني ، وكان فتى أديبا متصلا بالسلطان ، وكان الشافعي يعرِّفه عورات مذهب الكوفيين حتى استجاب له ، وسمع منه كتبه وصار داعية للشافعي .

وقيل لأبي ثور : قد قدم مدينة السلام رجل قريشي من ولد عبدمناف ، ينصر مذهب أهل المدينة فقلت : ولأهل المدينة مذهب يُنصر ..؟ قوموا بنا ، اذهبوا بنا إليه نسمع ما يقول . فقمت مع أصحابي ، فنظرت إليه فإذا هو شاب ، وإذا له لسان لداغ ، فسمعته يقول : قال الله ــ عز وجل

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ج١ ص ٢٢١ .
(٦) البيهقي ج١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

ــ فى خبر خاص يريد به عاما . وقال فى خبر عام يريد به العام ؟ وما العام الذى يريد به الخاص ؟ (وكنا لانعرف الخاص من العام ، ولا العام من الخاص) .

فقال ببيانه قوله ــ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾[7] ، إنما أراد به أبا سفيان .

وقوله ــ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[8] . فهذا خاص يريد به العام .

وربما كان خوض الشافعى فى مثل تلك المسائل الأصولية سببا مقنعا (لعبد الرحمن بن مهدى) لأن يكتب للشافعى ، وهو شاب ، أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن ، ويجمع قبول الأخبار فيه ، وحجة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة ، فوضع له كتاب (الرسالة) .

وكان عبدالرحمن بن مهدى : أول من أظهر رأى مالك بالبصرة[9] . وكتب عبدالرحمن بن مهدى إلى الشافعى : أن اكتب إلى ببيان من علم . فكتب إليه بالرسالة . فلما قرأها عبدالرحمن قال : ما ظننت أن يكون فى هذه الأمة اليوم مثل هذا الرجل ، أو أن الله ــ عز وجل ــ خلق مثل هذا الرجل .

وكان الزعفرانى يقول فى وصف عبدالرحمن بن مهدى بن حسان ــ أبى سعيد البصرى : إنه أحد أركان أهل العلم بالحديث .

يقول أحمد بن حنبل : إن الشافعى حين خرج إلى مصر وصنف الكتب المصرية ــ أعاد تصنيف كتاب (الرسالة) وفى كل واحد منها من بيان أصول الفقه ما لا يستغنى عنه أهل العلم .

وحين قُسِّمت مكتبة الإمام أحمد بعد وفاته على ولديه : صالح وعبدالله وجدت فيها رسالتى الشافعى العراقية والمصرية .

رحل الشافعى إلى بغداد بعد أن تفقه على يدى الإمام مالك إمام أهل المدينة ، وقرأ عليه (الموطأ) ثم نال (الإجازة) عليه حينما قال له : إن الله ــ عز وجل ــ قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية . ثم خرج إلى اليمن . وكنا نرى أن كتاب المناقب قد بالغوا القول فيما ذكروه من مناظرات الشافعى لمحمد بن الحسن وإفحامه فى كل مناظرة تناظر فيها .

وكان الشافعى ارتحل من مكة إلى اليمن من أجل مناظرة محمد بن الحسن أحد صاحبى أبى حنيفة وفى نهاية كل مناظرة يعقد كتاب المناقب لواء النصر للشافعى ، وأظهروا محمد بن الحسن متحيرا .

قال بعضهم : رأيت الشافعى ومحمد بن الحسن تناظرا ، فألقى عليه الشافعى مسألة ، فأجابه ، فأدخل عليه الشافعى حتى انقطع ، فتفاحش عليه القول ، فقال له الشافعى : تقلد قولى وأتقلد قولك . ففعل ، ثم أدخل عليه الشافعى حتى انقطع محمد أيضا ، ثم قال : ما أدرى ما أصنع. إذا خالفتك لم أقو عليك ، وإذا تابعتك لم أقو عليك[10] .

لا أدرى لم بالغ كتاب المناقب فيما رووه عن مناظرات الشافعى لمحمد بن الحسن وتعقب الشافعى له . فناظره فى مكة وأفحمه ، وناظره فى اليمن وأفحمه ، وناظره فى بغداد وأفحمه .

---

(7) آل عمران : 73

(8) الطلاق : 1

(9) البيهقى : ج1 ص 230 .

(10) البيهقى ج1 ص 104 ، ص 180 .

فربما كان ذلك من قبيل الإرهاصات بميلاد مذهب للشافعي يفوق مذهب أبي حنيفة ، فبالغوا بإظهار ضعف محمد بن الحسن الذى اعترف به محمد نفسه للشافعي حين قال له : يا أبا عبدالله ـ أى الشافعي ـ .. إن ناظرتني بقولك خصمتني ، وإن ناظرتني بقولي خصمتني . وعلى حد قول قتيبة بن سعيد : فكان محمد بن الحسن فى يده كالكرة يديرها كيف شاء[11] ويظهر من ناحية أخرى : إن كتاب ـ المناقب ـ ولاسيما البيهقى كان لايميل لأهل الرأى فاتخذ محمد بن الحسن هدفا أسقط عليه كل سهامه ، وانتحل من مناظرات الشافعي له وسيلة فعالة فى نقض مسائل الرأى عند أبى حنيفة ثم يؤسس للشافعي مذهبه الوسط بين (الرأى والنقل) ، وذلك حين أكد البيهقى فى كتابه على قول الشافعي : لايحل لصاحبكم ـ محمد بن الحسن ـ يفتى ـ يعنى برأيه ، لأنه لم يكن له عقل . أراد به الرأى الذى هو اجتهاد وقياس .

ثم عقدت موازنة بين مالك وأبى حنيفة ، وزعم كتاب المناقب أن محمد بن الحسن قال : صاحبنا ـ أبوحنيفة ـ أعلم من صاحبكم مالك .

ثم دارت على تلك الأفضلية مقارنة بينهما . فهل هى المكابرة أو الإنصاف .. إلخ وانتهت الموازنة بأن أبا حنيفة أعلم بالقياس من صاحبه . ومالك أعلم من أبى حنيفة بالكتاب والسنة والإجماع .

ثم قال محمد بن الحسن : فنحن ندعى القياس أكثر مما تدعونه وإنما يقاس على الأصول ، فمن لايعرف الأصول لايعرف القياس . وفى موازنة أخرى بين مالك وأبى حنيفة يرجحون مالكا بأنه عالم بالكتاب والسنة واختلاف أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأما أبو حنيفة فيتفق مع مالك بأنه عالم بالكتاب والسنة دون اختلاف الصحابة ، ولكنه كان عاقلا أى صاحب رأى الذى هو اجتهاد وقياس[12] .

وبعد تلك الموازنات ـ وهى كثيرة ويبدو عليها الصنعة والتكلف والانتحال فى أغلبها ـ فاضوا فى ذكر مسائل فقهية اختلف فيها الشافعي مع مذهب أبى حنيفة ورتبوها فى شكل مناظرات وقعت بين محمد بن الحسن والشافعي ، وكان الهدف فى نظرنا إظهار ضعف المسائل الفقهية التى قامت على الرأى والقواعد العقلية ، ومن وراء ضعفها يتبين ضعف مذهب أبى حنيفة ، ولقد رتب البيهقى تلك النتيجة بما قدم له فى باب عقده لبيان حسن مناظرة الشافعي وغلبته بالعلم بقوله :

سمعت يونس بن عبد الأعلى ـ وذكر الشافعي ـ وكان من أعقل الناس ، لو أن الناس ألّفوا فى عقله لغرقوا فى عقله ـ وكان لا يأخذ فى شىء إلا تقول : هذه صناعته ، إذا أخذ فى الشعر والعربية ، تقول : هذه صناعته ، وإذا أخذ فى أيام العرب تقول : هذه صناعته . كان يناظر الرجل فلا يزال يناظره حتى يقطعه ، ثم يقول لمناظره : تقلد أنت قولى ، وأتقلد قولك . فيتقلد المناظر ويتقلد الشافعي قول المناظر ، فلايزال يناظره حتى يقطعه .

---

(11) البيهقى ج1 ص 181 .
(12) البيهقى ج1 ص 183 .

ثم ، ومن الطريف ـ بعد ـ ما يقول له محمد ابن الحسن في مكة : إن تابعتك لا أقوى بك ، وإن خالفتك لا أقوى بك[13] .

تتعدد المناظرات بينهما في مكة وفي المدينة وفي اليمن وفي العراق وأمام هارون الرشيد .. الخ .

وكأنهما موصوفان لبعضهما لا يهدأ للشافعي ثار وجدانه إلا إذا ناظر محمد بن الحسن وأفحمه، ولا يهدأ لمحمد بن الحسن ثار إلا إذا أقام عليه الشافعي الحجة ..

ثم يتابع البيهقي نقده لأهل الرأي في العراق حين ذكر على لسان أبي ثور والكرابيسي أنهما كانا من أصحاب الرأي ، ولما حضرا للشافعي للسخرية به ، فهو من أهل الحديث يتفقه وسألاه عن مسائل ، فأخذ الشافعي يجيب بالحديث والرأي حتى قالا : فتركنا بدعتنا واتبعناه . وكان (المسجد الجامع الغربي) عشرون حلقة لأصحاب الرأي وكان من أثر الشافعي أن أصبحت ثلاث حلق أو أربع .

ثم أبان البيهقي عن كراهيته لأهل الرأي حين وصف (بشر المريسي*) على لسان أمه ـ أي أم بشر ـ بأنه زنديق . ومهما بالغ كتاب المناقب في ذم الرأي الذي استوى منهجه بالعراق واكتمل على يدي أبي حنيفة ، فإن الشافعي قد استفاد منه كثيراً فيما سبق إلى تأليفه من أهم كتبه (الرسالة) وصفها إسحق بن راهويه لأحمد بن حنبل وهو يرسل إليه (قد أنفذت إليك ما يدلك على عوام أصول العلم) .

ووصفها أحمد بقوله : إنها بيان أصول الفقه .

ووصفها المزني : أنا أنظر في كتاب (الرسالة) عن الشافعي منذ خمسين سنة ، ما أعلم أني نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن أعرفه[14] .

وكان الشافعي ـ كما وصفه الرازي ـ أسبق في وضع علم جديد : (أصول الفقه) في العربية كأرسطو في وضع علم المنطق في اليونان .

والرأي أن كتاب (الرسالة) جمع المسائل الأصولية ورتبها ووفق بينها وأقامها علما قائما برأسه بناه على قواعد عقلية لمعالجة فهم النص الإلهي حتى لا يصدر العقل في فهم النص الإلهي عن هوى أو مصلحة شخصية أو رؤية ذاتية إنما هي قواعد عقلية تعينه لغاية دينية هي فهم النص الإلهي .

الشافعي في مصر :

قدم الشافعي مصر ١٩٩هـ ، وتوفي بها ٢٠٤هـ ، يقول الربيع سليمان : رأيت الشافعي بـ(نصيبين) قبل أن يدخل مصر فلم أره آكلا بنهار ولا نائما بليل ، وكانت له جارية سوداء تخدمه ، وكان يعمل الباب من العلم ثم يقول : يا جارية قومي إلى القداح ، فتقوم فتسرج له ، فيكتب مايحتاج أن يكتبه ويرحمه في موضعه ، ثم يطفىء السراج ويستلقي على ظهره ، فيعمل الباب من العلم ثم يقول : ياجارية قومي إلى القداح فتقوم فتسرج له ، فيكتب الباب من العلم ويرحمه في موضعه ، ثم يطفىء السراج ، فكان على هذا

(١٣) البيهقي ج١ ص ١٨٧ .
(١٤) البيهقي ج١ ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٦ .

* أجمعت الأمة على ضلال بشر بسبب فتنة التي أثارها في خلق القرآن ، والعياذ بالله .

منه . فقلت : يا أبا عبدالله ، لو تركت السراج متقد ، فإن هذه الجارية منك في جهد ، قال : إن السراج يشغل قلبي .

قال : وقال لي يوما : كيف تركت أهل مصر ؟ فقلت : تركتهم على ضربين :

فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك وأخذت به ، واعتمدت عليه وذبت عنه وناضلت عنه .

وفرقة مالت إلى قول أبي حنيفة فأخذت به وناضلت عنه فقال : أرجو أن أقدم مصر ، إن شاء الله ، وآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعا . فقال الربيع : ففعل ذلك ـ والله ـ حين دخل مصر[15] .

قال ياسين بن عبدالواحد : لما قدم علينا الشافعي مصر ، أتاه جدي ، وأنا معه ، فسأله أن ينزل عليه فأبى وقال : إني أنزل على أخوالي الأزد ، فنزل عليهم يقول هارون بن سعيد الأيلي : ما رأيت مثل الشافعي : قدم علينا مصر ، فقالوا : قدم علينا رجل من قريش ، فجئناه وهو يصلي ، فما رأيت أحسن صلاة منه ، ولا أحسن وجها منه فلما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن كلاما منه فافتتنا به[16] .

يقول ابن عبدالحكم : الشافعي علم أهل مصر الاحتجاج . يقول الحميدي : خرجت مع الشافعي إلى مصر ، فكان هو ساكنا في العلو ونحن في الأوساط ، فربما خرجت في بعض الليل فأرى المصباح ، فأصيح بالغلام فيسمع صوتي فيقول : بحقي عليك ارق . فأرق فإذا قرطاس ودواة ، فأقول : مه يا أبا عبدالله فيقول : تفكرت في معنى حديث ، أو في مسألة ، فخفت أن يذهب علي ، فأمرت بالمصباح فكتبته .

ولم تطل إقامته في مصر أكثر من أربع سنوات حيث وافته المنية وهو في القاهرة[17] .

ماحمله معه من الكتب إلى مصر :

وقدم الشافعي من الحجاز إلى مصر ومعه هذه الكتب :

* كتب ابن عيينة .
* وكتاب من آثار من كلام ابن الأشهب .
* وكتاب مما علقه من يحيى بن حسان .
* كتاب الاختلاف بين الأوزاعي وأبي حنيفة .

وهو كما قال أحمد : وهو (كتاب في السير) صنفه أبو حنيفة فرد عليه الأوزاعي ماخالفه فيه . ثم رد أبو يوسف على الأوزاعي رده على أبي حنيفة ، وهو الكتاب الذي يعرف بسير الأوزاعي .

وأما كتاب أشهب فإنه أخذه ليعرف منه ما شذ عنه من أقاويل مالك وأصحابه فيمكنه الرد فيما خالفهم فيه .

مصنفات الإمام الشافعي

وله كتب مصنفة في «أصول الفقه» ثم في فروعه . فمن الكتب التي تجمع الأصول وتدل على الفروع :

١ ـ كتاب الرسالة القديمة .
٢ ـ كتاب الرسالة الجديدة .
٣ ـ كتاب اختلاف الأحاديث .
٤ ـ كتاب جماع العلم .

(١٥) مناقب الشافعي ج١ ص ٢٣٨ البيهقي .
(١٦) البيهقي ج١ ص ٢٤٠ .
(١٧) منقول بتصرف من كتاب المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب . العميد/عبدالرازق محمد أسود ١٥٦ ـ ١٥٨ ـ المجلد الثالث . الدار العربية للموسوعات .

٥ ـ كتاب إبطال الاستحسان .
٦ ـ كتاب أحكام القرآن .
٧ ـ كتاب بيان فرض الله ـ عز وجل .
٨ ـ كتاب صفة الأمر والنهى .
٩ ـ كتاب اختلاف مالك والشافعى .
١٠ ـ كتاب اختلاف العراقيين .
١١ ـ كتاب الرد على محمد بن الحسن .
١٢ ـ كتاب على وعبدالله .
١٣ ـ كتاب فضائل قريش .

ومن الكتب التى هى مصنفة فى الفروع ، وهى التى تعرف بالأم :

فى الطهارات

١ ـ كتاب الوضوء . ٢ ـ والتيمم . ٣ ـ والطهارة . ٤ ـ ومسألة المنى . ٥ ـ وكتاب الحيض .

فى الصلوات

١ ـ كتاب استقبال القبلة .. ٢ ـ كتاب الإمامة . ٣ ـ كتاب الجمعة . ٤ ـ كتاب صلاة الخوف . ٥ ـ كتاب صلاة العيدين . ٦ ـ كتاب الخسوف . ٧ ـ كتاب الاستسقاء . ٨ ـ كتاب صلاة التطوع . ٩ ـ الحكم فى تارك الصلاة . ١٠ ـ كتاب الجنائز . ١١ ـ كتاب غسل الميت .

فى الزكوات

١ ـ كتاب الزكاة . ٢ ـ كتاب (زكاة) مال اليتيم . ٣ ـ كتاب زكاة الفطر . ٤ ـ كتاب فرض الزكاة . ٥ ـ كتاب قسم الصدقات .

وفى الصيام

١ ـ كتاب الصيام الكبير . ٢ ـ كتاب صوم التطوع ٣ ـ كتاب الاعتكاف .

وفى الحج

١ ـ كتاب المناسك الكبير . ٢ ـ مختصر الحج الأوسط . ٣ ـ مختصر الحج الصغير .

فى المعاملات

١ ـ كتاب البيوع . ٢ ـ كتاب الصرف . ٣ ـ كتاب كتاب السلم . ٤ ـ كتاب الرهن الكبير . ٥ ـ كتاب الرهن الصغير . ٦ ـ كتاب التفليس . ٧ ـ كتاب الحجر وبلوغ الرشد . ٨ ـ كتاب الصلح . ٩ ـ كتاب الاستحقاق . ١٠ ـ كتاب الحمالة والكفالة . ١١ ـ والحوالة والوكالة والشركة ١٢ ـ كتاب الإقرار والمواهب . ١٣ ـ كتاب الإقرار بالحكم الظاهر . ١٤ ـ كتاب إقرار الأخ بأخيه . ١٥ ـ كتاب العارية . ١٦ ـ كتاب الغصب . ١٧ ـ كتاب الشفعة . ١٨ ـ كتاب الإجارة . ١٩ ـ الأوسط فى الإجارة . ٢٠ ـ كتاب الكراء والإجارات . ٢١ ـ اختلاف الأجير والمستأجر . ٢٢ ـ كتاب كراء الأرض . ٢٣ ـ كراء الدواب . ٢٤ ـ كتاب المزارعة . ٢٥ ـ كتاب المساقاة . ٢٦ ـ كتاب القراض ٢٧ ـ كتاب عمارة الأرضين وإحياء الموات .

وفى العطايا

١ ـ كتاب المواهب . ٢ ـ كتاب الأحباس . ٣ ـ كتاب العمرى والرقبى .



وفى الوصايا

١ ـ كتاب الوصية للوارث . ٢ ـ والوصايا فى العتق . ٣ ـ كتاب تغيير الوصية . ٤ ـ صدقة الحى عن الميت . ٥ ـ وصية الحامل .

وفى الفرائض وغيرها

١ ـ كتاب المواريث . ٢ ـ كتاب الوديعة . ٣ ـ كتاب اللقطة . ٤ ـ كتاب اللقيط . ٥ ـ كتاب التعريض بالخطبة . ٦ ـ كتاب تحريم الجمع . ٧ ـ كتاب تحريم الجمع . ٨ ـ كتاب الشغار . ٩ ـ كتاب الشغار . ١٠ ـ كتاب الصداق . ١١ ـ كتاب الوليمة . ١٢ ـ كتاب القسم . ١٣ ـ كتاب إباحة الطلاق . ١٤ ـ كتاب الرجعة . ١٥ ـ كتاب الخلع والنشوز . ١٦ ـ كتاب الإيلاء . ١٧ ـ كتاب الظهار . ١٨ ـ كتاب اللعان . ١٩ ـ كتاب العدد . ٢٠ ـ كتاب الاستبراء . ٢١ ـ كتاب الرضاع . ٢٢ ـ كتاب النفقات .

وفى الجراح

١ ـ كتاب جراح العمد . ٢ ـ كتاب جراح الخطأ والديات . ٣ ـ (اصطدام السفينتين) . ٤ ـ الجناية على أم الولد . ٥ ـ الجناية على الجنين . ٦ ـ خطأ الطبيب . ٧ ـ جناية المعلم . ٨ ـ (جناية) البيطار والحجام . ٩ ـ كتاب القسامة . ١٠ ـ صول الفحل .

وفى الحدود

١ ـ كتاب الحدود . ٢ ـ كتاب القطع فى السرقة . ٣ ـ قطاع الطريق . ٤ ـ صفة النفى . ٥ ـ كتاب المرتد الكبير . ٦ ـ كتاب المرتد الصغير . ٧ ـ الحكم فى الساحر . ٨ ـ كتاب قتال أهل البغى .

وفى السير والجهاد

١ ـ كتاب الجزية . ٢ ـ كتاب على سير الأوزاعى . ٣ ـ كتاب على سير الواقدى . ٤ ـ كتاب قتال المشركين . ٥ ـ كتاب الأسارى والغلول . ٦ ـ كتاب السبق والرمى . ٧ ـ كتاب قسم الفيء والغنيمة .

وفى الأطعمة

١ ـ كتاب الطعام والشراب . ٢ ـ كتاب الضحايا الكبير . ٣ ـ كتاب الضحايا الصغير . ٤ ـ كتاب الصيد والذبائح . ٥ ـ كتاب ذباح بنى إسرائيل . ٦ ـ كتاب الأشربة .

وفى القضايا

١ ـ كتاب آداب القاضى . ٢ ـ كتاب الشهادات . ٣ ـ كتاب القضاء باليمين مع الشاهد . ٤ ـ كتاب الدعوى والبينات . ٥ ـ كتاب الأقضية . ٦ ـ كتاب الإيمان والنذور . ٧ ـ كتاب القرعة .

وفى العتق وغيره

١ ـ كتاب البحيرة والسائبة . ٢ ـ كتاب الولاء والحلف . ٣ ـ كتاب الولاء الصغير . ٤ ـ كتاب المدبر . ٥ ـ كتاب المكاتب . ٦ ـ كتاب عتق أمهات الأولاد . ٧ ـ كتاب الشروط . فذلك مائة ونيف وأربعون كتابا .

الأبعاد الإنسانية للدعوة الإسلامية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر (*)

لقد خلق الله الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وبهذه النفخة العلوية رفع شأنه وأعلى قدره وكان أمر الملائكة بالسجود له : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ﴿٧١﴾ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة ص)

وإضافة الروح إلى الله ـ سبحانه ـ وهو مالكها وخالقها ـ يعتبر الإشارة الأولى إلى قيمة الإنسان ومكانته .

أما الإشارة الثانية فتأتى عند الحديث عن المهمة التى سيكلف الله بها الإنسان حين يخلقه إذ يجعله خليفة فى الأرض يقوم بعمارتها والانتفاع بما فيها ، وهى كذلك منزلة سامية ومكانة عالية

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ سورة البقرة ٣٠ .

وها هم الرسل جميعاً يذكرون أممهم بضرورة القيام بهذا التكليف حفاظاً على تلك المكانة . فهذا نبى الله صالح ـ عليه السلام ـ يخاطب قومه قائلاً :

﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴿٦١﴾ ﴾ (سورة هود)

وهذا شعيب ـ عليه السلام ـ يقول لقومه :

﴿ ... ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ... ﴾ سورة الأعراف ٨٥

(*) الكاتب الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر .

ويخاطب القرآن الناس فيقول :

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

سورة الأعراف ٥٦

أما الإشارة الثالثة فتأتى عندما يذكر الله ـ سبحانه ـ أنه خلق آدم بيديه ، وآدم هو أبو البشرية وأول إنسان ،

يقول الله ـ تعالى :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

سورة ص ٧٥ ـ ٧٦

لكن هذا الإنسان الذى رفع الله شأنه وأعلى قدره قد يضل طريقه وينسى مهمته ويفقد بصيرته ويتغلب عليه شيطانه فيهدم ما سبق أن بنى ويخرب ما سبق أن عمر ، بل ربما راح يهدم وهو يظن أنه يبنى ، ويسعى فى الخراب وهو يظن أنه يعمر .

وهذا يحدث للإنسان حين يعرض عن منهج الله ويبتعد عن شرع الله الذى زوده بالمنهج الذى يسعده :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

سورة طه ١٢٣ ـ ١٢٦

من هنا نستطيع أن نفهم معنى قول الله ـ تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

سورة التين ٤ ـ ٦

إن الإنسان هو موضوع الدعوة الإسلامية التى تصله بربه وتعلمه كيف يعبده ، وتحقق له إنسانيته وتلفت نظره إلى قيمته وتحدد له ـ على طريق السمو ـ مسيرته . وتكشف له غايته كى يسير على الهدى ويتحرك فى النور :

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

سورة الأنعام ١٢٢

فى دعوة الإسلام أن الناس جميعاً إخوة ينتسبون لأب واحد وأم واحدة فلا فضل لأحد على آخر بالنظر إلى أصل نشأته ولا بالنظر إلى أصل تكوينه فأصل النشأة واحد :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

سورة النساء ١

وإذا كانت إرادة الله وقدرته قد صنعت وأحكمت ، فأصبح بعض الناس سوداً وبعضهم بيضاً أو حمراً أو صفراً فما ذلك إلا ليكون دليلا جديداً على قدرة الله ، وأمارة على بديع صنعه وآية من آياته الكثيرة المبثوثة فى الأنفس والآفاق :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

سورة الروم ٢٢

إن ذلك التنوع والاختلاف لا ينبغى أن يكون أساسا للتفاضل أو سببا للتنازع والتقاتل ، إنما ينبغى أن يكون سبيلا إلى التفاهم وأساسا للتعارف والتعاون :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات ١٣

بل إن دعوة الإسلام ترفض أن يكون اختلاف الدين سببا للظلم أو مبرراً للعدوان ؛ لأنه هكذا خلق الله الناس مختلفين ولا يزالون مختلفين :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ... ﴾

سورة هود ١١٨ ـ ١١٩

إن تحقيق العدل بين الناس جميعا بلا تفرقة غاية من غايات دعوة الإسلام وأصل من أصولها وهدف يعمل له المؤمنون الذين آمنوا بهذه الدعوة وتقبلوها بالرضا والتسليم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

سورة المائدة ٨

إن إعلان التوحيد هو فى الواقع إعلان لحرية الإنسان وكرامته وإقرار لقاعدة المساواة بين بنى الإنسان وأساس لتحقيق العدل فى الأرض . حيث لا يخضع الإنسان إلا للخالق الرازق . وفى الخضوع لله وحده عزة الإنسان وكرامته .

إن المسلمين حين يقاتلون أعداء بلادهم ودينهم لا يقاتلون لدنيا يصيبونها أو لجاه يحصلون عليه أو لتوسيع ملك أو لتسخير شعب وإذلال أمه . إنما يقاتلون رداً على العدوان وزجراً للمعتدين وتأمينا للخائفين ونصرة للمظلومين وحماية للمستضعفين .

يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

سورة البقرة ١٩٠

لهذا فإن الحروب التى خاضها المسلمون كانت متناسقة مع طبيعة الإسلام فلم تعرف البشاعة والقسوة التى عرفت بها حروب الآخرين .

وهذه هى الوصايا الملزمة التى كانت توجه إلى جيوش المسلمين حين تخرج للقتال « لا تقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخاً ولا راهباً فى صومعته ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء » .

إنه قبل أن تعرف الدنيا شيئا اسمه حقوق الإنسان ومنذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان جاءت دعوة الإسلام وطبقت حقوق الإنسان فى أرفع صورها .

الإنسان حر فى اختيار العقيدة التى يريدها إن شاء آمن وإن شاء كفر :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

سورة الكهف ٢٩

والدولة مسئولة عن توفير هذه الحرية والدفاع عنها والضرب على يد المتسلطين الذين يسلبون الناس حريتهم ويستعبدونهم .

ولا يجوز بحال من الأحوال أن تنتهك آدمية الإنسان حتى وإن قاتل واعتدى ووقع فى الأسر . إن الله جعل الجنة من نصيب أولئك الذين يحسنون معاملة الأسرى . قال ـ تعالى :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

سورة الإنسان ٨

إن دعوة الإسلام تسعى للقضاء على كل عصبية وتدعو للإخاء بين الناس ، وقد نجحت فى مسعاها فهؤلاء المؤمنون بهذه الدعوة تنوعت طبقاتهم واختلفت ألوانهم وتباعدت أعراقهم وأجناسهم وقومياتهم ، ولكن دعوة الإسلام ألفت بين قلوبهم ووحدت بين صفوفهم فكانت الأخوة تجمع بين أبى بكر وعمر وبلال وصهيب وسلمان . هذا عربى وذاك حبشى وثالث رومى ورابع فارسى وهم ما بين أبيض وأسود ومن كان حراً ومن كان عبداً ، لقد أزالت دعوة الإسلام هذه الفوارق .

إن من الأبعاد الإنسانية فى الدعوة الإسلامية تلك اللفتة الكريمة فى حق المرأة المرضع فقد يستأجر بعض الناس امرأة ترضع لهم طفلهم ، إن الإسلام هنا ـ تكريماً لإنسانية هذه المرضع ـ لا يجعلها مجرد بائعة لبن وإنما يجعلها أماً لهذا الرضيع تستحق ما تستحقه الأم من رعاية وبر وتكريم بل ويجعل أولادها إخوة له من الرضاع .

ومن الأبعاد الإنسانية فى الدعوة الإسلامية تلك الوصية الشاملة برعاية كل أصحاب الحقوق وهم كثير . بداية من الوالدين :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

سورة الإسراء

ومروراً بالأقارب والجيران وإن لم يكونوا مسلمين ، وكذا اليتامى الذين فقدوا عائلهم والمساكين الذين أسكنهم الفقر والعوز وكذا الأضياف ، الرفقة فى الحضر والسفر والأزواج وأبناء السبيل الذين انقطعوا عن مواردهم أو انقطعت عنهم مواردهم وأولئك الذين جعلهم الله تحت أيدينا من الخدم ولو شاء الله لجعلنا تحت أيديهم . دائرة واسعة ومجموعة كبيرة ذكرتها آية شاملة فى كتاب الله :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

سورة النساء

وتتسع الدائرة لتشمل الكبار والصغار والعلماء وأهل الفضل : « **ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه** » رواه الإمام أحمد والحاكم .

إن الإسلام حرص إتباعه على الرفق فى كل شىء وعلى الرحمة بكل الضعفاء .

والإحسان إلى جميع اليتامى والفقراء وتحرير كل العبيد والأرقاء وصولا إلى رضوان الله وجنته وتخطى العقبات التى تعوقهم عن الوصول إلى تلك الغاية .

يقول الله ـ تعالى :

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧) أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾

سورة البلد ١١ ـ ١٨

وإن الرحمة التى عرف بها المسلمون وكانت صفة بارزة من صفاتهم إنما تخلقوا بها عن طريق دعوة الإسلام السامية . إنها رحمة فاضت بها مشاعرهم حتى شملت الإنسان والحيوان طمعا فى الحصول على مرضاة الله ورحمته وليس لغرض من أغراض الدنيا ، ذلك هو الدافع لهم فقد حفظوا عن رسول الله ﷺ قوله : « **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى .

ثم إن الدعوة إلى الله مسئولية مشتركة بين جميع أفراد الأمة يتحملها كل منهم على قدر موقعه وعلمه واستطاعته بدليل قول رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته » متفق عليه .

كما وأنه مطلوب من كل مسلم أن يدعو إلى الله بقـدر ما يحسن . وفى ذلك يقـول رسول الله ﷺ : « **بلغوا عنى ولو آية** » جزء من حديث « رواه البخارى » .

فعلى كل منا أن يصلح نفسه وأن يدعو غيره وأولى الناس بدعوتنا وبرنا وحسن توجيها أهلنا الأقربون وأزواجنا وأولادنا يقول الله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

سورة التحريم ٦

إن صلاح أمرنا كله لن يكون بغير الإسلام وصلاح أمر البشرية كلها لن يكون إلا بصلاحنا . وذلك لأننا أمة القيادة يأخذ منا الآخرون القدوة والمثل .

ولن تكون لنا القيادة إلا بالعودة الصادقة إلى كتاب ربنا وسنة نبينا . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

سورة الأنبياء ١٠

نسأل الله أن يجعلنا ممن يعقلون ويدركون ويعملون بما يعلمون . وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .



من رجال القضاء في الإسلام

العلامة عبد الرحمن بن خلدون

٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ ١٣٣٢ م - ١٤٠٦ م

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

هو : أبو زيد ولى الدين عبدالرحمن المشهور بابن خلدون ، كان إماما حكيما فى التاريخ وعالما كبيرا فى الاقتصاد ونواميس العمران ، وقد وضع بمقدمة كتابه « العبر » ميزانا اجتماعيا توزن فيه الوقائع والروايات التاريخية حتى يتبين منهما المحتمل والبعيد الاحتمال ، ولا يقتصر هذا الميزان على الوقائع التاريخية أو الماضية فحسب ، بل إنه ينير الطريق لمؤرخى المستقبل حتى يتمكنوا من غربلة الأمور التى يؤرخونها ، كما أنه يضىء الطريق لقادة الفكر وسادة الدول بأن يتخذوا من القواعد التى وضعها نبراسا يهتدون بنوره فلا تزل أقدامهم ، وبذلك تكون أحداث الماضى عبرة لتفادى مثيلاتها فى المستقبل[1] .

---

(١) كتاب أثر المدنية الإسلامية فى الحضارة الغربية تأليف الدكتور مختار القاضى ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

أصـله وتاريخ أسرته :

ذكر الإمام أبو محمد على بن حزم الأندلسى فى كتاب (جمهرة أنساب العرب) أن أسرة ابن خلدون ترجع إلى أصل يمانى حضرمى ، أما نسبها فى الإسلام فيرجع إلى (وائل بن حجر) ، وهو صحابى معروف روى عنه رسول الله ﷺ سبعين حديثا ، وبعثه ـ عليه السلام ـ ومعه معاوية بن أبى سفيان إلى أهل اليمن يعلمهم القرآن والإسلام .

كما يذكر ابن عبد البر فى كتابه (الاستيعاب) أن وائل بن حجر لما وفد على النبى ﷺ بسط له رداءه وأجلسه عليه ، وقال : « اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة » .

وقد دخل من أفراد هذه الأسرة بلاد الأندلس مع العرب الفاتحين (حسب رواية ابن حزم) خالد ابن عثمان الذى اشتهر فيما بعد باسم (خلدون) وفقا للطريقة التى جرى عليها حينئذ أهل الأندلس والمغرب فى علامات التعظيم من حفدة وائل بن حجر فيسموهم (بنى خلدون) حيث استقروا فى مدينة قرمونه ، ثم نزحوا بعد ذلك إلى مدينة أشبيلية ، وقد بدا نجم تلك الأسرة يسطع فى عهد الأمير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الأموى ؛ ذلك أنه فى أثناء ولاية هذا الأمير اضطربت بلاد الأندلس بالفتن وثارت معظم نواحيها ، وكانت أشبيلية فى مقدمة المناطق الثائرة ، واشترك فى ثورتها ولدان من حفدة خلدون هما : كريب بن عثمان بن خلدون وأخوه خالد ، وانتهت الثورة بعد عدة مراحل بأن استبد كريب بن عثمان بن خلدون بأمر الحكم ، واستقل بإمارة أشبيلية لكن تجددت الثورات بها مرة أخرى وانتهت بقتله .

وقد بقى بنو خلدون فى أشبيلية بعد ذلك لا شأن لهم طيلة عهد الأمويين وعهد ملوك الطوائف ، وكذلك فى عهد دولة المرابطين حتى إذا جاءت دولة الموحدين بالمغرب انتزعت بلاد الأندلس من المرابطين ؛ فأتيح لبنى خلدون الاتصال بأحد ولاة وعمال هذه الدولة الناشئة ، ويدعى أبو حوص زعيم قبيلة (هنتانه) والذى تولى أمر أشبيلية وغرب الأندلس ، كما توارث بنوه ولايتها من بعده فاستعاد بنو خلدون بعض ما كان لهم من العزة والرياسة والجاه .

ولما ضعفت دولة الموحدين واضطربت أمور الأندلس ،وأخذت قواعدها وثغورها تسقط تباعا فى يد ملك قشتالة النصرانى فرّ بنو حفص من أشبيلية ، ونزحوا إلى تونس سنة ٦٢٠ هـ ـ ١٢١٣ م حيث دعوا لأنفسهم ضد ولاتها من دولة الموحدين فنجحت دعوتهم ، واستولوا على قسم كبير من تلك البلاد ، وقد تبعهم بنو خلدون فرحلوا إلى تونس حيث أكرمهم الحفصيون وعطفوا عليهم فولوا أبا بكر بن محمد ـ الجد الثانى ـ لابن خلدون شئون دولتهم ، واستمر فى خدمة الدولة حتى قتله بعض الخوارج على الحفصيين .

كما ولّوا جده الأول محمد بن أبى بكر شئون الحجابة لحاكم بجاية ، وقد بقى فى عمله بعد مقتل أبيه أمداً طويلا ، كما ظل محتفظا بمكانته بعد أن

دالت دولة بنى حفص وغلب على تونس زعيم الموحدين الأمير أبو يحيى بن اللحيانى ، فقد قربه الأمير المشار إليه حتى اعتزل من نفسه الحياة العامة ، ولكنه بقى مع ذلك على مكانته ونفوذه فى الدولة حتى توفى سنة ٧٣٧ هـ ـ ١٣٢٧ م .

أما والده أبو عبد الله بن محمد بن أبى بكر فقد عزف عن السياسة ، وآثر الدرس والعلم فقرأ وتفقه كما كان له بصر بالشعر وفنونه ، وقد توفى سنة ٧٤٩ هـ ـ ١٣٣٩ م عن خمسة أبناء كان واحدا منهم عبدالرحمن صاحب هذه الترجمة(٢) .

مولده ونشأته ومعلموه :

ولد العلامة عبدالرحمن المشهور بابن خلدون فى مدينة تونس فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ التى توافق ٢٧ مايو سنة ١٣٣٢ م ، ولما بلغ سن التعليم بدأ بحفظ القرآن الكريم وتجويده حسب المنهج الذى كان متبعا فى كثير من بلاد الإسلام ، وكان (مسجد القبة) فى تونس هو المعهد الذى حفظ وجوّد فيه القرآن الكريم على حفظته ومجوديه .

ولما كانت تونس حينئذ مركز العلماء والأدباء فى بلاد المغرب ومهبط رهط من علماء الأندلس الذين فروا أمام زحف الجيوش النصرانية ، فكان من هؤلاء وأولئك أساتذته ومعلموه مع والده فدرس عليهم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكى الذى كان ولا يزال المذهب السائد فى المغرب ، كما درس عليهم علمى الأصول والتوحيد ، وكذلك العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب ، ثم درس المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية .

وحظى فى جميع دراساته بإعجاب أساتذته ونال إجازاتهم ، وقد عنى بذكر أسماء معلميه وأساتذته فى مختلف هذه البحوث ، ومن أظهر من عنى بذكرهم من أساتذته : (محمد بن سعد بن بُرّال الأنصارى ، ومحمد بن العربى الحصايرى ، ومحمد بن الشواش الزرزالى ، وأحمد بن القصار ، ومحمد بن بحر ، ومحمد بن جابر القيسى ، والفقيه المالكى محمد بن عبد الله الجيانى ، وأبو القاسم محمد القصير ، ومحمد بن عبد السلام ، ومحمد بن سليمان الشُطّىّ ، وأحمد الزواوى ، وعبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى ، وكذلك محمد بن عبد المهيمن الحضرمى ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلى شيخ العلوم العقلية وكانت تسمى كذلك العلوم الفلسفية أو العلوم الحكمية ، وقد كان لهذين العالمين الأخيرين أكبر الأثر فى ثقافته الشرعية واللغوية والحكمية(٣) .

أهم الكتب التى درسها فى صباه :

ولقد عنى ابن خلدون أيضا بذكر أهم الكتب التى درسها على أساتذته العلماء ، ومن أظهرها :

اللامية فى القراءات ، والرائية فى رسم المصحف ، وكلتاهما للشاطبى ، والتسهيل فى النحو لابن مالك ، وكتاب الحماسة ،

---

(٢) كتاب (عبدالرحمن بن خلدون) ، بقلم الدكتور على عبدالواحد وافى ، سلسلة أعلام العرب ، تحت إشراف وزارة الثقافة المصرية .

(٣) كتاب (عبدالرحمن بن خلدون) المرجع السابق .

والمعلقات ، وطائفة من شعر أبي تمام والمتنبي ، ومعظم كتب الحديث وخاصة : موطأ الإمام مالك ، وصحيح الإمام مسلم ، والتقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ، وكتاب التهذيب للبرادعي ، ومختصر المدونة لسحنون في الفقه المالكي ، ومختصرا ابن الحاجب في الفقه والأصول ، والسيرة لابن إسحاق ، كما قرأ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني .

انقطاع ابن خلدون عن متابعة الدراسة والعلم :

عندما وصل ابن خلدون إلى سن الثامنة عشرة من عمره حدث حادثان خطيران عاقاه عن مواصلة دراسته ، وكان لهما أثر بليغ في مجرى حياته .

أما أولهما فهو وباء الطاعون الذي انتشر سنة ٧٤٩ هـ في معظم أنحاء العالم شرقيه وغربيه ؛ فطاف بالبلاد الإسلامية من سمرقند إلى المغرب ، ثم انتقل شمالا فعصف بإيطاليا ومعظم البلاد الأوروبية وكذلك بلاد الأندلس ، وقدر من هلك بتونس في يوم واحد بألف ومئتي نسمة ، وسمي وقتئذ بالطاعون الجارف ، وكان من كوارثه أنه أهلك لابن خلدون أبويه وجميع من كان يأخذ عنهم العلم من شيوخه .

أما الحادث الآخر فهو هجرة معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من ذلك الوباء الخطير من تونس إلى المغرب الأقصى سنة ٧٥٠ هـ .

وكان من نتيجة هذين الحادثين أن استوحش ابن خلدون في بلده فرغب في الخروج إلى المغرب الأقصى لكن أخاه الأكبر أفلح في صرفه عن رغبته مما جعله يتطلع إلى تولي الوظائف العامة مثل القدامى من أسرته [٤] .

الوظائف العامة التي تولاها عبد الرحمن بن خلدون في بلاد المغرب :

تقلب ابن خلدون في عديد من الوظائف الديوانية والسياسية خلال المدة من سنة ٧٥١ هـ حتى ٧٧٦ هـ لدى حكام المغرب الأوسط ـ وهو ما يسمى بإقليم الجزائر حاليا ـ وحكام مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، وكذا سلطان غرناطة ببلاد الأندلس .

١ ـ فتقلد وظيفة (كتابة العلامة) وهي وضع عبارة (الحمد لله والشكر لله) بالقلم الغليظ مما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم .

٢ ـ ثم عين ضمن عضوية المجلس العلمي وشهود الصلوات مع سلطان تلمسان .

٣ ـ كما تولى وظيفة كتابة السر والترسل عن السلطان والإنشاء لمخاطباته ، وقد نهج في أثناء قيامه بهذه الوظيفة نهجا جديدا في كتابة الرسائل فحررها من قيود السجع التي كانت قاعدة الكتّاب في ذلك العهد .

---

(٤) كتاب (عبدالرحمن بن خلدون) المرجع السابق .

٤ ـ ثم تولى (خطة المظالم) فأداها بعدالة وكفاية .

٥ ـ لما سافر إلى غرناطة كلفه سلطانها بالسفارة بينه وبين ملك قشتاله ، فنجح فى مهمته لما كان يتمتع به من مهارة دبلوماسية وحنكة سياسية ودراية بأخلاق الملوك ، ولعجب ملك قشتاله به عرض عليه البقاء عنده ، وأغراه على ذلك بأن يرد له أموال أسرته بمدينة أشبيلية التى كانت دولة قشتالة قد استولت عليها من قبل ، لكن ابن خلدون اعتذر عن ذلك بأمور قبلها ذلك الملك فسمح له بالعودة إلى غرناطة .

٦ ـ لما عاد إلى المغرب تولى أمر الحجابة لسلطان بجاية ، وهى أرق منصب فى الدولة بعد منصب السلطان ، ويشبه منصب رئيس الوزراء فى زماننا المعاصر .

٧ ـ ثم قدمه السلطان المشار إليه للخطابة بجامع القصبة وفى ذلك الجامع قام ابن خلدون أثناء النهار بتدريس العلم بعد انصرافه من تدبير أمور السلطنة .

وبذلك جمع ابن خلدون سنة ٧٦٦ هـ بين أرق مناصب الدولة وأرق مناصب العلم .

٨ ـ ثم ابتعد عن وظائف الدولة مدة تسع سنوات حيث عزم على أن يترك شئون السياسة وينقطع للقراءة والتأليف فولى وجهه شطر منازل أصدقائه بنى عريف فأنزلوه مع أسرته بأحد قصورهم فى قلعة ابن سلامة من بلاد توجين .

٩ ـ وفى هذا المكان المنعزل قضى ابن خلدون أربعة أعوام نعم فيها بالاستقرار والهدوء ، وأخذ فى تدوين أبحاثه يكتب عن حفظه ومن ذاكرته وبالرجوع إلى مذكراته وإلى المراجع القليلة أو الكتب التى اطلع عليها فى أسفاره أو تلك التى أتيح له الحصول عليها فى أثناء ذلك ، وإلى ما عسى أن يكون لديه من كتب فى مكتبته الخاصة لكنه رأى ضرورة الرجوع إلى الكتب والمصادر الموسعة الضرورية والتى لا تتوفر إلا فى مسقط رأسه تونس ، حيث تقدم له مكتباتها الغنية بالكتب ما يحتاج إليه من مراجع .

١٠ ـ وقد نجح ابن خلدون فى استرضاء حاكمها أبى العباس أحمد سلطان قسطينه التى كانت تضم فى إدارتها تونس أيضا ، لذلك بعثه إليها وأصدر أوامره بتوفير ما ينبغى توافره لراحته من معاش ومكان وجزيل الإحسان ، وهناك عكف على الاطلاع والبحث والتدريس حتى أتم مؤلفه الذى اشتهر به فى علم الاجتماع ، وفى علم التاريخ ، وفور الانتهاء منه رفع نسخة منه إلى السلطان المشار إليه ، وكان ذلك أوائل سنة ٧٨٤ هـ ـ التى توافق أوائل سنة ١٣٨٢ م مع قصيدة شعرية يمدحه بها وينوه فيها بفضله نذكر منها بعض أبياته التى استهلها بقوله :

هل غير بابك للغريب مؤمل
أو عن جنابك للأمانى معدل
هى همة بعثت إليك على النوى
عزما كما شحذ الحسام الصيقل

ثم يشير إلى كتابه الذى قدمه للسلطان فيقول :

وإليك من سير الزمان وأهله
عبراً يدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن أحاديث الألى
غبروا فتجمل منهم وتفصل
تبدى التبابع والعمالق سرها
وثمود قبلهم وعاد الأول
والقائمون بملة الإسلام من
مضر وبربرهم إذا ما حصلوا[٥]

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر :

لم يؤلف ابن خلدون مؤلفه السابق الإشارة إليه إلا بعد أن نضجت معارفه ، واتسعت مداركه ، وزادت دائرة اطلاعه ، وارتقى تفكيره ، وأفاد من تجاربه ومشاهداته فى شئون الاجتماع الإنسانى ، خاصة وأنه قضى نحو ربع قرن فى غمار السياسة متقلبا فى خدمة أمراء وسلاطين دول المغرب العربى ودولة المسلمين فى الأندلس يدرس أمورها ويستقصى سيرها وكذا أخبارها ، ويتغلغل بين القبائل يتأمل طبائعها وأحوالها وتقاليدها .

ويمكن تقسيم الكتاب إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : ويعرف بالمقدمة ، وهو الذى نال به شهرته العظيمة التى طارت فى آفاق الشرق والغرب ، وهو بحث هام فى الاجتماع الإنسانى وقوانينه ، وقد اشتهر فيما بعد باسم (مقدمة ابن خلدون) ويشمل خطة الكتاب وتمهيدا صغيرا أسماه (المقدمة فى فضل علم التاريخ) ثم الكتاب الأول ويشتمل على ستة أبواب كبيرة فى شئون العمران ، ويشغل نحو ستمائة وخمسين صفحة تناول فيها العمران البشرى على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض ، ثم العمران البدوى ، كما ذكر القبائل والأمم الوحشية ، ثم الدول والخلافة والملك وكذلك المراتب السلطانية ، ثم العمران الحضرى والبلدان والأمصار ، ثم الصنائع والمعاش ، والكسب ووجوهه .

القسم الثانى : وهو فى تاريخ العرب وغيرهم من الشعوب ، ويبدأ منذ أول الخليقة إلى القرن الثامن الهجرى .

القسم الثالث : ويتناول فيه تاريخ البربر ، ثم ينتهى هذا المؤلف بكتاب مستقل أودعه ابن خلدون تاريخ حياته وسماه (رحلة ابن خلدون فى المغرب والمشرق)[٦] .

هجرته إلى مصر دون عودة إلى بلاد المغرب :

رغم أن ابن خلدون عاف السياسة ، وكان قد اكتسب الحظوة لدى حاكم قسنطينة أبى العباس أحمد ، لكنه لم يأمن غدر السلطان وسعاية الساعين إلى السلطة والمتزاحمين عليها فاعتزم مغادرة تونس وكل بلاد المغرب بلا عودة ، واتخذ

---

(٥) مجلة الفيصل السعودية ، العدد (٢٩) ، ذو القعدة سنة ١٣٩٩ هـ ـ أكتوبر سنة ١٩٧٩ م ، مقال تحت عنوان ابن خلدون فى الفكر المعاصر ، بقلم الدكتور حسين فوزى النجار .

(٦) كتاب ابن خلدون العالم المفكر والرق الفيلسوف ، تأليف الأستاذ أبوالفتوح محمد التوانسى ، صدر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ ـ سنة ١٩٦١ م .



من رغبته في الحج عذراً للرحيل فتضرع إلى السلطان أن يخلي سبيله ويأذن له في قضاء الفريضة وما زال به حتى أذن له .

فرحل عن المغرب في منتصف شعبان سنة ٧٨٤ هـ ـ أكتوبر سنة ١٣٨٢ م ، ولما وصل إلى مصر لم يكمل رحلة الحج ، وإن حج واعتمر بعد ذلك بسنوات ، وكانت شهرته قد سبقته إلى الديار المصرية ، وعليها في كرسي الحكم السلطان الظاهر برقوق ، فأكرم وفادته وحفه بالرعاية كما لقي من علماء مصر وأهلها أحسن استقبال وأروعه[٧] .

وصفه للقاهرة ومظاهر الحضارة فيها لدى وصوله إليها :

لقد بهرته القاهرة لدى وصوله إليها ونزوله بها فوصفها وصفا رائعا إذ يقول : « رأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وإيوان الإسلام ، وكرسي الملك ، تلوح القصور والأواوين في جوه ، وتزهو الخوانق والمدارس آفاقه ، وتضيء البدور والكواكب من علمائه ، وقد مثل بشاطيء بحر النيل نهر الجنة ، ومدفع مياه السماء ، يسقيهم النَّهل والعَلَل سيحُه ، ويجبى إليهم الثمرات والخيرات ثُجه ، ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم ، وما زلنا نُحدّث عن هذا البلد ، وبُعْد مداه في العمران واتساع الأحوال ، ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه ، سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبدالله المقّري مقدمه من الحج سنة أربعين وسبعمائة فقلت له : كيف هذه القاهرة ؟ فقال : من لم يرها لم يعرف عزّ الإسلام .. وسألت شيخنا أبا العباس بن إدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال : « كأنما انطلق أهله من الحساب ، يشير إلى كثرة أممه وأمنهم العواقب »[٨] .

تكليفه بالتدريس في الجامع الأزهر :

وفي مصر كلف بأعمال التدريس فتصدر للإقراء في الجامع الأزهر ؛ لأنه كان أكثر معاهد العلم في القاهرة استعدادا لمثل الدراسات العالية التي يحملها ابن خلدون ، فدرس للطلبة علم الحديث والفقه المالكي ، كما شرح نظرياته الاجتماعية التي ضمنها مقدمته ، وقد كانت تلك الدروس خير إعلان عن غزير علمه وواسع اطلاعه وعظيم قدرته على الإبانة عن أفكاره والتأثير على سامعيه ، فقد كان إلى جانب تمكنه في البحوث العلمية محدثا بارعا ، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه وبلاغة عباراته .

ولزيادة رعاية السلطان برقوق لابن خلدون عينه أيضا في منصب تدريس الفقه المالكي بمدرسة القمحية التي سبق أن أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي لدراسة الفقه المالكي[٩] .

---

(٧) مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٢٩ ، المرجع السابق .
(٨) كتاب (عبدالرحمن ابن خلدون) المرجع السابق .
(٩) كتاب (عبدالرحمن ابن خلدون) المرجع السابق .

تعيينه فى منصب قاضى قضاة المالكية فى مصر حتى تاريخ وفاته :

حدث أن غضب السلطان على قاضى قضاة المالكية فعزله وعين ابن خلدون مكانه ، وبهذا التعيين ارتقى إلى أرق مناصب الدولة فى مصر فباشره بحرمة وافرة وعظمة زائدة وحمدت سيرته ، ودفع عن نفسه رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان ، ولم يدخر وسعا فى تحقيق العدالة فى أمثل وجوهها وأدق معانيها ، كما حرص على المساواة بين جميع الناس أمام القانون والابتعاد عن طرائق الحيل والالتواء وأمور المحاباة ، فكثر الشغب عليه من كل جانب مما اضطره إلى أن يطلب من السلطان إعفاءه فوافقه على ذلك بعد عام من توليه هذا المنصب .

وبعد تركه لولاية القضاء قام بتدريس الفقه المالكى بالمدرسة الظاهرية التى أنشأها السلطان الظاهر برقوق فى حي بين القصرين ، كما درَّس الموطأ للإمام مالك فى مدرسة (صرغتمش) وكانت تقع قريبا من القلعة شمال جامع ابن طولون ، وتهيأت له الفرصة لأداء فريضة الحج واعتمر كما زار المسجد الأقصى بيت المقدس ثم ولى القضاء مرة ثانية ثم عزل عنه بسبب شدة أحكامه وجفوته للوساطة ، ثم وليه بعد ذلك مرات عديدة يولى فيعزل حتى وليه للمرة السادسة قبل وفاته بأسابيع قليلة ، ففى السادس والعشرين من رمضان سنة ٨٠٨ هجرية ـ ١٦ مارس سنة ١٤٠٦ م توفى ذلك العلامة الكبير عن ثمان وسبعين سنة بعد حياة حافلة بالأحداث بدأت فى تونس وانتهت فى القاهرة[١٠] .

علماء الغرب وموقفهم من التراث الفكرى لابن خلدون :

عرف الفكر الغربى ابن خلدون فى وقت متأخر ، ولم يكتشف عن تلك العبقرية إلا فى منتصف القرن التاسع عشر عندما نشرت المقدمة بنصها العربى سنة ١٨٥٨ م ، ولم تمض بضعة أعوام أخر حتى نشر العلامة (دى سلان) ترجمة كاملة للمقدمة بالفرنسية ، رغم أن الغرب فى وقت متقدم عرف كثيرا من المؤرخين والفلاسفة العرب كالمسعودى وأبى الفدا وابن رشد والفارابى وابن سينا وابن خلكان ، ويرجع سبب المعرفة المتأخرة لابن خلدون إلى أن أوروبا لم يكن قد استقام لها منهج علمى لعلوم الإنسان والعلوم الاجتماعية إلا أخيرا .

فلما استقام لها النظر والقاعدة بدأ الفكر الأوروبى يكتشف عن تلك العبقرية الفذة التى سبقت جيلها بقرون ، وأدركت أن مفكرا عربيا قد سبق مفكريها فى هذا الميدان فنوهوا به واعترفوا له **بفضل السبق** .

فهذا عالم الاجتماع الكبير (لودفيج جيلوفش) يقرر فى دراسته لابن خلدون أنه سبق أوجست كونت بل سبق **فيكو** الذى وضعه

(١٠) مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٢٩ ، المرجع السابق .

الإيطاليون على رأس علماء الاجتماع ومن كلامه فى ذلك يقول (جاء مسلم تقى فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن وخرج من دراساته بآراء عميقة ، وكان ما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع) .

أما (رينيه مونييه) فقد نشر بحثا فى مجلة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى عام ١٩١٢ قدم فيه ابن خلدون بوصفه **فيلسوفا واجتماعيا واقتصاديا** فى آن واحد .

ويبــــدى المستشرق الألمانى (فون فيسنديك) إعجابه الفائق بملاحظات ابن خلدون عن تأثير المناخ وطبيعة الحياة فى تكوين أخلاق البشر وأبدانهم ، كما أبرز أيضا أثر المال فى دعم قوة الدولة فى داخلها وبين كيف يؤدى سوء الإدارة المالية والإسراف إلى انحلال الدولة وانهيارها حين تنضب مواردها وتضعف قوتها العسكرية وتعجز الموارد عن الوفاء بحاجة السكان ومطالبهم فى الوقت الذى تتزايد فيه أعداد السكان وتتزايد مطالبهم .

كما سبق ابن خلدون ما ذهب إليه مؤرخو الحضارة المحدثين إلى تحليل دورة التاريخ حين قرر أن المجتمع يبدأ من البداوة ثم التحضر ثم الانحلال وأن ذلك عملية أبدية دائمة مستمرة ، وهو ما ذهب إليه « شبلنجر » الألمانى و « توينبى » الإنجليزى فى نشأة الحضارة وانحلالها .

ثم قال ذلك المستشرق الألمانى : (**إن مؤرخ الحضارة المسلم العظيم** يقف فريدا فى المشرق ، لم يعقبه خلف ولم ينسج على منواله ناسخ ، وأنا لنرى أن ما فكر فيه أو دعا إليه هو ما يدور فى أوروبا القرن التاسع عشر تماما ، وقد بقيت اتجاهات هذا المفكر والسياسى الإفريقى تدوى فى معترك الأحداث مهما كان مرماها دويا يتردد صداه فى عالم الفكر المعاصر) .

وفى فلسفة التاريخ يقول شيخ مؤرخى العصر الإنجليزى (أرنولد توينبى) فى المجلد الثالث من موسوعته (دراسة التاريخ) عن نمو الحضارات : (إن ابن خلدون عبقرية عربية أتيح لها فى فترة هدوء لا تجاوز أربعة أعوام أن **تبدع (مآثر الحياة)** على قدر من البيان الرائع لا يقل إبداعا عما قام به « **ثيوديد ، وميكيافيل وكلارندن** » عمقا وسعة أفق فضلا عن القدرة العقلية الخالصة بل إن ابن خلدون ليبدو أكثر تألقا ولمعانا إذا ما قيس بكثافة الظلام الذى خيم فى عصره .. وهو فى مقدمة تاريخه العام قد استوحى وصاغ فلسفة للتاريخ هى دون ريب **أعظم عمل استوحاه وأبدعه عقل من العقول** فى أى عصر وفى أى مكان) .

أما الكاتب والفيلسوف الأسبانى (خوسيه أورتيجا) فيقول : (إن مقدمة ابن خلدون هى من حيث الزمن أول كتاب يؤلف فى فلسفة التاريخ ، وما كان لغيره أن يحتل مكانته) .

ثم يصف ابن خلدون بقوله : (كان عبقرية باهرة تشع بالنور ، وإن نور عقله ليهتك الستر عن كل غموض ، وإنه ليغوص إلى الأعماق ، وكأن ما كتبه قد خططه يد مهندس صنّاع ، ثم إن كتابه

فى فلسفة التاريخ هو البداية لعلم الاجتماع فى نفس الوقت) [11] .

ويقول العلامة (روبرت فلنت) إن من يقرأ المقدمة بإخلاص ونزاهة لا يستطيع إلا أن يعترف أن ابن خلدون يستحق لقب « مؤسس التاريخ وفلسفته » .. وإن الأدب العربى يتحلى باسم من ألمع الأسماء ، فلا العالم الكلاسيكى فى القرون القديمة ولا العالم المسيحى فى القرون الوسطى يستطيعان أن يقدما إسما يضاهى فى لمعانه اسم ابن خلدون [12] .

وأخيرا نختم مقالنا عن تلك العبقرية العظيمة ما ذكره الأستاذ جمال الدين الرمادى بأن ابن خلدون يعد بحق أول من اكتشف معنى كون التاريخ علما ما دامت غايته جمع الحقائق وتنظيمها وتنسيقها لاكتشاف أسبابها ونتائجها [13] .

ومما قاله الدكتور مراد هوفمان السفير الألمانى المسلم أنه (يحسن بالذين لا يزالون يعتقدون أن الإسلام بطبيعته يعوق التقدم أن يقرأوا المقدمة أو الكتاب التمهيدى للمؤلف الشامخ فى تاريخ العالم ابن خلدون كتاب العبر المكتوب فى عام ١٣٧٧ م ، وإذا لم يكن ابن خلدون كبير القضاة فى القاهرة قد كتب أكثر من هذه المقدمة الواقعة فى (٦٥٠ صفحة) لكفاه ذلك لأن يخلد فى تاريخ الفكر ، وكان هو وليس كارل ماركس) الذى كتب أن الربح هو القيمة الناتجة عن العمل الإنسانى ، وأنه سبق (فردريك ، هيجل) فى ملاحظة أن للدول أعمالا طبيعية كما للأشخاص ، وأنه قبل (كارل فون كلا وزفتز) بقرون علمنا أنه لا وثوق فى الحرب بالظفر ، وهنا ينبغى لنا ألا ننسى أن ابن خلدون لم يكن عبقريا فذا ولا ضالا ولكنه كان نتاجا للثقافة الإسلامية فى أروع صورها [14] .

---

(١١) مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٢٩ ، المرجع السابق .
(١٢) كتاب ابن خلدون العالم المفكر والمؤرخ الفيلسوف ، المرجع السابق .

(١٣) كتاب سير وبحوث إسلامية ، تأليف الأستاذ جمال الدين الرمادى ، طبعة ١٩٦٥/١١/١٩ .
(١٤) كتاب يوميات ألمانى مسلم ، تأليف الدكتور مراد ويلفريد هوفمان ، ترجمة الدكتور عباس رشدى العمارى .

المخطوطات العربية في أوزبكستان

للأستاذ / خالد محمد عزب

اهتم المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز منذ القرن الماضي بتراثهم المخطوط ، وتضم هذه البلاد معاهد تخصصت في حفظ وترميم وفهرسة ونشر المخطوطات . وفي أوزبكستان[1] مراكز عديدة تضم مخطوطات ووثائق تاريخية وكتباً نفيسة كمعهد حميد سليمانوف ، والإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر ، والأرشيف الدولي المركزي في « طشقند » ، والجامعة الدولية بسمرقند ، ومكتبات ومتاحف بخارى وفرغانة واندجان وقوقان ، ويحتل معهد البيروني للدراسات الشرقية بطشقند مكان الصدارة بين هذه المراكز ؛ لأنه يحتفظ بمخطوطات نادرة يقوم على إجراء البحوث بها .

تأسس معهد البيروني سنة ١٩٣٤م ، وكان يعد مكتبة عامة تحمل اسم الشاعر الأوزبكي عليشير نوائي ، ثم تغير اسمه سنة ١٩٥٠م إلى معهد دراسات المخطوطات الشرقية ، وكلف المعهد بالبحوث الاجتماعية والسياسية والثقافية المعاصرة في البلدان الشرقية فسمي معهد الاستشراق ثم أخيراً وفي سنة ١٩٥٧م سمي معهد أبي الريحان البيروني . وتقديراً للجهود التي بذلها علماء المعهد منح جائزة ابن سينا الدولية .

وتعتبر خزانة مخطوطات معهد البيروني من أكبر الخزائن في العالم ففيها نحو ٤٠,٠٠٠ مخطوطة منها ١٨,٠٠٠ كتبت باللغات الشرقية . وعشرات الألوف من الوثائق المختلفة ، وتحمل هذه المخطوطات تاريخ بلدان آسيا الوسطى والدول المجاورة لها وتعد من المصادر المهمة لدراسة الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية

(١) أوزبكستان : إحدى جمهوريات آسيا الوسطى التي استقلت حديثاً عن روسيا ، وعاصمتها طشقند وتضم العديد من المدن الإسلامية الهامة كسمرقند وخيوة واورگنچ ، وهي تقع إلى الشرق من بلاد القوقاز وشمال أفغانستان .

والثقافية فى هذه الدول ، بالإضافة إلى تاريخها .

ومخطوطات معهد البيرونى يعود بعضها إلى ألف سنة خلت ، وهى تتميز بتنوع موضوعاتها التى تغطى مجالات العلوم الإسلامية والعربية والأدب والفلسفة والكيمياء والطب والجغرافية والموسيقى وغيرها ، وفيها نسخ من المصاحف والتفاسير ، كتبها خطاطون فى قرون مختلفة .

ويحتفظ المعهد بنسخة فريدة من كتاب « سر الأسرار فى تاريخ الكيمياء » لأبى بكر الرازى ، كما إن لديه مؤلفات الفارابى الملقب بالمعلم الثانى ككتاب « عيون المسائل » و « فصوص الحكم » و « رسالة فى تحصيل السعادة » وغيرها من المؤلفات .

ويبذل علماء المعهد جهودهم لدراسة هذه المخطوطات ونشرها حتى غدا المعهد مركزاً عالمياً للدراسات الشرقية ، وأولى المعهد ابن سينا عناية كبيرة ، فاهتم منذ الخمسينات بتحقيق تراثه الطبى ، وعهد إلى الباحثين بترجمة كتابه « القانون فى الطب » إلى الروسية والأوزبكية سنة ١٩٥٢ م وطبعت الترجمتان سنة ١٩٦١م .

أما الاتجاه الرئيسى للمعهد فهو دراسة أبى الريحان البيرونى ومؤلفاته ، والتى تضم مقتنيات المعهد معظمها ، ومنها موسوعته العلمية « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » ونشر المعهد عدداً من مصنفاته بالروسية منها « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، « كتاب الهند » ، « تحرير نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » ، « الصيدلة فى الطب » ، « أفراد المقال فى أمر الظلال » .

وفى إطار اهتمام المعهد بالتراث الإسلامى المخطوط ، نشر فى الذكرى الألفية لميلاد البيرونى سنة ١٩٧٣م ، كتاب « سيرة البيرونى ومؤلفاته » للبروفيسور (باويل بلغاكوف) . وتخصص عدد من باحثى المعهد فى تراث البيرونى ، وهم : عبدالله كريموف ، وعبدالفتاح رسولوف ، وأشرف أحمدوف .

وبمناسبة احتفال العالم بمرور ألف ومائتى عام على ميلاد الخوارزمى طبع المعهد رسائل لهذا العالم الكبير أهمها : « فى الجبر والمقابلة » « الزيج » « تقويم البلدان » ، « منتخب مؤلفات الخوارزمى » وذلك باللغة الأوزبكية . وقام الدكتور أشرف أحمدوف بمناسبة الذكرى الستمائة لولادة (ألوغ بك) ، حقق مخطوطته « زيج جديدى كوركاڤ » وترجم هذا التحقيق من الفارسية إلى الأوزبكية والروسية مع الشروح والتعليقات .

وبالإضافة إلى ذلك فقد نشر المعهد عدداً كبيراً من المطبوعات فى مجال تاريخ بلدان آسيا الوسطى والدول المجاورة لها وفلسفتها وآدابها .

ويعمل المعهد على تزويد خزائنه يوماً بعد يوم بالجديد من المخطوطات ، فحصل فى السنوات الأخيرة على « كتاب السندباد » ونسخته مكتوبة فى القرن ٧هـ/١٣م ، وتاريخ (أبى الخيرخانى) لـ (مسعود بن عثمان كوهستانى) ، و « قلندر نامة » لأبى بكر قلندر ، ونسخة هذا الكتاب هى النسخة الوحيدة فى العالم وحصل المعهد على نسخة من ديوان على شيرنوائى « نوادر النهاية »

كتبها في حياة الشاعر خطاط عصره عبدالجميل .

والجدير بالذكر أن بعضا من مخطوطات المعهد مزينة بالزخارف والنقوش والخطوط والرسوم والصور الجميلة والتي لها أهمية بالغة في دراسة تاريخ صناعة الخط والتصاوير .

ويهتم الباحثون في المعهد بتجهيز فهارس هذه المخطوطات ونشرها ، وقد أصدروا فيما بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٨٧ م أحد عشر مجلداً من الفهارس باللغة الروسية بعنوان « مجموعة المخطوطات الشرقية لأكاديمية العلوم الأوزبكية » وتضم هذه المجموعة (٧٥٧٤) مخطوطا ، ولايزال عملهم قائماً ويعمل الباحثون حالياً بتجهيز فهرس للمخطوطات بحسب الموضوعات ، وأكملوا ثلاثة مجلدات من فهرس مخطوطات التاريخ ، والطب ، والعلوم الطبيعية .

ولما كان الباحثون العرب يفتقدون معلومات وافية عن مخطوطات معهد البيروني ، فقد أصدر مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بالاشتراك مع معهد البيروني فهرساً لبعض هذه المخطوطات عنوان هذا الفهرس « المنتقى من مخطوطات معهد البيروني للدراسات الشرقية بطشقند » وتم التركيز على المخطوطات المكتوبة باللغة العربية حيث يضم المعهد (٥) آلاف مخطوطة عربية ، وقام بإعداد هذا الفهرس كل من : الدكتور عبدالرحمن فرفور ، والدكتور محمد مطيع الحافظ .

ومن هذه المخطوطات :

- إنشاء الدوائر (فلك) لابن عربي محمد بن علي ، ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م نسخ هذا المخطوط سنة ٩١٦ هـ .
- تاريخ حكماء الإسلام (تاريخ) تأليف ظهير الدين البيهقي ت ٥٦٥ هـ/١١٦٩ م ، ونسخ هذا المخطوط سنة ٦٦٤ هـ .
- تذكرة الكحالين (طب) ، تأليف علي بن علي بن عيسى ، ت ٤٣٠ هـ/١٠٣٩ م ، نسخ هذا المخطوط سنة ١١٢٦ هـ .
- جامع الأصول لأحاديث الرسول (حديث) لابن الأثير مبارك بن محمد بن محمد ، ت ٦٠٦ هـ/ ١٢١٠ م .
- حاشية على شرح تلخيص مفتاح العلوم (بلاغة) للسمرقندي أبو القاسم بن أبي بكر الليثي . ت بعد ٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣ م . نسخ هذا المخطوط سنة ٩٨٩ هـ .
- الحاوي لجميع المعاني البسيط والوسيط (تفسير) للواحدي ، علي بن أحمد بن محمد ، ت ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٦ م . نسخ هذا المخطوط سنة ٥٣٦ هـ .
- رسالة في الجبر والمقابلة ، أو التجنيس في الحساب للسجاوندي ، محمد بن محمد بن عبدالرشيد ، ت ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٤ م .
- الصراح في ترجمة الصحاح (لغة) للقوشي ، محمد بن عمر بن خالد الجمالي ، ت بعد ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م .
- طبقات الشافعية ، (تراجم) للشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف . ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م .
- عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي (معارف عامة) لابن المقرىء ، إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله ت ٨٣٧ هـ .

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السيد / صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد .. فالمرجو التكرم ببيان حكم إعطاء (القريب) شيئاً من الصدقة أو زكاة المال، هل هذا يجوز ؟ أم لا يجوز بدعوى أن ما يأخذ يكون حقاً له - لا صدقة ولا زكاة - ؟ فالبعض يستدل على ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء / ٢٦]

رجاء التفضل بتوضيح هذا (الحق) ومدى صلته بالزكاة أو الصدقة . مع خالص التقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد ..

فالصدقة نافلة يجوز إعطاؤها للغني والفقير ففي الحديث الشريف : وأن أحدهم قد تصدق بليل على غني فأصبح الناس يتحدثون ... تصدق الليلة على غني .. وفيه أن الله قد قبلها » .

ويمكن أيضاً أن تخرج للأقارب جميعاً حتى على من تجب عليه نفقتهم ففي الحديث : « أن أعرابيا جامع زوجته في نهار رمضان فوجبت عليه الكفارة ولما بيّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقره ، بقوله : والله ما بين (لابتيها) أهل بيت أفقر منا قال : تصدق بها على أهلك » .

أما الزكاة فلا تصرف إلا لمستحقيها المذكورين في الآية (٦٠) من سورة ﴿التوبة﴾ فلا تصرف لمن وجبت على المزكي نفقتهم كالزوجة والفروع (الأبناء) والأصول (الأب والأم والجد والجدة) ويجوز إخراجها إلى الأخوة، وأبناء العمومة، والزوجة تخرج لزوجها وهكذا لأن هؤلاء ليسوا ممن تجب على المزكى النفقة عليهم وإخراجها لأولئك الأقارب أكثر ثواباً لما فيه من صلة الرحم

أما الآية فحق ذى القربى أعم من الصدقات والزكوات فهو يشمل أيضاً خدمتهم وصلة رحمهم والقيام بشئونهم. والله أعلم

السيد / صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)

فنحن أسرة مسلمة نقيم في كندا وقد حصلنا على الجنسية الكندية منذ عشرين عاماً تقريباً. وفي ١٩٩٦/٧/٤م توفى زوجي تاركاً زوجة وابنين، وبنت من زوجة أخرى وترك تركة. وعليه ديون أكثر مما تركه للورثة. ولما كان القانون الكندى يعطى كل ما تركه المتوفى للزوجة فقط دون أولاده فإننا بصفتنا مسلمين نريد توزيع الميراث حسب الشريعة الاسلامية من أجل ذلك أرجو التكرم بإعطائي فتوى شرعية بتوزيع الميراث والديون حسب الشريعة الإسلامية حتى يمكنني تقديمها إلى الجهة المختصة بكندا. علماً بأن الديون لأحد البنوك وغيرها لأحد الأشخاص في كندا.

ولفضيلتكم جزيل الشكر

تحريراً في يوم ١٩٩٦/٩/٢٩م

الجــــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فنفيد بأن هناك حقوق متعلقة بتركة المتوفى منها: سداد ديونه أولاً؛ أى الديون الثابتة للبنوك وللأشخاص تخرج أولاً من التركة. وحيث إن الديون قد استغرقت جميع تركته فلا ميراث للورثة ومادام هناك ديون باقية عليه فإن الديون توزع على ورثته كل حسب نصيبه فيكون على زوجته ثُمن الديون الباقية والباقي على الابنين والبنت كل بحسب نصيبه. للذكر مثل حظ الانثيين. والله تعالى أعلم.

السيد صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)

فقد ذكر واقف في وقفته هذه العبارة:

ـ ثم بعد انتقاله يؤول نظر هذا الوقف واستحقاق غلته لأولاده، ثم لأولاد أولاده ونسلهم وحرثهم مهما تناسلوا وتوالدوا طبقة بعد طبقة، وبطنا بعد بطن، وجيلا بعد جيل؛ وماله إلى الفقراء والمساكين والنظر فيه للأكبر فالأكبر من الموقوف عليهم من أهل الاستحقاق في جميع الطبقات.

السؤال: هل ينحصر استحقاق الوقف على نسل الموقوف عليهم من الذكور فقط مهما

نزلوا . أم يدخل فى استحقاق غلته نسل البنات أيضاً مهما نزلن .

مع قبول وافر التحية والتقدير

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد .. فنفيد بأنه تبيّن من الاطلاع على النص الذى نقله السائل من حجة الوقف أن عبارات الواقف وردت مطلقة دون تخصيص بالنسبة للأولاد ؛ فمن ثم فإن لفظة الأولاد تعم الذكور والإناث . إذ أن القاعدة أن : شرط الواقف كشرط الشارع .

وبناءً عليه لاينحصر استحقاق الوقف فى نسل الموقوف عليهم من الذكور فقط مهما نزلوا وإنما يتعداه إلى نسله من البنات أيضاً مهما نزلن .

هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / عبدالمجيد ح . ع .

توفيت كريمتى عن زوج ، وأم ، وأب ، وبنت وتركت منقولاتها الزوجية ، وكان وقت زواجها أعطاها والدها ذهبا هدية لها وكذلك أحضر زوجها لها شبكة ذهبية وتركت ملابسها الشخصية ولها مؤخر صداق فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الشبكة التى أعطاها زوجها لها جزء من المهر وأصبحت ملكاً خالصاً لها بالدخول عليها ؛ وكذلك الذهب الذى أهداها والدها حال حياتها يعتبر هبة منه لها وبموتها أصبحت هذه الهبة ملكاً خالصاً لها وكذلك مؤخر الصداق حل لها بالموت وبناءً على ذلك فإن الذهب الذى وهبه والدها وكذلك الشبكة ومؤخر الصداق يُضاف إلى المنقولات ويعتبر كله ملكاً خالصاً للمتوفاة وأصبح تركة يقسم على ورثتها الشرعيين فيكون للزوج الربع فرضاً وللأم السُّدس فرضاً وللأب السُّدس فرضاً لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصِّبها والمسألة من اثنى عشر جزءًا وتعول إلى ثلاثة عشر جزءًا للزوج ثلاثة أجزاء وللأم جزآن وللأب جزآن وللبنت ستة أجزاء من كل ما تركته المتوفاة والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / ح . ث . :

هل يجوز للرجل الذى يقوم بتغسيل الموتى من الذكور أخذ أجر على ذلك . وما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فنفيد بأنه لامانع شرعاً من أخذ أجر على تغسيل الميت وتكون من تركة الميت .
والله تعالى أعلم

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



فى ظلال الإسلام

للأستاذ الدكتور زكى مبارك

إعداد وتقديم : أ/عبدالفتاح حسين الزيات

المتتبع لذكر كلمة « العقل » فى القرآن الكريم ، يجد أنها تربو على الخمسين ، وهذا دليل على احتفاء القرآن الكريم بأهمية « العقل » وتأثيره على مجريات الحياة لدى الإنسان . ولقد فهم المسلمون الأوائل روح الإسلام منهجاً ورسالة ، ولم يجمدوا أمام نصوصه ، فأقبلوا على دراسة ما وصل إليهم من آثار العقول السابقة ، ونظروا فيها نظرة تفحص وتمحيص ، فما وافقهم أخذوا به ، وما خالف العقيدة ضربوا عنه . وبذلك أغنوا العلم والفلسفة بألوف المصنفات التى أثرت المكتبة الإسلامية ، واهتموا بالعلوم العقلية اهتماماً لم يعرف عن العالم القديم . الذى كان لايسمح بوجود مثل هذه العلوم ، بل الجلد والتحريق عقوبة من يقدم على التأليف بنوع لأنه يدخل عندهم فى أعمال الهرطقة والزندقة . وليس معنى هذا أن العقل لم يحارب من بعض العلماء المسلمين ، ولكل حججه وأدلته ، ولكن الإسلام جاء بمفهوم جديد ، وهو الاستماع إلى الرأى والرأى الآخر ، فلا حجر على العقول مادامت تتعامل مع الواقع الذى لايصادم الشريعة ولايخرج عن الناموس الطبيعى لرسالة الإسلام ، قال الأستاذ الدكتور ـ رحمه الله :

(١)

ماذا صنع الإسلام فى إعزاز العقل والدعوة إلى طهارة الوجدان:

الإسلام يدعو إلى إعزاز العقل ، وهى ليست دعوة كلامية ، وإنما هى دعوة عملية ، فالإسلام هو الذى سن طرائق المنطق فى الجدل ، وعلم الناس كيف يتكرون ويعرفون ، وكيف يضلون ويهتدون ، هو الذى دعا الناس إلى درس أنفسهم ، وحبب إليهم السير فى الأرض ، والنظر فى طبائع الأشياء .

لقد اصطدم الإسلام باليهودية والنصرانية ، أفتدرون ما صنع بالتوراة والإنجيل ؟

أرفعوا عن أعينكم تلك الغشاوة التى توهمكم أن الرسول كان يتودد إلى النصارى واليهود .

أرفعوا عن أعينكم تلك الغشاوة ، فإن الرسول انتصر فى زمن قليل ، ولم يبق أمامه إلا التشفى من النصارى واليهود ، إن كان الإسلام يسمح لأهله بمكايدة المنهزمين .

(وذلك محال) .

انظروا فى القرآن ، أيها الناس ، فإن فعلتم فسترونه تحدث عن موسى وعيسى وعن التوراة والإنجيل بأساليب من الرفق لم يعرفها النصارى ولا اليهود .

إن موسى لم يثن عليه اليهود بمثل ما أثنى عليه القرآن ، وعيسى لم يثن عليه النصارى بمثل ما أثنى عليه القرآن . فمامعنى ذلك ؟

أليس معناه أن الإسلام دين المنطق والعقل ؟

أليس معناه أن المعانى الباقية هى أول مايعرض عليه القرآن ؟

كان يستطيع القرآن أن يسخر من الديانة اليهودية والديانة النصرانية ، ولكنه لم يفعل ، لأن القرآن لم يكن إلا نفحة سماوية تعز الحقائق وتنصر المرسلين .

(٢)

ثم انتقل الرسول إلى جوار الرفيق الأعلى ، وبقى المسلمون ينظرون بعيون الناس ، ويفقهون بقلوب الناس .

أتذكرون ما صنعوا ؟

لقد كانوا يملكون الغض من اليهودية والنصرانية ، ولكنهم لم يفعلوا ، لأن دينهم حبب إليهم كلمة الحق ، وأوصاهم بحب الأنبياء .

انظروا فى مؤلفات المسلمين لتروا كيف أثنوا على موسى وعيسى ، وكيف اقتبسوا من التوارة والإنجيل .

انظروا ثم احكموا .

إن رجال الدين من النصارى واليهود لايذكرون الإسلام فى مؤلفاتهم بغير الملام .

أما المؤلفون من المسلمين فلايذكرون موسى وعيسى بغير الإعزاز والإجلال .

أكان ذلك يقع لو كان الإسلام راض أهله على عقوق العقل ؟

(٣)

آمنت بالله !

إن الإسلام حين يوصى باحترام جميع الأنبياء والمرسلين إنما يشير إلى حقيقة أبدية هى التعاون

الإنسان على تطهير القلوب من أدران الشرك والرياء .

الإسلام أكبر من أن يقول : إنه صنع كل شيء ، فهو يعترف بأنه ليس إلا خطوة سديدة موفقة تؤيد ما جاهد فى سبيله كرام الأنبياء من حرب الشرك ونصرة التوحيد .

وقد فهم المسلمون روح الدعوة الإسلامية ، فأقبلوا على درس ما وصل إليهم من آثار العقول ، ثم انطلقوا فاختلفوا فيما بينهم اختلافاً شديداً ، أغنوا العلم والفلسفة بألوف من المصنفات ، ولا يعرف العالم القديم أمة أوغلت فى الفلسفة على نحو ما صنعت الأمة الإسلامية ، وظل علماؤها وباحثوها يذكرون بالخير ، وإن أطافوا بمعالم الشك وتنكروا لأصول اليقين .

حارب الإسلام كيف شئت ، وخاصم أهله كيف أردت ، ولكن ثق أنك مردود إليهم مادمت تحتكم إلى العقل !

(٤)

قد تقولون : ولكن تاريخ الإسلام لم يخل من أحداث حورب بها العقل .

نعم ، ولكن هل وعدكم القرآن بأن الناس سيأتلفون على الزمان ؟

إن القرآن نفسه دعا إلى احترام الخلاف حين قال :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (سورة البقرة) ٢٥١

وحين قال :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ١١٩ .

وتلك دعوة صريحة إلى احترام الخلاف ، وفيها النص على إعزاز العقل ، فلولا الخلاف ما تقدم الناس فى دنيا ولا دين .

(٥)

أما بعد : ففى ظلال الإسلام تصاولت المبادىء والآراء والعقول .

وفى ظلال الإسلام اختلف أهل الشرق والغرب ، فكانت النحل والشيع والأحزاب .

وفى ظلال الإسلام نهضت دعوات جريئة لو نبتت فى غير حماه لقوبلت بالسيف .

وفى ظلال الإسلام عاشت ديانات حمتها رعايته من الانقراض ....

فإن كان فى إخوانى من يخاف على عواقب ما درجت عليه من قسوة الجدل وعنف النضال ، فإنى أوجه إليهم هذا القول :

لا تخافوا على أيها الرفاق ، فإنى أعيش فى ظلال الإسلام !

زكى مبارك

المجلد الثامن

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

امرأة حديثة .. وامرأة قديمة

تزوج رجل بأخرى على زوجته الأولى ، وكان للزوجة الحديثة جارية ، وكذلك كان للأولى ، فكانت جارية الحديثة تمر على باب الأولى فتقول :

وما تستوى الرجلان : رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت

فمرت جارية الأولى على الحديثة فأنشدت :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

تسعون حجة

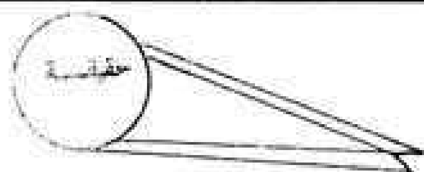
قال إدريس بن عبدالكريم المقرى ، لما بلغ التسعين من عمره :

أرى بصرى فى كل يوم وليلة
يكل وخطوى عن مرادهن يقصر
ومن يصحب الأيام تسعين حجة
يغيرنه والدهر لا يتغير
لعمرى لئن أمسيت أمشى مقيدا
فكم كنت أمشى مطلق القيد أكثر

صدق

قيل لعبد الله بن عمر ، ـ رضى الله عنه ـ : إن (المختار) يزعم أنه يوحى إليه !

قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .



قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول :

إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسنة بالفروع ، والله يعلم إن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ومحال أن يظهر الود المستقيم من الفؤاد السقيم .

لم يتفق ذلك لامرأة غيرها

قيل : إن عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والدة يزيد بن عبدالملك بن مروان حرمت على أحد عشر من الخلفاء من بني أمية :

معاوية جدها ، ويزيد أبوها ، ومروان ابن زوجها ، والوليد وسليمان وهشام بنو عبدالملك أولاد زوجها ، والوليد بن يزيد ابن ابنها ، ويزيد ابن الوليد ابن زوجها وإبراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ، ويزيد بن عبدالملك ابنها ، ومعاوية بن يزيد ابن معاوية أخوها .



من الأغنياء

قال جليس للحسن البصري - رضي الله عنه - : أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء ؟ .

قال له : هل تغذيت اليوم ؟ .

قال : نعم .

قال : فهل عندك ما تتعشى به ؟ قال : نعم .

قال : فأنت إذاً من الأغنياء .



أخفض الصوت إن نطقت بليل
والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حيث يبدو
بقبيح يكون أو بجمال

لا أحل ما حرم الله

مر ابن سيرين بقوم ، فقام إليه رجل فقال : يا أبابكر إنا قد نلنا منك فحللنا ، فقال : إني لا أحل لك ما حرم الله عليك ، فأما ما كان إليّ فهو لك .



مات ابن لسيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - فقال أنس عند قبره :

اللهم عبدك ، وولد عبدك ، وقد رُدّ إليك فارأف به وارحمه ، وجاف الأرض عن بدنه ، وافتح أبواب السماء لروحه ، وتقبله بقبول حسن ، ثم رجع فأكل وشرب وادّهن وأصاب من أهله .



اللهم اقض حوائجي من الدنيا بالشوق إلى لقائك ، واجعل قرة عيني في عبادتك ، وارزقني غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود .

اللهم إنك تعلم ما يصلحني في دنياي وآخرتي فكن لي حفيا .



من أعلام الأزهر

الدكتور محمد يوسف موسى

بين دروس الفلسفة والتشريع الإسلامي

- ٢ -

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

حين انتقل الدكتور موسى إلى دراسة الفقه الإسلامي بكلية الحقوق تاركا ما ألفه من دراسة الفلسفة بكلية أصول الدين ، لم ينتقل إلى شيء غريب عنه ، بل كأنه انتقل إلى بلدة كبيرة يعرف شوارعها ومنازلها وميادينها من قبل ، وله فيها مسكنه المطمئن ، ومكانه المريح ، فبدأ نشاطه العلمى بدءًا حميدا ، وأظهر من المؤلفات الممتازة فى حقله الجديد ماجعله زميلا كفئا لأمثال الأساتذة الكبار: عبدالوهاب خلاف ، ومحمد أبى زهرة وعلى الخفيف ممن قضوا فى دراسة الفقه الإسلامى بكلية الحقوق عُمرًا طويلا ، وصارت مؤلفات الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ذات ابتكار حديث إذا قورنت بمؤلفات سواه ، لأنه حرص على التجديد المتزن العاقل ، الذى ينفخ به البصر الثاقب السديد ، ولعلّ الأستاذ أحمد حسن الزيات قد عنىَ ذلك حين أشار إلى انتقاله من الأزهر إلى كليّة الحقوق فقال تحت عنوان : (ثروة علمية من ثروات الأزهر تنتقل إلى جامعة فؤاد)[١] .

* قرر مجلس جامعة فؤاد الأول بجلسة ٣ يونيو سنة ١٩٥١ تعيين الأستاذ الدكتور محمد يوسف

---

(١) الرسالة : العدد ٩٤١ - ١٩٥١ .

موسى أحد علماء الأزهر وخريج جامعة باريس أستاذًا مساعدًا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، وكان الأزهر أولى بهذه الثمرات الناضجة . التى تفتحتْ فى جوه ، وعاشتْ بروحه ، وتعمقتْ فى ثقافته ، ثم أخذتْ بنصيبٍ مَوْفور من العلم الحديث بِلُغته وفى موطنه ، فاكتملتْ لها الأداةُ لتجديد البالى ، وإصلاح الفاسد .

وقد بدأت طلائع هذه الثروة فيما كتبه الدكتور عن الفقه الإسلامى من بحوث ذات أصالة فى مؤلفات مستقلة ذات هدف سديد ، ومن أشهرها كتاباه: (الفقه الإسلامى ـ مدخلٌ لدراسة ونظام المعاملات فيه) و(الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى) وهذا غير بحوثه الأكاديمية فى المجلات المتخصصة فى الشريعة والقانون ، وسألم ببعضها فى هذا المجال .

على أنّ الذى يقرأ مقدمات هذه البحوث يلمسُ ما يشبه الثورة على أوضاع يراها المؤلّف فى حاجة إلى تصحيح ، والغريب أنك فى مجلس المؤلف تراهُ عذب الحديث ، هادىء النفس ، تستمع منه الرأى المعارض فى كل تؤدة وأناة، وتظنُّ أن هذا مسلكه فى مؤلفاته ، ولكنك تقرأ دعوته للنهوض الفقهى ، فترى هذا السكون قد تبدّد ولاحيلة له فى هذا ، لأنّ متحدث المجلس يعلمُ أنه يُسامر ويتجاذب أطراف الحديث ، ولا يُقدر لتوجيهه من الذيوع والانتشار مايدعوه إلى الشدّة ، ولكنّ المؤلف يخاطب آلاف القراء ، وقد يرجو النفع من مئات يُغذيهم تحمسه الشديد إلى الحق الذى يعنيه ، فيواصل الطرق الملح ، وقد تستولى عليه فكرةٌ فيظل يرددها أكثر من مرة ، وماذلك من خواء عقلى ، أو جدب فكرى ، ولكنّه التأكيد القوى لأمور يراها صحيحة لاشك فى نفعهما ، ويرى الآخرين بمنأى عنها ، ويحسبون أنهم قد أتوا حظا من اليقظة والانتباه .

لك أن تقرأ ماكتب الباحث الغيور عن (طريق الإفادة من الفقه الاسلامى) فإنّك تجده مبدئيًّا يجهر بقوله : « يجب أن نكف عن ترداد صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، من غير أن نتقدم بأى عمل يثبت فعلاً هذه الصلاحية ، ويجليها للناس ، علينا أن نكفّ عن هذا الكلام ونبدأ فى الخطوات اللازمة إلى تحقيقه ولنْ يكون ذلك ـ أوّلا ـ إلا بنشر المؤلفات الفقهية العميقة التى كتبها الأئمة قبل أن يقفل باب الاجتهاد ، وأن يكون العمل شاملاً لجميع المذاهب الفقهية المعتبرة ، عند ذوى الإنصاف ، فان دراسة هذه المذاهب الأصيلة فى كتبها الأولى ذات نفع محتم ، ثم علينا ـ ثانيًا ـ أن نغيّر منهج الدراسة فى كليات الشريعة ، لأنها دراسةٌ تعتمد على كتاب واحد فى مذهب واحد ، ونحن نريد دراسة مقارنة ، دراسة تقارن فيها المذاهب الفقهية الإسلامية بعضها مع بعض ، ثم تقارن كلها باعتبارها وحدة مع القانون الحديث ، وفضل هذه الدراسة المقارنة لاينكر ، لأنها تميز صحيحنا الصريح من سواه ، وعلينا ـ ثالثا ـ أن نختار بعض الأساتذة بكليات الشريعة ليتخصصوا فى دراسة المعاملات المالية فى الأسواق والبنوك والمتاجر ، وتطبيق مايرِدو من حسابات هذه المرافق على ماسنّته الشريعة ، كما أن دراسة علم (الاقتصاد السياسى) واجبةٌ فى هذا النطاق على عالم الشريعة إذ يرى مدى انطباق أسواق الحبوب والمتاجر والمحاصيل على ما هو مقررٌ فى الفقه ، ثم يكتُبُ ما يعن له مؤيدا بالدليل ، إذا قمنا بذلك كله فاننا نجد السبيل ممهدا لجعل الشريعة الإسلامية قانون الناس لدى جميع المسلمين ، دون أن نغفل عن تقنين مواد

الفقه حسب الاصطلاح المعاصر ، حتى لايضل الباحث فى أداء متضارب ومتناقض ويخرج بذلك بالفقه الإسلامى إلى وضح النهار .

وهذا الكلام الذى سجله الدكتور لم يرسله عبثا فى الهواء ، فقد بدأ بتحقيقه حين ألف كتابه الرائع (الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى) فى ٥٢٤ صفحة ، وقد قال فى مقدمته : « إذا كان لكل قانون سماوى أو وضعى طبيعته وسماته وخصائصه التى يتميز بها عن غيره من القوانين ، فإن للفقه الإسلامى من هذا كل مايجعله بحق ضربا فريدا فى التشريعات والقوانين التى عرفها العالم الآن ، سواء من ناحية الأسس التى قام عليها أو المقاصد والغايات التى استهدفها، والأحكام والحلول التى جاء بها على مر العصور » والكتاب فى ثلاثة أقسام ، أولها مدخلّ لدراسة الفقه وفلسفته ، وثانيها فى الأموال ، تعريفا وتقسيما مع إيضاح حقوق المنفعة والارتفاق والأسباب الناقلة للملكية ، وثالثها فى نظرية العقد وتكوينه وشروطه ، وقد لاقى الكتاب تقريظاً كثيراً من المنصفين ذوى الاختصاص ، وأذكر أن استاذنا العلامة الشيخ محمد على النجار خصه بنقد جوهرى فى مقالين متتابعين بمجلة الأزهر . بدأهما بالثناء الجم على صنيع الأستاذ المؤلف حين قال[٢] : « هذا كتاب فى الفقه وضع على نمط جديد ، وهو تذليل سبل الفقه ، وجمع أطرافه ومباحثه ، وتقريبه من لغة القانون (وهذا ما دعا إليه المؤلف من قبل فى كتاباته التوجيهية) وقد استتبع ذلك ذكر آراء الفقهاء ، ووجهة أنظارهم واختيار أدناها إلى مصالح الناس ، مع ذكر رأى القانون بجانب الفقه ، فكان فى هذا دراسة ممتعة مفيدة وكان هذا منهجا مفيدا لما يسمونه (الفقه المقارن) .

ثم تعرض الأستاذ إلى مناقشة أحكام رواها الأستاذ المؤلف عن الصحابة من أمثال : أبى بكر وعمرو وعلى ، واستنبط منها ما رآه الأستاذ مجالا للنظر ، وهذا هو النقد الحقيقى ، الذى يبين وجهات نظر مختلفة ، ومأتاه من اختلاف النظرة المحافظة عن النظرة المجددة ، ولكل وجهة هو موليها ، ولابد أن تحتدم الآراء وتصطك حتى ينجلى النقاش عن حكم بصير ، ولم يضق المؤلف ذرعا بناقده ، بل أوسعه شكرا وتقديرا ، وقال فى الرد عليه[٣] (إن نقده يدل على ماعرف به السيد الأستاذ من قراءة واعية عميقة ، وعلم أصيل ، وخلق كريم وتثبت ودراية بما يقول ، كما يدل ذلك على نزعته المحافظة هذه النزعة التى قد تذهب أحيانا إلى تقديس كل مأثر عن الماضين ، والزراية والتعصب على من يوصفون بالمجددين) .

ثم انتقل المنقود إلى تفرقة صريحة بين الدارس للفقه ، والفقيه الحق ، فالدارس للفقه هو من قرأ الكتب وعلم ما بها ، أما الفقيه الحق فهو ذو رسالة تقتضيه فهما عميقا للكتاب والسنة المقدسين ، وإحاطة بأدلة الأحكام الشرعية ، كما قررها علماء أصول الفقه ، ومعرفته بعلل هذه

---

(٢) مجلة الأزهر : شوال ١٣٧٢هـ ص١٢٥٢ .

(٣) المرجع السابق : صفر ١٣٧٣هـ ـ ص٢٥٥ .

الأحكام ومسالكهما ، وقدرته على الموازنة والترجيح عند تعارض الأدلة . ووقوفا على الأعراف فى البلاد الإسلامية المختلفة الى غير ذلك .

والكتاب جديد فى منحاه حقا ، لأنه تطبيق لدعوة جادة كررها الأستاذ كثيرا ، هذه الدعوة هى الخروج عن النظام المألوف فى تدريس الفقه بالكليات الإسلامية ، إذ يكون مقرر السنة الواحدة مشتملا على عدة أبواب لاتجد الإشباع العلمى الدقيق نظرا لقصر العام الدراسى ، فيخرج طلاب الكليات بمحصول أشبه بمحصول تلاميذ المعاهد الدينية الثانوية ، والأولى فى رأى الأستاذ محمد يوسف موسى أن تختار الكلية موضوعا واحدا للسنة الدراسية يشبعه الأستاذ تحليلا وتشريحا واستدلالا لطلبته ، ويؤلف فيه كتابا قائما برأسه ، وفى العام الثانى يختار موضوعا آخر سائرا على منهج التحليل والتشريح والاستدلال ، وهكذا حتى تكتمل دراسة الفقه ممتدة فى حيز علمى يتيح النقاش والاستدلال والاقناع ، وتتكون من مجموعة هذه الدروس موسوعة فقهية تشمل جميع الأبواب ، وقد قامت على تأليفها هيئة علمية لا أستاذ واحد ! وتكون ترقية المدرسين والأساتذة المساعدين وفق مايتضح من جهودهم فى هذا النطاق .وقد جاء كتاب « الأموال ونظرية العقد » تطبيقاً نموذجياً لما رآه الأستاذ ، ولو امتد الأجل به إلى الآن لرأى أن كتبا فقهية سلكت نهجه المختار ، فظهرت مؤلفات مستقلة فى أبواب مثل : الشفعة والربا والحدود والإجارة والرهن والوصية والمزارعة ، وغيرها ، وبمجموعهما يكون التأليف الفقهى قد انتقل من حال إلى حال ، وليس المهم فى رأيى طريقة التأليف بل أهم منها أن يكون المؤلف من طراز راق ، يعتمد على سعة الأفق ، والبحث المقارن السديد .

ومع دعوة الأستاذ إلى الوثوب السريع فى مجال التجديد الفقهى ، فقد حذر كل التحذير من نفر من الشباب المتعجل لم يدرسوا الفقه فى مظانه الأصيلة ، ولم يتسلحوا للتأليف بالاطلاع والفهم والاستنباط ودراسة علم الأصول وعلم الخلاف فى كتب التراث ثم هم يتأثرون بقراءات صحفية ترمى علماء اليوم بالجمود على ماقال الأقدمون فيقدمون على التأليف خطفًا خطفًا ، وفيهم من يقرأ النص دون أن يدرك سياقه ، ومناسبته ، وماتحمل من مطاو دفينة فيفهم الفهم الطائش ويضم الفهم إلى الفهم ، ويخرج كتابا ليس من العلم فى شىء .

وقد يتورط فى تحبيذ آراء منكرة تجد صداها المستحسن لدى قوم لايحبون أن تسود شريعة الله فينعتونه بالمجدد المصلح !! ويعتقد تبعا لذلك أنه صار كما يزعمون !!

حذر الأستاذ من هذا النصر المتسرع وكتب يقول لأمثال هؤلاء : « لايمكن أن نقول بأن الأحكام الشرعية كلها قابلة للتغيير تبعا للمصلحة ، فهناك العدد الأكبر الذى لايتغير بحال مثل حرمة الربا ، وشرب الخمر والزنا إلى مثل ذلك من الأحكام ، وإنما الكلام فى طائفة من الأحكام

الفقهية ذهب الفقهاء إليها فى أزمان تناسبها ، ثم لاتكون محققة للمصلحة التى يصح اعتبارها شرعًا فى أزمان أخرى وذلك ككثير من المعاملات التى أجازها الفقهاء استحسانا فى عصور مختلفة »[٤] . والمهم أن يفهم هؤلاء أن الرجل الكبير يتحدث عن رأى الفقهاء لاعن نص قرآنى أو حديث نبوى أو عمل صحابى ! عن رأى الفقهاء فى بابى المصالح المرسلة والاستحسان وأقول ذلك وضعاً للنقاط على الحروف .

هذا وقد رأس الدكتور محمد يوسف موسى (جماعة الأزهر للنشر والتأليف) وهى جماعة علمية من صفوة علماء الأزهر قدر لها أن تخرج كتبا قيمة ممتازة فى موضوعها وفى أسلوبها ، ومن بينه كتاب (عثمان بن عفان) للأستاذ محمد صادق عرجون ، وكتاب (الموالى والعرب) للدكتور محمد الطيب النجار ، وكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للعلامة الكبير أبى الحسن الندوى ، وقد لاقى رئيس اللجنة صعوبات معترضة حين حثَّ اللجنة على أن تنشر كتاب (تفسير مجمع البيان لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى) وهو كتاب قال عنه الدكتور محمد يوسف موسى[*] :

« والقارىء لهذا الكتاب ، والباحث الذى يلجأ إليه فيما يعانى من تفسير كتاب الله العظيم ومعضلاته ، والمتتبع لتطور علم التفسير ، وماكتب فيه على مر القرون ، يتبين كيف وفق المؤلف ــ رضوان الله عليه ــ للوفاء بكل ماقال فى المقدمة عن علوم القرآن المتعددة ، وإلى أى مدى عالٍ مرموق بلغ من ذلك كله ، وبأى أسلوب بليغ عالى المنزلة ، عالج النواحى التى عالجها ، وبأى أمانة وصدر رحب ، نقل مانقل من آراء مخالفيه فى الرأى والمذهب على ندرة هذه الخطة الأخيرة بين غير قليل من العلماء الذين يتصدون للتأليف فى العلوم التى يكثر فيها الخلاف ويشتد . كما نرى بوضوح فى كثير من المؤلفات فى علمى الكلام والفقه » .

ووجهة نظر الدكتور فى الاهتمام بنشر هذا التفسير القيم ، أنه التفسير الشيعى الذى التزم الحيدة فى القول ، وحفظ للأئمة من المفسرين ــ مذهبه وغير مذهبه ــ أقدارهم واستند إليها ، وأثنى عليها ، فنشره مدعاة للتقريب الصحيح بين أهل العلم فى الإسلام ، ووجهة نظر غيره : أن الاكتفاء بكتب أهل السنة أولى ، ولعل تبادل الكتب المعتدلة هنا وهناك مما يقرب مسافة الخلف فى أمة واحدة : كتابها واحد ، ونبيها واحد ، وهدفها واحد ، إذا سلمت السرائر عن كل دخيل مدخول .

كما كتب الأستاذ ترجمتين علميتين لابن رشد وابن تيمية ، وقد أخذ بعض النقاد على ترجمة ابن رشد أنها جاءت مختصرة مكتنزة ، وقد نسى أن سلسلة (أعلام الإسلام) التى أصدرتْ هذه

ــ (٤) المرجع السابق : شوال ١٣٧٣هـ ــ تحت عنوان : (كفانا تقليدا فى الفقه) ص ١٩٢

(*) رسالة الإسلام : ربيع الأول ١٣٧٠هـ ص٦٨ .

الترجمة ذات حجم عددى لاتتعداه ، وأن الدكتور قد خضع لهذا الطابع الشكلى ، وليس به أن يقصر فى شأن ابن رشد ، وقد كتب عنه بحثا ضافيًا كان أحد شقىّ الرسالة السربونية التى ظفر بها بالدكتوراه ، فلا يعجزه أن يبسط القول فى كتاب عن ابن رشد أُلف لقراء العربية .

أما ترجمة ابن تيمية فمستفيضة شافية ، تحدثت عن جهاده السياسى ، واجتهاده العلمى حديثًا ، حالفه التوفيق من كل نواحيه . وكان باعثه على التأليف عن هذا الإمام الجليل أن بعض من نقدوا كتابه الفقهى عن الأموال (وقد سبقت الاشارة اليه) أخذوا عليه الاعتماد على آراء هذا العلامة الكبير فكأنه أراد أن يطلعهم على حقيقة الرجل المجتهد علميا وإصلاحيا ، وحسنا فعل ، وبهذه المناسبة أذكر أن الكتاب تعددت طبعاته ولاقى من الرواج مايستحق ، كما أذكر أن للدكتور مؤلفا رائعا جديرا بالترجمة إلى عدة لغات هو كتاب (الإسلام وحاجة الناس إليه) والموضوع موضوع الساعة وقد جاء الأستاذ بفصل الخطاب فيما انتحاه من الحديث ، لأنه عثر على نصوص فقهية لكبار العلماء أبرزت سماحة الإسلام على وجهها الصحيح ، وهى نصوص لم تشتهر من قبل ، ولولا خوف الإطالة لاقتبست منها مايشبع القارىء ويمتعه .

هذه صفحة من جهاد هذا المفكر المتزن المجدد ، وقارئها فى حاجة إلى أن يرجع إلى مؤلفاته التى أشرت إلى بعضها ، لأنها ذات معدن نفيس ، وقد يغنى كتاب نفيس فى موضوع عن عشرات الكتب فى الموضوع ذاته اكتفت بالنقول ، وفاخرت بالمقدمات الطويلة دون الوصول إلى مايرضى من النتائج المقنعة ، والمؤلفون كثيرون كثيرون ، ولكن الأمر كما قال القائل :

خليلىّ قطاع الفيافى إلى الحمى كثير ، وإن الواصلين قليل ..

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

حدثى يا قدس

للشاعر
رشاد محمد يوسف

حدثى ياقدس يامسرى النبى
كيف سار الركب من أم القرى
حدثى عن ليلة طاب السُّرى
سبح الكون وحيا ركبه
يقطع البيد وفى أحداقه
ينهل الوجدان من فيض السنا
إنه الكون كتاب ناطق
فاقتبس من كل آى حكمة
هاهو القدس وهذا ركبه
أنبياء الله جَمْعٌ بينهم
وسما جبريل بالضيف الذكى
من سماء لسماء يرتقى
ورأى الناس فريقا ناعما
وفريقا تزخر النار به
كل من خاصم أنوار الهدى

حدثى عن رحلة النور السنى
يعْبُرُ الآفاق للبيت الأقصى
فى دياجيها وطابت فى العشى
وتناجى كل مخلوق زكىّ
كل ما يهفو له القلب الندى
من عطاء الله من نور ورىّ
ما سرى الرحمن من يطويه طى
والتمس هذا العطاء السرمدى
ضم فى أعطافه النفح الشذى
احمد كالبدر فى الليل البهى
خير حاد وأمين وقوى
فى أمان الله والنور الرضى
فى ذرا الجنة والعيش الهنى
من كفور أو ظلوم أوشقى
كل من كذَّب فى القول نبى

• • •

حدثى كيف ارتقى ثم ارتقى
قاب قوسين جلال ورضا

ودنا يكسوه نور قدسى
وسلام يملأ القلب الرضى

وجوار طاب لم يسعد به ... أي مبعوث ولا أي صفي
التحيات لربي قالها ... وهو في حضرة رحمن علي
فرأى الإشراق يغزو قلبه ... بفيوضات من الله الغني
ورأى السدرة غشاها السنا ... في فجاج النور والأفق السني

• • •

أمتي يا رب أدرك خطوها ... واهدها يا رب للدرب السوي
نجها من كل شر واجهها ... يا كريم العفو من إفك وغي
وارض عنها واغفر زلاتها ... بالرضا السمح وبالعفو الحفي
ويجابُ الضيف محمود القرى ... والعطايا من يدي رب سخي
صِلْ بالأمة نجماً إنها ... تعدل الحسنين في الأجر لدى
وتشفع ساعة الحشر لها ... يوم يعنو كل مخلوق إليّ
ويعود الركب موفور السنا ... وشذا التكريم بالضيف التقي
كذبوه وهو مذ كان فتى ... صادق الوعد أمين ونقي
حدثي يا قدس عن إسرائه ... علّ في الذكرى خلاص للشجي
علّنا نجمع أشتات القوى ... ونعيد النورَ للبيت القصي

لَيْلَةُ الإِسْرَاءْ

د. محمد عبد المنعم خفاجي

ليلة أي ليلة هي بالنور وبالعطر ذكرها علوي
كل ساعاتها عظيم مجيد وعظيم صباحها والعشي
وقف الدهر خاشعا في حماها وهدى الأرض نورها الأحمدي
واصطفاها رب السماء وجبريل هو الحادي والبراق المطي
رحلة جندها الملائك والله اجتباها والعرش والكرسي
والنبيون خشع والسماء ازينت والصحراء ماء وري
سدرة المنتهي مداها وكل الكون بالحمد والثناء روي
يا رسول الحياة شرعك بالهدي وبالحق والخلود حري
يا نبي السماء دينك للحب وللعدل والإخاء سمي

في ذكرى الإسراء والمعراج

امتحان اليقين في الإسراء والمعراج

شعر/ عبد الغنى أحمد ناجى

سُبحان مَن أسْرى بخير المرسلين ... أسْرى به في صُحبة الرُّوح الأمين
من بعد ما لقيتْ خديجةُ ربَّها ... ومضَى الحِمامُ بعمِّه في الرّاحلين
واشتدَّ نابُ الكفر في بثِّ الأذى ... لمحمدٍ، والمسلمين الأوّلين
لم يرضَ ربُّ العرش تركَ حبيبه ... من غير تسرية تصدُّ المشركين
مكروا لإطفاء الهداية، والهُدى ... أَلْقى هم، والله خير الماكرين
نادى الإلهُ حبيبه في ليلةٍ ... فاقت بهذا الدهر آلاف السنين
جازاه بالإسراء أسمى منحةٍ ... لم يُعطها من قبله للمرسلين
فالأنبياء جميعهم صلى بهم ... رمزًا لختم الأنبياء السابقين
هو خاتم، هو رحمةٌ، هو نعمةٌ ... وهدايةٌ للحائرين المدلجين
من رحلة الأنوار عادَ «محمدٌ» ... معه الصلاةُ طهارةٌ للمسلمين
طلَعَ النبيُّ على الورى بنُبوة الـ ... إسراء والمعراج يمتحن اليقين
نجح الأُلى قد صدّقوا خبر السّما ... وأذعنوا للحق وَضّاح الجبينْ
ملأ اليقينُ قلوبَهم ونفوسَهم ... تركوا المراء، وفِرْية المتكبّرينْ
أمّا الذين قلوبهم قد أغلقتْ ... دونَ الهُدى فلهم عنادُ المفترين
ضربوا الأكُفَّ تحيرًا وحماقةً ... قد أذهل الإسراءُ عقلاً لا يلينْ
إن الذي أسرى به هو ربُّهم ... هو خالقُ الأكوان رَبُّ العالمين
هو موجدُ الأحياءِ تسعى في الدُّنا ... هو مُوجِدُ الإنسانِ من ماءٍ وطينْ

(*) الشاعر: موجه عام للغة العربية بالفيوم



العلوم الكونية

البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي

الإنسان والبيئة في العقيدة الإسلامية

(٢)

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

سبق أن أوضحنا [١] أوجه القصور فى التعريف الشائع لمفهوم « البيئة » ومشكلاتها المتفاقمة فى الفكر والواقع على حد سواء ، واستحسنا أن يكون الكون بأسره ، أو عالم الشهادة ، هو المفهوم الأصوب والأشمل لبيئة الإنسان الكبرى ، حتى يمكن وضع تصور عام يتضح فيه الربط بين البيئة ومشكلاتها من جهة ، وبين العقيدة من جهة أخرى ، وعندئذ يتحدد الهدف المطلوب لتصويب النظر إلى الموقع الذى ينبغى أن تتخذه البيئة ومشكلاتها فى أرجاء الدراسات الإسلامية المتعلقة بقضايا الوجود الكبرى ، وذلك من خلال التناول الموضوعى لعدة جوانب نعتبرها ضرورية للمنطلق العقدى فى فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة ، وهذه الجوانب هى :

١ ـ التوحيد الخالص : فهو أول الثوابت الإيمانية التى تمثل نقطة الانطلاق وحجر الزاوية فى توجيه رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والوجود ، وقد طالبنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بالتوحيد الكامل الخالص فى أول أمر إلهى أنزله على رسوله الأمين لقراءة آيات الله فى الكتابين : المسطور والمنظور . قال ـ تعالى ـ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [٢].

ومن كانت عقيدته الدينية هذا التوحيد الخالص فإنه يجد فى نفسه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو أن يبحث دائما عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع ، فيبحث عن محور الوحدانية فى الكون بأسره مجتمعا فى وجود واحد ، ويبحث عن محور الوحدانية فى الشخصية

---

(١) راجع الجزء الأول من هذه الدراسة فى العدد السابق من مجلة الأزهر .

(٢) سورة العلق : ١ .

الإنسانية برغم اختلاف الجوانب الكثيرة فى حياة الفرد الواحد واختلاف العلوم الباحثة فى تلك الجوانب[٣].

ومن هنا كانت دعوة الإسلام ـ إسلام القرآن والسنة ـ إلى الإنسان لاستخدام ملكاته الفكرية فى تأمل آيات الله فى الآفاق وفى الأنفس، وصولا إلى معرفة الخالق الواحد حق المعرفة، ولئن كانت العلاقة بين ثلاثية الدين والإنسان والكون.

محورا للنقاش والجدل منذ قديم الزمان، فإن القرآن الكريم قد رتب العلاقة الصحيحة بين هذه القضايا الثلاث فى معرض الحث على النظر فيها، وصولا إلى الحق المطلق الذى هو فى النهاية غاية كل إنسان عاقل، وذلك فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٤]

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يجد أن الترتيب الذى تقتضيه طبيعة القضايا الثلاث، بدأ بالكون (البيئة) الذى هو أول ما يبصره الإنسان حين يفتح عينيه، فهو الينبوع الأول للإيمان، وهو المسرح الأول للفكر، والذهول عنه سقوط إنسانى ذريع، وحجاب عن الله غليظ، وعجز عن وصايا القرآن التى تكررت فى عشرات السور لتبصرة العقول بالدلائل الموجودة فى كل شىء، تدل على الله وتشرح أوصافه الجليلة ثم تنى الترتيب القرآنى المعجز بالإنسان المنوط بعملية التفكير فى قضايا الوجود الكبرى، وانتهى بقضية الألوهية التى عرفت قديما بالفلسفة الأولى أو العلم الأعلى[٥]. وما دام الإنسان هو محور هذه القضايا الرئيسية، فلا بد أن يعرف حقيقة مكانه فى هذا الوجود، وعلاقته بالكون ومن فيه وما فيه، وعلاقته بخالق الكون والحياة الذى حمله أمانة الاستخلاف بتطبيق أوامره ونواهيه على مسرح الأرض، وهو فى الحقيقة مسرح البيئة بمستوياتها المختلفة، أو مسرح الكون بأكمله، ولعل التعبير بالأرض فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٦].

مبعثه أن الإنسان ألصق بها من غيرها، فيكون الكون بذلك فى مقام الوسيلة التى يحقق بها الإنسان غاية وجوده[٧]، وهى غاية الاستخلاف القائم على التوحيد الخالص.

٢ ـ **التوازن البيئى (الكونى)**: فالإيمان بواحدانية الله ـ سبحانه وتعالى ـ يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شىء فى هذا الوجود إلى الخالق الحكيم الذى أوجب هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة، وخلقه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، وأخضعه لنواميس ثابتة لا يحيد عنها، وحفظ تناسقه وتوازنه فى

(٣) د. أحمد فؤاد باشا، نسق إسلامى لمناهج البحث العلمى: تحديد الثوابت والمتغيرات، مجلة منبر الحوار، العدد (١٧)، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

(٤) سورة فصلت: ٥٣.

(٥) د. محمود زقزوق، الدين والفلسفة، مجلة المسلم المعاصر، عدد (٦٢)، ١٩٩١/١٩٩٢م.

(٦) سورة البقرة: ٣٠.

(٧) د. عبدالمجيد النجار، الإنسان والكون فى العقيدة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٧٧)، ١٩٩٥ م.

ترابط محكم بين عوالم الكائنات ونظمها البيئية ، وبين آحادها ومجموعاتها ، وجعل بناءه آية فى الروعة والكمال ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [٨] .

وقد أكد القرآن الكريم حقيقة التوازن البيئى (الكونى) فى مواضع مختلفة ، ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والنظام فى خلق هذا الكون ، وذلك فى مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٩] .

وقوله ـ عز من قائل ـ :

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [١٠] .

وعندما نتأمل الواقع البيئى نرى العديد من الأمثلة التى تؤكد سمة التوازن فى الكون ، والإسلام ـ إسلام القرآن والسنة ـ يمنح أتباعه رؤية شاملة ومنهجا سليما يؤسس فيه عقيدة التوحيد من خلال عرض مشاهد الكون وانضباط قوانينه وحركته ، فضلا عن أنه يلفت الأنظار إلى أهمية اكتشاف قوانين التسخير الكونية باعتبارها أساس التقدم العلمى والتقنى لعمارة الأرض ـ قال تعالى ـ :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [١١] .

وقال سبحانه ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [١٢]

٣ ـ العلاقة بين الإنسان والبيئة : وتتميز هذه العلاقة بخصائص وأبعاد أهمها أنها علاقة توازن وألفة وانسجام لصالح الحياة والأحياء ، بما فيهم البشر الذين هم قمة الأحياء ، وليست أبدا علاقة حرب وقلق وتنافر وعداء وصراع كما يزعم بعض الماديين الطبيعيين naturalists الذين يقولون إن العالم الطبيعى وجد نفسه دون علة خارجة عنه ، ويتعاملون مع بعض الظواهر الكونية على أنها « كوارث طبيعية » خالية من أى خير ، ويعدون كل كشف لقانون من قوانين الكون ، وكل تسخير لطاقة من طاقاته ، وكل اختراع لتقنية متقدمة جديدة ، انتصارا على الطبيعة ، أو قهرا لها وهيمنة عليها .

ولقد صور القرآن الكريم فى كثير من آياته الكريمة حقيقة تلك العلاقة الحميمة بين الإنسان والبيئة ، وأخبر الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى محكم التنزيل بأن كل مكونات البيئة فى هذا الكون الفسيح قد أعدها لاستقبال الحياة ولكفالة الأحياء ، فقال ـ سبحانه ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [١٣] .

---

(٨) سورة الملك : ٣ .
(٩) سورة القمر : ٤٩ .
(١٠) سورة الحجر : ٢١ .
(١١) سورة الجاثية : ١٣ .
(١٢) سورة لقمان : ٢٠ .
(١٣) سورة لقمان : ٢٠ .

كما أن السنة المطهرة تزخر بما يؤكد هذا التصور الإسلامى لعلاقة المودة الصافية بين الإنسان وما تحتويه بيئته من موجودات حية وغير حية ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول عن جبل أحد وهو يدلله تدليل الصديق : « هذا جُبيل يحبنا ونحبه » (١٤) ، فيخلع عليه الحياة ويشعر بالحب منه كما يشعر بالحب له ، ومثل هذا الشعور بالقربى يلقى فى النفس بُعدا إيمانيا يزيد من انفساحها للكون والإقبال على التعامل معه بكل الطاقات الإبداعية .

ومن البين أن افتقاد البشرية لهذا البعد الإيمانى والشعور النفسى القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة (الكون) كما يعرضها المنهج الإسلامى المتفرد ، هو الذى يدلنا على طبيعة الحرب التى شنها الإنسان على نفسه فى غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية ، فهى حرب ضد الحيــاة على كوكب الأرض ، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذى يسعى جاهدا لأن يكسبها .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١٥) .

من ناحية أخرى ، عند استقصاء حكمة الخالق فى خلق الكون يجب أن يستشعر الإنسان حقيقة البعد الجمالى فى العلاقة بين الإنسان والبيئة ، وهو ما يقابل القصد الإلهى فى إبداع الكون الجميل الصفات العجيب التلوين والتكوين ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (١٦) .

وهذه الدعوة القرآنية إلى تأمل الجمال الكونى هى فى حقيقتها دعوة إلى التفوق فى مجال العلوم الكونية المعنية بدراسة ظواهر الكون والحياة للإفادة منها فى تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود .

ويؤكد أهل العلم أهمية البعد الجمالى فى علاقة الإنسان بالبيئة إلى الحد الذى يجدون فيه أن النظر البليد إلى الأرض والسماء دون إحساس بالجمال هو نوع من المعصية ينبغى أن نتوب عنه (١٧) ، فالمتأمل فى السماء وما يدور فيها من كواكب وما ينتشر فيها من أفلاك ، يجب ألا يغفل عن زينتها التى نبه إليها الحق فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (١٨) .

وعند النظر إلى الأنعام من زاوية فوائدها المادية وقيمتها كثروة حيوانية ، يجب أن نحافظ على الصورة الجمالية التى عبر عنها القرآن الكريم

---

(١٤) لتخريج الحديث راجع د . عبدالمجيد النجار ، الإنسان والكون فى العقيدة الإسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٧٧) ، ١٩٩٥ م .

(١٥) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(١٦) سورة فاطر : ٢٧ ـ ٢٨ .

(١٧) الشيخ محمد الغزالى ، فلسفة الفن فى الإسلام (حلقة نقاشية) ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٥٨) ، ١٩٩٠/١٩٩١ م .

(١٨) سورة الحجر : ١٦ .

بقوله : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[19].

ولما كان الجمال مقصوداً قصدا فى خلق الكون ، وكان البعد الجمالى ضروريا فى علاقة الإنسان بالبيئة ، فإن ما يحدث فى عصرنا من أشكال التلوث البيئى المختلفة يجب النظر إليه على أنه اعتداء أثيم على توازن البيئة المحكم وتشويه متعمد لشكلها الجمالى الذى جعلها الله عليه . ومن ثم يكون العمل على حماية البيئة من مختلف أشكال التلوث والفساد ، والإبقاء على الجمال فى صفحات الكون ، مطلبا إسلاميا عزيزا تستحث لأجله الهمم وتستثار العزائم .

٤ ـ توافق الفكر والواقع : حيث توفر العقيدة الإسلامية لأتباعها أهم مقومات النظر السليم فى التعامل مع البيئة المسخرة لهم من قبل الله ـ تعالى ـ وفق تشريعات حكيمة تنظم الحياة فى كل جوانبها ومرافقها ، وعندما يتصالح الفكر مع الواقع يكون الإنسان أكثر قدرة على بناء صرح الحضارة المتوازنة روحيا وماديا ، ولنا فى تاريخ الإسلام خير مثال ، عندما أنتج علماء المسلمين فكرا يتلاءم مع واقعهم ، وقدموا للعالم حضارة زاهرة معمرة ، كما قدموا حلـولا شافيـة للمشكلات البيئية التى واجهتهم على المستويين الفكرى والعملى ، ذلك أن العلم والفكر اللذين لا يعمر بهما الكون ، ولا تصلح بهما البيئة ، ولا ترق بهما الحياة فى جانبيها الروحى والمادى معا ، هما علم وفكر قاصران ، وضررهما أكبر من نفعهما ، ولعل الواقع المعاصر يؤكد هذه النظرة ، بعد أن رأينا تخلى الحضارة المعاصرة عن الجانب الروحى وانغماسها فى سباق التقدم العلمى والتقنى ، بمعزل عن القيم الهادية ، وتمسكها بالمذاهب النفعية (البرجماتية) لتحقيق مصالح خاصة ، وها نحن نرى المتقدم الذى يمتاز بصناعة الأفكار ، وهو فى صناعتها لديه المادة الخام ، ولديه الآليات ، ولديه السوق المفتوحة لنشر بضاعته من الفكر والحضارة . قد فشل فشلا ذريعا فى إدارة حضارته إلى الحد الذى أصبحت فيه هذه الحضارة نفسها مصدر تهديد لحياته ، قد يفضى إلى فنائه ، كما أن دراساته المستقبلية لم تحقق النجاح المطلوب فى تقدير التحديات التى يملى مواجهتها ذلك الفكر المادى ، ويشترطها ازدهار حضارته المزعومة .

وإذا كان هذا الفكر المادى قد تخلف عن واقعه فى البيئة التى أنتجته ، فإنه لا محالة مخفق فى مهمته حين يُزرع فى غير تربته ، على نحو ما نجد فى الدول المتخلفة التى تعيش فى الأغلب على فكر وافد .

وهنا تظهر أهمية الدور الحيوى الذى يمكن أن يؤديه المنهج الإسلامى الرشيد فى تحقيق المصالحة بين الإنسان وبيئته ، ذلك أن العلم والتقنية يأتيان ثمرة لفلسفة وعقيدة ، ومن ثم فإنهما يتجمدان فى مجتمع تغاير عقيدته واقعه[20] .

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم ـ إن شاء الله ـ

---

(١٩) سورة النحل : ٥ ـ ٦ .

(٢٠) راجع : الشيخ محمد الغزالى ، كيف نتعامل مع القرآن ، المعهد العالى للفكر الإسلامى ، عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

الصحة الإنجابية

أخطار الشذوذ الجنسي وعلاجه

٤

للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

يمكن ـ ابتداء ـ أن نعتبر أي أداء جنسي ـ لم تسمح به الشريعة الإسلامية ـ شذوذاً ، وحيث إن هذه الشريعة قد أباحت الاتصال الجنسي بين رجل وامرأة تم بينهما الزواج شرعاً ، وحل له منها ، وحل لها منه ما أباحته الشريعة من أوضاع ، فإن الاتصال ـ في حدود ذلك ـ أمر سوي ، وما عداه شذوذ ، خارج على القاعدة الشرعية ، وفاعله شاذ . وفي الحديث الشريف : « ومن شذَّ شذ إلى النار »[1] .

وفي حديث لكاتب هذا المقال مع فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق ـ وكان فضيلته قد تناول في فتاويه دراسة بعض الأوضاع الشاذة فكتب في :

(أ) الوطء الحرام والأمراض التناسلية .

(ب) الإيدز والشذوذ الجنسي .

(جـ) اللواط .

(د) إتيان المرأة في الدبر .

(هـ) السحاق وإتيان البهائم[2] .

وكانت النية متجهة إلى إضافة هذه الدراسة التي بين يدي القارىء إلى كتابات الشيخ على نفس المنهج المشار إليه بالحاشية رقم (٢) حيث تعرض الحالة طبياً ، ويعقب عليها فضيلته بالحكم الشرعي ، ومن حديثه ـ مع كاتب المقال : أنه إذا لم يتطرق علماء المسلمين وأطباؤهم إلى هذه الموضوعات الحساسة ، فمن الذي يتطرق إليها ؟.

ولقد صدق حدسه ـ رحمه الله ـ تعالى ـ فإن جهة « إنجيلية » ببعض البلاد الإسلامية قامت ببحث ميداني على ما يسمى أبناء الشوارع من الأطفال المشردين .

وبعد : فمهما يكن من شيء فإن البحوث العلمية في ألوان الشذوذ عند الأطباء أحصت الأنواع التالية :

(١) سنن الترمذي ٤ / ٤٤٦ .

(٢) راجع لفضيلته ـ أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية عن الأمراض النسائية ص ٧٦ ـ ٨٤ ـ طبع المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية ـ جامعة الأزهر ـ ولعل المركز يقوم بطبعه لتستفيد الجماهير الإسلامية من معلوماته ، فإن المنهج في الكتاب يجمع في كل دراسة من موضوعاته : دراسة طبية ، يعقبها الدراسة الشرعية .

١ ـ أداء جنسي غير طبيعي طرفاه آدميان :

( ) يتم بين ذكر وذكر ـ وهو اللواط ANAL INTERCOU ـ أو بين أنثى وأنثى وهو السحاق FELLATO وكلاهما محرم شرعاً ، كما أن اللواط محرم حتى بين الزوج وزوجته لا كما يظن بعض الذين انساقوا إليه من الطرفين . وإذا تجاوزنا صورة اللواط بين رجل وامرأة ؛ فإن صور هذا اللون يطلق عليها : « الجنسية المثلية » .

بحكم التكوين الجسماني وكذلك توزيع الهرمونات بالإضافة إلى التربية غير الصحية في اتجاه الشاذ ناحية الجنسية المثلية ؛ فمثلا في حالة عدم توازن الهرمونات في جسم ، أو في حالات التربية الخاطئة ، وإهمال الأطفال قد يعرضهم هذا وذاك للانتهاك الجسدي بواسطـــــة من يكبرونهم . وللأسف فإنهم ـ في أغلب الأحيان ـ وكما أثبتت ذلك دراسات عديدة ـ يكون المعتدي من أقرب أقرباء الضحية .

وقد توجد شواهد في مرحلة البلوغ على هذا التوجه : مثل مصاحبة من هو أكبر سناً ، وتركيز الاهتمام على أفراد من نفس الجنس ، وقد تكون لدى الفرد هوايات شاذة ؛ ففي حالة الذكر قد يكون لديه هوايات نسائية مثل تفصيل الملابس وإسدال الشعر والتشبه بالفتيات ، وفي حالة الإناث قد تكون لديهن بعض الهوايات مثل الملاكمة والتشبه بالرجال .

وفي الحديث الشريف : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه والبيهقي بسند صحيح .

٢ ـ أداء جنسي طرفاه مختلفان :

بيستيالتي Beastiality :

وهو حالة من الشذوذ المفرط الذي يتجاوز به صاحبه الجنس الإنساني كله ، فلا تحدث لديه المتعة إلا في حالة ممارسة الجنس مع الحيوان .

وهذا النوع له حكمه الرادع في الشريعة الإسلامية ففي الحديث الشريف : « من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه » رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه .

وهناك بعض الدراسات توضح أن سبب هذه الحالة قد يكون الإحساس بالعنة أو الخوف منها . وقد أثبتت دراسات أن هذه الحالة قد تحدث قبل البلوغ لبعض أطفال القرى ، وتوجد بين الذكور أكثر ، ويكون الطفل غير مستقر نفسيا وغير سعيد .

٣ ـ طلب اللذة من طرف واحد :

(أ) الفتشية (الفيتشيزم) Fetishism :

في هذه الحالة يستمتع الشخص بمشاهدة الملابس الداخلية للأنثى ، أو مشاهدة جزء من قدميها أو شعرها أو حذائها ، وسبب هذا راجع إلى تربية غير سوية .

(ب) التلذذ الجنسي بالمشاهدة (فيوريزم) Voyeurism :

وفي هذه الحالة يتم الاستمتاع الجنسي عن طريق النظر في الأعضاء التناسلية للجنس الآخر ، أو مشاهدة الجماع بين رجل وامرأة ، أو مشاهدة بعض أفلام الإثارة ، وقد تكون هذه حالة متوقعة في سن المراهقة ، ولكنها قد تستمر إلى ما بعد

الزواج ، وقد تؤدى هذه الحالة إلى عدم الاستمتاع عن طريق الجنس العادى . وقد تكون لذلك عواقب سيئة على كيان الأسرة .

(جـ) إظهار الأعضاء التناسلية Exhibitionism :

وهذه حالة يعمد فيها الشخص إلى إظهار أعضائه التناسلية واستعراضها ، مستمتعاً بملاحظة ما يحدث من آثار رؤياها على الآخرين، يجسد ويزيد من إثارته ما يراه من خوف أو رغبة ، وهذه الحالات قد تكون مصحوبة بعنف تكون له آثاره .

٤ ــ وهناك بعض الطرق الأخرى الشاذة ولكنها أقل انتشارا :

وفيما يلى أخطار بعض أنواع الشذوذ المنتشرة :

السحاق (الإيجابى) الفاعل :

ــ سيلان الفم .
ــ تشققات بالفم .
ــ الزهرى .
ــ التهاب كبدى وبائى .
ــ التهابات معوية .

السحاق (السلبى) المفعول :

ــ تشققات بالأعضاء التناسلية .
ــ سيلان فى فتحة مجرى البول .
ــ الإيدز .
ــ الأمراض التناسلية الأخرى .

اللواط (إيجابى) الفاعل :

ــ السيلان والإيدز .
ــ الهربس التناسلى .
ــ التهاب البروستاتا والبربخ .
ــ التهابات فطرية .
ــ التهاب كبدى وبائى .

اللواط (سلبى) المفعول :

ــ تمزقات بفتحة الشرج والمستقيم .
ــ سيلان الشرج .
ــ الإيدز .
ــ التهاب كبدى وبائى .

السادية أو الماسوشية :

ــ جروح قطعية وتشققات .
ــ جروح مع عدوى والتهاب .

مخاطر الشذوذ :

وأهم مخاطر الشذوذ أنه فى معظم هذه الحالات يكون الشريك فى العملية الشاذة غير معروف غالبا ، فيصعب تتبعه فى حالات مثل الإيدز وهى حالة تحتاج إلى معرفة كل المشاركين فى الجنس مع المصاب حتى يمكن حصر المرض ، ومن هنا ينتشر بلا حدود مثل ذلك : حالات الاختطاف والاغتصاب بواسطة مجموعة مثلا .

إن الوقاية من هذه الأنواع الشاذة جميعا يعتبر أهم خطوات استئصاله من المجتمع .. ولكن كيف ؟

إن فى المجتمع نشئاً ، وفيه كبار تجاوزوا مرحلة التعليم ، والاتجاه التربوى للطرفين لابد يختلف .

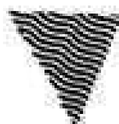
فأما النشء فأمامنا الأسلوب الإسلامى التربوى وفيه الوقاية ، وقد سبق الرئيس تحرير هذه

المجلة أن تحدث فيه بإفاضة فى مجلة الأزهر ونشرت مقاله الأخبار ، كما نشرت المقالة المجلة الطبية التى تصدر عن دار الهلال .. والمنهج الإسلامى هنا تربوى مباشر يربى من خلال الأحكام الشرعية نفسها .. الأمر الذى يحيط النشء بقدسية الدين وطهارته فيتلقى الطالب والطالبة العلم ممزوجا بالدين وما يدعو إليه الدين من طهارة ونقاء .

فأما الكبار فإنه ينبغى أن تكون هناك أكثر من جهة ومؤسسة تتعاون إعلاميا وثقافيا ودينيا للإرشاد وللتقويم ، وإن الله ــ تعالى ــ ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن .. وعلى الكبار ــ من جانبهم ــ أن يكونوا قدوة للصغار ، فكثيراً من الانحرافات تنشأ عن طريق مشاهدة الصغار للكبار .

وفى أحوال كثيرة يعوق العلاج عدم قدرة المريض على مصارحة الآخرين بأعراض مرضه ، ولذلك ، فإن ما يصل إلى الأطباء ــ هو غالبا ــ الضحايا ؛ فكم من ليال قضاها أطباء وهو يرتقون جرحا بالعجان[٣] تركه مجرم لايعرف الرحمة فى الأعضاء التناسلية لطفلة لم تتجاوز الست سنوات من عمرها ، وكم من حالات يحاول الأهل فيها خداع الأطباء بالادعاء أن الطفلة وقعت على آلة حادة لكى يخفوا اسم المجرم الحقيقى الذى قد تكون له صلة حميمة بالطفلة .

وأريد فى النهاية أن أطمئن الناس إلى أن معظم هذه الحالات تشفى عن طريق العلاج النفسى السليم ، ولكن من المهم سرعة العلاج ومصارحة الطبيب .



(٣) العجان : المكان من نهاية الفرج إلى ثقب الدبر .

المدرسة ودورها في التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/عبد السلام ناصف

كما رفع المولى ـ عز وجل ـ منزلة العلماء ، رفع من قدر آلات العلم : القلم .. المداد .. (القراء) .. ولقد أقدم المصطفى ﷺ على محو الأمية من أطفال المسلمين .

ولم يعد خافياً ـ اليوم ـ أن هذا التراث الإسلامي الرفيع وهذه المخطوطات النادرة ، هي التي بددت ظلمات الجهالة فقد كتب جهابذة الفكر الإسلامي في كل ميادين الحياة الدينية والسياسية واللغوية والطبية والدوائية والرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والأحياء والفلسفة والمنطق والشعر والبلاغة والأدب .

وكان القلم والمداد والقرطاس وسيلة كل هؤلاء في تسجيل ما يجيش بخاطر كل منهم . وكان لكل منهم وجهة هو موليها ـ انتظم في مسلكها وبرع في التحصيل ممن سبقوه يسعى إلى مجالسهم وينهل من علمهم . فلما توسعت رقعة بلاد الإسلام وترسخت أقدامه في البلاد المفتوحة وظهرت أهمية التعليم وما لحاجة المسلمين إليه لإعداد جيل الطفولة الجديد برز دور المدرسة ، والمدرسة قد تكون (الكُتّاب) وقد تكون حلقة المسجد وقد تكون البناء المعروف بالمدرسة .

التربية والتعليم :

وقبل أن نعرض لدور المدرسة وأثرها في تنشئة الفرد يجدر بنا أن نفرق بين التربية وبين التعليم في العملية التعليمية فالمدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي تضطلع بالقيام بهما معاً وبينهما خيط رفيع إذ التعليم هو العملية التي يتم عن طريقها نقل التراث الفكرى من جيل إلى جيل بكل ما فيه من معارف وحقائق ومفاهيم علمية أو طبيعية أو اجتماعية أو إنسانية أو ميدانية عن طريق معلم يستخدم الكتاب أو وسيلة الإيضاح لتوصيل المعلومة إلى ذهن الطالب وقد تطورت وسائل الإيضاح حتى يمكن أن تكون معامل تجريبية أو ميدانا عمليا للتدريب والتجريب في إطار مسبق الإعداد ووفق خطة مدروسة موزعة على مدار العام الدراسي المحدد .

فهي إذن عملية تحصيلية بحتة يكتسب فيها الفرد نوعاً محدداً من المعرفة تتناسب وإمكانياته وقدراته واحتياج المجتمع لإعداده كي يتبوأ دوراً مناسباً إيجابياً يشارك به في مواجهة تحديات المستقبل .. لكن هذه المعرفة المكتسبة لا تؤثر في أنماط سلوكه ، وإنما يكفيه منها أن تعده للارتقاء لدور ما في مجتمعه .

أما التربية فهى أعم وأشمل حيث تعنى بتنمية الفرد من كل جوانب حياته : الجسمية والعقلية والوجدانية ، والروحية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والعقائدية .. وكل ما يتعلق بمظاهر وأنماط سلوكه فى الحاضر والمستقبل على أن تستغل كل ما أوتى من قدرات وإمكانيات واستعدادات حتى ينشأ نشأة صحية سوية مؤهلة لأن يصبح مبدعاً منتجاً بصورة إيجابية ؛ يؤثر فى مجتمعه ـ الذى أهله ـ ويعمل على تطويره ، إذ هو يستمد أسلوب تربيته وإعداده من البيئة التى تحيط به والتى يتعايش معها ويتفاعل مع أعضائها

لذا يمكن القول أن التربية هى تنمية الفرد داخل جماعة وفى ظل ثقافة مجموع أفرادها معدة إعداداً صالحاً لينفع ذاته وينفع مجتمعه على المدى القريب والبعيد . فهدف التربية إذن هدف اجتماعى إذ هى تحقق أهدافها داخل المجتمع فى ظل الثقافة السائدة بين أفراده والتى تحكم سلوكياتهم ـ مع الأخذ فى الاعتبار بما بينهم من فروق فردية وكذلك الرجل المناسب فى المكان المناسب بهدف الاستغلال الأمثل لإمكانيات ومهارات واتجاهات وميول كل فرد .

فلا تنمية لمجتمع دون تنمية أفراده . وإذا ما كانت الثقافة السائدة صحيحة وسليمة وسوية كانت التربية سوية وصحيحة وكانت عملية التنشئة الاجتماعية إيجابية تكفل الصحة النفسية المنشودة للفرد وبالتالى للجماعة ثم للمجتمع ككل .

ويأتى دور المدرسة فى التنشئة الاجتماعية بعد أن يكون التلميذ قد اكتسب الكثير من المهارات والخبرات من أسرته ومن جماعة رفاقه إذ تقوم بتعديل سلوكه وصبغ خبراته بصبغة اجتماعية وتصحح له معلوماته وتنميها وتوجهها الوجهة السليمة السوية .. فمما هو معلوم أن المدرسة تقوم بكلا الدورين حيث يستعيض الطفل بيئة التدريس عن والديه وبزملاء الدراسة عن رفاقه فى الشارع أو سواه .. ولذا فالمدرسة تعمل على تنمية المعايير بشكل منظم ومدروس ومخطط وفق أساليب ومناهج تربوية مقننة يسهل تقييمها ، وتحديد نقاط الضعف فيها لتعديله وتصحيح مساره .

وفيها يتعلم الطفل كيف يشبع حاجاته مع مراعاة حاجات زملائه ، فتنمى عنده ملكة الانضباط فى السلوك لينشأ على ما يحقق له ولمجتمعه الصحة والسلامة وهى تعده لأدوار القيادة فى حياته المستقبلية .

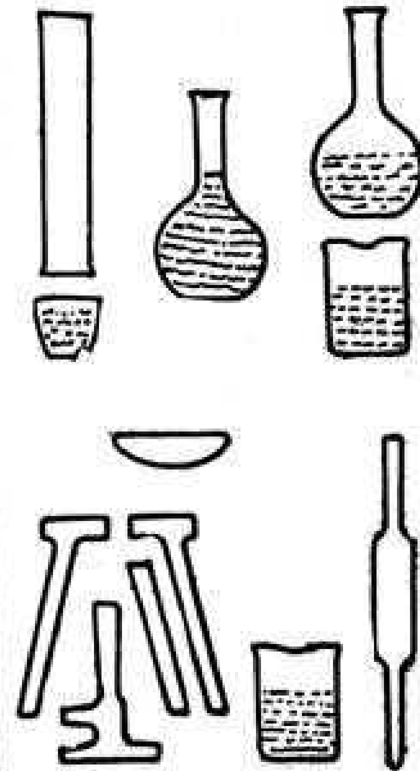
ثم تحقق له بيئة سوية داخل جدرانها وتساعده على التغلب على مشاكله وإيجاد أنسب الحلول وأنجعها ليتمكن من الانتقال من سلبيته الطفولية إلى أن يعتمد على نفسه بصورة متوافقة .

ومما يرفع من مستوى تأثير المدرسة فى عملية التنشئة الاجتماعية الالتزام بالجدية والانضباط خلال اليوم المدرسى دون تسلط أو تجبر أو قسوة ، فكلما كان التنظيم رائد بنيانها والأسلوب التربوى يملأ جنباتها كلما كان دورها ذا أثر بالغ الأهمية فى بناء شخصية الفرد ، فينمو عوده على الاعتماد على النفس ، والمشاركة الإيجابية ، والتفاعل المثمر ، مع بقية أعضاء مجتمعه فلا يكون منه إلا الخير ولا يكون لجماعته إلا الخير منه ويكون كل الخير لمجتمعه وهو ما تهدف إليه كل الشرائع .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... ﴾

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ مجدى السيد أحمد (*)



القمر الصناعي الفرنسي

يكشف جمال الطبيعة :

تمكن القمر الصناعي الفرنسي من التقاط مجموعة نادرة من الصور لكوكب الأرض من ارتفاع شاهق ومنها صور تتعلق بالجمال الطبيعي للأرض ، وتؤكد عظمة الخالق في إبداعه لخلق الأرض ، فإحدى هذه الصور لجزر (هاواى) المائية ، والتي تظهر فيها خمسة براكين يتجاور فيها الماء والنار ، وأخرى ، للنهر الأسود المتعدد الألوان في الغابة الاستوائية الذى يلتقي فيها بنهر الأمازون ، كما التقط العديد من الصور التي ترصد دورة الأرض فتوضح أن الوقت يكون ظهرا في وسط المحيط الهادى ، بينما تدخل أمريكا الجنوبية في الليل ، ويكون النهار ساطعا فوق (أوروبا) و (إفريقيا) ، وعندما يهبط الليل على استراليا ، فإن الشمس تسطع على (بيرو) و (البرازيل) .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

التعرض لقدر ضئيل من الأشعة

يفيد الصحة :

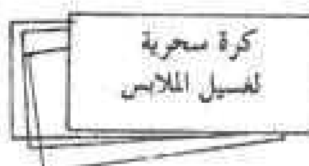
أعلنت مجموعة من العلماء بإحدى الجامعات الهندية نظرية جديدة وهى أن تعرض الإنسان لقليل من الأشعة ـ سواء كانت طبية أو غير طبية ـ مفيد صحيا ، وأوضحوا أن الافتراض الشائع بأن تعرض الإنسان للإشعاع ضار بكافة أشكاله غير صحيح ، وأن أبحاثهم كشفت أن التعرض لقدر ضئيل من الأشعة يفيد فى علاج بعض الحالات المرضية ، وفيها حالات نقص التمثيل الغذائى ، لكن هذا الرأى يحتاج إلى دراسات مستفيضة للتأكد من صحته وتحديد جرعات الأمان المطلوبة والحالات العلاجية المعينة التى تتطلبها .

تلميع الأحذية آليا

طرحت إحدى الشركات الفرنسية مؤخرا جهازا جديدا لتلميع الأحذية يعمل بالكهرباء يتولى تلميع الحذاء خلال ٣٠ ثانية فقط أى بمعدل ١٢٠ حذاء كل ساعة ولا يستهلك سوى ٢,٥ كيلو وات كهرباء فى الساعة ، الجهاز يحقق أرباحا خيالية لمحلات تلميع الأحذية ، ويوفر الوقت والمال للأسر التى تستخدمه .

جزئيات الكربون لتخزين الغازات :

اكتشف الباحثون الأمريكيون أن جزئيات الكربون تستطيع حجز الغازات فى الحيز الصغير الموجود بين جزئياتها البللورية مما يجعلها ملائمة لتخزين الغازات ، وتبين من الأبحاث أن (١٪) فقط من هذا الحيز يمكن أن يمتلىء بالغاز ، وباستخدام ضغط كبير أمكن زيادة هذه النسبة وتعبئة أكثر من نصف الحيز الموجود بالغازات وتوصلت الأبحاث إلى أن تخزين الغاز بشكل مستمر يحتاج إلى بقاء جزئيات الكربون تحت ضغط مناسب لمنع التسرب .



كرة سحرية لغسيل الملابس

اخترعت مجموعة من الخبراء الفيزيائيين بأوروبا كرة سحرية تتولى غسل الملابس ويتم وضعها فى طبق غسيل مزود بالماء الساخن وسط الملابس المتسخة وبدون مساحيق ، حيث تنهى عملية الغسيل فى أقل من دقيقة لأنها تصدر موجات صوتية متناهية فى الصغر بمعدل ٢٠ ألف ذبذبة فى الثانية ، وتجرى التجارب والأبحاث لزيادة قدرة كرة الغسيل لإزالة جميع الأوساخ العالقة بالملابس والتى لا تستطيع أن تزيلها مثل بقع الدهون والشيكولاته والفواكه .

مصيدة للقضاء على الذباب في حظائر الحيوانات :

نجحت (السويد) في تحقيق معادلة صعبة تتمثل في إيجاد حظائر ومزارع واصطبلات دون وجود للذباب ودون استخدام مواد كيماوية ضارة على الحيوانات ومنتجاتها ، حيث بدأ أخيرا استعمال مصيدة للذباب على نطاق واسع ، وهي عبارة عن خيوط خاصة مغطاة بطبقة من المواد الطبيعية قوامها (راتنجات الهيدروكربون) الطبيعي وزيت شمع (البارافين) وهذه الخيوط لها جاذبية لا يستطيع الذباب مقاومتها فيقع عليها ويلقى حتفه ، ويتجدد خيط المصيدة باستخدام بكرات دوارة ، وتحتوى البكرة على ٣٣٠ مترا من الخيط يكفي للقضاء على ١٥٥ ألف ذبابة .

وصلة بلاستيكية لحماية أطباء الأسنان والمرضى من العدوى :

أنتجت شركة أوروبية وصلة بلاستيكية يتم تركيبها على قطعة وسيطة من الألومنيوم التي يتم تركيبها هي أيضا على « السرنجة » المتعددة الوظائف التي يستخدمها طبيب الأسنان في نواحي العلاج المختلفة للمرضى ، والوصلة تستخدم مرة واحدة فقط ، وبذلك تمنع انتشار العدوى ، والجزء الداخلي للوصلة الجديدة مكون من أنبوبتين رفيعتين تضخان الهواء والماء داخل فم المريض ، وتتميز الوصلة البلاستيكية بمرونتها التي تسمح بالوصول إلى الأماكن المتعذر الوصول إليها داخل تجويف الفم .

جهاز آلي دقيق « روبوت » يجرى جراحات داخل الأمعاء :

قارب أحد المخترعين الأمريكان على الانتهاء من وضع اللمسات الأخيرة على « الروبوت » الصغير الذي اخترعه ، ويستطيع أن يجرى جراحات داخل الأمعاء الغليظة ، وهو مزود بمصدر للطاقة والإضاءة ، ويقوم بإرسال الصور إلى الجراح الذي سيتولى عملية توجيهه ، ويحتوى على ستة عشر مجسا مهمتها البحث عن القرح المعوية وأورام الغشاء المخاطي للأمعاء بالإضافة إلى مخلب دقيق مهمته تدمير هذه الأورام والقرح ، ومن المعروف أن الأمعاء الغليظة بيئة لا تناسب استخدام « الروبوت » ولكن « الروبوت » الجديد صمم لكي يستخدم داخل الأمعاء الغليظة .

جهاز على هيئة كرسي هزاز لتنشيط المخ

اخترعت شركة (يابانية) جهازا يعرف بالنظام الصوتي لاسترخاء الجسم حيث يجعل الشخص يشعر باهتزازات موسيقية ذات إيقاع جميل من خلال الكرسي الذي يجلس عليه وهو يسمع بعض القطع الموسيقية ، وقد جذب الجهاز انتباه الخبراء في المجال الطبي لما يتميز به من طريقة الموازنة التي تساعد الأشخاص على الاسترخاء للجسم والعقل في آن واحد حيث إنه مزود بإرسال موجات تفيد في تنشيط المخ ، والجهاز الجديد يطلق عليه « نظام الاسترخاء وتنشيط المخ » .

اللغة والنقد والأدب



طبقات المحققين والمصححين

من المحققين الأعلام

الأستاذ الدكتور عبد المجيد دياب



للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

من الذى يحقق .. ؟ ! .

لا يسوغ ، ولا يجوز ، بحال أن يُعتبر التحقيق غرضا وهدفا ودربة لهواة ، أو مجرد ممارسة ومزاولة لنفر من آحاد الناس ، أو ممن قلت بضاعتهم من العلم لمجرد المزاولة .

إنها قاعدة مقررة محررة من المحفوظات التى لا تخالجها ريبة ، وهى أنه : « ليس كل عالم محققا ، ولكن كل محقق لابد أن يكون عالما » .

لابد أن يكون المحقق موسوعيّ الثقافة ، وعلى إحاطة تامة كاملة بعلوم اللغة العربية وآدابها وبصفة خاصة : النحو والصرف وبمفاتيح العلوم الأخرى لا سيما العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والبلاغة القرآنية وعلوم القرآن ، وما تيسر من المذاهب والفرق المختلفة وقبل هذا علم الأصول ، وعلم النفس والمنطق والفلسفة وغيرها ...

ثم إن الإلمام بالشعر (وهو ديوان العرب ومؤرخ أيامها وحياتها ودستورها المحفوظ) يجب أن يكون معنيا به ومتوفرا عليه ، إذ إن عليه تعويلا كبيرا فى ممارسة التحقيق على وجه الدقة والإتقان ، فضلا عن الدربة والدراية لقراءة الخطوط المختلفة .

وليس معقولا أن يكون المحقق خالى الوفاض من علم النحو والصرف وأمثال العرب ، أو لا

يعرف شيئا عن علم العروض والقوافى ... الخ ، وليس مطلوبا منه أن يكون متبحرا فى كل هذه العلوم ، فإن هذا ضربٌ من المحال ، فإن الإلمام بالأصول هو أداته للتحقيق وذلك ـ والحمد لله ـ تعالى ـ رأى الأستاذ الدكتور المحقق الفذ عبدالمجيد دياب ، فإنه يشاركنا ذلك عن عقيدة راسخة .

إن التحقيق فن إيصالنا بالماضى ـ ماضينا العلمى الرفيع ـ وحسبنا من التحقيق أنه يسد فجوة ، هى واقعة لا محالة بيننا وبين ما يحققه ، وبإبرازه لما حقق من تراث قد بنى قنطرة وطيدة يسرت لنا السبيل إلى إشباع حاضرنا بأضواء ماضينا ، وليس ـ إلا التحقيق ـ هو السبيل الذى علمنا به هذا الماضى الرائع ... وهو ماض ليس ككل ماض فيعاب علينا الإشادة به .. لا ، لأنه الماضى العلمى الذى هو قواعد المعرفة المتجددة الروافد فى أيامنا هذه وما بعدها من مستقبل العربية الخالد ..

ثم هو دور المحقق الرصين الذى ـ بأمانته وحدها ، وصبره الفذ ـ يضع أمامنا فكر المؤلف من أجدادنا على خير صورة أرادها هذا المؤلف .

ويرحم الله ـ عز وجل ـ الجميع .



نشأ صديقنا العلامة المحقق الدكتور عبدالمجيد شعبان عبدالمجيد دياب نشأة طيبة فى ريف مصر العزيز ، وقد ولد سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف ١٩٣٢ للميلاد ببلدة (محلة) « شفا » ، مركز بسيون ، من أعمال مديرية الغربية بجمهورية مصر العربية .

كان والده ـ رحمه الله ـ رجلا واعيا لم ينل حظا كاملا من التعليم ، لكنه لم يحرم من دراسة أصيلة ، فقد اكتفى بالثانوية الأزهرية تقريبا ثم التفت إلى شئون أخرى شغلته وصرفته عن إتمام مراحله ، ولئن كان فاته شيء من العلم فقد رزقه الله ـ تعالى ـ بهذا الابن المكافح العالم المحقق والمؤلف الكبير الذى عوَّض ما فات ، فامتد له من أبيه وامتد لأبيه منه هذا الصرح العلمى الذى أشرق إشعاعه على العربية أين حلت .

وأكثر عظماء مصر والعالم ممن غيَّروا وجه التاريخ هم من ذلك الريف الوريف الظلال ، الممدود الأفياء .

وليس الدكتور دياب هو الابن الوحيد لأبيه ، بل له شقيقتان ، وقد توفيت أمه ـ رحمها الله ـ أثناء طفولته ، فتزوج أبوه وأنجب إخوة وأخوات آخرين ..

لقد كانت البداية شديدة الصعوبة ، والأيام تحمل فى أطوائها ، وألفافها وتجاليدها كل ما هو شاق مؤلم ، وليس خافيا على أحد ما يلقاه إنسان عندما تغيب الأمومة الأصيلة ؛ لذلك كان صاحبنا يرزح تحت نير هذه الظروف ، ولولا لطف الله ـ تعالى ـ وبره به إذ اختلف إلى كتاب القرية ؛ فحفظ القرآن الكريم فى شرخ صباه فما إن بلغ أربع عشرة سنة حتى كان أتم حفظه ، فكان ذلك فاتحة خير وبركة ، شرح الله بها صدره ، وقوّى بها عزيمته ، ودفعه دفعا إلى التوفيق والتمكين .

كان كما لابد أن يكون عصاميا فى هذا الريف ، وكنف زوج أبيه حتى لا تقضى عليه كلتا القسوتين ، وفيه يصدق قول الشاعر :

نفس عصام سوّدت عصامـــــا
وعلمتـــه الكـرّ والإقدامـــا

فمرق وانطلق إلى سماء المجد فى همة وإصرار ، لا يلوى على شىء ، ولقد يذكر ما مر به الدكتور عبدالمجيد بقول الإمام الشافعى - رضى الله عنه - :

وكربٌ نازلة يضيق بها الفتى
ذرعـا وعنـــد الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفـــرج

خرج إلى الحياة مولعا بالعلم ، متيما بالثقافة ، مشغوفا بالمعرفة .

عكف على كتب المنفلوطى فقرأها قراءة متأنية ، إذ كانت هناك ثلاثة أجزاء أو أربعة مقررة على السنة الأولى الابتدائية ... فشعر بارتياح إلى أسلوب المنفلوطى ، وإنشاءاته التى تنطوى على رصيد ضخم ، وثراء هائل من القيم الشعورية والوجدانية ، ناهيك بالسخاء النفسى والأدبى ، لاحتوائها على ألوان مختلفة من أحداث الحياة مصوغة بأسلوب مشوق جذاب ، وأحداث رهيبة مسوقة فى صياغة أدبية رائعة ..

حقا : لقد كنا صغارا ونحن نقرأ « نظرات » المنفلوطى و « عبراته » ، فلا نملك أنفسنا من البكاء من شدة التأثر والانفعال .

كانت هذه « النظرات والعبرات » تسرد كثيرا من أحوال الحياة والأحياء ، فهذا موسرٌ غنىّ دهمته النوائب ، ونزلت به النوازل فتركته معوزا لا يكاد يجد قوت يومه .

وهذا آخر كان جوادا معطيا بالأمس فإذا هو يسأل الناس : أعطوه أو منعوه ..

ثم ذاك الحبيب المخدوع الذى مَحّضَ الود ، وأخلص البذل لمن يحب ثم كشفت له الأيام كم كان غرا وغافلا ... الخ .

هذا هو شأن الحياة ودولاب الأيام : غنى يفتقر ، وفقير يصير غنيا ، محب مسئوم مملول ، وملول سائم محبوب ، ودواليك .

وارتحل عبدالمجيد إلى الأزهر ،وصحبه والده إليه .. حيث التقى بالشيخ تاج وتحدث إليه وأحسن الشيخ استقباله .

ثم اشترى له والده - رحمه الله - من حى الأزهر مجموعة من الكتب والمتون فى مختلف العلوم المقررة عليه آنذاك ، بلغ سعرها - وقتئذ - ستين قرشا صاغا ، فإذا عاد إلى بلدته لإجازة عكف بمكتبة بلدية طنطا ، يختلف إليها ليقرأ بنهم وشغف ، وفى هذه المكتبة قرأ « ماجدولين » للمنفلوطى ، واستدرجته القراءة إلى مؤلفات ومترجمات أخرى لغير المنفلوطى .. حتى صارت لديه حالة إدمان . وهو الإدمان المحمود المغبة ، الجميل العاقبة .. إدمان القراءة والبحث والدراسة .

واصل عبدالمجيد الدراسة بالأزهر حتى حصل على الثانوية ثم التحق بكلية دار العلوم وفيها تخرج .

وفى سنة أربع وستين وتسعمائة وألف الميلاد ١٩٦٤ كان فى الثانية والثلاثين من عمره تقريبا

ـ فتزوج ، وأعقب ولدا وبنتا .

ثم حصل على درجة الماجستير فى تحقيق التراث وأثره فى الأدب العربى من جامعة القاهرة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد ١٩٧٣ ، وكان سبق أن حصل على دبلوم فى التربية وعلم النفس سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف ١٩٦٣ ، ثم نال الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة القاهرة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وألف .

ويعمل ـ حاليا ـ بمركز تحقيق التراث « بالهيئة المصرية العامة للكتاب » . كما يعمل أستاذا للدراسات العليا بآداب قنا ، والمنيا ، والمنوفية ، وقناة السويس . كما يعمل أستاذا زائرا بالبلاد العربية .

وهو عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بلجنة تحقيق التراث ، فضلا عن كونه خبيرا بمجمع اللغة العربية .



من أساتذته الكرام الذى ينطوى لهم على تقدير شديد وحب بالغ عميق فضيلة الشيخ عبدالحكيم سرور ، والأستاذ محمود شاكر ـ أطال الله عمره وشفاه وعافاه ـ والشيخ محمد حجاج ، والمرحوم محمد أبوالفضل إبراهيم .



أما عميد المحققين أستاذنا البحاثة إبراهيم الإبيارى ـ رحمه الله ـ فقد كان من كلينا (من الدكتور دياب والسيد الجميلى) مناط الثريا إذ كان يختص كُلا منا بحَدَب وإشفاق ودفء أبوى خالص .

كان عبدالمجيد دياب من أخلص أحباء الإبيارى ، ولما لم يعقب أبناء ؛ فقد اتخذ من دياب إبنا له يحوطه برعايته ، ويتعهده بعنايته .

كان عبدالمجيد دياب بمثابة قطعة من كيان الإبيارى ، تسكن قلبه ووجدانه ، وأراد ـ رحمه الله ـ أن يكون قريبا منه مثوى وإقامة ؛ فاختار له شقة فى منيل الروضة حيث يسكن ليكون قريبا منه ؛ وحتى لا يكون بعد الدار الشطون داعيا لندرة المزار .

كان الإبيارى آية من آيات الله فى التواضع والعلم والحلم ، ورقة الشعور ، وسهولة الطبيعة ، ورهافة الإحساس .... وكان ـ إلى ذلك ـ ، ـ رحمه الله ـ مهيبا ، وهذه المهابة تصنع مسافة واسعة وعميقة بينه وبين مريديه ، لكن المختارين يقربهم منه بكل مستطاعه بإذابة هذه المسافة .

وهذا ما حدا به إلى اجتذاب عبدالمجيد دياب الباحث الألمعى الموهوب ، فقد احتواه أستاذه الإبيارى عندما كان مديرا لإدارة التراث سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف ١٩٦٣ ، لما رأى فيه من طهارة ونظافة وإتقان .

لكن شيئا أصيلا ربط بين هذين المحققين الكبيرين .. ذلك هو تماثل أخلاقهما تماثلا عجيبا فإن من يرى عبدالمجيد دياب فى أريحيته ودماثة خلقه وطيب غراسه ـ يكاد يرى الأستاذ الإبيارى ـ رحمه الله ـ ، بما كان مفطورا عليه من العلم والتواضع والحياء .

ـ رحم الله ـ الإبيارى وأطال عمر صديقنا العبقرى الأستاذ الدكتور عبدالمجيد دياب .. آمين آمين .

نشاطه العلمي والتأليفي والتحقيقي :

صنف وألف د . عبدالمجيد دياب كثيرا من الكتب التي تدل وتشهد على طول باعه ، وامتداد ذراعه في عالم التحرير والتصنيف .

أهم هذه الكتب المؤلف الموضوعة :

ـ تحقيق التراث العربي ، منهجه وتطوره ، نشر دار المعارف سنة ١٩٩٢ م .

ـ أبو الطيب المتنبي ، سلسلة أعلام العرب ، العدد ١١١ .

ـ أبو العلاء المعري ، الزاهد المفترى عليه .

ـ خلاصة المتنبي ، شرح ودراسة ، دار سعاد الصباح سنة ١٩٩٢ م .

تحقيقـات :

١ ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبدالباقي اليماني . (مجلد طبع في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض سنة ١٩٨٦ م .) .

٢ ـ شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري (أربعة مجلدات) .

ـ سلسلة ذخائر العرب رقم (٦٥) دار المعارف بمصر طبعة ثانية سنة ١٩٩٢ م .

٣ ـ تاريخ الأقباط . من خطط المقريزي .

٤ ـ ربيع الأبرار للزمخشري . (خمسة مجلدات . نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب . مركز تحقيق التراث) .

٥ ـ تاريخ اليهود . من خطط المقريزي .

٦ ـ الأدب في الدين ، المنسوب للقراف ، كتاب اليوم ، العدد ٣٠٧ ، إبريل ١٩٩٠ م .

٧ ـ رسالة في علم الموسيقا للصفدي بالاشتراك مع غطاس عبدالملك . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ م .



هذا جانب من نشاط الأستاذ الدكتور عبدالمجيد دياب التحقيقي الذي قدمه للمكتبة الإسلامية والأدبية وغيره الكثير والكثير مما يدل على رسوخ قدمه وقوة أثره وتأثيره في عالم اليوم العلمي والثقافي المشهود .

وللدكتور دياب نفس العقيدة التي كان يؤمن بها ويرددها دائما أستاذنا الإبياري ـ رحمه الله ـ وقد قالها لي (صاحب هذه الدراسة) أكثر من مرة ، وهي : أن مجد التحقيق وازدهاره لن يعود أبدا إلا بعودة القسم الأدبي لدار الكتب المصرية إلى ما كان عليه من خالي مجده ، وسالف ازدهاره .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أكرم مسئول أن ينفع به وبعلمه ، وأن يجعله من أهل الله الخلصاء الحنفاء المقبولين كفاء ما أعطى ولقاء ما قدّم وسوّغ من علم نافع ، أطال الله عمره وسدد خطوه وبارك خطواته ، وشكر سعيه وتقبل منا ومنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين .

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

٤

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

هناك واقعة يرويها (الصولى) ، بقوله :

حدثنى على بن عيسى ، قال : كان البحترى معى جالساً ، فسلَّم علىَّ ابنٌ لعيسى بن المنصور ، فقال لى : من هذا ؟

قلت : هذا ابن عيسى بن منصور ، الذى يقول ابن الرومى فى أبيه :

يُقتِّــرُ عيســى على نفســه ... وليــس بــباقٍ ولا خالــد

فلو يســتطيع لتقتيــره ... تنفَّــس من منخــر واحــد !

فقال لى : أُفٍّ وتُفٍّ ! هذا من خاطر الجن ، لا من خاطر الإنس ، ووثب ومضى ..[1]

ونحن مع البحترى فى نسبة شعر الهجاء إلى إيعاز أو إيحاء الشياطين ، لأنه يتفق وطبائعهم الشريرة ، والشاعر - والحالة هذه - يصبح مطيَّة سهلة لهم ، إذا كان ضعيف البصيرة .

* * *

وجاء فى (طبقات الشعراء) للجمحى ، أن الشاعر الفرزدق أتى الحسن البصرى ، فقال له : إنى هجوت إبليس ، فاسْمَعْ .. !

قال : لا حاجة لنا بما تقول . قال : لتسمعنّ أو لأخرجنّ فأقول : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس .. فقال الحسن :

ـ اسكتْ ، فإنك عن لسانه تنطق[2] !

(١) انظر كتاب (نُقل الأديب) للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى - ط دار ريحانى بيروت ص ٤٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٩ .

ولعل الفرزدق كان يعني قوله في قصيدته :

ألا طالما قد بات يُوضع ناقتي ... أبو الجن ، إبليس ، بغير خطام
يظل يُمَنِّيني على الرَّحْل داركا ... يكون ورائي مرة وأمامي
يُبشرني أنْ لن أموت ، وأنّه ... سَيُخلدني في جنة وسلام
فقلت له : هلاّ أخَيَّك(٣) أخرجت ... يمينك من خضر البحور طوامي
رَمَيْتَ به في اليم لما رأيته ... كفرقة طَوْدَيْ : يذبل وشمام(٤)
فلما تلاقي فوقه الموج طاميا ... نكصْتَ .. ولم تحتل له بمرام

* * *

وآدم قد أخرجْتَه وهو ساكن ... وزوجته في خير دار مُقام
وأقسمت يا إبليس أنك ناصح ... له ، ولها .. إقسام غير أثام
فظلاّ يخيطان الوراق عليهما ... بأيديهما من أكل شر طعام

* * *

وكم من قُرونٍ قد أطاعوك ، أصبحوا ... أحاديث ، كانوا في ظلال غمام
وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغي ... رضاه ، ولا يقتادني بزمام
سأجزيك من سوآت ما كنت سُقْتني ... إليه .. جُرُوحا فيك ذات كِلَام
تجيء بها في النار ، والنار تلتقي ... عليك بزقوم لها وضرام

وقد ذكر ابن إسحق أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما أيس من خير ثقيف ، انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوف الليل يصلي ، فمر به النفر من الجن الذين ذكر الله – تعالى – : وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من أهل (جن نصيبين) فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ، ولّوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقصّ الله – تعالى – خبرهم عليه ، فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة الأحقاف)

---

(٣) يعني فرعون الذي غرق في اليم .

(٤) اسم جبلين .

ثم أنزل الله – تعالى – :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ ، إلخ ، القصة من خبرهم فى هذه السورة .

وذكر ابن إسحق – عن محمد بن كعب القرظى – قصة خروج النبى – صلى الله عليه وسلم – إلى الطائف ، ودعائه إياهم إلى الله – عز وجل – ، وإبائهم عليه ، فذكر القصة بطولها ، وفيها دعاء النبى – صلى الله عليه وسلم – : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين . أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى ، أم إلى صديق قريب ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بى غضبك ، أو يحل بى سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

قال : فلما انصرف عنهم ، بات بنخلة ، فقرأ تلك الليلة من القرآن ، فاستمعه الجن من أهل نصيبين »(١)

ومن هذا نعلم أن الشياطين كلهم أشرار ، أما الجن فمنهم المؤمنين الأخيار ، ومنهم الأشرار ، بدليل قوله تعالى فى سورة الجن على لسانهم :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ الجن – ١١

وهناك قصة طريفة ، رواها الجاحظ ، الذى لم يكن له من الوسامة أى نصيب ، ودمامته مشهورة معروفة ، يقول الجاحظ : ـ أخجلتنى امرأة أتتنى وأنا على باب دارى ، فقالت : ـ لى إليك حاجة .. وأريد أن تمشى معى . فقمت معها إلى أن أتت بى إلى صائغ يهودى ، فقالت له : ـ مثل هذا .. وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها ، فقال : إنها أتتْ إلىّ بفصٍّ ، وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة الشيطان ، فقلت لها : ـ يا سيّتى ! ما رأيت الشيطان .. فأتتْ بك !

أما الدكتور عبد الوهاب عزام ، فإنه قال تحت عنوان : (إبليس يهجر الأرض) ، بديوانه (المثانى) :

قال إبليس : يا بنى هلمّوا نهجر الأرض ، خيفة الإنسان
هو يصْلى بناره ، وتـيـمنل بلظاه قبائل الشيطان

وليت الشيطان (عملها) وهجر الأرض ، التى أصبحت تموج بشرور البشر ، الذين يحاولون إطلاق (الذرّة) من عقالها ، وأصبح الإنسان أظلم لأخيه الإنسان ، فى عالمنا المعاصر من أى وقت مضى بما يأتى من صنوف البغى والقهر والعدوان ، ولعل الدكتور عزام ، رحمه الله ، كان يفكر فى هذا المعنى ، حينما صاغ بيتيه هذين .

---

(١) راجع فى مبسوطات السيرة النبوية – رحلته – عليه الصلاة والسلام – إلى الطائف ثم نخلة .

وترى شاعر المهجر شكر الله الجرّ ، يفخر بصداقته لإبليس بدون حياء ، وكأنه يقتفي أثر أبي نواس ، فيقول :

صديقـي إبليـسٌ أديب مُعلـمُ — فصيحٌ أنيقُ البثّ لا يتلعثمُ
رقيق حواشي النفس عذب حديثه — ينفـر طير الهمّ عنّـي فأبسم
إذا ما التويت النظم يوما رأيته — يزيّن لي المعنى الجميل فأنظم
ويلهمني ما ليس يلهم شاعرا — فتهلّ أضواء ، وترقص أنجم
يلازمني كيف اتجهت ، كأنه — لظلي ظل ، لا يملّ ويسأم
إذا غازلت عيني الجمال ، رأيته — تراقص مزهوًّا ، وراح يتمتم

إلا أن شكر الله الجر ، سرعان ما يبدى الندم على مدحه لإبليس ، والافتخار بصداقته له ، حينما يقول في أبيات أخرى ، واصفا شروره ، وكيفية نفاذه إلى نفوس البشر ، عن طريق الحسد والحقد والطمع ، بقوله :

ثلاثة أولاد لإبليس لن تزل — تعيث بهذا الكون شرا وطغيانا
فأولهم يدعونه ، الحسد ، الذي — يشيع الأذى في الناس زورا وبهتانا
وثانيهم ، الحقد ، الذي يحفز الورى — إلى القتل والتدمير .. شيبا وشبانا
وثالثهم قالوا هو ، الطمع ، الذي — يؤجج حربا في الشعوب وعدوانا

ويبدو أنه لم يكرهه بإخلاص ـ والله أعلم ـ فإن شعره هذا لا يرقى إلى مستوى رفيع .

***

وللعقاد قصيدة تحمل عنوان : « سباق الشياطين » يجرى إبليس فيها مسابقة بين أعوانه وأتباعه ، ويجعل جائزة كبرى ، لمن يفوز منهم بقصب السّبق ، في الإغواء والتضليل ، واشترك في هذه المسابقة سبعة من الشياطين ، هم ، شياطين : الكبرياء ، والحسد ، والبأس ، والنوم ، والحب ، والكسل ، والرياء على الترتيب .. وأخيرا ، يظفر شيطان (الرياء) بالجائزة ! إلا أنه رأى شيطان الرياء ـ انطلاقا من طبيعته ونفاقه ، رفض قبول الجائزة ، الأمر الذى حدا بإبليس اللعين ، أن يقول له :

أو تأباها ، ولولاك التجلى — غيهب الأرض فكانت كالنعيم
دونك الدنيا اتخذها منزلا — وتول اليوم أبواب الجحيم !

* * *

من سلسلة كراسات استراتيجية

الأصولية الإسلامية في الإعلام الغربي

تأليف : دكتورة ألفت حسن أغا

عرض وتقديم : عثمان الجوهري

فى الواقع أننا أمام دراسة جادة أردنا مخلصين عرض ملخص واف لها هنا فى - مجلة الأزهر لعلها تحرك المياه لتجرى صافية آخذة معها كل الشوائب .

علينا أن نبدأ خطة إعلامية واقعية مدروسة بذكاء ذات نفس طويل نتعلم منهم ونتسلح بنفس أسلحتهم ونزيد عليه شعاع الدين الحق الساطع دائمًا بإذن الله ـ تعالى ـ .. لا من أجل ظلم وبغى ، بل إنصافًا لدين حنيف مفترى عليه من الغرب ، بل ومن بعض أبنائه الذين جرفهم التيار بعيدًا عن ساحة سماحة الإسلام وعظمته .

ونحن العرب - والحمد لله - لاينقصنا المال ولا الخبراء المخلصين من الرجال .

(*) همت إدارة التحرير بالمجلة أن تعلق على هذه الكلمة ، وإذا صاحبة البحث مدركة خطأ الغرب فى استخدام هذه الكلمة ، وقد قامت بالتعليق عليها ، وساق العارض تعليقها ..... (مجلة الأزهر) .

من المؤكد أن ظاهرة التطرف والعنف السياسي لاتقتصر على البلدان الإسلامية وحدها بل إنها تمثل ظاهرة عالمية - وخاصة بعد نهاية حقبة الحرب الباردة - فقد زاد انتشار هذه النزعات المتطرفة ، وجاء معها الصراع العرقى والقومى والدينى ، وكل هذا ماهو إلا تجسيد لأحد مظاهر النزعات المتعارضة فى فترة انتقال من نظام عالمى تتقاسمه قوتان عظيمتان إلى نظام عالمى ذو قطب واحد هو النظام العالمى الجديد ..

من هنا حظيت ظاهرة العنف [لدى بعض المسلمين] بالذات باهتمام خاص من جانب وسائل الإعلام المختلفة ومراكز الأبحاث وتشكيل الرأى العام فى المجتمعات الغربية لإعداد الدراسات - المتحيزة والمتحاملة على الدين الإسلامى بالطبع - لتكون فى متناول يد صناع القرار السياسى فى تلك الدول الغربية ، وقد يبدو هذا مفهوماً بقدر ماتبدو حركات العنف التى تصف نفسها بالإسلامية مناوئة لمنظومة القيم الغربية وأيضاً بقدر ماتطرح على الساحة من تيارات الإحياء الإسلامى أو الإسلام السياسى ، وتنطلق تلك الحركات من مبررات تعكس فى نهاية المطاف عدم القدرة على التأقلم الإيجابى الفعال ، وبناء أسس الاندماج المتكافىء فى المنظومة العالمية ، غير أن المسلمين فى عيون الغرب يظهرون أحيانا كتلة صماء ومتهمون بالتطرف والإرهاب برغم أن بعض الأصوات الغربية - رغم قلتها - تتسم بالموضوعية تدرك وتفهم مدى تشوه هذا التصور وزيفه ، لأن هذا التصور خاطىء عن قصد وجهل فى أغلب الأحيان ؛ وإذا كان الغرب فى عيون المسلمين كتلة صماء أيضاً إنها ترجع معاناة المسلمين من التخلف والتبعية والمعاناة من الكيل بمكيالين وغير ذلك من الشرور والآثام .

إن الضرورة تقتضى بذل جهد مضاعف متبادل لتصحيح صورة كل طرف لدى الآخر ليتواصل الحوار الحضارى والثقافى ولتعميق روح الاحترام والتفهم العميق ؛ وذلك يتطلب بطبيعة الحال إبراز وجه السماحة فى الإسلام وغيره من الأديان وتصفية الأسباب التى تولد التطرف لدى بعض المسلمين وأيضاً غيرهم .

إن هذا الموضوع الشائك لم يشهد التاريخ الأوروبى مثله منذ العصور الوسطى بحروبها الصليبية بمعنى أنه لم تحدث دراسة منصفة تتناول الإسلام بعيدًا عن الإطار الذى تفرضه المصالح السياسية والمنافع الاقتصادية إلى جانب التحيزات المسبقة ؛ فقد ساد اعتقاد خاطىء لدى الغرب بأن الإسلام دين شيطانى مغلف بالردة والكفر والغموض - سبحان الله وتعالى عما يصفون - ولم يعرف الغرب ولا المسلمين فى العصر الحديث إلا موردين للنفط ذلك الذهب الأسود ، وأيضاً مصدرين للإرهاب ، وسوقاً هائلة لتصريف منتجات الغرب .. وبذلك أبعدوا الإسلام عن أبعاده الإنسانية السامية التى تميز الدين والحياة فى العالمين العربى والإسلامى .

ضغط إعلامى

وهناك ضغط إعلامى مكثف وبذكاء - تعرضت له الباحثة فى كراستها - حيث هناك ضغوط إعلامية غربية مستمرة تصف الإسلام بالتطرف والعنف ، ويلتزم الإعلام الغربى مفاهيم مسبقة ظالمة ويقدمها - بهذا الشكل - إلى صانعى

القرار السياسى إلى جانب ما يصحب ذلك من خلق صورة إعلامية مشوهة يتم ترسيخها - باستمرار وبخبث نادر - فى الثقافة الغربية وبالتالى يتم ترويجها جماهيرياً ، وبذلك أضحى الإسلام الحنيف هدفًا لوسائل الإعلام الغربى مما يخلق إجماعا مريبًا على أن الإسلام يمثل تهديدًا للحضارة الغربية وصار بديلاً عن الخطر الأحمر فى فترة الحرب الباردة - ألا وهى الشيوعية - بل صاروا يسمون الإسلام بالخطر الأخضر بل وصفوهُ - لا سامحهم الله - بأنه السرطان الذى ينتشر حول العالم مهددًا شرعية القيم الغربية وبذلك اعتبروه العدو الطبيعى للغرب .

ولعل افتقاد العالم الإسلامى إلى وكالات أنباء قوية ومتطورة وذات شبكات دولية ويقابل هذا النقص عند العالم العربى والإسلامى توافر سيادة الوكالات الغربية فى هذه التغطية المتجنية على العالم الإسلامى فى الغرب ، وقد ساهمت عدة عوامل فى تحقيق هذه الأغراض الظالمة ، والتغطية المشوهة والمتحيزة مثل : رواسب الحروب الصليبية فى العصور الوسطى وسيطرة الامبراطورية العثمانية على مساحات واسعة من أوروبا الشرقية التى استمرت إلى فترة الحرب العالمية الأولى .

وأيضاً يساهم فى ذلك الضغط الإعلامى تلك الرسائل الإعلامية السلبية التى ترسلها بعض الشعوب الإسلامية نفسها مثل : ظاهرة خطف الطائرات [التى كانت فى مرحلة ما من مراحل النضال الفلسطينى لاسترداد أرضه وتسوا أنها دفاع عن وطن سليب] وتتم عادة معالجة مثل هذه الأمور بشكل يتسم بسوء الفهم وسوء النية معًا ، ولا بأس من التضخيم المبالغ فيه مع أن الفهم الصحيح والتحليل العميق للمعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام الغربية من الأمور الهامة لدى واضعى أساس الاستراتيجية الإعلامية بقصد المواجهة ، وعلى أمل اختراق الإعلام الغربى وإقامة حوار بنَّاء للتأثير على العقلية الغربية ولتصحيح الصورة المتطرفة للإسلام والمسلمين لدى الغربيين .

لذلك ينبغى أن يتم إبراز التعاليم الحقيقية للإسلام الحنيف ودعم دور وسائل الإعلام والمراكز الثقافية للبلدان الإسلامية حتى يواجه الإسلام ذلك التحدى الحضارى بخطاب حضارى متماسك ليقضى على الكراهية المتزايدة فى العالم الغربى ويعالج فى نفس الوقت التفسير الخاطىء والمتحيز للتطورات مع العالم الإسلامى ، والذى يقع على المسلمين عبء كشف هذا وتصحيح صورته الراهنة .. حيث يتعرض الإسلام إلى تعميمات ظالمة حول جماعات اجتماعية أو إطلاق صفات خاطئة يتم إلصاقها بكل أعضاء جماعة بعينها بغض النظر عن الاختلافات التى توجد بالضرورة بينهم [ولا شك ان عدم الاهتمام بهذه الاختلافات وتضخيمها] .. ومما لا شك فيه أن القوالب الثقافية العامة واختيار وسائل الإعلام الإخبارية للصور والكلمات مع حذف بعض المعلومات والنتائج المحتملة للاحتكار وخاضعة للمفاهيم المسبقة تتكاتف كل هذه العوامل لتخلق لنا فى النهاية الخرافات حادة فى الرؤية وبالرغم من وجود شبكات المخابرات الواسعة فإنه لا بأس لدى صانعى القرار السياسى من أن يأخذوا الكثير من المعلومات ويشكلوا آراءهم - وبالتالى - قراراتهم بناء على الرسائل التى تبثها وسائل

الإعلام الغربية والتى تعمل بدورها ضغوطًا متعددة من أجل قبول هذه القوالب والتسليم بسهولة بها .

وينبغى علينا فى العالم الإسلامى ألاّ نتجاهل القوة الهائلة التى تتمتع بها وسائل الإعلام الحديثة ، فى تشكيل رؤية وإدراك الأفراد والشعوب المنتمية إلى ثقافات مختلفة ، ولا يخفى ماتقدمه وسائل الإعلام الغربى من تحريف متعمد وتهميش مقصود لكل مايتصل بالعالم الإسلامى والعربى .

التغطية الإعلامية

تواصل الباحثة فى دراستها القيمة والمختصرة حديثها عن القنوات الأساسية للجهاز الثقافى الذى ينقل صورة الإسلام إلى الأوروبيين والأمريكيين تتضمن شبكات الإذاعة والتليفزيون والصحف اليومية وتشكل هذه الآلة الإعلامية الجبارة مصدرًا لتفسيرات وتقديم صورة للإسلام - كما يريدون هم - تعكس بغير شك المصالح القوية لهم فى الغرب والذى تسعى لخدمته وسائل الإعلام بشكل ذكى وبنفس طويل لايعرف الارتجال ولا التهادن .

إن الصورة الإعلامية المشوهة للمسلمين والإسلام والتى يتم تأصيلها وترسيخها فى مفاهيم الغرب وترويجها وتوصيلها للجماهير الذين يقومون بدورهم بنقلها إلى عدد آخر من الجماهير المتلقية وتتدفق هذه المعلومات المضللة عن العرب والمسلمين إلى جماهير الغرب من خلال هذا السيل الإعلامى الذى صار لايتوقف فى ليل أو نهار .. حتى الرسوم الكاريكاتيرية تستخدم كذلك فى تشويه الصورة الإسلامية بكل قوة وبكل قسوة وهذا بدوره يخلق انطباعاً سيئاً لدى المتلقى بأن كل المسلمين « إرهابيون » وأن كل العرب « همج » فى حين هناك أعضاء عصابات فى الغرب مثل : عصابة بادارامايهوف لايتم توصيفهم باعتبار أنهم « إرهابيين مسيحيين » وهناك العشرات من هذه العصابات فى كثير من دول أوروبا .

ويتصور الناس فى الغرب ومجتمعات أوروبا وأمريكا أن الإسلام دائماً هو خطر قائم يواجه الغرب .. ولعل ذلك راجع لأن العالم الإسلامى - بتكاسله وارتجاله - لايتمتع بالتغطية الإعلامية الكافية الموضوعية والمنصفة فى وسائل الإعلام الغربية .. وتشكل المشكلات اللغوية وغياب وكالات الأنباء الإسلامية المتطورة ذات الشبكات الدولية الواسعة ، وأيضاً تحامل المراسلين الأجانب وتصوير العالم الإسلامى فى الغرب بشكل مخل وظالم وبعيد عن الحقيقة .

* * *

وفى مقال نشرته مجلة « الفورين أفيرز » للكاتب صمويل هانتنجتون قال :

- إن الصراع الإسلامى الغربى سيصبح جزءًا أساسياً من السياسة الدولية ونجد صدام الحضارات يصنع تصوراً معيناً للمستقبل يحل فيه صراع الحضارات السلمى محل الحرب الباردة والمعارك الأيديولوجية .

وهناك فريق آخر يرى أن العلمانية المتطرفة كانت من العوامل الأساسية وراء ظهور مصطلح « الأصولية » كرد فعل ، وتعد رؤية هانتنجتون بأن الخطر القادم يأتى من العالم الإسلامى ولم يقدم أدلة كافية لهذا الزعم وحتى بدون مناقشة الاتجاه الغربى البديل الذى يرى أن اعتبار الإسلام عدوا

للغرب يهدد مصالحه ، هو مبالغة وتحريف لطبيعة الإسلام بل وإنكار للحقائق الأساسية للعالم الإسلامي وعلاقاته المختلفة بالغرب .

تعبير الأصولية

ورغم أن تعبير الأصولية غير ملائم بإضافته إلى الإسلام إلا أنه واسع الانتشار والتاريخ يؤكد أن لفظ الأصولية كان يطلق على البروتستانتية الأمريكية لوصف الظاهرة التى شاعت نتيجة سلسلة من الكراسات الدعائية التى تسمى « الأصولية » والتى نشرت لأول مرة فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٠م ولقد استخدم هذا التعبير بعد ذلك فى دول أخرى كبيرة بروتستانتية كإشارة إلى جماعات معينة قد انحرفت عن اتجاه الكنائس الرئيسية وهذا الاتجاه رفض تجديد الفكر الدينى ونقد الإنجيل وتأليه النص الإنجيل .

● وفى كتاب « التهديد الإسلامى أسطورة أم حقيقة» حاول مؤلفه « جون أسبوزيتو » تحليل مصطلح الأصولية الإسلامية واعتبره مصطلحاً يدل على التمركز حول الذات حيث ترجع كلمة « أصولى » إلى المراقبين غير المسلمين الذين يصفون الحركات السياسية فى العالم الإسلامى المعاصر بمصطلحات وتعبيرات تنبع فى الأساس من التجربة الغربية ، ذاتها وهذا المصطلح الذى يطلق فى العالم الإسلامى مضلل وغير دقيق بل وغير إنسانى أيضاً .

لقد بدأت كلمة الأصولية تكتسب معنى محددا فقد جمع « مشروع الأصولية » الذى أقيم فى مدرسة اللاهوت « بجامعة شيكاغو » وضم عددا كبيرا من الأكاديميين من كافة أنحاء العالم ذوى تخصصات متنوعة ووجهات نظر مختلفة ، فقد كان هناك إجماع على ماهية الحركات الأصولية وأسباب ظهورها بهذه القوة فى نهاية القرن العشرين ، وقد تم جمع هذه المناقشات فى ست مجلدات ضخمة .. وهناك قدر من الاتفاق بين الخبراء حول ظاهرة الإحياء الدينى الجديدة التى من أهمها :

● سقوط الماركسية وإخفاق الحكومات الوطنية فى الوفاء بالوعود التى أعلنتها بعد الاستقلال .

إرشـــادات للغـــرب !

□ ونواصل التقليب فى صفحات هذه الدراسة الاستراتيجية المركزة فنقرأ مثلاً :

ـ مقالاً كتبته الباحثة « جوديث ميللر » قالت فيه : إن هؤلاء الذين يوقنون بحقوق الإنسان العالمية وخاصة حقوق المرأة والحكومات الديمقراطية والتسامح والتعددية السياسية والسلام بين العرب وإسرائيل لا يمكن لهم أن يتهاونوا بشأن القوة المتزايدة لحركات العنف الإسلامية -!!- فى معظم دول الشرق الأوسط .

بل نجد الباحثة الغربية « جوديث ميللر » تدعو الحكومات الغربية إلى الاهتمام بهذه الحركات بل بضرورة محاربتها لأن التزام الحركات الإسلامية الجهادية ، بالديمقراطية والتعددية هى مجرد التزام خطابى ، ولأن هذه الحركات معادية للغرب ومعادية لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل .. وهناك من يقول : إن هدف الأصولية الإسلامية هو شن الجهاد المقدس ضد الغرب وإن كان هذا



يعتبر قولا بغير معنى – ويدعو هؤلاء إلى ضرورة مواجهة هذه الحركات التى هى – فى نظرهم – تقوم على أساس كراهية الغرب وما يمثله من قيم .. وإن كان المنطق يقتضى ألا يتحيز الغرب مسبقاً ضد الإسلام ويعتبره العدو الجديد .. فظاهرة الأصولية الإسلامية قد اتخذت العديد من الأشكال وليست كلها قادرة على إلحاق الضرر بالغرب ..

الخطــر الأخضـــر

– يشير «ليون هادار» فى مقال له بنفس العنوان «أى خطر أخضر ؟» يشير إلى أنه بعيداً عن كونه إذا نظر إليه – أى الإسلام – كقوة موحدة يكاد يصل ثانية إلى أبواب فينا أو شواطىء أسبانيا ، فإن الإسلام حالياً فى حالة دفاع عن النفس ضد الأصولية المتطرفة المعاديــة للإسلام ففــى يوجوسلافيا السابقة مثلا – هنــاك شعب « البوسنة والهرسك » وكوزوفو المسلم العلمانى المنتمى إلى الحضارة الغربية مهدد بالفناء على يد الصرب الذين لهم صلة وثيقة بالكنيسة الشرقية الأرثوذكسية من أجل محاصرة انتشار الإسلام وامتداده إلى قلب أوروبا . وفى فرنسا والمانيا وغيرهما من الدول الأوروبية تحاول الجماعات الإرهابية العنصرية عندهم ويسعى النازيون الجدد إلى طرد العديد من المهاجرين المسلمين بكل عنف ولا يريدون أن يطلقوا عليهم الإرهاب المسيحى .
وفى كتاب جون اسبوزيتو «التهديد الإسلامى» أسطورة أم حقيقة : يرى أنه لو استمرت القوى الغربية فى المساندة والدفاع عن الوضع الحاكم القائم غير العادل فى منطقة الشرق الأوسط بحجة الدفاع عن استقرار وهمى فهنا سيصبح الإسلام تهديداً أما إذا بدأت القوى الغربية فى الاعتراف بالمطالب العربية الشرعية فى الشرق الأوسط فقد تتحول الحركات الإسلامية إلى شركاء فى إقامة نظام عالمى أكثر عدلاً وأن الحركات الإسلامية يجب أن تأخذ فرصتها فى النجاح أو الفشل .

وتأتى فى نهاية هذه الدراسة بعض الإرشادات التى قدمها لنا غسان سلامة منها :

– يجب على الحكومات الغربية أن تسعى لمعرفة ماهى هذه الجماعات وماذا تفعل ؟ فالنظر إلى كل الجماعات الإسلامية باعتبارها التهديد الوحيد للمصالح الغربية ، وليس من العدل أن ينطوى على تجاهل للاختلافات المتعددة الموجــودة بين الإسلاميين أنفسهم .

– ينبغى على الغرب تشجيع الأنظمة الحالية على دمج القوى الإسلامية المعتدلة تدريجياً فى السلطة ولا يمكن الاستمرار فى تجاهل ذلك التيار الأيديولوجى الإسلامى .

– إن المعايير المزدوجة للغرب وسياسة التدخل العسكرى والتركيز على الجانب الأمنى فى التوجه الغربى نحو العالم الإسلامى قد تدفع بدون شك إلى وصول الإسلاميين إلى السلطة .

الرد المطـــلوب

إن الأخطار التى يواجهها العالم الإسلامى عموماً تغذيها الدعاية الصهيونية وتدفعها المصالح الاقتصادية الضخمة ، ولذلك على العالم العربى والاسلامى أن يضع خطة مواجهة استراتيجية لتوضيح حقائق الإسلام الحنيف وروحــه السمحة .

ـ لا بد من إبراز تعاليم الإسلام الحقيقية وأسسه الأخلاقية مع التركيز على قيم الحق والعدل والمساواة والكرامة الإنسانية ، ويجب نشر كل هذه الصور العظيمة فى مختلف صور أجهزة الإعلام الغربية من أجل خلق فهم أفضل للإسلام وقيمه النبيلة .

ـ يجب مراجعة بعض المسلمات الغربية عن الإسلام كالتغنى بغياب الديمقراطية ، وربط الإسلام بالعنف والإرهاب مع البعد عن صب القوالب التى تشوه صورة الإسلام والمسلمين التى تمثل انتهاكاً مباشراً لحقوق الإنسان وأيضاً تمثل أساساً عائقاً يمنع إقامة الحوار مع الغرب .

ـ لا مجال للشك فى أن هناك حاجة ماسة لكشف حقيقة الإسلام وجوهره مع امتلاك القدرة على إبراز هذه الحقائق ونشرها وهذه مهمة ملحة وحاسمة تواجه المسلمين للقضاء على الصور المشوهة السائدة عن الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية وإتهام هذا الإعلام للدين الإسلامى بأنه دين الفوضى والوحشية والغموض .

ـ على علماء الإسلام أن يصححوا هذه الصور بنشر المبادىء والأسس الحقيقية للإسلام حتى لايستمر الإعلام فى التشويه الدائم للإسلام وتقديمه للمواطن فى الغرب بشكل يوجد العداء بين الغرب والإسلام .

ـ يعتبر الفهم والتحليل الدقيق للمعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام الغربية نقطة البداية كأساس لاستراتيجية إعلامية للمواجهـــة ، ولتستطيع اختراق الإعلام الغربى ولإقامة حوار للتأثير على العقلية الغربية وليكن هذا من خلال وسائل إعلامية إسلامية – لحماً ودماً – من : صحف ووكالات أنباء قوية وتليفزيون .

ـ هناك منظمة الإذاعات الإسلامية والمراكز الثقافية الإسلامية ومعها الشخصيات الإسلامية المعروفة كل واحد فى مجاله : السياسى والفلسفى والمهنى، الكل عليهم أن يتحركوا للدفاع عن القضية الإسلامية ومعهم السفارات الإسلامية فى تلك الدول الغربية ، والكل يتعاون فى إخلاص لبذل الجهد اللازم لمواجهة تلك الموجات العدوانية الشرسة ضد الإسلام سواء على المستوى الشعبى أو الرسمى .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

والكاتب القارىء عزيز على المجلة، وترجو المجلة كذلك ومحرروها جميعا أن يقدموا له أرفع ثقافة فى الدين والأدب والحياة. كذلك تود المجلة من القارىء الذى يرنو إلى الكتابة فى هذا الباب أن يتخير الموضوعات التى تتسم بالطرافة والجدة وتحمل مضمونا فريدًا فى بابه، وبالجملة لاتكون مطروقة بشكل يقضى على عنصر الجاذبية لها.

ولقد لاحظنا – مع كل تقديرنا لمكاتبينا فى هذا الباب – أنهم يتحدثون عن موضوعات مطروقة بشكل كثيف، كما أن بعض الموضوعات التى يتحدثون فيها هى من صميم واجب المجلة، ويندر أن تتركها، بل تقدمها بأقلام المختصين.

لقد وردت للمجلة كلمات لو أن جوانبًا منها، عولجت مستقلة بعيدة عن عنوانها العام لجذبت فكر القارىء قبل عينيه، فلو أن الكاتب اختار موضوعا حول إحدى العالمات المسلمات، وقدم عنها سجلاً حافلاً عن مؤلفاتها ومنهجها وما قدمت من ذخيرة علمية فذة لكان خيرا له من الكتابة بعنوان «تعليم المرأة» فإن تعليم المرأة ليس محل نزاع.

ولسنا نريد أن نطرق الأمثلة من هذا اللون بكثرة لكنا نرجو أن يتعاون معنا كتاب هذا الباب، فيتصيدوا الخواطر الطيبة من مطالعاتهم المختلفة فى اللغة والدين والتاريخ والأدب وغيرها مما يجعل من هذا الباب باقة تتنسمها بشوق عيون القارىء. والله الهادى إلى سواء السبيل.

تحذير المقنطين من رحمة رب العالمين

جاءت رسالة القارىء : حاتم إبراهيم محمد سلامة – سنجرج – منوف :

ـ تحمل هذا العنوان : [تحذير المُقنّطين من رحمة رب العالمين] .

☐ يقول فيها :

ـ قال تعالى :

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾

[سورة الزمر – ٥٣]

فكما أن من الناس يَقْنَطُ من رحمة الله فمنهم أيضاً من يُقنّط من رحمة الله .

ـ فعن جندب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدّث : « أنّ رجلاً قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال : من ذا الذى يتألى علىّ أن لا أغفر لفلانٍ ، فإنى قد غفرتُ لفلانٍ وأحبطتُ عملك »

[رواه مسلم والطبرانى فى المعجم الكبير]

وعن أبى هريرة قال : مرّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رهط من أصحابه وهم يضحكون فقال : « ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، فأتاه جبريل فقال إن الله يقول لك : لِمَ تُقنّط عبادى ؟ قال : فرجع إليهم فقال سددوا وأبشروا »

[رواه ابن حبان – موارد الظمآن – وقال إسناده حسن صحيح]

وعن أبى هريرة : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كان رجلان فى بنى إسرائيل مُتواخيين ، فكان أحدُهما يُذنِبُ والآخر مجتهد فى العبادة فكان لا يزل المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أَقصر فوجده يوماً على ذنب فقال له : أقصر فقال : خلنى وربى أبعثت علىّ رقيبًا ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك أو لا يُدخلك الله الجنة ، فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد : أكنت بى عالماً ؟ أو كنت على ما فى يدى قادراً ؟ وقال للمُذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » .

« فقال أبو هريرة : والذى نفسى بيده لتكلم بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته »

رواه أبو داود « حسن »

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تواصل المجلة اهتمامها بعرض الرسائل التى تتلقاها تباعاً .



* القارىء : على حدون أحمد محمود ـ كفر الشيخ ـ دسوق ـ العجوزين ـ عزبة عون .

يمكنك الاتصال بإدارة التوريدات ، فهى الجهة الوحيدة التى يرد إليها ما قد يعود من أعداد مجلة الأزهر من السوق .

* القارىء : محمد أحمد البنا ـ محافظة البحيرة ـ مركز ادكو شارع البساتين .
* القارىء : جمعة شعبان أحمد غرباوى .

وردت بعض أحاديث غير مخرجة فيما أرسلتما من موضوعات بعنوان : « الحق » ، « الصداقة مفتاح السعادة » . نرجو سرعة موافاتنا بمراجع هذه الأحاديث حتى نتمكن من نشرها .

* القارىء : أحمد عبدالكريم البسيونى ـ كلية اللغة العربية ـ إيتاى البارود .

مساهمتك جيدة ، نشكرك ، وننتظر مساهمة أكثر استفاضة .

القارىء : محمود فوزى غانم
قرية دراجيل - مركز الشهداء - المنوفية

اقترحتم تخصيص مساحة فى كل عدد للتعريف بدولة من دول العالم الاسلامى ، من حيث : الموقع - عدد السكان - أهم المدن - اللغة السائدة - إلخ

وهو اقتراح طيب . وننتظر مساهمتك فى هذا الشأن .

القارىء : مصطفى كمال عيسى
اسيوط - موشا

نرحب بكل ماترسل به إلى المجلة من أفكار جيدة ومقالات نافعة . وسينشر منها - بإذن الله تعالى - ماتراه إدارة التحرير صالحاً للنشر .

القارىء : مصطفى فولى موسى خليل - المنيا - دروه - أم برق .

نشكر لكم اهتمامكم ومتابعتكم لماينشر بباب المجلة قارىء .

وقد وقع خطأ مطبعى فيما نشر تحت عنوان «الإمام النووى» حيث نشر أن الإمام النووى ولد فى سنة ٣٦١ هـ وصحته ٦٣١هـ .
شكراً لتصحيحكم

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسي
مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر فى باكستان

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لدولتى باكستان والهند فى الفترة من ١ - ١٠ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ١٤ - ٢٤ من أكتوبر ١٩٩٦، وذلك تلبية للدعوة الموجهة لفضيلته من حكومتى الدولتين، وذلك فى إطار توثيق العلاقات والصلات المشتركة بينهما وبين الأزهر الشريف فى المجالات الثقافية والدينية والتعليمية.

وصل فضيلة الإمام الأكبر إلى كراتشى يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٩٦، حيث كان فى استقبال فضيلته والوفد المرافق له السيد/ كمال أظفر محافظ إقليم السند والسفير المصرى محمد نعمان جلال وكبار المسئولين وأعضاء البعثة الأزهرية ورئيس جمعية الصداقة الباكستانية.

وفى بداية الزيارة قام فضيلته بزيارة ضريح القائد الأعظم/ محمد على جناح مؤسس دولة باكستان.

ثم قام فضيلته بزيارة لجامعة كراتشى وعقد لقاء مع القائمين على إدارتها حيث ألقى كلمة أكد فيها على ضرورة استمرار التعاون بين الجامعة وجامعة الأزهر فى مختلف المجالات الدينية والثقافية، ثم زار فضيلته بعد ذلك رئيس إقليم السند حيث التقى بعلماء ومشايخ الإقليم، والتقى فضيلته بعد ذلك بالسيد محافظ الإقليم الذى أشاد بدور الأزهر الشريف فى شتى بقاع الأرض. وفى رئاسة مجلس الوزراء تم بحث دعم التعاون بين الأزهر وباكستان فى المجالات الثقافية والدينية.

وفى الهند

ثم قام فضيلته بزيارة لدولة الهند حيث كان فى استقبال فضيلته والوفد المرافق السفيرة جيلان علام سفيرة مصر فى الهند وأعضاء السفارة.

والتقى فضيلته خلال الزيارة بالسيد إديث جاودا رئيس الوزراء الهندى، كذلك التقى فضيلته بلفيف من أساتذة الجامعة الملية الإسلامية بنيودلهى والدارسين بها كما التقى فضيلته بمجموعة من الكتاب والمثقفين والمفكرين الذين يمثلون مختلف القيادات الثقافية فى الهند.

.. ومع رئيس وزراء تركيا

● سبق أن استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه معالى السيد نجم الدين أربكان رئيس وزراء تركيا والوفد المرافق لسيادته والمهندس ماهر

أباظة وزير الكهرباء والطاقة رئيس بعثة الشرف المرافقه للضيف .

دار الحديث خلال اللقاء عن الدور البارز للأزهر الشريف فى العالم أجمع من خلال بعثاته وعلمائه العاملين فى مجال نشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وقد نقل الضيف الكبير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات فخامة الرئيس سليمان ديميريل رئيس تركيا وطلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيادة البعثات والمنح الدراسية لأبناء دولة تركيا للدراسة بمعاهد وكليات الأزهر الشريف . ووعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الطلبات التى تقدم بها الضيف الكبير مشيرا إلى أن مصر ترحب بأبناء تركيا

حضر اللقاء فضيلة الاستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ، وفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وسعادة سفير تركيا فى القاهرة ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والأوقاف .

ومع مبعوث السنغال

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه معالى السيد/ مختار عبده ضيوف نجل فخامة الرئيس السنغالى عبده ضيوف يرافقه المهندس حاتم أبو العينين من المقاولين العرب .

دار الحديث خلال اللقاء عن الدور البارز للأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع خاصة دولة السنغال ، وشكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر فى هذا المجال . وقد حمّل فضيلة الإمام الأكبر الضيف تحياته لفخامة رئيس دولة السنغال .

ووزير التعليم بمالديف

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه معالى الوزير محمد لطيف وزير التعليم بدولة المالديف وفى بداية اللقاء نقل السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر فخامة رئيس المالديف مأمون عبدالقيوم على ما يقدمه الأزهر الشريف وبعثته بالمالديف من نشر للدعوة والثقافة الإسلامية .

وقد طلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء دولة المالديف للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة . وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الطلبات التى تقدم بها الضيف تمهيدا لتلبيتها .

اجتماع فضيلته بمديرى المناطق الأزهرية

● رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع مديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية حيث تقرر فى هذا الاجتماع ما يلى :

أولا : إعادة توزيع درجات حفظ « القرآن الكريم » على مراحل التعليم بالأزهر ووضع الضوابط اللازمة لأداء الامتحان حيث تقرر أن يكون الامتحان شفهيا من الصف الأول الابتدائى وحتى الصف الثالث من نفس المرحلة ، ثم يكون تحريريا وشفهيا من الصف الرابع الابتدائى وحتى نهاية المرحلة الثانوية ، وأن يتم توزيع الدرجات بالامتحان على النحو التالى : ٦٠٪ للمقرر فى نفس العام ، ٢٠٪ لمنهج السنة السابقة ، ٢٠٪ من مقرر السنوات السابقة (فيما تم حفظه) .

ثانيا : العمل على تلافى السلبيات التى ظهرت خلال العام الماضى وكيفية علاجها للوصول إلى

أفضل المستويات فى الأداء .

ثالثا : التأكيد على العناية الفائقة بتحفيظ « القرآن الكريم » على مختلف المراحل الدراسية ، وجدية الامتحانات الشهرية شفهيا وتحريريا ، وإسناد عملية التحفيظ لذوى القدرة السليمة والفائقة من أرباب المعاشات الحافظين لكتاب « الله تعالى » .

مع التأكيد على ضرورة العناية بالاختبارات الشهرية لجميع المواد الدراسية وامتحان نصف العام ، وإطلاع أولياء الأمور على نتائج تلك الاختبارات والتثبت من علم أولياء الأمور بمستوى الطلاب العلمى .

وقد تابع فضيلة الإمام الأكبر من خلال التقارير المعروضة سير العملية التعليمية من حيث توزيع الكتب الدراسية ، وتدبير هيئات التدريس اللازمة لكل منطقة وسد العجز بالانتداب فى التخصصات التى بها عجز .

وحث فضيلته القائمين بالعملية التعليمية على مراعاة الدقة فى التقارير الفنية للسادة العاملين بالمعاهد تأكيدا لمبدأ الثواب والعقاب وإعطاء كل ذى حق حقه .

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة وكلاء القطاع والمستشارين للمواد الثقافية والدينية بقطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى على مدير عام العلاقات العامة بالأزهر الشريف .

مع علماء العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تكريم الأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى الذين أتموا دورتهم التدريبية وعددهم ٣٢ إماما وواعظا من دول : الصين ، النيجر ، الكاميرون ، اندونيسيا .

وقد وجه فضيلته فى هذا الحفل كلمة تناول فيها بالشرح والتوضيح واجبات الأئمة والوعاظ فى تناول القضايا التى تهم المسلمين فى البلدان غير الإسلامية ، وطالبهم فضيلته بأن يكونوا القدوة الحسنة فى بلدانهم وأن يتخذوا من منهج النبى ﷺ طريقا لدعوتهم .

وفى نهاية اللقاء وزع فضيلته عليهم الجوائز والشهادات التقديرية وأهدى فضيلته إلى كل إمام وواعظ مكتبة إسلامية تساعده على رفع مستوى ثقافته الإسلامية .

شهد اللقاء لفيف من علماء الأزهر الشريف وسفراء السلك الدبلوماسى للبلاد المشاركة فى الدورة .

اعتماد فضيلته لخطة قوافل التوعية

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الخطة السنوية لقوافل التوعية الدينية بمحافظات الجمهورية التى أعدتها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر بالاشتراك مع القطاع الدينى بوزارة الأوقاف والتى بدأ تنفيذها ، حيث يقوم العلماء من الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بعقد ندوات ولقاءات مفتوحة لتعميق الفكر الدينى لدى المسلمين ، ومحاربة التطرف والتعصب الدينى وبخاصة بقطاع الشباب فى الجامعات والمدارس ومراكز التدريب وفرق الأمن والسجون والمصانع والشركات ودور الرعاية الاجتماعية والنوادى ومراكز الشباب والرياضة .

وهذه الخطة تسير جنبا إلى جنب مع خطة قوافل التوعية الدينية بالمساجد على مستوى

الجمهورية ، وتقوم الأمانات الفرعية بالمحافظات بمتابعة تنفيذ هذه الخطة .

● شهد فضيلة الإمام الأكبر تخريج وتكريم الطلاب الناجحين في كليات جامعة الأزهر من مختلف دول العالم من أبناء المسلمين المقيمين بمدينة البعوث الإسلامية .

وقد قام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التقدير على الخريجين الوافدين الذين أنهوا دراساتهم بجامعة الأزهر الشريف .

شهد الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، ولفيف من علماء الأزهر الشريف وجامعته .

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال الذى أقامته وزارة التأمينات والشئون الاجتماعية لتكريم حفظة « القرآن الكريم » من الأسر المسلمة حيث وزعت عليهم الجوائز العينية والمادية التى بلغت قيمتها (٣٠ ألف جنيه) .

شهد الحفل وزراء الأوقاف والتعليم والدكتور يوسف والى نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة وسفراء الدول العربية والإسلامية والأستاذ الدكتورة آمال عثمان وزير التأمينات الاجتماعية .

زيارة الإمام الأكبر لعدد من محافظات مصر

●سبق أن قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لعدد من محافظات مصر كان من بينها محافظات بنى والشرقية وكفر الشيخ ودمياط .

وفى محافظة بنى سويف افتتح فضيلته أول فرع لجامعة الأزهر بالمحافظة بدأ بكلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنات ويقوم الفرع بخدمة المحافظات المجاورة لبنى سويف ، وقد تم تخصيص اربع عمارات سكنية لتكون نواة لأول مدينة جامعية بالمحافظة .

وأشار فضيلة رئيس جامعة الأزهر إلى أن الدراسة ستبدأ بها هذا العام فى شعب ثلاث هى : أصول الفقه ، والدراسات الإسلامية واللغة العربية .

وفى محافظة الشرقية :

قام فضيلته بافتتاح معهدين أزهريين جديدين أقيما بالجهود الذاتية وقد أشاد فضيلته بهذه الجهود التى تمثلت فى هذين المعهدين الأول بقرية الحلوات ، والثانى بقرية قراموص .

وفى محافظة كفر الشيخ :

افتتح فضيلته عددا من المعاهد الأزهرية وقام بوضع حجر الأساس لمبنى كلية البنات الإسلامية التابعة لجامعة الأزهر ، ورافقه فضيلة الاستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيد المستشار محمود أبوالليل محافظ كفر الشيخ .

وفى محافظة دمياط :

قام فضيلته بافتتاح المجمع الطبى لجماعة دعوة الحق الإسلامية وقد رافقه فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيد المستشار أحمد عبدالعزيز سلطان محافظ دمياط . وأهدى فضيلته لمكتبة المسجد والمجمع مكتبة إسلامية .

هذا وقد قام فضيلته ومرافقوه بتفقد منشآت كلية الطب الجديدة التابعة لجامعة الأزهر ، ثم شهد فضيلته بعد ذلك لقاء مع القيادات الدينية وعلماء وزارة الأوقاف والأزهر والقيادات السياسية والشعبية بالمحافظة .

كذلك شهد فضيلته اللقاء الشبابى الذى عقد بأحد المعسكرات الشبابية بمدينة رأس البر .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد بشير

القدس

عقدت اللجنة الأمنية الفلسطينية الإسرائيلية اجتماعا فى القدس ـ فى إطار اجتماعات لجنة التوجيه والمتابعة ـ لمواصلة بحث تنفيذ الاتفاق بإعادة انتشار القوات الإسرائيلية فى الخليل ، والموضوعات الأمنية الأخرى المتعلقة بالجانبين وحضر الاجتماع المنسق الأمريكى لعملية السلام .

كما تلقى الرئيس الفلسطينى اتصالا هاتفيا من وزير الخارجية الأمريكى حول مسيرة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية وصرح مصدر فلسطينى بأنه أبلغ باهتمام الرئيس الأمريكى بالعملية وأنه يتابعها رغم انهماكه فى حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية ، وأن أمريكا حريصة على إنجاز المفاوضات وتنفيذ كل الاتفاقيات الموقعة فى « أوسلو » سابقا .

الجامعة العربية

عقد المندوبون الدائمون للدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية اجتماعا مشتركا مع سفراء دول أمريكا اللاتينية المعتمدين فى القاهرة برئاسة الأمين العام للجامعة ، وناقش الاجتماع القضايا الإقليمية والدولية محل الاهتمام المشترك ، وفى مقدمتها العلاقات العربية اللاتينية وسبل تطويرها والوضع فى الشرق الأوسط وتطورات مسيرة السلام والعقبات التى تعترضها .

القاهـــرة

أنهى الرئيس الفرنسى جولة فى منطقة الشرق الأوسط دامت أسبوعـا زار خلالها كلا من سوريــا ـ الأردن ـ فلسطين ـ إسرائيــل ، واختتمها بلقائه بالرئيس مبارك ، فى زيارة لمصر استمرت عدة ساعات والمعروف أن الرئيس الفرنسى أكد للحكومة الإسرائيلية ضرورة قيام دولة فلسطينية إذا ما كانت الدولة اليهودية راغبة فى السلام حقا ، كذلك دعا سيادته إلى رفع المعاناة عن الشعب العراقى وانسحاب إسرائيل من مرتفعات الجولان السورية وجنوب لبنان ، وكان هدف الزيارة زيادة الدور الدبلوماسى لدول أوروبا فى العملية السلمية ، ورحب العرب بآراء الرئيس الفرنسى ومدافعته عن الحق .

سراييفو

صرح الرئيس البوسنى على عزت بيجوفتش بأن مطالبة الولايات المتحدة بإقالة (حسن شنجتش) نائب وزير الدفاع البوسنى لاتتصل بما يقال عن علاقته مع إيران ، وجاء فى البيان الصادر عن مكتب الرئيس البوسنى أن خطاب وزارة الخارجية الأمريكية عبّر بدلا من ذلك عن شكوى من قدر غير مرض من التعاون من جانب المسئول البوسنى المذكور ، وأن الرئيس البوسنى يعتقد أن هناك طلبا مماثلا بإقالة وزير الدفاع البوسنى ذاته ، وهو كرواتى والجدير بالذكر أن المحادثات جرت فى (سراييفو) لإزالة العقبات التى تعترض طريق تسليم شحنة أسلحة أمريكية مرسلة إلى الاتحاد الفدرالى البوسنى بين الكروات والمسلمين .

أنقرة

دارت فى العاصمة التركية أنقرة محادثات سلام بين الحزبين الكرديين المتقاتلين وهما الديمقراطى الكردستانى والاتحاد الوطنى الكردستانى ، وممثلين أمريكيين وأتراك وإنجليز ؛ لبحث مستقبل شمال العراق بعد التزام الحزبين المتصارعين بوقف إطلاق النار بينهما .

لوكسمبورج

شارك وزير الخارجية المصرى ولمدة ثلاثة أيام فى اجتماعات مجلس التعاون الأوروبى/المصرى على مستوى وزراء الخارجية فى « لوكسمبورج » وصرح سيادته بأنه تم خلال الزيارة استعراض مشروع اتفاق الشراكة الأوروبية المصرية الجارى التفاوض بشأنه حاليا ـ كما شارك سيادته فى اجتماع ضم وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبى لبحث دور الاتحاد فى عملية السلام ، والمشاركة فى المؤتمر الاقتصادى الذى عقد فى النصف الأول من نوفمبر الحالى .

فلسطين

أقيم حفل بغزة إحياء لذكرى استشهاد السيد/ فتحى الشقاقى ـ رحمه الله تعالى ـ فى مالطا منذ عام بيد عملاء الموساد الإسرائيلى الذين قاموا باغتياله ـ وأكد خليفة (فتحى الشقاق) أمام تجمع فى أحد مخيمات اللاجئين فى لبنان الشهر الماضى أنه لابد من الانتقام لاغتيال الشهيد الفلسطينى .

● ● ●

Mais qui sont ils? Lui demandèrent ses compagnons. Ce sont, dit-il, ceux qui s'aiment en Allah, se réunissent et se rendent visite à cause de lui, sans aucun lien de parenté n'existe entre eux, ni même des échanges de biens. Par Allah, leur visage est tout lumière et ils sont assis sur de tribunes de lumière; ils sont exemptés de la peur et du chagrin qui frappent les gens "Puis il récita: |En vérité, les alliés d'Allah n'ont pas lieu de s'alarmer, ni ne doivent éprouver d'affliction.|"

«Hadith rapporté par 'Omar (Abu-Daoud).»

Il a dit également: "Allah - gloire à Lui - a dit: "Mon amour a été assuré à ceux qui s'aiment pour Moi, qui se lient pour Moi, qui se conseillent pour Moi, qui se visitent pour Moi, qui se sacrifient pour Moi... Ils sont assis sur des tribunes de lumière que leur envient les prophètes, les saints et les martyrs".

«Hadith rapporté par Al-Termizie.»

à suivre



Mais, parmi eux, il y aura ceux dont le Créateur a dit: [Ceux qui croient et présentent les bonnes actions, le Très Miséricordieux leur réservera de l'amour.]

«19 "Maryam" V. 96.»

Donc, l'amour et l'affection seront réservés uniquement à ceux qui se seront aimés et auront fraternisé pour l'amour d'Allah. Car, parmi les sept qui seront abrités à l'ombre du Trône divin, il y aura deux hommes qui se sont aimés par l'amour d'Allah et que cet amour a réuni ou a séparé. Voici le Hadith intégral qui mentionne cela: le Prophète -b.s.- a dit: "Sept catégories d'hommes seront à l'ombre d'Allah, le Jour où il n'y aura d'autre ombre que la Sienne:

1) Un gouverneur équitable.
2) Un jeune homme qui naquit et passa sa vie dans l'adoration d'Allah.
3) Un homme dont le coeur est resté attaché aux mosquées.
4) Deux personnes qui s'aiment pour l'amour d'Allah, qui s'unissent et se séparent par Lui.
5) Un homme, qu'une femme noble et belle incite à l'adultère et à laquelle il répond: "la crainte d'Allah m'empêche de commettre un tel péché".
6) Un homme qui fait l'aumone en secret, si bien que sa main gauche ignore ce qu'a donné sa main droite.
7) Un homme qui, dans sa solitude fond en larmes lorsqu'il pense à Allah".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Le Prophète -b.s.- a dit en parlant de ceux qui se sont aimés pour Allah et la rétribution et les faveurs qui les attendent et qui leur sont exclusivement réservées: "Parmi les serviteurs d'Allah, il y a ceux qui ne sont ni des prophètes ni des martyrs mais qui pourtant suscitent l'envie de ses derniers.

fraternité qui unit deux êtres dans l'amour d'Allah est permanente et éternelle. Allah - gloire à Lui -nous dit: [Les amis -ce jour là- seront ennemis les uns des autres; à l'exception des pieux.]

«43 "Al-Zokhrof" L'Ornement V. 67.»

Ce verset nous montre que tout amour dans le monde d'ici - bas est éphémère et peut-être retourné contre les amants et même les changer en adversaires le Jour du Jugement Dernier, seul l'amour en Allah est l'amour durable et éternel. Nos pieux ancêtres ont dit:

"Tout ce qui est pour Allah est durable et prolongé Tout ce qui est pour tout autre que Lui est temporaire et divisé." Ils ont dit aussi: "Chaque homme suit la religion de son ami, que chacun veille à choisir celui qu'il prend pour ami." Le Coran nous rapporte.

Les paroles des hommes qui ne se sont pas aimés pour l'amour d'Allah. Allah - gloire à Lui - dit: [Hélas! si j'avais suivi l'exemple du Messager!... Malheur à moi! hélas comme je regrette d'avoir pris un tel pour ami!... Il m'a égaré après que le Rappel m'est parvenu. Satan est le grand tentateur pour l'homme.]

«25 "Al-Forqan" Le discernement V. 27, 28 et 29.»

Le Jour du Jugement Dernier toute relation et tout lien de parenté seront coupés: Allah - gloire à Lui - dit: [Lorsqu'on soufflera dans la Trompette, il n'y aura plus de généalogie parmi eux.]

«23 "Al-Mu'iminun" Les croyants V. 101.»

Aussi tout bien d'amitié et d'amour seront rompus: [aucun ami chaleureux ne s'enquerra d'un ami.]

«70 "Al-Ma'areg" Les escaliers V. 10.»

Ce Jour là, chaque personne ne se préoccupera que d'elle-même; elle ne trouvera personne pour la consoler de ses soucis ni lui tenir compagnie: [Et au Jour de la Résurrection chacun d'eux se rendra seul, auprès de Lui.]

«10 "Maryam" V. 95.»

La Fraternité dans l'amour d'Allah

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophète -b.s.- a dit: "Le Musulman est le frère du Musulman, il n'a ni le droit de le léser, ni de le trahir, ni de le mépriser."

«Hadith rapporté par Abu-Horaira.»

Le Prophète -b.s.- a fraternisé entre les alliés (Al-Ançar) et les émigrés (Al-Mouhagueroun), cette fraternisation était si parfaite qu'Allah l'a mentionnée dans le Saint Coran: Il a loué les actes des Ançars qui ouvrirent à la fois leur coeur et leur foyer à leurs frères émigrés. Il a dit: |ceux qui ont dévancé et se sont installés dans le pays et dans la foi, qui aiment ceux qui émigrent vers eux et donnent la préférence aux autres, fussent-ils eux-mêmes dans la gene. Bienheureux sont ceux qui se gardent de l'avarice.

«59 - "Al Hashr" L'exode V. 9.»

Cet altruisme était l'expression d'un amour, d'une volonté réelle et d'un choix délibéré. Les alliés ont partagé leurs biens, leur logis et leurs terres avec leurs frères émigrés ... En voici un exemple que nous citons ici: le Prophète -b.s.- avait fraternisé entre Abd ar-Rahman Ibn Awf (émigré) et Sa'ad Ibn Rabie (allié), parmi les paroles de Sa'ad à Abd ar-Rahman, nous avons relevé celles-ci: "J'ai deux épouses, regarde les; celle qui te plait, je te la cède, je la répudie puis lorsque son délai de viduité aura expiré tu l'épouseras... Voici mes biens je les partage avec toi." A quoi Abd ar-Rahman répondit: "qu'Allah bénisse tes biens et les épouses; mais guide - moi vers le marché." Sa'ad lui indiqua le marché où il se rendit pour vendre; acheter et rentra avec du beurre et du lait caillé.

Les histoires sur l'altruisme et l'amour qui régnèrent entre les alliés et les émigrés sont innombrables. Le Coran, nous montre que la

Djaber - qu'Allah soit satisfait de lui rapporte ceci: "Le Messager d'Allah- dit: Ilnous enseignait la prière de consultation à faire en toute occasion tout comme il nous enseignait une Sourate du Coran". C'est pourquoi la consultation d'Allah en toute chose allie la prière à la soumission absolue à Allah qui conjointement forment l'une des marques des plus nobles degrés de la loi du serviteur en son Créateur.

D'autre part, nous avons appris par un Hadith du Prophète -que la demande de conseil est une chose louable. C'est pour cette raison qu'Allah - qu'Il soit exalté - a loué les compagnons de notre maître et Prophète Mohammad -b.s.- dans la Parole divine où Allah -Tout-Puissant- montre qu'en toute chose ils se demandaient mutuellement conseil avant de prendre une décision.

De même, Allah -le Très Haut- a ordonné à Son Prophète de demander l'avis de ses compagnons, et c'est ce que faisait Mohammad -b.s.- bien qu'Allah l'appuyât par la Révélation et qu'Il l'ait doué d'une perfection physique et morale; de plus, Allah lui a octroyé le don de l'inspiration et de la clairvoyance.

Pourtant il faisait cela pour servir d'exemple et un modèle pour sa communauté. Il ne décidait de rien sans demander l'avis le ses compagnons.

Or, si Allah a ordonné à Son Prophète de demander conseil avant d'agir, ceci est une obligation pour tous les musulmans qui sont loin d'être aussi parfaits que leur Prophète -b.s.-

La demande de conseil dans les affaires concernant le monde d'ici-bas est indispensable aussi bien au niveau des individus qu'à celui des communautés. Elle permet de parvenir à l'avis le plus juste et à la décision la meilleure. Toutefois le plus important c'est de choisir avec grand soin les personnes que l'on consulte comme nous l'a recommandé Allah -Tout-Puissant: [Interrogez les gens du Rappel si vous ne savez point].

D'autre part la personne que l'on consulte doit être sincère et probe, prête à donner un bon conseil et qui n'hésite pas à dire la vérité chairement et ouvertement.

C'est par ce moyen que l'Islam guide les individus et la communauté vers les meilleures décisions à prendre grâce à la consultation.

La consultation en Islam

par Dr. Rokeya GABR.

Une des grandes qualités de l'Islam c'est qu'il nous guide vers la voie du bien, Notre Prophète - à lui bénédiction et salut - a dit: "Celui qui prend conseil ne connaît point d'échec; celui qui consulte Allah ne le regrette point".

"Al Istikhara" c'est une consultation que le croyant adresse à son Créateur-le Très-Haut - lorsqu'il se trouve hésitant devant une décision à prendre et qu'il reste perplexe ne sachant quelle solution adopter. Il ne sait pas distinguer ce qui est juste et ce qui est faux. Dans ce cas, le Musulman ne trouve pas plus sincère, ni plus grand qu'Allah pour guider son choix; aussi accomplit-il une prière de consultation où il invoque le Tout-Puissant de guider ses pas et de lui indiquer la solution la plus juste et qui renferme un bien pour lui.

Le Musulman doit avant de faire la prière de consultation, se dépouiller totalement de tout penchant pour l'une des diverses solutions possibles. Il abandonne toute volonté et tout pouvoir humain pour entrer dans un état de soumission absolue où il se remet entièrement à Allah - qu'iL soit glorifié. Ainsi, il est sincère dans sa demande à Allah de lui indiquer la voie du bien.

La prière de consultation diffère de la prière faite en cas de besoin lorsque le Musulman a décidé une chose en particulier et, dans cette intention, il demande à Allah de l'aider à la réaliser.

La prière de consultation se compose de deux Rak'as; elle est accomplie en dehors des heures fixées pour les prières prescrites. Une fois la prière terminée, le croyant prononce les invocations mentionnées dans la Sunna du Prophète - à lui bénédiction et salut - et Al Bokhary a rapporté selon un Hadith de Djaber - qu'Allah soit satisfait de lui. Après cela il découvre que ce qu'il éprouve un penchant à faire, c'est la bonne solution. Après cela, il doit choisir les moyens appropriés pour réaliser cela.

La consultation joue un rôle important en Islam, comme l'indique le Hadith précité.

REVUE AL-AZHAR

Vol. 69 Part VII.

Rajab 1417 H. Nov. / Dec. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

"Allah forbids you not, with regard to those who fight you not for (your) Faith, nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them : for Allah loves those who are just (Q. 60, 8)

Scientific freedom is so recommended that those who practise "Ijtihad" are rewarded even if they have arrived at a wrong condusion. Widely recognised is the political freedom in which people select their ruler and exercise "Shura" and censorship in all the state's affairs.

Money : Islam respects private ownership and urges people to earn money by legal ways and invest it honestly and spend and distribute it in ways which are pleasing to Allah. The acquisition of wealth is not an end in itself, nor is wealth to be squandered for meaningless or wasteful purposes. Moreover, wealth is not to be used in order to gain power over other people by exploitation or control of the means of livelihood. The Holy Qura'n and Hadith make it very clear that any form of gain which results in some injustice or harm to others is an act of disobedience to Allah. For the purpose of social stability, Zakat is prescribed by Allah to purify the heart of the giver from selfishness and greed and to develop in him sympathy for the poor and the needy.

The value of social solidarity is strongly stressed in Islamic values. According to Ibn Hazm, if the people of a town neglected their duty toward a poor man or woman to the extent that he or she starved to death, the people of this town are considered murderers and their lives should be taken in retaliation. This inference made by Ibn Hazm in his book Al Muhalla (the ornamented) is based on the prophet Muhammad's Hadith : "If a person starved to death among the people of a town, the covenant of Allah and His Messenger become clear of them."

There are some of our Islamic values and concepts which deserve objective study and if followed all humanity will live in prosperity.

A divorce of this kind is called "Khula". It is worthwhile to note that the Islamic teachings recommend that if the parties think that separation is inevitable, they should not throw mud at each other, but recognize what is right and honourable taking into consideration all the circumstances. If the man takes back his wife after two divoces, he must do so on equitable terms; i.e. he must not put pressure on the woman to prejudice her rights in any way, nor to treat her with contumely, and they must lead an honourable and dignified life respecting one another. There are two conditional clauses in the Qur'an :

1) When you divorce women, and,

2) When they fulfill their Iddat : followed by two consequential clauses,

3) Take them back on equitableterms, or,

4) Set them free with kindness.

This illustration discussed above shows how strongly Islam maintains equality between men and women and emphasizes man's care and responsibility towards the woman. It also shows that the few differences made between the two sexes meet the differences in nature and functions between them.

Freedoms in Islam :

Freedom is prescribed by Islam so long as it does not involve violation to human values. First of all, religious freedom is maintained in the Holy Qura'n ii, 256 "Let there be no compultion in religion : Truth stands out clear from error".

لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ

Islam is the first faith that introduced to humanity the freedom of religion and tolerance with people who believe in other religions. Omar Ibn el-Khattab felt sympathy for a jew who was reduced to beggary by old age. Omar did not accept that the jew becomes a beggar because he was unable to earn his living in his senility and ordered to give him a salary from Bayt el Mal (Ministry of Finance). Islam urges Muslims to live in peace with those of other religions so long as they are peaceful with Muslims.

a) Confusing adherence to Islamic values with extremism; this is behind the false accusations levelling against all Muslims or Islam, whereas the behaviour raising accusation reflects the concepts of a limited number of irresponsible sects or individuals.

b) Imposing the western values on Islamic countries which belong to a system of values worthy of respect.

c) Judging mistakenly 25 million Muslims as being aliens while actually they are Europeans believing in Islam.

In a similar vein, Angmar Corlson, Swedish ambassador, stressed the fact that the European Union is inconceivable without the Islamic component. He also added that "If we thought the gap between the West and Islam is unbridgeable, we would fail to assimilate our ever-developing Islamic countries.

The following is a presentation of some of our Islamic values that may reassure all humanity and deserve objective study by Non-Muslims :

The status of Women in Islam

Islam considers man and woman to be equal,because they are equal as human beings. It gives both sexes the right to establish and sustain marriage. It is definitely declared that men and women shall have similar rights with one another. The difference in economic position between the sexes makes the rights and liabilities of man a little greater than that of woman's, sura iv : 34 refers to the duty of the man to maintain the woman, and to a certain difference in nature
little greater than that of woman's sura iv : 34 refers to the duty of the man to maintain the woman, and to a certain difference in nature
between the sexes,

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ

"Men are the protectors and maintainers of women, because Allah has given the one more (strength) than the other and because they support them from their, means."

According to Hanafi doctrine, the woman is entitled to undertake her marriage contract, being a complete partner in the relationship. She is also entitled to dissolve marriage in return for material compensation if she hated to continue living with her husband. A



By : Dr Abdel Rahim Saad
Faculty of Education
Al-Azhar University

What makes the western thought fear Islam ? Have the western countries examined our system of Islamic values objectively and found out that it constitutes a threat to the achievements of modern civilization ?

For the good of all mankind, the western countries are called upon to study the system of Islamic value with an unbiased eye in order to enhance cultural communication between Muslim and Non-Muslim countries and avoid mutual misunderstanding and bad feelings.

One of the objective comments made in this connection was that of the plenipotentiary of the European Union in a conference held in Sweden on "Europe and Islam" recently and which he called upon the Europeans to avoid three misconceptions :

tism, non-reproductive saving, overweight in buying, fraud, undercutting in sale extravagance, forgery and the rest of the gamut of political, social and economic improprities.

The greatness of Islam in totally prohibiting all forms of economic improprities latents in the fact that these improprietis constitute a dangerous destructive threat to economy. No one can deny that these economic improprieties can harmfully undermine the infrastructure of the society, the economic growth of the community and the economic development of the entire nation.

In brief, it can be said that the Islamic economic system safeguards the Muslims against economic upheavals, economic chaos and economic anarchy.



establishment of indudstries as "Fardh Kifayah: or a duty to be fulfilled by members of the community.

4. Islamic economy has an ethical-humanitarian aspect. Stemming from the fact that Almight Allah is the Master of Heavens and Earth and all that is there-in, and the fact that man has been assigned the vicegerence on earth, economic activity is only meant to comply with all that Almighty Allah ordaines man to do, namely to cultivate, to dwell on land, and to develop its resources in any way free from cheating, usury, monopoly, usurping, fraud, theft etc ... moreover, Allah ordaines man to seek by lawful means the best courses of earning. In short, Islamic calls for the prevalence of sublime economic values such as co-operation, solidarity, interdependence and the sustenance of the needy.

5. Because Islam always seeks perfection in all aspects of life, therefore, it has been chiefly concerned with setting up a complete perfect economic system. This system mainly focus on laying down laws that govern all kinds of lawful exchanges and lawful transactions among the individuals and the societies. Yet, it should be borne in mind that in the economic system, the Islamic laws do not confine themselves to laying down rules and regulations or to codifying principles governing different kinds of economic transactions, but also promoting the moral aspect in them as well. The Islamic economic system allows the individual to effect all kinds of transactions, i.e. buying and selling, as long as they are lawful.

However, the superiority of the Islamic economic system over all the systems, old or new, stems from the fact that although Islam gives man the liberty to buy and sell whatever would satisfies his needs and wants, yet this liberty or freedom is curbed and governed by social controls. As it is stated earlier, Islam gives man the liberty to practise all forms of lawful sales that would not inflict damage on the community or infringe upon the rights of other individuals. Meanwhile, Islam does not ignore the redressing of all forms of deviation, be it political, soical or economic. Islam in fact, prohibits in absolute terms oppression, despotism, injustice, exploitation, bribe, hepo-

2. Integration and comprehensiveness is an essential basic feature in the Islamic economic system. In Islam, economy is interlinked with the entire arry of systems and insitutions; be it religious, political or social. These systems and institutions are integrated with a view to offer a comprehensive and perfect solutions to any problem.

The economic system in Islam, in fact, is interlinked with the Islamic creed as it stems from the doctrine that Almighty Allah is the ultimate Owner of the Universe. The economic systm is interlinked, as well, with "Ibadaat", or worship rituals and rules. For instance, it makes it imperative and compulsory to pay "Zakat" or alms, so as to sustain the poor and the needy, and to guard the individual and the community against all risks. As such "Zakat" has its social aspect as it secures a share of the weath of those who are rich for those who are poor and needy. "Zakat", in this sense, a purifies the soul of the Muslim and creates social solidarity as well. In short, it acts as a mechanism of wealth redistribution so as to avert the possibility of the flaring up of class conflict among the society members.

3. The Islamic economic system addresses itself to the economic probiem of unlimited needs and demands as well as the scarcity of resources. It nationalizes needs and demands by restraining material needs and desires and subjecting them to spiritual controls. It manages the resources in a manner that is acceptable to Almighty Allah who is the Owner of the World. Consequently, by teaching the Muslim how to assign priority to spiritual restraints over material needs and desires, Islam helps him to be free from being subjugated to money or to those who have it.

As long as agriculture and industry are extremely important instrumental factors in any economic system, Islam pays due attention to securing opitimum management of them as main resources that help in building the society. Islam, thus, ordaines man to endeavour to achieve economic growth particularly self. Sufficiency in agriculture and industry. It defines, as well, the

The Basic Principles of the Islamic Economy System

by Nahed M. Wasfi Ph. D.

Islam, as the seal of all religions, offers a comprehensive, all compassing civilized system entirely based on the Holy Qur'an, Sunnah and prophetic traditions. In Islam the word "hil", i.e. permission, is the corner stone of the economic system. Accordingly, a Muslim is allowed to effect all kinds of economic transactions which are not prohibited as long as they achieve the welfare of the community.

Islam, in fact, gives due care to every tiny little thing that has to do with the prosperity and progress of man, society and the entire humanity. Hence forth it can be said that there are several unique basic characteristics that distinguish the Islamic economic system from other systems. These characteristics can be illustrated as follows.

1. The economic system is Islam strikes a balance the good of the individual and that of the society. Such a balance can be attained through a wide rang of means that include: (a) the adoption of guided economic freedom of work where the inidividual's personal interests do not conflict a contradict with the public interests, (b) the establishment of a public sector where individuals cannot afford to invest, i.e. the main target of this public sector is to achieve the welfare of the entire community, and (c) the education and socialisation of individuals in such a manner that they may pay equal attention to their own good and that of the society. Thus, it can be said that moderation, which plays a vital role in Islamic economy, is the only tool that can strike a balance between the different interests of the individuals and that of the society and can avoid, as well, any clash there-between.

AL-AZHAR MAGAZINE

Rajab 1417 H.



ENGLISH SECTION

Vol. 69 Part VII.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University,

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

● المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩-٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

ع ٢٣٣٦
دوريات

جناحا الإيمان في الإسلام

جناحا الإيمان : خلق وعبادة

فأما العبادة فهى ثمرة التوحيد ، أى ثمرة الإيمان الخالص الذى يكتسبه الإنسان بالإقرار - عن رضا واطمئنان - بعقيدة الإسلام المقررة في شهادتيه : أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وهذا الإقرار يعنى تسليم المؤمن :

بحق الله - عز وجل - عليه في طاعته ، فيمارس ما أمر ، ويكف عما نهى ؛

كذلك يعنى الإقرار - أيضاً - تسليم المؤمن بمسئوليته عن أمانة هذا الدين أمام المولى - عز وجل - في الممارسة والكف على سواء ، فإذا الإيمان في النهاية : واجب ومسئولية .

وإذا وجدت المسئولية كان « الجزاء » حتما ، فليس الدينُ سَبَهْللا ؛ بل واجب ومسئولية وجزاء ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ . المؤمنون

والله ــ تعالى ــ وحده ــ هو الذى تجاوز ــ برحمته ــ عن وجوب كمال التطبيق لطاعته ، فقال ــ سبحانه :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن ــ ١٦

وأورثنا المصطفى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فى الدعاء ، هذه الضراعة : « **اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت** »[1]

وكل طاعة خالصة لله ــ تعالى ــ قُربة ، وكل قربة عن أمر من هذا الدين ، أو نهى منه ، فهى طاعة ، وكلتاهما عبادة ، فالعبادة طاعة مقررة شرعا ، وهى مقبولة ــ بإذنه تعالى ــ مادامت من مقررات هذا الدين ، ومارسها المؤمن بإخلاصها لله ــ جل جلاله ، راجيا ــ فى ضراعة ــ أن يتقبلها ؛ فإن هى خرجت عن هذا السبيل فآوت إلى ما يستحسنه المرء بنفسه ، فهى مردودة .

فالصلاة عبادة : لأنها طاعة مقررة شرعا ، وقربة موجهة لله ــ وحده ــ ومن القربات ما لا يتم إلا فى مخلوق كَبِرّ الوالدين ، والصدقة على المساكين ، والإحسان إلى حيوان ، وهى ــ بدورها ــ طاعة ، لأنها صدرت عن نية القربة لله ــ وحده ــ يتعبد المرء فيها لله ــ تعالى ــ بطاعته له ، وإذعانه لأمره. ﴿ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ الرعد ــ ٢١

---

(١) من حديث سيد الاستغفار ــ صحيح البخارى ٨٦/٤

ثم بعد ، فليس كالْخُلق مرآة للإيمان ، إنه الجناح الحركي للإيمان ، وكلما سما الخلق في الإنسان كان سموه دليلا على سمو الإيمان ، والعكس صحيح ، والواقع خير الشاهدين .

وقد قال ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا** » مسند أحمد ٢ /٢٥٠، ٤٧٢ وهذا رسول الله ﷺ شهد له المولى بالكمال في الخلق ، فقال ـ تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④ ﴾ (سورة القلم)

فإنه ﷺ كان أكمل الناس إيمانا ، فكان أكملهم خلقا ، وتعلم منه سلمان ـ رضى الله عنه ـ أن يدعو ، فيقول : « **اللهم إني أسألك إيمانا في خلق حسن** » مسند أحمد ٢ /٣٢١ .

وسأله ﷺ عمرُو بنُ عَبَسَة ـ رضى الله عنه : أى الإيمان أفضل ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : « خلق حسن » مسند أحمد ٤ /٣٨٥

وكم نضرع إلى الله ـ تعالى ـ أن يبث في بيوتنا استقرار الأمهات لتستقر الأخلاق ، فإن الإيمان قرين الحذر من الخطأ ، وفي الحذر منه التقويم الاجتماعي كله . فأَذْكُرْ لشأنا يصلح دينه ويحسن خُلقه ، فإنا ـ لامحالة ـ لله ، وإنا إليه راجعون.

د. علي أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - تعالى - :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٢٥) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

وبعد أن ذكر القرآن الكفار ومآلهم عطف على ذلك ذكر المؤمنين وما يفوزون به من نعيم في حياتهم الباقية كما هي سنة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد .

والبشارة : الخبر السار فهو أخص من الخبر ، سمى بذلك لأن أثره يظهر على البشرة وهى ظاهر جلد الإنسان ، والمأمور بالتبشير هو النبى ﷺ أو كل من يتأتى منه تفخيماً لأمره ، وتعظيماً لشأنه .

والصالحات : جمع صالحة وهي الفعلة الحسنة ، وهي من الصفات التي جرت مجرى الأسماء في إيلائها العوامل .

والجنات : جمع جنة ، وهي كل بستان ذي شجر متكاثف ، ملتف الأغصان ، يظلل ما تحته ويستره ، من الجن وهو ستر الشيء عن الحاسة ، ثم صارت الجنة اسماً شرعياً لدار النعيم في الآخرة ، وهي سبع درجات :

(**جنة الفردوس ، وجنة عدن ، وجنة النعيم ، ودار الخلد ، وجنة المأوى ، ودار السلام ، وعليون**) .. وتتفاوت منازل المؤمنين في كل درجة بتفاوت الأعمال الصالحة .

والأنهار : جمع نهر ـ بفتح الهاء وسكونها والفتح أفصح ـ وهو الأخدود الذي يجري فيه الماء على الأرض ، وهو مشتق من مادة نهر الدالة على الانشقاق والاتساع ، ويكون كبيراً أو صغيراً .

وأسند إليه الجري في الآية مع أن الذي يجري في الحقيقة هو الماء ، أخذاً بفن معروف بين البلغاء ، وهو إسناد الفعل إلى مكانه ، توسعاً في أساليب البيان .

وقوله : ﴿ مِن تَحْتِهَا ﴾ وارد على طريقة الإيجاز بحذف كلمة ﴿ **أشجار** ﴾ اعتماداً على تبادرها إلى الذهن :

والمعنى : تجري من تحت أشجارها الأنهار ، ثم بين ـ سبحانه ـ أحوال هؤلاء المؤمنين الصالحين فقال :

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

أي : إن سكان الجنة كلما رزقوا في الجنة ثمرة من ثمراتها ، وجدوها مثل الذي رزقوه فيها من قبل ، في بلوغه الغاية من حسن المنظر ولذة الطعم .

وفي هذا إشارة إلى أن ثمار الجنة متماثلة في حسن منظرها ، ولذة طعمها بحيث لا تفضل ثمرة في ذلك على أخرى ، فجميع ثمرها يسر له القلب ، ويستحليه الذوق ، وإن اختلفت المناظر والطعوم .

ثم قال ـ تعالى ـ ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ أي : يشبه بعضه بعضاً في الصورة والرائحة ، ويختلف في اللذة والطعم ، أو في المزية والحسن ، وعن ابن عباس : « ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي » ؛ وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها في معنى أن كل ثمر يشابه ما قبله في حسن المنظر ولذة

الطعم متشابهة لا يفضل فيها ثمر على آخر ، بخلاف ثمر الدنيا ، فإنه يتفاوت فى مناظره حسنًا ، وفى طعومه لذة .

ويرى بعض العلماء حمل قوله ـ تعالى ـ ﴿ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ على تقدير : من قبل دخول الجنة ، أى هذا الذى رزقناه فى الدنيا ، وإلى هذا الرأى مال صاحب الكشاف فقد قال : « فإن قلت : كيف قيل . « هذا الذى رزقنا من قبل ؟ وكيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا ؟ قلت : معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه ، بدليل قوله : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ فإن قلت : إلام يرجع الضمير فى قوله : ﴿ وَأُتُوا بِهِ ﴾ ؟ قلت : إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعًا ، لأن قوله : « هذا الذى رزقنا من قبل » انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين . فإن قلت : لأى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة ؟ قلت : لأن الإنسان بالمألوف آنس ، وإلى المعهود أميل ، وإذا رأى ما لم يألفه نفر عن طبعه ، وعافته نفسه »[1] .

ثم قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الأزواج : جمع زوج وهى المرأة يختص بها الرجل ، والضمير فى « **فيها** » يعود إلى الجنات .

والمعنى : أن لهؤلاء المؤمنين نساء مختصات بهم ، مطهرات غاية التطهير من كل دنس وقذر ، حسى ومعنوى ، لا كنساء الدنيا ، وهم فى هذه الجنات باقون على الدوام ، لأن النعيم إنما يتم باطمئنان صاحبه على أنه دائم ، أما إذا كان محتملا للزوال فإن صاحبه يبقى منغص البال ، إذ سيتذكر أنه سيفقده فى يوم من الأيام ، فجملة « وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » جىء بها على سبيل الاحتراس من وهم الانقطاع .

وبعد هذا البيان الجامع عن أحوال المهتدين بهديه أو الناكبين عن صراطه ، وما تخلل ذلك من المواعظ النافعة ، والتمثيلات الرائعة ، والبشارات الطيبة لمن آمن وعمل صالحًا ، بعد كل ذلك بين ـ سبحانه ـ أنه لا يعبأ أن يضرب مثلا بشىء حقير أو غير حقير ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٠٨ .

﴿بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٢٧﴾

روى الواحدى فى أسباب النزول عن ابن عباس أن الله ـ تعالى ـ لما أنزل قوله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ الحج ـ ٧٣

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ العنكبوت ـ ٤١

لما نزل قال المشركون : أرأيتم أى شيء يصنع بهذا ؟! فأنزل الله :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ .

وروى عن الحسن وقتادة أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب بهما المثل ضحك اليهود وقالوا : ما يشبه أن يكون هذا من كلام الله ! فأنزل الله هذه الآية :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾ . الخ .

وقال السدى : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ، يعنى قوله ـ تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ .. وقوله ـ تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ! فأنزل الله هذه الآية .

ويبدو أن الآية الكريمة قد نزلت للرد على جميع تلك الفرق الضالة ، فقد قرر العلماء أن لا مانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة أو للطائفة من الآيات .

والاستحياء والحياء واحد ، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستأخر واستجاب . وهو فى أصل اللغة انقباض النفس وانكسارها من خوف ما يعاب به ويذم . وهذا المعنى غير لائق بجلال الله ، لذا ذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمة ، وهو ترك ضرب الأمثال بها .

والمعنى : إن الله لا يترك أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، وإطلاق الفعل كالاستحياء على ما يترتب عليه كترك الفعل ، مألوف فى الكلام البليغ حيث يكون المراد واضحا .

ومذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله ـ تعالى ـ مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات .

أى : ليس الحياء بمانع لله ـ تعالى ـ من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الصغيرة فى نظركم ،

كالبعوض والذباب والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق .

والمثل في اللغة : الشبيه . وهو في عرف القرآن : الكلام البليغ المشتمل على تشبيه بديع ، كالمثلين السابقين اللذين ضربهما الله في حال المنافقين ؛ أو وصف غريب نحو قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ . الحج ـ ٧٣

وضرب المثل : إيراده ، وعبر عن إيراده بالضرب ، لشدة ما يحدث عنه من التأثير في نفس السامع .

و(ما) في قوله : **(مثلا ما)** هي ما الإبهامية ، تجيء بعد النكرة فتزيدها شيوعًا وعمومًا ، كقولك : أعطني كتابًا ما ، أي كتاب كان .

والبعوضة : واحدة البعوض وهي حشرة صغيرة تطلق على الناموس وهي بدل أو بيان من قوله **(مثلا)** .

وقوله : ﴿ **فما فوقها** ﴾ عطف على بعوضة ، والمراد فما فوقها في الحجم كالذباب والعنكبوت ، والكلب والحمار ، أو فما فوقها في المعنى الذي وقع التمثيل فيه ، وهو الصغر والحقارة كجناحها أو كالذرة .

قال صاحب الكشاف : سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار ، واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبًا بها المثل ، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب ، من جهة أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم من المشاهد .. وأن لله ـ تعالى ـ أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل ، كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ أو بما لا يدركه لتناهيه في صغره إلا هو وحده .. وقوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فيه معنيان :

أحدهما : فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول : فلان أسفل الناس وأنذلهم ، هو فوق ذلك ، تريد هو أعرق فيما وصف من السفالة والنذالة .

والثاني : فيما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة(٢) .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك موقف الناس أمام هذه الأمثال فقال :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ .

---

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١١١ وما بعدها .

أما حرف مفيد للشرط والتفصيل والتأكيد ، أما الشرط فلوقوع الفاء فى جوابها ، وأما التفصيل فلوقوعها بعد مجمل مذكور أو مقدر ، أما التأكيد فلأنك إذا قلت : زيد ذاهب ، ثم قصدت تأكيد ذلك وإفادة أن ذهابه واقع لا محالة قلت : أما زيد فذاهب .

والضمير فى قوله (أنه) يعود على المثل ، أو على ضربه المفهوم من قوله : ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ . والحق : خلاف الباطل ، وهو الثابت الذى لا يسوغ إنكاره .

ووجه كون المثل أو ضربه حقًا ، أنه يوضح المبهم ، ويفصل المجمل ، فهو وسيلة إلى تقرير الحقائق وبيانها .

ووجه تفصيل الناس فى هذه الآية إلى قسمين ، أنهم بالنسبة إلى التشريع والتنزيل كذلك ، فهم مؤمن أو كافر .

والمقصود من ذكر المؤمنين هنا الثناء عليهم بثبات إيمانهم ، وتيئيس الذين أرادوا تشكيكهم ببيان أن إيمانهم يحول بينهم وبين الشك .

وعبر فى جانب المؤمنين بيعلمون تعريضا بأن الكافرين إنما قالوا عنادًا ومكابرة ، وأنهم يعلمون أن ذلك تمثيل أصحاب الحق .

وقال : ﴿ أنه الحق ﴾ معرفًا بأل ، ولم يقل : أنه حق للمبالغة فى حقية المثل .

ومن المعروف فى علم البيان أن الخبر قد يؤتى به معرفًا بأل ، للدلالة على أن المخبر عنه بالغ فى الوصف الذى أخبر به عنه مرتبة الكمال .

وقوله : ﴿ من ربهم ﴾ حال من الحق ، ومن ابتدائية ، أى : إن هذا الكلام وارد من الله ، لا كما زعم الذين كفروا أنه مخالف للصواب ، فهو مؤذن بأنه من كلام الخالق الذى لا يقع منه الخطأ .

ثم بين ـ سبحانه ـ موقف الكافرين من هذه الأمثال عندما تتلى عليهم فقال : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾

كلمة (ماذا) مركبة من ما الاستفهامية وذا اسم الإشارة ، غير أن العرب توسعوا فيها فاستعملوها اسم استفهام مركبًا من كلمتين ، وذلك حيث يكون المشار إليه معبرًا عنه بلفظ آخر غير الإشارة ، حتى تصير الإشارة إليه مع التعبير عنه بلفظ آخر لمجرد التأكيد نحو : ماذا التوانى ؟ أو حيث لا يكون للإشارة موقع كقوله ـ تعالى :

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ النساء ـ ٣٩

وقد يتوسعون فيها توسعا أقوى فيجعلون ذا اسما موصولا ، وذلك حين يكون المسئول عنه معروفا للمخاطب بشىء من أحواله ، فلذلك يجرون عليه جملة أو نحوها هى صلة ويجعلون ذا موصولا نحو ﴿ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ ونحو ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ ، أى ما الذى أراده الله بهذا المثل .

والإرادة فى أصل اللغة : نزوع النفس إلى الفعل ، وإذا أسندت إلى الله دلت على صفة له

تتعلق بالممكنات ، فيترجح بها أحد وجهى المقدور ، وقد كان جائز الوقوع وعدم الوقوع .

وقوله : ﴿ مثلا ﴾ واقع فى موقع التمييز لاسم الإشارة « هذا » كقولك لمن أجاب بجواب غير مقبول : ماذا أردت بهذا جوابًا ؟

والاستفهام الذى حكاه القرآن على ألسنة هؤلاء الكافرين ، المقصود به الإنكار والتحقير لهذه الأمثال ، ولأن يكون الله ـ تعالى ـ قد ضربها للناس .

والمعنى : فأما المؤمنون الذين من عادتهم الإنصاف ، والنظر فى الأمور بنظر العقل واليقين ، فإنهم إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذى لا تمر الشبهة بساحته ، وأما الكافرون فإنهم لانطماس بصيرتهم ، وتغلب الأحقاد على قلوبهم ، فإنهم إذا سمعوا ذلك عاندوا وكابروا وقابلوه بالإنكار .

ثم ساق ـ سبحانه ـ جملتين بين فيهما الحكمة من ضرب الأمثال فقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ .

فقد دلت هاتان الجملتان على أن العلم بكون المثل حقًا ، مما يزداد به المؤمنون رشدًا على رشدهم ، وأن إنكاره ضلال يزداد به الكافرون تخبطًا فى ظلمات جهلهم .

ووصف كلا من فريقى المؤمنين والمنكرين له بالكثرة مع أن المهديين وصفوا بالقلة كثيرا كما فى قوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ ، وذلك لأن أهل الهدى كثيرون فى أنفسهم ، وإذا وصفوا بالقلة فبالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضا فإن القليل من أهل الهدى كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة ، فوصفوا بالكثرة ذهابًا إلى هذه الحقيقة .

وقدم الإضلال على الهداية ، ليكون أول ما يقرع أسماع المبطلين عن الجواب أمرًا فظيعًا يسوءهم ويفت فى أعضادهم .

ثم ختمت الآية بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

الفاسقون : جمع فاسق ، من الفسق ، وهو فى **أصل اللغة** : الخروج .

يقال : فسقت الرطبة من قشرها . أى : خرجت منه ، **وشرعًا** : الخروج عن طاعة الله ، فيشمل الخروج من حدود الإيمان ، وهو الكفر ، ثم ما دون الكفر من الكبائر والصغائر ، ولكنه اختص فى العرف بارتكاب الكبيرة ، ولم يسمع الفسق فى كلام الجاهلية ، بمعنى الخروج عن الطاعة فهو بهذا المعنى من الألفاظ الإسلامية .

وقصر الإضلال بالمثل على الفاسقين ، إيذان بأن الفسق هو الذى أعدهم لأن يضلوا به ، حيث إن كفرهم قد صرف أنظارهم عن التدبر فيه حتى أنكروه وقالوا : ماذا أراد الله بهذا مثلا .

ثم وصف الله ـ تعالى ـ هؤلاء الفاسقين بثلاث خصال ذميمة فقال فى بيان الخصلة الأولى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ .

والنقض : فى اللغة حقيقة فى فسخ وحل ما ركب ووصل ، بفعل يعاكس الفعل الذى كان

به التركيب مثل نقض الحبل المفتول وقد استعمل هنا مجازا فى إبطال العهد بقرينة إضافته إلى عهد الله .

وعبر عن إبطال العهد بالنقض ، لأنه أبلغ فى الدلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوهما ، لأن فى النقض إفسادًا هيئة الحبل .

والعهد : اسم للموثق الذى يلزم مراعاته وحفظه ، يقال : عهد إليه فى كذا ، إذا أوصاه به ووثقه عليه .

وعهد الله : تارة يكون بما ركز فى العقول من الحجة على التوحيد ، وتارة يكون بما أوجبه الله على الناس على لسان رسله ـ صلوات الله عليهم ـ وتارة بما يلتزمه المؤمن . وليس بلازم له فى أصل الشرع مما ليس بمعصية كالنذور وما يجرى مجراها .

والميثاق : التوثقة ، وهى التقوية والتثبيت ، **والمراد به** : ما قوى الله به عهده .

وقوله : ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ متعلق بينقضون ، ومن لابتداء الغاية ، وميثاقه الضمير فيه يجوز أن يعود على العهد ، وأن يعود على اسم الله ـ تعالى ـ فهو على الأول مصدر مضاف إلى المفعول ، وعلى الثانى مضاف للفاعل .

أما الصفة الثانية التى وصفهم الله بها فهى قوله : ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ وهو عام فى كل قطيعة لا يرضاها الله ، كقطع الرحم ، والإعراض عن موالاة المؤمنين ، وترك الجماعات المفروضة ، وعدم وصل الأقوال الطيبة بالأعمال الصالحة ، وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطى شر .

وأما الصفة الثالثة التى وصفهم بها فهى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ .

والفساد فى الأرض يقع بعبادة غير الله ، وبالدعاية إلى الكفر به ، وبالاستهزاء بالحق ، وبالاعتداء على حقوق الغير ، وبغير ذلك من الأمور التى حرمها الله ـ تعالى ـ .

وعبر بقوله : ﴿ فى الأرض ﴾ للإشعار بأن فسادهم لا يقتصر عليهم ، وإنما هو يتعداهم إلى غيرهم .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد أن دمغهم بتلك الصفات المرذولة عاقبة أمرهم فقال : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ .

الخاسرون : جمع خاسر مأخوذ من الخسر والخسران وهو النقص ، ومن نقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله بوصله ، وأفسد فى الأرض ، لا شك أنه قد نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز ، وكانت عاقبته الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

قال ابن جرير : « والخاسرون جمع خاسر ، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم من رحمة الله بسبب معصيتهم له ، كما يخسر الرجل فى تجارته بأن يوضع من رأس ماله فى بيعه ، وكذلك المنافق والكافر قد خسرا بحرمان الله لهما من رحمته التى التى خلقها لعباده »[٣] ...

(٣) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤١٧ طبعة دار المعارف .

ـ يتبع ـ

احذروا العرافين والمنجمين والدجالين

بقلم الأستاذ/ أحمد بن محمد طاحون

أشيع أخيراً ، وتداولته بعض الصحف ـ حديث عن تدريس السحر فى بعض المناهج الدراسية فى الغرب ، وطرحت صحيفة هذه الفكرة على بعض الأساتذة المصريين فبينوا ـ جزاهم الله خيراً ـ ضرر ذلك العمل .

عن قطن بن قبيصة عن أبيه قبيصة بن المخارق أن النبى ﷺ قال : « إن الطرق والطيرة والعيافة من الجبت » (النسائى وأبو داود بإسناد حسن) .

والجبت : كلمة تقع على الصنم ، والكاهن ، والساحر ، وكل ما عبد من دون الله .

وقد ورد ذم قوم بها فى قوله تعالى من سورة النساء :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) ﴾ سورة النساء

وقد نهى الإسلام عن : الطَّرْق ، والطيرة ، والعيافة ، وقبح الاعتقاد فى هذا ، وعاب من يأخذ بذلك ، وأنذره بالويل والثبور .

والطرق : نوع من العرافة وادعاء علم المكنونات ، والإخبار عن أمور مغيبة وهو دجل يوهم به السذج الذين لم يرب تفكيرهم على نحو سليم ، والطرق : وهو ما يفعله بعض أهل الدجل والنصب من النساء والرجال من الضرب بالحصا أو (الودع) والكلام فى (الودع)[1] ونحوه ، وكذلك الخط فى الرمل أو الأرض وإيهام أنه يُسْتَشَفُّ منه شىء يخبر به الضحية التى يتم النَّصْب[2] عليها وتوهين معتقدها .

وإن العرافين والمنجمين ونحوهم يوهمون الناس بأمور لا حقائق لها ولا تستند إلى دليل ، أو يزورون كلاماً يستريح له الشخص ويقنع له ولغيره ، ومن هؤلاء وعلى طريقتهم الذين يقرءون الكف والفنجان ، ويدعون معرفة ما يحدث فى مستقبل الشخص ، والأمر كله مبنى على وهم فى وهم ، وباطل فى باطل ، وقد كذب المنجمون ولو صدقوا ، أى : حتى لو وقع شىء بمحض الصدفة ـ التى قدرها الله عز وجل ـ مما قالوه فهم كاذبون فى إدعائهم معرفته قبل حصوله إذ لم

(١) الودع بسكون الدال وفتحها : ضرب من خرز البحر منه الصغير ومنه الكبير .

(٢) المراد بالنصب هنا : الاحتيال على الضحية لأخذ ما يمكن من مالها .

يقع لهم العلم على الحقيقة ، وإنما حصول الشيء وافق قولهم بالصدفة .

وكم وقعت حوادث مؤسفة ، وضاعت أموال ، وتشتت شمل أسر ، واضطربت حياة أناس بسبب هؤلاء العرافين الدجالين الذين يجيدون لغة الكلام ، وبه يستحوذون على عقول بسطاء الناس إن لم يتداركهم الله بلطفه .

لذا ألحق الرسول ﷺ الطرق بالجبْت الذى يطلق على عبادة غير الله ، لأن من يدعى علم الغيب ، ومعرفة ما يقع غدا للإنسان من خير أو شر ونحو ذلك إنما يشارك الله - عز وجل - فى علمه وسلطانه ، وذلك كذب وصاحب هذا الادعاء لا دين له ، ولا خلق ، مطرود من رحمة الله - عز وجل - .

لهذا أطلقوا لفظ الجبْت على ما هو شرٌ محض لا خير فيه مثل : السحر والساحر ، والشيطان والأصنام ، والشرك والكاهن ، أما الطاغوت فهو الشيطان وأطلق على الكهان الذين تنزل عليهم الشياطين وعلى كل ما يعبد من دون الله .

□ **كذابون مضللون :**

وفى الحديث المتفق عليه وقد روته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : سأل رسولَ الله ﷺ أناسٌ عن الكهان فقال : ليسوا بشيء ، فقالوا : يا رسول الله : إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقُرّها فى أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة** » .

وفى رواية البخارى : « **إن الملائكة تنزل العنان - أى السحاب - فتذكر الأمر قُضى فى السماء ، فيسترق الشيطان السمع ، فيسمعه ، فيوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم** » .

فَيَقُرّها : بفتح الياء وضم القاف والراء أى يلقيها فى أذنه .

□ **التوكل على الله والأخذ بالأسباب الصحيحة :**

إن الإسلام أمرنا بالأخذ بالأسباب الصحيحة التى جعلها الله - عز وجل - وسائل لتحقيق المطلوب فالطعام يؤدى إلى الشبع ، وشرب الماء سبب فى الرى ، والاجتهاد فى الدرس والاستذكار يؤديان إلى تحصيل العلم ، وتعاطى الدواء الذى وصفه الطبيب الحاذق يؤدى إلى الشفاء بإذن الله تعالى - وغير ذلك من الأسباب التى أرادها الله لعباده مع الإيمان بأن السبب لا ينفع إلا بإرادته وحده فهو - سبحانه - خالق كل شيء ، وأهل العقل والحكمة يؤمنون عن يقين بأنه لا شافٍ إلا الله :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠]

ولا نافع ولا ضار إلا الله وكل أمورنا بيده - وحده ، ومن طاعتنا لله الأخذ بالأسباب التى أرادها .

أما التوسلُ بالأسباب غير الصحيحة ، والاعتماد على الوهم والباطل فإنه يفسد على الإنسان حياته ، ويضعف عقيدته ، ويبعث فى نفسه الأوهام والشكوك والشبهات ، ويجعله يعتقد فيما لا يجوز الاعتقادُ فيه .

من ذلك : حمل الحرز ، أو الودع ، أو الطلاسم ، أو تصديق العرافين ، والكهنة ، وضاربى الودع ، والناظرين فى الكف أو أوراق « الكوتشينة » وهذا ومثله يضر بإيمان المسلم

وبعبادته أبلغ الضرر ، إلى جانب ما يناله فى حياته من اضطراب ، وقلق ، وتحير ، وخضوع لأوهام أشخاص لا دين لهم ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ممن يسعون إلى السيطرة على عقول الناس وابتزاز أموالهم بالباطل والزور .

وقد جاء عند (مسلم) عن صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه لم يقبل منه صلاة أربعين يوما** » .

□ من أخبث الكسب :

وإن كسب العرافين والكهان والدجالين والسحرة لمن أخبث الكسب ، وأشده حرمة ؛ لأنه يأتى عن طريق التحايل والغش وتضليل الناس ، وإضعاف توكلهم على الله مما يضر بدينهم ودنياهم .

□ براءة من المشعوذين :

وقد تبرأ النبى ﷺ ممن يشتغل بالتكهن وادعاء علم الغيب ، وممن يقصدهم بقصد السؤال عن أحواله ومستقبله وما هو فى علم الغيب ومثله الاشتغال بالسحر ، وقصد السحرة ثقة فيهم ، فعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس منا من تَطيَّر أو تُطيِّر له ، أو تكهن له ، أو سحر أو سُحِرَ له** » .

وجعل الإسلام الثقة فى الكهان وأضرابهم وتصديقهم من الكفر بما جاء به الوحى فقال : « **ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** » . [أخرجه البزار بإسناد حسن والطبرانى من حديث ابن عباس] .

وفى الحديث الذى رواه جابر بن عبدالله ، وأخرجه البزار بإسناد جيد قوى مثله من : « **من أتى كاهناً** .. » الحديث .

وفى رواية أنس عن الطبرانى من رواية رشيد بن سعد : « **من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد ، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً** » .

كلمات ومعانيها :

ما التطير ؟

إن التطير : هو التشاؤم بالطير ، أى زجر الطير وإطلاقه ، فإن طار إلى جهة اليمين تفاءل الإنسان ومضى فى طريقه لتجارة ونحوها ، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم ورجع عن مقصده .

ولا يخفى ما فى هذا من الركون إلى الوهم والباطل ، وتعطيل المصالح ، والتضييق على النفس والفكر بما لا يليق بالإنسان ، وتلك كانت عادة جاهلية ، وقد شاع فى عصرنا الحاضر شىءٌ من ذلك كالتشاؤم ببعض الأرقام مثل الرقم « ١٣ » أو ببعض الطيور ونحو ذلك .

والعــراف :

وإن العراف كالكاهن ، وقيل : هو الساحر ، وهذه فئة متقاربة ومتماثلة فى أغراضها وطرق كسبها الخبيث .

قال البغوى : العراف هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدلُّ بها على مواقعها مثل المسروق : من الذى سرقه ، ومعرفة مكان الضالة ، ونحو ذلك .

والكاهــن :

هو الذى يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ، ويخطىء أكثرها بزعم أن الجن تخبره .

صناعة لا تليق بأهل الإيمان:

لقد اشتد غضب الله على هذه الطوائف الضالة من الدجالين الذين يوهمون الناس أنهم يعرفون الغيب، ويشاركون علام الغيوب في معرفة ما يقع في المستقبل.

ألا ساء ما يدعون!

فليحذر أهل العقل والحكمة هؤلاء المضللين أصحاب تلك الصناعات الخبيثة، ولنسمع التحذير الذي جاء في رواية واثلة بن الأسقع الذي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين يوماً، فإن صدقه بما قال فقد كفر**». [أخرجه الطبراني].

إنها صناعة السفليين من الملحدين ومجرمى الكفار والمشركين، ومن لا دين لهم احترفها ضعاف النفوس ممن ينتسب بعضهم إلى الإسلام، ويرتكبون هذه الآثام، ناسين انتقام الخبير العلام، غافلين عن العاقبة والوقوف أمام الميزان الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة، راضين بالدنيا عن الآخرة، راغبين فى منافع العاجلة، معرضين عن نعيم الباقية الدائمة فياويلهم وأمثالهم من يوم تعرض فيه الأعمال:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران]

فليحذر هؤلاء وأمثالهم غضب الله ـ عز وجل ـ ليحذروا الكسب الخبيث، ليحذروا إضلال الناس.

دعوة إلى التوبة:

ومن تاب وأناب وندم عسى الله أن يعفو عنه، وعليه أن يكون عوناً بعد ذلك على الخير بين الناس ويحذرهم من هذه المسالك الشيطانية ويبين لهم أن شيئا لا يضيع من خير أو شر:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

فياويل أمثال هؤلاء إن لم يتوبوا إلى الله، ويثوبوا إلى رشدهم، وتستيقظ ضمائرهم، وإن تعلم السحر لمن أكبر الكبائر يوم القيامة كالشرك بالله كما جاء فى الكتاب إلى أهل اليمن فى الفرائض والسنن والديات والزكاة: «**وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمى المحصنة، وتعلم السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم**» [**أخرجه ابن حبان عن أبى بكر محمد بن حزم عن أبيه وهو الحديث الذى كتبه إلى أهل اليمن**]. وإن الذى يستعيذ بالجن أو يستعين به فى الشعبذة والكهانة يخرج من ملة أهل التوحيد وينزل عليه غضب الله ـ جل جلاله.

قال سعيد بن جبير: ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن كفر وشرك إذ الاستعاذة تكون بالله ـ وحده: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الجن].

وأن التعلق بغير الله - تعالى - يحير الإنسان، ويبلبل فكره، ويشغل قلبه بما لا فائدة من ورائه، ويجعله نهبة للغشاشين والمشعبذين، والسحرة والمنجمين والعرافين ونحوهم، ممن يستثمرون بسطاء الناس وجهالهم كما تستثمر البقرة الحلوب بوسائل الحيلة والمكر.

الأحجبـــة:

والسباقاً وراء هؤلاء الدجالين يعلق بعض الناس لأنفسهم أو لأطفالهم الودع والخرز وما شابه ذلك لرد (العين) فى اعتقادهم أو لأغراض أخرى كما كان يفعل أهل الشرك فى الجاهلية، وأمثال هؤلاء يدعو عليهم رسول الله ﷺ وينذرهم بالحرمان من حفظ الله خالقهم ومالك أمورهم لتعلق قلوبهم بغيره - سبحانه - فقد جاء فى الحديث الذى رواه عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**من علق تميمة فلا ودع الله له**» [أخرجه أحمد وأبويعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد].

والتميمـــة:

هى تلك الأحجبة والخرزة والطلاسم ونحوها مما يعلقه بعض الناس، وهو يضر بدين المشير به، والمتسبب فى تعليقه، وفيمن يعتقد فيه، وهو لا منفعة له ولا فائدة منه.

وفى الحديث: «**من علق فقد أشرك**» [أخرجه أحمد والحاكم ورواه عقبة بن عامر].

إن اعتقاد أن الخرزة ونحوها تدفع الآفات جهل وضلالة، إذ لا مانع إلا الله ولا دافع سواه.

وعن زينب امرأة عبدالله بن مسعود: أن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» [من حديث طويل أخرجه ابن ماجة وأبى داود]

أى رقى المشعوذين، فأما الرقى الشرعية كقراءة الفاتحة والمعوذتين ونحو ما جاء فى حديث ابن مسعود فى وصيته امرأته بها: «**أذهب الباس رب الناس، واشف وأنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً**» [من حديث زينب امرأة عبدالله]

فإنها رقى فيها الاستعانة بالله وحده، ثم هى مفهومة المعنى وفيها ذكر الله تعالى وورد بها النص.

كذلك الرقية بالقرآن: قراءة ختام سورة المؤمنون من:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

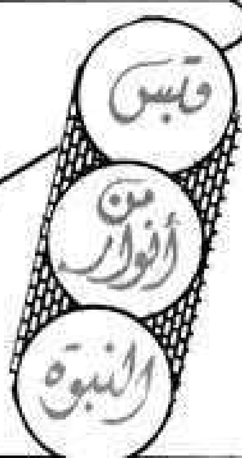
سورة المؤمنون

فقد رقى بها ابن مسعود مريضاً وأقره الرسول ﷺ كما جاء فى الخبر.

والمنهى عنه فى الرقى هو رقى الشعوذة، وكل ما لم يرد به نص عن الشرع، وما يدخله ألفاظ غير مفهومة وما يكون فيه سحر أو عبارات تكفر صاحبها ونحو ذلك مما يفعله السحرة والمشعبذون ومما يشتمل على مخاطبة الجان والاستعاذة بهم ونحو ذلك.

ومن حديث عبدالله بن حكيم أن رسول الله ﷺ قال: «**من علق شيئا وكل إليه**» [أخرجه أبو داود والترمذى]

أى: جعل حفظه على تميمته وحرم من حفظ خالقه له.



أنت ومالك لأبيك

لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

١ ـ عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم»

رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه. «جامع الأحاديث برقم ٤٨٠٢».

٢ ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رجلا أتى رسول الله ﷺ يخاصم أباه في دَيْن عليه، فقال نبي الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»

رواه ابن حبان «برقم ٤١٠ جـ ٢».

٣ ـ ورواه ابن ماجه عن جابر: أن رجلا قال: يارسول الله إن لي مالا وولدا وإن أبي يريد يجتاح مالي. فقال: وذكره. «جمع الجوامع ١٠ ـ ٤٤٩٥».

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ قرن الإحسان للوالدين بعبادته وتوحيده وقرن شكرهما بشكره، وإن الناظر في كتاب الله ـ عز وجل ـ في غير موضع يجد العناية بالوالدين. والإشادة بمكانتهما. والأمر بأداء حقوقهما، وتعظيم شأنهما، وعدم الإساءة إليهما. ولو بأدنى كلمة تصدر من اللسان. إن الإسلام يأمرنا بحسن الخلق معهما، ولين الجانب وجميل القول والفعل وخفض الجناح تواضعا لهما ورفقا بهما. وخاصة عندما تتقدم بهما السن، ويبلغان حد الشيخوخة.

إن على الولد أن يسدد بعض الدين لوالديه بإكرامهما والتودد إليهما والحرص على حيازة

رضاهما. ففى رضاهما سعادة الدنيا والآخرة ولذا يقول النبى ﷺ : فيما رواه الترمذى وابن حبان والحاكم : « **رضا الله فى رضا الوالدين، وسخط الله فى سخط الوالدين** » .

إن بر الأبوين مقدم على الجهاد، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: هاجر رجل من أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ فقال له النبى: هل لك أحد باليمن؟ قال : أبواى. قال : أذنا لك ؟ قال : لا. قال : « فارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرّهما » ـ أبوداود .

وذكر البخارى فى كتاب ـ بر الوالدين ـ عن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ يبايعه على الهجرة، وترك أبويه يبكيان، فقال ﷺ : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » .

ولايقتصر حق الوالدين وبرهما حال حياتهما فقط. وإنما يمتد إلى مابعد وفاتهما متمثلا فى إتمام ماانقطع بوفاتهما من عهود ووصايا فى الخير.

فعن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى قال فيما رواه أبوداود: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال: يارسول الله، هل بقى من برى أبوىّ شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال : « نعم . الصلاة عليهما، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» .

روى الطبرانى والحاكم، عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال النبى ﷺ : « كل الذنوب يؤخر الله ـ تعالى ـ ماشاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات » « جامع الأحاديث جـ ٥ رقم ١٥٧٥٦ » .

وإذا كان للأم فى الإسلام، منزلة خاصة. فلأنها تحملت وحدها أضعاف المتاعب التى لاتتأتى للوالد ومن أشدها صعوبة الحمل والإرضاع والتربية وتشعر فى كل ذلك بالسعادة. وتتمنى لك الحياة الطيبة .

ونسوق موعظة بليغة للذين يسيئون معاملة الأبوين أو يودعونهما دور المسنين. وخاصة الأم .

يقول الإمام الذهبى ـ فى كتاب الكبائر : « أيها المضيع لآكد الحقوق المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسى لما يجب عليك، الغافل عما بين يديك ، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك وهى تحت أقدام أمك، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج، وكابدت عند الوضع مايذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبنا، وأطارت لأجلك وسنا، وغسلت بيدها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذا وصيرت حجرها لك مهدا، وأنالتك إحسانا ورغدا، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا.. وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا. فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبعت وهى جائعة، ورويت وهى قانعة، وصعب عليك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، وهجرتها ومالها سواك نصير .

هذا .. ومولاك قد نهاك عن التأفيف وعاتبك في حقها بعتاب لطيف.. ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين. يناديك بلسان التوبيخ والتهديد :

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ . (سورة الحج)

وصدق الله حيث يقول :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ « لقمان » .

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لاتقبل واحدة بغير قرينتها :

إحداها قوله ـ تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

الثانية : قوله ـ تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ أن اشكر لى ولوالديك ﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

عن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « رضاء الله فى رضا الوالد، وسخط الله فى سخط الوالد » رواه ابن حبان وغيره.

وللأب منزلة، فهو مع الأم سبب فى وجود وليدهما، وهو يجد ويسعى فى طلب العيش وتحصيل الرزق. يواصل الليل بالنهار، ويتحمل المشاق فى سبيل إسعاد أولاده. فلذا كان من حقه على أولاده الطاعة والاحترام. وامتثال الأمر واجتناب النهى فى غير معصية لله. لكن الكثير من الأولاد يكبر فيستقل بحياته، ويستبدل البر والإحسان بالعقوق والإساءة والنكران .

وفى حديث الباب كما فى تفسير القرطبى :

عن جابر بن عبدالله قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله: إن أبى أخذ مالى، فقال النبى: فأتنى بأبيك، فنزل جبريل على النبى فقال: إن الله عز وجل ـ يقرئك السلام، ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ماسمعته أذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : مابال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟

فقال: سله يارسول الله، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى؟ فقال رسول الله. إيه، دعنا من هذا، أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ماسمعته أذناك .

فقال الشيخ: والله يارسول الله مازال الله ـ عز وجل ـ يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيئا ماسمعته أذناى .

قال: قل أسمع . قال قلت :

غذوتك مولودا ومنتك يافعا
تعل بما أجنى عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
بسقمك إلا ساهرا أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذى
طُرقت به دونى فعينــى تهمــل

تخاف الردى نفسى عليك وإنها
لتعلــم أن الموت أمــر مؤجــل

فلما بلغت السن والغاية التــى
إليها مدى ما كنت فيك أؤمــل

جعلت جزائى غلظــة وفظاظــة
كأنك أنت المنعــم المتــفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبـــوتى
فعلــت كما الجار المجاور يفعــل

فأوليتــى حق الجوار ولم تكــن
علــىّ بمال دون مالك تبخــل

فهل نبر الآباء حتى يبرنا الأبناء. وكما تدين تدان.

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ فيما رواه ابن حبان وغيره : « إن أبَرّ البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى » .

تصــويب

وقـع خطأ مطبعى يجب تصحيحــه ص٩٤٨ عدد رجب ١٤١٧ هـ نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٦ م سطر ١٢ فى العبارة :

« والخلق : أصله الايجاد على تقدير وتسوية ويطلق على القرآن »

وصحة العبارة :... « ويطلق فى القرآن » .

رجاء الاهتمام والتصحيح .

مجلة الأزهــر

كفارة القتل
دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى

للدكتور السيد رضوان محمد جمعه*

تمهيد
فى تعريف الكفارة ودليلها وحكمة مشروعيتها

أولا : تعريف الكفارة :

(أ) الكفارة عند اللغويين :

الكفارة لغة : مأخوذة من الكفر ، وهو التغطية والستر ، لأنها تغطى الذنب وتستره ، تخفيفا من الله ـ تعالى ـ .

(ب) الكفارة فى اصطلاح الفقهاء :

عرفها الكاسانى[1] فقال : « هى فى عرف الشرع اسم للواجب » أى ما أوجبه الله ـ تعالى ـ على من أتى شيئاً منهياً عنه أو قصر فى مأمور به .

وعرفها البيجرمى فقال : وأما معناها شرعاً : فهى مال أو صوم وجب بسبب : كحلف أو قتل أو ظهار .

---

(١) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى ـ جـ ٥ ـ ص ٩٥ ـ طبع دار الكتاب العربى ـ بيروت . وانظر ـ أيضا ـ بحث الدكتور / محمد حسين قنديل تحت عنوان : كفارة الجماع فى نهار رمضان . مجلة كلية الشريعة والقانون بدمنهور ـ العدد التاسع ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ص ٦٦ .

* مدرس الفقه المقارن ـ كلية الشريعة والقانون ، فرع دمنهور

وعرفها الرحماني فقال : هي مال أو صوم وجب بسبب من حلف أو قتل أو ظهار أو جماع نهار رمضان عمداً .

ثم قال : إن هذا التقييد يخرج الفدية .

وعرفها عبد البر فقال : هي حق واجب على الحالف أو القاتل أو المظاهر بعد حنثه أو عوده[2] .

وجاء في المجموع للنووى قوله : « وأما الكفارة فأصلها من الكفر ـ بفتح الكاف ـ وهو الستر ، لأنها تستر الذنب وتذهبه ، وهذا أصلها ، ثم استعملت فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك ، وإن لم يكن فيه إثم كالقاتل خطأ وغيره[3] .

وعرفها بعض الفقهاء المحدثين فقال : هي العقوبة المقررة على المعصية بقصد التكفير عن إتيانها[4] .

ومن هذه التعاريف نجد أن الكفارة : هي حق أوجبه الشارع على من أتى شيئاً منهياً عنه أو قصر في مأمور به ، على وجه التحديد .

ثانياً ـ دليل كفارة القتل :

قال ابن الصباغ[5] :

وأما كفارة القتل غير العمد فالأصل فيها الإجماع ، وسنده قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ

---

(2) حاشية البجرمي على الخطيب ـ جـ 4 ـ المرجع السابق ـ ص 13 .

(3) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ 6 ـ ص 333 ـ طبع دار الفكر .

(4) التشريع الجنائي الإسلامي للدكتور عبد القادر عودة ـ جـ 1 ـ ص 683 ـ مكتبة القاهرة .

القول بأن الكفارات عقوبة غير مسلم على إطلاقه ، لأنه لا خلاف بين الفقهاء على أن الكفارات من الحقوق الدائرة بين العبادة والعقوبة ، وأنها عقوبة وجوبا عبادة أداء كما لا خلاف بينهم على أن وصف العبادة في كفارة اليمين والقتل الخطأ هو الغالب ، وأن وصف العقوبة تبع له .

ومعنى كونها عقوبة وجوبا : أنها وجبت أجزية الأفعال يوجد فيها معنى الحظر كالعقوبات .

ومعنى كونها عبادة أداء : أنها تتأتى بالصوم والإعتاق والصدقة وهي قرب ، وتؤدى بطريق الفتوى كالعبادات دون الاستيفاء كالعقوبات .

فالقول بأنها عقوبة محضة إنما يتصور في كفارة الفطر عمدا في رمضان فقد أورد فخر الإسلام في كفارة الفطر خاصة : أنها وجبت قصدا إلى العقوبة والزجر ، بخلاف سائر الكفارات فإن العقوبة فيها تبع ، إذ لا معنى للزجر عن القتل الخطأ مثلا .

انظر : شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح للتفتازاني ـ جـ 2 ص 154 ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ـ ج ـ 4 ـ المرجع السابق ـ ص 109 .

(5) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ 18 ـ المرجع السابق ـ ص 125 .

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[6]

ثالثاً ـ حكمة مشروعية الكفارة :

شرعت الكفارة لتكون سبباً لوجوب التوبة ، وهو إسلامه وعهده مع الله أن لا يعصيه ، وإذا عصاه تاب ؛ لأنها من تمام التوبة ، لأنها شرعت للتكفير .

ولذلك فإن الكفارة تمحو الذنب بناء على أنها جابرة في حق المسلم ، زاجرة في حق غيره ، فهي جابرة كسجود السهو يجبر الخلل الواقع في الصلاة ، فكأنه لم يوجد ، وهو ما رجحه ابن عبد السلام ، أو تخففه بناء على أنها زاجرة كالحدود ؛ لأن بسببها ينزجر الإنسان عن ارتكاب الموجب لها[7] .

المبحث الأول
وجوب الكفارة على غير المكلف

تحرير محل النزاع :

لا خلاف بين الفقهاء في وجوب الكفارة على المسلم البالغ العاقل .

كما لا خلاف بينهم في عدم وجوب التكفير بالصوم على الصبي والمجنون والمعتوه والكافر .

وإنما الخلاف بينهم في وجوب الكفارة على هؤلاء في أموالهم على مذهبين :

المذهب الأول : وجوب الكفارة على الصبي والمجنون والمعتوه والكافر في أموالهم : وإليه ذهب جمهور الفقهاء : الشافعية[8] والحنابلة[9] ، والأباضية[10] ، وبه قال المالكية إذا لم يكن القاتل

---

(6) سورة النساء ـ الآية ٩٢ .

(7) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٨ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت لبنان ـ سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
حاشية البجرمي على الخطيب ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣ ، ٣٠٧ .

(8) ففي مغني المحتاج قوله : «يجب بالقتل كفارة ، وإن كان القاتل صبياً أو مجنوناً» .
انظر : مغني المحتاج للشربيني ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٧ ـ طبع دار الفكر .
وقال صاحب المجموع : «إذا كان القاتل صبياً أو مجنوناً أو كافراً وجبت عليهم الكفارة»
وقال النووي في الروضة : «تجب الكفارة على الذمي والعبد ، وفي مال الصبي والمجنون إذا قتلا»
انظر : المجموع شرح المهذب للنووي ـ جـ ١٩ ـ ص ١٨٨ ـ طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
روضة الطالبين للنووي ـ جـ ٩ ـ ص ٣٨٠ طبع المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(9) وفي المغني والشرح الكبير قوله : «وسواء كان القاتل كبيراً أو صبياً أو مجنوناً حراً أو عبداً» أي إذا كان القاتل صبياً أو مجنوناً وجبت الكفارة في أموالهما وكذلك الكافر . وفي موضع آخر يقول : «وإذا قتل الصبي والمجنون وجبت الكفارة في أموالهما وكذلك الكافر» .
انظر : المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ ص ٥٧٠ ، ٦٢١ ـ طبع دار الغد العربي سنة ١٩٩٥ .

(10) وفي شرح كتاب النيل قوله : «ولزم جانياً عمداً لولد من قبله خروج نفس وإن لرقيق . قيل : وإن بعمد كفارة
انظر : شرح كتاب النيل وشفاء العليل للشيخ محمد بن يوسف أطفيش ـ جـ ١٥ ـ ص ٨٦ . مكتبة الإرشاد ـ جدة ـ السعودية .

كافر[11] .

المذهب الثانى : عدم وجوب الكفارة على الصبى والمجنون ، والمعتوه والكافر مطلقاً ، وإليه ذهب الحنفية[12] ، والزيدية[13] والظاهرية[14] وبه قال المالكية إذا كان القاتل كافراً[15] .

وقد استدل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه .

الأدلـــة

أولاً ـ أدلـة الجمهـور :

استدل الجمهور ـ القائلون بوجوب الكفارة على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر فى أموالهم ـ بالمنقول من الكتاب والسنة والمعقول :

١ ـ أما الكتاب فبقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[16] .

وجه الدلالة من الآية : أوجب الله ـ عز وجل ـ فى هذه الآية الكفارة على القاتل خطأ دون تفرقة بين أن يكون القاتل صبياً أو مجنوناً أو غيرهما[17] .

---

(١١) وفى الشرح الكبير قوله : «وعلى القاتل الحر لا العبد لعدم صحة عتقه ، المسلم لا الكافر ، لأنه ليس من أهل القرب ، وإن كان صبيا أو مجنونا ... عتق رقبة مؤمنة» .

وفى الحطاب قوله : «وعلى القاتل الحر المسلم وإن صبيا أو مجنونا أو شريكا إذا قتل مثله معصوما خطأ عتق رقبة» .

انظر : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٤ ـ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ـ طبع الحلبى . مواهب الجليل للحطاب ـ جـ ٦ ص ٢٦٨ ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

(١٢) وفى المبسوط قوله : «ولكون فعل الصبى دون فعل البالغ فى الحكم قلنا لا يلزمه الكفارة بالقتل» المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٦ ـ ص ٨٧ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م . وفى البدائع قوله : «فلا تجب الكفارة على الكافر والمجنون والصبى» انظر : بدائع الصنائع للكاسانى ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٢ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

(١٣) وفى السيل الجرار للشوكانى قوله : «والكفارة على بالغ عاقل مسلم قتل ـ ولو نائما ـ مسلما أو معاهدا» السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ ص ٤٢٤ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(١٤) وفى المحلى لابن حزم الظاهرى قوله : «ولا قود على مجنون فيما أصاب فى جنونه ، ولا على من لم يبلغ ، ولا على أحد من هؤلاء دية ولا ضمان ، وهؤلاء والبهائم سواء» .

المحلى لابن حزم الظاهرى : جـ ١٠ ـ ص ٣٤٤ ـ طبع دار الآفاق ـ بيروت ـ لبنان .

ومن الجدير بالذكر أن ابن حزم الظاهرى أوجب الكفارة على الكافر الذمى بشرط الإسلام فقال : «وذلك واجب على الذمى إلا أنه لا يقدر فى حاله تلك على عتق رقبة مؤمنة ، ولا على صيام حتى يسلم ، فإن أسلم يوما لزمه العتق أو الصيام ، فإن لم يسلم حتى مات ، لقى الله ـ عز وجل ـ وذلك زائد فى إثمه وعذابه ولا يصوم عنه وليه ، هذا كله نص القرآن الذى لا عهدة من له فى العلم أقل حظ» .

انظر : المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥٩ .

(١٥) انظر حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٨٦

مواهب الجليل للحطاب ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٦٨ .

(١٦) سورة النساء ـ الآية ٩٢ .

(١٧) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ ص ١٨٨ ـ طبع دار الفكر .

٢ ـ وأما السنة فما روى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يا رسول الله ـ إني وأدت بنات لي في الجاهلية ؟ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **اعتق بكل موءودة رقبة** » . ورواه ابن حزم بلفظ : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال يا رسول الله : إني صاحب إبل قال : « **فانحر عن كل واحدة منهن بدنة** »(١٨) .

وجه الدلالة من الحديث : هذا الحديث نص في إيجاب الكفارة على الكافر(١٩) .

٣ ـ وأما المعقول فبوجوه :

الأول : أن الكفارة من خطاب الوضع فتجب على الصبي والمجنون في أموالهم كعوض المتلفات والزكاة(٢٠) .

الثاني : أنها من باب الضمان ـ أيضاً ـ فتجب في مالهما ، فيعتق الولي عنهما من مالهما ، ولا يصوم عنهما بحال(٢١) .

الثالث : أن التكفير حق مالي يتعلق بالقتل ، فتعلق بقتل الصبي والمجنون كالدية(٢٢) .

الرابع : قياس الكفارة على الحدود ، فكما تجب إقامة الحد على الكافر ، كذلك تجب الكفارة عليه وتكون عقوبة عليه كالحدود(٢٣) .

وبعبارة أخرى : أن الكفارة تجب على المسلم للتكفير ، وعلى الكافر عقوبة ، كما أن الحدود تجب على المسلم كفارات وعلى الكافر عقوبة(٢٤) .

ثانياً ـ أدلة المذهب الثاني :

استدل الحنفية ومن وافقهم على عدم وجوب الكفارة على الصبي والمجنون والمعتوه والكافر بالمنقول من السنة والمعقول :

---

(١٨) المجموع شرح المهذب للنووي ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٩ .
المحلى لابن حزم الظاهري ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .
(١٩) المجموع شرح المهذب للنووي ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ص ١٨٩ .
(٢٠) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ـ جـ ٤ المرجع السابق ـ ص ٢٨٦ وورد فيه قوله : « ومعنى أن الخطاب بالكفارة من خطاب الوضع ، أي جعل الشيء سبباً ، فالشارع جعل القتل الخطأ سبباً للكفارة ، ولو من صبي أو مجنون ، والوجوب على الولي وقال الحطاب ـ أيضاً ـ خطاب الوضع هو الخطاب بكون الأسباب والشروط والموانع ، ولا يشترط فيها علم المكلف ولا قدرته ولا كونه من كسبه » انظر : مواهب الجليل للحطاب ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٢ ، الفواكه الدواني ـ جـ ٢ ـ ص ٢٧٣ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .
(٢١) مغني المحتاج للشربيني ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٧ .
(٢٢) المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ المرجع السابق ـ ٥٧١ ، ٦٢١ . المجموع شرح المهذب للنووي ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٩ .
(٢٣) المغني والشرح الكبير ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ٩٤ .
(٢٤) المجموع شرح المهذب للنووي ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ١٨٩ .

١ ـ أما السنة فما روى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق**[٢٥] » .

وجه الدلالة من الحديث :

الحديث نص في أن ما يصدر عن الصبي والمجنون من قول أو فعل غير معتبر ، ولا إثم عليه ، ولا يؤاخذ عليه شرعاً ، فدل ذلك على عدم وجوب الكفارة على أيهما ؛ لأن الكفارة لرفع الإثم ، ولا إثم في فعل أي منهم .

٢ وأما المعقول فبوجوه :

الأول : أن الكفارة كاسمها ستارة ، ولا ذنب لهم لتستره[٢٦] .

الثاني : أنها عقوبة وهم ليسوا من أهلها ؛ لأنهم مرفوعوا القلم[٢٧] .

الثالث : أن الكفارة دائرة بين العبادة والعقوبة ، بمعنى أن فيها معنى العبادة ومعنى العقوبة ، ولا تجب على الصبي والمجنون ومن في حكمها عبادة ولا عقوبة[٢٨] .

الرابع : أن سبب الكفارة يكون دائراً بين الحظر والإباحة ؛ لتكون العقوبة متعلقة بالحظر ، وفعلهم لا يوصف بالجناية ؛ لأنها اسم لفعل محظور ، وكل ذلك يبنى على الخطاب ، وهم ليسوا بمخاطبين ، فكيف تجب عليهم الكفارة[٢٩] .

الخامس : القياس على كفارة اليمين ، فكما لا تجب على الصبي والمجنون كفارة يمين ، كذلك لا تجب عليه كفارة القتل[٣٠] .

السادس : أن الكفارة عبادة محضة تجب بالشرع ، فلا تجب على الصبي والمجنون كالصلاة والصيام[٣١] .

السابع : أن الكفارة يترجح فيها معنى العبادة ؛ لأنها تتأدى بالصوم الذي هو محض عبادة ، والعبادة لا تتأدى إلا بالنية ، وشرط النية الإسلام ، فلا تصح الكفارة من الكافر ؛ لأنه ليس بأهل للعبادة[٣٢] .

(٢٥) رواه البخاري وابن ماجة : انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ـ جـ ٩ ـ ث ٣٠٥ طبع دار الريان للتراث ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م . (١١) باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران ـ حديث رقم ٥٢٧١ ، ٥٢٧٢ ـ وقد روى هذا الحديث في الشرح سنن ابن ماجة ـ جـ ١ ـ ص ٦٥٨ ـ حديث رقم ٢٠٤١ (١٥) باب طلاق المعتوه والصغير والنائم ـ طبع دار إحياء الكتب العربية .

(٢٦) شرح فتح القدير مع التكملة لابن الهمام ـ جـ ٩ ـ ص ٢٣٢ ـ طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

(٢٧) تبيين الحقائق للزيلعي ـ جـ ٦ ـ ص ١٣٩ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية عن الطبعة الأولى سنة ١٣١٥ هـ .

(٢٨) (٢٩) تبيين الحقائق للزيلعي ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ .

(٣٠) المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ والمرجع السابق ـ ص ٦٢٣ .

(٣١) المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٢١ .

(٣٢) المبسوط للسرخسي ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣١ .

قال صاحب البدائع : « فلا تجب الكفارة على الكافر والمجنون والصبي ؛ لأن الكفار غير مخاطبين بشرائع هي عبادات ، والكفارة عبادة ، والصبي والمجنون لا يخاطبا بالشرائع ـ أصلا[٣٣] .

الثامن : أن المقصود بالكفارة التكفير والتطهير ، والكافر ليس بأهل له ؛ لأن ما فيه من الشرك أعظم[٣٤] .

مناقشة الأدلة

مناقشة أدلة الجمهور :

وردت على أدلة الجمهور ـ القائلين بوجوب الكفارة على الصبي والمجنون والمعتوه والكافر في أموالهم ـ المناقشات الآتية :

١ ـ يناقش استدلال الجمهور بالآية بأن العموم الوارد فيها مخصوص بغير الصبي والمجنون والمعتوه لحديث : « رفع القلم عن ثلاث .... الحديث »[٣٥]

ومن ثم فالصبي والمجنون لا يدخلان في الخطاب .

وأجاب عن هذا صاحب المجموع فقال : إنما لا يدخلان في خطاب المواجهة لقوله ـ تعالى ـ : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله »[٣٦] ، ويدخلان في خطاب الأنام ، كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « في كل أربعين شاة شاة »[٣٧] .

٢ ـ حديث عمر بن الخطاب مردود بوجهين :

أحدهما أنه ضعيف .

قال الإمام أبو محمد علي بن حزم الظاهري : وأما خبر عمر بن الخطاب فلا يصح ؛ لأن في طريقه اسرائيل وهو ليس بالقوى ، وسماك بن حرب وكان يقبل التلقين .

الثاني : وقال ابن حزم أيضا ـ فكان يكون في إيجاب ذلك على كل من قتل نفسا في الجاهلية ، وهو كافر حربي كما كان قيس بن عاصم المأمور بهذه الكفارة في هذا الحديث ، وهم لا يقولون بهذا أصلا ، فبطل تعلقهم بهذا الخبر[٣٨] .

---

(٣٣) بدائع الصنائع للكاساني ـ جـ ٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٥٢ .

(٣٤) المبسوط للسرخسي ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣١ .

(٣٥) راجع ص ٩ من هذا البحث .

(٣٦) سورة البقرة ـ الآية ٢٧٨ .

(٣٧) المجموع شرح المهذب للنووي ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣٨) المحلى لابن حزم الظاهري ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .

٣ ـ ويناقش الاستدلال بالمعقول بأن القول بأن الخطاب بالكفارة من خطاب الوضع غير مسلم ؛ لأن جعل الصوم أحد قسميها يقتضي أنها من باب خطاب التكليف ؛ لاشتراط التكليف في الصوم .

وأجيب عن هذا : بأننا قلنا إنها من خطاب الوضع بالنسبة للقسم المالي ، فيعتق عنه وليه ، لأنها كعوض المتلفات ، لأنها عوض عن النفس ، فإن عجز أخِّر الصوم لبلوغه[٣٩] .

مناقشة أدلة المذهب الثاني :

نوقشت أدلة الحنفية ومن وافقهم ـ القائلين بعدم وجوب الكفارة على الصبي والمجنون والمعتوه والكافر في أموالهم ـ بالمناقشات الآتية :

أولا : قياس الكفارة على الصوم والصلاة قياس مع الفارق ؛ لأن الصوم والصلاة عبادتان بدنيتان ، والكفارة عبادة مالية أشبهت نفقات الأقارب[٤٠] .

وأجيب عن هذا : بأن الكفارة فيها معنى العبادة والعقوبة ، ولا تجب على الصبي والمجنون عبادة ولا عقوبة ؛ لأن الشرع أسقط عنهما التكليف[٤١] .

واعترض على هذا : سلمنا ذلك في حق الصبي والمجنون والمعتوه ، لكن لا نسلمه في حق الكافر ؛ لأنه يصح منه العتق ، ولا يصح منه الصوم ، فلا تمتنع الكفارة بامتناع بعض أنواعها ، كما في حق العبد[٤٢] .

ثانيا : القياس على كفارة اليمين قياس مع الفارق ـ أيضا ـ ؛ لأن كفارة اليمين تتعلق بالقول والصبي والمجنون لا قول لهما ، بخلاف كفارة القتل ، فإنها تتعلق بالفعل ، وفعلهما متحقق ، قد أوجب الضمان عليهما ؛ لأنه يتعلق بالفعل مالا يتعلق بالقول بدليل إحبالهما[٤٣] أي أن العتق يتعلق بإحبالهما دون إعتاقهما بقولهما .

ثالثا : القول بأن الكفارة لا تتأدى إلا بالنية فلا تصح من الكافر غير المسلم ؛ لأن النية إنما تعتبر لتعيين الفعل للكفارة ، ولا يمتنع ذلك في حق الكافر ، كالنية في كنايات الطلاق[٤٤] .

---

(٣٩) انظر المناقشة والرد عليها : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٨٦ (بتصرف) .
(٤٠) المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٢١ .
(٤١) تبيين الحقائق للزيلعي ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ .
(٤٢) تفسير الفخر الرازي ـ جـ ٢٩ ـ مجلد ١٥ ـ ص ٢٥٣ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .
الكشاف كشاف القناع للبهوتي ـ جـ ٦ ـ ص ٦٦ ـ طبع عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م . المغني والشرح
(٤٣) لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٢١ .
(٤٤) المغني لابن قدامة على مختصر الخرقي ـ جـ ٧ ـ ص ٣٣٩ .

رابعا : القول بأن الكافر ليس من أهل الكفارة ، يبطل بوجوب كفارة الصيد عليه إذا قتله في الحرم[٤٥] .

الرأى المختار :

وبعد عرض مذاهب الفقهاء وأدلتهم فى مدى وجود كفارة القتل على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر فى أموالهم ، ومناقشة ما أمكن مناقشته منها ، فإننى أميل إلى ترجيح رأى القائلين بعدم وجوب الكفارة على أحد من هؤلاء فى أموالهم ؛ لأن الكفارة لرفع الإثم الحاصل نتيجة عدم التحرز والاحتياط ، ولا إثم فى فعل الصبى والمجنون والمعتوه ، هذا فضلا عن أن الكفارة فيها معنى العبادة والعقوبة ، ولا تجب على هؤلاء عبادة ولا عقوبة .

كما أن ما فى الكافر من الشرك أعظم من الإثم الحاصل من القتل الموجب للكفارة ، ولا تنفعه الكفارة لقوله ـ عز وجل ـ : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ »[٤٦]

ورغم ذلك فإننى أرجح رأى الإمام أبى محمد على بن حزم الظاهرى فى ان الكافر تجب عليه الكفارة بشرط الإسلام ، فإذا أسلم يوما ما لزمه العتق أو الصيام ، فإن لم يسلم حتى مات لقى الله ـ عز وجل ـ وذلك زائد فى إثمه وعذابه[٤٧] .

« يتبع »

---

(٤٥) المغنى لابن قدامة على مختصر الخرقى ـ جـ ٧ ـ المرجع السابق ص ٣٣٩ .

(٤٦) سورة النساء ـ الآية ٤٨ ، ١١٦ .

(٤٧) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥٩ .

رحمة الإسلام بالطير وبالحيوان

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

الرحمة ابتسامة من نور فى ثغر هذا الوجود ، وكوكب درى فى سماء الإنسانية المثالية ، والرحمة بشير الخير للنفوس التى عضها الدهر بنابه وأصابها بأوصابه !! والرحمة صفة النفس الكريمة والقلوب السليمة والأخلاق القويمة ، ورحمة الله الواسعة يستحقها المحسنون المتقون

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(من الآية ـــ ٥٦ ـ من سورة الأعراف)

﴿ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

سورة الأنعام

والرحمة الإلهية يلازمها الإحسان إلى من يمنحهم الله رضاه فيختصهم برحمته تفضلا منه ونعمة وإكراما منه جل جلاله ، والله يقول :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾

سورة الأحزاب

ولا يوجد شىء يعادل رحمة الله غير علمه عز وجل ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ والله أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الآية ـ ١٠٧ ـ من سورة الأنبياء)

وجعله بالمؤمنين رءوف رحيما وقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ (سورة التوبة)

(أما الأنعام فهي نعمة من الله تعالى)

﴿ وَالْأَنْعَامَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
(٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) ﴾ سورة النحل

ثم يقول جل جلاله : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) ﴾ سورة النحل

وفي قول الله عز وجل ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾ إشارة إلى أن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى توجب شكر المنعم المتفضل على المنعم عليه بمقابلة نعمته هذه بالرفق بالحيوان بالإطعام حتى يشبع وبالسقي حتى يرتوى ، فهو يتألم من الجوع ويبكي بغير دموع ، يتألم ولا يتكلم ، والله يقول للإنسان العاقل :

﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ سورة القصص

إن الله خلق بهيمة الأنعام لنفع الإنسان وذللها له فهي خادم مطيع للصغير والكبير :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ سورة يس

إن الله قد ذللها ... فلماذا يهملها قساة القلوب غلاظ الأكباد من بني البشر ؟

ولا يجوز أن يوضع حمل ثقيل على الدابة قد لا تطيقه فإذا ظهر عليها التألم انهال عليها بالضرب بدون رحمة أو وازع ديني يقول له : الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من

فى السماء ، فمن حفظ دين الله حفظه الله ، والسعيد من وفقه الله لطاعته وهداه ، فمن اتقى الله وقاه الله ورعاه ، ولكن الرحمة لاتنزع إلا من شقى ذى قلب غليظ فظ .

جاهلية العرب فى الأنعام

خلق الله الأنعام لمنافع الناس ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ ولكن تقاليد الجاهلية قد جعلت بعض العرب لاينتفعون أحيانا بأنعامهم ويعطلون ما خلقت من أجله !!

فمن عاداتهم العجيبة ومن تقاليدهم الغريبة فى أيام جاهليتهم فى أنعامهم مايسمونه «السائبة» وهى الناقة التى يقول صاحبها : إن برئت من مرضى وعدت من سفرى فناقتى سائبة ويهذا – يحرم ركوبها ودرها ، و(الوصيلة) الوصيلة من الشاه : التى وصلت بين سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإن ولدت فى السابعة عناقاً وجديا قيل وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها[1] ، وأما (الحام) فهو الفحل الذى ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقال عنه قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه أما (البحيرة) هى الناقة التى تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر فإنهم كانوا يبحرون أذنها أى : يشقونها ثم يحرمون ركوبها ودرها .

أرأيت كيف كانوا يعطلون المنافع ؟ فلما جاء الإسلام أبطل كل هذا وأنكره عليهم ، وبشريعة الإسلام استقر الأمر واستتب الأمن وسعد الناس فى حياتهم والله جل جلاله يقول :

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

سورة المائدة

يسومونه سوء العذاب

ولقد كان الناس فى جاهليتهم يسومون الحيوان سوء العذاب فإذا مات كبير القوم يعقلون ناقته أو بعيره عند قبره ويتركونه فى حفرة لايطعم ولايسقى حتى يموت !!

وكان الشيطان يأمرهم بشق آذان الأنعام كما حكاه القرآن عنهم وعن شيطانهم :

﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ (ســورة النساء)

ومن تعاليم الإسلام أن نتقرب إلى الله بالإحسان إلى الحيوان الخادم المطيع لصاحبه وهو أمانة عنده ، والرحمة تصدر من قلب سليم وخلق كريم وعاطفة نبيلة ، فلقد وردت أحاديث نبوية مطهرة فى فضل إطعام الإنسان والطير والحيوان منها قوله صلوات الله وسلامه عليه :

(ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهمة إلا كان له به صدقة) صحيح مسلم .

وصح أن رسول الله ﷺ قال : (بينا رجل يمشى بطريق أشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيه فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا من العطش مثل الذى بلغ بى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكره الله وغفر له قالوا : يا رسول الله وإنه لنا فى البهائم أجراً قال : فى كل ذات كبد رطبة أجر) صحيح البخارى .

لو تأملت فى قولهم وإن لنا فى البهائم أجراً لعرفت كيف كانوا يستهينون بالبهائم ، وكأنهم كانوا لا يعلمون أن الله لا يضيع أجر من يحسن إلى الأنعام وأما من كان قاسياً جباراً لا يرحم طيراً ولا حيواناً فعليه الوزر وسيعذب مثل ماعذبت إمرأة فى هرة فقد جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال :

«عذبت إمرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من حشاش الأرض»
«البخارى ومسلم»

لقد كانت ولازالت وستظل الرحمة بكل ذى كبد رطبة من شيم المؤمنين وخلق المتقين لأن رسالة خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ كانت رحمة للعالمين أجمعين ولولا الرسالات الإلهية لأصبح الإنسان وحشاً ضارياً ولصار جباراً شقياً ولولا الإسلام القيم لما عرف الناس حقوق الإنسان ، وبالتقوى ترق الأمم وتظهر الذمم ويستقر الأمر ويستتب الأمن وتطمئن القلوب ولئن كان صيد الطير والحيوان المباح أكل لحمه جائزاً شرعاً إلا أن الذبح والصيد له شروط شرعية تراعى رحمة بالطير أو الحيوان الذى سيذبح تخفيفاً للألم ، فلا يذبح أمام غيره من مثله ، ولاتحد السكين أمامه ، ولايجر بعنف وقسوة إلى مكان الذبح منعا من إيلامه .

إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته .

والله رءوف بالعباد فلا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ، وسيمنح الله الرحماء رحمته ، فما خلق الإنسان ليكون فظاً غليظ القلب لا يرحم طيراً أو حيواناً أو آدمياً ولا يتعامل مع الناس بالرفق والإباء والصبر والحلم والذوق والرقة والتلطف ، وإنما خلق ليكون مسلماً تقياً عابداً رضياً لا جباراً عصياً ولا مجرماً شقياً !!!

وقد يباح شرعاً قتل الضار من الحيوان : كالكلب العقور والفأرة المؤذية المعدية ونحو ذلك مما يكون أمره خطيراً من سباع ووحش يهاجم الآمنين ولكن لا يصح إحراقه بالنار فى قتله أو التمثيل

به فقد أذن الإسلام بقتله مع الإحسان فى قتله (فأحسنوا القتلة) .

وإذا وضع الطير فى قفص مثلاً فيجب إطعامه وسقيه وإكرامه .

وليس من الرفق بالطير وضعه مع غير جنسه من الطيور .

وليس من الرحمة بالحيوان وضع قلائد ضيقة فى رقبته تضايقه وترهقه حين يمشى أو يأكل أو يشرب .

وليس من الرحمة حبسه فى مكان ضيق أو أن يشد وثاقه بالسلاسل وغير ذلك .

وليس من الرحمة بالحيوان السليم وضعه مع حيوان مريض يؤذيه ويعديه ، وليس من الرحمة إلقاء حمل ثقيل عليه وقد يكون جائعاً هزيلاً أو مريضاً ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ مَرَّ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال (اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة) « رواه أبو داود » .

يعنى كان بطنه خاوياً من شدة الجوع والعطش والضعف : والمعجمة التى لا تنطق لتعبر عن آلامها وأحوالها ، فقد تتألم ولكن لا تتكلم :

وليس من الرحمة ألا يعطى الحيوان قسطاً من الراحة : فيترك يعيش فى عناء مستمر ظالم .

وليس من الرفق به أن يضرب بالعصا أو السوط .

وليس من الرحمة أن يمكن طفل من التلهى بطير يعبث به ويعذبه بدون رحمة أو رفق به ، ومن اللغو فى القول أن يشتم إنسان بهيمته : أما لعن البهائم فليس من خلق المسلم وهذا مما يأباه الإسلام ويمقته .

إنما الأعمال بالنيات

فالرحمة بالحيوان وكل ذى كبد رطبة دليل الإيمان بالله ولا تستقيم الحياة إلا باستقامة النفوس البشرية ؛ لتكون نفوساً رحيمة قوية راضية مرضية قانعة أبية مخلصة لله تقية طاهرة نقية ، والقلوب السليمة تنفع يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والتغيير من حال إلى حال ينبع من داخل النفوس ، فإذا افتقرت النفوس من الإيمان بالله وحده لا شريك له انتشرت الفتن ما ظهر منها وما بطن ، والله قد جعل باب المتاب مفتوحاً لمن حسنت نيته وطهرت سريرته فاستنارت بصيرته : وصدق ـ الله سبحانه ـ إذا يقول :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

الآية : ٨٢ من سورة طه

- ٢ -

النزعة العقلية عند الإمام الشافعي

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومي (*)

سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن كتب الشافعي ، هي أحب إليك أم كتب أبي حنيفة وأبي يوسف ؟ فقال : الشافعي أحب إليّ ، هو إن وضع كتابا فهو يفتي بالحديث ، وهؤلاء يفتون بالرأي ، فكيف بين هذين ؟!

وحين سُئل عن الموازنة بين كتب الشافعي – قبل مصر وكتبه في مصر – قال : عليك بالكتب التي وضعها بمصر ، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ، ثم رجع إلى مصر فأحكمها[1] .

يقول المبرد : رحم الله الشافعي ، فإنه كان من أشعر الناس وآدب الناس ، وأعرفهم بالقراءات[2] .

الشافعي والتغبير :

قال الشافعي : خلفت في العراق شيئا يسمى (التغبير) وضعته الزنادقة يشتغلون به عن القرآن .

وقال غيره فيه عن الجروي : زنا . وقال بعضهم فيه : تركت بالعراق شيئا وضعته الزنادقة ، هذه الألحان .

وقال صاحب التهذيب : المغبرة ، قوم يغبرون بذكر الله – تعالى – بدعاء وتضرع كما قال :

عبادك المغبرة ... رش علينا المغفرة

(*) الكاتب : الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(١) البيهقي جـ١ ص٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٢) البيهقي جـ١ ص٢٧٩ .

قال الأزهري : وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيرا - كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا ، فسموا مغبرة لهذا المعنى .

قال الأزهري : وروينا عن الشافعي أنه قال : أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن .

وقال الزجاج : سموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفانية وهي الدنيا ، وترغيبهم في الآخرة الباقية[3] .

محنتــــه :

عندما توفي الإمام مالك لم يطب المقام للإمام الشافعي في المدينة - وكان في ذلك الوقت فقيرا ، فاتجهت نفسه إلى عمل يكتسب منه قوت يومه ويسد به حاجته . وصادف في ذلك الوقت أن قدم إلى الحجاز والي اليمن فكلمه بعض القرشيين في أن يصحبه الشافعي . فأخذه ذلك الوالي معه .

وقد تولى في اليمن « ولاية نجران » وكان فيها والٍ ظالم . فكان الشافعي يأخذ على يديه ويمنع مظالمه من أن تصل إلى الناس . وقد استخدم الإمام الشافعي قدرته على النقد واستخدام الحجة في الوقوف في وجه هذا الوالي فما كان من الوالي إلا أن أخذ يكيد له بالدس والشكاية عند الخليفة عن طريق أحد قواده في اليمن .

وقد كان العباسيون يعدون خصومهم الأقوياء العلويين ؛ لأنهم يدلون بمثل نسبهم ولهم رحم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولذا كانوا إذا رأوا دعوة علوية قضوا عليها وهي في مهدها . لذلك عاداهم الوالي من هذه الناحية واتهم الشافعي بأنه مع العلوية فأرسل إلى الرشيد أن تسعة من العلوية تحركوا ، ثم قال في كتابه : إني أخاف أن يخرجوا وأن هاهنا رجلا من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي . فأرسل الرشيد أن يحضر أولئك النفر التسعة من العلوية ومعهم الشافعي[4] .

وقد ورد في مصادر متعددة أن هارون الرشيد قتل النفر التسعة من العلوية أما الإمام الشافعي فقد نجا بقوة حجته . وشهادة محمد بن الحسن[5] له بالعلم والفضل - أما من جهة حجته « فقد ورد أن الإمام الشافعي طلب من هارون الرشيد أن يفك قيده حتى يستطيع التعبير عما يريد . ويرفع عنه السيف المسلط على رقبته . فقبل هذا الأمر هارونُ الرشيد . فقال له الشافعي « يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه . والآخر يراني عبده أيهما أحب إليّ ؟ قال : الذي يراك أخاه . قال : فذاك أنت يا أمير المؤمنين إنكم ولد العباس - وهم ولد علي - ونحن بنو المطلب - فأنتم ولد العباس تروننا إخوانكم وهم يروننا عبيدهم »[6] فاقتنع الرشيد بالحجة .

وأما شهادة محمد بن الحسن - فذلك لأن الشافعي استأنس لما رآه في مجلس الرشيد ؛ لأن العلم رحم بين أهله . فسأل الرشيد محمدا . فقال : له من العلم حظ كبير . وليس الذي رفع إليك من شأنه - قال : فخذه إليك حتى أنظر في شأنه وبهذا نجا[7] .

---

(3) البيهقي جـ1 ص 283 .

(4) الإمام الشافعي « الشيخ أبو زهرة » .

(5) هو أحد صاحبي أبي حنيفة المشهورين .

(6) الإمام الشافعي الشيخ أبو زهرة 22/23 .

(7) في رحاب الشافعي عبد الله العوضي 32 - 33 . ط الأولى والإمام الشافعي - أبو زهرة 23 .

ويقال : إن الرشيد استدعاه بعد ذلك فى منزله فسأله عن القرآن وعلومه فكانت إجابات الشافعى دقيقة للغاية - حتى أنه كان يقول : عن أى علم من علومه تسأل : عن الناسخ والمنسوخ ، أم الخاص والعام أم عن المجمل والمفسر ، فبهر الرشيد بهذه التفاصيل التى كان يذكرها الشافعى فخبيرة بعد ذلك بأنه واثق من علمه وغزير فى معلوماته . وأنه صاحب باع طويل . وأن كلامه يدل على إخلاصه وتثبته مما يقول[8] .

فى ظلال الإمام مالك :

ظل الإمام الشافعى يطلب العلم بمكة على يد فقهائها ومحدثيها - حتى بلغ فيه شأنا عظيما . ولما بلغ العشرين من عمره بدأ يتطلع إلى التزود بالعلم من خارج مكة .

« وقد وصل إليه خبر إمام المدينة مالك بن أنس - رضى الله عنه - فقد انتشر اسم ذلك الإمام الجليل وتناقله الركبان . وكان لابد أن تسمو همة الشافعى - رضى الله عنه - إلى التلقى عنه . وأن يذهب إلى المدينة . ولكنه لم يرد أن يذهب إلى مالك خالى الوفاض من علمه . وكانت قراءته دافعة له فى إرادة الذهاب . وقد استطاع أن يستأنس بفقه مالك مع علوّ درجته فى الرواية ، وعند اعتزامه الرحيل استطاع أن يأخذ كتابا من والى مكة إلى والى المدينة ليسهل له لقاء الإمام مالك - رضى الله عنه -[9] ولقد أعجب مالك بالإمام الشافعى عندما رآه فقال له : « يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصى فإنه سيكون لك شأن . إن الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تضيعه بالمعصية . إذا ما جاء الغد تجىء ويجىء من يقرأ لك »[10] .

وذلك لأنه قد جرت العادة فى ذلك العصر أن يتلقى طلاب الحديث - الحديث عمن رواه أو دونه ، لذلك جاء الشافعى فى اليوم الثانى ومعه الموطأ ليقرأه على مالك فابتدأ يقرؤه فأعجب مالك بحسن قراءته . فكان الشافعى كلما تهيب الاستمرار فى القراءة يقول له مالك : زدْ يا فتى ولذلك أتمه فى القراءة على مالك فى أيام يسيرة[11] .

وبعد أن روى الشافعى عن مالك موطأه لزمه يتفقه عليه ويدارسه المسائل التى يفتى فيها الإمام الجليل إلى أن مات سنة ١٧٩ هـ .

وبعد موته لم يطب للشافعى المقام فى المدينة فاصطحب والى اليمن ، وهناك تولى (ولاية نجران) وقد سبق الحديث عن ذلك .

النزعة العقلية
عند الإمام الشافعى ومنهجها

أولاً : التأمل وأثره فى مواقفه الفكرية : البنائية والنقدية .

قد يتبادر إلى الذهن - وليس غريبا أن يتبادر - أن التأمل - الذى نجعله إحدى ركائز الاتجاه العقلى عند الشافعى ، بل ومن أهمها :

ليس هو طريق العزلة الفكرية القائمة على التأمل الذاتى البحت إنما هو ذلك التأمل الذى

(٨) فى رحاب الشافعى / العوضى ٣٤ .
(٩) تاريخ المذاهب الإسلامية - الشيخ أبوزهرة ٤٣٩ - ٤٤٠ .
(١٠) المصدر السابق : ٤٤٠ - ٤٤١ .
(١١) تاريخ المذاهب الإسلامية - الشيخ محمد أبوزهرة ٤٤١ .

يجرى بين الشخص ونفسه فى شكل حوار نفسى ، هو أحد المعايير المهمة التى قد ينطبع بها اتجاهه الفكرى فى ترتيب المسائل ، الفكرية الخاصة بالبحث .

معنى ذلك أن الحديث الذهنى الوارد على شكلين :

وارد : « أى خاطر » تحكمه الهواجس النفسية فيرد غير موجه لا خطة له ولا ثبات له ، وفى هذه الحالة يُقال : إن الأفكار شاردة قلقة ، وتبدو كأن إحداها لا صلة لها بالأخرى . كما هو الحال عند المتهورين الذين يجرون وراء الأحلام .

ووارد : تحكمه الثقافة فهو أكثر ثباتا لوجود خطة ناظمة له فتبدو معه الفكرة متسلسلة حتى تؤدى إلى الشىء الذى تستهدفه مثل هذه السلسلة المتابعة من الصور المنظمة ، وهى نوع من التفكير الواعى وتلك هى المعرفة العلمية . فالعلم هو معرفة تؤدى إلى النتائج ، واعتماد حدث على حدث آخر نفيا أو إثباتا .

بهذه المعرفة تعمل اعتمادا على ما بوسعنا أن نعمله .

ومن ذلك تتكون نواة التفكير المنطقى - وما يتكون لدينا من أفكار .

وبالتأمل العلمى على نحو ما شرحنا تنجذب الأفكار العلمية بعضها إلى بعض بالعلاقة الرابطة بين ما يبدو من الأفكار متنافرا .

والتأمل هو الذى يصنع تلك الجاذبية الفكرية التى تصنع الانسجام فى العلاقات الاجتماعية وخاصة إذا اهتدى المتأمل إلى الربط بين أسلوب الحياة وبين حاجات الفكر .

وعلى هذا المفهوم العلمى لمعنى التأمل نحمل معنى التأمل عند الشافعى وهو الصفة الغالبة عليه ، وذلك لما يتميز به الإمام منذ نبوغه .

فالتفكير الهادىء فى مظهره ، وحسن البصر فى الأمور ، وعمق النظر فيما حوله من ثقافات لتلك الخصائص الفكرية . رأيناه يرتبط بالتأمل الصامت المتأخر الذى بنى عليه منهجه الفكرى .

قال محمد ابن أخت الشافعى عن أمه أنها قالت : ربما قدمنا فى ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح بين يدى الشافعى ، وكان يستلقى ويتذكر ثم ينادى : ياجارية هلمى مصباحا فتقدمه . ويكتب مايكتب ثم يقول : ارفعيه . فقيل - لأحمد : لِمَ أمر برد المصباح ؟ قال : الظلمة أجلى للقلب .

وليس هذا النوع من التفكير الهادىء فى ظلمة الليل كتفكير من يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع ، بل يعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها . وذلك هو النظر الفلسفى .

قال ابن سينا فى منطق الشفا : « إنا لا نشتغل بالنظر فى الألفاظ الجزئية ومعانيها ؛ فإنها غير متناهية كان علمنا بها من حيث هى جزئية يفيدنا كلاً حكيما وحكمة حكيمة . فتأمل الشافعى تأمل فيلسوف يرى فى الأشياء ما يستحق النظر والرؤية وعميق التأمل .

يقول أحمد : الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : فى اللغة ، واختلاف الناس ، والمعانى ، والفقه .

فالشافعى كان فيلسوفا معبرا عن نزعته العربية وتراثه الإسلامى - فهو فيلسوف فى اللغة

واختلاف الناس والمعاني والفقه - وتلك عمد الثقافة العربية الإسلامية - والتأمل وإن تميز به الشافعي فإنه حقيقة غالبة على الفكر العربي بيد أن تأمل الشافعي موجه إلى مشكلات الثقافة والفكر ومنهج ارتباطهما بالإسلام، والبحث عن الحلول الكفيلة لبقاء مسايرة الإسلام لمتغيرات المجتمع ومشكلاته.

من آثار التأمل:

أ - اختيار الأستاذ:

قال الشافعي - عندما وصل إليه الخبر بأن مالك بن أنس إمام المسلمين وسيدهم: فوقع في قلبي أن أذهب إليه فاستعرت كتاب الموطأ من رجل بمكة فحفظته.

ثم دخلت على والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة[12] وإلى مالك بن أنس، وقدمت المدينة وأبلغت الكتاب فقال والي المدينة: يا فتى لو كلفتني المشي من جوف مكة إلى جوف المدينة راجلاً حافياً كان أهون عليّ من المشي إلى باب مالك.

فقلت: إن رأى الأمير أن يحضره. قال: هيهات ليتنا إذا ركبنا إليه ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب. قال: ثم ركب وذهبنا معه إلى دار مالك فتقدم رجل وقرع الباب فخرجت لنا جارية سوداء. فقال لها الوالي: قولي لمولاك إني بالباب. فدخلت الجارية فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقول لك: إن كان لك مسألة فارفعها في رقعة حتى يخرج لك الجواب، وإن كان المجيء لشيء آخر فقد عرفت يوم المجلس فانصرف. فقال لها: قولي إن معي كتاب والي مكة في مهم. فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسي ثم وضعته فإذا مالك شيخ طوال قد خرج وعليه المهابة وهو متطليس فدفع الوالي الكتاب إليه فلما بلغ إلى قوله: محمد بن إدريس رجل شريف من أمره ومن حاله كذا وكذا فرمى الكتاب من يده. وقال: سبحان الله! صار علم رسول الله يحيث يطلب بالوسائل:

قال الشافعي: فتقدمت إليه فقلت: أصلحك الله إني رجل مطلبي من حالي ومن قصتي كذا وكذا فلما سمع كلامي نظر إليّ ساعة، وكان لمالك فراسة - فقال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد. قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه يكون لك شأن من الشأن. فقلت: نعم وكرامة. فقال: إن الله - تعالى - قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية. ثم قال: إذا كان غداً تجيء لمن يقرأ لك الموطأ.

فقلت: إني أقرأ من الحفظ - فرجعت إليه من الغد وابتدأت بالقراءة، وأردت قطع القراءة خوفاً من ملالته، فأعجبه حسن قراءتي فكان يقول: يا فتى زد. فقرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك - رحمه الله.

يصف الإمام الشافعي اللقاء الأول بالإمام مالك. فبيّن أنّ باعث الزيارة كان خاطراً تأمليا إثر سماعه عن إمامته للمسلمين فحرك هذا الخاطر ميل التلمذة عليه والتعرف إليه فاتخذ سبيله إليه غير أن شغفه بزيارة مالك لم ينسه الإعداد الكامل لهذه الزيارة إعداداً يتناسب مع

(١٢) أي ليشفع له عند مالك فيسهل عليه الدراسة عند مالك.

رجل العلم وإمامه ، وإعداداً ينم عن صورة النزعة العقلية التى اتصف بها الشافعى منذ يفاعته ، والتى كان التأمل عمادها الأول . وهذا الإعداد الذى ينم عن نزعته العقلية هو :

- البحث عن سند مالك الفكرى الذى شاع به علمه فوجده فى كتابه : الموطأ .
- محاولة البحث عن الكتاب حتى وجده ثم استعاره من رجل بمكة .
- محاولة درسه واستظهار رواياته .

بذلك أصبح الشافعى على علم بالشخصية التى حركه خاطره لزيارتها ، ولرغبته الجامحة استكتب والى مكة لوالى المدينة حتى ييسر له هذه الزيارة .. وهذا الإعداد الذى ينم عن عقلية منظمة من جهة الشافعى يدل على عظمة الإمام مالك ، وأنه كان موقراً من قبل رجل السياسة فضلا عن أهل العلم .

أعرب الإمام عن استيائه من صنيع الشافعى الذى جاء لطلب العلم ، ومعه كتاب من والى مكة وفى صحبة والى المدينة قائلا : سبحان الله ، علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحيث يطلب بالوسائل :

كلمة لو تدبرناها لرأينا فيها عدة مبادىء :

- مبدأ استقلال العلم عن السياسة .
- مبدأ احترام العلم بطلب بحثه .
- مبدأ احترام حرية التعبير الذى يكفل للمعلم أن يلفت نظر طلابه إلى ماينبغى عمله .
- مبدأ أن الاستحسان الفقهى العلمى هو غير الاستحسان السياسى إلى غير ذلك من المبادىء التى تهدف إلى أن العلم حرم آمن .

(٦) الأثر العلمى :

قال الشافعى عن ثمرة زيارته : قرأت عليه الموطأ حفظا .

ثم وصف الشافعى مواطن العجب التى تعجب منها الإمام مالك قائلاً : فأعجبه حسن قراءتى ؛ فلم يعجب من استظهاره للموطأ إنما عجبه كان من حسن القراءة ؛ فيبدو أن اللحن كان قد بدأ يظهر . وما كان مصدر عجب لمالك سأله عنه هارون الرشيد بقوله : كيف بصرك بالعربية ؟ قال الشافعى : هى ميداننا - طباعنا بها تقدّمتْ ، وألسنتنا بها جرَتْ . ولقد ولدت وأنا ماأعرف اللحن فكنت كمن سلم من الداء فلم يحتج إلى الدواء . والقرآن يشهد لى بذلك قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[١٣] . وأنت وأنا منهم فالعنصر رصيف ، والجرثومة منيفة ، وأنت أصل ونحن فروع .

فقال الرشيد : صدقت - بارك الله فيك - لقد صدق الشافعى بكل معانى الصدق عندما قال : لقد كان مالك شديد الفراسة . فصدق بها إحساس الشافعى عندما تفرّس فراسة مالك ووصفها بالشدة - وصدقت بها أيضا فراسة مالك لماتنبأت به عن مستقبل الشافعى .

ذكر الأستاذ أبومنصور البغدادى : أن الشافعى أخذ العلم من مالك وبقى معه إلى أن مات .

(١٣) سورة إبراهيم - آية ٤ .

(٢) الأثر النفسي من تلك الزيارة :

أصبح لمالك مكانته فى نفس الشافعى ، وهى مكانة تحدث بها لتلاميذه :

● روى ابن عبدالحكم أن الشافعى كان إذا حكى قولا لمالك قال : هذا قول أستاذنا مالك بن أنس .

● وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعى يقول : ما فى الأرض كتاب فى الفقه والعلم أكثر صوابا من كتاب مالك .

إذاً لقد تحدث الشافعى عن علم مالك وأستاذيته له . ونقل تلاميذ الشافعى هذا الثناء عنه فلم يكن ثناء الشافعى على مالك سراً ، ولم يكن به شىء من المداهنة أو الملق . إنما كان ثناؤه عليه لمهابته وعلمه خالصا مخلصا ، ولا سيما أن الثناء عليه كان بعد موته .

وإن ثناء الشافعى على مالك وحديثه الفياض عن أستاذية مالك إياه ، لحق يقرره الخلق ، وشرف الانتماء إلى العلم ، ثم هو يعلى من شأن الطالب والقدوة معا .

والاعتراف بحق الأستاذيـــة لذويها من مقررات آداب طلب العلم مادام العلم لا يؤتى إلا من طريقين مع تفاوت بينهما :

● طريق الوحى : كان حقاً للرسل ثم انتهى بانتهاء حياة الرسل .

● طريق العلماء كتابة أو تلقياً ، وهو الباقى بوسائله العلمية ؛ فالاعتراف بالأستاذية لذويها فيه رعاية للطريق الثانى للعلم بعد الوحى والوحيد بعد انتهاء مرحلة الوحى . كذلك فى الاعتراف بالأستاذية تقدير لحق التقدم الزمنى للأستاذ .

وما الطالب فى النهاية بالنسبة للأستاذ إلا خطوة على طريق البحث والتقدم . وليس إلا رؤية جديدة تعالج آفاقا جديدة والأستاذ كان طالبا والطالب قد يصير أستاذا . درجات تربطهما الرعاية فاعط العلم كُلّك يعطك بعضه .

ب - من أثر التأمل : نقده بعض آراء مالك :

إن أستاذية مالك للشافعى كانت محل احترام من غير تقديس فى نفس الشافعى فكان لا يمنعه أن يرى الرأى فى آراء مالك .

ولقد يكون لبعض السابقين تشبث بآراء فقه بعض من سلف من أولى الرأى الاجتهادى ، ولقد يكون هذا الموقف مدخلا إلى غلق باب الاجتهاد وتجميد النظر فى الفقه الإسلامى . ولم تكن تلك النزعة لدى الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ؛ فإن احترام الشافعى لأستاذية مالك لم يمنعه من تدبر آراء مالك سواء كان بالنقد أو بالأخذ ، وهو إذ يفعل ذلك إنما ينطلق من قواعده التى ساهمت فيما بعد فى تأسيس مدرسته مثل :

رأينا صواب يحتمل الخطأ .. ورأى مخالفنا خطأ يحتمل الصواب .

على هذا الأساس عرض لآراء من مذهب الإمام مالك بالنقد كما ساهمت نزعته العقلية التأملية فى تكوين مدرسته التى نقول عنها : إنها مدرسة نقلية عقلية . وآراؤه فيما خالف فيه مالك . وهذا الموقف النقدى من الشافعى له لم يصب حبل المودة بتلف : أخلاقى أو علمى . وإنما كان له أثره . وأثره استبان فى ازدهار الحياة الفكرية من جهة عامة . وفى إخصاب ثمار الفقه الإسلامى وتشريعاته من جهة خاصة .

وما كان من الشافعي إزاء بعض آراء مالك هو ما يُعرف في عصرنا بمشكلة القديم والحديث أو الشيوخ والشباب . وهذا الموقف يتطابق مع قول الإمام أبي حنيفة - علمنا هذا رأى . وهو آخر ما قدرنا عليه ، فمن رأى غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا .

وبهذا ازدهرت الحياة الفكرية في الإسلام ، وتأسست علوم وقواعد وفق الروح المتحررة ؛ فازدهر بها الإسلام وسادت حضارته .

ذكر الرازى هذا الإشكال الذى قد يطرأ على أذهان بعض الناس حول الأستاذ والطالب . فقال : فإن قال قائل : لما كان حال مالك في الدين والعلم ما ذكرته ، وكان تعظيم الأستاذ واجباً على كل مسلم فكيف أقدم الشافعي على مخالفته ؟ وكيف جوز من نفسه أن يضع الكتاب عليه ؟

والجواب :

أولاً : دوافع الكتابة : رفع مظاهر تقديس مالك :

قال البيهقي : قرأت في كتاب أبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي أن الشافعي إنما وضع الكتاب على مالك لأنه بلغه : أن بالأندلس قلنسوة لمالك يستشفى بها .

وكان يُقـــال لهم : قال رسول الله : فيقولون : قال مالك : فقال الشافعي : إن مالكا آدميّ قد يحفظ وقد يغلط .

فصار ذلك داعيا للشافعي إلى وضع الكتاب على مالك لبيان :

● بشرية مالك إمكان أن يخطىء لئلا ينزله الناس منزلة النبوة أو التأليه فصفة التقديس التى ألبسها الأندلسيون على مالك هى التى أثارت ثورة الشافعي . ولو أخذ الإسلاميون بعمل الشافعي وكفاحه ضد العوائد المرزولة لما رأينا حال المجتمع الإسلامي يتردى بسبب مظاهر التقديس المنتشرة باسم الدين في أرجائه .

ثانيا : منهجه في نقد مالك :

وبدأ الشافعي في بيان ما يمكن ألا يُصيب فيه مالك بغية تحقيق بشريته في نفوس الأندلسيين من جانب ، وبيان أن الحقيقة وليدة الاجتهاد والبحث من جانب آخر .

(أ) قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : قدمت مصر ولا أعرف مالكا يخالف من حديثه إلا ستة عشر حديثا فنظرت فإذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع ، ويقول بالفرع ويدع الأصل .

قال الرازى : إن الكتاب الذى وضعه الشافعي على مالك قال في أوله :

إذا حدّث الثقة عن الثقـــة عن رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ والثابت عن رسول الله ﷺ لا يترك إلا إذا وجد حديث يخالفه ، وإذا اختلفت الأحاديث فالاختلاف فيها وجهان :

أحدهما : أن يكون فيها ناسخ فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ .

والآخر : ألا يتميز الناسخ عن المنسوخ .

فها هنا نذهب إلى إثبات الروايتين - وإذا تساويا - نذهب إلى أشْبَه الحديثين لكتاب الله وأشبههما بحديث آخر - وإذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ لا يخالفه حديث آخر ، وكان

يروى عن غير رسول الله ﷺ حديث يوافقه لم يزده قوة، وحديث رسول الله ﷺ مستغن .. وإن كان يروى عن غير رسول الله حديث يخالفه لم ألتفت إلى ما خالفه، وحديث رسول الله أولى أن يؤخذ به.

ولما قرر الشافعي هذه القاعدة راسماً بها منهجه. ذكر: أن مالكا عدّ هذه القاعدة في بعض المواضع دون بعض - ثم ذكر المسائل التي ترك الأخبار الصحيحة فيها بقول واحد من الصحابة، أو بقول واحد من التابعين، أو لرأى نفسه. ثم ذكر ماترك فيه من أقاويل الصحابة لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه - وذلك أنه ربما يدعى الإجماع وهو مختلف فيه.

(ب) **كذلك أخذ عليه**: ادعاءه أن إجماع أهل المدينة حجة. قائلا: ليت شعرى من هؤلاء المجمعين الذين لا يُسَمُّوْن؟ فإنا لانعرفهم ولا يكلف الله أحداً أن يأخذ دينه عمن لا يعرفه.

(جـ) **مآخذ أخرى على منهجه**. منها: أخبرنا مالك عن أبي الزبير عن عطاء بن رباح عن ابن عباس - رضي الله عنهم: أنه سئل عن رجل واقع أهله وهو بمنى قبل أن يفيض فأمره أن ينحر بدنة. قال الشافعي: بهذا نأخذ.

وقال مالك: عليه عمرة وحجة تامة وبدنة - رواه عن ربيعة عن ثور بن زيد عن عكرمة يظنه عن ابن عباس يعلق الشافعي فيقول:

فإن كان قد ترك قول ابن عباس لرأى ربيعة فهو خطأ. وإن تركه لرأى عكرمة فهو يسيء القول في عكرمة لايرى لأحد أن يقبل حديثه.

وهو يروى عن سفيان عن عطاء عن ابن عباس خلافه وعطاء ثقة عنده وعند الناس.

قال الشافعي: والعجب أنه يقول في عكرمة مايقول. ثم يحتاج إلى شيء من علمه يوافق قوله فيسميه مرة، ويسكت عنه أخرى.

فيروى عن ثور بن زيد عن ابن عباس في الرضاع وذبائح نصارى العرب.

ويسكت عن ذكر عكرمة - وهذا من الأمور التي ينبغي لأهل العلم أن يتحفظوا منها.

ثالثاً: تعليق بعض الأصحاب عن موقف الشافعي:

علق الربيع على موقف الشافعي من مالك قائلاً:

(أ) وأقول أنا الربيع: إن أرسطوطاليس الحكيم تعلم الحكمة من أفلاطون ثم خالفه. فقيل له: كيف فعلت كذلك؟. فقال أستاذي صديقي والحق صديقي. فإذا تنازعا فالحق أولى بالصداقة. فهذا المعنى بعينه هو الذي حمل الشافعي على إظهار مخالفة مالك.

هذه القدرة الفائقة في النقد المنهجي ما قللت من شأن مالك يوما، أو جعلت الشافعي يستخف به في أحاديثه إنما دائما يقول:

لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ..

ويقول: إذا جاء الأثر فمالك النجم.

ويقول: كان مالك إذا شك في شيء من الحديث تركه كله.

تعليق من المحدثين:

بعد ذلك: هل يُعد الشافعي قد تحامل على مالك كما يقول الأستاذ أمين الخولي، وتحامل عليه الشافعي حسدا لموضع إمامته - وأستاذنا الشيخ أمين - رغم ما تميز به من إنصاف - لا نراه

منصفا فى تلك العبارة . وما يخفف من وقع هذا التعليق وقسوته : أن الأستاذ الشيخ أمين تابع فيه ابن عبد البر الأندلسى - وإقليم الأندلس هو الذى دفع الشافعى لينصف مالكاً بينهم عندما حاولوا تقديسه - فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » .

فكل خشونة فى النقد وجفاء فى التعليق على موقف الشافعى لا غرو أن تراه من الأندلس ومن متأخرى المالكية .

يقول محمد بن عبد الحكم : ما رأيت مثل الشافعى . كان أصحاب الحديث يجيئون إليه يعرضون عليه غوامض علم الحديث فكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيسمعون وهم متعجبون منه . ولما سئل أبو محمد بن عبد الحكم . لما سئل عن معنى قوله : ليس أبو عبيدة بفقيه ؟ قال : لأنه يجمع أقاويل الناس ويختار منهم واحداً . فقيل له : فمن الفقيه ؟ قال : الذى يستنبط أصلا من كتاب الله أو من سنة رسول الله لم يسبق إليه ، ثم يشعب من ذلك الأصل مائة شعبة - قيل : فمن الذى هو كذلك ؟

قال : محمد بن إدريس الشافعى .

ثانياً : من منهجه التوفيق بين العقل والنقل :

وأما عن منهج الشافعى بالنسبة لمدارس عصره وعلمائها - فهو كما يقول الرازى : كان الناس قبل زمن الشافعى فريقين : أصحاب الحديث - وأصحاب الرأى .

أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار رسول الله إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل ؛ فذلك ليس ميدانهم - وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأى سؤالاً أو إشكالاً وقع فى أيديهم عاجزين .

وأما أصحاب الرأى - فكانوا أصحاب النظر والجدل إلا أنهم عاجزون عن معرفة الآثار والسنن .

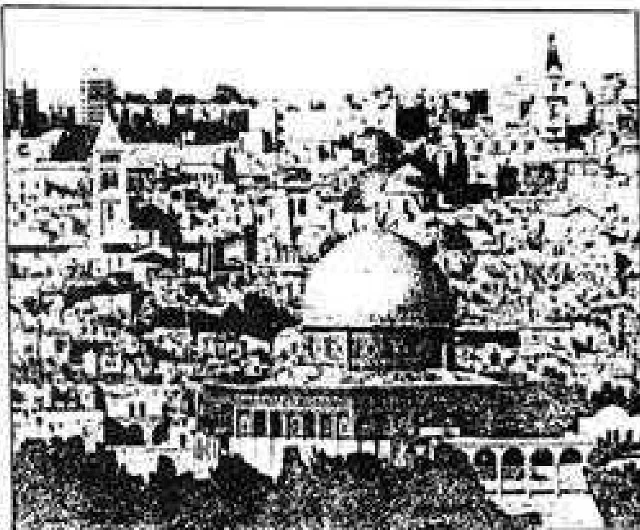
وأما الشافعى فكان عارفاً بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محيطاً بقوانينها ، وكان عارفاً بآداب النظر والجدل قوياً - وكان فيه فصيح الكلام قادراً على قهر الخصوم بالحجة الظاهرة ، وأخذاً فى نصرة أحاديث رسول الله - وكان من أورد عليه سؤالاً أو إشكالاً أجاب عنه بأجوبة شافية كافية فانقطع بسبب ذلك استيلاء أهل الرأى على أصحاب الحديث . وسقط دفعهم وتخلص بسببه أصحاب الحديث عن شبهات أصحاب الرأى ؛ فلهذا انطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه . ووقره علماء الدين وأكابر السلف . بقى علينا أن نعرف ماتعنيه عبارة الرازى : عن المناهج التى كانت تحكم الجو الفكرى قبل الشافعى إذ أنها كانت منهجين :

- المنهج العقلى .
- والمنهج النقلى .

فما المنهج العقلى ؟ وما علاقته بالنص ؟ وما المنهج النقلى وكيف توسعوا فيه وعلاقته بالعقل ؟

[يتبع فى العدد القادم]

مدينة القدس في فلك التاريخ



للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

مدينة القدس فى إقليم فلسطين من البقاع الربانية ، شرَّف الله جلَّ وعلا أرضها منذ القدم ، وجعل لها فى قلوب أجيال بنى الإنسان قداسة تتمثل فى التعبد لله فيها ، وتجميع الأفئدة من حولها ، وقيام الحنفاء والموحدين بحراستها والذود عنها والقتال دونها .

أما اسم القدس الذى تنعت به المدينة المقدسة فقد رافقها من قديم الزمان منذ بداية عهدها قبل التاريخ ، كما أثبتت ذلك أحدث الحفائر التى أجريت فى منطقتها ، ومن ذلك يتبين أن تاريخها يسبق زمن العبريين (والذين غلب على تسميتهم الإسرائيليين أو اليهود) بكثير من السنين[1] .

كيف كان تقديسها قديما :

كان ذلك نتيجة إقامة أماكن مقدسة لبعض العبادات القديمة فيها ، وقد ورد ذكرها فى الجزء الثانى والثالث من تاريخ هيرودت المؤرخ اليونانى القديم عندما تكلم عن الجزء الفلسطينى من بلاد الشام باسم (قديتس) .. وعن ذلك يقول المستشرق اليهودى الفرنسى (سالمون مونك) فى كتابه فلسطين (إن هذا الاسم على الأرجح هو (القدس) محرّفا فى اليونانية عن النطق الآرامى (قديشتا)[2] .

وحتى الإسرائيليين فى كتابهم المقدس أطلقوا عليها (مدينة القدس)[3] وأحيانا سموها (مدينة

---

(1) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين ـ تأليف الدكتور حسن ظاظا الأستاذ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية طبعة سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

(2) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار ـ المرجع السابق .

(3) سفر أشعيا من كتاب اليهود المقدس الإصحاح الثامن والأربعين عدد ٢ .

الله جبل قدسه)[٤] ، كما أطلقوا عليها (مدينة الحق)[٥] .

مدينة القدس أيضا سميت قديما (أورشليم) قبل وجود العبريين :

ذلك أن أقدم النقوش التي ورد ذكر هذه المدينة فيها توجد في المتحف المصري بالقاهرة في لوحات تل العمارنة التي عثر عليها بصعيد مصر ، وهي مجموعة اللوحات المكتوبة بالخط المسماري واللغة البابلية (لغة شعب العراق قديما) تتخللها شروح باللغة الكنعانية (لغة شعب فلسطين قديما) وهي وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث (من سنة ١٤١١ إلى سنة ١٣٧٥ قبل الميلاد) وابنه إخناتون (من سنة ١٣٧٥ إلى سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد) .

- وفي هذه النقوش كانت المدينة تسمى (أوروسالم) وقد ورد ذلك في الرسالة التي كتبها (عبد يحيا) حاكم أوروسالم من قبل مصر إلى الفرعون أمينوفيس الثالث يستجده بمدد عسكري يصد به غارات شراذم من الغجر الرحل اسمهم (حبيرو) اتفق الباحثون على أنهم العبريون .

وتكرر هذا الاسم (أوروسالم) في لغات أخرى ، فنجده في نقوش الأمبراطور الآشوري (سنحاريب) حوالي سنة ٧٠٠ قبل الميلاد ، فقد ورد اسمها بلفظ (أوروسليمو) ، وكذلك في النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر المقدوني حوالي سنة ٣٣٠ قبل الميلاد وردت بلفظ (هيروسوليما) ، أو مختصر هذا الاسم (سوليما)[٦] ، وكل هذه الأسماء تكاد تكون متقاربة في نطقها ، بل هي واحدة على الأرجح .

كتاب الإسرائيليين المقدس يقرر أن المدينة كان لها وجود زمن إبراهيم عليه السلام :

فقد ورد ذكرها في العهد القديم من كتاب الإسرائيليين المقدس باسم (شاليم) زمن إبراهيم – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – الذي كان سابقا لزمن العبريين ، وكان لها ملك عربي من شعب فلسطين يدعى (ملكي صدق) يحكمها حكما دينيا مما يشير إلى أن مدينة القدس كانت موجودة ومباركة قبل أن يبعث موسى وداود سليمان – عليهم السلام – بل من قبل إبراهيم الخليل جدّ الأنبياء – عليهم السلام – الذي كان يدعى وقتئذ – كما جاء في نصوص ذلك العهد – (إبرام) ، وهذا في قوله (وملكي صدق ملك شاليم .... وكان كاهنا لله العليّ وباركه ، وقال : مبارك إبرام من الله العلي مالك السموات والأرض[٧] .

العرب هم الذين أنشأوا مدينة القدس قديما وكانوا سكانها الأصليين وسموها يبوس :

إن اليبوسيين – وهم بطن من بطون العرب الأوائل – نشأوا أصلا في قلب الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها ، ثم استوطنوا أرض

---

(٤) المزمور الثامن والأربعون من كتاب اليهود المقدس عدد ١ .

(٥) سفر زكريا الإصحاح الثامن عدد ٣ من كتاب اليهود المقدس .

(٦) كتاب إسرائيل ركيزة الاستعمار بين المسلمين – المرجع السابق .

(٧) سفر التكوين من كتاب اليهود المقدس الإصحاح ١٤ عدد ١٨ .

فلسطين ، وهم الذين أقاموا مدينة القدس فى قديم العصور ، وذلك فى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، فسمِّيت باسمهم (يبوس) فى أول أمرها وقد عمروها وسكنوا فيها حتى زمن يوشع بن نون نحو القرن الخامس عشر ق.م كما جاء بتحقيق الأستاذ عباس العقاد فى كتابه : أبو الأنبياء الخليل إبراهيم ، ويوشع بن نون هو : خليفة موسى — عليه السلام — على بنى إسرائيل[٨] من بعد وفاة موسى — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — .

وقد حاول الإسرائيليون وقتئذ طرد سكان المدينة العرب اليبوسيين فلم يفلحوا مما اضطر هؤلاء الإسرائيليون إلى السكنى معهم ، وهذا ما يشير إليه قوله فى سفر يشوع (وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم)[٩] أى اليوم الذى يروى فيه الراوى هذه الوقائع .

استمرت المدينة المقدسة تحت سلطـان اليبوسيين سكانها الأصليين من شعب فلسطين ينعمون فى مدينتهم مدة ألف سنة حتى ظهر الإسرائيليون على أرض فلسطين فقاوم اليبوسيون التسلل العبرى والمطامع اليهودية فلا ينـال الإسرائيليون منها إلا بالتخريب والإحراق حينا أو بالمساكنة والتعايش السلمى أحيانا أخرى[١٠] .

كيف كانت القدس فى عهد داود وابنه سليمان — عليهما السلام — :

ظلّت المدينة المقدسة تحت سيطرة اليبوسيين سكانها الأصليين العرب من شعب فلسطين حتى تولى داود — عليه السلام — (وكان من سبط يهوذا) حكم بنى إسرائيل فاتجه بجيوشه إلى القدس حيث استولى على جزء منها يسمى جبل صهيون ويدعونه بالمدينة الفوقانية ، وجعلها عاصمة لملكه وبنى بها هيكلا للعبادة ، مات داود قبل تمامه ، ثم أخذ يضغط على اليبوسيين ، ويضايقهم فى جبلهم (جبل الموريا) ، وكانوا يسمونه (المدينة التحتانية) فرحلوا تاركين ديارهم حتى لم يبق لهم إلا مسطح القمة (مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة حاليا) يملكه شخص يبوسى يسمى آرونا ، وقد زعم اليهود أنّ داود اشترى ذلك المسطح ليجعل من الصخرة التى على الهضبة مذبحا للرب دون أن يقدموا أى دليل على هذا الزعم .

وبعد وفاة داود خلفه ابنه سليمان — على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام — الذى أكمل بناء الهيكل المشار إليه فيما سبق[١١] .. ولا يفوتنا أن نشير فى هذا المقام إلى أن مملكة داود وابنه سليمان عليهما السلام كانت مملكة ربانية فى عطاء إلهى وليست مملكة عنصرية يهودية كما يزعـم الإسرائيليون فى زماننا المعاصر[١٢] .

(٨) كتاب مكانة القدس فى الإسلام تأليف الشيخ عبدالحميد السائح .

(٩) سفر يشوع من كتاب اليهود المقدس الأصحاح ١٥ عدد ٦٣ .

(١٠) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار — المرجع السابق .

(١١) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار — المرجع السابق .

(١٢) كتاب عودة القدس للشيخ رءوف شلبى وكيل الدعوة بوزارة الأوقاف ووكيل الأزهر الأسبق طبعة رجب سنة ١٤٠٥ هـ — أبريل ١٩٨٥ .

صخرة اليهود ليست هي صخرة قبة الصخرة الحالية :

يذكر التلمود وهو الكتاب الثاني المقدس عند الإسرائيليين أن الصخرة التي يقدسونها ترتفع عن سطح الأرض ثلاثة أصابع ، بينما الصخرة الشريفة الموجودة حاليا تحت قبة الصخرة بجوار المسجد الأقصى ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل ، ومحيطها يناهز العشرة أمتار وتحتها فجوة هي بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض ، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار ، ومن الذين شكّوا في أن تكون الصخرة الحالية هي صخرة اليهود المعنية في التلمود الباحث الألماني (شيك) في أوائل هذا القرن الحالي فهو يقول (إن الصخرة الحالية لم تكن في يوم ما داخلة ضمن قدس أقداس اليهود ، أما صخرة اليهود التي تسميها بعض أساطير التلمود ـ إبين هاشتيا ـ أي حجر الأساس فالله أعلم ماذا صنع بها بختنصر وأنطيوخوس أيفانوس وتيتوس وكذا قسيازيان وهدريان والصليبيون وغيرهم ممن دمّروا أورشليم مرارا وتكرارا تدميرا كاملا) انتهى كلامه .

ومع ذلك يُصِرُّ الباحثون اليهود في مقدمتهم دوائر المعارف العبرية المختلفة وما كتبوه عن القدس من المؤلفات ـ بدون أي حجة ـ أن صخرة مسجد الصخرة هي حجر الأساس المذكور في التلمود[١٣] .

مدينة القدس بعد وفاة سليمان عليه السلام :

انقسمت مملكة سليمان بعد وفاته إلى دولتين إحداهما مملكة إسرائيل في الشمال عاصمتها السامرة ، وتسمى حاليا نابلس ، والثانية مملكة يهوذا في الجنوب ، وكانت عاصمتها مدينة القدس ، وقد دعوها وقتئذ أورشليم ، ورغم وجود هاتين الدولتين لم يترك الفلسطينيون بلادهم بل سيطروا على البلاد الساحلية من غزة حتى جنوب يافا ، وعن ذلك يقول المستر ويلز في كتابه « موجز تاريخ العالم » (إن تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا هو تاريخ ولايتين صغيرتين بين شِقَّي الرحا) انتهى كلامه ..

ولقد ظلّت المدينة المقدسة عدة قرون نهبا للفتن والقلاقل ، وكثيرا ما غزاها الفراعنة حكام مصر ، وكذلك البابليون الذين قاموا بتدمير المدينة كما هدموا هيكل اليهود المقدس ، وأخيرا غزاها اليونانيون بقيادة الإسكندر المقدوني ، وجاء بعدهم عصر الرومان عام ٥٨ قبل الميلاد فحاصروا المدينة خمسة أشهر بقيادة (تيطس) وهدموها وأحرقوا الهيكل بعد أن أعاد بناءه وزخرفه والي القدس (هيرودس) وذلك بسبب ما دأب عليه اليهود من بث المشاكل والمضايقات المفاجئة والمتلاحقة لدولة الرومان[١٤] .

وفي القرن الثاني الميلادي سنة ١٣٦ م قام اليهود بثورة مسلحة ضد الرومان فحاربهم الرومان بقيادة إمبراطورهم (إيليوس هدريان)

(١٣) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار ـ المرجع السابق .
(١٤) كتاب عودة القدس ـ المرجع السابق .

وحاصر ما كان بقى من مدينة القدس وهدم كل شيء ، فى المدينة خصوصا الهيكل بعد إعادة اليهود له ، ولم يترك فيها يهوديا واحدا ، كما منع اليهود من دخولها ، وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك ، ثم سمح لهم بالمجيء إليها يوما واحدا فى السنة ، والوقوف على جدار بقى قائما من السور فى الجزء الغربى من المدينة ، وهو الذى يسمى (حائط المبكى) ويسميه اليهود الجدار الغربى .

أما مكان الهيكل فأقام عليه معبدا لجوبيتر كبير آلهة الرومان ، ووضع فيه تمثالا لمعبودهم هذا كالتمثال القائم فى معبد الكابيتول ، حتى اسم المدينة قرر تغييره إذ سماها (إيليا كابيتولينا) وظل حظر السكنى بمدينة القدس قائما على اليهود قرونا طويلة ، ذكر ذلك (يوزيبوس) المؤرخ النصرانى الذى زارها سنة ١٣٢ ميلادية كما ذكره اليهود أنفسهم فى تفاسيرهم القديمة (كالمدراش)[١٥] .

عودة القدس إلى السيادة العربية عند فتوح المسلمين لبلاد الشام :

جاء فى تاريخ الطبرى أنه بعد موقعة اليرموك التى انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ على جيوش الروم ـ وكانت فى نهاية حياة الخليفة الراشد أبى بكر الصديق وبداية عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ أن أبا عبيدة بن الجراح (الذى خلف خالد بن الوليد فى قيادة جيوش المسلمين) ضرب الحصار على أهل مدينة القدس فطلبوا منه أن يصالحهم مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولى للعقد خليفة المسلمين بنفسه ، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر بن الخطاب فخرج إليهم من مدينة رسول الله ﷺ حتى وافاهم مع من كان هناك من الصحابة فصالحهم ، وكان مما جاء فى كتاب المصالحة بعد ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم ، واللصوص ..... الخ ... ما جاء فى كتاب المصالحة المؤرخ فى سنة ١٥ من الهجرة .

وقد شهد على ذلك من أصحاب النبى ﷺ خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان[١٦] ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

ونلاحظ فى كتاب المصالحة هنا تسمية مدينة القدس باسم إيلياء كما سماها الإمبراطور الرومانى إيليوس هدريان دون ذكر لفظ كبيتوليا ولعل

---

(١٥) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار ـ المرجع السابق .

(١٦) كتاب الخلفاء الراشدون تأليف الشيخ عبدالوهاب النجار ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠ م .

ذلك راجع فيما يبدو من غلبة ظن المسلمين الفاتحين بأن كابيتولينا اسم وثن أو صنم لا يجوز أن يضاف إلى اسم المدينة المقدسة .

خليفة المسلمين يطهِّر مكان المسجد الأقصى مما كان به من كناسة :

بعد أن بعث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بكتاب الأمان إلى أهل مدينة القدس وسكنها جنود المسلمين شخصَ هو إلى مكان المسجد الأقصى حيث الصخرة المشرفة ، وأزال ما به من كناسة كانت الروم قد دفنته فيها ، ودعا الناس أن يصنعوا مثله ، وعند طلوع الفجر أمر المؤذن بالإقامة ، وصلى بالناس ـ فى مسجد أمر بإقامته هناك ـ بسورة (ص) وصدر سورة (الإسراء) ، وفى عهد الدولة الأموية قام الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ببناء مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، وقد تعهدهما خلفاء المسلمين وأمراؤهم على مر الزمان[١٧]

العبرة المستقاة من الفتح الإسلامى لمدينة القدس :

تظهر العبرة واضحة جلية فى كتاب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بالأمان لأهلها ، هذا الكتاب الذى حَشْوُه الرفق والعدل والحرية وصيانة الدماء والحقوق ، ولم يذكر التاريخ أنَّ أحدا من الفاتحين دخلها بهذا السمو الخلقى كما دخلها خليفة المسلمين وقتئذ ؛ بل كان الفاتح يدخلها مخربا مبيدا مدمرا عاتيا جبارا سفَّاكا للدماء لا رحمة عنده ولا شفقة منه على أهلها .

١ ـ فهذا بختنصر ملك البابليين دمَّرها وقتل وشرد الكثير من أهلها وسكانها .

٢ ـ و (تيطس) ومن بعده (إيليوس هادريان) وهما من قواد الرومان خربا المدينة وسفكا الدماء وفعلا الأفاعيل وهدما الأماكن المقدسة فيها .

٣ ـ وعندما اجتاح الصليبيون بعد ذلك فى القرون الوسطى بلاد الشام واستولوا على مدينة القدس قام قائد جيوشهم المدعو (جودوفروا دوبيون) بإعمال السيف فى أهلها كما خرب المسجد الأقصى وقتل تسعين ألفا من سكانها المسلمين .

٤ ـ ولما استرد السلطان صلاح الدين الأيوبى المدينة من الصليبيين دخلها كما دخلها من قبل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فأمَّن أهلها على نفوسهم وأولادهم ونسائهم وخرجوا منها على فداء طفيف يؤدونه ، وقد تجاوز أخوه أبوبكر العادل عن ذلك المقدار لكثير من النساء مما أجزل الثناء عليه فى أوروبا وقتئذ وعلى أخيه السلطان صلاح الدين[١٨] .

---

(١٧) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار ـ المرجع السابق .
(١٨) كتاب الخلفاء الراشدون ـ المرجع السابق .



عدوان الإسرائيليين على المسجد الأقصى في زماننا المعاصر محاولين إقامة هيكل عبادته مكانه :

جاءت الهجمة الإسرائيلية البشعة على مدينة القدس يوم ٥ يونية سنة ١٩٦٧ م عندما احتلتها الجيوش الإسرائيلية ، ومن وقتها بدأت سلسلة الاعتداءات على المسجد ، وعلى المصلين فيه : فلقد حاولوا إحراقه سنة ١٩٦٨ كما حاولوا تفجيره ونسفه في يناير سنة ١٩٨٤ في وقت يتزامن مع صلاة الجمعة حين يمتلىء المسجد بالمصلين ، ويتحدث غلاة اليهود علانية عن خططهم ، لإزالته وبناء هيكل عبادتهم مكانه .

وعن ذلك تقول الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل) إنها قامت بزيارة مدينة القدس كسائحة أجنبية بعد احتلال اليهود لها فشاهدت وسمعت كيف يتحدثون هناك بكل الصراحة والعلانية عن خططهم لهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه .. وقد التقت مع عالم الآثار الأمريكي (غوردون فرانز) الذى قضى عاما ينقب عن الآثار في القدس ، ودخل النفق القديم تحت المسجد هناك فوجده واسعا يتمكن المرء من السير فيه وهو منتصب القامة ولم يعثر فيه على أى دليل يثبت أنه أثر يهودى .

كما قرر ذلك العالم الأمريكى : أنه لا يوجد أيضا أى دليل يثبت أن هيكل اليهود كان موجودا في هذا المكان ، لكن اليهود يفترضون وجوده في هذا المكان دون أن يقدموا البرهان على دعواهم[19] .

وقد أكد العديد من المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التى يقوم عليها المسجد الأقصى وتعمقوا فيها بأنه لا يوجد في ذلك المكان أى دليل أو شبهة لأى أثر عن هيكل النبى سليمان ـ عليه السلام ـ الذى تزعم اليهود أنه مدفون بجوار حائط المبكى الغربى ، بل كل الدراسات تنتهى إلى نتيجة واحدة هى أن هيكل سليمان لم يكن موجودا في منطقة المسجد على الإطلاق ، كما لا يوجد أى دليل تاريخى واحد يقطع بأن حائط البراق الذى يسميه اليهود حائط المبكى هو جزء من هيكل سليمان ، بل إن اسمه الحقيقى هو كما سماه المسلمون (حائط البراق) نسبة إلى البراق الذى ورد ذكره في حديث نبى الإسلام ﷺ عن الإسراء والمعراج المشهور[20] .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه حدث في سنة ١٩٣٠ أن أثير دوليا مكان البراق الشريف ويطلقون عليه ـ خطأ كما قدمنا ـ الجدار الغربى أو حائط المبكى ، فبعثت عصبة الأمم التى كانت مهمتها ـ وقتئذ ـ مثل مهمة الأمم المتحدة حاليا بعثت بلجنة دولية في يونية / يوليو سنة ١٩٣٠ انتهت في بحثها إلى أن ملكية المكان المشار إليه هى للعرب المسلمين وحدهم[21]

---

(١٩) مجلة منار الإسلام ، عدد رجب سنة ١٤٠٤ هـ ـ أبريل سنة ١٩٨٤ ، مقال هدم الأقصى إلى أين ؟ ، بقلم الشيخ محمود محمد .

(٢٠) كتاب معالم التاريخ الإسلامى المعاصر .. تأليف الأستاذ أنور الجندى .

(٢١) جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٩٦ م في مقال بها تحت عنوان : فريضة الدفاع عن القدس ـ بقلم الأستاذ : أحمد يوسف القرعى .

رسالة الإسلام ومدينة القدس :

ارتبطت مدينة القدس بالإسلام منذ بداية الرسالة الإسلامية فى عهدها المكى فقد كان المسلمون فى مكة يتجهون فى صلاتهم نحو مدينة القدس ، وكانوا يدعونها بيت المقدس ، يشير إلى ذلك ما ورد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « كان النبى ﷺ يصلى - وهو بمكة - نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة كان يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم صُرف إلى الكعبة بمكة المكرمة »[22] ..

قال الله - تعالى - :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[23] .

وبرغم هذا التحول فى قبلة الصلاة إلى المسجد الحرام فإن بيت المقدس ظل محل تقديس من جانب المسلمين إذ جعله الإسلام أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها ، كما قال رسول الله ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد** : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى »[24] .

وفى حادث إسراء النبى ﷺ من مكة المكرمة محل الكعبة والمسجد الحرام إلى مدينة القدس محل بيت المقدس أو المسجد الأقصى مغزى كبير هو إعلان من الله - جل وعلا - بأن مواريث الأنبياء جميعا قد أعادها الله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بمشهد وحيد فى عمر الدنيا والرسالات جميعا ! إذ حضر كل الرسل الذين أرسلهم الله إلى الناس من لدن آدم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - حتى المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - فى آخر أثر مشهود للأنبياء ليصلى النبى الخاتم محمد ﷺ ، ويسجل القرآن الكريم هذا الحدث الجليل فى قول الله - تعالى - :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[26] سورة الإسراء

---

(22) أخرجه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير ، وكذلك ذكره البخارى فى صحيحه .

(23) جزء من الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(24) أخرجه البخارى فى صحيحه ، والإمام أحمد فى مسنده ، والإمام مسلم فى صحيحه ، كما أخرجه أبوداود والنسائى وابن ماجه والترمذى .

(25) سورة الإسراء ، الآية الأولى .

(26) كتاب عودة القدس - المرجع السابق .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السؤال من : وليد السيد عبدالفتاح شاهين ـ الباجور ـ منوفية :

ما حكم الصلاة خلف إمام مكروه من المأمومين لمخالفاته التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام ؟

الجـــــــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأنه بعد الشروط التي لا تصح أي صلاة بدونها، وبعد الشروط الواجب أن تتوافر فيمن يكون إماما مثل : السلامة من الأعذار، وصحة القراءة وغير ذلك مما اشترطه الفقهاء، هناك أولوية لمن يتقدم للإمامة، جاء في حديث مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا : « إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم » والمراد بالأقرأ الأكثر حفظًا للقرآن .

وفي رواية لأبي داود : « لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤم قومًا إلا بإذنهم » .

وترتيب من لهم الأولوية فيه خلاف للفقهاء، لكن من المتفق عليه أن المتفقه في دينه، العالم بأحكام الصلاة بالذات وحسن السيرة، والمرضى عنه من قومه ـ هو أولى من غيره ممن لم تتوفر فيه هذه الصفات، ولو تقدم هذا صحت الصلاة خلفه وإن كان ثوابها أقل .

روى ابن ماجه وابن حبان فى صحيحيهما أن النبى ﷺ قال: « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا : رجل أم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان » .

إن الذى ينافس غيره على الإمامة يدخله العجب والزهو، وذلك يقلل من ثواب الصلاة إن لم يذهب به أصلاً، مع العلم بأن صلاة الجماعة ينال ثوابها كل من الإمام والمأمومين، فلا فضل لأحد منهم على الآخر، إلا بمقدار إخلاصه وخشوعه. هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من : محمد خيرى ربيع ـ البليا ـ قرية يعقوب :

توفى عن: ابن ، وبنت، واختين شقيقتين، وبنت أخت متوفاة فكيف يكون الميراث ؟ جزاكم الله خيرا .

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد :

فنفيد بأن التركة كلها للابن والبنت تعصيبا تقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى ولاشىء للاختين الشقيقتين لحجبهما بالابن كما أنه لاشىء لبنت الأخت الشقيقة لأنها من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله اعلم .

الســـؤال :

هل يصح السجود للتلاوة بدون وضوء ؟

الاسم : محمود عبدالله منصور ـ المطرية ـ ش ترعة الجبل

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأن من قرأ أو سمع آية فيها سجود يسن له عند جمهور الفقهاء أن يسجد سجدة التلاوة، فإن لم يسجد فلاعقوبة عليه، لأنها سنة وليست واجبة إلا عند أبى حنيفة فقد جعلها واجبة، فإن كان طاهرًا حين سمعها أو قرأها وجب عليه أن يسجد، وإلا فهى فى ذمته يجب عليه أن يسجدها بعد أن يتطهر. ولذلك فلا يصح السجود بدون وضوء .

فلو كان الإنسان ماشيا فى الطريق العام وهو متوضىء وسمع آية فيها سجدة يسن له أن يسجد على أى مكان طاهر يكون قريبا منه، فإن لم يسجد فلا ذنب عليه، ويقوم مقامها عند الشافعية أن يقول : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم » أربع مرات فذلك يجزئه عن سجدة التلاوة حتى ولو كان متطهرا. وعلى رأى أبى حنيفة إن لم يتمكن من السجود فى الطريق فليسجد عندما يصل إلى مكان يسهل عليه أداؤها فيه، فإن وجوبها موسع عنده فى هذه الحالة، والعمر كله فرصة لأدائها، هذا والله سبحانه وتعالى أعلم .

مقدمه لفضيلتكم : محاسب م. ع. ع. أ. بالمحلة الكبرى أعرض على فضيلتكم هذا

السؤال :

تزوجت منذ خمس سنوات وعقب الزواج طلبت منى زوجتى السماح لها بالعمل وكانت نفسيتى لاتسمح بهذا الطلب فصدر منى هذا اليمين : « علىّ الطلاق لن تعملى وإذا عملت تكونى طالق، وتجلسين فى منزل والدتك » ولاأدرى أصدر بلفظ واحد أم بثلاث !!

والآن توجد مسابقة بالتربية والتعليم وقدمت أوراقها بدون علمى ومن المحتمل أن يصيبها الدور

بالتعيين وتلح علىّ بالموافقة على استلامها للعمل لكننى أخشى ماصدر منى من يمين الطلاق خوفا من الله تعالى .

لذا أرجو من فضيلتكم إرشادنا إلى الصواب وماتقره الشريعة .

التوقيع : محمد على عبدالسيد المصرى
المحلة الكبرى

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد:

فنفيد بأن هذا يمين طلاق معلق إذا قصد الزوج به تهديد زوجته أو منعها من العمل فقط فلا يقع به طلاق الزوجة حتى لو ذهبت إلى العمل وإنما يلزم الحالف كفارة يمين وهى إطعام عشرة مساكين فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام .

أما إذا قصد الحالف طلاق زوجته فعلاً لو ذهبت إلى العمل فإنه يقع به طلقة فإن لم تسبق هذا اليمين طلقتان فإن هذا الطلاق يكون طلاقًا رجعيا وللحالف مراجعة زوجته إذا كانت فى عدتها فإن انتهت عدتها فإنه يعقد عليها بمهر جديد وعقد جديد فإن سبق هذا اليمين على النحو المبين طلقتان فيكون هذا اليمين هو المكمل للثلاث وتبين الزوجة من زوجها بينونة كبرى فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولاً حقيقيًا فإن مات عنها أو طلقها وانتهت عدتها حلت للأول بعقد جديد ومهر جديد وبإذنها ورضاها والله تعالى أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

دعوة مستجابة

سئل الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن المسافة بين الشرق والغرب، فقال: مسيرة يوم للشمس، وسئل عن المسافة بين الأرض والسماء فأجاب: دعوة مستجابة.

جواب

قيل لعبدالله بن الحسن: إن فلانا غيرته الولاية، فقال: من ولي ولاية يراها أكبر منه تغير لها، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها.

احذر

من طغيان هذه الكلمات:

« أنا » و « لي » و « عندي » فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها:

إبليس، وفرعون، وقارون: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» لإبليس، «لِي مُلْكُ مِصْرَ» لفرعون.

«إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» لقارون.

نعم !!

قال حكيم: لأن أدعى من بعد إلى قرب، خير لي من أن أقصى من قرب إلى بعد.

حقا

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

لا أعرف هـذا

قال رجل لرجل قد عرفت النحو ، إلا أنى لا أعرف هذا الذى يقول : أبو فلان وأبا فلان ، وأبى فلان .

فقال له : هذا أسهل الأشياء فى النحو ، إنما يقولون : أبا فلان لمن عظم قدره ، وأبوفلان للمتوسطين ، وأبى فلان للرذلة .

لا أراك الله مكروها

سمع حكيم رجلا يقول لآخر :

لا أراك الله مكروها .

فقال له : كأنك دعوت عليه بالموت ؛ فإن صاحب الدنيا لابد أن يرى مكروها .

كتمان السر

انفرد بسرك ، ولا تودعه حازما فيزل ، ولا جاهلا فيخون .

مصداقا لقول الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يستودعُ السّرَ أضيق

حقيقـة

قال إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلّى :

يبقى الثناء وتذهب الأمـوال
ولكل دهـر دولـة ورجـال
لا ترض من رجل حلاوة قوله
حتى يُصدّق ما يقول فَعَـال

دعاء

اللهم لا تجعلنا موضع شفقة عبادك بل اجعلنا موضع شفقتك أنت يارب ، ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك ، بل موضع الإحسان منك أنت يارب ، واجعلنا دائما وأبدا بك ومعك وإليك ، فلا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك يارب .



من أعلام الأزهر

إنصاف بعد إجحاف

الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

نعرف أن ثورة أزهرية قامت فى وجه شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر محمد الأحمدى الظواهرى ، أدت إلى استقالته وقد أصبح قادة الثورة من الطلاب ذوى مناصب عالية فيما بعد ، ومنهم من وصل إلى الوزارة ، فأخذوا يتحدثون عن جهادهم الثورى بما يبرز زعامتهم العالية وهم فى حديثهم لا ينصفون الحق قدر ما يجملون مواقفهم ، ومن هؤلاء الأستاذ أحمد حسن الباقورى حيث بالغ فى نقد الأستاذ الظواهرى ـ رحمهما الله تعالى ـ مبالغة دفعت أحد أبناء الشيخ إلى الرد عليه فى مجلة المصور ، وكنت أقرأ ما كتبه الأستاذ الباقورى وشيعته فأحس مبالغة واضحة ، ولكنى أتمهل فلا أكتب رأيى حتى تجتمع بين يدى خيوط البحث المنصف ، ثم أتيح لى أن أقرأ ما قاله الأستاذ الكبير محمد متولى الشعراوى عن هذه الثورة وكان أحد الطلاب الناهضين لشيخ الأزهر فوجدته يقول[1] :

(١) الشعراوى الذى لا نعرفه (كتاب اليوم) أحاديث الشعراوى مع (سعيد أبو العينين) ص ٣٦

« هذه الحركة والحق يقال قد خدعنا فيها ، قالوا لنا إن الشيخ الظواهرى يعمل على توظيف العالم الذى تخرج فى الأزهر بعد سبع عشرة سنة بثلاثة جنيهات ، وكان هذا مرتب المدرس الإلزامى ، فكيف يحدث ذلك ؟ وقمنا وتظاهرنا مطالبين بإعادة الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر ، وكان ذلك ضد الإرادة الملكية ، وكان معهد الزقازيق الثانوى الأزهرى أول المعاهد الذى خرج طلابه يتظاهرون ويحتجون ، ويطالبون بإبعاد الشيخ الظواهرى عن الأزهر ، ثم تبينت لنا الحقيقة بعد ذلك ، وهى أن الميزانية التى كانت مرصودة لتوظيف الخريجين الجدد فى هذه السنة ليست كافية لتوظيفهم جميعا بالمرتب المعتاد ، فأراد أن يتيح لهم جميعا فرص العمل بمكافأة شهرية قدرها ثلاثة جنيهات لكل واحد منهم حتى لا يتعطل أحد وذلك لحين توفير الميزانية الكافية لتعديل الرواتب ، وهذا ما حدث فعلا بعد ذلك ، وقد استجابت الدولة ، وتم تعديل الرواتب » .

هذا ما قاله الشيخ الشعراوى ، وقد دفعنى قوله : (إننا خدعنا فى ثورتنا على الشيخ) إلى أن أبحث الأمر ببعض التؤدة ، ولست فى ذلك أسعى لتبرير أى خطأ تسرع فيه الشيخ ، فهو بشر يخطىء ويصيب ، ولكنى أحاول أن أتبين موقفه على حقيقته ، ولا يغض هذا من مكانة منافسه الإمام المراغى ، فكلاهما ذو فضل بارز ، ولن يضيق فاضل من أئمة الأزهر بفضل أخيه وكما قيل : (يكره الفضل أن تضيق الصدور) .

نشأ الأحمدى فى بيئة علمية صوفية إذ كان والده شيخا للجامع الأحمدى بطنطا وله شعبية كبيرة بين العلماء والعامة معا ، وكان يميل إلى التصوف متخذا إياه سبيل المعرفة الحقيقية للعلم ، فتأثر ولده به فى اتجاهه الصوفى ، ولكنه فى منحاه العلمى سلك سبيل تلاميذ الإمام محمد عبده ، فكان يواظب على دروسه ، ويعنى باللباب من مسائل العلم ، وكان الإمام يدعو تلاميذه إلى قراءة كتب حديثة تضاف إلى الكتب المتداولة فأصاخ الطالب لهذه الدعوة وجمع بين الحديث والقديم فى استيعابه ، وشاءت الظروف أن يكون امتحانه فى العالمية أمام لجنة يرأسها الإمام ، فتخوف الطالب حذرا أن يحسبه الأستاذ الإمام متأثرا بالشيوخ المعارضين لحركة الإصلاح ، وأبوه فى مقدمتهم ، وقد تحدث عن مشاعره الموجلة فى مذكراته التى طبعت تحت عنوان (السياسة والأزهر)[٢] فقال إنه تهيب الموقف قبل أن يلج حجرة الامتحان ، وكان من عادة الطلاب أن يبدأوا بتقبيل أيدى الأساتذة قبل الجلوس ، فما كاد يلمس يد الأستاذ الإمام حتى نزعها منه مكتفيا بلمس أصابعه ، ثم فاجأه بأن قال له : سماك والدك الأحمدى نسبة لأحمد البدوى وسنرى ما سيكون شأن هذا الرجل معك ! قال الشيخ : كان لهذه العبارة مصحوبة بخطف يده منى أثناء محاولة تقبيلها أثر سيء فى نفسى ، فانقبض صدرى ، واسودت الدنيا فى عينى ، ولما طلب منى أن ابتدى الكلام تأخرت برهة ، ثم تماسكت وأجبت بطريقة غير طريقة زملائى ، إذ عمدت إلى جوهر الموضوع دون

(٢) السياسة والأزهر (مذكرات الشيخ الظواهرى) مطبعة الاعتماد .

تعلق بالحواشي الزائدة ، وأيقنت أني حزت قبول الإمام ، ولكن لم يظهر على وجهه ما يدل على سروره ، فشق ذلك على نفسي ، وصممت أن انتزع منه الإعجاب ، فخطر لى أن أعاود الكلام

مرة أخرى في الموضوع نفسه فحينئذ قال الشيخ : لماذا تريد استئناف الكلام ، لقد تكلمت كلاما طيبا جيدا ، وعالجت البحث علاجا رائعا ، والأحسن أن ننتقل إلى موضوع آخر ، فكانت عبارة الإمام هذه كأنها البلسم الشافي ، فاندفعت أجيب بالطريقة التي اخترتها ، فقال الشيخ : إن ترتيب خوتك وطريقة العرض مما يستحب ويروق ، وسآخذ معك في ترتيب الأبحاث طريقا جديدا ، وأخذ يقلب أوضاع المسائل ، ويخرج من علم إلى علم ، حتى طال النقاش بضع ساعات على غير المألوف ، حتى أرهقت إرهاقا جسمانيا وعقليا ، فطلبت في نفسي شربة ماء ، ولكني سكت مهابة للشيخ ، ثم غلبني الظمأ ، فطلبت من الشيخ أن يأمر لى بشربة ماء ، فقال الشيخ : أنت تستحق (شربات) لا ماء ، فقد أحسنت كل الإحسان ، وأرسل في طلب كوب كبير من (الخرنوب) لأشرب مع أعضاء اللجنة على حسابه ، ثم قال : لقد فتح الله عليك يا أحمدى ، والله إنك أعلم من أبيك ، ولو كان عندى فوق الدرجة الأولى لأعطيتك إياها ، فكانت عبارته هذه حديث الناس في الأزهر ، وأصبحت من أسباب سعادتي .

هذا ما كان من أمر الأحمدى مع الإمام محمد عبده في امتحان (العالمية) وفيه دليل على نبوغ الطالب ، وحسن استعداده ، وفي رضا الإمام عن طريقته في الإجابة ، وبُعده عن طريقة زملائه التقليدية مما يدل على سعة أفق ، باعثها القراءة الممتدة خارج المحيط الأزهرى ، وقد عُيّن الطالب مدرساً بالقسم العالى بالمعهد الأحمدى لفوره ، وهو تعيين مستغرب إذ تقضى العادة أن يدرس مدرساً بالقسم العالى بالمعهد الأحمدى لفوره ، المعلم الناشىء في القسم الابتدائى ليقرأ الدروس بالقسم العالى فيقرأ كتب المنطق والأصول والتوحيد ـ مما قد يهابه الراسخون من ذوى الأسنان ـ وأما أن يوفق في التدريس ويظفر بتقدير المستمعين فهذا ما يدل على تفوق ملحوظ .

كان من أعجب ما فوجىء به الجمهور من آثار العالم الشاب محمد الأحمدى الظواهرى أنه ألف كتاب (العلم والعلماء ونظام التعليم) في الرابعة والعشرين من عمره عقب تخرجه ، وهو كتاب

لا يفقد بريقه الأخاذ مهما تطاول عليه الزمن ، لأنه صرخة عالية في وجه الجمود التعليمى بالأزهر ، ولو كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده في مكانته الرفيعة بالعالم الإسلامى ما عُد غريباً عنه أسلوباً وتفكيراً واتجاهـا وربما خطـوات الإصلاح ، وقراءة الكتاب تدل على أن الشاب الناشىء قد أحاط بأدواء العالم الإسلامى بعامة ، ومصر بخاصة إحاطة المتألم المتأوه الذى يرى خطوات الانحدار السريع تهوى بالتعليم الدينى إلى الهاوية .

وأطرف ما في الموضوع أن كتاب (العلم والعلماء) يعارض معارضة تامة اتجاه والد الأحمدى وهو الشيخ إبراهيم الظواهرى شيخ علماء المعهد الأحمدى ، إذ كان في طليعة من

يتمسكون بالقديم المتوارث من الكتب الخالية من الابتكار ، فكانت شجاعة الابن أنه تشزر عن بيئته الخاصة ، والبيئة العامة معاً في صلابة لا تعرف التراجع ، تشزر عن هذه البيئة وهو يعلم أن الخديوى يقف بالمرصاد لكل داعية للإصلاح على مذهب الإمام ! وأقول على مذهب الإمام لأن الأفكار التي جاء بها الأحمدى قد توافقت في أكثرها مع اتجاه الإمام ، ولم تمنعه خصومة معشره للإمام أن يجهر في الكتاب بتأييده حيث يقول[٣] :

وها هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا ، انظر لماذا علا دون أمثاله ؟ ولماذا وصل إلى أن صار صاحب الرأى الأعلى في سائر الشئون الأزهرية ، وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند أكثر أهل الطبقة العالية ، حتى أمكنه أن يسود أكثر الذين يبغضونه من العلماء ، لقد كان في أول قدومه للأزهر كآحاد الطلاب ، أشيء جاء بالصدفة أم أن هذا نتيجة العمل والاجتهاد؟ لاريب أن هذا كان نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل ، وحسن البيان وإتقان العمل ، فجعل ذلك له مكانة عند الطبقة العليا ، وتلك المكانة أكسبته نفوذاً آخر وجعلت تأثيره أقوى ، وقد تمكن بهذا وذاك من أن يرأس العلماء . وأن تكون له كلمة

التصرف ، حتى على شيوخه ، ومن يبغضونه ، وأن ينشر مبادئه ويدعو الناس إليها ، ويلبى دعوته كثير من الناس ، وهو لو دعا إليها في بدء نشأته ما اجتمع إليه أكثر المجتمعين حوله الآن .. وإذن فما هذه الغلبة الهائلة ، والصولة العظمى والتأثير الكبير حتى كاد الناس يحترمونه أكثر من شيخ الأزهر نفسه ، وهم يعتقدون أنه الآمر الناهي ، وأن كل شيء صادر عنه ومنسوب إليه ، لا شك أن هذا كله إنما جاء بقوة نفوذه وتأثيره ، وهكذا تكون الرجال » .

هذا الإعجاب المفرط ، يدل على أن العالم الشاب قد درس حياة الإمام ووقف على مؤلفاته ومنهجه الإصلاحي ، حتى صار ذا قدرة على تأليف منهج للعلم والعلماء في سن مبكرة ! هذا المنهج هو ما خطه في كتابه المشار إليه ، وقد بدأه بمقدمة جامعة تساءل عن سبب قصور الأمة الإسلامية وشقائها ، رادّاً ذلك إلى قصور طرق التعليم الإسلامية عن النهوض بها ، لا لأن التعاليم الإسلامية عاجزة عن النهوض ، بل لأنها لم تدرس على وجهها الصحيح .

وأول أسباب القصور ، قصور بعض العلماء عن درجة التوجيه الصالح ؛ لأن العالم لا يكون عالما إلا إذا كان كاملا في علمه ، كاملا في إرشاده ، كاملا في أخلاقه ، كاملا في تعبده ، كاملا في ملكاته ووجدانه ، كاملا في نفوذه وتأثيره ، كاملا في التنوير العام ، وهي فصول تتابعت عناصرها في الكتاب ، والكمال في العلم هو ما اتسع له فراغ كبير من الكتاب إذ تحدث المؤلف عن علم المناحكات اللفظية وعلم المسائل الفكرية بإفاضة وإسهاب ، ويندرج في هذا السياق كمال التعليم ، لأنه ثمرة العلم الحقيقي ، أما

---

(٣) العلم والعلماء ط ٢ سنة ١٩٥٥ ص ٢٣ .

الكمال فى الإرشاد فهو الصيحة العالية التى صرخ الأحمدى بها منبها إلى ضعف الشعور الدينى ، وانتهاك حرمة الشرع ، حتى فيما يرجع إلى مصالح الحياة الدنيا ، بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانكماش أمر الدين ، حتى كاد يعد من الأحوال الشخصية أو الأمور الاستحسانية التى تختلف باختلاف المشارب والأذواق ، أما الكمال الأخلاق فقد تحدث عنه العالم الشاب بما نحب أن نسمعه الآن ، لأنه القدوة الخلقية فى المحيط الإسلامى .

لذلك دعا الأحمدى إلى دراسة وافية للأخلاق الإسلامية فى دروس مستقلة ! وهذا ما ندعو إليه الآن فى المعاهد الدينية والمدارس المدنية ، لأن الأخلاق الإسلامية فى هذه وتلك تدرس عرضا عند تفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وكأنها ليست مقصودة لذاتها ، ومن الواجب أن تكون دراسة الأخلاق مادة مستقلة يقوم بها نفرٌ من ذوى الأخلاق وأن تكون مستندة إلى النص الصريح من كتاب الله ـ تعالى ـ وحديث الرسول ﷺ وعمل السلف الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ وأن يقوم بهذا التدريس من تشهد لهم إدارة عملهم بحسن السيرة ، واستقامة السلوك ، لأن فاقد الشيء لا يُعطيه ، أما الكمال فى العبادة ، واكتمال الملكات والوجدان ، والكمال فى النفوذ والتأثير فما أبدع ما كتبه الأستاذ فى ذلك ، ونحن فى حاجة إلى إعادة طبع ما سطره فى هذا النطاق ؛ لأن الحاجة ضرورية الآن إلى احتوائه بعد أن تعاونت وسائل الإعلام المختلفة على إضعاف صوت الدين ، وعملت على فقد تأثيره لحاجة فى نفس يعقوب .

وما كتبه الشاب عن الكمال فى تعمير القلب بالنـــور الآلهى ، والقـــرب من حضرة الحق ـ سبحانه ـ ترف كالىّ لا يشرئب إليه فى رأيى غير الخاصة من ذوى النفوس الراقية ، ومثاليته الرفيعة لا تمنع المناداة به والدعوة إلى مقاربته .

فإذا انتقلنا إلى نقد العلوم التى تدرس بالأزهر فإننا نجد صدق النظرة فى تشريح هذه الدروس ، وقد راعنا أن نلمس القصور الشائن فيما حكاه الشاب الناشيء عن حالة هذه المقررات ، فدروس التفسير ودروس الحديث لا تؤدى ثمرتها ، إذ أن النص ـ وهو الأصل الذى يدور حوله التحليل ـ لا يُهم بفهم مضمونه قدر ما يهم بتخريجات نحوية وبلاغية تلقى ستارا كثيفا على تفهم المعنى المراد ، وعلم التوحيد بانتهائه إلى قضايا بائدة لا تلمس معضلات العصر لا يفيد طالب الهداية فى تثبيت عقيدته ، والذين يؤرخون لتطور البلاغة المعاصرة عليهم أن يلتفتوا إلى توجيه الأحمدى الجديد فى تدريس هذه المادة ، وأقول الجديد لأنى لم أر من قبله من جمع بين دراسة التصوف والبلاغة فى مفهوم رائع ، فالمتصوف لا يدرك معانى الوجدان الصوفى بالمصطلحات العلمية إذ لابد له من ذوق صوفى يرتفع به إلى استشفاف حقائق الوجود ليصل منها إلى خالق الوجود ، والبلاغى لابد من ذوق أدبى ينفذ به إلى إدراك أسرار البيان الأدبى ، ولن تنفعه اصطلاحات المقررات البلاغية فى فهم النص الأدبى دون هذا الذوق ، يقول الأستاذ

الناقد[٤] :

« إن تبنى هذين العلمين (التصوف والبلاغة) ليس على التعقل والتصور أو التصديق ، بل المعول عليه فيهما ذلك النوع من الإدراك المسمى بالوجدان أو الشعور الباطنى الذى لا يحصل إلا بالتحقق بتلك المعانى ، فهما فى ذلك كالعسل لا يدرك طعمه إلا بمذاقه . والبلاغة الوصفية لا تجدى شيئا دون العملية ، إذ ليست هى من العلوم التى يحصل الكمال بمعرفتها فقط بل هى من العلوم الصناعية ، وغايتها هى الملكة التى تنشأ عنها هذه الآثار ، وما لم توجد الملكة فلا بلاغة » .

هكذا سار الأحمدى فى تتبع كل العلوم ، ونظراته نقدية ذاتية لم يرجع فيها إلى باحث سابق ، ومن المضحك أن تجمع نسخ الكتاب وتحرق بعد طبعه ، لأن ولى الأمر لم يرض عنه حينئذ ، ولأن شيوخ الحواشى قد ضجوا من تأثيره !! وإنى أدعو باحثى اليوم إلى دراسة هذا الكتاب ليأخذ وضعه الطبيعى فى حركة الإصلاح العلمى ، إذ مكانه من هذه الحركة مكان الأسس الثابتة فى باطن الأرض من الجدران الناهضة فوقها ، ولو خلص الأحمدى من الأعمال الإدارية فى حياته وتفرغ لمثل هذه البحوث لكان من أعلام التربويين فى هذا العصر ، ولكن المناصب ذات أعباء ثقال ، وقد حالت بينه وبين هذا النبع الرائق من الفكر المستقل الحى ، وعراؤنا أن بقى هذا الكتاب الرائع من ألمع آثاره الجياد .

- يتبع -

---

(٤) العلم والعلماء : ص ١١١ .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

الأزهر يحتفل بذكرى الشاعر الباكستانى محمد إقبال

متابعة :
دكتور / محمد عبد الحكيم محمد

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى أقامت سفارة باكستان وجمعية أصدقاء إقبال احتفالاً بذكرى مولد الشاعر والمفكر الإسلامى الكبير محمد إقبال ، وذلك بقاعة الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف فى الساعة السادسة من مساء الأربعاء ٩ رجب ١٤١٧ هـ - الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٩٦م

حضر الحفل عدد كبير من رجال الأدب والفكر وطلاب الأزهر ، وشارك فى برنامجه كل من :

- الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر .
- الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر .
- الأستاذ الدكتور / عجيب المصرى .
- الأستاذ الدكتور / محمد السيد سليم .
- الأستاذ الدكتور / محمد السعيد جمال الدين بجامعة عين شمس .
- سعادة السفير / عز الدين شرف .
- سعادة السفير / منصور العالم سفير باكستان .
- الأستاذ الدكتور / سعد ظلام عبد المقصود عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة .
- الأستاذ الدكتور / حسن الشافعي بجامعة القاهرة .
- الأستاذ المستشار / محمد التهامى .

فى البداية تحدث الشيخ / عبد المقصود عسكر - الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - عن الشاعر محمد إقبال ودوره وكيف كان من أوائل المبشرين بقيام دولة باكستان ، ثم قام فضيلته بتقديم السادة المشاركين فى برنامج الحفل تقديماً موفقاً ، وهذه تغطية إعلامية من جانب مجلة الأزهر لهذا الحفل .

كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ..

الحفل الكريم .. الأخوة والأخوات ، أبنائى وبناتى الذين شرفونا فى هذا الحفل الذى أقامته سفارة دولة باكستان الشقيقة بالتعاون مع الأزهر وجامعته .

هذا الحفل إنما هو لتكريم رجل قضى حياته كلها من أجل إعلاء كلمة الله - عز وجل - ، من أجل خدمة دينه ومن أجل خدمة وطنه .

قضى حياته وهو على صلة جيدة بخالقه - عز وجل - فأشعاره التى ترجمت إلى العربية فيها ما فيها من الحكم الجليلة والمعانى السامية والغايات النبيلة ، ومن المقاصد التى سخر لسانه وفكره وقلمه وعقله من أجل نشرها ، وهى مقاصد لم يقصد بها الفخر والتباهى ، إنما قصد بها خدمة دينه .

كان متجرداً من العنصرية البغيضة ومن العصبية الذميمة .

وهب حياته لخدمة دينه وأمته ، يريد أن يرى أمته وقد ارتفعت رايتها وعزت كلمتها ، يريد منها أن تحافظ على هويتها وأن تحافظ على حريتها وكرامتها .



ولد الشاعر محمد إقبال ١٨٧٧م وتوفى ١٩٣٨م لكن هذه الحياة كانت مليئة بالحكمة ومليئة بالأدب العالى والمقاصد العالية ، كانت مليئة بجلائل الأعمال ، طاف من بلد إلى بلد ومن دولة إلى دولة ومن قطر إلى قطر ومن قارة إلى قارة

تجوّل فى مشارق الأرض ومغاربها لا من أجل السياحة وإنما من أجل التعرف على إخوانه المسلمين .

زار مصر سنة ١٩٣٠ ، والتقى بعلماء الأزهر وبعدد كبير من المفكرين ، وكانت روحه الوثابة ليست فى خدمة دولته وحدها ، إنما فى خدمة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

عندما نحتفل بإحياء ذكرى مولد الشاعر إقبال إنما نقصد من وراء ذلك تذكير أبنائنا وبناتنا بهؤلاء الرواد الذين خدموا دينهم وخدموا أمتهم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات / ٥٥]

الأمة التى تنسى أبناءها البررة وتنسى تاريخها تصبح كالريشة فى مهب الريح ، أما الأمم العاقلة الراشدة الحكيمة فهى التى تُذكّر أبناءها بأمجاد الإسلام ، تُذكّر أبناءها بإخلاصهم ، بصدقهم ، بإيمانهم ، بجهادهم ، بيقينهم ، تذكّرهم بذلك لأن من شأن هذا التذكير أن يجدد الإيمان فى القلوب وأن يحرك المشاعر إلى كل ما يرضى الله - سبحانه وتعالى - ومن هنا نجد أن القرآن الكريم - فى كثير من آياته - يذكرنا بأحوال الرسل الكرام مع أقوامهم ، وربما لو تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا أن ثلثه أو أكثر من ثلثه يتحدث عن أخبار الماضين وعن المحاورات والمجادلات التى دارت بين الرسل الكرام وأقوامهم بما يسوق لنا العظة والعبرة .

لذلك فإننا عندما نحتفل بذكرى الشاعر محمد إقبال نقصد أن نُذكّر أبناءنا وبناتنا بجهاد هذا الشاعر ، وبما كان عليه من تحلق قويم ومن أدب وقير ، ومن دعوة إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة .

نسأل الله عز وجل أن يجعل هذه المجالس خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلها فى ميزان حسناتنا جميعاً يوم نلقاه ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار / ١٩]

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة رئيس جامعة الأزهر

ثم تحدث بعد ذلك الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم عن العلاقة والارتباط بين الأزهر وأمجاد الإسلام وذلك من خلال الاحتفال بذكرى الشاعر الإسلامى إقبال فى قاعة الإمام محمد عبده تلك القاعة الإسلامية الكبرى .

ورأى فضيلته أنه من حُسن التوفيق أن يحتفى بإقبال فى ذكرى مسرى النبى ﷺ ومعراجه ، هذا الحدث الذى ألهب مشاعر الشعراء والمبدعين لاسيما شاعرنا إقبال ، الذى تأثر به أيما تأثر وتفجرت منه به ينابيع الحكمة والأدب الإسلامى

ورأى رئيس جامعة الأزهر أنه من حُسن الموافقات أيضاً أن يأتى الاحتفاء بهذا العالم الإسلامى فى أيام تحمل بين طياتها أعز ذكرى غالية وعزيزة على المسلمين ، وهى ذكرى مسرى سيدنا المصطفى ﷺ ، ذكرى إسرائه ومعراجه ، إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومعراجه إلى السماوات العُلى ، هذا الحدث الذى فجّر ينابيع الحكمة عند الأدباء والشعراء ، وعند إقبال وغير إقبال ، ثم جاشت خواطره بقصيدة فى هذه المناسبة منها هذه الأبيات :

صُبحٌ تنفس بالهُدى يسبي العيون إذا بدا
وتراقصت نسماته طربا فعانقه الندى
والشهد ناغمه الحمام فبات فيه مُسَهَّدا
فتراوحت أدواحه والأفق هام وزغردا
وازيّن البيت الحرام وظل يرتقب الندا
فتطاولت أعواده والمسجد الأقصى شدا
فاليوم إسراء ومعراج أقيم لأحمدا
جبريل نادى في السماء وراح فيها واغتدى
نادى الملائك في العلا حيّوا النبي محمدا
يا ليلة الإسراء يا ألق السماحة والندى
أطلعت فجرا مسفرا غردا بوجه أغيدا
وأمطْتِ عن عنق الدجى هذا اللثام الأسودا
فتبلجت منك الحقيقة تغمر الدنيا هُدى
وانساب جدولها المشعشع مترعاً يروى الصدى
خطر النبي به وجبريلُ الأمينُ له حدا
والكون يا للكون منتشٍ وبالحسن اقتدى
هي رحلة في الله ما أبهى الصفاء وأرغدا
فيها من الآيات ما يهدي الأصمَّ الجلمدا
فيها الفصاحة والحصافة والصباحة والندى
فاخشع ملياً يا جنانُ ولا تكن متمردا
هذا مكان أمَّ فيه المصطفى رُسل الهُدى
والأنبياء هناك ظلوا يرقبون الموعدا
ما إن تجلى ربهم إلا وخروا سُجَّدا
أترى بقاع مثل هذى تستكين لمن عدا
يا صاحب الإسراء أدرك معشرا ضاعوا سُدى
من مارق بالدين أفاق يعيش معربدا
كم راح ينتهب الخُطى وعلى محارمه عدا
هذا مكان الرشد يا من ترتجى أن ترشدا
الجنة الفيحاء نادت فاصغ واستمع الندا
نادت لنا طوبى لمن عَبَد المهيمن واهتدى

قصيدة طلوع إسلام

للشاعر: محمد إقبال

هذا وللشاعر الباكستانى / محمد إقبال قصائد جمة تعبر عن آماله وتطلعاته فى وحدة العالم الإسلامى ، ومنها قصيدة : « طلوع إسلام » التى نظمها بعد عودته من أوروبا عام (١٩٠٨) حيث كان يدرس هناك ، وكان العالم الإسلامى فى ذلك الوقت يواجه أزمة أخلاقية وفكرية ، كذلك كان المستعمرون البريطانيون يتحكمون فى مصير شبه القارة بما كانوا يدعونه من امتيازات التاج .

وكانت إيطاليا قد هاجمت طرابلس واستولت عليها وكانت جزءًا من الإمبراطورية التركية التى اعترف العالم الإسلامى بسلطانها خليفة للمسلمين ، كذلك كانت دول البلقان الأربع قد أعلنت الحرب على تركيا ، مما عرّض الأماكن الإسلامية المقدسة بالامبراطورية التركية للخطر .

ويرى السيد الأستاذ/ سفير باكستان بالقاهرة : أن قصيدة « طلوع إسلام » قد عكست القلق الذى كان يساور محمد إقبال نتيجة الاضطراب السياسى الذى أحاط به ، والأزمة التى واجهت العالم الإسلامى بعد سقوط الخلافة . وقد تضمنت القصيدة نظراً وأملاً جديدا فى الفكرة التى دأب إقبال على ترديدها المرة بعد المرة بحمية شديدة ، وهى فكرة وحدة المسلمين عبر الحدود القومية والعنصرية .

وهذا نص قصيدة « طلوع إسلام » لشاعر باكستان الدكتور / محمد إقبال ، ترجمها للعربية شعراً الأستاذ/ الصاوى على شعلان .

تبشرق النجوم إذا توارت لدى الأسحار بالفجر الوليد
كأن خفوت ضوء النجم ليلا بشير اليمن باليوم الجديد

• • •

مضى اليوم الثقيل عن البرايا وضوء الشمس آذن بالشروق
وهب الشرق مبتدرًا وثارت عزائمه دماءً فى العروق

• • •

وكم لله من سرٍّ خفيٍّ يجليه انتصار المسلمينا
فلم يدرك أبو نصر مداه ولم تبلغه فلسفة ابن سينا

• • •

وزحف الغرب كان أجل درس لبعث المسلمين إلى النضال
وإن الموج فوق البحر يعلو فيروى ظامىء الدرر الغوالى

• • •

تجلى فضل ربك يوم أهدى بنى الإسلام ملك التركمان
وكان ذكاء أهل الهند عونا لإعجاز العروبة فى البيان

• • •

إذا بدت البراعم فى نبات فأيقظها على مرأى الوجود
وجد حرقة الأشواق واجعل مكان الشدو جلجلة الرعود

• • •

جهاد المسلم المقدام يمضى حثيث الخطو متصل الشباب
وإن الزئبق الرجراج يهوى بفطرته دوام الاضطراب

• • •

ومن شهد الوقائع وهى تسمو بأبطال الجهاد الخالدينا
فليس لزينة الدنيا مكان لديه ولا غرور الجاهلينا

• • •

فقدم للشقائق والخزامى وللبستان مصباح الرجاء
لترقد فى حياة الجيل شوقاً للاستشهاد فى مجد الفداء

• • •

لآلى قطر نيسان هو تهما دموع المسلم الحر الأصيل
لآلى لايجود بهن يوماً سوى الأصداف من بحر الخليل

• • •

بدا في الشرق للآمال طيف — لجمع الشمل في دور مجيد
وشرعة أحمد وافى شذاها — وغصن المجد أورق من جديد

• • •

وتور الملة العليا سبيل — لمسراها إلى النهج الرشيد
وأنسام الصبا في كل وجه — يساير خطوها عطر الورود

• • •

لئن عصف الزمان بنا فإنا — على درب المسيرة في مضاء
وآلاف النجوم تغيب حتى — ترى ميلاد شمس في السماء

• • •

عيون النرجس البسام تبكي — وتسكب دمعها طول الليالي
وتقضي العام بعد العام شوقا — إلى عين ترى سحر الجمال

• • •

تظل قوافل الأقوام حيرى — وتقضي العمر جهدا واصطبارا
لتشهد مصلحا وترى زعيما — يكون لصدق نهضتها منارا

• • •

ترنم وابتكر لحنا مثيرا — وكن صوت النذير إلى القيام
وقل هيا فتى الإسلام بادر — وسر قدما إلى درك الكمال
وكن لكتاب ربك ترجمانا — وبرهانا لقدرة ذى الجلال

• • •

أفق من غفوة الأوهام واجعل — يقينك بانتصارك خير هادى
ولا تعجز فقدرك في علاه — يفوق منازل السبع الشداد

• • •

وإن حرارة الأشواق يذكو — بجذوتها لك العزم القديم
فإنك وارث أمجاد قوم — غبار خيول جيشهم النجوم

لك الأزل ابتــداءً وارتقــاء لك الأبــد المقيــم ولا انتهــاء
ولن يبقى مكــان أو مكيــن وفى الأوج الرفيــع لك البقــاء

• • •

مكـانك لاتدانيـه الثريـا وقـدرك دونـه القمـر المنير
رسالات المهيمـن قد تنـاهت إلـيك وأنت مرجعهـا الأخير

• • •

أرى الآمال بالآلام تنمــو وفى الإيمان تحقيــق الأمــانى
دمُ الأبطــال فى لجج المنايــا خضاب الحور فى غرف الجنــان

• • •

وأنت من الخليــل على ربــاط من الذكـرى ومـن صدق الوفـاء
مآثــر هذه الدنيــا شهــود بفضلك فى الحضارة والبنــاء

• • •

مقاليـد الحياة إلـيك ألـقت أزمتها وأنت بها قمين
كأنك فى يد القـدر اختيـار لما قد كان أو ما قد يكــون

• • •

فأنت النــور فى ديــن ودنيـا لهذا الخلــق من طين ومــاء
وأنت من الهدى أغلى الهدايــا إلينــا من إمــام الأنبيــاء

• • •

توسم للبطولــة كلَّ معنــى بتذكيــة الضمائــر والقلــوب
وفــيك جاء أفريقيــا وآسيــا وأنت محرّر كلِّ الشعــوب

• • •

إقبال والكلمة

بمناسبة الاحتفال بمولد هذا الشاعر الملهم والمفكر الثائر العظيم

للأستاذ الدكتور سعد ظلام

كذلك ألقى الأستاذ الدكتور / سعد عبد المقصود ظلام عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة قصيدة طويلة مواكبة لتكريم إقبال عن جهاده وفكره وأهداها إلى روحه ، استطعنا أن نلتقط منها هذه الأبيات :

شاعر الإسلام .. يا قيثارة ... صاغها الله من الحسّ النضِرْ
(أزهرَ) الإيمان فى أوتارها ... وحباها الله مكنون الدُّرَر

فإذا روحك فى أسراره ... خفقة الحسّ على دفء الوتر
كل معنى من سنا أفكاره ... كان فى قلبك قلبًا ينفطر ..

فهو اللحن الذى غنيته ... وهو الموج الذى لا ينحسر
وهو المجد الذى أحييته ... وتفاخرت به طول العُمُر



ما ازدهاك الغرب فى أمجاده ... قشرةٌ فوق ركام وحجر
ولباب يفتنُ الغِرُّ بها ... وإذا فتشتَ تلقاها سقر

ليس فيها واحة الروح إذا	أصبت السارى ومضاء السفر
ليس فيها واحة النفس إذا	أغلق الإنسان آلاف الفكر
ليس فيها لمسة الحب إذا	واجه الإنسان أشباح القدر
ليس فيها خفقة النور إذا	أظلم الكون بأحداث كبر



فالحياة الدين إن ضاع فلا	أمن السفر ولا لذ سفر
وإذا الإيمان قد ضاع فلا	ملأ الأمن أحاسيس البشر
أيها الشادى بتوحيد الإله	ومغذى الروح من كرم السماء
شدك النور إلى قدس حماه	وأراك الحق فى أبهى رواء
فطفقت العمر تروى من سناه	ونذرت العمر فى عشق الضياء



قصة التوحيد ماذا ألهمت	حسك الريان من نبع الصفاء
نحن روح فى كيان واحد	وشعور خافق بالانتماء
أو لسنا أمة التوحيد ؟ والتو	حيد أشواق وإشراق إخاء
ربنا الله إله واحد	ونبى هو خير الأنبياء
وكتاب القرآن فيما بيننا	وتولانا على نهج الوفاء
قبلة واحدة تجمعنا	وأذان يحتوينا فى النداء



ثم ختم قصيدته بهذه الصرخة :

يا أخا الإسلام .. والدنيا صراع	بين حب .. ونفوس بربرية
عصف الغدر بأحلام الشراع	ودهاه بالليالى العصبية
« قدسنا » فى الأسر .. فى أيدى الرعاع	وحواليها ذئاب البشرية
وحمى الإسلام يحميه الشجاع	وذوو الإيمان والروح الأبية
فانفروا كالأسد من شتى البقاع	وافتدوه من أياد همجية
إنما الإسلام ذكر ودفاع	فانهضوا .. يا عزمة الله القوية

حياة إقبال

كذلك تحدث الأستاذ المستشار نجيب المصري عن حياة إقبال السياسة ومحاضراته ومواقفه في مصر وأسبانيا ، كما تناول بقية الأساتذة المشاركين في برنامج الحفل جوانب أخرى من نضاله الفكري والسياسي في خدمة الإسلام .



هذا وقد ألقى المستشار الشاعر محمد التهامي قصيدة في هذه المناسبة صور فيها سمو الإسلام في شريعته وتطبيقاته لدى المسلمين ، جاء فيها :

هذه شريعتنا

للشاعر محمد التهامي

العلم والعمل الكبير حياتهم ... الكون فلك تحتهم مشحون
فيسخر هواءه وترابه ... ويفجرون جباله فتلين
من فضل خالقهم وفضل كفاحهم ... لا الخير مقطوع ولا ممنون
ولهم شريعتهم ودون جلالها ... يتراجع التشريع والتقنين
أرست عدالتها السماء وساقها ... روح على سر السماء أمين
فيها لكل الناس كل حقوقهم ... ما عاش تحت ظلالها مغبون



فالناس مهما كان من أوضاعهم ... الماء أصل وجودهم والطين
هذى الحضارة للخلود وشعبها ... بالمجد في هذى الحياة قمين
إن كان قد أخنى عليه زمانه ... فالدهر يسعد تارة ويخون
والصبر في شرع الحنيفة واجب ... والصعب بالصبر الجميل يهون
وعلى الكفاح الحر يسعد مسلم ... إيمانه بين الضلوع مكين
هذه شريعتنا وهذا ديننا ... من حاد عنه يحيد عنه الدين

غرور الإنسان

للشاعر / محمد عبد الرحمن صان الدين

سبحانه يا ربّ الكواكب والفلك .·. والنور فى الآفاق يمسح والحلك(1)
الكائنات جليّها وخفيُّها .·. ووديعها وعنيفها تنقاد لك

هذا ابن آدم ذا الذى كرمته .·. عن سائر المخلوق جن أو ملك
وأفضت أنعُمك الجليلة حوله .·. وبذاته وروحته ما قد ملك

وكأنه صنع الحياة بكفه .·. وكأنه فى أمره قد شاكلك(2)
وانساب كالرقطاء ينفث فى الحياة سمومه وجحوده أنّى سلك(3)

وتظل تجزل يا كريم له العطاء وما ارتجاك وما ابتغى أن يسألك

●● ●●

يا رب حلمك بالعباد مُحيّر .·. فإذا أخذت بما جنوا ما أعدلك
لكن حكمتك الخفية فوق إدراك العقول وإن تسنّمت الفلك(4)

كم رامها فى الدهر عقل وابتغى .·. كشف الستائر دونها حتى هلك(5)
يأيها الإنسان فى خلل المعارف رافل متألق ما أجهلك

☐ المفردات :

(1) الحلك : شدة الظلام (2) شاكلك : ماثلك (3) الرقطاء : الأفعى المنقطة
(4) تسنمت الفلك : ارتقت فكرا وعلما (5) رامها : طلبها

محمد إقبال والمدينة الفاضلة

للشاعر / رشاد محمد يوسف

المدينة الفاضلة ، أو مدينة الأحلام ، أو المدينة المثالية ، كلها صور تجسد حلم البشرية وأمل الإنسان المتعب المعذب فى الأرض . فى الخلاص من كل متاعبه أو معاناته ، والتطلع إلى الحياة فى ظلال الأمان والاستقرار والرخاء .

وكم من المفكرين والفلاسفة والحكماء ودعاة الإصلاح ، فى الشرق أو الغرب ـ قديما وحديثا ـ من تغنى بهذه المدينة الفاضلة وتطلع إلى قيامها ورسم لها الخصائص والأوصاف . وتخيل لها الصور والأشكال وخطط وسائل الحياة على أرضها وما يحكم سير الناس وحياتهم عليها من قواعد وأحكام وعادات وتقاليد .

أما ما ينادى به الشاعر الإسلامى الكبير محمد إقبال ، والذى قضى عمره يدعو إليه ويبشر بقيامه ويحدد معالمه ويخطط له ويرسى مبادئه فهو « المدينة الفاضلة فى ظل مبادىء الإسلام » وعلى أسس واقعية محققة يستلهم نورها من وحى القرآن الكريم والكلم الطيب للنبى ﷺ . ويركز

إقبال على خصائص الفرد المؤمن بكل طاقات الإيمان الكامنة فى عمق القلوب . فالفرد هو اللبنة الأولى فى بناء الأسرة التى هى بالتالى الخلية الأولى فى كيان المجتمع المسلم أو المجتمع المثالى كما يراه إقبال ويؤمن به ويدعو له بكل صدق وواقعية ، ولندخل عالم هذا المفكر الإسلامى والشاعر الإنسانى المبدع محمد إقبال حيث يضع من خلال شعره الذى وصل إلينا مترجما عن لغته الأصلية « الأردية » كلّ خصائص وأوصاف وسمات المواطن المسلم فى المدينة الإسلامية الفاضلة :

فهو فى السلم وفى الحرب :

يبتسم المسلم فى سلمه ... عن رقة الماء ولين الحرير
وتبصر الفولاذ فى عزمه ... إن دعت الحرب ونادى النذير

• • •

المسلم الصادق فى عزمه ... ينازع الأقمار تاج الفلك
لا يجعل العصفور صيدا له ... لكنه يرق لصيد الملك

• • •

يمشى على النيران متكبرا ... ويصطليها ساخرا بالعذاب
فهو ترابى ولكنه ... حر طليق فى قيود التراب

وهو مواطن قد تحرر من قيود الخوف ؛ لأنه يؤمن بالله فيقول :

المؤمنون على عناية ربهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ولا هم فى الحوادث يحزنون

• • •

لو مرّ أضعفهم على فرعون يحز الرءوسا
لأراك فى الإفصاح هارونا وفى الإيمان موسى

– ويرى إقبال أن الخوف هو المدخل الحقيقى للنفاق والذل والهوان :

إنى رأيت الخوف فى الدنيا عدوا للعمل
هو مطفىء نور الرجاء وسالب كنز الأمل

• • •

يرمـــي الإرادة بالتزلـــزل والعـــزيمة بالخور
ومـــن احتـــواه الموت لا يجنـــي من الأرض الثمـــر

ـ والمؤمن عند إقبال وثاب متقدم غير هياب ولا متخاذل :

المؤمـــن الوثـــاب تعصمـــه من الهول السكينـــه
والخائـــف الهيـــاب يغـــرق وهـــو في أمـــن السفينـــه

• • •

أعـــداؤكم يخشون سيـــف يقينكـــم قبـــل السيـــوف
ومرامهـــم أن تـــرعـــوا بالخوف من قبـــل الحتـــوف

• • •

الحقـــد والكـــذب المذل وكل غدر والتـــواء
تلك الرذائـــل في شعـــوب الأرض أبـــواب الفنـــاء

• • •

لولا المخاوف ما صحـــا باسمهـــا تحت السمـــاء
والشرك يصنـــع من خيـــوط الخوف أشراك البـــلاء

ـ أما المواطنون المؤمنون فهم راسخو الإيمان بيقينهم وإيمانهم :

المؤمـــنون لهم من المولى أمـــان الأوليـــاء
بلغـــوا الكمـــال فهـــم عن الدنيـــا العـــريضة أغنيـــاء

• • •

الموت والحريـــة الشمـــاء والشرف المكين
هي خير ما نحيـــا به وهـــي الغنـــي للمؤمـــنين

أمـــا المضفض والمذهب والمُفَـــوَّف والنضيـــد
فلقـــد تركناهـــا لِعُبَّـــادِ الحطـــام .. وللعبيـــد

ـ وجوهر الإنسان باق لا يفنى كما يفنى غيره ، يقول :

وحيـــاة الإنسان نهر سماوى توالت بسيره الأقــــدار
كلمـــا غاض ماؤه عاد فيـــاضا فمـــا ينـــقضى له تيـــار

• • •

إن تفصل القطـــرة عن بحرهـــا ففـــى مداه منتهى أمرهـــا

• • •

شعلة النـــفس لا تعـــود رمـــاد ضوؤهـــا خالـــد على الأزمـــان
كل شئ يمضى وكل حيـــاة تنـــقضى غير جوهـــر الإنسان

ـ ويكرر إقبال معنى خلود الإنسان أو خلود النفس الإنسانية فى المدينة الفاضلة :

مئـــات السنين مضت فى الحيـــاة ومـــا استنفـــدت بحر أزمـــانها
وكم أفـــرغ الشاربـــون الكئـــوس ومـــا زالت الخمـــر فى حانها

• • •

إذا سقـــطت زهـــرة فى الربيـــع فكـــم فى بساتينـــه من زهـــور
ويـــارب لؤلـــؤة حطموهـــا لترفـــع فى التـــاج أو فى النحـــور

ـ وهو يرى ضرورة أن يفنى الفرد فى المجموع وأن يكون جنديا من جنود المدينة الفاضلة متفانيا جماعى الإحساس والشعور .. يقول :

معيشة الفـــرد خيال والبقـــاء للأمم فكن فداء المبدأ الأعلى إذا نادى العلم
فى العالم الأول من مطالع الأنوار كنت والناطق الأخير فى رسالة الرحمن أنت
قم وانشر التوحيد فى الدنيا ووحد الأمم فأنت خير من دعا وأنت خير من حكم
منزلك العلوى لا تحجب ضرخة الغيوم أنت من الجيش الذى غُبار خيله النجوم

ـ وهو يحذر أبناء المدينة الفاضلة من الجرى وراء المال قائلا :

ياعبيـــد المال والـــطين اسمعـــوا ما هو الزهـــد الغنـــى الأرفـــع
هو عرفـــان طريـــق العـــارفين وارتـــواء القـــلب من عين اليـــقين
ذلك الفقـــر عزيـــز فى غنـــاه هامـــة الجوزاء من أدنى خطـــاه
يرعش الدهـــر إذا دوى صداه ليس غير الله فى الكـــون إلـــه
مسلـــم دولتـــه فوق الحصير كان يخشى بأسه ألـــف سريـــر

ـ وهو ينعى على القاعدين المتخاذلين وينفخ فيهم من روحه فيقول :

أيها الشادى بقــــرآن كريم   وهــو فى ركــن من البيــت مقيم
قم وأبلـــغ نوره للعــــالمين   قم وأسمعـــه البرايـــا أجمعين
حينما آمـــنت بالله الأحــــد   لم أزل النفس يومـــا لأحــد

ـ وحب المغامرة والاستكشاف والتطلع والإقدام من أهم صفات إنسان المدينة الفاضلة ، يقول :

أحب احتــراق بنــار اشتيـــاق   ولا ارتضى عيشة الخامـــلين
شعــار الفــراشة والنــور يعلــو   حيـــاة الجبـــان طوال السنين
عش ساعـــة فى لجة البحــــار   ومت شهيـــد الموج والتيـــار
ولا تعش دهــرك عيش الخامـــل   مقيــدا بين صخـــور الساحـــل

ـ ثم يصف شجاعة المقاتل المؤمن واستبساله فى سبيل الله فيقول :

ذلك المؤمـــن الموحـــد يغشى   زمـــرة الحرب والــــردى يخشاه
تحت ظل السيـــوف ماض قوى   درعـــــه لا إلـــــه إلا الله

ـ ثم يهيب بالأمة الإسلامية أن تصحو من غفوتها وتنهض من كبوتها وتعيد أمجادها :

أمـــة الصحــراء ياشعب الخلــود   من سواكم فك أغــلال الـــورى
من سواكم صاح فى سمع الوجـــود   قال: لا كسرى هنـــا لا قيصرا

ومع نهاية جولتنا مع الشاعر العظيم محمد إقبال من خلال ما تيسر لنا من شعره المترجم عن لغته الأصلية « الأردية » ، نتمنى تجسيد هذه المعانى السامية حتى تحقق على ضوئها كل القيم والمثل والصفات التى هى مكارم الأخلاق لإنسان المدينة الإسلامية الفاضلة .



ولا أجد ما اختم بها هذه الجولة أجمل من قوله معتزا بإسلامه :

إن كان لى نغــم الهنـــود ولحنهم   لكــنَّ هذا الصوت من عدنـــان

سلام على الشاعر الكبير محمد إقبال فى الخالدين .



من روائع الماضي بمجلة الأزهر



أساس الرفق فى الإسلام

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

إعداد وتقديم : أ/ عبد الفتاح حسين الزيات

عناصر الرقى فى الإسلام كثيرة ، وأسسه واضحة جلية ؛ وحصر هذه العناصر فى عدد معين مما يصعب على الفرد لأنها فوق طاقته واستطاعته ، والرفق أحد هذه الأسس بل هو الأساس الذى يوثق علاقة الإنسان بغيره ، وحتى مع الحيوان ، وحرى بأمة الإسلام أن تبرز هذه الأسس ، وتوضح تلك العناصر كمعلم من معالمه حتى يتأسى بها من ضل طريق الرفق ، وحاد عن جادة اللين .

قال فضيلة الشيخ :

أساس الرقى فى الإسلام

إننا نحب العظماء ، ونمجدهم ، ونحيى ذكراهم ، لأنهم ذوو نفع بالإنسانية ، عاشوا لأجلها وماتوا لأجلها .

ونحن نحب سيدنا محمداً ﷺ ونمجده ، ونعد يوم مولده عيداً نحتفل به لأنه أخرج العالم من الظلمات إلى النور ؛ ووضع بذور الخير والبركة فى الأرض ، وسن من أصول التشريع فى الأخلاق والاجتماع ما على مثله تحيا الأمم ، وترقى الشعوب .

وقد تحرى المسلمون فى العصر الأول التأسى به ؛ والعمل بإرشاده ، فسعدوا ، وكانت لهم عمارة الأرض ، ثم تنكب الخلف من بعدهم طريقه شيئا فشيئا ، فبعدوا من الخير والسعادة بمقدار بعدهم عن ذلك السبيل القويم .

وإن خير ما يسديه المحتفل بميلاده إلى أمته أن يعمد إلى سنة من سننه قد درست فيحييها ، وإلى هدى من هديه قد ضل الناس عنه فيهديهم إليه .

وقد أخذت نفسى بهذا ، وأردت أن أنشر من هديه ﷺ أبعده أثرا فى إصلاح المجتمع ، وأعظمه بركة فى سعادته .

أردت أن أدرس هديه ﷺ ، وأعرضه على علم الاجتماع ، وتاريخ الأمم والشعوب ، فأعثر على ذلك الأكسير الذى لما أخذ به الأولون من أهل الإسلام كانت لهم العزة فى الأرض ، ولما تنكبوا عنه ضلوا عنها أو ضلت عنهم .

لقد اهتديت بعد لأى إلى ذلك الأكسير الذى هو سر عظمة الأمم قديمها وحديثها ، ورأيت محمدا لم يغفله ولم يهمله ، بل رأيته قد علمه وحض عليه ، وكانت سننه القولية داعية إليه ، وسننه الفعلية مثالا حيا له .

لن أختزن ذلك الأكسير ، ولن أضن به ، بل سأبينه وأذيعه ، فإن أمم الشرق أحوج ما تكون إليه الآن .

ذلك الهدى : هو « الرفق بالناس » ، وترك الشدة عليهم ، ومعاملة بعضهم بعضا باللين والعدل .

وسأوضح أثر هذه المعاملة فى الممالك والمجتمعات ، وأثر ضدها السيىء فى الناس ، وأذكر معاملة النبى أصحابه وما ورد فى ذلك ، وأبين أن المسلمين كانوا بخير حينا ساروا على هذه السياسة الرشيدة ، فلما أخذوا عنها يمينا ويسارا أخذ عنهم الخير يمينا ويسارا .

ليس شيء أشد ضررا بالأمة ، ولا أضعف لها ، وأدعى إلى انحلالها وزوالها ، من معاملة بعضها بعضا بالشدة والقهر والغلب .

ذلك لأن الشدة والقهر والعنف تضعف النفوس ، وتميت فيها العزة والكرامة ، وتخلف فيها المذلة والهوان ، وإذا وجدت هذه فى الأمة أو فى الأفراد لم تسم نفوسها إلى جليل ، ولم تضطلع بخطير ، وكانت حقيرة فى نفوسها هزيلة الأمل ، ولا سؤدد لحقير فى عين نفسه ، ولا عمل لمن فقد الأمل .

فإذا عامل الرجل زوجه ، والوالد أولاده ، والمربى تلاميذه ، والرئيس مرءوسيه ، والوالى من ولى عليهم ، وكل ذى سلطان من سلط عليهم ، بالقهر والشدة ، أفسدوا نفوسهم ، وأذلوهم ، وقتلوا فيهم روح الاعتداد بالنفس والعزة والكرامة ، وهى عدة الفرد والجماعة فى هذه الحياة .

فإذا رأيت شعبا يسير على هذه الخطة فأعلم أنه يحفر قبره بيده ، وأنه يسيء إلى نفسه بما لا يقدر أعدى أعدائه أن يسيء به إليه .

وليس شيء أصلح للأمة وأنفع لها وأدعى إلى قوتها وبقائها من معاملة بعضها بعضا بالرفق واللين والعدل ، لأن ذلك يقوى نفوسهم ، ويحيى فيهم الكرامة والعزة والاعتداد بالنفس ، والمرء إذا وجدت فيه هذه الصفات سمت همته ، وبعد أمله ، ورأى نفسه ليس يبعد عليه شيء في الحياة ، وعمل ما يمليه عليه سمو همته ، وبعد أمله ، وقوة إرادته ، وعاش شخصا قويا مستقلا يقوم بنفسه ، ويأبى أن يكون ظلا لأحد أو محمولا على غيره .

فإذا رأيت الوالد يعامل بنيه بالرفق واللين فاعلم أنه يبنى منهم رجالا أشداء أقوياء أعزاء . وكذلك قل في المربين والرؤساء والولاة .

هذه قواعد علمتها الأمم العاملة ، فسلكت سبيل النجاة ، وجهلتها الأمم الجاهلة ، فسلكت سبيل الفناء .

وإنى لأستعرض حياة أمم أوربا اليوم ، فأجد الأمة منهم يعامل كل ذى سلطان فيها من هم تحت يده بالرفق واللين ، وأجدهم يحفلون باستقلال المرء بنفسه ، فيفرطون في كل شيء ولا يفرطون فيه ، لذلك حفظت للمرء فيهم ذاتيته كاملة ، واستتبعت هذه الذاتية بعد ذلك آثارها كاملة .

تجد المربى فيهم لا يأخذ المتعلم بالعنف ، إنما يحبب إليه العلم والأخلاق الفاضلة ، ويخلق في نفسه القوة المحركة إلى طريق العلم ، والخلق الفاضل ، فيسعى إليهما من ذاته راغبا مشتاقا ، تحدوه المحبة ، ويبعثه الأمل .

ولا يسلك إلى ذلك سبيل العنف والشدة ، لأنه يعلم أنه يفقده بذلك شجاعته واستقلاله وكرامته ، فيكون ما يعطيه بعد ذلك أقل بكثير مما أفقده ، ثم هو بعد ذلك لا يتحرك إلا بمحرك خارجى ، فإذا ولى ذلك المحرك أو فقد ، زالت كل بواعث الخير والصلاح التى كانت تحدوه إليهما .

وإنى لأستعرض تاريخ الأمم الإسلامية فأجد في أولها العزة والمنعة والظفر والانتصار ، لأخذها بمبدأ الرفق والشفقة ، فلما أضاعت هذا المبدأ وعامل الوالد أبناءه بالشدة والغلظة ، وعامل المربون تلاميذهم بالقهر ، وعامل كل ذى سلطان من ولى عليهم بالغلبة ، عملوا على إفساد بعضهم بعضا ، وبلغوا من أنفسهم ما لم يبلغه منهم أعداؤهم ، وصاروا إلى ما صاروا إليه .

وليست تعاليم أوربا بأشد حرصا على الرفق واللين وأكره للغلظة والشدة من تعاليم الإسلام ، فإن الإسلام كان يعلم ما في الشدة والقهر من شر ، ويعلم ما في الرفق من خير ، فشدد النكير على الشدة والقهر ، وحض على الرفق واللين ، ولكن المسلمين أضاعوا تعاليم دينهم ، فبعدوا عن الخير بقدر ما بعدوا عن هذه التعاليم .

قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٢٨) .

فامتن على المؤمنين بأن من أرسل إليهم رءوف بهم رحيم ، لعلمه بما في الرأفة والرحمة من الخير لهم ، وليعلى من قدر الرأفة والرحمة ، ويحضهم عليها .

روى أن النبى ﷺ كانت بيده جريدة يستاك بها ، ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قرون أمتك وملأت قلوبهم رعبا ؟

لم يرض للمسلمين أن تكون بيد رسولهم جريدة ، لئلا يملأ قلوبهم رعبا ، ويكسر قوتهم ، فلا يصلحوا للإسلام ولا لأنفسهم ، فأى والد بعد ذلك يروح ويغدو على أولاده بالقهر والشدة ؟ إنه لا يفعل ذلك إلا من أراد إفسادهم ، وكسر حدتهم ، وإماتة قلوبهم .

وروى أن النبى ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدشة خدش أعرابيا لم يتعمده ، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا ! فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال : اقتص منى . فقال الأعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى ما كنت لأفعل ذلك أبدا ، ولو أتيت على نفسى ! فدعا له بخير .

وإنما كان منه ذلك ليعلم المسلمين أنهم سواسية ، وأنهم متساوون فى الحقوق ، وأن أعراضهم ونفوسهم وأموالهم حرام بعضهم على بعض لا يحل لهم شيء من ذلك إلا فى حق من حقوق الله .

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى فيما أوصى به رسول الله فى مرضه الذى مات (به) أنه دخل المسجد وهو معتمد على الفضل بن عباس فقال : « أيما رجل كنت أصبت من عرضه شيئا فهذا عرضى فليقتص ، وأيما رجل كنت أصبت من بشره شيئا فهذا بشرى فليقتص ، وأيما رجل كنت أصبت من ماله شيئا فهذا مالى فليأخذ ، واعلموا أن أولاكم بى رجل كان له من ذلك شيء فأخذه أو حللنى فلقيت ربى وأنا محلل ، ولا يقولن رجل إنى أخاف العداوة والشحناء من رسول الله فإنهما ليستا من طبيعتى ولا من خلقى ، ومن غلبته نفسه على شيء فليستعن بى حتى أدعو له » .

هذه كانت سياسة النبى أصحابه ، فقد سمع فيهم قول الله ـ تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر : ٨٨) .

وقد سار أصحابه هذه السيرة : فأقاد أبو بكر من نفسه ، وأقاد عمر من نفسه ، وسار الخلفاء فى رعيتهم سيرة رفق ورحمة ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يعلموا ما فى الرفق من خير ، أو هم علموا ولكن غلبت عليهم شهواتهم ، فسفكوا الدماء ، وشقوا الأبشار ، وخربوا الديار ، وأخافوا الرعية ، فأماتوا تلك النفوس الأبية ، وخلقوا أجيالا أذلاء ، فلم يكن فيهم غنى لهم ولا لأنفسهم .

من حقى على الناس وقد بينت لهم أساس رقى الأمم وسعادتها أن أطلب أجر هدايتهم ، وأجرى عليهم أن يهتدوا بذلك الهدى النبوى ، فيرفق المرء بأولاده ، ورب الأسرة بأسرته ، والمعلم بتلاميذه ، وكل ذى ولاية بمن ولى عليهم ، وأن يلزموا ذلك لزوم من يعلم أنه إذا تركه هلك ، وأن يؤمنوا بأن الشدة لا تلد إلا شرا ، وأنها أجدر ألا يعامل بها الأولياء ، وإذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا تلك الحكمة الذهبية : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .



العلوم الكونية

الهواء الجوى وتصريف الرياح

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين (٣)
وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤) واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا
به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (٥) ﴾ سورة الجاثية صدق الله العظيم

تحدثنا هذه الآيات الكريمة مع آيات أخرى كثيرة ـ عن حاجة الإنسان الماسة إلى التعرف على الظواهر الكونية باعتبارها ضرورة من ضرورات وجوده ، لأنه يرى فى هذه الظواهر خير دليل على وحدانية الخالق وعظمته وقدرته فى إبداع خلقه ، ويشعر أمامها بعجزه وضآلته واحتياجه الدائم إلى رعاية ربه وعنايته . وعندما يهتدى الإنسان ، بتوفيق الله ، إلى فهم طبيعة هذه الظواهر باستقراء قوانينها وتفسير سلوكها ، فإنه يسعى إلى الإفادة منها فى تحقيق أمانة الخلافة بإعمار الحياة على الأرض لخير الناس أجمعين .

وسوف نفصل الحديث ـ إن شاء الله ـ فى هذا المقال عن الرياح التى يقدم العلم الحديث تفسيراً لنشوئها وتكوينها وتصريفها فى ضوء النتائج التجريبية التى توصل إليها العلماء والراصدون . ولما كانت الرياح فى حقيقتها هى الهواء المتحرك ، فإن من المفيد أن نبدأ بالحديث عن مكونات الهواء الجوى .

مكوّنات الهواء الجوى :

يشكل الغلاف الجوى جزءاً من الأرض ، يتحرك معها كلما دارت وتحركت فى الفضاء ، وبالرغم من أن الامتداد الرأسى لهذا الغلاف حول الأرض يبلغ عدة مئات من الكيلومترات ، إلا

أنه في حقيقة الأمر لايعتبر سوى طبقة رقيقة جداً إذا ماقورن بحجم الكرة الأرضية ، فإذا تصورنا الأرض بحجم البرتقالة مثلا لكانت طبقة الهواء في سُمْك اللون الذى يكسوها أو ربما أزيد قليلاً . وتتناقص كثافة الهواء بمعدلات كبيرة كلما ارتفعنا إلى أعلى ، فتنخفض إلى نصف قيمتها على ارتفاع بضعة كيلومترات تقريبا من سطح الأرض ، وتكاد تنعدم فوق ارتفاع ألف كيلو متر تقريباً .

وتتم عملية التحليل الكيميائى لمكوّنات الهواء بطرق مختلفة تعتمد على الارتفاع الذى تفحص عنده « عينات » الهواء . وعموما ، تستخدم « بالونات » الرصد العادى للارتفاعات المنخفضة حتى حوالى ٤٠ كيلو متراً ، وتكون مزودة بأجهزة أرصاد جوية خفيفة للحصول على معلومات تتعلق بدرجة الحرارة والضغط وغيرهما ، حين يحدَّد ارتفاع « البالون » بواسطة « تلسكوب » أو « رادار » . أما المعلومات المتعلقة بطبقات الجو العليا فيستعان للحصول عليها بصواريخ أو أقمار صناعية تحمل أجهزة متقدمة للرصد والتحليل .

وتدل القياسات على أن الغلاف الهوائى يتكون من غازات ثابتة النسبة تشمل غازىْ : النتروجين والأكسجين بما يزيد على نسبة ٩٩٪ من الحجم الكلى ، بالإضافة إلى غازات أخرى بنسبة ضئيلة جدا تقترب من واحد فى المائة . كما يحتوى الهواء الجوى على كميات متغيرة من ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء وغاز « الأوزون » ، بالاضافة إلى غازات أخرى وغبار .

الغاز	النسبة المئوية بالحجم
النتروجين	٧٨,٠٨٤
الأكسجين	٢٠,٩٤٧
الأرجون	,٩٣٤
ثانى أكسيد الكربون	,٠٣١٤
النيون	,٠٠١٨
الهليوم	,٠٠٠٥
الكريبتون	,٠٠٠١
الهيدروجين	,٠٠٠٠٥
الزينون	,٠٠٠٠٠٨
الأوزون	,٠٠٠٠٠١
(بخار الماء)	من ٢, إلى ٤,٠

ويكون الهواء الجوى متماثل التركيب بسبب عملية الخلط الأفقى والرأسى التى تحدثها حركة الهواء ، وخاصة عند الارتفاعات المنخفضة ، حيث تظل نسب مكونات الهواء ثابتة تقريباً ولايطرأ عليها تغيّر ملحوظ حتى ارتفاع حوالى ٨٠ كيلو متراً . ويستفاد من هذه الخاصية فى تسميّة الغلاف الجوى حتى هذا الارتفاع باسم «الهوموسفير» Homosphere أو «الغلاف المتجانس» ، تمييزاً له عن «الهيتروسفير» Heterosphere أو «الغلاف غير المتجانس» الذى يطلق على طبقات الجو العليا ذات التركيب المختلف بسبب تأثير الجاذبية على الترتيب الطبقى لجزيئات الهواء تبعا لكثافتها .

ومن الجدير بالذكر أن التفاعلات الكيميائية للعمليات الحيوية تعمل على تثبيت تكوين الهواء الجوى . فالنباتات تستنفد غاز ثانى أكسيد الكربون فى عملية «البناء الضوئى» أو «التمثيل الكلوروفيلى» وتُخرج غاز الأكسجين بينما تحدث عمليات عكسية كالاحتراق وتنفس الكائنات الحية لاستعادة ثبات نسبة التكوين والمحافظة على حالة الاتزان الحرارى بالقرب من سطح الأرض .

نشأة الرياح وحركتها :

تنشأ «الدورة العامة للرياح» من تحرك الهواء تحت تأثير فروق الضغط الجوى ، مندفعاً من مناطق الضغط العالى ومتجها نحو مناطق الضغط المنخفض وتنشأ هذه الفروق بدورها نتيجة لاختلاف معدلات التسخين فى الجو باختلاف سطح البر والبحر وباختلاف ميل أشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية ، فأشعة الشمس المتعامدة على سطح الأرض فيما بين المداريْن تؤدى إلى زيادة تسخين الهواء الجوى ومن ثم تقل كثافته وينخفض ضغطه . وكلما زاد ميل الأشعة زاد تبريد الهواء ، وارتفع الضغط الجوى كما هو الحال عند القطبين حيث تكاد تسقط أشعة الشمس موازية لسطح الأرض . ويعمل دوران الأرض حول محورها على دوران الغلاف الجوى معها بنفس الطريقة ، مما يجعل الرياح أيضا تلف وتدور أثناء حركتها ، حيث تحيد جهة اليمين فى نصف الكرة الأرضية الشمالى ، وتحيد إلى اليسار فى النصف الجنوبى[1] .

وتزداد سرعة تحرك الهواء ، أو سرعة الرياح ، كلما ازداد الفرق فى الضغط بين مناطق الضغط المرتفع ومناطق الضغط المنخفض ، وقد اتفق العلماء على وضع مقياس لتصنيف الرياح حسب متوسط سرعاتها وطبقا لما تحدثه من آثار ، وجعلوا منها عدة أنواع لفائدة الطيران والملاحة البحرية وغير ذلك . وينسب الى الملاح البريطانى «فرنسيس بوفورت» Francis Beaufort ، الذى عاش فى القرن التاسع عشر الميلادى ، مقياس تقريبى من ثلاث عشرة مرتبة لتصنيف الرياح وتحديد سرعاتها تبعا لتأثيرها على بعض الأجسام المألوفة فى حياتنا اليومية ، وأعطى كل مرتبة

(١) د. محمد جمال الدين الفندى ، الله والكون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧م

رقما ، بادئاً من الصفر كمقياس للرياح الساكنة تقريباً ومنتهياً بالرقم (١٢) الدال على إعصار تزيد سرعته على ١٢٠ كيلو متراً في الساعة[٢٧] .

مقياس « بوفورت » لتصنيف الرياح تبعا لسرعاتها

رقم المقياس	سرعة الرياح كيلو متر / ساعة	وصف الرياح	مظاهرها
صفر	صفر ـ ١,٥	ساكنة تقريباً	يتصاعد الدخان رأسيا
١	١,٦ ـ ٥	نسيم خفيف	يتعين اتجاه الريح بحركة الدخان
٢	٦ ـ ١١	رياح خفيفة	تحرك أوراق الشجر
٣	١٢ ـ ١٩	رياح لطيفة	تحرك أوراق الشجر وبعض الأغصان
٤	٢٠ ـ ٢٩	رياح معتدلة	تحرك الأغصان وترفرف الأعلام
٥	٣٠ ـ ٣٩	رياح نشطة	تهتز الشجيرات
٦	٤٠ ـ ٥٠	رياح قوية	تحرك الأغصان الكبيرة
٧	٥١ ـ ٦١	رياح شديدة	انثناء الأشجار وصعوبة المشى
٨	٦٢ ـ ٧٤	رياح عاصفة	تثير الرمال وتكسر أطراف فروع الشجر
٩	٧٥ ـ ٨٧	رياح عاصفة قوية	انكسار مداخن المنازل
١٠	٨٨ ـ ١٠١	زوبعة	انخلاع الشجر
١١	١٠٢ ـ ١٢٠	زوبعة هوجاء	حدوث الدمار
١٢	أكثر من ١٢٠	إعصار	دمار شديد

وتدلنا دراسات الأرصاد الجوية على أن الدورة العامة للرياح ، بما فيها من تيارات هوائية رأسية وأفقية ، تؤدى إلى إحلال الهواء البارد محل الهواء الساخن ، وتعمل بذلك على توزيع الطاقة الحرارية بالعدل والقسطاس طبقا لما يناسب احتياجات الحياة والأحياء في مناطق الأرض المختلفة .

من ناحية أخرى تعتبر الرياح مصدراً لاينضب لطاقة نظيفة متجددة يمكن الإفادة منها في تلبية احتياجات النشاط الإنسانى المتزايد ، خاصة بعد أن أدخلت تعديلات هامة على تقنية الطواحين الهوائية الحديثة لتطوير أدائها وتحسين كفاءتها .

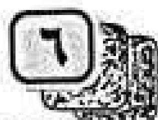
وهكذا نجد أن تكوين الرياح ونشوئها وتوجيهها من آيات الله الناطقة بجلاله وعظمته ، وأن الدورة العامة للرياح تخضع لعوامل كونية من تقدير الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى يحكم أمرها ويدبر تصريفها لفائدة الإنسان ونفعه ، مصداقاً لقوله عز من قائل : « وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ » . الأعراف (٥٧)

---

٢٧) د. أحمد مدحت إسلام ، الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .



مشاكل الخصوبة عند الرجال



للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

يتناول هذا المقال بعض مشاكل الخصوبة عند الرجال ، ومنها :

أولا : العقم ، وقد يكون خِلْقيًا ، وقد يطرأ وجوده أثناء حياة صاحبه فهو ـ إذن ـ خِلْقي ، أو لاحق (أى مكتسب) .

(ا) العوامل الخِلْقية :

غالبا ما تكون العيوب الخِلْقية نتيجة عدم وجود الحبال المنوية التى تنقل الحيوانات المنوية من الخصية والبربخ إلى مجرى الذكر ، أو تكون ناتجة عن انسداد فى الحبال المنوية أو البربخ ، وقد توجد العيوب الخِلْقية فى الخصية أو فى الذكر مثل الحالات التى تفتح فيها قناة مجرى البول فى السطح السفلى للعضو وفى هذه الحالات تكون مصحوبة ببعض التليف مما قد يؤثر على وظيفة الذكر ، وقد تكون هناك عيوب فى « الكروموسومات » أو قد لا تنزل الخصية إلى كيس الصفن أثناء النمو .

(ب) العوامل اللاحقة (المكتسبة) :

من أهم العوامل اللاحقة (المكتسبة) ما يلى :

● انسداد الحبال المنوية والبربخ نتيجة الالتهابات التى تصيب الجهاز البولى والتناسلى ، وبخاصة الأمراض التناسلية والبلهارسيا والدرن ، ومن أهم هذه الالتهابات التهابات مرض السيلان ، وهو مرض تناسلى ينتقل عن طريق الجنس غير الآمن (غير الشرعى : الجنس المحرم) .

● اضطرابات في وظائف الغدد الصماء ومن المعروف أن الغدد الصماء تفرز الهرمونات ، وزيادة أو نقصان إفراز الهرمونات عن معدلها الطبيعي قد يؤثر على وظائف الخصية ، فمثلا زيادة أو قصور وظيفة الغدة النخامية في إنتاج « هرمونات الجيونادوتروبين » التي تتحكم في وظيفة الخصية يؤدي إلى العقم ، وكذلك زيادة أو نقص نشاط الغدة الدرقية والغدة جارالكلوية .

● أمراض الخصية : وللخصية أمراض فقد يحدث خراج بالخصية ، أو تليف غير معروف الأسباب ، أو قد يحدث التهاب في الخصية كمضاعفات لالتهاب الغدة النكافية في طفل قبل مرحلة البلوغ مباشرة ، أو التعرض للحرارة المستمرة مثل ما يحدث لبعض العاملين في وظائف كمثل (عمال الأفران) أو التعرض للإشعاع لمدة طويلة .

● تعاطى بعض الأدوية مثل « الهرمونات » أو الأدوية التي تعالج الأورام السرطانية .

● الاضطرابات الجنسية مثل عدم القدرة على الانتشار (الانتصاب) ، أو سرعة القذف المرضيّة (كما في حالات القذف قبل الإيلاج) .

● بعض حالات دوالى الخصية الشديدة .

التشخيص :

يتم التشخيص بأخذ تاريخ مرضى مفصل للمصاب ، ثم فحصه شاملا لتحديد ما إذا كان هناك عيوب خلقية أو وجود تليف في الكبد ، وكذلك فحص العلامات الجنسية الثانوية كحجم الثدى ، وتوزيع الشعر ، والصوت ، وتوزيع الدهن في الجسم ، ثم فحص الأعضاء التناسلية والخصية من حيث الحجم ، أو وجود دوالى ، وقد تحتاج الحالة إلى فحوص معملية من أهمها : تحليل السائل المنوى ، وعينة الخصية ، والموجات فوق الصوتية ، وتحليل الهرمونات في الدم ، وتحليل للكروموسومات .

العلاج :

يتم وصف العلاج حسب الحالة ، فقد تحتاج الحالة إلى علاج نفسى فقط كما في حالات الاضطرابات الجنسية ، وقد تحتاج إلى علاج بالعقاقير ، أو « الهرمونات » في حالات نقص عدد الحيوانات المنوية ، أو قد تحتاج إلى التدخل الجراحى في حالات انسداد الحبل المنوى أو الدوالى .

وهناك بعض الحالات التي تحتاج إلى التلقيح الصناعي ، أو ما يعرف بأطفال الأنابيب .

ثانيا : سرعة القذف :

سرعة القذف أي قذف السائل المنوى أثناء العملية الجنسية قبل أن يتم الاستمتاع الكافي ، وهو نوعان :

النوع الأول : سرعة القذف الأولية :
وذلك إذا حدث هذا المرض من بداية الحياة الجنسية .

الثانى : سرعة القذف الثانوية : إذا كان الرجل طبيعيا منذ بداية حياته الجنسية ، ثم اشتكى حديثا من سرعة القذف .

ويلاحظ فى كثير من الحالات أن الرجل يكون سليما تماما ولكن جهله بالمعلومات الجنسية ، وعدم توافقه مع الزوجة تبدو حالته وكأنها سرعة قذف ، ولذلك يمكن تقسيم هذه الحالات إلى :

(أ) سرعة قذف حقيقية : وهى الحالات التى تقع فيها سرعة قذف قطعا .

(ب) سرعة قذف ظاهرية أو غير حقيقية : الحالات التى يكون فيها الرجل طبيعيا ، ولكن نظرا لنقص ثقافته الجنسية وخبرته ، أو لكون الزوجة تعانى من برود جنسى ناتج عن ختان خاطىء مستأصل للبظر ، أو لعوامل نفسية ، وما يعنينا ـ هنا ـ هو سرعة القذف الحقيقية .

الدرجات المتعددة لسرعة القذف الحقيقية :

لسرعة القذف درجات متعددة فقد يحدث : أثناء عملية المداعبة وهو أول درجة ، أو بمجرد الإيلاج وهو ثانى درجة ، أو بعد الإيلاج بفترة قصيرة وهو ثالث درجة .

الأســـباب :

هناك أسباب اجتماعية ، وأسباب نفسية ، وأسباب عضوية لسرعة القذف .

الأسباب الاجتماعية : منها أن يكون الزوج بعيدا عن زوجته فترة طويلة ، أو يعمل بعيدا عن زوجته ولا يلتقيان إلا على فترات ، أو كون الزوجين لا يختصان بحجرة خاصة كأن ينام الزوجين وأولادهما فى غرفة واحدة .

والأسباب النفسية : قد تكون بسبب خوف الزوج ، أو الاستثارة الشديدة ، أو قد يكون هناك فقدان للحب بين الزوجين ، مما يؤدى إلى أن تكون هذه العملية (روتينية) لا متعة فيها .

الأسباب العضوية : أما الأسباب العضوية فمن أهمها احتقان البروستاتا نتيجة للشيخوخة أو التهابها ، أو التهاب الحويصلة المنوية ، أو احتقان الحوض نتيجة التهاب المجارى البولية .

العـــلاج :

يعتمد العلاج على إزالة الأسباب ، كما أنه من الممكن استخدام بعض الأدوية وبخاصة فى الحالات النفسية مثل المهدئات أو استعمال كريمات للتخدير الموضعى .

ولكن أهم وسيلة لعلاج سرعة القذف تأتى بالتدريبات الجنسية ؛ وباستشارة الطبيب بشأنها .

ثالثا عدم القذف :

فى بعض الأحيان يمارس الزوج الجماع بطريقة كاملة إلا أنه لا يقذف على الإطلاق ، وعدم القذف هذا قد يكون أوليا كما يكون ثانويا .

عدم القذف الأولى :

وفى هذه الحالة يكون المرض مصاحبا للرجل طوال حياته ، وتكون هذه الحالة بسبب وجود

عيب خلقى ، أو التهاب مزمن يؤدى إلى ضمور الغدد المساعدة فى الجهاز التناسلى مثل البروستاتا والحويصلة المنوية .

عدم القذف الثانوى :

كأن يكون الرجل فى حالة عادية ثم يعانى من عدم القذف .

القذف المرتجع :

وهناك نوع من عدم القذف وهو القذف المرتجع ، وفى هذه الحالة يمارس الزوج العملية الجنسية ويشعر بالقذف دون خروج للسائل المنوى .

أسباب عدم القذف الثانوى :

- أسباب نفسية .
- استخدام بعض المهدئات .

أسباب القذف المرتجع :

قد تأتى هذه الحالة

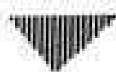
١ ـ بعد إجراء عملية إزالة البروستاتا .
٢ ـ بعد إجراء عمليات كبرى فى الحوض مما يؤدى إلى قطع بعض الأعصاب الجنسية الدقيقة .
٣ ـ التهاب الأعصاب المغذية لعنق المثانة .
٤ ـ بعض حالات مرض الكبد المزمن ، والتى تؤدى إلى التهاب الأعصاب المغذية لعنق المثانة .
٥ ـ استخدام بعض الأدوية التى تؤثر فى عنق المثانة .

التشخيص :

يتم أخذ تاريخ مرضى مفصل من المريض ، ثم يطلب من المريض أن يحضر فى يوم آخر على أن يقوم بالتبول قبل عملية الجماع ، ويحضر بدون أن يتبول ثانية بعد الجماع ، ثم يتبول المريض ويفحص البول بعد تركيزه لمعرفة ما إذا كان يوجد به حيوانات منوية أم لا ، أو يفحص البول لمعرفة ما إذا كان يوجد به سكر الفركتوز (الموجود فى السائل المنوى) أم لا . وبذلك يمكن تحديد ما إذا كان هناك قذف مرتجع أو عدم قذف نهائى .

العلاج :

يرجع العلاج أساسا إلى السبب . أما إذا كانت الشكوى هى العقم نتيجة القذف المرتجع ؛ فإنه يتم أخذ البول بعد الجماع ، وإجراء عملية تركيز واستخلاص للحيوانات المنوية ثم شطفها ، وإجراء عملية تلقيح صناعى فى ميعاد التبويض .



دور العبادة في الإسلام وأثرها في التنشئة الاجتماعية

للأستاذ / عبد السلام ناصف

مما لا نزاع فيه أن المسجد هو مركز الإشعاع في البيئة المحيطة به ، ويرتبط تاريخ الفكر الإسلامي ارتباطا وثيقا به ، فهو المصدر الأول لنشر الثقافة الإسلامية ، إذ ضم حلقات الدرس منذ أن أسس لشرح تعاليم الدين وتوضيح أحكامه .

ومن ثم كان المسجد مكانا للعبادة ، ومعهدا للتعليم ، ودورا للقضاء ، وساحة لحل المشاكل والخلافات ، ومنزلا لاستقبال الغرباء والمحتاجين .

ولقد حذا المسلمون حذو أجدادهم حين اهتموا بالمساجد منذ عهد بيت الله الحرام الذى بناه جدهم إبراهيم وولده إسماعيل ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ وكان كعبة يحج إليه العرب ويتعبدون فيه إذ جعله الله مثابة للناس وأمنا ، فلما جاء الإسلام عظمه وعظمه المسلمون .

وكان الرسول الأمين ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ يتعبد فيه واتخذ من الركنين ـ الركن اليماني وركن الحجر الأسود ـ مصلاه ؛ كما يقول ابن هشام في سيرته « بالجزء الثاني » منها وفي صفحتها الثانية عشرة .

وكان تأسيس المسجد هو أول عمل له ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة بل قبل أن يصل إلى حيث يقيم ، فقد أسس مسجد « قباء » حين استراح بعض الوقت وهو في طريق هجرته إلى المدينة المنورة فكان أول بيت لله بنى في الإسلام

ونزلت فيه الآية الكريم من سورة التوبة :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾

التوبة/١٠٨

وحين استقر به المقام في « المربد » بالمدينة بنى مسجده بها وشارك العاملين في تشييده بيده الشريفة حبا وشغفا به واستعجالا بالانتهاء من بنائه ليجلس فيه إلى أصحابه يعلمهم فيه دينه الحنيف .

ولقد سار خلفاؤه الراشدون ومن تبعهم على سنته في تأسيس المساجد لتكون منارة للدين ومركزا لنشر أحكامه ، وأصبح من المتبع أن تبنى المساجد حين يتم فتح أي بلد جديد كرمز للإسلام وكان الصغار يحفظون القرآن الكريم بين جنباته بلا مقابل ـ ومما يذكره المؤرخون أن إمامنا الشافعي ـ رضي الله عنه ـ قد وجد في المسجد

ضالته حين ضاقت الدنيا أمام والدته - رحمها الله - إذ ألحقته بحلقة المسجد ليحفظ القرآن الكريم ، فغنم منه كل الخير ، وفتح الله عليه أبواب العلم والتفقه فى دينه حتى وصل إلى ماوصل إليه .

وكان (أبو تمام الطائى) الشاعر الذائع الصيت يعمل سقاء ، فى مسجد (عمرو بن العاص) فشرب من معين العلم فيه حتى وصل إلى ماوصل إليه .

ولقد كان المسجد مفتوحا للناس جميعا ، وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم دون أى مقابل متى رغبوا فى ذلك ؛ بل إن بعض الخلفاء كانوا يرسلون أبناءهم للتعلم بالمساجد ، وكان لايحرم أحد من الدخول إلى المسجد أو الجلوس إلى أى حلقة وإلى أى شيخ مما حدا بإمامنا الغزالى - رحمه الله - أن يقول فى كتابه الإحياء فى أول جزء منه ص ٤٧ : (إنه ليس الظلم فى إعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق) .

ولقد كثرت المساجد وزاد انتشارها بتوسع الإسلام ، فلقد روى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد كتب إلى أبى موسى الأشعرى وهو على « البصرة » يطلب منه أن يتخذ من المسجد مقرا للالتقاء بالمسلمين وأن يكثر من تأسيس المساجد ليكون لكل قبيلة أو عشيرة مسجد خاص بها على أن تجتمع القبائل والعشائر فى مسجد جامع كل يوم جمعة تلقى فيه الخطبة وتؤدى فيه الصلاة جامعة ، وكذا كانت كتاباته لعمرو بن العاص بمصر وإلى (سعد بن أبى وقاص) فى الكوفة .

ومن ثم فقد انتشرت المساجد واضطردت زيادتها وتضاعفت يقول اليعقوبى فى كتابه : (البلدان) أنه قد وصل عدد المساجد فى (بغداد) فى القرن الثالث الهجرى ما يزيد على ثلاثين ألف مسجد ولم تختلف الحال كثيرا فى مصر أو الشام .
والأزهر الشريف الذى يعج بملايين الطلاب فلقد بدأ مسجدا حين بناه (جوهر الصقلى) عام ستين وثلثمائة للهجرة ولم يخصصه للدرس والبحث والتعليم إلا بعد مايقرب من عشرين عاما حتى صار أكبر جامعة فى عالمنا الإسلامى .

ولقد قام جامع المنصور ببغداد برسالة للعلم والدرس فى القرن الثانى وكما قام فى دمشق الفيحاء مسجدها الجامع الذى كان يعد واحدا من عجائب الدنيا فى ذلك الوقت والذى لايزال شامخا يبعث فى النفس الإعجاب ، وينبىء عما كان له من جلال وعظمة .

هذه المساجد وغيرها كانت مركزا للثقافة الإسلامية حيث كانت رمزا حيا لتحفيظ القرآن وفيها تعقد حلقات التدريس والتعليم فى كل ميادين العلوم الدينية والعربية والفلسفية والأدبية والنحوية إلى جانب العروض والطب والفلك والميقات .

هذه المساجد يلجأ إليها كل من يريد لنفسه الراحة والأمان والطمأنينة أليست هى الراحة لسيد هذه الأمة الذى قال يوما لبلال - رضى الله عنه : « أرحنا بالصلاة يابلال » . وليجرب أولادنا القلقون - أداء الصلاة فيها والاستماع إلى درس بين جنباتها - ليجنوا ثمرة الطمأنينة .

والمسجد مسئول عن تعليم الفرد كيف ينشأ نشأة اجتماعية بعيده عن الأنانية وحب الذات والانتقال من السلبية إلى الايجابية والتفاعل مع الآخرين .. حب لغيرك ماتحب لنفسك ..

ماعاش من عاش لنفسه فقط .. الله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه .

فهو يعلمه كيف يحب الجماعة التى ينتمى إليها ويتعاون مع أعضائها لرفعة شأنها إذ هى التى ربته ونمت مداركه وحبت بفكره وبسلوكه .

فالمسجد يعلم الجميع المعايير الدينية والتعاليم الإسلامية والأحكام الشرعية التى توجه سلوك الفرد بما يحقق له السعادة فى الدين والدنيا بما تترجمه من هذه التعاليم الشاملة التى تقرب بين الطبقات وتقضى على الفوارق وتقرب بينها من أجل تكوين مجتمع سوى يقوم على التعاون والتآخى بين أفراده بروح راضية وضمير حى يقظ ، ويؤكد علماء النفس الاجتماعى أن الإنسان لايكتسب حتى الإنسانية إلا عن طريق عملية اجتماعية تعرف بعملية التطبع الاجتماعى أو ماتعرف بعملية التنشئة الاجتماعية ويتضمن ذلك تعديل المظاهر السلوكية للبالغين إذ هى لاتقف عند عمر زمنى بل تستمر مدى الحياة وتنشط كلما شغل الفرد مركزا جديدا أو لعب دورا مختلفا كما كان يتبوأ سلفا ، فهو يتفاعل مع الآخرين عن طريق تعاليم المسجد التى تحدد له أنماط السلوك الإنسانية المعترف بها فى كل موقف يمر به ـ فعملية التنشئة الاجتماعية تعظم دور البيئة فى تحديد سمات الفرد وتوجيه الوجهة السوية السليمة الصالحة ـ وتلك لايقوم لها قائمة بعيدا عن المسجد أو تعاليم الدين .

ومن عجب أن (اميل دور كايم) وأعضاء مدرسته الشهيرة فى (علم الاجتماع) والتى اشتهرت بالمدرسة الاجتماعية الفرنسية قد أكدت على أن دور البيئة ـ فى رأيهم ـ تبدأ منذ فترة الحمل وحتى الوفاة ، ثم جاءت مدرسة التحليل النفسى بعد ذلك لتؤكد هذا الرأى ـ ولتوضح دور الدين أو المعتقدات الدينية فى نشأة الفرد والتى يحمل لواءها فى هذا العصر وفى العصور الماضية دور العبادة وعلى رأسها المسجد ، فهو يكسب الفرد القيم والمثل ثم يقوم بصقل سلوكه وتطوره وإعلائه والسمو به بعيدا عن النزعات الشخصية والغرائز الحيوانية وبعيدا عن العواطف وهو يخلق فى الفرد قيم العمل والتعاون والتنافس الشريف إذ يقول الحديث : «لاحسد إلا فى اثنين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق .. ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الخ» .

فالمسجد هو الجسر الذى تعبر عليه التعاليم الدينية السليمة السمحة عبر العصور من جيل إلى جيل بما يخدم البشرية ، ولقد كرم الله رواد المسجد حيث يقول ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ سورة التوبة

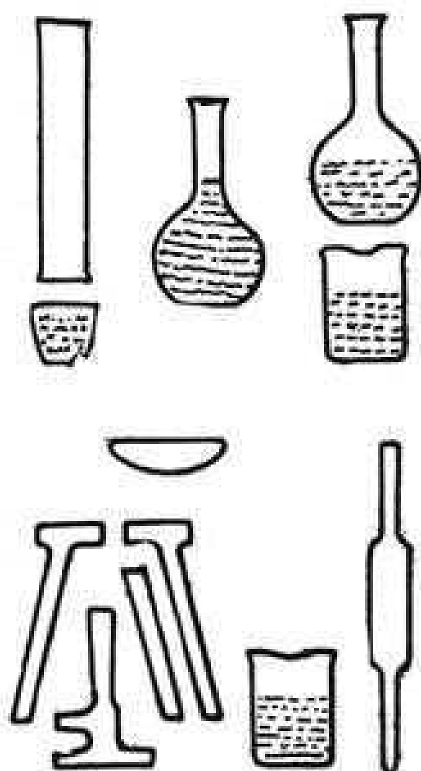
فأى تنشئة اجتماعية خير من تلك النشأة ؟ وأى تعاون مع الآخرين يؤتى ثمارا أينع من هذه الثمار ؟ وأى تفاعل أجدى من هذا التفاعل مع الآخرين ؟

الفرد يتعلم فى المسجد قواعد السلوك والمعايير الاجتماعية التى تنظم علاقته بربه ورسله وكتبه وملائكته وعباده ، والمسجد يربط بينه وبين اخوانه وزملائه وأقرانه وجيرانه ومخالطيه ومعاشريه ، برباط محكم فى إطار الشريعة السمحة من محبة وتعاون وإخاء وإخلاص بعيدا عن الأنانية وحب الذات وفى إيجابية صادقة ـ ليعيش الجميع فى سعادة وتوفيق وهو ماتصبوا إليه شريعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

• وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)



اكتشاف كوكب جديد

خارج المجموعة الشمسية :

اكتشف علماء الفلك الأمريكيون كوكباً جديداً على بعد ٧٠ سنة ضوئية من الأرض ، يدور حول نجم مزدوج فى مجموعة «سيجانوس» فى مدار بيضاوى الشكل ويقترب من النجم فى إحدى مراحل المدار ، ثم يبتعد عنه إلى مسافة كبيرة ، ويعتبر هذا المدار من المدارات غير المفهومة ، والكوكب الجديد يصل حجمه إلى حجم كوكب (المشترى) ومسلكه يكسر جميع القواعد والنظريات التى وضعها العلماء حول كيفية نشأة الكواكب ومكانها ، وتنفى العلماء احتمال وجود حياة على هذا الكوكب ؛ لأن الدلائل تشير إلى أنه كوكب غازى يشبه كوكب (زحل) أو (المشترى) وليس صخرياً مثل (الأرض) أو (المريخ) .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

تصميم متنقل فضائي جديد :

أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » الوصول إلى تصميم جديد لوسيلة انتقال من الأرض لمحطات الفضاء الدائمة والعكس بتكلفة تقل عما هو سائد حاليا بحوالى ٩٠ ٪ ، والمتنقل الفضائى الجديد ذو تصميم بسيط ويقلع عموديا كالصواريخ التقليدية ويهبط كالطائرات ، وسيطير بلا أجنحة وبدون صواريخ دفع ، ويحتوى على مساحة ضخمة من الفراغ الداخلى حيث يعمل بوقود الهيدروجين السائل ، وينفث عادماً نظيفاً عبارة عن بخار الماء ، ويستطيع أن يحمل حوالى (١٨) طناً ، وعندما يصبح المتنقل الفضائى الجديد صالحا للعمل فى أوائل القرن الواحد والعشرين فسيكون فاتحاً لعهد جديد فى مجال إطلاق الأقمار الصناعية التى سينخفض تكلفتها بشدة وينتشر استخدامها ليغطى جميع المجالات .

هل توجد كائنات حية بالفضاء الخارجى

يعتقد بعض علماء الفلك الأوروبيين أن تعرض بعض الدول لظاهرة ما يسمى بالأطباق الطائرة تدل على وجود كائنات أخرى فى الفضاء لم يعرفها أهل الأرض بعد ، حيث بدأ العلماء فى أكبر عملية بحث لاكتشاف أى دليل أو إشارة إلى وجود مخلوقات أخرى فى الكون ، وسيقوم العلماء بتلقى إشارات الراديو التى ترد من كواكب غير معروفة حاليا ومن أكثر من ألف من النجوم القريبة والمماثلة للشمس للتركيز على دراستها بدقة للتأكد من وجود كائنات حية فى الكواكب الأخرى أم لا ..؟

الحاسب الآلى لتحلية المياه :

طورت شركة أمريكية جهازا لتحلية المياه بأسلوب التبادل «الأيونى» ويستخدم فى المنازل ، ويتم تشغيله بواسطة «ميكروچيب» متصل بجهاز الحاسب الآلى فيقوم الجهاز ببرمجة نفسه للعمل على أكفأ حال ، وأثبتت اختبارات الجودة أن الجهاز يعمل على خفض درجة ملوحة المياه بنسبة ٥٠ ٪ عن الأجهزة الأخرى الموجودة بالأسواق .

كشف أسرار المجال المغناطيسى للأرض

نجح العلماء بجامعة « كولومبيا » بالولايات المتحدة الأمريكية ـ ولأول مرة ـ فى قياس سرعة دوران قلب الأرض الداخلى والمقارنة بينه وبين سرعة دوران الأرض ككل حول نفسها وكذلك بينه وبين حركة الألواح القارية ، الأمر الذى يقدم فوائد غير عادية نحو طرق أدق وأكثر واقعية لتوقع حدوث الزلازل والبراكين وكشف أسرار المجال المغناطيسى للأرض ، وتطوير النظريات الخاصة به ، وماله من تأثيرات على معظم الظواهر الطبيعية .

السيجارة الواحدة :

أشارت دراسة ميدانية أجرتها كلية الطب جامعة اكسفورد البريطانية إلى أن الزيادة المطردة فى حالات الوفاة خاصة بين الشباب ترجع إلى الإفراط فى التدخين ، وجاء فى الدراسة أن نصف المدخنين بشكل منتظم يموتون قبل بلوغ سن الستين عاما نتيجة الأورام السرطانية والسموم التى يتركها نيكوتين السجائر بالجسم .

إنتاج مولد جديد

لغاز الهيدروجين

قامت إحدى الشركات الأوروبية بإنتاج مولد جديد لغاز ـ الهيدروجين ـ عن طريق التحليل الكهربائي لمحلول مكون من المياه والبوتاس ، ويتكون المولد من : محول للتيار الكهربائي وخلايا التحليل الكهربائي التي تعمل آليا وخزان للغاز وضاغط للضرورة ، وتعمل بطاقة كهربية قوتها (٢٢٠) فولت ، ويستخدم المولد في محطات الأرصاد الجوية والمطارات ومحطات إنتاج الطاقة وفي مجالات الصناعات الزراعية والإلكترونية والدوائية .

دراسة طبية لتفسير الإصابة بالسرطان من أسلاك الكهرباء :

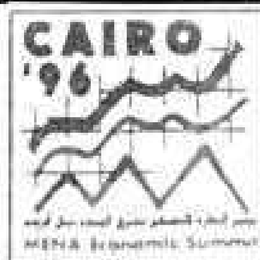
قام فريق من العلماء البريطانيين بجامعة « بريستول » بإجراء دراسة طبية على المواطنين في التجمعات السكنية القريبة من أسلاك نقل الطاقة الكهربية والأكثر عرضة للاصابة بالسرطان ، وخاصة سرطان الدم ، وسرطان المخ لدى الأطفال ، وتبين أن التفسير العلمي للإصابة بالسرطان هو أن الأسلاك التي تنقل الطاقة الكهربية تقوم بتكوين مجال مغناطيسي يجذب إليه الجزئيات المشعة التي تسبب مرض السرطان ، حيث توجد هذه الجزئيات بشكل طبيعي في الهواء ملتصقة بالغبار فيتم امتصاصها داخل الدم وتنتقل إلى جميع أجزاء الجسم بما فيها نخاع العظم .

وسيلة جديدة لعلاج شرايين القلب

أكدت الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة التي ناقشها المؤتمر الأوروبي الثامن عشر لأمراض القلب في إنجلترا أنه توجد علاقة وثيقة بين أمراض شرايين القلب ومدى سلامة وكفاءة الطبقة الداخلية الرقيقة التي تبطن جدار الشرايين والمسماه « الأندوثليم » ، وأثبتت الدراسات أن « الأندوثليم » يقوم بدور فعال في توسيع الشرايين ومنع التجلط ومقاومة تصلب الشرايين ، وبالتالي فإن تأثر طبقة «الأندوثليم» الرقيقة ومرضها يعتبر علامة إنذار مبكر لحدوث تصلب الشرايين والجلطة وأكدت الدراسة التي قام بها بعض العلماء الكنديين نجاح علاج طبقة « الأندوثليم » باستخدام بعض العقاقير .

اكتشاف مناعة ذاتية ضد « الإيدز » لدى بعض المرضى :

اكتشف مجموعة من العلماء الأمريكيين أن بعض الناس يحملون ما يشبه مناعة ذاتية و حماية داخلية ضد فيروس فقد المناعة المكتسبة المعروف باسم «الإيدز» ومن المتوقع أن يساعد هذا الاكتشاف على الوصول إلى أنواع جديدة من العقاقير ضد هذا المرض القاتل ، ومن المعروف أن بعض الجينات تفرز نوعاً معيناً من البروتين الذي يقوم بدور البوابة التي يعبر من خلالها فيروس نقص المناعة ويصيب ويدمر خلايا الدم البيضاء مسببا مرض «الايدز» ، ويفيد تقرير العلماء أن الناس الذين يحملون نوعاً مختلفاً من الجينات يفرزون شكلاً آخر من البروتين الذي لا يسمح للفيروس بالتسلل إلى الخلايا المستهدفة .



المؤتمر الاقتصادى لشمال إفريقيا والشرق الأوسط

عرض وتقديم الأستاذ / أحمد تقى الدين

إن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تمتلك كل المقومات لمستقبل زاهر كما تحفل بكل العوامل التى يمكن أن تجعل هذا المستقبل مضطربا وبائسا . لقد اخترنا طريق الرخاء وسوف نعمل على بلوغه مهما تكن المصاعب ، لن نكون أسرى الماضى ، ومهمتكم أن تساعدونا على أن نبنى هذا المستقبل .

إن الأعداء المشتركة التى نواجهها ـ من مسلمين ومسيحيين ويهود ـ هى : الفقر والجهل والنظرة القصيرة ، وغياب التسامح والفهم المتبادل والتمسك ببقايا مفاهيم قديمة . فليس هناك ماهو أحق علينا من التزامنا الصارم بتحقيق سلام قائم على العدل والحرية . وليس هناك ماهو أجدر من التزامنا بتحقيق رخاء ينشر خيره على العالمين .

إننا نصبو اليوم إلى المستقبل ، لانريد أن نلوى أعناقنا إلى الخلف . نصبو إلى افق مفتوح ، يشرق عليه سلام دائم ورخاء لكل شعوب المنطقة . فدعونا نبنيه معا حتى لايقال غدا : إن بلادنا أمسكت بالسلام يوما ، لكنها ضيعته لأنها لم تحسن التقدير ، ولم تحسن الاختيار .

بهذه الكلمات القوية افتتح السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك المؤتمر الاقتصادى لشمال أفريقيا والشرق الأوسط ، الذى عقد بالقاهرة برئاسة سيادته فى الفترة من (١ ـ ٣ رجب ١٤١٧ هـ ـ الموافق ١٢ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ م)(١) .

(١) راجع فى تغطية هذا الموضوع : مجلة الأهرام الاقتصادى الشهرية ، وجرائد الأهرام والأخبار والعالم اليوم الصادرة فى ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من نوفمبر ١٩٩٦ م .



وبعد افتتاح المؤتمر بكلمة السيد الرئيس ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام ـ عرض المشروعات المقدمة ـ فى عدة جلسات متخصصة ـ الإمكانات المتاحة والتوقعات المستقبلية لخروج منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى مستوى الاقتصاد الدولى .

الدور الإسرائيلى فى المؤتمر

وشهد المؤتمر رفض العديد من المشروعات الإسرائيلية ، حيث رفضت مصر عرضا إسرائيليا بتشغيل شبكات التليفون المحمول فى مصر بواسطة أجهزة اتصال إسرائيلية الصنع ، حيث ثبت أن الجهاز الإسرائيلى يتسبب فى أمراض السرطان لحاملى التليفون .

كما رفضت وزارة التعليم المصرية مشروعا إسرائيليا بتركيب نظام شبكة الكمبيوتر الإسرائيلية لمدارس مصر بمختلف مراحلها وأنواعها .

وحاولت إسرائيل فى المؤتمر العمل على إلغاء القرار الخليجى بمنع طائرات العال الإسرائيلية من المرور فوق دول الخليج ، وهو القرار الذى تطبقه كل دول الخليج العربى ، لكن السعودية والإمارات تصدتا للمحاولات الإسرائيلية ليستمر هذا القرار العربى ساريا .

وتقدمت إسرائيل كذلك بمشروع مساعدة الدول العربية فى شحن البضائع العربية الصنع إلى أوروبا ، ورفضته الدول العربية متمسكة بالنظام المصرى فى نقل البضائع .

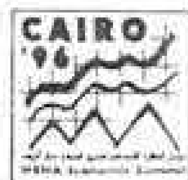
كما طرحت شركات إسرائيلية عديدة مشروعات لتشغيل العمالة المصرية فى إسرائيل وفى مواجهة هذا المشروع أعلنت مصر رسميا منع سفر العمالة المصرية إلى إسرائيل .

ورفضت وزارة السياحة المصرية إشراك إسرائيل فى ملكية المشروعات المصرية على ساحل البحر الأحمر ، وذلك لعدم حاجة مصر إلى الشراكة الإسرائيلية فى هذا المجال .

ولعل من أكثر المشروعات الإسرائيلية المقدمة غرابة ، ماتقدمت به الشركة الإسرائيلية للتأمين ، لتطبيق نظام التأمين الإسرائيلى على سكان الدول العربية كلها ، وكذلك المنشآت الصناعية والاقتصادية الحيوية ، وكسوابقه رفض المشروع .

كذلك رفضت دول الخليج تمويل مشروع أسطول سفن إسرائيلية للسياحة فى البحر الأحمر والخليج حفاظا على قيم الإسلام لأن المشروع احتوى على سفن تضم عروضا غير أخلاقية وصالات للقمار .

كذلك تقدمت الشركات الإسرائيلية بمشروع لبيع لعب الأطفال التعليمية الإسرائيلية فى الأسواق العربية ، وأجمعت الدول العربية وفى مقدمتها مصر على رفضه لحماية أطفال العالم العربى من غزو الأفكار الإسرائيلية خاصة وأن (ديسكات) كمبيوتر بعض اللعب احتوت على ألعاب مرئية بالكمبيوتر فيها غزو الجيش الإسرائيلى لمنطقة الأهرام ، ولعبة أخرى لهجوم بالطائرات على مفاعل العراق النووى ، ولعبة ثالثة لـ (سوبرمان)



إسرائيل يحارب في حرب الخليج ضد الجيش العراق .

وتصدت وزارة الإعلام المصرية لمشروع إسرائيلي لربط الدول العربية بالأقمار الإسرائيلية التي تدور حول المنطقة العربية ، وقررت الدول العربية أنها مكتفية بالقمر العربي (عرب سات) وإنها اشتركت بالفعل في القمر الصناعي المصري (نايل سات) .

وكان المشروع المصري بمد الغاز الطبيعي المصري مباشرة إلى تركيا ، ومنها إلى سوريا ولبنان بمثابة ضربة موجعة لإسرائيل لأن خط أنابيب الغاز لن يمر عبر إسرائيل ، وبالتالي فهي لن تحصل على الغاز الطبيعي المصري الذي يتميز بجودته العالية ، ورخص سعره وقلة تكلفته .

كذلك رفضت مصر عدة مشروعـــات إسرائيلية لنقل المياه من مصر لإسرائيل ، ورفضت الدول الأوروبية كذلك شق قناة تربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وهو المشروع الذي طرحته إسرائيل لمنافسة قناة السويس .

وكان من بين المشروعات الإسرائيلية مشروع (قطار السلام) ويبدأ من مدينة الاسماعيلية في مصر ومنها إلى إسرائيل ولبنان وسوريا وتركيا ولايمر عبر الأراضي الخاضعة للحكم الوطني الفلسطيني ، ورفض المشروع بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيلي لأراضي سورية ولبنان ، وتعثر المفاوضات على المسار الفلسطيني .

وأيضا رفضت الدول العربية مشروعا إسرائيليا لطرح أدوية إسرائيلية الصنع في الدول العربية ، بل رفضت حتى مجرد الاستماع إلى تفاصيل هذا المشروع كما تضمنت قائمة المشروعات الإسرائيلية مشروعا لانتاج «بنطلونات الجينز» في مصر في مصانع مشتركة مصرية إسرائيلية وأغلق باب الحديث في هذا المشروع قبل عرض تفاصيله بسبب قضية الجاسوس الإسرائيلي (عزام عزام) ، بل ورفضت الدول العربية ـ بسبب هذه القضية ـ مشروعا إسرائيليا لإقامة مناطق صناعية مفتوحة .

وهكذا رفضت المشروعات الإسرائيلية التي ترمي إلى احتواء المقدرات الاقتصادية العربية ، والسيطرة على المنشآت الأساسية في المراكز الصناعية والمواصلات ووسائل الاتصال في العالم العربي ، وقد قوبل هذا الرفض بانسحاب «ديفيد ليفي» وزير خارجية إسرائيل عائدا لبلاده .

دعم الاقتصاد الفلسطيني

وقدم محمد زهدي النشاشيبي وزير مالية فلسطين خطة الاستثمار الفلسطينية والتي هدفت إلى تلبية الاحتياجات الأولية للسوق الفلسطينية في البنية الأساسية وبما يوفر أسس الاقتصاد الفلسطيني إضافة إلى الاسكان الملائم لمحدودي الدخل إلى جانب مشروعات زراعية وسياحية وفندقية .

وأشار النشاشيبي إلى أن التعسف والعنف الإسرائيلي في مواجهة الشعب الفلسطيني ممثل في إغلاق الضفة والقطاع يؤدي إلى إلحاق خسائر



يومية تقدر بسبعة ملايين دولار نتيجة هذه السياسة ، فضلا عن الاستنزاف الإسرائيلي للمياه الفلسطينية العربية ، وحجب حق الشعب الفلسطيني في الاستيراد والتصدير إلى الأسواق العربية ، والخارجية ، وخاصة الأوروبية نتيجة القيود المفروضة من جانب إسرائيل ، وحتى تلك التي تصدر إلى السوق الإسرائيلية والفلسطينية ذاتها .

هذا فضلا عن أن نسبة البطالة في غزة ٦٠٪ وفي الضفة الغربية ٤٠٪ ، بل إن ٦٥٪ من الأسر تعيش تحت خط الفقر .

وأكد وزير المالية الفلسطيني على أن التعاون الإقليمي والتنسيق العربي لم يعد خيارا سياسيا أو ترفا ، بل ضرورة ممثلة في التنسيق والتعاون الاقتصادي العربي ، فهو أمر جوهري ، والإقليمي لن يكون بديلا عنه .

وانتقد نبيل شعث وزير التخطيط الفلسطيني منع السلطات الإسرائيلية لرجال الأعمال الفلسطينيين من حضور المؤتمر قائلا : الفلسطينيون من رجال الأعمال لم يأتوا ، لا يستطيع إنسان مفروض عليه حصار الجوع ومفروض عليه دمار كل عمله الاقتصادي أن يأتي المؤتمر ويتكلم فيه عن الحرية الاقتصادية .

وقال شعث : إن إسرائيل تمنع مرور مايزيد على تسع شاحنات مصرية إلى غزة ، وهي — إسرائيل — في الأوقات العادية ترسل إلى غزة ألف شاحنة إسرائيلية يوميا .. يسمحون فقط لتسع شاحنات مصرية لاتزيد حمولتها على ٤٥٠ طن أسمنت . إسرائيل لاتريد للفلسطينيين أن يتعاملوا مع مصر في حين أن الفلسطينيين يشترون من إسرائيل ماقيمته ١٦٠٠ مليون دولار يمكن أن يوجه نصفها على الأقل للشراء من مصر والأردن .

وأوضح أن مصر ساهمت في بناء مطار غزة بقرض من البنك الأهلي من خلال « المقاولون العرب » وإسرائيل تمنع استخدامه بقوة السلاح ، كما ساهمت مصر من خلال البنك الزراعي المصري بإقراض مزارعي الزهور الفلسطينيين لتصدير الزهور ولكن إسرائيل منعتهم من ذلك .

قطر والبحرين .. لا للتعاون مع إسرائيل

وقد أكد الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني وزير الخارجية القطري عدم توقيع اتفاقيات بين قطر وإسرائيل خلال المؤتمر الاقتصادي وطالب بإنشاء سوق عربية مشتركة قائلا : مقومات هذه السوق موجودة ، ولكن لم يجتمع زعماؤنا حتى الآن لمناقشة الأمور الاقتصادية !! كما طالب بدراسة إنشاء منطقة تجارة حرة عربية .

وأكد وزير التجارة البحريني على صالح الصالح أنه لايوجد حاليا تعاون بين البحرين وإسرائيل مشيرا إلى أن موقف دول مجلس التعاون الخليجي يشترط لهذا التعاون أن يتم إحراز تقدم في عمليات السلام في منطقة الشرق الأوسط . وأضاف قائلا : يجب أن يتحقق السلام أولا قبل الحديث عن التعاون الاقتصادي والتجاري .



على هامش المؤتمر

وعلى هامش المؤتمر دار حوار بين عدد من رجال الأعمال العرب والأوروبيين قال خلاله رجل أعمال انجليزى مخاطبا نظراءه العرب :

« إنكم تعملون على الاندماج فى الاقتصاد العالمى ، وتطالبون بتيسير وسيولة التعامل الاقتصادى والتبادل التجارى بين العرب والعالم ، وأنا مندهش كيف يحدث هذا بينما التجارة بينكم أنتم وبين بعضكم لاتتجاوز فى أحسن أحوالها ٨٪ من حجم التجارة العربية العالمية ؟! كما أنكم كرجال أعمال تعانون كثيرا فى التنقل بين دولكم وفى الحصول على تأشيرات دخول بينما واحد مثلى يستطيع هذا بسهولة ؟! »

وهكذا يأتى انعقاد هذا المؤتمر الاقتصادى إضافة لسلسلة المؤتمرات الدولية السابقة التى عقدت على أرض مصر ، وشهادة على تميز وتنامى أداء الاقتصاد المصرى كما أشارت إلى ذلك الشهادات الدولية .

وفى نهاية المؤتمر صدر البيان الختامى يحمل عنوان : بيان القاهرة» وجاء على النحو التالى :

بيان القاهرة :

عقد المؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى القاهرة ، فى الفترة من ١٢ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ ، برئاسة فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك . وقد جمع المؤتمر الذى عقد برعاية الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الروسى ، وبدعم من الاتحاد الأوروبى وكندا واليابان كبار المسئولين الحكوميين وقيادات القطاع الخاص من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، ومن مناطق أخرى من العالم .

وقد أعرب المشاركون عن شكرهم للرئيس مبارك وللحكومة المصرية لاستضافة هذا الحدث وللتنظيم الممتاز للمؤتمر ، ولكرم الضيافة ، كما أعربوا عن تقديرهم لزعامة مصر فى سعيها لتحقيق سلام شامل وعادل ودائم فى الشرق الأوسط .

أعرب المشاركون فى مؤتمر القاهرة الاقتصادى عن التزامهم الثابت الذى لا يتزعزع بتحقيق سلام عادل ودائم وشامل فى الشرق الأوسط على أساس مرجعية مؤتمر مدريد للسلام التى تستند إلى قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و٣٣٨ . وفى هذا الإطار أكد المشاركون عزمهم على البناء على الاتفاقات التى توصل إليها الأطراف وأكدوا الأهمية البالغة للتنفيذ الفورى والأمين لتلك الاتفاقات من جانب جميع الأطراف وبصفة خاصة على المسار الإسرائيلى ـ الفلسطينى ـ كما أعادوا تأكيد التزامهم بتوسيع وتعميق السلام ، علاوة على إحراز المزيد من التقدم فى كافة القضايا المعلقة على جميع مسارات التفاوض العربية ـ الإسرائيلية فى عملية السلام . وحثوا جميع الأطراف على مواصلة السياسات والإجراءات التى من شأنها بناء الثقة بين شعوب المنطقة .

لقد كان شعار مؤتمر القاهرة الاقتصادى هو « البناء من أجل المستقبل خلق بيئة مواتية



للمستثمر » وقد أتاح المؤتمر الفرصة لتشجيع الاستثمار الدولى والإقليمى فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وتم إبراز إمكانات المنطقة فى مجالات الاقتصاد والتجارة والتبادل التجارى التى تدعمها برامج إصلاح اقتصادى هام ، يتم تنفيذها حاليا من جانب العديد من دول المنطقة . وتشمل تلك الإصلاحات : الخصخصة ، والإصلاح الهيكلى وإزالة الحواجز أمام التجارة ، التى من شأنها إيجاد مناخ اقتصادى موات لقطاع الأعمال فى المنطقة .

لقد أتيحت الفرصة لممثلى القطاع الخاص الدولى لدراسة الفرص الاقتصادية والتجارية المتزايدة فى المنطقة بالتفصيل وعرضت كل دولة على حدة برامج الاستثمار والتنمية فيها ، كما تم إبراز الإمكانات القائمة فيها بينها فى هذا الصدد .. وجرت مناقشات بناءة ومثمرة للموضوعات ذات الأهمية الخاصة لبلدان المنطقة ولقطاع الأعمال الدولى على حد سواء .

شدد المشاركون على الأهمية القصوى لتنمية الاقتصاد الفلسطينى ولاحظوا بمزيد من القلق أن الاقتصاد الفلسطينى ـ وهو الاقتصاد الضعيف أصلا ـ يعانى من القيود وإغلاق الأراضى التى تعوق انتقال العمالة وحركة التجارة الفلسطينية ، وسلموا بحاجة جميع الأطراف فى المنطقة إلى العيش فى سلام ورخاء ، وأمن ، الأمر الذى من شأنه أن يعزز الأهمية الاقتصادية للمنطقة برمتها . وقد أكدوا من جديد أن الغاء القيود وإنهاء تدابير إغلاق الأراضى سوف يحول دون تدهور الاقتصاد الفلسطينى ، ويسهم بصورة إيجابية فى تعزيز كفاية أدائه ، مع تحسين المناخ السياسى الذى يحيط بعملية السلام بمختلف أبعادها .

أعرب المشاركون عن تقديرهم للدور الفريد الذى يضطلع به المنتدى الاقتصادى العالمى ، حيث كانت جهوده التى لم تعرف الكلل عاملاً حاسماً فى نجاح المؤتمر . كما أعربوا عن امتنانهم لمجلس العلاقات الخارجية فى نيويورك لاسهامه القيم فى عدد من جلسات المؤتمر .

قرر المشاركون الاجتماع مرة أخرى فى أواخر عام ١٩٩٧م فى مدينة الدوحة بقطر لعقد المؤتمر الاقتصادى الرابع للشرق الأوسط وشمال إفريقيا .

وهو بيان يمكن النظر إلى توصياته ـ إذا ما تحققت ـ على أنها قمة الإنجاز الاقتصادى لخروج منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى مصاف الاقتصاد الدولى مدعمة بتعاونها وتمكنها بثرواتها الطبيعية ومواردها البشرية .

من تراث المحقق محمد أبي الفضل إبراهيم

الشريف المرتضى وكتابة الأمالي

كانت بغداد في القرن الرابع الهجري موئل العلم ، ومثابة العلماء ، وملتقى الكتاب والشعراء والأدباء ، فيها غصت ساحات الخلفاء والملوك والرؤساء بفنون المناظرة والمساجلة والجدل ، وعمرت المكتبات بألوف الكتب المؤلفة والمترجمة ، المطولة والمختصرة ، وغصت دور العلماء وحلقات الدروس بطلاب الأدب ، ورواد العلم والمعرفة من شتى الجهات .

وكان للكثير من ملوك « بني بويه » من لطافة الحس ، وزكانة الطبع ، ورهافة الذوق ورجاحة العقل ما هيأ لهم أن يكونوا كتابا أو شعراء ، وما دفع بعضهم للمشاركة في العلم ، والأخذ بنصيب من أطراف الفنون ، فحدبوا على العلماء ، وأغدقوا على الشعراء ، وعرفوا للأدباء أقدارهم ، فولوهم الوزارة والإمارة والقضاء في كثير من الأحايين .

في هذه الحقبة النادرة في تاريخ العلوم ، وفي هذا العصر الحالي بأزاهير الفنون والآداب ، وفي تلك الدولة التي قام في أكنافها العلماء والشعراء والأدباء ، عاش الشريف المرتضى علي ابن الحسين ، وأخوه الشريف الرضي محمد بن الحسين ، واتخذا مكانهما بين ذوي المثالة ، وأعيان الشرف والفضل من الأعلام ، فكان المرتضى عالما فقيها متكلما ، خبيرا بقرض الشعر ، بصيرا بمذاهب الكلام ، وكان الرضي شاعرا مطبوعا متصرفا ، وكاتبا بارعا رائق الديباجة صافي الأسلوب ، مشاركا في التأليف والتصنيف ،

وقضيا حياتهما مرعيّي الجانب ، رفيعي المنزلة ، مرموقي المحل ، عظيمي الخطر والجاه عند خلفاء بني العباس ، والملوك من بني بويه على السواء .

وكانا ينزعان إلى أعرق المناصب ، وأطيب النجارة ، نجلهما[1] أبو أحمد الحسين بن موسى ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأنجبتهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأطروش ، صاحب الديلم ، وشيخ الطالبيين وعالمهم .

(١) نجل - بابه نصر : أنجب ، نجل الولد : نسله ؛ وأبو أحمد الحسين هو والد الشريفين : الرضي والمرتضى

أبو أحمد الحسين :

وكان أبو أحمد من ذوى النباهة والصيت عند بنى بويه ، ولقبه بهاء الدولة أبو نصر بالطاهر الأوحد ، كما كان من ذوى القدر والجاه عند بنى العباس ، وولوه النظر فى المظالم ونقابة الطالبيين مرات ، كان يقوم بالسفارة بينهم وبين آل بويه أحيانا ، وبين الحمدانيين أحيانا فمحض النصح ، وبصّر بمناهج الرشد ، وأبدى الرأى الأصيل ، وظفر بالمكانة منهم جميعا . ومات فى سنة ٤٠٠ ، وقد رثاه أبو العلاء المعرى بقصيدته المشهورة :

أودى فليت الحادثات كفاف
مال المسيف وعنبر المستاف
الطاهر الآباء والأبناء والآ
راب والأثواب والآلاف
رغت الرعود وتلك هدة واجب
جبل هوى من آل عبد مناف
بخلت فلما كان ليلة فقده
سمح الغمام بدمعه الذراف
ويقال إن البحر غاض وإنها
ستعود سيفا لجة الرجاف

وفيها يذكر الشريفين ويعزيهما :

ولقيت ربك فاسترد لك الهدى
ما نالت الأيام بالإتلاف
وسقاك أمواه الحياة مخلدا
وكساك شرخ شبابك الأفواف
أبقيت فينا كوكبين سناهما
فى الصبح والظلماء ليس بخاف
رزقا العلاء فأهل نجد كلما
نطقا الفصاحة مثل أهل دياف
ساوى الرضى المرتضى وتقاسما
خطط العلا بتناصف وتصاف

وفى آخرها تقول :

يا مالكى سرح القريض أتتكما
منى حمولة مسنتين عجاف
لا تعرف الورق اللجين وإن تسل
تخبر عن القلام والخذراف
وأنا الذى أهدى أقل بهارة
حسنا لأحسن روضة مئناف

وبعد موته انتقلت وظائفه إلى الشريف الرضى ، ولما مات آلت إلى الشريف المرتضى .

الشريف المرتضى :

وكان مولد الشريف المرتضى ببغداد فى رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وفيها تلقى العلم وشغل به فى جميع أدوار حياته ، وكان أول عهده بالدراسة والتأدب على الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد ، ذهبت به أمه إليه مع أخيه الرضى ، وهما فى سن الحداثة ، وقبل أن يجاوزا حد الثغر ، فأخذا عنه ، وتخرجا عليه ، ثم صحب المرتضى غيره من العلماء ، وورد شرعتهم وحمل عنهم ، مثل سهل بن أحمد الديباجى ، وأبى عبيد الله المرزبانى ، وأبى الحسن الجندى ، وأحمد ابن محمد بن عمران الكاتب ، وغيرهم .

ويبدو من تقصى أخباره ، ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله أن أعظم الشيوخ الذين تأدب بهم وأفاد منهم هما : الشيخ المفيد وأبو عبدالله المرزبانى .

الشيخ المفيـد :

فأما الشيخ المفيد فقد كان رأسا من رؤوس الشيعة ، وعلما من أعلامهم ، لا يدرك شأوه فيهم وإليه انتهت رئاسة الإمامية فى عصره ، وفى كتبه حفظت أقوالهم وآراؤهم وشروحهم وتأويلاتهم ، وعنه تلقى السيد المرتضى الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ، ثم استقل بالرأى فيما بعد ، ووضع فى ذلك الكثير من الكتب والرسائل والمقالات .

المرزبانى :

وأما المرزبانى فقد كان إماما من أئمة الأدب ، وشيخا من شيوخ المعتزلة ، وعلما من أعلام الرواية ، وكانت داره مقصد العلماء والمتأدبين ، مهيأة بالكتب والورق والمداد ، معدة للطعام والراحة والنوم ، فكان يأخذ عمن يزوره من العلماء ، ويقرأ لمن يجلس إليه من الطلاب ، وفيما بين ذلك يؤلف الكتب ويصنفها ، ومعظم ما رواه السيد المرتضى فى كتاب الغرر من الشعر واللغة والأخبار مما تلقاه عليه ، ورواه عنه .

المرتضى :

ولما علت به السن ، وخلع عن منكبه رداء الشباب عكف فى منزله مُخلداً إلى القراءة والدرس ، واستغرق أيامـه فى التحصيـل والتأليف ، مؤثرا مجالسة العلماء والمستفيدين على مخالطة الرؤساء وذوى السلطان ، بل إنه زهد فيما ورث أبوه من نقابة الطالبيين ، والنظر فى المظالم ، وآثر بها أخاه الرضى ـ وكان أصغر منه ـ ليرضى ما كانت تنزع إليه همة أخيه من الرغبة فى سنىّ المطالب وبلوغ الأقدار ، ويقضى حاجة نفسه من الانقطاع إلى العلم ، والخلوة إلى القـراءة والدرس ، ولم يتول شيئا من هذه المناصب إلا بعد وفاة أخيه . وأعانه على ما يبغى ما تهيأ له من مكتبة عريضة واسعة ، تحوى ما عرف من الكتب فى حياته .

ذكر الثعالبى أنها قومت ـ بعد وفاته ـ بثلاثين ألف دينار ، وقدرت بثمانين ألف مجلد ، بعد أن أهدى منها ما أهدى إلى الرؤساء والوزراء .

وكان السيد المرتضى فى نعمة سابغة ، وخير كثير ، وثروة قل أن تتهيأ لمثله من العلماء ، وروى أنه كانت له ثمانون قرية بين بغداد وكربلاء ، يشقها نهر ينتهى إلى الفرات ، وكانت السفن تسير فيه غادية رائحة ، تحمل السفر والزيارة خاصة فى موسم الحجيج ، وكان لهم فيما يتساقط من ثمار الأشجار العاطفة على النهر ، فاكهة موقوفة عليها ، ولغيرهم ممن تحمل السفن ، وقدروا ما تغله هذه القرى بأربعة وعشرين ألف دينار فى العام .

وقد تمكن بفضل هذه الثروة من أن يعيش فى داره مكفول الرزق ، مقضى الحاجات ، لا يشغله ما يشغل غيره من شئون الدنيا ومطالب الحياة ، ولا يصرفه شىء عن القراءة والدرس والتصنيف والفتيا ، بل إنه تمكن من أن يقضى حاجة قلبه من البر بالناس ، ومواصلتهم ، والعطف عليهم ، وخاصة من كان يمت إلى العلم بصلة ، أو يدلى إليه برحم ماسة ، فكان منزله دارا للضيافة ، ومدرسة للتعلم والمدارسة لمن ينقطع إليه من التلاميذ والطلاب والمريدين ، ويسترخ فى رحابه الوافدين من شتى الجهات ، بعد أن يكون قد أدماهم السير وأكلهم السرى ، بل إنه جعل للكثير من تلاميذه مرتبات منظمة ، خُبُوسا موقوفة عليهم ، كان



أبو جعفر الطوسي من تلامذته المنقطعين إليه ، فأجرى عليه اثنى عشر دينارا في كل شهر ، في ثلاثة وعشرين عاما قضاها في صحبته إلى أن مات ، وكذلك رتب للقاضي عبدالعزيز بن البراج ثمانية عشر دينارا في الشهر ، وغيرهما كثير . ووقف قرية كاملة ، تجرى خيرها على كاغد(١) للفقهاء خاصة ، رغبة في النفع ، وبث العلم في الناس .

ويروى أنه أصاب الناس قحطٌ شديد فاحتال رجل يهودى على تحصيل قوت يحفظ نفسه ففزع إليه وشفاعته الرغبة في العلم ، واستأذنه أن يقرأ عليه شيئا من علم النجوم ، فأذن له ، وأمر بجائزة تجرى عليه في كل يوم ، فقرأ برهة ثم أسلم .

ومن هذه البابة أيضا ما حكاه ابن خلكان عن أبي زكريا التبريزى أن أبا الحسن على بن أحمد الفالى الأديب كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى بستين دينارا ، وتصفحها فوجد بها أبياتا بخط بائعها أبي الحسن الفالى ، وهي :

أنست بها عشرين حولا وبعتها
لقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها
ولو خلدتنى في السجون ديونى
ولكن لضعف وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرة
مقالة مكوى الفؤاد حزين

« وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين »

فأرجع إليه النسخة ، وترك الدنانير ، جريا على عادته من صلة أهل العلم ، يؤدبهم .

وقد اجتمع إليه من فنون العلم وضروب الآداب ما قل أن يجتمع لسواه ، وضرب فيها جميعها بسهم وافرة فكان فقيها انتهت إليه رياسة الإمامية في عصره ، بعد أن درس الأصول ، وحضر الحقائق ، واستخرج المسائل ، ونصب نفسه بعد ذلك للفتيا ، فشدت إليه الرحال ، ووفدت إليه الناس من كل صقع ، ووضع لكل كتابا ، فهذه المسائل الديلمية ، وتلك المسائل الطوسية ، وهذه المسائل المصرية والموصلية وهكذا ، وحذق علم الكلام وأصول الجدل ، فحاج النظراء والمتكلمين ، وناظر المخالفين وكتابه الشافى حجة على طول باعه في الجدل ، وله في تفسير القرآن وتأويل الكتاب كتاب كشف به عن بحر لا يُسْبَر غوره ، ولا ينال دركه ، وقد حفظ من أخبار العرب وأشعارهم ولغتهم ما جعله في الرعيل الأول من الرواة والحفاظ والأدباء ، وبكل هذا كان إمام عصره غير مدافع .

قال ابن بسام : « كان هذا الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ، ممن سارت أخباره ، وعرفت أشعاره ، وحمدت في ذات الله مآثره إلى تواليفه في الدين ، وتصانيفه في أحكام المسلمين ، ممن يشهد أنه فرع تلك الأصول ، ومن أهل ذلك البيت الجليل » .

(١) ورق الكتابة .

وكان بعد هذا شاعرا ، وله ديوان شعر ، قال ابن شهر اشوب : إنه يربو على عشرين ألف بيت ، وذكر بروكلمان أن هناك نسخة منه فى مكتبة مشهد ، وقد أورد المرتضى طائفة منه فى كتاب الغرر ، والشهاب ، وطيف الخيال ، وذكر الثعالبى فى تتمة اليتيمة ، والباخرزى فى دمية القصر قدرا منه ، فمن قوله :

أحب ثرى نجد . ونجد بعيــــدة
ألا حبذا نجد وإن لم تفقد قربا
يقولون : نجد لست من شعب أهلها
وقد صدقوا لكننى منهم حبـا
كأنى وقـد فارقت نجدا شقـاوة
فتى ضل عنه قلبه ينشد القلبـا

ومنه :

يا خليـــل من ذؤابـــة قيس
فى التصابى رياضة الأخلاق
عللانى بذكرهــم تطربـــانى
واسقيانى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فإنى
قد خلعت الكرى على العشاق

ومنه فى الرثاء :

كأنى لما ضك سمعـــى نعيــه
صككت بمسنون الغراوين قاضب
طواه الردى طى الرداء ، وعطلت
مغانى الحجا عنه وغر المناقب
ولما بلوت الأصدقــاء وودهــم
خلصت إليه من خلال التجارب

وقد أحصى محقق إحالة المرتضى فى مقدمة « إحالة المرتضى » أحدا وسبعين كتابا .

وحينما يستعرض الباحث كتاب العربية النفسية التى حوت ألوان المعارف ، وزخرت بأشتات الطرائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح ، وحقائق السير والتاريخ والأخبار ، والشعر واللغة والغريب فإنه بلا مراء يعد منها (كتاب أمالى المرتضى) ـ أو كما يسميه مؤلفه ـ (غرر الفوائد ودرر القلائد) ـ وينظمه فى العقد الذى يضم كتاب الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد لابن عبد ربه ، والأغانى لأبى الفرج ، وغيرها من الكتب التى حلقت فى سماء الآداب العربية كالنجوم ، وأرست قواعدها كالأطواد ، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء ، وتدارسها المتأدبون جيلا بعد جيل ، وتداولها النساخ ، وعدت فى مكتبات الدارسين من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق .

وهى [أى الأمالى] مجالس مختلفة أملاها فى أزمان متعاقبة ، تنقل فيها من موضوع إلى موضوع ، ومن غرض إلى آخر ، اختار بعض آى القرآن الكريم ، مما يغم تأويله على الخاصة ، بل العامة ويدور حولها السؤال ، ويثار الاستشكال ، وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحابه من المعتزلة أو أصحاب العدل كما كان يسميهم ، وحاول جهده ، أن يوفق بين تأويل الآيات المتشابهة ، وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة ، وفى هذا أبدى تفوقا عجيبا ، وأبان عن ذهن وقاد ، وذكاء متلهب ، وبصر نافذ ، وأعانه فيما فسر وأول ووجه قوة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام ، وكان الطابع الذى يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة والآراء المحتملة

مجوزا فى ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعا .

وترجع قيمة ما عرض له الشريف فى هذه المجالس من تأويل الآيات إلى أنها تعد صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء المعتزلة ، مما لم يصل إلينا من كتبهم إلا القليل النادر .

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التى يختلف العلماء فى تأويلها ، ويبدو التعارض فيما بينها وحاول تفسيرها وتأويلها ، بالمنهج الذى عالج به تأويل آى القرآن ، مستعينا بشواهد الشعر واللغة ، موضحا مذهب أصحابه من أهل العدل ، مدليا بحججهم على من خالف تأويلهم من جماعة أهل السنة ، أو أهل الجبر كما كان يسميهم . وناقش ابن قتيبة وأبا عبيد القاسم بن سلام وابن الأنبارى فى ذلك الخصوص .

ثم عرض لمسائل فى علم الكلام مما اشتجر فيها الرأى ، ودار حولها الجدل ، واصطرعت الأقلام وأقيمت المناظرات ، مثل القول برؤية الله ـ جلّ علاه ـ ، وخلق أفعال العباد ، وإرادة الله للقبائح ، والقول بوجوب الأصلح ، وقرر رأى أصحابه ، وحاج عنهم ، واحتج على خصومهم ، وكان فيما جادل وناقش رفيقا فى الجدل عفيفا فى المقال .

وأودع فى الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والأحاديث وعرض المسائل مختارات من المصطفى المنخول من الشعر وحر الكلام ، تناولها بالشرح والنقد والموازنة ، وذكر صدرا من تراجم الشعراء والعلماء والأدباء وأصحاب الأهواء والآراء الخاصة ، وأورد طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونوادرهم ، ثم استروح بذكر فيض من الطرائف النادرة ، والأجوبة الحاضرة المسكتة ، والأفاكيه الرفيعة ، معتمدا فيما أورده على ما وصل إليه من كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وأبى حاتم والآمدى وغيرهم ، أو ما رواه عن شيوخه ، وأبى عبيد الله المرزبانى على الخصوص .

واختار أيضا بعض الموضوعات التى كانت مقاصد شعراء العربية فى الجاهليـة وصدر الإسلام ، كالمدائح والأهاجى والمراثى ، والسير وأورد ما قاله الشعراء فيها ، ووازن بين الكثير منها ، وتناولها بالنقد فى كثير من الأحيان .

وبهذه الفنون المتنوعة ، والفصول المختلفة ، والمباحث الجليلة اجتمع للكتاب ميزة كبرى بين الكتب العربية ، وعد مصدرا ينقل عنه العلماء ، ويحتج به الأدباء .

يبدو أن هذه المجالس أملاها الشريف فى داره على تلاميذه ومريديه ، فى أزمنة مختلفة متعاقبة ، لم يصل العلم إلى التاريخ الذى بدأها فيه ، ولكن الثابت أنه فرغ من إملائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاثة عشرة وأربعمائة (٤١٣ هـ) كما ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى فى آخر نسخته .

أما الزيادات التى فى آخر الكتاب ، وهى التى عرفت بتكملة الغرر فهى طائفة أخرى من المسائل التى اختارها فيما كان يعرض له فى مجالسه فيما بعد ، وأشار بأن تضاف إلى الكتاب ، للتشابه بينهما فى المنهج والمنحى ، وبهذه التكملة يتم الكتاب .

وتوفى الشريف المرتضى فى ربيع الأول سنة ٤٣٦ ، وصلى عليه ابنه ، ودفن فى داره ، ثم نقل للمشهد الحسينى بكربلاء ..

١١

من المحققين الأعلام

طبقات المحققين والمصححين



الدكتور شوقي ضيف

رئيس مجمع اللغة العربية

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

في إحدى القرى الوديعة من الريــف الوريف ، من أعمال مديرية دمياط ، وفي الجانب المقابل لبحيرة المنزلة ، في بيت من البيوت الطينية ، حيث الطبيعة الهادئة الخلوب ، والمناظر الساحرة الجذابة وُلد صاحبنا وشيخنا . الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، ومثلما يصطاد الصيادون الأسماك من البحيرة بشباكهم القانصة من تلك المياه الفضية المتلألئة ، كذا فإن الطبيعة الدمياطية تصيد بحبالها القلوب والعقــول والخواطر .

فإذا كنت مهمومــا ـ لاقــدر الله ـ أو مكدودا ، أو أدركتك سآمة ، فاجتويت الزمان ، أو استوبلت المكان فما عليك إلا أن تسارع وتشخص إلى رحابها ، وتضوى إلى جنابها ؛ ففيها متادح ومندوحة وسعة ، وهي جديرة بأن تمحو وتمسح عن نزيلها كل اجتواء ، فتنتاشه من الأكدار ، لما انطوت عليه من خيرات وآلاء ظليلة ممدودة الأفياء .

اشتهر أهل دمياط من القديم بالذكاء الحاد ، وسرعة البديهة ، وحضور الذهن ، وقد جهد كثير من الناس أنفسهم في البحث عن مبررات ذلك عبثا ودون جدوى ، وساقوا أسبابا ومبررات غير سائغة ، لكن لعل الأرجح والأصح هو الوراثة

والطبيعة ، واعتمادهم على الأسماك كغذاء رئيسى ، لما يحتويه من عنصر الفوسفور .

فى هذه البيئة الصحية المتفوحة بالهواء الطلق ، والماء الجارى ، والحسن الظاهر ، والبراح النقى ، والطبيعة الصافية ، والصدور الشفافة التى تنطوى على الخير والتأميل ، وُلِدَ الدكتور شوق ضيف شيخ الأدباء ، وأديب الشيوخ ، الذى يتمثل فيه كل تراث مصر الأدبى القديم ، موصولا بنهضتها الأدبية الحديثة المعاصرة .

كان أبوه ـ رحمه الله ـ شيخا عالما ، وقد تزوج ابنة عمته (والدة شوق) ، فهى من نفس الأسرة .

ولم يكن الدكتور شوق الابن الأول لأبويه ، وإنما سبقه اثنان توفيا صغيرين . وكانت أمه ـ رحمها ـ توليه رعاية وحَدْباً ، إذ كان قلبها بطبيعته مطويا على الشفقة والرحمة وقد كان أبوها عمدة القرية (وهى قرية بحذاء بلدة المنزلة) وكان رجلا موسراً حميد السيرة .

ونظراً لعدم كفاية غذائه من لبان أمه ـ اجتهدوا فى احضار مرضع له تتعهده بالإرضاع توفيةً لحقه المطلوب فكانت هذه المرضع أما ثانية له .

ومثلما كان جده لابيه عالما كان أبوه أيضا شيخا عالما نحريراً ، ورجـــلاً صالحا فاضلاً (ولانزكى على الله أحداً) لايترك قراءة القرآن ، والأوراد برهة .. أكمل والد شوق تعليمه فى المعهد الدينى الأزهرى بدمياط ، ثم إنه اكتفى عند هذا الحد ، ثم ثاب وكر إلى قريته مكتفيا بمزرعة صغيرة ، صرف إليها جهده وعنايته ، وكانت تدر عليه مايقوم بشئون أسرته وأهله .

كانت مكتبة ابيه فى البيت تحتوى على مراجع وأسفار قيمة نادرة فى الفقه والحديث والسيرة ، والأدب ـ ومما يذكره منها فتوح الشام ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، وديوان ابن الفارض ، وماجدولين للمنفلوطى ، وغيره وغيره .

هذا الأب المثقف العالم كانت له حلقة فى المسجد كل ليلة بين المغرب والعشاء ، يتحلق حوله فيها أهل القرية يتزودون من علمه وفقهه ، من هذه المثابة كان محبوبا منظورا منهم مشخوصا إليه من عقائهم وأرباب المصالح ، ولم يكن على أى حال يتهاون فى مساعدتهم ، فمن كانت مصلحته أو مطلوبه عنده لم يبخل به ، وإن لم يكن فى مستطاعه ومقدوره ، ساعده عليه وسلك له الأسباب .. وهذه مروءة لامزيد عليها ، وأريحية بالغة .

لذلك فقد كان يحمل على كاهله هموم الناس ، فهو يتعهد أرواحهم بدروسه المفيدة ، ورقائقه النافعة ، وهو يسعى فى حل مشكلاتهم التى تعترضهم .

فى هذا البيت العامر ، والقبلة المقصودة ، نشأ هذا العبقرى تتراوحه وتترسل على صدره نسائم القرآن الكريم ، وعبق وأريج السنة المطهرة ، فارتوت جوانحه من الخير الواسع غير المحدود .

انتظم صبيا فى المدرسة الأولية (الإلزامية وقتئذ) فى القرية منذ الربيع السادس من عمره ، وكانت مدرسة مختلطـــة محدودة (فى ذلك الوقت) .

ثم ما ان بلغ التاسعة من عمره حتى أشخص والده إلى دمياط (البندر أو المدينة) للإقامة فيها ، حيث استدبر ظلام القرية وحنادسها ، فاستبدل

بها أضواء المدينة ، بمصابيح الكهرباء .. من ثم ضرب فيها بجرانه ، وألقى عصاه .

كان أبوه وأمه قد وهباه للعلم ، فأدخلاه كُتاباً – فى دمياط – لتحفيظ القرآن الكريم – وكان هذا الكتاب ملحقا بجامع يسمى : « جامع البحر » وهو الذى كان به المعهد الدينى وحلقات دروسه .

أبدى صاحبنا تفوقا ملحوظا فى الكتاب ، وذلك لكونه مستمتعا بذاكرة قوية ، وحافظة مطرورة ، وعزيمة ماضية مشحوذة ، وهو فى باكورة الصبا ، وقد تجلت أمارات نبوغه ، وبدت مخايل تبريزه فى قدرته اللافتة على الحفظ السريع ، إذ كان يحفظ ربع جزء من القرآن كل يوم ، متفوقا على أترابه وأضرابه الذين يبلغون العشرين صبيا .

كان يقرأ كل يوم على سيدنا الربع الذى استظهره تسميعاً ، وقلما يخطىء فيه . وماهى إلا أشهرا قليلة (بضعة أشهر) حتى أحسن الصبى تجويد القرآن الكريم .

ثم مالبث أن ألحقه أبوه بالمعهد الدينى فى دمياط وفاء بهبته للعلم ، وكان ذلك سنة ثمانى عشرة وتسعمائة وألف للميلاد (١٩١٨) وفى تلك السنة الأولى حفظ متن « الأجرومية » فى النحو ، وقرأ شرح الشيخ الكفراوى عليها .

وفى السنة الثانية درس « متن الأزهرية » ، ثم فى السنة الثالثة « قطر الندى » لابن هشام ، وهكذا ضرب بباع فى دراسة النحو على عمالقته .

ويرى الدكتور شوقى ضيف – ونحن معه تماما – فى أن هذا النظام أنسب وأوفق لدراسة النحو العربى من النظم الحديثة وهى التى بعثرت قواعده على سنوات الدراسة عاماً بعد عام ، وجعلته مقطوعات مقطعة الأوصال .

كان شوقى عمد إلى تلخيص كتاب « قطر الندى » بإيعاز من شيخه وطلب منه فى ذلك الوقت ، وكان ذلك فى نهاية عامه الثالث بالمعهد الدينى بدمياط ، فقام باختصاره وتلخيصه على أتم وأدق وجه .. لذلك فقد كان هذا المهذب أول كتابه ألفه وهو لايزال صبيا .

بل لعل هذه المحاولة والمزاولة التأليفية المبكرة قبل الأوان ، كانت إرهاصا وتبشيرا لما سيكون عليه هذا الفتى فى مستقبل أيامه من تأليف وتصنيف فى النحو .

ثم تصادف أن رأى كتاب « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » لابن هشام ، فأعجبــه ، واسترعى نظره ، ففيه رأى تبسيطا مفقودا فى كتب النحو من نظائره ، فأكب عليه يدرسه فى أناة وعمق وتهم .

كذا عكف على دراسة كتب الفقه الشافعى ، ومتونه ، وشروحها ، وشروح الشروح (المسماة بالحواشى) ثم كان فى سنة ١٩٢٥/١٩٢٦م خمس وست وعشرين وتسعمائة وألف ، وهى آخر سنة له بمعهد دمياط ، وهو الذى لم يكن معهدا بالمعنى المألوف فى عصرنا ، لكنه كان عبارة عن مقاعد فى جامع البحر بدمياط ، وهو أكبر جوامعها فى ذلك الوقت .

إن من أجمل وأروع وأدق ماذكره د. شوقى ضيف قوله : « لاشك أن هذه الصورة للكتب الأزهرية كما عرفتها فى العقد الثالث من القرن الحاضر فى صورة المتون وشروحها والحواشى

والتقارير ، كانت مشحذة كبرى لعقول الطلاب الأزهريين » اهـ . بتصرف .

ثم تحول بعد ذلك إلى معهد الزقازيق الديني الثانوى وفيه أكب على العلم انكبابا ينهل من معين لاينضب ، وفرات سائغ ، لايكل ولايمل .

ثم يوضع حجر الأساس للجامعة المصرية فى شهر فبراير سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، فيراها فرصة سانحة أن يتحول إلى دار العلوم حتى يجمع بين الثقافة الأزهرية القـديمة بأصالتها وشموخها ، وبين الدراسات والثقافة العصرية ، والعلوم والمعارف الحديثة بمدرسة دار العلوم .. كل هذا ليكون موافقا وموائما وملائما لنشاطه الأدبى والثقافى .

كان لدار العلوم مدرسة ثانوية اسمها « المدرسة التجهيزية » أو « تجهيزية دار العلوم » وفيها ماق المدارس الثانوية من علوم الرياضة والكيمياء والطبيعة ثم يزيدون على ذلك علوم الشريعة من الفقه والأصول والتفسير إلى النحو والصرف ، والأدب والكلام والفلسفة والمنطق وغيره .

التحق شوقى ضيف بتجهيزية دار العلوم سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف (١٩٢٨) ومما هو جدير بالذكر أن هذه التجهيزية كانت قريبة من حى عابدين بالقاهرة ، وكان فيه حى يسمى « حى الحنفى » وقد قطن شوقى فى حجرة فيه .. وكان مغبوطا بذلك كل الاغتباط عندما عرف أن أمير الشعراء أحمد شوقى ـ رحمه الله ـ سكن نفس الحى فى مطلع حياته (ربما كان ذلك لقربه من قصر عابدين) .. لكن فرق بعيد ، وبوْن شاسع بين سكنى شوقى الشاعر ، وبين شوقى ضيف الطالب فى تجهيزية دار العلوم وقتذاك !!

فى تلك الفترة كانت هناك دراسة حرة وهى غير النظامية بالأزهر ، حيث كان الشيوخ يقيمون حلقات للطلاب المغتربين أو غير النظاميين .. وهى دراسات حرة غير مقيدة بوقت ولازمان ؛ فإذا ما آنس أحدهم من نفسه القدرة على أداء امتحان العالمية (الشهادة النهائية فى الأزهر حينئذ وهى تعادل الدكتوراه حاليا) تقدم إليها .

بيد أنه قبيل آخر العام فى تجهيزية دار العلوم صدر قرار بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) بفتح أبواب قسم اللغة العربية لقبول طائفة من خريجى التجهيزية ، وطائفة من حملة الشهادة الثانوية الأزهرية ليكملوا دراستهم ، وهم ممن استظهروا القرآن الكريم وحفظوه فى صباهم ، كذا درسوا العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيره .

التحق شوقى ضيف بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣١/١٩٣٠م ثلاثين وإحدى وثلاثين وتسعمائة وألف ، وكانوا ثمانين طالبا من الأزهر ومن التجهيزية . وكان مدير الجامعة وقتئذ أحمد لطفى السيد باشا ـ رحمه الله ـ وكان طه حسين عميدا لكلية الآداب .

من أساتذته الذين كان معجبا بهم فى الجامعة بكلية الآداب الشيخ أحمد الاسكندرى ، الذى كان أستاذا بدار العلوم ، لكن انتقل إلى كلية الآداب ليحل محل الدكتور طه حسين ، لتدريس الأدب العربى .

كذا كان أمين الخولى ـ رحمه الله ـ موضع إعجابه بل كان ضيف مأخوذا بمحاضرات الشيخ الخولى فى البلاغة (وهو الشيخ الذى كان تخرج فى

مدرسة القضاء الشرعى) . ثم تلقى شوق ضيف الفارسية على يد شيخه وأستاذه عبدالوهاب عزام (الذى تخرج فى مدرسة القضاء الشرعى) وكان بدوره تخرج فى مدرسة عاطف بركات وعُين إماماً فى سفارة مصر بلندن .

وكان عبدالوهاب عزام أديبا بارعا . وقد نال الدكتوراه فيما بعد

كذلك كان من أساتذته المأثورين المختارين عنده الدكتور أحمد أمين ، أستاذ الحياة العقلية الإسلامية (كان أيضا متخرجاً فى مدرسة القضاء الشرعى) لكونه ممن جمعوا بين الثقافتين : القديمة والحديثة ..

اندفع شوق للقراءة الموسعة فى كتب النقد الأدبى ، ثم نشر مقالات أدبية فى مجلة الرسالة الأسبوعية ، وكانت أهم مجلة أدبية فى مصر فى ذلك الوقت ، إذ كان يكتب فيها من أعلام الأدب ، وأساطينه بعض أساتذته : عباس العقاد ، وأحمد أمين ، وغيرهما من أساتذة الجامعة .

كان أول مقال حرره نُشِرَ فى مجلة الرسالة فى عدد اليوم الثامن من شهر يناير سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف بعنوان : «حول الوضوح والغموض» وهو وقتذاك لايزال طالبا بالسنة الثالثة بكلية الآداب .

وفى السنة الرابعة والنهائية كان يدرس له الشيخ العلامة مصطفى عبدالرازق وكان مدرساً للفلسفة الإسلامية ، وكان رجلاً فاضلاً وعالما نديا نحريرا متواضعا ، يشعر معه تلاميذه بأنه أب ووالد وأستاذ لهم جميعا ، فقد كان عطوفاً ، رقيق الشعور ، نبيل العاطفة ، محمود النقيبة ، ممدوح الطوية ، جمع بين أعطافه أصالة القديم وجدة الحديث .

وكان لشوق حب خاص خالص لأستاذه وصديقه الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربى لعلمه وثقافته وكان يدافع عنه إذا استهدفه الناقدون ناعين عليه التكرار فى أسلوبه ، فقال شوق : إن تكرار طه حسين ليس تكرارا لفظيا ، وإنما هو تكرار معنوى .. ومن ثم فلا موجب للمؤاخذة .

سنة خمس وثلاثين حصل على الليسانس ، وتخرج فى الجامعة فى أول مايو من تلك السنة ، وكان السابق بين رفاقه .

ثم رشحه أحمد الاسكندرى (عضو مجمع اللغة العربية وقتذاك) مخاطبا الشيخ عبدالعزيز البشرى (ابن الشيخ سليم البشرى) وكان مراقبا لمجمع اللغة العربية ــ أن يعينه محررا بالمجمع ، فكان ذلك حافزاً له لمزيد من القراءة والاطلاع .

ثم أعيد انتخاب طه حسين عميداً لكلية الآداب سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف ،وسنة سبع وثلاثين ، ثم رأى أن تأخذ الجامعة بنظام المعيدين ، فاختير شوق ضيف معيدا من جملة المختارين لذلك .

فى سنة ثمان وثلاثين وتسع وثلاثين ١٩٣٨/١٩٣٩م انهمك فى اعداد رسالة الماجستير وموضوعها : (النقد الأدبى فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى) .

وفى يناير ١٩٣٩ سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف نوقشت الرسالة ونال الدرجة المأمولة فيها .

ثم سجل رسالته للدكتوراه بموضوع (التكلف الشديد للشعر العباسى فى القرن الرابع الهجرى) .

ثم نوقشت مناقشة علنية فى أواخر شهر يناير ١٩٤٢م سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف بالمدرج رقم (٧٨) بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) أمام حشد كبير من الطلاب والجمهور.

ومن أروع مايذكره لنا الدكتور شوقى ضيف فى ذلك الموقف الرائع أنه بمجرد إلقائه ملخص الرسالة رأى أباه واقفاً بين الطلبة المتدافعين المكدسين فى مدخل المدرج، يستمع إلى ابنه الذى كان أخفى عنه موعد مناقشة الرسالة، لكن أباه عرف ذلك من صحف الصباح.

هذا هو شيخ الأدباء، أديب الشيوخ شوقى ضيف تتمثل فى سيرته وأطوار حياته أصالة المصرى وصلابته وطول باعه، وامتداد ذراعه إلى مقصوده بإصرار وعزيمة فولاذية، ونهم شديد بالعلم.

فى هذه الرحلة تتجلى أمام الناس طرق التعليم فى تلك الحقبة المنصرمة من الزمان، وفيها نلمس مدى المشقة والمعاناة فى تحصيل العلم للصبى من القرية إلى البندر إلى معهد دمياط، ثم إلى معهد الزقازيق ثم إلى الأزهر، ثم تجهيزية دار العلوم ثم إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، رحلة وعرة شاقة.

كل هذا الجهد كان مستطابا فى سبيل العلوم والرفعة والارتقاء، وفى ذلك كان شوقى مصيبا فى قوله:

ومانيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

هذا مثل أعلى، وطراز نقدمه لشباب اليوم، الذى تخفف أكثره من المسئولية، والتفت عن الحقيقة وصار مغلولا من غير أن يفعل شيئا، وهو يريد تحقيق مبتغاه من غير جهد ولاعناء، وهيهات هيهات ولات حين مناص إن الأمل والجد والكد والكدح والاجتهاد والاستقامة على سواء المحجة هما: سبيل التفوق، ومحور الارتكاز وحجر الزاوية فى كل تقدم ورقى. تحية للشيخ الجليل أطال الله عمرك، وجعلك نبراسا وقبسا يضيء أمامنا طريق الهداية والتمكين.

وهنيئا لمجمع اللغة العربية مجمع الخالدين ـ بك رئيسا له، فمثلك أهل لمثله.

من مؤلفات وتحقيقات الأستاذ الدكتور شوقى ضيف العلمية:

كتب للمؤلف مطبوعة بدار المعارف

● فى الدراسات القرآنية

*** سورة الرحمن وسور قصار عرض ودراسة الطبعة الثانية ٤٠٤ صفحات**

● فى تاريخ الأدب العربى

* العصر الجاهلى، الطبعة الحادية عشرة، ٤٣٦ صفحة

* العصر الإسلامى، الطبعة العاشرة، ٤٦١ صفحة

* العصر العباسى الأول، الطبعة التاسعة، ٥٧٦ صفحة

* العصر العباسى الثانى، الطبعة السادسة، ٦٥٧ صفحة

* عصر الدول والإمارات (١) الجزيرة العربية ـ العراق ـ إيران، الطبعة الثانية، ٦٨٨ صفحة

* عصر الدول والإمارات (٢) مصر ـ الشام الطبعة الأولى، ٨٤٨ صفحة.

● فى مكتبة الدراسات الأدبية

* الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، الطبعة العاشرة ، ٥٢٤ صفحة .

* الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، الطبعة العاشرة ، ٤٠٠ صفحة

* التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، الطبعة السابعة ، ٣٤٠ صفحة

* دراسات فى الشعر العربى المعاصر ، الطبعة السابعة ، ٢٩٢ صفحة .

* شوقى شاعر العصر الحديث ، الطبعة العاشرة ، ٢٨٦ صفحة

* الأدب العربى المعاصر فى مصر ، الطبعة الثامنة ، ٣٠٨ صفحات

* البارودى رائد الشعر الحديث ، الطبعة الرابعة ، ٢٣٢ صفحة

* الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية ، الطبعة الرابعة ، ٣٣٦ صفحة

* البحث الأدبى : طبيعته ـ ومناهجه ـ أصوله ـ مصادره ، الطبعة السادسة ، ٢٧٨ صفحة

* الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، الطبعة الثانية ، ٢٥٦ صفحة

● فى الدراسات النقدية

* فى النقد الأدبى ، الطبعة السادسة ، ٢٥٠ صفحة

* فصول فى الشعر ونقده ، الطبعة الثانية ٣٦٨ ، صفحة

● فى الدارسات البلاغية واللغوية

* البلاغة : تطور وتاريخ ، الطبعة السادسة ، ٣٨٠ صفحة

* المدارس النحوية ، الطبعة الخامسة ، ٣٧٦ صفحة

* تجديد النحو ، الطبعة الثانية ، ٢٨٢ صفحة

* تيسير النحو قديما وحديثا مع نهج تجديده ، الطبعة الأولى ، ٢٠٨ صفحات

● فى مجموعة نوابغ الفكر العربى

* ابن زيدون ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٢٤ صفحة

● فى مجموعة فنون الأدب العربى

* الرثاء ، الطبعة الثالثة ، ١٠٨ صفحات

* المقامة ، الطبعة الخامسة ، ١١٢ صفحة

* النقد ، الطبعة الرابعة ، ١١٢ صفحة

* الترجمة الشخصية ، الطبعة الثالثة ، ١٢٨ صفحة

* الرحلات ، الطبعة الثالثة ، ١٢٨ صفحة

● فى التراث المحقق

* المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الجزء الأول ـ الطبعة الثالثة ، ٤٦٨ صفحة

* الجزء الثانى ـ الطبعة الثالثة ، ٥٧٢ صفحة

* كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، الطبعة الثانية ، ٧٨٨ صفحة

* كتاب الرد على النحاة ، الطبعة الثانية ، ١٥٠ صفحة

* الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبدالبر الطبعة الثانية ، ٣٥٦ صفحة

● فى سلسلة إقرأ

* العقاد ، الطبعة الرابعة

* البطولة فى الشعر العربى ، الطبعة الثانية

* معى ، الطبعة الثانية

* الفكاهة فى مصر ، الطبعة الثانية

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي



بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

تصور أساطير الإغريق القدماء ، ربة الشعر – في اعتقادهم – في هيئة امرأة رائعة الجمال ، مجنحة ، وملتفة بغلالة أثيرية حريرية ، شديدة الإغواء للشعراء بصفة خاصة .. وقد وجدت هذه الإلهة المزعومة في الشاعر الفرنسي الرجيم : (بودلير) ، عاشقها المفتون ، الذى أسلس قياده لها ، بما يفوق أبا نواس ، في مجونه وعبثه .. ومن ثم نظم بودلير ديوانه الذى يحمل هذا العنوان المستفز المصرح : (أزهار الشر) الذى يقول فيه ، تحت عنوان : (صوت من وراء القبر) ، من قصيدة له من أشعاره المتأخرة ، التى لم تظهر إلا في طبعة ديوانه بعد وفاته :

أيها القــارىء المطمئــن الــوادع ..
يا رجل الخير ، السليم الطوية ، القانع :
اطــرح من يدك هذا الكتــاب ،
هذا الكتــاب المستهتــر الفاحــع

* * *

إذا كنت لم تتفن فــنون البيــان ،
– على النقيب الماكر : الشيطــان –

فاطرح كتابي ، فلست واعيا منه شيئا ..
أو أنت محتقِدٌ في لوثة العقل والخيال

* * *

أما إذا استطاع طرفك ـ غير مفتون ـ
ـ أنْ ينعمـــنَ في الأغـــوار ..
ويغـوص في اللُّجَّـة إلى القـــرار ..
إذن ، فاقرأنـــي .. تعلَـمْ محبّتـــي ![1]

ولسنا بحاجة ، بعد ذلك ، إلى المضيِّ قُدُما في تقديم بعض النماذج من هذا الديوان ، لانخراطها في الإقناع ، وحتى لا نُعطي (الشيطان) فُرصَتَهُ ، في بَثِّ سمومه ، فمعنى (الشيطان) يُفَسَّر ـ كما يقول الرافعي ـ بأنه الروح الحيّ للخطأ على الأرض[2] .. وصدق الشاعر العراق « أحمد الصافي النجفي » في قوله ، من قصيدة له ، بعنوان : (شيطان الشعر) :

شيطـانُ شعـري قاتـــلي ... لا عشـتُ إن لم يُقتَـــل
شيطان شعري كـلَّ حـــ ... ـــين في جحيم مُشعِلـي
هو ليـس يُصليه الجحيـــ ... ـــمَ ، أجل .. فإني المُصطَلـي
هو للجحيـم يجرُّنــي ... بشباكـه ، ويكيـــد لي
ويظـــلُّ يدفعنــي إلى ... دَرْكِ الجحيـم الأسفـــل
حـــى إذا فيها هويـــ ... ـــتُ .. يظل يضحك من علِ[3]

* * *

ويقول شاعرنا الراحل « عبدالحميد الديب » ، غفر الله له ، من قصيدة له بعنوان : (موت الشيطان) ! ، يستهلّها بقوله :

أنا ـ أو إبليسُ ـ للدنيا غَبِيّ ... هو خافٍ ، وأنا أبدو جليّــا

ثم بعد أن تاب وأناب ، استثنى قائلاً :

قلتُ : ـ ربي !.. وأنـا جاثٍ له ... فحبانـي لُطفَـه : قلبـا رضيـا
تُبتُ من ذنبي ، ومَنْ ترجِعْ به ... نفسُه لله .. يظلـــه نقيـــا
توبـة من بعــد أن قُرْتُ بها ... كل شيء صار في عينـي هنيـا

ويختتم قصيدته تلك ، بقوله :

أين شيطـاني ، وأيـنَ ريحُـه ... كان يهفو في الدُّجى .. رُوحا عتيا

(١) انظر كتاب (الشاعر الرجيم بودلير) للأستاذ عبدالرحمن صدقي ص ٩ ـ ١٠ الطبعة الثانية في سلسلة (اقرأ) الصادر عن دار المعارف .

(٢) انظر كتابه (وحي القلم) ، ط٥ ثانية سنة ١٩٤١م ص ٢٠٠ .

(٣) انظر ديوانه : (ألحان اللهيب) ط بيروت سنة ١٩٦٢ ص ٩١ .

أكله أو شربه .. من هجرق	فى ظلام الشك آفاقا شقيا
فقضى ، يوم الهدى ، إذ لم يجد	أى شرع .. ينتهى منه .. إليا
جثة الخراب تشوى جثته	وأنا لم أغش يشا أو نديا
مات شيطانى ، وهام جنده	هيموا ـ بالدمع ـ أشباحا بكيا ![4]

وقد ذكر الشاعر العرفى القديم شمر بن الحارث الضبى ، أن الجن قاموا بزيارته ، بقوله :

أتوا نارى ، فقلت : منون ؟ قالوا :

ـ سراة الجن ، قلت : ـ يمموا ظلاما !

ثم دعاهم ـ كما يزعم ـ إلى الطعام ،فاعتذروا ، لأنهم يحسدون الإنس ، إذ لا يأكل الجن طعاما كطعامهم ، فقال الضبى يصف هذا الاعتذار عن تناول الطعام .

فقلت : ـ إلى الطعام ـ فقال منهم	زعيم : ـ نحسد الإنس الطعاما

* * *

ويقول (إرنست جونز) : « إن فكرة الاندفاع إلى العمل بحافز لا شعورى ، يجهله صاحبه ، معروفة من قديم .. فأغلب فطاحل الشعراء يعلمون أن أروع ما كتبوه ، لم يأت عن طبيعة متعمدة ، بل أتاهم على أجنحة روح تهفو عليهم من حيث لا يعلمون .. أو يحسون أنه آت من أعماق مجهولة فى نفوسهم .. حيث أن الإغريق كانوا يظنون أن الشعراء يقعون تحت تأثير أرواح تغشاهم »[5] .

ومن الغرابة بمكان ـ وخاصة فى العصر الحديث ـ اقتناع بعض الشعراء بشياطينهم ، أو التظاهر بهذا الاقتناع ، واعتبارهم ذلك حقيقة واقعة ، ومنهم العقاد .. فى مطولته الشعرية التى تحمل عنوان : (ملحمة ترجمة شيطان) ، التى يقول فيها عن الشيطان أنه قد :

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم
غبق الظلماء فى قاع سقر
ورمى الأرض به رغى الرجيم
عبرة .. فاسمع أعاجيب العبر

ويقول العقاد فيها مخاطبا الشيطان :

أيها الشيطان أضلل من تشاء
سوف تأويك وتأويه الجحيم[6]

---

(٤) انظر عدد مجلة (المقتطف) ج٢ من المجلد الخامس والتسعين ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٥) راجع كتاب (كيف يعمل العقل) جـ١ ص٥٤ ، وكتاب (شياطين الشعراء) للدكتور عبدالرزاق حميدة ط الأنجلو سنة ١٩٥٦ ص٣٧ ..

(٦) انظر القصيدة كاملة بالجزء الثالث من ديوان العقاد ، وحديثه عنها بكتابه (إبليس) ص٢٠٢ .

وإذا كان (فوزى المعلوف) قد تحدث فى مطولته الشعرية : (على بساط الريح) ، عن الطائرة التى استقلها ، وهى تشق أجواء الفضاء ، بقوله :

صعد الطرف فى الفضاء تحدق ... قاطعا فى الأثير ميلا فميلا
فوق طيارة على صهوات الريـ ... ـح ، راحت تروض المستحيلا
هى طير من الجماد كأن السـ ... ـجن فى صدرها تحث الخيولا

إذا كان ذلك كذلك ، فإن شقيقه الشاعر (شفيق المعلوف) ، يذكر لنا فى مطولة شعرية له ، بعنوان « وادى عبقر » أنه ركب متن الشيطان نفسه ، بعد أن أقبل شيطان شعره نحوه ، وقال له :

أتيت والليل يطوى ذيله ... فعم صباحا أيها الشاعر

ودار بينهما ـ الشاعر وشيطانه ـ الحوار التالى :

قلت لشيطانى : ـ أمن خالقى ... أنتنى ؟ أم من شقوق الثرى
فقال : ـ إنى جئت من بقعة ... خافية .. تدعونها : عبقرا
تنوس فيها الجن عرافة ... ترى بزجر الطير ما لا يرى
الشعر ولاها شياطينه ... فسادت : (الفوجل) و(الهوبرا)
تضطرب الأرض متى أقبلت ... قاذفة عزيفها المنكرا
فقم بنا يا صاح إلى عبقر ... نجوس ذاك المجهل الأوعرا

ثم يحدثنا شفيق المعلوف ، بعد ذلك ، عن (تجربته) المزعومة ، بقوله :

وانطلق الشيطان فى الجو بى ... كأنه النيزك أو أسرع
تمكنت من فقاره قبضتى ... مندفعا أصنع ما أصنع

إلى أن يقول ، بعد أن حط عصا الترحال الجوى : :

حتى تهاوى بى إلى موضع ... ما راقنى من قبله موضع
غمائم زرق .. على متنها ... منازل جدرانها تسطع
تثور فى أبراجها ضجة ... بها يضيق الأفق الأوسع

وهنا حدثه الشيطان بقوله :

فقال : ـ هذى عبقر ما ترى ... وضجة الجن التى تسمع
عزت على الإنس ، فمن حولها ... أبالس الأبراج .. تستطلع
أنحاؤه الأربع مرصودة ... تحرسها الزعازع الأربع
ما أقبلت الإنس من زعزع ... إلا تلقى صدره زعزع

ويقدم شفيق المعلوف وصفا رهيبا للشيطان ، بقوله :

في فيـه من سقـر جذوة	منها يطير الشرر الثائـر
ووجهه جمجمة .. راعني	أنيابها والمحجر الغائر[٧]

وصفوة القول ـ في إيعاز الشياطين لبعض الشعراء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، ونسوا القبر والحساب ودار الجزاء أن الشيطان بوّق لهم فاجتمعوا ، وحاضر فأصاخوا .. ودعاهم فاستجابوا ، « واستخفهم فأطاعوا ، ووعدهم فصدقوا ، وسوّل لهم وضع التبعات على عاتقه ، ففعلوا ، ونصب لهم كمينا فسقوا ، واقترح فرددوا ، ونادى فهرعوا » .. كما يقول الأستاذ عبدالقادر العطار ، في كتاب له بعنوان : « علاقة الإنسان المخير ، والحيوان المسيّر ، والملائكة الأخيار والشياطين الأشرار » (ط سنة ١٩٧٧) ..

والشيطان لم يظهر لهؤلاء الشعراء بهيئته عيانا كما يزعمون ، وإنما قام بالسيطرة على عالمهم الباطنى ، حينما وجدهم لقيمات سائغة له ، وهيمنة الشيطان على فكر الإنسان لا تقتصر بالضرورة على نظم الشعر فحسب ، ولكنها تمتد وتتداح إلى شتى الوساوس الشريرة ، التى تحضُّ على الفجور ، والإيذاء ، والتفريط .. وقد حذّرنا المولى عز وجل من كيده ، بقوله عزّ من قائل : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[٨] .

وبالنسبة لنهاية هذه الآية الشريفة ، نورد قول إسماعيل صبرى فى حقيقة الذات الإلهية :

تعـالى الله لا يُدْ	رك كُنْـه الله إنسانٌ
أتنكـره .. وأنت عليـ	ـه ـ لو فكّرت ـ برهان ..

ومهما يكن من أمر ، فإن الشيطان لا يعرف طريقه إلى وَعْى الشاعر الباطنى ، إلا إذا عرف نقطة الضعف لدى هذا الشاعر ، وخاصة فى مجال الهجاء والقذع ، أو الغلوّ فى المدح ، أو التكالب على الحطام الفانى ، أو التطلع إلى الحرام بأى أشكاله .

ثم بعد : فإنه ينبغى أن نلفت فكر قرائنا إلى فريق من الشعراء أبوا أن يمثلوا لتأثير هذا الفكر الخبيث فالتزموا استقامة الطريق ، وفى قلوبهم وأسماعهم قوله ـ تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة ق

وفى مقدمة ذلك حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ شاعر الإسلام المنافح عنه ، وعن رسول الله ﷺ .

(٧) انظر القصيدة برمتها فى عدد مجلة الرسالة ـ السنة الأولى ـ رقم ١٣ الصادر فى ١٩٣٣/٧/١٥ ص٧ .

(٨) البقرة ١٦٨ ـ ١٦٩ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

تقدمت المجلة إلى قرائها الذين يشاركون فى تحرير هذا الباب بأن يتخيروا من الموضوعات ما يتسم منها بالطرافة والجدة، وما يحمل منها مضمونا فريدا فى بابه مما لا تتناوله المجلة وتقدمه بأقلام المختصين.

ونحن إذ نشكر الإخوة القراء الذين بادروا بإرسال مساهمات تتفق والنهج الذى نوهت إليه المجلة، نود أن يواصلوا الالتزام بذلك

محقق مصرى عالم الكثير

أرسل القارىء: بدوى طه بدوى
بنى سويف - ببلفيا
هذه الكلمة يقول فيها:

هو عالم أزهرى جليل ومحقق ومدقق أصيل، يعمل فى صمت بكل نشاط وجد، وتخرج أعماله ومؤلفاته وتحقيقاته للنور؛ لتعلّم العالم وتنشر فى مصر وخارجها، ويثنى عليها العلماء وينتفع بها الباحثون والدارسون ويقتنيها عامة المثقفين المسلمين فى مصر ولبنان والسعودية وغيرها إنه الأستاذ والمربى الفاضل الكاتب الإسلامى الكبير وشيخ المصححين المعاصرين فضيلة الأستاذ / طه عبد الرءوف سعد.

والأستاذ طه من كبار المحققين والمصححين ويعتبر على رأس الطبقة الثالثة من طبقات المصححين والمحققين التى تلى طبقة الأستاذ الدكتور / عبدالسلام هارون، وقد عمل الأستاذ طه معه فى التصحيح والتحقيق، وكذلك مع الأستاذ / محمد أبوالفضل إبراهيم، والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى، ومع الأستاذ عبدالعزيز

سيد الأهل ، ومع عمالقة التحقيق من الطراز الأول.

عرفه الناس من خلال مؤلفاته وتحقيقاته ، له أكثر من خمسين مؤلفاً في السيرة والعقيدة ، وله أكثر من مائة كتاب من تحقيقه تحقيقا قيما موثقا مع وضع الفهارس الشاملة لكل كتاب ، ومن أهم تحقيقاته التي طبعت في مصر وخارجها واشتهرت بين الناس والناشرين والمكتبات :

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط ـ بيروت ، مصر ـ دار الغد العربي ، الكليات الأزهرية مكتب القاهرة

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ط ـ دار الجيل بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) معظم كتب ابن القيم الجوزيه .

(٤) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للترمذى

(٥) قصص القرآن لابن كثير

تلك نبذة عن هذا العالم الجليل ، والمحقق الثقة ، وقد رأيت ـ كواحد من تلاميذه الفخورين بأساتذته ـ لزاماً عليَّ أن أعرف به ، وأن أقدم تلك اللمحة عنه للقراء .

حفظه الله وجزاه خير الجزاء لقاء ماقدم للإسلام وللمسلمين.

ألبانيا

وقد وردت هذه الرسالة من عضوين في المجلس الإسلامي بألبانيا هما : الشيخ سليم توتا

والشيخ / محمد جب الله .. ومما ورد بها :

قبل أن نعرض على سيادتكم اقتراحاتنا نرى من الضرورى أن نحيطكم بإيجاز عن الموقع التاريخى والجغرافى لألبانيا .

دولة ألبانيا تقع في قارة أوربا وبالتحديد في الجزء الجنوبى الشرقى منها ، في شبه جزيرة البلقان

تحيطها في الشمال والشرق يوجسلافيا السابقة ،ومن الجنوب اليونان ،والبحر الأدرياتيك من الغرب الذى يفصل ألبانيا عن إيطاليا. مساحتها ٢٨٠٠ كم مربع . وعدد سكانها ٤ ملايين نسمة ، منها ٣,٥ مليون مسلم . حتى سنة ١٩١٢ كانت ألبانيا جزءً من الدولة العثمانية. أما الحدود الحالية مرسومة في سنة ١٩١٣ من قبل الدول الأوربية الكبرى وقتئذ .

قسم الشعب الألبانى من جراء هذا الترسيم للحدود فبقى حوالى نصف الشعب والوطن خارج الحدود مثل : كوسوفا المقاطعة اليوجسلافية السابقة التى كانت تتمتع بحكم ذاتى ومساحتها ١١٠٠٠ كم مربع وعدد سكانها مليونان ، الجزء الغربى لجمهورية مقدونيا (وهى جمهورية يوجسلافية سابقة) المتاخم للحدود الشرقية لألبانيا ويسكنه حوالى مليون ألبانى مسلم ، وأخيرا جزء من جمهورية الجبل الأسود المؤلفة مع جمهورية الصرب ليوجسلافيا الحالية الجديدة .

وكما أوضحنا فهى الدولة الإسلامية الوحيدة في أوربا إذا ما استثنينا البوسنة والهرسك التى يسميها الأوربيون بوابة الإسلام إلى أوربا .

وكانت ألبانيا عامرة بالعلماء، ولكن مع مجىء الشيوعيين إلى السلطة وإقامتهم لنظام إلحادى

ديكتاتورى مستبد معاد لكل ما يمت للدين بأى صلة ، سجن علماء الدين كلهم وعذبوا كثيراً فى السجون .

ولم يبق من كل المدارس الإسلامية الكثيرة التى كانت منتشرة فى ألبانيا بعد الحرب العالمية الثانية غير المدرسة الإسلامية فى تيرانا العاصمة والتى استمر العمل فيها بعدد قليل من الطلاب لايتجاوز خمسين طالباً . وكان هذا حتى سنة ١٩٦٥ حيث هدمت هذه المدرسة وبعدها كثير من المساجد دمرت واغلقت غيرها .

وفى سنة ١٩٩١ بفضل الله ـ تبارك وتعالى ـ سقطت الشيوعية والإلحاد ، فتأسس بعد ذلك نظام ديموقراطى وأعطيت الحرية الكاملة للأديان والمعتقدات . ولكن الدولة تعانى من جراء تربع الشيوعيين ما يقرب من خمسين سنة على كرسى الحكم تعانى من فقر مدقع .

أسس خريجو المدارس الشرعية السابقون اتحاداً إسلامياً سمى المشيخة الإسلامية ، شيدو عشر مدارس إسلامية بمساعدات من دول إسلامية عديدة .

علماً بأن التعليم الدينى كان ممنوعاً إلى سنة ١٩٩١ مما أدى إلى عدم وجود أى خريج على صعيد ألبانيا كلها سواء من الأزهر الشريف أو من أى كلية إسلامية أخرى من أى بلد إسلامى .

حول شياطين الشعر فى الأدبين العربى والغربى

وكتب لنا الشيخ/ عادل عبدالبارى محمد إمام بوزارة الأوقاف :

اطلعت بشغف كبير على سلسلة المقالات التى نشرت أخيرا بمجلة الأزهر الغراء واستمتعت بالطرائف والوقائع التى اشتملت عليها هذه المقالات وحمدت للمجلة اهتمامها الكبير بتقديم الدراسات الأدبية والبحوث الشيقة الأخرى غير المسبوقة فى سائر المجلات العربية والإسلامية وهذا امتياز لمجلة الأزهر يذكر فيشكر ، وخاصة وقد قدمها لنا بإتقان واحتفاء يراع الشاعر أحمد مصطفى حافظ الذى أتابع إنتاجه الأدبى بمجلة الأزهر .. وتذكرت أثناء قراءاتى فى هذه المقالات أن مجلة الأزهر قد سبق أن تعرض أحد كتابها الفضلاء ، بالكتابة فى هذا الموضوع الطريف ، وإتماما للفائدة ، وحرصاً على إعادة نشر روائع المقالات التى نشرت فى الأزهر قديماً ، فإننى أود هنا التنويه بمقال نُشر منذ ثلاثين عاماً تقريباً بمجلة الأزهر « الجزء الثالث السنة الثامنة والثلاثون جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ ـ اغسطس ١٩٦٦ م » .

ففى هذا العدد الذى يحمل عنوان (من أثر العرب الأدبى على كتاب الحركة الرومانسيكية فى انجلترا) للدكتور محمد سمير عبدالحميد ، الذى أشار إلى موضوع تأثير الشيطان على الأذهان ، فقال فى المقال المذكور : « ومن أطرف الأشياء التى لاحظناها عند دراسة موضوع الشيطان ـ أن كثيرا من الكتاب والمؤرخين الانجليز أمثال إدوارد لنجتون ، دوروثى سكاربره ، وجيكوب جريم ،

وموريس رودن ، يؤيدون النظرية القائلة : بأن فكرة الشيطان كشخص يلعب دوراً هاماً فى هذه الحياة ، ويثبت وجوده دائما كعدو لدود للخالق ـ سبحانه وتعالى ، وللبشر أيضا ـ قد عرفت زمنا طويلا ، قبل مولد السيد المسيح ـ عليه السلام ـ لأن لها نظائر فى جميع الديانات القديمة ، التى ظهرت قبل اليهودية والنصرانية ، بألوف السنين .. وأهم هذه الأديان التى تثبت عداوة الشيطان للبشر هى : الديانة الإيرانية ..

وإليها يرجع ... إدخال مثل تلك العقائد فى الديانة المسيحية ، عن طريق سابقتها ، وهى الديانة الإسرائيلية .. وفى هذا الصدد يقول (رودن) فى كتابه : « الشيطان فى الأساطير والأدب » : « لقد عرف اليهود الشيطان ـ أول ما عرفوه ـ خلال فترة السبى ، التى قضوها فى بابل ، رعايا الملوك الزراد شتين ، حيث ألفوا شيطانا خاصا ، اختلط بشيطانهم الذى لم تكن له أى من الخصائص الشيطانية المألوفة فى العصور الوسطى .

ونجد أن شيطان اليهود ـ قبل تأثرهم بمعتقدات إيران ـ وأهمها التطاحن بين قوى الخير ممثلة فى (أروزدا) وقوى الشر ممثلة فى (أهرمان) لم يكن له أى شىء من خصائص وصفات الشيطان عند المسيحيين فى القرون الوسطى وما بعدها .

اقتبس اليهود بعد العودة (أى من الأسر) الأفكار المتعلقة بالشيطان ، وقصة الصراع بين قوى النور ، وقوى الظلام ، وعلى ذلك أعادوا النظر فى مدلول كلمة (الشيطان) وأضفوا على شخصيته جميع صفات أهرمان الإيرانى ، فأصبح ذلك الشيطان ـ الذى لم يكن يعنى قديما أكثر من مخاصم عادى يلعب دوراً خطيراً ، وهو دور العدو القوى المناوىء لسلطان الله ـ تعالى .

وأكثر من ذلك ازدحم العالم الخفى بالملائكة الكرام أعوان الحق .

وأخذوا يشنون حربا شعواء على قوى الشر والظلام ، وهى قوى إبليس وأعوانه البشر وضلاله ..

وهذا الصراع العنيف مُستمرّ بين تلك المملكتين ... سجالا ، ولكن فى النهاية سوف تنتصر قوى الخير عندما تُرسل العناية الالهية منقذا يهزم جيوش الشيطان ، ويحطّم مملكة الشر ـ وفى يوم القيامة والحشر ـ تجزى كل نفس ما قدمت ، ويلقى إبليس وأعوانه من الجن والبشر عذاباً أليماً فى نار جهنم وبئس القرار .

ومن هنا نشأت عند اليهود ثم المسيحيين فكرة المسيح وحربه مع الشيطان وجيوش الظلام ..

ولقد كان للدكتور لويس هيوز ميلز فضل كبير فى إماطة اللثام عما استمدته الديانة المسيحية فيما يختص بالأبلسة والصراع بين الخير والشر من الديانة الإيرانية القديمة ..

ونرجو أن نكون قد وفقنا بما أوردناه ، إلى إضافة زاوية أخرى على ما عالجه الأستاذ أحمد مصطفى حافظ من خلال زوايا مقالاته المتعددة فى هذا الموضوع .

والله من وراء القصد ،،،،

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تواصل المجلة اهتمامها بعرض الرسائل التى تتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقدير الأستاذين / عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

من نشاط فضيلة الإمام الأكبر :

شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى يرافقه السيد المستشار عبدالفتاح غلوش محافظ القليوبية ولفيف من المسئولين حفل وضع حجر أساس كلية الدراسات الإسلامية بمدينة الخانكة .

تقام الكلية على مساحة عشرة أفدنة ويقوم رجل الأعمال السيد حسن المتانى ببناء الكلية الجديدة على نفقته الخاصة .

قام فضيلة الإمام الأكبر بجولة تفقدية بمعاهد المحافظة رافقه خلالها السادة الذين حضروا وضع حجر أساس كلية الدراسات الإسلامية .

وفى ختام الزيارة شهد فضيلة الإمام الأكبر المؤتمر الذى عقد بالمحافظة وشهدته القيادات السياسية والشعبية والتنفيذية بالمحافظة ، وصرح فضيلته فى الكلمة التى ألقاها فى المؤتمر بأن هناك خطة طموحة للتوسع فى إنشاء المعاهد والكليات الأزهرية مشيراً إلى أن الأزهر يشجع دائماً الجهود الذاتية .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير / منصور العالم سفير باكستان بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث نتائج الزيارة التى قام بها فضيلته والوفد الذى رافقه خلال شهر جمادى الآخرة حيث أعرب السيد السفير عن سعادته وسعادة بلاده حكومة وشعباً لهذه الزيارة الفريدة .

كما وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لحضور الحفل السنوى الذى تقيمه جمعية أصدقاء الشاعر الباكستانى / محمد إقبال بالتعاون مع السفارة الباكستانية بالقاهرة وقد استجاب فضيلته لهذه الدعوة .

• قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بافتتاح المجمع الإسلامى بمنطقة حلوان الذى تبرعت بإقامته السيدة / هداية سلطان السالم رئيس الوفد النسائى الكويتى لخدمة المنطقة فى ٩ من رجب ١٤١٧هـ ٢٠ من نوفمبر سنة ١٩٩٦م .

شهد حفل الافتتاح الأستاذ الدكتور محمد على محجوب نائب دائرة حلوان والسيد وزير العدل والأوقاف الكويتى وعدد من المسئولين .

• قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بجولة تفقدية للمعاهد الأزهرية بشبرا الخيمة صباح يوم الأربعاء الموافق ٦ نوفمبر ١٩٩٦ رافقه فيها فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع

المعاهد الأزهرية وفضيلة مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية وفضيلة الشيخ عمر السطوهيى مدير عام العلاقات العامة والاعلام حيث قام فضيلته بزيارة المعهد الإعدادى الثانوى الأزهرى للبنين بشبرا الخيمة ومعهد الفتيات الإعدادى الثانوى بنفس المنطقة ، كذلك قام فضيلته بزيارة المعاهد الابتدائية الأزهرية بمجمع المعاهد ببهتيم - قليوبية .

وقد ناقش فضيلة الإمام الأكبر الطلاب والطالبات بالفصول الدراسية المختلفة بالمعاهد الأزهرية التى زارها فضيلته وتابع ما تم شرحه من المناهج الدراسية منذ بدء الدراسة وحتى الآن ، وقد وجههم فضيلته إلى أهمية حفظ القرآن الكريم وما يجنيه الطلاب والطالبات من ثمار هذا الحفظ مشدداً على ضرورة الإلتزام بما هو مقرر عليهم فى القرآن الكريم وما مضى من حفظ ، كما نصح فضيلته الطلبة والطالبات بالاجتهاد والمثابرة فى تحصيل دروسهم واليقظة والاستماع إلى شرح المعلمين ونصائحهم .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صاحب السمو الملكى / الأمير طلال بن عبدالعزيز آل سعود رئيس المجلس العربى للطفولة والوفد المرافق لسموه وذلك يوم ١٩٩٦/١٢/٢ دار الحديث خلال اللقاء حول التعاون بين الأزهر الشريف والمملكة العربية السعودية فى كافة المجالات خاصة الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية لما للأزهر من دور فعال بناء يؤديه علماؤه وبعثاته للعالم أجمع .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر وحمله إبلاغ تحياته وشكره لجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين وحكومة وشعب المملكة العربية السعودية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد الرئيس / ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين والوفد المرافق لسيادته ٢١ رجب ١٤١٧هـ وذلك يوم ١٩٩٦/١٢/٢م .

تناول الحديث خلال اللقاء دور مصر البناء بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فى مساندة شعب وحكومة فلسطين حتى ينال كافة حقوقه المشروعة .

كذلك تناول الحديث دور الأزهر الشريف البارز فى العالم أجمع وموقفه من قضية القدس الشريف والسلام وما يقدمه من مساعدات ومنح دراسية لطلاب دولة فلسطين للدراسة بالأزهر الشريف وإمداده للجامعة الإسلامية ومعهد غزة فرع جامعة الأزهر بالعلماء والأساتذة والمناهج الدراسية .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على زيارته للأزهر مؤكداً وقوفه بعلمائه وطلابه وجميع العاملين فيه بجانب الحق ودعم القضية الفلسطينية حتى ينال الشعب الفلسطينى كافة حقوقه المشروعة وتحرير القدس الشريف .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور محمد ضيف شرار وزير العدل والأوقاف والشئون الإسلامية الكويتى والوفد المرافق لسيادته ، حيث رحب فضيلته بالضيف وصحبه الكرام .

وقد نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الكويت : أميراً وحكومة وشعباً .

وفى نهاية اللقاء وجه الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف لزيارة دولة الكويت فى الوقت المناسب لفضيلتيهما .

وقد حمله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تحياته وعلماء الأزهر إلى سمو أمير البلاد متمنيا لسموه وحكومته وشعبه الرقى والتقدم .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه سعادة السفيرة ماريان نون سفيرة دولة سويسرا بالقاهرة يوم ١٩٩٦/١١/٢ .

تم خلال اللقاء بحث فكرة عقد المؤتمر السنوى الذى تقيمه جامعة لوزان بسويسرا لقيادات الأديان خلال الربيع القادم وذلك لتنشيط حركة السلام فى العالم أجمع وأكدت سيادتها على ضرورة أن يحضره الأزهر الشريف لما له من دور فعال فى العالم أجمع .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بهذا اللقاء الهام لخدمة عملية السلام لما فيه من أمن ورخاء .

● كذلك استقبل فضيلته معالى السيد محمد حسن طنطاوى محافظ الفيوم وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة عودته إلى أرض الوطن سالما قادما من رحلته لدولتى الهند وباكستان .

الموسم الثقافى للأزهر :

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الموسم الثقافى الذى تنظمه مشيخة الأزهر وذلك فى تمام الساعة الثامنة مساء يوم الثلاثـــاء الموافـــق ١٩٩٦/١٢/٣ ، وقد ألقى فضيلته محاضرة عن « المعاملات فى الإسلام » .

يقام الموسم الثقافى بقاعة الإمام الشيخ / محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف وسوف تتوالى المحاضرات لكبار العلماء والمفكرين الإسلاميين .

ويشارك فى الموسم الثقافى فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بمحاضرة بعنوان (الإسلام دين الحضارة) وذلك يوم الثلاثـــاء ٢٩ رجب ١٤١٧هـ الموافـــق ١٩٩٦/١٢/١٠ فى الساعة الثامنة مساء .

كما يلقى فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى جمهورية مصر العربية محاضرة عنوانها (منهج الإسلام فى بناء المجتمع وإقرار السلام) يوم الثلاثاء ٦ شعبان ١٤١٧هـ ١٩٩٦/١٢/١٧ الساعة الثامنة مساء كما يلقى الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف محاضرة عن (دعوة الإسلام إلى الوحدة) وذلك يوم الثلاثاء ١٣ شعبان ١٤١٧هـ ١٩٩٦/١٢/٢٤ الساعة الثامنة مساءً .

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه د. حسين رمزى كاظم محافظ الشرقية والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بوضع حجر الأساس لمشروع « دار المدينة المنورة » لرعاية الأيتام بمدينة العاشر من رمضان . وذلك يوم ١٢ من رجب ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/١١/٢٣ .

يشمل المشروع إقامة مبنيين للأيتام يستوعبان نحو (٢٣٢) يتيما ، ومدرستين ستكون الدراسة فيها تحت إشراف الأزهر الشريف ورعايته ـ بمشيئة الله تعالى ، بلغت التكلفة الإجمالية لهذا المشروع ١٣ ألف جنيه كلهما تبرعات من أهل الخير .

حضر وضع حجر الأساس المهندس سعيد

محمد وهبه رئيس مجلس إدارة مدينة العاشر من رمضان ورئيس مجلس مؤسسة المدينة المنورة الخيرية للبر والخدمات الاجتماعية ولفيف من قيادات محافظة الشرقية والأجهزة السياسية والشعبية والتنفيذية .

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة لمحافظة المنوفية بعد ظهر يوم الأحد ٢٩ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ١٩٩٦/١١/١٠ وقد استقبله فور وصوله السيد المستشار عدلى حسين محافظ المنوفية والسيد المستشار محمد عبدالرحيم نافع محافظ دمياط السابق والقيادات السياسية والشعبية .

وقد توجه فضيلة الإمام الأكبر ومرافقوه إلى قرية صراوة ـ مركز أشمون منوفية حيث قام بافتتاح معهد صراوة الابتدائى المتطور ، كذلك افتتح فضيلته معهد الفتيات الإعدادى .

ثم قام فضيلته بوضع حجر الأساس للمعهد الإعدادى الثانوى للبنين ومعهد القراءات الأزهرى علما بأن هذا الصرح العلمى أقيم على مساحة ١٥٠٠م٢ تبرعت بها عائلة علام بقرية صراوة كما بلغت التكاليف المالية قرابة المليون جنيه وبالجهود الذاتية وعلى نفقة رجل الأعمال الأستاذ/ محمد رجب .

شهد فضيلة الإمام الأكبر اللقاء الشعبى الذى عقد بالمحافظة وحضره فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود عضو مجمع البحوث الإسلامية والمستشار عبدالرحيم نافع محافظ دمياط السابق وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ومدير عام منطقة المنوفية الأزهرية ومدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر ولفيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف والقيادات السياسية والشعبية والتنفيذية بالمحافظة .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر محاضرة عن « ثواب المنفقين فى سبيل الله » . دعا فيها فضيلته أهل الخير ورجال الأعمال المصريين لبناء معاهد للقراءات فى جميع محافظات مصر مشيراً إلى الحاجة الماسة لهذه المعاهد لسد العجز فى المحافظتين وللحفاظ على علوم القرآن ، وامتدح فضيلته الدور الذى يقوم به رجال الأعمال فى إنشاء المعاهد الأزهرية فى القرى والمدن بمختلف محافظات مصر .

● قام فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف بزيارة لمحافظة الدقهلية يرافقه معالى وزير العدل والأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت السيد محمد ضيف الله شرار حيث قاما بافتتاح المعهد النموذجى الإعدادى الثانوى بمدينة المنصورة يوم ١٩٩٦/١١/٢٣ .

قام ببناء المعهد على نفقته بيت الزكاة الكويتى وذلك بتكلفة إجمالية تبلغ نحو المليون جنيه .

شهد حفل الافتتاح القيادات السياسية والتنفيذية والشعبية بمحافظة الدقهلية ولفيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف .

من ناحية أخرى قام فضيلة الشيخ محمد صبحى دياب مدير عام منطقة الدقهلية الأزهرية بافتتاح معهد البلامون الثانوى الأزهرى للبنين ، يضم المعهد ثمانية عشر فصلا دراسياً ، ويخدم طلاب الأزهر بمدينة السنبلاوين والمركز القروى بالبلامون .

تم بناء المعهد بالجهود الذاتية وتبرعات الأهالى التى بلغت ٣٥٠ ألف جنيه .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد بشير

تونس

أكد الرئيس حسني مبارك أنه لن يكون هناك استقرار في منطقة الشرق الأوسط إذا لم تحل قضيته حلا عادلا وشاملا طبقاً لمبدأ : الأرض مقابل السلام .

وقال سيادته في المؤتمر الصحفي المشترك الذى عقده يوم الثلاثاء ٢٢ من رجب الماضي مع الرئيس التونسي عقب محادثاتهما في قصر السعادة بالمرسا : إن مصر معنية بتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة . مشيراً إلى أن مصر لا يمكنها السكوت إزاء التصريحات الاستفزازية الإسرائيلية الكثيرة حول اتفاقيات السلام .

وأكد الرئيس ضرورة التزام إسرائيل واحترامها للاتفاقيات التي وقعتها ، وأعرب عن عدم جدوى التلويح بالحرب من آن لآخر ، وطالب بالعمل من أجل السلام الذى يعد المطلب الأول لشعوب المنطقة وأضاف أن الدور الأمريكي هو الدور الرئيسي ، وأن الدور الأوروبي مكمل ومساعد له .

وكان الرئيس قد وصل إلى تونس قادما من ليبيا بعد زيارة دامت يومين لطرابلس التقى فيها بالزعيم الليبي .

الكويت

أكدت الكويت أن انسحاب إسرائيل من مرتفعات الجولان السورية المحتلة هو محك الاختبار لصدق نيات إسرائيل في رغبتها في السلام الدائم والمتكافىء .

جاء ذلك في بيان مندوب الكويت أمام الدورة الحادية والخمسين للأمم المتحدة ، وأضاف : أن الكويت تدعم موقف لبنان المتمثل في ضرورة انسحاب إسرائيل من الشريط الحدودى المحتل في الجنوب تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ وذلك دون قيد أو شرط ، وأكد أن إسرائيل تضع العراقيل في وجه السلام لتوسيع المستوطنات في كل من الضفة وغـزة ومرتفعـات الجولان والقدس .

كذلك أكد نائب مندوب دولة الإمارات العربية المتحدة في الجمعية العامة أن الإمارات تعتبر سياسة الاستيطان المتواصلة في الأراضي العربية المحتلة باطلة ومرفوضة ، وذلك لانتهاكها اتفاقية جنيف الرابعة لحقوق الإنسان وطالب إسرائيل بالانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة منذ حوالى ثلاثين سنة .

هذا وقد أكد رئيس مجلس التعاون الخليجى أن الموقف المتعنت من إسرائيل إزاء عملية السلام كان وراء قيام دولة قطر بإيقاف عملية التطبيع مع إسرائيل .

الريـــاض

عقد رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محادثات مع الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية وقال التلفاز السعودى : إن عرفات أطلع العاهل السعودى على عملية السلام مع إسرائيل ، وعلى التطورات الأخيرة العربيـــة والدولية ، والتقى ياسر عرفات يوم الأربعاء ٢٣ رجب الماضى بمسئولين من كل من منظمة المؤتمر الإسلامى ، و مصرف التنمية الإسلامى حول الموقف فى بلاده وكان عرفات قد تحدث فى ذات الشهر مع زعماء كل من مصر وقطر والإمارات .

الجامعة العربية

عقدت بمقر الجامعة العربية أعمال الدورة الرابعة والستين لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية على مستوى وزراء الاقتصاد برئاسة وزير الاقتصاد السورى .

وصرح أمين عام المجلس المذكور بأنه سيتم مناقشة أسس تنشيط وإنعاش السوق العربية المشتركة وإقرار الآليات والأساليب اللازمة لذلك لتطوير الاقتصاد العربى ، وأضاف أنه من المتوقع أن تودع فلسطين وثائق انضمامها إلى اتفاقية السوق العربية المشتركة لتكون ثامن دولة عربية تنضم إلى هذه الاتفاقية .

القـــاهرة

أكد وزير الخارجية عمرو موسى أن العقبات مازالت قائمة أمام السلام فى الشرق الأوسط ، وقال ـ عقب لقائه فى لشبونه مع رئيس وزراء إسرائيل على هامش مؤتمر الأمن والتعاون فى أوربا قال : إن تحسن العلاقات بين مصر وإسرائيل مرتبط بمجرى الأحداث مؤكداً أنه يجب القيام بأعمال ملموسة لتحسين الوضع على الأرض .

وحول تصريحات نتان ياهو عن المفاوضات بين سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى وإسرائيل بشأن إعادة إنتشار الجيش الإسرائيلى فى الخليل قال سيادته :

إن أى إنجاز فى هذه المحادثات لم يظهر والمهم أن أى إتفاق لم يبرم بعد ، وأضاف قائلا : إن هناك مسائل يجب تجاوزها للتوصل إلى إبرام اتفاق مقبول من كلا الجانبين .

البوســـنة

شارك وزير الخارجية المصرى فى المؤتمر الدولى من أجل البوسنه الذى عقد فى العاصمة البريطانية الشهر الماضى ودام يومين ، وناقش فيه وزراء خمسين دولة وممثلون عن ١٤ منظمة دولية إجراءات تنفيذ « اتفاق ديتون » الخاص بإحلال السلام فى الجمهوريـــة المسلمـــة كما نوقشت الاتفاقيات الاقتصادية الخاصة بمشروعات إعادة إعمار البوسنة .

Le Prophète -b.s.- a dit: "Celui qui prend part à l'homicide d'un Musulman - même par une demi parole - rencontrera son Seigneur le Jour Dernier en ayant ceci inscrit sur son front: "Privé de la miséricorde d'Allah".

«Hadith rapporté par Abu-Horaira.»

Il a dit aussi: "Si les habitants des cieux et de la terre se rassemblent pour tuer un croyant, Allah les fera tous entrer en Enfer".

«Hadith rapporté par Abu Horaira.»

Il a dit également: "Celui qui s'approrie injustement d'un empan de terre d'un Musulman, verra cet empan - le Jour Dernier - encercler son cou avec une chaîne allongée jusqu'à la septième profondeur terrestre".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Enfin, "Celui qui brandit son arme contre nous n'appartient pas à notre communauté".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslem.»

une médisance; mais si cela n'est point, c'est une colomnie abominable".

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

La médisance est un pêché très grave; quant au fait de ne pas défendre son frère, c'est aussi un grave pêché, car celui qui se tait est complice car il approuve ce qu'il a entendu. Au sujet de la médisance le Prophète -b.s.- dit: "Il n'y a point de Musulman qui ne trahisse un autre Musulman dont la dignité est bafouée, sans qu'Allah ne l'abandon ne dans une situation où il brûle d'être soutenu. D'autre part, il n'y a point de Musulman qui ne secourt un autre dans une circonstance où l'on porte atteinte à son honneur et à sa dignité, sans qu'Allah ne le soutienne lorsqu'il désire lui-même être défendu".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Il a dit également: "Celui qui défend l'honneur de son frère, Allah l'écarte du feu de l'Enfer, le Jour de la Résurrection".

«Hadith rapporté par Al-Termizie.»

Cette fraternité dans l'amour d'Allah exige la sauvegarde du frère, de son honneur, de ses biens et interdit de le médire, de le voler, de le trahir, de le menacer, de ne pas satisfaire sa demande - si l'on en a la possibilité - et de lui porter conseil.

Il est formellement prohibé à un Musulman de porter atteinte à tout ce qui touche un autre Musulman, à savoir: son sang, ses biens et son honneur. Le Prophète -b.s.- a dit: "Il n'est point autorisé à personne de terroriser un Musulman".

«Hadith rapporté par Abu-Daoud.»

Il a dit aussi: "Celui qui effraye un croyant, Allah a promis de l'alarmer par les terreurs du Jour Dernier".

«Hadith rapporté par Al-Tabarany.»

Nos pieux ancêtres ont dit également: "Celui qui lance un regard malveillant à son frère Musulman - sans raison valable. Allah se chargera de le terroriser le Jour du Jugement Dernier".

-- Apprends alors, lui dit l'ange, qu'Allah m'a envoyé pour te dire qu'Allah t'aime parce que tu aimes ce frère pour lui, et qu'il t'a promis le Paradis".

«Hadith rapporté par Moslem.»

Même le simulacre de l'amour est demandé, le Prophète -b.s.- dit: "Voulez-vous que je vous indique un acte, si vous le faites vous vous aimerez mutuellement?". Les compagnons répondirent: volontiers. Il dit: "Offrez-vous des cadeaux et vous gagnerez l'amour des autres".

«Hadith rapporté par Abu-Horaira.»

Aussi, le Prophète -b.s.- ordonna de saluer les Musulmans connus ou inconnus, il a dit à ce sujet: "Lorsque deux Musulmans se rencontrent, et que l'un d'entre eux commence par saluer, Allah fait descendre sur eux cent parts de Miséricorde, quatre vingt dix neuf parts pour celui qui a commencé par adresser le salut et une seule part pour celui qui le rend".

«Hadith rapporté par Abu-Horaira.»

L'amour des saints hommes et la recherche de leur compagnie sont un profit pour celui qui les observe, non seulement, en ce monde mais encore dans celui de l'au-delà. Dans ce monde, il profite de leur enseignement et suit leur exemple; s'il invoque Allah ils l'appuient, s'il oublie ils lui rafraîchissement la mémoire. Il a été dit: l'homme est semblable à celui qu'il prend pour compagnon. Le Prophète -b.s.- a dit: "Dans la vie future, l'homme sera avec celui qu'il aura aimé".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

La fraternité dans l'amour d'Allah obéit à des obligations dont la plus importante est sa défense contre toute médisance même si ce qui est dit est vrai. Le Prophète -b.s.- dit un jour à ses compagnons: "Savez-vous ce qu'est la médisance?" Allah et Son Prophète sont mieux renseignés que nous, répondirent-ils. "La médisance, dit le Prophète -b.s.-, c'est le fait de dire de votre frère ce qu'il déteste entendre. "Mais si ce que nous disons de lui est vrai? demandèrent les compagnons. "Si ce que vous dites de lui est vrai, dit le Prophète -b.s.-, c'est

La Fraternité dans l'amour d'Allah

-- 2 --

par Hoda Hussein Chaâraoui

Bien que la fraternisation en Allah amène une grande rétribution, toutefois aisée à réaliser. Le Musulman s'en acquitte par soumission à son Seigneur, en quête de Sa grâce. Il aime son frère par amour pour Allah; il est sincère avec lui, lui porte conseil, le préfère à lui-même, le défend contre toute médisance, lui rend visite quand il tombe malade et implore Allah en sa faveur. Tous ces actes ne lui coûtent rien; pourtant ils font régner la cordialité et l'entente entre les êtres... On raconte qu'un homme était chez le Prophète -b.s.- lorsqu'il vit un autre homme passer, il dit au Prophète: Ô Prophète, j'aime cet homme! Le Prophète -b.s.- lui répondit: "Va et informe le de cela". L'homme alla le rejoindre et lui dit: "Je t'aime par amour pour Allah, l'autre lui répondit: moi aussi, je t'aime pour la même raison".

«Hadith rapporté par Anas (Abu-Daoud).»

Le Prophète -b.s.- dit ans: "Quand l'un de vous aime son frere il doit le lui dire".

«Hadith rapporté par Al-Termizie.»

Il a dit encore: "Un homme alla rendre visite à un ami.

Allah lui posta en chemin un ange qui lui demanda : "où vas-tu?"

-- Je vais rendre visite à un tel, mon frère, dit-il.

-- Pour lui demander un service?

-- Non, répondit l'homme.

-- Est-ce qu'un lien de parenté te lie à lui?

-- Non, répondit-il.

-- Vas-tu le voir pour un bienfait rendu?

-- Rien de cela, dit l'homme.

-- Pourquoi alors vas-tu le voir?

-- Parce que je l'aime à cause d'Allah, dit-il.

Cet arbre décrit par le Prophète (b.s.) : *"comme enveloppé d'une couverture d'or"*.

Là le Prophète (b.s.) reçut trois dons: les cinq prières canoniques, la Révélation des derniers versets de la Sourate "La Vache" et l'absolution pour quiconque ne donne point d'associé à Allah (à condition qu'il appartienne à la communauté musulmane et qu'il n'ait point commis de péchés majeurs)"[19]

Il ne faut point oublier toutefois que ce Voyage et cette Ascension Nocturnes du Prophète ont pour but de certifier par un miracle la Toute-puissance divine mais aussi le Message de Mohammad (b.s.).

En choisissant ce Prophète, élu parmi tous les prophètes, Allah a voulu lui montrer matériellement les châtiments divins mais aussi le paradis promis aux croyants.

Ajoutons à cela que le but ultime de cette ascension fut d'imposer à la communauté musulmane les prières prescrites.

(١٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما أسري برسول الله انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ، قال (إذ يغشى السدرة ما يغشى) ، قال فراش من ذهب ، قال فأعطي رسول الله ثلاثا : أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات (الذنوب الكبائر التي تقحم أصحابها بالنار) .
صحيح مسلم : باب الايمان (باب انتهاء النبي إلى سدرة المنتهى في الاسراء) ص ٢٨ .

Il existe en outre plusieurs Hadiths authentiques qui en font foi et qui montrent que le Prophète n'a jamais rapporté que ce qui lui était commandé :

Dans un Hadith recueilli par l'Imam Ahmad Ibn Hanbal on rapporte que le Prophète a dit : *"Je ne dis que la vérité"*[15] **ou encore :**

"Ecris. Je jure par Celui dont ma vie est entre les mains que je ne prononce que la vérité"[16]

Dans un Hadith tiré de Sahih Moslem la vision béatifique de la Lumière divine est décrite comme une lueur aveuglante :

"Allah est caché par un écran de lumière. Si cet écran venait à disparaître, les rayons émanant de la face divine brûleraient tout à perte de vue."[17]

Au sujet de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement on trouve le Hadith suivant qui rapporte ces paroles du Prophète Mohammad (b.s.) *"Je fus emporté jusqu'à l'Arbre Lotus de L'Aboutissement: il était couvert de couleurs indescriptibles. Ensuite je fus introduit au Paradis: là je vis des cordes de perles tressées et du musc recouvrant le sol."*[18]

"Au cours de son voyage, le Prophète atteignit. "L'Arbre Lotus de L'Aboutissement qui se trouve au sixième ciel. C'est là la limite fixée aussi bien pour ceux dont les âmes remontent de la Terre après la mort, que pour ceux qui descendent des cieux. Le Prophète cita alors: *[Au moment où l'Arbre était enveloppé par ce qui le couvrait].*

---

(١٥) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب (الشورى) « لا أقول إلا حقا » أخرجه الإمام أحمد ـ مختصر تفسير ابن كثير (المجلد الثالث) .

(١٦) « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق » (أخرجه أحمد وأبو داود) .

(١٧) عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله بخمس كلمات فقال : « إن الله لا ينام » ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . مختصر صحيح مسلم ص ٣١ (باب في رؤية الله) (م ١٦١/١٢) .

(١٨) « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » ففرض الله على أمتي خمسين صلاة .. ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي ؟ ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل (وفي رواية : جنابذ) اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك . مختصر صحيح البخاري ص ١٠٠ (كتاب الصلاة) (ابن شهاب) .

Par ailleurs, le onzième verset de la Sourate "L'Etoile" où l'on trouve :

[Le coeur n'a point menti au sujet de ce qu'il a vu][11] a amené les glossateurs à se demander si Mohammad (b.s.) a vu Allah, tout comme Moïse Lui a parlé.

Or dans un Hadith où Abou Therr demandait au Prophète (b.s.) s'il avait vu Allah Mohammad (b.s.) répondit: *"j'ai vu une Lumière"*.

D'autre part, on rapporte dans un autre Hadith que l'épouse du Prophète, Aïcha, a dit: *"Celui qui t'a dit que Mohamed a vu son Seigneur t'a menti et elle a cité les versets suivants: [Les regards des hommes ne l'atteignent pas mais il scrute les regard]*[12].

Sourate "les Troupeaux" (v. 103)[13]

Ajoutons à cela, ce verset tiré de la Sourate "La Délibération" (v. 51) :

[Il n'a pas été donné à un mortel qu'Allah lui parle si ce n'est pas inspiration ou derrière un voile].

Sourate "La Délibération" (v. 51)[14]

Cet écran fut en effet la lumière éblouissant que le Prophète (b.s.) vit sur l'Arbre Lotus qui était comme voilé par un écran lumineux et qui lui apparut couvert sur chaque feuille d'anges chantant les louanges d'Allah. Cet arbre situé au septième ciel est la dernière étape que franchit l'âme de celui qui quitte la terre; c'est pourquoi il porte le nom de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

D'ailleurs, la sincérité du Prophète Mohammad (b.s.) ne fait point de doute. Bien avant la Révélation du Message, il avait été surnommé par les siens "le sincère et le probe".

---

(١١) « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ » سورة النجم (آية ١١) .

(١٢) « من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت :

لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » سورة الأنعام آية ١٠٣ .

13. Autre traduction: Les yeux des humains ne peuvent l'atteindre mais Lui voit tout.

14. وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ (سورة الشورى) ﴿٥١﴾

Et il révéla à son serviteur[8] (ce qu'il lui révéla)

Sourate l'Etoile (v. 1 à 10)

Les versets 5 à 10 de cette Sourate font allusion aux deux fois où le Prophète a vu Gibril sous son aspect véritable: la première fois, à la demande de Mohammad (b.s.) au début du Message (il a bloqué l'horizon avec ses six cents ailes) et la seconde fois durant l'Ascension nocturne près de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

Le texte divin certifie ainsi que le Prophète Mohammad (b.s.) était en pleine possession de sa raison, qu'il a dit la vérité et qu'il n'est point un égaré qui divague[9].

Allah nous apprend ainsi que le Prophète (b.s.) a fait part d'une Révélation et qu'il n'a fait que rapporter fidèlement ce qu'Allah lui a donné l'autorisation de dire. Ceci est confirmé par les versets suivants dans lesquels Allah fait serment sur la véracité de toutes les paroles de Mohammad (b.s.).

[Je jure par ce que vous voyez
et par ce que vous ne voyez pas:
c'est là, en vérité, la parole d'un noble Prophète:
ce n'est pas la parole d'un poète;
- votre foi est hésitante -
ce n'est pas la parole d'un devin;
- comme vous réfléchissez peu -
c'est une Révélation du Seigneur des mondes!
S'il nous avait attribué quelques paroles mensongères ...][10]

Sourate "Celle qui doit venir" (v. 38 à 44)

---

(٨) وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
سورة النجم

(٩) ما زاغ البصر : ما ذهب يمينا ولا شمالا
وما طغى : ما جاوز ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطي .

(١٠) فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾
فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

سورة الحاقة (آية ٣٨ إلى ٤٧).

Dans le commentaire du premier verset de la Sourate "Le Voyage Nocturne", les exégètes se sont fondés sur les faits suivants pour affirmer que le Prophète (b.s.) a effectué ce voyage avec son corps et que ce n'était point un songe:. En voici les preuves :

- **La glorification, d'Allah au début du verset certifie qu'il s'agit là d'un miracle (un rêve ne nécessite pas de preuves à l'appui) et que le Prophète a été transporté grâce à un pouvoir surnaturel (emploi de la voix passive)[6]**

- **D'autre part si c'était l'âme seule, et non le corps, qui s'était déplacée le Prophète n'aurait pas eu besoin de monture.**
- **Allah a certifié que c'était pour lui faire voir[7] des signes: Il est question de la vue du Prophète. Or la vue est l'un des cinq sens et elle exige l'usage d'un organe (l'oeil) faisant partie du corps humain.**

On peut donc en conclure que ce voyage a été effectué matériellement par le Prophète (b.s.)

Les commentaires de la Sourate "l'Eloile" viennent éclairer davantage ce Voyage Nocturne en précisant le but de ce voyage et de cette ascension.

[Par l'étoile lorsqu'elle disparaît !
Votre compagnon n'est pas égaré;
Il n'est pas dans l'erreur
il ne parle pas sous l'empire de la passion.
C'est seulement une Révélation qui lui a été inspirée.
Le Puissant, le Fort la lui a fait connaître.
Celui qui possède la force s'est tenu en majesté.
Alors qu'il se trouvait à l'horizon suprême :
Puis il s'approcha et demeura suspendu.
Il était à une distance de deux portées d'arc - ou moins encore.

---

6. [Celui qui a fait voyager de nuit son serviteur]. « الذي أسرى بعبده »
7. [Pour lui montrer certains de nos signes]. « لنريه من آياتنا »

Allah venant ainsi en aide à Son Envoyé voulait démontrer le bien-fondé des dires du Prophète devant les incrédules.

Or, on ne doit point s'étonner que le Prophète Mohammad (b.s.) ait parcouru cette distance en si peu de temps. A notre époque, et grâce aux découvertes de la science, les hommes ont réussi à parcourir de très grandes distances en un temps très court. A l'époque de Mohammad (b.s.) cela semblait incroyable.

Ce n'est là qu'un des signes de la Toute-puissance divine.

Ajoutons à cela que s'il s'agissait d'un songe personne n'aurait eu lieu de s'en étonner; mais le Prophète (b.s.) a donné à ses contemporains des témoignages qui prouvent qu'il a effectivement et physiquement accompli ce voyage (Al Isrâ) de la Mecque à Jérusalem (la caravane rencontrée sur la route et le chameau égaré, la description du Temple, ... etc.).

Selon, un savant éminent, le Cheikh Châ'rawi[4], ces preuves données par Mohammad (b.s.) et vérifiées par les faits n'étaient qu'un préambule pour convaincre les contemporains du Prophète du récit de l'Ascension (Al Mi'rag) qui devait leur paraître encore plus extraordinaire. En effet, une fois que les hommes sont convaincus que, par Sa toute-Puissance, Allah a donné à son Prophète le moyen de se libérer des limites spatiales et temporelles. Il peut, de la même manière, l'élever à des hauteurs jamais atteintes et inaccessibles à tout être vivant.

Dans son commentaire de la Sourate "Le Voyage Nocturne", le Cheikh Châ'rawi nous dit :

"Lorsque le Coran a évoqué le récit du Isrâ, il l'a fait explicitement, mais lorsqu'il parle du Mi'rag il le fait "implicitement" (i.e. conformément aux preuves préalablement données pour Al Isrâ.[5]

---

4. Considéré comme l'un des plus éminents exégètes et glossateurs du Coran à l'époque actuelle.

(٥) « والقرآن حين تعرض لحديث الإسراء تعرض له صراحة ... وعندما تحدث عن المعراج تعرض له كما يقولون التزاما » الشيخ الشعراوي في الأخبار ١٣/١٠/١٩٨٩ م .

"Le Voyage et l'Ascension nocturnes du Prophète Mohammad (b.s.)"

par Dr. Rokeya Gabr

La seule ascension au royaume d'outre-tombe qui eut lieu en réalité est celle du Prophète Mohammad (b.s.) Elle est certifée par le Coran[1] et confirmée par les Hadiths dont les chaînes de transmission ont été vérifiées par les traditionalistes.

Que les récits et les légendes forgées par l'imagination des poètes et des écrivains à partir du Mirag de Mohammad (b.s.) aient pu s'inspirer de légendes antérieures, cela est fort possible. Mais ce n'est point là un argument sur lequel on peut se fonder pour nier que le voyage et l'ascension de Mohammad (b.s.) ont eu lieu réellement comme nous allons le démontrer avec des preuves à l'appui.

Tout d'abord, la véracité des paroles du Prophète (b.s.) ne fait point de doute pour un Musulman, d'autant plus qu'elle a été vérifiée comme nous allons le prouver :

Aux Koraïchites[2] qui restaient sceptiques devant le récit du Prophète (à cette époque il était inconcevable qu'en une nuit on pût faire le voyage aller -retour de la Mecque à Jérusalem), l'Imam Ahmed Ibn Hanbal nous rapporte le Hadith suivant: Selon lui, le Prophète Mohammad (b.s.) a dit: "*Lorsque les Koraichites me démentirent au sujet de mon voyage à Jérusalem, je suis allé au Hijr de Ismail, alors Allah présenta à ma vue le temple et je me mis à le leur décrire tel qu'il se présentait devant mes yeux*[3]

1. Rappelons que le Coran est le Verbe Incarné, c'est la Parole de Dieu immuable et conservée intégralement jusqu'à l'éternité.
2. Noble tribu de la Mecque.

(٣) « لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

REVUE AL-AZHAR

Vol. 69 Part VIII

Shaaban 1417 H. December 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammed OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Ibn Zaid Ibn Haritha, to investigate the cities of Albalqa'a and Aldaroom of Palestine. But the prophet (PBUH) died before he could achieve this task. As soon as Abu Bakr became the caliph, he ordered the same squadron to fulfil the task which had been appointed by the prophet (PBUH). It was only three years after the prophet's death, that the Muslim forces were able to regain Damascus from the Romans, and they had already commenced the downfall of the Roman sovereignty over Egypt and North Africa.

In short, it can be said that the Tabook battle had powed the way for the coming of the great epach of the well known Arab conquests through which the Arabs were able to rule and govern vast areas to the east and west of the Arabian Peninsula and they were even, able to reach Europe which, at that time, had been living in its dark ages.

ding the proposed tactics of each specific battle. But as for the battle of Tabook against the Romans, the prophet (PBUH) had ordered the Muslims openly to fully prepare themselves in order to take part in the battle.

Within the time which had been determined by the prophet, the Muslims managed to complete their preparations and assemble the greatest army, nearly 70,000 militants, the Arabian peninsula had ever seen. The army held been enthusiastic to defend its monotheistic doctrine regardless of the huge force of the Roman army, the magnitude of the distance to be marched, the unsufficiency of the supplies and the roughness of the roads which they had to cross. Each camel was shared, during the march, among 10 militants, one hour of riding was allowed for each of them. The only food supplies were composed of dates and barely, each one of the warriors was given only a few dates.

After a 15-day march, the Muslims reached Tabook, in an attempt to challenge the greatest army the world had ever known at that time. However, there was no confortation between the two armies, because the Romans retreated to the north after they had been informed of the massive Muslim army.

In the meantime the prophet (PBUH) had established a peace settlement with a number of the Arab christian tribes. Then, the Muslim returned to Medina after they had been able to frighten off both the Roman army and the Arab christian tribes who were their supporters. Later on, after the prophet (PBUH) settled in Medina one by one these tribes began to declare their believe in Islam.

The prophet's successful challenge against the Roman Empire was a turning point in the history of Islam. It had raised the marale of the Arab Nation in the face of its enemies, no matter how powerful they were. After they had been afraid of a Roman attack against their lands, they became eager to attack the Romans in their own lands.

This great challenge had been the first step towards the Roman colonies in Damascus, Egypt and North Africa in order to regain them for the Arab Nation. During the same year of his death, the prophet (PBUH) had ordered a squadron, under the leadership of Usama

Though there prophet (PBUH) was seeking revenge, yet he urged his army to fight only the enemies of Allah, and not to kill hermits, women, children and aged people. The prophet (PBUH) also urged the militants neither to cut off trees, nor to demolish houses. This battle, due to the Romans' support to the Arab Christian tribes, ended in the tactical withdrawal of the Muslims. During this battle, the Muslims had learned a lot of new military experiences, concerning organization, weaponary, war tactics, consequently they had become more experienced to fight the Romans during the battle that followed.

In fact, one of those who had received letters from the prophet (PBUH) was Hercules the Roman Caesar. On receiving the letter, Hercules consulted with the tyrannical Roman ruling class concerning it, and all of them were unanimous in refusing to take it into consideration.

This meant that the Romans had decided to oppose the doctrine of the Oneness of Allah after they had been able to defeat the Persians. The Romans, in fact, had already decided to attack the Muslims after they had come to realise that the Arab Christian tribes alone did not have sufficient strength to undertake such a task. Moreover, the Romans had been very disappointed when they had disconvered that a lot of Arab Christians had declared the faith in Islam under the protection of the prophet (PBUH).

Blinded with hatred and alarmed by the thought of losing their undisputed soverignty over their colonies, the Romans had incited the Christian tribes of Lakhm, Juzam and Ghassan to make their preparations to march against the city of Islamic Revolution in order to prevent the Islamic doctrine from spreading into Syria.

On being informed of the Roman military preparations, the prophet (PBUH) ordered the Muslim to prepare themselves for a fierce confrontation with the Romans. Muslims started to get ready for this decisive battle during the nineth year of Hijra after defeating paganism in Mecca and the Jews at Khaibar and after establishing a secure Islamic society along the whole length of the Arabian Peninsula right up to the borders of Damascus and Iraq.

It was the prophet's custom to attempt to mislead his enemies, before any battle against them, by spreading false information regar-



the Muslims' Caravans on their way to Damascus, in order to satisfy the idolaters who had been their allies. The prophet, at that time, had been greatly patient and tolerant with these Christian tribes hoping that one day they would come to their mind, free themselves from subordination to the Romans, and return to their Arab Nation and restore they loyalty to it.

Going too far in their provoking attacks against the Muslims' caravans, the prophet feared that the continuous attacks against the Muslims would lead to the invasion of Medina so he had decided to stop this tyrany.

During the fifth year of Hijra, the prophet (PBUH) had been informed that a group of Arabs, in a placed called (Dawmat Al Jundul) had been attacking Muslims travelling through that area, moreover, they had been intending to attack Medina. So, 1000 militants under the leadership of the prophet (PBUH), set out on an expedition against this group of Arabs. On being informed of the Muslims' campaign, the Arabs at (Dawmat Al Jundul)scattered immediately before the Muslims could get hold of them.

During the six year of Hijra, the battle of Hudaybiyya took place, and, thereafter the road became completely secure against the Qureish. In the meantime, the prophet (PBUH) had started to send his envoys to the different Kings, emperors and rulers of the surrounding nations urging them to believe in the Oneness of Allah. Among those who had received letters from the prophet (PBUH) were the ruler of Damascus Al-Harith Al Ghassani, on behalf of the Roman Ceasar, and the King of Busra, both of whom were Christian Arabs. However, the ruler of Damascus had thrown away the prophet's letter and the King of Busra had not received the prophet's letter because the ruler of Mu'ta had captured the prophet' envoy and killed him. At that time the prophet had no other choice except teaching these Christian tribes an unforgettable lesson like that which he taught the Jews who were driven out of the lands of the Arabs because of their tyrany and treachery.

During the eighth year of Hijra, the prophet (PBUH) ordered an army of 3000 militants under the leadership of Zaid Bin Haritha to move towads Busra to exact revenge for the murder of his envoy.

who had exploited the people and used them to satisfy their personal interests. Moreover, their is also a well-known established fact that the Muslims had not enforced or compelled the Jews or the Christians to belive in Islam because this would contradict the freedom of belief propagated by Islam.

The first direct relationship between Muslims and the "Formal" Christianity took place when the Muslims emigrated to Ethiopia to save themselves from the tyrannical idolaters of Mecca. These Muslims had been treated with humanity by the Negus of Ethiopia who was a Christian.

At that time, the information concerning the prophet (PBUH) and his new promising religion had been penetrated into the Roman Empire. The Romans had been informed of the conflicts between Muslims and the idolaters, the attitude of Islam regarding the beliefs of the Jews and the Christians, the evacuation of the Jews of Bani Quyanqa'a and Bani Al Nadheer from the Arab lands, the defeat of the Jews of Bani Qurayza; and the readiness of the Muslims to launch a military compaign against the Christian Arab tribes who had been attacking the Muslims' caravans at the borders of Damascus. However, the Roman Empire had remained immobile in the face of the Islamic Revolution which had been marching in the Arab desert. In fact, the Romans had been compelled to neglect the Islamic Revolution, for the time being, under the pressure of the defeat which had been inflicted upon them by the Persians.

In 614 A.D. Khausrah, the King of the Persians, succeeded in defeating the Roman army, thus occupying Damascus, Antakia and Jerusalem, also the Persians occupied Egypt in 619 A.D. But in 628 A.D. Hercules the ceasar of the Romans launched a counter attack against the Persians and regained all the lands which had been occupied by them. However, the defeat of the Romans had occured, nearly, between the fifth year after Revelation and the Hudaybiyya peace treaty which took place 19 years after the Revelation.

Henceforth, int eh absence of the defeated Roman Empire, Arab Christian tribes along the northern borders had taken on the responsibility of opposing the Islamic Revolution since the Muslims had emigrated to Medina. In addition, these Christian tribes had attacked

by they worldly pleasures and their greed for wealth. Like the Jewish Rabbis, the Christian priests tried, whenever possible, to tarnish the image of Islam and undermine it.

In short, it can be said that neither Judaism nor Christianity, after they had been Changed and altered by the Rabbis and the priests, had been able to provide humanity with a perfect form of monotheism, and it was not until the Revelation of Islam that humanity was given this perfect form of monotheism.

Since the beginning of the Revelation, Islam could not but confront the false doctrines such as Judaism and Christianity which had overrun the Arabian peninsula. During this confrontation, Islam had aimed at restricting these conflicts, against the other doctrines, to the sphere of controversial debate. But the Jews had refused from the very beginning to believe that Allah had sent to the people an Arab prophet though they had been informed, in advance in the Torah, that Muhammad (PBUH) is the prophet of Allah.

Henceforth, since the advent of Islam, the Jews had declared themselves to be the enemies of Islam and the prophet, and had also violated their treaties with the prophet (PBUH). This antagonistic attitude against Islam, therefore, resulted in the transformation of the conflicts from the level of intellecutal debate into war against the Muslims. Consequently the Muslims were forced to respond to their challenge by a challenge in the same language, lasting until they had succeeded in destroying the Jews and driving them out of the Arabian lands.

As it did with the Jews, Islam had followed the same controversial debate with the Christians, doing its best to draw their attention to the errors which had been committed by their priests concerning monotheism which had been declared by Jesus Christ. Therefore, since its onset, Islam tried to refute all the prevailing fallicies with an abundance of proof. The prophet (PBUH), as well, had urged the Arab Christians to believe in the Oneness of Allah by means of using intellectual measures.

In fact, Islam had touched the hearts of a great number of Christians who adopted it after they had been convinced that it was monotheistic doctrine, freed from the tyrannical authority of the priests

9. The Creat Battles of Islam Tabook : The First Challenge Against The Western World

By : Nahed M. Wasfi Ph.D

Since the beginning of the Revelation, Islam had constantly urged the people to believe in the Oneness of Allah Who is Eternal and Everlasting. Islam, since its advent, has been universal in its nature as it has taught both the Muslims and all other people that, all the religions sent by Allah are similar in all times and places, moreover, the teaching of all religions refer to the essence of reality; which is the Oneness of Allah and the performance of righteousness. This reality has been the message of all the prophets who came prior to Muhammad (P.B.U.H). Henceforth, Islam, since the very beginning, has always tried to affirm one clear fact, that there is not any kind of conflict between it and any of the prior religions, Judaism and Christianity.

In spite of this quite evident reality, i.e. there are no essential basic conflicts between the essence of all religions, yet the Christian Priests and the Jewish Rabbis had done their best to distort the image of Islam to satisfy their self interested and wicked desires.

When Islam emerged, it has found that the former religions, Judaism and Christianity, had deviated from the right path. The priests and Rabbis, who were responsible for safeguarding their religions, have only had the desire to accumulate wealth and to satisfy their thirst for sovereignty and worldly pleasures.

The Jewish Rabbis had played a great role in maring the image of Judaism by deliberately misinterpreting its principles. Such deviations from the essence of their religion and the misleading falsehood which have therefore resulted from the false interpretation of the Torah, had been committed by the Rabbis to satisfy their mean wicked ends. These Rabbis had distarted and changed the real text of the Torah.

Christianity, in fact, has not been more fortunate than Judaism for it had been distarted and mared by the priests who were obsessed

The caller to Islam is expected to persevere and stand fast in the face of difficulties. His belief in the truth of his message and its strength should be his source of patience and persistence. knowing that he depends on Allah, should provide him with an inner strength irrespective of the materialistic means .

The preacher must have a depth of understanding of the teachings of Islam. He should fully comprehend the spirit as well as the laws of the religion and do that base on the original sources : The Quran, the Sunnah, and other responsible reliable Islamic origins. That would provide him with a clear picture of Islam, its laws objectives, etc. If he understands it well, then he can communicate it to the people. This requires having special, well-planned programs and institutions to prepare the preacher from his early stages of development. He would thus be able to contribute to the course of Da'wa. However, he should always remember that no matter how knowledgeable he may be, he should never stop seeking a better understanding .

For the preacher, to be effective in delivering his message to is listeners, his knowledge should not be one of limited scope, rather it should be wide, varied and deep at the same time. At all times, he should remember that no matter how well he understands what his teacher explained, his teacher will still have a more global view of the issues, a deeper more concrete understanding by virtue of his experience. The Holy Quran provides the most fundamental methodology of Da'wa .

"Invite all to the way of Allah with wisdom and beautifiul preaching. And argue with them in ways that are best most gracious. For Allah knoweth best who has strayed from His path. And those who accept guidance. (Surat Al-Nahl, XVI, 125) .

Allah, honestly accurately and sincerely. Even though, he was human, he cleansed himself from all personal ambitions, aspirations and inclinations or longing for life's temptations. He thus excelled as a human being by controlling his human desires .

Undertaking Da'wa does not by itself make the preacher a better person. What makes a person better suited for Da'wa is his abundance of patience, true belief, sacrifice and persistence. He does not have nor is he expected to have super human qualities to have super human qualities to foretell the future, forgive sins, control people's livelihood, etc ... If a preacher behaves as though he possesses those powers then his Da'wa is false and so is he. The best we could do as humans is to control our desires and instincts and not fall for life's temptations. The advancement we achieve this way is internal and we are rewarded for it as humans .

The preacher should literally live his Da'wa since he will be viewed as an example or model of what he is preaching. He has to have tremendous inner strength to control his behaviour, beliefs and actions so he can be an accurate reflection of the message. The preacher takes it upon himself to stand in support of sincere believers and not be on the side of those fighting the call to Islam, following thier own desires and closing their ears and hearts to the message of,Allah .

The preacher's approach should be one of befriending the sincere believers, forgiving their minor insensitivities. A preacher who follows that route strengthens his beliefs and ensures that he does not end up forcing his message on someone but rather have them embrace it willingly .

The responsibility of Da'wa is not an easy one to undertake. Da'wa path is full of obstacles and requires endurance, persistence and patience.



The objective of Da'wa is to bring guidance to the whole of mankind, that is why the preacher should not get angry whatever obstacles he may encounter. Da'wa is for everybody, not only for the believers. Islam worries about all people, about the integrity of society as a whole and about the security, prosperity and happiness of all mankind .

Muhammad ibn Abdullah, the last Messenger of Allah, spent his entire life inviting people to the truth, i.e. the Deen of Allah. His method was simple. It consisted of presenting cogent arguments with compassion and wisdom, without giving offense to anyone and without getting involved in irrelevant debates. The Holy prophet, did not seek himself a position of leadership or prestige or special honour or wealth. Instead, he trusted the human intellect and expected the human mind. Not once in his entire life can anyone find a single instance or hint of his method of force or threat. Instead, he believed in the freedom of choice and in the acceptance of truth.

By his personal example and through his teachings, the prophet exhorted his followers to appeal to the inner goodness and sense of truth and honour in the individual to persuade him to the right path. This approach makes Islam and invitation to Islam or dawa free of all constraints-constrains of time, place, race, colour or creed .

The Our'an clearly specifies what constitutes Dawa. Dawa in Islam is to proclaim Islam as the religion of Allah. The Our'an is the book of Allah; and the Message of Islam of for all mankind and forever .

The individual undertaking the responsiiblity of Da'wa is first and foremost a human being. Being a preacher does not change that human nature. The Prophet himself the model for Da'wa, declared he was a mere mortal, a human being undertaking to deliver a Message from

loyalty and demostrates his strength and his wilingness to procedd with his Da'wa despite any difficulties or challenges he may encounter .

Anyone who undertakes Da'wa must accept criticism with open-mindedness. The loyal, trustworthy preacher is required to accept criticism from opponents and scoffers and must respond to them politely with strong and convincing arguments and point out to them the truth and the soundness of Da'wa. If opposition increases and the discussion gets out of hand, the best thing to do is not to fight but to cut it short and leave because Da'wa should not deviate from wisdom, exhortation and polite discussion. To avoid any suspicion of direct or indirect coercion, the preacher should not associate with those who stubbornly oppose the truth of Da'wa. Avoiding those who oppose the truth is an expression of dissatisfaction but it leaves the door open to those who want to reconsider and accept the truth once they have thought about it and have been convinced by it .

Anyone who undertakes Da'wa must confront evil with good. The Message of Islam includes rules to improve and refine human behaviour; so if it is rejected or reviled, the preacher must remain benevolent and considerate: He must confront evil with kindness because Islam does not repel evil with evil, stubornness with recalcitrance or falsification with fallacy. The discussion must always remain courteous and the dialogue rational .

The preacher must not get tired to repeat his call to the truth. He must emphasize the fact that Allah forgives sins and overlooks the pasr, and he must warn of the terrible consequences of a continual rejection of the truth. By giving hope to people that they will be forgiven, by giving them confidence in Allah's mercy, the preacher can soften the most cruel hearts and encourage the most desperate .



bringing material or leadership. It is not a profession bringing material or spiritual profits to the one who exercises it. It is just preaching values and ideals for the sake of Allah. None of Allah's Messengers, peace be upon them, asked for material rewards for transmitting their message and fulfilling their mission. They believed Allah would reward them in the hereafter and gave an example of absolute selflessness and devotion .

Da'wa is pacific. The call to Islam is based on peace. Islam does not ask its followers to fight oppenents of Da'wa just because they reject Islam. Allah allowed believers to fight only to repel an aggression in order to allow Moslems to worship and lead their life according to the principles of their religion. Moslems are not supposed to fight to conquer, expand, oppress, exploit or rob people out of their wealth .

The call to Islam means peace in the literal as well as the figurative sense and whoever wants to spread the word must behave accordingly, showing faith and love but also courtesy, compassion and kindness. Da'wa is gentle in its ways and means .

The message of Islam must be presented with honesty. The transmission of the Islamic message requires honesty and trustworthiness, nothing has to be added to it or omitted, nothing must be concealed or falsified. The preacher must show his conviction and his faith in what he is preaching and at the same time emphasize the fact that the message is a Divine Message and that he is only transmitting it. This is a difficult test for preacher and only those who are absolutely honest can pass it. He must show that truth is indivisible and that Islam does not accept half-baked solution. All the principles of Islam are based on the belief in the oneness of Allah. To be loyal to the values and principles of Islam, the faith of the believers must be based on conviction and choice. To insist on the truth and present it candidly shows the preacher's honesty and

DA'WA IN ISLAM

By : Dr. Tawfik M. Shahin

Da'wa is the call of Islam to ALLAH, the call to the highest ideals of mankind. So, anyone who undertakes Da'wa must be totally devoted to truth and reality. He must avoid any embellishment or ingratiation. Anyone who undertakes Da'wa must consider it as a general invitation extended to every human being whether he is close to him or far removed. He must not discriminate against any group of people. He must be tolerant and avoid anger or hate even towards those who reject the Da'wa .

Anyone who calls to Islam must do it without exercising any undue pressure or coercion because Da'wa is the call to ideals such as peace, non-aggression, respect of the dignity of man and his basic rights. Whoever accepts guidance does it for the good of his own soul and whoever strays harms himself. people must accept Da'wa of their own free will and be allowed to use their right to choose to agree to it or reject it. This is the way to preach Islam, using the best arguments without forcing anybody and without deviating from the truth .

Da'wa is an expression of faith and love. It is an objective in itself and not a means of gaining wealth or leadership. It is not a profession

AL-AZHAR MAGAZINE

Shaaban 1417 H.



ENGLISH SECTION

Vol. 69 Part-VIII

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"*Praise be to Allah,*
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

٣٢٢٢٦٤ع



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

● المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين.

هل نصحب الملائكة كما تصحبنا ...؟

إنه ليس أكرم صحبة للمؤمن من بعد هذا الكتاب الكريم .. من بعد هذا القرآن، من صحبة الملائكة .. ملائكة الرحمة، وبخاصة في رمضان.

فهم رحمة أبدا، إن رأوا من مؤمن خيرا شهدوا، فكانوا خير الشاهدين، وإن رأوه مستغفرا من زلة شاركوه، فكانوا أطيب المستغفرين، وإن دعوا ربهم من أجله أجيبوا، فإنهم أخشع الضارعين.

إنهم كرام أبدا، لأنهم خير أبدا.

فأين منا يكونون .. ؟

وماذا نفعل ليصحبون .. ؟

في الحق ما تركت الشريعة طريقا إليهم إلا هدتنا إليه، فذكره القرآن الكريم، وبسطته السنة الشريفة.

ثم هم يطلبون المؤمن قبل أن يطلبهم ، ويسعون إليه قبل أن يقصدهم ؛ لأنهم كرام باذلون . يصحبون المؤمن حارسين ، ويلقونه – لإخلاصه – مبشرين ، ويجدون من أجله مستغفرين ، ويسعون إليه – لورعه – ملهمين .

وإن لهم من الطيبات للمؤمنين ما يفوق الحراسة والاستغفار ، والبشرى والإلهام .. وعلم ذلك عند الله ربي ... رب الخلق رب الكرام .



هؤلاء الملائكة الرحماء يصحبوننا جماعات ، ويصحبوننا أفراداً :

فمنهم الجماعة الطوافون : يذرعون الأرض طولا وعرضا ، فإذا وجدوا جماعة مؤمنة جلست لخير التفوا بها ، فالتفت بهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، ثم صعدوا بنبئهم إلى ربهم – وهو بهم أعلم – شاهدين مستغفرين .

ومنهم الجماعة تلزم المسجد ، وبخاصة مقدمته حيث الإمام ، والصفوف الأولى ، وأوتاد المساجد ، وليس الأوتاد – هنا – أعمدة المساجد ، بل رجال يحرصون على عمارتها ، حبب إلى كل منهم المسجد فلزموه عند كل صلاة فحظوا بصحبة خاصة لفريق من الملائكة يفتقدونهم إن غابوا ، ويعودونهم إن مرضوا ويعينونهم إن احتاجوا .روى أبو هريرة قال . قال رسول الله ﷺ :

« إن للمساجد أوتاداً ، الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا يفتقدونهم[1] ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم » رواه أحمد .

وتصحبنا كراماً ... أفراداً :

فما من مؤمن خلا بأرض فأدركته الصلاة فصلى – أو زاد فأذن وصلى إلا صلى وراءه جمع من الملائكة لا يحصيهم إلا الله – تبارك وتعالى – روى سلمان الفارسي – رضي الله تعالى عنه – عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال :

« إذا كان الرجل في أرض فيء فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان ، فإن أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة ما لا يراه طرفاه : يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ويؤمنون على دعائه[2] » .

ويلزم الملك من هؤلاء الرحماء مؤمنا – أو مؤمنة – أوى إلى فراشه فقرأ شيئا من كتاب الله – عز وجل – حتى يهب من نومه ، ومصداق ذلك قوله ﷺ : « ما من رجل يأوي إلى فراشه

(١) كذا – بإبطال – عمل إن – وهو وارد لغة بأكثر من شاهد صحيح .

(٢) موطأ مالك بحاشية الزرقاني ١/١٥٣ .

فيقرأ سورة من كتاب الله ـ عز وجل ـ إلا بعث الله ـ عز وجل ـ إليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى يهب »[3] .

وهم مع كل مؤمن يمارس طاعة خالصة لوجهه ـ تعالى ـ مبشرين :

« أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، هذه خديجة قد أتتك بإناء ... فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولانصب »[4] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال :

« خرج رجلٌ يزور أخاً له في الله ـ عز وجل ـ في قرية أخرى ، فأرصد الله ـ عز وجل ـ بمدرجته ـ مَلكاً ، فلما مرّ به ، قال : أين تريد .. ؟ قال : أريد فلانا .. قال : لقرابة .. ؟ قال : لا . قال : فلنعمة له عندك تَرُبُّها .. ؟ [أي لفائدة تريد أن تستفيدها .. ؟] قال : لا . قال : فلِمَ تأتيه .. ؟ قال : إني أحبه في الله .

قال [الملك] : « فإني رسول الله إليك : أنه ـ أي الله ـ عز وجل ـ يحبك بحبك إياه فيه »[5] .

ثم هم مع من يصلي على رسول الله ﷺ النبي الأمين الكريم رحمة الله ـ تعالى ـ للعالمين .

وهم ـ بعد ـ ملهمون للورعين :

فمن الناس من يسعى للمنصب الوجيه حبا فيما يحوطه من أضواء وشهرة ، ومن الناس من يفر منه فراره من خطر مقيم،ومن ذلك منصب القضاء ـ مثلا ـ الذي يقول رسول الله ﷺ فيه : « مَنْ وَلِيَ القضاء ، أو جعل قاضيا بين الناس فقد ذُبح بغير سكين »[6] .

لكن لأولئك الورعين مخرجا فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام .

« من سأل القضاء [أي سعى بطلبه حتى حصّله] وُكِلَ إلى نفسه ، ومن أُجْبِرَ عليه يُنْزِل الله عليه ملكا فيسدده »[7] .

أي فيكون ـ بذلك ـ موفقا عادلا .

●●●

وبعــد :

ليس ذلك كل ما لأولئك الملائكة من فعال . فإن أفعال الكرام فيض فوق الحصر ، لكنهم ـ على أي حال ـ في مواطن الخير دائما . نسأل المولى ـ عز وجل ـ أن يجعل تلك المواطن لنا صراطا لازما .

إنه سميع مجيب قريب .

د. علي أحمد الخطيب

(3) مسند أحمد 4/125 .
(4) مسند أحمد 2/231 .
(5) مسند أحمد 2/292 .
(6) سنن الترمذي 3/605 .
(7) سنن الترمذي 3/605 .

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – تعالى – :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
(٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
(٣٢) قَالَ يَٰـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

بعد أن عدد القرآن مساوىء أولئك الضالين ، وبين سوء مصيرهم ومآلهم وجه إليهم الإنكار والتوبيخ فخاطبهم بهذا القول الكريم :

﴿ كَيْفَ ﴾ اسم استفهام للسؤال عن الأحوال ، وليس المراد به هنا استعلام المخاطبين عن حال كفرهم ، وإنما المراد منه معنى تكثر تأديته فى صورة الاستفهام وهو الإنكار والتوبيخ ، كما تقول لشخص : كيف تؤذى أباك وقد رباك ؟ ، لا تقصد إلا أن تنكر عليه أذيته لأبيه وتوبيخه عليها .

وفى الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى الخطاب ، لزيادة تقريعهم والتعجب من أحوالهم الغريبة ، لأنهم معهم ما يدعو إلى الإيمان ومع ذلك فهم منصرفون إلى الكفر .

وقوله ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ جار مجرى التنبيه على أن كفرهم ناشىء عن جهل وعدم تأمل فى أدلة الإيمان القائمة أمام أعينهم .

والأموات : جمع ميت بمعنى المعدوم . والإحياء : بمعنى الخلق .

والمعنى : كيف تكفرون بالله وحالكم أنكم كنتم معدومين فخلقكم ، وأخرجكم إلى الوجود كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ .

سورة الإنسان ــ آية : ١

ويصح أن يفسر الأموات بمعنى فاقدى الحياة . والإحياء بنفخ الروح فيهم فيكون المعنى : وكنتم أمواتا يوم استقراركم نطفا فى الأرحام إلى تمام الأطوار بعدها ، فنفخ فيكم الأرواح ، وأصبحتم فى طور إحساس وحركة وتفكير وبيان .

وبعد أن وبخهم على كفرهم بمن أخرجهم من الموت إلى الحياة ، أورد جملا لاستيفاء الأطوار التى ينتقل فيها الإنسان من مبدأ الحياة إلى مقره الخالد فى دار نعيم أو عذاب فقال : ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ بقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يبعثكم بعد الموت ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

أى تصيرون إليه دون سواه ، فيجمعكم فى المحشر ، ويتولى حسابكم ، والحكم فى أمركم بمقتضى عدله :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

سورة الزلزلة ــ آية : ٧ ، ٨

أما الإماتة فهم يشاهدونها بأعينهم بين الحين والحين ، وأما البعث فقد أخبر الله عنه بما يدل على صحته وينفى استبعاده ، أو استحالته ، بأدلة عقلية ونقلية كثيرة ، أما الأدلة العقلية ، فمنها : أن الذى قدر على إحيائهم من العدم ، قادر على إحيائهم وإعادتهم بعد موتهم فإن الإعادة أهون من البدء دائما ، وأما الأدلة النقلية ، فمنها قوله ــ تعالى ــ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

سورة المؤمنون ـ ١٥ ، ١٦

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٨

ترهيب لمن ينزع إلى الشر ، ويرتكب المعاصي من غير مبالاة ، وترغيب لمن يقبل على فعل الخير ، ويقدم على الطاعات .

قال الجمل : « والفاء فى قوله : ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ على بابها من التعقيب ، وثم على بابها من التراخى ، لأن المراد بالموت الأول ، العدم السابق ، وبالحياة الأولى الخلق ، وبالموت الثانى الموت المعهود ، وبالحياة الثانية الحياة للبعث فجاءت الفاء وثم على بابيهما من التعقيب والتراخى ، على هذا التفسير وهو أحسن الأقوال ، ويعزى لابن عباس وابن مسعود ومجاهد ، والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن البعث »[1] .

وبعد أن ذكر ـ سبحانه ـ ما يشهد بقدرته ووحدانيته عن طريق الأدلة المتعلقة بذوات المكلفين ، أردف ذلك بالكلام عن الأدلة الكونية فقال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٩

أى : أنه خلق جميع ما فى الأرض من نحو الحيوان والنبات والمعادن والجبال من أجلكم ، فهو المنعم عليكم لتنتفعوا بها فى دنياكم ، وتستعينوا بها على طاعته .

وقد أخذ العلماء من هذه الآية شاهدا على أن الأشياء التى فيها منافع مأذون فيها حتى يقوم دليل على حرمتها .

ثم استدل ـ سبحانه ـ على مظاهر قدرته بخلق السموات فقال :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . سورة البقرة ـ آية : ٢٩

استوى إلى السماء : أقبل وعمد إليها بإرادته ، وتسويتها معناه : تعديل خلقها وتقويمه . والسماء ليس المراد منها فردا من أفراد السموات ، وإنما المراد منها الأجرام العلوية الشاملة لجميع السموات ، فصح أن يعود عليها ضمير جمع الإناث فى قوله : ﴿ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ ، وكذلك علماء البيان يزيدون أن اللفظ إذا أريد منه جنس ما وضع له صار فى معنى الجمع .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص ٣٥ .

فمعنى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ علا إليها وارتفع ، من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه ، مع كال التنزيه عن سمات المحدثات ، وقد سئل الإمام مالك عن الاستواء على العرش فقال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

وقدم الأرض هنا لأنها أدل لشدة الملابسة والمباشرة .

وجملة ﴿ ثم استوى ﴾ معطوفة على جملة (خلق لكم) ، وكان العطف بثم لعظم خلق السماء عن خلق الأرض .

وعبر بسواهن للإشعار بأنه ــ سبحانه ــ خلقهن فى استقامة ، واستقامة الخلق هى انتظامه على وجه لا خلل فيه ولا اضطراب ، قال ــ تعالى ــ :

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ .

سورة الملك ــ آية : ٣

وجملة :

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

سورة البقرة ــ آية : ٢٩

مقررة لما ذكر قبلها من خلق السموات والأرض وما فيهما على هذه الصورة الحكيمة ، فقد دلت على أن ترتيب أجزاء تلك المصنوعات وموافقة جميعها للمنافع المقصودة منها ، إنما حدث عن عالم بحقائق تلك الأجزاء وخواصها ، ولإحاطته بكل شىء علما وضع كل جزء فى موضعه اللائق به .

وبعد أن بين سبحانه للناس أنه قد من عليهم بنعمة خلقه ما فى الأرض جميعا ، بدأ بعد ذلك يذكرهم بنعمة أخرى هى نعمة خلقه لأبيهم آدم ، وخلق آدم مبدأ لخلق ذريته ، وتكريمه موصول بتكريمهم فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ
ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم
بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

سورة البقرة

ففي هذه الآيات الكريمة عطف ـ سبحانه ـ قصة خلق آدم أبي البشر على قصة خلق الأنفس وخلق السماوات والأرض انتقالا في الاستدلال على أن الله واحد ، وجمعا بين تعدد الأدلة وبين مختلف الحوادث وأصلها ، حتى يكون التدليل أجمع ، والإيمان بالله أقوى وأثبت .

وإذ وإذا ظرفان للزمان ، الأول للماضي والثاني للمستقبل ، فإن جاء إذ مع المضارع أفاد الماضي كقوله :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ...... ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٣٧

وإن جاء إذا مع الماضي أفاد الاستقبال كقوله :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ .

سورة النصر ـ آية : ١

وإذ هنا واقعة موقع المفعول به لعامل مقدر دل عليه المقام .

والمعنى : واذكر يا محمد وقت أن قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .

وقد جاء هذا المقدر هنا مصرحا به في آيات أخرى كما قال تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٦٩

والملائكة جمع ملك . والتاء لتأنيث الجمع ، وأصله ملأك ، من ملك ، نحو شمال من شمل ، والهمزة زائدة وهو مقلوب مالك ، وقيل : إن ملاك من لأك إذا أرسل ، ومنه الألوكة ، أي : الرسالة .

والملائكة ، هم جند من خلق الله ، ركز الله فيهم العقل والفهم ، وفطرهم على الطاعة ، وأقدرهم على التشكيل بأشكال مختلفة ، وعلى الأعمال العظيمة الشاقة ، ووصفهم في القرآن بأوصاف كثيرة منها أنهم .

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ٢٠

وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ومنها : أنهم رسل الله أرسلهم بأمره ، ومنهم رسل الوحي إلى من اصطفاهم من خلقه للنبوة والرسالة . قال ـ تعالى :

﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ .

سورة فاطر ـ آية : ١

وقال ـ تعالى :

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ .

سورة الحج ـ آية : ٧٥

وقال ـ تعالى :

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ٢

و (الخليفة) من يخلف غيره وينوب منابه ، فهو فعيل بمعنى فاعل .

والتاء فيه للمبالغة ، والمراد به آدم ـ عليه السلام ـ لأنه كان خليفة من الله في الأرض ، وكذلك سائر الأنبياء استخلفهم الله ـ تعالى ـ في عمارة الأرض ، وسياسة الناس ، وتكميل نفوسهم ، وإجراء أحكامه عليهم ، وتنفيذ أوامره فيهم . وقيل : آدم وذريته ، لأنه يخلف بعضهم بعضا في عمارة الأرض ، واستغنى بذكره عن ذكر ذريته لكونه الأصل .

وخطاب الله لملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة ، ليس المقصود منه المشورة ، وإنما خاطبهم بذلك من أجل ما ترتب عليه من سؤالهم عن وجه الحكمة من هذه الخلافة ، وما أجيبوا به من بعد ، أو من أجل تعليم العباد المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصائحهم وإن كان هو ـ سبحانه ـ بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة . أو الحكمة تعظيم شأن المجعول ، وإظهار فضله ، بأن بشر بوجود سكان ملكوته ، ونوه بعظيم شأن المجعول بذكره في الملأ الأعلى قبل إيجاده ، ولقبه بالخليفة .

ثم حكى ـ سبحانه ـ إجابة الملائكة فقال :

﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

الفساد : الخروج عن الاعتدال والاستقامة ويضاده الصلاح ، يقال فسد الشيء فسادا وفسودا وأفسده غيره .

والسفك : الصب والإهراق ، يقال : سفكت الدم والدمع سفكا ـ من باب ضرب ـ صببته . والفاعل سافك وسفاك ، والمراد به حصول التقاتل بين أفراد بني الإنسان ظلما وعدوانا .

والتسبيح : مشتق من السبح وهو المر السريع في الماء أو في الهواء ، فالمسبح مسرع في تنزيه الله وتبرئته من السوء .

والتقديس : التطهير والتعظيم ووصفه بما يليق به من صفات الكمال .

فيكون التسبيح نفى مالا يليق ، والتقديس إثبات ما يليق ، وقدم التسبيح على التقديس من باب تقديم التخلية على التحلية .

والمعنى : أتجعل فى الأرض يا إلهنا من يفسد فيها ويريق الدماء والحال أننا نحن ننزهك عما لا يليق بعظمتك ، تنزيها متلبسا بحمدك والثناء عليك ، ونطهر ذكرك عما لا يليق بك تعظيما لك وتمجيدا .

وقولهم :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا .. ﴾ الخ

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

إنما صدر منهم على وجه استطلاع الحكمة فى خلق نوع من الكائنات يصدر منه الإفساد فى الأرض وسفك الدماء ، وقطعهم بحكمة الله فى كل ما يفعل لا ينافى تعجبهم من بعض أفعاله ، لأن التعجب يصدر عن خفاء سبب الفعل ، فمن تعجب من فعل شىء وأحب الاطلاع على الحكمة الباعثة على فعله لا يعد منكرا .

والملائكة لا يعلمون الغيب ، فلا بد أن يكونوا قد علموا ماذا سيكون من الفساد فى الأرض وسفك الدماء بوجه من الوجوه التى يطلع الله بها على غيبه بعض المصطفين الأخيار من خلقه .

قال الإمام ابن كثير فى توضيح هذا المعنى : قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . سورة البقرة ـ آية : ٣٠

أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية ، فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون ، أو فهموا من الخليفة أنه الذى يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ، ويردعهم عن المحارم والمآثم .. وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبنى آدم كما قد يتوهمه البعض ... وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك ، يقولون ياربنا ما الحكمة فى خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد فى الأرض ، ويسفك الدماء فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، ولا يصدر منا شىء من ذلك فهلا وقع الاقتصار علينا ؟ [(1)] .

وقد رد الله ـ تعالى ـ على الملائكة بقوله :

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٦٩ .

أى : إنى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هذا الصنف على المفاسد التى ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم ، فإنى سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملون والمحبون له ـ تعالى ـ المتبعون رسله .

فالجملة الكريمة إرشاد لهم إلى الأمر الذى من شأنه أن يقف بهم عند حدود الأدب اللائق بمقام الخالق ـ عز وجل ـ وتنبيه إلى أنه ـ تعالى ـ عالم بما لا يحيط به علم أحد من خلقه ، فله أن يفعل ما يشاء ويأمر بما يشاء .

وليس من أدب المؤمنين بأنه العليم الحكيم أن يسألوه حين يأمرهم بشىء ، أو يعلمهم بأنه سيفعل شيئا ، عن حكمة ما أمر به أو ما سيفعله ، بل شأنهم أن يتجهوا إلى استطلاع حكمة الأفعال والأوامر من أنفسهم ، فإذا أدركوها فقد ظفروا بأمنيتهم ، وإن وقفت عقولهم دونها ، ففى تسليمهم لقدر الله ، وامتثالهم لأوامره الكفاية فى القيام بحق التكليف والفوز برضا الله ، الذى هو الغاية من الإيمان به والإقبال على طاعته .

قال بعض العلماء : « وفى هذه الآية الكريمة تسلية للنبى ﷺ عن تكذيب بعض الناس له ، لأنه إذا كان الملأ الأعلى قد مثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون ، فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين ـ وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين ، أى : فعليك يا محمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين ، وترشد المسترشدين ، وتأتى أهل الدعوة بسلطان مبين »[1] .

ثم أخذ ـ سبحانه ـ فى بيان جانب من حكمة خلق آدم ، وجعله خليفة فى الأرض ، بعد أن أجاب الملائكة على سؤالهم بالجواب المناسب الحكيم فقال ـ تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

علم : من التعليم وهو التعريف بالشىء . وآدم : اسم لأبى البشر ، قيل إنه عبرانى مشتق من أدمه ، وهى لفظ عبرانية معناها التراب ، كما أن « حواء » كلمة عبرانية معناها « حى » وسميت بذلك لأنها تكون أم الأحياء .

و ﴿ **ٱلۡأَسۡمَآءَ** ﴾ جمع اسم ، والاسم ما يكون علامة على الشىء ، وتأكيد الأسماء بلفظ « كلها » فى أنه علمه أسماء كل ما خلق من المحدثات من إنسان وحيوان ودابة ، وطير ، وغير ذلك ، ويصح حمل الأسماء على خواص الأشياء ومنافعها ، فإن الخواص والمنافع علامات على ما تتعلق به من الحقائق .

---

(١) تفسير القاسمى جـ ٢ ص ٧ .

وقوله: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ عرض الشيء: إظهاره وإبانته والضمير في ﴿ عرضهم ﴾ يعود على المسميات، وهي مفهومة من قوله: ﴿ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ إذ الأسماء لا بد لها من مسميات، فإذا أجرى حديث عن الأسماء حضر في ذهن السامع ما هو لازم لها أعني المسميات.

ودل على المسميات بضمير جمع الذكور العقلاء فقال: ﴿ عَرَضَهُمْ ﴾ ولم يقل عرضها، لأن في جملة هذه المسميات أنواعاً من العقلاء: كالملائكة، والإنس، ومن الأساليب المعروفة بين فصحاء العرب تغليب الكامل على الناقص، فإذا اشتركا في نحو الجمع أو التثنية أتى بالجمع أو التثنية على ما يطلق حال الكامل منهما.

والأمر في قوله: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾، ليس من قبيل الأوامر التي يقصد بها التكليف، أي: طلب الإتيان بالمأمور به، وإنما هو وارد على جهة إفحام المخاطب بالحجة.

والمعنى: أن الله - تعالى - ألهم آدم معرفة ذوات الأشياء التي خلقها في الجنة، ومعرفة أسمائها ومنافعها، ثم عرض هذه المسميات على الملائكة. فقال لهم على سبيل التعجيز: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما اختلج في خواطركم من أني لا أخلق خلقا إلا وأنتم أعلم منه وأفضل.

قال ابن جرير: « وفي هذه الآيات العبرة لمن اعتبر والذكرى لمن ذكر، والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عما أودع الله في هذا القرآن من لطائف الحكم التي تعجز عن أوصافها الألسن، وذلك أن الله - تعالى - احتج فيها لنبيه ﷺ على من كان بين ظهرانيه من يهود بني إسرائيل، بإطلاعه إياه من علوم الغيب التي لم يكن - تعالى - أطلع عليها من خلقه إلا خاصا، ولم يكن مدركا علمه إلا بالإنباء والإخبار ليقرر عندهم صدق نبوته، ويعلموا أن ما أتاهم به إنما هو من عند الله ».

ثم حكى - سبحانه - ما كان من الملائكة فقال:

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

سبحان: اسم مصدر بمعنى التسبيح؛ أي التنزيه، وهو منصوب بفعل مضمر لا يكاد يستعمل معه.

وهذه الآية الكريمة واقعة موقع الجواب عن سؤال يخطر في ذهن السامع للجملة السابقة، إذ الشأن أن يقال عند سماعهم قوله - تعالى: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾، ماذا كان من الملائكة؟ هل أنبأوا بأسماء المسميات المعروضة عليهم؟ فقال - تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

ولو قال الملائكة : لا علم لنا بأسماء هذه المسميات لكان جوابهم على قدر السؤال ، ولكنهم قصدوا الاعتراف بالعجز عن معرفة أسماء تلك المسميات المعروضة على أبلغ وجه فنفوا عن أنفسهم أن يعلموا شيئا غير ما يعلمهم الله ، ودخل فى ضمن هذا النفى العام الاعتراف بالقصور عن معرفة الأسماء المسئول عنها .

ومعنى ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ أى : أنت يا ربنا العليم بكل شىء ، الحكيم فى خلقك وأمرك وفى تعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء ، لك الحكمة فى ذلك ، والعدل التام .

وقدم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ، ليكون وصفه بالعلم متصلا بنفيهم عن أنفسهم فى قولهم :

﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٢

وبعد أن بين القرآن أن الملائكة قد اعترفوا بالعجز عن معرفة ما سئلوا عنه ، وجه ـ سبحانه ـ الخطاب إلى آدم ، يأمره فيه بأن يخبر الملائكة بالأسماء التى سئلوا عنها ، ولم يكونوا على علم بها ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

ففى هذه الآية الكريمة أخبرنا الله ـ تعالى ـ أنه قد أذن لآدم فى أن يخبر الملائكة بالأسماء التى فاتتهم معرفتها ليظهر لهم فضل آدم ، ويزدادوا اطمئنانا إلى أن إسناد الخلافة إليه ، إنما هو تدبير قائم على حكمة بالغة .

وعلم الغيب يختص به واجب الوجود ـ سبحانه ـ لأنه هو الذى يعلم المغيبات بذاته ، وأما العلم بشىء من المغيبات الحاصل من تعليم الله فلا يقال لصاحبه إنه يعلم الغيب .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

استحضار وتأكيد لمعنى قوله قبل ذلك ، ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وإعادة له على وجه من التفصيل أفاد أن علمه يشمل ما يظهرونه بأقوالهم أو أفعالهم ، وما يضمرونه في أنفسهم .

وفي قوله : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ... ﴾ . إلخ .. تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى ، حيث بادروا بالسؤال عن الحكمة ، وكان الأولى أن يأخذوا بالأدب المناسب لمقام الألوهية ، فيتركوا السؤال عنها إلى أن يستبين لهم أمرها بوجه من وجوه العلم .

ومن الفوائد التي تؤخذ من هذه الآيات ، أن الله ـ تعالى ـ قد أظهر فيها فضل آدم ـ عليه السلام ـ من جهة أن علمه مستمد من تعليم الله له ، فإن إمداد الله له بالعلم يدل على أنه محاط منه برعاية ضافية ، ثم إن العلم الذي يحصل عن طريق النظر والفكر قد يعتريه الخلل ، ويحوم حوله الخطأ ، فيقع صاحبه في الإفساد من حيث إنه يريد الإصلاح ، بخلاف العلم الذي يتلقاه الإنسان من تعليم الله ، فإنه علم مطابق للواقع قطعا ، ولا يخشى من صاحبه أن يحيد عن سبيل الإصلاح ، وصاحب هذا العلم هو الذي يصلح للخلافة في الأرض ، ومن هنا ، كانت السياسة الشرعية أرشد من كل سياسة والأحكام النازلة من السماء أعدل من القوانين الناشئة في الأرض .

« يتبـع »

إعجاز القرآن في استعمال المترادفات

إعداد الأستاذ / سيد خضر (*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه الأبرار ، وبعد ..

فلقد أنزل الله – تعالى – القرآن بلسان عربي مبين ، آمراً بتلاوته وتدبره والعمل به ، وقامت على خدمة القرآن أجيال من علماء المسلمين في حركة نشطة دائبة منذ عهد النبي ﷺ إلى يوم الناس هذا ، وستبقى بقاء القرآن ، وهو باق أبدا ، فإنه كلام رب العالمين ، مصداق قوله – تعالى – :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر : ٩ .

والمدخل الأول إلى فهم القرآن هو لغته ، إذ ليس معقولا أن يفهم الإنسان كلاماً إلا بفهم مفرداته ، وكيفية تركيبها ، ومن هنا وجدنا للأصوليين دراسات رائدة في علوم العربية ، ويمثل العلم بالمفردات الخطوة الأولى في هذا السبيل .

قال الراغب الأصفهاني : « أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ... فألفاظ القرآن هي لُب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم ... »[1] .

ولغة العرب التي نزل بها القرآن لغة ذات معجم ضخم ، تسببت في تضخمه عوامل عديدة أهمها جامعو اللغة بين اللهجات المتعددة في الجزيرة العربية واحتسابها جميعاً من الفصحى ، إضافة إلى عوامل أخرى يطول بيانها ، وقد نشأ عن هذا ظواهر لغوية عديدة كالترادف والاشتراك اللفظي والتضاد وغيرها .

وحسبنا هنا أن نبين كيف تعامل القرآن مع إحدى هذه الظواهر اللغوية في العربية ، وهو الكتاب المحكم المعجز ، الذي يوزن فيه اللفظ بميزان دقيق بِنْيَة ودلالة ، بحيث لا يقوم مقامه غيره ، مع كثرة المترادفات في العربية كثرة عجيبة ، حيث نجد للفظ الواحد إخوة يؤدون معناه ويقومون مقامه في أي سياق ، كما صرح بذلك ابن خالويه القائل : « أحفظ للسيف خمسين اسما »[2] .

والظاهرة التي نتحدث عنها هي ظاهرة « الترادف » ، وأبدأ بتعريفها لغة واصطلاحاً بشيء من الإيجاز .

(*) مدرس بالتربية والتعليم – كفر الشيخ – دراسات عليا في علم اللغة .

(1) المفردات في غريب القرآن ص٦ ط دار المعارف – بيروت .

(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي جـ ١ ص ٤٠٥ ، ط دار إحياء الكتب العربية .

الترادف لغة : جاء فى لسان العـــرب : « الردف : ما تبع الشىء ، وكل شىء تبع شيئا فهو رِدْفه ... والترادف : التتابع ، ومن ذلك قوله – تعالى :

﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾
(الأنفال : ٩)

أى متتابعين يأتون فرقة بعد فرقة »[٣] .

أما فى الاصطلاح : فيقول عنه السيوطى : « الترادف هو الألفاظ المفردة الدالة على شىء واحد باعتبار واحد ، واحترزنا بالافراد عن الاسم والحد ، فليسا مترادفين ، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم ، فإنهما دلا على شىء واحد ولكن باعتبارين أحدهما على الذات والآخر على الصفة »[٤] .

ولا يقتصر الترادف على العربية ، فهو موجود فى كل اللغات ، وقد عرفه ستيفان أولمان الانجليزى بقوله : « والمترادفات هى ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق ، والترادف التام – على الرغم من عدم استحالته – نادر الوقوع إلى درجة كبيرة »[٥] .

ولقد أنكر بعض علماء العربية هذه الظاهرة ، ومنهم أحمد بن فارس تابع شيخه أبا العباس ثعلب فى ذلك ؛ بل إن أبا هلال العسكرى قد ألف كتابه « الفروق اللغوية » خصيصاً لكى يفرق بين المترادفات دلالياً ، إلا أن جمهور اللغويين قالوا بوجود الترادف ، وحددوا أسبابه فيما يأتى :

١ – أن يكون اللفظ من واضعين وهو الأكثر ، بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير أن تشعر إحداهما بوضع الأخرى ، ثم يشتهر الوضعان .

٢ – أن يكون من وضع واحد وهو الأقل ، وله فوائد :

(أ) أن تكثر الوسائل إلى الاخبار عما فى النفس .

(ب) التوسع فى سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة فى النظم والنثر »[٦] .

إن المدقق فى هذه الظاهرة اللغوية لا يسلم بوقوع المترادفات بهذه الكثرة التى تصورها بها كتب اللغة ، بحيث يصبح للشىء الواحد عشرات الأسماء .

ولئن ناسب ذلك فترة من حياة العربية ، فإننا اليوم – مع التقدم العلمى الكبير – محتاجون إلى تحديد دلالة الألفاظ تحديداً دقيقاً لكى تساير العربية هذا التطور ، وقد أحصيتُ فى حرف الهمزة وحده من لسان العرب أربعة عشر فعلا بمعنى (نكح)[٧] إضافة إلى الأفعال التى تؤدى هذا المعنى فى باقى حروف المعجم ، فى حين أن القرآن لم يستعمل لهذا المعنى سوى الفعل (نكح)[*] فقط ، مع التفريق الدلالى بينه وبين الفعل القرآنى (تزوّج) !

---

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (ردف) ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٤) المزهر جـ١ ص٤٠٢ .

(٥) دور الكلمة فى اللغة تأليف ستيفان أولمان ص١٠٩ ، ترجمة د/ كمال بشر نشر مكتبة الشباب .

(٦) المزهر جـ١ ص٤٠٥ .

(٧) انظر كتابنا القرآن والترادف اللغوى ص١٤ ط دار هلال ١٩٩١م .

(*) يبدو أن القرآن الكريم استعمل أكثر من ذلك كالفعل (لامس) فإن قيل : إن الفعل (لامس) قد يكون له أكثر من معنى قلنا : إن بعض الترادف لا يسلم من ذلك – مجلة الأزهر .

وقبل أن ندرس موقف القرآن من هذه الظاهرة نسأل : كيف يمكن تحديد دلالة اللفظ القرآنى تحديداً دقيقاً ؟ إن ذلك يقتضى ـ فيما أحسب ـ اتباع الخطوات الآتية :

١ ـ معرفة الأصل اللغوى الذى أخذ منه اللفظ بالرجوع إلى المعاجم وغيرها .

٢ ـ معرفة ما أضافه القرآن الكريم من معان جديدة ترتبط بالمعنى الوضعى للفظ ، فالحج فى اللغة القصد إلى مُعظم ، ثم نقل إلى الشرع للدلالة على العبادة المعروفة بالقصد إلى البيت الحرام .. والصلاة فى اللغة : الدعاء ، وهى فى الشرع العبادة المعروفة .

٣ ـ دراسة السياق القرآنى الذى يرد فيه اللفظ دراسة دقيقة ، ثم استقراء جميع المواضع التى يرد فيها اللفظ لتحديد دلالته بدقة ، حيث إن السياق وحده يكون أحياناً المعين الأساسى للتفريق بين ألفاظ من قبيل (السنة والعام والحول والحجة)[٨] مثلا .

وبعد هذا الاستعراض الموجز أدلك بمثالين ـ فحسب لضيق المقام ـ لأبين بهما إعجاز القرآن فى استعمال المترادفات ، والقرآن كتاب محكم لا تستطيع أن تبدل فيه لفظاً مكان آخر ، إذ يتغير المعنى تبعاً لذلك ، وعليه فإننا نقول : إنه ليست فى القرآن مترادفات تامة ؛ بل إن لكل لفظ مكانه ودوره فى سياقه ، حتى وإن أصرت معاجم اللغة على أنه يتحد دلالياً مع غيره : وإليكم مصداق دعوانا .

١ ـ الفؤاد والقلب :

نقرأ فى اللسان : « فأدْتُ الخبزة إذا جعلتُ لها موضعاً فى الرماد والنار لأضعها فيه ، والخشبة التى يُحرك بها التنور : مِفْأد ، وافتأدوا : أوقدوا ناراً ، والفئيد : النار نفسها ... والتفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده ، والفؤاد : القلب ، وقيل : وسطه ، وقيل الفؤاد : غشاء القلب ، والقلب حبه وسويداؤه »[٩]

وفيه : « القلب : الفؤاد ، والجمع قلوب ... ويسمى بذلك لتقلبه وحركته الدائبة »[١٠] .

وفى القاموس المحيط : « والقلب : الفؤاد ، أو أخص منه ، والعقل ، ومحضُ كل شىء »[١١] .

ومما تقدم نرى أن معاجم اللغة تسوّى بين دلالة اللفظين (قلب وفؤاد) فهل هما كذلك فى القرآن الكريم ؟

وردت كلمة (فؤاد) مفردة ومجموعة فى القرآن فى ستة عشر موضعاً ، واستعراض هذه المواضع يوحى لنا بأن لفظ (الفؤاد) يطلق على القلب فى حال خوفه وفزعه وانشغاله بأمر خطير ، ويستند ذلك أساساً إلى الأصل اللغوى « التفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده » .

ولنقرأ قوله ـ تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

(سورة القصص)

---

(٨) انظر فى هذا كله كتابنا السابق ص ٢٧ .

(٩) اللسان : فأد .

(١٠) نفسه : قلب .

(١١) القاموس المحيط : قلب جـ ١ ص ١١٩ ط المطبعة الحسينية .

ونحن نجد فى هذه الآية لفظى (قلب والفؤاد) فلو كانا يؤديان معنى واحداً ، فما الداعى إلى استعمالهما إذن ؟ ولم لا يكتفى بأحدهما ؟ وهل كان (قلب) أم موسى فارغاً وقد بشرتها الآيات السابقة على هذه الآية بقوله ـ تعالى : « إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » ، إن قلب أم موسى كان مطمئناً بنصر الله ـ تعالى ـ أما فؤادها ، فهو : الذى انتابه الخوف والفزع ، وهى تضع وليدها فى تابوت تتقاذفه الأمواج ولا تدرى أين تذهب به ، وبعد هذا التفؤد والتوقد تأتى رحمة الله لتربط على قلبها الذى صار (قلباً لا فؤاداً) بعد أن زال عنه الهم والخوف(*)

ولنقرأ قوله ـ تعالى :

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ .

(هود : ١٢٠)

وقوله سبحانه :

﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾

(الفرقان : ٣٢)

واستعمال لفظ الفؤاد هنا : يناسب تماماً تلك الحال التى مرّ بها صاحب الدعوة ﷺ وهو يرى الناس يكذبونه إلا أفراداً معدودين ، ويرى قومه يقاتلونه برغم أنـه جاءهـم بالحق المبين ، والرسول ﷺ بشر يفرح ويحزن ، وتجرى عليه أحوال البشر ، وخصوصاً لشدة حرصه على تبليغ الدعوة وإيمان قومه .

وأما القلب ، فهو : موقـن بنصر الله لاريب !! وأنت لا تستطيع بحال ـ استناداً إلى الأصل اللغوى وظلال المعنى هنا ـ أن تضع القلب فى هذين الموضعين !!

وانظر إلى هذه الصورة المخيفة التى تتفأد لها الأفئدة « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » (إبراهيم : ٤٢ ـ ٤٣) .

إن صورة الفزع وشخوص الأبصار والإهطاع ورفع الأبصار المتحيرة ... تـناسبها صورة (الأفئدة) الهواء الخالية من كل أمن وطمأنينة فى ذلك اليوم العصيب !!

وقد وردت كلمة (فؤاد) مفردة ومجموعة مقترنة بالسمع والأبصار فى آيات عديدة ، وذلك فى مقام التذكير بنعم الله ـ تعالى ـ على الإنسان ، وكونه محاسباً على تلك النعم يوم القيامة ، ومن الملاحظ أن السمع والبصر والفؤاد من الأدوات المباشرة للإدراك والمعرفة عند الإنسان ، إذ هى أجهزة استقبال المعرفة .

ولنا ملاحظة أخيرة قد تُصدِّق دعوانا هذه ، وهى أن الستة عشر موضعاً التى ورد فيها اللفظ فى القرآن الكريم هى جميعاً مكية ، وذلك يناسب تماماً حال المجتمع المكى إذ ذاك ، حال الخوف والقلق من جانب المؤمنين لقلتهم وضعفهم ، وحال الحيرة والاضطراب والغضب من جانب الكفار بسبب ما جاء به الإسلام ، وكل هذه المعانى يجمعها لفـظ (فؤاد) كما أوضحت سابقاً !!

أما القلب فى القرآن الكريم ، فهو أداة الفهم والتدبر ، ومستقر العقيدة ، حقاً كانت أو

(*) هذا رأى الكاتب .. والمجلة تفسح صدرها لمن يخالفه شريطة أن يكون الحديث علميا بحتا .. مجلة الأزهر .

باطلاً ، ولنقرأ بعض الآيات :

ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾

الحج : ٤٦

ـ ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ .

(سورة الأعراف) ١٧٩

ـ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾

الكهف : ٥٧

ـ ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

الرعد : ٢٨

وقد ورد اللفظ فى آيات كثيرة مفرداً ومثنى ومجموعاً ، وكلها تدور حول الدور القيادى للقلب فى الخير والشر ، وفى التمييز بين الحق والباطل ، أو بين الإيمان والكفر .. الخ ، وكل ذلك يختلف عما تؤديه كلمة (الفؤاد) من معان وظلال أوضحناها سابقاً .

٢ ـ الجسم والجسد :

نقرأ فى اللسان : « الجسم : جماعة البدن والأعضاء من الناس والإبل والدواب ، والجسم : الجسد »[١٢] .

وفيه : « الجسد : الجسم والبدن للإنسان والملك والجن ، ومعنى الجسد معنى الجثة فقط لا يعقل ولا يميز »[١٣] .

وبرغم هذا التعدد فى اللسان وغيره من المعاجم بين لفظى الجسم والجسد ، إذ يفسر أحدهما بالآخر ، فإن القرآن لم يستعملهما بمعنى واحد ، ولنقرأ قوله ـ تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ .

البقرة : ٢٤٧

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ .

المنافقون : ٤

وواضح من ذلك استعمال القرآن لفظ الجسم فيما له روح ، أما الجسد فيستعمل فى القرآن لما لا روح فيه ، وقد ورد اللفظ فى أربعة مواضع فقط هى :

١ ـ ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾ .

الأعراف : ١٤٨

٢ ـ ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ .

طه : ٨٨

٣ ـ ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ .

الأنبياء : ٨

٤ ـ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

(سورة ص)

ويتضح من الاستعمال هنا أن لفظ (الجسد) يستعمل لما ليس فيه روح ، وهذا باب واسع من أبواب الإعجاز القرآنى .

وأخيراً فإن دراسة المترادفات القرآنية تحتاج جهداً كبيراً لحصرها وتحليلها ، خدمة للنص القرآنى المحكم المعجز ، والحمد لله أولاً وأخيراً .

---

(١٢) اللسان : جسم .

(١٣) نفسه : جسد .

قرار مجمع البحوث الإسلامية

بشأن طلب السيد الدكتور مصطفى محمود مؤلف « زيارة للجنة والنار » بالإذن له بتحويل مؤلفه إلى مسرحية تحمل نفس الاسم

تقدم الدكتور مصطفى محمود إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بطلبه موافقة الأزهر الشريف على تحويل كتابه : «زيارة للجنة والنار» إلى مسرحية تحمل نفس الاسم ، وقد قام فضيلته بإحالة الموضوع للبحث أمام جلسة مجمع البحوث رقم (٤) فى دورته الحالية ، كذلك طلب فضيلته إلى بعض أعضاء المجمع دراسة الموضوع دراسة مستفيضة وتقديم تقاريرهم بهذا الشأن .. وهم السادة :

(١) فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبى العدوى .

(٢) فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازى .

(٣) السيد المستشار محمد بدر يوسف المنياوى .

(٤) فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود .

(٥) السيد الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الشكعة .

وقد تقدم السادة المذكورون بتقاريرهم .. بين مكتوب وشفهى ، وتناول الأعضاء جميعاً دراسة الموضوع فى ضوء هذه التقارير ، ونظرة من أبدى نظرته إليها من الأعضاء ثم صدر القرار التالى ، أول قرارات الجلسة .

من قرارات وتوصيات
مجلس مجمع البحوث الإسلامية

بمحضره رقم (٤) الدورة رقم (٣٣) الرقم العام (٢٥٠) بتاريخ ٢٦/١٢/١٩٩٦

عقد المجلس - بحمد الله وتوفيقة - جلسته الرابعة فى دورته الثالثة والثلاثين الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الخميس ١٥ من شعبان سنة ١٤١٧ هـ الموافق ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٩٦ م

وقد أصدر القرارات والتوصيات الآتية :-

أولاً : بالنسبة لرواية «زيارة للجنة والنار» للدكتور / مصطفى محمود : صدر قرار المجلس فى شأنها بالآتى :

«كل مسلم عاقل يعتقد أن الجنة والنار وما يتعلق بهما من علوم الغيب التى لايعلمها إلا الله - عز وجل - والمؤلف نص على ذلك صراحة فى مقدمة كتابه ..

ويرى مجمع البحوث الإسلامية أنه - من حيث المبدأ - لا مانع من تمثيل وتصوير حسن عاقبة أهل الجنة ، وسوء عاقبة أهل النار تمثيلاً وتصويراً يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم ما دام ذلك فى مقدور الجهات الفنية الخبيرة فى ذلك ..

على أن يعرض العمل خلال مراحله المختلفة وقبل عرضه على الجمهور على لجنة يختارها مجمع البحوث الإسلامية من بين أعضائه أو من غيرهم»

والله ولى التوفيق

أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

نقاء الإيمان ووضوحه ضرورة إنسانية ودعوة إسلامية

الشريعة الإسلامية السمحة تكرم الإنسان ، وتنظر إليه النظرة التى تتواءم مع فطرته ، وتتناسب مع طبيعة تكوينه النفسى والعقلى ، المعنوى والحسى ، وقد وضعت له الأطر الحمائية باعتباره : الروحى والجسدى ، لتصونه من مسببات الضعف ، ومن مزالق الانحراف عن الوسطية التى يرجى له منذ نعومة أظافره أن ينشأ ويثبت عليها لتحقق له التوازن بينه وبين نفسه، والتوافق بينه وبين المحيطين به .

ثم إن هذه الشريعة الكاملة تغذيه فى مراحل نموه المختلفة بما يصحح نظرته إلى الإنسان ، وإلى الكون المحيط ، حتى يألف وضع الأمور فى مواضعها الصحيحة ، وتقدير كل أمر أو ظاهرة على ما هى عليه ومن زاوية نوع التسخير الذى هُيئت له الظاهرة أو الآية التكوينية دون لجوء إلى طرق الإفراط والتفريط فى التفهم وإعطاء الأشياء قدرها .

الأدوات والوسائل :

ثم إن للشريعة الإسلامية أدواتها ووسائلها الموصول إلى غاياتها السامية فى رعاية الناشئة ، والحفاظ على حقوق الإنسان منذ البدء ، أى منذ أن يكون جنينا ، ثم مواكبة هذه الرعاية بوسائل تتوافق مع كل مرحلة من مراحل نموه ، وفى جميع أطوار حياته بعد خروجه من مأمنه فى الرحم إلى الحياة الدنيا وبداية تفاعله سلبا وإيجابا مع البشر المحيطين به ، إذ لكل منهم التزام نحو هذا العضو الجديد فى الجماعة ، وهذا الالتزام مبنى على الرحمة ، الرفق ، الحنان ، الشفقة ، الحب ، الحدب ، وأداء الحق والواجب نحو هذا الدعموص [1] الذى يشيع البهجة فى النفوس ، ويملأ المكان بحركة يديه ورجليه وصوته ، وإذا زحف أو مشى سر الجميع بحركته هنا وهناك .

(١) الدعموص : جمعه الدعاميص وهى دويبة تكون فى مستنقع الماء لا تفارقه . ومن معانى الدعموص : الصبى ، سياح فى المنزل لا يمنع من دخول مكان ، ولا يحتجب منه أحد ، وإن مات قبل البلوغ كان من أفراد السياحين فى جنة الخلد ، وفى الحديث : « صغاركم دعاميص الجنة » رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم والبخارى وأحمد .

إن الشريعة السمحة تظل الإنسان بكل ما يسعده ، وتمده بما يعينه على تنظيم حياته ، وضبط سلوكه على أقوم طريق ، ليحيا حياة طيبة ، ويهنأ بعيشة راضية متوافقا مع الفطرة النقية التى فطر الله الناس عليها ، محسنا علاقته بخالقه ، متمتعا بسلام دائم مع نفسه وقومه ، بل مع كل ما يحيط به ويقع عليه نظره ، أو تلمسه يده ، أو يدركه بوعيه ، وهذا النمط الرفيع مع التوجيه الرشيد ، والتربية السامية يجنبه كل اضطراب وقلق ، وينأى به عن كل شر وانحراف .

إن هذا التوجيه السامى لخطوات الإنسان ومسيرة حياته مبنى على أسس نفسية وشعورية مستمدة من العلم التام بماهية الإنسان ، ومن الرغبة الكريمة فى أن تتوافر له كل عوامل السكينة والطمأنينة منذ أن يفتح عينيه على نور الحياة ، إلى أن يمضى قدما فى شبابه ساعيا فى أداء دوره المقدر له على نحو يتسم بالصدق ، والأمانة ، والمهارة الكافية .

مرحلة الطفولة :

إن مرحلة الطفولة تحظى بجانب مهم من عناية الشريعة الإسلامية الغراء بالإنسان ، نجد هذه العناية السامية فى التوجيهات والأحكام التى تتعلق بالطفل فى كتاب الله ـ عز وجل ـ وفى سنة الحبيب المصطفى ﷺ ثم فى الأبواب التى تناولت بالشرح والبيان كل ما له صلة بالطفل من حيث حقوقه ، ومن حيث واجبات من حوله من الكبار وغير ذلك فى كتب الفقه الإسلامى تلك الثروة العلمية العالية القيمة المقننة تقنينا يصعب كل الصعوبة أن تجد له مثيلا لدى أمة من الأمم ، كما أن هذه الثروة العلمية فى مجملها وتفاصيلها لم تحظ حضارة من الحضارات ، ولا مدنية من المدنيات القديمة والحديثة بشىء يقاربها فى شموها وفى الأمانة العلمية التى تبدو فى كل جزئية منها ، وفى الإخلاص الذى كان الدافع الأول للعلماء والفقهاء وتلامذتهم فى كل مرحلة من مراحل تاريخ الفكر الإسلامى ، إذ كان الدافع خدمة كتاب الله ـ عز وجل ـ والسنة النبوية المطهرة والحفاظ على فتاوى الصحابة واجتهاداتهم واضحة جلية ، فكانت ثمرة هذا الإيمان وهذا الصدق ذلك الفيض الزاخر بالعطاء فيما تركوه حيا نابضا ينير لنا الطريق ، ويرسم لنا خطوات الحياة على بصيرة وهدى : فى العبادات ، المعاملات ، المغازى والجهاد ، والأحوال الشخصية : الأسرة وطريقة بنائها على نحو مستقيم صالح ، الطفل وحقوقه وما له على أبيه وعلى أمه وعلى المجتمع والدولة ، بما فى ذلك الحفاظ عليه جنينا ، وإسباغ كل أسباب الرحمة والإشفاق عليه وليدا ، إما على نحو فطرى ينبع من حنان الأبوين ، ورحمتهما لولدهما ، وحبهما الطبيعى له ، وإيثار حاجاته وراحته على ما يكون لهما من ذلك ، وإما على نحو تنظيمى غاية فى الدقة والروعة كما فى حال انفصال الوالدين : وكيف يتم إرضاع الطفل وإسكانه وإعطاؤه سائر حقوقه ، وكذلك فى حالة موت الأم ، وما يجب على الوالد من الإنفاق والبذل بما يناسب الحال وعلى من تقوم بإرضاعه وحضانته مراقبة ربها فى رعايته ، حتى « اللقيط » خصصت لأحكامه مواضعها من كتب الفقه ، فالإنسان كيان محترم ينبغى أن يتنفس فى مناخ فيه رحمة وشفقة ومحبة

للخير ، وقيام بواجب الصيانة حتى يستوى على عوده ويشق طريقه إستقلالا .

الزواج وصفاء الأنساب وقوته :

الحكمة من الزواج : إعفاف النفس ، وتكثير النسل ، وإبقاء النوع ، والزواج المستقيم على الفطرة الإنسانية السليمة النقية الذى يتسق مع طبيعة التكوين النفسى والوجدانى والعقلى والمادى للإنسان هو الزواج الذى يجمع بين ذكر وأنثى كل منهما خال من الموانع الشرعية وبعقد شرعى فيه إيجاب وقبول وتراض وشهود وغير ذلك مما هو موضح فى مظانه فيما يتصل بالولى وبطريقة استئذان البكر والثيب وإعلان أمر هذا الزواج والمهر ونحو ذلك .

الجمع بين شخصين (تعريف قبيح هدفه التدمير) :

وهنا قد تسمع عمن يعرف الزواج بأنه : (الجمع بين شخصين) بهذا الإبهام ، ويقال : إن ذلك موجود فى وثائق بعض الجماعات التى أطلقت الإبهام ، ويقال : إن ذلك موجود فى وثائق بعض الجماعات التى أطلقت العنان للأهواء المسفة ، والأغراض القبيحة ، والشهوات المتدنية والدنيئة ، إذ إن هذا التعريف يعنى فى مفهومهم الجمع بين أى شخصين ، ويستوى فى ذلك أن يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى ، أو أن يكونا ذكرين ، أو أن يكونا امرأتين .

ولا شك فى أن هذا الاتجاه إنما جاء استجابة لوطأة الإباحة التى أطلقوا عنانها فى جوانب من عالم المدنية المعاصرة ، وصارت لتفشيها أمرا ذا قوة ضاغطة على من يمكن أن يصنعوا القرار ، أو يشاركوا فيه فى هذه المجتمعات ، ومن يُبتلى بمثل هذه المصيبة يدأب فى أن يوقع غيره فى شراكها ليكون هناك نوع من التساند المزاجى أو العاطفى الخبيث ، ومن الشعور ولو مغالطة للنفس والعقل والذوق بأن هذا أمر يمكن قبوله دون إحساس بمرارة أو نفور أو استقباح واستبشاع لعمل يتنافى تماما مع مقتضيات الفطرة الإنسانية التى ينبغى ألا تمسخ بعوامل البيئة ومكتسباتها البالغة السوء .

إن كل ذى دين يأبى هذا التعريف للزواج ، ويرفض أن يكون الزواج مسخا أو تشويها لكرامة الإنسان ، وهدما للنواة التى يتكون منها المجتمع ، وتبنى منها الأمة ، إذا لو تصورنا شيوع الجمع بين زوجين من جنس واحد (ذكرين أو انثيين) فأين الحكمة ؟ وأين العفاف ؟ وكيف يحقق هذا بقاء النوع ؟ وأين موضع إشباع معانى الأبوة والأمومة ؟ وكيف يصنع مثل هذا المجتمع أجيالا يقدمها لخدمة الأوطان ؟ .

ألا : فليحذر الذين يُخالفون عن أمر الله سوء عاقبة المدمرين لمعانى الطهر والشرف والعفاف وكرامة الإنسان والإبقاء عليه على النحو الذى يُراد له فى شرع الله .

● أن يكون الطفل ثمرة لزواج شرعى من أبوين تتوافر لهما كل دواعى السلامة البعيدة عن مخالفة الأصول والقواعد الشرعية التى يجب تحققها لصحة الزواج ، وتلك هى الثمرة الطبيعية .

إن انتماء الولد إلى أبيه وأسرة أبيه ــ يكسبه توازنا نفسيا ووجدانيا ، وطمأنينة قلبية ، وعدم شعور بالضياع ، لأنه يعيش فى كيان له وضعه ووزنه لا تتلاشى معه ملامح انتمائه الحقيقى ويبقى ذلك لذريته

من بعده ، وللذكور منهم مهما سفلوا ، وبهذا يحفظ التاريخ وجهه الحقيقي ولا تتلاشى معالمه ، فعلم الأنساب ركن مُهم من تاريخ البشر .

ومن هنا تدرك مدى سوء ما يجرى في العالم من حولنا ـ أى من حول الدول الإسلامية ، من خروج على مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة مما يؤدى في كثير من الحالات إلى نسبة الولد إلى أمه خصوصا في الحالات التي يتم التلقيح فيها عن طريق المراكز التي أنشئت لهذا الغرض الخبيث ، الردىء طبعا وذوقا ، المرفوض فطرة ودينا ، وكثر ذلك في بعض الدول الصناعية .

كذلك كثرت ـ في هذه المجتمعات ـ « حالات التسيب » التي لا تستند إلى حقيقة شرعية طبيعية ، وإنما تم لمجرد تسهيل التسجيل رسميا ، ومع مرور الزمن تذوب الأسر ، وتضيع ملامحها .

ومثل هذا يقال عن مساوىء عمليات التبنى ، وهو أن يُنسب الشخص إلى غير أبيه ، ويأخذ اسمه برغبة المتبنى ويترتب على ذلك ـ في المعتاد ـ حقوق البنوة وهذا أمر اعتراف مع ما فيه من الكذب والافتراء ووضع للأمر في غير موضعه ، لذا حُرم التبنى في الدين الإسلامي تحريما قاطعا وجازما :

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ .

(سورة الأحزاب)

وفي ذلك جانب من حل مشكلات اللقطاء ومجهولي النسب[2] من الأطفال واليتامى الذين لا مورد لهم ، فمن قبلهم في ضيافته ، فهم ضيوفه مهما طال زمن بقائهم عنده لا يأخذون اسمه ، ولا يرثونه ، ولا يصيرون محارم له ولا لأهل بيته ، حسب الحال من ذكورة وأنوثة ، وإنما يعاملون معاملة الأخ والمساعد والمناصر بتبادل الرحمة والمحبة والاحترام .

﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٥

ولعائل هؤلاء أجرهم وثوابهم عند الله مع إخلاص النيات والنوايا وإعطائهم الرعاية المناسبة لأمثالهم ، وحسب الحال والمستوى الاقتصادى في الأسرة المضيفة لهم ومع رعاية آداب الشريعة وواجباتها .

[يتبع]

(٢) اللقيط : هو الطفل غير البالغ الذى يوجد في الطريق ولا يُعرف نسبه وقد أوجب الإسلام حمايته ورعايته ، وجعل أخذه للرعاية من فروض الكفاية ، ويُحكم بإسلامه متى وجد في بلاد المسلمين .
والذى يجده هو الأولى بحضانته ، وتأكيدا للحيطة من أجل سلامة الطفل يشترط أن يكون لاقطه ـ أعنى الشخص الذى وجده ـ حرا عدلا أمينا رشيدا بحيث يجد الطفل البرىء مناخا يترعرع فيه في جو الرحمة والرفق .
ويطلب من الملتقط الشرع برعايته وتربيته والإنفاق عليه إما من مال الطفل إذا وُجد ومعه مال أو من بيت المال ، أو عن طريق سخاء ذوى النفوس الطيبة إذا كان مربيه وحاضنه غير قادر على الوفاء بحاجاته .
وبصفة عامة يوجب الإسلام على الدولة حماية هؤلاء الأطفال وتمكينهم من النمو واكتساب الخبرات والقيم الصالحة وحمايتهم من الضياع ، ولكنهم لا يرثون مربيهم ولا هم يرثون الطفل إن كان له مال بل مصيره إلى بيت المال ، إن مات اللقيط وليس له وارث شرعى .
ورعاية لهذه النفس ، فإن الذى يتقدم مدعيا نسبه من ذكر أو أنثى ألحق به متى كان وجوده منه ممكنا ، وحينئذ يثبت نسبه وإرثه .
وهذا بخلاف ولد الزنا ؛ فإنه يرث أمه وقرابتها ، وترثه أمه وقرابتها ولا توارث بينه وبين أبيه بإجماع المسلمين لانتفاء النسب الشرعى .

مع القرآن في شهر رمضان

قبس من أنوار النبوة

لفضيلة الشيخ

علي حامد عبد الرحيم

١ ـ روى الحاكم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه : قال النبي ﷺ : « من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ، أُلبس يوم القيامة تاجاً من نور ، ضوؤه مثل ضوء القمر ويُكْسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا ، فيقولان بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن » .

جامع الأحاديث للإمام السيوطي جـ ١ رقم ٢٢٧٥٢

٢ ـ وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوة ، فشفعني فيه . ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه . قال : فيشفعان » .

رواه ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد حسن ، والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم

شاء الله ـ عز وجل ـ أن يكون نزول القرآن إلى سماء الدنيا في أعظم الأزمان وأشرف الشهور ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة / ١٨٥)

وكان نزوله في أعظم ليلة من هذا الشهر المبارك ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

(سورة القدر / ١ ـ ٣)

وبعث به رسول الله للبلاغ ونشر الدين ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٩

وليخرج به الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام :

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

(سورة إبراهيم / ١)

ولقد أخبر رسول الله ﷺ عن الأجر العظيم لمن قرأ أو استمع إلى القرآن أو إلى آية منه أو إلى حرف فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الطبرانى فى الصغير عن أنس ـ رضى الله عنه : من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار ، يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، حرم الله لحمه ودمه على النار ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له « جامع الأحاديث للسيوطى جـ٦ ص٥٣٧ .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة « رواه الإمام أحمد .

وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

إن أهل الخير والتقوى يجعلون القرآن وِرْدَهم الدائم ، وربيع قلوبهم على الدوام .

روى أبو بكر محمد بن القاسم بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم » .

إن هذا القرآن : حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ولا يَخْلق عن كثرة الرد فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنى لا أقول : الم حرف ولكن أقول : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف ، ولا ألفين أحدكم واضعا إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله ، والقرآن ذكر الله ـ تعالى ـ وهو دعاء ، وهو سؤال لله يتصل بالخير والرحمة والمغفرة : كما قال ﷺ ـ فيما رواه الترمذى وحسنه عن أبى سعيد : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

روى البيهقى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال النبى ﷺ : « من سره أن يُحبّ الله ورسوله فليقرأ فى المصحف » جامع الأحاديث للسيوطى جـ٦ ص ١٧٠ .

إن النبى ﷺ : يوجه أمته إلى مدارسة القرآن ، والعيش مع تعاليمه حيث يقول الحديث الشريف الذى أخرجه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول

الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه » .

ولقد دعا النبى أمته فى قوله وعمله إلى قراءة القرآن أو بعض سوره أو بعض آياته فعن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » رواه مسلم .

وإن القرآن يحاج عن حامله ويتقدم بين يديه يوم القيامة .

فعن النواس بن سمعان ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » رواه مسلم .

وإن حملة القرآن القائمين عليه التالين له هم أهل خاصته : فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنـــه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله ـ تعالى ـ أهلين من الناس ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » رواه أحمد والنسائى .

لقد دعانا الرسول إلى قراءة آية الكرسى وأنها أعظم آية فى القرآن مع إن القرآن كله عظيم ، فعن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله ـ تعالى ـ معك أعظم ؟ قلت الله ورسوله أعلم ... قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم » قال فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلـــم يا أبا المنذر » رواه مسلم .

وإن سورة من القرآن لتشفع لحاملها ، روى أحمد والترمذى وغيرهما . عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له » .

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ .

روى أبو داود عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشينا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ « أعوذ برب الفلق » و « أعوذ برب الناس » ويقول : يا عقبة : تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما » .

ولقد كان رسول الله ﷺ : المثل الأعلى للأمة ، والمنهج الفريد فى توجيهها إلى القرآن ـ وخاصة فى شهر رمضان . جاء فى الصحيحين عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه جبريل فى ليلة من رمضان فيدارسه القرآن » .

وهكذا كان السلف الصالح مع القرآن فى رمضان وفى غيره ـ لأنه المنهاج الجامع لعز الدنيا وشرف الآخرة .

قال كعب : ينادي يوم القيامة مناد : « إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد غير أن أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب » .

وقال ابن عبد الحكم : « كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف » .

وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه : « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون » .

يشرح الحسن البصرى حالهم من القرآن فيقول : « إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها فى النهار » .

ولا يليق ولا ينبغى للمجتمع الإسلامى أن يهجر القرآن ، قال « ابن القيم » هجر القرآن أنواع :

أولا : هجر سماعه ، والإيمان به ، والإصغاء إليه .

ثانيا : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه .

ثالثا : هجر تحكيمه ، والتحاكم إليه .

رابعا : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

خامسا : هجر الاستشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب .

وكل هذا داخل فى قوله : « وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا » .

(الفرقان / ٣٠)

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيما لحق القرآن .

اللهم ارزقنا تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا . ووفقنا للعمل بأوامره ، واجتناب نواهيه ، فى جميع أقوالنا وأعمالنا وأحوالنا أنك على كل شىء قدير .

حول القرآن فى شهر القرآن

للشيخ محى الدين حسين يوسف

النبى ﷺ سيد الحفاظ :

النبى (صلى الله عليه وسلم) سيد الحفاظ والقراء والمقرئين ، لم يزل يحرك لسانه فى شدة الوحى ليعى القرآن ويحفظه ويبلغه حتى نزل تيسير الله وإكرامه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة – ١٦ ، ١٧]

النبى (صلى الله عليه وسلم) أول الحفاظ وسيدهم وأقرؤهم لكتاب الله تعالى ، قام به الليل حتى تورمت قدماه ، ولمّا يتنه حتى يبدأ ، حالا مرتحلا ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء – ٧٩]

وكيف لا !! وأول ما نزل عليه من القرآن : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ سورة العلق

وروى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن جبريل – عليه السلام – « كان يعرض القرآن على النبى (صلى الله عليه وسلم) كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه » ، وفى حديث عائشة أن ذلك فى رمضان ، وللحديث روايات يدل مجموعها على أن النبى ﷺ وجبريل (عليه السلام) كانا يتبادلان حالة عرض القرآن ، والعرض : القراءة ، فكان

أحدهما يقرأ وصاحبه يسمع ، ثم يقرأ الآخر ويسمع صاحبه .

واختص رمضان بعرض القرآن فيه ؛ لأن القرآن نزل فيه جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ القدر - ١

وقال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة - ١٨٥]

الصحابة حفظة القرآن :

اقتدى الصحابة بالنبي ﷺ في حفظهم للقرآن ، واعتنائهم به ، علما ومدارسة ، وتطبيقا وممارسة ، فما من صحابي إلا ومعه شيء من القرآن ، استظهره في قلبه ، ووعاه في صدره ، قلّ أو جلّ .

وعدد الصحابة الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب عدد كبير ، وفي البخاري عن عبدالله بن عمرو قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبيّ بن كعب » .

قلت : وعبد الله بن مسعود هو أول من جهر بالقرآن في مكة ، وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة قتل باليمامة ، ومعاذ هو ابن جبل ولاه الرسول ﷺ قضاء اليمن ، وأبيّ هو ابن كعب أحد أكابر الحفاظ ، كان له دورٌ بارز في جمع القرآن على عهدي أبي بكر وعثمان ، وهو الذي جمع عمر عليه الناس في صلاة التراويح ، ولم ينفرد هؤلاء الأربعة بالحفظ لما نزل من القرآن في هذا الوقت ، بل اشتهر غيرهم بالحفظ ، كزيد بن ثابت الذي انتهت إليه الرياسة في القراءة بعد ذلك .

ومجموع الأحاديث والآثار على أن الذين مهروا في حفظ القرآن وقراءته منهم : الخلفاء الأربعة ، وعبدالله بن عمر ، وطلحة ، وأبوموسى الأشعري ، وأبوهريرة ، وسعد ، وحذيفة ، وأبوزيد أحد عمومة أنس ، واسمه - على الصحيح : قيس بن السكن ، وعبدالله بن السائب وغيرهم .. (رضوان الله عليهم) .

ومن النساء : أمهات المؤمنين : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وغيرهن .. (رضوان الله عليهن) .

على أن بعضاً من الصحابة استكمل حفظه بعد وفاة الرسول ﷺ كما هو معلوم .

ذكر القرطبي وغيره : أن سبعين رجلاً من القرّاء قد قتلوا في غزوة معونة على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومثل هذا العدد في موقعة اليمامة على عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، وفي هذا دليل واضح على كثرة الحفاظ ، الذين كانوا يطلقون عليهم : القراء .



القرآن بالتلقي والتلقين :

قال مشايخنا : والقراءة على الشيخ هي المستعملة سلفا وخلفا ، وتسمى العرض ، وهي السنة لعرض النبي ﷺ القرآن على جبريل كل عام ، بخلاف الحديث فيكفي فيه السماع ، أمّا القرآن فينبغي فيه العرض على الشيخ مع التلقي منه ؛ لضبط الأداء وهيئته وكيفيته .

قال السيوطي في « الإتقان » : ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لمّا قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع

فكان يقرأ عليهم الآية ، ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة ، فلم يكتف بقراءته . ا . هـ

ومن هنا تعلم فائدة الشيوخ الذين يعلمون القرآن ، قال ابن الجزرى : « **ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على خط المصاحف والكتب** » .

يعنى أن الاعتماد إنما هو على التلقى والحفظ على يد الشيوخ المتقنين ، ولذلك كان قولهم : « **لاتأخذ العلم من صُحُفى** - أى من مقلب الأوراقْ والكتب دون الأخذ من العلماء - **ولاتأخذ القرآن من مصحفى** » أى ممن أخذه من المصاحف دون التلقى والعرض على الشيوخ الحفاظ .

وقد قالوا أيضاً « **فاقد الشيء لايعطيه** » ، ومن هنا وجب على من سبيله حفظ القرآن أو تحفيظه ولده أن يبحث عن الشيخ المتقن الحافظ .

* * *

ورُبَّ قائل يقول : فى الحديث : « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران** » قلت : يتتعتع فيه وهو عليه شاق مع عرضه على الشيخ وأخذه عنه ، لا من نفسه وإلاّ أثم .

* * *

فوائد عصرية للقرآن :

وفى تعلم الإنسان للقرآن . وأخذ الصغار به فى عصرنا هذا من الفوائد زيادة على ما هو معلوم :

١ - حفظ الهوية الإسلامية من حيث اللغة : بعد أن طغت المصطلحات الأجنبية المعجوجة ، وأصبحت ملء السمع والبصر ، فى كل مكان ، وتحت كل عين ، يتفاخر البعض بها ، ويقلدها البعض تقليدًا أعمى ، غير أن لكل هذا تأثيره فى هوية بلدنا الإسلامية ، ووجد فى بعض بلاد الإسلام من انسلخ عن لغته إلى لغات أخرى .

٢ - حفظ الهوية الإسلامية من حيث الفكر : فاليوم إذ ينادى علماؤنا ومفكرونا : « أن أدركوا فكركم الأصيل » أوشك أن يقضى عليه الاحتراق الفكرى الاستعمارى البغيض ، وليس من وسيلة لإدراك ذلك إلا بالعودة إلى الينابيع الصافية لفكرنا الإسلامى ، والقرآن هو النبع الأول فيها ، يدعو إلى الحرية فى فضيلة ، وإلى التقدم فى نفع ، وإلى التجديد فى غير ضرر ولاضرار .

٣ - وفيه اعتداد بالعزة المستمدة من الله لعباده المؤمنين خاصية منه لهم تميزهم عن غيرهم ، لا اعتدادا بباطل ، أو استمساكا بعزة ينبوعها إثم .

وبالإجمال : فإن القرآن إعجاز علمى ، وتقدم فكرى ، وواقع حى ، لاحاجة معه لاستدلال من مقدمات ، أو تجارب لاختيار مايصلح من الأعمال والسياسات ، وفيه ربط بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وفيه صلاح وإصلاح وتربية .

* * *

الحكم الشرعى لحفظ القرآن :

قال السيوطى (رحمه الله) فى الإتقان : اعلم أن حفظ القرآن « **فرض كفاية** » على الأمة ، صرح به الجرجانى فى الشافى ، والعبادى وغيرهما .

وقال الجوينى : والمعنى فيه ألاّ ينقطع عدد التواتر فيه ؛ فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف ؛ فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين ، وإلاّ أثم الكل .

قلت : ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة أن عدد التواتر فى نقل القرآن حفظا وتلاوة وخطا لم ينقطع أبداً ؛ إذ تكفل الله تعالى بحفظه فى الصدور ؛ فهيأ له الحفظة ، وسهل حفظه عليهم ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر - ١٧]

وحفظه فى المصاحف ، فهيأ تعالى له الخطاطين فأبدعوا فى رسمه وشكله ونقطه وفواصله وتقسيمه ، فنًا وجمالا ، ومحافظة وكمالا ، ثم هيأ الله - تعالى - له المطابع والأوراق فخرج فى تجليد فاخر وصورة جيدة ، واعتنى به أهل القرآن فى مجمعات طباعته فى كل مكان ، كل ذلك بغاية الإتقان حتى قلّ أن يوجد كتابا خاليا من الأخطاء غير القرآن الكريم ، إعجازا وتحديًا .

ومما واكب ظهوره فى عصرنا هذا من وسائل حفظ القرآن التسجيلات السمعية للقرآن ، بل والمرئية ، بأصوات متقنى القرآن قراءة ومعنى كما تم توظيف أجهزة الحاسب الآلى (الكومبيوتر) لخدمة القرآن الكريم ؛ فتم برمجتها بنص القرآن ، وإعدادها بفهارس عديدة تخدم الباحث الإسلامى ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر - ٩]

قلت : **ويجب على كل مسلم وجوبا عينيا أن يتعلم من القرآن ما يصلح به دينه ، وتقوم به صلاته ، وتحفظ به نفسه .**

قال ابن خلدون ما محصلة : « وهو شعار من شعار الدين ، أخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم » .

من فضل حفظ القرآن وتعلمه :

فى الصحيح عن عثمان (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وفى رواية : « **إن أفضلكم من يتعلم القرآن ويعلمه** »

وروى الطبرانى ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال ﷺ : « **أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل** »

وفى مسند أحمد عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « ذكر رجل عند رسول الله ﷺ بخير ، فقال : **أولم تروه يتعلم القرآن** » أى أن ما هو فيه من خير إنما هو ببركة تعلمه القرآن ، أو إن أكبر خير هو فيه تعلمه القرآن .

وبلغ من حرص النبى ﷺ على تعلم أصحابه القرآن أنه كان يشترط على من أتى إليه مسلما من وفود العرب أن يتعلموا القرآن فيما بينهم ، ويرسل معهم من يعلمهم من أصحابه .

وعند أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) : « **كان الرجل إذا هاجر دفعه النبى ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن** » .

قلت : وقد جاء فى صفة الأمة المحمدية فى الكتب السابقة عند « البخارى » : « **أناجيلهم صدورهم** » أى أنهم يحفظون كتاب الله فى صدورهم ، وتلك خصيصة لأمة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) لم تكن لأمة سابقة .

ومن فضل حامل القرآن أن النبى ﷺ كان يدفن شهداء أحد من أصحابه بحسب ما معهم من القرآن ؛ فيقدم أكثرهم حفظاً .

وقد ورد أنه ﷺ زوّج بعض أصحابه بما معهم من القرآن ، وفى البخارى أنه قال لأحد

أصحابه : « زوجتك إياها بما معك من القرآن » أى : ما حفظه عن ظهر قلب منه .

● ● ●

حفظ الصبيان وسن الحفظ :

ترجم البخارى فى صحيحه : « باب تعليم الصبيان القرآن » ، وقال الحافظ فى هدى السارى : ويؤخذ فقه الإمام البخارى من تراجمه ، قلت : وكأن ترجمة البخارى هنا تدل على الندب والاستحباب ؛ فإن تعليم الصبيان القرآن فى الصغر كالنقش على الحجر ، أى فى ثبات الحفظ واستمراره .

كذلك معلوم أن الصبىّ الصغير عنده من صفاء الذهن وخلو البال ، ما يجعل الحفظ والمدارسة أيسر عليه ممن انشغل بمطالب العيش والحياة .

وعند البخارى أيضا قال ابن عباس : « **توفى رسول الله**  **وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم** » يعنى المفصل ، وهو من الحجرات إلى آخر القرآن على الصحيح ، وهو ما كثرت فصوله من القرآن .

وذكر الشعرانى « فى كشف الغمة » أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يرخص فى إمامة الصبى المميز ، لا سيما إذا كان أكثر القوم قرآنا ، قال : وكان عمرو بن أبى سلمة ـ رضى الله عنه ـ يؤم قومه ابن ست أو سبع أو ثمان فى عهد النبى ﷺ ، وإمامة عمرو لقومه وهو صبى ذكرها البخارى ، والحافظ فى الإصابة .

وأخرج أبوداود بإسناد صحيح عن الأشعث بن قيس أنه قدم غلاما فعابوا عليه ، فقال : ما قدمته ولكن قدمه القرآن .

وذكر ابن الحاج المالكى أن السلف كانوا يقرءون أولادهم إذا بلغوا سبع سنين .

وقد كره مالك وطائفة من السلف أن يعجل بتعليم الطفل القرآن قبل تمييزه ، ونحو هذا ورد عن إبراهيم النخعى وسعيد بن جبير عند أبى داود .

قلت : والحاصل أن الكراهة فيمن لم يعقل بعد لعدم قدرته على التحمل وحتى لا يورثه الملال ، وأما المميز الذى يعقل الأشياء فيجب أخذه بالجد فى الحفظ كتعليمه الصلاة وغيرها من أمور الدين .

● ● ●

الكتاتيب فى التاريخ :

الكُتّاب : اسم للمكان الذى يحفظ فيه الصبيان القرآن ، وجمعه « كتاتيب » ، ويطلق عليه « مكتب » أيضا ، وكلاهما صحيح فى اللغة .

وفى « كتاب الديات » من صحيح البخارى « **أن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ بعثت إلى معلم الكُتّاب أن ابعث إلىّ غلمانا** ... » ، وفيه دليل على أن أول « كُتّاب » كان بالمدينة على عهد النبى  ، قال الحافظ : وفى رواية النسفى « كُتّاب » بالتنكير ، قلت : فيه دليل على وجود أكثر من كتاب بالمدينة فى هذا الوقت .

ويؤيده ما أسنده البخارى فى الأدب المفرد إلى ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ « **أنه كان يُسلّم على الصبيان فى المكتب** » .

وقال الواقدى : « إن عبدالله بن أم مكتوم قدم مهاجراً إلى المدينة فنزل « دار القراء » ، قال

الطهطاوى فى كتابه « الدولة الإسلامية » : « ولا مانع أن تعتبر ـ دار القراء ـ أنها أول مدرسة فتحت فى الإسلام » .

وقد انتشرت الكتاتيب بعد ذلك ، ونظمت فى عهد أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنه ـ ، فأمر ببناء بيوت المكاتب ، ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم ، وسنّ لهم الاستراحة أيام الأربعاء والخميس والجمعة ، ذكر ذلك الكتانى فى « التراتيب الإدارية » .

ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع الكتاتيب فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وكان لها دور مهم فى نشر الإسلام والحفاظ على هويته ، خصوصا فى وسط أفريقيا ، ويطلق على الكتاتيب هناك اسم « الخلاوى » ، وقد ألحقت الكتاتيب أو الخلاوى فى الشمال الأفريقى وفى كثير من البلاد الإسلامية بالمساجد والزوايا والأربطة و « الخانقاهات » وبيوت الصوفية .

وعلى الهيئات المسئولة عن شئون القرآن كالأزهر والأوقاف والجمعيات الأهلية النهضة بالكتاتيب مرة أخرى لتعود سيرتها الأولى .



محفظو القرآن وشىء من التاريخ :

اشتهر من محفظى القرآن ومعلميه عدد من الصحابة أولهم : مصعب بن عمير بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة ليعلمهم القرآن والإسلام ، وكان يسمى « المُقْرِى» » .

« والمقرىء » : هو المعلم والمحفظ بخلاف « القارىء » فهو الذى يتلو القرآن بجمع أو انفراد ، كما يطلق « القارىء » على المتلقى ، وفى حديث بدء الوحى قوله ﷺ لجبريل : « ما أنا بقارىء » .

ومن المقرئين من الصحابة عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ كان يعلم أهل الصفة القرآن .

ومن أصغر من أقرأ من الصحابة سنًّا : عمرو ابن حزم بن زيد الخزرجى من بنى مالك أرسله النبى ﷺ إلى « نجران » وهو ابن سبع عشرة سنة .

واشتهر بالإقراء سبعة من كبار الصحابة هم : عثمان ، وعلى ، وزيد بن ثابت ، وأبىّ ، وابن مسعود ، وأبوالدرداء ، وأبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنهم جميعا ـ ، وعنهم اشتهر سبعة من تلاميذهم هم الأئمة الحفاظ السبعة أصحاب القراءات : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، واشتهر عن كلّ إمام راويان ، ثم انتشرت القراءات بعد عنهم برواياتهم ، وحفظت ، ودونت ، وجابت الآفاق .

وبعد : وإلى عهدنا هذا لم تخل أرض الإسلام من القراء الحفظة عدد التواتر الجم جمعا عن جمع ، طبقة عن طبقة ، جيلا من بعد جيل .

وجمع أشهر الحفاظ من القراء الحافظ الذهبى فى طبقات القراء ، ومن بعده زين القراء وحافظهم أبوالخير ابن الجزرى ـ رضى الله عنهم جميعا وأرضاهم ـ .



من رجال الحديث الشريف

يزيد بن الهيثم

روايته من كلام أبي زكريا يحيى ابن معين في الرجال

تحقيق د. أحمد محمد نور سيف

عرض الأستاذ / أحمد تقي الدين

هو يزيد بن الهيثم بن طهمان ، أبو خالد الدقاق ، البغدادي ، لازم يحيى بن معين ، ودون بعضا من أقواله في الجرح والتعديل .

اشتهرت نسبته بـ (البادا) والصواب فيها أنها بالياء نسبة إلى البدء ، فقد وُلد هو وأخ له توأمان ، وكان هو الأول منهما في الولادة فقيل له : (البادي) أي البادىء .

شيوخه :

سمع عاصم بن علي ، وعبيدالله بن محمد عن عائشة ، وبسام بن يزيد النقال ، وعبدالله بن مطيع البكري ، وصبيح بن دينار ، وعباس بن غالب الوراق ، ويحيى بن معين .

تلاميذه :

روى عنه : يحيى بن صاعد ، ومكرم بن أحمد القاضي ، وأبو عمرو بن السماك ، وأبوسهل بن زياد وأبو بكر الشافعي ، وغيرهم .

قال عنه الدارقطني والخطيب : « كان ثقة »

---

* تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف ، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة .

من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال :

والآثار التى تركها إمام الجرح والتعديل أبو زكريا يحيى بن معين[1] تتفوق في كثرتها ما تركه غيره من الأئمة النقاد ، ولذا فقد ذاع صيته بسبب ما وصل إليه في نقد رواة الحديث ، وشهد له العلماء والنقاد بالفضل ، والتقدم ، وأحلوه في نفوسهم المنزلة الرفيعة ، ووجد أقرانه وتلاميذه في ملازمته علما ومغنما وحجة ومرجعا عند الاختلاف ، حيث دونوا عنه كل ما تلقوه منه من معارف ومعظمها في ميدان الجرح والتعديل وعلل الحديث ، وما يتعلق بهما ولقد كانت مجالسه تغص بطالبي هذا الفن ومن هؤلاء رجلنا الذى نعرض له : « يزيد بن الهيثم البادى » الذى دون عن الإمام يحيى رواية تعد من الروايات القصيرة إذا قورنت بغيرها من روايات الآخرين كالدورى ، وابن محرز .

وصاحب الرواية بغدادى لازم يحيى بن معين ، ودون عنه أقوالا في جرح الرواة وتعديلهم ، وكان يقول في نهاية كل رواية :

- كل شيء من كلام يحيى في هذا الجزء .
- سمعت من يحيى بعضه .
- بعضه سألته عنه .
- بعضه كان يبتدينا .

واحتوت هذه الرواية - بهذا الكتاب - على أربعمائة وسبعة نصوص ، ضمت تراجم لأربعمائة وعشرين ممن أدلى ابن معين برأيه فيهم .

وعلى الرغم من قصر هذه الرواية فقد اشتملت على نصوص هامة رفعت الجهالة عن بعض الرواة ممن لم يرد فيهم توثيق لناقد له مكانته مثل الإمام يحيى بن معين :

من ذلك ما أورده محقق الرواية الدكتور أحمد محمد نور سيف في تحقيقه : ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ :

« ٢٨٦ - عبدالله بن بشر ثقة . روى عنه معمر الجزرى عن الزهرى في الحاجم والمحجوم . ثقة ليس به بأس »

يعلق المحقق على هذه الرواية بقوله :

أخرج هذا الحديث بن ماجه من طريق معمر بن سليمان ، عن عبدالله بن بشر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أفطر الحاجم والمحجوم . وساقه ابن عدى في الكامل ثم قال : وهذا لا أعلم يرويه عن الأعمش غير عبد الله بن بشر وروى عن الحسين ابن واقد عن الأعمش .

ثم قال : وعبدالله بن بشر له من الأحاديث غير ما ذكرت من الحديث ، ولمعمر عنه نسخة وأحاديثه عندى مستقيمة أهـ .

وما ذهب إليه ابن عدى في الحكم عليه وعلى أحاديثه تشهد له النصوص المنقولة عن ابن معين ، فروى الدورى عنه قال : عبدالله بن بشر الذى يروى عنه معمر بن سليمان الرقى ، هو كوفى نزل الرقة ، وهو ثقة . وكذا نقل ابن محرز عنه وزاد : صدوق مسلم . وابن أبي خيثمة أيضاً عنه قال : عبدالله بن بشر الذى يروى حديث الأعمش : أفطر الحاجم والمحجوم ، ثقة من خيار المسلمين .

---

(١) عرضت مجلة الأزهر في عدد شهر المحرم ١٤٢٧ ص ٢٤ : ٣١ لحياة الإمام يحيى بن معين .

ونقل ابن عدى عن الدورى عنـــه قال : عبدالله بن بشر الذى روى عن الأعمش ، ثقة . وسأل الدارمى عنه يحيى فقال : ثقة ، فنقول الرواة عن يحيى متضافرة على توثيقه ، وصحة الحديث الذى رواه فى الحجامة . وشذّ الساجى (زكريا بن يحيى بن عبدالرحمن ٣٠٧ هـ) .

فعزا إلى يحيى قوله : عبدالله بن بشر الذى يروى عنه معمر بن سليمان ، كذاب لم يبق حديثاً منكراً رواه أحد من المسلمين إلا وقد رواه عن الأعمش . ولم يذكر من نقل ذلك عن يحيى . والنقول السابقة ، تؤكد وهم الساجى فى نقله . أما ابن حبان فقد اضطرب قوله فيه . فقد ذكره فى الثقات ثم غفل فذكره فى الضعفاء . ولذا فقول ابن حجر فيه فى التقريب : اختلف فيه قول ابن معين وابن حبان ، مما يشعر بتضعيفه ، فيه وذلك :

ـ أن النقل عن يحيى بتضعيفه ، لم يثبت .

ـ أن ابن حبان ، غير متثبت فى حكمه ، خاصة وأنه لم يورد له ما ينكر عليه كعادته فى ترجمة الرواة .

ـ أن ابن عدى قد استقرى أحاديثه ، وقال : أحاديثه عندى مستقيمة .

ـ قد وثقه كذلك أبو زرعة والنسائى ومعمر ابن سليمان الراوى عنه كما نقل ذلك ابن حجر عنه .

ـ أن طعنه عليه ، لم يكن على بيّنة من أمره .

وقد وقع عمل المحقق فى اثنتين وسبعين ومائة صفحة من القطع العادى حوت تحقيقاً لنسختين من الرواية :

ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث باسطنبول .

ـ نسخة مكتبة صائب سلام بأنقرة .

وقعت النسخة الأولى فى سبع ورقات مسطرتها ٢٥ سطراً . فى حين وقعت الثانية فى ثمان ورقات ٢٦ × ١٨,٥ .

ورجع المحقق فى تحقيقه للرواية على النسختين إلى عدد من المراجع بلغ ثلاثة وسبعين مرجعاً منها ثلاثة عشرة مخطوطة .

وفى نهاية التحقيق دعم المحقق عمله بعدد من الفهارس :

ـ فهرس الأعلام .

ـ فهرس من نسب إلى أبيه .

ـ فهرس النسب وكنى النساء ومن لا يعرف .

ـ فهرس الأحاديث مرتبا على الأبواب الفقهية وأخيراً قائمة المراجع .

ملاحظـــات :

● قال المحقق فى ص ٧ فى تعريفه بصاحب الرواية يزيد بن الهيثم بن طهمان البادى : « اشتهرت نسبته بالبادا ، والصواب فى هذه النسبة ، أنها بالياء نسبة إلى البدء ، فقد ولد هو وأخوه توأمان [سبق أن قدمنا ذلك] ، وكان هو الأول منهما فى الولادة فقيل له : البادى .

وقد عرف بهذه النسبة من أحفاده أو أحفاد أخيه على الأصح اثنان من أحفاده ، أو أحفاد أخيه على الأصح ترجم لهما الخطيب ، وذكر أن كلا منهما كان يعرف بابن البادا » أى البادى .

وهذان الحفيدان اللذان ذكرهما المحقق هما :

ـ الحسن بن على بن الحسن بن الهيثم طهمان

أبوعبدالله الشاهد المعروف بابن البادا .

ـ أحمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن ابن الهيثم أبو الحسن ويعرف بابن البادا ، وذلك على نحو ما ذكر ص ٨ .

وقام المحقق بتحقيق نسبة الحفيدين إلى لقب « ابن البادا » أو « ابن البادى » .

حتى قال في ص ٩ : « فالصواب أن يقال في يزيد بن الهيثم : البادى . وأن يقال في كل من حفيديه أو حفيدى أخيه : ابن البادى .

وإنما قلت : حفيدى أخيه لأن نسبهما ينتهي إلى ابن الهيثم ، وليس إلى يزيد بن الهيثم ، فلعله أخوه ، ثم شاعت هذه النسبة بعد ذلك ، فعرفت في أحفاده وأحفاد إخوته » .

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الأستاذ المحقق كان الأولى به أن يحصر نسبة « ابن البادا » أو « البادى » في أبناء وأحفاد يزيد بن الهيثم فقط ، وليس في أبناء وأحفاد أخيه أو إخوته .

● وفي ص ٩٤ رواية ليزيد بن الهيثم عن يحيى بن معين جاء فيها :

« ٢٩٤ ـ قد روى محمد بن ثابت العصرى » ..

بينما في حاشية التحقيق لا ذكر للعصرى وإنما تحدث المحقق عن محمد بن ثابت العبدى فهل جاء الاسم ناقصاً أم الأمر لا يخرج عن نطاق الخطأ المطبعى ؟!

على أنها ملاحظات لا تقلل بحال من جهد المحقق الذى دعم تحقيقه بواحد وعشرين حديثاً ذكرها صاحب الرواية من ذلك :

« ٣٣٦ ـ قيل له : روى الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ ، من لم يقرأ بفاتحة الكتاب » قال المحقق :

« أخرجه البخارى من طريق سفيان قال : حدثنا الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

« ٣٥٨ ـ وقيل ليحيى وأنا أسمع : اسماعيل ابن زكريا روى حديث حُجَيَّة عن علي في قصة صدقة العباس ... قال المحقق :

« أخرجه أبو داود قال : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا اسماعيل بن زكريا عن الحجاج ابن دينار ، عن الحكم ، عن حجية ، عن علي أن العباس سأل النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل ، فرخص له في ذلك (قال مرة : فأذن له) . قال أبو داود : روى هذا الحديث هشيم عن منصور بن زاذان عن الحكم عن الحسن بن مسلم عن النبي ﷺ وحديث هشيم أصح ... أخرجه الترمذى ... وابن ماجه ... والدارمى ... وأحمد ... والدارقطنى .. والبيهقى ... وقال : هذا حديث مختلف فيه على الحكم بن عتيبة فرواه اسماعيل بن زكريا عن الحجاج عن الحكم هكذا وخالفه إسرائيل عن حجاج فقال : عن الحكم عن حجر العدوى عن علي وخالفه في لفظه فقال : قال رسول الله ﷺ لعمر : (إنا قد أخذنا من العباس زكاة العام .. عام أول) . ورواه محمد بن عبيد الله العرزمى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ... »

وعمل المحقق بما لا يدع مجالا للشك عمل متميز متفرد نسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين .

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

الغرر في التأمين يستغرق المحل

9

للدكتور / عبدالله مبروك النجار

وشذا ما أردنا أن نطبق هذا النوع من الغرر على التأمين لوجدنا أن الغرر الحاصل فيه يستغرق المحل كله دون أن يقتصر على قدر يسير منه ، وليس أدل على ذلك من أن أهم أنواع التأمين ، وهو التأمين من الأضرار يستغرق العوض كله من ناحية حصوله أو عدم حصوله ، كما يشمل أيضاً غررا في مقدار الحاصل منه ، ذلك أن المستأمن لا يعرف هل سيقع الضرر المؤمن عليه أم لا يقع ، وإذا وقع فإنه لا يستطيع أن يحدد مقداره ، ولا يعرف مقدار ما سيأخذه من المؤمن فالضرر في هذا النوع من التأمين يعتبر شرطاً لاستحقاق التعويض ، ومن ثم فإنه إذا تحقق الخطر ولم يحدث ضرر بالمؤمن له ، فلا يستحق أي تعويض[1] ، ثم إن مقدار الضرر الحادث للمؤمن له يعتبر عنصرا من عناصر تحديد التعويض ، أي أداء المؤمن ، ذلك أن هذا الأداء يجب ألا يزيد عن الضرر ، وإلا كان في ذلك تشجيعاً للمؤمن له على إحداث الضرر .

• الكاتب أستاذ مساعد / كلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر

(1) الوسيط للسنهوري ــ الجزء السابع ــ المجلد الثاني ــ فقرة ٥٦٣ ــ ص ١٤٥٣ ، وما بعدها ــ طبعة ١٩٩٠م ، د. محمد كامل مرسي ــ فقرة ١٩ ، د. عبدالمنعم البدراوي ــ فقرة ١٢١ ، د. نزيه المهدي ــ ص ٦٢ ، ٦٣ ، د. عبدالحي حجازي ــ التأمين ــ فقرة ١٢٤ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص ١٦٢ ، وما بعدها ، د. عبدالناصر العطار ــ ص ١٧ ، د. عبدالرازق فرج ــ ص ٢٨ ، د. حسام الدين الأهواني ــ ص ٩٤ ، وفي الفقه الفرنسي.

Picard (M.) Besson (A.), les assurances T. I, le contrat d'assurance, No. 34 p. 53 Paris, 1975.

الحكم الشرعي للتأمين التجاري :

لكي تحصل على مبلغ يزيد على الضرر الذى لحق به ، وغير خاف أن ذلك الأمر مخالف للمصلحة العامة ، سواء في الوسيلة المتبعة ، وهى إلحاق الضرر عمداً بتعمد تحقيق الخطر المؤمن منه ، أو في النتيجة ، وهى تحقيق الكسب والإثراء مما يضفى على العملية وصف المضاربة ، ولذلك تعتبر قاعدة تقييد أداء المؤمن بمقدار الضرر الحادث ، قاعدة من النظام العام لا يجوز الإتفاق على ما يخالفها ، وعلى المؤمن إن يثبت حدوث الضرر ومداه[٢] .

وبالنسبة للمؤمن ، فإن مقدار ما تحصل عليه من عوض فيه غرر كبير ، لأنها قد تحصل على قسط واحد ، ثم تقع الكارثة ، وقد تحصل على عشرة أقساط ، ثم تقع الكارثة ، وقد تحصل على عدد الأقساط كلها ولا تقع الكارثة في مدة التأمين فلا تخسر شيئاً ، وواضح أن التفاوت في مقدار ما تحصل عليه شركة التأمين من عوض تبعاً لوجود هذه الاحتمالات الموجودة في الصور التى مثل بها المالكية للغرر اليسير ، لأن الفرق في قدر ما يحصل عليه المتعاقد من عوض زيادة ونقصاً تبعاً لأعلى الاحتمالات وأدناها في عقود التأمين كبير جداً إذا قيس بنظيره في الأمثلة التى مثل بها المالكية للغرر الذى لا يؤثر في المعارضات مثل شراء الدار دون رؤية الأساس ، وشراء الجبة المجهول حشوها ، فافترقا تحريماً وجوازاً[٣] .

ارتكاب الغرر في التأمين ليس ضرورياً :

وإذا طبقنا هذا العنصر على عقد التأمين ، لوجدنا أن الغرر في هذا العقد ليس من الغرر الذى تدعو الضرورة إلى ارتكابه ، لأننا أولاً : لسنا بصدد معارضة وردت الأدلة الشرعية بجوازها بحيث لو منعنا الناس منها أصابهم من ذلك الحرج الشديد ، والمشقة الزائدة ، وليس أدل على ذلك من أننا نبحث عن مشروعية هذا النوع من التعامل ، كما أننا لسنا أمام عقد تدعو الضرورة إلى ارتكاب الغرر فيه ، لأن عقد التأمين في حد ذاته من عقود الغرر ، فلا يقال أن الضرورة قد اقتضت ارتكاب الغرر فيه[٤] .

الشرط الثاني : أن يقع الغرر في عقود المعاوضات :

ويشترط ثانياً : أن يكون الغرر حاصلاً في عقد من عقود المعاوضات ، والأمثلة التى ضربها الفقهاء للغرر الفاحش المحرم ، كلها تدور حول

---

(٢) د. عبدالحي حجازي ـ السابق ـ فقرة ١٢٤ ، د. محمد على عرفه ، ص ٥٥ ، د. محمد كامل مرسى ـ العقود المسماة ـ جـ ٣ (التأمين) ـ فقرة ٣٢ ، القاهرة ١٩٥٢ ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ التأمين ـ فقرة ١٦١ ، د. عبدالرازق فرج ـ عقد التأمين ـ فقرة ٧٤ ، د. أحمد شرف الدين ، السابق ـ ص ١٦٢ ، وحكم محكمة القاهرة الإبتدائية بتاريخ ١٩٥٣/٩/١٦ ، المحاماه ـ س ٣٥ ، ص ٤٤٥ .

(٣) في هذا المعنى : د. حسين حامد ـ ص ٧٩ ، وراجع : الدكتور الصديق محمد الأمين الضرير ـ الغرر وأثره في العقود ، ص ٦٥٦ وما بعدها ، حيث يقرر أن الغرر في التأمين كثير لا يسير ولا متوسط ، لأن من أركان التأمين ، الخطر ، والخطر هو حادث محتمل لا يتوقف على إرادة المتعاقدين .

(٤) د. حسين حامد ـ السابق ـ ص ٨٢ .

عقود المعاوضات ، حيث يدفع فيها كل واحد من المتعاقدين مقابلا لما أخذ ، ومن ثم كان من الواجب أن يحيط علما بكل ما من شأنه أن يحقق رضاه ببذل العوض مقابل المعوض الذى اتفق عليه فى العقد[5] .

فإذا وقع الغرر فى معاملة تقوم على التبرع ، فإنه يغتفر ، وقد سبق أن رأينا فى مشروعية التأمين الإجتماعى ، أنه ليس بشرط فى جواز التبرع أن يعرف المتبرع عند التبرع مقدار ما يتبرع به على وجه التحديد ، وهذا هو معنى القول بأن الغرر والجهالة يغتفران فى التبرعات ، تشجيعاً على فعل الخير من جهة ، ولعدم تضرر المتبرع إليه بالغرر والجهالة من جهة أخرى ، حيث لم يبذل عوضا فى مقابل هذا التبرع ، والأصل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[6] .

فالمحسن متفضل ، والتبرع من أنواع الإحسان فليس على صاحبه من سبيل فيه .

ولعل جواز الغرر فى عقود التبرع ، هو الأصل الذى قال به كثير من الفقهاء المحدثين بمشروعية التأمين الإجتماعى[7] ، وقد قامت الأدلة على ذلك من السنة والقياس كما سبق أن رأينا[8] .

الشرط الثالث : عدم وجود نص بالتجاوز عنه :

ويشترط ألا يكون هناك نص يفيد مشروعية التجاوز عن الغرر الموجود فى المعاملة ، فإذا ورد النص على مشروعية عقد ما رغم ما ينطوى عليه من غرر فإن اتباع النص يكون أولى ، وقد جرى ذلك فى باب الاستحسان .

والاستحسان لغة : مشتق من الحسن ، قال ابن منظور : والحسن محركة ما حسن من كل شىء ، فهو استفعال من الحسن ، يطلق على ما يميل إليه الإنسان ويهواه ، حسيا كان هذا الشىء أو معنوياً ، وإن كان مستقبحا عند غيره ، وهو من الحسن ضد الاستقباح تقول : استحسنت كذا ، أى اعتقدته حسناً ، ويقال : استحسن الرأى أو القول أو الطعام أو الشراب ، أى عدّه حسنا ، وهذا مما استحسنه المسلمون ، أى عدوه حسنا[9] .

وفى اصطلاح الأصوليين والفقهاء :

عرفه الإمام الغزالى بعدة تعريفات منها أنه : « ما يستحسنه المجتهد بعقله »[10] . وهذا التعريف منتقد ، لأنه يجعل الاستحسان راجعا إلى عقل المجتهد دون أن يقيده بالنصوص الشرعية .

---

(5) د. السنهورى ـ مصادر الحق فى الفقه الإسلامى ـ السابق ـ ص ٤٩ ، حيث يقرر : أما فى التبرعات فلا يكون الغرر مهما كان كثيرا ، مؤثراً فى صحتها ، وذلك أنه لا ضرر من الغرر ، ولو كان كثيراً على من يتلقى التبرع ، لأنه لم يبذل شيئاً يخشى ضياعه . من جراء الغرر .

(6) سورة التوبة ـ آية ٩١ .

(7) راجع فى هذا المعنى : الشيخ محمد أبو زهرة ـ أسبوع الفقه الإسلامى ـ السابق ـ ص ٥١٥ ، د. عبد الناصر العطار ، السابق ـ ص ٧١ ، وما بعدها ، د. يوسف قاسم ـ السابق ـ ص ٢٢٠ ، وقرارات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، وقد أكد المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٦٦ ، بأن التأمين التعاونى والإجتماعى ، وما يندرج تحتهما ، من التأمين الصحى ضد العجز والبطالة والشيخوخة ، وإصابات العمل وما إليها فقد قرر المؤتمر جوازها .

(8) راجع مشروعية التأمين التعاونى والإجتماعى فى الباب الأول ، من هذا البحث .

(9) المعجم الوسيط ـ ص ١٧٤ ، القاموس المحيط ـ جـ ٤ ـ ص ٢١٤ ، تاج العروس ـ جـ ٩ ـ ص ١٧٧ .

(10) المستصفى للغزالى ـ جـ ٢ ص ٤٧ .

ولهذا قيده الغزالي بقوله : « إنا نعلم قطعا إجماع الأمة قبلهم على أن العالم ليس له أن يحكم بهواه وشهوته من غير نظر في الأدلة ودلالتها ، والاستحسان من غير نظر في أدلة الشرع حكم بالهوى ، وهو كاستحسان العامي ، ومن لا يحسن النظر »[11] .

وقد أخذ على هذا التصحيح أنه يجعل للعامي استحسانا ، وهو مالا يمكن تصوره ، وللذلك عرفه بتعريف آخر جاء فيه : « أنه العدول بحكم المسألة عن نظائرها بدليل خاص »[12] ، كما عرفه ابن العربي بأنه : إيثار ترك الدليل والترخيص بمخالفته لمعارضته دليل آخر في بعض مقتضياته[13] ، يقول الشوكاني : « إن كان الاستحسان والقول بما يستحسنه الإنسان ويشتهيه من غير دليل فهو باطل ، ولا أحد يقول به ، وإن كان تفسير الاستحسان بالعدول عن دليل إلى دليل أقوى منه ، فهذا مما لا ينكره أحد »[14] .

أدلة مشروعية الاستحسان :

وردت أدلة مشروعية الاستحسان بالكتاب والسنة والإجماع :

١ ـ أما الكتاب :

(أ) فيقول الله تعالى :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم ﴾[15] .

والآية تمدح الذين يتبعون أحسن القول ، وأحسن أفعل تفضيل ، يقابله الحسن وهو المتروك باتباع الأحسن ، واتباع بعض القول لكونه أحسنا هو الاستحسان ، والآية فيها أمر بالوجوب ، فيكون المأمور به واجبا ولا معنى لحجية الاستحسان إلا هذا ، يقول الآمدي : « وجه الاحتجاج بالآية ، ورودها في معرض الثناء والمدح لمتبع أحسن القول »[16] .

(ب) ويقول الله تعالى :

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[17] .

ووجه الدلالة في الآية الكريمة ، أنها قد ذكرت في مقام المدح والثناء على المتبعين ما أحسن »[18] .

(جـ) ويقول الله تعالى :

﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾[19] .

وقد أوضحت الآية الكريمة أن قوم موسى كانوا مأمورين بأن يأخذوا بالأحسن ، وهم مأمورون بالعمل به ، مع وجود الحسن في التوراة ، ونحن كذلك مأمورون به ، لأن شرع من قبلنا شرع لنا ، ما لم ينسخ ، وقد سار اتباع الأحسن من شرعنا لما سبق من الآيات ، وحينئذ يكون الاستحسان حجة .

---

(١١) المرجع نفسه .

(١٢) المرجع نفسه ـ ص ٤٨ .

(١٣) الإعتصام للشاطبي ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٩ ، والموافقات ـ جـ ٤ ـ ص ٢٠٨ .

(١٤) إرشاد الفحول ـ ص ٢١٢ ، وراجع : بحث في الاستحسان ـ للدكتور محمود عبدالقادر مكاوي منشور ـ في أسبوع الفقه الإسلامي ، ومهرجان الإمام ابن تيمية ـ ص ٢٩٧ وما بعدها .

(١٥) سورة الزمر ـ آية ٥٥ .

(١٦) الإحكام للآمدي ـ جـ ٢ ص ٢٠٣ .

(١٧) سورة الزمر ـ آية ١٨ .

(١٨) المبسوط للسرخسي جـ ٢ ص ١٢٥ .

(١٩) سورة الأعراف ـ آية ١٤٥ .

٢ ـ ومن السنة النبوية :

ما روى أنه قال : « ما رآه المسلمون حسنا هو عند الله حسن »[٢٠] ، ووجه الدلالة فى الحديث أن النبى ، قد بين أن ما يراه المسلمون بعقولهم حسناً ، فإنه حينئذ يكون ذلك ، وإلا لو لم يكن كذلك لحسنه الشرع بدليل ، وحينئذ فلا يكون هناك داع لذكر الحديث[٢١] .

٣ ـ وأما الإجماع :

فقد استدل المثبتون للاستحسان بالإجماع على ثبوت حجيته بقولهم : أجمعت الأمة على دخول الحمام من غير تقدير أجرة وعوض الماء ، ولا تقدير مدة السكون واللبث فيه ، وكذلك شرب الماء من يد السقائين بغير تقدير العوض ولا مبلغ الماء المشروب وقدره ، لأن التقدير فى مثل هذا قبيح من العادات فاستحسنوا ترك المضايقة فيه ، ولا يحتمل ذلك فى إجارة ولا بيع[٢٢] .

تطبيقات الاستحسان على الغرر :

فإذا ورد النص بالاستحسان فى مسألة يتضمن العقد فيها غررا ، فإنه يغتفر بالنص ، وذلك كما فى السلم والإجارة .

(أ) أما السلم :

فإنه يعرف بأنه : بيع آجل بعاجل ، أو بيع شىء موصوف فى الذمة ، أى أنه يتقدم فيه رأس المال ، ويتأخر الثمن لأجل ، وبعبارة أخرى : هو أن يسلم عوضا حاضرا فى عوض موصوف فى الذمة إلى أجل[٢٣] .

فالسلم بيع ، لكنه لم يأت على قاعدة البيع المعهود ، والذى يشترط فيه أن تكون العين المبيعة موجودة عند العقد ، إلا أنه جوز لنص آخر ، أخرج المسلم فيه من الحكم العام الذى بينه النبى ﷺ لحكيم بن حزام : « لا تبع ما ليس عندك » ، حيث نهى النبى ﷺ عن بيع ما ليس عند الإنسان ، لكن السلم جوز رغم أنه ليس موجوداً عند الإنسان وقت التعاقد ، وذلك لليسر

---

(٢٠) رواه أحمد فى مسنده ، وقال العلائى عن هذا الحديث : لم أجده مرفوعا فى كتب الحديث أصلا ، ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال ، وإنما هو موقوف على ابن مسعود ، وقد حسنه ابن حنبل كما أخرجه البزار والطيالسى والطبرانى ، وأبو نعيم فى ترجمة ابن عباس من الحلية ، وراجع المقاصد الحسنة ـ للسخاوى ـ حديث ٩٥٩ ـ ص ٣٦٧ ـ طبعة دار الأدب العربى للطباعة ، ويقول السرخسى : والحديث شائع مشهور على الألسنة رغم عدم ثبوت رفعه إلى النبى ﷺ ، والثابت وقفه على ابن مسعود رضى الله عنه ، وقد ذكر الزيلعى له ثلاث طرق ، فقد رواه أحمد فى مسنده ، والحاكم فى المستدرك ، والبزار فى مسنده ، كما رواه البيهقى عن الضحاك عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، وراجع المبسوط للسرخسى ـ جـ ١٢ ـ ص ٤٥ ، نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية ـ جـ ٤ ـ ص ١٣٣ ، وما بعدها .

(٢١) د. عبد الحميد أبو المكارم إسماعيل ـ الأدلة المختلف فيها ـ ص ٢٤٩ ـ دار المسلم .

(٢٢) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٩ ـ ص ١٤٥ ، المستصفى للغزالى ـ ص ٣٢٣ ، بدائع الصنائع ـ جـ ٥ ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠٣ .

(٢٣) المبسوط ـ جـ ١٢ ـ ص ١٢٤ ، فتح القدير ـ جـ ٥ ـ ص ٣٢٣ ، بدائع الصنائع ـ جـ ٥ ـ ص ٢٠١ ، حاشية ابن عابدين على الدر المختار ـ جـ ٤ ـ ص ٢١٢ ، بداية المجتهد ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٩ ، مغنى المحتاج ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٢ ، المغنى لابن قدامة ـ جـ ٤ ـ ٢٧٥ ، وكشاف القناع ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٦ .

والتسهيل ولورود النص الدال على جوازه ، وهو ما روى أن النبي ﷺ قدم المدينة وهم يسلفون الثمار السنة والسنتين ، فقال : « من أسلم فليسلم فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم »[24] .

وفى هذا يقول السرخسى : « وكذلك القياس يأبى جواز السلم باعتبار أن المعقود عليه معدوم عند العقد ، لكننا تركناه للرخصة الثابتة بقوله ﷺ : « ورخص فى السلم »[25] .

ومن ثم يجىء السلم كمثال لاغتفار الغرر بالنص ، والغرر فيه موجود ، لأنه يحتمل الوجود والعدم وقت ورود العقد عليه ، ومع ذلك فإنه أجيز استحسانا بالنص .

(ب) وأما الإجارة :

فإن الرجل إذا استأجر آخر ليقوم له بعمل من الأعمال ، فهذه الإجارة باطلة ، لأن المعقود عليه وهو المنفعة غير موجود وقت العقد ، فالبطلان واجب التطبيق على الإجارة ، ولكن عدل عن ذلك استحسانا للنص الوارد فى جواز ذلك ، يقول الله تعالى :

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[26] .

وقوله ﷺ : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »[27] .

فالإجارة رغم أن العقد فيها وارد على معدوم وقت التعاقد ، فهى بيع المنافع المستقبلة ، أى بيع غير الموجود حالا على أنه سيوجد استقبالا ، وقد أجيزت على سبيل الاستحسان بالنصوص الواردة فى ذلك دالة على مشروعيتها .

والخلاصة : أن عناصر الغرر اليسير وشروطه لا توجد فى عقد التأمين ، وبالتالى يكون الغرر الموجود فيه من النوع الفاحش المحرم ، وهو غرر واقع فى عقد التأمين وهو عقد معاوضة ، كما أنه ليس من الغرر الذى ورد نص باستحسانه ، كالسلم والإجارة لأن الاستحسان هو استثناء ، والقاعدة أن الاستثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه ، ومن ثم فإنه يكون باق على أصله وهو التحريم .

الفـــرع الثـــانى
جميع أنواع الغرر موجودة فى عقد التأمين

وإذا ما نظرنا إلى عقد التأمين وفقاً لخصائصه التى عرف بها قانونا وعادة على نحو ما درجت عليه أعراف شركات التأمين ، نجد أن هذا العقد مشوب بجميع أنواع الغرر الذى تحدث عنه الفقهاء ، وعلى الأخص تلك الأنواع الأربعة التى تمثل الغرر الشديد ، وهى الغرر فى الوجود ،

(24) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ 5 ـ ص 226 ، وقد أخرجه كتب الأئمة الستة عن ابن عباس ، راجع : جامع الأصول ـ جـ 2 ـ ص 17 ، نصب الراية ـ جـ 4 ـ ص 64 .

(25) أصول السرخسى ـ جـ 2 ـ ص 203 ـ طبعة المعرفة .

(26) سورة الطلاق ـ آية 6 .

(27) نصب الراية ـ جـ 4 ـ ص 129 ، وقد روى الحديث عن أبى هريرة ، ومن حديث عمر ، ومن حديث جابر ، ومن حديث أنس ، وحديث أبى هريرة ، رواه أبو يعلى فى مسنده وحديث ابن عمر أخرجه ابن ماجة فى سننه ، وحديث جابر ، رواه الطبرانى فى معجمه الصغير ، وحديث أنس رواه أبو عبدالله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول ، قال ابن حجر : كلها ضعاف ، راجع : مجمع الزوائد ـ جـ 4 ـ ص 97 ، سبل السلام ـ جـ 3 ـ ص 18 .

والغرر في الحصول ، والغرر في المقدار ، والغرر في الأجل ، وهذه الأنواع الأربعة من الغرر ؛ توجد مجتمعة في عقد التأمين ؛ مع أن واحداً منها يكفي لإبطال العقد ؛ ودخوله في دائرة الحظر الشرعي ، ويستبين ذلك من خلال تطبيق أنواع الغرر في عقد التأمين كما يلي :

أولا : الغرر في الوجود :

والغرر في الوجود ؛ هو من أشد أنواع الغرر على الإطلاق ، وقد اتفقت كلمة الفقهاء على أنه أشد أنواع الغرر ، كما اتفقوا على أنه يبطل عقد المعاوضة المتضمنة له[٢٨] ، ولذلك فإنهم لا يكتفون بالحكم ببطلان المعاوضة على المعدوم ، بل يلحقون به ما احتمل الوجود والعدم كالبعير الشارد الذى يشك في وجوده ، لا يجوز المعاوضة عليه ، لأن حصول المشترى عليه معلق على خطر وجوده ، فإذا لم يجده فقد فات عليه العوض الذى بذله في مقابلته ، فهو إذن يخاطر على واقعة غير محققة هي وجود ما بذل العوض في مقابلته .

وهذا ينطبق تماماً على عقد التأمين ، فإن مبلغ التأمين ، وهو دين في ذمة شركة التأمين غير محقق الوجود ، لأن وجوده يتوقف على وجود الخطر المؤمن منه ، فيوجد بوجوده وينتفي بانتفائه ، ومن المعروف أن فقهاء التأمين يسلمون بتلك الخاصية للتأمين ، ويرون أنه لا يتصور وجوده بدونها[٢٩] .

ثانياً : الغرر في الحصول :

والغرر في الحصول معناه : أن العاقد في عقود المعاوضات لا يدرى عند التعاقد إن كان سيحصل على المقابل الذى بذل فيه العوض أم لا ، فيكون دخوله مخاطرة على الحصول ، يستفاد ذلك من الأمثلة التى أوردها الفقهاء للغرر في الحصول ، وهي بيع السمك في الماء والطير في الهواء ، حيث إن من يدفع الثمن فيهما لا يدرى عند التعاقد ، إن كان سيحصل على ما بذل فيه الثمن أو لا ، وذلك في وقت اتجه قصده فيه إلى بذل الثمن مقابلا لهذا الحصول[٣٠] .

وإذا طبقنا هذا الضابط على عقد التأمين ، يظهر لنا أن عقد التأمين يتضمن الغرر في الحصول ، لأن المستأمن لا يدرى عند التعاقد ، هل سيحصل على مبلغ التأمين الذى يذل في سبيله أقساطه أم لا ، لأن حصوله عليه يتوقف على الغرر ، وهو غرر في الحصول ، فإن المستأمن لا يدرى عند إبرامه ، هل سيحصل على مبلغ التأمين أم لا ، وعلى فرض حصوله عليه ، فإنه لا يدرى مقدار ما سيحصل عليه منه ، ولقد اتفق شراح القانون على أن الغرر في الحصول ركن أساسي وعنصر جوهري ، وشرط في محل العقد لا يصح بدونه .

والغرر في الحصول ، غرر شديد يبطل عقد المعاوضة بإجماع أهل العلم[٣١] ، وإذا كان وجوده

---

(٢٨) د. حسين حامد ــ ص ٦٦ .

(٢٩) المرجع نفسه ــ ص ٦٧ ، د. رمضان حافظ عبدالرحمن ــ السابق ــ ص ١٩٠ .

(٣٠) في هذا المعنى : د. حسين حامد ــ المكان السابق .

(٣١) نقل هذا الإجماع الإمام النووى ــ شرح صحيح مسلم ــ جـ ١٠ ص ١٥٦ ، حيث قال : « وأجمعوا على بطلان بيع الأجنة في البطون ، والطير في الهواء ، قال العلماء : مدار البطلان بسبب الغرر » ، كما حكى الإجماع الإمام القرافى : الفروق ــ جـ ٣ ــ ص ٢٦٥ .

فى عقد التأمين أمرا مفروغا منه يكون بطلانه راجحا بهذا الإجماع .

ثالثاً : الغرر فى مقدار العوض :

والغرر فى مقدار العوض يتمثل فى عدم معرفة مقدار ما سيحصل عليه كل واحد من المتعاقدين فى عقد معاوضة ، وقد ضرب الفقهاء أمثلة لذلك من خلال ما ورد بشأنه فى سنة النبى ﷺ ، وذلك فيما روى عن أبى هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة ، وعن بيع الغرر[32] ، وصورة بيع الحصاة أن يقول البائع للمشترى : بعتك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة التى أرميها ، أو بعتك هذه الأرض من هنا إلى مقدار ما انتهت إليه هذه الحصاة[33] .

وقد قرر الفقهاء أن جهالة العوض مما يفسد العقد ، دون تفرقة بين العوض المعين ، أو ذلك الذى يثبت فى الذمة كالعوض فى عقد التأمين .

ففى المذهب الحنفى : يقرر ابن عابدين فى حاشيته : « أن معرفة قدر الثمن شرط فى صحة البيع ، فلو كان الثمن مجهولا ، كالبيع بقيمته ورأسماله ، أو بمثل ما اشتراه هو أو فلان ، أو بمثل ما يبيع الناس كان البيع باطلا[34] ، ومثل ذلك ما ذكره الكاسانى : « ولو قال بعت هذا الشىء بقيمته فالبيع فاسد ، لأنه جعل ثمنه قيمته ، وأنها تختلف باختلاف تقويم المقومين ، فكان الثمن مجهولا ، وكذا إذا باع بحكم فلان لأن الثمن مجهول »[35] ، وجاء فى الفتاوى الهندية : « أن جهالة البدل تبطل مبادلة المال بالمال » ، كالبيع والإجارة والقسمة والصلح على مال ، ويقول الكمال بن الهمام : « ولا يجوز البيع بإلقاء الحجر والملامسة والمنابذة ، ومعنى النهى لما فى كل من الجهالة وتعليق التمليك بالخطر ، فإنه فى معنى إذا وقع حجرى على ثوب فقد بعته منك ، أو بعتنيه بكذا أو إذا لمسته أو نبذته[36] .

وفى المذهب المالكى : يقرر الحطاب : « أنه متى حصل الجهل بأحد العوضين من المتبايعين أو أحدهما فسد البيع »[37] ، ويقرر مالك فى مدونته : « أنه لا يجوز شراء سلعة بعينها بقيمتها ، أو على حكمه ، أو حكم البائع أو رضاه أو رضا البائع ، أو على حكم غيرهما أو رضاه لأنه غرر »[38] ، وفيما يشبه التأمين قال : « من اشترى دارا على أن ينفق على البائع حياته لم يجز ، لأن أجل حياته مجهول فهو غرر »[39] ، ويقرر ابن رشد : « أن الغرر لا ينتفى عن الشىء إلا إذا كان معلوم القدر »[40] .

---

(32) صحيح مسلم بشرح النووى ـ جـ 10 ـ ص 156 .

(33) النووى على صحيح مسلم ـ المكان نفسه ـ وفتح البارى شرح صحيح البخارى ـ جـ 4 ـ ص 36 ، ونيل الأوطار للشوكانى ـ جـ 5 ـ ص 167 .

(34) بدائع الصنائع ـ جـ 6 ـ ص 3041 .

(35) بدائع الصنائع ـ جـ 4 ـ ص 425 .

(36) فتح القدير للكمال بن الهمام ـ جـ 6 ـ ص 417 ، والعناية مع فتح القدير ـ المكان نفسه .

(37) مواهب الجليل ـ جـ 4 ـ ص 276 .

(38) مشار إليه فى مواهب الجليل ـ السابق ـ ص 362 .

(39) المرجع نفسه ـ ص 363 .

(40) بداية المجتهد لابن رشد ـ جـ 2 ـ ص 172 .

(41) فتح العزيز ، شرح الوجيز ، للرافعى ـ جـ 8 ـ ص 139 .

(42) المرجع نفسه ـ ص 140 .

(43) المرجع نفسه ـ ص 143 .

وفى المذهب الشافعى : يقرر صاحب فتح العزيز : « وأما القدر فالجهل به فيما فى الذمة ثمنا أو مثمنا مبطل »[٤١] ، « وأن ما فى الذمة من العوضين لابد أن يكون معلوم القدر »[٤٢] ، « وأن العلم بقدر العوض لابد منه إذا كان فى الذمة »[٤٣] .

وفى المذهب الحنبلى : يقرر ابن قدامة : « أن علة بطلان بيع الملامسة والمنابذة ، وهى الجهالة ، وكونه معلقا على شرط ، وبيع الحصاة باطل ، لما فيه من الغرر والجهل ، وبيع الحمل من بطن أمه فاسد لجهالته ، فإنه لا تعلم صفته ولا حياته وعدم القدرة على تسليمه »[٤٤] ، كما ورد فى منتهى الإرادات : « أن معرفة العوض فى حال العقد شرط فى صحة المعاوضة ، سواء كان هذا العوض ثمنا فى بيع أو أجرة فى إجارة ، ومن ثم فقد حكى بطلان بيع السلعة بما يبيع به الناس ، وبما باع به زيد ولا يعلمان ذلك »[٤٥] .

وبالنظر فى هذه النصوص نجد أنها تدل بوضوح على أن العوض الذى يلتزم به المعاوض ، يجب أن يكون معلوم القدر حتى لو كان ثابتا فى الذمة ، وإلا فإنه إذا كان مجهولا ، فإن المعارضة تبطل باتفاق الفقهاء ، ولئن كان بعض الفقهاء قد علل البطلان بالغرر فى قدر العوض ، وبعضهم الآخر قد علله بالجهالة فيه ، إلا أن المعنى فى العبارتين واحد ، لأنه يؤثر فى النهاية على الرضا بالبطلان لأن الرضا بالمجهول لا يتصور ، ولما كان الجهل بالعوض مؤثراً فى صحة الرضا بالمعاوضة ، فلا تصلح سببا شرعياً لجواز أخذ العوض ، ومن ثم يكون أخذه أكلا للمال بالباطل وهو محرم بالكتاب والسنة[٤٦] .

تطبيق الغرر فى المقدار على عقد التأمين :

ومن الثابت قانونا أن عقد التأمين ينطوى على الغرر فى مقدار العوض ، وذلك ما لا يختلف فيه فقهاء القانون ، ولا علماء الشريعة الذين أجازوا هذا النوع ، ففى التأمين من الأضرار ؛ لا يعلم المستأمن من وقت التعاقد مقدار العوض الذى تدفعه له شركة التأمين عند وقوع الخطر المؤمن منه ، ذلك أن هذا النوع من التأمين ؛ لا يأخذ المستأمن منه إلا بمقدار ما أصابه من ضرر بسبب وقوع الحادث المؤمن منه ، ولو كان مبلغ التأمين المتفق عليه أكبر من ذلك[٤٧] .

كما أن شركة التأمين التى تعهدت بدفع مبلغ التأمين للمستأمن عند وقوع الخطر ، تجهل عند التعاقد مقدار العوض الذى تحصل عليه من المستأمن ، فى مقابل ما تعهدت به ، فقد تحصل على قسط واحد ثم تقع الكارثة فتغرم مبلغ التأمين ، وقد تحصل الأقساط كلها ولا يقع الخطر قدراً دمتها ، قبل المستأمن مما تعهدت بأدائه له .

وهذا النوع من الغرر فى مقدار العوض أو الجهالة ؛ من نوع الغرر الكثير الذى يؤثر فى المعاوضة ، من جانب شركة التأمين ، ومن جانب المستأمن ، أما فى جانب شركة التأمين ، فإنها قد تحصل قسطا واحدا ثم تقع الكارثة فتدفع مبلغ التأمين كله أو مقدار الضرر ، وقد تحصل عددا

---

(٤٤) المغنى لابن قدامة ـ جـ ٤ ـ ص ١٨٦ .

(٤٥) منتهى الإرادات ـ جـ ١ ـ ص ٣٤٥ .

(٤٦) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ـ ص ٧١ .

(٤٧) السنهورى ـ الوسيط ـ السابق فقرة ٧٦٣ ، د. عبدالحى حجازى ـ التأمين ـ فقرة ١٢٤ طبعة ١٩٥٨ ، د. أحمد شرف الدين ـ أحكام التأمين ، ص ٢٧ .

كثيرا من الأقساط ، قبل وقوع الحادث المؤمن منه ، وبين الحالتين فرق كبير ، قد يصل إلى بضعة آلاف من الجنيهات ، وأما بالنسبة إلى المستأمن ، فإنه يدفع قسطا ثابتاً ، فى مقابل تعهد الشركة ، بدفع مبلغ معين يحدد القسط على أساسه ، غير أن الشركة قد تدفع هذا المبلغ بتمامه وقد تدفع نصفه وقد تدفع عشره ، حسب جسامة ما أصاب المال المؤمن عليه من ضرر .

وربما يقال : إن شركة التأمين بما تملكه من قدرة على حساب الاحتمالات ، وقواعد الإحصاء ، وقانون الكثرة ، يمكن أن تعرف على نحو شبه محدد مقدار العوض الذى تحصل عليه من مجموع المستأمنين فى مدة معينة ، كما تستطيع باستعمال هذه الوسائل نفسها أن تعرف مقدار ما تدفعه لبعضهم من تعويضات عند وقوع الخطر .

ومع ذلك فإن مثل هذه المعرفة غير ممكنة ، ولن تستطيع أن تنفى الاحتمال ، حيث يظل معها قائماً ، فاحتمال خسارة شركات التأمين وارد ، وقد حدث بالفعل أن أعلنت بعض شركات التأمين فى أوروبا الإفلاس ؛ على الرغم من توافر هذه الوسائل العلمية لديها ، ومما يرجح ذلك تفاوت ، الربح بين شركات التأمين المختلفة ، وفى الشركة الواحدة من سنة إلى أخرى[48] .

ولو صح مثل ذلك القول ، فإنه لن يفيد فى موضوع القضية شيئاً ، فموضوع قضيتنا ؛ هو العقد الذى تبرمه شركات التأمين مع مستأمن معين ، وفى حدود العلاقة التى ينشئها هذا العقد ، والحقوق والواجبات التى يرتبها بين شركة التأمين والمستأمن ، أما العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المستأمنين ، فليست أمرا قائماً ، إذا لا ينشيء عقد التأمين مثل هذه العلاقة ، ولو كان موجوداً لبحثنا فى طبيعته وبينا حكمه الشرعى ، بناء على ذلك[49] .

كما أنه إذا كان من الممكن لشركة التأمين أن تعرف مقدار ما تحصل عليه من أقساط ، وما تعرفه من تعويضات ، فإن ذلك لن يفيد فى حل عقد التأمين ، حيث سيبقى المستأمن مع ذلك عاجزاً عن معرفة مقدار ما يبذل وما يأخذ من عوض ، لأن قانون الكثرة لا يعمل فى حقه ، ولأن وسائل حساب الاحتمالات ، وقواعد الإحصاء ليست متوافرة لديه ، وقد رأينا أنه إذا وجد الغرر ، والجهالة بقدر العوض من أحد طرفى المعارضة كانت باطلة ، وإن كان الطرف الآخر على علم به[50] .

رابعاً : الغرر فى الأجل :

والغرر فى الأجل يتمثل فى الجهالة به ، بأن يكون تحديده مبنيا على واقعة لا يمكن أن تخضع لتحديد المتعاقدين ، وذلك على نحو ما قرره الكاسانى بخصوص البيع المؤجل : « أن يكون الأجل معلوماً فى بيع فيه أجل ، فإن كان مجهولا

(٤٨) فى هذا المعنى : د. حسين حامد السابق ـ ص ٧٢ .

(٤٩) د. حسين حامد ، المكان السابق .

(٥٠) المرجع نفسه ـ ص ٧٣ .

فسد ، سواء كانت الجهالة متفاحشة كموت فلان ونزول المطر ، أو متقاربة كالحصاد وقدوم الحاج »[51] ، فإذا كان الأجل معلوما فى بيع مؤجل فإن الغرر ينتفى ، وبالتالى يكون البيع صحيحا »[52] ، وهذه النصوص الفقهية الصحيحة ، تدل بوضوح على أن جهالة الأجل بتعليقه على موت إنسان : مما يعد من الجهالة الفاحشة التى تبطل المعاوضة[53] .

تطبيق جهالة الأجل على عقود التأمين :

وبتطبيق الأحكام المقررة على المعاملات التبادلية ذات الأجل المجهول ، والتى تتمثل فى بطلان التعامل ، نجد أن عقود التأمين فى الجملة تقوم على جهالة الأجل ، لأن الخطر المؤمن منه ، حادث محتمل الوقوع ، لا يتوقف تحققه على محض إرادة أحد المتعاقدين[54] ، وأن عناصره تتمثل فى احتمال وقوعه ، بأن يكون حادثا مستقبلا غير محقق الوقوع ، ولا يتوقف وقوعه على محض إرادة أحد طرفى العقد ، وهكذا تتضافر عناصر التأمين فى تأكيد معنى الاحتمال الملازم للخطر مما يجعل وقت وقوعه رجما بالغيب ، بل أن الإرادة إذا تدخلت فى إحداث الخطر فى وقت معين ، فإن التأمين يبطل فى هذه الحالة .

وهناك صور صارخة لجهالة الأجل فى عقد التأمين ، مثل التأمين على الحياة لحال الوفاة كما فى التأمين العمرى ، حيث تلتزم شركة التأمين بدفع مبلغ التأمين عند وفاة المؤمن له ، وهو أجل مجهول يبطل المعاوضة باتفاق الفقهاء ، فكان باطلا على نحو ما قرر الفقهاء فى الجهالة الفاحشة الناشئة عن تعليق الأجل على موت فلان أو قدوم الحاج أو حبل الحبلة كما رأينا .

وقد فهم بعض الباحثين أن جهالة الأجل فى التأمين العمرى الذى يستحق فيه مبلغ التأمين أيا كان الوقت الذى يتوفى فيه المؤمن له ، من قبيل الجهالة اليسيرة ، لكونها تخص وقت حلول الأجل ، وهى لا تؤثر فى المعاوضة ، وينتهى إلى أن التأمين على الحياة لحال الوفاة ، الذى لم تحدد فيه مدة ، ينتفى فيه الغرر المؤثر ، فيما يخص مبلغ التأمين من حيث الوجود والحصول والمقدار والأجل ، وذلك فى إحدى حالاته ، وهى التأمين

---

(٥١) بدائع الصنائع ـ جـ ٧ ـ ص ٣٠٩٣ ، وراجع : فتح العزيز ، شرح الوجيز ـ جـ ٨ ـ ص ١٩٦ ، حيث يقرر : أن العوض إذا كان فى الذمة وكان الوفاء به مؤجلا ، وجب أن يكون هذا الأجل معلوما ، فإن مجهولا كقدوم زيد ، ومجىء المطر فهو فاسد ، وفى هذا الإطار يجىء النهى عن حبل الحبلة ، والحكم ببطلانه لجهالة الأجل ، حيث إن حبل الحبلة ، وهو البيع إلى نتاج الناقة لم تنتج التى فى بطنها ، راجع : شرح النووى على صحيح مسلم ـ جـ ١ ـ ص ١٥٨ .

(٥٣) بداية المجتهد ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٢ .

(٥٤) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ـ السابق ـ ص ٧٤ .

للمستفيد عند وفاة المؤمن على حياته ، أيا كان الوقت الذى تحدث فيه هذه الوفاة[55] .

وفى نظرنا أن هذا الرأى قد جانب الصواب ، ولم يقم على أساس يقبل به مع مخالفته للقياس الصحيح الذى يضفى على الجهالة فى تلك الحالة وصف الجهالة الفاحشة فى الأجل ؛ لأنه ليس معلوماً لأىٍّ من الطرفين وقت التعاقد ، وإخفاء وقت حلول الأجل الذى اعتبره هذا الرأى من العمرى الذى يدفع فيه المؤمن مبلغ التأمين قبيل الجهالة اليسيرة التى لا تمنع صحة هذا العقد ، هو جهالة الأجل بعبارة أخرى .

وإذا كان معنى العبارتين واحـد ، فلت لا أدرى ما أساس اختلاف النتيجة فى نظر صاحبه ؟ مع وضوح حكم هذا النوع من الغرر ، وأنه من النوع الفاحش المؤثر على صحة العقد .

- يتبع -

---

(55) راجع فى تعريف الخطر : الوسيط للسنهورى ـ فقرة 561 ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ التأمين فقرة 130 ، د. توفيق فرج ـ التأمين فى القانون اللبنانى ـ ص 20 ـ طبعة 1973 ، د. عبدالحى حجازى ـ عقد التأمين ـ ص 51 طبعة 1958 ، د. نزيه المهدى ـ عقد التأمين ـ ص 113 ، طبعة 1974 ، د. مصطفى الجمال ـ عقد التأمين طبعة 1975 ـ ص 20 ، د. محمد على عرفه ـ فى التأمين ـ 1950 ـ ص 27 ، د. عبدالرازق حسن فرج ـ عقد التأمين ـ ص 40 ـ طبعة 1985 ، د. أحمد شرف الدين ـ أحكام التأمين ـ ص 115 ، د. عبد الودود يحيى ـ التأمين على الحياة 1964 ـ ص 33 .

(56) د. أحمد شرف الدين ـ عقد التأمين وعقود ضمان الاستثمار واقعها الحالى وحكمها الشرعى ص 116 وما بعدها .

فَضِيلَةُ البِرّ

للشيخ السيد عبد الفتاح خضير

البر ضد العقوق .

والبر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير ، وإذا كانت كل فضيلة تقابلها رذيلة ، فإن البر فضيلة تقابلها رذيلة الإثم ، والبر طاعة تقابلها معصية .

والبر هو الإيمان بالعقائد ، والبر هو الخُلق الحسن .

والبر إيتاء الحقوق .. كما تروى كتب اللغة ...

ويوضح لنا ذلك الصادق الصدوق المصدوق – صلى الله عليه وسلم – فى حديثه الشريف الذى يرويه مسلم فى صحيحه فيقول :

– «البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس» .

ومفتاح البر كامن فى الصدق ، الصدق القولى والصدق العملى ، الصدق مع النفس ، والصدق مع الغير ، ومن قبل ذلك كله الصدق مع الله ، فذلك طريق الإنسان إلى الجنة التى هى بغية المؤمن .

وإذا كان الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة .

(*) أخصائى بحوث إسلامية بمجمع البحوث الإسلامية .

فيتحكم المبدأ السائد ، القائل : بضدها تتميز الأشياء - يكون الكذب على النفس وعلى الغير وعلى الله طريقا إلى الفجور الذى هو طريق النار .

كما تعلمنا من سيدنا رسول الله ﷺ وهو يقول : « إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

[صحيح مسلم]

ومظلة البر تمتد لتشمل كل مناحى الخير للإنسان فى الدين والدنيا ، ولاتنتهى عند تولية الإنسان وجهه فى الصلاة جهة المشرق والمغرب ، وإنما هو أمر جامع لمجامع أركان الدين الإسلامى الحنيف وقواعده وفضائله الشاملة النافعة .

ويأتينا بيان ذلك من لدن حكيم عليم حين نقرأ فى قرآننا قول ربنا - جل وعلا - :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ سورة البقرة

وسيد البر ، البر بالوالدين ، ولقد وضع القرآن الكريم منهجه وأبان طريقه المستقيم حين قال المولى - جل وعلا - فى حق معاملة الوالدين ، والتزام أدب البر معهما

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[الإسراء : ٢٣ ، ٢٤]

وإن تجاوز الأبناء اليوم فى معاملة الآباء وإزالة الفوارق التى ينبغى مراعاتها بين الآباء والأبناء ، وكذا التسلط عليهما بفرض الرأى وعدم احترام شعورهما فى المجالس العامة والخاصة .. كل ذلك يعتبر عقوقاً ، والعقوق كبيرة من أكبر الكبائر التى لايرضى عنها الله سبحانه - ولا يرضى عنها رسول الله محمد ﷺ .

ومن البر حب الوطن وإظهار الدلائل التى تنم عن ذلك من تضحية وفداء واستجابة لندائه ومحاربة كل من كان حربا عليه .

وإن من البر والولاء كشف ستر المعادين للوطن وعدم التستر عليهم .

وبهذا يكون البر عمليا من جانب فاعله ؛ فحب الأوطان من الإيمان ، وما الوطن إلا أرض أقلتنى وسماء أظلتنى وماء ارتويت به ، وشمس نعمت بدفئها ، ورياض تنسمت عبيرها ، وذقت رحيقها ، وثقافة جامعة ، وشهادة نلتها ، ومهنة تعلمتها ، صان الله بها وجهى وجعل فيها رزقى .

بهذا الولاء والوفاء والحب يكون البر للوطن حقيقة تعلمناها من الحبيب محمد ﷺ حين خرج

من مكة مهاجراً إلى المدينة فوقف وقفة بر وولاء لبلده الحبيب مكة يقول – ما معناه : « والله لولا أن قومك أخرجونى ماخرجت »[١].

فأنت ترى المصطفى ﷺ يقسم على حب بلده ، وهذا هو البر ، وماكان أغناه ﷺ عن القسم ، ولكنه الحب والبر ، ولنا فى رسولنا ﷺ القدوة الحسنة فى الحب والبر لوطننا .

ورحم الله شوقى الذى عبر عن حبه لوطنه أجمل تعبير لما قال :

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه .
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

فهذا أيضاً حُبٌ للوطن وبرٌ به .

ومن البر الاجتماعى الولاء والوفاء لبلدى مسقط رأسى ، أمدها بما تحتاج إليه من امكاناتى وماأنا قادر عليه علماً ، ومالاً ، ودعوة فى سبيل الله .

فالطبيب الذى يعمل لقريته يوما يعود فيه أهلها ، ويخفف من أمراض أبنائها هو طبيب بار ببلده .

والداعية الذى يعرف منبر قريته ويعرفه منبر قريته ، يتلمس مشاكل أهله الدينية والاجتماعية والاقتصادية يعايشها ويعالجها .. هو داعية بار بدينه وبلده .

وهكذا كل فى مجال تخصصه ، ياحبذا لو كان الجميع ما على هذه الخليقة ؛ فإن هذا يحقق البر العملى ويمحو العقوق الذى ظهرت آثاره ، والله نسأل أن تختفى .

والبر بالآباء تظهر ثماره فى بر الأبناء ، فكما تدين تدان .

قال ﷺ « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لايموت ، فكن كما شئت فكما تدين تُدان »[٢]. هذا وبالله التوفيق .

---

(١) رُوى بالشر .

(٢) العجلونى/ كشف الخفاء ٩٠٢ ـ ١/٣٣٦ ـ مطبعة الفرد ـ حلب .

أسرار إسلام عظماء العالم

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي على القرني

هذه العبارة جزء من عنوان كتاب صدر أخيرا للأستاذ الكبير الأديب « أسامة الألفي » هو كتاب « لماذا أسلموا ؟ » .

وهو كتاب يشير إلى عظمة الإسلام وقوته وصموده وقدرته على مسايرة كل العصور ، ومقاومته لكل ما يعترضه من مناوشات ومشاكسات ومعارضات ، وتحديه لكل من يحاول النيل منه أو وصفه بما ليس فيه من أوصاف بدافع الحقد والكراهية ، بل تحديه لكل محاولات طمس الصورة الطيبة للإنسان وتحويله إلى حيوان شرس ، لا هم له إلا الشهوة والاستمتاع والاستهلاك ، لا يفكر فيما خلق له من معنويات ، ولا يصعد لما أعد له من روحانيات ومُثل ..

بل إن هذا الكتاب يرد على سؤال متكرر طالما حاول المستشرقون المغرضون وأعداء الإسلام طرحه أمام الأعين زاعمين أن الإسلام انتشر بالسيف ، وذاع بالقهر ، ولم يفهموا أن الذى ينتشر بالسيف لا يستمر ، وأن الذى يذيع بالقهر لا يدوم .

إن الإسلام انتشر بذاته ، وانتصر بمبادئه ، وذاع بأخلاق أصحابه الأوائل الذين كانوا صورة صادقة للمثل العليا والقيم الراقية والأخلاق الفاضلة الرفيعة .

وإلا فأى قوة فى عصرنا الحاضر تجبر مفكرين عالميين على ترك معتقداتهم ، والاتجاه نحو الإسلام يعتنقونه فى حرية وفرح واستبشار ؟؟ .

لقد قدم للكتاب الأستاذ أحمد بهجت .. وقال فى مقدمته : فى حياة كل إنسان نقطة تحول يتجه بعدها اتجاها جديدا لا علاقة له بماضيه ، وأحيانا تكون نقطة التحول هذه حاسمة فى إنقاذ الإنسان وخلاصه .

وليس أمتع من إبراز نقط التحول هذه ، والحديث عنها بأسلوب أدبى . ولقد يقع هذا التحول على عديد من المستويات .

قد يتحول الإنسان من عمل إلى عمل آخر .. وقد يتحول من الحياة فى بلده إلى اختيار بلد آخر يعمل فيه ويعيش فى ظله .

وربما وقع هذا التحول على المستوى الإنسانى ، فيتحول من حب إلى حب ، أو من حياة إلى حياة أخرى .

ولعل قمة هذه التحولات جميعا هو التحول إلى الإسلام .. اهـ .

ولقد صدق أستاذنا ، فإن التحول إلى الإسلام هو قمة التحولات ، لأن صاحبه استطاع أن يصعد إلى أعلى قمة فى الوجود من أجلها خلق الله الإنسان .

لماذا خلق الله الإنسان ؟ :

لقد خلق الله الإنسان لذاته ــ تعالى ــ وخلق كل ما فى الوجود لأجل الإنسان ، قال الله ــ تعالى ــ فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

سورة الذاريات ــ آية : ٥٦

وقال :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

سورة البينة ــ آية : ٥

ومن أجل ذلك جعل الله الكون كله بما فيه فى خدمة الإنسان ليتمكن من عبادة الله حق عبادته :

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

سورة الجاثية ــ آية : ١٢ ، ١٣

التحول من العقيدة ليس أمراً سهلا :

وتحول الإنسان من عقيدته ليس أمراً سهلا ؛ لأن العقيدة هى أهم شىء فى حياة الفرد ، وهو مرتبط بها ارتباطا وثيقا ، قد يضحى من أجلها بحياته ، وقد يكون ما يعتقده الإنسان باطلا ولكنه مع ذلك يدافع عنه حتى الموت ، وكم خاض الكفار حروبا دامية فى سبيل معتقداتهم الباطلة ، حتى لقد رأينا رجلا كأبى سفيان وهو من عظماء قريش المبجلين وأصحاب الرأى فيهم يقول فى

غزوة أحد وقد ظن المشركون أنهم انتصروا : اعْلُ هُبَل .

إن الباطل له غشاوة تحجب نور الحق ، وتطمس بصيرة القلب ، فلا يرى صاحبه إلا ما يزينه له من ضلال ، وما يزيفه له من بهتان ، ومن أجل ذلك كانت الهداية بيد الله وحده لا شريك له - قال تعالى - :

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ .

سورة الكهف - آية : ١٧

والله - تعالى - لا يهدى إلا من يريد ، ويضع على قلوب من لا يريدهم الحجب ويغلفها بالظلام - فلا تبصر الهدى - ولا ترى النور بسبب من علم الله فيهم ، قال - تعالى - :

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾

سورة الإسراء - آية : ٤٦

ويقول :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

سورة الأنعام - آية : ١٢٥

نظرات في الكتاب :

وفكرة الكتاب شيقة ، وموضوعه حيوى ، وأسلوبه ممتع ، وهو يكسب المسلم ثقة فى دينه ويزوده بما هو فى حاجة إليه فى هذا العصر المادى الملحد ، الذى وصفه الدكتور مصطفى محمود فى أحد مقالاته الأسبوعية : « بأنه عصر تشيَّع فيه الجميع لِلمِلَّة المادية ، على اختلاف أديانهم ، البعض عن مزاج شخصى ، والبعض عن حسن نية ، والبعض عن غفلة ، والبعض لمجرد التقليد ، والبعض لأهداف أخرى » .

« والنتيجة فى هذا العصر المادى الشرس الذى وقع الكل فى شباكه هى هذه النفسية المادية التى أصبحت طابع هذا الزمان ، ثم النتيجة الأخطر : هى تراجع القيم الدينية ، والأخلاق والمثاليات ، وانطفاء النبل وغياب الشهامة وندرة الطهارة » .. صحيفة الأهرام .

إن الكتاب شهادة حق على أن هذا الدين الإسلامى هو الدين الحق الذى اختاره الله لعباده وقال فى حقه :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

سورة آل عمران - آية : ١٩

ولا يقبل غيره :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

سورة آل عمران - آية : ٨٥

وهو الدين الذى يعيد الصواب إلى العالم ويطهره من هذا الرجس المادى الذى تردَّى فيه ، والدليل على ذلك هو إقبال كثير من القمم الفكرية فى مختلف العصور ، وبخاصة فى عصرنا على اعتناقه ، على الرغم من وصولهم إلى أعلى المراكز الاجتماعية والقيادية والفكرية ، وتضحية بعضهم بهذه المراكز العالية فى سبيل إيمانهم بالإسلام .

إن الذى يقبل على اعتناق الإسلام فى هذا العصر العاصّ بالمتناقضات ، الملىء بالموبقات ، الحافل بالشهوات والمغريات استطاع أن يبصر الهدى ، ويميز بين الحق والباطل ، ويضع قدمه على الطريق الصحيح ، معرضا عن كل ما أمامه من ضلال وغواية ، وهو مع ذلك فى منتهى الشجاعة حيث انتصر على نفسه أولا ، ثم انتصر على كل ما يوضع أمامه من تحديات وعقبات .

يقول الكاتب فى مقدمة كتابه : إن قصص هؤلاء المهتدين لا تعطينا فقط القدوة الصالحة والأنموذج المثالى للإيمان فى أروع صوره ، ولكنها أيضا ترشدنا إلى نواحى العظمة فى الشريعة الإسلامية ، إذ أن هؤلاء لم يختاروا الإسلام دينا إلا بعد دراسة وافية وإقناع كامل ورحلة طويلة ، تحملوا خلالها من صنوف الأهوال ما كانوا يتحملونه لولا أن أيدهم الله ـ عز وجل ـ بنصره .

أمثلة ممن أسلموا :

ولو أردنا أن نقدم هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام عن روية واقتناع لطال بنا الأمر ؛ لأن كل واحد من هؤلاء له قصة جديرة بأن تروى لما فيها من العبرة والمثل ، ولكن حسبنا أن نقتطف نماذج نعرضها أمام القراء ، شهادة حق على نصاعة هذا الدين ، ونقائه إلى الدرجة التى جعلت هؤلاء يقبلون عليه فى حماس وشوق ، ويؤثرونه على ما كانوا يعتنقونه قبله من دين .

إسلام ابن غاندى :

المهاتما غاندى الزعيم الهندى الذى استطاع أن يقهر الاستعمار الانجليزى فى الهند بزهده وهدوئه [1] ومسالمته وإخلاصه لوطنه ، وفى الوقت نفسه استطاع أن ينتزع إعجاب العالم كله فضلا عن ملايين شعبه كان له ابن اسمه « هيرالال » .

ونشأ « هيرا لال » فوجد نفسه يدين بما يدين به أبوه ، بالبراهمية عقيدة الهندوس الشائعة فى الهند ، وهى قائمة على تعدد الآلهة واحتقار غيرهم ممن لا يدين بدياناتهم ، بل إن هناك ممن يدين بدياناتهم من يعتبرونهم منبوذين لا يرتفعون إلى مستوى السادة ، بل هم خدم ، لا اعتبار لهم .

واشتغل « هيرا لال » ، بالمحاماة ، وبحكم عمله استطاع أن يضع عينه على كثير من المظالم الاجتماعية التى يعانى منها الشعب الهندى ،

---

(١) فى الحق الذى لا جدال فيه إلا عن طمس لنا لا يطمس أن غاندى كان بجانب مسلم آخر عالم مجاهد صلب كأشد ما يكون الطود من صفوان هو : العلامة مولانا أبوالكلام آزاد . مجلة الأزهر .

والفروق الشاسعة بين الطبقات ، وكانت هذه الفوارق والمظالم تقرها الديانة التى يدين بها الهندوس ومنهم « هيرا لال » .

ونظر « هيرا لال » إلى مجتمع المسلمين فى الهند فلم يجد بينهم هذا الظلم الذى يعانى منه الهندوس فأقبل على دراسة الإسلام دراسة تأمل وعناية ورغبة فى الاقتناع ، وكشف الله عن قلبه الحجاب الذى يغلف قلوب أهل الضلال ، فأدرك أن الإسلام هو الدين الحق الذى ينادى أتباعه بقوله :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

سورة آل عمران ــ آية : ١٠٣

ويقول لهم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

سورة الحجرات ــ آية : ١٣

وبدأ « هيرا لال » يشق طريقه بخطاً ثابتة نحو العقيدة الصافية ، وقد التقى بمن أخذ بيده إلى طريق الحق والرشاد فأعلن إسلامه فى جرأة منقطعة النظير فى الثامن من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ أمام حشد كبير من المسلمين فى الجامع الكبير فى بومباى ، وتسمى باسم : « عبدالله هيرالال غاندى ، وصعد المنبر وألقى كلمة جاء فيها : « كلكم يعلم بأنى هيرالال ابن الزعيم الوثنى غاندى ، فأنا أعلن على رءوس الأشهاد ، وفى وسط هذا الجمع العظيم من المسلمين ، بأنى قد عشقت الإسلام ، وأحببت القرآن ، وآمنت بالله وحده ، وبالرسول الأطهر سيدنا محمد ــ صلوات الله تعالى عليه ــ وأنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبى بعده ، وأن ما جاء به القرآن حق ، والبعث حق ، والملائكة والقضاء والقدر حق ، والكتب المنزلة حق ، وأنبياء الله ورسله حق ، فللإسلام وللقرآن سأحيا وأموت » .

لقد تضمنت هذه الكلمة عقيدة المسلم كاملة ، وهكذا زالت الغشاوة عن عين هذا المفكر الهندى الكبير ، ولم يعبأ بما كان فيه من مكانة بين قومه ، ولا بالمضايقات التى لقيها بعد إعلان إسلامه .

لقد مضى فى طريقه قدما يضع كل إمكاناته فى خدمة دينه وعقيدته ، ويجاهد فى سبيل نشر هذا الدين السمح الكريم الذى يتآخى فى ظله الناس جميعا فى محبة وأمن وسلام .

لقد خطب ذات يوم يشير إلى الهندوس قائلا : « خير لهؤلاء القوم إذا رغبوا فى التخلص من حياتهم المريرة هذه أن يلقوا بنظرة خالية من التعصب إلى دين الإسلام ، ويدرسوا حقيقة الإخاء الإسلامى » إنهم إن فعلوا ذلك سعدوا بما فى تعاليمه من إنصاف وما فى مبادئه من عدل وأمان .

محمد أسد :

ومحمد أسد هو الاسم الجديد الذى اختاره « ليبولد فايس » العالم النمسوى لنفسه بعد اعتناقه الإسلام .

كان « ليبولد فايس » ينتمي لأسرة يهودية تعيش في النمسا ، في مدينة « ليفو » التي أصبحت تابعة لبولندا بعد ذلك ، واشتغل بالصحافة ، وجاء إلى الشرق الأوسط بحكم عمله ، واحتك بالمسلمين وأعجب بهم ، فأقبل على الدين الإسلامي يدرسه ويبحث فيه ، واقتنع بعد دراسته بقيمة هذا الدين وعظمته ، على الرغم من أن المسلمين - بكل أسف - لا يطبقون تعاليم دينهم كما يجب .

ولم يحل هذا الأسف بينه وبين إعلان إسلامه في خريف عام ١٩٢٦ م ، وأسمى نفسه ، بمحمد أسد ، تيمنا باسم النبي ﷺ وقام برحلات كثيرة في ربوع العالم الإسلامي زادته يقينا وتمسكا بعقيدته الجديدة .

وضمن خلاصة رحلاته وتجاربه ودراساته وأفكاره كتبه التي ألفها ، ومنها : الإسلام في مفترق الطرق - الطريق إلى مكة - منهج الإسلام في الحكم - وغيرها ..

لم يقف محمد أسد موقفا سلبيا بعد إسلامه ، ولكن كان شأنه شأن كل من أعلنوا إسلامهم من العلماء المفكرين وأصحاب النفوذ ورجال الدين المسيحيين واليهود . فقد تحولوا إلى دعاة وأئمة مجاهدين .

لقد رأينا ابن غاندى يدعو أبناء جنسه إلى النظر في الإسلام نظرة فاحصة ليهتدوا إلى ما فيه من قيم كما اهتدى ، وها هو ذا محمد أسد يُسَخّر قلمه وفكره لخدمة الإسلام والدفاع عنه .. وقد ناقش في كتابه « الإسلام في مفترق الطرق ، كثيرا من القضايا ، ومن بينها قضية الجهاد في الإسلام ، وكشف النقاب عن مفهومها بما يدد شبهة أعداء الإسلام التي تزعم أن الإسلام قام على السيف .

ويقول في ذلك : « إن الفتوح الإسلامية التي قام بها المسلمون ليس فيها شيء من الأنانية الاقتصادية أو القومية ، ولا شيء آخر من الطمع في أن تزيد أسباب الرفاهية الخاصة على حساب شعب آخر . **ولم يُقصد منها في يوم ما إكراه غير المؤمنين على الدخول في الإسلام لقد قصد بها دائما ما يقصد به اليوم من بناء إطار عالمي لأحسن ما يمكن من التطور الروحي للإنسان .**

إن المعرفة بالفضائل حسب تعاليم الإنسان تفرض على الإنسان من تلقاء نفسها تبعة العمل بالفضائل .. وعلى هذا المبدأ ترى الإسلام يقود الإنسان نحو الشعور بالتبعة الأدبية في كل ما يعمل ، فعلى كل مسلم أن ينظر إلى نفسه على أنه مسئول شخصيا عن نشر كل أنواع السعادة حوله ، وأن يسعى إلى إقرار الحق وإزهاق الباطل في كل زمان ومكان .

من كتاب « الإسلام في مفترق الطرق » .

دعاة في كل مكان :

وعلى هذا النهج سار كل من اعتنق الإسلام ، لكل واحد منهم يد بناءة ، جهد مشكور ، فهذا « مارمادوك » ابن القسيس البريطاني المشهور « تشارلز بكتال » يتحول بعد إسلامه إلى شعلة نشاط ويقوم بجهد عظيم في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الانجليزية ، وأسمى نفسه محمدا بعد إعلان إسلامه ، وأقبل على القرآن الكريم تتشربه روحه ، ويعيه قلبه ، ويقبل عليه دارسا وباحثا

ومعلما وناشرا بدعوته ومجاهدا فى سبيله ، وأصبحت ترجمته لمعانى القرآن الكريم هى المصدر الرئيسى لمن جاء بعده ليعمل فى هذا الميدان .

الحاخام الذى أسلم :

وهذا حاخام أسلم ، يذكرنا بالصحابى الجليل عبدالله بن سلام - رضى الله عنه - والذى كان زعيم اليهود فى المدينة ، وكان اسمه « الحصين » قرأ التوراة وعرف أوصاف النبى ﷺ ، فأسلم حين جاء النبى ﷺ إلى المدينة ، وسماه النبى ﷺ عبدالله .

قص علينا الأستاذ أسامة الألفى قصة الحبر اليهودى الذى كان يعيش فى مدينة « مرجلان » فى ولاية « أوزبكستان » إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى سابقا ، واسمه « إبراهيم بولات » .

أعلن إبراهيم إسلامه بعد دراسة مستفيضة عن الإسلام وقراءة واعية له ، بينت له أن شريعة الإسلام تقدم صورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض للخالق المتعالى ، وتنزهه عن الشبه بغيره ، وتوقر ما سبقها من الرسالات السماوية المنزلة وتحترم الأنبياء جميعا ، وهاله أن يكتشف أن عقيدة آبائه منذ أقدم العصور كانت الإسلام .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

سورة آل عمران - آية : ٦٧

وتقدم بخطا ثابتة نحو الإسلام ، وتحول إلى داعية له بعد أن كان داعية لليهودية ، وأصبح كعبدالله بن سلام - رضى الله عنه - فقد وجه إلى الإسلام أهله أولا فأسلموا على يديه ، ثم أخذ يدعو غيرهم من أبناء ملته القديمة .

وترك إبراهيم عمله فى المصنع الذى كان يعمل فيه ، والتحق بمسجد ليقوم بمهمة الأذان فيه وإمامة المصلين وتحفيظ رواده القرآن ، والدعوة إلى الإسلام .

كل مسلم من هؤلاء مركز إشعاع فى مجتمعه :

وهكذا نجد أن كل مسلم من أولئك الذين قدمهم المؤلف فى كتابه وهم عدد كبير من مختلف الدول والقارات يتحول إلى مركز نشاط ، ينير الطريق لغيره ، ويفنى ذاته فى سبيل نشر هذا الدين الحق والدفاع عنه ، إنه لا يتقوقع على نفسه ، ويفرح بأنه اهتدى إلى الحق وهذا حسبُه ، ولكنه يريد أن يُسْعد غيره كما سعد هو ، وهذا هو لبُّ الشريعة كما فهمها المسلمون الأوائل ، فخرجوا يبشرون بها فى أنحاء العالم ليفرحوا الناس كما فرحوا ، وينقذوا غيرهم كما أنقذهم الله بهذا الدين السمح الكريم .

لقد جاء هذا الكتاب فى وقته ، فى هذه الفترة التى اختلطت فيها الأوراق ، وراجت الشبهات ، وذاع الباطل .

لقد قال بعض الحكماء يوما : أشد الساعات حلكة أقربها إلى طلوع الفجر ، وعند اشتداد الكرب ينفجر الأمل .

نعم ، إن إسلام أمثال هؤلاء هو الفجر الذى يبدد الظلام الكثيف ، وهو الأمل الذى يبدد غياهب الكروب ، ويملأ بالسعادة القلوب .

الملكية وضوابطها الشرعية

بقلم الأستاذ/ السيد أحمد المخزنجي

تمهيد :

تختلف النظم الاقتصادية التى تسير عليها المجتمعات فى الوقت الحاضر عن تلك التى سارت عليها من قبل ، تبعا لاختلاف موقفها حيال الملكية وأنواعها وحقوقها وواجباتها ، ثم عنها جميعا وعن الإسلام من وجوه ؛ لقد وضع الإسلام فى شئون الاقتصاد نظما حكيمة تقر الملكية الفردية وتحيطها بسياج من الحساسية ، وتذلل أمام الفرد سبيل التملك والحصول على المال ، وتشجع العمل ، وتعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، وتفسح المجال أمام المنافسة والتفوق وبذلك تحقق تكافؤ الفرص بين الناس فى هذه الميادين . على ألا يطغى المال طغيانا يجعل منه أداة عنت وإفساد ؛ لتقوم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم متينة من التكافل والتعاون والتواصى بالبر والعدل والإحسان ، ولهذا المال حق لله ـ تعالى ـ فيه . ووضع لإصلاح جوانب اجتماعية تكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة فى نواح مختلفة .

وقبل أن نعرض « للملكية وضوابطها الشرعية فى الإسلام » يجدر بنا أن نعرض لموقف النظم الاقتصادية المعاصرة من هذا النظام وأنواعه على النحو التالى :

الملكية فى النظم الاقتصادية الوضعية :

من المعروف أن الملكية تنقسم إلى قسمين : ملكية فردية وملكية جماعية ، فأما الملكية الفردية فهى التى يكون المالك فيها فردا معينا بذاته أو أفرادا

معنيين بذواتهم ، عكس الملكية الجماعية التي لا يكون المالك فيها شخصا اعتباريا كالأسرة والعشيرة والقبيلة والنقابة والجمعية والأمة والدولة والحكومة .. وما إلى ذلك .

فحينما يقال – مثلا : إن هذه الأرض ملك للدولة أو للأمة يكون معنى ذلك أنها ملك للشخص الاعتبارى المتمثل فى الدولة أو الأمة والمفروض فيه الدوام والبقاء على الرغم من فناء الأفراد[1] .

ونظام الملكية الجماعية معترف به فى جميع النظم والشرائع . وإنما الخلاف بين الأمم والشرائع ينحصر فى موقفها حيال الملكية الفردية ، وقد انقسمت النظم فى هذا المقام – قسمين :

(أ) فى النظام الشيوعى :

يرى الماركسيون الأخذ بأسلوب محو الطبقية وإلغاء الملكية الخاصة – أى الفردية – إلغاء تاما بحيث تتم الشيوعية فى كل شيء ، ومن وجهة نظرهم أنه بدون حكومة وبدون دين ، سيبذل كل إنسان أقصى طاقته ، ثم يأخذ كل حاجته ، عملا بمقولة « من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته » .

ولم يؤد هذا النظام – كما رأينا النتيجة – إلى صلاح المجتمع ، أو استقرار الأمور ، ففى ظل النظام (الشيوعى) تكثر القيود على حق الملكية الفردية كما تكثر والأعباء التى يضعها هذا النظام على كاهل المالك ، ويجنح بنفوذه إلى تغليب ناحية ما يراه المسئولين واجبات على ناحية الحقوق .

ويُقيِّدُ حق المالك بقيود كثيرة فى شئون الوصية والميراث وما إليهما ، مما يخنق تماما حقوق الأفراد .

وتهدف النظم الاشتراكية من وراء ما تضعه من قيود على حقوق الملكية الفردية وما تفرضه من واجبات على كاهل المالك الفردى إلى تقليم أظافر رأس المال وتجريده من وسائل السيطرة والنفوذ ، كما سبق القول .

(ب) فى النظام الرأسمالى (الفردى) :

أصحاب هذا المذهب يقرون الملكية الفردية فى العقار والمنقول ومصادر الإنتاج ، فالنظام الرأسمالى لا يمس الحقوق المذكورة إلا برفق وفى حدود ضيقة ويخفف كذلك ما أمكنه التخفيف فيما يضعه على كاهل المالك الفردى من واجبات وأعباء .

وفى ظل هذا النظام يمكن أن تنمو مواهب الفرد ، وينتفع بثمرات جهده ، ويطلق العنان فى هذا السبيل إطلاقا كثيرا ما يهز قيم الفضائل فى المجتمع ؛ لهذا كان هذا النظام وحده لا يؤدى إلى صلاح المجتمع أو استقرار أوضاعه أو إصلاح العلاقات الاجتماعية ؛ إذ فى ظله يطلق العنان لرأس المال فيطغى ويسيطر على شئون الإنتاج والاقتصاد ، بل ما هو أكثر من ذلك .

تنظيم الملكية فى الإسلام :

أما بالنسبة لنظام الملكية فى الإسلام فتجدر الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية سايرت ، فى هذا الصدد ، سنن الوجود وطبيعة الحياة فقررت أسمى

---

(١) الاقتصاد الإسلامى – هدية مجلة الأزهر – القاهرة ١٤١١ هـ – ص ٢٥ .

المبادىء فيما يتعلق بنظام الملكية ، فأباح هذا النظام الملكية المطلقة للأفراد ، ولكنه أوجب فى نفس الوقت حقوقا فى أموال الأغنياء يؤدونها للفقراء والمساكين وذوى الحاجة سدا لحاجتهم ، وللإنفاق منها فى المصالح العامة التى تعود على المجتمع بالخير والنماء .

وفى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلزام دينى بأداء هذه الحقوق وترهيب من الإخلال بها كما تحث آيات الكتاب العزيز على الترغيب فى التصدق والإنفاق والبر والمواساة وما على المسلمين إلا أن يمارسوا العمل بها ليكونوا أسعد الأمم حالا وأهنأها بالا ، وأبعدها عما تسمع من المآثم والشرور .

ومن ثم أوجب الإسلام الزكاة فى الأموال وهى الركن الثالث من أركانه الأساسية ودعائمه الخمس وجعل لها مصارف اجتماعية تصلح جوانب ثمانية كفيلة بردع الجريمة وشل نفوذها فى المجتمع ، كما أمر بالبر والإحسان لذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٩٢

وضاعف مثوبة الصدقات فقال ـ عز وجل ـ :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٦١

وهكذا نجد أن الإسلام احترم حق الملكية فأباح لكل فرد أن يتملك ـ بالأسباب المشروعة ـ ما يشاء من المنقولات والعقارات ، وأباح له استثمارها والانتفاع بها فى نطاق الحدود التى رسمها ، وخوله حق الدفاع عنها ، كالدفاع عن النفس والعرض ، ولم يقتل الصائل (أى المعتدى) عليها[٢] .

فالإسلام يقرر حق الملكية الفردية ويعترف بها مؤيدا ومشجعا عليها ما دام ذلك لا يتعارض مع الصالح العام وهو بهذا الإقرار يوافق الطبيعة البشرية ويشجب كل قول ينادى بإلغائها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ .

سورة الفجر ـ آية : ٢٠

والتكوين الإجتماعى فى الإسلام لا يضع الفرد فى مواجهة الجماعة كما لا يضع الجماعة فى مواجهة الفرد ليجعل منهما معسكرين متصارعين يحاول أحدهما أن يغتال الآخر . ذلك أن العلاقة فى الإسلام بين الناس أساسها الأخوة والمساواة . وتقوم العلاقات الاقتصادية بينهم فى مجال الانتاج وتداول المال على أساس التعاون ، وفى هذا الاطار لا مكان للمنافسة القاتلة التى انتهت ـ فى الغرب ـ إلى أسلوب رخيص ، فاستخدمت الدعارة لفتح الأسواق وحسبنا ما صدر أخيرا فى هذا المجال ككتاب « الجنس فى العلاقات التجارية » أما المنافسة الحرة والعادلة حيث يلتزم جميع الأطراف بالخلق الإسلامى فمطلوبة ، خلافا

(٢) فتوى للشيخ حسنين مخلوف ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ م ـ ص١١ .

للاحتكار الذى يعتبر تحريمه شرطا أساسيا للعدالة والنماء .

وفى ظلال هذه التعاليم التى يكمل بعضها بعضا يعيش العامل والفقير فى المجتمع الإسلامى عيشة راضية مطمئنة لا يشوبها كدر ولا ينغصها ألم .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو خالق كل شىء .

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٠٢

وهو مالك كل شىء .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

سورة الشورى ـ آية : ٤

فالله ـ تعالى ـ هو المالك الحق لكل شىء ونحن مستخلفون من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على ملكه .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

ومن جهة أخرى نلمس أن الإسلام يعمل على إعلاء الغرائز البشرية ، وترقيتها وتهذيبها وتنميتها إذ فى ذلك صالح الإنسان والجماعة ، والحفاظ على كيانهما من الهلاك ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالأقوات ، ولا طريق إلى تأمين الأقوات والأرزاق إلا بالملكية ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٧٤

وقال :

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ .

(سورة الأحزاب) ٢٧

ففى هذه الآيات ينسب الله المال إلى الأناسى ، لأنه معقود فى ملكيته بأسمائهم يقول الألوسى : إن الإضافة فى (أموالكم ونحوها) لا تفيد إلا الاختصاص ، وهو شامل للملكية والتصرف والانتفاع والاستعمال .

وما دام أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق المالك فمن تكامل التنسيق وتمام النعمة أن يكشف لخليفته قوانين الحركة الصحيحة لاستعمال حق الملكية النسبى له فى مسار سليم ووفق التشريع السابق ذكره .

وعلى ذلك ومن واقع تلك المسئولية (الاستخلافية) يجد المسلم نفسه مطالبا بالبحث عن تفاصيل التكاليف التطبيقية من خلال الأسس السابقة .

كذلك يركز هذا الاصطلاح على الدور الذى يجب أن يؤديه الفرد المسلم فى مجتمعه وعلى أهميته ذلك الدور دون أن يخل بوظيفة الفرد الاجتماعية داخل المجتمع المسلم .

إن الإسلام شرع أسباب ملكية الأعيان والمنافع وطرائق انتقالها من مالك إلى آخر ، وأقام نظما للتعامل بين الناس تكفل صيانة حق الملكية وتمكن المالك من استيفاء حقه والانتفاع بثمرة ملكه ، وتخول المستأجر الانتفاع بملك غيره ، وبالمقابل حرم من وسائل التعامل ما يفضى إلى التقاتل ، كالربا فى صوره المختلفة ، والعقود التى فيها جهالة وغرر ومخاطرة ، وحرم الغصب والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل ، وسن الحدود والعقوبات جزاء لمن ينتهك حرمة الملكية ويتعدى حدودها المشروعة[3] .

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

(سورة البقرة)

ويؤيد هذا المبدأ عمل الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وعمل الخلفاء الراشدين والتشريعات والنظم التى سنوردها لبيان طرق التملك ، وبيان صيانتها ، وحرمة الاعتداء عليها ، وبيان الحقوق الواجبة فيها .

وهكذا نجد أن التشريع الإسلامى يتمشى مع الفطرة ، حيث يوازن بين النزعتين الفردية والجماعية ، ويوازن بين مصالح كل فرد وغيره من الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع ، دون أن يفضل أحدهما على الآخر ، ودون أن يسحق الفرد لحساب المجتمع أو ينهك المجتمع لحساب فرد أو أفراد ، وهذا هو تشريع الإسلام الذى تحدد نظرته الاقتصادية « التوازن » فى المجتمع وتبعد به ـ من ثم ـ عن انحرافات النظامين الشيوعى والرأسمالى ، وإلى جانب ذلك فإنه يخول لولى الأمر (ممثل المجتمع) أن ينظم هذه الملكية أو يحد لها كلما ظهر له أن ذلك يحقق مصلحة للمجموع [فى إطار التشريع الإسلامى نفسه] .

فى ضوء ما تقدم فما وقع من مسلم من عقود وأعمال ومعاملات ، وأخلاق وعبادات وفق التعاقد فهو صحيح نافذ ، وما وقع منه مخالفا لشروط التعاقد فهو باطل موقوف .

نخلص من ذلك مع أحد الباحثين إلى أن : « الإنسان مجرد وكيل لما تحت يديه من مال ، والوكيل لا يلغى الأصيل ، إن هذه الطبيعة الاستخلافية للمال تدرج تحته ثلاثة حقوق :

- حق الله .
- وحق المستخلف .
- وحق الجماعة ، التى ينتمى إليها المستخلف ، وحق الله مردود للجماعة ؛ لأن الله غنى عن العالمين .

وإذا كان الناس مستخلفين فى الأرض بشرط وعهد ، وليسوا ملاكا خالقين لما فى أيديهم من أرزاق فإن من صميم هذا العهد أن يقوم التكافل بين المؤمنين بالله ، فيكون بعضهم أولياء بعض ، وأن ينتفعوا برزق الله الذى أعطاهم على أساس هذا التكافل ـ لا على قاعدة الشيوع المطلق كما تقول الماركسية ، ولكن على أساس الملكية الفردية المقيدة ـ بحدود الله ـ عز وجل ـ فمن وهبه الله

(٣) المرجع السابق .

منهم سعة أفاض من سعته على من قُدِرَ عليه رزقه ، مع تكليف الجميع بالعمل كل حسب طاقته واستعداده وفيما يسره الله له ـ فلا يكون أحدهم كلا على أخيه أو على الجماعة وهو قادر ـ كما بينا ذلك من قبل . وجعل الزكاة فريضة في المال محددة والصدقة تطوعا غير محدد .

نقـــد :

بالرغم مما تقدم عن تفرد نظام الملكية في الإسلام بأحكامه وكيانه فهناك من الباحثين من يخلطون في تحليلاتهم واستنتاجاتهم بين طبيعة هذا النظام الإسلامـــي المختلفـــة وبين غيره من النظـــامين الاقتصاديين : (الشيوعي) ، الرأسمالي . إذ نجد من يقول لنا : (لقد جاء الإسلام بأفضل ما في النظامين السابقين ، حيث أخذ بمحاسن هذا ومحاسن ذاك وقدمهمـــا للنـــاس في صورة معقولة ..)(٤) .

ويقول آخر في هذا المعنى (والنظم الاشتراكية في عمومها ـ كما تقدم بيان ذلك ـ نظم وسطى بين الشيوعية والرأسمالية ، تأخذ ما فيهما من محاسن وتبرأ مما تنطويان عليه من مثالب ، والنظام المعتدل منها هو أوسطها جميعا . فالنظام الإسلامي إذن وسط من وسط وخيار من خيار)(٥) .

ويقول ثالث : (ويطول بنا البحث لو تكلمنا عن « المؤيدات » التي وضعها الإسلام لدعم نظريته الاشتراكية في جميع أحكامها وقوانينها ... ويرى أن هذه المؤيدات تشمل أربعة أنواع : اعتقاديـــــة ، وأخلاقيـــــة ، وماديـــــة ، وتشريعية .. الخ (٦) .

ونحن لا نتفق مع ما يذهب إليه أصحاب تلك الآراء للأسباب التالية :

أولا : ليس صحيحا على الإطلاق أن الإسلام جاء بأفضل ما في النظـــامين (الشيوعـــي) و (الرأسمالي) وأخذ بمحاسن كل منهما ، وذلك لسبب بسيط : أن الإسلام نظام إلهي له طبيعته الخاصة المتميزة عن غيره من النظم الوضعية الأخرى حتى لو تشابهت معه في جزء من أجزائه . فالإسلام كمنهج وشريعة سابق على الأقل من الناحية التاريخية (أكثر من ١٤٠٠ سنة) على هذين النظامين (الشيوعي) و (الرأسمالي) وهما نظامان حديثان لم يعرفهما الناس إلا في هذا العصر الحديث ، فكيف يأخذ السابق (الإسلام) عن (اللاحق) أي النظم التي جاءت بعده ؟ ! .

---

(٤) المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان ، للدكتور محمد الصادق عفيفي ، ص ٨١ .

(٥) حقوق الإنسان في الإسلام ، للدكتور علي عبدالواحد وافي ، ص ٥٧ .

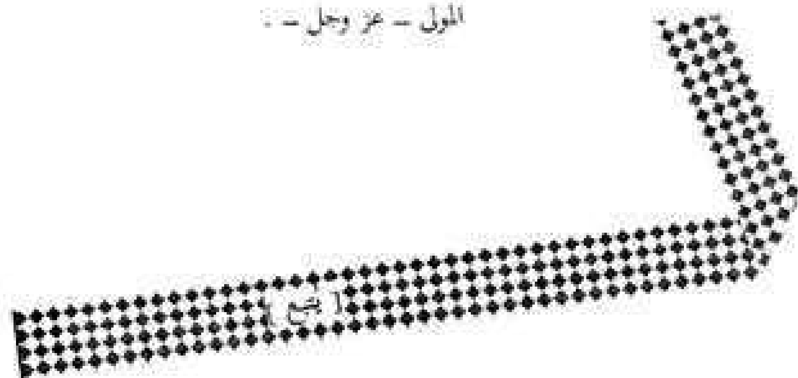
(٦) اشتراكية الإسلام ، للدكتـــور مصطفـــى السباعـــي ، ص ٢١٩ .

ثانيا : ليس كون النظام الإسلامي هنا نظام وسط - كما يصفه البعض - يضفي عليه ، بالضرورة ، صفة « الاشتراكية » بمقولة أنه يتخلص من مثالب هذا النظام أو ذاك ، فخلوه من سلبيات هذين النظامين الاقتصاديين الوضعيين لا يعني خلع صفة « الاشتراكية » عليه ، لأن ذلك يسقط صفة تميزه و « قدسيته » كنظام إلهي إسلامي لا يمكن أن يتشابه مع أي نظام وضعي آخر ، حتى لو كان هذا النظام أو ذاك متفقا معه في جزء منه أو في وجه من الوجوه ، لأن القول بذلك يؤدي إلى فقد النظام الإسلامي هويته التي يتميز بها « كنظام ومنهج » يختلف تماما عن منهج وجوهر تلك النظم الإنسانية الوضعية التي يشوبها القصور ويعتريها النقص الذي هو من طبيعة البشر ، بعكس النظام الإسلامي الذي يتسم بالكمال والتنزه عن ذلك تماما .

ومن ثم فالإسلام لا يحاول ولم يحاول أن يقلد نظاما من النظم ، أو أن يعقد بينه وبينها صلة أو مشابهة ، بل اختار طريقه متفردا فذا ، وقدم للإنسانية علاجا كاملا لمشكلاتها جميعا .

وبناء على ذلك نجد أن الاقتصاد الإسلامي « يبحث في الوسائل المختلفة التي يمكن للإنسان استخدامها لإدارة واستغلال ما استخلفه الله فيه .. لسد حاجاته الفردية والمجتمعية الدنيوية طبقا لمنهج شرعي محدد » .

ويتضح مما تقدم أن الإصطلاح يركز على دور الإنسان كمكلف ومستخلف في هذه الدنيا فيما يملكه ويحاول أن ينطلق - من واقع هذا المبدأ - بالدور الهام الذي يؤديه الجهد الإنساني على أساس ديني لا مادي في المشكلة الاقتصادية ووفق توجيه المولى - عز وجل - .



من روائع الماضي بمجلة الأزهر



هلال رمضان

وإذا رئى فى بلد يعم حكمه سائر البلاد

لصاحب الفضيلة المرحوم الشيخ إبراهيم الجبالى

إعداد وتقديم : أ/ عبد الفتاح حسين الزيات

أرسل الله ـ تعالى ـ نبيه محمداً ﷺ برسالة الإسلام إلى الناس كافة فى أرض الله قاطبة ، لا شأن لها بالقيود السياسية ولا بالحدود الجغرافية .

والعبادات فى الإسلام كل لايتجزأ ، بل هى واجبة التطبيق من أمة الإسلام بلا تسويف أو مماطلة .

ولعل من أسباب سمو الإسلام أنه تناول كل ما يتصل بأداء العبادات على اختلاف فروضها ، ومن ذلك هلال رمضان . فوضع الأساس الذى ينبى عليه الرأى القاطع والقول الفاصل ، فى هذه المسألة الهامة فى حياة أمة الإسلام ، ولكنه ترك (للعلماء) مهمة الاجتهاد فى التطبيق العملى لبداية شهر الصوم ، إذ أنه يخضع فى المقام الأول لعوامل جغرافية ومناخية لايغيرها إلا من تتوافر فيه الشروط العلمية والعملية لوضع الحقائق موضع التنفيذ بيقين ، بحيث تؤدى فى النهاية إلى التثبت فى أداء هذه الفريضة المعظمة على الوجه الذى شرعه الله وبينه نبى الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام .

قال الشيخ فى بيان الحكم الشرعى فى هلال رمضان :

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

كان قد وجه إلىّ فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، خطاباً بطلب النظر فى جمع المسلمين فى كل الأقاليم على صوم يوم واحد أول رمضان . وقد طلب فضيلته إلى بعض حضرات السادة العلماء أن يوافوه ، بعد بحث الموضوع من الوجهة الشرعية ومراجعة آراء الفقهاء ، بخلاصة بحثهم ونتيجة نظرهم .

وقد كنت ممن تفضل مولانا الأستاذ الأكبر بتوجيه هذا البحث إليهم ؛ فبعد مراجعة كتب الفقه الشافعى واستقصاء النظر فى الموضوع ، كتبت هذه الكلمة لتنشر فى المجلة بمثابة نواة لما سيبديه حضرات أصحاب الفضيلة علماء المذاهب بالأزهر من بيـــان شاف تنشرح له صدور المؤمنين .

ولادة الهلال فلكياً :

يولد الهلال ، ويبتدىء الشهر الهلالى متى انحرف القمر عن حالة الاجتماع : أى الوضع الذى يكون فيه الشمس والقمر بالنسبة للأرض فى اتجاه واحد على خط مستقيم ، ويكون الجزء المضىء من القمر مقابلا للشمس متواريا جميعه عن الأرض ، وهى الحالة المسماة بالمحاق ، فمتى انحرف قليلا عن هذا الوضع ظهر من الوجه المضىء خيط دقيق مقوس ناحية الأرض ، وهذا أول الشهر الهلالى فلكياً ، وذلك يكون بالنسبة للأرض كلها فى لحظة واحدة ، سواء أهل الجهة التى يقابلها القمر حينئذ ، أو الجهة التى يكون متواريا عنها ، وهذا يحصل تارة ليلا فى أول الليل أو آخره أو بين ذلك ، وتارة نهاراً كذلك .

اعتبار الشهر قد هل شرعاً :

ولا يعتبر الشهر الجديد قد هل شرعاً إلا إذا رأى أهل الأرض ذلك الخيط المضىء من القمر بعد غروب الشمس بالعين المجردة ، فتكون الليلة التى رئى فيها من الشهر الجديد بالنسبة إلى الرائين قطعاً .

وأما بالنسبة إلى غيرهم ففيه خلاف ، فقيل : وغيرهم مثلهم ، فمتى ثبت الشهر فى بقعة من الأرض فقد ثبت فى جميع البلاد (ولعل من الواضح أن معنى ثبوته بالنسبة لجميع أهل البلاد أن تكون الليالى التى تقبل بعد رؤيته من الشهر الجديد ، لا أن يحتسب اليوم الذى يتفق أن يكون النهار فيه ساعة رؤية الهلال فى بلد ، من الشهر الجديد) .

وقيل : بل كل بلد لها رؤيتها لا يتعدى حكمها إلى غيرها .

وقيل بالتفصيل بين البلاد القريبة من بلد الرؤية ، فيثبت حكمها فى حقهم ، والبلاد البعيدة عنها فلا يتعدى حكمها إليهم .

ثم اختلفوا فى تحديد القرب والبعد : فقيل : يعتبر مسافة القصر ، لأن الشارع ناط بها كثيراً من الأحكام ، وقيل باتحاد الإقليم .

وقيل وهو المختار : بل العبرة باتفاق المطالع واختلافها ، لأن مسافة القصر لا شأن لها بطلوع الكواكب ولا غروبها ، وهذا هو الذى اختاره الكثير ودرج عليه المتأخرون من الفقهاء وهو الأوجه ، قال النووى فى المجموع : « إذا رأوا الهلال فى بلد ، ولم يروه فى غيره فإن تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد ، ويلزم أهل البلد الآخر الصوم بلا خلاف ، وإن تباعدا

فوجهان مشهوران فى الطريقين ، أصحهما : لا يجب الصوم على أهل البلد الأخرى ، وبهذا قطع المصنف والشيخ أبو حامد و ... ، والثانى يجب ، وبه قال الصيمرى ، وصححه القاضى أبو الطيب و ... ، وأجابوا عن حديث كريب عن ابن عباس (وسيأتى) بأنه لم يثبت عنده الرؤية فى بلد آخر بشهادة عدلين ، والصحيح الأول .

وفيما يعتبر به القرب والبعد ثلاثة أوجه : أصحها ، وبه قطع جمهور العراقيين والصيدلانى وغيرهم ، أن التباعد يحصل باختلاف المطالع كالحجاز والعراق وخراسان ، والتقارب أن لا يختلف كبغداد والكوفة ، لأن مطلع هؤلاء مطلع هؤلاء ، فإذا رآه هؤلاء فعدم رؤيته للآخرين لتقصيرهم أو لعارض ، والثانى : الاعتبار باتحاد الإقليم ، والثالث أن التباعد مسافة القصر والتقارب دونها ، وبه قال إمام الحرمين والغزالى والبغوى وآخرون ، قالوا لأن اعتبار المطالع يحوج إلى حساب وتحكيم المنجمين ، وقواعد الشرع تأبى ذلك ، وهذا ضعيف لأن أمر الهلال لا تعلق له بمسافة القصر . فالصحيح اعتبار المطالع .

ثم قال بعد كلام نقله عن علماء المذهب : « فحصل فى المسألة ستة أوجه : أحدها : يلزم جميع أهل الأرض برؤيته فى موضع منها ، والثانى : يلزم أهل إقليم بلد الرؤية دون غيرهم . والثالث : يلزم كل بلد يوافق بلد الرؤية فى المطلع دون غيرهم ، وهذا أصحها ، والرابع : يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيره ، حكاه السرخسى ، والخامس : يلزم من دون مسافة القصر ، والسادس : لا يلزم غير بلد الرؤية » انتهى ما أردنا نقله عن المجموع .

وقال شيخ الإسلام فى المنهج وشرحه : « (وإن رؤى) الهلال (بمحل لزم حكمه محلا قريبا) منه (وهو) يحصل (باتحاد المطلع) بخلاف البعيد عنه ، وهو يحصل باختلاف المطلع ، أو بالشك فيه ، كما صرح به فى الروضة كأصلها لا بمسافة القصر ، لكن قال الإمام : اعتبار المطالع يحوج إلى حساب وتحكيم المنجمين ، وقواعد الشرع تأبى ذلك ، بخلاف مسافة القصر التى علق الشرع بها كثيرا من الأحكام والأمر كما قال » اهـ وكتب البجيرمى على قوله : والأمر كما قال : (أى من الأشكال ، والمعتمد ما قاله المصنف) وسيأتى دفع الإشكال .

وفى الروض لابن المقرى وشرحه لشيخ الإسلام : « (فرع) : لو (رؤى) الهلال (فى بلد لزم) حكمه (من فى غيره) من سائر الأماكن (ما لم تختلف المطالع) كبغداد والكوفة والرى وقزوين ، لأنه قريب من بلد الرؤية ، فهو بمنزلة من هو فى بلدها كما فى حاضرى المسجد الحرام . فإن اختلفت كالحجاز والعراق وخراسان لم يجب الصوم على من اختلف مطلعه ، لبعده ، ولما روى مسلم عن كريب : رأيت الهلال بالشام ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فقال ابن عباس : متى رأيتم الهلال ؟ قلت ليلة الجمعة .

قال : أنت رأيته ؟ قلت : نعم ، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل العدة أو نرى الهلال . فقلت : أو لا تكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ ، وقياسا على طلوع الفجر والشمس وغروبها ، ومما قاله المصنف علم أن القريب من بلد الرؤية ما اتحد معه فى المطلع ، وقيل : ما دون مسافة

القصر ، وصححه الرافعي وتبعه النووي في شرح مسلم ، وصحح في غيره الأول لأنه لا تعلق للرؤية بمسافة القصر ، وقال الإمام : اعتبار المطالع يحوج إلى حساب وتحكيم المنجمين ، وقواعد الشرع تأبى ذلك ، بخلاف مسافة القصر التي علق الشارع بها كثيرا من الأحكام ، فإن قلت : اعتبار اتحاد المطالع على ما مر يتعلق بالمنجم والحاسب وقد تقدم أنه لا يعتبر قولهما في إثبات رمضان ؟ قلت : لا يلزم من عدم اعتباره في الأصول والأمور العامة عدم اعتباره في التوابع والأمور الخاصة ا.هـ. أي وهنا لم يثبت بكلام المنجم والحاسب أصل الصوم وثبوت الهلال على جميع الناس ، بل عدينا به الصوم والهلال الثابت في بلد إلى أهل بلد آخر .

ثم المراد بالرؤية المذكورة في كل هذا ، الرؤية ليلا ، ولا عبرة برؤيته نهارا ، قال في المنهج وشرحه : « (ولا أثر لرؤيته) أي الهلال (نهارا) » ونقل البجيرمي عليه عن القليوبي أنه لا يكون للماضية فنفطر ، ولا للمستقبلة فيثبت رمضان مثلا ، أي فلا يغني عن رؤيته بعد الغروب .

مما سبق نقله عن المجموع وغيره ، يعلم أن ما صححه في المجموع هو ما جرى عليه أغلب كتب المذهب ، وهو اعتبار اتحاد المطالع واختلافها ، وهو ما ترتاح إليه النفس ، ويشبه ما اعتبره الشارع في أمر الصلاة من أن لكل قوم شروقهم وغروبهم وزوالهم وشفقهم وغير ذلك ، وأن البلاد التي تفقد شيئا من ذلك تعامل بحال أقرب البلاد إليها .

ومما يقال من الفرق بين الصوم والصلاة من أن الصوم منوط بوجود الهلال وهو متى ولد في بقعة فقد ولد بالنسبة لجميع أهل الأرض ، يرد عليه بأن أمر الأحكام الشرعية مبنى على المشاهدات الميسورة لطبقات الأمم ، بدويها وحضريها ، وأمر الحساب والتنجيم لا يتيسر إلا للبلاد التي أخذت بحظ من العلوم ، وقواعد الشرع لا تراعى ذلك بل تأباه ، ولا تنس ما قدمناه من أن عدم اعتبار الحساب والتنجيم في إثبات أصل الصوم لعموم الناس لا يستلزم عدم اعتباره في تعدية حكمه ، وقد ثبت في بلد إلى أهل بلد آخر قريب منه .

وحديث « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ليس معناه متى حصلت رؤية ما فصوموا ، بل معناه كما في رواية أخرى : إذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا ، وخير ما فسرته بالوارد .

ننتقل بعد هذا إلى ما جاء في السؤال من النظر في تعميم حكم الصوم لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى يجتمعوا في صوم رمضان على يوم واحد ، وبخاصة إقليم طرابلس الغرب بلد السائل ، وهل تتأثر بثبوت رمضان في مصر ، فنقول :

قد نصوا على أنه متى اتحد البلدان في خط العرض جهة وقدرا بأن يكونا معا في الشمال أو يكونا معا في الجنوب وأن يكون بعدهما عن خط الاستواء واحدا أو متقاربا ، فإنه إذا رئى الهلال في البلد الشرقي منهما يلزم أن يرى في البلد الغربي ، فإذا لم ير فيه فإما لعارض أو لتقصير منهم ، وذلك أن الشمس تغرب في البلد الشرقي قبل غروبها في الغربي ، وكذلك القمر ، فإذا رئى في البلد الشرقي فما ذاك إلا لأنه مضى عليه بعد ولادته مدة يتسع فيها الخط المضيء الذي يبدو منه ، فإذا تأخر الغروب في البلد الغربي ساعة أو ساعتين مثلا كان ذلك أعون على رؤيته إذ يزيد اتساع الخط المنير البادي منه ، فإذا لم ير فإما لعارض أو تقصير منهم كما قلنا .

وإنما قيدنا بأن يكون البلدان على خط عرض واحد أو متقارب ، لأنهما إذا لم يكونا كذلك جاز أن يتأخر غروب الشمس فى البلد الشرقى عنه فى البلد الغربى ، بأن يكون البلد الشرقى فى الشمال والغربى فى الجنوب ويكون الوقت صيفا ، فإن النهار يطول فى البلد الشمالى عنه فى البلد الجنوبى ، فربما تأخر غروب الشرقى حينئذ عن غروب الغربى .

نقل الشهاب الرملى فى حاشية شرح الروض عن السبكى قال : « تنبيه لم أر من نبه عليه وهو أنه قد تختلف المطالع ، والرؤية فى أحد البلدين مستلزمة للرؤية فى الآخر من غير عكس ، فإن الليل يدخل فى البلد الشرقية قبل دخوله فى البلد الغربية ، فإذا غربت فى بلد شرقى وبينه وبين الشمس سبع درج مثلا ، لا يمكن رؤيته فيها ، وإذا غربت فى بلد غربى يتأخر الغروب وبينه وبين الشمس أكثر من عشر درج أمكن رؤيته فيها ، وإن لم ير فى البلد الشرقى ، فإذا غربت فى غربى آخر بعد ذلك بدرجتين كانت رؤيته أظهر ، ويكون مكثه بعد الغروب أكثر ، وقس على هذا يتبين لك أنه متى اتحد المطلع لزم من رؤيته فى أحدهما رؤيته فى الآخر ، ومتى اختلف لزم من رؤيته فى الشرقى رؤيته فى الغربى ، ولا عكس . وتبعه فى المهمات » قال : « وفى إطلاقه دخول الليل فى الشرقى قبل دخوله بالغربى نظر إذ محل القبلية إذا اتحد عرض البلدين جهة وقدرا : أى جهة الجنوب والشمال ، وقدرا بأن يكون قدر البعدين عن خط الاستواء سواء » أهـ .

ومعلوم أن طرابلس غربى مصر ، وهما على خط عرض واحد تقريبا ، فإن خط عرض ٣٠ يخترق الإقليمين معا : مصر وطرابلس ، وهما جميعا فى نصف الكرة الشمالى ، فمتى رئى فى مصر رئى فى طرابلس قطعا ، فإذا لم يروه فإما لعارض أو لتقصير منهم ، فيجب عليهم الصوم بصوم مصر .

وحديث كريب عن ابن عباس يمكن تخريجه على ذلك ؛ فإن الشام غربى المدينة فيتأخر غروب الشمس فى الشام عن غروبها فى المدينة ، فمدة التأخر تصلح سببا كافيا لاتساع الخط المنير من القمر فتسهل رؤيته فى الشام حيث لا تسهل رؤيته فى المدينة ، فلا غرو أن يصوم معاوية بالشام ويصوم الناس معه حيث رأوا الهلال ولا يصوم أهل الحجاز لاختلاف مطلعهم عن مطلعهم ، لأنهم شرقيون بالنسبة إليهم .

والحاصل : أنه إذا صامت مصر لرؤية الهلال لزم الصوم كل البلاد التى تكون غربيها ، ما لم تكن فى الشمال كثيرا ، والزمن شتاء ، فربما تأخر غروب الشمس فى مصر عن غروبها فى البلاد الغربية منها ، فيوجد وقت بين الغروبين يمكن مصر من رؤية الهلال ، إذ يكون قد نما ولا يكون أهل البلد الغربية متمكنين من رؤيته لتقدم غروبهم وأما البلاد التى شرق مصر كالعراق والحجاز فلايلزم من رؤية مصر للهلال رؤيتهم له ، فلا يلزمهم الصوم بصوم مصر .

هذا كله فى ثبوت الشهر أى تحققه ، أما فى إثباته والعلم به ، فقد نصوا على أن الأمارات المعتادة كتعليق القناديل فى المنائر ، وكالتصايح بين القرى ليعلم بعضهم بعضا ، إذا كان مثله لا يحصل إلا فى رمضان ، كافية فى العلم ولزوم الصوم متى غلب على الظن صدقه ، ومثل ذلك ضرب المدافع والإشارات البرقية وإذاعة المذياع « الراديو » ، كل هذا مما يحصل به غلبة الظن المؤكد ، ولا سيما عند صدوره من جهة حكومية فإنه حينئذ لا يبقى عذر فى التردد ، ويقوى الظن حتى يصير بمنزلة اليقين . والله سبحانه وتعالى أعلم . (المجلد التاسع) .

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السؤال : مقدم من السيد / حمدى عكوش :

● ما الأعذار المبيحة للفطر ؟ .

الجــواب :

● الأعذار التى تبيح الفطر للصائم كثيرة منها : المرض ، فإذا مرض الصائم وخاف زيادة المرض بالصوم ، أو خاف تأخر الشفاء من المرض ، أو حصلت له مشقة شديدة بالصوم فإنه يجوز له الفطر قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٨٥

ويتضح من هذه الآية أيضا إباحة الفطر للمسافر بشرط أن يكون السفر مسافة تبيح قصر الصلاة وهى تقدر حاليا بواحد وثمانين كيلو مترا وكذلك إذا خافت الحامل والمرضع الضرر من الصيام على أنفسهما وولديهما معا أو على أنفسهما فقط أو على ولديهما فقط ، والمرأة إذا حاضت أو نفست وجب عليها الفطر وحرم الصيام عليها ولو صامت فصومها باطل وعليها القضاء .

والشيخ الكبير المتقدم فى السن الذى لا يقدر على الصوم فى جميع فصول السنة يفطر وتجب عليه عن كل يوم فدية طعام مسكين ، وإذا طرأ على الصائم جنون ولو لحظة فلا يجب عليه الصوم .

فيجوز لمن حصل له شيء من ذلك الفطر ، وعليه القضاء فكذلك إذا تمكن الصائم الجوع أو العطش قد بلغا به ما يؤدى إلى الهلاك .

السؤال مقدم من السيدة / صبيحة الحضرى :

● **زكاة الفطر حكمة مشروعيتها وشروطها وعلى من تجب ؟ ووقت وجوبها ؟ ومتى تؤدى ؟ .**

الجــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .. وبعد ..

فنفيد بأن زكاة الفطر شرعت فى السنة الثانية من الهجرة مع فرض صيام رمضان .

روى البخارى وغيره عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان ، صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين .

كما روى أبو داود وابن ماجه أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات .

وأئمة الفقه على إخراجها عينا ، لكن أبا حنيفة رأى جواز إخراج القيمة فيه فائدة كبيرة لعامة الفقراء والمساكين ، لأن إخراج القيمة يتيح لهم الفرصة لشراء ما يحتاجون إليه فى هذه الأيام المباركة ، فلا مانع من الأخذ برأى أبى حنيفة فى إخراج القيمة مع مراعاة عدم التقيد بالسعر الرسمى فإن الفقير ربما لا يستطيع أن يحصل على القوت بهذا السعر ، فيؤخذ بالسعر العادى الجارى بين عامة الناس وكلما زاد عليه كان أفضل ، هذا والصاع يساوى ٢ كيلوجرام وبالنسبة لحكمة مشروعيتها قد أشار إليها الحديث الثانى فهى تتمثل فى فائدتين : فائدة تعود على المزكى ، وفائدة تعود على من يأخذون ، أما الأولى فهى تطهير الصائم مما عساه يكون قد وقع فيه مما يتنافى مع حكمة الصوم وأدبه ، كالسباب والنظر المحرم والغيبة وغير ذلك .

وهى فى الوقت نفسه برهان على أنه استفاد من دروس الجوع والعطش رحمة بمن يعانون منهما من الفقراء والمساكين .

ومن قسا قلبه ولم يخرجها على الرغم من يسرها دلّ على أنه لم يستفد من حكمة الصيام ، وكان صيامه شكليا وحديث « **صوم رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر** » حديث جيد الإسناد .

وأما الفائدة الثانية لزكاة الفطر فهى للمحتاجين إلى المعونة وبخاصة فى يوم العيد كى يشعروا بالفرح والسرور كما يفرح غيرهم من الناس .

ولذلك كان من الأوقات المتميزة لإخراج زكاة الفطر صبيحة يوم العيد وقبل الاجتماع للصلاة ، حتى يستقبل الجميع يومهم مسرورين .

ولهذه الفائدة التى تتصل بإشاعة الفرح والسرور والتخفيف عن البائسين كانت الزكاة مفروضة حتى على من لم يصم شهر رمضان لعذر أو لغير عذر .

السؤال : من السيد / عبدالرحيم كمال :

● **ما ينبغى للصائم ليفوز بالقبول ؟ .**

الجــواب :

المسلم الحق يصوم رمضان إيمانا واحتسابا والإيمان يعمر قلبه إن « **من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » .. رواه

الشيخان .. ويعرف حق الصوم عليه فى حفظ لسانه وبصره وجوارحه عن كل مخالفة تخدش صومه أو تحط من أجره .

روى الإمامان البخارى ومسلم : « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم » .

وروى الإمام البخارى كذلك .. « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » .

وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يجتهد فى رمضان بالإكثار من الأعمال الصالحة ما لا يجتهد فى غيره وبخاصة فى العشر الأواخر منه .

كما أن على الصائم أن يحيى ليلة القدر بالقيام والذكر وعلى المسلم الذى يحرص أن يفوز بالقبول مراعاة ما سبق وعليه أن يملأ أوقاته كلها بالأعمال الصالحة فنهاره صوم وصلاة وتلاوة قرآن وصدقة وغير ذلك من الصالحات وليله قيام وتهجد ودعاء .

والله وحده يتولى جزاءه ويقبل صيامه ويفوز بجائزة الله .

□ **الفتـــاوى :**

السؤال : من السيد / طارق شحاتة :

ما الاعتكاف ؟ وما حكمة مشروعيته ؟ وزمنه وشروطه ؟ .

ـ الجـــواب :

الاعتكاف هو المكث فى المسجد للعبادة على وجه مخصوص ، وهو واجب إذا كان منذورا ثمن نذر أن يعتكف وجب عليه الاعتكاف ، وسنة وهو ما عدا ذلك ، وقال الحنابلة إنه يكون سنة مؤكدة فى رمضان وآكده فى العشر الأواخر منه ، وكذلك هو رأى الشافعية ، ولكنهم ذهبوا إلى أنه سنة مؤكدة فى رمضان وفى غير رمضان .

أما الحنفية فقد ذهبوا إلى أن الاعتكاف سنة كفاية مؤكدة فى العشر الأواخر من رمضان ومستحب فى غيرها .

وحكمة مشروعية الاعتكاف حصول الثواب واتباع الرسول ﷺ والاقتداء به فى أفعاله .

وشروط الاعتكاف منها الإسلام ، والتمييز ، ووقوعه فى المسجد الذى تؤدى فيه صلاة الجماعة ، وأوله إمام ومؤذن .

كما زاد المالكية فى شروط الاعتكاف الصوم سواء كان الاعتكاف منذورا أو تطوعا .

وقد ذهب الحنفية إلى أن المرأة تعتكف فى مسجد بيتها الذى أعدته لصلاتها ولكن الشافعية والحنابلة قالوا بجواز اعتكاف المرأة مثل الرجل فى المسجد ، كما قال الشافعية إذا اعتكفت المرأة بغير إذن زوجها كانت آثمة ويكره اعتكافها إن أذن لها وكانت من ذوات الهيئة .

السؤال : ورد من السيـــد / السيـــد عبدالسلام :

● ما هى مبطلات الصيام التى توجب القضاء والكفارة ؟ وما يبطل الصيام ويوجب القضاء فقط ؟ .

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد : فنفيد بأن الله ـ تعالى ـ قال :

﴿ فَالْئَنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٨٧

وروى جماعة حديث صحابى قال للرسول ﷺ : هلكت فسأله ما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان فبين له ﷺ كيف يكفر عن ذلك كفارة عظمى .

تدل الآية والحديث على أن الصيام إمساك عن الطعام والشراب والاتصال الجنسى ، وأن الذى تناول طعاما أو شرابا أو يتصل اتصالا جنسيا وقت الصيام فقد بطل صومه ، وقد أجمع الفقهاء على أنه يجب عليه قضاء ما أفطره ، لأنه دَيْنٌ ، ودين الله أحق بالقضاء كما ثبت فى الحديث الصحيح ، وعليه إلى جانب القضاء تجب ـ الاتصال الجنسى ـ كفارة عظمى وهى عتق رقبة مؤمنة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا . وإلى جانب هذا فهناك أشياء اتفق العلماء على أنها لا تبطل الصيام منها وضع الإصبع فى الأذن أو تنظيفها بقطنة أو بمحلول ، لأن (طبلة الأذن) لا تسمح بدخول شىء من ذلك إلى الدماغ ، والدماغ ليس عضوا يتلقى غذاء يستفيد منه الجسم ، ولا يبطل الصوم بالفحص المهبلى ، أو الكشف على البواسير الداخلية أو الكشف على اللوز بنحو ملعقة ، كما أنه لا يبطل الصوم ترطيبُ الجسم بالماء البارد أو ترطيب الفم بالمضمضة .

كما أن (حقن) الدواء فى الوريد أو العضل أو تحت الجلد لا يفطر بها الصائم ، لأنها ليست غذاء يغنى عن جوع أو يروى من عطش .

وقال الفقهاء إن القيىء إن كان خروجه اضطراريا فلا يفسد الصوم وإن كان عن عمد فسد الصوم .

السؤال : من السيد عبدالراضى الكيلانى :

● متى يفطر المسافر ؟ .

الجـــواب :

أجمع جمهور الفقهاء على أن المسافر الذى يجوز له الفطر فى رمضان لابد أن يطلع عليه الفجر وهو مسافر ، وأن يكون سفره طويلا « حوالى ثمانين كيلو مترا تقريبا » حتى لو كان السفر مريحا ، كالسفر بالطائرة فيجوز له الفطر ، فإذا كان قصيرا ، فلا يجوز له الفطر ، وإذا طلع عليه الفجر وهو غير مسافر وسافر بعده فلا يجوز له الفطر عند جمهور الفقهاء .

وأجاز أحمد بن حنبل الفطر للمسافر مطلقا حتى لو كان السفر بعد الزوال ولا مانع من تقليد هذا المذهب إذا كان فى الصوم مشقة .

ثم قال العلماء : إذا بيت نية الصيام فى السفر يجوز له الفطر ولا إثم عليه ، وعليه القضاء وهو مذهب الشافعية والحنابلة ، وتبعه المالكية وأوجبوا عليه القضاء والكفارة إذا أفطر ـ كما منعه الحنفية وأوجبوا عليه القضاء دون الكفارة ـ .

أما الأفضلية للمسافر فى الصوم أو الفطر فقد قال الحنفية والشافعية : إن الصوم أفضل ، وهو مندوب مادام لا يشق عليه ، فإن شق عليه كان

الفطر أفضل ، وإذا ترتب على الصوم خطر على نفسه أو تعطيل منفعة كان الفطر واجبا .

وقال المالكية : يندب للمسافر الصوم ولو تضرر بأن حصلت له مشقة .

وقال الحنابلة : يسن له الفطر ويكره الصوم ولو لم يجد مشقة وذلك لحديث الرسول ﷺ « ليس من البر الصيام فى السفر » .

السؤال من السيدة/ حكمت مصطفى المحامية بالمنصورة تقول فيه توفيت سيدة ولم تحج فحج عنها ابن شقيقتها الذى يعمل بالسعودية وأخذ مصاريف الحج من مالها الذى تركته دون وصية منها فهل هذا الحج يسقط عنها الفريضة ، إذا كان كل ورثتها موافقين على ذلك ؟ وهل لابن أختها الذى حج عنها أجر . علماً بأنه حج عن نفسه قبل ذلك ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا كان هذا الحج قد جاز على المتوفاة ولم تحج وجب أن يحج عنها غيرها ممن سبق له الحج . يستوى فى ذلك أن يكون قريباً لها أو غير قريب ، كما يستوى فى ذلك أن تكون النفقة من مالها أم من غير مالها . وتسقط عنها الفريضة ولابن شقيقتها ولورثتها الأجر ومع ذلك إذا لم يقم أحد بالحج عنها وطلب نفقات الحج فالواجب أن تكون النفقة من التركة لأنها دين لله . والميراث لا يوزع إلا من بعد وصية يوصى بها أو دين وبخاصة دين الله . ولا يشترط عند الجمهور أن تكون المتوفاة قد أوصت بذلك ، فالمالكية فقط هم الذين اشترطوا ذلك والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد/ س هل يجوز دخول الإناث من البنات لدور التعليم الملحقة بالمساجد مرتديات ملابس ضيقة مثل « الجينز » و « والاستريتش » ومتحليات بحلى تزين وتظهر مفاتنهن ؟

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ، فنفيد بأن الرسول ﷺ قال للسيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها : « يا أسماء إذا بلغت المرأة (وفى رواية إذا حاضت) المرأة فلا يرى منها إلا هذا وهذا ــ وأشار ــ إلى وجهه وكفيه ــ » وعلى هذا فقد أجمع جمهور العلماء على أن جميع بدن المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها ، وعلى ذلك فإنهم يشترطون فى زى المرأة ألا يوصيف الجسم أو يشف فلا يرى منها إلا الوجه والكفين أما مثل الملابس التى ذكرت فى السؤال فإنها لا يجوز الخروج بها إلى الشارع مطلقاً سواء كان الخروج للعمل أو للتعليم أو غيره ولكن لا مانع من ارتدائها داخل بيتها أمام محارمها فقط هذا وليتق الله بناتنا ونساؤنا فيما يتحلين به من ملابس ويتمسكن بشرعة الله فإن من خرج عن شرعه وعن حدوده يقصم الله ظهره فى الدنيا ويعاقبه فى آخرته والله أعلم .



الشعر والشعراء

تقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

ذنب توضأ بالدموع

شعر : إبراهيم عيسى

...وتطوف أصداءُ الحُداةِ بعالمي
فتجيب مصباحٌ توهّج في دمي :
عبّرَ الدجى لما سجا ليلٌ شكى
ناديْتُــه فتفجّــرَتْ ناياتُــه
وعلى المدى رُفِعَ الستارُ فلم أجِدْ
وتمزّقَتْ حُجُبُ الزمانِ فأبصَرتْ
والنفسَ شُرِقَ العمـر إلا آهـةً
حمّارُها زمنُ الخطايا.. كلما
سكبَ الظلامُ العنكبوتيُّ الدجى
وشكوتُ من أبديّةِ الليلِ الذى
ويشدُّني نوحُ الذنوبِ على الورى
وتنهّدتْ شفةُ الجراحِ وزفّرَتْ
والغصنُ جفَّ براعمـاً وأزاهـراً
وتلففتْ أيامُـه وتبتّلَتْ
وملأتُ كأسي بالدموع.. وليتني
سهِرَتْ خطايا العمرِ حولَ مدامعي
لما دنا شهقَتْ دموعي في عيونْ
فنزلْتُ من ألقِ السجودِ سحابةً
وهتفتُ.. يا ربّـاه.. فانفرجَ المدى
فطرقْتُ بابَكَ باليقينِ.. وفي يدي
أنـا من ترابٍ يا إلهي.. إنما

وتقول : ما لليل منطفيء الشُعَلْ ؟
نبْعُ السنا رغم الليالي قد أفَلْ
من ظلمةٍ تجتاح إيقاعَ الأجَلْ
وتألّقَتْ آهاتُه لما اشتعلْ
إلا ظلالاً من زمانٍ ترتحِلْ
عيْناي دنيا ينتشي وبرتحِلْ
تسقي خطايا النفسِ كاساتِ الوجَلْ
راجعْته شربُ الأسى حتى ثملْ
ورمى سلاسِلَه على خطوِ الأملْ
سنتغْشه أعراقي بشوقٍ متّصِلْ
فأغوص في طينِ الجهالةِ والخجَلْ
كفّني دموعاً فوق همّي تسدِلْ
والعمرُ.. حتى العمرُ أمسى كالطَّلَلْ
والدمعُ بين جوانحي تجْهشُ المُقَلْ
أشعلْتُها بين الحنايا والمُقَلْ
وعلى المدى همٌّ تراءى كالطُّلَلْ
الليل.. فابتسمَ الصباحُ على أملْ
وقبابُ نورٍ عن سناها لا تسَلْ
والهَلُّ خيرٌ من ينابيعِ الأزَلْ
ذنبٌ توضّأَ بالدموعِ وبالخجَلْ
في مُلكِ روحٍ بالهدايةِ تحتفلْ

الإسلام شمس الأنام

للشاعر محمد عبد الرحمن صالح اليمني

ذلك الدين الذي قد يبهر العقل قشيبُهْ
كم حراب وسهام من يد الحمقى تصيبه
وسعير الحقد يصلي رحمة الدنيا لهيبه
لست أدري خبّروني ما الذي فيه يعيبه؟!
بيد أن الباطل العِربيد ترعاه شعوبه

***

هل لأن الدين للإنسان عز وكرامة
هل لأن العدل في الإسلام رفق وصرامة
هل لأن الناس في الإنصاف أسواء أمامه
وبه المعوج يمشي في استواء واستقامه
ولأن الكل يحيا في أمان وسلامه

***

إن تلامسْ رقةُ الإسلام قلبا قد تحجرْ
صار نهرا جاريا بالخير للأحياء يزخرْ
ينفح الدنيا نسيما من عبير الزهر أعطرْ
صار إنسانا من الدنيا وما تعطيه أكبرْ
بلسان عن معاني الخير والإيمان عبّرْ

***

لو وعى الإنسان ما أملاه خير الأنبياء
لرأى برهان أن الوحي من رب السماء
ومشى في الأرض كالمصباح ذرّيّ الضياء
لكن الشيطان أدلاه لدرك الجهلاء
ليقضّي العمر في الدنيا على جمر الشقاء

***

ليس يُشقي خلقَه الرحمن بالأرزاء ظلما
إنما الإنسان يحسو راغبا صابا وسُمّا
يصنع الإنسانُ للإنسان أدواءً وسقما
ويرى في نشره الآفات فوق الأرض علما
أنت يا ربي قدير قد وسعت الخلق حلما

النَاى الحَزين

للشاعر/ عبد الغفار الدلاش (*)

يا شادى الشعر مَنْ فى الحى تشجيه ... أرهقت نفسك فى دنيا قوافيه
ما قيمة الشعر والشعراءِ فى زمنٍ ... لا يطْرَبُ الناسُ من ألحان شاديه
كان القريض ودنيا الناس عامرةً ... تهفو بشوقٍ إلى أسمىْ معانيه
خفِّفْ عن النفس لا تُلْهِبْ خبيئتَها ... فى ذكر شىءٍ لها مما تعانيه

كم أصبح العيشُ مأساةً لصاحبه ... إن كان يغنى حلالاً فى مساعيه
أين الجمالُ الذى تشدو برقَّته ... فيما تراه جلياً دون تمويه ؟
ما عاد للورد إيحاء بروعته ... أو عاد للحسن سحر فى مغانيه

حتى الطفولة قد باتت مُرَوَّعة ... من بطش مغتصب أو قتل محتوه
في كل يوم لدى الشيطان مُبْتكرٌ ... بالخبث والكيد لم يعدم مساويه
يا للضحايا من الإدمان في نزق ... بالجنس واللهو والإسراف تائيه
هذى كهوف الدجى تمتد موغلة ... يُعيي انحراف الورى إحصاءَ مُحصيه

* * *

يا صاحب الوتر المحزون معذرة ... مَنْ يا تُرى لحنك الدامي يُعزّيه
هذى الجراح التي في النفس غائرة ... أين الدواءُ لجرح القلب يعنيه ؟

ذو القلب يشقى لما ينتاب عالمه ... من أي سوءٍ على الآفاق يُدْميه
لولا بقيّة إيمان تُغلّفه ... ألا يضلّ مع الأسراب في التيه

كم ذا مع الضيق عند الله من فرج ... هل تنشُدُ الله يوماً في مراضيه ؟
ما يفعلُ الحزن في وجدان صاحبه ... إلا دموعاً تنزت من مآقيه !

أو يعصف اليأس في أعماقه أبداً ... حتى يخرّ صريعاً في مهاويه !
من كان لا يعرف الإصلاح مُنطلقاً ... فليترك الشرّ . لا يخطو بواديه

لا عذر للمرء فيما فيه مضيعةٌ ؟ ... أين الرقيب الذى في النفس يثنيه ؟
لا يغفر الدّينُ إسفافاً لفاعله ... إلا بتوبته عما هوَى فيه

* * *

الناس في عالم التقليد قد درجوا ... بدءاً بإعجابهم أو حُبِّ تشبيه
يا ليت من قدّموا الإسفاف ما فعلوا ... بل قدّموا البر في ثوب يجلّيه
يا ليتهم قدموا للناس مكرمة ... كلٌّ على دربه أو في نواديه
ما كان يجرؤ ضِلّيلٌ وذو سفه ... أن يستطيل بكفر أو بتشويه !

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فضل عمر وعقله ـ رضي الله عنه

سئل المغيرة بن شعبة، عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: «كان والله له فضل يمنعه أن يخدع، وعقل يمنعه من أن ينخدع».

«لقبول الدعاء شروط»

حفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى مالا يحل، وحفظ البطن من الحرام.

مكارم الأخلاق

قال أبو العتاهية:

إن المكارم أخلاق مطهرة
فالعقل أولها، والدين ثانيها
والعلم ثالثها، والحلم رابعها
والجود خامسها والصدق سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها والرفق عاشيها

الأدب حلية العاقل

روى الأصمعي أن أعرابيا قال لابنه: يابني الأدب دعامة أيد الله بها أولي الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب.

وقال حكيم: الأدب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت.

وقال آخر: العقل بلا أدب كالشجر العاقر، العقل بالأدب كالشجر المثمر.

وقال غيره: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب، فإن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله، ضل أصله.

وقال بليغ: الأدب يستر قبيح النسب.

إياك ومحدث النعمة

سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل
فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

أعراف الآباء

التمسك بالأعراف أى التقاليد السابقة، والمألوف من العادات وما كان عليه الآباء والأجداد ، صفات موجودة ومتأصلة فى الإنسان منذ وجوده، وقد رفضت الأجيال المتعاقبة هدى الله ورسالاته وقص علينا القرآن الكريم قصصهم ورفضهم للهدى تمسكا بتقاليد الآباء.

فقالت عاد قوم هود لسيدنا هود :

« أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا » . الأعراف ـ ٧٠

وثمود لسيدنا صالح :

« أَتَنْهَىٰنَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا » . هـود ٦٢

ومدين لسيدنا شعيب : « أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا » . هود ـ ٨٧

ووجوه العراق لسيدنا إبراهيم : « بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤ » . سورة الشعراء

وقريش لسيدنا محمد :

« وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ٢٣ » .
سورة الزخرف

فهلا وعت البشرية أن أعراف الآباء (تقاليدهم) لا تساوى شيئا ما لم تكن متسمة بالحق جليلة الهدف وعلى إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

« حقيقة »

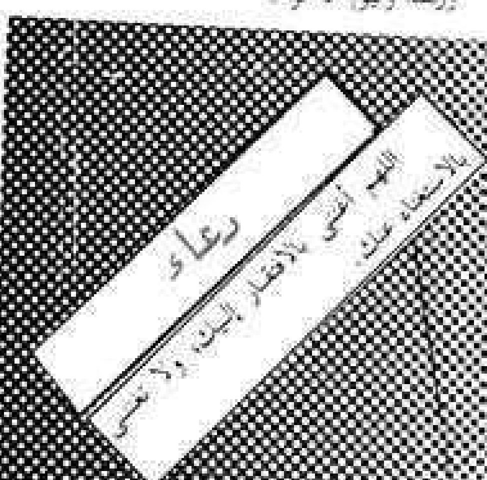
لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى
ولا الأمور التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى
أحاط بى علمه من قبل تصويرى



غضب رجل على آخر، فقال له : ما أغضبك؟

قال : شىء نقله إلى الثقة عنك

قال : لو كان ثقة ما نمّ



« فى ثياب مصر فلا »

كان أحد الكبار يقول : من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها، فأهدى إليه صديق ثيابا من ثياب مصر، وعنده أقوام فأمر برفعها، فقال له رجل: ألم تخبرنا أن من أهديت له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب ويشم، فأما فى ثياب مصر فلا .



من أعلام الأزهر

إنصاف بعد إجحاف

الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري

(٢)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

من شأن كل ذى منهج إصلاحى أن يبادر بتنفيذه متى أمكنته الفرصة ، وقد أتيح للشيخ الأحمدى أن يكون شيخاً لمعهد طنطا بأقسامه الابتدائية والثانوية والعالية ، فبادر إلى تقديم مقترحات لمجلس الأزهر العالى تحقق بعض ما يريد ، فلم يجد غير المعارضة ، ولكنه لم ينكل عن غايته ، فعمل فى دائرة اختصاصه على إنشاء جماعات علمية بالمعهد ، فمنها جمعية علم التوحيد ، ومهمتها : دراسة الشبه العصرية الخاصة بالعقيدة والرد عليها ، وجمعية الوعظ الخطابى ، ومهمتها : تمرين الطلاب على الوعظ المركز الذى يمس مشكلات الجمهور ، ويكون الموضوع فى محاضرته محدداً لا ينتقل إلى موضوع آخر كما كان سائداً فى ذلك الوقت .

ومنها إنشاء مكتبة للجامع الأحمدى تشمل جميع المخطوطات التى استطاع جمعها من المساجد وبيوت الكبراء مع إنشاء نادٍ علمى يقضى فيه الطلاب أوقات فراغهم ، ويكون موضعاً للمحاضرات الأسبوعية التى يقوم بإلقائها المتخصصون فى شتى العلوم ، هذه الإنشاءات الباهرة

فى معهد تقليدى كانت مجال الدهشة لدى القائمين على الأزهر بمجلسه فى القاهرة ، وقد رأى المجلس حينئذ أن يقص من أجنحة المعهد الأحمدى ، فشاء أن يحذف القسم العالى منه كما يحذف القسم العالى من معهد الإسكندرية لتكون الدراسة العالية بالقاهرة وحدها ، وقد أدرك الأحمدى عواقب هذا الحذف فعمل على مقاومته ، وأعد مذكرة ضافية نشرتها مجلة الأزهر أخيراً فى عددى ربيع الأول وربيع الثانى من سنة ١٤١١ هـ(١) بعد أكثر من خمسة وستين عاما وفيها أوضح أن إلغاء القسم العالى بالأقاليم مفسدة لامصلحة ، إذ يعوق التحاق العاجزين عن السكنى بالقاهرة ، فينقطعون عن العلم ، كما يقضى على التنافس بين الأقسام المتماثلة فينقطع الحافز على الاجتهاد ، وإذا احتاج قسما « طنطا والإسكندرية » إلى رعاية علمية فلتكمل هذه الرعاية بمدهما بأسبابها المنشودة لا بمحو القسمين دون مبرر ، كما أن جداول الامتحان فى السنوات الثلاث الأخيرة تثبت تقدم القسمين على القسم القاهرى فى النسبة المئوية بأكثر من عشرين فى المائة ، ولذلك دلالته الواضحة ، والبلاد مع ذلك كله مقبلة على نهضة علمية كبيرة إذ ظهرت الجامعة المصرية والمدارس العليا المتعددة ، فكيف يقص جناح الأزهر وحده ، ومذكرة الأستاذ مستفيضة شافية ، وكان فيها الإقناع كل الإقناع لو سارت الأمور على وجهها الصحيح ، ولكن أعداء الاتساع الإقليمى قد تمكنوا من تحقيق مآربهم ، وها قد مرت الأيام ورأينا كليات الأزهر الدينية العليا تغمر الأقاليم فى الإسكندرية والقاهرة وطنطا والمنصورة والزقازيق وشبين الكوم وأسيوط وقنا وجرجا وأسوان ودمياط ، مما يثبت بُعد نظر الأحمدى وسلامة منحاه .

وبهذا العمل الدائب تعرض الرجل لخصومات ووشايات باعدت بينه وبين ولاة الأمور حيناً من الزمن ، ثم انجلى الغيم عن براءته وإخلاصه ، فأصبح عضواً بارزاً فى المؤتمرات السياسية ذات الطابع الدينى ، كالمؤتمر الخاص بالخلافة الإسلامية المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٢٦ ، والمؤتمر الخاص بمستقبل الأماكن المقدسة فى السعودية ، حين خشيت بعض الدول من سيطرة مذهب خاص ، فعمل الأحمدى على جمع الكلمة ، وكسب لمصر وزناً ثقيلا فى ترجيح كفة الاعتدال ، وهذا ما جعل الملك فؤاد يخصه باهتمام خاص ، وقد رشحه لمشيخة الأزهر قبل أن يتولاها الإمام المراغى فى الفترة الأولى ، ولكن سياسة أقوى من جهده قد حالت دون ذلك ، فقام الإمام المراغى بأعباء المشيخة ، والملك غير راض عنه ، حتى حانت فرصة الاستقالة فأسند المشيخة إلى الإمام الظواهرى ، وهنا تلاحقت الأحداث على نحو يوجب الإفصاح ، ولن أتعرض للتيارات السياسية بين القصر والأحزاب والإنجليز ، ما كان له دوره الهام فى تقلب الأمور ، فهذا مكانه التاريخ السياسى للبلاد ، ولكنى أهتم بما كان من إصلاح جوهرى تم على يدى الإمامين الكبيرين مراعيا حقهما الناصع فى إصدار الحكم الصائب وفق ما اهتديت إليه من أسباب .

---

(١) من بحث ضاف كتبه الأستاذ الدكتور محمد توفيق الحيدى .

يحاول بعض من تزعموا الطلاب فى الثورة على الشيخ الظواهرى ، ثم كان لهم شأن فى الدولة بعد فترة طويلة أن يجسموا بطولاتهم وفق ما يتصورون لا كما هى فى الواقع ، ومن وسائل هذا التجسيم أن يبخسوا الظواهرى كل فضل ، وأن يعدوه رجل جمود وعدواً للإصلاح ، وقد تكررت أقوالهم فى ذلك حتى أصبحت من قبيل المسلمات لدى من لا يعرفون مجريات الأمور ، والواقع المشاهد ، أن الظواهرى كان كالمراغى تماماً من رجال الإصلاح الدينى الحافز على النهوض ، ولكليهما موقفه المشهود ، وليس فى تاريخ أحدهما ما يوصمهما بمناوءة الإصلاح ، وهذا بالنسبة للإمام المراغى مُسَلَّمٌ معترف به ، ولكنه بالنسبة للإمام الظواهرى يحتاج إلى أن نرد على من زيفوا الحقائق بالدليل الصريح .

إن الذى يدرس القانون الذى قدمه الأستاذ الظواهرى لإصلاح الأزهر ، وقام على تنفيذه ، يجده فى جوهره الأصيل متفق مع قانون الأستاذ المراغى فى أكثر اتجاهاته فبمقتضاه أنشئت فى الجامع الأزهر ثلاث كليات للغة العربية والشريعة الإسلامية وأصول الدين مما كان حدثاً جديداً فى تاريخ الأزهر ، كما أنشئت مع هذه الكليات الثلاث أقسام للتخصص فى التربية والوعظ والإرشاد ، والمادة ، وهو أرق هذه الأقسام أما الأقسام الابتدائية والثانوية بالأزهر فقد جُعلت مناهجها قريبة من مناهج وزارة المعارف مع مزيد اهتمام بدارسة علوم اللغة والدين ، واختيار أساتذة من رجال الوزارة لتدريس العلوم الحديثة ، مع عدم تبعية الأزهر لوزارة المعارف واستقلاله بالسياسة التوجيهية ، وقد قام الشيخ الظواهرى على تنفيذ مواد القانون ، فافتتحت الكليات فى عهده ، وحضر جلالة الملك فؤاد افتتاح كل كلية فى مشهد حافل ، وزار قاعات المحاضرات ليستمع إلى دروس ممتازة لا تقتصر على المواد الأزهرية وحدها بل تشمل مواد التربية وعلم النفس والفلسفة والاجتماع ، وبتدقيق بالغ اختار الشيخ الأكبر أساتذة كباراً من هيئة التدريس بكليتى الآداب والحقوق لتدريس ما يحتاج إليه الطلاب من مواد جديدة تتطلب التخصص الدقيق ، وواضح أن التنفيذ العملى جهد كبير يفوق جهد التقنين التشريعى لأن المنفذ يصادف من الصعوبات أثناء التطبيق ما قد يند عن ذهن المُشرع ، وقد صادف الظواهرى بعض هذه الصعوبات وعمل على تذليلها .

ومن سوء الحظ أن الأزمة المالية التى شملت العالم جميعه فى مفتتح الثلاثينيات قد خنقت وزارة مصر ، فاضطربت أحوالها المالية ، وكثر العاطلون من خريجى الأزهر والجامعة والمدارس العليا ، ولم يجد الشيخ الظواهرى سميعاً من وزارة المالية التى صمت أذنها عن رغبات الشيخ المالية ، وقد قلت أنه اضطر إلى تعيين عشرة مدرسين بدل ثلاثة ، ليكفل المعيشة لعدد أكبر حتى تستقيم الأمور ماليا فيعود إليهم حقهم الطبيعى ، ولم يفهم الأزهريون حقيقة الوضع المتأزم ، فأعلنوا الثورة على النحو الذى أشار إليه الأستاذ محمد متولى الشعراوى فيما نقلته عنه فى صدر هذا المقال ، وحين هاج طلاب المعاهد فى الأقاليم وزملاؤهم فى القاهرة ، بحث الأستاذ عن مصدر

الشعب ، فرأى علماء كثيرين يكتبون ضده في الجرائد المناوئة للوزارة ويزعمون أن الرجل الكبير ضالع مع حكومة إسماعيل صدقي المكروهة شعبياً ، فأسقطوا النفط في اللهب كي يزيد اشتعالاً ، وهنا أقدم الشيخ على فصل نفر من الأساتذة ظنهم يقودون الثورة ، وهذا مكمن الخطأ في اتجاهه ، إذ كان عليه أن يتئد ويعفو ، كما أنه تورط في فصل سبعين عالماً من قدامى المدرسين الذين تقدمت بهم السن ، ولا يقدرون على أداء الواجب العلمي ، وكان ذلك بتوجيه الوزارة التي رفضت أن تمد الأزهر بما يتطلب من رواتب هيئة التدريس على نحو يكفل الطمأنينة للجميع ، هذان هما موضع الاعتراض على الشيخ ، وقد أفصح الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، وهو مؤرخ محايد عن وجهة نظره في هذا السلوك فقال :[2]

« وكان من عوامل الثورة أن اقترن عهده ـ الظواهري ـ بضائقة مالية شديدة في مصر ، فكان لها أثرها في التقتير على أهل الأزهر ، وفي أن خريجيه لم يجدوا لهم وظائف في المعاهد الدينية ولا غيرها ، وكانت الحكومة تضن عليهم بوظائفها ، ولا تقدر الشهادات التي يحملونها ، وقد ألجأهم هذا إلى أن يرضوا بالدون في سبيل العيش ، حتى أن حامل شهادة التخصص كان يقبل وظيفة التدريس في المعاهد الدينية بثلاثة جنيهات ، بل كان يقبلها من غير شيء وينتظر إلى أن يجودوا عليه بذلك المرتب ، وقد سكت الشيخ الأحمدي على هذا كله ، ولم يكن عنده من قوة النفوذ في الوزارة ما يحملها على إنصاف أهل الأزهر ، فأخذوا يوازنون بينه وبين الشيخ المراغي ، ونسوا في هذا عقيدة الشيخ المراغي[3] في الإصلاح ، لأن أمر العيش عندهم أهم من هذه العقيدة ، فثاروا على الشيخ الأحمدي تلك الثورة العنيفة ، وكانوا طوائف شتى ، بعضها يعمل للشيخ المراغي ، وبعضها يعمل لغيره من شيوخ الأزهر » .

هذا خلاصة ما يقال في أمر الثورة على الشيخ ، ولا أزيد .

فإذا تركنا جهد الشيخ في الإصلاح الأزهري إلى نشاطه خارج الأزهر ، فإننا نشير إلى مواقف حازمة للأزهر في عهده كانت ذات صدى بعيد في العالم الإسلامي ، ومن أبرز هذه المواقف تصدى الشيخ الأحمدي لحركة التبشير في مصر ، إذ عاونت البعثات الأجنبية التابعة لوزارات الخارجية في أوربا على قيام حركة تبشيرية شملت عواصم هامة من عواصم العالم الإسلامي ، وقد لمس الشيخ بذور هذه الحركة حين كان شيخاً لمعهد أسيوط الديني ، فجمع أعيان المدينة في حشد عام وشرح لهم واجبهم نحو عقيدتهم الدينية ، وأشار بفتح المدارس الإسلامية لتحفيظ القرآن ، وإنشاء الجمعيات الدينية للتوعية الإسلامية بالمحاضرات الأسبوعية ، وكان جهده في هذا النطاق فيصلا حاسما دون امتداد التبشير المسيحي في وسط يتميز بالحساسية الدقيقة بين عنصري الأمة ، ثم حدث في عهد مشيخته أحداث أخرى ببورسعيد ، إذ انتشر

(٢) تاريخ الإصلاح في الأزهر للأستاذ عبد المتعال الصعيدي ص ١٢٩ ط ٢ .

(٣) هذا سهو من الأستاذ الصعيدي ، والصواب (عقيدة الشيخ الظواهري في الإصلاح) كما يقتضي السياق .

المبشرون المسيحيون فى المدينة يشككون فى تعاليم الإسلام ، ويبعثون رسلهم إلى العواصم المجاورة ، فطالب شيخ الأزهر بسن تشريع يمنع نشاط المبشرين ، كما كون من هيئة كبار العلماء لجنة لبحث الموضوع من الناحية العلمية ، بأن تجمع كتب التبشير التى يروجها هؤلاء وتدرسها دراسة فاحصة ثم يقوم أعضاء اللجنة بالرد عليها فى كتب موجزة سهلة التناول ، ليتداركها العامة دون جهد ، وقد لمس الشيخ الأكبر تجاوبا من الجموع فدعا إلى اكتتاب عام لبناء الملاجىء والمساجد ، وإحاطة النشء بأساليب التوجيه عن طريق الإرشاد الدينى فى المجتمعات والأندية ، وبدأ التبرع بمائتى جنيه لتتلوها تبرعات هيئة كبار العلماء ، حتى إن بعض أعيان الصعيد تبرع بعشرة آلاف من الجنيهات ، وهو مبلغ ضخم فى هذا العهد ، فشكره الشيخ ، والتمس من جلالة الملك أن ينعم عليه بالباشوية حضا لزملائه من الأثرياء على الاقتداء به ، فوافق الملك على مطلب الأستاذ .

وفى خارج مصر قامت فرنسا فى المغرب الأقصى بما يسمى (الظهير البربرى) لفصل البربر عن العرب ديانة ولغة فاتصل الشيخ الأكبر بوزير الخارجية المصرية ليبلغه احتجاج الأزهر على هذا العدوان الصارخ على الإسلام ، وأعداء المسلمين فى كل مكان يؤيدون الشعب البربرى فى تمسكه بدينه . وأن كل محاولة لزعزعة العقيدة الإسلامية بأقصى الغرب ستجد الاستنكار الشديد ، ونشرت الصحف العربية والإسلامية بيان الشيخ ، فكان عامل اضطراب فى السياسة الفرنسية ، إذ أحدث أثره فى البربر فرفضوا هذا الاتجاه الماكر ، وقد كان مغلفاً بعبارات ظاهرها العطف وباطنها العسف ، كما كان إعدام الشهيد الليبى عمر المختار على أيدى الاستعمار الإيطالى باعث غضب ملتهب فى الشعب المصرى ، وحين أرادت جمعية الشبان المسلمين إقامة حفلة كبرى لتأبينه حالت وزارة الداخلية دون ذلك ، فأصدر الإمام الظواهرى بياناً باستنكار المحاكمة الظالمة ، وأبلغه سفارة إيطاليا ، وطلب من وزير الخارجية المصرى أن يبلغ زميله الإيطالى هذا الاستنكار ، هذا عن الأحداث الصارخة ، أما الأحداث الخافتة نسبيا فما كانت تغيب عن يقظة شيخ الأزهر فقد وصل إلى علمه اختلاف العلماء فى جاوه حول بعض النقول الفقهية مما أدى إلى تصادم تخشى مغبته ، فأرسل خطابا[٤] يدعو إلى التئام الشمل ، ونبذ مسائل الخلاف ، خاتما إياه بقوله ـ تعالى : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا »[٥] .

وقد كان من أهداف الشيخ الأكبر التوجيهية إنشاء مجلة علمية باسم الأزهر الشريف ، لتكون مصدراً للمعارف الصحيحة ومحررة بأقلام كبار العلماء بالأزهر ، وقد تحقق ما سعى إليه ، فاختار للمجلة اسم (نور الإسلام) ووالت صدورها شهريا ، ومازالت تصدر إلى اليوم ولكن تحت عنوان (مجلة الأزهر) إذ شاء الأستاذ المراغى بعد عودته إلى الأزهر أن يكون اسمها أقرب دلالة على مصدرها فاقترح الاسم الجديد ، وكانت المجلة ذات أهداف

---

(٤) السياسة والأزهر ص ٣٢٠ .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) مشيخة الأزهر جـ ٢ ص ٦٩ تأليف الأستاذ على عبد العظيم

علمية ففسحت حيزا كبيرا لمقالات التفسير والحديث والفتاوى الدينية والبحوث الفقهية والاجتماعية ، ولكنها أضافت إلى هذه الأبواب ، أبواباً أخرى تتحدث عن المسلمين في شتى بقاع الأرض ، وتعالج بعض المسائل العلمية والمكتشفة حديثاً في العالم الغربي ، ليصل القارىء المسلم إلى ما يجهل من حقائق العالم الحديث ، وبها قسم خاص باللغة الانجليزية يتحدث عن بعض النواحي الإسلامية فقهياً وتشريعاً وأخلاقاً ليلم القارىء الأجنبي بمحصول علمي من مصدر موثوق به ، ثم شرعت المجلة في ترجمة أحاديث البخاري فزادت انتشاراً في بقاع كثيرة ، وكانت المجلة تواجه مشكلات العصر ببحوث تحليلية كاشفة على نحو ما كتب عن التعليم الديني في مدارس الحكومة ، وضلالة فصل الدين عن السياسة ، وسماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين ، والمسلمون في أوربا الغربية والشرقية ، والجاليات الإسلامية في الأطراف النائية ، وكل ذلك في عهدها الأول أيام الأستاذ الظواهري ، وقد تطورت المجلة إلى أرقى وأكمل ومازالت للآن تحمل رسالتها في جد وإخلاص .

وإذا كان الكاتبون من أبناء الأزهر لم ينصفوا الأحمدي ، ولم يكتبوا عنه بما يجب أن يشتهر من فضله ، فإن الأستاذ الدكتور عثمان أمين قد وفاه حقه في مقال نشره بالأهرام بمناسبة ذكراه الخامسة قال فيه : إن مرجع اهتمامه بالشيخ يرجع إلى ما قرأه عنه لأحد المستشرقين في النسخة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية تعريفاً بكتاب له بعنوان « العلم والعلماء » نشره سنة ١٩٠٤ إذ ذكر أن روح الإخلاص والصفاء التي تظهر في هذا الكتاب تعد نادرة حتى بيننا نحن المسيحيين ، ومن العجيب جداً في هذا الكتاب الجمع بين وجهة النظر الإسلامية ، والإحساس بفائدة ما يأتي من المصادر الأخرى ، إذ يرى المؤلف : أن يأخذ المسلمون لا عن أوربا فحسب بل عن الصين واليابان أيضا ، ويرى أن من بين المواد الضرورية دراسة الدعوة إلى الإسلام ، وعقد المؤتمرات السنوية لبناء فكرة الجامعة الإسلامية ، ثم يعيّن وسائل الثقافة التي تتطلبها لجان العلماء ، وإخراج دائرة معارف ، ونشر التعليم الجامعي بين الأفراد .

هذا ما قاله كاتب دائرة المعارف عن كتاب ألفه الشاب الناشىء عند تخرجه ، فأحرقت كثير من نسخه عدواناً وبغياً ، حتى كاد ينساه الدارسون ، لولا أن نجل الشيخ بادر بطبعه تخليداً لذكرى أبيه ، وقد يكون من المناسب أن أختم حديثي عنه بما قاله الأستاذ علي عبد العظيم في خاتمة ترجمته إياه في الجزء الثاني من كتاب مشيخة الأزهر ، حيث قال : « وقد أجمع عارفوه على الإشادة بذكائه ، وقدروا له مكانه ومكانته في تاريخ الإصلاح حيث قرروا أن أكثر ما استحدث في الأزهر من منشآت ، وما تم فيه من إصلاح كان له فيه أثر بارز ، وحسبه أن استطاع أن يدخل في الدراسة علوماً جديدة لم يكن للأزهر بها عهد قبله مثل اللغات الأجنبية ، والاقتصاد السياسي ، والقانون الدولي ، وعلم النفس ، ولو أنه سالم وهادن الثائرين عليه وأخذهم بالحسنى ما وجد الناقدون إليه سبيلا » ولكن كيف ؟

قــراءة إســلامية فى

كتاب الكون

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

قال ـ تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾(1) صدق الله العظيم .

تتجلى روعة القسم الإلهى فى هذه الآيات الكريمة من سورة الشمس فيما يشير إليه من المخلوقات التى أنعم الله بها على الإنسان ، وجعلها ضرورية للأحياء على كوكب الأرض ، ولقد ساهمت أبحاث العلماء على مر العصور فى الكشف عن بعض الحقائق والأسرار المتعلقة بطبيعة هذه المخلوقات . وفى مقدمتها الشمس التى هيأها الله ـ سبحانه وتعالى ـ وسخرها لعباده لكى تكون من أهم مقومات حياتهم بما ترسله من طاقة ودفء وضياء .. فلولا الشمس ما كانت هناك مصادر أخرى للطاقة كالرياح ومصادر المياه والأخشاب والفحم والبترول ومشتقاته ، وبدونها تنتهى مظاهر الحياة على الأرض .

البقع .. أو الكلف الشمسى

ولقد كشف أجيال العلماء عن ظواهر شمسية عديدة ، وكان لعلماء الحضارة الإسلامية دور رائد فى هذا المجال ، من ذلك ما ينسب إلى ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨ م) كأول راصد لظاهرة « كلف الشمس » التى تعرف فى العلم الحديث باسم « البقع الشمسية » Solar Spots ، وهى عبارة عن غازات ملتهبة تندلع من الشمس على هيئة « نافورات » ، وتمتد لمسافات كبيرة فى

(1) سورة الشمس : (1 ـ 4) .

الفضاء مكوّنة أعاصير جبارة يبلغ قطر الواحد منها حوالى (خمسين ألف كيلو متر) . ويرصد الباحثون هذه الاندلاعات التى تحدث على سطح الشمس وفى جوّها بواسطة أجهزة خاصة مزوّدة بمرشحات ضوئية معينة تحجز جميع أطوال الموجات الضوئية المنبعثة من الشمس ، ولا تسمح إلا بمرور مجموعة محددة منها ، وهو ما يعرف بطريقة التصوير الطيفى للشمس . وقد أظهرت هذه الصور وجود مناطق براقة أكثر اتساعاً من المناطق المحيطة بها ، وأمكن التعرف على المناطق المعتمة نسبيا ، والتى تبدو كأنها ثقوب داكنة غير منتظمة التوزيع على سطح الشمس ، وتفسيرها العلمى أنها « بقع » لا يزال فيها سطح الشمس معدّله الطبيعى من فيضان الطاقة خلال فترة معينة ، قد تكون أياما ، أو عدة أسابيع ، ودراسة البقع الشمسية تفيد كثيرا فى قياس تغيرات النشاط الشمسى ، ومعرفة ما لهذه التغيرات من تأثيرات مباشرة على تحولات الطقس والمناخ فى جو الأرض .

الشمس بين كتلتها وحجمها

أما الشمس ذاتها فهى عبارة عن كرة هائلة من الغازات المتقدة يبلغ حجمها قدر حجم الأرض أكثر من مليون مرة ، وكتلتها نحو (٣٣٣٤٠٠) ضعف كتلة الأرض . وقد ثبت علميا أن كتلة الشمس ليست موزعة توزيعا متساويا على حجمها ، حيث تقل كثافة طبقاتها الخارجية كثيرا حتى تبلغ أقل من واحد على المليون من كثافة الماء ، بينما تتزايد الكثافة باتجاه مركزها حتى تصل إلى مائة مرة قدر كثافة الماء ، كذلك أوضحت حسابات العلم الحديث أن درجة حرارة السطح الخارجى للشمس تبلغ حوالى (٦٠٠٠ °م) ، وتتصاعد بسرعة وانتظام إلى أن تبلغ عشرين مليون درجة تقريبا عند المركز ، وتمثل هذه الطاقة الحرارية العالية فى باطن الشمس القدر المطلوب لحدوث التفاعلات النووية اللازمة لإنتاج الطاقة الشمسية .

وتؤكد أجهزة التحليل الطيفى الدقيقة أن كتلة الشمس تحتوى على ٧٠٪ هيدروجين و ٢٨٪ هيليوم و ٢٪ عناصر متبخرة من نوع العناصر الموجودة فى جو الأرض . مما يدل على أن الشمس والأرض وغيرهما من الأجرام السماوية ، قد نشأت جميعها من أصل واحد طبقا لنظرية الانفجار الكبير Big Bang التى قد توافق ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ﴾(٢)

مكونات الإشعاع الشمسى

ويواصل العلم مسيرته بإلقاء المزيد من الضوء على الشمس وظواهرها وخصائصها ، فيبين لنا أن « الإشعاع الشمسى » يتكون من أشعة الضوء المرئى التى تمكننا من رؤية الأشياء وألوانها بالعين المجردة ، بالإضافة إلى أشعة الضوء غير المرئى المتمثلة فى الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء (أو الأشعة الحرارية) . وقد أوضحت القياسات الحديثة أن حوالى ١٩٪ من الإشعاع الكلى القادم من الشمس إلى الأرض يُمتص مباشرة بواسطة مكونات الجو والسحب ، وأن سطح

(٢) سورة الأنبياء : (٣٠) .

الأرض يستقبل حوالى ٤٧٪ من هذا الإشعاع . أما النسبة المتبقية - وهى حوالى ٣٤٪ - فتنعكس أو تتشتت بواسطة الجو والسحب وأسطح البحار واليابسة ، ويسميها العلماء القدرة العاكسة .

عوامل كمية الإشعاع الشمسى

وتعتمد كمية الإشعاع الشمسى التى تصل إلى مكان ما على عدة عوامل : مثل طول النهار ، وغطاء السحب ، والشوائب العالقة فى الجو ، وزاوية ميل أشعة الشمس ، والقدرة العاكسة . ولهذا نجد فروقا واضحة فى مدى درجات الحرارة على سطح الكرة الأرضية .

ومن فضل الله - سبحانه وتعالى - على عباده أن جعل تركيب الغلاف الجوى للأرض بالقدر الذى يسمح فقط بنفاذ الإشعاع الشمسى اللازم لاستمرار الحياة ، حيث ينفذ ضوء الشمس المرئى والأشعة تحت الحمراء وقليل من الأشعة فوق البنفسجية . (**ولولا التوازن المعجز الذى حفظه الله - تعالى - لكميـة الإشعـاع الشمسى وتوزيعها الدقيق لما حدثت دورة الحرارة وما يترتب عليها من ظواهر كونية ، مثل تكوين السحب والرياح والأمطار وغيرها ، بهذه الصورة التى تفى باحتياجات الأحياء ، وتنسجم مع نواميس الله فى الكون**) .

حركة الشمس : انتقالا ودورانا

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن حركة الشمس ، فإن العلم الحديث يوضح لنا أنها تنتقل فى الفضاء الكونى من الغرب إلى الشرق ، وتجرّ معها - بتأثير جاذبيتها - كل أفراد مجموعتها التى تدور حولها ، من كواكب وأقمار ونيازك وغير ذلك ، وقد تمكن الباحثون من حساب سرعة هذه الحركة للشمس ومجموعتها ، وقدّروها بحوالى ١٩ كيلو مترا فى الثانية باتجاه نقطة معينة فى كوكبة « هرقل » أو « الجاثى » المجاورة لنجم « فيجا » المعروف فى اللغة العربية باسم « النسر الواقع » .

ولا تقتصر حركة الشمس على جريانها فى الفضاء الكونى نحو نجم النسر الواقع « فيجا » ولكنها تتحرك أيضا حركة دورانية حول نفسها مرة كل ٢٧ يوما فى المتوسط ، كما أنها تتحرك حركة دائرية ، حيث تجرى ومعها مجموعتها الشمسية بسرعة فائقة تبلغ نحو ٢٢٠ كيلومترا فى الثانية حول مركز مجرة « الطريق اللبنى » أو « درب التبانة » التى تدور هى الأخرى حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون سنة ، وبهذا يكون العلم الحديث قد أوضح حقيقة هى : أن الشمس - شأنها شأن غيرها من الأجرام السماوية - تسبح فى مسار أو فلك خاص بها ، وذلك مصداقا لقوله - تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٣] فكلمة « كل » لفظ عام يشمل جميع الأجرام السماوية ، أى أن كل نجم وكل كوكب وكل قمر وكل مذنب يسبح فى فلكه الخاص الذى قدره الله له ، لا يتحول عنه ولا يحيد إلا بإذنه ، وفى الوقت نفسه ، يتحرك الكل فى وحدة متماسكة مترابطة تجمع بينها فى تناغم واتزان القوى الكونية الناطقة بوحدانية الخالق - سبحانه وتعالى .

فما أجمل العلم عندما يفتح آفاقا رحبة أمام المجتهدين من [illegible] ربين ، ويكون سبيلا إلى الكشف عن آيات الله فى الكون ، والارتقاء عبر حقائقها وأسرارها إلى نور الإيمان [illegible] بالله العظيم وفيضه العميم .

---

(٣) سورة الأنبياء : (٣٣) .

من منظور إسلامي

ماذا قبل الإيدز وبعده

للدكتورة فاطمة عمر نصيف(*)

إيدز AIDS هذه الكلمة المكونة من أربعة أحرف ، هى اختصار لأربع كلمات هى : Acquired Immune Deficiency Syndrom والتى تعنى « الأعراض المتزامنة المكتسبة المدمرة للمناعة »(١) أو بتعريف آخر « متلازمة العوز المناعى المكتسب »(٢) . وأطلق هذه التسمية عام ١٩٨٢ م مركز التحكم فى الأمراض بأتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية .

وتعدى هذا المرض الشاذين إلى الأبرياء والأطفال ؛ بل أخذ ينتشر فى العالم انتشار النار فى الهشيم ، وأصبح بلاء وعذابا لا كاشف له إلا الله .

فما الحل ؟ وكيف المخرج ؟ وما العلاج الناجع لهذا المرض ؟ ! وكيف تتقى المجتمعات شره ؟ وما واجبنا كمسلمين ؟ .

نجد الحل والعلاج فى ديننا الحنيف « الإسلام » ، فى كتاب ربنا ، وتوجيهات نبينا محمد ﷺ فقد قال ـ سبحانه ـ فى محكم التنزيل :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٨٢

ولا عجب فى ذلك ، فهذا هو الدين الذى ارتضاه رب العالمين للبشرية حتى قيام الساعة . قال ـ تعالى ـ :

(*) الكاتبة : أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة .

(١) ترجمة بيدس أميل خليل ، إيدز الوباء الرهيب القاتل أسبابه والوقاية منه ، ص ٧ ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٦ هـ/١٩٨٦م .

(٢) أسامة قنديل ، مقالة « الإيدز هذا القاتل الرهيب » ، مجلة أهلا وسهلا ، ص ٢٠ ، عدد أكتوبر ، ١٩٩٣م .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٣

هو المنهاج الربانى الذى أنزله الله لإسعاد الإنسان وحمايته من الشر والبلاء ، وهو منهج فريد فى حمايته للأبرياء والأطفال والضعفاء .

فهو شرع اللطيف الخبير ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

سورة الملك ـ آية : ١٤

خلق الله الإنسان ، وسخر له ما فى الكون ، واستخلفه فى الأرض ، وكلفه بعمارتها واستودعه العقل ، وزوده بالطاقات والقدرات ، والغرائز وأعطاه فى يده قانونا ونظاما يسير عليه ، ينظم به طاقاته وقدراته .

ومن الغرائز الفطرية التى ركبها فى الإنسان غريزة الجنس ، لحفظ نوعه واستمرار حياته ، ومن مبدأ التوازن والاعتدال ومراعاة مطالب الجسد والروح لم يغفل هذه الغريزة . فهو ينظر للجنس بواقعية ومثالية فى آن واحد ، أعطاه تلك الغريزة وسمح له أن يشبعها بوسطية وفق نظام معين دون كبت مرذول ، أو انطلاق مجنون فشرع له الزواج ورغبه ، ليبنى أسرة سعيدة ، هى أساس المجتمع الفاضل المتكامل .

وأغلظ العقوبة للشاذين لسد كافة الذرائع المؤدية إلى الفاحشة ، لأن من حام حول الحمى ، يوشك أن يقع فيه ، وبذا حرم الزنا ومقدماته ووزجره من تبرج جاهلى ، ومحوه الفه واختلاط عابث وصور عارية وأدب مكشوف ، وغناء فاحش ، وكل ما من شأنه أن يستثير الغريزة الهاجعة ، أو يُغرى بالفاحشة .

وقد رعى الله الإنسان بالدين ـ عبر التاريخ ـ فبعث الرسل والأنبياء ، وأخذ عنهم المصلحين . قال ـ تعالى ـ :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ . **الشورى ـ آية : ١٣**

ومن سار على دين الله أفلح ونجح ، ومن أعرض عنه خاب وخسر ، وذلك من لدن آدم ـ عليه السلام ـ وحتى قيام الساعة قال ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ . **سورة طه ـ آية : ١٢٣**

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ .

سورة طه ـ آية : ١٢٤

وهذه الشرائع والنظم كان خاتمها الدين الإسلامى .

وكان آخر الرسل محمد ﷺ جاء بالشريعة الصالحة لكل زمان ومكان . وفى هذه الشريعة (هذا المنهاج الإلهى) أحل لهم كل ما هو طيب ونافع ، وحرم عليهم كل ما هو ضار وخبيث . وهذا هو منهاج الله فى كل قوانين السماء . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ **سورة الأعراف ـ آية : ١٥٧**

لذا حرك ـ سبحانه ـ الفواحش فقال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٣٣

والفواحش : الأعمال المتجاوزة لحدود الله ، والإثم كل معصية له على وجه الإجمال .

ولم يكلف بتحريم الفواحش والخبائث كالزنا واللواط وما إلى ذلك ، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فلم يسمح لتلك الفواحش والمنكرات بالظهور والانتشار ، بل كلف كل مسلم أن يتصدى لها فيمنع الجريمة والفاحشة بكل ما أوتى من قوة . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »(٣) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ .

سورة يوسف ـ آية : ١٠٨

وقد كلف الله الأمة الإسلامية بهذا العمل على أن يكون المسلمون دعاة لدينه ، حراسا لشرعه حماة لحدوده .

وأولى مقتضيات هذه الوظيفة أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد .

ويرى بعض الكتاب أنها وظيفة شاقة لها تكاليفها ومتاعبها ، ولكنها مهمة ضرورية لإقامة المجتمع الصالح لبنى الإنسان ، حتى لا يعم الفساد ، ولا تضطرب الموازين ، ووضع لنا منهجا ربانيا يكون هو المرجع الصحيح ، يجد فيه الإنسان تصورا ثابتا للخير والشر ، والفضيلة والرذيلة .. وهو منهج وسط فى التصور والاعتقاد .

إذن فالمهمة التى أسندت للأمة الإسلامية مهمة عظيمة ، ووظيفة ضخمة وهى قيادة البشرية وإقامة العدل والقسط وظيفة أشبه أن تكون مراقبة دولية فى هذه الأرض . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤٣

ولما كانت عناية المنهج الربانى بسلامة المجتمع وصلاحه عظيمة فإنه أكد فى كتابه العظيم وعلى لسان رسوله الكريم على وجوب التصدى للمنكر ـ بعد البيان والتبليغ ـ خاصة ونحن نرى ما آلت إليه المجتمعات من واقع سيىء وأمراض خبيثة وعلى رأسها « الإيدز » AIDS الذى كبد العالم خسائر فادحة فى الأرواح والأموال . فمن المعلوم أن أفراد المجتمع الواحد تربطهم وحدة المصلحة ووحدة المصير ، وكذلك الأمة كلها بل الإنسانية عامة ، وقد رأينا أنها أضيرت بالإيدز فليس هناك مصلحة لفرد بمفرده بل إن كل مصلحة هى مصلحة أفراد المجتمع الإنسانى جميعا .

وقد عبر عن ذلك سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بأبلغ لفظ وأوجزه ، فقال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها . فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من

---

(٣) مسلم ، بن الحجاج القشيرى ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ج٢ ، ص٢٢ ـ ٢٥ ، دار إحياء التراث العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م .

الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »[٤] .

فوصف المجتمع بركاب السفينة يركب على ظهرها البر والفاجر ، والمتيقظ والغفلان والحريص على سلامته والمستهتر بسلامته وسلامة الآخرين ، وهذه السفينة تتأثر بكل تصرف خاطىء من أحد راكبيها ، فراكبيها مصلحتهم واحدة .

يعتبر من الثوابت الإسلامية « أسلوب الوقاية » فى التشريع فسبق بذلك الطب الوقائى بألف وأربعمائة عام ، لذا أمر بالقضاء على الفاحشة قبل انتشارها ، وعلى الجريمة قبل ظهورها ، وذلك بمنع الجريمة والتصدى لها ، فإذا أفلت المجرمون وارتكبوا جرائمهم وجب معاقبتهم بالعقوبات الرادعة التى نصت عليها الشريعة كالجلد والرجم للزناة ، والقتل لمرتكب فاحشة الشذوذ « اللواط » فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول »[٥] .

(وقد أجمع الفقهاء على تحريم اللواط واختلفوا فى طريقة القتل ، فقال بعضهم يلقى من شاهق ، وقال بعضهم بالرجم حتى الموت ، وقال بعضهم يقتل بالسيف)[٦] فالعقوبة مناسبة للجريمة ، وذلك لتخليص المجتمع من حامل الميكروب (مصدر الوباء) ، وتخليص المريض من عذاب المرض .

ومن هنا يتبين لنا الحكمة فى تشديد الشارع فى عقوبة الشذوذ ، لأن الفساد إذا انتشر أصبح من الصعوبة حصره والقضاء عليه تماما كالجرائم الوبائية ، فإذا عم وانتشر استحق المجتمع العقاب الإلهى . سألت أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ الرسول ﷺ قائلة : (أنهلك وفينا الصالحون قال : نعم إذا كثر الخبث)[٧] .

المجتمعات الغربية والشواذ :

واليوم قد كثر الخبث وسكتت المجتمعات الدولية الكبرى عليه ، بل وتصالحت مع مرتكبى الفاحشة ورتبت لهم حقوقا وقانونا يحميهم فيعامل اللُّوَاطُ معاملة الأزواج الشرعيين ، وتعطلت الحدود (قانون العقوبات) فاستحق الناس عذاب الله وحاق بهم عقابه ، فنزل هذا العذاب المهلك على شكل الأمراض الوبائية الخبيثة ومنها هذا الإيدز فأصاب الجميع المجرمين والشاذين وغيرهم من الأبرياء والأطفال تحقيقا لوعيد الله ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

سورة الأنفال ـ آية : ٢٥

إن هذه المجتمعات لم تتجنب التعامل مع هؤلاء الشاذين ، بل سمحت لهم أن يعيشوا داخل المجتمعات ويعاملوا معاملة الأسوياء ، ولم تعترف بأن هذه جريمة يُعاقب الله عليها فى قوانين السماء ، فأرسل الله لهم عقابا على شكل هذا المرض ليجعلهم يتجنبون التعامل معهم قهرا واضطرارا .

ومن هنا نخلص إلى أن الإيدز ADIS هو عقاب الله للمجتمع بصفة عامة لتسامحه مع أهل

(٤) العينى ، محمود بن أحمد ، عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ، ج١٣ ، ص ٥٦ ، دار أحياء التراث العربى ، بيروت .
(٥) الشوكانى ، محمد بن على ، نيل الأوطار ، ج٧ ، ص ١٣١ ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الأخيرة ، القاهرة .
(٦) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٣٢ .
(٧) البخارى ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخارى ، ج٨ ، ص٨٨ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

الفاحشة . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن **الله ليعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فإن فعلوا عذب الله العامة والخاصة** » .

ولذلك نجد أن ما حاق بالأبرياء إنما هو إيقاظ لهم من غفلتهم حتى يهبوا ويمنعوا هذا المنكر ويقفوا من أهل هذه الفاحشة موقفا صارما .

إن « الإيدز » الذى يصيب الأطفال ليس عذابا لهم بقدر ما هو عذاب لذويهم حتى يثوبوا إلى رشدهم .

فإن غريزة حب البنين غريزة فطرية والحرمان منها يؤثر فى نفسية الناس لتكون العقوبة من جنس العمل ، وهى عقوبة تتناسب مع الجريمة البشعة قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

سورة الأنعام ـ آية : ٤٠

ليقطع الله دابر الشر والشذوذ .

إن جريمة اللواط أمر تعافه الفطرة السليمة ، وتعاقب عليه القوانين السماوية بعقوبات أبلغ من الأمراض الجنسية كما حصل لقوم لوط .

فقد عذب الله قوم لوط من قبل على « جريمة الشذوذ » وعاقبهم عقوبة شديدة بل جمع لهم ثلاث عقوبات ، لبشاعة الجريمة ، وحتى لا يغفل الناس عن قصتهم التى ذكرها الله فى تسع مواضع من القرآن الكريم لتكون عبرة للناس ، وعظة ، وتبصرة وذكرى لأولى الألباب .

لقد كان قوم لوط من أفجر الناس وأكفرهم ابتدعوا جريمة اللواط ، وهى من أقبح وأشنع الجرائم كما قال ـ تعالى ـ يذكر لنا من خطاب لوط إياهم :

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾

سورة الشعراء ـ آية : ١٦٥ ، ١٦٦

وهذا شىء لم تكن بنو آدم تعهده ولا تألفه . قال الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموى : (لولا أن الله ـ عز وجل ـ قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا) قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾

سورة الأعراف ـ آية : ٨١

فأجابوه إجابة منكرة شاذة تعكس خبث طويتهم التى ترى الطهارة جريمة عقوبتها النفى ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٨٢

واستمرءوا جريمتهم واستشرى شذوذهم حتى أصبحوا يمارسونه علانية فى أنديتهم قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ .

سورة العنكبوت ـ آية : ٢٩

نفس الحال تماما فى العالم الغربى وراحت دعوة لوط لإصلاحهم أدراج الرياح وطالبوه مستهزئين بعذاب الله قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

سورة العنكبوت آية : ٢٩

فعاقبهم الله بما هم أهله وأرسل لهم ملائكة فى هيئة بشر بوجوه نضرة على حسن وجمال نزلوا على لوط ـ عليه السلام ـ ضيوفا فرحب بهم ، لكنه اغتم خوفا عليهم من أولئك المجرمين لكن الملائكة طمأنوا لوطا وأخبروه بحقيقتهم ومهمتهم التى جاءوا من أجلها ، وهى إهلاك قومه ، وأمروه أن يخرج من أرض قومه مع أهله ليلا قبل طلوع الفجر دون أن يلتفت خلفه ، فإنه لن يلتفت من أهله أحد خلفه إلا هلك . قال ـ تعالى ـ حين ينزل العذاب .

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ .

سورة هود

فاطمأن لوط ـ عليه السلام ـ فلما هجم القوم على بيت لوط ليأخذوا ضيوفه ضرب جبريل ـ عليه السلام ـ وجوههم بطرف جناحه فطمس أعينهم فرجعوا إلى بيوتهم يتخبطون فى الطريق . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ .

سورة القمر ـ آية : ٣٧

وهكذا صبحهم بالعذاب الشديد . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ .

سورة القمر ـ آية : ٣٨

فجمع لهم ثلاث عقوبات :

١ ـ أرسل عليهم الصيحة من السماء .

٢ ـ أمر جبريل أن يرفع قراهم إلى علياء السماء ثم يقلبها فجعل عاليها سافلها .

٣ ـ أتبعهم بالحجارة . قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

سورة الحجر

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

سورة هود

وبادوا بإثمهم .

وفى هذا العصر يبدو واضحا أن العقوبة الإلهية العامة لمرتكبى جريمة اللواط هى « الإيدز » هذا الوباء القاتل الرهيب الذى يصيب الشواذ فلا يتركهم دون أن يعذبهم عذابا شديدا حتى يستأصلهم بالموت .

ضلت البشرية ، وجهلت دين ربها وعاشت بلا دين ، بلا منهاج أو قانون سماوى يحفظ لها حياتها وأمنها واستقرارها وطمأنينتها .

ووجد الشيطان الفرصة المناسبة فأغراهم وأغواهم ، وزين لهم الحرام فوقعوا فى مهاوى الرذيلة وسقطوا فى أوحال الفاحشة ، وقد سجلت اعترافات بعضهم [٨] . بأن الشيطان كان يهواء جرائمهم .



(٨) أنظر كتاب : إيدز الوباء الرهيب القاتل ، تحت عنوان : « اعترافات خليع » عليك اللعنة يا إبليس ، ص ٢٣٥ ـ ٢٤١ .

الصحة الإنجابية

الصيام والحامل



للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

إن الله العلى الخالق يعلم ـ وهو الذى خلق ـ تكوين المرأة ، وما يعترى هذا التكوين عند الحمل ، فأتاح لها الصيام داخل إطارين محكمين :

(أ) ألا تخشى على نفسها ؛ فيتسبب الحمل فى ضرر يلحقها .

(ب) أو تخشى على جنينها ، حتى لو صار طفلاً وولج مرحلة الرضاع .

فإذا كان ثمّ ضرر فى هذين الحالين كان لها أن تفطر ، ويلحق بالفطر حكم الإطعام كما قرره الفقهاء .

ونحن نعرض ـ هنا ـ لمدى تأثير الصيام على الحامل :

الصيام والحمل والرضاعة :

من المعلوم أن الحمل يستمر حوالى ٢٨٨ يوماً أو عشرة أشهر قمرية ، وأنه يُقسم إلى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : تبدأ من الشهر الأول إلى الشهر الثالث .

المرحلة الثانية : من الشهر الثالث إلى بداية الشهر السابع .

المرحلة الثالثة : من بداية الشهر السابع حتى الولادة .

كذلك من المعروف أن شهر رمضان قد يأتى فى أحد الفصول الأربعة : الصيف ، الخريف ، الشتاء ، الربيع ، ولذلك ؛ فإن تأثير الصيام على الحمل لا يمكن أن يكون ثابتاً فى كل الأحوال ولا فى كل الأوقات ، بالإضافة إلى أن هناك بعض الحالات المرضية التى قد تكون مصاحبة للحمل مثل : الأنيميا الحادة ، والسكر فى الدم ، ولقد كان المشرع رحيماً حين أباح الفطر إذا خافت المرأة الحامل الضرر على نفسها أو على جنينها أثناء الحمل .

والخوف في حالات الصوم للمرأة الحامل يأتي من احتمال أن تصاب بانخفاض مستوى السكر.

فكيف تعرف المرأة الحامل أو المرضع أن مستوى السكر يتأثر بالصيام ؟

وللإجابة عن ذلك نقول : إن أعراض انخفاض السكر في الدم هي :

١ ـ الصداع .

٢ ـ زيغان في العين .«١»

٣ ـ الهبوط والإجهاد العام .

٤ ـ عدم التركيز .

٥ ـ الإحساس بالإغماء .

٦ ـ العرق البارد .

وقد تم سؤال فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق ـ رحمه الله ـ عن حال الحامل والمرضع بالنسبة للصوم . فأجاب :

تجرى أقوال العلماء في صوم الحامل والمرضع ـ كما حكى ابن المنذر ـ في أربعة مذاهب :

أحدها : قول ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ـ رضى الله عنهم ـ أنهما تفطران وتطعمان ، ولا قضاء عليهما .

وثانيها : قول عطاء بن رباح والحسن والضحاك والنخعي والزهرى وربيعة والأوزاعي وأبي حنيفة والثورى وأبي عبيد وأبي ثور وأصحاب الرأى : تفطران وتقضيان .

والثالث : قول الشافعي وأحمد : تفطران وتقضيان وتفديان ، وروى هذا عن مجاهد .

والرابع : قول مالك : الحامل تفطر وتقضى ولا فدية ، والمرضع تفطر وتقضى وتفدى .

وحجة الشافعي وأحمد : أن المرضع والحامل داخلتان في منطوق قول الله ـ سبحانه ـ في آية الصوم ـ في سورة البقرة : « وعلى الذين يطيقونه فدية » البقرة : ١٨٤ .

لأنها تشمل الشيخ الكبير والمرأة المسنة ، وكل من يجهده الصوم ، ومن ثم كان عليهما الفدية كالشيخ الكبير .

وحجة أبي حنيفة ومن معه : أن الحامل والمرضع في حكم المريض ، سواء خافتا على أنفسهما ، أو على ولديهما ، وقد سئل الحسن البصرى عن الحامل والمرضع ـ إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما ؟ فقال : أى مرض أشد من الحمل ، تفطر وتقضى ، ولأن الشيخ الهرم لا يمكن إيجاب القضاء عليه ؛ لأنه إنما سقط عنه الصوم إلى الفدية لشيخوخته وزمانته ، فلن يأتي عليه يوم يستطيع فيه الصيام .

أما الحامل والمرضع فإنهما من أصحاب الأعذار الطارئة المنتظرة الزوال ، فالقضاء واجب عليهما ، فلو أوجبنا عليهما الفدية أيضاً كان هذا جمعاً بين البدلين ، وهو غير جائز ؛ لأن الواجب أحدهما .

وأميل إلى الفتوى بأن الحامل والمرضع تفطران وتقضيان ، ولا فدية كالمريض ، وذلك إذا خافتا

---

(١) المقصود بـ « الزيغان » ميل البصر عن مستوى النظر حيرة وشخوصا ، ويعنى ذلك فقدان القدرة على تركيز البصر وفي لسان عامة مصر : الزغللة .



الهلاك من الصوم على نفسيهما ، أو على ولديهما كالمريض .

والمشكلة الأخرى التى تواجه المرأة الحامل أثناء الصوم أنه عند الإفطار يرتفع مستوى السكر ارتفاعاً كبيراً ، وبالتالى فإن الانخفاض الشديد الذى يعقبه ارتفاع شديد فى مستوى السكر فى الدم يؤثر فى المرأة والجنين ، ولذلك ننصح الحامل التى تصوم بعمل ما يأتى :

١ ـ تأخير وجبة السحور إلى قرب طلوع الفجر ؛ فإذا كان وقت الفجر فى الخامسة والربع ـ صباحاً ، مثلا ـ فإنها تستطيع تناول وجبة السحور فى نحو الرابعة والنصف أو الرابعة وأربعين دقيقة ، وتعجل بالإفطار عند حلوله ، ولقد دعت سنة رسول الله ﷺ إلى ذلك ، فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام : « لاتزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » رواه أحمد ١٤٧/٥ .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « قال الله ـ عز وجل : أَحَبُّ عبادى إلىَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً » رواه الترمذى ٧٤/٣ .

٢ ـ عدم التهام كمية كبيرة من الطعام عند الإفطار ، ويفضل أن توزع وجبة الإفطار على وجبتين : الأولى وتكون خفيفة عند الإفطار ، وتليها الثانية بعد حوالى ثلاث أو أربع ساعات وتكون متوسطة .

٣ ـ تناول الألبان ومنتجاتها بكثرة .

٤ ـ الراحة التامة طوال فترة الصيام .

٥ ـ عدم الإكثار من الدهون والسكريات .

٦ ـ تناول الفاكهة بكثرة .

٧ ـ تناول كميات كافية من الماء .

كما ننصح المرأة المرضع التى تصوم بالآتى :

١ ـ الإكثار من السوائل والفواكه ومنتجات الألبان .

٢ ـ الاهتمام بالبروتينات مثل اللحوم والأسماك .

٣ ـ توفير سوائل للطفل ورضعات بديلة حيث إن كمية اللبن لاتكفى .

٤ ـ تناول « فيتامينات » مع الأكل .

وفى كلتا الحالتين يجب على المرأة الحامل أو المرضع أن تنهى الصيام عند إحساسها بأعراض انخفاض السكر المتقدمة حتى لاتتعرض إلى مضاعفات .



عرض وتقديم الأستاذ

عبد السلام ابراهيم ناصف

صدر أخيراً كتاب الطفولة والمراهقة للأستاذ الدكتور/ محمد يوسف خليل مستشار الطب النفسي بوزارة الصحة بجمهورية مصر العربية ، والمؤلف أحد المتخصصين في فرع الصحة النفسية متدرج في مناحيها حتى تبوأ درجة مدير أكبر مؤسسة علاجية في هذا الميدان في الشرق الأوسط وهي مؤسسة العباسية الجامعة الشاملة المتخصصة في علاج الحالات النفسية والعصبية ولم يكتف سيادته بدرجة الدكتوراه ، فسعى مخلصاً للاستزادة من الأنظمة العلاجية التخصصية ، ودأب على دراسة المخ مستخدماً رسام المخ الكهربائي ليتعمق في فهم خباياه وعلله واضطراباته، لإمكان علاجها أو الحد من استفحالها وتضخمها ـ ويعد أستاذاً لهذه المادة الحيوية التي لا تحتاج إلى طبيب متخصص فحسب بل تحتاج إلى فريق طبي اجتماعي نفسي متكامل نظراً لحساسية مريضه وحساسية أهله ومن حوله ورغبة جميعهم ألا تتأكد الإصابة بهذا النوع من المرض فقد يتقبل كل الناس المرض بكل أشكاله ومسمياته إلا المرض النفسي أو العقلي ، حتى وإن تم البرء منه أو تجاوز مراحل خطورته ... وهو طبيب يجيد الحديث ، استعانت به مكاتب الخدمة الاجتماعية بالأزهر لتبصير

طلاب معاهده بالطب النفسي وناقشهم سيادته في كل ميادينه وأجاب عن استفساراتهم في كل مشاكله بخاصة ما يتعلق منها بمشاكل الاستذكار والتذكر والنسيان والتركيز والاستيعاب وما يقابلها من مشكلات « السرحان » وأحلام اليقظة وما إلى ذلك من مشكلات المراهقة بكل أبعادها .

والكتاب الذى بين أيدينا صدر ضمن سلسلة طبية نفسية اختار لها مؤلفها وناشرها عنوان (الطب النفسي بين الدين وعلماء النفس) ... وهو يهتم بمراحل نمو الفرد التي يعتبرها مراحل أطوار الخلق كما جاء بها القرآن الكريم فقد أخذها علماء النفس بظواهرها الطبيعية الواضحة وألبسوها من ثياب علمهم المعاصر ما يوضح طبيعة كل مرحلة بما في ذلك النمو النفسي والاجتماعي والبدني والروحي .

والمعالجة النفسية السليمة يجب أن يتولاها فريق متكامل يجمع ما بين الطبيب النفسي وعالم النفس والأخصائي الاجتماعي والمرشد الديني الذى أضيف إلى الفريق أخيراً . على أن تسند عملية التشخيص للطبيب ، باعتباره متخصصاً يمكنه الوصول إلى أسباب الأعراض المرضية التي يعرفها في المريض – وبعد هذه المقدمة البسيطة نمضي إلى الكتاب .

يرى علماء النفس والمتخصصون في علوم الصحة النفسية : إن صحة الإنسان لها مفهوم وتكامل لا يفصل بين الجسم وبين النفس وبين المجتمع .. فلكل منها أثره ووزنه وقيمته في سلامة الفرد وتكامل صحته النفسية .. ويهدف إلى تحقيق الصحة بمفهومها المتكامل : صحة في الجسم والنفس والمجتمع :

فالصحة الجسمية هي التوافق بين سلامة أعضاء الجسم واكتمالها وخلوها من العاهات والأمراض والعلل وأن يكون بينها نوع من الترابط الوظيفي والتناسق مع الإحساس بالصحة والنشاط .

والصحة النفسية هي سلامة النفس وخلوها من الصراعات والتوترات والشعور بالاطمئنان والاستقرار والرضا والقناعة .

والصحة الاجتماعية هي التكيف والتوافق مع « أعراف » تقاليد المجتمع وعاداته وتطبيع سلوكه مع أنماطه السلوكية والبعد عما يشوه هذا التناسق الاجتماعي ، فمريض الجسم يعجز عن العطاء ومريض النفس يعجز عن الأداء .

ولقد أضافت الصحة العالمية في مؤتمر الصحة النفسية للمجميع ، الذى عقد في نهاية العقد الثامن من هذا القرن مفهوماً جديداً يعرف بـ « الصحة الروحية » وطالب أعضاء المؤتمر بضرورة غرس القيم الروحية في نفوس الشباب وإضافة مفهوم الروح إلى قاموس علم النفس المعاصر لتصبح الصحة الروحية بما فيها من القيم الأخلاقية ومثاليات السلوك هي الجزء الرابع المتمم لمفهوم الصحة العامة التي تشمل صحة البدن والنفس والروح والمجتمع .

دعائم الصحة النفسية

تعتمد الصحة النفسية على دعامتين هما : الاطمئنان والمحبة .

فالاطمئنان هو الشعور بالهدوء وانشراح الصدر وسعادة الوجدان .

أما المحبة فهي نظرة الود والتراحم والتعاطف في إخلاص وإيثار وتضحية .

ورسالة الصحة النفسية هي تنظيم عمليتي المحبة والعطاء بلا غلو ولا تفريط ، حتى لا تحيد أي منهما عن مسيرتها طوال رحلة العمر .

فالرضاعة هي أول رحيق للمحبة يتذوقها الطفل ، وهي في ذات الوقت أول وجبات الاطمئنان ، ومن ثم وجب الاهتمام بصحة الأم بدنياً ونفسياً لترضع وليدها المحبة والاطمئنان ؛ وتهتم الصحة النفسية بنصيحتها بالابتعاد عن التوتر والانفعالات والتدخين وتناول العقاقير المهدئة التي قد تلوث لبن الرضيع ، وهو اطهر وجبة غذاء معقمة سخرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بقدرته في صدور الأمهات لتكون أنقى غذاء للطفل تشبعه وترويه .

وتوصي الصحة النفسية بالحرص على الطفل إبان فترة الرضاعة ، وأقصاها عامان ـ مصداقاً لقوله ـ تعالى : « وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ » (سورة البقرة الآية ٢٣٣) فالرضاعة السليمة تثبت الاطمئنان في نفس الوليد وتزرع فيه المحبة والمودة والدفء العاطفي عندما تضمه أمه إلى صدرها في حنان يشعر به الطفل تماما .

ويستطرد أستاذنا الجليل في مناشدة الأم أن تتفرغ لوليدها منذ أن تحس بحمله حتى ولادته بل حتى تتم حضانته ـ وإن طالت ـ فتلكم هي الخطوة الأولى في تنظيم الأسرة صحياً ونفسياً .

ولقد وضع ـ المؤلف ـ برنامجا لتغذية الطفل مع رضاعته الطبيعية بحيث يتم التناسق ـ تدريجيا ـ بين غذائه وبين رضاعته كما ونوعا بحيث لا يصدم بعملية الفطام المفاجيء الذي تلجأ إليها أغلب الأمهات . والذي قد يُشعر الرضيع أن حقا سلب منه ، ومحبة وطمأنينة ابتعدت عنه ، وقد يعتل ويمرض وقد ينهدم صرح المحبة والطمأنينة في نفسه .

وتحت عنوان جانبي عن : « مدى تأثير فراق الأمهات لأطفالهن » يحدثنا المؤلف عن هذا الفراق بأنه حرمان من المحبة ، ومن الاطمئنان ، وفي الفراق عملية هدم نفسي تعصف بالاطمئنان وتقوض أركانه إذ لا يحتمل الطفل فراق أمه ولا علينا إذا كان هذا الفراق اضطراريا لأي سبب خارج عن الإرادة البشرية أما ما يعنينا فهو ذلك الفراق الحضاري أو الفراق العصري الذي ترحل فيه الأمهات للعمل بغية تحسين المستوى وتوفير احتياجات الأبناء ماديا دون الاهتمام بتوفير احتياجاتهم النفسية والمعنوية . ويمكن ملاحظة عدم رضى الطفل بما ترشيه به أمه من هدايا وأموال . فلسان حاله يقول لها بمنطق الفطرة (إن كل ما تقدمينه لا يعوض أبداً بعادك عني وفراقك لي ، إذ هي بالنسبة له الحياة كلها) . فالفرد الراشد قد تعوضه المادة عن العاطفة ، لكن الصغير لا يحتمل ولا يرضى باستبدالها والاستعاضة عنها .

ولذا فقد ينمو الطفل بطريقة عشوائية بلا قيود أو تصحبه صرامة عقلانية ممن يرعونه فيقضي طفولة مهلهلة تؤدي إلى صراع وضياع وانحراف وإدمان وشذوذ وقد يصاب بـ (العُصَابْ)

الذى يغذيه أعلامنا بمسرحياته « الكوميدية » كمدرسة المشاغبين أو الحلقات المسلسلة المغربية كالجرىء، والجميلة وغيرها مما يقود فلذات أكبادنا إلى بحر الرذيلة الذى ألقيناهم فيه بأيدينا .

فلا يجب أن يحرم الطفل من رعاية أمه واهتمام والده فى طفولته حتى يحظى بنصيب من الصحة النفسية ، وليكن معلوماً أن الحضانة ـ مهما ارتفع مستواها ومستوى العاملين بها ـ لن تعوض الطفل حنان أمه فى طفولته المبكرة .

كما لا يجب أن يخاف الوالدان على وليدهما بصورة غير طبيعية ولا أن يسرفا فى المحافظة عليه ومنعه من الاختلاط بأقرانه حتى يشب معتمداً على نفسه بعيداً عن التردد وعدم الثقة فى نفسه أو أن ينشأ منطويا خجولا ضيق الأفق قليل الحيلة .

فمعظم العيوب الشخصية يزرعها فى الطفل خوف الآباء وحنو الأمهات الزائد أو اطلاق أيديهم والبعد عنه واعطائه حرية أكثر دون رقيب ولا محاسبة ، فإن القاعدة السليمة تدعو إلى عدم الإفراط وعدم التفريط .

إن الفهم المتعقل لما يجب اتباعه فى تربية الطفل هو خير وقاية وحماية له ، ففى المجتمع الخير والشر والصالح والطالح ، وهذا ما يجب أن يفهمه الأبناء ، ولذا وجب الحفاظ على كيان الطفل ، واحترام شخصيته ـ دون إفراط أو تفريط لينشأ تنشئة سوية وينمو نموا صالحاً ، فإن الوقاية خير من العلاج .

واحترام شخصية الطفل من المبادىء التى يتواصى بها علماء النفس ، فى كل مراحل نموه ليتعداها من مرحلة إلى مرحلة فى محبة وفى اطمئنان ـ فالوصاية على الطفل واجبة لكنها يجب أن تمارس بروية وحكمة ومرونة دون أن يشعر بها الطفل وحتى لا يحس بأن الأبوة ليست إلا مواعظ وأوامر ونواهى لا أكثر وإنما وجب التفاهم معه بصدق وإخلاص فى إطار من الاقناع والحب والمودة واحتواء الطفل ليحظى بسلوكيات يحتضنه فى رضا واقتناع حتى لا يتسرب التذمر إلى داخله فينقلب إلى تمرد أو عصيان وذلك بإشعار الطفل بكيانه طوال مراحل نموه وبأن له شخصيته وفكره .

وتظل رسالة الآباء ممتدة فى التوجيه الهادف والإرشاد الصحيح السوى إذ لابد أن يعلم الآباء والأمهات أن أبناءهم يحتاجون إلى دراسة وفهم ولكل طفل مدخله وما يصلح له وفق مكوناته الشخصية ووفق مزاجه وإمكانيات أسرته ـ مع ملاحظة الفروق الفردية بين كل طفل وآخر حتى فى نفس الأسرة والواحدة .

إلا أن القاعدة الأساسية أن يتمتع الطفل بشخصيته المستقلة وألا تفرض عليه الحراسة وإنما يعطى الطفل حريته فى حدود مداركه تحت عيون يقظة ترقبه وتتابع سلوكه وتصرفاته وعلاقاته بالآخرين . فمودة الطفل تكتسب بالمحبة له والرقة فى معاملته والرفق ، والصبر على مشاكساته وبالكلمة الطيبة وبمشاعر الإخلاص فى داخل نفسه ويكون ذلك كله قائما على المحبة والمودة والرحمة الحقيقية لاكتساب مودتهم .ح

وبعد ..

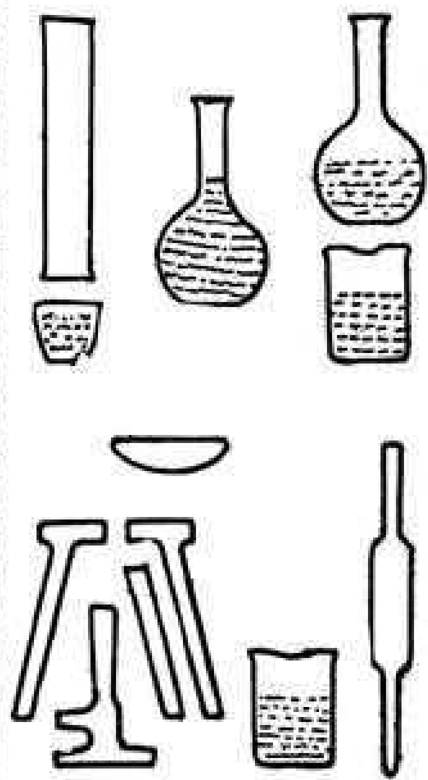
فإن الكتاب ـ رغم صغر حجمه وقلة صفحاته ـ يحوى معلومات نفسية يجدر بأبنائنا الطلاب فى جميع مراحل دراستهم أن يهتموا بها .

نسأل الله التوفيق .

«ويخلق ما لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد (*)



قمر صناعي جديد فائق القوة

تقوم إحدى شركات الفضاء العالمية ببناء قمر صناعي جديد فائق القوة، ومن المقرر إطلاقه أواخر عام ١٩٩٧، والقمر يخدم شبكات توزيع البرامج التليفزيونية ونشاط رجال الأعمال في آسيا ونصف الكرة الشمالي واستراليا والشرق الأوسط، وهو مزود بأجهزة استقبال وإرسال نشطة تعمل في نطاق ترددات لاسلكية مختلفة، وقوة حمولته تزيد على ٧ كيلووات، والقمر يعمل «بأرزنيد الجاليوم» بدلا من الخلايا الشمسية المصنوعة من السليكون، كما يمكن تجهيزه ببطاريات حديثة.

شاشة متطورة للحاسب الآلي

قامت شركة ألمانية بتطوير مادة بلورية معدنية كهربائية سائلة لصناعة الشاشات للحاسبات الآلية مسطحة جدا ورقيقة وخالية من الاشعاعات، وذات قدرة عالية على التفكيك النقطي للصور وبمختلف القياسات، كما تتميز الشاشة الجديدة بصغر حجمها.

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث - الدقي

أنابيب لنقل أشعة الشمس للمنزل

أنتجت إحدى الشركات الأوربية أنبوبة من الألومنيوم لا يزيد قطرها على ١٣ بوصة يُمْكِنُها نقل أشعة الشمس من خارج المنزل إلى داخله وتوزيعه على جميع الحجرات حتى مع عدم وجود نوافذ بالمنزل ، وتعمل الأنبوبة بواسطة مواد عاكسة موجودة بداخلها تمتص أشعة الشمس ثم تعكسها داخل المكان المراد إضاءته ويوجد مع الأنبوبة غطاء يعمل « كفلتر » لأشعة الشمس للتحكم فى شدة الضوء حسب رغبة أصحاب المنازل .

الجزر لمقاومة مرض السرطان

ذكرت دراسة علمية بريطانية أن تناول « الجزر » يوميا يساعد الجسم على عدم الاصابة بمرض السرطان ، وأوضحت الدراسة أن الجزر يقوى ويدعم جهاز المناعة فى الإنسان ، وقد تم إجراء التجارب على متطوعين بإضافة كمية من مادة « الكاروتين » الموجودة فى الجزر والتى تعادل تناول الإنسان ثلاث جزرات يوميا إلى نظامهم الغذائى ، فتبين فى نهاية التجربة التى استمرت شهرا ، أن هناك تزايدا فى معدلات أنواع معينة من العناصر الكيميائية التى تساعد نظام المناعة فى الجسم على تدمير الخلايا السرطانية ، وأوصى الفريق البحثى بتناول الإنسان بشكل يومى بعض درنات الجزر حيث تحتوى على نسبة عالية من مادة « الكاروتين » والتى توجد أيضا فى بعض أنواع الخضراوات والفاكهة مثل المشمش .

اكتشاف أكبر وأقدم حجر نيزك سقط على سطح الأرض

اكتشف بعض علماء الجيولوجيا الصينيين أكبر وأقدم (حجر نيزك) سقط على سطح الأرض دون أن يتبدد تبدداً كاملا منذ ١,٩ مليون سنة مكونا تلا فى شمال شرق الصين ، ويبلغ طوله من ١٦٠ إلى ١٩٠ متراً وعرضه من ٥٠ إلى ١٠٠ متر ويغطيه الجرانيت ، كما وجد العلماء حول طبقة الجرانيت مادة شبيهة بالزجاج يعتقد أنها تكونت بفعل الحرارة والضغط العاليين عندما ضرب النيزك الأرض ، ويعتقد العلماء أن دراسة هذا الحجر قد توصلهم إلى معلومات ثمينة حول أسرار الكون .

نظام جديد لاستغلال طاقة الرياح

نجح فريق من خبراء هندسة الطيران بأحد المعاهد الأمريكية فى بناء وتطوير نظام جديد لاستغلال طاقة الرياح بصورة اقتصادية وفعالة والاختبارات التى أجريت على التصميم الجديد أوضحت أنه يمكنه أن يزيد من سرعة الرياح وكفاءتها بمقدار ٥٠٪ أو أكثر ، حيث إن الوحدات المكونة لهذا النظام تحتوى على أسطح منحنية تعمل بمثابة أنفاق توجه الرياح نحو التوربينات ، ويمكن تطويرها وبناؤها على هيئة أبراج مرتفعة وبأقطار كبيرة تسمح بتوليد كميات كبيرة من الطاقة تصل إلى (عدة آلاف كيلووات) من الكهرباء .

أكياس ، بلاستيك ، تتلاشى ذاتيا

أنتجت شركة بريطانية أكياسا من البلاستيك الخفيف تتلاشى ذاتيا ولا تحتاج إلى حرقها فلا تسبب تلوثا للبيئة ، حيث تبدأ فى التآكل والتلاشى عند تعرضها لبعض الميكروبات الهوائية ، والأكياس تستخدم فى حفظ اللحوم والمأكولات ومختلف المنتجات ولا تتمزق بسهولة .

جهاز لقياس نسبة الأكسجين فى الدم

أنتجت إحدى الشركات اليابانية للمستحضرات الطبية جهازاً لتعيين نسبة الأكسجين فى الدم للمرضى الذين يعانون من متاعب فى التنفس ، ويعمل الجهاز بمجرد وضع الشخص إصبع السبابة عليه فيتم قياس نسبة الأكسجين بالدم بواسطة الأشعة تحت الحمراء .

الزيوت النباتية وقود لسيارات المستقبل

نجح مركز فرنسى للأبحاث الزراعية فى تصنيع محرك يعمل بوقود نباتى مركب من زيت نبات عباد الشمس والقطن والنخيل وجوز الهند والفول السودانى .

أكدت الأبحاث أن الوقود النباتى يتميز بسهولة احتراقه فى المحركات التى تصل قوتها إلى (١٥٠٠) حصان ، وأنه يعمل على خفض نسبة غاز (ثانى أكسيد الكربون) بالغلاف الجوى ويحافظ على البيئة ، وقد تم استخدامه فى سيارة متطورة لتعمل بالوقود الجديد الذى أثبت فاعلية ونجحت السيارة فى قطع مسافة ١٠٠ ألف كيلو متر به .

البروتين لعلاج الفشل الكلوى

أعلن فريق من العلماء الأمريكيين أنهم تمكنوا من علاج حالات التليف الشديد للكلى فى حيوانات التجارب بحقنها بنوع من البروتينات يسمى « استوجينك ١ » ، وأدى استعماله إلى شفاء الفئران من تليف الكلى سواء التى أصيبت فجأة نتيجة لفشل كلوى حاد ، أو تدريجيا نتيجة لمرض مزمن .

ومن المعروف أن معظم التليف فى حالات الفشل الكلوى الحاد الناتج عن الاصابات يأتى عندما يتدفق الدم مرة أخرى للكليتين حيث يبدأ نوع من خلايا الدم البيضاء تسمى الخلايا الملتهمة فى مهاجمة الأنابيب الدقيقة بالكلى وتدمر أنسجتها ، ونظرا لعدم معرفة سبب اتباع هذه الخلايا لهذا المسلك يرى العلماء أن استخدام البروتين الجديد يتدخل ليشل قدرة الخلايا الملتهمة فى الالتصاق بالأنابيب الدقيقة ويمنع تدميرها ، أو أنه يقوم بتنشيط خلايا معينة فى نخاع العظام مما يجعلها تتوصل إلى أنواع مختلفة من الخلايا تعوض الأضرار التالفة فى النسيج المصاب بالكلى .

إدارة التراث الإسلامي

صلى الله عليه وسلم

(كتاب فى مقال)

الشمائل المحمدية
الخصائل المصطفوية

الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي البوغي الترمذي

(٢٠٩ هـ - ٩٢٤ م)

الفتوحات الربانية لشرح الشمائل المحمدية

تحقيق وتقديم : طه عبد الرءوف سعد

الاخراج الفنى :
وتصميم الغلاف : هاموى

عرض وتعليق الدكتور محمد عبد الحكيم محمد

هذا كتاب نادر لإمام حافظ مُحدِّث صدر عام ١٩٨٨م فى ٣٧٥ صفحة من القطع الكبير . ويكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة لعدة أسباب :

الأول : ارتباطه الوثيق بذات وصفات سيدنا محمد ﷺ الأسوة الحسنة والرحمة المهداه الذى بعثه الله - تعالى - ليتمم مكارم الأخلاق ، فالقارئ يجد نفسه - من خلال مادة هذا الكتاب - فى معيته ﷺ بشمائله وخصائصه المصطفاة .

الثانى : مؤلفه الإمام الترمذى ، أحد الأئمة أصحاب الصحاح الستة[1] الذين نبغوا فى علم الحديث ، وأحد الأوائل الذين انتقوا أحاديث الشمائل وجعلوها كتباً مستقلة عن كتب الأحاديث الجامعة .

(١) والترمذى أحد الأئمة الستة ، الذين نبغوا فى علم الحديث وهناك بيان عن تواريخ مولد كل منهم ووفاته ، لتظهر المقاربة بينهم واضحة

الثالث : حققه الشيخ طه عبدالرءوف سعد ، بما عرف عنه من مقدرة فى إظهار جانب من التراث الإسلامى وتعقبه بالشرح والتحقيق ، كما فعل بكتاب « إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام » لتقى الدين أبو محمد عبد الغنى المقدسى الحنبلى ، وكتاب « بلوغ المرام من أحاديث الأحكام » و « فتح البارى فى صحيح البخارى » للحافظ بن حجر العسقلانى ، وكتاب « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » ، وكتاب « شمائل الرسول ﷺ لابن كثير » وغير ذلك من الدرر اليتيمة والجواهر الثمينة .

مؤلفو الشمائل وشراحها :

صنّف العلماء ـ رضى الله عنهم ـ فى الشمائل المحمدية ـ على صاحبها أفضل السلام وأذكى التحية ـ العديد من المصنفات وجعلوها كتباً مستقلة ، منهم من تقدم على الإمام الترمذى ومنهم من تأخر عنه ، كالإمام أبى الفداء اسماعيل بن كثير ، وأبى العباس جعفر ابن محمد المستغفرى المتوفى ٤٣٢ هـ ، وأبى الحسن على بن محمد إبراهيم الفزارى (ابن المقرى) المتوفى ٥٥٢ هـ ، وابن الموقع السيد محمود الدمشقى ، والتبريزى نزيل المدينة المنورة المتوفى ٨٥٥هـ ، وابن حجر العسقلانى وحاشية عليه للشبراملسى المتوفى ١٠٨٧ هـ ، وغيرهم .

غير أن الشمائل المحمدية للترمذى قد لاقت اهتماما كبيراً من العلماء والشرّاح فتناولها كثير بالشرح والتعليق ، من هذه المؤلفات :

ـ شرح شمائل الترمذى : لمصلح الدين محمد بن صلاح بن جلال (اللارى) المتوفى ٩٧٩ هـ .

ـ زهر الخمايل على الشمايل : للسيوطى .

ـ جمع الوسائل فى شرح الشمائل : لنور الدين على بن سلطان محمد القارى الحنفى المتوفى ١٠١٦ هـ .

ـ تهذيب الشمائل : محمد بن عمر بن حمزة الأنطاكى .

ـ كذلك شرحها : عصام الدين إبراهيم ابن محمد الاسفراينى المتوفى ٩٤٣هـ ، والإمام عبدالرءوف المناوى المصرى المتوفى ١٠٠٣ هـ ، ومحمد عاشق بن عمر الحنفى ، والبخشى : حسن بن عبدالله الحلبى ، والبيخورى ابراهيم بن محمد ، والجراحى إسماعيل بن محمد ، والحسوسى : محمد ابن القاسم المغربى المالكى ، وحسام الدين النقشبندى المتوفى ١٢٨٣ هـ ، والحمدونى عبدالله الأزهرى ، والخادمى سعيد بن أبى سعيد محمد ، وسليمان بن عمر المعروف بالجمل ، والشرقاوى

● البخارى : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله : ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ ، ومات يوم السبت غرة شوال سنة ٢٥٦ .
● مسلم بن الحجاج القشيرى : أبو الحسين : ولد فى سنة ٢٠٤ هـ ، ومات فى ٢٥ رجب سنة ٢٦١ هـ .
● الترمذى : محمد بن عيسى أبو عيسى : ولد سنة ٢٠٩ هـ ، ومات فى ١٣ رجب سنة ٢٧٠ هـ .
● أبو داود : سليمان الأشعث البوستانى : ولد سنة ٢٠٢ ، ومات فى ١٦ شوال سنة ٢٧٥ .
● النسائى : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن : ولد سنة ٢١٥ هـ ومات فى ١٣ صفر سنة ٣٥٦ هـ .
● ابن ماجة : محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد الله : ولد سنة ٢٠٩ ، ومات فى ٢٢ رمضان سنة ٦٧٣ هـ .
وقد روى هؤلاء الأئمة عن شيوخ كثيرين .

عبدالله بن حجازى ، والصناديقى عبدالرحمن بن أحمد الدمشقى الشافعى المتوفى ١١٦٤هـ ، والعقاد الفيومى المصرى المالكى المتوفى ١٢٠٢هـ ، والعيتاتى عبدالله نجيب ، أحمد بن خير الدين الكوز لحصارى الرومى المتوفى ١١٢٠هـ ، وغيرهم .

عمل المحقق فى الشمائل :

أدلى فضيلة الشيخ طه عبد الرءوف سعد العالم الأزهرى دلوه بين دلاء هؤلاء العلماء الأجلاء الذين سبقوه فى شرحها ، واستفاد منهم وأخذ عنهم وأضاف إليهم ، فى شرحه لهذا الكنز العظيم فرجع إلى كتب الأحاديث الصحاح والمسانيد مع شروحها ، تلك التى تناثرت فيها تلك المختارات بين أحاديثها وخرج فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا ـ بشرح وجيز وتنظيم جيد يستفيد منه الخطيب والعالم والتلميذ . ومن ذلك كتابة العناوين ووضع الفهارس وتقديم الشرح وكتابة التعليقات والتعريف بالرواة ، فهو يبدأ .

يذكر الحديث الشريف .

ثم يقوم بتخريجه .

ثم يعرّف برجاله .

ويذكر بعض مصطلح الحديث ما وجد إلى ذلك سبيلا .

ثم يصل إلى معانى المفردات .

ثم يشرح الحديث شرحاً موجزاً ـ غير مخل ـ بأسلوب رصين يشهد له كعالم متمكن فى علوم اللغة والفقه والحديث .

أقسام الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى جزأين يعالجان ـ معا ـ الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية .

الجزء الأول :

ففى الجزء الأول عالج الكتاب بعد المقدمة ما جاء من الأحاديث الصحيحة فى خلق ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ رسول الله ﷺ وخاتم النبوة ، وشعره ﷺ ، وشيبه ﷺ ، وخضابه ﷺ ، وكُحْله ﷺ ، ولباسه ﷺ ، وعيشه ﷺ ، وخُفّه ﷺ ، ونعله ﷺ ، وخاتمه ﷺ ، وسيفه ﷺ ، ودرعه ﷺ ، ومغفره ﷺ ، وعمامته ﷺ ، وإزاره ﷺ ، ومشيه ﷺ ، وتقنعه ﷺ ، وجلسته ﷺ ، وتكأته ﷺ ، وأكله ﷺ ، وخبزه ﷺ ، وإدامه ﷺ ، وقدحه ﷺ ، وشرابه ﷺ ، وفاكهته ﷺ ، وتعطره ﷺ .

الجزء الثانى :

وفيه تناول المؤلف ما جاء فى كيفية كلامه ﷺ ، وضحكه ﷺ ، ومزاحه ﷺ ، ونومه ﷺ ، وعبادته ﷺ ، وصلاته ﷺ ، وصيامه ﷺ ، وقراءته ﷺ ، وبكائه ﷺ ، وتواضعه ﷺ ، وخُلقه ﷺ ، وحيائه ﷺ ، وحجامته ﷺ ، وأسمائه ﷺ ، وعيشه ﷺ ، وسنه ﷺ ، ووفاته ﷺ ، وميراثه ﷺ ، ورؤيته ﷺ .

ثم أعقب المحقق ذلك ـ فى خاتمة الكتاب ـ بفهرس لرواة الأحاديث الواردة أسماؤهم فى جزئىّ الكتاب ورتبهم ترتيباً أبجدياً مشيراً إلى رقم

الحديث والجزء والصفحة التى ورد فيها الراوى حتى يمكن للقارىء تتبع الترجمة فى الكتاب بسهولة ويسر .

ترجمة جامع الشمائل :

كذلك قام المحقق بترجمة للإمام الترمذى تناولها تناولا وافياً كشف فيه الغموض الذى يحيط بسيرة هذا الإمام ، فبدأ باسمه ونسبه ومولده ، وألقى الضوء على مدينة « ترمذ » التى ينسب إليها ، وقرية « بوغ » ـ إحدى قرى « ترمذ » التى ولد بها .

ثم أشار إلى نسبه وكنيته ، وأرَّخ لعصره ودوره فى تكوينه العلمى بسبب ما شهده هذا العصر ـ العباسى الأول والثانى ـ من حركة علمية ونهضة ثقافية واسعة ..

هذا ولم ينس الكشف عن علاقة التأثر والتأثير بين الإمام الترمذى وأساتذته الذين سمع منهم وروى عنهم واستقصى الحديث الصحيح منهم ، ومن أخذ عنه وتأثر به .

فكتب المحقق فصلا ضافيا عن أساتذة الترمذى وشيوخه والذين رووا عنه .

ثم عقَّب المحقق ترجمته بالكتب التى ألفها صاحب الشمائل فى موضوعات : الزهد والأسماء والكنى والفقه والتاريخ والشمائل المحمدية ، ثم نقل ما قيل عن الترمذى كعلم عالم من الحفاظ الأعلام .

نبذة عن الإمام الترمذى :

هو : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى ابن الضحاك السُّلمى الضرير البُوغى الترمذى ، الحافظ المشهور .

ولد سنة (٢٠٩ هـ ـ ٨٢٤ م) ومات سنة (٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م) وله سبعون سنة ، عاصر الخلافة العباسية خلال فترتيها الأولى والثانية ، فهو أحد نتاجها وأعلامها ومشاهيرها ، وهو أحد الأئمة الستة الذين نبغوا فى علم الحديث ، وهم : « البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه » .

ضوء على الكتاب :

أما كتاب « الشمائل المحمدية » فقد طبع أول مرة فى القاهرة عام (١٣٠٦ هـ) مع شرح محمد بن قاسم جسوس الموسوم بـ « الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية » ، وطبعت هذه المجموعة أيضاً عام (١٣١٨ هـ) مع شرحين ، أولهما : « الرسائل » لعلى بن سلطان محمد القارى ، والثانى : لعبد الرءوف المناوى .

وهذه نماذج مختصرة من الكتاب توضح منهجه وتكشف عن قيمته :

الأول : ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ .

ـ حدثنا حميد بن مسعدة البصرى ، حدثنا عبدالوهاب الثقفى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال :

« كان رسول الله ﷺ ربعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، حسن الجسم وكان شعره ليس بجعد ولا سبط ، أسمر اللون ، إذا مشى يتكفأ »

تخريج الحديث :

أخرجه البخارى فى المناقب : ٢٣ . والترمذى فى اللباس : ٢٠ ، وفى المناقب : ٨ . وأحمد فى ٣ : ٢٤٠ .

التعريف ببعض الرجال :

١ ـ حميد بن مسعدة البصري :

وقيل اسمه حمدويه . كان ثقة كثير الحديث ، قرأ ، وأقرأ ، وسمع ، وحدث . وروى عنه أصحاب الكتب الستة : مسلم ، الترمذى ، أبو داود ، ابن ماجه ، النسائى ، إلا البخارى . وتوفى سنة ٢٤١ هـ .

٢ ـ عبدالوهاب الثقفي :

محدث البصرة ، روى عن أيوب السختيانى ، ومالك بن دينار ، وطبقتهما . كان غنيا ينفق أمواله على أصحاب الحديث . وهو ثبت متقن ، توفى سنة ١٩٤ هـ .

٣ ـ حميـــد :

وهو حميد الطويل ، واسم أبيه تيرويه . أحد ثقات التابعين البصريين ، سمع أنسا وطائفة ، وكنيته أبو عبيدة . وكان إماما حافظا متقنا عمدة . كان قائما يصلى فسقط ميتا ، وله سبع وتسعون سنة ، وذلك سنة ١٤٣ هـ .

٤ ـ أنس بن مالك :

سبق التعريف به فى الحديث الأول .

معانى المفردات :

ربعة : بالفتح والسكون ، وقد تحرك الباء . أى مربوعا ، متوسطا بين الطول والقصر .

حسن الجسم : فى لونه ونعومته ، واعتداله .

يتكفأ : يسرع فى مشيه ، ولكن فى اعتدال ، فلا هو بالسريع ، ولا بالبطىء .

شرح الحديث :

كان رسول الله ﷺ ربعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وكان حسن الجسم معتدلا فى كل شىء ، فاللون بياض تشوبه حمرة ، وناعم الملمس ، لا بالسمين ولا بالهزيل .

أما شعره ، فكان وسطا بين الجعودة ـ وهى عدم التكسر والالتواء ـ وبين السبوطة ـ وهى الامتداد الذى لا تعقد فيه .

أما لونه ، فليس بأبيض فقط ، بل بياضه فيه حمرة ، فيميل إلى السمرة .

أما مشيه ﷺ ، فكانت خطواته متسعة ، ليست متقاربة كخطوات المختالين .

الثانى : ما جاء فى طعامه ﷺ :

٧ ـ حدثنا قتيبة ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى ، عن مالك بن دينار ، قال :

« ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط ولحم إلا على ضفف » .

قال مالك بن دينار :

« سألت رجلا من أهل البادية : ما الضفف ؟ فقال : أن يتناول مع الناس » .

تخريج الحديث :

أخرجه مسلم فى الزهد : ٢٩ . والنسائى فى الضحايا : ٣٧ .

التعريف ببعض الرجال :

١ ـ قتيبة :

هو ابن سعيد . وسبق التعريف به فى الحديث رقم : ١ (بالكتاب) .

الثالث : ما جاء في مشية رسول الله ﷺ

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة ، قال :

« ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجرى في وجهه ، ولا رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث » .

تخريج الحديث :

أخرجه الترمذي في المناقب : ١٢ ، وأحمد في ٢ : ٣٥ ، ٣٨٠ .

التعريف ببعض الرجال :

١ ـ قتيبة بن سعيد :

سبق التعريف به في الحديث رقم : ١ (بالكتاب) .

٢ ـ ابن لهيعة :

الإمام أبو عبد الرحمن : عبدالله بن لهيعة ، الحضرمي . قاضي مصر . الحافظ . روى عن الأعرج وعطاء بن أبي رباح . وثقه أحمد وغيره . وتوفي سنة ١٧٤ هـ .

٣ ـ أبو يونس :

هو مولى أبي هريرة رضي الله عنه . قال في التقريب : ثقة .

٤ ـ أبو هريرة :

سبق التعريف به في الحديث رقم : ٤٥ (بالكتاب) .

معاني المفردات :

تجرى في وجهه : شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن ونوره في وجه النبي ﷺ ، وعكس التشبيه مبالغة . والمراد إقامة الدليل على أحسنيته .

تطوى له : أي الأرض تجمع له وتجعل مطوية .

نجهد : نتعب أنفسنا .

مكترث : غير مبال بجهدنا .

شرح الحديث :

يصف أبو هريرة ـ رضي الله عنه ، حُسْن رسول الله ﷺ ، فيقول إنه ما أبصر ، وما علم شيئاً ، أحسن من رسول الله ﷺ ، ومراده : نفي كون شيء أحسن منه ﷺ ، بمعنى أنه أحسن مما عداه .

كأن شعاع الشمس أو جرمها يجرى في وجهه ، وخص الوجه بذلك ، لأنه الذي يظهر به المحاسن ، إذ أن حسن البدن تابع لحسنه غالبا .

ثم يصف مشيته ﷺ ، بأنه ما رأى أسرع منه مشياً ، فكأنما الأرض تجمع له وتجعل مطوية تحت قدميه ، حتى إن أصحابه يسرعون ويجهدون أنفسهم في سيرهم ، وهو مجد في سيره غير مبال بجهدهم .

ولكن ، ليس معنى سرعته ، أنها سرعة فاحشة تذهب الوقار ، بل كانت سرعة مشيه ﷺ على غاية من الهون والتأني بالنسبة إليه .

والخلاصة : إن سرعته في مشيته ﷺ كانت من كمال القوة ، لا من حيث الجهد والمشقة والعجلة .

الرابع : ما جاء فى جلسته ﷺ

١٢٢ ــ حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبدالله بن حسان ، عن جدتيه ، عن قيلة بنت مخرمة ، أنها :

« رأت رسول الله ﷺ فى المسجد ، وهو قاعد القرفصاء . قالت : فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع فى الجلسة فأرعدت من الفرق » .

معانى المفردات :

القرفصاء : يقال : قرفص ــ إذا شد يديه تحت رجليه .

والمراد : أن يقعد على إليتيه ، ويلصق فخذيه ببطنه ويضع يديه على ساقيه . وهى جلسة المحتبى .

وقيل : إن يجلس على ركبتيه متكئا ، ويلصق بطنه بفخذيه ، ويتأبط كفيه وهى جلسة الأعراب .

المتخشع : من التخشع ، وهو إظهار الخشوع .

الجلسة : اسم هيئة من الجلوس ، وهى هيئته فى جلوسه ، وكيفية قعدته .

أرعدت : أى حصلت لى رعدة وخوف .

الفرق : الخوف ــ والمراد هنا الخوف الإلهى المستفاد من التواضع النبوى .

شرح الحديث :

رأت قيلة بنت مخرمة ، رسول الله ﷺ فى المسجد ، وهو قاعد القرفصاء ، وهى جلسة المحتبى ، أو جلسة الأعراب ، فلما أبصرته على تلك الهيئة ، هيئة المتخشع ، وهى إظهار الخشوع ، وهى صفة لرسول الله ﷺ فى هيئة جلوسه المتضمنة إظهار عبوديته ، يجلس كما يجلس العبد ، ويأكل كما يأكل العبد ، ولا يجلس على هيئة جلوس الجبارين المتكبرين ، من التربع ، والتمدد ، والاتكاء ، ورفع الرأس ، وشموخ الأنف ، وعدم الالتفات إلى المساكين ، والاحتجاب عن المحتاجين .

فلما أبصرته ، على هيئته من الخشوع ، حصلت لها رعدة من الخوف ، وهو الخوف الإلهى ، فقد كان ﷺ مع تخشعه عظيماً ، فهابتها عظمته وحصل لها خوف .

والذى يبدو من سياق قصة قيلة ، أن ذلك كان أول ملاقاتها بالنبى ﷺ ، ولذلك هابته وإلا من تعود رأيته أحب تواضعه .

وبعـــد :

فإن كتاب « الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية » جدير بالقراءة وجدير بالاقتناء لأنه يجعل قارئه مع سيدنا رسول الله ﷺ بخلقه الظاهر وخُلُقه الطاهر ، وذلك من خلال مجموعة الأحاديث الصحيحة التى وردت فى ذات النبى ﷺ وشمائله الطيبة الطاهرة المباركة ، والتى

اختارها الإمام الترمذى من الجامع الصحيح وغيره من كتب السنة والسيرة النبوية الشريفة .

فبصحبة هذا الكتاب عزيزى القارىء تكون فى بستان السيرة العطرة ، تستنشق العطر وتروح النفس وتمتع البصر وتغذى الروح .

بصحبته تكون مع ذات النبى ﷺ وصفاً وخُلقاً وحلا ومقالاً .

فمع هذا الكتاب نستطيع حقاً ـ نحن المسلمين ـ أن نتمثل الصورة التى كان عليها رسول الله ﷺ ، وكيف توّجَهُ ربُّه بتاج الجمال وزينه بأشرف الخصال وأدبه فأحسن تأديبه ﷺ وجعله ـ وحده ـ صاحب الشهادة العظمى فى القرآن الكريم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ .

سورة القلم

هنالك يسهل علينا أن نتأسى بأخلاقه ﷺ ونقتدى بأحواله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾

سورة الأحزاب

كما يسهل عليه الامتثال لأمر الله ـ عز وجل ـ فى اتباعه ﷺ كشرط لمحبة الله ـ عز وجل ـ لعبده المسلم ، مصداقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣١ ﴾

آل عمران

والحقيقة أن محقق هذا الكتاب فضيلة الشيخ / طه عبدالرءوف سعد .. العالم الأزهرى بذل جهـــداً كبيراً فى جمع المراجع وشرح المادة وإسناد الأحاديث وترجمات الرواة على هذا النحو الطيب الوافى ، ويؤخذ على إدارة التراث العربى التى أولت عنايتها الفائقة بإخراج هذا الكتاب أنها ذكرت فى تقديمها للكتاب حديثين شريفين لم تُخرِّجهما ، ونثرت على فهرس الأعلام بخاتمة الكتاب عدة آيات قرآنية لم تبين مواقعها من كتاب الله ـ عز وجل .

على أن هذه المؤاخذات الشكلية لا تغض أبداً من قيمة هذا السفر العلمى ولا من الجهد المبذول فيه .

ومجلة الأزهر من جانبها تسأل الله ـ عز وجل ـ أن يرزقنا بركة الحديث عن خير الأنام ، وأن يرزق هذا العمل النافع كل القبـــول والانتشار .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

من جوامع الكلم فى الدعاء

«اللهم إنا نسألك خير ما سألك منه نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم- ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وأنت المستعان وعليك البلاغ ولاحول ولا قوة إلا بالله»

التكريم الأدبي لحافظ إبراهيم عند الإنعام عليه بـ (البكوية)

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

الاعتقاد السائد بين كثير من الباحثين والدارسين ، أن التكريم الأدبي قد اقتصر على شوقي : أمير الشعراء ، دون حافظ إبراهيم : شاعر النيل ، كما لُقّبا بذلك في حياة كل منهما ، وبعد رحيلهما في عام ١٩٣٢ .. وخاصة ، حينما أقيم المهرجان الشعري الشامخ لشوقي ، في التاسع والعشرين من أبريل سنة ١٩٢٧ م بدار الأوبرا ، برئاسة الزعيم سعد زغلول ـ وإن كان سعد زغلول لم يتمكن من حضور الحفل ، وكتب يقول معتذراً عن ذلك : « يسرني أن أترأس هذا الاحتفال الجليل لتكريم شاعرنا العظيم شوقي أمير الشعراء ، وكنت أود أن أشارك حضراتكم ، ولكن ضعف صحتي حرمني من هذا الشرف الكبير » .

وكان حافظ إبراهيم نجم نجوم هذا المهرجان ، حينما أنشد عينيته الرائعة في شوقي ، وخاصة حينما انتهى فيها ، إلى قوله متهدجا ، لشوقي :

أميرَ القوافي قد أتيت مُبايعـا[1] وهذي وفود الشعر قد بايعت معي
فغنِّ ربوع النيل واعطف بنظرة على ساكن النهرين[2] ، واصدح وأبدع

وعند ذلك ، نهض شوقي من مجلسه بالحفل ، وسارع إلى معانقة حافظ ـ رصيفه في العبقرية الشعرية ـ وهو في غاية التأثر .

---

(١) يبغي للحق الأدبي ، وضرورة ما يفرضه النقد أن نقول : إن الأستاذ نعوم شقير قد سبق حافظ إلى هذا المعنى حين خاطب به شوقي في حفل تكريم حافظ برتبة البكوية موضوع المقال . قال نعوم في هذا الحفل الذي أقيم بفندق الكونتننتال بالقاهرة في (١٩١٢/٥/٣١) . أشوقي لأنت أمير القوافي إليك تؤمُّ (البيت) . مجلة الأزهر .

وقد شارك في هذا المهرجان كوكبة من كبار الشعراء في مصر وسائر البلاد العربية ، نذكر منهم : خليل مطران ، وشبلي ملاط ، ومحمد كرد علي ، وإسعاف النشاشيبي ، وحافظ ، وغيرهم . وقد أهديت إلى شوقي في هذه المناسبة عدة هدايا ــ كما يقول صديقنا الأستاذ أنور الجندي ــ في مقدمتها : نخلة من الذهب قدّمها أهالي البحرين ، ونصل من العقيق قُدّم من أصدقاء الهند ، وقلم من ذهب من البحرين ، وعلبة فضية وداخلها إطار من الفضة ، حول قصيدة لشوقي من بومباي ، وكأس ذهب من الاتحاد النسائي[3] .

***

واختتم شوقي المهرجان ، بقصيدته الرائعة ، التي يقول فيها :

مرحبـــا بالربيـــع في ريعانـــه وبأنـــواره وطـــيب زمانـــه
يا عكاظــا تألـــف الشرق فيـــه من فلسطينـــه إلى بغدانـــه

إلى أن يقول ، متأثراً :

لست أنسى يدا لإخـــوان صدق منحـــوني جزاء ما لم أعانـــه

ثم يقول ، متواضعا :

رُبَّ سامـــى البيـــان تيـــه شأني أنـــا أسمو .. إلى نباهـــة شانـــه !

ثم .. مفتخراً ــ بهذا البيت الذي عبَّر فيه عن شاعريته أبلغ تعبير :

كان شعري هو الغنـــاء في فرح الشر ق ، وكان العـــزاءُ في أحزانـــه

***

والقديم الجديد (!!) ، الذي نضيفه ونكشف عنه أسدال الماضي ، أننا عثرنا على عدد قديم من مجلة (سركيس)[4] الصادرة في أول يونية سنة ١٩١٢م (العدد الحادي عشر من السنة السادسة) ــ وفي هذا العدد تفاصيل مهرجان ، أقيم لتكريم حافظ إبراهيم ، يسبق مهرجان شوقي بخمسة عشر عاما ، حينما أنعم الخديوي عباس حلمي على حافظ بالرتبة الثانية (البكوية) ، فصار يُلقَّب بـ (عزتلو حافظ إبراهيم بك) .

ومن عجائب الأمور ، أن هذا التكريم قد تم لحافظ إبراهيم سنة ١٩١٢م ، بعد تعيينه رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب في عام ١٩١١م ، في عهد أحمد حشمت باشا وزير المعارف ، براتب شهري قدره أربعون جنيها ــ وهو مبلغ كبير في حساب ذلك الزمان ــ بعد أن كان قد انقطع زهاء العام ، عن نظم الشعر ، وبعدما عانى من شظف العيش وقلة ذات اليد ، الأمر الذي دفعه إلى أن يقول :

---

(٢) يعني: ساكن النهرين : أهل العراق حيث يجري في أرضهم دجلة والفرات .
(٣) انظر عدد مجلة (الهلال) ص٨٤ الصادرة في كانون أول/أبريل أول سنة ١٩٦٨م .
(٤) هو سليم سركيس ، وقد سمى المجلة (مجلة سركيس) .

سعيتُ إلى أن كِدْتُ أنتعل الدما ... وعُدْتُ .. وما أعْقَبْتُ إلا التندُما
لحا الله عهد القاسطين الذى به ... تهدَّم من بُنيانِنا ما تهدَّما
إذا شئتَ أن تلقى السعادة بينهم ... فلا تك مصريا ، ولاتك مسلما
.. سلام على الدنيا ، سلام مودِّع ... رأى فى ظلام القبر أنسا ومغنما

وقد « سكن حافظ إبراهيم إلى الوظيفة فى دار الكتب سنة ١٩١١ م ، فبقى بها عشرين عاما ، لم ينظم فيها شيئا من القصائد غير المراثى[٥] ، التى كان يشيع بها الكبراء والعظماء ، ورجال الأدب »[٦] .

وفى هذا يقول فيلكس فارس ، فى رثاء حافظ :

إذا البلبل الصَّدَّاح أكْمل شدْوه ... فما تطلب الدنيا .. وقد نفد العُمْر ؟

***

وقبل ذكر تفاصيل مهرجان تكريم حافظ سنة ١٩١٢ م ، نجد صاحب مجلة (سركيس) ، يذكر أنه قد أقيم تكريم آخر ، يسبق هذا التكريم ظفر به حافظ إبراهيم فى الرابع والعشرين من مارس سنة ١٩٠٨ م ، فى حفل أقيم بفندق شبرد ، يشهد الذين حضروه أنه كان أفخم حفل من هذا القبيل ، تصفه جريدة الأهرام ، فى حينه ، أن ليلته كانت : « من أبهى الليالى وأسناها ، برز فيها البدر ــ أى حافظ إبراهيم ــ يسطع فوق رأس القطرين المتعانقين (يعنى مصر وسوريا)[٧] ، معانقة الحب والوئام » .

ولم يثبت صاحب مجلة سركيس ، شيئا مما قيل فى هذا الحفل الأول إلا أننا نجد فى ديوان حافظ نص القصيدة التى أنشدها فى هذا الحفل ، بعنوان (سوريا ومصر) وفيها يقول :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب ... هنا العلا .. وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لازالت ربوعهما ... قلب الهلال[٨] .. عليها خافق يجب

(٥) ولعل ذلك هو تعليل وتفسير قوله عن نفسه :
إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى ... وجدت شعر المراثى نصف ديوانى
ولعل ذلك ، أيضا ، هو الذى حدا بشوقى أن يقول فى رثائه (معترفا بعبقرية رصيفه فى الإبداع الشعرى) :
قد كنت أوثر أن تقول رثائى ... يا منصف الموتى من الأحياء
(٦) انظر كتاب (شوقى وحافظ) لطاهر الطناحى ط دار الهلال ص١٣٦ .
(٧) لأن صاحب مجلة (سركيس) يذكر أن بعض السوريين هم الذين اقترحوا إقامة هذا الحفل ــ بأريحية ــ كما يقول بعدد أول يونية سنة ١٩١٢ م .
(٨) انظر ديوان حافظ جـ١ ص٢٥٦ . ويعنى بالهلال : شعار الدولة العثمانية .

إلى أن يقول ، بيته المشهور :

هذى يدى عن بنى مصر تصافحكـــم   فصافحوها .. تصافح نفسَها العربُ

***

ويتحدث صاحب مجلة (سركيس) ، بإسهاب ، عن الحفل الثانى الذى أقيم مساء يوم الجمعة الموافق الحادى والثلاثين من مايو سنة ١٩١٢م ، وتحدث سركيس عنه فى عددى : ١ و ١٥ يونية من مجلته ، وأورد تفصيلات دقيقة مشوقة عما دار فى الحفل ، نوجزها فيمايلى ـ بعد نشر صورة الدعوة التى وُجِّهت لحضور ذلك الحفل ، وكانت كالتالى :

احتفال مجلة سركيس

لإكــرام

عزتلو حافظ بك إبراهيم رئيس القسم الأدبى فى دار الكتب الخديوية بمناسبة إنعام الجناب العالى عليه بالرتبة الثانية تحت رعاية عطوفة الوزير الخطير محمد سعيد باشا القائمقام خديوى ورئيس النُّظَّار ونيابة سعادة الوزير الفاضل أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ورياسة سعادة أحمد بك شوقى شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية .

***

وفى الموعد المحدد ، أعدّت القاعة الكبرى بفندق الكونتنتال ، للاحتفال ، وفى صدر القاعة ، أقيمت منصة مرتفعة ، جلس عليها الشعراء والخطباء ، على الترتيب التالى :

فى كرسيين عن يمين جناح المنصة جلس أولا : سعادة شوقى بك شاعر الأمير ورئيس الحفلة ، وإلى يمينه جلس صاحب مجلة سركيس (الداعى لإقامة الحفل) ، وقبالتهما فى جناح المنصة الأيسر ، جلس حافظ بك إبراهيم ، وبجانبه داود أفندى بركات (رئيس تحرير الأهرام) ، وجلس فى الضلع الأوسط تجاه الجمهور حضرات الشعراء والخطباء ، وهم : خليل أفندى مطران ، وطانيوس أفندى عبده صاحب مجلة الراوى ، ومحمد بك حافظ رمضان ، أحمد أفندى نسيم ، الشيخ محمد عبد المطلب المدرس بمدرسة القضاء الشرعى ، يوسف أفندى فهيم الكريدلى ، عبد الحليم أفندى حلمى المصرى ، الشيخ محمد المهدى من مدرسة القضاء الشرعى ، نقولا أفندى رزق الله مدير إدارة الأهرام ، وصاحب مجلة الروايات الجديدة ، جورج أفندى طنوس ، صاحب جريدة الرقيب ، الدكتور شدودى ، ولما شرّف الحفل سعادة حشمت باشا

ناظر المعارف ، استقبل بالإكرام اللائق ، وجلس فى صدر الجمهور ، وعن يمينه سعادة السيد على يوسف مؤسس جريدة المؤيد ، فعزتلو إسماعيل بك شيرين سكرتير عطوفة رئيس النظار .

• وقد شرف الحفل فضيلة الأستاذ الأكبر سليم البشرى شيخ الإسلام ، وجلس عن يساره سعادة إسماعيل باشا البرعى فسعادة إسماعيل باشا أباظة إلخ ، وقد حرص (سركيس) على إثبات أسماء الجميع ، لأنهم كلهم جديرون بالذكر ، لأنهم يؤلفون فى مصر ، دولة الأدب والعلم .

وتم افتتاح الحفل بقصيدة شوقى ، التى يقول فيها :

نظمنا سنىّ التهنئات نزفها	إلى علم بين النوابغ مفرد
ولو أنّ مَنْ أقلامُهُ فى أكفّنا	وقلنا .. لجاء القول إنجيل مُهتد
ومَنْ يتعهد للرجال صداقة	يطبّ بالذى تسرّ الصديق ويسعد
ومن يحفظ الخلان يحفظ مدارعا	عليه ، ويستثمر غراسَ التودد
وما (حافظ) إلا بناء مكارم	وزاخر عرفان وهضبة سُؤدد
فمتى يرفع الأشعار ـ ما شاء ـ قدرها	وترفعه الأشعار رتبة مخلد
ويلقى عليه فى السلام وفى الوغى	رجاء يراع أو رجاء مهند
ألا عند مصر والبيان وأهله	يدٌ للخديوى صادفت حافظ اليد

وفى العدد القادم نواصل الحديث بإذن الله تعالى .

الجارم : شاعر الجزالة العربية في العصر الحديث



بقلم المستشار / سيف النصر عبد العزيز الجبلي

أيام الجارم وعطرات الثقافة :

زرت أستاذنا الشاعر الكبير المرحوم « على الجارم بك » حين كان عميدا لكلية دار العلوم وكنت في مطلع شبابي .. مغرماً بالتعرّف على أمثاله من رجالات الأدب في مصر .

وقد عاصرته وعاصرت كثيراً من رجال مصر الأعلام ، وفي زمن أستاذنا المرحوم « الجارم » كانت الحياة الأدبية في مصر وبعض الأقطار العربية كسوريا ، ولبنان – تزخر بالأعلام العمالقة في الشعر والنثر .

فشوقي – قد أحيا الروح الشعرية – بعد البارودي – وشحذها – هو وحافظ والجارم وعبد المطلب ومحرم والكاشف ونسيم والهراوى ، كما أحيتها الدراسات الأدبية والنقدية التي كانت تمتلىء بها المدرجات في كليات الجامعة وأروقة الأزهر وكلياته ومدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم ، وما يدور من جدل ونقاش ومحاضرات في الأندية والجمعيات التي نشأت بتأثير مما عاد به المبعوثون من أفكار ودراسات أوروبية من الخارج .. ومما أنشأه كبار الأدباء والنقاد من مدارس أدبية « كمدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو » ومما أشاعوه بين الكتاب والشعراء في مصر وغيرها .. كل ذلك – قد حرّك سواكن النفوس – وغذّى استعداد المواهب وحفزها على التسابق في الإبداع ، وجعل من المبدعين أحد فريقين .

فريق يستهويه – الغرب – بأفكاره ومعانيه – وقد أخذ هذا الفريق يعيب الشعر العمودى . ويعيب على قائليه ، تمسكهم بقالبه القويم ونظمه الموروث ، ويدعو إلى تحريره من قيود الوزن والقافية .. وقد أتاحت هذه الدعوة لكل عيى الفرصة لكى ينطلق بيانه بكل غث ركيك .. وظهر من الشعر مايسمى بالشعر الحر ، أو الشعر المنثور ، أو الشعر المرسل ، أو الشعر المطلق .. إلى آخر هذه المسميات .

وفريق : يستمسك بالشعر العمودى فى وزنه وقافيته ، ولا يمنع أن يجنح خياله كيفما شاء فى القصيدة المتماسكة مع وحدتها العضوية ورقتها اللفظية – إلى ما شاء له الخيال واتسع له اللفظ .

وكلا الفريقين : ظهر منهم عباقرة ونوابغ فشوقى وحافظ وعبدالمطلب كانوا ومن سار على دربهم – على رأس الفريق الثانى المستمسك بالوزن والقافية وصلاح عبدالصبور وأمل دنقل وفاروق شوشه فى تحوله الأخير – كانوا من الداعين دعوة الفريق الأول إلى الشعر الحر وسائر مسمياته الأخرى .

وكان هناك فريق ثالث – اعتز بقالب شعر عروبته الموروث ونزع إلى الثبات على قالبه ، والاعتزاز بقافيته . لكنه جدّد فى لفظه ومعناه – وإن تخلفت به غايته عن جذالة الشعر العربى القديم وإشراقة ألفاظه .. وكان من هؤلاء الشعراء المرحومين الدكتور إبراهيم ناجى والمهندس على محمود طه ، ومحمود حسن إسماعيل ومن نهج نهجهم من الشعراء الذين عرفهم القرن العشرين وآخر أيامه وسنواته .

وكان هناك رجل واحد – كان فريقا وحده – انفرد بالاحتفاظ بعمود الشعر ووزنه وقافيته ، وروعة المعنى مع جذالة اللفظ وقوته ، وحسن صياغته ذلك هو شاعرنا « على الجارم » رحمه الله ـ تعالى[*] .

ومعروف – لدى الأدباء والشعراء والنقاد – أن كل فريق من هؤلاء منذ أصدر العقاد والمازنى كتابيهما « الديوان » وهاجما فيه شوقى وشعره بحسن نية أو بسوء نية .. قد أغطشت سحب هذا الديوان على الحياة الأدبية فى « مصر » – كما أغطشت شهرة شوقى وحافظ عليها – حتى جعلت اليأس يطبق على صدور الشعراء الناهضين من أمثال « الجارم » ، وتحرم « أن ينالوا بجانبها حظا من الشهرة الواسعة أو الخط العريض ، خاصة بعد أن صار « شوقى » فى مبايعة حافلة من شعراء الأقطار العربية « أميراً على الشعراء » وبعد أن أصبح « حافظ » ملقبا « شاعر النيل » أو « شاعر الوطنية » جزاء ووفاء على ما قدم للوطن من إخلاص ووفاء وعلى ما شارك به الشعب فى سرّائه وضرّائه من شعور صادق أمين .. بين هذا الجو المتلاطمة سماؤه بألوان الغيوم

(*) فى الحق مشاركة غيره فى ذلك .. على الأقل شوقى وحافظ .

والمتقطعة فيه آمال الشعراء الناهضين ، تبدد الأمل من نفس كل شاعر أن يلحق بشوقي في إمارته أو يدرك « حافظاً » في شعبيته ووطنيته . وأن يمكن أن يحق بهما في جودة ويدركهما في صدق الوطنية ووقف « الجارم » على الطريق ينتظر كيف يأخذ سبيله بين هذين العملاقين ؟ وأتخيله الآن . وكأن سؤالاً – قد دار بذهنه يسأله – إذا كانت الحياة الأدبية في مصر الآن يتربع عليها هذان الشاعران .. فكيف يتاح لي أن أظهر على سطحها ، وأن يكون لي شهرة « شوقي العملاق أو حافظ المغوار » مع أن المتطلعين لهذه الشهرة كثير ؟ .

وأجيب عما تخيلته سؤالا دار بخلد « الجارم » في طموح صباه الباكر فأقول .. إن الجواب تتكفل به المواهب الكثيرة التي اختص الله – تعالى – بها « الجارم » ؛ فقد كان يرحمه الله – ذا موهبة شاعرية فطرية فيّاضة – كما كان ذا موهبة نثرية خلّابة . وكما كان ذا موهبة خطابية جذّابة . فقد كان ذا تعبيرات ساحرية تجرى منسابة على لسانه حتى في أحاديثه العادية .

وكانت هذه المواهب فيه تتمتع بقدرة عجيبة من الاستيعاب والحفظ والذكاء وقد أثمرت هذه الخلال عن نجاح متفوق ، وتفوق ممتاز حتى على الحياة نفسها فيما واجهه فيها من شدائد وصعوبات . كما أثبتت إحاطته الشاملة بفنون النثر – حتى أصبح أحد أعلامه ، أنه رجل ذو قدرات فنية ، انفرد بها عن كثير من الموهوبين ، وإن كانت قد غطّت عليها – شهرته الشعرية– إلا أنها لم تحجبه أن يكون علماً من أعلام النثر الفني عند المتخصصين . وواحدا على القمة من قائمة رجاله المبدعين .

كذلك يعتبر في الترجمة من أقدر المترجمين إلى اللغة العربية كذلك هو في الكتابة التاريخية .. من أقدر الكاتبين دون أن يشوّه حقائق العلم أو التاريخ ، وهو في الرواية والقصة من أرق الكتاب الروائيين والقصصيين ، روعة في الاختيار وحسنا في العرض ، وجمالا في الأسلوب ، وفنا في الحبك .

وقد أثمرت قدرته – على الحفظ – الذى أجزم بصدده – هو الذى أعانه إعانة قوية على التعبير الشعرى بما يشاء وكيفما يشاء – فقد كان ذا قدرة فائقة على اختيار الكلمات ، ووضعها في مواضعها التي لا تخطئها – مما أكسب « شعره ونثره » جذالة ونصاعة في التعبير ، وإشراقا ونورا في الأداء .

لقد أصقل مواهب « الجارم » حفظه في الصغر للقرآن الكريم ولكثير من أحاديث الرسول ﷺ وجملة غير قليلة من الحكم والأمثال العربية ولكثير من الشعر والنثر . وهذا هو الذى يصقل موهبة كل من يريد أن يتصدى لقرض الشعر أو كتابة النثر .

وهذا – بالإضافة إلى ما أفادته به – الثقافة الأجنبية في دراسته بالجامعات الأوروبية التي لم تستطع أن تنال من قيمه العربية أو تصرفه عن أخلاقه الإسلامية .

تلك – مقدمة – لابد منها – لإلقاء الضوء على « الجارم » وإعطاء « شعره حقه فى ناحية من نواحيه .. إلى أن يصح « الجسم » ويستطيع الحديث عن شعره ونثره ويوفى الجارم حقه فى كل مواهبه ومزاياه .

وحتى تتكشف لراغب تأريخ الدراسات والمدارس الأدبية فى العصر الحديث ومكانة الجارم بين شعراء عصره ، وعوامل تفوقه التى جعلت منه أحد ثلاثة تربعوا على عرش « الشعر » فى العصر الحديث . « شوقى ، وحافظ والجارم »[*] وأصبح واحدًا من الشعراء المعروفين المتفوقين بشعره القوىّ الناصع على كثير من الشعراء المشهورين فى عصره وزمانه من أمثال عبد المطلب ومحرم ، والغاياتى وغيرهم من الشعراء المعاصرين له : الطامحين إلى ماطمح إليه « شوقى وحافظ والجارم » من شهرة فى الأدب ومجد بين العرب .

يجب علينا – إزاء من يرغب – التصدى لهذه الدراسة أن نلّم – إلمامة ولو خفيفة – بنشأة « الجارم » وحياته ، ومؤثرات بيئته فيه ، وما اكتنفه من ظروف وصنوف .

بيت الجــارم :

نشأ « الجارم » فى بيئة علمية ؛ فوالده المرحوم « محمد صالح الجارم » أحد العلماء المتخرجين فى الأزهر ، وأحد القضاة البارزين فى المحاكم الشرعية .. عمل فى الزقازيق – عاصمة الشرقية ، وفى الفيوم ، وتنقل بين كثير من المحاكم فى المملكة المصرية – حينئذ –

وقد أنجب والده الشيخ « محمد صالح الجارم » غير أديبنا « على » عددًا من أولاده الذكور – هم فى تسلسلهم بالتتابع الشيخ « محمد مأمون الجارم » و« الشيخ عبد الفتاح الجارم » والشيخ « عبد المحسن الجارم » والشيخ « محمد نعمان الجارم » وهذا الأخير كان « قاضى قضاة السودان » بعد الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى – رحمه الله – الذى كان – فيما بعد – شيخا للأزهر – ثم تولى بعده – أى بعد الشيخ محمد نعمان الجارم – الشيخ حسن مأمون الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد .. رحمهم الله .. وكان الشيخ حسن مأمون آخر قاض من القضاة المصريين يتولى هذا المنصب العظيم .. بعد أن تمت سودنة هذا المنصب ، وقصرت وظيفته على السودانيين .

ثم رزق الشيخ « محمد صالح الجارم » بعد ولده « محمد نعمان الجارم » بولده « على » شاعرنا أو قل الشاعر الجذل .. الذى نتحدث عنه .. قد رزق والده بعده بنتين من كرائم العقيلات هما السيدة « سلافة الجارم » والسيدة « عائشة الجارم » .

وهؤلاء الإخوة المذكورين والمذكورات .. هم الإخوة الأشقاء للشاعر « على الجارم » .. وله غيرهم إخوة غير أشقاء من سيدة أخرى تزوجها والده بعد وفاة والدة « على » .

(*) هذا رأى الكاتب فمن شاء التعقيب عليه بلغة علمية بعيدة تماما عن الإرغام فإن المجلة ترحب به .

وقد أنجب من هذه السيدة الأخيرة ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة .. هم عبدالحكيم وإبراهيم ، وعبد المنعم ، ومفيدة الجارم .

والذى ينظر إلى نشأة والد « علىّ » وإلى ما قدمنا به إخوته من لفظ « الشيخ » يجد أن بيت « الجارم » كله .. تغلب عليه النشأة الدينية ويُشكل بيئة أزهرية .

ومعروف أن البيئة أو النشأة الأزهرية .. إنما تنمو وتترعرع فى البيئة الدينية . وأن البيئة الدينية إنما تزدهر وتقوى فى البيئة الأزهرية ، وكلتاهما تغذى الأخرى .. فالأزهر هو الامتداد الطيب للإسلام وهو ناشره وحامل دعوته ورسالته .. وقد سارت هذه البيئة مع شاعرنا « الجارم » من بداية طفولته - إلى نهاية دراسته .. وإذا كان هذا الذى قدمنا من الثوابت المعروفة فى حياة الجارم .. فليس هناك من عجب أن يكون شاعراً له قدرته وقوته بفضل ما غرسه فيه « والده » من حفظ للقرآن الكريم ونصوص الشعر والنثر . وأدب الحكمة والمثل .. أضف إلى ذلك « التنافس الضخم » الذى كان يقوم بين على وبين هذا العدد الكثير من إخوته .

ومع هذا المظهر الفخم من مكانة « والده » بين العلماء و القضاة ثم مكانة شقيقه « محمد نعمان الجارم » قاضى قضاة السودان .. نجد أن الطموح الذى كان يحتمل فى قلب ونفس الشاعر « على الجارم » كان طموحاً عارماً يحاول أن يكون به .. صورة من أبيه أو أخيه .. وقد كان .

فقد نال « شوقى » إمارة الشعر على الشعراء وأصبح هو « شاعر العروبة » وحظى « حافظ » بلقب شاعر النيل أو شاعر الشعب . ولم يعد هناك مكان لشاعر يزاحمهما فى اللقب الذى حظى به كل منهما .

ولكن « الجارم » وهو الشاعر الذى يبحث لنفسه عن مكان يكون ذا وصف وصفة - كما لشوقى وحافظ ، بين الشعراء .. يستثيره الطموح فيستغل حفظه للقرآن الكريم ، ولكثير من الأحاديث النبوية ، والنصوص الأدبية من الشعر والنثر .. فيدفعه طموحه إلى أن يقفز ويجرى ليسابق فى الحلبة .. هذين العملاقين .. فيأخذ فى تجويد شعره ويجعل « الجذالة » عمود أبياته ، وعصب قصائده ولا ينسى أن يخرج « المعنى الجميل » .. فى اللفظ الجذل .. حتى تأتى قصائده قوية فتية .. تتباهى بوحدتها العضوية . فتشد الأسماع وتدهش النفوس . مقروءة أو مسموعة .

وبهذا لفت « الجارم » إليه الجماهير والشعراء فى الوطن العربى ، واستطاع أن يلفت إليه الأنظار والأسماع ، وأن يحوّل إليه قلوب المعجبين ، وأن يجعل من نفسه شاعراً فى مصاف « شوقى وحافظ »(*) بل وأسبق منهما فى بعض الأحيان . كقوله فى المولد النبوى الشريف سنة ١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م - راجع ص ١٨١ جـ٢ من ديوانه الرائع :

(*) لم نعثر لحافظ على مدحة نبوية .. وهذا عجيب .. مجلة الأزهر .

تحية ناءٍ من شذى المسك أطيبُ ... ومن قطرات المزن أصفى وأعذبُ
وتبريح أشواق إذا ما تنفست ... يكاد لها فحمُ الدجى يتلهب
وقلبٌ يضيقُ الصدرُ عن نبضاته ... فيخفق غيظاً بالجناح ويضرب

إلى أن يقول :

بنفسى وليداً فى أباطح مكة ... تتيه به الدنيا ويشرف يثرب
أطل عليها مثلما تبسم المنى ... ويسطع فى الليل الحُدارىّ كوكب

ويقول فى رثاء « محمد محمود باشا » :

جُودى بما شئت من ذوب الأسى جُودى ... أوْدت صُروفُ الليالى بابن محمود
أوْدت بأشجع من خف الرعيل به ... يوم النضال ومَنْ نادى ومن نودى
أوْدت بمن تعرف الساحاتُ كرته ... إذا تنكّت عنها كلُّ مؤءود
ويشهد الحقُّ . أنّ الحقَّ فى يده ... سيفٌ يروع المنايا غير مغمود

ويقول حين أنشئت « جامعة الدول العربية » وحضر زعماء العالم العربى افتتاحها بالقاهرة ، راجع ديوان الجارم ص ٣٤٧ جـ ٢

سنا الشرق من أىّ الفراديس تنبعُ ؟ ... ومن أىّ آفاق النبوّة تلمَـعُ ؟
وفى أىّ أطواء القرون تنقلت ... بمصباحك الدنيا تشبُّ ويسـطع
طلعت على الأهرام والكونُ هامدٌ ... وأشرقت بالإلهام والناس هُجّع
طلعت شعاعاً عبقريّاً كأنما ... من الحق أو نور البصائر تطلع
وجمّعتَ أسرار العقول فهل درت ... مخابىء فرعونٍ بما كنت تجمع

وفى ذكرى الشاعرين أحمد شوقى وحافظ إبراهيم يقول فى الجزء الثانى من ديوانه ص ٣٥٢ :

ضلّ شعرى ، وندّ عنى بيانى ... ما على الشاعرين لو أرشدانى ؟
ضاع فى ظلمة المشيب أنيناً ... ويكى فى الصبا بباهى الأمانى
مزهرٌ أنّ فى قفارٍ فلاة ... وابن غصنٍ شدا بلا أغصان !
بين قوم ما رنّ فى سمعهم أخـ ... ـل فشيد من أصفر رنان
صدفتهمْ عن خالد الفن أضغا ... ث وزخر من كاذب العيش فانى

إلى أن قال :

سكت العندليبُ فى وحشة الدوْ ... ح وغنّت نواعق الغربان
فسمعنا من النشوز أفانيـ ... ـن يُرَوِّعن صادح الأفنان
أسمعونا برغمنا فصبرنا ... ثم ثرنا غيظاً على الآذان

ويقول فى رثاء شاعر العراق « جميل صدقى الزهاوى » ـ رحمه الله تعالى ـ فى حفل دُعى إليه « الجارم » وشعراء الأقطار العربية ـ راجع جـ ٢ ص ٣٨٢ :

جفا الرَّوضَ مُغبرّ الأسارير قاطِرةُ ... وغادَرَه قفرَ الخمائل طائرة
ذَوى ليتُه بعد البشاشة وازْمَتْ ... مُصوحةً آثارُه وأزاهره
تلفَّتْ .. أين الرَّوض . أين مكانُه ... وأين مجاليه . وأين بواكره

ويقول فى مدح الإمام « محمد عبده » وهو طالب بالقسم الثانوى ـ قصيدة رائعة تنبىء عما تحدث عنه من مستقبله الخالد فى الشعر يقول ـ رحمه الله تعالى :

مَوْلاى علمتنى كيفَ الثباتُ إذا ... لم يترُكِ الرُّعبُ قلباً غير مزؤود
علوْتَ فازْدَدْتَ بيْنَ الناسِ معْرفةً ... والنجْمُ يَعلو فيَبْدو شِبْهَ مفقُود !
وأصْبحَ الدين تَاهاً بناصره ... والضادُ تزهى بتجميلٍ وتجْديد

ومعروف أن الإمام « محمد عبده » كان أستاذاً « للجارم » وكان « الجارم » واحداً من تلامذته الأوفياء النجباء ـ فلا عجب أن يمدحه ويثنى عليه بما علم ويعلم منه ، ويقول فى تحية « دار الإذاعة » ، وكانت قد احتفلت فى شهر ابريل سنة ٣٧ بانتهاء العام الثالث من إنشائها ، ودعت لذلك نخبة من رجال العلم والأدب لتذيع « قصيدة » اختصها « الجارم » بها فى هذه المناسبة ـ راجع ديوانه جـ١ ص١٩٣ :

سَارِى الهواء ملكْتَ أىَّ جَناحِ ؟ ... وحَللْتَ أىَّ مَشارف وبطاحِ ؟
وبأىِّ ناحية أقمتَ ؟ فإننى ... ألقاكَ بين تولبٍ وجماحِ
تجرى فتنتظمُ المدائنَ والقُرى ... وتفوتُهنَّ إلى مَدى فيّاحِ
لا البَرْقُ يَسْرى حيْثُ سِرْتَ ولا رَمى ... نسرٌ إلى ما رُمْتَهُ بجناحِ

وأبرز ما فى أغراض « على الجارم » الشعرية ـ رثاؤه الذى ينم عن الوفاء لإخوانه وأحبابه من العلماء والأدباء وغيرهم ، وقوميته العربية ، ووطنيته المصرية التى تدل على انتمائه القوى واعتزازه الشديد بوطنه وعروبته ـ يقول فى رثاء إسماعيل صبرى باشا من قصيدة مطلعها :

صَادِحَ الشرْق قد سكتَّ طويلا ... وعزيزٌ عليه ألا تقولا
أين ذاكَ الشعْرُ الذى كُنْتَ تزجيه ... فيسْرى فى الأرض عَرْضاً وطولا
قد سمعْناهُ فى المزاهر لحناً ... وسمِعْناهُ فى الحمَام هديلا

وعندما نلتفت إلى عروبته وقوميته ـ نجده حينما بدأت قضية « فلسطين » سنة ١٩٤٨ ـ ينفعل معها انفعالا شديدا ، ويقول قصيدته الشهيرة التى مطلعها :

تألَّق النصْرُ فاهتزتْ عَواليِنا ... واستقبلتْ موكبَ البُشْرى قوافينا
غنَّى لنا السَّيْفُ فى الأعناقِ أغنيةً ... عزتْ على الأيْك إيقاعاً وتلحينا

ويسافر سنة ١٩٤٨ ـ إلى بغداد ليشارك فى حفل افتتاح « المؤتمر الطبى العربى » وليلقى فيه داليته المشهورة والأثيرة عند أهل العراق ـ كما لمست منهم فى المؤتمرات التى دعيت إليها وحضرت فيها فى القطر الشقيق ـ والتى يقول فيها :

بغـداد يا بلـد الرشـيـد ومنـارة المجـد التليـد
يا بسمـة لمّـا تزل زهـراء في ثغـر الخلـود
يا موطن الحبّ المقيم ومضـرب المثـل الشرود
يا سطـر مجـد للعروبـة خُـطّ في لـوح الوجـود
يا رايـة الإسلام والإ سلام خفّـاق البنـود
يا مغرب الأمل القديم ومشـرق الأمل الجديـد
يا بنت دجلـة قد ظمئـ ـت لرشـف مبسمك البرود
يا زهـرة الصحـراء زدّ ى ، بهجـة الدنيـا وزيـدى
يا جنّـة الأحـلام طا ل ، بقومـا عهـد الرقـود
يا بهـرة الملك القديـ ـم ،وصخـرة الملك الوطيـد
يا زورة تحيـي المنـى إن كنت صادقـة فعـودى

ونراه يشيد بالإسكندرية وعراقتها فى قصيدته التى أنشدها فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى بحديقة النزهة عام ١٩٤٣ م أثناء الحرب العالمية الثانية وهى تفيض عذوبة وجمالا كسابقتها فى بغداد فيستهلها :

بدت أعلامهـا فهفـا وهامـا سلامـا درّة الـوادى سلامـا

وفى سنة ١٩٤٤م ــ يلقى فى حفل افتتاح « المؤتمر الطبى » بلبنان قصيدته الرائعة :

ألقيتُ للغيـد الملاح سلاحـى ورجعتُ أغسلُ بالدموع جراحـى
ولمحتُ رَيحـان الصبـا فرأيتـه ذبلت نضارتـه على الأقـداح
كانَ الشبابُ طماحَ لاعجة الهوى واليـوم يرفـع ساعديـه طماحـى

أما قصائده فى وطنياته . فقد كان فيها شعوره فياضا بحب مصر جياشا بالعاطفة نحوها يقول فى قصيدة بعنوان « مصر » :

صوّرَ الله فيك معنـى الخلـود فابلغـى ما أردتـه ثم زيـدى
أنت ، يا مصـرُ ، جنّـةُ الله فى الأر ض وعيْنُ العُـلا وواو الوجـود

وهكذا نرى « الجارم » يسير على دربه من الجذالة والفخامة فى شعره الذى تعوده منه الناس وأحبوه وعشقوه من أجله . فقد رأوا فيه منثوراً أو مسموعاً جذالة لفظ ، وقوة تعبير ، وتماسك تأليف ، وحسن اختيار للألفاظ وجمال انتقال من البيت إلى البيت الآخر فى وحدة عضوية متماسكة فى صورة جمالية رائعة فهى فى حماسها زئير الأسد فى قوته وفى عذوبتها هزيج العصفور فى رقته .. شعر ربط الماضى فى جذالته وروعته بالحاضر فى رونقه ورقته نعم ــ هكذا كان « الجارم » شاعراً وناثراً ــ رحمه الله وطيب ثراه .



طبقات المحققين والمصححين

من المحققين الأعلام



الدكتور/ عبدالقادر حسين

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

أسلفت القول فى دراسة سابقة عن صعيد مصر الذى أسهم إسهامات جليلة مذكورة فى مختلف المجالات ومتباين النشاطات العلمية والأدبية والثقافية وغيرها .

ثم إننى عزوت هذا الإسهام النافع المفيد فى شتى هذه المجالات ـ لطبيعة « الصعيدى » المفطور عليها من صلابة وجلد وصبر واحتمال ، مع الالتزام الجاد بالموضوعية وصدق التوجه والإصرار على بلوغ المأمول ، وهذه الخصال والخيم المرضية يتحلى بها أولئك المكافحون الذين ينحتون فى الصخر على سبيل الاستقامة دون كلل أو ملل أو سآمة .

ولا تكاد تمر فينة من الزمن حتى تتأكد لدى (كاتب هذه الدراسة) هذه العقيدة فتزداد تمكينا ورسوخا لا يزول ولا يحول بحال .

ولئن كانت هذه المناقب قاسما مشتركا بين الجمع الغفير من أولئك الملحوظين المنظورين إلا أن لكل شخصية من الشخصيات جوانب تميز تتفرد بها عن غيرها ، وما هذه إلى تلك إلا كضياء يتميز من ضياء ، سواء من جهة القوة ، أو التأثير أو غير ذلك من الخصال التى نحتبها من الفروق الفردية التى لا بد من وجودها على أى حال .

صديقنا فى هذه الدراسة وصاحبها هو : الأستاذ الدكتور عبدالقادر حسين أستاذ ورئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر . صاحب العديد من المؤلفات والتحقيقات اللغوية والأدبية المنشورة ذات الأهمية العلمية .

هذا العالم يتزيا بخلق طيب ، وعلم واسع ، وأريحية سابغة ، التقيت به لأول مرة عند أحد الأصدقاء وسرعان ما تصافح قلبانا وعرفت للرجل فضله وعلمه وخلقه لأول وهلة ، وهو بتواضعه الشديد المعهود لدى العلماء كان يحسن الظن بى

ويظنني أستاذا للغة العربية فى إحدى الجامعات ، وكنت قد قرأت كل مؤلفاته وتحقيقاته تقريبا لكونى شغوفا باللغة العربية والأدب – ولا سيما – علوم البلاغة .

ولا أعدو الحقيقة إذا ما أكدت أننى كنت رأيته قبل أن ألقاه اللقاء الأول من خلال إعجابى الشديد ، وتقديرى الفائق لجهوده الميمونة فى دراسة وتحقيق أهم مصادر البلاغة لأسلافنا الكرام .

ينتمى الدكتور عبدالقادر حسين إلى أسرة متدينة تعرف حق ربها وحق الناس عليها ... نشأ والداه فى قرية اسمها (كوم أسفحت) مركز أبوتيج بأسيوط .

هذه القرية تميز أهلوها بالنشاط والجد والدأب فى التجارة فى بيع الأسماك ، حتى إنها لظاهرة غريبة حقا أن تشيع وتفشو مقولة ذائعة مفادها ومؤداها أنه ما من بائع أسماك فى حارة أو درب أو عطفة من دروب القاهرة إلا وتجده أسفحتيا أو تيجيا أسيوطيا ، فلا يخرج من غير هذه القرية بحال .

كان والد عبدالقادر – رحمه الله – من كبار تجار الجملة بسوق السمك بباب الحديد ، اشتهر بالأمانة والصدق والتدين ، فأحبه خلق كثير لكونه أمينا فى معاملاته ، صادقا فى أقواله ، كما كان ذا مروءة وفضل .

ولعل الله – تعالى – يريد أن يكافىء هذا الرجل الطيب الصبور المكافح – فيعلى شأنه ويرفع قدره بأن يرزقه من صلبه أبناء بررة مرموقين يحتلون مراكز علمية مشرفة ما بين : أساتذة فى الجامعة وأطباء ومهندسين فقرت عينه بهذا الغراس الطيب والمنفوح به من رب العزة – جل شأنه – .

كان الحاج حسين شديد الشغف والولوع بمصادقة الشيوخ من رجال الدين الأزهريين ، إذ يشعر إزاءهم بعاطفة دافقة ، ومشيج موصول ، ووشيجة حانية ، وآصرة روحية موصولة .

كان من أقرب هؤلاء العلماء الأزهريين إلى قلبه وروحه ووجدانه الشيخ إبراهيم الدويرى الذى تخرج فى الأزهر فى « كلية الشريعة » والذى كان من رفقاء الملك فاروق فى أكثر أسفاره وسياحاته البحرية ، وهو أيضا من قرية « الدوير » التى تجاور قرية أسفحت مركز « أبو تيج » والآخر هو الشيخ سرور الذى كان يعمل بالقضاء الشرعى ، وكان يراه مفتيا قديرا موثوقا به لتبحره فى علوم الشريعة .



ولد عبدالقادر فى أول شهر ديسمبر سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف فى شبرا مصر حيث كان عدن الحاج حسين ومستقره فى ذلك الوقت وقبل أن يبلغ من السنوات ستا من عمره ألحقه أبوه بمدرسة تحفيظ القرآن بجوار المنزل فى أول شبرا وكانت المدرسة فى ذلك الوقت فى المكان المسمى الآن « موقف أحمد حلمى » أمام نفق شبرا وجزيرة بدران .

وما أن بلغ من عمره ست سنوات تماما حتى التحق بالمدرسة فاستظهر فيها القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ثم التحق بالأزهر فأمضى سنوات أربع فى المرحلة الابتدائية وسنوات خمس بالقسم الثانوى .

درس « متن الإيضاح » فى الفقه و « قطر الندى » و « شذور الذهب » فى النحو فى القسم الابتدائى ، وهى مواد شديدة الصعوبة بالنسبة لأفهام

أولئك الصبية فى السن الصغيرة التى لا تكاد تصل إلى أربع أو خمس عشرة سنة .

كانت المناهج قوية تستعجم وتستغلق على استعداداتهم وقدراتهم لأن جرعاتها كثيفة ومعقدة وصعبة الاستيعاب مع مثل هذه الأعمار الصغيرة .

ثم كانت الدراسة الثانوية أيضا قاسية بالغة الصعوبة فهى على ما فيها من غزارة وكثافة إلا أنها كانت تنطوى على فائدة جليلة وعوائد متفوحة ، إذ أنها كانت سببا فى تأصيل وترسيخ وتمكين العلوم الأصيلة فى نفوس الشبيبة فى طوْر من أهم أطوار العمر حيث فراغ البال والتحرر من الهموم والأنكاد وشواغل الحياة التى تهدر من الطاقات ما يكدر الصفو ، ويلفت عن تحصيل العلم .

إن طوْر الحياة الأول بما يكانفه من قوة الصحة والعافية ، وفراغ البال ، وصلابة الشباب هو الأنسب للتحصيل واستظهار العلوم النافعة والثقافات الواسعة ... لذلك فإنه من الظاهر المعلوم أن من ضيع هذه الفترة فى غير العلم يكون قد فاته خير عميم وفضل غزير .

درس عبدالقادر شرح ابن عقيل على الألفية (أقصد ألفية ابن مالك) الشهيرة فى النحو والصرف . كذا درس أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .

ثم كتاب « الاختيار فى تعليل المختار » من كتب الشريعة ، وكتابا بل كتبا عديدة فى التفسير والحديث والمنطق .

فأما علوم البلاغة فكان يدرسها فى كتاب الشيخ حامد عونى المسمى بـ « المنهاج الواضح » تيسيرا للطلاب بدلا من شرح التلخيص لسعد الدين التفتازانى .

ثم حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد ، وكان تفوقه ملحوظا ، ثم التحق بكلية اللغة العربية ، وذلك على الرغم من اشتهاره بين زملائه وأترابه باستظهار الفقه والتبريز فيه ، والتفوق فى استيعابه مما حدا بأضرابه وأترابه إلى تسميته أبا حنيفة ، إذ كان مولعا بالمسائل الفقهية ، ومسايرة الفقهاء فى تعليلاتهم وربط القواعد الفقهية بالقضايا الأصولية ، بيد أن اللغة العربية كانت أشد سيطرة واستيلاء عليه وعلى توجهاته فى ذلك الوقت ، فأفرغ جهده ، وصرف عنايته لينهل من كتب الأدب العربى الحديث ونقده قارئا بل حافظا كل ما يقع فى يديه من : مؤلفات ومصنفات ومحررات أعلام الأدب والفكر ، ولكم كان مأخوذا مشدوها وشديد الإعجاب بمؤلفات بعض الأدباء المعاصرين على الرغم من التباين الظاهر والخلاف الواضح بين كلا الأسلوبين أو بين كلتا المدرستين فى الأسلوب .

ولعل ما تتميز به شخصية عبدالقادر حسين هو أنه بطبيعة تكوينه يحب الوضوح والتيسير والسلاسة مع الرغبة فى التركيز الدقيق المكثف .

تخرج صديقنا فى كلية اللغة العربية وحصل على الشهادة العالية « الليسانس » سنة ستين ، إحدى وستين ، ثم التحق بقسم تخصص التدريس ليحصل على مؤهل تربوى .

ثم حاول العمل بالإذاعة لكن ذلك لم يكن مقدرا له ، لكن تحقيقا لرغبة أبيه فى أن يكون وشقيقه الأكبر أزهريين يعملان بالتدريس أو الوعظ

والإرشاد والإفتاء ـ كان مقسوما له أن تمهد له هذه المهمة .

ثم تعيينه بالأزهر ، فى وقت كان التعيين فيه صعبا وعسيرا شاقا للغاية ، وكان ذلك فى أبريل سنة اثنتين وستين وتسعمائة وألف .

ثم تسلم عمله بإدارة الامتحانات بالأزهر بالقاهرة بجوار مسجد سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ وكان عملا روتينيا بسيطا أفسح له وقتا كافيا للقراءة الواسعة والثقافة العريضة فكان العمل لا يتعدى سويعات .... يقرأ جرائد الصباح ثم يقرأ كتابا ثم يذهب إلى البيت مستمرا ومداوما على القراءة بلا انقطاع لا يعوقه ولا يلفته عنها عائق ، ولا لائت ، يقرأ بحب وشغف كل ما تصل إليه يده من فن أو علم أو أدب أو فلسفة أو منطق سواء أكان المصنف قديما أم حديثا .

ثم أعير سنة أربع وستين وتسعمائة وألف إلى « اليمن » للتدريس بالمعهد الديني بصنعاء وكان هذا الانتداب أو الإعارة متزامنا مع دخول القوات المصرية اليمن فى الحرب المعروفة وقت ذاك .

ثم تنقضى ثلاثة أعوام تقريبا ويزمع العودة أدراجه إلى مصر ، لكن فى يوم تاريخى مشهود ، فى يوم أيوم شديد الوطأة على مصر وعلى بنيها ومحبيها من كل طبقة ومن كل طائفة ، كان يوم النكسة الكبرى ـ لا أعادها الله ، بلطفه وكرمه ـ فى الخامس من يونيو سنة سبع وستين وتسعمائة وألف ، فتوقف الطيران الخارجى ، وحال دون العودة إلى القاهرة فعاد المسافرون أدراجهم مرة أخرى إلى صنعاء .

وفى سنة سبع وستين وتسعمائة وألف للميلاد حصل الدكتور عبدالقادر حسين على الماجستير من قسم البلاغة والنقد ثم سجل لدرجة الدكتوراه برسالة عنوانها :

« أثر النحاة فى البحث البلاغى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى » .

ثم تزوج بحفيدة الشيخ على سرور الزنكلونى عضو هيئة كبار العلماء ـ رحمه الله عز وجل ـ عام تسعة وستين ، وأنجب ثلاثة أبناء ذكور وبنتين .

ثم حصل الدكتور عبدالقادر على درجة الدكتوراه فى البلاغة بمرتبة الشرف الأولى فى الحادى عشر من أغسطس سنة سبعين وتسعمائة وألف تبعا للنظام الحديث الذى استقل بشعبة البلاغة بعد أن كانت البلاغة والأدب شعبة واحدة ؛ فانفصلت إحداهما عن الأخرى .

كانت الرسالة موضوعا فريدا حيث تناولت وانتظمت الدراسات البلاغية منذ الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة ، ومرورا بسيبويه « صاحب الكتاب » المتوفى سنة ثمانين ومائة ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأديب الفقهاء وفقيه الأدباء ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، والمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، وأحمد بن يحيى ثعلب صاحب « الفصيح » المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، والرمانى المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ، وابن جنى صاحب « الخصائص » المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، وابن فارس صاحب معجم « مقاييس اللغة » المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، وكان مسك الختام بالإمام شيخ البلاغة والبلاغيين فى أوائل القرن الخامس الهجرى عبدالقادر الجرجانى المتوفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ،

وهو صاحب « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » وصاحب نظرية النظم ، فصار صاحبنا ذا باع طويل فى النقد الحديث .

ثم عُيّن مدرسا للبلاغة والنقد بكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف بمدينة نصر ، وقام بالتدريس لمادة البلاغة : بلاغة القرآن الكريم والحديث النبوى .

ثم أعير إلى جامعة قطر سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف ثم بعد فترة يعود مرة أخرى إلى جامعة الأزهر وإلى مصر العزيزة .

من أهم مؤلفات الدكتور عبدالقادر حسين فى علوم البلاغة الثلاثة (المعانى ـ البيان ـ البديع) هذه الكتب :

- أثر النحاة فى البحث البلاغى .
- القرآن الكريم إعجازه وبلاغته .
- القرآن والصورة البيانية .
- فن البلاغة .
- فن البديع .
- من بلاغة النبوة .
- الرسول واعظا بليغا .
- المختصر فى تاريخ البلاغة .
- تيسير نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز .
- من علوم القرآن وتحليل نصوصه .
- قصار السور نظرات وتأملات .
- أضواء بلاغية ـ جزء الذاريات .
- النفس القلقة والمطمئنة ـ قصة سيدنا موسى .
- دراما الحسد والغيرة ـ قصة سيدنا يوسف .
- نصوص من القرآن الكريم .
- مختارات من الشعر العباسى .
- دعاء الأنبياء والصالحين :

الكتب المحققة

من الكتب المحققة فى علم البلاغة وهى تنتظم أيضا العلوم الثلاثة من : معان وبيان وبديع :

- أصول البلاغة لكمال الدين ميثم البحرانى .
- مقدمة شرح نهج البلاغة ـ كمال الدين ميثم البحرانى .
- الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة للقاضى الجرجانى .
- خلاصة المعانى ـ الحسن بن عثمان المفتى .
- الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى تحت الطبع .

ثم أخيرا كتاب « الإكسير فى علم التفسير » للطوفى البغدادى .

ولا يزال أملنا ورجاؤنا معقودا على تقديم المزيد والمزيد من الغراس الطيب فى هذا المجال المورود ؛ فإن البلاغة وما تحوى وتنطوى عليه إنما تساير الطبيعة العربية المفطورة على الرقة الوجدانية وشدة الرهافة الحسية ، ودقة الشعور الذى يختلج بالأحرف والكلمات جرسا وإيقاعا ، بل إن مجازات العربية وعمق دلالاتها واستعمالاتها لهو خير دليل على أن اللغة العربية ثروة سخية ، وقد سألنا الله ـ تعالى ـ كما نسأله دائما أن يكتب لها دوام العزة والتمكين فى نفوس أبنائها البررة ويكتب لها الازدهار ودوام الترقى على يد أبنائها المخلصين المطبوعين على حبها والإخلاص لها مثل الدكتور عبدالقادر حسين الذى نراه قادرا بإذن الله على إعطاء وإسداء الجليل والمفيد النافع فهو بكل فضل جدير .

والحمد لله رب العالمين ..





على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من أهم روافد الإشعاع الثقافى .. ومجلة الأزهر إيمانا منها بأهمية الدور الذى يؤديه الكتاب تقدم هذا المقال الذى يعرف ببعض الكتب بعنوان « دوحة الكتب ».

نقدمها دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة نود منها تعريف القارىء بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية والله الموفق.

المحرر

جوامع الدعاء من القرآن والسنة

للإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦

الناشر / دار نهضة مصر

الدعاء ملاذ كل مكروب ، وأمل كل خائف ، وراحة كل مضطرب ، به يجأر الإنسان إلى خالقه فى كل وقت ـ لا سيما عندما تشتد الكروب وتنقطع الأسباب وتعجز الحيل ، فيشعر بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية .

ومن هنا يكتسب مؤلف فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى أهميته .

يقع الكتاب فى مئتى صفحة من القطع الصغير .

فى المقدمة تناول فضيلته الجوانب الروحية فى الإسلام وقسمه فضيلته إلى ثلاثة عشر فصلا : فى

الفصل الأول حاجة الإنسان إلى الدعاء ثم الفصل الثانى فضل الدعاء .

وأعظم ما تضمنه هذا الكتاب هذه النماذج من الداعين : منهم الصالحين : ومنهم المصطفين الأخيار .

ثم انتقل بنا فضيلته إلى الفصل الثالث حيث عدد لنا أوقات الدعاء وأشار فى الفصل الخامس إلى شروط الدعاء .

ثم قدم لنا فى الفصول الباقية : نماذج من الدعاء من القرآن ثم دعاء الرسل والأنبياء وقد اختار لجوامع الدعاء من القرآن والسنة فى أكثر من سبعة وعشرين آية ثم الأدعية المأثورة فى أحوال مختلفة كأدعية : اليوم والليلة والنوم واليقظة والصباح والمساء ، ثم صلاة الاستخارة ودعاءها ، حتى وصل بنا إلى أدعية المرض والموت وما يتعلق بهما واختتم فضيلته جوامع الدعاء بخاتمة طيبة بها ما ينفع الناس وخلاصة هذا المؤلف أنه إشعاع نورانى يصل بين العبد وربه .

حوى الكثير من مفهوم الدعاء ، ونماذج خالصة من الأدعية القرآنية والنبوية والأدعية المختلفة .

الأسوة الحسنة

طائفة من الأحاديث الصحاح لرسول الله ﷺ تأليف د./ عبدالفتاح اسماعيل شلبى - الناشر مكتبة مصر طبعة ١٩٩٦ .

والكتاب فى جزأين يقع كل جزء فى ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

فى المقدمة عرض المؤلف تعريفاً لكتاب « جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ الذى جمعه الإمام أبو السعادات ابن الأثير الجزرى وكان هذا الكتاب هو المصدر الأول الذى اعتمد عليه الدكتور عبدالفتاح شلبى فى دراسته ، ولذا فقد قدم إشارة مجملة لما وضعه ابن الأثير الجزرى فى كتابه ، وذلك لبيان صحة ما فى هذا الكتاب من أحاديث رواها الثقات من الأئمة المحدثين أصحاب السنن الصحاح ، واهتم المؤلف بالروايات التى أوردها الإمام الثبت الحافظ أبى داود فى كتاب السنن ، وجعل من الدراسات التى قام بها الأئمة الأعلام حوله مثل كتاب مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى ، ومعالم السنن لأبى سليمان الخطابى ، وتهذيب الإمام ابن قيم الجوزية ، جعل من هذه الدراسات مصدره الثانى - حسب قوله - وقدم المؤلف كلمة موجزة عن الأئمة : مالك ، والبخارى ، ومسلم ، وأبى داود والترمذى ، والنسائى ، والذين جمع عنهم ابن الأثير مادة كتابه « جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ » .

ثم قام المؤلف بعرض قطوف من كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذى ، وأخرى من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض .

ثم عرض الدكتور عبدالفتاح شلبى مختاراته التى انتقاها من كتاب « جامع الأصول من الأحاديث الصحيحة ، المروية عن رسول الله ﷺ ، وهى تمثل جانباً من جوانب البر والآداب ومكارم الأخلاق ، هادفاً - أى المؤلف - إلى إصلاح الجانب الإنسانى فى حياة المجتمع وإصلاح الجانب الخلقى عند الأفراد ، والمجتمعات .

الإسلام والسياحة

هذا الكتاب يقع في ٩٠ صفحة من القطع المتوسط ويعتبر من الكتابات النادرة التي تتحدث عن الإسلام وارتباط السياحة به ، وهو يصحح المفهوم السائد في العالم حالياً من أن السياحة صناعة لا تقوم إلا على مقترحات ومفاهيم تخالف الشريعة الإسلامية .

وبما أن السياحة نشاط اقتصادي واجتماعي يؤرخ له المهتمون بهذه الصناعة فإنه بدأ منذ فجر التاريخ وأصبح ظاهرة اجتماعية لنشاط الإنسانية في مختلف العصور تقريباً .

وقد تم عرض مفهوم السياحة الدينية والسياحة التاريخية في إطار الالتزام بالكتاب والسنة ليتبين لنا أنه الحق وأن ما عداه باطل .

يتناول الدكتور عبدالعظيم في الفصل الأول تحديد الهدف المطلوب إشباعه كنتاج للسياحة كما بينها الكتاب والسنة .

ثم تناول في الفصل الثاني تصحيح المقولات والمفاهيم السائدة والمنقولة عن مجتمعات وجماعات لا هدف لها إلا تقويض الحضارة الإسلامية .

وأشار أيضاً في الفصل الرابع إلى خطوات الإصلاح لهذا النشاط بما يحقق رضا الله ، ومن ثم النجاة من شقاء الدنيا وضيق الحياة وحرجها وضنكها .

وفي الفصل الخامس يضع المؤلف التصور لتعاون سياحي بين الدول الإسلامية والعربية على مستوى العالم ويمتد بجذوره إلى الجماعات المسلمة في جميع الدول ليظل بفروعه على المسلمين جميعاً ويشملهم بظله بعيداً عن هوى النفس وتزيين الشيطان وبهذا ؛ فإن المؤلف قد قام جاهداً بتفسير كل الأخطاء عن هذا المفهوم مبيناً ، أن الالتزام بالإسلام إطار للسياحة يحقق الرغبة .

اغتيال نهر النيل

المؤلف / ناصر فياض

يقع المؤلف في ٩٥ صفحة من القطع الصغير هذا الكتاب يتناول أخطر القضايا التي يواجهها نهر النيل بعد أن واصل الأحفاد إهانته ، بإلقاء آلاف الجثث ومخلفات الصرف الصناعي والزراعي والآدمي داخله ، وأصبح شبح الموت والتلوث يهدد كل كائن حيّ يعيش على ضفافه .

يتعرض الكتاب لمنابع النيل ومحاولات اكتشافها ثم يتحدث المؤلف عن التعديات التي وقعت على النهر ومستقبله بعد إنشاء السد العالي .

ويتناول قصة الصراع السياسي حول النيل ، ويشرح كيف تحول كوب الماء الصافي ، إلى كوب يحتوي على مائة عنصر كيميائي تمثل خطراً داهماً على صحة الإنسان .

سلسلة الأطفال العلمية

لكل سؤال جواب

تأليف : كاتي سميث

تحت هذا العنوان صدرت سلسلة كتيبات تخاطب الطفل ، وتطرح تساؤلات مبسطة في شتى جوانب العلم والمعرفة : وتقدم عنها أيضاً إجابات بشكل يتلاءم مع المستوى العقلي والاستيعابي للطفل ويتلاءم مع المستوى السني له ويجعله يتعرف على وظائف الجسم البشري ، وعالم الحيوان ، والاختراعات العلمية ، والظواهر الكونية من زلازل وبراكين وغيرها من عالم المعرفة للطفل ... إلخ .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

ذلك الشهر الفضيل

بعد انتظار طويل امتد أحد عشر شهرا ، يظلنا شهر فضيل ، ينعم الله فيه على عباده بالخير ومضاعفة الحسنات ، كما أنعم عليهم بنزول القرآن فيه : هاديا ومرشدا ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ـ تعالى ـ وليتخذوه قائدا لهم إلى الصراط المستقيم ، صراط الله العزيز الحميد.

وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ..

ذلك شهر رمضان الذى قال عنه الحق تبارك وتعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ سورة البقرة ـ آية : ١٨٥

وعن الصيام أرسل إلينا القارىء .. مصطفى محمد سليمان .. سوهاج ـ مدينة المراغة ش آل رشوان .. هذه الكلمة تحت عنوان :

الصيام حافز على زيادة الإنتاج

يحتفل المسلمون بشهر الصوم احتفالا يليق بهذا الشهر العظيم ، بما يقدمون فيه من عمل صالح يتقربون فيه إلى الله ـ وقاية لهم من النار ، ومنجاة يوم يمثلون بين يدى ربهم ، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فحينما يهل شهر رمضان تراهم فى النهار ممسكين

عن الطعام والشراب وإذا ما أقبل الليل تراهم طاعمين شاربين يرطبون ألسنتهم بالذكر الحكيم ، ويدعون ربهم رغبا ورهبا ، وحينما أمر الله ـ تعالى ـ عباده بالصيام ، لم يرد أن يحبسهم عن أعمالهم الدنيوية طوال نهارهم ؛ لأنهم صائمون .

إن الإسلام يدعو إلى السعى والعمل وترك البطالة والكسل ، فالصيام يجعل المؤمن خفيف الجسم ، سريع الحركة ، لا يشكو من التخمة ولا من ثقل المعدة ، فهو خفيف الجسم ، نشيط فى أداء عمله ، وقد قالوا : المعدة بيت الداء .

إن المسلم الذى يعى جوهر الإسلام لا يتخذ من الصوم ذريعة إلى القعود عن العمل ، بل يتخذه وسيلة إلى مواصلة السعى والكفاح من أجل زيادة الإنتاج ، جاعلا أمامه قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

سورة الكهف ـ آية : ٣٠

وليس الصيام مدعاة لأن يغير بعض الناس آية الله فى الليل والنهار فى شهر رمضان ، فينام النهار أو أكثره ، ويترك عمله ويكسل عن تحصيل رزقه ويسهر الليل أو معظمه ، فهؤلاء لا يستفيدون من الصيام الفائدة المرجوة منه ، لقد جعل الله النهار للمعاش وتحصيل الرزق فى رمضان وغير رمضان ، وجعل الليل لراحة الأبدان فى رمضان وغيره .. قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ .

سورة النبأ ـ آية : ١٠ ، ١١

إن العبادات كلها تدعو إلى الحركة والنشاط ، فالصلاة فيها ما فيها من حركة : قيام وركوع وسجود وحركات متكررة .

والزكاة ... تتطلب الحصول على المال أولا وما يتطلبه من سعى للحصول عليه ، ثم إخراج زكاته .

والحركة فى الحج واضحة فى الانتقال إلى أماكن المشاعر ، وتأدية المناسك من طواف وسعى .... الخ .

فالحركة أساس فى حياة المسلم ، فكيف يتخلى عنها فى الصيام من أجل الراحة .

علينا أن نحافظ على فريضة الصيام ، وفى نفس الوقت نؤدى أعمالنا على خير وجه ، ففى ذلك محافظة على قيمة العمل وزيادة الإنتاج ؛ حتى نعيش أعزة أحرارا فى مجتمع حر قوى عزيز .

كلمات

القارئة : أم هاشم حسين يوسف ـ إسنا ـ الزاوية البيضاء ـ بالقسارية ـ طالبة بالمعهد الأزهرى :

ترسل القارئة تحت عنوان « كلمات » تقول :

قال الإمام جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ :

عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع :

عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن قوله ـ تعالى ـ :

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ ١٧٣

سورة آل عمران

● وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس به كيف يغفل عن قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ .

سورة غافر ـ آية : ٤٤

● وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن قوله ـ تعالى ـ :

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

سورة الأنبياء ـ آية : ٨٣

● وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف يغفل عن قوله ـ تعالى ـ :

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ٨٧

ردود سريعة

القارىء .. د . أحمد عبدالرحمن عطا الله ـ طبيب بمحافظة كفر الشيخ ـ مطوبس ـ منية المرشد :

اقتراحكم تخصيص باب للمرأة بمجلة الأزهر وكذا إصدار كتيبات خاصة بالأطفال على شاكلة ما تصدره بعض المجلات الإسلامية اقتراحات طيبة .. نرجو أن يتوفر لها نصيب جيد من البحث ، حتى تبدأ وتستمر .

ونشكر لكم هذا الإرشاد الواعى وهذا الأدب الجم فى النصح إلينا ، وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه خير المسلمين .

القراء ـ محمد إبراهيم أبو الغيط ـ الشرقية ـ فاقوس ـ العزازى :

ـ محمود منير عبدالوهاب بشر ـ كوم النور ـ ميت غمر ـ دقهلية .

ـ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الشيخ ـ بيلا ـ كفر الجرايدة .

ـ محمد خيرى أبوسريع ـ قرية يعقوب ـ البلينا ـ سوهاج .

حولنا استفساراتكم إلى لجنة الفتوى بالأزهر وعليكم متابعة الرد فى باب « استفتاءات القراء » فى الأعداد القادمة بإذن الله .

● **كذلك تشكر المجلة للقارىء الفاضل ... ملاحظاته على ما ورد من أخطاء .. نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تجنبها مكررين الشكر له على ما تفضل به من تصحيح فى أدب جم زادنا الله ـ تعالى ـ وإياه من فضله .**

من إبداعات القراء :

شهر الصيام

شهر الصيام بشارة وهداية … شهر الصيام منارة الرحمن
كتب الإله صيامنا كأمانة … وسعادة للروح والأبدان

يا صائم الشهر الكريم مودة … ومحبة للقلب والوجدان
تدعو وتركع خاشعا متهجدا … عند الصلاة ومخلصا بأمان

ترجو النجاة تعبدا برَحَابَةٍ … تعلو إلى الجنات بالغفران
تمسي وتصبح هائما وبغايةٍ … لله للغفار للديان

تعطي وتمنح رحمة بسخاوة … من خير فضل الله باطمئنان
لله دُرُّك صائما لحماية … ولجُنَّةٍ للروح من شيطان

لله .درك صائما بإرادة … وعزيمة الإخلاص بالفرقان
فاشكر إلهك راضيا متضرعا … ولنعمة الإسلام والإيمان

واهنأ برزق الله عند مغارب … واحفظ قيام الليل بالإحسان
واهنأ بحب الناس عند مساجد … بمآدب الرحمن للجوعان

واصعد بود الخلق كل دقيقة … بسخاوة للبائس الظمآن
وافرح بشهر النصر عند شدائد … بشجاعة الأبطال في الميدان

واسعد بوعد الحق عند قيامه … وبروعة الجنات من رضوان
وبليلة التنزيل من قرآنه … وزكاة فطر العون للحيران

شعر : حبشي حسين حسين
رئيس أقسام بالتعليم وخطيب الأوقاف ـ طنا ، ببا ، بني سويف

من إبداعات القراء



الكوكب الساري

فى مناسبة حضور فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر للاحتفال بافتتاح بعض المعاهد الأزهرية ببلدة صراوة وكفر صراوة ، ألقت الشاعرة نورة نافع هذه القصيدة احتفاء بفضيلة الإمام الأكبر ، تقول فيها :

مسّى العيـــون بماء الكوثـــر الجارى ... ثم انتقى من جميل القـــول واختـــارى
يا دار ولتسجـــدى لله واذكـــرى ... فكـــــم همت رحمة من فيض تذكار

هلـــوا علينـــا حماة الديـــن فانتبهى ... واحـــنْ الجبين بإجـــلال وإكبـــار
تيجـــان إسلامهـــم بيضاء زاهـــرة ... من نور أزهرنـــا المحفـــوف بالغـــار

يا دار فاشتــــــمل بالشال فى ورع ... لما تضمــــــنت من بر وإبـــــرار
فإن تقـــدم هذا الحشـــد سيدنـــا ... أمـــا تريـــن هذا الكـــوكب السارى

روح بها رحمة الإسلام وادعـــــــة ... تسقـــى التعـــاليم مقـــدارا بمقـــدار
نفسى ترف عبيرا حول مجلسه ... كأنما روضٌ حفت بأزهـــــــــار

إمامنـــا قد حبوتْ الـــدار مكرمـــة ... أفياؤهـــا قد أظلـــت ساكـــن الـــدار
إن قمت أسطـــر بعضا من مآثـــركم ... ترى سيسعفنـــى كفـــى وأحبـــارى

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

استقبالات الإمام الأكبر

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى بمكتبه صباح الثلاثاء ١٩٩٦/١٢/١٠ وفد ماليزيا برئاسة السيد/ داتو رحمت بن عبد الرحمن مدير الشئون الإسلامية بولاية جوهر الماليزية .

فى البداية قدم الوفد التحية والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر باسم الحكومة والشعب الماليزى على ما يقدمه الأزهر الشريف لماليزيا من منح دراسية لتعليم أبناء الشعب الماليزى وامدادهم بالعلماء والدعاة .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالوفد قائلا : « إن الأزهر لا يدخر وسعاً فى تلبية طلبات جميع أبناء المسلمين من العالم الإسلامى والشعب الماليزى خاصة ، وستكون كل الطلبات محل عناية » .

وفى النهاية قدم الوفد دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ماليزيا حيث رحب فضيلته بهذه الدعوة ، ووعد بتلبيتها فى الوقت المناسب .

• التقى فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم ١٩٩٦/١٢/١٧ بقاعة المؤتمرات بإدارة الأزهر الشريف بضباط الشرطة من دولة البوسنة والهرسك الذين قدموا للحصول على دورة تدريبية « بأكاديمية « الشرطة – بوزارة الداخلية – وشهد اللقاء اللواء دكتور أحمد ضياء الدين مساعد وزير الداخلية ومدير كلية الشرطة ووفد من « الأكاديمية » ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بأعضاء الوفد وألقى فيهم محاضرة أوضح فيها سماحة الدين الإسلامى وعلاقته بالأديان الأخرى وألقى الضوء على أركان الإسلام مشيدا بكفاح شعب البوسنة والهرسك تجاه قضية تحرير أراضيهم ومشيداً كذلك بالدور الكبير الذى يقوم به الرئيس على عزت بيجوفيتش رئيس دولة البوسنة والهرسك فى سبيل اعادة الأراضى البوسنية والدفاع عن الأرض والعرض ، ووجه فضيلته الشكر لكل الشعوب التى ساندت البوسنة والهرسك فى حل قضيتها وإعادة أراضيها المغتصبة .

وفى نهاية كلمته قال فضيلته : « إن الأزهر الشريف بمعاهده المختلفة التى تصل إلى (٦٠٠٠) ستة آلاف معهد ، وجامعة تضم أكثر من (٦٠) ستين كلية ، يسره كل السرور أن يستقبل أبناء البوسنة والهرسك الراغبين فى الدراسة بالأزهر الشريف ، ودعا فضيلته لهذا الشعب المكافح العظيم بكل التقدم والرخاء .

كما تحدث السيد اللواء/ أحمد ضياء الدين مساعد وزير الداخلية ومدير كلية الشرطة ، وشكر فضيلة الإمام الأكبر على استجابته الفورية للقاء هؤلاء الضباط ولإلقاء هذه المحاضرة وقدم لفضيلته تحيات السيد اللواء حسن الألفى وزير الداخلية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٦/١٢/١٨ الدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا والوفد المرافق لسيادته .

وفى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق لسيادته ونقل الضيف لفضيلته تحيات العقيد معمر القذافى وتحيات حكومة وشعب ليبيا الشقيق ، وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف تجاه القضايا الإسلامية المعاصرة كما أشاد الوزير بفاعلية الفتاوى الصادرة عن شيخ الأزهر خاصة فتوى منع تحريم عمل المرأة التى قوبلت بارتياح شديد فى ليبيا وأضاف الوزير أن الأزهر قلعة الإسلام الحصينة فى العالم كله ، مشيراً إلى أن آراء علماء الأزهر الشريف تتسم بالاعتدال والموضوعية .

وقد قدم الضيف لفضيلة الإمام الأكبر نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإيطالية وطلب مشاركة الأزهر الشريف فى مراجعتها وإعداد تقرير عنها .

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على هذا المطلب وأمر بتشكيل لجنة من المتخصصين بمجمع البحوث الإسلامية لمراجعة النسخة وكتابة التقرير المطلوب عنها .

وفى نهاية اللقاء وجه الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ليبيا فى الوقت الذى يحدده فضيلته ، شهد اللقاء فضيلة أمين عام مجمع البحوث الإسلامية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الخميس ١٩٩٦/١٢/٢٤ السيد السفير/ منصور عالم سفير باكستان بالقاهرة وقد تناول اللقاء دعوة علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر بكتابة بحوث تدور حول « إعداد الإسلام للقرن الحادى والعشرين » وهو موضوع ومنهج مؤتمر القمة الإسلامى الذى سيعقد فى إسلام آباد فى مارس ١٩٩٧م ، وذلك لإسهام الأزهر الشريف وجامعته باعتبارها أقدم جامعة إسلامية فى العالم .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر معالى السيد/ خليفة سالم مفتاح وكيل وزارة التربية والتعليم والثقافة بدولة قطر الذى نقل لفضيلته تحيات سمو أمير دولة قطر وتحيات وزير التعليم القطرى .

تم خلال اللقاء بحث مطابقة المناهج القطرية لمناهج الأزهر الشريف ، وأخبره فضيلة الإمام بأن هذه المناهج تم مراجعتها عن طريق اللجنة

المتخصصة بالأزهر وتمت الموافقة عليها وسترسل بالطرق الدبلوماسية .

شهد اللقاء المستشار الثقافى لسفارة قطر بالقاهرة وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة مدير عام العلاقات العامة والإعلام .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٦/١٢/٢٤ السيد السفير/ محمد الأمين اليمنى سفير جزر القمر فى القاهرة وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول العلاقات بين الأزهر وجزر القمر ، وقد نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات فخامة الرئيس/ محمد تقى عبدالكريم الرئيس المنتخب بدولة جزر القمر ، وقد تقدم فضيلة الإمام الأكبر للضيف بالشكر على هذه الروح الطيبة .

كذلك تقدم الضيف بوافر الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يبذله الأزهر من منح دراسية ومساعدات لطلاب جزر القمر للدراسة بالأزهر الشريف وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير إبلاغ تحياته وشكره للسيد الرئيس/ محمد تقى عبدالكريم رئيس دولة جزر القمر .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٦/١٢/٢١ السيد السفير/ ياشار ياقيش/ سفير تركيا فى القاهرة والوفد المرافق لسيادته .

نقل الضيف فى بداية اللقاء لفضيلة الإمام الأكبر تحيات فخامة رئيس تركيا ومعالى رئيس الوزراء .

تناول اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة تركيا الإسلامية الشقيقة وما تم من محادثات خلال زيارة رئيس وزراء تركيا لمصر مؤخرا وما تضمنه اللقاء الذى جمع بينه وبين فضيلة الإمام الأكبر من طلب زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب تركيا للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وإمدادها بعلماء الأزهر الشريف لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وذلك لما للأزهر من دور بارز على مستوى العالم .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف الكبير على الروح الطيبة والمشاعر النبيلة التى يكنها شعب تركيا الشقيق تجاه الأزهر الشريف .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سامى الشعراوى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية ومدير عام العلاقات العامة والإعلام .

● عقد المجلس الأعلى للأزهر اجتماعاً برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، وذلك يوم ١٩٩٦/١٢/٢١ حيث وافق المجلس على عدة موضوعات منها :

ـ إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم مركز جامعة الأزهر للبحوث واستخدام « الليزر » فى أمراض « الأنف والأذن والحنجرة » .

ـ إنشاء فروع لجامعة الأزهر بمحافظتى المنوفية وقنا .

ـ تعديل تسمية قسم الدعوة بكليات أصول الدين والدعوة ليصبح قسم الدعوة والثقافة الإسلامية .

– تعديل تسمية « وحدة دلالات الأورام السرطانية » بقسم « الكيمياء الحيوية » بكلية الصيدلة – جامعة الأزهر بالقاهرة لتصبح « مركز أبحاث دلالات الأورام السرطانية » بجامعة الأزهر وتعديل تشكيل مجلس إدارة المركز .

الموسم الثقافى للأزهر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الموسم الثقافى للمشيخة بقاعة محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف ، وألقى فضيلته المحاضرة الأولى ، وكانت عن « المعاملات فى الإسلام » وستوالى مجلة الأزهر – بمشيئة الله تعالى – نشر هذه المحاضرات بملاحقها .

شهد حفل الافتتاح الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب والدكتور محمد حمدى زقزوق وزير الأوقاف ووزراء المالية والاقتصاد والتخطيط ومفتى الجمهورية ورئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة وكيل الأزهر ولفيف من العلماء ورجال الاقتصاد والبنوك وأساتذة الجامعة الأزهرية وطلابها .

معاهد منضمة

● أصدر الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء قرارا بضم المعاهد الأزهرية الآتية للأزهر الشريف وبعد موافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك بالقرار رقم ٤٩٧ لسنة ١٩٩٦ :

– معهد السلامية الابتدائى – مركز أجا – محافظة الدقهلية .

– معهد كفر الأمير عبدالله بن سلام الابتدائى – مركز تمى الأمدية – محافظة الدقهلية .

– معهد فتيات منشأة البدوى الاعدادى – مركز طلخا – محافظة الدقهلية ، المقام أعلى المعهد الابتدائى المنضم للأزهر بالقرار رقم ٣٨٤ (أ) لسنة ١٩٩٤ .

– معهد فتيات ظفر الاعدادى – مركز تمى الأمدية – محافظة الدقهلية ، المقام أعلى المعهد الابتدائى المنضم للأزهر بالقرار رقم ٣٩ (أ) لسنة ١٩٩٠ .

– معهد بندق الابتدائى – مركز منيا القمح – محافظة الشرقية .

– معهد العرين الابتدائى – مركز فاقوس – محافظة الشرقية .

– معهد ميت ركاب الاعدادى للبنين – مركز الزقازيق – محافظة الشرقية ، المقام أعلى المعهد الابتدائى المنضم للأزهر بالقرار رقم ١٦ (أ) لسنة ١٩٩٦ .

– معهد المطاوعة الابتدائى – مركز ههيا – محافظة الشرقية .

– معهد الشيخ ابراهيم يونس الابتدائى بالدميين مركز فاقوس – محافظة الشرقية .

– معهد فتيات المناصرة الإعدادى – مركز مشتول السوق – محافظة الشرقية .

– معهد شلقان الإعدادى للبنين – مركز طوخ – محافظة القليوبية .

– معهد فتيات الحدين الإعدادى – مركز كوم حمادة – محافظة البحيرة .

– معهد كفر زيادة الابتدائى – مركز كوم حمادة – محافظة البحيرة .

ـ معهد زهرة القبلية الإعدادى للفتيات ـ مركز دمنهور ـ محافظة البحيرة .

ـ معهد سنطيس الابتدائى مركز دمنهور ـ محافظة البحيرة .

ـ معهد المنشية الشرقية الابتدائى ـ مركز ومحافظة كفر الشيخ .

ـ معهد الراهبين الابتدائى ـ مركز سمنود ـ محافظة الغربية .

ـ معهد دنوشر الثانوى للبنين ـ مركز المحلة الكبرى ـ محافظة الغربية ، المقام أعلى المعهد الاعدادى المنضم للأزهر بالقرار رقم ٣٤٣ (أ) لسنة ١٩٩٤ .

ـ معهد المرحوم/ نبيل زكى القطان الإعدادى للفتيات بناحية شنشور مركز أشمون ـ محافظة المنوفية .

ـ معهد محمد رجب الابتدائى بناحية خورشيد ـ مركز الرمل ـ محافظة الاسكندرية .

ـ معهد دندرة الابتدائى ـ مركز ومحافظة قنا .

ـ معهد الحميدات الابتدائى ـ مركز ومحافظة قنا .

ـ معهد نجع حماد الابتدائى بناحية الملاحة قبلى ـ مركز البياضة ـ محافظة قنا .

ـ معهد دروة الابتدائى بناحية دروة ـ مركز ملوى ـ محافظة المنيا .

ـ معهد طرابما الابتدائى ـ مركز دمنهور ـ محافظة البحيرة .

ـ معهد بنى حسن الشروق الابتدائى بناحية بنى حسن الشروق ـ مركز أبوقرقاص ـ محافظة المنيا .

ـ معهد أولاد يحيى بحرى الابتدائى ـ مركز دار السلام ـ محافظة سوهاج .

ـ معهد تندة الإعدادى للبنين بناحية تندة ـ مركز ملوى ـ محافظة المنيا .

ـ معهد الخصوص الإعدادى للبنين ـ مركز الخانكة ـ محافظة القليوبية .

وقد سبق ضم المعاهد التالية بقرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٤٥ (أ) لسنة ١٩٩٦ وهى :

١ ـ معهد ميت تمامة الابتدائى ـ مركز منية النصر بمحافظة الدقهلية .

٢ ـ معهد بساط الابتدائى ـ مركز طلخا ـ محافظة الدقهلية .

٣ ـ معهد فتيات شبرا هور الإعدادى ـ مركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية ، المقام على جزء من أرض المعهد الابتدائى السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٣٩ (أ) لسنة ١٩٩٠ .

٤ ـ معهد شوشاى الابتدائى ـ مركز أشمون بمحافظة المنوفية .

٥ ـ معهد الشيخ هلال حسن سالمان الابتدائى بناحية كفر عشما ـ مركز الشهداء بمحافظة المنوفية .

٦ ـ معهد خرسيت الابتدائى ـ مركز طنطا بمحافظة الغربية .

٧ ـ معهد كفر شبرا اليمن الابتدائى ـ مركز زفتى بمحافظة الغربية .

٨ ـ معهد سخيم الابتدائى ـ مركز السنطة بمحافظة الغربية .

وكذلك المعاهد التالية بالقرار رقم ٣٨٧ (أ) لسنة ١٩٩٦ :

ـ معهد الدير الابتدائي ـ مركز أجا محافظة الدقهلية .

ـ معهد طنيخ الابتدائي ـ مركز طلخا محافظة الدقهلية .

ـ معهد الحاج منير محمد اسماعيل الإعدادى للفتيات بقرية ميت عاصم ـ مركز منية النصر محافظة الدقهلية .

ـ معهد المحمدي الابتدائي بناحية السنانية ـ مركز ومحافظة دمياط .

ـ معهد الأخوة الابتدائي ـ مركز الحسينية محافظة الشرقية .

ـ معهد القطاوية الإعدادى للبنين ـ مركز أبوحماد محافظة الشرقية ، المقام على أرض المعهد الابتدائي السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٧٣ (أ) لسنة ١٩٩٤ .

ـ معهد كراديس الإعدادى للفتيات ـ مركز ديرب نجم محافظة الشرقية .

ـ معهد بنى صريد الإعدادى للفتيات ـ مركز فاقوس محافظة الشرقية .

ـ معهد عبادة الإعدادى للفتيات بقرية ميت زافر ـ مركز الزقازيق محافظة الشرقية .

ـ معهد الأسدية الثانوى للفتيات ـ مركز أبوحماد محافظة الشرقية ، المقام أعلى المعهد الإعدادى للفتيات السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٩٢ (أ) لسنة ١٩٩٣ .

ـ معهد عبادة الثانوى للبنين بناحية مشتول القاضي ـ مركز الزقازيق محافظة الشرقية .

ـ معهد الغرق الإعدادى للبنين ـ مركز أطسا محافظة الفيوم .

ـ معهد جزيرة تكلا الابتدائي ـ مركز شبراخيت محافظة البحيرة .

ـ معهد محلة فونوى الإعدادى للبنين ـ مركز شبراخيت محافظة البحيرة ، المقام أعلى المعهد الابتدائي السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٥٨ (أ) لسنة ١٩٩٥ .

ـ معهد صخراط الإعدادى للفتيات ـ مركز الرحمانية محافظة البحيرة .

ـ معهد الكفر البحرى الابتدائي ـ مركز قلين محافظة كفر الشيخ .

ـ معهد الخادمية الثانوى للفتيات ـ مركز ومحافظة كفر الشيخ ، المقام أعلى المعهد الإعدادى للفتيات السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٤٦ (أ) لسنة ١٩٩٠ .

ـ معهد المعتمدية الإعدادى الثانوى للبنين ـ مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية .

ـ معهد أبو شوشة الإعدادى للبنين ـ مركز أبوتشت محافظة قنا .

ـ معهد أولاد نجم الإعدادى للبنين ـ مركز نجع حمادى محافظة قنا .

ـ معهد صفط الإعدادى للفتيات ـ مركز صفط محافظة بنى سويف .

ـ معهد قاى الإعدادى للبنين ـ مركز اهناسيا محافظة بنى سويف .

أعضاء جدد بمجمع البحوث الإسلامية

أصدر الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر قراراً باعتماد السادة العلماء الآتية أسماؤهم بعد كأعضاء بمجمع البحوث الإسلامية وهم :

١ ـ الأستاذ الدكتور/ نصر فريد محمد واصل — مفتى جمهورية مصر العربية

٢ ـ الأستاذ/ حسن عباس زكى — وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية الأسبق

٣ ـ الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد البيومى وشهرته/ محمد رجب البيومى — الأستاذ المتفرغ بكلية اللغة العربية فرع المنصورة

٤ ـ الشيخ/ محمد محمد عبد الرحمن الراوى وشهرته محمد الراوى — أستاذ ورئيس قسم القرآن وعلومه جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض

٥ ـ الأستاذ الدكتور/ عبدالصبور عبدالمؤمن مرزوق — نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٦ ـ السيد المستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى — وكيل مجلس الدولة سابقاً

تحضير العالم الإسلامى للقرن الحادى والعشرين

بناء على تعليمات فضيلة الإمام الأكبر نوجه عناية علماء الأزهر وأساتذته المتخصصين إلى أنه سيعقد فى دولة باكستان مؤتمر قمة إسلامية طارىء يوم ١٤ من ذى العقدة سنة ١٤١٧ هـ الموافق ٢٣ من مارس سنة ١٩٩٧ ، احتفالاً بالذكرى الخمسين لاستقلال باكستان ، وسيكون موضوع المؤتمر «تحضير العالم الإسلامى للقرن الحادى والعشرين» هذا وسوف توجه البحوث المشاركة فى هذا المؤتمر على العنوان التالى : سفارة الجمهورية الباكستانية الإسلامية ٨ شارع السلولى بالدقى - القاهرة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبد الحميد بشير

القاهــرة

تصدر الحديث الذى أدلى به الرئيس مبارك يوم الجمعة ١٩٩٧/١/٣ بالتلفاز المصرى كل وسائل الإعلام العربية والأجنبية المسموعة والمرئية ، وقد أظهرت إذاعة دمشق تأكيد سيادته على حرص الرئيس السورى على السلام .

وأكد الرئيس فى حديثه أن البديل للسلام هو الإرهاب وليس الحرب إذا واصلت إسرائيل المماطلة ، والمراوغة .

وفى عمان أوضح الأردنيون ما بينه الرئيس من العقبات التى تعترض « بروتوكول » تنفيذ إعادة الانتشار فى الخليل ، وأن الحرم الإبراهيمى مهم للمسلمين كأهميته لليهود ، والمعروف أن أحد عشر وزيراً فى التكتل الإسرائيلى الحاكم يعارضون بشدة كل اتفاقيات السلام المبرمة .

وفى واشنطن أوضح المسئولون تأكيد الرئيس على أن العلاقات المصرية الأمريكية وطيدة وأن الاتصالات بين الرئيسين مبارك وكلينتـــون مستمرة ، وأنه سوف يزور واشنطن فى خلال الربع الأول من العام الحالى ، كما أكد راديو لندن أهمية حل المشكلة الفلسطينية هذا العام ، وإلا فإن البديل لذلك هو نسف عملية السلام .

دمشــــق

أكدت الحكومة السورية اتهاماتها بأن عملاء الموساد الإسرائيلى هم الذين فجروا قنبلة بدمشق الثلاثاء الماضى ١٩٩٦/١٢/٣١ الموافق ٢٠ من شعبان الماضى وذلك فى حافلة ركاب مما أدى إلى قتل ٩ أفراد وجرح ٤٤ فرداً .

تــونس

بدأ مجلس وزراء الداخلية العرب اجتماعه لدورته الرابعة عشر لمدة ثلاثة أيام بتونس وصرح وزير الداخلية ورئيس الوفد المصرى بأن مصر قدمت ورقة عمل تناولت الإعلام الأمنى فى مواجهة الفكر المتطرف .

وأوضح أن إقرار الاستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب هي من أهم البنود المدرجة في أعمال المؤتمر .

الصومال

بعد ثمانية أسابيع من المحادثات أكد زعماء الفصائل المتناحرة في جنوب شرق مقديشيو - العاصمة الصومالية - أنهم تمكنوا من تشكيل مجلس الإنقاذ الوطني . وأكد الزعماء أن الاتفاق الحالي يضع مصلحة البلد العليا فوق كل الاعتبارات القبلية .

سراييفو

أكد الحزب المسلم في البوسنة والهرسك أنه تلقى نصف مليون دولار من إيران العام الماضي موضحاً أن تلك الأموال استخدمت في أعمال خيرية .. وادعى تقرير نشرته صحيفة « لوس أنجلوس - تايمز الأمريكية » نقلا عن المسئولين الأمريكيين أن تلك الأموال خصصت لحملة انتخاب الرئيس على عزت بيجوفيتش ، ولكن حزب الرئيس قال : إنها استخدمت كمنحة دراسية ومساعدات خيرية إنسانية ، والمعروف أن واشنطن ظلت تمارس ضغوطاً شديدة على الحكومة المسلمة في البوسنة لقطع علاقتها مع إيران .

استنبول

عقد وزراء من ثماني دول مسلمة اجتماعا في استنبول لبحث تحسين التعاون الاقتصادى بين هذه الدول ، وكان رئيس الوزراء التركى نجم الدين أربكان هوالدافع لذلك الاجتماع الذى حضره وزراء من ماليزيا وبنجلادش وأندونيسيا وباكستان ونيجيريا ومصر وإيران والدولة المضيفة وأعرب أربكان عن أمله في أن تشكل الدول الثماني مجموعة معادلة لمجموعة الدول الصناعية السبع الكبيرة .

جريمة شنعاء

قام أحد المستوطنين الإسرائيليين الشهر الماضى بفتح النار عشوائياً على المواطنين الفلسطينيين بالخليل بالضفة الغربية وقالت صحيفة « تايمز » اللندنية إنه خطط لعمليات أخرى ضد القرى العربية الأخرى لتخريب اتفاقية الخليل .

ونسبت « التايمز » لصحيفة « يادعوت أحرونوت » الإسرائيلية أن المجند « ناعوم فريدمن » البالغ من العمر ٢٢ سنة كان يعتزم سرقة ناقلة جنود مدرعة واقتحام قرية عربية وإطلاق النار على الأبرياء هناك ، كما تحدث عن هجوم على القدس الشريف ، وأكد أنه في كامل قواه العقلية ، ورفض طلب المحامين الاعتراف بأنه مذنب ، أو مصاب باختلال في قواه العقلية .

Aussi, la nourriture aux pauvres remplace le jeûne pour expier beaucoup de fautes commises, telles que le "Zihar" Allah - gloire à Lui - a dit: |a quiconque n'en a pas les moyens est prescrit un jeûne de deux mais consécutifs avant tout rapport. Enfin, s'il ne peut jeûner, il devra nourrir 60 indigents.|

«Surate 58 "Al-Mougadala" La discussion V. 3 et 4.»

La nourriture aux pauvres, remplace le jeûne pour celui qui est incapable de jeûner. Allah - gloire à Lui - dit: |a ceux qui ne peuvent jeûner qu'avec difficulté, il incombe en expiation, la nourriture d'un pauvre. Et si quelqu'un fait plus, c'est bien, pour lui; mais il est mieux pour vous de jeûner, si vous le saviez.|

«Surate 2 "Al-Baqara" La Vache V. 184.»

Une des actions salutaires le Jour du Jugement Dernier c'est la nourriture des pauvres pour l'amour d'Allah, comme nous le dit le Coran: |Nous ne vous nourrissons que pour l'amour d'Allah; nous n'attendons de vous ni récompense ni gratitude. Nous redoutons, de la part de notre Seigneur, un Jour qui sera sombre et augubre. Allah, les a protégés des maux de ce Jour - là et les recevra dans la splendeur et la joie.|

«Surate 76 "Al-Insan" L'homme V. 9, 10 et 11.»

Le fait de nourrir les pauvres est un moyen sûr qui mène aisément au Paradis, comme nous le montre ce Hadith: "Ô vous les gens! Faites régner la paix entre vous, offrez la nourriture, maintenez les liens de parenté, accomplissez les prières pendant que les gens dorment, vous irez au Paradis en paix".

«Hadith rapporté par Ibn Magah.»

dit: "Ô mes gens! Embrassez l'Islam; Mohammad offre des donations comme celui qui ne craint pas la pauvreté".

«Hadith rapporté par Anas Ibn Malek (Muslim).»

Le Prophète -b.s.- encourageait son peuple à donner aux pauvres, il disait: "Le généreux est proche d'Allah, proche des gens, proche du Paradis, loin de l'enfer... Tandis que l'avare est éloigné d'Allah, éloigné des gens, éloigné du Paradis et proche de l'enfer. Un analphabète généreux est pour Allah préférable à un érudit avare".

«Hadith rapporté par Abu-Horaira.»

Allah - gloire à Lui - a promis aux donateurs de multiplier leurs richesses, Il a dit: |Tous les biens que que vous distribuez généreusement, votre Seigneur vous les remplace. Il est le meilleur des donateurs|.

«Surate 34 "Saba'a" V. 39.»

Vu l'importance de la générosité envers les pauvres, Allah a exigé que l'expiation de quelque parjure consiste à nourrir dix pauvres ou à les vêtir. Il a dit: |Allah ne vous tient pas rigueur des serments proférés à la légère, mais Il tiendra compte de ceux que vous faites avec détermination. En cas de parjure, vous l'expiez en donnant à manager à dix pauvres de ce dont vous-mêmes vous nourrissez les vôtres, ou en leur procurant des vêtements ou en affranchissant un esclave. Quiconque n'en aura pas les moyens, accomplira un jeûne de trois jours.|

«Surate 5 "Al-Ma'ida" La table servie V. 89.»

Allah -gloire à Lui - a exigé la nourriture des pauvres en répassion expiatoire pour celui qui tue le gibier alors qu'il est en état de sacralisation. Il a dit: |Croyants! abstenez-vous de tuer le gibier une fois que vous êtes en tenue consacrée de pèlerin. Quiconque parmi vous en tue délibérément, qu'il se rachète alors par quelque bête du troupeau, semblable à ce qu'il a tué - et dont jugeront deux des vôtres, gens intègres - ce sera comme une offrande que l'on fait parvenir à la Ka'aba - ou bien par une expiation en nourrissant des pauvres, ou par l'équivalent en jours de jeûne. Cela, afin qu'il goûte la conséquence de son acte.|

«Surate 5 - "Al Ma'ida" La table servie V. 95.»

argent ne consiste pour lui qu'en ce qu'il mange et digère ou en ce qu'il porte et use ou en ce qu'il donne en aumône et réserve aux bonnes oeuvres".

«Hadith rapporté par Abu-Horaira.»

Donc, l'argent n'est utile que s'il est dépensé sur les pauvres; toute autre dépense sera dissipée et elle est périssable. Le Prophète -b.s.- nous dit: "Les compagnons du fils d'Adam sont trois: un qui le suit jusqu'à que son âme sait saisie, le deuxieme jusqu'à son tombeau, le troisieme jusqu'à sa résurrection: celui qui le suit jusqu'à sa mort ce sont ses biens, celui qui le suit jusqu'à son tombeau c'est sa famille, celui qui le suit jusqu'à sa résurrection ce sont ses actions".

«Hadith rapporté par Ahmad et Al-Tabarany.»

Il a dit également: "Malheureux est l'esclave du dinar; malheureux est l'esclave du dinar, il accumule son malheur et sa perdition".

«Hadith rapporté par Abu-Horaira.»

Il a dit aussi: "Le fils d'Adam vieillit et accroit en lui deux sens: l'espoir et l'amour de l'argent".

«Hadith rapporté par Anas Ibn Malek.»

Le Prophete -b.s.- nous montre la fonction de l'argent, le degré de l'amour du fils d'Adam pour l'argent et son avidité pour le collecter, il nous dit: "Allah - gloire à Lui - dit: J'ai fait descendre l'argent pour que le fils d'Adam accomplisse la priere et donne l'aumône. Si le fils d'Adam possédait une vallee d'or il aurait espéré avoir une deuxième; s'il en avait deux il aurait espéré avoir la troisieme, rien n'assouvit l'ambition du fils d'Adam sinon la poussiere et Allah accepte le repentir de celui qui se repent".

«Hadith rapporté par Ahmed et Al-Bayhaqy.»

Le Prophete -b.s.- était généreux et distribuait largement. Anas -a.s.l.- nous raconte que depuis que le Prophete -b.s.- avait reçu la Révélation il ne refusait aucune demande à personne... Un homme dans le besoin se rendit auprès du Prophète -b.s.- qui ordonna de lui donner une grande part de l'aumône, l'homme retrourna vers sa tribu et leur

convient que la richesse: si Allah le prive son état sera vicieux; à un autre, il ne convient que la pauvreté: si Allah l'enrichit il sera vicieux... Si les riches versent aux pauvres l'aumône prescrite (Al-Zakat) comme Allah l'a exigé, il n'y aura sur la terre ni un pauvre ni un indigent... Car dans les biens des riches Allah a prévu ce qui dispense les pauvres. Allah a créé les créatures, les a recensées. Il a distribué les modes de substance et n'a oublié personne: Voilà tout: Allah attribue les vivres à certains à travers leur métier; la culture ou l'industrie; d'autres obtiennent leur mode de substance par l'aumône des riches et leur générosité, donc celui qui retient son aumône prescrite est semblable à celui qui vole au pauvre son argent et le dénue de son droit. Allah lui réclamera ce dû le Jour du Jugement Dernier, le Jour où le dirham et le dinar n'auront aucune valeur. Allah - gloire à Lui - loue les gens qui payent ce droit en disant: [Ils ont une part reconnue sur leurs biens pour le mendiant et le privé].

«Surate 10 "Al-Ma'areg" Les Escaliers V. 24 et 25.»

Les biens sont les biens d'Allah: le riche a été nommé gérant, sans aucun doute il sera interrogé, jugé par Son Seigneur, s'il n'accomplit pas la tâche qui lui a été attribuée; de meme, il sera exposé en ce monde au châtiment de la privation de ses biens. Allah - gloire à Lui -a dit: [C'est vous qui êtes appelés à dépenser vos biens dans le chemin d'Allah; mais il y a des avares parmi vous. Celui qui est avare le fait à son propre détriment; Allah est le riche, alors que vous êtes les nécessiteux. Si vous tournez le dos, Il vous remplacera par un autre peuple et ces gens ne vous ressembleront pas].

«Surate 47 "Mohammad" V. 38.»

Abou Dharr -a.s.l.- nous raconte que le Prophete -b.s.- a dit: "Ceux dont la richesse s'accroit sont ceux qui auront le mains de rétribution le Jour du Jugement Dernier, sauf celui qui prend le bien qu'Allah a attribué et le dépense à droite et à gauche, devant lui et derrière son dos et qui l'emploie à faire le bien."

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Le Prophete -b.s.- nous montre l'utilité de l'argent en ces termes: "Le fils d'Adam dit: Mon argent! mon argent! mais le profit de son

L'aide accordée aux pauvres

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophete -b.s.- a dit: "Allah - gloire à Lui - a inspiré à Moussa ce qui suit: O Moussa! parmi mes serviteurs il y a celui qui s'il me demande le Paradis intégralement Je le lui donnerai, mais, s'il me demande la plus insignifiante parcelle des biens de ce monde Je la lui refuserai. Ce fait n'est pas un signe de son manque de valeur chez Moi, mais Je voudrais lui réserver mes faveurs dans l'au delà. Je le protege du monde d'ici - bas comme le berger protége ses brebis des pâturages nuisibles... O Moussa! Je n'ai pas fait que les pauvres aient recours aux riches parce que mes trésors sont trop étroits, ni que Ma miséricorde leur manque, mais j'ai prévu pour le pauvres une part dans l'argent des riches qui les passe de la demande... J'ai voulu éprouver les riches pour voir comment ils se dépêchent pour secourir les pauvres en leur donnant une part de leur argent...

O Moussa, si les riches assistent les pauvres Je paracheverai pour eux Mes bienfaits et Je leur rendrai au décuple en ce monde chaque bonne action! O Moussa! sois pour le pauvre un trésor, pour le faible un refuge et pour l'opprimé un sauveur. Si tu fais cela Je serai Ton compagnon dans les difficultés, Ton intime partenaire dans ta solitude et Je te protegerai nuit et jour".

«Hadith rapporté par Anas Ibn Malek.»

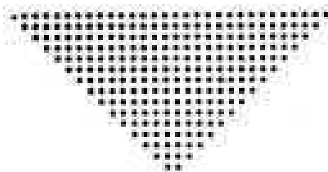
Ce Hadith nous montre que la richesse et la pauvreté sont entre les mains d'Allah, le riche n'a aucune supériorité pour mériter la multiplication de ses biens, le pauvre n'a commis aucune faute pour mériter la privation des biens, mais le Seigneur a voulu éprouver les riches par les pauvres et les pauvres par les riches, pour voir si le riche est reconnaissant et donne au pauvre la part qui lui est due et si le pauvre est satisfait ou s'il envie...

Allah - gloire à Lui - a déterminé les modes de subsistance avant de créer les humains; parmi les serviteurs d'Allah il y a celui à qui il ne

"L'accomplissement de la Prière nocturne ou "Tarawih" ainsi que l'accomplissement des prières de la nuit close (Al Isha') et de l'aube (Al Fadjr) ont le même mérite que les prières accomplies toute la nuit. Il est certain que veiller toute la nuit c'est la passer en prières et en invocations d'Allah et non à s'amuser ou à regarder la télévision. En effet un tel comportement n'est pas digne d'un bon musulman qui jeûne. Allah -Tout-Puissant- a dit: [Seuls ont réussi les croyants qui sont recueillis dans leurs prières et qui refusent toute parole futile].

Le fait de veiller la nuit en accomplissant des prières surérogatoires ou en lisant le Coran est une Sunna et non une prescription obligatoire pour tout musulman. Toutefois, celui qui peut s'en acquitter sera rétribué par Allah, quand à celui qui ne peut s'en acquitter, qu'il épargne ses maux à autrui: le fait qu'il se détourne des paroles futiles et vaines tiendra lieu pour lui d'un acte de dévotion.

Le culte éloigne l'homme du libertinage, de la corruption et des actes répréhensibles aussi incitons — nous les gens à respecter l'éthique de l'Islam et à éviter tout dévergondage.



«Le jeûne et le Coran intercèdent en faveur du musulman»

par Dr. Rokeya Gabr

Lorsqu'on interrogea feu Cheikh Al Ghazali sur le mérite de la lecture du Coran durant le mois de Ramadan, il répondit :

"Selon la Tradition (Sunna) islamique, le musulman doit s'appliquer à lire fréquemment le Coran, à comprendre le sens de ses versets et à connaître les sentences qu'il renferme. Le Prophète Mohammad — à lui bénédiction et salut — apprenait le Coran en présence de l'Archange Gabriel durant le mois de Ramadan.

Il existe un Hadith qui dit : "Le jeûne et le Coran intercèdent en faveur du serviteur d'Allah le Jour du Jugement Dernier. Le jeûne dira : "O Seigneur, j'ai réprimé ses instincts et je l'ai privé de sa nourriture." Le Coran dira : "O Seigneur, je l'ai privé de sommeil". Alors Allah acceptera leur intercession pour le musulman.

Il est donc souhaitable que le musulman passe le mois de Ramadan à lire et à étudier le Coran et en fasse un objet d'étude, car l'important n'est pas de faire une simple lecture du Coran mais d'en comprendre le sens. Allah -le Très-Haut- a dit :

[Un livre béni que Nous t'avons révélé afin qu'ils réfléchissent et que ceux qui sont doués de raison s'en souviennent].

Comme l'on interrogeait feu Cheikh Al Ghazali sur le mérite des prières nocturnes, il répondit :

REVUE
AL AZHAR

Vol. 69 Part IX

Ramadan 1417 Hijra', January 1997

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

willed, We but say 'Kun' and it is." (16 : 38 and 40)

The pagans of Mekkah asked how could the dead come to life again. The answer is logic and very convincing.

"Who can give life to (dry) bones and decomposed ones? He will give them life who created them the first time." (36 : 78-79)

"Verily, when He intends a thing, His command is 'Kun' and it is!" (36 : 82).

The word is mentioned four times in connection with the creation of Jesus. They aim to refute the allegation of Christians that Jesus is the son of Allah. In one of these four times, Adam is also mentioned to show that he was also created through the word 'Kun'. There is no controversy about the nature of Adam and that he was a human being created by Allah. Moreover, there should not be any controversy about Jesus who was also created by Allah. This can be seen in (3 : 59)

"The similitude of Jesus before Allah is as that of Adam; He created him from dust, then said to him : 'Be' : and he was."

In another instance, Jesus was mentioned when the angles told Mary of the good news of Jesus.

"She said : 'O my Lord ! how shall I have a son when no man has touched me?' he said : 'Even so; Allah creates what He wills : when He decrees a matter, He but says to it, 'Be' and it is!" (3 : 47).

In chapter two verses 116-117 we read,

"They say : 'Allah has begotten a son' : Glory be to Him.-Nay, to Him belongs all that is in the heavens and on earth : everything renders worship to Him. The Originator of the heavens and the earth : when He decrees a matter, He says to it : 'Be,' and it is."

The following verse rebukes those who claim that Allah has a son.

"It is not befitting to (the majesty of) Allah that He should beget a son. Glory be to Him! When He determines a matter, He only says to it, "Be", and it is." (19 : 35).

was a true messenger sent by Allah to all people. Those who are convinced of its truth and the truth of its message should follow the teachings in that book as well as the teachings of the prophet. They should worship Allah in the manner which this religion decreed. Those who chose not to obey Allah should consider the greatness of Allah who created this great universe and created animals and man. They should consider the small size of man, earth and the stars as compared to the huge size of other stars and galaxies. We exhort them not to disobey the Lord. Proper contemplation in the universe leads one to realize the presence of Allah and fear His wrath as in (3, 191) mentioned above.

"Give us salvation from the chastisement of the fire."

The word Kun is also mentioned in connection with life and death.

"It is He who gives life and death : and when He decides upon an affair, He says to it 'Kun' -be- and it is." (40 : 68)

When He decides to give life to a person or to any living thing or to terminate the life of another person, He just says 'Kun' -be-. Before the judgement day a trumpet will be sounded and all creatures will die by His word 'Kun'.

The word Kun is also mentioned in connection with resurrection of all human beings on the day of judgement.

When the trumpet is sounded a second times, all the creatures will be resurrected.

"The trumpet will (just) be sounded, when all that are in the heavens and on earth will swoon..... Then will a second be sounded, when behold they will be standing and looking on." (39 : 68).

The non-believers of Mekkah denied vehemently that there is life after death, and that people will be raised up from death as prophet Muhammad (PBUH) told them verses from the Holy Qur'an which emphasize that people will rise up from death.

"They swear their strongest oath by Allah, that Allah will not raise up those who die ... For to anything which We have

"In the creation of the heavens and the earth, and of alternation of night and day — there are indeed signs for men of understanding." (3 : 190)

The more we learn about the universe the more we come to know about the greatness of the creator. We feel obliged to obey Him and fear Him.

"Those truly fear Allah, among His servants who have knowledge." (35 : 28)

Now this knowlege is avbailable to most people. They need not specialize in astronomy to acquire this knowledge. Hence they should realize the greatness of the Lord, Creator.

"Futhermore I swear by the setting - places - of the stars, - and that is indeed a mighty adjuration if you know, - that this is indeed a Qur'an most honourable." (56 :75-77).

The places of the stars are very far from us. They travel at a very high speed and change their places every moment.

"I do not swear by what you see and what you see not, this is the word of an honored messenger." (69 : 38-40).

What we cannot see by our eyes may be due to either being far away or because it is very small. After the use of telescopes man could see far away stars and galaxies. He could know their nature, movement, their orbits and speed. By using more powerful telescopes and putting them in faraway orbits in space man could discover more stars or acquire better knowledge about the universe. Also after the use of microscopes man could see microorganisms. With electron microscope man could see smaller objects like the viruses.

The book that mentioned this swear-words is the Qur'an which was revealed fourteen centuries ago. That time was called the age of ignorance or the dark age where the knowledge was minimal or negligible. It should be concluded that this book is coming from the Creator of the world who calls Himself Allah. the book called "The Qur'an" is divne in origin. The Holy Qur'an is the eternal miracle revealed to prophet Muhammad peace and blessings from Allah be upon him (PBUH) as a proof of the truth of his message and that he

"And the sun runs unto a resting place," (36 : 38)

"And the moon We have measured for her stations (to traverse) (36 : 39).

"It is not permitted to the sun to catch up the moon, nor can the night outstrip the day : each (just) swims along in (its own) orbit (according to law) (36 : 40).

Glory to Allah : "He to whom belongs the dominion of the heavens and the earth : no son has He begotten, nor has He a partner in His dominion : It is He who created all things, and ordered them in due proportions." (25 : 2).

By studying the universe we conclude the truth of the preceding verses. That Great Creator is in no need for a helper or partner. He can manage the universe single handed. Also He is unique. he should not have a son or a wife.

There is a new theory for the creation of the world. Scientists claim that the world was created all of a sudden with a big bang. This is in accordance with what is mentioned in the Holy Qur'an that the universe came to existence all of a sudden.

If we recapitulate verse 73 chapter 6 mentioned above :

"It is He who created the heavens and the earth with truth...." we find that He had created them in accordance with certain rules — in truth —. The planets never change their speed, or course. Should they reduce their speed, or increase it or change their course they would collide with each other. We will realize that Allah who created this world has full power and authority on it and that He knows where is every galaxy and star whether small or big. He even knows the whereabout of every single atom in the world.

"Nor is hidden from the Lord (so much as) the weight of an atom on the earth or in heaven and not smaller or bigger than that but are recorded in a clear record." (10 : 61)

Without this knowledge, power and authority, the universe will come to utter ruin.

Those who reflect on the creation of the universe will be guided to the truth. They will realize the greatness of the Lord.

"KUN"

By Dr. Ahmed Shawky Arafa

Kun is an Arabic word made up of two letters. It takes a fraction of a second for a person to pronounce it. Yet when Allah says it, agreat things happen and miracles occur. Kun is an order meaning "Be".

When Allah says to a thing : "Kun', then this thing comes to existence. This word "Kun" is found in the Holy Qur'an several times. Once it is mentioned in connection with the creation of the world.

> "It is He who created the heavens and the earth with truth : The day He says, 'Kun', — be — behold it is. His word is the truth." (6: 73)

The Lord of the universe, the Creator just uttered the word 'Kun' and all the universe, came to existence. We can imagine the greatness of the Lord. His power. His knowledge, and His widom when we contemplate the creation of the universe.

> "Those who remember Allah standing, sitting and lying down on their sides, and contemplate the (wonders of) creation of the heavens and the earth, (saying) 'Our Lord not for naught have You created (all) this! Glory to You! Give us salvation from the chastisement of the fire'." (3 : 191).

This huge universe is made of billions of galaxies each of which is made of billions of stars. Most of them are many times larger than our planet, the earth. These galaxies are at a distance of millions of light years from each other.

The stars are moving at an amazing speed. For example, the earth is rotating around the sun at a speed of 30 kilometer per second or 108000 kilometer per hour. while the sun is moving in an ellipse at a speed of 250 km per second or 900000 km per hour. All the galaxies and stars are moving in perfect order without accidents or collisions.

> "Do they not look at the sky above them? — How We made it and adorned it, and there is no flaws in it? (50 : 6)

work with such materials.

7) Secretion during the day does not break the fast, but the one who secrets during the day should wash up in order to perform his prayer.

In order to be a true believer whose fasting is complete, a faster should abide by the following characteristics:

(1) He should refrain from following the desires and whims.

(2) He should take advantage of the occasion of the comming of the month of Ramadan to renew his repentance and submission to Allah. He should recite the Qur'an whenever possible to enlighten his heart and mind.

(3) He should refrain from lying or gossipping.

(4) He should control his outrage, he should not be rude or coarse to anybody.

(5) He should increase his charities, donations, and good deeds as much as he can.

There is no doubt that there is a great wisdom behind fasting, in general, and fasting for the day time in particular. Fasting, in fact, was ordained by Allah to test the human soul, and to train it to fight, to be patient in front of the desires and bad manners. It is also to test its patience and endurance in relinquishing what it is accustaned and habituated to. Abstaining from food, drink and evil deeds during the month of Ramadan, enable people to think and contemplate to prepare their souls for human perfection.

Moreover, fasting is not only the best physical exercise that renews the body energy, but it is the best moral exercise. In fact, fasting increases the good intentions, and the noble and generous human feelings.

In short it can be said that Allah the creator of all creatures has bestowed fasting as a kind of salvation for the human soul is always in need of a moral exercise, at least for one month, after eleven months spent in fulfilling the demands of its material life.

The best summing up of the whole issue is Almighty's saying: "And it is better for you that ye fast, if ye only knew."

(Surah: Al-Baqarah, Verse 184) (Yusuf Ali, P. 43)

later on. However, if the blood of menstruation or childbed ceased before dawn, they should fast the following day with the obligation to intend fasting during the night. As for the over menstruating woman, i.e. the woman that discharges blood at periods outside the menstruation or childbed periods, she should fast and pray.

In this context, it is important to highlight the fact that there are certain things that corrupt fasting namely :

1) Sexual intercourse at daytime.
2) If any kind of solid or liquid substance enters into the body of the fasting person, purposely, knowlingly and voluntarily and even if the entrance of this substance was by a natural way.
3) Smoking any kind of substance, whether through the month, such as cigarettes or through the nose, such as (snuff).
4) Secretion of sperms or masturbation for any reason, when this is done on purpose. But when secretion is discharged while asleep due to a dream, then fasting is still continued.
5) Any injection when injected into the hind part, while the injection which is given in the skin or in the veins does not break the fast. Yet, it is preferable for the fasting person to take the injections and other medicaments during the night.

As there are certain things that corrupt fasting, yet there are other things which are falsely believed to corrupt fasting, but actually they do not. These things are as follows:

1) Rinsing the month and snuffing up the nostrils with water during the day in order to cool off and wash up do not corrupt the fasting.
2) Using Kohl, eyedrops, or ointment on the eyes for medical purpose during the fasting day does not break the fast.
3) Applying medication on the wound does not break the fast.
4) Cutting the nails during a fasting day does not corrupt the fast.
5) To start the fasting day by beeing impure does not break the fast. However, the faster should clean himself for prayer, and should start his day while pure.
6) The one who gets dust of flour, lime or cement in his throat does not have his fast corrupted especially those who continuously

ding to the doctor's advise. However, he is required to settle the days he did not fast often his recovery. Sick persons are excused from fasting in the following cases:

a- The debilitating diseases: tuberculosis, diseases of the chest and the heart, and acute intestinal infections accompanied by vomiting or diarrhea.

b- Ulcer and acute intestinal and gastric infection

c- Psychological disturbance accompanied by loss of weight.

d- Feverish conditions which need the drinking of a big amount of water.

(3) The eldery and aged person who cannot fast at all, as well as, those who are suffering from a chronic disease or incurable illness. All these persons are exempted from fasting, but they are to feed a poor person for each day they do not fast as Almighty Days: "For those who can do it (with hardship), is a ransom, the feeding of one that is indigent."

(Surah: Al Baqarah, Verse 184) (Yusuf Ali, P. 73.)

(4) Al-Mujahed, the warrior, who is fighting in the cause of Allah and in defense of his homeland, is permitted to break his fast during the days of Ramadan. Nevertheless, he has to settle for the days he did not fast later on.

(5) The traveller or voyager is permitted to break his fast during the days of Ramadan according to Almighty's saying: "but if any one is ill, or on a journey, the prescribed period (should be made up) by days later. Allah intends every facility for you: He does not want to put you to difficulties."

(Surah: Al-Baqarah, Verse: 185) (Yusuf Ali, P. 74)

However, it is preferable for the traveller to fast if he is able to do so. The journey in which fasting is excused is that journey in which the time intervals for performing the rakaas prayers are shortened.

6- The pregnant woman and the woman who is breast - feeding are excused from fasting, if fasting harms them or their babies. But both of them are obliged to settle for the unfasted days later on.

7- The menstruating woman, and the woman who is still in childbed are also excused from fasting which is not accepted from them during these periods and they have to settle for the unfasted days

during the night preceeding the day of fasting and if this is not done then the fasting is refused. The place of the intention is the heart, thus the intention should not be uttered aloud. Setting the intention to fast is made once at the beginning of each consecutive period, such as fasting the month of Ramadan, the expiation of Ramadan, and the fasting that the Muslim had vowed to perform consecutively. In case the continuity of fasting was cut for one reason or another, such as ill ness, or journey, or mensturation, a new setting for the intention to fast has to be made the night preceeding the day in which the continuation of fasting is desired. As for those who had intended to fast, but changed their mind at night and continued till the break of dawn, their fasting would not be accounted for and they have to settle for that day later on.

Generally speaking, the times assigned for fasting is from the time of dawn till the hour of sunset everyday for Almighty says:
"And eat and drink, until the white thread of dawn appear to you distinct from its black thread; then complete your fast till the night appears."

(Surah: Al Baqarah, Verse: 187) (Yusuf Ali, P. 75)

In countries where the days or the nights are very long, so that there is only left a small part of the day on the night, people estimate the day on the night according to the time of the nearest Islamic country, where the time periods of day and night are standard, so as to be able to perform their prayers and fasting in the right way without hardship.

Regarding those upon whom fasting is obligated, we can simply say that it is obligated on every Muslim who is mature and capable. This consequently means that fasting is not required from the following persons during the month of Ramadan:

(1) Immature persons, such as insane people and children Nevertheless, children can be permitted to fast as a kind of training and not as an obligation.

(2) The sick person whose sickness forbids him from fasting as it may aggravate his sickness on delay his recovery. This person is excused from fasting, especially if he is in need for medication accor-



tenth day of Muharram and it is a selected day in which Allah had forgiven many a folk and in which He (can) forgive many others. Fasting on Mondays and Thursdays are given perference, as well, for the performance of voluntary fasting. Fasting three days in every month, in particular the thirteenth, fourteenth and the fifteenth are the most preferred days in voluntary fasting. It is noteworthy to say that in voluntary fasting a woman should ask the permission of her husband, if he is present.

As there are desirable days for voluntary fasting, there are, as well, days in which fasting is forbidden. These days are:

1- Fasting the first day of the two feasts: Al Fitr (lesser Bairam) and Al-Adha (greater Bairam.
2- Fasting the days of (Tashriq): these are the three days following the day of Immolation during the pilgrimage rituals.
3- Fasting on Fridays only. But if the Muslim fast a day before Friday, or a day after, or if it is the Ashuraa day, there is no objection.

Now, if we come to talk about fasting during the month of Ramadan, we should remember that the month of Ramadan itself is devoted for fasting because in it there are good blessings for all the people in general. The best thing in this month is that the Glorious Qur'an was revealed to lead the world to the right way and to fill it with the light of faith and knowledge. Allah Almighty says:

"Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (Signs) for guidance and judgement (between right and wrong)."

(Surah: Al-Baqarah, Verse: 185) (Yusuf Ali, P. 74)

Every year, in the month of Ramadan, Muslims are keen on reciting the Glorious Qur'an which fills their hearts with security, belief, happiness, love and enlightens their minds against false doctrines and immoral behaviour.

As a matter of fact, fasting the month of Ramadan is obligated upon being sure that it had started. There are two prerequisites for the performance of fasting:

First, Islam, i.e. it should be performed by a Muslim.

Second, setting the intention, i.e. setting the intention for fasting

be done by one of the following four things: feeding ten needy people, or clothing ten poor people, or freeing a slave, or, when unable to perform any of three aforementioned things, fasting three consecutive or scottered days.

In fact, the expiation legislated for those who break the fast in the month of Ramadan intentionally or those who kill by mistake is very harsh and tough for it is a sanction for the great sin they had committed. The expiation in these two cases is to fast for two months on condition that fasting is continuous. The starting day is fixed by the crescent from the lunar month. If one's fasting began in the middle of the month, he should fast the whole second month, if it is a thirty days month or a twenty nine days month, then he should complete the first month by fasting the missing days in the third month, counting until he reaches thirty days.

Those who break their fast on purpose for one day; their whole fasting will not be taken into account and they have to start their fasting all over again; for this kind of fasting requires continuity. This kind of expiation is referred to as the big expiation. If it is not possible to expiate in these two cases by fasting two continuous months, then one has to expiate by "feeding". He has to feed sixty poor people, and the poor include the paupers and the needy who do not possess the means of subsistence for a whole year; but do not include persans that already live at the expense of others such as the parents, wives, and children. The expiator should feed these sixty poor people two meals from his food, whether a lunch, a dinner, a breakfast , or a meal before daybreak. It is also sufficient for the expiator to feed the same one poor person for sixty days. In case the expiator cannot feed the sixty poor people he can cash them the value of two meals from his food.

Fourth, voluntary fasting which can be performed by a Muslim whenever he desires except the days that are forbidden by Islamic legislation. This means that in voluntary fasting preference is given to certain days for the performance of fasting due to their holiness. Therefore, voluntary fasting is preferred to be performed during the four sacred months of Zu Al-Ki'idah, Zu Al-Hijah, Al-Muharram and Rajab. Also voluntary fasting is preferred on the day of Ashuraa; the

First, fasting as a religious duty : This is performed during the month of Ramadan as Allah Almighty says :

"Ramadan is the (month) in which was sent the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (Between right and wrong). So every one of you who is present (at his home) during that month should spend it in fasting."

(Surah Al Baqarah : Verse 185) (Yusuf Ali, P. 74)

Second, fasting as settlement, This is the fasting that should be performrmed by the Muslim if he did not fast on a day during the month of Ramadan, for one reason or another. It is noteworthy to mention, here, that it is desirable that those who have some settlements for the days they did not fast during the month of Ramadan, to settle for them in days where fasting is not prohibited. This will be discussed later on. As for those who delay their settlements for the next Ramadan, they have to fast Ramadan, then fast to settle what is left of days. It is permissible to fast the left days intermittently or continuously.

Third, fasting as a vow : In this fasting the Muslim makes a vow to fast one day or many days to gain the favour of Allah Almighty.

Fourth, fasting as an expiation : The reasons for this kind of fasting is one of the following :

(a) Breaking one's fasting on purpose by eating or drinking intentionally during the day in the month of Ramadan for no legal reasons.
(b) Sexual intercourse or intentional masturbation during the day of the month of Ramadan for Allah Almighty says :

"Permitted to you on the night of the fasts, is to approach to your wives....."

(Surah : Al Baqarah : Verse 187) (Yusuf Ali, P. 75)
(c) Accidemtal honicide or such actions.
(d) Perpetrating some impermissible actions during the state of consecration in pilgrimage, and the inability to follow the right way.
(e) Breaking a promise and the expiation of breaking a promise is to

Fasting

By Dr. Nahed M. Wasfi
(Ph.D)

Fasting during the month of Ramadan every year is a religious duty performed, since it had been prescribed in the second year of the Hijra, by every obligated Muslim legally capable and mature; male or female. Fasting is one of the five basic pillars of Islam and it is given due importance because it is a physical act of devotion, and a spiritual exercise. It is well known, also, that fasting develops a year of and a belief in Allah. In other words, fasting is an exercise of patience which strengthens the soul and hardens the will. When talking about fasting, in fact, there are many aspicts to be dealt with so as to grasp in full the meaning and the wisdom of fasting. We should note, here, that the word 'meaning' does not only signify the literal meaning of fasting but its moral meaning as well.

In Arabic, fasting means the refrainment from doing something, thus if a person abstain from speaking or eating, and he deos not talk or eat, he is said to be fasting.

In Islamic Jurisprudence, fasting means; the abstaining of the fast breakers from dawn till the time of sunset, with the intention to fast during the night prior to the day of fasting. A fasting Muslim is not only required to abstain from eating and drinking but to abstain as well from foolish deeds or foolish talks during the period of fasting more than any other time.

Whenever we talk about fasting this does not necessairly mean the fasting of the month of Ramadan for there are different kinds of fasting :

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Ramadan 1417 Hijra'.

Vol. 69 Part IX



الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

*"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـرس

عمـ ٢٢٢٦
دوريات



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين



قال - تعالى - يخاطب المؤمنين :

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الممتحنة

لقد فتحت هذه الآية الكريمة للمسلمين آفاقا من العلاقات ... كل العلاقات من اجتماعية وعلمية واقتصادية أنشئوها بينهم وبين غيرهم ، حتى تأسست بهم حضارة ذات أصول عريقة عميقة ، أخذت من غيرها وأعطت من ذاتها حتى صارت نبع رحمة يفيض على البشرية عطاء موصول الثمرات فياض الخيرات .

ذلك أن الآية الكريمة أتاحت للمسلمين :

أن يقيموا صلات مختلفة مع غير المسلمين الذين لم يعادوهم ، ولم يشاركوا فى العدوان عليهم بغية تبادل المنافع بين الفريقين على مودة خالصة وتراحم كبير .

وأن تكون هذه الصلات نموذجاً للإسلام نفسه من حيث البرّ بالناس والعدل فيهم ؛ وإذا كان البرّ جامعاً لكل ألوان المعروف ، مانعاً لكل ضروب العدوان ، فقد أمرنا بتنويع علاقاتنا بهذه الجماعات بإرساء هذا البر مقروناً بالعدل التام ؛ فذلك الذى يسمو بهذه العلاقات إلى أعلى مرتقى يتطلع إليه البشر .

وعلى جناحى : البر والعدل تكون هذه الصلات لتؤتى ثمراتها ؛ فإن الله ـ تعالى ـ يحب المقسطين أى العادلين .

وذلك ما فعله المسلمون حقاً ؛ منذ انطلقوا إلى عالم ما بعد الجزيرة العربية شرقاً وغرباً ، فاندمجوا مع أهل تلك البقاع نسباً وصهراً ، وعلماً وعملاً فأعطوا وأخذوا ، وبسطوا على الدنيا ظلال الأمن والرفاهية وظلوا يمدون العلم بالعطاء العبقرى فى كافة فروعه الإنسانية والعلمية حتى إن أوروبا أخذت عنهم معرفة أصولها منذ شقت على الدنيا عصا الطاعة ، ولازمت العض على العنصرية والتعصب .

ولا علينا .. فليس ذلك موضوعنا ..!!

لقد ظللنا نعطى العالم ونأخذ منه حتى دان لنا العلمُ ـ بمجده ـ إلى يومنا هذا . فأين هو المكان ـ من الدنيا الذى يستطيع أن يبزنا فى التشريع ، أو يعطى العلم حقه من الإنسانية كما أعطينا ، ولا زلنا نعطى :

هكذا .. خرجنا ـ نحن المسلمين ـ إلى العالم بفكر مفتوح وقلب سليم وعمل طيب كريم ، وعدالة لا يزدريها إلا كل أفاق ذميم .

* * *

وبضدها تتميز الأشياء .

لقد انفتحنا على كل العالم .

وانغلق اليهود على أنفسهم فقط فعادوا كل العالم .. فإذا اضطرهم ظرف ، أو دفعهم حال إلى إبداء الصداقة لغيرهم أقدموا عليها منافقين ، وتواصَوْا ـ فيما بينهم بقولهم الذى يحكيه رب العالمين ، وقوله الحق ؛ فقد قالوا :

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ (آل عمران ـ ٧٣) .

هنا يبدو الفرق جليا ..

دائرة تسَعُ العالم ، وعليها قلوب أهل الإسلام .

وأخرى لا تسع ـ إن اتسعت ـ إلا لأهل دينها فقط .

يقول العلامة الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ فى تفسيره هذه الآية :

« هذا ... من قول اليهود ، يقول بعضهم لبعض : ولا تؤمنوا ـ أى ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم ، أى وافق ملتكم التى أنتم عليها ، وهى اليهودية »[1] .

أى من كان على شاكلتكم فقط هو الذى تصدقوه .

مع اليهود فقط تكون علاقتكم الحميمة وتوابعها .

ولنعط ـ هنا مثالاً واضحاً على ما ترتب على المنهجين فى العلاقات الإنسانية :

موقف الإسلام من مسلم تزوج بإسرائيلية .

وموقف الأحبار من هذه الزيجة عينها .!

فأما الإسلام فيقر هذا الزواج ، ويراه زواجاً شرعياً لا غبار عليه ، فالمرأة زوجة ، والأبناء شرعيون ـ قولاً واحداً ، وقع على ذلك الإجماع ، ونصُّ الكتاب العزيز .

وليس كذلك الوضع لدى الأحبار .. فإنهم يعتبرون هذا النوع من الزواج نكاحاً فاسداً ؛ لأن كل من ليس يهودى فهو أجنبى ، و « لأن كل عقد نكاح مع الأجانب فاسد »[2] . ويصرح الحاخام (تام) بأن الأجانب (أى غير الإسرائيليين) من نسل الحيوانات ، وعليه يعتبر هذا النكاح أشبه شىء بسفاد الحيوانات[3] .

أى أن هؤلاء الأبناء عند « الحاخاميم » غير شرعيين ؛ بل هم أحط .

ومن هنا نعلم منزلة هذه الزيجة عندهم .. وما أجل رحمة الله ـ تعالى ـ إذ يأمرنا ألا نتخذهم أولياء ، وهم يكنون للعالم كله هذا الحقد الرهيب ، ويداورونه قهراً على نفاق .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ ﴾ (سورة المائدة)

ولقد كان اليُمْنُ كله فى سياسة مصر مع هؤلاء الناس . سياسة سُداها ولحمتها الحذر الميمون ، وبه ـ بعونه تعالى ـ عادت « طابا » إلى أصحابها الشرعيين . ولا زال الضيق ـ منهم ـ بسياستنا ينطلق فى تصريحات تريد النيل باسم « عرقلة السلام » . والله يعلم أن السلام هو هدفنا .

فلسنا نؤمن بعقيدة : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ ولكنا نؤمن بقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١ ﴾ سورة الأنفال

د. على أحمد الخطيب

---

(١) الإمام الخازن ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل ٢٤٧/١ ط البهية .

(٢) و (٣) انظر : يوسف نصر الله ـ الكنز المرصود فى قواعد التلمود (ترجمة عن الفرنسية) ص ٧١ ط أولى ـ المعارف أول الفجالة ١٨٩٩

(٤) راجع نفس المرجع ص ٤٦ .

تفسير سورة البقرة

قال – تعالى – : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
(٣٤) وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥)
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧)
قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٩) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي

وبعد أن بيّن القرآن فى الآيات السابقة بعض الكرامات التى خص الله بها آدم – عليه السلام – انتقل إلى بيان كرامة أخرى أكرم الله بها آدم – عليه السلام – وهى أمره للملائكة بالسجود له ، ثم بيان ما حصل بينه وبين إبليس – لعنة الله عليه – فكانت الآيات .

وقوله – تعالى – :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ .

معطوف على قوله – تعالى – قبل ذلك :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ .. ﴾ .

من باب عطف القصة على القصة ، وإعادة (إذ) بعد حرف العطف المغنى عن إعادة ظرفه ، تنبيه على أن الجملة مقصودة بذاتها ، لأنها متميزة بهذه القصة العجيبة فجاءت على أسلوب يؤذن بالاستقلال والاهتمام .

والسجود : لغة التذلل والخضوع مع انخفاض بانحناء وغيره ، وخص في الشرع بوضع الجبهة على الأرض بقصد العبادة .

وللعلماء فى كيفية السجود الذى أمر الله به الملائكة لآدم أقوال :

أرجحها : أن السجود المأمور به فى الآية يحمل على المعنى المعروف فى اللغة ، أى : أن الله – تعالى – أمرهم بفعل تجاه آدم يكون مظهراً من مظاهر التواضع والخضوع له تحية وتعظيماً ، وإقراراً له بالفضل دون وضع الجبهة على الأرض الذى هو عبادة ، إذ عبادة غير الله شرك يتنزه الملائكة عنه .

وعلى هذا الرأى سار علماء أهل السنة .

وقيل : إن السجود كان لله ، وآدم إنما كان كالقبلة يتوجه إليه الساجدون تحية له ، وإلى هذا الرأى اتجه علماء المعتزلة ، وقد قالوا ذلك هرباً من أن تكون الآية الكريمة حجة عليهم ، فإن أهل السنة قالوا : إبليس من الملائكة ، والصالحون من البشر أفضل من الملائكة ، واحتجوا بسجود الملائكة لآدم ، وخالفت المعتزلة فى ذلك ، وقالت : الملائكة أفضل من البشر ، وسجود الملائكة لآدم كان كالقبلة .

والذى نراه أن ما سار عليه أهل السنة أرجح ، لأن ما ذهب إليه المعتزلة يبعده أن المقام مقام لإظهار فضل آدم على الملائكة ، وإظهار فضله عليهم لا يتحقق بمجرد كونه قبلة للسجود .

وأمر الملائكة بالسجود لآدم هو لون من الابتلاء والاختبار ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وينفذ ما سبق به العلم ، واقتضته المشيئة والحكمة :

ثم بين – سبحانه – ما حدث من الملائكة ومن إبليس فقال :

﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

إبليس : اسم مشتق من الإبلاس ، وهو الحزن الناشىء عن شدة اليأس ، وفعله أبلس ، والراجح أنه اسم أعجمى ، ومنعه من الصرف للعلمية والعجمة وهو كائن حى ، وقد أخطأ من حمله على معنى داعى الشر الذى يخطر فى النفوس ، إذ ليس من المعقول أن يكون كذلك مع أن القرآن أخبرنا بأنه يرى الناس ولا يرونه . قال – تعالى – .

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

سورة الأعراف ـ آية : ٢٧

وقوله : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ الإباء : الامتناع عن الفعل أنفة مع التمكن منه . والاستكبار : التكبر والتعاظم والغرور ، بمعنى أن يرى الشخص في نفسه علوًا على غيره ، وهو خلق مذموم .

وكان في قوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ بمعنى صار .

وجاء العطف في قوله ﴿ فَسَجَدُوٓاْ ... ﴾ بالفاء المفيدة للتعقيب ، للإشارة إلى أن الملائكة قد بادروا بالامتثال بدون تردد ، ولم يصدهم ما كان في نفوسهم من التخوف من أن يكون هذا المخلوق ، مظهر فساد وسفك دماء ، لأنهم منزهون عن المعاصي .

وللعلماء في كون إبليس من الملائكة أم لا قولان :

أحدهما : أنه كان منهم لأنه - سبحانه - أمرهم بالسجود لآدم ، ولولا أنه كان منهم لما توجه إليه الأمر بالسجود ، ولو لم يتوجه إليه الأمر بالسجود لم يكن عاصيًا ، ولما استحق الخزى والنكال .

ولأن الأصل في المستثنى أن يكون داخلا تحت اسم المستثنى منه حتى يقوم دليل على أنه خارج عنه . وقد اختار هذا الرأى : ابن عباس ، وابن مسعود وجمهور المفسرين .

الثاني : أنه ليس منهم لقوله - تعالى - :

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ .

سورة الكهف ـ آية : ٥٠

فهو أصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس ، ولأنه خلق من نار ، والملائكة خلقوا من نور ، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة ، وقد اختار هذا القول : الحسن وقتادة وغيرهما .

وقد حاول ابن القيم أن يجمع بين الرأيين فقال : والصواب التفصيل في هذه المسألة ، وأن القولين في الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله . كان من نار وأصل الملائكة من نور ، فالنافى كونه من الملائكة . والمثبت لم يتواردا على محل واحد .(١) .

ولما كان استثناء إبليس من الساجدين لا يدل على أنه ترك السجود عصيانًا ، إذ قد يكون تركه لعذر ، دل بقول : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ على أنه امتنع من السجود أنفة ، وتعاظمًا ، وأردف هذا التعاظم والغرور باعتراضه على الله - تعالى - في تفضيل آدم ، فصار بذلك في فريق

(١) تفسير القاسمي جـ ٢ ص ١٠٤

الكافرين ، ولذا ختمت الآية بقوله - تعالى - : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ أى : صار بسبب عصيانه واستكباره من الكافرين بالله ، الجاحدين لنعمة ، البعيدين عن رحمته ورضوانه .

وقوله - تعالى -

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ .

معطوف على قوله :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ... ﴾ .

أى : بعد أن أمرنا الملائكة بالسجود لآدم ، قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، فهذه تكرمة أكرمه الله بها بعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاء الملائكة .

وقوله : ﴿ **اسكن** ﴾ أمر من السكنى بمعنى اتخاذ المسكن على وجه الاستقرار .

والزوج : يطلق على الرجل والمرأة ، والمراد به هنا حواء ، حيث تقول العرب للمرأة زوج ، ولا تكاد تقول زوجة .

والجنة : هى كل بستان ذى شجر متكاثف ، ملتف الأغصان ، يظلل ما تحته ويستره ، من الجن ، وهو ستر الشيء عن الحاسة .

وجمهور أهل السنة على أن المراد بها هنا دار الثواب . التى أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة ، لأن هذا هو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق .

ويرى جمهور علماء المعتزلة أن المراد بها هنا بستان بمكان مرتفع من الأرض ، خلقه الله لإسكان آدم وزوجه ، واختلفوا فى مكانه ، فقيل بفلسطين . وقيل بغيرها .

وقد ساق الإمام ابن القيم فى كتابه (حادى الأرواح) أدلة الفريقين دون أن يرجح شيئاً منها . والأحوط والأسلم : الكف عن تعيينها وعن القطع به ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأبو منصور الماتريدى فى التأويلات ، إذ ليس لهذه المسألة تأثير فى العقيدة .

والمخاطب بالأمر ، بسكنى الجنة آدم وحواء ، ولكن الأسلوب جاء فى صيغة الخطاب لآدم وعطفت عليه زوجه ، لأنه هو المقصود بالأمر وزوجه تبع له .

ثم بيّن - سبحانه - أنه قد أباح لهما أن يأكلا من ثمار الجنة أكلا واسعا فقال :

﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

أى كلا من مطاعم الجنة وثمارها أكلا هنيئًا أو واسعًا فى أى مكان من الجنة أردتم .

يقال : رغد عيش القوم أى : اتسع وطاب ، وأرغد القوم ، أى : أخصبوا وصاروا فى رزق واسع .

والضمير فى قوله : ﴿ **منها** ﴾ يعود إلى الجنة ، والمراد بالأكل منها : الأكل من مطاعمها وثمارها ، لأن الجنة تستلزم ثماراً هى المقصودة بالأكل .

ثم بين - سبحانه أنه نهاهم عن الأكل من شجرة معينة فقال :

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

القرب : الدنو ، والمنهى عنه هو الأكل من ثمار الشجرة ، وتعليق النهى بالقرب منها إذ قال ﴿ ولا تقربا ﴾ القصد منه المبالغة فى النهى عن الأكل ، إذ فى النهى عن القرب من الشيء قطع لوسيلة التلبس به ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ الإسراء / ٣٢ ، فنهى عن القرب من الزنا ليقطع الوسيلة إلى ارتكابه وهى القرب منه ، وأكد النهى بأن جعل عدم اجتناب الأكل من الشجرة ظلمًا فقال : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وقد ظلما أنفسهما إذ أكلا منها ، فقد ترتب على أكلهما منها أن أخرجا من الجنة التى كانا يعيشان فيها عيشة راضية .

وقد تكلم العلماء كثيراً عن اسم هذه الشجرة ونوعها فقيل هى التينة ، وقيل : هى السنبلة ، وقيل هى الكرم .. إلخ . إلا أن القرآن لم يذكر نوعها على عادته فى عدم التعرض لذكر مالم يدع المقصود من سوق القصة إلى بيانه .

وقد أحسن الإمام ابن جرير فى التعبير عن هذا المعنى فقال : « والصواب فى ذلك أن يقال : إن الله - تعالى - نهى آدم وزوجه عن الأكل من شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكلا منها ، ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ولا من السنة الصحيحة ، وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل كانت شجرة العنب ، وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به[٢] .

ثم بين القرآن بعد ذلك ما وقع فيه آدم من خطأ فقال :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

أى : أذهبهما عن الجنة بكذبه عليهما ومقاسمته أنه لهما من الناصحين .

وأزل من الإزلال وهو الإزلاق : زل يزل زلا وزللا ، أى : زلق فى طين أو منطق ، والاسم الزلة . وأزله غيره واستزله : أى أزلقه . أطلق وأريد به لازمه وهو الإذهاب .

وقرىء ﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾ أى : نحاهما من الإزالة ، تقول أزلت الشيء عن مكانه إزالة . أى : نحيته وأذهبته عنه .

ثم استعمل هذا اللفظ فى ارتكاب الخطيئة كما استعمل فى خطأ الرأى مجازاً . والضمير فى قوله : ﴿ عنها ﴾ يعود إلى الشجرة ، ومعنى أزلهما عن الشجرة أوقعهما فى الزلة بسببها .

---

(٢) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٥٢١

والتعبير بقوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أبلغ فى الدلالة على فخامة الخيرات التى كانا يتقلبان فيها مما لو قيل : فأخرجهما من النعيم أو من الجنة لأن من أساليب البلاغة فى الدلالة على عظم الشيء أن يعبر عنه بلفظ مبهم كما هنا . لكى تذهب نفس السامع فى تصور عظمته وكماله إلى أقصى ما يمكنها أن تذهب إليه .

ونسبة إخراجهما من الجنة إلى الشيطان فى قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ من قبيل نسبة الفعل إلى ما كان سببًا فيه ، وذلك أن أكلهما من الشجرة الذى ترتب عليه إخراجهما من الجنة إنما وقع بسبب وسوسة الشيطان لهما .

وقوله – تعالى –

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

الخطاب فيه لآدم وحواء ، وإبليس ، وقيل الخطاب لآدم وحواء ونسلهما .

والهبوط : النزول من أعلى إلى أسفل ضد الصعود . يقال : هبط يهبط ويهبُط أى : نزل من علو إلى سفل .

والعداوة معناها التناكر والتنافر بالقلوب .

أى : قلنا لآدم وحواء والشيطان انزلوا إلى الأرض متنافرين متباغضين ، يبغى بعضكم على بعض .

وعداوة الشيطان لآدم نشأت عن حسد وتكبر منذ أن أُمر بالسجود له فأبى وامتنع وقال : أنا خير منه .

وعداوة آدم وذريته للشيطان من جهة أنه يكيد لهم بالوسوسة والإغراء وفى هذه الجملة الكريمة إرشاد لآدم وذريته ، ونهى لهم عن اتباع خطوات الشيطان ، لأنه عدو لهم ، ومن شأن العدو أنه يسعى لمضرة عدوه .

قال – تعالى – :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦ ﴾

(سورة فاطر)

ثم ختمت الآية بقوله – تعالى – :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ ﴾ .

المستقر : موضع الاستقرار والثبات ، وهو مقابل القلق والاضطراب ، والمتاع : اسم لما يستمتع به من مأكل ومشرب وملبس وحياة وأنس وغير ذلك ، مأخوذ من متع النهار متوعًا إذا ارتفع ، ويطلق على الانتفاع الممتد الوقت .

والحين : الجزء من الزمان غير محدد بحد ، والمراد به هنا وقت الموت أو يوم القيامة .

والمعنى : انزلوا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو ، ولكم فيها منزل وموضع استقرار . وتمتع بالعيش إلى أن يأتيكم الموت .

ومن كان على ذكر دائم من أن استقراره فى الأرض وتمتعه بنعيمها سينتهى فى وقت ، لا يدرى متى يدركه ، فشأنه أن ينتفع بخيراتها ويتمتع بطيب العيش فيها ، وهو مقبل على العمل لمرضاة الله ما استطاع ، وشاكر لأنعمه بالقلب واللسان ، لا يشغله عن الشكر شاغل من ملذات هذه الحياة ومظاهر زينتها .

ثم حكى القرآن أن آدم قد بادر بطلب العفو والمغفرة من ربه فقال :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

التلقى فى الأصل : التعرض للقاء ، ثم استعمل بمعنى أخذ الشيء وقبوله ، تقول : تلقيت رسالة من فلان ، أى أخذتها منه وقبلتها .

والكلمات : جمع كلمة ، وهى اللفظة الموضوعة لمعنى ، وأرجح ما قيل فى تعيين هذه الكلمات ، ما أشار إليه القرآن فى سورة الأعراف بقوله :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف

والتوبة فى أصل اللغة معناها : الرجوع ، وإذا عديت بعن كان معناها الرجوع عن المعصية إلى الطاعة ، وإذا عديت بعلى - كما فى هذه الآية - كان معناها قبول التوبة ، فالعبد يتوب عن المعصية ، والله يتوب على العبد أى : يقبل توبته .

وجملة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ واردة مورد التعليل لقوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

والتواب وصف له - تعالى - من تاب ، أى : قبل التوبة ، وجاء التعبير بصيغة فعّال ، للإشعار بأنه كثير القبول للتوبة من عباده ، وليدل على أنه يقبل توبة العبد وإن وقعت بعد ذنب يرتكبه ويتوب منه ثم يعود إليه بعد التوبة ثم يتوب بعد العودة إليه توبة صادقة نصوحًا .

وبعد أن أخبر القرآن فى الآيات السابقة أن الله - تعالى - قد أمر آدم وحواء وإبليس بالهبوط من الجنة ، نراه بعد ذلك قد أعاد خبر الأمر بالهبوط فقال :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا

مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

وليست هذه الإعادة من قبيل التكرار الذى يقصد منه مجرد التوكيد ، بل قص الأمر بالهبوط أولا ليعلق عليه معنى ؛ هو كون بعضهم لبعض عدوًا .

ثم قصة ثانية ليعلق عليه معنى آخر هو ماترتب على الهبوط من تفصيل لحال المخاطبين ، وانقسامهم إلى مهتدين وضالين .

والفاء فى قوله ﴿ فإما ﴾ لإفادة ترتيب انقسام المخاطبين إلى مهتدين وكافرين على الهبوط المفهوم من قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ .

و ﴿ إما ﴾ هى إن الشرطية دخلت عليها « ما » لإفادة التوكيد ، ويغلب على فعل شرطها أن يكون مؤكدًا بالنون وأوجب بعضهم ذلك .

والهدى من الله : معناه الدلالة على ما هو حق وخير بلسان رسول ، أو بآيات كتاب .

وقد صرح - سبحانه - بأن الهدى صادر منه بقوله : ﴿ مِّنِّي هُدًى ﴾ ثم أضافه إلى نفسه بقوله : ﴿ هُدَايَ ﴾ للإيذان بتعظيم أمر الهدى ، وأنه أحق بأن يتبع ، ويتخذ سبيلا لطمأنينة النفس فى الدنيا ، والفوز بالسعادة فى الأخرى .

والخوف : الفزع وهو تألم النفس من مكروه يتوقع حصوله .

والحزن : الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فقد محبوب .

ومعنى ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أن نفوسهم آمنة مطمئنة بحيث لايعتريها فزع ، ولايغشاها ذعر ، كما أن قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ينفى عنهم الاغتمام لفوات مطلوب أو فقد محبوب .

ونفى الخوف والحزن ورد فى الآية على وجه الإطلاق ، وظاهره أن المهتدين لايعتريهم الخوف ولاالحزن فى دنياهم ولافى آخرتهم ، ولكن قوله - تعالى - فيما يقابله من جزاء الكافرين ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ ، يرجح أن يكون المراد نفى الخوف والحزن فى الدار الآخرة .

ونفى الخوف والحزن عن المهتدين يوم القيامة كناية عن سلامتهم من العذاب وفوزهم بالنعيم الخالد فى الجنة ، فتمت المقابلة بين جزاء المهتدين وجزاء الكافرين المشار إليه بقوله - تعالى - :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

إذ هذه الآية الكريمة معطوفة على قوله – تعالى – ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ . إلخ ، وواردة مورد المقابل له فى تفصيل أحوال من يأتيهم الهدى من الله .

ولم يقل : والذين لم يتبعوا هداى أولئك أصحاب النار .. وإنما قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ .. ﴾ إلخ ، وذلك لأن من لم يتبع هدى الله يشمل من لم تبلغه الدعوة ، وغير المكلفين مثل الصبيان وفاقدى العقل ، وهؤلاء ليسوا من أصحاب النار . فظهر أن قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا .. ﴾ جىء به على قدر من يستحقون الحكم عليهم بأنهم من أصحاب النار والمجازاة بالعذاب الخالد الأليم .

والآيات : جمع آية ، وهى فى الأصل العلامة ، وتستعمل فى الطائفة من الكتاب المنزل ، وفيما يستدل به على وجود الله وتوحيده ، من نحو بدائع مصنوعاته ومظاهر عنايته بالإنسان .

وأضاف – سبحانه – الآيات إلى نفسه فقال : ﴿ **بآياتنا** ﴾ ليكون قبح التكذيب بها أظهر ، وأتى بنون العظمة فقال (**بآياتنا**) دون أن يقول « بآياتى » لبعث المهابة فى نفوس السامعين ، وذلك أدعى إلى تلقى الوعيد باهتمام وخشية .

وأصحاب : جمع صاحب مأخوذ من الصحبة ، وهى الاقتران والملازمة ، ودل بقوله : ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ على أن صحبتهم للنار دائمة ، وليست من الصحبة التى تستمر مدة ثم تنقطع .

هذا جانب من قصة آدم كما حكاه القرآن فى هذه السورة ، ومن الحكم التى تؤخذ منها : أن سياسة الأمم على الطريقة المثلى إنما تقوم على أساس راسخ من العلم ، وأن فضل العلم النافع فوق فضل العبادة ، وأن روح الشر الخبيثة إذا طغت على نفس من النفوس ، جعلتها لا ترى البراهين الساطعة ، ولا يوجهها إلى الخير وعد ، ولا يردعها عن الشر وعيد .

كما يستفاد منها كيف أن الرئيس يفسح المجال لمرؤسيه المخلصين ، يجادلونه فى أمر يريد قضاءه ، ولا يزيد عن أن يبين لهم وجهة نظره فى رفق ، وإذا تجاوزوا حدود الأدب اللائق به راعى فى عتابهم ما عرفه فيهم من سلامة القلب ، وتلقى أوامره بحسن الطاعة .

كما يؤخذ منها أن المتقلب فى نعمة يجب أن يحافظ عليها بشكر الله ، ولا يعمل عملا فيه مخالفة لأوامر الله ؛ لأن مخالفة أوامر الله ، كثيراً ما تؤدى إلى زوال تلك النعمة ، ومن أراد أن تزداد النعمة بين يديه ، فعليه أن يلتزم طاعة الله وشكره .

وقال بعض العلماء : وقد يتبادر إلى الذهن أن آدم قد ارتكب ما نهى عنه ، ارتكاب من يتعمد المخالفة ، فيكون أكله من الشجرة معصية ، مع أنه من الأنبياء المرسلين ، والرسل

معصومون من مخالفة أوامر الله .

والجواب عن ذلك أن آدم تعمد الأكل من الشجرة ، ناسيًا النهى عن الأكل منها ، وفعل المنهى عنه على وجه النسيان لايُعد من قبيل المعاصى التى يرتكبها الشخص وهو متذكر أنه يرتكب محرمًا ، إذ أن ارتكاب المحرم عن علم وتذكر هو الذى يجعل مرتكبه مستحقًا للعقاب ، والأنبياء معصومون من ذلك .

وإذا عاتب الله بعض الأخيار من عباده على ما صدر منهم على وجه النسيان ، فلأن علمهم بالنهى يدعوهم إلى أن يقع النهى من نفوسهم موقع الاهتمام ، بحيث يستفظعون مخالفته استفظاعًا يملأ نفوسهم بالنفور منها ، ويجعلهم على حذر من الوقوع فى بلائها .

فالذى وقع من آدم - عليه السلام - هو أنه غفل عن الأخذ بالحزم فى استحضار النهى وجعله نصب عينيه حتى أدركه النسيان ، ففعل ما نهى عنه غير متعمد للمخالفة ، قال - تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ . (سورة طه)

« يتبع »

حوار صحفي مع فضيلة الإمام الأكبر

أجرى الحوار : سناء السعيد

رغم حدة الأسئلة وحساسيتها ، أجاب عنها كلها ـ وبرحابة صدر ـ فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور ـ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

سألناه .. هل يوافق على دعوة منع مهاجمة اليهود من فوق المنابر ، تلك التى يتبناها الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف؟ وهل الأزهر يخضع للدولة؟.. ولماذا رفض تلبية دعوة وجهت له لزيارة السودان؟..

وسألناه أيضا عن رأيه فى بعض القوانين الموجودة حاليا ، والتى لا تردع مرتكبى بعض الجرائم.. وعن دور علماء الدين خاصة فى الأمور الاجتماعية الكبيرة والملمات التى يتعرض لها المجتمع .

أما أول أسئلتنا فقد كان عن التعنت الإسرائيلى خاصة بالنسبة للأماكن الإسلامية المقدسة التى لا تزال تحت قبضتها.

هناك اقتراح بأن تكون القدس عاصمة للأديان الثلاثة ، وقيل بأن إسرائيل قد تقبل بهذا الطرح شريطة أن تكون القدس عاصمة إسرائيل الأبدية الموحدة؟

●● ماهو المقصود بقدس موحدة وأن تكون عاصمة إسرائيل الأبدية ؟ إن القدس الشرقية أرض عربية ويصدق عليها ما يصدق على الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل فى يونيو ٦٧ .. ولابد لإسرائيل من الانسحاب منها بموجب القرارات الشرعية الدولية ٢٤٢، ٣٣٨.

● **إسرائيل تتحدث عن القدس كعاصمة موحدة تحت سيادتها وتقول من الممكن أن تكون مفتوحة دينياً بيد أنها ستظل مغلقة سياسياً ؟**

●● لا نوافق على هذا بالطبع . ستظل القدس مفتوحة دينياً وسياسياً وخارجياً وداخليــاً وللمسلمين وللناس جميعاً.. ويجب أن تكون الإدارة فى القدس والمسجد الأقصى للمسلمين ، لأن هذه البلدة يعيش فيها المسلمون منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة . أما إذا كان المقصود أن تكون موحدة لكل الأديان حيث يأتى إليها كل دين لممارسة شعائره فهنا نقول على العين والرأس . وأعود فأقول بأن القدس فيها المسجد الأقصى يجب أن تبقى إدارتها للمسلمين ، لأن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين وأحد المساجد التى يشد إليها الرحال ، ويجب أن

يعيش المسلمون فيها آمنين مطمئنين .. وأيضاً يجب أن يعيش فيها المسيحيون واليهود آمنين مطمئنين .

● إسرائيل تتشبث بالإشراف الكامل على الحرم الإبراهيمى الشريف وترفض مشاركة الفلسطينيين فى الإشراف ، كما أنها ترفض مشاركة الشرطة الفلسطينية فى الدوريات بالمكان؟؟

● ● ما معنى ذلك . هذا الرفض نحن لانؤيده بأية صورة من الصور فالحرم الإبراهيمى منسوب إلى سيدنا إبراهيم .. «إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ» (سورة آل عمران) ونحن الذين اتبعناه . ولما كانت العبادة لله الواحد القهار فيجب أن يشرف المسلمون على الحرم الإبراهيمى وأن يؤدوا شعائرهم فيه ويجب أن يؤدى فيه المسلمون الصلاة كما يؤدونها فى الكعبة المشرفة فى المسجد الحرام أو المسجد النبوى .

● هناك دعوة صدرت منذ شهرين لمنع الدعاة من مهاجمة اليهود . هل تتفقون مع هذه الدعوة؟

● ● ماقال عاقل بأن مهاجمة الظالم يمنع منها من وقع عليه الضرر . مصر من رئيس جمهوريتها إلى أقل فرد فيها كلها تتفق بأن مهاجمة الظالم بالحق والعدل أمر واجب .. مالا نريده هو المواجهة بدون دليل . لكن مادامت المهاجمة لظالم أو معتد أو مجرم فهى واجبة . بل إن شريعة الاسلام تأمر بها وكذلك القوانين الوضعية . ولايوجد عاقل يستطيع القول بأن مهاجمة اليهود ـ عندما يرتكبون مايسىء إلينا فى ديننا أو أعراضنا أو أموالنا ـ محظورة ويجب ألا تكون . ولكن فى الوقت نفسه يجب أن تكون المهاجمة موضوعية ترتكز على سبب حقيقى وتأتى نصرة للحق ودحرا للباطل ، ذلك أن المهاجمة التى لاتقوم على أساس ضررها أكبر من نفعها .

● رفضتم الذهاب إلى السودان عندما دعيتم لكى تؤموا صلاة الجمعة بالمسجد الرئيسى بالخرطوم . ماهى الأسباب ؟

● ● أنا لم أرفض . ولكن يحسن هنا أن أوضح هذه القضية .. كونى شيخ أزهر يعنى أننى موظف رسمى فى الدولة وأعرف مايجب على نحو وطنى . هناك جهات معينة هى التى توافق على سفرى أو لا توافق . وهى الأدرى بالظروف حيث الأجواء أمامها واضحة . وعليه فإن أية دعوة تأتينى من الخارج لابد أن تأتينى عن الطريق الرسمى ، فأنا كشيخ للأزهر بدرجة رئيس وزراء .. ومن ثم لابد أن تأتينى الدعوة من رئيس وزراء الدولة الداعية وأن تأتينى عن طريق وزارة الخارجية ، وتوجه الدعوة من الدولة الداعية إلى سفيرنا لدى تلك الدولة . وسفيرنا يوجهها إلى وأرسلها إلى الخارجية لتقول رأيها .. وبعد الخارجية هناك جهات أخرى على أعلى المستويات تقول رأيها أيضاً . فإذا رأت تلك الجهات ـ خاصة وأن الصورة تكون واضحة أمامها ـ أن فى زيارتى لتلك الدولة خيراً يعود على مصر فعندئذ سأكون أول الملبين للدعوة ، لكن إذا لم ترد الجهات الرسمية التى لدينا أو اشارت علىّ بعدم تلبيتها فى هذا التوقيت ؛ فأنا فى هذه الحالة أقول سمعاً وطاعة ـ لأن القرآن الكريم يأمرنا بأن نسأل أهل الخبرة .. «فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» . فأنا لست إنساناً فى غير وظيفة ، بل على العكس أنا فى وظيفة رسمية ولا ألبى دعوة أية

جهة خارجية إلا بعد أن تقرها الجهات المسئولة من خارجية وأمنية حتى إذا أعطتني الضوء الأخضر سارعت بتلبية أية دعوة . فأنا لا ألبي الدعوات إلا عندما تأذن الدولة لي بذلك وهذا أمر مسلم به في جميع أنحاء العالم.

● ولكن ذلك من شأنه أن يعطي الانطباع بأن الأزهر يخضع للدولة رغم أن المفروض أن يكون جهازاً مستقلاً؟

●● الأزهر لا يخضع للدولة . الأزهر كمؤسسة رسمية في الدولة هو أستاذ لغيره في حدود تخصصه أياً كان هذا الغير . وكلمة الأزهر في الأمور الدينية تعلو كل كلمة في الدولة ، ولكن كلمة جهات الاختصاص فيما يتعلق بالأمور السياسية والأمنية فوق كلمة الأزهر . نحن نتعاون .. فليس معنى أن استجيب للدولة في شأن كهذا أن أكون خاضعاً . فما أفعله هنا يوجبه عليّ ديني ، لأن تخصصي في الجوانب الدينية يوجب عليّ مراعاة غيري من المتخصصين في الجوانب الأمنية والسياسية .

وأنا أتحدث في نقطة محددة أنا أؤمن بها وقالها الإمام الغزالي منذ أكثر من ألف سنة : « ما من عالم في فن إلا وهو تلميذ لغيره في فن آخر » . فأنا أستاذ لك فيما يتعلق بالناحية الدينية ولكن من الجائز أن تكوني أعلق مني فيما يتعلق بالأمور السياسية . ولهذا عندما أريد الأقدام على أمر ما ؛ فإني أستشيرك بحكم أن لديك الأنوار الكاشفة أكثر مني في الأمور السياسية ، فإذا قلت لي إن هذه المسألة من الناحية السياسية ليست مناسبة سأقول لك عندئذ سمعاً وطاعة لأنك أنت من أهل الخبرة في هذا المجال . والقرآن يقول « فَسْئَلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ » النحل / ٤٣ ـ فليس معنى عدم تلبيتي الدعوة للذهاب إلى السودان خضوعي للدولة ، وإنما معناه استجابتي للمصلحة العامة التي يراها من هو أدرى مني بهذه المصلحة في جوانب ليست دينية مثل الجوانب السياسية والأمنية والشخصية ، وفي هذه الحالة أنا ملزم أن أطيع غيري فيما هو حق وعدل .

● هناك جرائم في المجتمع لم يعد القانون يشكل رادعاً بالنسبة لها ، وأذكر على سبيل المثال قضية الاغتصاب ، والتي امتدت إلى الأطفال ألم معي بأنه يجب أن تسن قوانين رادعة ضدها !

●● أعتقد أن القوانين الرادعة موجودة بدليل أن هذه القوانين في تصوري تبيح للجهات القضائية أن تحكم على المغتصب بالإعدام؟

ولكن أكثر الأحكام لاتصدر بالإعدام . فهذه مسألة ترجع إلى ضمير القاضي نفسه . لأن القاضي قد يكون مقتنعاً بأن هذا المغتصب يستحق عقوبة الإعدام فيحكم بها ، وقد لايكون مقتنعاً بأن ارتكاب جريمة معينة لايؤدي إلى الحكم بالإعدام فيحكم حكماً آخر هو قد اقتنع به .

● ولكن ماذا عن القصاص في الإسلام بالنسبة للمغتصب ؟

●● بينه الله الكريم في قوله ـ عز وجل: «وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾» سورة البقرة) ، إذن القصاص أمر من الله أما معنى «ولكم في القصاص حياة» أي حياة آمنة شريفة سعيدة .. يا أولي الألباب ـ أي يا أصحاب العقول السليمة ، فمن الناحية الشرعية نجد أن شريعة الإسلام صانت أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم وكرامتهم . فإذا جاء إنسان

واعتدى على أعراض الناس وحرماتهم ، فإن شريعة الإسلام تأمر بأن يعاقب هذا المعتدى بالعقوبة التى تتناسب وجريمته . والقوانين الوضعية الموجودة فيما يتعلق بحماية الأعراض لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، بدليل أن القاضى قد يقتنع بأن المعتدى على عرض غيره يستحق عقوبة الإعدام فيحكم عليه بها وتلك هى شريعة الإسلام .

● وماذا إذا لم يقتنع ولم يزد حكمه على عدة سنوات بالسجن ؟

● ● هذه مسألة مردها إلى إقتناع القاضى . فإذا قلنا لماذا لايحكم على كل من يتهم بتهمة بالإعدام لكان معنى ذلك أننا ننصب أنفسنا قضاة ونتجاوز بذلك الجهة القضائية الرسمية ، وكأننا نقول لها عندئذ : اعتزلى أنت منصة القضاء ونحن الذين سنتولى إصدار الأحكام وهذا لايليق عقلاً.

● كارثة السيول التى اجتاحت «قنا» كانت تتطلب تضافراً من الجميع للتخفيف من حجم المأساة على مواطنى الصعيد . ألا ينبغى أن يكون رجال الدين قدوة فى الدعوة إلى التضافر ومساعدة هؤلاء فى مثل هذه الملمات؟

● ● نحن لانؤيد بالطبع أن يتحرك من يتعرض لكارثة بمفرده . ولكن الجهات الدينية جهات إرشاد وتوجيه ، وليست جهة تنفيذ وتسليط الضوء على وجوب التضافر ، وتقديم يد العون للآخرين أمر واجب ــ وهو ما أتناوله دائماً فى أحاديثى الدينية وأكرر دائماً حديث النبى صلى الله عليه وسلم : «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» .

وأردد قول الله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان» المائدة / ٢ ومن حق كل مصرى. سواء أكان مسلماً أم مسيحيا أن يعطى بنفس الفرص ،وإخواننا الذين أصيبوا بكوارث سواء أكانت فى أسوان أو قنا أو سوهاج أو أسيوط أو المنيا أو فى أى بقعة فى مصر من حقهم علينا أن نسعى إلى مساعدتهم . كحاكمين ومحكومين فإننا مسئولون أمام الله أن نقدم لهم يد العون والمساعدة .. وإذا قصرنا فى ذلك سيسألنا الله ــ عز وجل ــ عن هذا التقصير . وهذا بالنسبة للجزاء من الناحية الدينية أما الجزاء من الناحية الاجتماعية فإن تقصيرنا سيؤدى الى الإكثار من التطرف والتخريب والإرهاب لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها . فإذا وجدت أننى فى مصيبة ولم يساعدنى أحد وخرجت منها بتوفيق من الله فإنى سأكون مشحوناً بمشاعر عدم الحب ، فإذا حلت مصيبة ببلدى ــ لا قدر الله ــ فإنى عندئذ لن أغار ولن أسعى لإزالتها وإنما أقول كما قال أمير الشعراء فى قصيدة طويلة .

لا أزود الطير عن شجر
قد بلوت المر من ثمره

● هل أنتم راضون عما يعرض على شاشات التليفزيون خلال شهر رمضان؟

● ● كل ما نريده أننا نرجو أن تكون البرامج متناسقة ومتناسبة تتضمن النواحى الاجتماعية الطيبة والتمثيليات الهادفة التى تدعو إلى مكارم الأخلاق والأحاديث الدينية و العلمية.

برامج فيها الترفيه البرىء الذى لا يتنافى مع مكارم الأخلاق.

أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض

الأبوة الحانية .. والبنوة الصالحة

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

الولد الصالح ، نعمة ، ورحمة ، وبهجة لقلب أبويه ، ودرة ثمينة فى عقد أسرته ، وعمل صالح لأمته ، فالولد إذا نشأ فى بيئة طيبة ، ورُبّى تربية سليمة ، وغذى بالقيم العالية الثابتة نفع نفسه ، ونفع الجماعة ، وكان للخير محباً ، وعليه معينا ، وللشر مبغضاً ، وله مجتنباً .

وهذا دعاء أبى الأنبياء إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام يؤكد سعادة النفس بالولد الصالح الذى يرجى منه الخير ، ويؤمن شره :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (إبراهيم

إنها نفس طيبة رزقها الله ـ عز وجل ـ ذرية طيبة هى قرة العين . لذا توجه الخليل إلى ربه أن يثبته وأولاده على دينه القيم ، وعلى طاعته ، وأن يجعل ذلك فى ذريته ؛ إذ الإنسان بالنفس لا بالجسم ، بالروح لا بالمال ، بالعقيدة الصحيحة ، والآداب السامية لا بالأحساب والأنساب ، ولنتدبر دعاءه :

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ (إبراهيم : ٤٠) .

دعا لنفسه ، ثم دعا لذريته أن يكونوا حتى آخر لحظة من الحياة ممن يعبدون الله ويطيعونه ويؤدون الصلاة شكراً للمنعم الوهاب ، ثم ألح عليه بالدعاء ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ والله يحب الملحين فى الدعاء .

وأثنى الله على نبيه إسماعيل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لدأبه على توجيه أهله وأولاده نحو الخير ، وتثبيتهم على طريق الطاعة والشكر وأداء حقوق الله :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ ﴾ (سورة مريم)

وهذا حفيد خليل الرحمن يعقوب يتابعه فى وصية الأبناء بالثبات على دين الله عز وجل ، والانقياد لطاعته سبحانه ، وإسلام وجوههم لهم ، ففى هذا خيرهم ونجاتهم ، وسكينة نفوسهم :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٢) .

أى وصى إبراهيم - عليه السلام - بنيه بوصية ربه له :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ (سورة البقرة) .

ثم جاء يعقوب فوصى بها بنيه أحفاد خليل الرحمن - عليهم الصلاة والسلام - إنها وصية القلوب الطاهرة الحريصة على سلامة الأبناء من مزالق الأهواء ونزغات الشياطين . وحتى تسلم مهجهم ، ويفوزوا برضوان الله ورحمته .

إن الأب العاقل الحكيم هو الذى يرحم ولده بإحسان تربيته ، وإحاطته بالرعاية والتوجيه السديد ، وتنمية نوازع الخير فى نفسه .

ولنتدبر صورة كريمة لهذا الاتجاه الأبوى الكريم فى رحمته بالولد ، هذه الصورة يرسمها لنا القرآن الكريم على نحو يأخذ بالألباب ، ليعقوب - عليه السلام - وهو يودع الدنيا ويستقبل الآخرة فيجرى حواراً بديعاً رائعاً مع بنيه :

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ ﴾

لا شك أن قلبه اطمأن لجواب بنيه ، واستقبل الآخرة قرير العين لسلامة يقينهم ، وارتباطهم بالسلسلة الذهبية لأهل التوحيد النقى الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك أو الشك ، وقد أكدوا إخلاصهم بتأكيدهم الانقياد التام لأوامر الله ، وإخلاصهم الطاعة له وحده :

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ ﴾ .

تلكم هي الذرية التى تسر القلب ، وتسعد النفوس ، وتصلح بها الحياة ، وتستقيم على يديها الأمور ، وإنها نماذج كريمة للأبوة الحانية أعطاها الله الحكمة ، ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، وقد قص علينا الله - عز وجل - قصصهم ، وبين لنا أحوالهم لأنها النماذج البشرية الكاملة

الصالحة لتقتدى وتعمل ، وتسير على هذا الصراط المستقيم الذى يهتدى سالكه بنور العلم والحكمة ، ولا يفلح تاركه .

أثر البيئة الصالحة :

إن هذا التكوين الطيب للأسرة وللأمة لا يمكن أن يتم إلا فى إطار الأسرة المستقرة القائمة على علاقة وثيقة من التعاون والرحمة بين الزوجين ـ الرجل والمرأة ـ بحيث يأتى النسل جزءاً متمماً لنفسين كريمين ، يحمل اسم الأب انتماء للأصلاب التى بها تتضح معالم الأنساب ، وتنمو الجماعة على نحو مترابط ، تتوثق فيه العلاقات الاجتماعية جيلا بعد جيل على نحو سليم يحفظ للأمة شخصيتها المتميزة ، ويوجه الأجيال الوجهة الصالحة اللائقة بالإنسان ومكانته .

الفوضى باسم الحرية دمار وضياع :

لذا كانت الفوضى فى العلاقات بين الجنسين مؤدية إلى تدمير البناء الاجتماعى للأمة ، وشعور الجيل أو الأجيال التى تنشأ عن هذا الغرس السيىء بالضياع وضعف النفس وما يترتب على ذلك من شعور بالصغار فالحقد على الأسوياء ، فالضيق .. حتى بالوطن نفسه ، ويوازى هذا فى سوئه الكذب فى الأنساب والافتراء فيها بانتساب إنسان إلى غير أبيه ، وفى الحديث المتفق عليه رواية سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من ادعى إلى** غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » .

ورواية أبى هريرة : « لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه فهو كفر » (متفق عليه) .
وفى رواية أبى ذر : « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » لأن فى ذلك ستراً للحقيقة ، وإنكاراً للفضل ، وضياعاً لمعالم الترابط الأسرى الذى هو قوام الجماعة المؤمنة المتراحمة ، القائمة على التناصر والتواصى بالحق والخير .

الانتماء إلى الأصلاب فطرة نقية :

إن الانتماء إلى الأصلاب يعطى الناشئة ملامحها الحقيقية ، ويكسبها سكينة ، ويضيف إلى القوم رأياً وقوة وعزماً ، ويزيد الأسرة تراحماً والأمة قوة ومنعة ، ويحفظ للقبيلة أو الجماعة تاريخها، ولقد ازدهر شرف الأنساب فى ظلال الإسلام وصار خيارهم : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام .

طهارة نسب الرسول محمد ـ ﷺ ـ :

ولنتأمل طهارة نسب الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانحداره من أصلاب نقية عن طريق الزواج والنكاح ، ومن ترائب طاهرة ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف ولد آدم حسباً ، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه ، ذرية بعضها من بعض في الشرف والنقاء والصفاء وسلامة الأنساب ووضوحها ومتانة الأعراق ، وقد حفظ لأجداده ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفضل جيلاً بعد جيل ، وقد جاء في الحديث عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما ولدتني بغي قط منذ كنت في صلب آدم ، فلم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر ، حتى خرجت في أفضل حيين في العرب : هاشم وزهرة » (حاشية سيرة ابن هشام ـ الجزء الأول ، صفحة ١١٠) .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعبر عن اعتزازه بنسبه إلى قريش ، قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر » (سيرة ابن هشام ، الجزء الأول ، صفحة ١٦٧) .

فهذا النسب انتماء إلى الأصلاب يدعمه انتساب كريم آخر من جهة أمه ـ صلى الله عليه وسلم ، وقد شرفوا جميعاً به وزادوا عزاً ونبلاً ونباهة شأن .

أبو بكر الصديق (النسابة) :

وكان أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنسب العرب وأعلمهم في هذا الباب ، مع اعتزاز العرب بعلم الأنساب ، وحفظها جيلاً بعد جيل(*) ، وكان رضي الله عنه يحض على تعلم الأنساب ، ويسعى لتعليم من يتوسم فيهم القدرة والنباهة ، ومما يؤكد فضل هذا الأمر : أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه حين افتتحت المدائن وأتي بسيف النعمان بن المنذر ، دعا عمر إليه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي يسأله عن النعمان ، وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، فقال : فمن كان يا جبير النعمان بن المنذر ؟ يعني ما أصوله ؟ ما عروقه التاريخية ؟ فأجاب جبير : النعمان كان من أشلاء قنص بن معد ، أي : من بقايا أولاد قنص بن معد أي ابن عدنان وذريته ، وهؤلاء كانوا تفرقوا بعد معارك دارت بينهم وقحط حل بهم بالحجاز ، فساروا نحو سواد العراق ، ثم أجلاهم عنه من تغلب عليهم فتمزقوا أشلاء وقطعا متناثرة لحقت بقبائل العرب ، ودخلوا فيهم ، وانتسبوا إليهم .

(*) وقد عاب الجاحظ ـ رحمه الله تعالى ـ الأعاجم ، فأشار إلى عدم اهتمامهم بالأنساب اهتمام العرب بها وذكر أن الرجل منهم ينتسب إلى بلده ، وقلما يقدر منهم من تجد له نسباً متصلاً .

فانظر كيف استطاع جبير - رضى الله عنه - تحديد نسب النعمان بن المنذر ورده إلى جذوره برغم تشتت قبيلته وتناثرها .

إن جبير بن مطعم يعترف بالأستاذية فى هذه الدقة العلمية لأبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فكان يقول : إنما أخذت الأنساب من أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وكان أبو بكر أنسب العرب » (قصة جبير مع عمر فى سيرة ابن هشام صفحة ١٢ ، الصلب والهامش الجزء الأول) .

وحسّـــان بن ثـــابت :

وتشعر بقوة وجمال هذا العلم وأنت تسمع لحسان بن ثابت - رضى الله عنه - ينبئك عن جذور الأنصار - الأوس والخزرج - أهل المدينة المنورة وأنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول : « والأنصار بنو الأوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث .

والغوث تتصل سلسلة نسبه بيعرب بن قحطان من اليمن أصلاً ، وكان حسان يقول عن نسبه :

يا أخـت آل فـراس إنـى رجـــل ... من معشـر لهـم فى المجـد بنيـــان
إمـا سـألت فإنـا معشـر نجـب ... الأسـد نسـبتنا والماء غسـان

وتلك قطرة من بحر فى هذا الباب ، ومجرد أمثلة ، تنبيها إلى فضل هذا الباب ، وتأكيداً لكرامة قوة الانتساب إلى الأصلاب .

تحـريم الطعن فى الأنســاب :

ومما يؤكد شرف الانتساب إلى الأصلاب ما جاء من تغليظ النبى عن الطعن فى الأنساب احتراماً لتلك الرابطة الإنسانية التى بها تتضح معالم شخصية المرء : طفلاً وشاباً ورجلاً وشيخاً ، فقد جاء عند « مسلم » عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **اثنتان فى الناس هما بهما كفر : الطعن فى الأنساب ، والنياحة على الميت** » .

إن نسب المرء إلى أبيه وارتباطه بسلسلة آبائه وأصلابه يكسبه قوة فى الشخصية وطمأنينة نفسية ، فإذا التقى مع هذا حلاوة الإيمان وصدق اليقين ، وسلامة الدين كان الخير أعم ، والسكينة أعظم ، واكتسى الإنسان وقاراً وسماحة نفس وتواضعاً كريماً بفضل إيمانه بالدين الحق وانقياده لتعاليمه وآدابه .

قبس من أنوار النبوة

الشجاعة في الحق

لفضيلة الشيخ

علي حامد عبد الرحيم

عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال :
قال رسول الله ﷺ «لا تكونوا إمَّعَة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن لا تظلموا» .
« رواه الترمذي »

الإمعة : الذي لا رأي له

إن النظرة الفاحصة في هذا الحديث النبوي تعطي للإنسان المؤمن وصية من أجمع وصايا الرسول ﷺ : كافية لتربية أمة بأسرها، وتثقيف شعب بأجمعه عندما يتنبه الناس لمغزاه، ويعملون بمقتضاه ، ويأخذون أنفسهم بتعاليمه العالية، ومقاصده الشريفة التي تدعو أهل الإيمان إلى إثبات الشخصية الإسلامية والسمو بالعقل عن مهابط التقليد وتحرير الإرادة من رق اتباع أهواء الناس، والسير في ركاب أغراضهم ، وموافقتهم في باطلهم وشرورهم أو الخضوع لبدعهم الضالة ، وأعرافهم الفاسدة ، أو التسليم بقبيح عاداتهم ومذاهبهم الهدامة ، وآرائهم المسمومة ، وأفعالهم الزميمة .

والحديث دعوة للمؤمن أن يكون آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستحيا لأمر ربه :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

سورة آل عمران : آية ١٠٤

داعيا إلى دين الله القويم ، وصراطه المستقيم بالتي هي أحسن استجابة لدعوة الله حيث يقول :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

سورة النحل : آية ١٢٥

يجهر بكلمة الحق وهو فى ذلك يضع نفسه فى المكانة اللائقة بها فلا يحتقرها ولا يزدريها بالجبن فهو قائم بالحق لا يخشى فى الله لومة لائم مهتد بتوجيه الرسول ﷺ حيث يقول فيما رواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى : **« لا يحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يارسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل — يوم القيامة : ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول الله : إياى كنت أحق أن تخشى »** .

والمؤمن الحق لا يتخلى عن حق الله إذ أن التخلى عنه أمر لا يتفق مع عمق إيمانه بربه ولا مع صدق احترامه لنفسه فإن تخلى كان إمعة لا رأى له ، يتابع الناس على رأيهم وسلوكهم ويصرح لكل أحد بقوله : أنا معك .. أنا معك ، ويتابع العرف والبيئة على ما هما عليه دون أن يقيس ما يرى ويسمع بمقياس الدين ويزنه بميزان العقل السليم .

والإمعة لا يخلو حاله من أحد أمرين — وكلاهما لا يليق بأهل الإيمان :

إما أن يكون جاهلا فهو ذيل مقلد تقليدا أعمى ، يطبل لكل زامر ، ويتبع كل ناعق .

وإما أن يكون مدعيا للجهل عن قصد وعمد فهو يعلم الحق ولا يتبعه لحاجة فى نفسه فهو يوافق كل أحد ليكسبه أو يخدعه ، وهذا هو النفاق بعينه وهذا أخبث من سابقه منزلة ، وأحط درجة لأنه يقول للناس : أنا معكم إن أحسنتم أحسنت وإن أسأتم أسأت .

ولنستمع إلى رسول الله ﷺ فى هذا الشأن : فيما رواه الطبرانى بإسناد جيد عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ :

« من أسخط الله فى رضا الناس ، سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه ، ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه ، حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينه » .

وإن من بديع حكمة الله فى هذا الصنف الذى أسخط الله فى الناس وكره رضوانه ونسى عقابه وحسابه ، أن يبدل الله أمنهم خوفا ، وإذا قلوب العباد تبغضهم وتتحول مودتهم عندهم عداوة لهم ، ورضاهم سخطا عليهم ، وهانوا على العباد وخفف وزنهم فلا دنيا أصابوا ، ولا دينا أقاموا ، ولا جاها اكتسبوا وكان جزاؤهم وفاقا ، ومكافأة عادلة ، وكان الجزاء من جنس العمل .

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

سورة الحشر : آية ١٩

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

سورة الصف ـ آية : ٥

أما أهل الإيمان الصريح، والعقيدة الراسخة فهم يوطنون أنفسهم على الإحسان فى أنفسهم ودعوة غيرهم إليه.

وإن أساء الناس وظلموا فلا يتبعوا ظلمهم بل يتمسكوا بالعدل، وحبل الإنصاف فإنهم على الحق ومع الله وفى شأن المتمسكين بالحق قال النبى ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله »..

رواه مسلم عن ثوبان.

« من طلب محامد الناس بسخط الله عاد حامده ذاما »... رواه البزار.

فلا مداهنة على حساب الحق، إن قول الحق لا يقرب من الأجل، ولا يباعد من الرزق لأن أمر الآجال والأرزاق إلى الخلاق الرزاق وإن أفراد الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك.

وشعار المؤمن :

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

سورة التوبة : آية ٥١

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

سورة الحج

« وفقنا الله لقول الحق والوقوف إلى جانب الحق، إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل ».

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

سورة النحل

« مدير تحرير مجلة الأزهر »

صدر قرار فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى بإسناد إدارة تحرير المجلة إلى الشيخ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم وذلك بتاريخ ١٢ من رمضان ١٤١٧هـ / الموافق ١٩٩٧/١/٢١. ومدير التحرير الجديد من شاغلى الدرجة الأولى التخصصية بالمجموعة النوعية التخصصية لوظائف الإعلام بالأزهر الشريف.

من رجال الحديث الشريف

العباس بن محمد الدورى

وروايته لكتاب تاريخ يحيى بن معين

عرض الأستاذ/ أحمد تقى الدين

الدورى : هو العباس بن محمد بن حاتم بن واقد ، أبو الفضل الدورى ، مولى بنى هاشم .
ولد سنة خمس وثمانين ومائة من الهجرة .
سمع شبابة بن سوار ، وأبا النضر : هاشم بن القاسم ، وعبدالوهاب بن عطاء ، ويونس بن محمد ، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد ، وأبا داود الطيالسى ، والحسن بن موسى الأشيب ، ويحيى بن أبى بكر ، وعبيدالله بن موسى ، وخالد بن مخلد ، وخلف بن تميم ، وأبا نعيم ، والحسين بن على الجعفى ، وعثمان بن مسلم ، ويحيى بن معين .. [وغيرهم] .

روى عنه يعقوب بن سفيان ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل ، وجعفر الفريابى ، وأبو جعفر النسائى ، وقاسم بن زكريا المطرز ، وأبو القاسم البغوى ، ويحيى بن صاعد ، والقاضى المحاملى .. وغيرهم[1] .

قال ابن أبى حاتم : صدوق ، سمعت منه مع أبى ، وسئل عنه أبى ، فقال : صدوق .

وقال النسائى : ثقة .

وقال الأصم : لم أر فى مشائخى أحسن حديثا منه .

---

(1) تاريخ بغداد ، جـ ١٢ ص ١٤٤ : ١٤٥ .

وذكره يحيى بن معين فقال : صديقنا وصاحبنا .

وقال مسلمة : ثقة .. وذكره ابن حبان في الثقات .. وقال الخليلي في الإرشاد : متفق عليه (يعني عدالته)[2] وقال الذهبي : وكتابه في الرجال عن أبي معين ، مجلد كبير نافع ينبىء عن بصره بهذا الشأن[3] .

توفي يوم الثلاثاء لخمس عشرة خلت من صفر سنة إحدى وسبعين ومائتين ، عن ثمانية وثمانين عاما .[4] .

وحين يذكر الدوري تذكر روايته عن يحيى بن معين[5] . هذه الرواية المسماة : التاريخ ، وبعض المراجع تنسبها تارة إلى يحيى بن معين وأخرى إلى الدوري ، ويحصل هذا كثيرا في المصادر القديمة ، حيث تنسب تارة إلى مؤلفيها ، وأخرى إلى رواتها ومدونيها عن أصحابها .

هذه الرواية قام على تحقيقها ودراستها الدكتور أحمد محمد نور سيف ، وصدرت في أربعة مجلدات ضخمة لتبرز واحدة من أهم الروايات ، أو الدراسات المتخصصة في علم الجرح والتعديل .

والرواية في أصلها ـ حسبما يورد المحقق ـ تتألف من مائة وسبع وستين ورقة متوسطة الحجم ، مسطرتها ما بين ثلاثة وعشرين إلى سبعة وعشرين سطرا ، وتقع في أحد عشر جزءا ، ويتفاوت عدد الأوراق بين كل جزء وآخر ،خطها نسخي يتخلله ضبط كثير .

نسخها الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد ابن أحمد عبدالرحمن : ضياء الدين المقدسي الصالحي عام ٦١٠ هـ ، وكان نازلا بهراة ، بصحبة الحافظ أبو إسحاق الصريفيني ، وسمعا الكتاب على الشيخ أبي روح عبدالمعز بن محمد الهروي مع آخرين مثبتين في السماعات .

نظم الدوري روايته على طبقات ، حسب الأمصار ، حيث بدأ بالصحابة ، ثم التابعين ، ومن بعدهم في الأمصار المختلفة ، وترد هذه الطبقات في ثمانية أبواب ، ويشتمل الباب أحيانا على طبقة أو أكثر من أهل الأمصار المختلفة كالمكيين ، وأهل الطائف ، وأهل اليمن ، أوردهم الدوري في الباب الثاني بعد أن أورد الصحابة في الباب الأول ، كما يورد الطبقة الواحدة من أهل الأمصار في بابين كما في البصريين ، وأوردهم في الباب الرابع ، والخامس .

ضمت الرواية مادة غزيرة من الأعلام ، تارة بأسمائها ، وتارة بألفاظها ، وتارة بأنسابها ، واشتملت على قدر كبير من الأحاديث ، ويبلغ عدد نصوص الرواية ـ كما أوردها المحقق ـ خمسة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر نصا .

ونظرا لما لهذه الرواية من مكانة عند العلماء لغزارة مادتها ، وكثرة فوائدها ، فقد قام الحافظ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ، المعروف

---

(2) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، جـ ٥ ص ١٢٩ : ١٣٠ .

(3) الإمام الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ ٢ ص ٥٧٩ .

(4) تهذيب التهذيب ، جـ ٥ ص ١٢٩ .

(5) سبق وأن قدمنا مقالا عن الإمام يحيى بن معين في عدد المحرم ١٤١٧ ص ٢٤ .

ـ (ابن الأعرابي) بترتيب هذه الرواية على حروف المعجم ، وكان هذا الترتيب عاملا على انتشار هذه الرواية ، فقد عرفت في مصر ، وبلاد المغرب ، واعتمد عليها ابن عبد البر في تآليفه ، وذكرها ابن خير الأشبيلي في فهرسته ، واستخدمها ابن حجر في مصنفاته ، وأشار إليها الكتاني في رسالته .

ويحدد المحقق مميزات هذه الرواية عن غيرها من الروايات التي روت عن يحيى بن معين في النقاط التالية :

ـ تنوع النصوص في الشخص الواحد ، مع إيضاح الأسباب أحيانا التي بنى عليها يحيى نقده .

ـ تنوع الطبقات التي أوردها في روايته ، واشتمالها على تراجم لرجال من مناطق مختلفة .

ـ تنوع المادة وكثرتها حيث شملت عددا كبيرا من الصحابة ومن اختلف في صحبته ، وعددا كبيرا ممن جُرح أو عُدِّل وأحوالهم في الأخذ ، الأسماء والكنى والألقاب والأنساب .

ـ المفاضلة بين الرواة في الأخذ والسماع .

ـ الوفيات والمقارنة في السن .

ـ قضايا الإرسال والسماع ، ومن حدث من صحيفة .

ـ من أخذ عن الراوى ، وعمن أخذ ، وبيان مواطن السماع أحيانا .

ـ أوهام بعض المحدثين .

ـ من عرف ببدعة أو اتهم بها .

ـ قضايا الكتابة والتدوين .

ـ بيان الأبناء والإخوة ومن تربطهم بالراوى صلة .

ـ بيان مواطن الرواة ومن تحول إلى غيرها .

ـ ضبط بعض الأعلام التي تكون موضع اختلاف .

ـ التفريق بين الرواة عند التشابه ، وبيان من أبهم في موضع .

ـ من عرف بالسماع لأحاديث معينة .

ـ بيان الغريب من الألفاظ .

ـ قضايا في مصطلح الحديث .

ـ الأحاديث الأفراد .

ـ ألفاظ في القراءات أو التفسير .

ـ أحاديث ينبه على أنها موضوعة .

ـ أحاديث يوردها الدورى لمناسبة ذكرها ابن معين .

ـ الأحاديث المعلَّة بالإرسال ، أو لاختلاف الرواة .

ـ قضايا فقهية عن يحيى وغيره .

ـ قضايا تاريخية ومناسبات أخرى .

ـ يستدرك الدورى أحيانا على يحيى في إيضاح النص أو تفسيره .

جهد المحقق :

بذل المحقق الدكتور أحمد محمد نور سيف جهدا رائعا في إخراج الكتاب على هذه الصورة وقد وقعت مقدمة التحقيق وحدها في أربعمائة وثمانية وأربعين صفحة تناول فيها كيفية نقد الروايات ، ومهمة الناقد ، والغاية التي يسعى إليها ، ودوافع النقد ، وعوامل ظهوره ، وطبقات النقاد في الأمصار المختلفة ، وصلة يحيى بن معين بهم ، وتطور النقد ومراحل تدوينه .

ثم قام المحقق بدراسة حياة يحيى بن معين الاجتماعية ، والفكرية ، والعلمية ، ووقعت هذه

الدراسة وحدها ـ فيما يزيد على مائة صفحة ـ .

بعد ذلك عقد المحقق مقارنة بين الروايات[6] عن يحيى بن معين : أهمها ، وما اشتملت عليه ، وما امتازت به ، وهى :

رواية ابن محرز ، ورواية ابن الجنيد ، ورواية الدارمى ، ورواية إسحاق بن منصور الكوسج ، ورواية الدورى .

ثم قدم المحقق دراسة وصفية للكتاب ، وختم مقدمته بشرح منهجه فى التحقيق .

كذلك قام المحقق بدراسة وتحقيق دقيق لخمسة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر نصا شكلت ثلاثة أجزاء كاملة من الكتاب فكونت عملا ضخما حيث وقع الجزء الثانى فى سبعمائة وإثنتين وسبعين صفحة ، والثالث فى خمسمائة وتسع وسبعين صفحة ، والرابع فى خمسمائة وأربع وأربعين صفحة ، بينما يمثل المجلد الأول المقدمة .

وفى نهاية التحقيق ختم الباحث دراسته فى جزئها الرابع بدراسة السماعات المثبتة على الأجزاء ، فقسمها إلى ثلاثة أنواع :

● الأول : ما أثبته الناسخ ، أو نقله من الأصل الذى نسخ منه :

وهى السماعات المؤرخة على النحو التالى :

ـ سنة ٦١٠ هـ سماع الناسخ من أبى روح ، عبد المعز بهراة .

ـ سنة ٥٣٠ هـ سماع أبى روح ، وأخيه أبى الفضل من أبى الفتح المضرى ، وأبى نصر الصوفى بهراة .

ـ سنة ٤٧٦ هـ سماع أبى الفتح المضرى ، وأبى نصر الصوفى ، من أبى سعد الحاكم ، حكيم بن أحمد الأسفرائينى .

● الثانى : سماع أثبت بعد ذلك على النسخة حين قرأها أحمد بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسى على والده محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسى سنة ٦٨٥ بإجازته من الشيخ أبى روح عبد المعز .

وقد أثبت هذا السماع على النسخة بعد نسخها ومعارضتها بخمس وسبعين سنة .

● أما النوع الثالث : فهو سماع أثبت على هذه النسخة بعد نسخها باثنتين وأربعين سنة بقراءة محمد بن أحمد بن محمد الأصبهانى على الشيخ أبى الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقى سنة ٦٥٢ هـ بسند آخر مثبت فى السماع عن أبى طاهر ، أحمد بن محمد بن أحمد السلفى بروايته عن أبى عبدالله : القاسم بن الفضل بن محمود الثقفى عن أبى عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمى ، عن أبى العباس : الأصم عن الدورى عن يحيى بن معين .

ولعلنا فى هذه العجالة نكون قد أعطنا بجهد ضخم بذله علماء أفذاذ نذروا أنفسهم لله يريدون وجهه ونسأل الله أن ينفعنا وينفع الناس بعلمهم ..

---

(٦) سبق أن نشرنا مقالين لعرضنا روايتين عن الإمام يحيى بن معين ، الرواية الأولى « تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن أبى زكريا يحيى ابن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم » ونشرت فى عدد جمادى الأولى ١٤١٧ هـ ص ٦٤٨ والثانية « من كلام أبى زكريا يحيى بن معين رواية يزيد بن الهيثم بن طهمان البادى » ونشرت فى رمضان ١٤١٧ هـ ص ١٢٦٨ ، وحققهما الدكتور أحمد محمد نور سيف .

تصحيح وقت أذان الفجر

للأستاذ / عبد الملك على الكليب*

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد فمن المتفق عليه بين فقهاء المسلمين أن وقت صلاة الفجر يدخل بطلوع الفجر الصادق وهو البياض الذى يأخذ فى عرض السماء فى أفق المشرق فى موضع طلوع الشمس ويزداد بياضه تدريجيا مع صفرة أو حمرة حتى ينتشر فى جميع القبة السماوية .

كذلك من المتفق عليه فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية أن الظلام يكون دامسا عندما يكون انخفاض الشمس ١٨ تحت الأفق وأن أول خيط من الفجر يظهر بعد دقائق ليست بالقليلة من الوقت الذى يكون فيه مركز الشمس عند هذه الدرجة (١٨) .

وتقاويم الصلاة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى اليوم تحسب الفجر الصادق عندما يكون انخفاض الشمس ١٩.٣٣ تحت الأفق ، ومن المفروض عند من يقول هذا من الفلكيين العرب أن الفجر

* باحث إسلامى .

الصادق يطلع عند هذه الدرجة ، ولكن العلم والواقع بنفيان ذلك نفيا قاطعا ويثبتان أن الظلام يكون دامسا عندما ينادى بالصلاة ، ومن باب النصح للمسلمين وعدم كتمان العلم واحتسابا للثواب عند رب العالمين قمت بكتابة هذه الرسالة معرفا فيها ظاهرة الفجر فى اللغة وفى الكتاب والسنة وفى علوم الفلك والجو والملاحة والرصدات التى قمنا بها والمراسلات التى جرت مع مرصدى جرينتش الملكى والبحرية الأمريكية حتى يكون المسلم على بينة من وقت هذه الصلاة الجليلة التى يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ولئلا يقضى عمره وهو لا يعد مصليا لها لأنه يصليها قبل وقتها .

تعريف الفجر

أولا ـ الفجر فى اللغة :

الفجر : ضوء الصباح ، وهو حمرة الشمس فى سواد الليل وهما فجران ، أحدهما المستطيل وهو الكاذب الذى يسمى ذنب السرحان ، والآخر المستطير وهو الصادق المنتشر فى الأفق الذى يحرم الأكل والشرب على الصائم ولا يكون الصبح إلا الصادق .

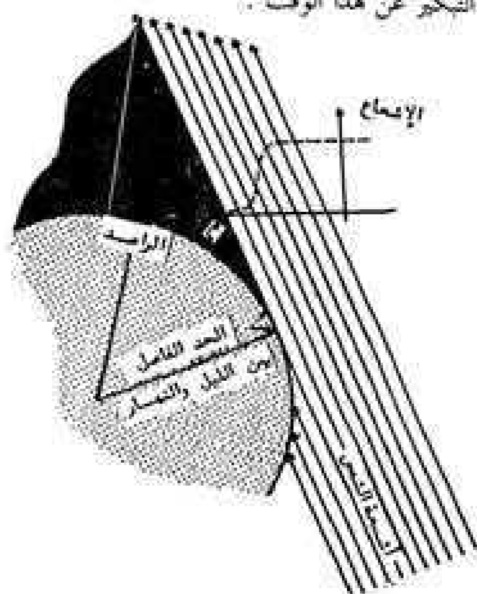
(لسان العرب م٢/١٠٥٣)

قلت : سمى ذنب السرحان وهو الذئب الأسود فإن باطن ذنبه ابيض بجانبيه سواد مثل الفجر الكاذب فهو عبارة عن عمود مضىء يمتد من المشرق إلى كبد السماء ويحيط به الظلام . ويسمى القسم الأول من الفجر الغلس ، وهو الذى حفظ عن رسول الله ﷺ انه كان يصلى فيه الفجر وهذه صفته .

والغلس : قال أبو منصور : هو أول الصبح حتى ينتشر فى الآفاق وكذلك الغبس (بالسين) وهما سواد مختلط ببياض وحمره مثل الصبح سواء ، وفى الحديث (كان يصلى الصبح بغلس) ، الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح .

(لسان العرب م٢/١٠٠٥)

قلت : هذه أوصاف الفجر والغلس فى لغة العرب وليس فيها ما يحتمل التأويل أو يدعو إلى التبكير عن هذا الوقت .



يبين الشكل (١) أبسط صورة لكيفية حدوث الفجر ، فالراصد الذى ينظر إلى الموضع الذى سوف تطلع منه الشمس يرى فقط تلك الأجزاء المتوهجة من الغلاف الجوى فوق الارتفاع (ع) .

ثانيا ـ الفجر في علم الفلك :

الشفق هو الفترة من الظلام الناقص بين غروب الشمس والظلام التام ، أو بين الظلام التام وشروق الشمس (الفجر) وهـو ينشأ عن انعكاس ضوء الشمس من الأجزاء العليا من الغلاف الجوى التي تظل منيرة بعد ان تكون الشمس قد اختفت عن مستوى سطح الأرض .

الموسوعة الأمريكية .

Twilight, the period of incomplete darkness between sunset and full night, or between full night and sunrise (dawn). It is caused by reflection of sulight from the higher parts of the atmosphere that are still illuminated after the sun has become invisible from ordinary heights.

The Encyclopedia Americana 1963 Vol.: 27, P:228

الفجر في الكتاب والسنة

قال الله ـ عز وجل :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ البقرة ـ ١٨٧

ففى هذه الآية يرخص الله ـ تبارك وتعالى ـ بالأكل والشرب حتى طلوع الفجر ، ولما كانت صلاة الفجر تعقب الإمساك عن الطعام فإنها لا تصلى إلا بعد طلوع الفجر حتما . ومن حديث عن المواقيت رواه أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ فى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه أتاه سائل يسأله عن مواقيت الصلاة فلم يرد عليه شيئا ، قال : فأمر بلالا فأقام الفجر حين **انشق الفجر** والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضا ـ ثم أخر الفجر من الغد حتى انصرف منها والقائل يقول : قد طلعت الشمس أو كادت ، ثم دعا السائل فقال : « الوقت بين هذين » .

(مسلم م ٥/١١٥)

انشق الفجر : يقال : شق الفجر ، وانشق إذا طلع ، كأنه شق موضع طلوعه وخرج منه .

(لسان العرب م٢/٣٤١)

وفى هذا الحديث دليل على أن أول وقت صلاة الفجر يقع عند طلوع الفجر وليس قبل ذلك ، وأن الوقت يستمر ما لم تطلع الشمس .

وروى البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين بعد أن يستبين الفجر ، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة .

(فتح البارى م٢/٢٥٠)

قال ابن حجر العسقلانى ـ رحمة الله تعالى ـ فى فتح البارى : (قوله بالأولى) أى الأذان الذى يؤذن به عند دخول الوقت وهو أول باعتبار الإقامة ، وجاء التأنيث إما من قبل مؤاخاته للإقامة أو لأنه أراد المناداة أو الدعوة التامة ،

ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف والتقدير : إذا سكت عن المرة الأولى . (قوله يستبين) بموحدة وآخر نون ، وفى رواية (يستنير) بنون وآخره راء .

(فتح البارى م٢/٢٥٠)

قلت : ليس أبلغ من هذا الحديث فى الدلالة على أن سنة رسول الله ﷺ فى هذه الصلاة قد مضت أنه لم يكن ينتظر فقط طلوع الفجر ، ثم يصلى الركعتين الخفيفتين (سنة الصبح) بل كان يمهل حتى يستنير الفجر ثم يصليهما ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة ، فانظر – رحمك الله – كم يبلغ الوقت بين طلوع الفجر واستنارته وصلاة الركعتين وبين الإقامة واذكر أنه كان يصلى بغلس وأن النساء كن ينقلبن إلى بيوتهن لا يعرفن من الغلس ، فهل يؤذن اليوم عند طلوع الفجر ؟

لا ، والله ؛ بل يؤذن والظلام مازال دامسا .

وهل يصلى المصلى سنة الصبح بعد أن يستنير الفجر أسوة برسول الله ﷺ ؟

لا ، والله ؛ بل يصليها أكثر أهل المساجد قبل طلوع الفجر .

وهل تقام الصلاة بعد مدة تكفى للتأكد من استنارة الفجر ومن صلاة ركعتين خفيفتين ومن الاضطجاع برهة لم يحفظ مقدارها ؟

هذه لو حلفت عليها لرجوت ألا أكون آثما .

إن صلاة الفجر تقام قبل طلوع الفجر وقد يقضى بعض المسرعان من الأئمة الصلاة قبل بزوغ الفجر . وروى أصحاب السنن بإسناد صحيح عن رافع بن خديج – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر » .

(شرح السنة م٢/١٩٦)

قال البغوى فى (شرح السنة) والعسقلانى فى (فتح البارى) : إن الإسفار المذكور فى هذا الحديث حمله الشافعى وغيره على تيقن طلوع الفجر وزوال الشك .

وقد لخص ابن قدامه – رحمه الله – وقت الصبح فى المغنى : قال : (وإذا طلع الفجر الثانى وجبت صلاة الصبح والوقت مبقى إلى أن تطلع الشمس) . وجملته أن وقت الصبح يدخل بطلوع الفجر الثانى إجماعا ، وقد دلت عليه أخبار المواقيت ، وهو البياض المستطير المنتشر فى الأفق ، ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح ، وَبَيَّنَهُ لك . **والصبح ما جمع بياضا وحمرة ومنه سمى الرجل الذى فى لونه بياض وحمرة أصبح** ، فأما الفجر الأول فهو البياض المستدق صُعُدًا من غير اعتراض فلا يتعلق به حكم ويسمى الفجر الكاذب ، ثم لا يزال وقت الاختيار إلى ان يسفر النهار .

(المغنى م١/٣٩٩)

فهل ما يفعله الناس اليوم هو ما كان يفعله أولئك الاقدمون ؟

لا ، والله ؛ بل إنهم لينصرفون اليوم من الصلاة وخاصة فى الصيف والظلام مازال مطبقا على الآفاق .

وروى ابن خزيمة والحاكم وصححاه ووافقهم الذهبى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « الفجر فجران : فجر

يحرم الطعام وتحل فيه الصلاة وفجر تحرم فيه الصلاة ـ أى صلاة الصبـح ـ ويحل فيـه الطعام » .

(بلوغ المرام ـ ٣٤)

قال ابن خزيمة رحمه الله : فى هذا الخبر دلالة على أن صلاة الفرض لا يجوز اداؤها قبل دخول وقتها .

(صحيح ابن خزيمة م١/١٨٥)

وقال ابن قدامة ـ رحمه الله : ومن صلى ـ قبل الوقت ـ لم تجز صلاته فى قول أكثر أهل العلم سواء فعل عمدا أو خطأ ، كل الصلاة أو بعضها ، وبه قال الزهرى والأوزاعى والشافعى وأصحاب الرأى . وروى عن ابن عمر وأبى موسى ـ رضى الله عنهما ـ أنهما أعادا الفجر لأنهما صليا قبل الوقت .

(المغنى م١/٤١١)

وقال ابن حزم ـ رحمه الله : سئل الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ عن الرجل يؤذن قبل الفجر يوقظ الناس ؟ فغضب وقال : علوج[1] فراغ لو أدركهم عمر بن الخطاب لأوجع جنوبهم ، من أذن قبل الفجر فإنما صلى أهل ذلك المسجد بإقامة لا أذان فيه ، وفى رواية : أنه سمع مؤذنا أذن بليل فقال : علوج تبارى الديوك ، وهل كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ إلا بعدما يطلع الفجر ، وعن إبراهيم النخعى أنه كان يكره أن يؤذن قبل الفجر ، وعنه ـ أيضا ـ قال : سمع علقمة بن قيس مؤذنا بليل فقال : لقد خالف هذا سنة من سنة أصحاب رسول الله ﷺ لو نام على فراشه لكان خيرا له .

وروى عن نافع مولى ابن عمر عن مؤذن لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقال له مسروح أذن قبل الصبح فأمره عمر ان ينادى : ألا إن العبد نام .

وعن الأسود بن يزيد قال : قالت لعائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ : متى توترين ؟ قالت : بين الأذان والإقامة ، وما كانوا يؤذنون حتى يصبحوا ، وعن نافع قال : ما كانوا يؤذنون حتى يطلع الفجر .

ثم قال على : فهذه أقوال أئمة أهل المدينة : عمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين ونافع وغيرهم . وهم أولى بالاتباع ممن جاء بعدهم فوجد عملا لا يدرى أصله ولا يجوز فيه دعوى نقل التواتر عن مثله أصلا ؛ لأن الروايات عن هؤلاء الثقات مبطلة لهذه الدعوى التى لا تصح ولا يعجز عنه أحد .

(المحلى م٣/١١٨)

الفجر فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية

يوجد فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية اتفاق عام على انه عندما تكون زاوية انخفاض الشمس ١٨° تحت الأفق أو أقل من ذلك بقليل (١٧ ٣٠ أو ١٧° مثلا) فإنه لا يوجد أى أثر لضوء الفجر على الأفق وفيما يلى عرض لبعض هذه النصوص :

---

(١) علوج ـ جمع علج : كل جاف شديد من الرجال .

١ ـ يعرف الشفق الفلكي بانه الفترة بين الشروق أو الغروب وبين الوقت الذى يكون فيه الموضع الحقيقى لمركز الشمس ١٨° تحت الأفق ففى هذا الوقت ترى نجوم الدرجة السادسة قرب نقطة السمت ، ولا يوجد عادة أثر لضوء الفجر أو الشفق على الأفق .

جداول سمثونيان للعلوم الجوية .

قلت : نجوم الدرجة السادسة هى أضعف النجوم لمعانا .

٢ ـ الفجر الفلكى : عندما تنخفض الشمس ١٨° تحت الأفق فقد تقرر إنها النقطة التى تفصل الظلام التام عن الشروق أو الغروب ، ومهما يكن من أمر فإن الإضاءة لا تدرك بالحس عندما تكون زاوية انخفاض الشمس أقل قليلا من ١٨° تحت الأفق .

الموسوعة البريطانية

٣ ـ (الفجر أو الشفق) عندما تكون الشمس غير بعيدة تحت الأفق فإن ضوءها يصل إلى الأرض منعكسا ومشتتا بواسطة الغلاف الجوى العلوى ، وتعرف الفترة التى تحدث أثناءها هذه الإضاءة بـ (الفجر أو الشفق) ويعتبر أنه يبدأ عادة (فى الصباح) أو ينتهى (فى المساء) عندما يكون مركز الشمس تحت الأفق بمقدار ١٨° .

1. Astronomical twilight is defined as the interval between sunrise or sunset and the time when the true position of the center of the sun is 18° below the horizon, at which time stars of the sixth magnitude are visible near the zenith and generally there is no trace on the horizon of the twilight glow.

Smithsonian Meteorological tables, Washington, D.C. 1971, P:506

2. Astronomical Twilight: When the sun dropped about 18° below the horizon; it has been adopted as the point that seperates complete darkness from sunset or sunrise. However, illumination is practically imperceptible when the sun is only slightly less than 18° below the horizon.

Encyclopedia Britannica, Vol.: 22. P:430.

3. Twilight: When the sun is not too far below the horizon, light reflected and scattered by the upper atmosphere reaches the Earth; the period during which this illimination occurs is known as twilight; and is usually considered to begin (in the morning) or end (in the evening) when the centre of the sun is 18° below the horizon.

انخفاض مركز الشمس	الوقت	Time	Depression of Sun's centre
شروق أو غروب الشمس		Sunrise or sunset	0° 50
الفجر أو الشفق المدنى		Civil twilight	6°
الفجر أو الشفق الملاحى		Nautical twilight	12°
الفجر أو الشفق الفلكى		Astronomical twilight	18°

It will be found, in general, that civil twilight marks the time when ordinary outdoor operations are difficult without artificial light, the brightost stars will be visible to the eye. By the time of nautical twilight the light will have deteriorated badly; general outlines will still be visible, although the horizon probably cannot be distinguished, all detailed operations are impossible, and all the brighter stars can be seen. Astronomical twilight may be taken as synonymous with darkne ss.

The Nautical Almarac, 1955, P:452

وسوف يوجد بوجه عام أن (الفجر أو الشفق) المدنى يحدد الوقت الذى تكون فيه الأعمال المعتادة خارج المنازل صعبة بدون الضوء الصناعى ، ويمكن خلاله رؤية أشد النجوم لمعانا . وفى وقت (الفجر أو الشفق) الملاحى يكون الضوء قد تدهور بشكل كبير ، ولكن تبقى التحديدات العامة مرئية ، مع انه يحتمل عدم تمييز الأفق ، أما الأعمال الواسعة فإنها تكـــون مستحيلة ، ويمكن رؤية جميع النجوم اللامعة . أما (الفجر أو الشفق) الفلكى فيمكن اعتباره مرادفا للظلام .

التقويم الملاحى :

ملاحظة : تطلق كلمة Twilight فى اللغة الانجليزية على الفجر وعلى الشفق سواء ، وعندما يراد به الفجر فإنهم يقولون Morning Twilight وعندما يراد به الشفق فإنهم يقولون Evening Twilight .

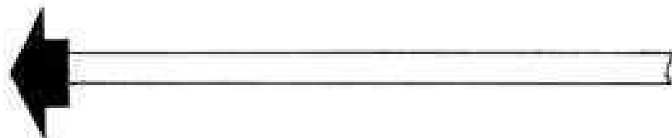
قلت : وهذا هو الحق وهو ان الظلام يكون دامسا عندما تكون زاوية انخفاض الشمس ١٨ ْ تحت الافق أو حتى أقل من ذلك بقليل (٣٠ َ ١٧ ْ أو ١٧ ْ) كما جاء فى الموسوعة البريطانية ، فكيف ينادى بالصلاة عندما يكون انخفاض الشمس ١٩ ٣٣ ْ .

الفجر يطلع عندما يكون انخفاض الشمس ١٦ ٣٠ْ

لما عرفنا أن الظلام يكون دامسا عندما يكون انخفاض الشمس ١٨ْ تحت الأفق ، وأن ضوء الفجر يكون واضحا عندما يكون انخفاض الشمس ١٢ْ تحت الأفق ، لذلك فإننا نتوقع طلوع الفجر خلال الوقت المحصور بين هاتين الدرجتين الرئيسيتين ، ١٨ْ و١٢ْ . وقد كانت الرصدات الأولى تشير إلى أن الفجر يطلع عندما يكون انخفاض الشمس ١٤ْ ، ولكن لأن موقع الكويت لا يعطيها فرصة رصدات دقيقة جدا بسبب كثرة تكرار وجود الغبار الخفيف المعلق فوق الأفق والذى يمنع رؤية أول علامة من الفجر فقد كنا نظن دوما أن الفجر قد يبدأ فى البلدان التى يكون فيها مدى الرؤية الأفقية ممتازا فى درجات أكبر من هذه الدرجة ، وكانت الرصدة الفاصلة هناك فى الحجاز فى المملكة العربية السعودية فى شتاء ١٩٧٤ حيث كان مدى الرؤية ممتازا لدرجة يمكن معها رؤية النجوم الصغيرة فوق الأفق . وهناك أمكن رؤية أول الفجر حيث طلع كالعمود فى مكان طلوع الشمس وبلغ ارتفاعه ١٥ْ تقريبا فوق الأفق وبعد خمس دقائق أخذ يعترض وينتشر فى الأفق الشرق كله آخذا فى نفس الوقت فى الارتفاع ثم التلون بالحمرة ، وكان انخفاض الشمس عند لحظة بدء الفجر ١٦ ٣٠ْ تحت الأفق.

وهذا ؛ فإننا لما هدانا الله إلى هذا العلم الخطر وتبين لنا جليا الخطأ الفاحش الذى وقع فيه بعض الفلكيين العرب وهو أن الفجر الصادق يطلع عندما يكون انخفاض الشمس ٣٣ ١٩ْ تحت الأفق فى حين ان الظلام يكون دامسا عند هذه الدرجة وبعدها بمدد تتراوح بين ١٣ دقيقة فى فصل الشتاء و٢٠ دقيقة فى فصل الصيف (بالنسبة لخط عرض الكويت) ...

قلت لما هدانا الله إلى هذا العلم فإنا نتقدم إلى المسلمين فى الكويت بنتيجة هذا البحث وخلاصته وهو جدول يبين وقت الفجر الإسلامى وهو الوقت الذى يبدأ عنده طلوع الفجر لكل يوم من أيام السنة وكذلك جدول وقت الفجر الفلكى وهو الوقت الذى يستحيل فيه رؤية ضوء الفجر وهو يصلح كوقت لامساك الصائم عند أولئك الذين يرون الإمساك قبل الفجر . كذلك نتقدم إلى المسلمين فى الأرض بجدول يبين طول الفترة (بالدقائق) بين طلوع الفجر وشروق الشمس لخطوط العرض الرئيسية الممتدة من خط الاستواء جنوبا إلى خط عرض ٤٠ْ شمالا والتى تتضمن معظم أراضى المسلمين ، وما على المسلم الا ان يعرف وقت شروق الشمس ثم يطرح منه المدة فيكون وقت الفجر وبالله التوفيق .



وقت بدء الفجر الإسلامي في الكويت (الشمس ١٦٫٣٠ تحت الأفق)

ديسمبر	نوفمبر	أكتوبر	سبتمبر	أغسطس	يوليو	يونيو	مايو	أبريل	مارس	فبراير	يناير	اليوم
٥٠٨	٤٤٧	٤٢٨	٤١٠	٣٤٥	٣٢٥	٣٢٤	٣٤٨	٤٢٤	٥٠٢	٥٢٢	٥٢٤	١
٥٠٩	٤٤٧	٤٢٩	٤١١	٣٤٦	٣٢٥	٣٢٣	٣٤٧	٤٢٣	٥٠٠	٥٢٢	٥٢٤	٢
٥٠٩	٤٤٨	٤٢٩	٤١١	٣٤٧	٣٢٦	٣٢٣	٣٤٦	٤٢١	٤٥٩	٥٢١	٥٢٤	٣
٥١٠	٤٤٩	٤٣٠	٤١١	٣٤٨	٣٢٦	٣٢٢	٣٤٥	٤٢٠	٤٥٨	٥٢١	٥٢٥	٤
٥١٠	٤٤٩	٤٣١	٤١٢	٣٤٩	٣٢٦	٣٢٢	٣٤٤	٤١٩	٤٥٧	٥٢١	٥٢٥	٥
٥١١	٤٥٠	٤٣١	٤١٢	٣٥٠	٣٢٦	٣٢٢	٣٤٣	٤١٨	٤٥٦	٥٢٠	٥٢٥	٦
٥١١	٤٥٠	٤٣٢	٤١٣	٣٥١	٣٢٧	٣٢٢	٣٤٢	٤١٧	٤٥٥	٥١٩	٥٢٥	٧
٥١٢	٤٥١	٤٣٢	٤١٣	٣٥٢	٣٢٧	٣٢٢	٣٤٠	٤١٥	٤٥٤	٥١٨	٥٢٦	٨
٥١٢	٤٥٢	٤٣٣	٤١٤	٣٥٢	٣٢٨	٣٢٢	٣٣٩	٤١٤	٤٥٣	٥١٨	٥٢٦	٩
٥١٣	٤٥٣	٤٣٤	٤١٤	٣٥٣	٣٢٩	٣٢٢	٣٣٨	٤١٣	٤٥٢	٥١٧	٥٢٦	١٠
٥١٤	٤٥٣	٤٣٤	٤١٥	٣٥٤	٣٢٩	٣٢٢	٣٣٧	٤١٢	٤٥١	٥١٧	٥٢٦	١١
٥١٤	٤٥٤	٤٣٥	٤١٦	٣٥٥	٣٣٠	٣٢٢	٣٣٦	٤١٠	٤٥٠	٥١٦	٥٢٦	١٢
٥١٥	٤٥٥	٤٣٥	٤١٦	٣٥٦	٣٣١	٣٢١	٣٣٥	٤٠٨	٤٤٨	٥١٥	٥٢٦	١٣
٥١٦	٤٥٥	٤٣٦	٤١٧	٣٥٧	٣٣٢	٣٢١	٣٣٤	٤٠٧	٤٤٧	٥١٥	٥٢٦	١٤
٥١٦	٤٥٦	٤٣٦	٤١٨	٣٥٧	٣٣٣	٣٢١	٣٣٣	٤٠٦	٤٤٦	٥١٤	٥٢٦	١٥
٥١٧	٤٥٧	٤٣٦	٤١٩	٣٥٨	٣٣٣	٣٢١	٣٣٣	٤٠٥	٤٤٥	٥١٣	٥٢٦	١٦
٥١٧	٤٥٨	٤٣٧	٤٢٠	٣٥٩	٣٣٤	٣٢١	٣٣٢	٤٠٣	٤٤٤	٥١٢	٥٢٦	١٧
٥١٨	٤٥٨	٤٣٧	٤٢٠	٤٠٠	٣٣٥	٣٢١	٣٣١	٤٠٢	٤٤٢	٥١١	٥٢٦	١٨
٥١٨	٤٥٩	٤٣٨	٤٢١	٤٠٠	٣٣٥	٣٢١	٣٣٠	٤٠١	٤٤١	٥١٠	٥٢٦	١٩
٥١٩	٥٠٠	٤٣٩	٤٢٢	٤٠١	٣٣٥	٣٢١	٣٢٩	٤٠٠	٤٤٠	٥١٠	٥٢٦	٢٠
٥١٩	٥٠١	٤٣٩	٤٢٢	٤٠٢	٣٣٦	٣٢١	٣٢٩	٣٥٩	٤٣٨	٥٠٩	٥٢٦	٢١
٥٢٠	٥٠٢	٤٤٠	٤٢٣	٤٠٣	٣٣٧	٣٢١	٣٢٨	٣٥٨	٤٣٧	٥٠٨	٥٢٦	٢٢
٥٢٠	٥٠٢	٤٤٠	٤٢٤	٤٠٤	٣٣٨	٣٢٢	٣٢٧	٣٥٧	٤٣٦	٥٠٧	٥٢٥	٢٣
٥٢١	٥٠٣	٤٤١	٤٢٤	٤٠٤	٣٣٩	٣٢٢	٣٢٦	٣٥٦	٤٣٥	٥٠٦	٥٢٥	٢٤
٥٢١	٥٠٣	٤٤١	٤٢٥	٤٠٥	٣٤٠	٣٢٢	٣٢٥	٣٥٤	٤٣٤	٥٠٥	٥٢٥	٢٥
٥٢٢	٥٠٤	٤٤٢	٤٢٥	٤٠٦	٣٤٠	٣٢٣	٣٢٥	٣٥٣	٤٣٢	٥٠٤	٥٢٥	٢٦
٥٢٢	٥٠٥	٤٤٢	٤٢٦	٤٠٧	٣٤١	٣٢٣	٣٢٤	٣٥٢	٤٣١	٥٠٤	٥٢٤	٢٧
٥٢٣	٥٠٦	٤٤٤	٤٢٧	٤٠٧	٣٤٢	٣٢٤	٣٢٤	٣٥١	٤٢٩	٥٠٣	٥٢٤	٢٨
٥٢٣	٥٠٧	٤٤٠	٤٢٧	٤٠٧	٣٤٣	٣٢٤	٣٢٤	٣٥٠	٤٢٨		٥٢٤	٢٩
٥٢٤	٥٠٧	٤٤٦	٤٢٨	٤٠٨	٣٤٢	٣٢٤	٣٢٤	٣٤٩	٤٢٧		٥٢٣	٣٠
٥٢٤		٤٤٦		٤٠٩	٣٤٤		٣٢٤		٤٢٥		٥٢٣	٣١

وقت بدء الفجر الفلكي في الكويت (الشمس ١٨ْ تحت الأفق)

اليوم	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
١	٥١٧	٥١٥	٤٥٥	٤١٧	٣٤٠	٣١٥	٣١٦	٣٣٧	٤٠٣	٤٢١	٤٤٠	٠١
٢	٥١٧	٥١٥	٤٥٣	٤١٦	٣٣٩	٣١٤	٣١٦	٣٣٨	٤٠٤	٤٢٢	٤٤٠	٠٢
٣	٥١٧	٥١٤	٤٥٢	٤١٤	٣٣٨	٣١٤	٣١٧	٣٣٩	٤٠٤	٤٢٢	٤٤١	٠٢
٤	٥١٨	٥١٤	٤٥١	٤١٣	٣٣٧	٣١٣	٣١٧	٣٤٠	٤٠٤	٤٢٣	٤٤٢	٠٣
٥	٥١٨	٥١٤	٤٥٠	٤١٢	٣٣٦	٣١٣	٣١٧	٣٤١	٤٠٥	٤٢٤	٤٤٢	٠٣
٦	٥١٨	٥١٣	٤٤٩	٤١١	٣٣٥	٣١٣	٣١٧	٣٤٢	٤٠٥	٤٢٤	٤٤٣	٠٤
٧	٥١٨	٥١٢	٤٤٨	٤١٠	٣٣٤	٣١٣	٣١٨	٣٤٣	٤٠٦	٤٢٥	٤٤٣	٠٤
٨	٥١٩	٥١١	٤٤٧	٤٠٨	٣٣٣	٣١٣	٣١٨	٣٤٤	٤٠٦	٤٢٥	٤٤٤	٠٥
٩	٥١٩	٥١١	٤٤٦	٤٠٧	٣٣١	٣١٣	٣١٩	٣٤٤	٤٠٧	٤٢٦	٤٤٥	٠٥
١٠	٥١٩	٥١٠	٤٤٥	٤٠٦	٣٣٠	٣١٣	٣٢٠	٣٤٥	٤٠٧	٤٢٧	٤٤٦	٠٦
١١	٥١٩	٥١٠	٤٤٤	٤٠٥	٣٢٩	٣١٣	٣٢٠	٣٤٦	٤٠٨	٤٢٧	٤٤٦	٠٧
١٢	٥١٩	٥٠٩	٤٤٣	٤٠٣	٣٢٨	٣١٣	٣٢١	٣٤٧	٤٠٩	٤٢٨	٤٤٧	٠٧
١٣	٥١٩	٥٠٨	٤٤١	٤٠١	٣٢٧	٣١٢	٣٢١	٣٤٨	٤٠٩	٤٢٨	٤٤٨	٠٨
١٤	٥١٩	٥٠٨	٤٤٠	٤٠٠	٣٢٦	٣١٢	٣٢٣	٣٤٩	٤١٠	٤٢٩	٤٤٨	٠٩
١٥	٥١٩	٥٠٧	٤٣٩	٣٥٩	٣٢٥	٣١٢	٣٢٤	٣٤٩	٤١١	٤٢٩	٤٤٩	٠٩
١٦	٥١٩	٥٠٦	٤٣٨	٣٥٨	٣٢٥	٣١٢	٣٢٤	٣٥٠	٤١٢	٤٢٩	٤٥٠	١٠
١٧	٥١٩	٥٠٥	٤٣٧	٣٥٦	٣٢٤	٣١٢	٣٢٥	٣٥١	٤١٣	٤٣٠	٤٥١	١٠
١٨	٥١٩	٥٠٤	٤٣٥	٣٥٥	٣٢٣	٣١٢	٣٢٦	٣٥٢	٤١٣	٤٣٠	٤٥١	١١
١٩	٥١٩	٥٠٣	٤٣٤	٣٥٤	٣٢٢	٣١٢	٣٢٧	٣٥٣	٤١٤	٤٣١	٤٥٢	١١
٢٠	٥١٩	٥٠٣	٤٣٣	٣٥٣	٣٢١	٣١٢	٣٢٧	٣٥٣	٤١٥	٤٣٢	٤٥٣	١٢
٢١	٥١٩	٥٠٢	٤٣١	٣٥٢	٣٢١	٣١٢	٣٢٨	٣٥٤	٤١٥	٤٣٢	٤٥٤	١٢
٢٢	٥١٩	٥٠١	٤٣٠	٣٥١	٣٢٠	٣١٢	٣٢٩	٣٥٥	٤١٦	٤٣٣	٤٥٥	١٣
٢٣	٥١٨	٥٠٠	٤٢٩	٣٥٠	٣١٩	٣١٣	٣٣٠	٣٥٦	٤١٧	٤٣٣	٤٥٥	١٣
٢٤	٥١٨	٤٥٩	٤٢٨	٣٤٩	٣١٨	٣١٣	٣٣١	٣٥٦	٤١٧	٤٣٤	٤٥٦	١٤
٢٥	٥١٨	٤٥٨	٤٢٧	٣٤٧	٣١٧	٣١٣	٣٣٢	٣٥٧	٤١٨	٤٣٤	٤٥٦	١٤
٢٦	٥١٨	٤٥٧	٤٢٥	٣٤٦	٣١٧	٣١٤	٣٣٢	٣٥٨	٤١٨	٤٣٥	٤٥٧	١٥
٢٧	٥١٧	٤٥٧	٤٢٤	٣٤٥	٣١٦	٣١٤	٣٣٣	٣٥٩	٤١٩	٤٣٦	٤٥٨	١٥
٢٨	٥١٧	٤٥٦	٤٢٣	٣٤٤	٣١٦	٣١٥	٣٣٤	٤٠٠	٤٢٠	٤٣٧	٤٥٩	١٦
٢٩	٥١٧		٤٢١	٣٤٣	٣١٦	٣١٥	٣٣٥	٤٠٠	٤٢٠	٤٣٨	٥٠٠	١٦
٣٠	٥١٦		٤٢٠	٣٤١	٣١٥	٣١٥	٣٣٥	٤٠١	٤٢١	٤٣٩	٥٠٠	١٧
٣١	٥١٦		٤١٨		٣١٥		٣٣٦	٤٠٢		٤٣٩		١٧

طول الفترة (بالدقائق) بين طلوع الفجر وشروق الشمس لخطوط العرض الرئيسية

خط العرض	التاريخ	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
٤٠° شمالا	١	٩٠	٨٥	٨٣	٨٦	٩٤	١٠٩	١١٠	٩٧	٨٥	٨٢	٨٣	٨٨
	١١	٨٨	٨٤	٨٤	٨٨	٩٩	١١٠	١٠٥	٩٢	٨٤	٨٢	٨٤	٨٩
	٢١	٨٨	٨٣	٨٥	٩٠	١٠٤	١١١	١٠٢	٩٠	٨٢	٨٢	٨٦	٨٩
٣٥° شمالا	١	٨٣	٨٠	٧٨	٧٩	٨٥	٩٤	٩٥	٨٨	٧٩	٧٦	٧٧	٨١
	١١	٨٢	٧٨	٧٨	٨١	٨٨	٩٦	٩٣	٨٤	٧٨	٧٦	٧٩	٨٢
	٢١	٨١	٧٨	٧٨	٨٣	٩٢	٩٦	٩٠	٨٢	٧٦	٧٦	٧٩	٨٣
٣٠° شمالا	١	٧٨	٧٥	٧٣	٧٥	٨٠	٨٦	٨٧	٨٢	٧٥	٧٢	٧٣	٧٧
	١١	٧٨	٧٥	٧٣	٧٦	٨٣	٨٧	٨٦	٨٠	٧٤	٧٢	٧٥	٧٨
	٢١	٧٧	٧٤	٧٤	٧٨	٨٤	٨٨	٨٣	٧٧	٧٣	٧٣	٧٥	٧٨
٢٠° شمالا	١	٧٣	٦٩	٦٧	٦٨	٧١	٧٦	٧٦	٧٢	٦٧	٦٦	٦٧	٧٠
	١١	٧١	٦٨	٦٨	٦٩	٧٣	٧٦	٧٤	٧٠	٦٧	٦٦	٦٨	٧١
	٢١	٧٠	٦٧	٦٨	٧٠	٧٤	٧٦	٧٤	٦٩	٦٧	٦٧	٦٩	٧٢
١٠° شمالا	١	٦٨	٦٦	٦٥	٦٤	٦٦	٧١	٧٠	٦٨	٦٥	٦٤	٦٥	٦٧
	١١	٦٨	٦٦	٦٤	٦٥	٦٧	٧١	٧٠	٦٧	٦٤	٦٤	٦٦	٦٨
	٢١	٦٧	٦٥	٦٤	٦٦	٦٨	٧١	٦٩	٦٦	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨
خط الاستواء	١	٦٨	٦٦	٦٣	٦٤	٦٥	٦٧	٦٧	٦٦	٦٤	٦٣	٦٤	٦٧
	١١	٦٨	٦٦	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨	٦٧	٦٥	٦٣	٦٤	٦٥	٦٧
	٢١	٦٧	٦٣	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨	٦٧	٦٤	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨

المراســـلات

وزيادة فى الحرص على توخى الحقيقة فقد كتبت إلى اثنين من أهم المراصد فى العالم وهما مرصد جرينتش الملكى ومرصد البحرية الأمريكية مستفسرا عن الأمرين التاليين :

١ ـ هل يظهر أول الفجر عندما يكون انخفاض الشمس ١٩° تحت الأفق .

٢ ـ عند أى انخفاض للشمس تحت الأفق يطلع الفجر .

وفى الصفحة (١٦) صورة الرد من المرصد الأول ،

ويؤخذ منه قوله (ما تحته خط) : ومن ثم ،

فإن الراصد العادي يرجح له ان يلاحظ بدء الفجر عندما يكون الانخفاض بين ١٨ ، و١٢ .
أما المرصد الثاني فتجد صورة رده في الصفحة (١٧) :
ويؤخذ منه قوله : يعتبر الظلام التام منتهيا في الصباح عندما يكون مركز الشمس هندسيا ١٨° تحت الافق ، ومهما يكن ففي ذلك الوقت يكون النور باهتا لدرجة كبيرة لا يدرك معها بالحس ،
ومن التعريفات المرفقة مع الرسالة أخذنا الفقرة التالية :

The times in the morning and evening when the center of the sun is geometrically 18° below the horizon have accordingly been conventionally defined as the beginning of morning twilight and end of evening twilight; but for a considerable interval after the beginning in the morning, and before the ending in the evening, the illumination is so faint that it is practically imperceptible.

الترجمة :

وهكذا فإن الوقتين في الصباح وفي المساء عندما يكون مركز الشمس هندسيا ١٨° تحت الأفق قد تم الاصطلاح على تعريفهما كبدء فجر الصباح وانتهاء شفق المساء ، ولكن لفترة كبيرة بعد البدء في الصباح وقبل الانتهاء في المساء يكون النور باهتا لدرجة كبيرة لا يدرك معها بالحس .

U. S. NAVAL OBSERVATORY
WASHINGTON, D. C. 20390

7 February 1974

Dear Sir:

In reply to your letter of 23 January, enclosed is a copy of our definitions of astronomical, nautical and civil twilight.

Complete darkness is considered to end in the morning when the center of the sun is geometrically 18° below the horizon. However, at that time, the illumination is so faint it is practically imperceptible. Actual observations over a long period of time at your specific geographic location would be necessary in order to determine the length of time after the beginning of morning astronomical twilight when the first visible light appears.

Sincerely yours,

R. L. Duncombe
R. L. DUNCOMBE
Director
Nautical Almanac Office

Abdul Malik Al-Kulaib
Chief, Climatological Division
P.O. Box 17
Kuwait



SCIENCE RESEARCH COUNCIL

H.M. Nautical Almanac Office
ROYAL GREENWICH OBSERVATORY
Herstmonceux Castle, Hailsham, Sussex BN27 1RP

Telephone: Herstmonceux (0323) 3171 — Telex: 87451
Telegrams: Observe Hailsham Telex

Mr. A.M. Al-Kulaib,
Climatological Division,
Directorate General of Civil Aviation,
Meteorological Service,
P.O. Box 17,
KUWAIT, Middle East.

Your reference:
Our reference: CG3 (R474)
Date: 1974 January 28

Dear Sir,

We have been asked to reply to your enquiry of 1974 January 23 concerning the depression of the Sun below the horizon at the beginning of morning twilight. The questions do not admit of precise answers since the conditions during twilight depend on the actual, current, state of the atmosphere over a wide area. Even the average conditions near a given place may vary with the time of year and will differ from those in other areas. Hence, I can do little more than repeat the generally-accepted views on this matter. Firstly, it is necessary for the Sun to be more than 18° below the horizon in order that the twilight shall not affect astronomical observations of faint objects. Secondly, it is necessary for the Sun to be less than 12° below in order that an observer shall be able to see the horizon sufficiently well to be able to take astronomical sights for navigation at sea. Hence the ordinary observer is likely to notice the onset of twilight at a depression of between 18° and 12°. This is in agreement with your own observations that at a depression of 14° the onset of twilight is just noticeable, but I must emphasise that I would expect the value to differ from day to day as the sky conditions change.

I trust that these comments will be of assistance to you.

Yours faithfully,

G.A. Wilkins
Superintendent

ما أدعو إليه

والذى أدعو إليه الناس اليوم هو التقويم الجديد الذى مرّ آنفا ، وان يتركوا الصلاة قبل الوقت فإنهم اليوم يفعلون ذلك ، وان مثل امامهم فى تبكيره بالفجر عندى كمثل الرجل يؤذن لصلاة المغرب والشمس فوق الأفق ويقيم الصلاة والشمس لم تغرب بعد ، فلا صحت صلاته ولا صحت صلاة الناس خلفه لعلمهم بعدم دخول الوقت ، فليتقوا الله ولا يرفضوا الحق جملة واحدة ، فقد والله اجتهدت غاية المستطاع وتصححت فى العمل وان شك أحد بقولى فعليه بالأفق فلينظر فى يوم صحو لا يظهر فيه القمر ولا يثور فيه الغبار متى يطلع الفجر .

كذلك ادعو المسئولين عن شئون المسلمين فى بلدان المسلمين إلى اعتماد الدرجة الجديدة (١٦٫٣٠) كوقت بدء الفجر بدلا من (١٩٫٣٣) فانهم مظنة الحرص على صلاح أمور المسلمين وان ينهضوا لهذا الأمر الخطير فإن لهم من الثواب على اجتهادهم فى تحقيق الحق بقدر ما عليهم من الوزر بإهمالهم وأعراضهم .

وبعد ، فهذا الذى قلته وعملته ، ان كان صوابا فهو من الله ـ وحده ، وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كفارة القتل
دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى

(٢)

للدكتور السيد رضوان محمد جمعه*

تحرير محل النزاع :

لا خلاف بين الفقهاء فى وجوب الكفارة فى القتل شبه العمد والخطأ وما أجرى مجرى الخطأ[١]، سواء كان المقتول ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا .

وإنما اختلفوا فى وجوب الكفارة فى القتل العمد والقتل بسبب، وسنبحث ذلك فى مطلبين :

---

(١) قسم الحنفية القتل إلى خمسة أنواع : عمد وشبه عمد وخطأ وما أجرى مجرى الخطأ وما ليس بعمد ولا خطأ ولا أجرى مجرى الخطأ وهو القتل بسبب.

فأما العمد فهو ما تعمدت ضربه بسلاح، لأن العمد هو القتل وقصد إزهاق الحياة.

وأما شبه العمد فهو ما تعمدت ضربه بالعصا أو السوط أو الحجر أو اليد، فإن فى هذا الفعل معنيين، العمد باعتبار قصد الفاعل إلى الضرب، ومعنى الخطأ باعتبار انعدام القصد منه إلى القتل: إلى أن قال: فأما بيان أحكام شبه العمد فنقول: إنه لا قصاص فيه لتمكن الشبهة والخطأ من حيث انعدام القصد إلى القتل، والقصاص عقوبة تندرىء بالشبهات.. إلى أن قال: ومن موجبه الكفارة ـ أيضا ـ باعتبار هذا المعنى لأنه جزاء أصل الفعل، وهو مما لا يندرىء بالشبهات، وبها تثبت فى الخطأ ففى شبه العمد أولى .

وأما الخطأ فهو ما أصبت مما كنت تعمدت غيره إلى أن قال : ومن موجبه الكفارة فإنها تثبت بهذا النص. فأما ما أجرى مجرى الخطأ على ما ذكره الرازى : فهو النائم إذا انقلب على إنسان فقتله، وهذا ليس بعمد ولا خطأ، لأنه لا تصور للقصد من النائم حتى يتصور منه ترك القصد أو ترك التحرز، ولكن الانقلاب الموجب لتلف ما انقلب عليه يتحقق من النائم فيجرى هذا مجرى الخطأ حتى تجب الدية على عاقلته والكفارة ويثبت به حرمان الميراث ليوهم أن يكون متهاونا ولم يكن نائما قصدا منه إلى استعجال الميراث وأظهر من نفسه القصد إلى محل آخر انظر : المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٥ ـ ص ٥٩ وما بعدها ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

وذكر الكاسانى خلافا بين فقهاء الحنفية فى وجوب الكفارة فى القتل شبه العمد فقال: «وهل تجب الكفارة فى هذا القتل؟ ذكر الكرخى ـ رضى الله عنه ـ أنها تجب وألحقه بالخطأ المحض فى وجوب الكفارة، وقال بعض مشايخنا: لا تجب وألحقه بالعمد المحض فى عدم وجوب الكفارة (وجه) ما ذكر الكرخى ـ رضى الله عنه ـ أن الكفارة إنما وجبت فى الخطأ إما لحق الشكر أو لحق التوبة على ما بينا، والداعى إلى الشكر والتوبة ههنا موجود، وهو سلامة البدن، وكون الفعل جناية فيها نوع خفة لشبهة عدم القصد، فأمكن أن يجعل التحرير فيه توبة (وجه) القول الآخر: أن هذه جناية مغلظة، ألا ترى أن المؤاخذة فيها ثابتة بخلاف الخطأ، فلا يصلح التحرير توبة بها كما فى العمد المحض .

المطلب الأول
كفارة القتل العمد

اختلف الفقهاء في وجوب الكفارة على القاتل عمدا على مذهبين :

المذهب الأول : عدم وجوب الكفارة في القتل العمد، وإليه ذهب جمهور الفقهاء: الحنفية[٢] والمالكية[٣] ومشهور مذهب الحنابلة[٤] والظاهرية[٥]، وبه قال الثوري وأبو ثور وابن

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ـ جـ٧ ـ ص ٢٥١ ـ الطبعة الثانية ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

وقال القرطبي ووجوه الخطأ كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد ، مثل أن يرمي صفوف المشركين فيصيب مسلما : إلى أن قال : أو يرمي إلى غرض فيصيب إنسانا أوما أجرى مجراه ، وهذا مما لا خلاف فيه .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ جـ ٥ ـ ص ٣١٣ ـ طبع مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفي البجيرمي قوله : القتل على ثلاثة أضرب : عمد محض ، وخطأ محض ، وعمد خطأ (وجه الحصر في ذلك : أن الجاني إن لم يقصد عين المجني عليه فهو خطأ ، وأن قصدها فإن كان مما يقتل غالبا فهو العمد وإلا فهو شبه عمد) حاشية البجيرمي على الخطيب ـ جـ٤ ـ ص ١٠١ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م وانظر ـ أيضا ـ المراجع الآتية : كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ـ جـ٦ ـ ص ٦٥ ـ طبع عالم الكتب . بيروت ـ سنة ١٤٠٣ هـ السيل الجرار للشوكاني ـ جـ ٤ ـ ص ٤١٢ ـ طبع دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م فقه الإمام جعفر ـ تحقيق محمد جواد مغنيه ـ جـ ٥ ـ ص ٣٦ ـ طبع دار مكتبة الهلال ـ بيروت : وانظر ـ أيضا ـ جـ ٦ ـ ص ٣٥٧ ، وورد فيه قوله : ولو قد قتله خطأ أو شبه العمد فعليه أن يدفع الدية إلى أهله ، وأن يكفر بعتق نسمة ، فإن عجز صام شهرين متتابعين ، فإن عجز أطعم ستين مسكينا .

وانظر ـ أيضا ـ المحلى لابن حزم الظاهري ـ جـ ١١ ـ ص ٣٠ ـ طبع دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان .

(٢) ففي المبسوط للسرخسي قوله : « وقد قامت الدلالة على أن الكفارة لا تجب في العمد المحض ... إلى أن قال : وبهذا لا توجب الكفارة على العامد : لأن الشرع أوجب عليه القصاص ، وفي الزيلعي قوله : « لا تجب الكفارة بقتل العمد » .

أنظر : المبسوط للسرخسي ـ جـ ٢٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٧ ، تبين الحقائق للزيلعي ـ جـ ٦ ـ ص ٩٩ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية عن الطبعة الأولى سنة ١٣١٥ هـ .

(٣) وفي القيرواني قوله : « ويؤمر بذلك أي بإخراج الكفارة ندبا إن عفى عنه في قتل العمد » والدليل من كلام المصنف على أن الأمر للندب قوله (فهو خير له) لعظم ما ارتكبه من الإثم . وفي الدسوقي قوله : إنما لم تجب الكفارة في العمد ووجبت في الخطأ مع أن مقتضى الظاهر العكس لأنهم رأوا أن العامل لا تنفعه الكفارة لخيانته ؛ لأنها أعظم من أن تكفر كما قالوا في اليمين الغموس وأيضا فقد أوجبوا عليه ضرب مائة وحبس سنة . انظر الفواكه الدواني جـ٢ ص ٢٧٣ ، دار المعرفة ـ بيروت لبنان حاشية الدسوقي على الشرح الكبير جـ٣ ص ٢٨٦ دار إحياء الكتب العربية . مواهب الجليل ، شرح مختصر خليل جـ٦ ص ٢٦٨ طبع دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م .

(٤) وفي المغني والشرح الكبير لابن قدامة قوله : « والمشهور في المذهب أنه لا كفارة في قتل العمد » ، وفي كشف القناع قوله : « ولا كفارة في قتل عمد محض » ، وقال ابن مفلح : « ولا تلزم في العمد » أنظر : المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٩ ـ كشاف القناع للبهوتي ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٥ ـ كتاب الفروع لابن مفلح الحنبلي ـ جـ٦ ـ ص ٤٤ ـ طبع عالم الكتب ـ الطبعة الرابعة ـ سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

(٥) المحلى لابن حزم الظاهري ـ جـ ١١ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٠ وورد فيه قوله : « لا كفارة إلا في قتل الخطأ » وانظر : جـ ١٠ ـ ص ٥١٦ .

المنذر[6] ونقله الشوكاني عن الهادي والمؤيد بالله والإمام يحيى من أهل البيت[7]، ونقله ابن حزم عن الحكم بن عتيبة[8] وبه قال الزيدية إذا اقتص من القاتل[9].

المذهب الثاني

وجوب الكفارة في القتل العمد، وإليه ذهب الشافعية[10] والإمامية[11] وهو رواية عن الإمام أحمد[12] وروى عن الزهري[13]، وبه قال الزيدية[14] والأباضية[15] إذا سقط القصاص عن القاتل

---

(٦) المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٢ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٣١ .

(٧) نيل الأوطار للشوكاني ـ جـ ٨ ـ ص ١٨٤ ـ طبع مكتبة الكليات الأزهرية .

(٨) المحلى لابن حزم الظاهري ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٤ هـ .

(٩) السيل الجرار للشوكاني ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ .

(١٠) حاشية البجيرمي على الخطيب ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٨ ، وورد فيه قوله : « وعلى قاتل النفس المحرمة سواء كان القتل عمداً أم خطأ كفارة » ، وفي روضة الطالبين للنووي قوله : « قتل العمد وشبه العمد والخطأ يوجب الكفارة وقال ابن المنذر : لا تجب في العمد » . أنظر : روضة الطالبين للنووي ـ جـ ٩ ـ ص ٣٨٠ ـ طبع المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

وفي أحكام القرآن للإمام الشافعي قوله : « قال الشافعي في كتاب البويطي : « وكل قاتل عمد عفي عنه وأخذت منه الدية فعليه الكفارة ، لأن الله ـ عز وجل ـ : إذا جعلها في الخطأ الذي وضع فيه الإثم كان العمد أولى .

والحجة في ذلك : كتاب الله ـ عز وجل ـ حيث قال في الظهار : « منكراً في القول وزوراً » ، وجعل فيه كفارة وفي قوله : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، ثم جعل فيه الكفارة .

وذكرها ـ أيضاً ـ في رواية المزني ـ دون العفو ، وأخذ الدية ، أنظر : أحكام القرآن للإمام الشافعي ـ جـ١ ـ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م وأنظر ـ أيضاً ـ المهذب للشيرازي ـ جـ٢ ـ ص ٢١٧ ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .

(١١) فقه الإمام جعفر الصادق ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٦ ـ وورد فيه قوله : « ومن قتل مسلماً متعمداً فعليه أن يجمع بين عتق رقبة مؤمنة وصيام شهرين متتابعين وإطعام ستين مسكيناً » ، وفي موضع آخر يقول : « وتجب الكفارة للعمد والخطأ وشبه العمد لقتل المسلم ، ذكراً كان أو أنثى ، كبيراً أو صغيراً ، عاقلاً أو مجنوناً . أنظر : كتاب فقه الإمام جعفر الصادق ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥٧ .

(١٢) المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٣ .

(١٣) نفس المرجع .

(١٤) السيل الجرار للشوكاني ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٣٦ ـ وفيه قوله : « وتجب على قاتل العمد إذا سقط عنه القصاص بوجه » . نيل الأوطار للشوكاني ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٤ .

(١٥) شرح كتاب النيل وشفاء العليل ـ جـ ١٥ ـ المرجع السابق ـ ص ١٢٠ ـ وورد فيه قوله : « وقتل العمد لا كفارة فيه إن قتل ، وإن لم يقتل لزمته » .

بوجه، وهو قول الشافعي في رواية المزني[16].

وقد استدل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه:

الأدلـــة

أولا : أدلة الجمهور :

استدل الجمهور على عدم وجوب الكفارة في قتل العمد بالمنقول من الكتاب والسنة والمعقول:

١ ـ أما الكتاب فبالآيتين:

(أ) قوله تعالى «وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ»[17].

(ب) قوله تعالى «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا»[18].

وجه الدلالة من الآيتين:

أوجب الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الآية الأولى كفارة القتل الخطأ، ثم ذكر في الآية الثانية القتل العمد، ولم يوجب فيه كفارة، وجعل جزاءه جهنم فمفهومه أن لا كفارة فيه، لأن اقتران الجواب بالفاء، يقتضي أن يكون المذكور كل الجزاء، فلو أوجبنا الكفارة لكان المذكور بعضه وهو خلف[19].

قال السرخسي بعد أن ذكر الآية «فهذا يقتضي أن يكون المذكور في الآية جميع أجزائه، ولو أوجبنا عليه الكفارة لكان المذكور بعض جزئه، فيكون نسخا لهذا الحكم»[20].

وقال الجصاص: «قال الله تعالى «وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ»[21] فنص على إيجاب الكفارة في قتل الخطأ، وذكر قتل العمد في قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى»[22] وقال: «ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ»[23] وخصه بالعمد، فلما كان كل واحد من القتيلين مذكورا بعينه ومنصوصا على حكمه، لم يجز لنا أن نتعدى ما نص الله ـ تعالى ـ علينا فيهما، إذ غير جائز قياس المنصوصات بعضها على بعض في قول أصحابنا»[24].

(١٦) وفي روضة الطالبين قوله: « وحكى الروياني وجها ضعيفا عن رواية أبوى علي ابن أبي هريرة والطبري: أنه إذا اقتص من المتعمد فلا كفارة في ماله، فعلى هذا إنما يجب إخراج الكفارة إذا لم يقتص منه، بأن مات أو عفى عنه ». روضة الطالبين للنووي ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٨٠.

(١٧) سورة النساء ـ الآية: ٩٢.

(١٨) سورة النساء ـ الآية: ٩٣.

(١٩) المغني والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٢، ٥٧٣.

(٢٠) المبسوط للسرخسي ـ جـ ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٥.

(٢١) سورة النساء ـ الآية: ٩٢.

(٢٢) سورة البقرة ـ الآية: ١٧٨.

(٢٣) سورة المائدة ـ الآية: ٤٥.

(٢٤) أحكام القرآن للجصاص ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٥ ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ (بتصرف).

٢ـ وأما السنة فما يأتى :

(أ) ما روى أن سويد بن الصامت قتل رجلا، فأوجب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه القود ، ولم يوجب كفارة .

(ب) وروى أن عمرو بن أمية الضمرى قتل رجلين فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوداهما النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يأمره بكفارة.

وجه الدلالة من هذين الحديثين :

هذان الحديثان يدلان على عدم وجوب الكفارة فى القتل العمد، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يوجب على الصاحبين الجليلين كفارة، ولو كانت الكفارة واجبة لأمرهما الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأدائها، لأن الحاجة داعية إلى البيان ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

٣ ـ وأما المعقول فمن وجوه :

الأول : أنه فعل يوجب القتل فلا يوجب كفارة كزنا المحصن(٢٥) .

الثانى : أنه الكفارة دائرة بين العبادة والعقوبة، فلابد من أن يكون سببها ـ أيضا ـ دائرا بين الحظر والإباحة، لتعلق العبادة بالمباح، والعقوبة بمحظور محض، وقتل العمد كبيرة محضة، فلا تناط به الكفارة كسائر الكبائر مثل الزنا والسرقة والربا(٢٦).

وبعبارة أخرى : أن القتل العمد كبيرة محضة، وما هو كذلك لا يكون سببا لما فيه معنى العبادة، والكفارة فيها معنى العبادة، فلا تناط الكفارة بمثلها، أى لا تناط الكفارة بما هو كبيرة محضة، لأن الحكم نتيجة السبب، فيراعى التناسب بينهما، فلا تجب إلا بسبب دائر بين الحظر والاباحة كالخطأ، فإنه بالنظر إلى أصل الفعل مباح، وبالنظر الى المحل الذى أصابه محظور، والكفارة دائرة بين العبادة والعقوبة، فتجب بمثله، ولا تجب بالقتل العمد، لأنه محظور محض، كما لا تجب بالمباح المحض وهو القتل بحق كالقصاص، وإنما تجب بسبب دائر بين العبادة والعقوبة، لتنسب العقوبة إلى جانب الحظر، والعبادة إلى جانب الاباحة(٢٧).

الثالث : أن إثبات الكفارة فى العمد زيادة فى حكم النص، وغير جائز الزيادة فى النص إلا بمثل ما يجوز به النسخ(٢٨).

الرابع : ان الكفارات لا يجوز إثباتها قياسا، وإنما طريقها التوقيف أو الاتفاق(٢٩).

---

(٢٥) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٣ .

(٢٦) تبين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٩٩ ، ١٠٠ .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٣١ .

(٢٧) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٣ .

(٢٨) أحكام القرآن للجصاص ـ جـ ٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٥ .

(٢٩) نفس المرجع .

الخامس : قال الجصاص ــ أيضاً ــ لما نص الله على حكم كل واحد من القتيلين، وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ «من أدخل فى أمرنا ما ليس منه فهو رد» فموجب الكفارة على العامد مدخل فى أمره ما ليس منه[٣٠].

ثانيا : أدلة المذهب الثانى :

استدل الشافعية ومن وافقهم على وجوب الكفارة فى قتل العمد بالمنقول من السنة والمعقول .

١ ــ أما السنة فبما يأتى :

(أ) ما روى عن واثلة بن الأسقع قال : أتينا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بصاحب لنا قد استوجب النار بالقتل فقال : «أعتقوا عنه رقبة يعتق الله ــ تعالى ــ بكل عضو منها عضوا منه من النار»[٣١].

وجه الدلالة من الحديث :

هذا الحديث صريح فى أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أوجب الكفارة فيما يستوجب النار، ولا يستوجب النار إلا فى قتل العمد[٣٢].

(ب) وروى أن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال يارسول الله : إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية؟ فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ «أعتق بكل مؤودة رقبة»[٣٣] ورواه ابن حزم بلفظ «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال يارسول الله : إنى صاحب إبل قال : «فانحر عن كل واحدة منهن بدنة»[٣٤].

وجه الدلالة من الحديث :

هذا الحديث نص فى إيجاب الكفارة فى القتل العمد، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمر الصحابى ــ رضى الله عنه ــ بأن يعتق بكل مؤودة رقبة، والأمر للوجوب، وكان هذا قتلا عمدا فى الجاهلية، فدل ذلك على وجوب الكفارة فى القتل العمد[٣٥].

---

(٣١) قال الحاكم صحيح على شرطهما وأقره الذهبى ورمز له السيوطى بالصحة ، مختصر السنن للمنذرى ــ جـ ٥ ــ ص ٤٢٤ ورواه ــ أيضا ــ أبو داود وأحمد كما رواه ــ أيضا ــ النسائى وابن حبان ــ أنظر : سنن أبى داود ــ كتاب العتق (١٣) باب ثواب العتق حديث رقم ٣٩٦٤ ــ ص الشريف الديلمى .

وانظر ــ أيضا ــ تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل ــ تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمى ــ جـ ٥ ــ تخريج وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقى ــ طبع دار إحياء الكتب العربية ــ ص ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ .

(٣٢) المجموع شرح المهذب للنووى ــ جـ ١٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٧ .

(٣٣) المجموع شرح المهذب للنووى ــ جـ ١٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٧ .

(٣٤) المحلى لابن حزم الظاهرى ــ جـ ١٠ ــ المرجع السابق ــ ص ٥١٥ .

(٣٥) المجموع شرح المهذب للنووى ــ جـ ١٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٧ .

٣ ـ وأما المعقول فبالقياس على الخطأ من وجهين :

الأول : أنه حيوان يضمن بالكفارة إذا قتل خطأ، فوجب أن يضمن بالكفارة إذا قتل عمدا كالصيد[٣٦].

قال الرازي في تفسيره : وذكر الشافعي ـ رضي الله عنه ـ حجة أخرى من قياس الشبه فقال : لما وجبت الكفارة في قتل الصيد في الإحرام سوينا بين العامد وبين الخاطيء إلا في الإثم، فكذا في قتل المؤمن، ولهذا الكلام تأكيد آخر وهو أن يقال : نص الله ـ تعالى ـ هناك في العامد، وأوجبنا على الخاطيء فههنا نص على الخاطيء، فبأن نوجبه على العامد مع أن احتياج العامد إلى الإعتاق المخلص له عن النار أشد كان ذلك أولى[٣٧].

الثاني : أنها إذا وجبت في قتل الخطأ مع عدم الإثم، فلأن تجب في العمد وقد تغلظ بالإثم أولى، لأنه أعظم إثما وأكبر جرما، وحاجته إلى تكفير ذنبه أعظم[٣٨].

قال الرازي في التفسير الكبير ـ أيضا ـ وأما القياس فهو أن الغرض من إعتاق العبد هو أن يعتقه الله من النار، والحاجة إلى هذا المعنى في القتل العمد أتم، فكانت الحاجة فيه إلى إيجاب الكفارة أتم والله أعلم[٣٩].

واستدل الزيدية ومن وافقهم على وجوب الكفارة على من سقط عنه القصاص في القتل العمد بالحديثين الآتيين :

(أ) ما أخرجه أبونعيم في المعرفة من حديث خزيمة بن ثابت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «القتل كفارة»[٤٠].

(ب) ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «من أتى منكم حدا فأقيم عليه فهو كفارة» وفي رواية بلفظ : «كفارته»[٤١].

وجه الدلالة من الحديثين :

هذان الحديثان نص على أن إقامة الحد كفارة للذنب، والحديث الأول صريح في أن القاتل إذا قتل قصاصا لم يجب عليه كفارة، فدل ذلك على أنه إذا لم يقتل قصاصا فعليه الكفارة[٤٢].

« يتبع »

(٣٦) نفس المرجع .

(٣٧) التفسير الكبير للفخر الرازي ـ جـ ٥ ـ ص ٢٣٦ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

(٣٨) المجموع شرح المهذب للنووي ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٤ .

(٣٩) التفسير الكبير للفخر الرازي ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٦ .

(٤٠) نيل الأوطار للشوكاني ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٤ .

(٤١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ جـ ١٢ المرجع السابق ـ ص ٨٥ ، ٨٦ ـ باب الحدود كفارة حديث رقم ٦٧٨٤ صحيح مسلم بشرح النووي ـ جـ ١١ ـ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ باب الحدود كفارات لأهلها ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

(٤٢) نيل الأوطار للشوكاني ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٠ ، السيل الجرار للشوكاني ـ جـ٤ ـ المرجع السابق ص ٤٢٦ .

٣

النزعة العقلية عند الإمام الشافعي

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومي (*)

● العقل والتأويل :

جرت العادة أن كل شيء مكتوب يجب أن يفهم ، وأن يفسر ، وفهمه وتفسيره لا يخرج عن أربعة دوائر :

* الدائرة الأولى :

وهدفها : **التأويل الظاهرى** ـ وهو الذى لايذهب إلى أبعد من النص الحرفى ـ وهو ما يعرف بالمذهب الظاهرى أو الاتجاه النصى .

* الدائرة الثانية :

التأويل المجازى ـ وهو الذى يرى أن الظاهر ليس مرادا سوى ما يرمز إليه من خفايا لا يستوعبها إلا أولو النهى ، وهو ما يعرف بالاتجاه الرمزى .

* الدائرة الثالثة :

وهى : **التأويل الأخلاقى** ، وهو ما يجب مراعاته خاصة مع النص الإلهى ـ إذ كل نص إلهى لايخلو من قيمة أخلاقية ، وعلى المتأول أن يراعيها سواء أخذ بالظاهر أو المجاز .

* الدائرة الرابعة :

هى : **التأويل الخفى** الذى لايخضع للمعنى الظاهرى ، ولا للمعنى الرمزى ـ أى المجازى المتقدم ـ إنما هو تفسير تحكمه الأهواء . مثل الباطنية .

(*) ـ الكاتب : الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

هذه الدوائر المنهجية تبين بسهولة : كيف يمكن تأويل أقوال الثقات فى فهم النص بحيث لا يبقى أمام العقل فى واقع الأمر سوى الترجيح فيما يرجحه ، أو النفى لما ينفيه ، وفق ما تؤدى إليه هذه المناهج ، ولاشك أن العقل الذى يدور مع النص وفق تلك الدوائر السابقة قد يلقى اعتراضاً أساسه أن مثل هذا العقل لا تحكمه قواعد الالتزام بمناهج محرزة .. إلى أن جاء الشافعى وقوم هذا المنهج العقلى فوضع له قواعد تتحرى رعاية النص ، وتعين العقل على الفهم ، هى « **علم** أصول الفقه » .

قال الإمام الشافعى فى (الرسالة) :

ولا يقيس إلا من جمع الآلة التى له القياس بها .. وهى : العلم بأحكام كتاب الله : فرضه وآدابه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه وإرشاده .

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ ، فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين فإن لم يكن إجماع فبالقياس :

ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب .

ولايكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ، ولايعجل بالقول به دون التثبيت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه ؛ لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ويزداد تثبيتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده ـ والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك .

ولايكون بما قال أعنى منه بما خالفه حتى يعرف فضل ما يصير إليه على ما يترك إن شاء الله .

فأما من تم عقله ولم يكن عالما بما وصفنا فلا يحل له أن يقول بقياس . وذلك أنه لايعرف ما يقيس عليه كما لا يحل لفقيه عاقل أن يقول فى ثمن درهم ولا خبرة له بسوقه .

ومن كان عالما بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة فليس له أن يقول أيضا بقياس ؛ لأنه قد يذهب عليه عقل المعانى . وكذلك لو كان حافظا مقصر العقل أو مقصرا عن علم لسان العرب : لم يكن له أن يقيس من قبل نقص عقله عن الآلة التى يجوز بها القياس[1] .

---

(١) الرسالة للشافعى ص ٥٠٩ / ٥١١ .

ثم أخذ الشافعي يتكلم عن الاختلاف والتأويل فقال :

قال لي قائل : فإني أجد أهل العلم قديما وحديثا مختلفين في بعض أمورهم فهل يسعهم ذلك ؟ قال الشافعي : فقلت له (أي لسائله) : الاختلاف من وجهين :

أحدهما محرم ولا أقول ذلك في الآخر .

قال (السائل) : فما الاختلاف المحرم ؟

قلت : كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بينا لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه .. وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياسا فذهب المتأول أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس وإن خالفه فيه غيره . لم أقل إنه يضيق عليه ضيق الخلاف في المنصوص .

قال (السائل) : فهل في هذا حجة تبين فرقك بين الاختلافين ؟

قلت (أي الشافعي) : قال الله – تعالى – في ذم الاختلاف والتفرق ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾[2] .

وقال جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾[3] فذم الاختلاف فيما جاءتهم به البينات .

فأما ما كُلِّفوا فيه الاجتهاد فقد مثَّلته لك بالقبلة والشهادة وغيرها .

قال : فمثل لي بعض ما افترق عليه من روى قوله من السلف مما لله فيه نص حكم يحتمل التأويل : فهل يوجد على الصواب فيه دلالة ؟

قلت : قلَّ ما اختلفوا فيه إلا وجدنا فيه عندنا دلالة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو قياسا عليهما أو على واحد منها[4] .

ثم قال الشافعي عن علاقة الظاهر بالباطن :

والقرآن على ظاهره حتى تأتي دلالة منه أو سنة أو إجماع بأنه على باطن دون ظاهر[5] .

---

(٢) سورة البينة آية : ٤ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

(٤) الرسالة للشافعي ص ٥٦٠ ، ٥٦٢ باب الاختلاف .

(٥) الرسالة للشافعي ص ٥٨٠ .

ثم قال السائل للشافعي عن أقاويل الصحابة :

أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا تفرقوا فيها ؟

فقلت : نصير منها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصح فى القياس[6] .

واضح مما سبق أن القياس الذى يذهب إليه الشافعى ليس منه الإلهام . وهو الإلقاء بطريق الفيض والفراسة وهو الأخذ بحدة الذكاء .

أما عن الاتجاه النقلى : فإن كان قد تشعب ليحارب العقل فينبه ابن حزم فقال : من غير إعمال للفكر فى الحكم الشرعى .

قال قوم : لا يعلم شىء إلا بالإلهام .

وقال آخرون : لايعلم شىء إلا بقول الإمام وهو عندهم رجل بعينه .

وقال آخرون : لايعلم شىء إلا بالخبر .

وقال آخرون : لايعلم شىء إلا بالتقليد . واحتجوا فى إبطال حجة العقل بأن قالوا : قد يعتقد الإنسان شيئا ويجادل عنه ولايشك فى أنه حق ، ثم يلوح له غير ذلك . فلو كانت حجج العقول صادقة لما تغيرت أدلتها .

ثم أخذ يرد على كل طائفة .

يقول لمن قال بالإلهام : فالفرق بينك وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولك . فلا سبيل إلى الانفصال عنه .

وقال أيضا : فإن الإلهام دعوى مجردة من الدليل .

وأما الذين يقولون بالإمام فإنهم يؤولون لقوله تعالى : ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7] .

قال الشيعة : المراد من المؤمنين الأئمة المعصومون ، أو من كان منهم الإمام المعصوم .

ويقال : لمن قال بالإمام المعصوم ؟ بأى شىء عرفت صحة قول الإمام ؟ أببرهان أم بمعجزة أم بالإلهام أم بقوله مجردا ؟

فلا بد من حاكم يميز الحق منها عن الباطل ، وليس ذلك إلا العقل الذى لاتتعارض دلائله .

وقال عن التقليد : المقلدون كالغرق فأى شىء وجدوه تعلقوا به .

ووفق هذا المنهج الذى وصف الرازى به حال الجو الفكرى إبان العصر الذى نبغ فيه الشافعى وقدمنا عرضه حتى رأينا كيف قوّمه وربط بين المنهجين بما وضعه من قواعد أصولية تحكم العقل وتوضح النص ، تقوّم العقل من غير إغفال للنقل . وكنا نرى ذلك ظاهرا على آرائه الفقهية والأصولية حتى الكلامية على قلتها .

---

(٦) الرسالة للشافعى ص ٥٩٦ ، ٥٩٧ .

(٧) سورة النساء آية : ١١٥ .

ولما كانت آراء الإمام الشافعى الكلامية ، بل وموقفه من علم الكلام ليس من الشهرة التى تطابق فقهه وأصوله رأينا أن نقدم موقفه من الكلام نموذجا تطبيقيا لمنهجه الفكرى .

ثانيا : الشافعى وعلم الكلام :

يقول الإمام الشافعى عن علم الكلام : الكلام يلعن أهل الكلام .

أثار قول الشافعى عن علم الكلام عدة قضايا لدى المهتمين بشئون الفكر الإسلامى أو الفكر الإنسانى .. وما أثاره قول الشافعى من قضايا ليذكرنا دائما بالمواقف الجادة التى شغلت العقل الإسلامى ـ أبان البحث عن حقيقته وأصالته واستقلاله فى ابتكار اتجاهاته الفكرية ـ كذلك يذكرنا بحدية الحركة الثقافية فى المجتمع الإسلامى . وإن اهتماماتها الثقافية ـ كانت بالدرجة الأولى مسايرة لحقيقة الدين الإسلامى ، كما كانت بنفس الدرجة تلبية لرغبة عقلية تطلب المزيد من التفاعل بين قضايا العقل وقضايا النقل .

(١) رأى الطاعنين فى قول الشافعى :

أما عن رأى الشافعى فى علم الكلام من خلال خصومه والقضايا التى أثيرت وسوف تثار دائما من خلال رأيه فى علم الكلام ، فهى كما تلاحظ أن بعضها يُطْعَنُ بها الشافعى ـ كما هو شأن كل قضية فكرية ويصدر من الذين يخالط فكرهم انفعالهم ، ولا يكاد يبدونه إلا ويحملون أوزار القول : فيرون : أن موقف الشافعى من علم الكلام لينم عن جهله ، ويطعن فى علمه ، ويعوق اجتهاده ، لأنهم يرون أن كل من كان منكرا لعلم الكلام ومبغضا له كان جاهلًا بذات الله ـ وبصفاته وبشرائط المعجزات ، ونبوة الأنبياء ـ ومن كان كذلك لا يكون مسلما فضلا عن أن يكون مجتهدا فى الدين . فنحن إذ نناقش الموقف الرافض لرأى الشافعى علينا أن نلاحظ أنه أثار قضيتين :

* **القضية الأولى** : علاقة الكلام بمعرفة الله .
* **القضية الثانية** : هل معرفة الله ضرورية[٨] أو استدلالية ؟ .

يرى الطاعنون فى موقف الشافعى : أن معرفة الله ومعرفة النبوات ليست ضرورية بل استدلالية أى تحتاج إلى دليل . والدليل إما أن يكون مصدره السمع ـ أى القرآن أو السنة ـ ودليل السمع فى نظرهم لا يصح ؛ لأن مصدره معرفة الله أولا ثم بعد معرفته يحتج بكلامه عن طريق الوحى ، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بالعقل فإذا ثبت أن معرفة الله منوطة بالعقل توقفت معرفته على علم الكلام فكيف يذمه الشافعى ؛ فالذى ينكر علم الكلام ينكر العقل الباحث فى معرفة الله ـ والذى ينكر المعرفة جاهل .

(٨) الضرورى هو الذى لا يحتاج إلى نظر واستدلال . مجلة الأزهر .

ثانى أدلتهم : أن المسلمين قد اختلفوا فى صفات الله اختلافا شديدا ، وكل واحد يدعى أنه على حق وأن مخالفه هو المبتدع فلا بد فى التمييز من طريق ـ ذلك الطريق هو النقل ـ إما تواتر أو آحاد ـ أما المتواتر فمفقود ـ وأما الآحاد فلا يفيد إلا الظن .

وهذه المسائل قطعية فلا يبقى إلا قضايا العقل لعلم الكلام . فمن هنا كان الطاعن لعلم الكلام والمبغض له ـ فى نظرهم ـ جاهلا بالله ورسوله واليوم الآخر . ومن كان كذلك لم يكن من المسلمين فضلا عن أن يكون من المجتهدين . هذا رأى الطاعنين فى موقف الشافعى .

● تقييم رأى الطاعنين فى نظرنا :

لاحظنا أن تقدهم كان قاسيا شديد القسوة إذ استهدف بالنسبة للشافعى النيل من اجتهاده ومن مرتبته وعلمه . واستهدف بالنسبة لعلم الكلام رفعه ـ رفعة تتجاوز رفعة الله وتتجاوز كال قدسه .. وهذا الاستهداف بالنسبة للشافعى وبالنسبة لعلم الكلام وطأته هم المغالاة فى التعصب ـ ومغالطة الجدل ـ فمن ناحية المغالاة فى التعصب ربطهم بين معرفة الله وعلم الكلام على أساس أن العقل دليل معرفة الله الوحيد ـ مع أن معرفة الله ليست محصورة فى علم الكلام فلها سبل شتى مثل : العقل والحس والذوق .

أما علم الكلام فقد يغالى ويجعلها محصورة فيه على أساس أنه قصر نفسه عليها ـ وفهم علماء الكلام أن الطريق مسدود على غيرهم إلا طريقهم ، وذلك نوع من المغالاة فى التعصب .

وأما من ناحية مغالطة الجدل : فقولهم : أما التواتر فمفقود .

هذا لون من المغالطات فى الجدل يقع الناس فيه عندما يغالون : أن النوبة العصبية تفكير لأن قولهم هذا منقوض بالقرآن : فالقرآن منقول إلينا بالتواتر ، وهو مصدر علمنا بصفات الله ـ وأما الاختلاف حول الصفات فإنما هو اختلاف حول تصورها وكيفيتها وذلك من قضايا الفلسفة ـ بعدما رأينا مغالاتهم ومغالطاتهم : تثبت أن ما استهدفوه من النيل من الشافعى لايثبت لدعواهم لقيام دليلهم على مغالاة ومغالطات . وأن إيمانه بالله ومعرفته به قام على دليل من جانب آخر غير جانب الكلام . وأن قضية اجتهاده غير مطعون فيها أيضا لأنه لا يدعى اجتهادا فى علم الكلام ـ وإنما فى علم آخر ـ هو علم الفقه ـ وأن إسلامه لا ردة فيه لأنه يرى إيمانه نابعا من القرآن والسنة دون نظر إلى أدلة علم الكلام .

وأما ما استهدفوه من رفعة علم الكلام . فإننا لاتناقشها لاعترافنا بقيمته وثمرة وظيفته بيد أننا ننازع علم الكلام إسرافه فى فهم وظيفته حينما جعل الطريق إلى الله مقصورا عليه فقط ، وفى نفس الوقت نرى أن له من الأهمية التى تكفل له مهمة بحثه فى معرفة الله .

ومع ذلك لايستدعى إنكارنا لعلم من العلوم قد يكون إنكارا لقواعده أو منهجه أو نتائجه أو أدلته أو أى شيء آخر يتعلق بالعلم ولايتعلق بمعرفة الله ـ فالربط بينهما من مغالطات الجدل .

فأنا قد أنكر علم الطبيعة دون أن أنكر الطبيعة .

وفى النهاية يشير هذا الموقف المعارض لموقف الشافعى من غير شك - إلى حرية النقد التى وسعتها روح المجتمع الإسلامى نقداً من غير حدود لقواعد النقد ومن غير مراعاة لأدب البيئة وأصول اللياقة فمست - فى عنف - رجالاً بصماتهم على التاريخ واضحة مشرقة . ولعل موقفهم العنيف من الشافعى وتكفيرهم إياه صحح ما رواه الربيع عن الشافعى أنه قال : رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضا ، ورأيت أهل الحديث يخطىء بعضهم بعضا والتخطئة أهون من الكفر - فنلاحظ أن أهم ما أخذه على علم الكلام مغالاتهم فى تكفير بعضهم بعضا .

● **موقف المنصفين لرأى الشافعى :**

وهناك من يرى أن هذه الأقوال التى أثرت عن الشافعى صحيحة غير مطعون فى نسبتها إليه وأنها لاتعنى من ورائها موقفا محددا بين الشافعى وعلم الكلام وإنما تعنى توجها ما .

قالوا : لاشك أن الشافعى كان إماما من أئمة المسلمين ، وكان عظيم القدر عالى الدرجة فلما أظهر الإنكار على هذا العلم علمنا أنه مذموم .

وحاصل الكلام : أن هذه الروايات دلت على حصول العداوة بينه وبين علماء الكلام فمن اعتقد أن علم الكلام شريف فقد استدل به على الطعن فى الشافعى . ثم قالوا : وأما نحن فنعتقد أن علم الكلام أشرف العلوم وأجلها ، وأن الشافعى أفضل المجتهدين وأعلمهم لذلك لا بُدّ لنا من التوفيق .

وطريق ذلك - أن يحمل طعن الشافعى فى علم الكلام على تأويلات :

التأويل الأول :

من وجهة النظر السياسية وحال العصر : أن فتنا عظيمة وقعت فى ذلك الزمان بسبب خوض الناس فى مسألة « **خلق القرآن** » وأهل البدع استعانوا بالسلطان وقهروا أهل الحق - فلما عرف الشافعى أن البحث عن هذا العلم فى ذلك الزمان ليس لطلب الحق وليس لله وفى الله - بل لأجل الدنيا والسلطنة . تركه وأعرض عنه - أى علم الكلام - فذمه ليس لذاته - وإنما ذم معرض به عن أهواء السياسة .

التأويل الثانى :

صرف ذمه إلى مسائل من علم الكلام : أن يصرف ذلك الذم إلى الكلام الذى كان أهل البدعة ينصرونه ويقررونه ، ومثاله : أن الفقهاء متفقون على أن القياس حجة فى الشرع ، ثم ظهر النقل المتواتر من الصحابة والتابعين فى ذم القياس فعند هذا قال الفقهاء : ذلك الذم منصرف إلى الأقيسة الفاسدة الواقعة فى معارضة النصوص فكذا ها هنا .

ثم يقولون ـ نحن نقول بأن الذم العظيم المنقول عن الشافعي للكلام يجب صرفه إلى الكلام الذي كان أهل البدع ينصرونه ـ فإن في ذلك الزمان ـ كان الكلام اسما للمتكلم في الاعتزال والقدر .

التأويل الثالث :

لعله كان من مذهبه أن الاكتفاء بالدلائل المذكورة في كتاب الله واجب وأن الزيادة عليها والتوغل في المضايق التي لاسبيل للعقل في الخوض فيها غير جائز فلهذا السبب بالغ في ذم من حاول الخوض في تلك الدقائق .

● تقييم موقف المنصفين في نظرنا :

ماذا يهدف إليه المؤولون لموقف الشافعي من الكلام ؟

يهدفون إلى عدة أمور متعلقة بالشافعي وبعلم الكلام :

(١) بالنسبة للشافعي :

ـ نفي التقليد عنه وعن مذهبه ـ فلا يقال كان مذهبه أن الدين فيه إنما يستفاد من متابعة الأسلاف لأن هذا الطريق مذموم في القرآن

ـ نفي أنه كان يحارب النظر العقلي ـ نفي جهله بعلم الكلام ـ روى البيهقي عن الحكم بن عبد الله الحافظ بإسناده عن المزني قال : كنا على باب الشافعي نتناظر في الكلام فخرج الشافعي إلينا فسمع بعض ما كنا فيه ، فرجع عنا ، وما رجع إلينا إلا بعد سبعة أيام ـ ثم خرج فقال ـ مامنعني عن الخروج إليكم إلا أنني سمعتكم تتناظرون في الكلام ـ أتظنون أني لا أحسنه ؟ . لقد دخلت فيه حتى بلغت فيه مبلغا عظيما إلا أن الكلام لا غاية له . تناظروا في شيء إن أخطأتم فيه يقال : أخطأتم ولايقال كفرتم .

ثم علق البيهقي قائلا : وهذه الحكاية تدل على أن الشافعي كان عالما بهذا العلم إلا أنه ماكان يفتح باب المناظرة للخوف من المفاسد المتولدة منه .

● بالنسبة لعلم الكلام :

رفع قيمة علم الكلام وتأكيد أنه علم إسلامي ذو منهج عقلي : بيان أنه طريق وسط فهو يحد من نطاق العقل : فلا يدعه مع أهوائه وأخيلته حتى يرسم لها منهاجا غايته الإيمان ـ كذلك يؤكد من « **اللامعقولية للمغيبات** » . فإن القول « **بعدم معقوليتها** » فيه مايغري بتركها أو إنكارها دون تورط في الكفر ـ كذلك القول بمعقوليتها فيه ما يغري أيضا بدعوى إنكار الرسل والوحي إذ لا وظيفة لهم مع العقل في نظر العقليين ـ فعلم الكلام طريق وسط يربط بين العقل بتوجيه مبادئه ـ فالعقل الكلامي عقل موجه بالوحي . وبين اللامعقول ـ فيرفع بذلك مرتبة الإيمان التقليدي إلى رتبة الإيمان العقلي ، ويربط مسالك النظر بمسالك البصر .

مجموعة تعريفات ومصطلحات فقهية

في

لغة معاصرة

تصنيف الدكتور : عبد العزيز عزت عبد الجليل حسن (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

فإن الحمد كل الحمد لله ، والشكر له فبعونه تعالى وتوفيق منه أقدم للقارىء المسلم مجموعة من التعريفات والمصطلحات الفقهية التى تحتاج فى الكشف عنها وقتا وجهدا قد لايتيسران لكثير من الراغبين فى المعرفة الفقهية .

● وقد رأيت قبل أن أنقل للقارىء الكريم هذه المجموعة التى اشتمل عليها هذا المصنف أن أوضح أن عملى فى هذا الموضوع قاصر على الجمع والتصنيف ؛ لأن الموضوع ليس بمحل اجتهاد ، ولامجال فيه للرأى أو التأليف .

● أن هذا العمل الذى قد يبدو للقارىء ـ لأول وهلة ـ أنه أمر سهل للغاية ؛ لأنه لايتعدى النقل من كتب الفقه ، فإن الحقيقة غير ذلك تماما لأن هذا العمل استدعى بالضرورة البحث

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر

فى أمهات كتب الفقه ومراجعتها لأن اختلاف آراء الفقهاء فى المسائل استتبع منهم أن يضعوا من التعريفات لكل باب من أبواب الفقه أو فصوله حداً جامعا مانعا يندرج تحته كل مايصدق عليه التعريف ويخرج منه ماليس داخلا فى مفهومه آراءً كل فريق وهو مما أدى إلى تعدد التعريفات .

● كما أن الفقهاء ذكروا فى كتبهم كثيرا من المصطلحات فى تعبيراتهم تتفق مع عصورهم .

● ونحن ـ المسلمين ـ اليوم فى أمس الحاجة إلى الإلمام بهذه التعريفات وتلك المصطلحات ؛ لأنها هى التى تضبط المفاهيم الفقهية وتحدد مسارها دون خروج بها عن دائرتها ؛ فإن كثيرا من الشباب فى العصر الذى نعيش ليس لديهم خلفية قليلة أو كثيرة من الثقافة الدينية ، ثم يقحمون أنفسهم على الفقه ومسائله وهم لايميزون بين الفرض والواجب ولابين الركن والشرط ويفتون بغير علم ـ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس .

● أن المصطلح الفقهى عند الفقهاء له مدلول يختلف عن المعنى اللغوى

وإذا أخذنا على سبيل المثال لفظ ـ الطهارة ـ فإننا نجد معناها فى اللغة : النظافة والنزاهة عن الأقذار والأوساخ سواء كانت هذه الأقذار حسية أو معنوية ؛ بينما التعريف الاصطلاحى لهذه الكلمة لدى الفقهاء يتخذ التحديد الآتى :

الحنفية : قالوا : الطهارة شرعا النظافة عن حدث أو خبث ، والحدث : وصف شرعى يحل بعض الأعضاء أو البدن كله فيزيل الطهارة .

المالكية : قالوا :ـ الطهارة صفة حكمية توجب لموصوفها استباحة الصلاة بثوبه الذى يلبسه وفى المكان الذى يصلى فيه .

الشافعية قالوا :ـ تطلق الطهارة شرعا على معنيين : أحدهما فعل شىء تستباح به الصلاة من وضوء وغسل وتيمم وإزالة نجاسة أو فعل مافى معناها .

وثانيهما : أنها ارتفاع الحدث أو إزالة النجاسة .

الحنابلة قالوا :ـ الطهارة شرعا : ارتفاع الحدث ومافى معناه وزوال النجس أو ارتفاع حكم ذلك .

● وكذلك الأمر عند تعريف أنواع المياه ـ الطهور والطاهر والمستعمل والمتنجس .

● كما أن بعض الفقهاء استخدم الرموز الحرفية فى المسائل الفقهية

تسهيلا على الدارسين والمتعلمين ، وأذكر من بين ذلك على سبيل المثال فى أحكام **(موانع الرجوع فى الهبة)** فقد رمز لها بعضهم بعبارة ـ دمع خزقه ـ

فرمز بالدال للزيادة المتصلة بالموهوب كالبناء على الأرض ، ورمز بالميم لموت أحد المتعاقدين ، ورمز بالعين للعوض المضاف إليها ، ورمز بالخاء لخروج العين الموهوبة عن ملك الموهوب له ، ورمز بالزاى للزوجية ، ورمز بحرف القاف للقرابة ، ورمز بالهاء لهلاك الموهوب .

● ثم إن الفقهاء استعملوا فى كتبهم ـ الصاع والمد والوسق والفرسخ والبريد والمرحلة وغير ذلك ، كما استعملوا القيراط والدرهم والدينار وهذه المكاييل والموازين أو المسافات هى التى كانت سائدة وشائعة فى أزمانهم ، وكان الناس يتعاملون بها فى عصورهم .

لذلك أعقبت هذا المصنف بجداول توضح مدلولات هذه الأشياء وبلغة معاصرة حتى لايصعب على الناس معرفة قدر الكفارة أو زكاتهم ، أو مسافة السفر المبيحة للقصر أو الإفطار فى رمضان وغير ذلك .

هذا وقد ذكرت مجموعة التعريفات والمصطلحات التى تناولتها على ما هو متفق عليه بين الأئمة ، ونبهت على ما اختلفوا فيه بإيجاز ، وقد أسوق بعض الأحكام الشرعية وآراء الفقهاء فيها نظرا لحاجة كثير من الناس إليها .

أدعو الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه تعالى ، وأن يفيد منه العامة والخاصة ، وهو وحده من وراء القصد .

د. عبدالعزيز عبدالجليل
عضو لجنة الفتوى بالأزهر

رأيت أن أضع بين يدى القارىء بيانا لمعانى بعض التعريفات والمصطلحات الفقهية التى تشتمل عليها كتب الفقه ، وأبدأ بتعريف الفقه نفسه . أقول :

الفقه لغة : معناه الفهم يقال : فقهت المسألة أى فهمتها .

الفقه اصطلاحا : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، يقول المصطفى ـ ـ صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ويقول : « إنما أنا قاسم والله معطى »

المصطلحات الأساسية العامة

الفرض : هو ماطلب الشارع فعله على سبيل الحتم والإلزام وكان ثبوته بدليل قطعى لاشبهة فيه ، وحكمه الثواب على فعله ، والعقوبة على تركه بغير عذر ، ويكفر جاحده ، وذلك كالصلاة ،

والزكاة ، والحج ، وقد اصطلح الفقهاء على أن الفرض مُساوٍ للركن فركن الشيء وفرضه شيء واحد .

الواجب :ــ هو ماطلب الشارع فعله على سبيل الحتم والإلزام وكان ثبوته بدليل ظني فيه شبهة ، وحكمه مثوبة فاعله ، وعقوبة تاركه بلا عذر ، ولايكفر جاحده ، بل يحكم بفسقه وذلك كقراءة الفاتحة في الصلاة ، وهذه التفرقة بين الفرض والواجب مذهب الحنفية أما غيرهم فالكل يطلق عليه اسم الواجب(١) .

المندوب :ــ

المندوب : هو ماطلب الشارع فعله من غير إلزام ، وحكمه أن فاعله يستحق الثواب ، وتاركه لايستحق العقاب ، وقد يستحق اللوم والعتاب ، وذلك كصلاة ركعتين قبل الصبح .

الحرام : هو ماطلب الشارع تركه على سبيل الحتم والإلزام ، وكان ثبوته بدليل قطعي لا شبهة فيه ، وحكمه : عقوبة فاعله وذلك كالزنا ، وأكل مال اليتيم .

المكروه تحريما :ــ

المكروه تحريما هو : ماطلب الشارع تركه على سبيل الحتم والإلزام وكان ثبوته بدليل ظني ، وحكمة : عقوبة فاعله ولكنها عقوبة دون عقوبة الحرام ، كخطبة مسلم على خطبة أخيه .

المكروه تنزيها :ــ

المكروه تنزيها : هو ماطلب الشارع تركه على سبيل الحتم والإلزام ، وحكمه أن فعله لا ثواب ولا عقاب عليه ، ولكنه خلاف الأولى كأكل لحم الخيل(٢) .

المباح :ــ

المباح : هو ما خير الشارع فيه المكلف بين الفعل والترك ، وحكمه أنه لا ثواب على فعله ، ولاعقاب على تركه ، وذلك كالأكل والتنزه .

الركن :ــ

---

(١) المالكية يرون : الفرض والركن والواجب واللازم بمعنى واحد ، ولا يفرقون بين الفرض والواجب إلا في أعمال الحج ، فالفرض المتروك يفسد الحج ، والواجب ينجبر بالدم .

(٢) هذا التقسيم للحرام والمكروه على مذهب الحنفية ، أما غيرهم فيطلقون الحرام على ما يشمل الحرام والمكروه تحريما عند الحنفية ، ويوافقونهم في المكروه تنزيهاً ولكن لا يقيدونه بوصف التنزيه .

الركن : هو ماكان داخلا فى ماهية الشىء ـ يعنى حقيقته ـ بحيث يوجد بوجوده وينعدم بانعدامه ، كالإيجاب والقبول فى عقد الزواج .

الشرط :ـ

الشرط : هو ماكان خارجا عن ماهية الشيء وحقيقته ، ولايلزم من وجوده وجود المشروط ، ولكن يلزم من عدمه كالوضوء بالنسبة للصلاة .

السبب :ـ

هو كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم ، وانتفاؤه علامة على انتفائه ، وليس بينه وبين الحكم مناسبة ، كزوال الشمس بالنسبة لصلاة الظهر .

العلة :ـ

العلة : هى كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم وانتفاؤه علامة على انتفائه بشرط أن يكون بينه وبين شرعية الحكم مناسبة كالسفر بالنسبة لجواز الفطر فى رمضان ، وبعضهم يطلق على هذا النوع اسم السبب أيضا .

الصحيح :ـ

الصحيح : هو المشروع بأصله ووصفه ، وذلك كالبيع المستوفى أركانه وشروطه .

الباطل :ـ

الباطل : هو مالم يُشْرَعْ بأصله ولا وصفه ، مثل زواج الأم والأخت .

الفاسد :

الفاسد : هو ماشرع بأصله دون وصفه وذلك كالزواج المنعقد بدون شهود ، وكبيع السمك فى الماء ، والطير فى الهواء .

الموقوف :ـ

الموقوف : هو ماشرع بأصله ووصفه ، ولكن لا تترتب عليه آثار بالفعل لمانع خارجى كزواج المرأة بأقل من مهر مثلها دون رضى الولى

فرض العين :ـ

فرض العين : هو ماطلب الشارع فعله على سبيل الحتم والإلزام من المكلفين ـ ذكرا أو أنثى ـ كالصلوات الخمس المفروضة .

فرض الكفاية :ـ

فرض الكفاية : هو الذى إذا أداه واحد أو جماعة سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة .

كتاب الطهارة

معنى الطهارة :ـ

الطهارة فى اللغة : النظافة والنزاهة عن الأقذار والأوساخ سواء كانت حسية أو معنوية .

أما معنى الطهارة فى اصطلاح الفقهاء : ففى بيانها أقوال وعبارات فى المذاهب يمكن أن نأخذ منها معنى للطهارة متفقا عليه وهو أن الطهارة شرعا : صفة اعتبارية قدرها الشارع شرطا لصحة الصلاة ، وجواز استعمال الآنية ، والأطعمة ، وغير ذلك ، فالشارع اشترط لصحة الصلاة ـ لأى شخص يريد الصلاة ـ أن يكون بدنه موصوفا بالطهارة (طاهرا) ولصحة الصلاة فى المكان أن يكون المكان موصوفا بالطهارة ولصحة الصلاة بالثوب أن يكون الثوب موصوفا بالطهارة ، واشترط لحل أكل الطعام أن يكون الطعام موصوفا بالطهارة ، فحقيقة الطهارة ـ فى ذاتها شىء واحد ، وإنما تنقسم باعتبار ماتضاف اليه من حدث أو خبث ، أو باعتبار ما تكون صفة له عند الجنابة أو بعض أعضاء البدن ، بسبب ناقض للوضوء من ريح وبول ونحوهما .

ويقال للأول ـ حدث أكبر ـ والطهارة منه تكون بالغسل ويتبعه الحيض والنفاس .

ويقال للثانى ـ حدث أصغر والطهارة منه تكون بالوضوء ، وينوب عن الغسل والوضوء التيمم عند فقد الماء ، أو عدم القدرة على استعماله .

الأعيان الطاهرة :ـ

الأصل فى الأشياء الطهارة مالم تثبت نجاستها بدليل ، والأشياء الطاهرة كثيرة منها :ـ

الإنسان : سواء كان حيا أو ميتا ، والمشرك من بنى آدم نجاسته معنوية حكم بها الشارع وليست ذات المشرك نجسة كنجاسة الخنزير .

الجماد : وهو كل جسم لم تحله الحياة ولم ينفصل عن شىء حى .

والجماد قسمان :ـ

(ا) جامد (ب) مائع

فمن الجامد جميع أجزاء الأرض ومعادنها ، وكذلك جميع أنواع النبات ولو كان مخدرا ، ويقال له : المفسد ، وهو ما غيب العقل والحواس معا مثل «الداتورة» و «البنج» . أو كان يضر

بالبدن كالنباتات السامة فهذه النباتات كلها طاهرة ، وإن حرم منها تناول ما يضر العقل أو الحواس أو غيرهما .

ومن أمثلة المائع : المياه ، الزيوت ، ماء الأزهار ، الخل ، وغير ذلك ، فهذه كلها من الجماد الطاهر مالم يطرأ عليها ما ينجسها .

الأعيان النجسة :ـ

الأعيان النجسة كثيرة منها : ميتة الحيوان البرى غير الآدمى ، إذا كان له دم ذاتى يسيل عند جرحه ، بخلاف ميتة الحيوان البحرى فإنها طاهرة .

تعريف النجاسة :

النجاسة اسم لكل مستقذر ، وكذلك النجس بكسر الجيم وفتحها وسكونها ، والفقهاء يقسمون النجاسة إلى قسمين :

(ا) نجاسة حكمية (ب) ونجاسة حقيقية

يذهب الحنفية إلى أن النجاسة الحكمية هى الحدث الأصغر والحدث الأكبر ، وهو وصف شرعى يحل بالأعضاء أو البدن كله يزيل الطهارة ، وقد سبق أن أوضحنا ذلك .

والنجاسة الحقيقية : هى الخبث : وهو كل عين مستقذرة شرعا .

ويقول الشافعية : إن النجاسة «**الحقيقية**» هى التى لها جرم ، أى مادة أو طعم أو لون أو ريح و«الحكمية» التى لاجرم لها ولا طعم ولا ريح كبول جف لم تدرك له صفة ، فإنه نجس نجاسة حكمية : أما عند المالكية فالنجاسة العينية هى ذات النجاسة ، والحكمية أثرها المحكوم به على المحل .

وعند الحنابلة النجاسة الحقيقية هى عين النجس ـ بالفتح ـ والحكمية هى الطارئة على محل طاهر قبل طروها ، وذلك يشمل النجاسة التى لها جرم وغيرها .

وفى تقسيم آخر للنجاسة :

النجاسة الغليظة ، والمانع من الغليظة أن تزيد على قدر الدرهم البغلى ، وهو الدائرة السوداء الكائنة فى ذراع البغل ، وذلك إذا كانت النجاسة مائعة ، ووزنا إن كانت النجاسة كثيفة .

النجاسة المخففة : ويعفى فيها عما دون ربع الثوب كله ، أو ربع البدن كله وتظهر الخفة فى غير المائع ، وهى عند الحنفية ماورد فيها نص عورض بنص آخر مثل بول ما يؤكل لحمه .

« يتبع »

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السؤال من السيد/ محمود منير عبدالوهاب بشر كوم النور – ميت غمر – دقهلية

يقول فيه أعمل فى ورق البردى – ألون الورق البردى : أى الرسوم الفرعونية ثم أبيعها إلى « البزار » الذى يقوم ببيعها إلى الأجانب فهل هذا حرام ، وماالحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فنفيد بأن الذين يقولون لك إن الرسم الفرعونى حرام ، وأن الشغل به حرام والآخرون الذين يقولون عكس ذلك إنما هم فى الحقيقة معذورون ؛ لأن النصوص فى حرمة التصوير عموما كثيرة ومشهورة والذين يتأولون هذه النصوص لهم نصيب من صحة اجتهادهم

وقد اتفق العلماء والمجتهدون على أن التصوير الشمسى لايقع فى دائرة الحرمة ، وأن التصوير المنهى عنه إنما هو التصوير المجسد أى صناعة التماثيل التى تشبه فى هيئتها أصنام الجاهلية .

وبناء على ذلك اعتبر أن أجرك الذى تحصل عليه هو نظير الوقت الذى يستغرقه هذا العمل والله أعلم .



السؤال من السيد/ م.ا.م – شرقية – يقول فيه :

١ – رجل حلف على زوجته ثلاثة أيمان طلاق على فترات مختلفة ، وكان بينهما خلاف وقبل وفاته لم تكن هذه الزوجة فى منزل الزوجية وكانت عند أحد أبنائه علما بأن هذا الزوج حلف عليها اليمين مرات عديدة وقد حضرت هذه الزوجة إلى بيتها فى ساعة احتضار زوجها ،

وطلبوا منه مسامحة زوجته فلم تخرج منه كلمة السماح إلا بعد تدخل أولاده وأقربائه

ونحيطكم علما بأن هذين الزوجين كانا على خلاف مستمر وهذه الزوجة فى مرات رمى اليمين عليها ، ولم تطلق على يد مأذون ولم تستخرج لها قسيمة طلاق عن طريق الحاكم والمأذون . فهل ترث هذه الزوجة فى زوجها المتوفى ؟ علما بأن هذا الزوج المتوفى له ابن وزوجة أخرى .

٢ - مستأجر قطعة أرض ولانعرف كيفية إخراج زكاة هذه الأرض ، هل تحسب قيمة الإيجار ومصاريف الأرض قبل إخراج الزكاة أم لا ؟ علما بأن الأرض تسقى بآلة وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد :

فنفيد عن الأول بأن السائل لم يوضح فى رسالته صيغة هذه الأيمان التى تلفظ بها الزوج فإن ذكرها بالنص أمكن أن يأتى الحكم الصحيح وبغير ذلك لايمكن أن تصدر فتوى فهناك صيغ طلاق لابد فيها من معرفة نية الحالف وهناك صيغة على الطلاق - وهى لغو لايقع به طلاق وإنما هى أيمان تؤدى عنها كفارة بالحنث فيها وغير ذلك .

وعن الثانى : زكاة الزروع والثمار هى إخراج العشر مما تنبت الأرض إذا كانت تسقى بدون آله ونصف العشر إن كانت تسقى بآله ، وهذا هو مذهب الإمام أبوحنيفة الذى يرى إخراج هذا القدر مما أخرجته الأرض ، أى جميع ماتخرجه سواء كان مقتاتا به أو غير مقتات به ، وسواء كان مما يدخر أو لايدخر ، ويخرج هذا القدر بدون احتساب الايجار أو نفقات أخرى ، والله تعالى أعلم .



س : هل يجوز للأب والأم شرعاً مراقبة المكالمات التليفونية للأبناء وتسجيلها ؟

الجواب

على ضوء ماسبق فإن مراقبة مكالمات الأبناء الذين هم دون البلوغ حق قاصر على الوالدين فقط لايتعداهما إلى غيرهما من قبيل التربية والرعاية المطلوبة - كلكم راع وكلكم مسئول - إذا كان المقصود من ذلك صلاح النشئ .

أما بعد البلوغ فإن هذا العمل يدخل فى دائرة المحرم فكل نفس بما كسبت رهينة .



س : هل يجوز للزوج مراقبة مكالمات زوجته ؟ وهل يجوز للزوجة مراقبة مكالمات زوجها ؟

الجواب

هذا العمل فى القول بإجازته سلبيات تفوق ماعساه يكون فيه من إيجابيات ، فضلاً عن كشف المستور الذى يحرص كل من الزوجين على الاحتفاظ به لنفسه وهو حق لكل منهما ، وتجاوز ذلك مدعاة إلى الدخول فى متاهات تفسد بها الحياة الزوجية ، وقد أجرى الشارع الحكيم وعلماء الفقه أحكامهم على الأمور التى تصدر من الشخص ويمكن سماع الشهادة فيها وتسجيل مايصدر من الشخص بالصوت أو الصورة أو كلاهما معاً مما لايفيد القطع نظراً لتقدم التكنولوجيا فى إمكان تزييف مثل هذه التسجيلات ، وكثيراً مايحدث ذلك .

ثم نقول إذا كان الشارع الحكيم قد جعل للمرأة ذمة مالية مستقلة عن زوجها،وقياساً على الحق المقرر لها فى حل ذلك فمن حقها الاحتفاظ لنفسها بما تريد ، ومن المعلوم فى أصول الفقه أن دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة درءاً لاتقاء المفاسد ، والحديث الشريف « **ثلاثة لايخلو منهم أحد : الظن والحسد والطيرة** » ولما سألوا الرسول ﷺ عن المخرج من ذلك قال إذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا تطيرت فامض » ولاشك أن هذا العمل مما يندرج تحت عموم قوله تعالى : « ولا تجسسوا » ثم أنه عمل يشبه من جهة عمل الشيطان الذى يقول الله – تعالى – فى شأنه ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ . الأعراف – ٢٧ .



س : هل يجوز لصاحب العمل مراقبة مرؤسيه أثناء عملهم لديه لحماية أسرار عمله ؟

الجواب

نعم يجوز لذلك مادام فى دائرة العمل لايتعداه إلى جوانب أخرى ، وهى الجوانب الخاصة للشخص .

ملحوظة :

قرر الفقهاء : أنه إذا حرم الشيء حرمت جميع الوسائل المؤدية إليه .



السؤال من السيدة/ ف.أ.ع. :

هل يجوز تخصيص جزء من زكاة مالى إلى معهد الأورام وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأنه لا مانع شرعا من تخصيص جزء من زكاة المال للمرضى الفقراء الموجودين فى معهد الأورام .

ويجوز – أيضا – تخصيص جزء من زكاة المال للمساهمة فى إنشاء وترميم معهد الأورام والمرافق العامة ، وهذا يدخل تحت باب (وفى سبيل الله) والله – تعالى – أعلم .



السؤال مقدم من السيد/ خيرى محمد ابراهيم أبوالروس/ كفر الجرايدة بيلا :

س ١ : توفيت امرأة عن : أخت شقيقة ، وإخوة لأب ، وأخت لأب ، فمن يرث ؟ وهل الأخت الشقيقة تحجب الإخوة لأب ؟؟

س ٢ : توفى أب عن : زوجة ، وابنين وأخت شقيقة فمن يرث ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد فنفيد عن :

السؤال الأول : بأن للأخت الشقيقة النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، والباق للإخوة والأخت لأب تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، والأخت الشقيقة هنا لاتحجب الأخوة لأب .

وعن الثانى : نفيد بأن للزوجة الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث والباق للابنين تعصيباً ، يقسم بينهما بالتساوى ، ولاشيء للأخت الشقيقة لحجبها بالفرع الوارث المذكر ، والله – تعالى – أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« أكلمك فلا تجيبني »

قال أبو الحسن المدائني : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والي خراسان في مدرعة صوف ، فقال له : ما يدعوك إلى لباس هذه ؟ فسكت ؛ فقال له قتيبة : أكلمك فلا تجيبني ؟

قال : أكره أن أقول : زهداً ، فأزكي نفسي ، أو أقول : فقراً فأشكو ربي ، فما جوابك إلا السكوت .

« قيدوا العلم »

عن سيدنا عثمان - رضي الله عنه - قال : قيدوا العلم ؛ قلنا : وما تقييده ؟ قال : تعلموه وعلموه ، واستنسخوه ؛ فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقى القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه .

« حقا »

ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله .

« الحزن على الشباب »

قيل : إن أول من لبس البياض عند الحزن على الميت ملوك العرب من بني أمية ، وقصدوا بذلك المخالفة لبني العباس في لباسهم السواد ، وفي ذلك قيل :

إذا كان البياض لباس حزن ... بأندلس فذاك من الصواب

ألم ترني لبست بياض شيبي ... لأني قد حزنت على شبابي

« حقيقة »

لا الأمر أمري ولا التدبير تدبيري ... ولا الأمور التي تجري بتقديري

لي خالق رازق ما شاء يفعل بي ... أحاط بي علمه من قبل تصويري

« اختبار جارية »

عرض على المتوكل جارية ، فقيل له : إنها فصيحة شاعرة ، فأراد أن يختبرها ، وكان أبو العيناء الضرير جالساً عنده ، فطلب منه اختبارها .

فقال لها : أجيزى : أحمد الله كثيراً .

فقالت : حيث أنشأك ضريراً .

فقال : اشترها يا أمير ، فقد أحسنت فى إساءتها .

« وأخرى »

قال ابن مسعود – رضى الله عنه – : من اشتاق إلى الجنة سارع فى الخيرات ، ومن خاف النار ترك الشهوات ، ومن ترقب الموت زهد الدنيا وهانت عليه المصيبات .

« مكارم الأخلاق »

قال أبو العتاهية :

إن المكارم أخلاق مطهرة
فالعقل أولها ، والدين ثانيها
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها
والجود خامسها ، والصدق سادسها
والبر سابعها ، والصبر ثامنها
والشكر تاسعها ، والرفق عاشيها

« على الزوج السادس »

تزوجت امرأة بأربعة رجال ماتوا إلى التوالى ثم تزوجت الخامس ، ولما أشرف على الموت جلست فوق رأسه ، تلطم وجهها وتصرخ على من تتركنى ؟ ففتح الزوج عينيه ورد بصوت ضعيف : على الزوج السادس .

دعاء

اللهم كما مننت علينا بالصلاة على نبينا فامنن علينا بفهم الكتاب الذى أنزل إليه ، لأنه شفاء للمؤمنين ورحمة للعالمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الشيخ حسنين محمد مخلوف

دراسة فى شخصيته وعلمه

للأستاذ الدكتور / سعد عبد المقصود ظلام (*)

من الناس من يمرّ على الدنيا مرورا عابرا ساذجا، لم يحظ من الدنيا بشىء سوى رقم فى دفتر الإحصاء لم يثر الدنيا ، ولم تثر ولم يُفدها ولم تُفده.

قضى عمره كله بمعزل عن الحياة وتيارها الصاخب ، حظه منها وحظها منه مطعم ومشرب وحيّز يشغله.

ومن الناس من يقتحم الحياة اقتحاما ، ويدخل فى غمارها ومشكلاتها فى شجاعة وثقة ، جاهد وجهر بالحق وصدع به وقذف به وجه الباطل ؛ فكتب لنفسه بنفسه تاريخ ميلاده وبقائه حتى بعد موته، ونضر وجه أمته وسجل لها إضمامة ناضرة فى سفر خلودها.

ليست العبرة بالوجود فى الحياة ، ولكن العبرة بما يكتبه ذوو العزائم والصادقو الهمة والعظماء الواعون بأدوارهم على أساس من وعيهم برسالتهم وموازينهم البيئية والذاتية.

وعلى أساس هذا التمايز فى النشأة والتكوين والوعى بالمسئولية والرسالة كان من الأسماء ما يستوقفك من بعيد وكأنه هامة شامخة أو قمة جبل سامقة تستشرفك من عل ، وتطل عليك وكأن تاريخا مضيئا يتملاك ويملأ جوانحك بالعبق والنغم والضياء ، ومن الأعلام ما يحنو عليك ويدلف إلى عالمك ؛ فيأخذك على جناحه ويضعك فى دنياه ، ومن هؤلاء الأعلام : الثقاة من الصحابة والتابعين ومن عمّقوا نهر الحياة للإنسانية ، ومن كتبوا على صفحات الخلود أسماءهم وأعمالهم ، وسجلوا بأنفسهم تراثا مطعما من الخير للناس وللعلم وللبشرية.

(*) الكاتب : عميد كلية اللغة العربية ، القاهرة ـ جامعة الأزهر.

كل هؤلاء .. وأولئك نماذج تذكر فتثرى جونا بالإشراق والنعمى والتواريخ الفصاح :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب ـــ ٢٣

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة ـــ ٢٠٧ .

والدول والشعوب والبشرية كلها والحضارة والتقدم فى العلوم والفنون والرشد الإنسانى كله مدينة لهذه النماذج الصادقة المعطاة فى حركتها الدءوب من أجل تحضر الإنسان وخيره وسعادته ورفاهيته ، وتأكيد رسالته على وجه الأرض ، وبعث الرجاء والطمأنينة فى نفسه اللاهثة القلقة ، والبشرية إنما تعيش وتستمر وتتقدم على ما قدمه الصادقون فى كل مجال من المجالات.

وهكذا الحياة جيل من العطاء يتلوه جيل ، ونموذج خيّر يقفوه نموذج يضوّئ للإنسانية السبل ويحدد لها معالم الطريق.

من هذه النماذج الهادية الصادقة العهد والوفاء فضيلة المرحوم حسنين محمد مخلوف الذى أدى لله وللحق وللعلم وللأزهر ولمصر أروع ما يؤديه عالم يعتز بدينه ووطنه وأزهره .

ولد الشيخ الجليل فى يوم السبت السادس من شهر مايو سنة تسعين وثمانمائة وألف للميلاد فى « باب الفتوح » بمدينة القاهرة لأب كان شيخا من شيوخ الأزهر العظام هو فضيلة الشيخ المرحوم محمد حسنين مخلوف العدوى العالم الأزهرى الذى كان وكيلا للأزهر الشريف ، والذى انحدر من أسرة فى بنى عدىّ . مركز منفلوط بمحافظة أسيوط من صعيد مصر . منجم العلماء الأعلام وكنز الرجولة الزاخر.

حفظ الشيخ فى طفولته وصباه الباكر القرآن الكريم بالأزهر الشريف ، ثم جوّد قراءته على شيخ القراء آنذاك وهو الشيخ محمد على خلف الحسينى ـ رحمه الله ـ والتحق فى الحادية عشرة من عمره بالأزهر طالبا فتلقى العلم على كبار شيوخه الذين كان منهم بالطبع والده الشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ عبدالله دراز والشيخ عبدالهادى مخلوف والشيخ يوسف الدجوى والشيخ عبدالحكيم الدجوى والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ البيجرمى وغيرهم من الشيوخ الأعلام .

ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى ، وحصل بعد ذلك على الشهادة العالمية فى يونيه سنة ١٩١٤، ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من العمر ، وتطوع(*) للتدريس بالأزهر عامين، فدرّس المنطق وأدب البحث والأخلاق والفقه حتى عُين قاضيا بالمحاكم الشرعية فى يونيه سنة ١٩١٦ وتدرج فى مناصب القضاء فعين رئيسا لمحكمة الإسكندرية الكلية سنة ١٩٤١ ، ثم رئيسا

(*) فى حديث لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف مع د / على الخطيب قال فضيلته : عند تعيينى بالأزهر سئلت عن المكان الذى أرغب العمل فيه ، فقلت : « هنا » فكانت إجابتى محل عجب شديد ، إذ كيف أطلب العمل فى هذا المكان القصى الحار .. لكنى طلبت ذلك لأن شيخى فى الطريق كان مقيما بـ « هنا » . رئيس التحرير : وأرجو أن أكون قد سطرت المضمون بدقة .

لتفتيش القضاء الشرعي بوزارة العدل ، واشترك فى إعداد مشروعات إصلاحية لبعض القوانين مثل «قانون المحاكم الشرعية» و«قانون المجالس الحسبية» و«قانون الطوائف الملية» وانتدب للتدريس فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعي لمدة ثلاث سنوات حتى صدر مرسوم ملكى فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ بتعيينه نائبا لرئيس المحكمة العليا الشرعية ، كما صدر مرسوم ملكى آخر بتعيينه مفتيا للديار المصرية عندما خلا المنصب بانتهاء مدة الشيخ عبدالمجيد سليم ، وكان هذا المرسوم فى الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٦٥هـ الموافق ٥ من شهر يناير سنة ١٩٤٦م ، وظل بهذا المنصب حتى العشرين من شهر رجب سنة ١٣٦٩هـ الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٥٠ تاريخ انتهاء مدته القانونية ثم عُين مرة أخرى مفتيا للديار المصرية فى مارس سنة ١٩٥٢ حتى ١٩ من ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

وقد عُين فضيلته عضوا فى هيئة كبار العلماء سنة ١٩٤٨ ، ثم عضوا بعد ذلك فى مجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ كذلك عُين عضوا مؤسسا برابطة العالم الإسلامي.

ولقد كُرم الشيخ وكان من الطبيعي أن يُكرم ، فمنح كسوة التشريفة العلمية وهو رئيس لمحكمة طنطا ، ثم مُنحها وهو مُفتٍ للديار المصرية ، ثم نال جائزة «الملك فيصل» العالمية سنة ١٤٠٣هـ ومُنح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٢م، منحه له السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

شخصيته وخلقه

كان من أهم ما يمتاز به فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف ـ رحمه الله تعالى ـ علمه وأدبه وورعه وتقواه وخلقه و وخشيته من الله كان لا يخشى فى الحق لومة لائم ـ يقول القول أو يرى الرأى لا يهمه من سيغضب منه ومن سيرضى ؛ لأنه كان معايشا لقوله ـ سبحانه :

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب ـ ٣٩

وهو إذا قرأ ما يتعارض مع الدين والخلق والقيم والنهج الصحيح دفعه وردّ عليه ، ولو كان صاحبه يحظى بأكبر المناصب وأسماها ـ فالميزان الصحيح عنده ـ أو مفتاح شخصيته كما يحب أستاذنا العقاد أن يقول ـ هو مصاحبة الحق يؤديه ، ويؤله ما ينتاب الحق من نكسات ، أو يواجهه من مآزق ومشكلات ، ويظل يؤازره ويناصره ويدافع عنه لا يعنيه إلا أن يبقى الحق عاليا مرفوع الجناب ، ومثل هذا الخلق يفرد لصاحبه مكانة فى النفوس ومذهبا فى السلوك ومنهجا فى التعامل معه أو ضده .

ولقد كان الشيخ وفيا لهذا المنهج وفاء مطلقا، كان لسانا للحق يلتمس رضاء الله ولو أسخط الناس ، ولا يلتمس رضا الناس بسخط الله ـ عز وجل .

هكذا كان الشيخ ـ يرحمه الله ـ وكان حريصا فى نفس الوقت أبلغ مايكون الحرص على الاعتزاز بنفسه ، ووضعها الموضع الصحيح اللائق بها وبعالم مثله ، فلم يُسف ولم يبتذل ولم يرتكب ما يشين أو ينال من مهابته وكرامته ، بل ترفع عن الصغار والصغائر، فلم يخالط إلا ذوى الهمم والمروءات المشهود لهم بالفضل والسبق والسيرة الحسنة والعلم الغزير فصان نفسه ومكانته عن الريب والتقول ، وشبهة الذم فعظمت منزلته وعظم هو فى نفوس الناس.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما

دُعى ذات يوم لحضور مؤتمر كبير بحضرة رئيس الدولة الأسبق ولما ذهب الى قاعة المؤتمر وجد المكان الذى سيجلسونه فيه لا يتفق مع منزلته ومكانته باعتباره عالما فانصرف راجعا ، ولما قابله المشرفون على الحفل خارجا حاولوا الاعتذار له ، وطلبوا منه أن يعود وسوف يعدون له مكانا لائقا ، فأبى وانصرف.

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

كان الشيخ من العلماء القلائل الذين يدركون ما تفرضه عليهم مسئولياتهم باعتبارهم علماء فهو يعرف ما عليه من واجبات وما له من حقوق ، والإنسانية تطير بجناحين جناح الحق وجناح الواجب فكانت نفسه الأبية التى لم تضعف أمام المغريات وخلقه الفاضل ونزاهته ومصاحبته للحق تفرض احترامه على الناس كما كانت تفرض عليه أن يحترم الناس ، وهو بهذا الفهم الصحيح وصل نفسه بشيوخ وعلماء كبار أحلوا الأزهر بمكانتهم وخلقهم وسلوكهم وعلمهم رفيع المكانة ، ووضعوه فوق كل الرءوس .

وتاريخ الأزهر مدين إلى حد كبير لهذه النماذج الفادية القادرة فتاريخه غير المكتوب رهن بمواقف هؤلاء الشيوخ الأفذاذ ، ومواقفهم الشجاعة وعلمهم الثبت.

كان فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف والد الشيخ حسنين مخلوف من هؤلاء العلماء فقد استقال من وكالة الأزهر احتجاجا على انصياع الخديوى للاحتلال .. كما كان بسمته الوقور وهدوئه المتزن يعيد إلينا تاريخ العلماء السابقين (والسابقون السابقون أولئك المقربون) وكذلك

كان الشيخ حسنين بمسلكه ونفسه النقية كالصفوة من التابعين أو تابعي التابعين ـ رضوان الله عليهم ، سلوكه مثل سلوكهم ، وخلقه كخلقهم وعلمه كعلمهم لم يؤثر عنه ما يُغاير باطنه ظاهره أو ظاهره باطنه أو يعرف عنه أنه يقول بغير علم أو يعمل بغير ما يقول ، كان سلوكه ترجمانا لعلمه وكان خلقه نقيا كجلوة الصبح طاهرا كماء المزن . كان صادقا مع نفسه يفى لله ولدينه أعظم ما يكون الوفاء . لم يغير ولم يبدل ولم يتغير ولم يتبدل :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٢٣

ولم يكن فى طبيعة الشيخ إلا أن يكون كذلك فبيئته وتربيته الدينية وبيته الذى يعبق بأرج الدين والعلم والفضيلة كل ذلك جعله مخلصا تمام الاخلاص لهذه النشأة القويمة ، لا يستطيع لها مدافعة أو يحيد عنها ، أو تحيد عنه فهو غصن من أغصان هذه الدوحة ومحال للغصن أن تتغير طبيعته عن جذوره وأصله ، أو يتخلى عن طبيعته مهما تكن الظروف.

على هذا الخلق الفاضل ترى الشيخ فى طفولته وصباه وشبابه والتزمه فى كهولته وشيخوخته ولقد أخذ به أولاده لقد بعث برسالة الى ولده «عبدالهادى» السفير عبدالهادى مخلوف فيما بعد بعث إليه بهذه الرسالة وهو يدرس الاقتصاد فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٥٠ يقول له فيها :

«حفظك الله من كل سوء ووجهك الى الخير ، ووفقك الى مافيه رضاه ، اعلم أنك ستمكث فى هذه الدنيا الجديدة سنين عديدة مغتربا عن الأهل والوطن فى سبيل العلم ؛ فاستعن ـ على ذلك ـ بتقوى الله فى سرك وعلانيتك فهو الفتاح العليم ، واستعن بالصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وبتلاوة القرآن ؛ فإنه جلاء القلوب وشفاء الصدور ، واجتنب فى جهادك قرناء السوء وخلطاء الفتنة وما حرم الله من طعام وشراب ، واعلم أنك فى تربيتك ونشأتك يُنظر إليك هنا وهناك نظرة احترام إن أنت اعتصمت بدينك وتقاليدك.

ما كل ما هنالك حسن وما كل ما هنالك قبيح فخذ ما ترى وتعلم أحسنه وأنفعه واجتنب أقبحه وأضره ، وعد إلينا موفور الكرامة عَلِيّ الهمة ، واقرأ هذه الوصية مرارا ، واتخذها منهاجا ودستورا والله يفتح عليك ويوفقك ويسدد خطاك ـــ التوقيع.

كما يظهر ذلك أيضا فى رسالته المطولة التى وجهها الى أولاده وأحفاده من مكة المكرمة فى ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ وقد ذكرهم فيها بواجباتهم الإسلامية علما وعملا ، ونصحهم فيها بالتواصل والتراحم والتواد والتحاب والعناية بتربية الأولاد على الدين والتخلق بمكارم الأخلاق .. ودعاهم إلى الأمانة فى الصدق فى أعمالهم وأقوالهم وإلى العزة وشرف النفس ودعا لهم بالتوفيق إلى طاعة الله والسعادة فى الدنيا والآخرة.

مؤلفاته

أخلص الشيخ لأعماله الوظيفية فترة اشتغاله بها ؛ فلم ينزل إلى ميدان التأليف بصورة أصيلة إلا بعد أن تخلص من قيود الوظيفة ، وألقى عصا التسيار ، واستقر به النوى(*) ، فألف ما يزيد على سبعة وعشرين مؤلفا أغلبها فى القرآن الكريم ، فله :

كلمات القرآن ـــ تفسير وبيان

صفوة البيان لمعانى القرآن

رسالة التفسير والمفسرون

رسالة فى فضل تلاوة القرآن

رسالة فى تفسير سورة القدر

أدعية من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية

وله كتب أخرى فى السنة والعقيدة وفى أحكام الشريعة فى بدع المآتم وفى الميراث والتصوف والأخلاق ومصطلح الحديث والمديح النبوى والسيرة النبوية وله الى جانب ذلك كله مجموعة «الفتاوى» وهي أبرز أعماله كلها ، وقد أكسبه عمله بالقضاء حصافة فى الرأى ، ودقة فى الفتيا ، مع ما له من نفاذ البصيرة.

وقد لقيت كتبه فى التفسير شهرة واسعة ، وطبع كتاباه الأول الثانى أكثر من طبعة فى أكثر من دولة ، ولقيا قبولا حسنا لدى الجماهير المسلمة فى كل مكان ، وكان لا يبتغى من وراء طبع كتبه إلا المثوبة والأجر من الله ـــ سبحانه وتعالى .

ومنهجه فى كتابه الأول :

أن يفسر الكلمة القرآنية بالمعنى المراد منها فى الآية حقيقيا كان المعنى أو مجازيا أو كنائيا ، وهو بهذا يقرب معانى القرآن من جمهور قارئيه ، وقد أورد هذه المعانى من الجهة الشرعية لا من حيث أوضاعها اللغوية .

ويعتبر هذا الكتاب أساسا وتفسيرا للكتاب الثانى « صفوة البيان لمعانى القرآن » .. فهو قد شرح فى الكتاب الأول مفردات القرآن ، ولكنه وجد الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذى قصد ؛ فكان كتابه الثانى الذى يعُد به عن غريب القرآن .

(*) ينبغى أن نستثنى من ذلك مؤلفه عن « الرفق بالحيوان » الذى ألفه وهو طالب كما حدث بذلك رئيس التحرير ، فقد ألفه وهو فى السنة الثانية الابتدائية . وقد نشرته مجلة الأزهر فى هداياها ، رئيس التحرير .

وقد التزم فى الكتاب الثانى ـ وهو يبين مقاصد الآيات ـ بما عليه سلف الأمة من الأشاعرة فى مسائل العقيدة ، وتوسع أيما توسع فى الأحكام الفقهية ، وهو حين يشرح الآية يستعرض كل وجوه التأويل ثم يختار ما يميل إليه منها شارحا السبب ومبينا العلة ، ويعمل عقله من غير شطط ، وهو فى عرضه للآراء والفتاوى والأحكام الشرعية يستمد من ثقافته وموهبته فى تمكن وثراء كما يبدو لنا مدى التزامه برأى جمهور الفقهاء لا يميل إلى رأى ضعيف ، وحين تختلف الآراء ، وتتعدد وجهات النظر يذكر كل رأى ، وينسبه إلى صاحبه فى حسم وحسن قصد .

أما فتاواه فكانت ـ بلا شك ـ من أبرز أعماله ، وقد نضح عليها عمله بالقضاء دقة وقوة ، ونفاذ بصيرة ، ووصولا الى القصد فى أناة وتبصر .

ويمكن تتبع تلك الفتاوى فى مصدرين :

المصدر الأول : ما جمعه الشيخ من فتاواه وأصدره فى مجموعات .

والمصدر الثانى : «الفتاوى الإسلامية» التى صدرت عن دار الإفتاء المصرية ، وطبعها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

وشخصية الشيخ فى فتاواه بارزة تجمع بين مصاحبة الحق وحرصه عليه ، وتبحره الواسع فى الاطلاع والإحاطة بوجود الرأى مع الدقة فى استخراج الأحكام والتحليل والتعليل ، ولطف الملمح وحسن الاستدلال مع شىء غير قليل من شدة الاحتياط ، وخشية الله ومراقبته ؛ فلا يميل مع الهوى حيث يميل ولا يبرر عملا غير مشروع .

وقد كان من الواجب أن نعرض بأمثلة من أعماله لندلل على ما ذكرناه سابقا من الكتب والفتاوى ونحشد مجموعة من أقوال الشيخ وفتاواه، نبحثها وندلل على صحة ما ذهبنا إليه ، ولكن المقام لا يتسع فى هذه العجالة ، وتلك الإلمامة اليسيرة ، وكتبه وفتاواه تحت عين القراء وأسماعهم .

وحسبنا أن نشير إلى فتاواه العظيمة فى الوقف وفى تولى المرأة القضاء وفى التأمين وفى إحراق جثث المسلمين فهى فتاوى تدل على جهد عقلى وتمكن علمى وغيرة من الشيخ على دينه وشدة حذره من مزالق الفتن ، وحسن عرضه للأدلة بإقناع وحسن توجيه ؛ فليطلع عليها فى مصادرها من يريد أن يتزود منها .

ومثل الشيخ فى علمه وفضله وورعه وتقواه وتراثه العلمى جدير بالتكريم والإجلال ؛ فله كثير من المفاخر والمآثر والمواقف التى يُكرم من أجلها العلماء والعظماء .

ولقد لقى ربه راضيا مرضيا فى يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٠هـ الموافق الخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩٩٠م رحمه الله رحمة واسعة ، وأكرم مثواه وجزاه عن الإسلام والوطن وشعبه وقبيله خير الجزاء .



من روائع الماضي بمجلة الأزهر

دراسة فى حياة النبى محمد صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / عبد القادر المغربي

إعداد وتقديم : أ/ عبد الفتاح حسين الزيات

لم تحظ شخصية من الشخصيات بالبحث والدراسة والتحليل بمثل ما حظيت به شخصية سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد تناولها الكتاب والمفكرون وأولو العلم، وأفردوا لها المؤلفات الطوال، ذلك لتفردها بمزايا وخصال وسجايا لاتوجد فى غيرها من البشر، فهو خاتم النبيين.

وهؤلاء الباحثون والكتاب والمفكرون، كل يمثل أحد اتجاهين : مادح أو قادح، ولكن الشىء المؤكد أن المادح اهتدى إلى كلمة الحق فأعلنها، والقادح ختم الله على قلبه فأضله على علم.

ومن الباحثين الذين لا نسىء بهم الظن من يندّ منه القلم ويشرد به الفكر، فيقع فى سقطات ويأتى من الزلات مالا يمكن السكوت عليه خصوصاً إذا كانت تمس سيد الخلق - محمداً صلى الله عليه وسلم - فيصبح الرد عليه واجباً حتمياً، وتصحيح المفاهيم فى هذه الحالة مأمور به شرعاً، فإن واجب علماء الإسلام تقويم الفكر المنحرف، والرأى الشارد، بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال الأستاذ :

إن انتشار اللغات الأجنبية فى الشرق مكن المتعلمين من أبنائه من الاطلاع على ما كتبه الأوربيون فى السيرة النبوية، وأكثره يحتاج لتقويم، فإذا بقى على علاته انحرف بهم عن الجادة التى يجب أن يقوموا عليها لفهم سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

لذلك أصبح من الواجب علينا أن ننظر فيما قاله الكتبة الأوربيون لنصحح الباطل من آرائهم فينا، ونقوّم المعوّج من أحكامهم علينا.

من أسبق هؤلاء الكتبة إلى إنصاف الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام ، المستشرق الإفرنسي المسيو (سافارى) ، فقد وضع سيرة نبوية مختصرة ، اعتمد فيها على ماقاله علماء الإسلام ، ثم اتبعها بآرائه وملاحظاته الخاصة .

فرأيناه فى أبحاثه عن النبى ﷺ يعترف له بكل معانى العبقرية والتفوق البشرى ، سوى النبوة .

قال : « إن محمدا كان واحدا من أولئك الأفذاذ الخارق العادة الذين ولدوا بمواهب سامية وكانوا يظهرون فى الأحايين على مرسح هذا الكون لأجل أن يغيروا وجهه ، ولأجل أن يقطروا البشر فى جر مركباتهم » .

نقول : لابأس فيماقلته أيها الشاب الإفرنسى سوى قولك : « لأجل أن يقطروا البشر فى جر مركباتهم » ، فإن هذا القول يشعر بأن نبينا ﷺ إنما قام بدعوته ليسخر البشر فى سبيل حظوظه الدنيوية كما فعل الإسكندر ونابليون .

ولايمكننا أن نطيل الكلام فى الرد عليك لأن مقام الخطابة لك ، كما لايمكننا أن نسكت عنك لئلا ينسب العجز إلينا ، ولهذا نكتفى بقولنا : إن سيدنا الرسول ﷺ لو كان يريد أن يكون كالقياصرة والأكاسرة لعاش عيشهم ، ولبذخ فى الحياة بذخهم ، وخص ذريته بخلافته من بعده مثلهم ، ولو فعل لحقت كلمة الاحتجاج عليه .

أما جعله الخلافة فى قومه (قريش) فلأن القرآن عربى ، والشريعة - كما قال صاحب كتاب الموافقات - عربية ، ولا يفهمها حق الفهم ، إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم .

ثم قال العلامة المستشرق :

« إذا تأمل الانسان فى الوسط الاجتماعى الذى نشأ فيه محمد ﷺ ، وفى قمة العظمة التى بلغها ، تعجب مماتستطيع العبقرية البشرية أن تفعله إذا ساعدتها الظروف » .

لم يخطىء خطيبنا الشاب فى وصف عبقريته صلى الله عليه وسلم ، لكننا نقول : إنها عبقرية نبوة ، لاعبقرية فتوة ، وساعدتها الظروف ، لكنها ظروف سماوية ، لاظروف اتفاقية .

قال خطيبنا العلامة :

- « ولد محمد وثنيا ، وارتقى إلى معرفة إله واحد » .

نقول : لوقلت أيها المستشرق الفاضل : « ولد فى قوم وثنيين » لكنت أحسنت ؛ لأن نبينا محمد ﷺ لم يسجد لصنم قط ، حتى فى زمن طفولته ، فقد روى علماء السيرة ، أنه لما اجتمع ببحيرا الراهب - وكان صبيا - استحلفه بحيرا باللات والعزى على شيء ، فقال له النبى : « لاتسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ماأبغضت شيئا قط بغضهما ! » .

وقولك « إن محمدا ارتقى إلى معرفة إله واحد » كلام حق ، فإن التوحيد مركوز فى طبعه منذ ولد ، ثم تأيد هذا التوحيد الفطرى بالوحى الإلهى .

قال باحثنا المستشرق :

- « وبعد أن هتك محمد حجاب الوثنية فكر فى أن يحدث لقومه دينا جديدا » .

نقول : قولك « يحدث دينا جديدا » المحدث هو الله تعالى . أما تفكيره -صلى الله عليه وسلم-

فى أن يكون لقومه دين جديد فلم تبتعد فيه عن الحقيقة ؛ لأن نبينا كان يتطلب لقومه منذ صبوته دينا غير الوثنية . فقولك « إنه يفكر » ربما كان فيه إشارة إلى آية « ووجدك ضالا فهدى » ، فإن بعض حذاق المفسرين [فسر الضلال] بمعنى تردده فى أية الطرق يسلك إلى هداية العرب ، وإنقاذهم من الشرك ، فقد كان صلى الله عليه وسلم فى حيرة من أمرهم ، وتفكير شديد فى إنقاذهم من شقائهم ، حتى أراه الله الطريق إلى هدايتهم : بأن أوحى إليه دين الاسلام .

قال العلامة : « تعلم محمد بواسطة أسفاره ، ورأى النصارى منقسمين إلى طوائف ، كل طائفة تكفــــر الأخــــرى ، واليهود هول الأمم L'horreur des nations يدافعون عن شريعة موسى بعناد ، وقبائل العرب غائصين فى ظلمات الوثنية » .

نقول : إذا كنت تريد أيها العلامة أن محمدا ازداد فى أسفاره علما بما كانت عليه الأمم فى عهده من ضلال وشقاء ونزاع وتعصب ، وأن علمه هذا حصل بتدبير الله كى تستعد نفسه الشريفة لتلقى الوحى والنبوة ، كان قولك حسنا .

أما إذا أردت بتعلمه فى الأسفار أنه تعلم علوما لاهوتية استعان بها على دعوة النبوة ، كان قولك باطلا ، لأن سيدنا الرسول ﷺ نشأ أميا ، والأمية عائق كبير عن طلب العلم وتتبع مسائله وتقييد شوارده ، وكانت أميته هذه حجة على المشركين فى صحة نبوته ، ولم يسمع منهم قط احتجاج عليه بالقراءة والكتابة ، كما لم يسمع منهم أنهم قالوا له : إنك تعلمت وتلقنت فى أسفارك علوما لاهوتية ، ولو علموا ذلك لاحتجوا عليه به ولنقل إلينا ، وكل ماعلمه قومه أنه لأول مرة سافر إلى الشام مع عمه أبى طالب ، وكان يومئذ صبيا ، حتى إنه تعلق بزمام ناقة عمه ، وقال له : « ياعم ! إلى من تكلنى وأنا لا أب لى ولا أم » وفى عبارته هذه عبقة من الطفولة المقدسة .

ثم سافر – صلى الله عليه وسلم – فى شبابه إلى الشام فى تجارة لخديجة بنت خويلد ، فساوم وباع وربح وعاد ، وكان يهمه فى سفرته هذه أن يرضى السيدة خديجة بحسن تصريف البضاعة ، ووفرة أرباحها ؛ فلا يمكن أن يشتغل نفسه بمزاولة العلم والتعلم ، فلا تعود ترسله مرة ثانية فى تجارتها ، وكان هو وعمه أبو طالب حريصين على إرضائها كما يفهم ذلك مما قاله علماء السيرة عند كلامهم على أسباب هذه السفرة .

على أن نبينا ﷺ كان فطنا ذكيا ، موحدا بفطرته ، محبا للخير والحق والعدل بطبيعته ، فلا يضير إذا قلنا : إنه كان يرى فى سفره من الشر ماينافى طبعه فيأنف منه وينكره ، كما يرى من الخير مايلائم طبعه فيرتاح إليه ويقره ، فيكون علمه فى سفره علم تحقيق وتطبيق ، لا علم استفادة وتحصيل .

قال خطيبنا الإفرنسى :

– « وقد أثر فى نفس محمد ماشهده من أحوال الأمم ، فانسحب إلى عزلته (فى غار حراء) وهيأ فى نفسه فى مدة خمس عشرة سنة طريقة فى الدين يمكنه بها أن يجمع بين المسيحــيين واليهود والوثنيين » .

نقول : قولك « هيأ فى نفسه » : المهيىء والمرشد هو الله – تعالى – أما قولك : أثر فى

نفسه ما شهده من أحوال الأمم ، فحسن جدا ، إذ أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يشق عليه ما يراه من ضلالهم وشقائهم . فقولك هذا ينبغى أن نجعله تفسيرا لقولك الأول «إن محمداً تعلم فى أسفاره» فلا يكون معنى تعلمه إلا أنه استفاد علماً جديداً بشقاء الأمم ، وحاجتها إلى نبى ينقذها من ضلالها .

ثم قال :

« هذا المشروع الدينى الذى فكر فيه محمد كان واسع النطاق ، غير ممكن التنفيذ ، فرأى أن الممكن إحداث عقيدة بسيطة ، يقبلها العقل ، وتناسب جميع أمم الأرض ، وهذه العقيدة هى الايمان بإله واحد ، يعاقب على الرذيلة ، ويكافىء على الفضيلة » .

نقول : ما أحسن ما قلت أيها الشاب الافرنسى الحر ! حقاً إن نبينا محمداً ﷺ تدرج فى عرض تعاليم دينه على مشركى العرب : فكان يأتيهم أولا بالتعاليم السهلة ، ثم بما يحتاج إلى دقة وتأمل . لكن عبارتك تفيد أنه فعل ذلك من عند نفسه ، وهو إنما تلقاه بوحى من الله ، كما كان يتلقى ذلك إخوانه الأنبياء السابقون .

قال المستشرق :

ـ « غير أن محمداً لما رأى أن الناس لا يتبعون دينه ما لم يكن هو نبيا مرسلا من الله ، أضاف كلمة « محمد رسول الله » إلى كلمة « لا إله إلا الله » .

نقول : مادمت أيها العلامة غير مسلم فلا يمكننا أن ننازعك فى قولك نزاعاً ثقيلا . وكل ما يمكننا ، [هو] أن نعاتبك عليه عتابا جميلا .

نراك تؤمن بأنبياء التوراة ، مع أن الواحد من هؤلاء الأنبياء قد لا يؤثر عنه من أعمال النبوة وتعاليمها سوى قوله مثلا : « إن الرب أمرنى أن أقول لملك إسرائيل أن يفعل كذا ويترك كذا » .

هذا كل آيات نبوته التى تجعلك تؤمن به ، ولا تؤمن بمحمد الذى أتى بتعاليم وشرائع وآداب وقوانين اجتماعية ، ظهر أثرها فى إصلاح البشر ، ومهدت بين أيديهم سبل الحضارة والعمران ، وأوجدت لهم ثقافة راقية فى كل ناحية من نواحى الحياة . وقد دونت ثقافته هذه وشرحت فى ألوف وألوف من الكتب التى لو نفضت لكان فى نفاضتها من المراشد والمنافع ما هو أجدى على البشر من كثير مما فى الكتب الأخرى . وقد تبع محمداً ملايين وملايين من البشر يعملون بشرائعه وفيهم ألوف وألوف من العلماء والصوفية والفلاسفة والساسة وقواد الحروب ، ورجال الفنون ، وأساطين الفقه والتشريع والأدب والشعر ، والمصنفين فى كل فن ومطلب من مطالب الحياة ، وكلهم يعترفون بأنهم إنما استقوا علومهم من ذلك الينبوع الأعظم ، صلى الله عليه وسلم .

فالرجل الذى انبثقت من روحانيته روحانية الحسن البصرى والجنيد والشبلى والسرى السقطى وابن عربى وابن الفارض .

الرجل الذى انبثق من علمه علم الصحابة والتابعين وعلم أبى حنيفة والشافعى والأشعرى والغزالى وابن رشد والفارابى والرازى .

الرجل الذى انبثق من عبقريته عبقرية الخليل بن أحمد والزمخشرى وأبى العلاء المعرى والجاحظ وابن خلدون .

الرجل الذى انبثقت من فتوته فتوة الإمام على ، وخالد بن الوليـــد ، وصقـــر قريش

عبدالرحمن الداخل ، وموسى بن نصير فاتح المغرب ، وقتيبة بن مسلم فاتح المشرق ، والمهلب ابن أبي صفرة ، وصلاح الدين الأيوبي .

الرجل الذي أثمر وأنتج كل هذا تبخل عليه بكلمة « نبي » أيها الشاب الحر المنصف وتجود بها على أولئك الذين تعرفهم ويعرفهم التاريخ ؟!

هذا ما أحببنا أن نعاتب صاحبنا عليه . ونعود الآن إلى استماع بقية حديثه في السيرة ، فنسمعه يقول :

« وبعد أن وضع محمد أساس طريقته الدينية على هذه الصورة أخذ من تعاليم الديانتين اليهودية والمسيحية ما علم أنه أكثر موافقة للعرب سكان البلاد الحارة .

« أما العرب فلم يكن محمد غافلا عن إدخالهم في مشروعه ، كيف وهو إنما كان يعمل من أول الأمر لأجلهم ؟

« فأخذ يذكرهم بذكرى عزيزة عليهم : تلك الذكرى هي أبوة إبراهيم وإسماعيل ، وبذلك جعلهم ينظرون إلى الدين الإسلامي كأنه دين هذين القديسين » .

نقول : عاد مستشرقنا إلى نغمته السابقة ، فزعم أن كل ما كان يفعله نبينا ﷺ صادر من عند نفسه ، وليس الأمر كما زعم ، وإنما هو وحي يوحى ، لما قامت عليه البراهين من صدقه صلى الله عليه وسلم .

ثم وصف العلامة الافرنسي ما أوتي نبينا ﷺ من فصاحة وبلاغة في لغته العربية ، فقال :

ـ « وكان محمد واقفاً على أسرار بلاغة لغته ، تلك اللغة التي هي أغزر مادة وألذ في السمع من جميع لغات الأرض . تلك اللغة التي بواسطة تأليف مقاطعها يمكنها أن تتابع الفكر مهما حلق في جو الخيال ، فتصوره أكمل تصوير . تلك اللغة التي بواسطة تناسب نغماتها تسمعك تارة زئير الأسود ، وطوراً هدير الأمواج ، ومرة قصف الرعود ، وأحياناً هبوب النسمات . تلك اللغة التي وجدت من يوم أن خلق الله البشر

(depuis le commcement du monfe)

والتي هذبها وحسن ديباجتها الكثيرون من شعراء الجاهلية . بهذه اللغة كان يخطب محمد قومه ، فكان يعطى حكمه جميع صنوف التأثير السحرى ، ويعطى تعاليمه الروعة التي تناسبها ، ويعطى الأمثال المتداولة بين أهل زمانه مسحة من الجمال جعلتها ذات قيمة غير قيمتها الأولى» .

نقول : هذا ما وصف به المستشرق لغتنا العربية ، وما هي عليه من قوة التأثير في النفوس ، وصلاحيتها لتقييد أوابد الأفكار ، فلنحرص عليها .

ثم قال :

« ولما حان الوقت لإظهار الدعوة استعان محمد على أمره بالكتمان الشديد ، فدعا أولا أهل بيته وخادمه الأمين (أم أيمن) ، وأثر بفصاحته على بعض سادات مكة فآمنوا به ، ولما شعر بقوته رفع صوته ضد الوثنية ، وما كانت النكبات التي تنزل به ولا التغريب عن وطنه ، ولا الحكم عليه بالموت إلا لتزيد في شجاعته ، وإلهاب همته ، وفي آخر الأمر هيأ لنفسه بواسطة مستشاريه السريين ملجأ في بلاط ملك الحبشة لينحاز إليه حين الحاجة ، ثم ملجأ آخر في مدينة يثرب ، حتى إذا أحكم

التدبيرين ، واستوثق من الملجأين ، ظهر فى رائعة النهار ، وأعلن مقاصده فى طلب المجد والفخار » .

لا بأس فى هذا الكلام الذى قاله خطيبنا المستشرق لو لم ينسب التدابير فى نشر الدعوة إلى النبى نفسه ، وأن له من وراء ذلك غرضا خاصا به . وقد تقدم ردنا عليه فى أمثال ذلك ، فلنكتف بما تقدم .

ثم قال المستشرق :

ـ « قاومه النصارى وقالوا فيه ما قالوا ، وأنكره اليهود مستبعدين أن يكون رجل عادى من أهل مكة هو المسيح المنتظر . أما مشركو العرب فقد رأوا أن دينهم الوثنى الذى هو أساس سطوتهم قد زعزعه محمد وعرضه للزوال ، ففكروا فى قتله ، ووضعوا رأسه فى المزاد ، ومع هذا فإن ضجيج هذه الطوائف الثلاث وأحقادهم وتسابقهم فى مقاومة محمد ما كانت لتخيفه . وقد كان ثباته فوق كل النكبات ، وعبقريته خلقت مستعدة لتذليل كل العقبات . ولما استولى على المدينة سلحها ضد مكة ، وصمم على أن يقهر بقوة السيف والسنان أولئك المكابرين الذين لم تفلح فيهم قوة الحجة والبرهان . كما أنه لما يئس من اجتذاب اليهود والنصارى إلى دينه نسخ الشرائع الناظرة إلى مصلحتهم ، وعول فى تأييد دعوته على العرب وحدهم : فكان أول ما فعله ، من هذا القبيل تحويل القبلة إلى مكة بعد أن كانت إلى بيت المقدس ، فقوبل هذا التشريع من العرب بالتكبير والتهليل ، وعدوه نعمة سماوية ، أما الشارع فكان يرى فى هذا التحويل وسيلة إلى حمل صحابته على فتح مكة منبت أسلته ، وهدف رغبته » .

« وبعد تحويل القبلة إلى مكة وجه همته إلى أمر أهم : هو توحيد كلمة القبائل المتعادية ، فأنشأ نظام التآخى ، الذى بواسطته أصبح المسلمون أسرة واحدة يتسابق أفرادها إلى إعلاء شأن رئيسها » .

« ولما تم له كل هذا صمد إلى أعدائه ، فكافحهم بتلك الشجاعة النادرة التى اكتسبها فى الحروب تحت إشراف عمه أبى طالب ، فأهلته لأن يكون قائدا حربيا كبيرا . ووصية محمد لرجاله بالظفر أو الموت ، وثقتهم ، بمعونة الله الموعودة ، وأملهم بالغنائم التى كانت تقسم بينهم بالعدل ، كل ذلك ألهب نفوسهم بالبسالة ، وجعل انكسارهم من رابع المستحيلات » .

« حارب العرب كلهم ، بأهل المدينة وحدهم ، فكان استبساله فى الهجوم ، واختياره المراكز المنيعة لنزول جيشه ، وإضرامه نار الحمية فى نفوس أبطاله ، كل هذا جعله يتفوق على أعدائه : فكنت تراه فى وسط الحروب الموقدة ، وبين خفقان القلوب الملتهبة ، بارد القلب ، مطمئن النفس ، واثقا بالنصر » .

« وكان دقيق النظر فى مراقبة حركات أعدائه وسكناتهم ، حتى إذا بدرت منهم هفوة اغتنمها حالا ، وعززها بخدعة حربية ، فيكون النجاح ، ويكون الظفر » .

« ويوم «أحد» هو اليوم الوحيد الذى خانه فيه الحظ ، ومع هذا فقد عرف يومئذ مبلغ ما لمحمد من السلطة على العقول ، وما لعبقريته من المقدرة على استعمال الخدع والمكايد . وكان من

أثر ذلك أن المشركين – مع كونهم غالبين – جبنوا عن الاستفادة من غلبتهم ، وأن صحابة محمد المغلوبين بقوا متمسكين به ، ولم ينفصل واحد منهم عنه » .

هذا الكلام من خطيبنا الشاب الافرنسى حسن ، لكنه مبنى على رأيه فى أن محمدا ﷺ هو نفسه مصدر كل هذه التدابير الحربية . أما نحن – معشر المسلمين – فنعتقد أن الله الذى أرسله هو الذى كان يوحى إليه بها .

على أننا لاننكر أن له – صلى الله عليه وسلم – مع صحابته أحيانا تدابير شخصية ترجع إلى الاجتهاد وإعمال الرأى وتلمس الخدع الحربية وفقاً لآية :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

سورة الشورى – آية : ٣٨

وعملا بالحديث المأثور « الحرب خدعة » .

قال خطيبنا الافرنسى :

– « أخضع محمد اليهود وجمهرة القبائل العربية ، وفتح مكة . وكان يعلل نفسه بالاستيلاء على الملوك المجاورين ، وأن يراهم مؤمنين به . وكان يهىء الوسائل لهذا الغرض . من ذلك أنه أرسل إليهم رسلا يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا وإلا اتخذ من عنادهم عذراً إلى مهاجمتهم . وكان عميق النظر جداً فى معرفة القلوب البشرية ، فكان عماله وقواده من عظماء الرجال . وكان طموحه إلى المعالى يجعله يحول نظراته إلى « سورية » من وقت إلى آخر ، ويذكرها بشوق وارتياح ، فاتفق للروم يوما أن حملتهم سفالتهم على قتل رسول أرسله محمد إليهم ، وكانوا ومعه فى قلب السلم » .

أقول : وهذا الرسول اسمه « الحارث بن عمير الأزدى » كان – صلى الله عليه وسلم – أرسله إلى أمير « بصرى » فى حوران من بلادنا الشامية ، فقتله الأمير . وبسببه نشبت بين الروم والصحابة حرب « مؤتة » ...

فقال :

– « قطع خالد بن الوليد رمال جزيرة العرب المحرقة حتى بلغ أرض الروم ، ونال هذا القائد الباسل انتصارا عليهم كان من أعجب الانتصارات التى خلدت ذكره فى تواريخ الأجيال . وهكذا كان دم عدة آلاف من الروم كافيا للانتقام من سفالتهم ، ولم يكن طمعا فى غنائمهم . ومن ذلك الحين عزم محمد على انتزاع سورية من يد هرقل . وبعد قليل من الزمن رأيناه يمشى إليها على رأس ثلاثين ألف محارب ، وكان قبل ثمانى سنوات ، فى وقعة بدر ، لم يمكنه أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلا ؛ فاجتاز الصحارى والرمال المحرقة كالبرق الخاطف ، وعسكر فى « تبوك » ومن تلال رمالها أشرف على سورية . وقد كفاه عشرون يوما لإخضاع جميع البلاد التى فى طريقه . ولما لم يسلموا وضع عليهم الجزية ، ورجع إلى عاصمته مثقلا بالغنائم ، مجللا بالفخار ثم فى ثالث مرة جهز محمد لفتح « سوريا » جيشا عرمرم يبلغ أربعين ألف مقاتل . غير أن المنية اعترضت سبيله ، وحالت بينه وبين المسير إليها ، فتجلببت المدينة بأثواب الحداد على فقده ، وحملت سكانها كآبة لاتوصف ، مما برهن على مقدار ما كان لمحمد من التسلط على العقول » !

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

حقائق وأوهام

لفضيلة الشيخ عبد الغفار الدرش

قضاءُ الله ليس له مَرَدُّ ... وما من صولة الأقدار بُدُّ
إذا ما حان حين المرء يمضي ... إليه .. فما له لا يستعدُّ ؟
وما الآمال إلا ظلُّ وَهْمٍ ... وما للوهم كالشيطان عهدُ !
فكم من جاهلٍ قد ظن يوماً ... بأن بقاءه للدهر مَجْدُ
هو الرأس المدبر للبرايا ... وكلٌّ تحت إمرته يُعَدُّ
مع الأطماع لم يشبع بشيء ... وعن جشع الحماقة لا يُصَدُّ
وراح كما يروح الناس يوماً ... فغيّبه الثرى وطواه لَحْدُ
فهل أهداه أن شادوا ضريحاً ... له في قُبَّةٍ تعلو وتبدو ؟
وشيّعه إلى المثوى ألوفٌ ... مزركشةٌ بها طبلٌ وجند ؟
وهل يشقى الفقير بلحد أرضٍ ... عليه غبارها يسفو ويعدو ؟
وما بين اللحود هناك مَوْلَى ... كما في هذه الدنيا وعبدُ !
ولكن للتقيِّ هناك شأنٌ ... ورضوانٌ أُعِدَّ له وخلد

* * *

وضاق الناسُ بالأديان كفراً … فما للدين في الآفاق وُدُّ
وللإسلام عدهمو عداءٌ … فذلك وحده الخصم الأشد
عداء الغرب للإسلام ثأرٌ … قديمٌ لم يزل وهو الألدّ
تضافرت الجهود ليخذلوه … وكم ثاروا عليه وكم أعدوا
فما نالوا سوى الخذلان غُنماً … وباءوا بالبوار وخاب كَيْدُ ؟

* * *

لقد غرسوا بأرض القدس داءً … كَبُركانٍ له هَبٌّ ووقد
ضلال يهود قد أرزوا إليها … وما زالت فلول تستجدُّ
هُمُ الداءُ اللعين فليس يُرجى … له يوماً شفاءٌ أو يُحدُّ
إذا ما لم يكن حسمٌ وبترٌ … فليس لمثلهم عهدٌ ووعد
وفي (القرآن) وعد الله باقٍ … ووعد الله إيمانٌ ورُشْد
وإن طال المدى سيكونُ زحفٌ … وجند الله في الآفاق أُسْدُ
وفضل الله ليس له حدود … وليس على جنود الله قيد
فقل للغادرين: لنا لقاءٌ … وحد السيف للأوهام حدُّ

* * *

أما كان الغيورُ هم دليلاً … وجند الله بالإيمان يحدو ؟
وذوى الصوت في الآفاق رعداً … يقول: الله أكبر وهْوَ يشدو
وكرُّوا في الوغى أسْداً غضاباً … وإن عدوُّهم بالذعر يعدو
هموا الأبطال ليس لهم مثيل … فكلٌّ منهمو في البذل فرْدُ
بدين الله قد زحفوا خفافاً … كما تثبُ الليوثُ وقد أمدُّوا
ودين الله في الأخلاد باقٍ … وقوَّتُه لباطلهم تهُدُّ
حقائق ليس ينكرها حكيم … وأوهام بلا حصر تُعدُّ !!

شوارد وسوانح

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم الشاعرة : جليلة رضا

أسعدني كثيرا الاطلاع على هذا الكتاب النفيس ، الذي حوى بين دفتيه من صنوف الحكمة وعصارة التجاريب ، الشيء الكثير ، وجاء أشبه بالقطرات ، التي تهطل بين الحين والحين ، من واعية الشاعر صان الدين الباطنة ، بتداع حر ، غير مقيدة بقافية أو وزن ، ومن ثم ، تجيء أكثر عفوية وطواعية ، من الكلام الموزون المقفى ، وتكون أكثر دلالة على نفسية مُبدعها ، وهو يرسل نفسه على سجيتها ، ويقتنص من سوانح الفكر في هَدْأة الوحدة والعزلة ـ ما يشف بجلاء ووضوح ، عن زبدة تجاربه ، وخلاصة أفكاره وتأملاته ، بصدق وعمق ، بعد مصاحبته للزمان ، زهاء خمسة وسبعين عاما ، مضى أكثرها : باحثا ، ومفكرا متأملا ، وشاعرا مُحلقا مترنِّما .

ففي مثل هذه « الشوارد والسوانح » نستطيع أن نستشف العالم الباطني للشاعر ، والركيزة التي ينطلق منها إلى إبداع شعره ، وتجسيد خواطره ، حينما تطالعنا بها في ثيابها اللفظية المنغومة ، في غير ما تصنع أو استكراه .

والأستاذ صان الدين لديه دائما ما يقوله ، بل ما لا يستطيع إلا أن يقوله ، لإفراغ شحنته ، وقول كلمته ، حينما تمس موهبة الكتابة ، متوهجة لديه ـ شعرا ونثرا ـ .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الشواهد وسوانح ، هي روافد استقى منها خواطره المنظومة في قصيدته الفريدة الطويلة ، التي لا نظير لها في رأيي في القديم أو الحديث ـ والتي جعلها مادة ديوانه الذي يحمل عنوانه : « الإنسان في الميزان » ، في زهاء ألف وخمسمائة بيت من الشعر الرصين ، الذي تحدثت عنه ـ أقصد عن هذا الديوان ـ بعدد سابق من مجلة الأزهر ، وأحسب أن هذا الديوان لم يحظ بعد بمن يكشف عن كنوزه وروائعه ..



والإنسان يُحار إذا ما حاول أن يعقد موازنة بين « شوارد وسوانح » و « الإنسان في الميزان » ، لأن نثر صان الدين لا يقل روعة عن نظمه تماما كما كان شأن « شوقي » في كتابه النثري الرائع « أسواق الذهب » ، ودواوين شوقي الشعرية ـ وإن كان شوقي قد نحا في « أسواق الذهب » منحى الزمخشري

فى مؤلفه : « أطواق الذهب » والأصفهانى فى كتابه : « أطباق الذهب » ، ولذلك سمى هذا الكتاب بما يشابه ، اسميهما ، كما يقول الأستاذ الراحل طاهر الطناحى « شوقى وحافظ » ص ٦٧ .

وصدق الأستاذ الدكتور عبدالمنعم خفاجى فى تقديمه لكتاب : « شوارد وسوانح » ووصفه لمؤلفه صبان الدين ، بأنه « يتراءى لنا فى صورة الحكيم الحائر ، والفيلسوف الساخر ، والشاعر المالك لزمام الكلمة ، والمتذوق لسحرها وبلاغتها وموسيقاها » .

وقد يرىء « شوارد وسوانح » من الألفاظ القاموسية العتيقة ، التى طالما عمد إليها الشاعر صبان الدين أحيانا ، فى بعض أبيات قصائده ، لأنه ـ فيما نرى ـ لا يجد سواها أكثر قدرة ودلالة على التعبير عما سيطرأ فى خياله أو يعتمل فى وجدانه من الأحاسيس والمشاعر .. أو ربما صدر فى ذلك عن رغبته فى إحياء بعض الألفاظ القديمة البليغة فى العربية ، لإثرائها وتدعيمها ، وتجديدها ، كما كان « المازنى » رحمه الله يعمد إلى ذلك ، أحيانا فى بعض كتاباته ، رغم إيثاره للسلاسة والدقة والوضوح .

● ● ●

ومهما يكن من أمر ، فإن لغة صبان الدين فى « شوارد وسوانح » أقرب إلى الإيجاز البليغ ، ونصاعة العبارة ، والمساواة بين المعانى فى أرديتها اللفظية المناسبة ، بما يعين على استيعابها واستظهارها لتجرى مجرى المثل ، خاصة وأن كثيرا منها كان يستمل فى حكميه على سطر أو سطرين .

● ● ●

وقد كان الرافعى ـ رحمه الله ـ يعمد إلى اقتناص بعض شوارده الذهنية التى لا تتعلق بموضوع واحد ، فيسلكها فى مقال برأسه ، تحت عنوان « كلمة وكليمة » ، فتجىء أقرب أو أشبه بمقالات فى عبارات محددة ، واشتهر الكثير منها لقوله فى بعضها : (اسكت عن السفيه ، فإن ذلك إلا تجعله كريما مثلك ، لا يجعلك سفيها مثله) .

وقوله : « ليس لمصباح الطريق أن يقول إن الطريق مُظلم ، وإنما قوله ـ إذا أراد كلاما : « هأنذا مضىء » ..... الخ .

وقول صبان الدين فى باب اللواذع ص (٦٤) :

لا يُحسـد إلا ذو مال وذو موهبـة

لذا فإنى فى مأمـن من الحسـد !!

ونحن نقول له فى ختام مقالنا هذا :

« بل أنت ذو موهبة حقيقية متوهجة وعميقة المدى فى الشعر والفكر ، والأدب والحياة » ..

ونحن نغبطك ـ ولا نحسدك على ذلك ـ .

وبالله التوفيق ...

أرحنا بها

للشاعر: رشاد محمد يوسف

بلال على كل المآذن كَبَّـــرا ... وألقى على الأسماع لحنا مُنـورا
ونادى فهب الكون من غفوة الكرى ... يعانـق صبحـا بالهدايـة أسفـرا
أرحنا بها . قال النبى — ولم يزل ... صدى صوته العلوى نورا وجوهرا
أرحنا بنور الوصل فى ساحة الرضا ... وردد نداء الله فى مسمع الـورى
أرحنا بها على القلوب وقد مضى ... عليها زمـان تدرك الآن ما جرى
أرحنا بها .. أيقظ من التيه أمـة ... تطاول فيها الوهم والليل والكرى
فمن أركبوا التاريخ خلف ظهورهم ... ومن بددوا الشملين : كسرى وقيصرا
ومن نضروا الأيام علما وحكمة ... ومن حاربوا الطغيان حتى تكسرا
ومن أنبتوا فى الأرض عدلا ورحمة ... ومن ألبسوا الأيام ثوبا مطهـرا
ومن أخرجوا للناس أكرم أمـة ... فكانت بحق خير من وطىء الثرى
ومن طوقوا بالنور والعلم والهدى ... يشقون ليل الجهـل حتـى تحررا
ومن خلدوا الأمجاد موصولة الخطا ... تتيـه على الدنيـا كتابـا ومنبرا

تراهم حيارى ضيع الخلف ربحهم ... خطاهم على الدرب الطويل تعثرا
وجـفت ينابيـع المحبـة بينهم ... وأضحى صفاء النبع وردا معكرا
وعاشوا على سفح الحيـاة أذلـة ... وكانوا حداة الركب يحيون فى الذرا
كأن هموم الدهر حطت بأرضهـم ... وخيم فيها البطش والظلم أدهـرا
يهوذا وشذاذ الحيـاة تآمـروا ... على الأرض والإنسان حتى تقهقرا

فأذن بلال الخير بالنـور والهدى ... وصب على الأسماع مسكا وعنبرا
وأذن لتهدى الحائريـن لدربهم ... وتجمع شملا فى الـدروب تبعثرا
وقـل لعبـاد الله : إن صلاتهم ... هى الوحدة العصماء موثوقة العرى
وقـل لعبـاد الله إن فلاحهـم ... عطاء لمن لبـى وصلَّـى وكَبَّـرا
هلموا ، أعدوا ما استطعتم وشمروا ... ولا ترهبوا الأحداث نابا وأظفرا
فمازالت الأصنام تعبـد جهـرة ... يطوف بها من خان أو ضل وافترى
وليس سوى الإسلام ريًّا لظامىء ... وظلا لمقهـور وشهـداً وكوثـرا
وليس سوى القرآن زادًا ومسلكا ... يُـذلِّل فينـا العسر عيشا ميسرا
أصيخـوا نداء الله يا خير أمـة ... وكونوا لدين الله حزبا وعسكرا
تطـيب بأنـوار الإلـه حياتكـم ... ويغدو الثرى فينان والعيش أخضرا



العلوم الكونية

التشريعات الإسلامية لحماية البيئة

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

تحدثنا فى مقالين سابقين(١) عن أوجه القصور فى التعريف الشائع لمفهوم «البيئة» ومشكلاتها المتفاقمة فى الفكر والواقع على حدّ سواء، واستحسنا أن يكون الكون بأسره، أو عالم الشهادة هو المفهوم الأصوب والأشمل لبيئة الإنسان الكبرى حتى يمكن وضع تصوّر عام يتضح فيه الربط بين البيئة ومشكلاتها من جهة وبين العقيدة وتشريعاتها من جهة أخرى وعندئذ يتحدد الهدف المطلوب لتصويب النظر إلى الموقع الذى ينبغى أن تتخذه البيئة ومشكلاتها فى أرجاء الدراسات الإسلامية المتعلقة بقضايا الوجود الكبرى، وذلك من خلال التناول الموضوعى لعدة جوانب نعتبرها ضرورية للمنطلق العقدى فى فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة وهذه الجوانب هى: التوحيد الخالص والتوازن البيئى (الكونى) والعلاقة بين الإنسان والبيئة والتوافق بين الفكر والواقع.

وفى هذا المقال سنحاول ـــ إن شاء الله ـــ أن نلقى الضوء على دور التشريعات الإسلامية فى رعاية البيئة وحمايتها من أخطار التلوث.

حدود التشريعات البيئية فى المنهج الإسلامى(*)

لقد سبق الدين الإسلامى الحنيف إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامى حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين

(*) أستاذ الفيزياء، ووكيل كلية العلوم جامعة القاهرة لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة.

(١) راجع عددى: جمادى الآخرة ورجب السابقين من مجلة الأزهر.

أساسيين يحددان مسئولية الإنسان حيال البيئة التي يعيش فيها .

أما المبدأ الأول فهو : «درء المفاسد» حتى لا تقع بالبلاد والعباد وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر بالنفس، ولا ضرار بالغير.

وأما المبدأ الثاني فهو : «جلب المصالح» وبذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية ابتغاء مرضاة الله ورحمته في الدنيا والآخرة.

وأهم ما يميز المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة هو الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله — سبحانه وتعالى — للحياة والأحياء في هذا الكون، ولقد أقام الإسلام بناءه كله على الوسطية والتوازن والاعتدال والقصد وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٢).

كما نهى عن الإسراف في مواضع كثيرة من القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٣).

وقال عز من قائل:

﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٤).

بل إن الإسلام دعا إلى الاعتدال حتى في الإنفاق فقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾(٥)

وفي السنة النبوية المطهرة أيضا ينهى رسول الله ﷺ عن الإسراف في استعمال حتى ولو كان من أجل الوضوء.

فقد روى عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ — مرّ بسعد وهو يتوضأ فقال: **«ما هذا الاسراف؟» فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار»**(٦).

فالوسطية الرشيدة إذن هي مسلك المسلمين ودعوة الإسلام لأتباعه في كل الأحوال وعموم الأوقات.. ومن ثم فإنها خير ضمان لحماية التوازن البيئي سنّة الخالق جل وعلا لاحتضان الحياة واستمرارها على كوكب الأرض.

ولقد أجمعت الدراسات التي أجريت حول مشكلات التلوث البيئي على وجود علاقة وثيقة بين إسراف الإنسان في تعامله مع مكوّنات البيئة المختلفة وبين التلوث البيئي بجميع أشكاله، كما أن الاسراف يفضي إلى مشكلات بيئية أخرى لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده، بل يمتد ليشمل باقي الأحياء التي تشاركه الحياة على كوكب الأرض، وإن ما تعانيه البيئة اليوم من تدهور شمل ثرواتها الطبيعية التي أوشك بعضها على النفاد، وغاباتها الشاسعة التي أزيل منها الكثير بالإضافة إلى بعض أنواع الطيور والحيوانات والكائنات البحرية التي انقرضت أو في طريقها إلى الإنقراض ليس إلا نتيجة طبيعية لتدخل الإنسان الزائد عن الحد بما

---

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

(٣) سورة الأعراف : ٣١

(٤) سورة الأنعام : ١٤١

(٥) سورة الفرقان : ٦٧

(٦) سنن ابن ماجة/٤٢٥

يفسد على البيئة نظامها المحكم الدقيق ولا شك أن خير وسيلة لإنقاذ البشرية أو البيئة من آثار الإسراف واستنزاف الموارد الطبيعية دون جدوى، أو دون اكتراث بالأخطار، إنما يكون بالعودة إلى منهج الدين الإسلامي في الوسطية والاعتدال حيث: «لا ضرر ولا ضرار»(٧).

على أن الدعوة إلى الوسطية والاعتدال لا تعنى بطبيعة الحال أن يقف الإنسان مكتوف الأيدى إزاء النظم البيئية المحيطة به أو أن يعطل أداء واجب التعمير الذى تقتضيه أمانة الاستخلاف في الأرض، ولكنه يعنى أن يتعامل الإنسان مع هذه النظم البيئية بما يمكنه من تطوير حياته دون إسراف في استخدام الموارد الطبيعية أو جور على حقوق الآخرين.

النظافة من الإيمان:

هناك العديد من التعاليم الإسلامية التى تحث على حماية البيئة والاهتمام بالنظافة العامة فالإسلام بكماله وشموله لم يدع شيئا فيه سعادة البشرية ورقيها إلا ووضع له الضوابط الدقيقة والمعايير الواضحة، ولقد اقترنت النظافة والطهارة في الإسلام بالإيمان واعتبر التلوث نجاسة كريهة يجب على المسلمين إن يتطهروا منها لأن «الطهور شطر الإيمان» والقرآن الكريم..

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾(٨)

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٩)

والماء الذى جعله الله أصل الحياة ووسيلة التطهير يصفه القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾(١٠).

وقد ورد لفظ «طهر» ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة لإيجاب طهارة النفس المؤمنة والبيئة الإنسانية في الظاهر والباطن.

كما جاء في الحديث الشريف: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل**»(١١) ولقد أطلق الحديث النبوى على هذه السلوكيات «ملاعن» لأنها تسبب لعن الناس لمن يفعلها. كذلك نهى الرسول ﷺ عن البول في الماء، فقال: «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه**»(١٢)

وروى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ: «**نهى أن يتنفس في الإناء وأن ينفخ**

---

(٧) لمزيد من التفصيل راجع:

ـ د. أحمد فؤاد باشا، الفلسفة الإسلامية ومشكلات البيئة، دراسة ضمن أعمال المؤتمر الدولى الأول للفلسفة اسلامية عن «الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة» ٢٠ ـ ٢٢ ابريل ١٩٩٦م كلية دار العلوم جامعة القاهرة

ـ د. على على السكرى «البيئة من منظور إسلامى»، «منشأة المعارف الاسكندرية» ١٩٩٥م

ـ د. عبدالله هلال «التأصيل الإسلامى للتشريعات البيئة» مجلة منبر الشرق عدد (٦) ١٩٩٣م

ـ خالد محمود عبداللطيف، البيئة والتلوث من منظور الإسلام، بحث في حماية البيئة من التلوث المادى والمعنوى، دار الصحوة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

ـ د. عبدالحكيم عبداللطيف الصعيدى «البيئة في الفكر الانسانى والواقع الإيمانى» الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٤م

(٨) سورة الواقعة: ٧٩

(٩) سورة البقرة: ٢٢٢

(١٠) سورة الفرقان: ٤٨

(١١) رواه أبوداود وأحمد ومسلم

(١٢) رواه مسلم

فيه»(١٣) وقد ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية المتوطنة وتساعد على انتشارها والنهى عنها ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التى تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات.

حماية البيئة وإصحاحها:

فى مجال العناية بالبيئة وعناصرها نجد الإسلام ينهى عن تبوير الأرض وتركها بغير زراعة ويدعو إلى الاهتمام بالزراعة ويبان الغاية منها بالنفع للإنسان والحيوان، فقد جاء فى الحديث الشريف **«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»**(١٤) واعتبر الرسول ﷺ غرس الأشجار وتطهير الأنهار وحفر الآبار وغيرها من الأعمال النافعة، صدقة جارية فقال: **«سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته: من علم علما أو كرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس شجرة، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»**(١٥) وقال أيضا: **«من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا فى غير ظلم أو اعتداء كان له أجرا جاريا ما انتفع به من خلق الرحمن ــ تبارك وتعالى ــ»**(١٦) وقال أيضا: **«ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه صدقة وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة»**(١٧)

كذلك أمر الإسلام بالرحمة والإشفاق على الحيوانات باعتبارها أحد العناصر الحية فى البيئة وقد رويت أحاديث عديدة فى هذا الأمر، منها قوله ــ ﷺ ــ: **«عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض»**(١٨)

بل إن الإسلام ينهى عن الإفساد فى البيئة حتى فى أوقات المعارك والجهاد ضد الأعداء فيقول الرسول ﷺ آمرا جنده: **«لا تقتلوا امرأة ولا وليدا ولا شيخا ولا تحرقوا نخيلا ولا زرعا»**(١٩)

حتى بالنسبة لتلوث الضوضاء الذى أحست به البشرية حديثا نجد أن الاسلام قد سبق إلى النهى عن الضجيج بأسلوب بليغ يرذل رفع الصوت ويقبحه فى صورة منفرة محتقرة، وذلك فى قوله ــ تعالى ــ على لسان لقمان وهو يعظ ابنه:

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾(٢٠)

وللحديث بقية إن شاء الله

(١٣) سنن الترمذى ــ الجزء الثالث ص ٤٥

(١٤) رواه البخارى

(١٥) الترغيب والترهيب الجزء الخامس

(١٦) الترغيب والترهيب الجزء الخامس

(١٧) الترغيب والترهيب الجزء الخامس

(١٨) رواه مسلم

(١٩) رواه أحمد

(٢٠) سورة لقمان: ١٩

مناهج النفس بين العقيدة وعلماء النفس

للأستاذ الدكتور
محمد يوسف خليل

مناهج النفس هى التى تبحث عن الهيكل العام للشخصية على أساس من دوافعها وميولها وغرائزها ونزوعها حسب مراتب العقل والنفس ، وهذا ما تختص به النظريات النفسية عموماً ، وصولا إلى صحة النفس بمفهومها المتكامل الذى يجمع بين صحة الجسم والنفس وصحة المجتمع والصحة الروحية .

هذا وتتميز مناهج العقيدة بأنها ليست نظريات أو افتراضات تعتمد على البحث والدراسة والتجربة ، لأنها الأصل الثابت الذى ينبع منه كل صحيح أصيل لا يتغير من علوم البشر .

ولقد قرر علم النفس أن صحة النفس ترتكز على دعامتين ثابتتين راسختين هما : الحب والاطمئنان ، وهذا أعمق وأصدق ما وصلت إليه الصحة النفسية الموضوعة عندما أرادت أن تختار أساسها ، لأن المحبة والاطمئنان هما أساس العقيدة ذاتها ، فالعقيدة الصادقة تبدأ أساسا بمحبة الله ورسوله محبة صادقة خالصة لقول رسول الله ﷺ :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار »

رواه البخارى .

هذا الحب : أساس الصحة النفسية ودعامتها الأولى .

أما الدعامة الثانية فهي « الاطمئنان » .

والاطمئنان – بالنسبة للعقيدة – هو أن تستقر فى القلب والوجدان ، استقرارا راسخا .. إيمانا بالله سبحانه وتعالى وتصديقا برسالاته وما يصاحب هذا الاعتقاد الإيمانى من سلوك ، فمعنى هذا أن العقيدة إيمان قلبى يصحبها سلوك عملى لقول الحق – سبحانه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة – ٢٨٥]

وعلى هذا فإن المؤمن بعقيدته هو الذى يسير بسلوكياته وفق منهج العقيدة لا يميل عنها ولا يحيد ، لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام]

والدين فى أصوله وتفرعاته كل لا يتجزأ ، فهو عقيدة وشريعة وأحكام وحدود وقيود وأوامر ونواه ، وترغيب وترهيب وثواب وعقاب ، وهو – أى الدين – سلوكيات وأخلاقيات ومعاملات ، فهو كل لا يتجزأ لقوله – سبحانه : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر – ١١]

ثم تأتى السنة المطهرة فتفسر وتوضح حتى لا يختلط الأمر ولا يلتبس حق وباطل ، وفى هذا يقول الرسول الكريم ﷺ فى حديث صحيح :

« الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات فقد وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه » رواه البخارى ومسلم

وهكذا نجد أن التشريع بما فيه من كتاب وسنة يحقق هذه الغاية .. غاية الوصول إلى السلوك الإيمانى الصحيح ، والكتاب والسنة يتلازمان لقوله – سبحانه :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾
[الحشر – ٧]

وما جاء به رسول الله ﷺ من شعب الإيمان ، لا يترك من السلوك البشرى شيئا إلا انتهى به إلى الإيمان نفسه ، لقوله ﷺ فى حديث صحيح :

« الإيمان بضع وستون – أو بضع وسبعون – شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان » رواه البخارى.

ويصبح حظ النفس منه فى منهج العقيدة يكمن فى كل ما تنتهى إليه معالم السلوك البشرى ، بما جاء فى الكتاب الكريم ، وبما احتوته السنة النبوية من تشريع .

يقول ربنا – سبحانه – مؤكدا على كمال منهج العقيدة من سورة المائدة :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾
[المائدة – ٣]

و(الكمال) عندما ينتهي إلى (السلوك) فهو يحيط بكل أبعاده بما في ذلك من عبادات وطاعات واجتماعيات وأخلاقيات ومعاملات ، وبما فيه من : بيع وشراء وسياسة واقتصاد ، ويتسع لكل أحوال البشر في السلم والحرب والصحة والمرض ، وعند الموت وبعد الموت .

هذا الاهتمام الواضح ، (السلوك البشرى) في (منهج العقيدة) هو ما جعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يسأل الرجل الذى جاء يشهد لصاحبه : هل تعرف صاحبك ؟ قال الرجل : نعم ، يا أمير المؤمنين ! قال له عمر : لعلك رأيته قائما أو ساجدا في المسجد ؟ قال : نعم ! قال عمر : هل صحبته في سفر حتى تعرف كيف يسلك ويتعامل ؟ قال الرجل : لا ، فقال عمر : إنك لا تعرف صاحبك !!

بهذه المواصفات ، وبهذا النمط من تقصى السلوك البشرى في ضوء الحقائق الإيمانية ، يصل السلوك إلى مرتبة العبادة ، وهذا يتميز السلوك الإيمانى بسلامة قصده ، وسمو أهدافه ، ونبل مقاصده ، فليس للمظهر عند الله أى شأن ، بل إن التظاهر بالسلوك يبعده عن مقاصده الإيمانية ، ويبعد صاحبه بذلك عن منهج العقيدة ، فالرياء والمفاخرة والمباهاة والسمعة والمظهر الكاذب ، كل ذلك يعتبره المنهج الإسلامى من الرذائل والآثام ، التظاهر بالسلوك - بهذا النمط - من أشد الآفات النفسية التى تنفر منها العقيدة ، وهى بمفاهيم الربوبية إثم وخطيئة في الدنيا ، وحسرة وندامة يوم القيامة ، ولهذا فإن العمل الخالص والسلوك الإيمانى الصادق لا يتحقق إلا في نبل غاياته ، وطهارة جوهره وصدق نية صاحبه لقول رسول الله ﷺ :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » [صحيح البخارى]

فإذا تطبّع المؤمن مع تشريع خالقه ، فقد أمسك بزمام منهج النفس في العقيدة ، لأن قوانين النفس في منهج العقيدة ليست فقرات محددة أو بنودا واضحة ومعنونة ، إنما كلمات ربى نزل بها جبريل - عليه السلام - على قلب رسوله الكريم ﷺ ، فهى في مضمون سور القرآن كله ، لا يفصح عنها إلا الفهم المتعمق ، والتدبر الواعى ، لقوله - سبحانه :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

[محمد - ٢٤]

وهى كذلك في أحاديث رسولنا الكريم ﷺ تلقى بظلالها النفسية في صراحة ووضوح ، لقول الرسول ﷺ :

« **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** »

رواه الترمذى

ولقوله ﷺ « **البر حُسْنُ الخُلق** » وفى رواية : ما اطمأنت إليه النفس ، « **والإثم ما حاك في الصدر ، وتردد في النفس ، وكرهت أن يطلع عليه الناس** » . رواه مسلم.

وهذه مجرد نماذج من الأحاديث التى تلقى بظلالها النفسية بفيض وثراء ، ثم تأتى بعد ذلك

إلى أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن تبعهم بإحسان ، هؤلاء علموا عن النفس بما علمهم الله - سبحانه ، وما علموه من رسوله الكريم ﷺ ، فقد جاء على ألسنتهم من مأثور القول ما يجرى مجرى الأحاديث بين الناس ، وما يحمل فى طياته الكثير من المعانى النفسية الواضحة ، ومع أنها جاءت فى مضمون أحاديثهم العامة ، إلا أن ظلالها النفسية عميقة المعنى واضحة الدلالة . ولقد اشتهر من هؤلاء الفقيه المحدث الإمام الحسن البصرى - رضى الله عنه - وما اشتهر من أقواله مما يتداوله الناس ويسير مجرى الحديث النبوى ، يقول الإمام :

« لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » .

ويقول - رضى الله عنه :

« وإن قوما غرتهم أمانى المغفرة ، وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا .. لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

ظلال نفسية واضحة ، وأصول نفسية مؤكدة ، فالمحبة أساس الصحة النفسية ، والسلوك والعمل أساس الإيمان .

فإذا ماانتهينا إلى ما اشتهر من أقواله التى يصف فيها مايختفى فى أعماق النفس البشرية .. كقوله :

« إن أهل الدنيا وإن دقدقت بهم الهماليج ووطىء الناس أعقابهم ، لايزالون يجدون ذل المعصية فى نفوسهم » .

فهؤلاء الذين سار الناس فى ركابهم والتفوا حولهم ، مهما كانت مظاهر عظمتهم ، يحملون فى داخلهم أدران نفوسهم بما فيها من ذل المعاصى التى اقترفوها ، فربما سرقوا أو نهبوا أو ارتشوا وضلوا وأضلوا وكذبوا ونافقوا وتسلقوا أكتاف العباد حتى وصلوا إلى ماهم عليه ، والناس لايعلمون عما بداخلهم ويتعاملون معهم بظاهر عظمتهم وأبهة سلطانهم .

هؤلاء الصنف من البشر ، مهما ارتفع شأنهم وعلت مكانتهم فذل المعصية يتصارع فى نفوسهم بما فعلوه وما اقترفوه ، فهم لايغفرون لأنفسهم انحطاط وسيلتهم ، ودناءة غايتهم مهما كانوا فيه من سلطان ومكانة ورغد وعظمة ومهابة ، وتظل مهانة نفوسهم تلاحقهم أينما كانوا وأينما ذهبوا .

أما الإمام ابن القيم - رحمه الله - فقد وصف النفس بأنها تحمل فى داخلها كل صفات الحيوان بما فيها من غرابة السلوك فهو يقول :

« إن النفس يجتمع فيها من صفات الحيوان الكثير : ففيها حرص الغراب ، وشره الكلب ، ورعونة الطاووس ، ودناءة الجعل ، وعقوق الضب ، وحقد الجمل ، ووثوب الفهد ، وصولة الأسد ، وفسق الفأرة ، وخبث الحية ، وعبث القرد ، وجمع النملة ، ومكر الثعلب ، وخفة الفراشة ، ونوم الضبع ، وفيها من كبر إبليس ، وحسد قابيل ، وعتو عاد ، وطغيان ثمود ، وجرأة النمرود ، واستطالة فرعون ، وبغى قارون ، وقحة هامان ، وهوى بلعام ، وحيل أصحاب السبت ، وتمرد الوليد ، وجهل أبى جهل » .

وذلك يعطى بيانا بفضل التقاة الذين يصارعون شهوات النفس ، ويقاومون طغيان شرورها ، ومن هنا - وإزاء هذا الصراع فإن الذين يخلصون جهادهم فيه يأتى فضل الله - تعالى - ليغمرهم برحمته ويجزيهم أحسن الجزاء .

الإعلام في القرآن الكريم

النبأ في القرآن الكريم

للأستاذ / عبد السلام إبراهيم ناصف

النبأ لغة : هو الخبر أو الإعلام ، يقال أنبأت زيداً أى أخبرته أو أعلمته وجمعه أنباء ، ويقول رب العزة : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحجر ـ الآية ٤٩ أى أخبرهم وأعلمهم .

وفى « علم الإعلام » : أنه لا يتأتى النبأ بدون وسيلة اتصال ـ أياً كان نوعها ـ ولا بدون هدف أو فائدة .

والنبأ فى القرآن الكريم : حق ، صادق ، صحيح ، صادر منه ـ سبحانه وتعالى ـ الذى يقول ـ عن نفسه للبشر : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية : ٧ .

بغية هدايتهم وتبصيرهم بما يحقق لهم الخير والسعادة ، حتى ولو لم يلمسه قاصروا العقل والمتعجلون قليلو الصبر .

وهو ـ أى القرآن الكريم ـ وحى يوحى به ومن ثم فهو حق يقينى لصدقه وصحته وسلامته ولم يترك القرآن الكريم ميداناً واحداً من ميادين الحياة الدنيا والآخرة إلا وتعرض له ووضع له أحكاماً ومناهج لتنظيم حياة البشر وإبعاد البلبلة والشك فيما يعم عليهم ، أليس هو القائل ـ سبحانه ـ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾

سورة الأنعام / ٣٨

أى أنه ما ترك من شىء فيه صلاح الناس وإصلاحهم بالحق إلا أنزله إليهم فى قرآنه ليستفيد منه ذوو العقول الراشدة الواعية .

والنبأ ـ فى علم الإعلام ـ يختلف عن الدعاية التى تهدف إلى تخدير الرأى العام وإيهامه بصحة ما تهدف إليه ، وهى لذلك تستخدم كل وسائل التأثير سواء كانت صادقة صحيحة أو ملفقة مشوشة بهدف تغيير اتجاهات البشر لصالح مبدأ أو

رأى أو اتجاه تتبناه دون الاهتمام بالوسيلة التى تؤدى إلى هذه الغاية ، وعلماء النفس الاجتماعى أمثال (وولتر ليبمان) يرون أن (الدعاية) تستخدم وسائل للتأثير على الأفراد والسيطرة على أفكارهم وسلوكهم لغرض ما قد تلجأ فيه إلى الكذب والتضليل وتلوين الأخبار وإخفاء مسارها لتحقيق انقياد الأفراد خلف أهدافها ، ولقد عاش مبدأ «جوبلز» : جذر الكذب منذ استخدمه فى الدعاية النازية إلى يومنا هذا ، وهذا لاشك يتعارض تماما مع تعريف النبأ الذى يقوم على الحق والصدق وإبراز الحقيقة التى تخاطب وجدان الناس التى فطرها الله على المحجة البيضاء . فالنبأ فى القرآن الكريم كما ورد ليس إلا قول الحق يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة / ٨٣

وفى موضع آخر يقول ـ سبحانه :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ . الأنعام / ١٥٢

وهو ـ سبحانه ـ بهذا يأمر بقول الصدق فى كل ما نخبر به أو ننقله أو ننشره ، كما أمر ـ سبحانه وتعالى ـ بدقة تمحيص مضمون أى خبر والتثبت من صدقه قبل التسليم به ، أو تداوله ؛ فليس كل مخبر خبراً صادقا فيه ؛ قد يكون كذلك ، وقد يكون واهماً أو مغرضاً ، أو كاذباً ، أو متعمدًا لترويجه ، لذا وجب التثبت قال ـ تعالى ، وهو أصدق القائلين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ سورة الحجرات

وقبل أن نستطرد نحاول أن نحدد أركان النبأ وركائزه التى يرتكز عليها من وجهة النظر الحديثة فى علم النفس الاجتماعى فأى نبأ لابد له من مرسل كما أن له مستقبل ، وله فحوى ووسيلة وظرف عام يساعد على نشره فالمرسل : هو من يقوم بعملية الاتصال ونقل الخبر أو المعلومة أو الرأى أو النبأ لذا حدد المختصون أن يكون المرسل متمتعاً بأعلى مستوى من المهارات والإمكانيات والقدرات بحيث تؤهله للمكانة التأثيرية فيمن هم دونه لتصديقه والإيمان بما يذيعه أو ينشره ، ولكى يتحقق هدفه وجب أن تتوفر فيه صفات الجدية والصدق وقول الحق والالتزام به ، وأن يكون ذا حس إدراكى وذكاء فطرى وخبرة عملية وتجارب علمية ، ملماً بمجموعة المعارف التى تؤهله إلى هذه الوظيفة الهامة كالداعية والإعلامى والوظائف القيادية ، وعليه أن يهتم بدراسة البيئة التى يخاطبها من حيث مستوى معيشة أفرادها ومستوى ثقافتهم وأسلوب ونظم الحكم ومدى تقبلهم لسلطاتهم التشريعية والتنفيذية ـ على أن يكون مزوداً بمهارات فى كل مجالات الحياة العامة سواء كانت لفظية أو فنية أو حسابية ليتمكن من اختيار أمثلها فى كل مجال للاستعانة بها واستخدامها فى عملية التأثير .

أما عن النبأ فى القرآن الكريم فقد كفانا ـ تماماً ـ أنه من عند رب العالمين ـ سبحانه ـ فقوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ ... وإنما قوله الحق وهو يحق الحق بكلماته فهو القائل : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ فالله هو الحق والحق أحد أسمائه ـ جل وعلا ـ : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢ ﴾ سورة يونس

كما قال فى سورة الزمر ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾

ولنا في الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الأسوة الحسنة فكل ما قاله كان صدقا والله ـ سبحانه ـ قد هيأه ـ لهذه الرسالة الحقة وقد عرف بين قومه بالصادق الأمين ـ

وعلى الدعاة ورجال الإعلام والقادة والرؤساء والمرشدين أن يتوسموا خطاه ويسيروا على نهجه فلقد قال عنه ربه ـ سبحانه عن إبلاغه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ . ومن ثم وجب عليهم جميعا أن يلجئوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليتزودوا بطيب الكلم وسمو الأدب ، وروعة البلاغة وبالقدرات ، والإمكانيات والمهارات التي ينشدها علماء النفس الاجتماعي حيث نجد تجارب الأولين والآخرين وقصص السابقين وسيرهم وما ترتاح إليه النفوس وتقربه الأعين .

فإذا ما ارتوى كل منهم من معينهما فلسوف يوفقهم الله رب العالمين ـ إلى ما يبغون نشره ولسوف يبوء هم البشر الذى يثق فيهم ويتقبل تعاليمهم .

وليس من شك فى أن المُرسل إذا تمتع بتلك الصفات الربانية ؛ فإن المتلقى سوف يستقبل أعماله بترحاب وإيمان شديدين ، ذلك أن المتلقى حساس وعنده صدق التقييم ، وصدق الحكم ، فإن ظن المرسل ـ أو فهم ـ أنه يستطيع أن يقول ما يريد ، ويسره ما حوله من أضواء ؛ فما أبسط وأسرع ما يدير المتلقى المؤشر الذى يفصله عنه إلى مُرسل آخر يطمئن إليه ، لاسيما عندما يشعر أن هذا الأخير يحترم إنسانيته .

إن الوسيلة المثلى فى نشر الخبر أو المعلومة أو النبأ أو الاتجاه والأفكار ـ تتوقف على طبيعة ما يرجى نشره أو بثه فلكل مقام مقال ولكل فكرة وسيلة توصيل فمن الاتصال ما هو مباشر تحدى فيه علاقة الوجه للوجه ، وأسلوب التحاور والمناقشة ومنها ما يصح فيه أسلوب الندوة ؛ ومنها ما هو مكتوب أو مسموع أو مرئى .

وكلما كان الهدف واضحاً جلياً ظاهراً صادراً فى إطار من قوميتنا معبراً يخاطب الفطرة كلما كان تقبله أسهل وأيسر وكلما كان أثره واضحاً ومتقبلا .

ويبقى أن يكون الظرف العام ـ أو ما يحلو لعلمائنا المحدثين أن يطلقوا عليه (الجو العام) ـ مهيئاً لاستقبال النبأ كان انتشاره أوسع وتأثيرة أوقع ـ وما من شك أن المبادىء التى تعتنق الحق وتهدف إلى خير الناس ورفع مستوى معيشتهم تتسلل إلى نفوس الناس بلا عناء حيث يميل الإنسان عادة إلى الحق مهما خالفه شيطانه وأغوته غرائزه ، فهو يضيق بالكذب ويثور على الظلم ولو بينه وبين نفسه ؛ وإذا ما ارتكب خطأ ندم ورغب فى التوبة ـ وإن عاد .

ومن اتبع طريق الحق وفقه الله وسدد خطاه وهدى على يديه الكثير والكثير والشباب اليوم فى أمس الحاجة إلى من يهديه ويأخذ بيده ويرشده إلى الطريق المستقيم وينقذه من حبائل الأفكار الهدامة ، وبخاصة بعدما انشغل والداه عنه بالعمل أو بالاغتراب والبعد عنه بحجة تحسين مستوى معيشته وما أغناه عنهما واحتضانهما له عن أموال الدنيا كلها .

الصحة الإنجابية

مشاكل الخصوبة عند الرجال

الضعف الجنسي



للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

يبدأ هذا المقال بوصف تشريحي للذكر، يتلوه وصف تحليل لكيفية الانتشار وأخيرا بعض المشاكل المتعلقة به، وبعض من طرق علاجها.

الوصف التشريحي للذكر:

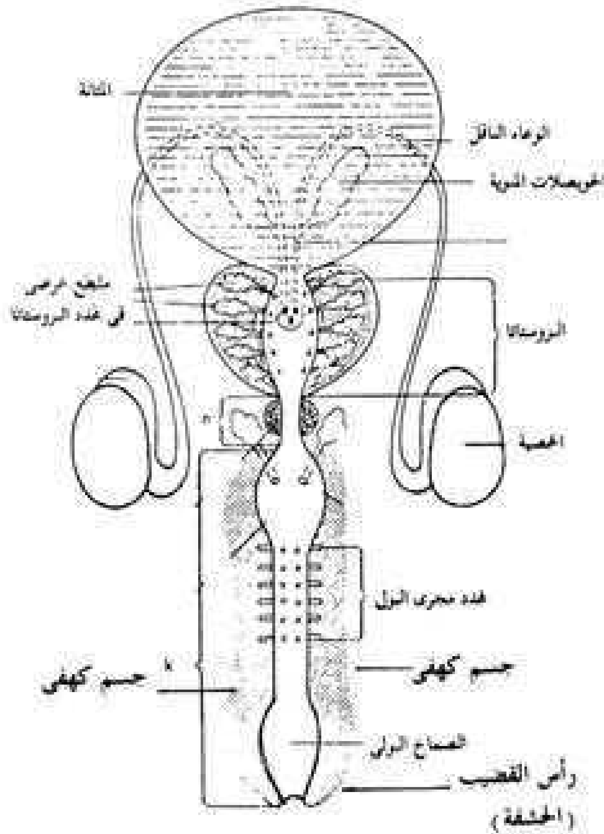
يتكون من ثلاثة أنابيب أسطوانية تتحد سويا بواسطة غشاء سميك ويتكون جسم هذه الأنابيب من نسيج إسفنجي. فأما الجسم الإسطواني الأول ويعرف بالجسم الإسفنجي فإنه يجرى أسفل العضو الذكرى في المنطقة التي توجه الخصيتين في حالة الارتخاء، ومن خلال هذه الاسطوانة تمر أنبوبة مجرى البول حاملة البول والسائل المنوى عبر فتحة في رأس القضيب تعرف «بالصماخ المبالى».

أما الاسطوانتان الأخريتان فتعرفان باسم الجسمين الكهفيين وتقعان جنبا إلى جنب فوق الجسم الإسفنجي الأول وتنتهى الاسطوانات جميعا داخل الجسم حيث تلتحم بعظام الحوض بواسطة أنسجة ضامة.

ومن المهم أن نلاحظ أن هذه الاسطوانات غنية بالأوعية الدموية التي تمتلىء في حالة الاستثارة مما يسبب تمدد النسيج الأسفنجي للجسم الكهفي، فيؤدى ذلك إلى انتصاب العضو الذكرى.

الحشفة (رأس الذكر)

وهى لها نفس تكوين الجسم الأسفنجي إلا أنها تتميز بوجود شبكة واسعة من نهايات الأعصاب مما يجعلها أكثر الأماكن حساسية في الذكر. وعند



صورة كاملة للجهاز التناسلي الذكري

الميلاد تتغطى هذه الحشفة بالغلفة التي هي جزء من الجلد يتم إزالته عند إجراء عملية الختان.

عملية الانتشار «الانتصاب»:

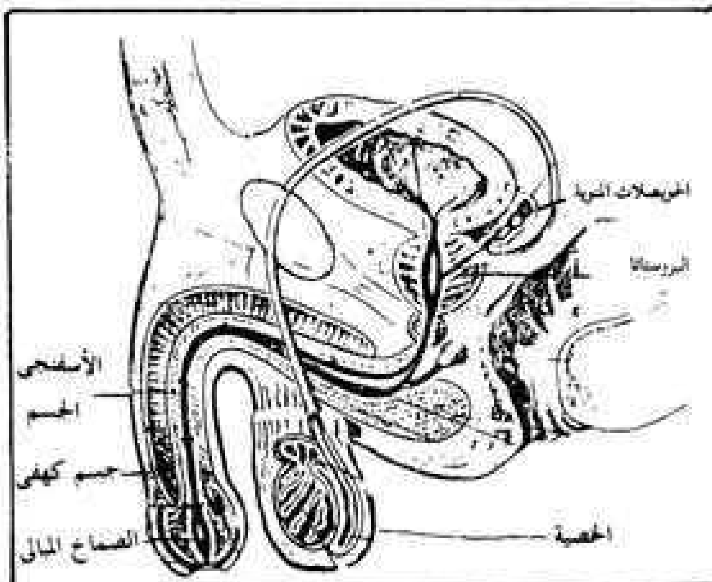
يتغذى العضو الذكري بواسطة أربعة شرايين:

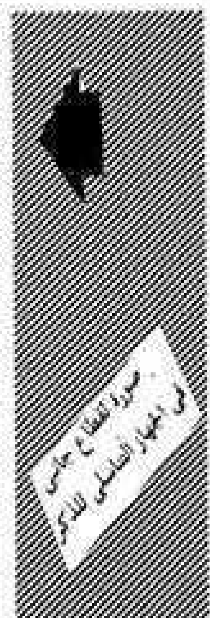
اثنان منهما يغذيان الجسمين الكهفيين والحشفة، أما الآخران فيغذيان الجسم الأسفنجي أثناء الانتشار «الانتصاب».

وكذلك توجد شبكة من الأوردة مهمتها إعادة الدم من جسم الذكر إلى أوردة الجسم الكبرى إلى الرئتين لكي يتم تنقيتها وضخها من جديد بواسطة القلب.

وفي حالة الارتخاء تتحكم العضلات الملساء التي تحيط بالشرايين في كمية الدم المتدفق داخل جسم الذكر، ولا تسمح إلا بالقدر الذي يسمح بتغذية الذكر فقط.

وفي حالة ما إذا كانت هناك استثارة جنسية تتم إثارة أعصاب العضو الذكري، وبمجرد استثارة العصب الكهفي نجده يفرز مواد كيميائية تعرف «بالموصلات العصبية» تساهم في ارتخاء العضلات الملساء التي تحيط بالشرايين، فيزيد تدفق الدم من





الشرايين إلى داخل جسم الذكر فيتمدد ويكبر حجمه.

ويستمر تدفق الدم داخل جسم الذكر إلى أن يصل الضغط فى داخله إلى الحد الذى يسمح بإغلاق شبكة الأوردة فلا يعود الدم ـــ الذى يصل إلى الجسم الكهفى ـــ إلى داخل الجسم خلال العملية الجنسية إلا فى حالات معينة كحالة: (الضعف الجنسى) ويزداد حجم القضيب كلما زاد تدفق الدم داخل جسم القضيب إلى أن يصل إلى كامل انتشاره وبمجرد القذف تنقبض العضلات الملساء فيقل تدفق الدم الشرايين مما يقلل الضغط داخل الجسم الكهفى، وبذلك يتم فتح شبكة الأوردة ويرجع الدم مرة أخرى لكى يدخل إلى الأوردة الدموية فى الجسم.

ملاحظة:

إنه فى حالة الانتصاب يختلف الضغط فى الذكر من مكان لآخر .. ففى جسم الذكر يكون الضغط أعلى من الضغط العادى، أما فى الحشفة فيكون بها نصف الضغط الواقع على جسم القضيب .. وهذا له حِكْمة حيث يتم تخفيف الضغط على عنق الرحم، والرحم أثناء الجماع.

وطول العضو الذكرى فى حالة الانتصاب يكون ما بين (١١ ـــ ١٥ سم) تقريبا، ولا علاقة بين قدرة تمدده وبين حجمه أو شكله وهو فى حالة الارتخاء حيث يمكن للعضو تأدية وظيفته على أكمل وجه طالما أنه ينتصب بالقوة اللازمة.

ومن المهم أن نؤكد على أنه لا توجد علاقة بين طول العضو الذكرى وبين وظيفته، فقد يكون حجمه كبيرا ولكن انتصابه ضعيف، والعكس صحيح. ويختلف حجم العضو الذكرى فى الطول والقطر بين الأفراد.

النمو وهرمونات الذكورة

فى قاع المخ توجد الغدة النخامية، وهى الغدة التى تؤثر وتنظم إفرازات الغدد الصماء الأخرى.

وما تفرزه الغدد الصماء نسميه «هرمون».

وتفرز الغدة النخامية هرمونين جنسيين لهما القدرة على التأثير فى إفراز هرمون الذكورة «التستوستيرون».

تأثير هرمون التستوستيرون :

١ ـ ظهور علامات الرجولة مثل شعر الذقن والجسم.

٢ ـ نمو الهيكل العظمى (النمو الذكرى) و(يختلف هذا النوع عن النمو الأنثوى حيث إن الهيكل العظمى الأنثوى مهيأ لعملية الحمل والولادة).

٣ ـ نمو العضو الذكرى للرجل.

مشاكل الانتصاب :

مشاكل الانتصاب كثيرة ومتعـــددة ولها درجات : فمثلا يحدث العجز الجنسى : (العنة) عند الرجل نتيجة عوامل عضوية تؤثر على ميكانيكية الانتصاب، أو نتيجة عوامل نفسية.

(أ) العوامل النفسية :

ومنها : الخوف من الفشل، أو خفض الرغبة الجنسية أو انعدامها. ويحدث ذلك غالبا فى أول لقاء جنسى يمارسه الشخص مثل أن يحدث ليلة الزفاف، أو نتيجة الشعور الخاطىء بصغر العضو التناسلى، وكذلك عند الخوف من حدوث الحمل أو الخوف من إيذاء الطرف الآخر، أو الشعور بأنه يرتكب إثما، أو الخوف من الإصابة بأمراض تناسلية، وقد يحدث فى حالات : منها أن تكون الزوجة قوية الشخصية، أو السلوك السلبى لبعض الزوجات مما يؤدى إلى فقدان الرجل لثقته فى نفسه.

(ب) الأسباب العضوية :

عيوب خلقية مثل تليف بالعضو، وفى حالة الإصابة بمرض السكر لمدة طويلة مما يؤدى إلى التهاب بالأعصاب الطرفية ونقص الإحساس، وهذا يشمل اليدين والقدمين وكذلك العضو التناسلى كما تسبب العنة فى نقص وظيفى أو عضوى فى الخصيتين مما ينتج عنه نقص فى الهرمونات الذكرية (وكما ذكرنا سابقا وإن هذه الهرمونات هامة وأساسية فى عملية الانتصاب «الانتشار» وتكوين العضو التناسلى والأعضاء التناسلية الثانوية مثل «البروستاتا، والحويصلات المنوية».

ومن أسباب العنة أيضا : إصابات أو أمراض عصبية فى مراكز الانتصاب فى المخ أو النخاع الشوكى أو الحبال العصبية التى تؤثر على الانتصاب مثلما يحدث فى حالة مرض السكر أو إصابات نتيجة حوادث أو حروب، وكذلك تؤدى إصابات وأمراض عظام العمود الفقرى إلى نفس الحالة.

وقد يكون ضعف الانتشار جزءاً من أمراض مزمنة مثل : أمراض الكلى والكبد المزمنة، وكذلك أمراض واضطرابات بعض الغدد الصماء مثل الغدة النخامية.

فأما السمنة المفرطة فإنها تؤدى إلى الإقلال من الرغبة الجنسية، وبالتالى إلى ضعف الانتشار.

وإدمان المخدرات وشرب الخمور يؤديان إلى الضعف الجنسى على المدى الطويل حيث إنهما فى بدء استخدامهما قد يؤديان إلى إحساس كاذب بالقوة والنشوة لكنهما بعد ذلك يؤديان إلى العجز عن طريق تأثيرهما على المراكز العصبية والكبد.

وبعض الأدوية قد تؤدي إلى ضعف الانتشار مثل الأدوية التي تعالج ارتفاع ضغط الدم.

العلاج :

نظرا لاختلاف وتنوع أسباب العجز الجنسي، فإن العلاج يختلف من مريض إلى آخر؛ ولكن العامل المشترك في هذا العلاج هو العلاج النفسي، ثم يكون العلاج موجها إلى السبب، فإذا ما كان بسبب نقص هرمونات فيعطى المريض ما يعوضه عن ذلك، وإذا كان بسبب التهاب أو احتقان البروستاتا فيتم العلاج بإزالة هذه الأسباب، كما أنه من المهم – بمكان – إعطاء الثقافة الجنسية المناسبة للشباب المقبل على الزواج.

وننصح الجميع بتجنب أي لقاء جنسي في حالة ما إذا كان المرء مجهدا جسمانيا، أو يعاني من قلق نفسي، وكذلك على من يعاني من هذه الأعراض استشارة الأطباء المختصين بدون خجل فذلك بداية الطريق السليم لعلاج ناجح وليس عن طريق الدجالين والمشعوذين.

العلاج الجراحي :

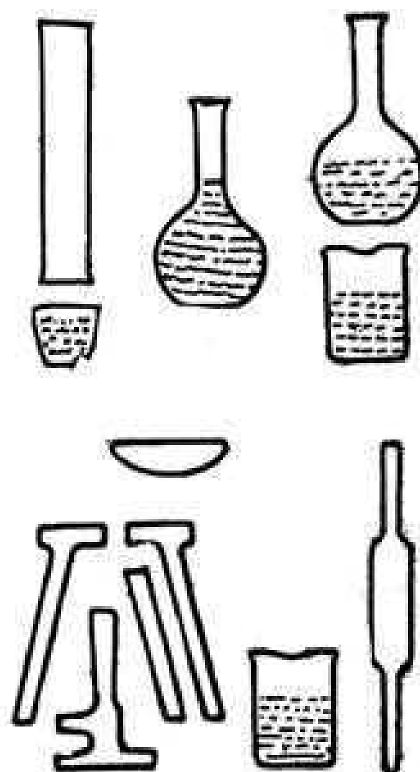
في معظم الحالات ينجح العلاج الطبي ولكن ثمة حالات يفشل معها العلاج ويحتاج المريض فيها إلى عملية جراحية بسيطة يتم فيها وضع جهاز خاص داخل العضو الذكري وتوجد أنواع مختلفة من هذه الأجهزة ومنها – وهو الأكثر انتشارا – جهاز عبارة عن أنبوبتين من مادة (السليكون) يتقبلها الجسم بسهولة ولا تسبب أي مضاعفات داخل الأنسجة ولا يرفضها الجسم البشري.

وتتم العملية تحت مخدر عام عن طريق فتحة جراحية صغيرة أعلى العضو التناسلي مما يُمكِّن الجراح من أن يعد مكانا لأنبوبتي السليكون داخل العضو الذكري ثم يتم إدخالهما بسهولة ليصبح العضو في حالة انتصاب ثم يقوم الجراح برتق الجرح، وبعد فترة النقاهة يكون المريض قادرا على ممارسة حياته الطبيعية، وكذلك فإنه في حالات العقم يكون قادرا على الإنجاب بإذن الله – تعالى –.

وَيَخلُقُ مَا لَا تَعلَمُونَ ...

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)



إطلاق القمر الصناعي

« إسترا ـ ٢ ١ » في نهاية العام :

تقوم شركة هيوز الدولية للاتصالات الفضائية ببناء القمر الصناعي « إسترا ـ ٢ ١ » للشركة الأوربية للأقمار الصناعية ، وهو القمر التاسع في سلسلة الأقمار التي أطلقت ، وسيتم إطلاقه في نهاية العام عند خط طول ٢٨,٢ درجة شرقا ، وهو مجهز بنظام الدفع بأيونات غاز الزينون ، وسوف يحمل (٢٨) جهازا للإرسال يعمل في نطاق التردد اللاسلكي « كيو » .

زيت الصويا لمرضى ضغط الدم والقلب

أعلن باحثون بالمعهد الدولي للزراعة في « نيجريا » أن استخدام زيت الصويا المستخرج من فول الصويا في الطهي يقلل من نسبة الكوليسترول في الدم ، بالاضافة إلى احتوائه على نسبة بروتين عالية تجعله غذاءا جيدا لمرضى ضغط الدم وأمراض القلب والبول السكري .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

جهاز للحماية من إشعاعات شاشات الأجهزة الالكترونية :

توصلت الإدارة الأوربية المسئولة عن حماية الإنسان من الاشعاعات الكهرومغناطيسية الناتجة عن شاشات الأجهزة الالكترونية إلى إنتاج جهاز على هيئة هوائى « إيريال » متطور يقوم بإصدار موجات مغناطيسية قوتها « ١٢ » هرتز فى تتابع مستمر ومنتظم تعمل على الحد من الأشعة الترددية الناتجة عن الشاشات والتى تؤثر سلبيا على صحة الإنسان ، ويبلغ طول الهوائى ١٧ سم ، ويزن حوالى ٢٥ جرام ، ولا يحتاج توصيله بأية أسلاك حيث يكفى وضعه رأسيا فوق مختلف أنواع الشاشات ليبدأ عمله .

جهاز آلى لتعبئة السوائل فى أكياس بلاستيك :

أنتجت شركة فرنسية جهازا آليا لتعبئة السوائل فى أكياس « بلاستيكية » خفيفة ، ولحامها فى نفس الوقت بواسطة التردد العالى لان الترددات العالية وذبذبات الطيف « الهرتزى » لها خاصية إثارة ذرات البلاستيك وتجميعها مما يسهل من عملية لحام الرقائق « البلاستيكية » والبلاستيك المستخدم فى الاكياس يتميز بتكلفته الاقتصادية المنخفضة وقوة التحمل للمنتجات الكيميائية والمنظفات التى توضع بداخله ، والجهاز يمكنه تعبئة ولحام أكثر من ٤٠ كيسا فى الدقيقة .

مفاتيح كهربائية جديدة للجهد المتوسط

قامت مجموعة شركات لتوزيع الكهرباء فى فرنسا بتطوير جهاز جديد يضم مجموعة من المفاتيح الكهربائية للجهد المتوسط ، وتعتمد فكرته على تطوير تكنولوجيا مفاتيح التحويل التقليدية المعزولة الهواء باستخدام دائرة قطع عازلة متكاملة ، فيجمع بين وظائف العزل ودوائر القطع فى نظام مفرد لتوفير عزل كامل ، وتتميز هذه المجموعة من المفاتيح بتوصيل الخط بين قضبان التوصيل ، ونهايات « الكابلات » مما يؤدى إلى خفض عدد الوصلات ودعائم العزل .

محرك صناعى لا يلوث البيئة :

أنتجت شركة بريطانية أول محرك صناعى لضخ الغاز الطبيعى لا يسبب أى تلوث للبيئة ، لأن غازات العادم التى تنبعث منه جافة ، وتحتوى على أقل مستوى من الأكاسيد النيتروجينية أى أقل من ٢٥ جزء فى المليون بالإضافة الى انخفاض مستوى أول « اكسيد الكربون » وهذا المحرك مشتق من محرك الطائرات .

جهاز لإرشاد السفن والسيارات

طورت شركة أمريكية جهازا لإرشاد السفن والسيارات يحمى السائق من أن يضل الطريق بسيارته ، كما يحمى السفن من الضياع فى عرض البحار والمحيطات ، والجهاز يستخدم قاعدة إرشادية لتحديد موقع السيارة أو السفينة ، ثم يرجع إلى الخرائط المخزنة رقميا به بواسطة الحاسب الآلى لتحديد المسار السليم والوصول إلى الطريق الصحيح .

طابعة « كمبيوتر » جديدة

طرحت شركة أوربية للأجهزة الالكترونية طابعة « كمبيوتر » جديدة لطبع التذاكر والكروت الحرارية ذات تكنولوجيا عالية وصغيرة الحجم وهى تصلح لطبع الكروت الخاصة بالوزن والطول وكروت الهوية للمرضى وتذاكر المواصلات ، كما أنها مفيدة فى أماكن التخزين وانتظار السيارات ، وتتميز الطابعة بسهولة حملها ونقلها من مكان لآخر ، وطبع التذاكر بسرعة جدا وبجودة عالية .

اكتشاف فيروس سرطان الدم

توصل باحث كندى الى اكتشاف طريقة جديدة لعلاج سرطان الدم بعد عشر سنوات من الأبحاث المستمرة ، توصل خلالها إلى تحديد الفيروس الذى يتسبب فى التكاثر السريع للخلايا السرطانية ، ونجح فى التوصل إلى المادة التى تقضى عليه وتوقف عمله دون حدوث آثار جانبية للمريض .

سرير طبى لمرضى العمود الفقرى

أنتجت شركة أوربية سريرا لمرضى العمود الفقرى الذين يعانون من آلام فى الرقبة والظهر ، السرير طوله متر وعرضه نصف متر ، وله قاعدة خشبية ، عليه وسادتان من القماش تم تثبيتهما على عجلات بلاستيكية كبيرة ، وتتحرك الوسادتان بواسطة مقبض صغير على جانب السرير ، ويتحكم الطبيب بواسطة المقبض فى شد فقرات المريض الذى يتم ربطه بحزامين من جهة الصدر والفخذ ، ويعمل السرير يدويا وبدون طاقة كهربائية .

مورثات لعلاج مرض السكر وسيولة الدم :

نجح علماء من جامعة « ميتشجان » فى حقن خلايا جدران قلوب حيوانات المعامل بمورثات تنتج مادة كيميائية تساعد الوعاء الدموى على النمو بإنتاج خلايا دموية جديدة ، وأكد العلماء أن التجربة أدت إلى زيادة نمو الخلايا بنسبة تراوحت بين ٣٠ الى ٤٠٪ بالأوعية الدموية وأن حقن المورثات مباشرة فى خلايا العضلات الصقلية بالقلب يحول هذه الخلايا الى مصانع تقوم بإنتاج « الأنسولين » لمرضى السكر وبروتين تجلط الدم الذى يفتقد اليه مرض سيولة الدم وتستمر الخلايا فى إنتاج هذه البروتينات لمدة تصل الى ستة أشهر .



الفن والنقد والأدب

من تراث المحقق محمد أبي الفضل إبراهيم

مراتب النحويين

حينما كنت معنياً بتحقيق كتاب (إنباه الرواة على أنباه النحاة) ، للوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي كان من أكبر همي أن أرجع إلى الكتب التي استمد منها المؤلف ، مادة كتابه ، أو التي شاركته في موضوعه ، لتكون عونا على تحقيق الكتاب ، وتحرير نصوصه ، وإيضاح مبهمه ، وكشف غامضه ، ومقفل مسائله ، فكان مما وقع لي كتابان نادران ، لمؤلفين جليلين ، هما كتاب (طبقات النحويين واللغويين) لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ، وكتاب مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، فوجدت فيهما من جمال التصنيف ، وحسن الأداء ، وغزارة المادة ، ما رغب إلى أن أقوم بتحقيقهما ونشرهما ، وخاصة فإنهما يعدان من المصادر الأصيلة الأولى لمن ترجم لأعلام اللغة والنحو والأدب ، وعنهما نقل ياقوت والقفطي والصفدي والسيوطي وغيرهم .

والكتابان وإن كانا متفقين في الموضوع والغاية ، إلا أنهما يختلفان شريعة ومنهجا ، فكتاب الزبيدي بناه على الطبقات والمدارس ، وعنى فيه بذكر الموالد والوفيات . وحشاه بمختلف الأخبار والطرف والحكايات ، عن النحويين واللغويين ، في صدر الإسلام ، ثم من تلاهم ، إلى شيخه أبي عبدالله الرياحي الأندلسي المتوفى سنة ٣٥٨ .

وكتاب أبي الطيب أقامه على ذكر مراتب العلماء ، ومنازلهم من العلم ، وحظهم في الرواية . وعقد الصلة بين الشيوخ والتلاميذ ، منذ ظهور اللحن ووضع النحو ، ثم ظهور مدرستي البصرة والكوفة إلى أن انتهى العلم فيهما ثم انتقل إلى بغداد ، فهو يذكر أبا الأسود الدؤلي وتلاميذه ، وأبا عمرو ابن العلاء والخليل بن أحمد ومن أخذ عنهما ، وهكذا ، وسبيله فيما أورد السند والرواية .



ومؤلف كتاب مراتب النحويين هو : عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي ، ولد في عسكر مكرم ـ وهي بلدة مشهورة في نواحي « خوزستان » ، نشأ فيها كثير من الفضلاء والعلماء ، ومنها العسكريان : أبو أحمد صاحب كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، وأبو هلال صاحب كتابي الصناعتين وجمهرة الأمثال ، وإلى علمائها كانت تشد الرحال ، ويقصدون من شتى الجهات ـ ونشأ فيها ؛ وحذق النحو واللغة ؛ ثم رحل إلى بغداد ، فأخذ عن أساتذه وروى عن أثباتها ، وكان ممن روى عنهم محمد بن يحيى الصولي وأبوعمر الزاهد ، أخذ عنه « كتاب الفصيح »

لثعلب ، و « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، و « النوادر » لأبى عمرو الشيبانى وغيرها ، وفيها ألف بعض كتبه ، منها « كتاب الإتباع » الذى أعجب به البغداديون ، وتداولوه فيما بينهم .

وكانت مدينة حلب فى القرن الرابع من أزهر الحواضر الإسلامية ، وأحفلها بالعلماء والشعراء والأدباء ، وكان أميرها سيف الدولة من أعظم ملوك العرب شأناً ، وأعلاهم فى العلوم والآداب كعباً ، وأوسعهم فى المكرمات باعاً ، فاجتذب إلى حلب أعيان الأدب واللغة والشعر ، كالمتنبى والوأواء والنامى والرفاء وابن خالويه والفارابى وكشاجم ، فكان منهم أبو الطيب اللغوى ، وهناك ازدهر علمه ، وبان فضله ، وفيها أيضا قامت الخصومة بينه وبين ابن خالويه ، وذكت المنافسة ، ولكنه كان صاحب السبق والتقدم .

قال ابن القارح : « حدثنى أبو علىّ الصقلىّ بدمشق قال : كنت فى مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزانته ، وأخرج منها كتب اللغة وفرّقها على أصحابه يفتّشونها ليُجيب عنها ، وتركته وذهبت إلى أبى الطيب اللغوىّ وهو جالس ، وقد وردت عليه المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة ، فأجاب به ولم يغيّره ، قدرة على الجواب[1] .

وقد ذكر أبو العلاء المعرى[2] أنه كان يتعاطى شيئاً من النظم ، وله شىء منه فى كتاب المراتب ، ولكنه نظم ضعيف .

وظل فى حلب إلى أن كانت ليلة الثلاثاء لثمان بقين من ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة دخل « الدمستق » حلب ، وأخذ منها خلقاً من النساء والأطفال ، وقتل معظم الرجال ولم يسلم منه إلا من اعتصم بالقلعة من العلويين والهاشميين والكتاب وأرباب الأموال[3] . فكان أبو الطيب فيمن قتل مع أبيه فى تلك المحنة ، ولعلها هى التى ذهبت بمعظم آثاره وأخباره .

* * *

وكما ضاعت معظم أخباره ، ضاع كثير من مؤلفاته أيضاً ، قال أبو العلاء : « ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته ، لأن الروم قتلوه وأباه فى فتح حلب » . إلا أن الزمان قد أبقى منها ما يأتى :

١ ــ كتاب شجر الدر ، سلك فيه مسلك شيخه أبى عمر الزاهد فى كتاب المداخل ، ومنه نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرية ومكتبة الأزهر[4] .

٢ ــ كتاب الفرق ، ذكره المعرى فى رسالة الغفران ، وقال : « قد أكثر فيه وأسهب » ، وعنه

---

(١) رسالة ابن القارح ٢٨ (٢) رسالة الغفران ٥١٢ (٣) زبدة الحلب : ١ : ١٣٧

(٤) كان يقوم بتحقيقه الأستاذ محمد عبد الجواد .

نقل السيوطي في المزهر[٥] .

٣ ـ كتاب الإتباع ؛ قال أبو العلاء : « وله كتاب في الإتباع صغير على حروف المعجم ، وفي أيدي البغداديين » وذكره السيوطي في بغية الوعاة .

٤ ـ كتاب الإبدال ؛ ذكره السيوطي والصفدي في الوافي بالوفيات ؛ وقال أبو العلاء : « قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب في القلب » .

٥ ـ كتاب الأضداد ؛ ذكره المرتضى الزبيدي في مقدمة تاج العروس .

٦ ـ المثنى ؛ ذكره الأستاذ عز الدين التنوخي في مقاله[٦] ، وقال : « ومما أغفلوه من مصنفاته كتاب المثنى ، وهو عندي ولله الحمد ؛ لطيف يشتمل على نوعين : الإتباع والتغليب ... ولا أدري : أكتاب الإتباع مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثنى » .

٧ ـ كتاب مراتب النحويين .

* * *

وأصل هذا الكتاب نسخة نادرة في دار الكتب المصرية برقم ١٤٢٥ تاريخ تيمور ؛ تقع في ١٦٤ صفحة ؛ كتبها عيسى بن أبي بكر بن محمد الحميدي ؛ ثم قوبلت على أصل صحيح ، عليه حواش لابن نوبخت ، وفي آخرها خط الشيخ محمد بن المخلطة المالكي وتاريخه ٨٦١ ، وخط الشيخ محمد عبد العزيز الشافعي . وقد سقط من هذه النسخة ورقة بعد ص ١٥٨ .

وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب على تلك النسخة ، وقابلتها بما نقله السيوطي عنه في المزهر ؛ وأكملت الناقص منه ؛ وأثبت فروق النسخ التي وردت في الحواشي ، ووضعت أرقام الصفحات على الجانبين ؛ كما رقمها العلامة أحمد تيمور ، ووضعت له عنوانات ميزتها بعلامات الزيادة وألحقت به الفهارس المفصلة .

هذا الكتاب على صغر حجمه ، وقلة أوراقه ، نادر في فنه بالغ الإفادة في موضوعه ، لم يكد يخرج من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات للمرة الأولى ، حتى تلقاه العلماء والباحثون ببشاشة واطمئنان ، وتناولوه قراءة وبحثاً ، في قبول وارتياح ؛ وذلك لما اشتمل عليه من مادة أصيلة ، وحقائق تاريخية ، ونصوص نادرة ، حول النحويين واللغويين ورواة اللغة والشعر ، منذ ظهور الإسلام في القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع ؛ في الكوفة والبصرة وبغداد ومكة والمدينة ، أشهر عواصم اللغة والأدب في هذا العصر ، وهي الحقبة التي وضعت فيها أصول النحو وجمعت اللغة ، وصنعت المعاجم ، ودون الشعر ، وحول ذلك يتجه اهتمام الباحثين ومؤرخي الآداب العربية .

وأسأل الله أن يعم نفعه ، ويوفق من أعان على إخراجه وإعادة طبعه ، وأن يجزيه من الله خير الجزاء .

والله الهادي إلى أقوم طريق .

---

(٥) المزهر جـ ١ : ٤٥٤ وما بعدها (طبعة عيسى الحلبي) .

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي الجزء الثاني ، المجلد التاسع والعشرون .

العربية الفصحى في وسائل الإعلام والتثقيف

مدخل للتنمية العربية الشاملة

للأستاذ الدكتور عبد الغنى عبود (*)

لم تعد مسألة التنمية فى هذا الزمان ـ كما يتوهم البعض ـ مسألة علم و« تكنولوجيا» وتصنيع وتقدم مادى فقط، إذا ما أدركنا أن الإنسان هو مبدأ عملية التنمية ومنتهاها، وأنه غايتها ووسيلتها فى نفس الوقت.

ولأن الإنسان هو موضوع التنمية، فإنه يصعب التفكير فيها بمعزل عنه، وعن تكوينه وطبيعته، وعن حركة حياته وإمكاناته، فى الزمان والمكان جميعا، وهو مايمكن أن نقرأه ـ بوضوح ـ فى تجربة الإنسان التاريخية على الأرض، منذ كان الإنسان، كما يمكن أن نقرأه فى حياة بعض المجتمعات المعاصرة، التى استطاعت أن تتقدم، وتحقق مستويات من التنمية لافتة للنظر.

تابع العربية الفصحى فى وسائل الاعلام

لقد أثبتت تجربة الإنسان على الأرض ـ فى القديم والحديث على السواء ـ أنه مااستطاع أن يحقق تنمية فى جانب واحد فقط من جوانب حياته، وإن بدت ـ لبعض قصار النظر ـ كذلك، وإنما كانت التنمية تحدث فى جوانب الحياة المختلفة ـ ولاتزال، وكان نجاحها يتوقف ـ ولايزال ـ على مدى مابين جوانب الحياة تلك من تنسيق فى خططها، يقود إلى تناسق فى خطوطها، يقود إلى ماسماه العلامة العربى عبدالرحمن بن خلدون (بالعمران البشرى)، الذى نراه ـ عنده ـ (روحا) تسرى فى كل جوانب الحياة فى المجتمع، الذى استطاع توليد هذا (العمران)، سواء فى ذلك المنشآت والمبانى والمصانع والمزارع، والنظم والتنظيمات، والقوانين والتشريعات، والأعراف والعادات والتقاليد، وما يعبر عن ذلك كله من فنون وآداب، على اختلاف ألوانها.

إن كل جانب من هذه الجوانب، إنما هو أداة من أدوات التعبير عن هذا العمران البشرى الخلدونى، وإن كان المدخل إلى هذا العمران، أو إلى التنمية، لايمكن ـ عمليا ـ أن يكون إلا من

(*) الكاتب أستاذ التربية المقارنة والإدارة التعليمية ـ جامعة عين شمس، كلية التربية.

واحد منها، لينتقل ـ منه ـ إلى سائر الجوانب، وإلا تعطلت مسيرة التنمية .

وفى كل الحالات ، فإن التنمية لايمكن أن تعنى (نسف) البناء الثقافى للأمة، ليقام على (أشلائه) بناء جديد، لأن مثل هذا الفهم لايمكن أن يؤدى إلا إلى تقويض دعائم الأمة، والمفروض فى التنمية أن تكون (دعما) لهذا البناء، لا تقويضا له، أو أن تكون (توسعة) للعُمران الخلدونى، لاتخريبا له .

إن هذا هو الدرس الأكبر الذى نخرج به من تجارب التنمية المعاصرة، حيث لا نجد تجربة منها نجحت إلا كانت قد اتبعت هذا النهج الخلدونى، فحافظت على مقومات ثقافتها، مثلما نجد تجارب أخرى كثيرة حاولت (الانفلات) من ثقافتها الأصيلة، بحجة أن هذه الثقافة هى التى تعوق (انطلاقتها) التنموية، فإذا بهذا(الانفلات) ذاته يتحول إلى عقبة كأداة فى طريق نموها، على نحو مانرى فى تجارب كثيرة من بلاد العالم الثالث، ونحن من بينها بطبيعة الحال، بل إن التجربة المصرية تعتبر ـ من بينها ـ التجربة الأكثر دلالة على صدق هذا الذى نذهب إليه .

ويجد (العمران البشرى) بالنسبة لأية أمة، وسائل عدة للتعبير عنه، أقدمها ـ على الاطلاق ـ الفنون التى نراها منقوشة على جدران المعابد هنا وهناك، مما يدل على أن الإنسان بدأ رحلته الحضارية (فنانا)، يهيم بعناصر الطبيعة من حوله، حتى لقد اتخذ من بعضها آلهة له .

لقد كان تعبير الإنسان عن ذاته، فى تفاعلها مع عناصر الطبيعة المحيطة به، وانفعاله بها، بداية تفرده، وبداية إبداعه، وبداية إحساسه بالحياة، جميعا، مما فجر فى نفسه الطاقات الكامنة، ذات طعم هنا يختلف عن طعمها هناك، بسبب اختلاف طعم العمران هنا عنه هناك .

ومن خصوصية المكان، وخصوصية الثقافة التى تمت صياغتها من خلال انفعال الإنسان بعناصر الطبيعة المختلفة التى يكتنفها هذا المكان، وخصوصية العمران البشرى بالتالى، وخصوصية وسائل التعبير عن هذا العمران ـ كانت الحضارة الإنسانية الأولى، كما تحدثنا كتب التاريخ .

وقد كان تمكن الإنسان من استخدام اللغة أداة للتعبير عن أفكاره، هو بداية ولوجه عصر العلم، وذلك لأن استخدام اللغة واتقان مهاراتها، يعنى قدرة الإنسان على أن يتفاهم مع غيره وعلى أن ينظم أفكاره، وعلى أن ينمى هذه الأفكار، فيستطيع قراءة لغة الحياة من حوله، ويستطيع فهمها واستيعابها، مما يعد بدايات العلم .

وتربط الكتابات التاريخية التى تعالج (قصة الحضارة) بين تمكن الإنسان فى بيئة معينة (كبيئة مصر القديمة ـ الصين ـ اليابان) من مهارات لغته، وبين قدرته على فهم عناصر الطبيعة من حوله، ومن ثَمَّ تسخيرها لخدمته، مما يعنى أن هذا الإتقان للغة ومهاراتها، هو المدخل الأساسى للتقدم، إن لم يكن مدخله الوحيد .

وإذا كان هذا هو شأن اللغة فى البدايات، فإنه لايزال شأنها حتى اليوم، فما قامت ـ فى العصور الحديثة فى الغرب ـ نهضة إلا على أكتاف لغة قومية، يعتز بها المتحدثون بها، ويعملون على زرعها فى قلب حياتهم، لتكون صادقة فى التعبير عن الحياة، حتى يكونوا أقدر على فهمها، وعلى الانفعال مع عناصرها ، ليكونوا أقدر على الدفاع عنها، وحمايتها، وتطويرها جميعا .

ولأن اللغة القومية التى يعبر بها الناس فى كل مجتمع عن أنفسهم، هى رمز وجودهم، وهى التعبير عنه أيضا، فقد رأينا اللغة تدخل فى خضم الصراع الشرس، الدائر بين الأمم والشعوب، فى (معركة الحياة) التى كُتب على الأمم أن تعيشها منذ أقدم العصور، وكان دخول اللغة حلبة الصراع تلك واضحا فى بلاد أوربا المختلفة بعد عصر الإصلاح الدينى، على النحو الذى لا نزال نراه ـ حتى اليوم ـ فى قلب أوربا ـ بين اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، على سبيل المثال .

ونسمع ـ فى هذا الزمان ـ عن لغات سيِّدة، تتقدمها ـ فى السيادة ـ اللغة الإنجليزية، لغة سيِّدة النظام العالمى الجديد بطبيعة الحال، مما يثير حفيظة لغات بينها وبين اللغة الإنجليزية صراع طويل، وتنكمش ـ فى حلبة صراع العمالقة تلك ـ لغات كان لها فى تاريخ الإنسانية ـ وفى تاريخ الحضارة ـ شأن ومكان، كاللغة العربية، لغة القرآن الكريم .

وفى الوقت الذى يبعث فيه المغضوب عليه عليهم عبريتهم من مرقدها فى مقبرة التاريخ، موهومين بأنها لغة دين وعلم وحضارة وحياة، نجد أهل العربية يشيِّعون لغتهم إلى مثواها الأخير، أملا فى التقدم، ناسين أن تقدمهم رهن بحرصهم عليها، وتشبثهم بها، وذودهم عن حياضها، التى هى حياض القرآن الكريم، الذى وعد الله بحفظه، وتحفظ من يحفظه، وبحفظ اللغة التى نزل بها بالتالى ـ ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وتقوم وسائل الإعلام والتثقيف ـ فى عالمنا المعاصر ـ بدور كبير فى الإعلاء من شأن لغة ما فى مسألة التعبير، مثلما تقوم بنفس الدور فى الإحطاط من شأن لغة أخرى، من خلال ماتقدمه من أعمال متنوعة، وجذابة، وقادرة على النفاذ ـ بالتالى ـ إلى قلوب الصغار والكبار جميعا، تتنوع بين مسرحيات وتمثيليات ومسلسلات « وكرتون » ونشرات أخبار وبرامج، علمية وفنية وأدبية ـ ناهيك عن الإعلانات، التى تأسر الجميع، صغيرا وكبيرا على السواء .

ولو أتيح لانسان أن يشاهد مثل هذه الأعمال المتنوعة، فى وسائل إعلام وتثقيف تنتمى لثقافات ـ ومجتمعات ـ مختلفة، فإنه لابد أن يلفت نظره درجة الهوان الذى تتعرض لها لغة القرآن الكريم على ألسنة المتحدثين بها فى هذه الوسائل، وهو هوان يتجاوز الجهل بقواعدها وتشكيل بنى كلماتها، إلى حد السخرية منها ومن المتحدثين بها، بصور مختلفة، تزرع فى الضمير العام إحساسا (بالدونية) وتدفع دفعا نحو التحدث بغيرها، وخاصة اللهجة العامية، بمستويات هبوطها ـ أو تدنيها ـ المختلفة .

وقد كانت هذه الصورة المستفزة التى يحرص بعض أهل الإعلام والتثقيف على أن يعرضوا عليها لغتنا العربية ـ لغة أهل الجنة ـ فيما يقدمونه من أعمال متنوعة، لايجمع بينها شىء أكثر من الهبوط والإسفاف ـ نجد بعضهم يستثيره مايرى ويسمع، فينهض لحمل العبء، والذود عن كرامة لغته الجريحة، من خلال عمل ينطق بها، يفرض على من يشاهده احترامه، ويفضح المتخاذلين والذين فى قلوبهم مرض، من المدعين بعجز اللغة العربية الفصحى عن أن تكون لغة تعبير عن هذه الفنون القديمة الحديثة معاً ليبدو بوضوح وجلاء ـ أن الكارثة مصدرها شلل أصاب عقول المتخاذلين وهممهم، وليس شللا أصاب لغة أهل الجنة، التى

ابتليت – فى آخر الزمان – بأن يكونوا من الناطقين بها .

ويلفت النظر – فى هذا المجال – أن قطرات الغـيـث الأولى أتت – أول ماأتت – من الإذاعات العربية المبثوثة من قلب بيئات غربية، ربما لأن أهل كل إذاعة منها وجدوا أنفسهم أمام لهجات عربية عامية شتى، فكانت اللغة الفصحى هى المخرج لهم من هذا المأزق، وربما لأن العاملين عليها من أصول عربية مختلفة، بحيث يكون التفاهم بالفصحى هو الأقدر على تحقيق تآلفهم، وربما لأن الغربة عن الأوطان مما يحرك الأصول فى نفوس المغتربين، واللغة واحدة من هذه الأصول التى يرى فيها المرء ذاته، إن لم يكن أهمها جميعا .

وسواء كان بدء قدوم القطرات من إذاعات الغرب، لهذا السبب أو لذاك، أو لهذه الأسباب جميعا، فإن إذاعة عربية كإذاعة « هيئة الاذاعة البريطانية » فى لندن، أو كإذاعـــة « مونت كارلو » ، لَيمْا يكتسب كُلّ يوم آذانا – وعقولا وقلوبا – عربية جديدة، برغم اللغة العربية الفصحى التى تتعامل بها طوال اليوم، وربما بسبب هذه اللغة العربية الفصحى، والتفنن فى التعامل بها ومعها من خلالها، حتى صارت الإذاعات الناطقة بالعربية، فى البيئات العربية، غريبة فى بلادها ذاتها، على آذان من تبث هذه الإذاعات لهم .

ولايزاحم هذه القطرات القادمة من الغرب سوى قطرات شامية، تتجاوز الأذاعة المسموعة إلى الاذاعة المرئية ومايلزمها من أعمال وبرامج، أثبت أهل الشام – فيها – قدرة غير مسبوقة على الساحة العربية، لاقتحام أسواق الخليج، بعد أن كانت ساحة هذه الأسواق حكرا على الإنتاج المصرى، من الأفلام ومن التمثيليات والمسلسلات التليفزيونية جميعا .

ويبدو أن أهل الشام – بالحس التجارى – عرفوا أن التجارة مع العربية الفصحى هى تجارة المستقبل الرائجة، فى الخليج العربى، فى عصر النفط بعد حرب ١٩٧٣، إذا هم أرادوا أن يجدوا لبضاعتهم الفنية مكانها فى سوقه الواعد، بجانب البضاعة المصرية، التى تعودت آذان أهل الخليج على لغتها العامية، وصار من الصعب على أية عامية عربية غيرها أن تزاحمها، فكان اتجاه أهل لبنان خاصة صوب اللغة العربية الفصحى، ربما بعد أن فشلوا فى أن يوجدوا لعاميتهم اللبنانية مكانا هناك، رغم حلاوة هذه العامية اللبنانية وطلاوتها .

وهكذا تكاثفت قطرات من هنا – من الشام، ومن لبنان خاصة – مع قطرات من هناك – من « لندن » و « مونت كارلو » خاصة، إضافة إلى « صوت أمريكا » – لتظهر اللغة العربية، لغة شاعرة، قادرة على التعبير عن الأعمال الفنية، الثقيلة منها والخفيفة، والجادة منها والهازلة، مما لم تألفه منها فى كتبنا القديمة، مما يدل على إمكانات تلك اللغة الشاعرة وقدراتها، لو أننا وقفنا على هذه الإمكانات، من خلال نظام تعليمى يحترم هوية الأمة، ويحترم لغة تعبير أهلها عن أنفسهم، مثلما ترى نظام أهل الشام يفعل، فكان من إفرازاته مانراه وما نسمعه حتى صار لأهل الشام الريادة والسبق فى هذا المضمار بلا منازع، مما لابد أن نغبطهم عليه .

لقد كان لمصر – فى المنطقة العربية – عبر تاريخ هذه المنطقة – سبقها وريادتها جميعا، ولو أنها

استغلت ما أنتجته من أعمال فنية وأدبية طوال القرن الماضي لصالح قضية العربية تلك، لكان لها اليوم شأن آخر، ولكان لها ماهو من تبعات أهل القيادة والريادة من سبق، في مجال الصناعة والتجارة والاقتصاد جميعا .

إن أطفالنا يقضون عاما أو بعض عام في الخليج مع ذويهم، ليعودوا إلينا حاملين اللغة الفصحى التي حفظوها من البرامج والمسلسلات والأعمال الفنية التي استمتعوا بمشاهدتها هناك، ولو أننا قدمنا لأطفالنا في مصر أعمالا على نفس المستوى لجذبناهم إلينا، ولسهلنا عليهم عمليات التعلم بها وتعليمها في مدارسنا، ولتجنبنا الفشل التعليمي الذي يلاحق أبناءنا في المدارس، ولخفت أعباء مدارسنا وأوجاعها كثيرا، ولخفت أعباؤنا وأوجاعنا نحن كذلك، فكثير من أوجاعنا – نحن الكبار – إنما مصدرها أبناؤنا، ومشكلات تعليمهم .

ويبدو أن قطاع الإنتاج في اتحاد الإذاعة والتليفزيون في مصر قد فكر في القضية، ولو من باب المنافسة التجارية، فأنتج – في السنوات الأخيرة – عددا من الأعمال الجادة، باللغة العربية الفصحى، استطاع – بها – اقتحام السوق المصرية والعربية ،بجرأة واقتدار ، أعادت – بهما – إلى مصرنا – وجهها الحضاري والقيادي والريادي المشرف ،الذي كان لها دوما ،لولا الهجمة الشرسة للعامية السوقية على فنونها مؤخرا، حتى كادت تأتي على هذه الفنون، وعلى قيادة مصر وريادتها جميعا .

وإذا كان جهد إتحاد الإذاعة والتليفزيون في مصر يمكن اعتباره جهدا مؤسسيا، اكتسب إمكاناته وقدرته على الفعل من المؤسسة ذاتها، فإننا يجب ألا ننسى أن المؤسسات إنما يقوم عليها أفراد، وأن الأعمال الفنية والإذاعية والتليفزيونية بالذات إنما هي جهد جيش من الأفراد، يستطيع المشاهد أن يرى مابين أفراده من تناسق وتناغم وتعاون، من خلال العمل ذاته، مما يدل على أن المؤسسة إنما تعكس نبض الوسط كله، يؤكد ذلك أن توجهها هذا قد سبقته برامج جيدة، أصرت على العربية الفصحى لغة تعبير لها، فكانت الفصحى عونا لها على النفاذ والتأثير وسعة الانتشار جميعا .

ولا يبادَرَنَّ إلى الذهن أن هذا الجهد الفردي وقف – ويقف – عند حد أولئك الذين يقدمون برامج دينية، وإنما هو يتعداهم إلى بعض من معدي البرامج غير الدينية ومقدميها جميعا، وفي مقدمتهم معدوا البرامج العلمية ومقدموها .

وإذا كانت اللغة العامية – بمستويات هبوطها وإسفافها المختلفة – قد قادتنا إلى مانعيشه الآن من إسفاف وهبوط، – نسأل الله – أن يقيل عثرتنا منه، فإن ماننهمر من قطرات الغيث، التي أخذت تتكاثر، لمما يبشر بالخير إن شاء الله، لأنه يدل على أن عقل الأمة قد بدأ يصحو بعد طول نعاس، وعلى أن ساعات الظلام توشك أن تنجلي عن فجر.

نسأل الله – سبحانه – أن يكون الفجر الصادق .

إن صلاح اللغة يقود إلى صلاح العقل، وصلاح العقل يقود إلى صلاح التفكير، وصلاح التفكير يقود إلى صلاح الحياة، وصلاح الحياة يقود إلى تنمية هذه الحياة، فتكون حياة تستحق أن تعاش .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

طبقات المحققين والمصححين

من المحققين الأعلام ١٣



الأستاذ الدكتور/ عبد الغني محمد عبد الخالق

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

لا يزال المضمار مفسوحاً ، والحلبة واسعة ، والمجال مبسوطاً لفرسان العلم والتحقيق الذين حازوا قصب السبق في المضمار ؛ فكان فضلهم مشهوداً ، وبذلهم مذكوراً ، وقوارط أعمالهم باقية حتى الأبد الأبيد .

وتأخذني الحيرة الشديدة عندما أجتهد في البحث عن سمات وفروق جوهرية للتمايز بين هؤلاء الأعلام المبرزين المرموقين ؛ إذ أن هناك قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً ، وهذا القاسم المشترك ينتظم مساحة عريضة واسعة من الخلال والسمات والسجايا المحمودة والمآثر والمناقب الممدوحة ، مما يجعل هذه الوجوه المتعددة وكأنها مصبوبة في قالب واحد تقريباً ما خلا قليلاً محصوراً، ونزراً محدوداً من الفروق الفردية .

وهذا مما يضاعف من المسئولية وشرف



الالتزام .

ثم إن كتب الطبقات أو تراجم الأعلام على اختلاف نوعياتها ودرجاتها ومراكز مصنفيها ـ نرى أكثرها يعمد إلى حصر الترجمة في بضعة أسطر ، أو صفحة أو صفحتين على الأكثر ، ما عدا الكتب الموسوعية الضخمة التي تعني بالبسط والتفصيل والإطناب والإيغال والاستقصاء .

* * *

لكن الأمر بالنسبة لأعلام المحققين ـ في اعتقادنا ـ يحتم علينا مسئولية مضاعفة ، وذلك لخطورة أدوارهم إذ أنهم حلقة الوصل التي ربطت الماضي بالحاضر ، كما ربطت الحاضر بالمستقبل ، فأخرجت مخبوءات الكنوز المطمورة المتروكة وقد علاها غبار الزمان ـ إلى النور فكان لها من الفضل والمنزلة ما يعيا به الباحث ، ويشعر معه بالتقصير مهما قدم وبذل وأعطى .

فالمساحة العريضة من السمات والطبائع المشتركة بين هؤلاء جميعاً تتمثل جلية في التماثل والتشابه في النشأة واستظهار القرآن الكريم وحفظه مع باكورة الصبا ، ثم الاختلاف إلى الأزهر أو الجامعة والاجتهاد في سبيل تحصيل العلم ، والتجرد لذلك ، وشحذ الهمة ، والتشمير والاستعداد لموجبات هذا التحصيل رغم الصعوبات والمشكلات التي كثيراً ما تعترض الحياة ، لكن التحلي بالصبر والجلد والمثابرة مع سلامة الصدر ، وشرف الغاية ، وكريم المقصد ، هذا كله في إطار الأخلاق العالية ، والشيم المرضية ، وطول البال وبعد الأناة ، والإصرار على بلوغ المأمول .

ولئن اختلفت المواطن ، والظروف ومجال النشوء إلا أن الفطرة والسجية مصبوبة في هذا القالب المتميز الأبعاد من المثالية .

* * *

من أولئك الأعلام العاملين ، من هذه الصفوة المختارة ذلكم العبقري العملاق فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغني محمد عبد الخالق حسن مصطفى ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ الموسوعي البحاثة العلامة الفهامة .

وهو المكنى بأبي الكمال ، نسبة إلى ابنه الأكبر الدكتور محمد كمال الدين الأستاذ بجامعة الأزهر ، وأحياناً بأبي الحسن ، وهو اسم ابنه الأستاذ حسن .

ولد شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم السابع عشر من شهر مارس ، سنة ثمان وتسعمائة وألف للميلاد في مدينة القاهرة المحروسة بلطف الله ـ تعالى ـ المأنوسة بأهل العلم والشريعة .

وتحدر هذا النابغة من أصلاب علماء أكابر ؛ فإن أباه كان شيخاً أزهرياً من كبار العلماء وكذلك كان جده لأمه أيضاً ، وكان كلاهما (أبوه وجده لأمه رحمهما الله تعالى) مثلما كان هو بعد ذلك خطيباً وإماماً وشيخاً لجامع السيدة نفيسة المعروف بالقاهرة ، وقيل : إنهم توارثوا مشيخته منذ العصر العباسي الثاني .

وكانت الأسرة بطبيعة الحال تقطن بجوار هذا المسجد النفيسي ، مما كان يمثل تراثاً تاريخياً وذخيرة روحية لها أهميتها .

بالبحث والاستقصاء والتحري ثبت للأسرة أن لها نصيباً من النسب الشريف ، إذ أن والده

رحمه الله - تعالى - كان موصولاً من جهة أبيه بالأشراف منسوباً إلى الدوحة النبوية والشجرة الندية .

أما نسبه من قبل أمه - رحمها الله - فقد كان موصول العروة بالصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - .

كان للشيخ محمد عبد الخالق (والد صاحبنا) ثلاثة أبناء الأكبر الشيخ مصطفى عبد الخالق ، وكان متخصصاً فى أصول الفقه وقارئاً موسوعياً فى علوم البلاغة والأدب والمنطق والشعر ، وعمل أستاذاً بكلية الشريعة بالأزهر فى القاهرة .

أما الشقيق الأصغر فهو الشيخ أحمد محمد عبد الخالق شيخ المسجد النفيسى بعد أبيه سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف .

* * *

رحلة الشـــيخ العلميـــة

حفظ الشيخ عبد الغنى محمد عبد الخالق القرآن واستظهره صبياً ، ثم التحق بالمعهد الأزهرى بالقاهرة ، ثم بعد حصوله على الثانوية الأزهرية التحق بكلية الشريعة ، وهى إحدى كليات الجامع الأزهر الثلاث - وقتذاك - .

أبدى تفوقاً ملحوظاً وذكاءً نادراً ، وشغفاً وولوعاً بالعلم والتحصيل حيث كان متقدماً على أترابه إذ حصل على الإجازة العالية (الليسانس) فى العلوم الشرعية ، سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد ، ثم التحق بعد ذلك بقسم تخصص المادة فحصل على درجة العالمية (الدكتوراه) فى مادة أصول الفقه ، برسالة موضوعها « حجية السنة » وكان ذلك سنة أربعين وتسعمائة وألف .

ولم يكن نشاط الشيخ العلمى والثقافى موقوفاً على العلوم الشرعية ، مصروفاً إليها وحدها ، ولكن كان موزعاً مولعاً منهوماً بالاستزادة والتبحر فى علوم المعانى والبيان والبديع (علوم البلاغة الثلاثة المعروفة) فهو يعمد أيضاً إلى حفظ أكثر المتون ، ودواوين الشعراء القدامى والمحدثين ، بل إن المقامات الأدبية واللغوية كانت غايته وبغيته فتوفر على أكثرها حفظاً واستظهاراً .

حفظ رسائل ومقامات بديع الزمان الهمذانى ، والوزير الأديب الشاعر الصاحب بن عباد ، والخوارزمى والزمخشرى وغيرهم وغيرهم .

ولعل أشعر الشعراء عنده ، أقربهم منه وأحظاهم لديه شاعر العربية أبو تمام ، وربما كانت هذه المكانة لأبى تمام عند الشيخ بسبب ولوعه بالبديع الذى لا يكاد يخلو منه بيت من ديوانه .

وبهذه المناسبة قال أبو العلاء المعرى شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء فى نقده للشعر والشعراء: المتنبى وأبو تمام: حكيمان ، والشاعر هو البحترى ... وقد كان هذا الرأى محلاً لنزاع طويل بين الأدباء والنقاد ، لكن شيخنا الجليل كان مصراً على أن أبا تمام هو شاعر العربية المجيد ، فربما كان السبب فى ذلك هو ما أشرنا إليه آنفاً .

كان الشيخ عبد الغنى عبد الخالق يحفظ الكثير والكثير من أشعار العرب سواء فى ذلك الجاهليين أو المخضرمين أو الإسلاميين أو حتى المحدثين المجيدين .

وكانت ذاكرته تعى وتستحضر فى كل وقت وفى أية مناسبة أشعار كعب بن زهير ، ولبيد ، والحارث بن حلزة اليشكرى وطرفة بن العبد ، وعنترة بن شداد العبسى وغيرهم .

لذلك فلا غرو إذا كان هذا الشيخ الجليل موسوعي الثقافة واسع المعرفة ، عميق الإحاطة ... وربما كان السر في هذه الموسوعية معزواً لثلاثة أشياء :

الأول : الطبيعة الموروثة في دخيلته من إقبال على العلم والثقافة ، حيث تحدر من سلالة منذورة وموهوبة للعلم والأزهر المعمور الذي شرفه الله تعالى .

الثانية : سكناه وإقامته في حي منفوح بآلاء روحية حيث يتقاطر عليه ، وينثال إليه ، ويتدافع نحوه علماء الصوفية الكبار من أصدقاء وأحباب أبيه ومريديه ، وحباً في زيارة مقام السيدة نفيسة ـ رضوان الله تعالى عليها ـ .

كان البيت الكريم قبلة مقصودة ، ومنتجعاً علمياً مشهوداً يضوى إليه ، ويستظل بذراه المشايخ والعلماء وطلاب العلم من كل فج وسبيل ، وحلقات الدرس والوعظ والإرشاد والإفتاء متصلة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

الثالثة وجود مكتبة عامرة جامعة تحتوى في ثناياها وأطوائها وتجاليدها الأسفار والمراجع والمصادر النادرة في مختلف فنون العلم والمعرفة كالتفسير والحديث والفقه والأصول والأدب والتاريخ والاجتماع وعلم النفس وعلم المنطق والنحو والصرف والإعراب . كما كانت تحتوى على مجموعة فريدة نفيسة من أندر المخطوطات وأعجبها وأنفسها .

ولئن كانت هذه المكتبة موروثة من أبيه إلا أنه أضاف إليها الجم والجمع الغفير من نوادر الأمهات والمخطوطات التي لا توجد إلا فيها من كتب اللغة والأصول والفلسفة وغيرها ، وهذا ما جعلها مرتادة مقصودة من الدارسين .

* * *

عمل ـ رحمه الله ـ مدرساً فأستاذاً مساعداً ، فأستاذاً ثم رئيساً لقسم أصول الفقه بكلية الشريعة ، واستمر على عمله وأشرافه على رسائل الماجستير والدكتوراه على مدار اثنين وأربعين سنة من سنة أربعين وحتى قبيل وفاته تقريباً .

لم يكن مثل هذا العالم الجليل ليبخل على أحد من أبنائه وتلاميذه الباحثين والدارسين ، فهو بحلمه وعلمه ، مفتوح القلب والصدر ، وهو في كل أحواله وأوقاته لم يتوان ولم يقصر عن معاونة أو مساعدة أو مكاتفة لمن يقصده في شيء من ذلك .

هذه الأريحية ، وهذا الكرم والجود والسخاء لم يكن مصنوعاً ولا منحولاً ولا مشكوكاً فيه ، إنما كان سجية وفطرة مجبولاً عليها ، وهذه خلة العالم العامل المخلص لدينه وعقيدته .

أشرف عالمنا الكريم على زهاء خمسمائة رسالة علمية للماجستير والدكتوراه ... وكانت بهجته وغاية طموحاته إخراج وتحقيق عيون كتب التراث ، فعمد إلى عديد من الكتب التراثية ؛ فحققها وشرحها وضبطها ضبطاً علمياً دقيقاً فكان له من ذلك القدح المعلى ، والنصيب الأوفر ، والشقص الأتم .

وبديهياً أن يكون مثل هذا الشيخ الجليل عزوفاً عن الأضواء ، فقد استدبر الشهرة وأشاح عن الشهوة الإعلامية ، وطوى كشحه عن المظاهر الرنانة الطنانة ، مكتفياً بعمله البحثي والتعليمي والإشراف في صمت دءوب لا يعرف الملال ولا الكلال ولا السآمة .

كان زهد الشيخ وورعه وتقواه مضرباً للأمثال ومثاراً للدهشة والغرابة ، ولم يكن يقدر هذه الخلال إلا عارف فضله ، من تلاميذه وأحبائه ومريديه .

اختير - رحمه الله - عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، كذا عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

هذا فضلاً عن كونه عضواً بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

ثم أنعم الله - تعالى - عليه بأداء فريضة الحج سنة اثنين وسبعين وتسعمائة وألف .

وقد حصل على وسام الجمهورية للعلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى ، وذلك في مناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر ، وكان ذلك في السابع عشر من شهر مارس سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف .

وقد أعقب الشيخ الكريم سبعة أنجال : ثلاثة رجال وأربع بنات ، توفيت إحداهن في الرابعة من عمرها .

ابنه الأكبر هو الدكتور محمد كمال عبد الغني عبد الخالق ، الذي اشتهر باسم « كمال عبد الغني » وهو من الأزهريين لحماً ودماً من بني جلدته حتى النخاع على الرغم من إحاطته بالثقافة الغربية اللغوية وتوسعه في دراستها ، فهو متخرج في الأزهر بحصوله على الإجازة العالية منه (ليسانس) ثم الماجستير في الأدب والنقد ، من كلية اللغة العربية ، ثم عمد إلى الولايات المتحدة الأمريكية فحصل على الماجستير من « جامعة إنديانا » في علم اللغة المعاصر ، ثم حصل على « الدكتوراه » في علم اللغة العام المقارن من « جامعة تكساس » في « أوستن » ، حتى أصبح أستاذاً في اللغويات .

ومن عجب أنه بعد هذه الرحلة والسياحة في الثقافة والمجتمع الغربي ، إذا حادثته وناقشته في أمر من الأمور تلمس وتشعر لأول وهلة أنه المثقف العالم المسلم الغيور الحريص على دينه ووطنه وقوميته ولغته العربية وكأن حضارة الغرب الزائفة لم تحرك فيه ساكناً ، والكلام فيه نافلة من القول ، أو ضرباً من التسرية والتسلية والممازحة .

الابن الثاني : الكيميائي حسن عبد الغني محمد عبدالخالق ، وهو متخرج في كلية العلوم ، ويشتغل بالتدريس في وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية ، ثم تجرد وتفرغ الآن للطباعة والنشر .

النجل الثالث : هو المرحوم محمد مجد الدين عبد الغني عبد الخالق التحق بكليـة طب الأسنان ، وقد عوجل إلى رحمة ربه ورضوانه إثر حادث أليم في المملكة العربية السعودية .

أما الشقيقات الثلاثة فقد تخرجن في الجامعة في كليات مختلفة ، وتزوجن جميعهن .

* * *

مؤلفات الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق والكتب التي حققها وأخرجها ونشرها .

- كتاب « حجية السنة » وهو رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه « العالمية » من درجة أستاذ .

- تحقيق كتاب : أحكام القرآن للإمام الشيخ أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) جمعه الإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى النيسابورى ، صاحب السنن الكبرى (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) .

- تحقيق كتاب « آداب الشافعى ومناقبه » لأبى حاتم الرازى ، وقد زاد الشيخ عليه فوائد وملاحظات وتنبيهات جديرة بالملاحظة والتقدير .

- الطب النبوى للإمام ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) .

- تحقيق « منتهى الإرادات فى جمع المقنع » فى مجلدين كبيرين لتقى الدين محمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى المصرى المشهور بابن النجار

- مقدمة حررها لصحيح البخارى بعنوان : « الإمام البخارى وصحيحه » ، وقد نشرها مع الصحيح السيد عبد الشكور صاحب مكتبة النهضة بمكة المكرمة سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف .

- أصول الفقه لغير الحنفية بالمشاركة مع الأستاذ إبراهيم عبد الحميد - والأستاذ حسن وهدان سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة وألف الموافق سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف للميلاد .

- بحوث فى السنة المشرفة : نشرت فى مجلة « أضواء الشريعة » الصادرة عن كلية الشريعة بالرياض .

- الإجماع حقيقته وحجيته ، وهو بحث جامع لطلاب الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياضة .

وهناك غير هذه الكتب النفائس كثير من البحوث الفقهية المنشورة وغير المنشورة مثل « أحكام الرضاع » و « الكلام على حقيقة نكاح المتعة » و « مباحث أصولية فى الحكم والمحكوم عليه » .

ولا يزال أكثر هذه المباحث مخطوطاً ، والمأمول أن ينشر قريباً على أوسع نطاق .

رحم الله شيخنا الجليل وسلام عليه فى الخالدين .

التكريم الأدبي لحافظ إبراهيم عند الإنعام عليه بـ (البكوية)

تتمة

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

كان (حافظ إبراهيم) – برغم ضيق ذات يده ، ومركزه المتواضع – نسبيا – في دنيا الوظائف العامة ، وخاصة في مستهل حياته ، وعدم انتمائه أو احتمائه بحزب سياسي ما ، يشد أزره ، أو يوطد مركزه الاجتماعي ، وتصديه للاستعمار وأعوانه ، في ذلك الحين .. كان على الرغم من ذلك كله شديد الإحساس بمصريته ، وانتمائه العميق لشعبها وتاريخها ، وقوام وجودها بصفة عامة ..

ونستطيع أن نتبين ذلك بجلاء ووضوح ، في قوله . متهدجا ، في هوى مصر ، وطنه الحبيب ، وهي تعاني من وطأة ربقة الاحتلال البريطاني :

إني لأحمل في هواك صبابة ... يا مصر ، قد خرجت عن الأطواق
لهفي عليك .. متى أراك طليقة ... يحمي كريم حماك شعب راق

وقوله من قصيدة أخرى :

لعمرك ، ما أرقت لغير مصر ... ومالي دونها أمل يرام

وقوله بلسان مصر الخالدة بقصيدته (مصر تتحدث عن نفسها) :

وقف الخلق ينظرون جميعا ... كيف أبني قواعد المجد وحدي

وبناة الأهرام في سالف الدهر .. كفوني الكلام عند التحدي
أنا تاج العلاء في مفرق الشر ق ... ودراته فرائد عقدي



وحينما وقعت مأساة دنشواي ، انطلق مهتاجا ، يندد بمحاكمة ضحايا دنشواي الظالمة ، متحديا عناصر الاحتلال وأعوانه ، القابضين على أزمة الأمور في مصر :

ليت شعري ، أتلك ، محكمة التفتيش ، عادت ، أم عهد (نيرون) عادا ؟

ثم يلتفت بغضب عارم إلى موقف (المدعي العام) المصري ، بجرأة نادرة ، أثناء (المحاكمة) ، أو .. المهزلة ، فيستلي قائلا :

أيها المدعي العمومي مهلا بعض هذا ، فقد بلغت المرادا
قد ضمنا لك (القضاء) .. بمصر ! ؟ وضمنا لنجلك الإسعادا ؟ !
فإذا ما جلست للحكم ، فاذكر عهد (مصر) .. فقد شفيت الفؤادا !

ثم يقول أيضا :

لا جرى النيل في نواحيك يا مصـ ـر ، ولا جادك الحيا حيث جادا
أنت أنبت ذلك النبت يا مصـ ـر ، فأضحى عليك شوكا قتادا

ثم يقول ، مصرحاً مرة أخرى ، في مخاطبة المدعي العمومي ، بما سيسجله عليه التاريخ من مهانة وخزي وشنار :

أنت جلادنا ، فلا تنس أنا قد لبسنا ـ على يديك ـ الحدادا ..



هذه المواقف الوطنية الفذة الشامخة ، كانت ببال الشعراء المحتفين بحافظ سنة ١٩١٢ ، وأشار إليها (مطران) في قصيدته التي ألقاها في الحفل ، بقوله :

أيقضي برأي ؟ فهو أبيض صارم مضى في حواشي رائع الخطب أسودا
أيطعن في شين ؟ ، فإنك واجد دما وصريعا .. والرَّثادا المسدّدا

ويقول (طانيوس عبده) ، صاحب مجلة (الراوي) له أيضا :

سموت ، من قبل أن تسمو بك الرتب فلم يزدك علوا ذلك اللقب
فما انتجاعك لغوا مجد تطلبه وبيت شعرك بالشعرى له نسب

إلى أن يقول ـ وكأنه يندد أو يسخر من الذي منح حافظا لقب (البكوية) ـ :

لا يخلدون بألقاب منمقة وأنت أخلد منسوب إذا انتسبوا
لكنها خطرات من وساوسهم لا يوهب المجد إن المجد يكتسب

ثم يختتم أبيات قصيدته ، بقوله :

إنـــي أهنّـيك ـ لا بالثـوب تلبــه ... وقد توشّى[1] ، وأمسى وَشْيُهُ الــذهبُ

بل للقـريض ، وقـد أغليْتَ رُتْبَتَـه ... ما بيننا .. فعدت من دونـه الـرُتَب



ويقول عنه زميل كفاحه (عبدالحليم المصرى) ، ثورة نفسه :

.. وشاعـر لو رَمَـى ماءَ المحيـط بما ... فى نفسه .. ردّه بحرا من اللـــــهب

ثم يخاطب (حافظا) بقوله :

يا شاعر النيل ، أزهِقْ كلَّ مُعضِلَـةٍ ... وارْكبْ جوادَك فى الميـدان واخـرب

إن الكنانـــة فى حاجٍ إلى رجـــل ... متى دعـا أهلُهـا فى صالـح يُجب

.. بالحَثّ فى المجد ، حتى حُزْتَه رُتَبـا ... تُغنـــى بِنسْبتها عن هذه الـــرُّتَب

وهل يزيد الفتـى فى فضلـه لَقَبٌ ؟ ... إنْ لم تكنْ لقبا ـ ذكراه ـ لِلَّـقَب ..

ويقول أحمد محرم ، شاعر (الإبادة الإسلامية) :

أ (حافـــظ) أنت للآداب ذُخْــرٌ ... تؤمِّلُـــهُ ، لدفـــع العاديـــات

لك الكَلِـمُ الــوضاء تشبُّ حُسْنــا ... وتــذهب فى النُّهــى مُتغلغــلات

.. ألا إن الشعـــوب بنــــا بغيها ... فإن ذهبــوا .. مضتْ فى الذاهبـــات



ويحييه ولىُّ الدين يكن ، بقوله :

أ (حافظ) إن العصرَ يزهـو بأهلـه ... كما الأفـق يزهــو بالنجــوم الطوالـع

نهضت به فى دولـة الشعـــر نهضة ... له أرجعـتْ ما خِلْتُـه غير راجــع

بدائع فكـر ، قد تعالتْ ، فأصبحتْ ... مُنزّهــــة عن نعْتها ، بالبدائـــع



---

(1) كان ارتياء (البكوية) ملبس خاص يهدى لمن أنعم عليه بها .

والشاعر (أحمد الكاشف) ، ينأى عن الإسراف فى المعانى التقليدية المعهودة للتهنئة التى تقتصر على التنميق والترويق والتمدُّح .. ويذكر (الكاشف) المحتفين ، بحقيقة معاناة (حافظ) ، التى لا يعرفُها إلا القلة من أصْفيائه ، وهو ـ أى الكاشف ـ منهم :

أنسيتمُـــوه لياليـــا مرَّتْ ... وبصُحْبة الأحرار .. وهْـى نُحُـوسُ
أيــامَ يضْحكُ للرفيــق تجمــلا ... وفــؤاده جمُّ الهمــوم عبــوس
يشكــو مُعالجَــة المعــالى والغنــى ... وكــلاهما غالٍ لديــه نفيــس

إلى أن يقول واصفا منزلته بين الشعراء :

قد كنتُ بُلْبُلَهـــم وأنت اليـــوم فى ... حُلــل العُلى ، وحُلِيِّهـــا ، طاووس



ثم وقف تجاهه ـ كما تصف مجلة سركيس ذلك ـ الدكتور شدودى ، طبيب الرمد ، وأنشد قصيدته التى يذكر (حافظا) فيها ، بذكرياتهما معا ، حينما عملا فى خدمة الجيش فى السودان ، فقال مُداعبا وواصفا واقع الحال :

لا تنسَ قيظـــا مُحرقـــا ... فى شهـــر كانـــون (شواك(*))
لا تنس ساعـــات المكـــا ... رِه .. فى المعامـــع والعـــراك
واذكـــر هنـــالك عِثْيرا(**) ... عرفـــت أذاه مقلتـــاك



واذكـــر إدامَ الجيش مِنْ ... عدس و (فُول) أسقمـــاك
لا لحـــم ضأن ، أو فرا ... خ .. زار فى السودان .. فاك !



لا تنس سيْـــرا فيـــه يقطـــع النفس و (الشـــراك)(٢)
أنســـيت صيْحـــات الرئيـــس متـــى بلا عمـــل رآك ؟
تلك الليـــالى السُّودُ قد ... ولَّتْ ، كما ولى صِبـــاك

(*) من الشى : شوى يشوى شيا .
(**) العِثْيَر : الغبار .
(٢) لعله يعنى بلفظة (شراك) : ـ شراك النعل .

ثم يختم قصيدته الطريفة تلك التي تكشف بعض ما عاناه (حافظ) أثناء عمله في السودان بقوله :

والـيــــوم لذ بمعيشــــــة   كانت قَصارى مُشتهاك
واحْـــــــرِصْ على وذى ، ولا   تشمــخ بأنــفك للسِّمــاك
أنـــا زَهـــن فضلك ما حيـــيت ، ولا سبيــل إلى الفكـــاك
أنـــا مِنْ أحِــبتك الألـــى   يتألبــون على عِـــداك
وأنـــا أخــوك ، فإنْ تـنــلْ   أقصَـى العُـلا .. فاذكــر أخــاك[3]

وأنشد (نعيم شقير) الأبيات التالية – التي نظمها أثناء انعقاد الحفل – وأبى إلا أن يمتدح (شوقى) – في مجال امتداح (حافظ) الأولى بالرعاية في حفل تكريمه – فقال في (شوقى) – بدلا من حافظ ، وكأنه كان يقرأ ، بظهر الغيب ، ما آل إليه أمر الشاعرين ، فيما بعد ، (حافظ وشوقى) :

وأنت الأمير – بكـــل المعـــالى –   إذا ما الرجـــال أحَبــوا الـــرُتَب
أمير الخصال ، أمير الفعـــــــال   أمير المقـــال ... أمير العـــرب

إلى أن يقول – وكأنه يعنى بـ (الفتى) الشاعر حافظ إبراهيم !! :

لئـــن كان قول (الفتـــى) فضة   فقــولك – فى مذهبـــى – من ذهب
إلا إنها هِبـــــــةٌ من على   فسبحــــــان ربى على ما وهب[4]



كما قال (محمد حمدى النشار) – والد الشاعر الراحل عبداللطيف النشار – ، مُخاطبا حافظ إبراهيم :

سمعتُ بهاءَ الأقـــــــلام   م والقرطــــــاس والكـــتب
أحافـــــظ يا كريم الطَّبـــــع والأخـــلاق والحَسَـــب

---

(٣) بذكرنا الشاعر في هذا البيت ، بقول القائل :

إن الكـــرام إذا أيسروا .. ذكـــروا   من كان يألفهـــم في الوطـــن الخشن

(٤) وإن كان قد قال من قبل – في ذات القصيدة – عن حافظ :

لئــن ألبسوا (حافظــا) رتبــة   وقــد طوقــوا جيــده بالــذهب
فقــد ألبس الــفضل – من قبلهـــم –   عقـــود المعـــالى وحلى الأدب

بعد مخاطبته لحافظ ، بقوله :

.. فقــد ألــف الشعــر منك الســورى   كما ألــف الخلـــق نور الشهب
وذكـــرك شاع بكـــل الـــبلاد في مصر والشام حتـــى حلب

تحيـــة مخلص تُهـــدى إلـــيك على يد النُـــخب
مُوَشّـــاةً بإخـــلاص كوشى الثـــوب بالـــذَهب
.. ومـــا أدرى ... أتعرفـــى ولـــو بالإسـم واللـــقب ؟ ..
فمـــا سَـــمحتْ لى الأيـــا مُ .. أنْ ألقـــاكَ عن كثب
.. ولكـــنْ بيننـــا صِلـــةٌ من الآداب .. كالنّســـب
دعتْ شـــعرى فلبّاهـــا بلا كَـــدٍّ ولا نصَـــب
ستبقـــى مصر حافظـــةً لذكراهـــا إلى العَـــقِب
وتبقـــى حفلـــةُ التـــكريـــم غُـــرَّةَ عصرهـــا الذهبـــى

وقد صدقتْ نُبوءة (محمد حمدى النشار) ، فها نحن ـ معشر العُقُب ـ قد تذكرنا هذا الحفل التكريمى لشاعر النيل ، حافظ إبراهيم ، بعد أن يسر الله تعالى لنا وجوده فى بطون الدوريات القديمة (سركيس سنة ١٩١٢) ، وغيرها بفضل تشجيع وتحية الأستاذ الدكتور على الخطيب ، لمثل هذه البحوث الجادة ، والجاهدة المتعمقة . إثراء للدراسات الأدبية فى شتى مَظانّها ..

وبقى أن نُثبت قول (حافظ إبراهيم) للمحتفين به ، فى ختام الحفل المذكور :

ملكتُمْ علـىّ عنـانَ الخُـطب وجُـزتم بفضلـى سماء الـرُّتب
فمـن أنـا بين ملـوك الكـلام ومـن أنـا بين كرام الحسب ؟
أتسْعَـى إلـىّ حُمـاةُ القـريض وتمشى إلـىّ سُراةُ العـرب
وتـنثر فىّ عقـودَ الجُمـان ويُـنثر فوق نثـار الـذهب
وأكـرم حتـى كأنى نبـغتُ وقـمتُ لمصر بما قد وجب ..

إلى أن يقول :

ومـا أنـا إلا امـرؤ شاعـر كثير الأمـانى .. قليل النـشب
يقـول .. فيُطـرب أترابـه ويقنـع منهم بذاك الطـرب
.. تعلقتُ حينـا بذيـل البيـان وأدخـلت نفسى فيمـن كتب

ويقول ، بعد ذلك ، بتأثر عميق ، وتواضع جم :

فلا السبـق لى فى مجال النهى ولا لى يوم الفخـار الغـلب
ولا أنـا من علية الكاتبين ولا أنـا بالشاعـر المنتخب

ولكـــن سما بي عطـــف (الأمير) ورأى الوزيـــــــر[٥] وفضل الأدب
ومـا كنت أحلـم ـ لولا الوزيـر ـ بهذا الهنـاء وهـــذا (اللــقب)[٦]
تفيـــأت منـــه ظلال النـــعيم وأصبحت أعرف لبس (القصب)[٧] !

وقد نشرت جريدة (المؤيد)[٨] ـ في حينه ـ مقالا ضافيا ـ قبيل (الحفلة الأدبية) لتكريم حافظ ، جاء فيه : « ليست الحفلة التي ستقام يوم الجمعة في فندق كونتيننتال ، مظهرا لفرح المحتفين بالرتبة الثانية : (البكوية) ، التي أنعم بها على مُستحق لها .. فإن هذه الرتبة يُنعم بها ـ في كل عام ـ على مئات من الناس ، ولا ينال صاحبها أكثر من تهنئة بكلمة .. ولكن هذه الحفلة سيقيمها المحتفون بها ، رمزا على مكانة الأدب في مصر ، لأن حافظا لم تكن له واسطة تشفع له عند وُلاة الأمور ، غير أدبه .. الذي جعله في صف البؤساء ، زمنا غير قليل ..

إلى أن تضيف (المؤيد) :

« نعم .. إن اسم (حافظ إبراهيم) من الأسماء الكبيرة ، التي قد تشعر بالتنزل إذا أضيف إليها مميز آخر » .

وقد صدقت (المؤيد) فيما قالت ، ولو لم تكن منزلة حافظ بهذا السمو ، لما اختار (شوقي) ـ بعد نفيه ـ حافظا بالذات ، حينما أرسل إليه ـ نيابة عن (ساكني مصر) ـ يقول :

يا ساكـــني مصر إنـــا لا نزال على عهد الوفاء ـ وإن غبنـا ـ مقيمينـــا
هلا بعثـم لنـــا من ماء نهركمـــو شيئـــا نبـــل به أحشاء صاديـــا
كل المناهـل بعـد (النيـل) آسنة ما أبعـد (النيـل) إلا عن أمانيـــا

وأجابه (شاعر النيل) .. حافظ إبراهيم بقوله : (من نفس البحر والقافية) :

عجـبت للنيـل .. يدري أن بُلبلـه صاد .. ويسقـي ربى مصر ويسقينـا
والله ما طاب للأصحـــاب مورده ولا ارتضوا في عيشهـــم لينـــا
لم تنـأ عنـه ـ وإن فارقت شاطئـه وقـد نأينـا .. وإن كنـا .. مقيمينـا

رحم الله حافظ إبراهيم رحمة واسعة ...

---

(٥) يعني بالوزير حشمت باشا وزير المعارف .
(٦) اللقب : يعني لقب (البكوية) الذي أنعم عليه به .
(٧) القصب : يعني البدلة أو الحلة الموشاة بالذهب التي سيخلع عليه بها .
(٨) أنظر (مجلة سركيس) العددان ١٢ ، ١٣ من السنة السادسة الصادران في ١٥ يونيو سنة ١٩١٢ و أول يوليو سنة ١٩١٢ ص ٣٣٣ .



جارودى فى سطور

● أديب فيلسوف فرنسى بارز .

● ولد عام ١٩١٣م لأبوين بروتستانتيين .

● اعتنق الماركسية فى شبابه وتدرج فى الحزب الشيوعى حتى صار عضواً باللجنة المركزية للحزب ، ثم دخل مكتبه السياسى عام ١٩٥٦م .

● تخلى عن الشيوعية وألف كتاباً فى نقدها بعد أن اتضح له زيفها وقصورها وعاد إلى النصرانية ، وأخذ يبحث عن الحقيقة .

● شغل عدة مناصب فى فرنسا ، فكان نائباً فى البرلمان بين عامى ١٩٤٥ ـ ١٩٥١م ، ثم رئيساً للمجلس الوطنى الفرنسى من ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨م ، ثم عضواً فى مجلس الشيوخ من عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢م .

● كشف عن كنه النصرانية ، وعن دور الكنيسة الكاثوليكية من قضية فلسطين وارتباطها بأحلام وتضليل الصهيونية .

● بعد دراسة متأنية ، أعلن تركه للنصرانية واعتناقه للإسلام عن تأمل وملاحظة واقتناع .

● فى ١١ رمضان ١٤٠٢هـ الموافق ٢ يوليه ١٩٨٢م أشهر إسلامه بالمؤسسة الإسلامية الثقافية بجنيف بعد قرابة نصف قرن من البحث ، واستبدل اسمه « روجيه » بـ « رجاء » .

● أحدث إسلامه ضجيجا هائلا فى العالم الغربى بشكل عام وفى فرنسا بشكل خاص .

● تزوج من عربية فلسطينية مسلمة من عائلة معروفة .

● ألف كتباً تجاوز .. العشرين فى معالجة قضايا الإسلام والحضارة الغربية .

● أسقط العقيم من المعتقدات والفلسفات بمحاربته طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية التى قامت فى إسرائيل على حساب الحق العربى .

والحق أن هذا الكتاب جدير بالقراءة فهو لمفكر له وزنه وقيمته برغم الحملة التى يثيرها البعض فى العالم العربى للغض من قيمة جارودى ؛ فإنه أعلن إسلامه ، وعقيدته بينه وبين ربه لكننا نقدر له دوره ككاتب فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية ، وجاء عمله هذا دعامة للحق العربى المغتصب .

فشكراً له حيث نادى بالحق ووقف إلى جوار الحقيقة والتزم بمنهجية البحث العلمى حتى لا نحيا وسط أساطير صُنعت ووظـفـت لأهـداف عنصرية .

يفتح «جارودى» فى هذا الكتاب ملف «خرافات السياسة الإسرائيلية وأكاذيب الدعاية الصهيونية للمزاعم الصهيونية فى بلاد تسيطر عليها الدعاية الصهيونية والتخطيط للفكر حتى فى مجال البحث العلمى داخل الجامعات ، وبين ظهرانينا من ذاق من هذا العنت حتى انهارت رسالته ، وفى أوربا وأمريكا يستطيع الإنسان أن يهاجم الأنبياء والديانات والرسالات ، وينعم ببسط حماية الغرب عليه بحجة حرية التعبير والاعتقاد ، ولكنه لا يستطيع أن ينتقد السياسة الإسرائيلية .

وعلى الرغم من أن الكتاب لم يمس عقيدة اليهود الدينية ، إنما ركز على مزاعم الصهيونية ، إلا أن مؤلفه حوكم فى باريس بتهمة معاداة السامية واليهودية ، وتبنت الدعوى ضده منظمة صهيونية تحمل اسم « منظمة مكافحة العنصرية والصداقة بين الشعوب » .

وهكــذا قامت الدنيــا ولم تقعــد على « جارودى » لأنه جهر بالحقيقة ، حقيقة أن كل ما تدعيه الصهيونية زيف وبهتان وأساطير خرافية ما أنزل الله بها من سلطان ، فصار فى نظر الغرب ماساً لقدس الأقداس ، ولكن « جارودى » يواجه هذه العاصفة الهوجاء برباطة جأش نادرة غير مبال بالحكم عليه ؛ إذ يكفيه أنه قال الحقيقة .

وفى مقدمة الكتاب نجد هذا التنويه بقلم جارودى نفسه : « إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبى عن أكبر دور نشر فرنسية ، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة لأننى منذ عام ١٩٨٢ قد خرقت أحد المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية التى يدافع عنها الآن قانون « جيسوفابوش » الغاشم ، الذى صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠ ، والذى يعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث ، وجعلت منها قانوناً قمعياً يعوض ضعف الحجج » .

ولم يكن جارودى أول الذين غامروا بتجاوز الخط الأحمر وتفنيد المزاعم الصهيونية المتعلقة بعدد ضحايا اليهود فى ظل النازيــة ، ومبالغــات أفران الغاز ، وإنما سبقه آخرون يشكلون طابوراً من المثقفين والباحثين الذين واتتهم شجاعة مماثلة

فكلفهم ذلك الكثير ، فمنهم من ضاع مستقبله العلمى ، ومنهم من قطع رزقه وغلقت الأبواب فى وجهه ،ومنهم من ألقى فى غياهب السجون .

حاول جارودى فى هذا الكتاب أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونية ، وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية ، فقام بتفنيدها بالحجج والوثائق التاريخية مما أثار عليه حرباً ضروساً تم فيها تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده وضد من سانده مثل : الأب « بيير » المعروف فى فرنسا بالشجاعة والدفاع عن الفقراء والأجانب .

محتوى الكتاب

يحتوى الكتاب على ثلاثة أجزاء ويتكون كل جزء من عدة أقسام ، فضلاً عن مقدمة وخاتمة ، ويقع فى ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط .

ففى المقدمة : يوضح المؤلف أن كتابه معنيّ بتاريخ الهرطقة[1] ، وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسة بإضفاء القداسة عليها عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للكلام المنزل ، وأن هذا هو التطرف والمرض القاتل ، وأنه ـ فى هذا الكتاب ـ يفضح الأساطير التى قامت عليها السياسة الإسرائيلية ، ويشجب ما فيها من هرطقة[1] سياسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل .

يقول جارودى :

« وأنا أحارب هذه النزعة الآن لدى اليهود فى كتابى هذا مجازفــاً بأن أثير ضدى عواصف الصهاينة ـ الإسرائيليين ـ الذين لم يعجبهم أن يذكرهم الحاخام هيرش بأن « الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودى كيانا قوميا .. وتلك هى الهرطقة » .

مفهوم الصهيونية

ويوضح جارودى أن الذى يدينه ويفضحه علناً فى كتابه هو « الصهيونية » وليست « الديانة اليهودية » ، ثم يتساءل عن حقيقة هذه الصهيونية ويرى أنها عرَّفت نفسها بنفسهاـ مستنداً تعريفه بالمصادر العلمية ـ بأنها :

١ ـ عقيدة سياسية منذ عام ١٨٩٦م ارتبطت بالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل .

٢ ـ وعقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوربية فى القرن «١٩» ، ولم ينتسب مؤسس الصهيونية «هرتزل» إلى الدين .

٣ ـ ثم هى عقيدة استعمارية كما سبق أن أعلن « تيودور هرتزل » عن أهدافه من أجل إيجاد دولة يهودية .

« ومعروف ـ حينئذ ـ أنه لا أرض لتلك الدولة ، ويعنى ذلك اغتصاب أرض لها ، وهذا عين الاستعمار » .

---

(١) الهرطقة فى الفرنسية Hérésie تقابل الزندقة فى العربية أى الإلحاد .

وبعـــد أن بين « جارودي » خصائص الصهيونية الثلاث : عقيدة سياسية ، وقومية ، واستعمارية : أسسها هرتزل وطبقها تلامذته وفقا لأساليبه ؛ أكد أنها لم تكن بأى حال من الأحوال امتداداً للديانة والروحانية اليهودية ، ويختم مقدمته بأن ما قدمّه فى كتابه عن الجريمة الصهيونية يسير فى امتداد جهود هؤلاء اليهود الذين حاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومناصرتها ضد الصهيونية القبلية .

الأساطير اللاهوتية

فى القسم الأول من الكتاب تناول « جارودى » : الأساطير اللاهوتيـة وهـى الخرافات التى روجت لها الحركة الصهيونية مستندة إلى تأويل التوراة والعبث بنصوصها وأهمها :

١ ـ أسطورة الوعد :

ويوضح فيها خرافة أرض الميعاد « أرض موعودة أم أرض مغتصبة من فلسطين ؟ » ويستشهد بنصوص توراتية كثيرة تكشف جذور هذه الخرافة وترويج لها فى التفسير المسيحى وفى التفسير اليهودى ، ويصل بذلك إلى فساد الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حالياً هو تحقيق لنبوءة توراتية .

٢ ـ أسطورة الشعب المختار

وينقل من سفر الخروج : « كذا قال الرب : إسرائيل ابنى البكر » ٤ ـ ٢٢ ، وكذلك : روايات توراتية أخرى تدعم هذه الأكذوبة بما يجعل هذا الشعب هو القدوة فى العالم ، تسانده الكنائس ـ ومن ورائها كل العالم الغربى ـ متضامنة معه حيث أنها مكلفة بالرسالة نفسها .

وبهذا الخلط المستمر بين إسرائيل الواردة فى التوارة ، ودولة إسرائيل المعاصرة ؛ فإن الأخيرة تمكنت من مواصلة القيام بدور الوكيل للاستعمار الغربى الجماعى ، وهو يفسر الأموال الطائلة التى تتلقاها من الخارج خاصة من الولايات المتحدة ومن الشبكة العالمية للصهيونية التى تمثل أهم مواردها المالية .

٣ ـ أسطورة يشوع

وفيه يناقش الاستخدام « الذرائعى » للروايات التوراتية التى ما انفكت تؤدى دوراً حاسماً فى تغطية العمليات الدموية ، وهو يقدم لهذا الفصل بهذا الخبر « فى ٩ أبريل ١٩٤٨ أباد مناحم بيجين ومعه وحدات أرجون العسكرية سكان قرية (دير ياسين) البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفال » .

وجارودى حين يسرد يفسر تعداد عمليات الإبادة التى يصفونها « بالمقدسة » التى وقعت فى الضفة الغربية وغيرها بمبدأ التطهير العرقى .

هذا التطهير الذى يمارس بشكل منتظم فى دولة إسرائيل بهدف النقاء العرقى ، والذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دنس من دماء الآخرين عن طريق المصاهرة بالشعوب الأخرى تلك التى مقتها الرب كما يدعون .



ثانياً : أساطير القرن العشرين

وفى القسم الثانى عالج « جارودى » الخرافات التى روجت لها الصهيونية خلال القرن العشرين ، وهى أربع أساطير :

١ ـ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية .
٢ ـ أسطورة محاكمات نورمبرج .
٣ ـ أسطورة الملايين الستة .
٤ ـ أسطورة أرض بلا شعب .

ففى الأسطورة الأولى : دحض الزعم بأن الصهيونية ضد الفاشية ، فقد استقرأ « جارودى » التاريخ ، واستشهد بقرائن تدل على التواطؤ الصهيونى مع حكومة ألمانيا المعادية تماماً لليهود فى عصر الفاشية الهتلرية والموسولينية وذلك من خلال :

التعاون السياسى القائم على الاعتراف الألمانى الرسمى بالزعماء الصهاينة كممثلين وحيدين للطائفة اليهودية ، والمساعدة فى إنشاء الدولة اليهودية بفلسطين .

والتعاون الاقتصادى بإنشاء شركات استيراد وتصدير فى تل أبيب وبرلين ، إلى أن بلغت سياسة التواطؤ ـ بينهما ـ ذروتها عام ١٩٤١ بمناداة مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين ومن بينهم « إسحق شامير » بتحالف هتلر ، مع ألمانيا النازية ضد بريطانيا .

وفى الأسطورة الثانية : تعرض الأسطورة العدالة التى أحدثت مجراها فى « محاكمات نورمبرج » ، تلك التى اقتصّت من رموز النازية بوصفهم « مجرمى حرب » بعد هزيمة ألمانيا فى ١٩١٨ وإجبارها على دفع تعويضات حرب باهظة أدت إلى انهيار الاقتصاد الألمانى فى ذلك الوقت ، فضلاً عما تبع ذلك من خلق روح الحقد الشديد ضد زعماء النازية والألمانية ، وجارودى يريد الوصول إلى أن محاكمات نورمبرج ، لم تنبثق عن محكمة دولية محايدة ، بل عن محكمة عسكرية استثنائية تشكلت من الحلفاء المنتصرين فى الحرب باعتراف « جاكسون » النائب العام الأمريكى .

ومن ثم نفت المحكمة المسئولية عن المنتصرين وحكمت فيما اقترفه المنهزمون ، لذا لم يقف تشرشل ولا ترومان ولا ستالين وغيرهم من مجرمى حرب الحلفاء فى قفص الاتهام بـ « نورمبرج » .

محاكمة أوشفيتز والصابون البشرى

كما تعرض لمعسكر « أوشفيتز » وشكك فى قصة إبادة آلاف اليهود « بغرف الغاز المتنقلة » بهذا المعسكر من خلال مئات وآلاف الشاحنات المجهزة لعمليات القتل ، لعدم وجود دليل إثبات واحد لها ، كذلك شكك فى قصة « الصابون البشرى » المصنوع من الدهن اليهودى الصافى المستخرج من جثث ٩٠٠,٠٠٠ يهودى ، مبيناً خرافة هذه الإشاعة ، مقدماً الدليل على عدم وجودها البتة .

وفى الأسطورة الثالثة : شكك جارودى فى أسطورة « الستة ملايين يهودى » الذين أبيدوا جماعياً على أيدى النازية ، انطلاقاً من مفهوم

« الهولوكست » وهو اسم فيلم يعرض هذه المأساة بشكل يضفي عليها قدسية لا يمكن معها مقارنة هذه الجريمة بجريمة أخرى من جرائم النازية .

على أن ما قدمه « جارودى » من وثائق وتقارير تشكك في هذه الأسطورة قد أثار حفيظة اليهود لإضفائهم طابع القداسة وحظر المناقشة على رقم « الستة ملايين » بسبب قانون « جيسو » الفرنسي الذي يسجن المشككين في هذا الرقم .

وفي الرابعة : تناول « جارودى » أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » تلك المقولة الزائفة التي اتخذت ذريعة لاحتلال فلسطين .

وفي الجزء الثالث والأخير : كشف « جارودى » النقاب عن الاستخدام السياسي للأساطير وكيفية توظيفها انطلاقا من الدور الذي يقوم به « اللوبى » الصهيونى في الولايات المتحدة وفرنسا وكذلك تناول شائعة « المعجزة الإسرائيلية » المعتمدة كلية على التمويل الخارجي في شكل منح ومعونات وصكوك وسندات معظمها من الولايات المتحدة .

وفي الخاتمة : ينتقد « جارودي » توظيف الأساطير لأنواع السيطرة والاستعمار والمذابح ، ويرى أن الاستخدام الأمثل للأساطير هو الذى يستهدف رقى الإنسان وإيقاظه .

ويعود جارودى ليؤكد أن نقده للتفسير الصهيونى للتوراة و « الأسفار التاريخية » ـ سفر يشوع وسفر صموئيل وسفر الملوك ـ لايمس بحال : التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية ، وينفى عن نفسه تهمة معاداة السامية أو اليهود ، مؤكدا أنه يقف فقط مع الحق والحقيقة .

من جوامع الكلم فى الأذكار

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك .»

جمع هذا الذكر بين التسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار والتوبة

بقية موضوع قراءات هادفة ص ١٥٤٥

وكل هذا ـ وغيره كثير ـ من أجل حماية المجتمع من هذه الجرائم المدمرة للأخلاق والسلوك ، مما يبعث على القلق والاضطراب النفسى .. وهذا بلاشك مما يعوق مسيرة المجتمع نحو العمل والإنتاج ليمضى الجميع في أمن وسلام ..

وعن مكافحة الجريمة فقد أطلق عليها الإسلام « الضرورات الخمس » وهى النفس ، والمال والعقل والعرض والدين ..

قراءات جادة

مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجاً.. وسيرة

د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني

الناشر: دار الفتح للإعلام العربي ـ القاهرة

عرض وتقديم الأستاذ/ عثمان الجوهري

إن عالمنا اليوم يعيش في نكسة لا تليق بالإنسان الذي كرمه الله ـ سبحانه ـ وتعالى وفضله على كثير من خلقه وسخر له نعمه ظاهرة وباطنة والله سبحانه لم يستخلف في الأرض ملائكة ولا شياطين، وإنما استخلف الإنسان وجعله أهلا لهذه الخلافة العظمى لتكون وفق المنهج الذي حدده الله ـ عز وجل ـ فلا يحيد عنه فيفجر ما في الإنسان من طاقات إبداعية لعمارة هذا الكون الرحيب.

لقد وضع الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمام الإنسانية وعداً بالحسنى للذين سيتبعون هديه، ووعيداً بالشقاء والهلاك لمن يعرض عن هداه ثم جاءت رسل الله تبلغ الناس فمنهم من أطاع فأفلح ومنهم من أدبر فخسر.. لذلك فإن الإسلام وحده هو الذي يملك صيغة الوفاق الإنساني العالمي، يملكها منهجاً وسلوكاً وأمامنا التاريخ خير شاهد.

تناول المؤلف ـ في دراسته القيمة ـ النفي القاطع لاتهام الإسلام بالعنف والإرهاب لأن رحابة صدر الإسلام واحتوائه مبادىء قويمة للتعايش السلمي العالمي؛ بل ولجميع الشعوب مهما اختلفت اتجاهاتهم الدينية وأجناسهم؛ وبالتالي يمكن أن يعيش جميع البشر في ظلها في سلام وأمن وطمأنينة، فالكل يعيش في سلام دون أن يضيق الإسلام ذرعاً بأحدهم وهذا مالا وجود

له في أى نظام آخر على وجه الأرض .

منهج الدعوة

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تحدد منهج الدعوة في الإسلام وقيامه على التبليغ والتوضيح على أن يتم ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة مع عدم الإكراه ، وليتم في إطار سلمي وعلى الداعية نفسه أن يكتفى بالبلاغ الهادى الواضح وبالسلوك الحميد كقدوة .

إن الدعاة لا يلامون على بقاء الضال على ضلاله ، أو حتى الكافر على كفره وإنما يلامون فقط عن تقصيرهم في البلاغ الواضح المبين .

وهذا التوضيح يتم بعيداً عن العنف أو الإرهاب أو الإكراه فالدعاة واجبهم البلاغ والتوضيح والله ـ جل شأنه ـ هو ـ وحده ـ المختص بالحساب وليس فوق ذلك عدل ورحمة .

وإذا كانت هناك محاولات آثمة من بعض خصوم الإسلام وقولهم : إنه دين إرهاب فهذه دعوى يضيق بها كل منصف فهي فارغة المضمون ثم هي افتراء شنيع أملاه عليهم الحقد والحسد .

والدليل على أن في قلوب هؤلاء الآثمين مرض هو أن القرآن الكريم حاور مخالفي الإسلام ومشركي العرب ومنكري البعث ، دون أن يفرض نفسه على الناس بقوة السلاح ؛ بل نحا إلى بيان بطلان دعوى الإشراك في أساليب واعظة حكيمة ومقنعة .. هنا مثلا يقول الله ـ تبارك وتعالى :

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾

الآية ٣ سورة الزمر .

ثم يطرح القرآن الكريم أمام المشركين دليلا كونياً عظيماً على نفى أن يكون مع الله آلهة أخرى .. إن هذا الكون العظيم منذ خلقه الله سبحانه وتعالى يسير في نظام محكم بديع ! من سماوات وأرض وما بينهما ، وما في الأرض من بشر وحيوانات ونباتات وما في السموات من شمس وقمر .. ونجوم

هذا النظام المحكم يسير وفق إرادة الله وبقدرته وعلمه وتدبيره .. وهــذا أكبر دليــل على وحدانيته ـ سبحانه وتعالى ـ وتفرده وحده بالجلال والكمال .. قال الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء الآية ٢٢ :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ .

أما منكرو البعث فقد بين القرآن الكريم أن مدعيها اعتقدوا استحالة إعادة الحياة بعد الموت ، ولقد تصدى القرآن الكريم لهذه الدعوة في إشارة بليغة إلى حماقة الذين قالوا بها ؛ لأن الوعد قائم لا محالة ـ قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ ﴾ سورة الإسراء

العباد خلقهم الله ـ عز وجل ـ أول مرة فكيف يستحيل عليه إحياءهم بعد الموت ؟! أى عقل سليم يرتاب في هذا !!

إن علاقة الإسلام بأهل الكتاب علاقة سلام ومودة ، وليست علاقة حرب وعداء .

إن الأصل هو السلام والإذن بالحرب إنما يقع

فى ظروف استثنائية طارئة .. قال الله تعالى :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾

سورة آل عمران

وقال الله تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

(سورة البقرة الآية ١٩٠)

بل هناك أدلة قرآنية بالتوصية بالإحسان تخطو بنا نحو السلام العالمى خطوات عملية أخرى مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة التوبة)

رسالة الإسلام :

بين المؤلف أن رسالة الإسلام إلى الناس عامة محصورة فى التبليغ بعد تجلية حقائق الإيمان ، وتعرية أوهام الفسوق والكفر والعصيان ، وليس للرسول ﷺ ولا لأحد من بعده أن يتجاوز حدود التبليغ والإرشاد والنصح ، وبذلك يرسى الإسلام مبدأ حرية الاعتقاد لدى الإنسان فى مسألة العقيدة التى هى ركن من الأركان فى الدين .. والعقيدة محلها القلب ، وليس لأحد على القلوب سلطان إلا خالق السموات والأرض .. قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (سورة الغاشية)

ولضمان حرية الاعتقاد وضع الإسلام عدة ضوابط منها ما يلى :

ـ إن هذه الحرية مقصورة على الحياة الدنيا .

ـ حرية الاعتقاد فى الإسلام ، مكفولة بالنظر إلى علاقات الناس بعضهم ببعض .

ـ والحرية مكفولة لأصحاب العقائد غير الإسلامية الذين ولدوا عليها كاليهود والنصارى والمجوس والملحدين أما من ارتد عن الإسلام فلا يترك وشأنه ، بل لابد من مسائلته ومعرفة سبب ارتداده فإن كان بشبهة غامت عليه قمنا بتبصيره وأزلنا شبهته ، أما إذا أصر على ارتداده طبق عليه حد الردة .

مهمة الدعاة :

ومهمة الدعاة عالجها المؤلف فبين أنها التبليغ والإرشاد والتبشير والإنذار بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليس لهم أن يكرهوا الناس على الإسلام أو يعاقبوا من ظل على عقيدته التى نشأ عليها ..

وهنـــاك سؤال من خصوم الإسلام عن مشروعية القتال فى الإسلام من أن هناك ضوابط حكيمة وأهداف عادلة لمشروعية القتال نورد منها ما يلى :

ـ أن يكون القتال فى سبيل الله لا من أجل غرض أو فرض زعامات أو عنصرية أو أطماع خسيسة من أجل السيطرة والاستغلال .

ـ وأن القتال لمن يقاتلنا فعلا أو عقد العزم على قتالنا .. وعندما ينشب القتال علينا ألا نتجاوز حد الاعتدال فلا نعتدى ولا نظلم .

ـ قبل القتال يكون التخويف والتحذير من الاعتداء فالله سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين .

ـ الاستجابة والكف عن القتال إذا طلبه العدو . وألا يكون القتال لقوم بيننا وبينهم ميثاق أمان .

ـ أما إذا خان العدو عهداً بيننا وبينه وخشينا مكره وجب إعلامه بإلغاء العهد الذى أبرم معه .

ـ يراعى الالتزام الكامل باتباع ما أنزل الله عقب تحقيق النصر على العدو فلا زهو ولا بطر .. ولا ظلم ولا عدوان .. والإحسان إلى أسرى الحرب بعد أن تضع الحرب أوزارها والترفق فى خطابهم .

ـ ألا نقاتل من اعتزلنا ولم يؤذنا ، مهما كانت عقيدته ودينه .

من هنا يتضح تماما لكل ذى نظرة سليمة ، أن القتال فى الإسلام ليس بقصد إجبار غير المسلمين على الدخول فى الإسلام بالقوة ولا يوجد فى التاريخ الإسلامى واقعة واحدة حدثت فى السيرة النبوية تدل على عكس ذلك ؛ فالقتال هنا ليس عقاب على كفر كافر أو إلحاد ملحد .

عدالة الإسلام :

وعالج المؤلف أيضا موضوع العدل والمساواة الذى أرسى قواعده الإسلام لتحقيق التعايش السلمى العالمى ، والعدل وسيلة ذات شأن لإعادة التوازن فى الحياة وتسكين هياج النفوس ، وليكون مظلة تحمى الحقوق وتشيع الأمن والسلام بين الناس .. وإذا غاب العدل تصدعت أسس الاستقرار ؛ بل فسد طعم الحياة لذا فقد جعله الإسلام حقـا للنـاس جميعـاً : فقيرهـم وغنيهم ،أسودهم وأبيضهم .. ولقد صرح القرآن الكريم باستعمال القوة المحايدة لوقف القتال الظالم قال الله ـ تعالى :

﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾

إن الإسلام هو النظام العالمى الذى ينبغى أن يصغى له كل البشر كنظام عام ، وإن ظل كل إنسان على عقيدته وطقوسه غير معتد على الآخرين .

إن النظام العالمى الجديد مسئول عن ضياع الشعب العربى فى فلسطين ، وضياع المسلمين فى « ألبانيا » ، وإلحاق الأذى بالأقليات المسلمة فى مختلف دول العالم على امتداد القارات الخمس ، فلو كان النظام العالمى الجديد عادلا فعلا لوضع حدا لهذا الإجرام الدموى الناشب فى الشيشان وفى البوسنة وفى غيرهما .

أما فى ظل الإسلام فقد وضع مبادىء قويمة لتحقيق التعايش السلمى على مستوى العالم والمساواة بين جميع الناس مهما اختلفت أجناسهم وجعل الفضل بينهم والتفاضل على أساس التقوى والعمل الصالح ، وكم جلبت الفروق والمبادىء التى وضعها البشر من ويلات وأشعلت من حروب وكم أهدرت من دماء الملايين على امتداد العالم وعلى مر التاريخ الطويل للبشرية؟!!! .

إننا فى ظل الإسلام نقترب من الوصول إلى صيغة وفاق عالمى تحل محل المخادعات ، ويكفى النظام العالمى الحالى مبدأ حق « استعمال الفيتو » فى الأمم المتحدة ، الذى يتيح إبطال أى مشروع قرار لا يكون على هوى ورغبة أحد الأعضاء الخمس الدائمين فى مجلس الأمن .

وهنا يهدف الإسلام إلى زجر المجرم وتأديبه مع تحذير غيره من الوقوع فيما وقع فيه الآخرون .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

يوم العيد

عن أنس – رضي الله عنه – قال : « كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات » .

أخرجه البخاري عن أنس – كتاب العيدين

وعنه – أيضاً – رضي الله عنه أنه قال :

« قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : قد أبدلكما الله – تعالى – بهما خيراً منهما : يوم الفطر ويوم الأضحى » .

أخرجه النسائي وابن حبان بإسناد صحيح

فهنيئاً لمن صلى وصام وقام ، وهنيئاً لمن ظفر بالرحمة والمغفرة والعتق من النار ، والتزم هدى نبيه ﷺ واستقبل يوم فطره بتمرات قبل ذهابه إلى مصلاه ، وجعل من يومه يوم سرور شرعي يلتزم فيه باللعب المفيد المنشط للبدن ، البعيد عن إظهار المفاتن والفساد .

وفي غمضة العين آية

القارئة عبير محمد نصار ـ البحيرة ـ دمنهور

أرسلت إلينا هذه الكلمة عن « غمضة العين » تقول :

خلق الله ـ تعالى ـ الإنسان ، وأغدق عليه من نعمه التى لا تعد ولا تحصى ، ومن هذه النعم ، نعمة البصر ، والمتأمل للعين ، يجدها لا تكف عن الحركة ، فما السبب فى ذلك ؟ إن هذه الجوهرة ، التى أنعم الله ـ تعالى ـ بها على الإنسان معرضة للجو الملىء بالغبار والغازات الضارة .

فكان من نعم الله ـ أيضاً ـ أن جعل للعين غدة دمعية تفرز الدمع الذى يوزعه الجفن مع كل غمضة على شكل غلاف دمعى ينظف العين . وهكذا فى حركة بسيطة ، فى رقة ولطف دون أن تشعر بشىء . هذا فى مجرد غمضة ، فما بالنا بما يحدث فى جسم الإنسان ككل أو فى هذا الكون الفسيح ؟ فلا تملك إلا أن تقول : سبحان الله العظيم ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

لغة القرآن

القارىء : محمد أحمد جمعه السحرى ـ بلقينا ـ المحلة الكبرى ـ الغربية

أرسل هذه الكلمات التى جاء فيها :

الذى دفعنى إلى كتابة هذه الكلمة ، أننى شاهدت مباراة بين فريقين من بلدين عربيين ، ولاحظت أن أسماء اللاعبين تظهر على شاشة التلفاز باللغة الأجنبية .

فلماذا تظهر باللغة الأجنبية ولمن ؟

أين اللغة العربية فى حياتنا ؟

يكفى اللغة العربية شرفاً أنها لغة القرآن .

وإنى أتساءل : لصالح من ترك لغة القرآن ؟ وهى همزة الوصل بين ماضينا وحاضرنا ، وهى الوعاء الذى يحمى تراثنا .

ولماذا لا تأخذ العبرة من (فرنسا) التى منعت كتابة إعلانات المحلات أو التحدث بغير الفرنسية ؟

● مجلة الأزهر : لأنها يا بنى فرنسا تريد أن تتمسك بقوميتها ...!!!

القارئة : أم هاشم حسين يوسف ـ إسنا ـ الزاوية البيضاء ـ بالقسارية ـ طالبة بالمعهد الأزهري أرسلت تقول :

قرأت من كلام الإمام عليّ ـ كرم الله وجهه ـ قوله :

كن على حذر :

من الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا أحرجته ، ومن اللئيم إذا أكرمته ، ومن الفاسق إذا عاشرته ، ومن الأحمق إذا مازحته .

وإنى ذقت الطيبات فلم أجد أطيب من العافية .. وذقت المرارات كلها فلم أجد أمرّ من الحاجة إلى الناس .. ونقلت الحديد والصخر ؛ فلم أجد أثقل من الدَّين .

واعلم أن الدهر يومٌ لك ويومٌ عليك ؛ فإن كان لك فلاتبطر ، وإن كان عليك فاصبر ، وكلاهما سينحسر

كلمةُ وفاء

ومن منطقة أسيوط الأزهرية

كتب إلينا القارىء عبدالمعز طاهر الجُنود تحت عنوان كلمة وفاء يقول فيها :

لقد انتقل إلى رحمة الله ـ تعالى ـ فى يوم الجمعة الرابع من شهر رجب سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/١١/١٥ فضيلة الأستاذ الشيخ حسين رشدى اسماعيل ، مدير منطقة أسيوط الأزهرية فى المستشفى التخصصى بالقاهرة وشيعت جنازته وصليت عليه صلاة الجنازة فى الأزهر الشريف حيث أم المصلين فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى .

ولقد نعاه فضيلته وبكاه فى خطبة الجمعة التى كان موضوعها الصبر وجزاء الصابرين ـ وبموته فقد الأزهر الشريف علما من أعلامه الذين يعتز بهم ويفخر بعلمهم .

وفقد طلاب العلم شيخاً وأستاذاً ومربياً وموجهاً لهم وفقدت دار الإفتاء فى محافظة أسيوط عالما جليلا طالما لجأت إليه الجماهير لمعرفة أمور دينهم وأحكام شريعتهم وفقد رواد المساجد خطيباً مفوها ومحاضرا بليغاً طالما هز المنابر على مستوى المحافظة .

وعزاؤنا فيه ، أنه لقى ربه فى يوم الجمعة ، خير يوم طلعت فيه الشمس . لأنه يروى : « أن من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة وقى فتنة القبر » .

وعزاؤنا فيه ، أنه كان كما قال الإمام أبو حامد الغزالى : « كالشمس يضىء لنفسه ولغيره » . وكما قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لأحد طلابه : « ما تمت من ثلاثين عاماً إلا ودعوت لشيخى ، قيل له وما سبب ذلك فقال لأنه كان كالشمس بالنسبة للدنيا والعافية بالنسبة للبدن . فهل لهما من خلف » .

طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته وألهمنا الصبر على فقده وعوض المسلمين فيه خيرا وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إحدى الكاسيات العاريات

ومما ورد من أحد القراء تحت عنوان « احدى الكاسيات العاريات » هذا الجزء من قصيدة للرافعي:

دلالك في التبرج من ضلالك
وما عاب الدلال سوى دلالك
ملت تبرجاً فكملت حسناً
ولكن جاء نقصك من كمالك
لمن تبرجين ؟ وذى سبيل
وماهي أفق شمسك أو هلالك
أما تخشين أنك في طريق
يرف بها الحرام على حلالك
أهذى مشية الخفرات أم قد
غدا الشرف المفدى في نعالك
كأنك لست بنت أب وإلا
فما لأبيك لم يخطر ببالك ؟
وحالك للأبوة كل عار
وعار للبنوة كل حالك ..
إلخ

القارىء : مصطفى كمال عيسى
أسيوط ـ موشى

أهلا بكم ، وبإسهاماتكم ، وعودتكم للكتابة للمجلة مرة أخرى .

* * *

القارىء : م . صلاح رشاد حسين
كفر السيد ـ منوفية

وصلتنا إسهاماتكم ، وقريبا ـ بإذن الله ـ تنشر المجلة بعضا منها .

من كلام الإمام الشافعى

ارسل القارىء : احمد عبدالكريم البسيونى
صفط العنب ـ كوم حمادة ـ بحيرة

هذه المساهمة تحت عنوان «من كلام الإمام الشافعى» ـ رضى الله عنه ـ

اعلم أن العلم بطىء اللزام ، بعيد المرام ، لا يدرك بالسهام لا يرى فى المنام ، لا يورث عن الآباء والأعمام، وإنما هو شجرة لاتصلح إلا بالغرس ، ولا تغرس إلا بالنفس ولا تسقى إلا بالدرس ، ولا تحصل إلا بالاستناد إلى الحجة وافتراش المداد ، وإدمان السهر وقلة النوم وصلة الليل باليوم.

بريد سريع :

القارىء : محمود شوش
البحيرة ـ كفر الدوار ـ السعرانية

قصيدتكم « غرق ورجاء » تعتبر محاولة جيدة ولكن عليك بقراءة الجيد من الشعر القديم والحديث ، حتى تتكون لديك ملكة الشعر .

* * *

القارىء : أحمد محمد المسلمانى
محافظة البحيرة ـ مدينة المحمودية

يمكنك الاشتراك بمجلة الأزهر عن طريق قسم الاشتراكات ـ بجريدة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ، هذا عن الأعداد القادمة ، أما الأعداد السابقة فغير متوفرة ، لأنها تنفد بمجرد صدورها.

من إبداعات القراء

ميلاد خير الورى

قم يافؤادى سبح المولى العظيم مُكبِّرا
فاليوم ميلاد الحبيب محمد خير الورى
فاطو الدجى فى ذكره وصلاته ودع الكرى
فلكم غفوت وكم سهرت ومن عشقت تغيرا
تلك الحياة بما حوت لا شىء فيها أثمرا
إلا الصلاة على الذى فاق الخلائق جوهرا
نور الهدى من جاء بالدين الحنيف مبشرا
الله أنزله وأبلغه الرسول مطهرا
دين السماحة والتقى فى كل أمر قد جرى

* * *

يا من عشقت محمداً .. صلِّى وسلِّم مُكبِّرا
فهو الشفيع لكل من يرنو له مستنصرا
فى موقف كل امرىء فى رهبة مما يرى
وهو الشفاء لكل داء فى القلوب تحيُّرا
وله المحبة كلها .. فى كل فجر أو سرى

عبدالحميد محمد الفرماوى

الجيزة ـ العمرانية الغربية

إنما المؤمنون إخوة

عقيدتى أن كل الناس إخوانُ
وكل مَنْ أمه حوّاء .. إنسان
لا فرق بين فقير يشتكى سغبا
ولا غنى له من ماله شان
فما جدالك والأيام شاهدة
بأننا فى الرَّدى ... أهل وخلان
تنام فوق بساط التُّرب يجمعنا
موت له صوت فينا وسلطان

للشاعر : عبدالهادى عبدالمقصود



تقدير الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

أمسيات رمضان العلمية

● شهدت ساحة مسجد مولانا الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ بالقاهرة طوال شهر رمضان المعظم ندوات دينية وذلك بالسرادق الذى أقامته رياسة الجمهورية ، بالتعاون مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، استمرت الأمسيات طوال ليالى الشهر الفضيل فى ملتقى علمى إسلامى يُعَرِّف بالإسلام وعالميته .

افتتحت أعمال الملتقى فى الثانى من شهر رمضان بحضور السيد الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر الشريف وجامعته ووزارة الأوقاف وسفراء الدول الإسلامية والعربية بالقاهرة وجموع من المواطنين ، والقيادات التنفيذية والشعبية وطلبة الأزهر .

هذا وقد شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ، اليوم السابع لأعمال الملتقى وذلك بعد عودة فضيلته من المملكة العربية السعودية بعد أن شارك فى أعمال التحكيم لجائزة الملك فيصل ، وتحدث فضيلته عن اهتمام الإسلام بالشباب ذكورا وإناثا وتربيتهم تربية دينية سليمة ، وإعدادهم لتحمل المسئولية وبناء نهضة أمتهم على أسس راسخة من الإيمان والعلم والفضيلة .

كذلك حضر فضيلته الاحتفال بذكرى العاشر من رمضان ، ثم بعد أيام حضر الاحتفال بذكرى غزوة بدر الكبرى .

تخريج أئمة الدورة الخامسة والثلاثين

● شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الختامى الكبير الذى أقامته الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف لتكريم علماء العالم والدول الإسلامية أعضاء الدورة التدريبية الخامسة والثلاثين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى .

شاركت كل من :

البرتغال وألبانيا وبنجلاديش وسنغافورة وجنوب إفريقيا وموريتانيا وبنين ونيبال بعلمائها فى هذه الدورة ، وقد قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التخرج عليهم .

أكد فضيلته فى الكلمة التى وجهها إلى الخريجين على ضرورة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يوحدوا فتاواهم ، وأن يحاربوا التعصب الأعمى للإرهاب ؛ لأنهم رسل سلام ويسر ومحبة .

حضر الحفل جميع سفراء الدول المشاركة فى الدورة ، والسيد السفير حمدى زكى حسين نائب مساعد وزير الخارجية ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف وجامعته .

هذا وقد صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر بالموافقة على إقامة الدورة السادسة والثلاثين لتدريب الأئمة والدعاة ، وقد شمل القرار استقبال علماء كل من دول : اريتريا والسنغال ونيجيريا وكرواتيا وزيمبابوى والفلبين .

إستقبال الصادق المهدى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح الإثنين ٢٦ من شعبان ١٤١٧ هـ الموافق ١٩٩٧/١/٦م السيد / الصادق المهدى رئيس حزب الأمة السودانى ورئيس مجلس الوزراء الأسبق والوفد المرافق لسيادته .

تم خلال اللقاء بحث دور الأزهر الشريف البارز فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال البعثات التى يوفدها الأزهر لمختلف الدول لنشر الدعوة وتعاليم الدين الإسلامى ، وبوجه خاص ما يقدمه الأزهر لأبناء الشعب السودانى الصديق الشقيق من المنح الدراسية فى معاهد الأزهر وكليات جامعة الأزهر الشريف .

إمداد المراكز العلمية بالمصحف الشريف ومطبوعات الأزهر

● بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر قامت الشئون الفنية بمكتب فضيلته بإمداد المساجد ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمدارس والجامعات والمعاهد الأزهرية بمختلف مراحلها ، ومراكز الشباب والهيئات والمصالح والوزارات ـ بأعداد من مصحف الأزهر الشريف بمختلف أحجامه ، وكذا مجموعات من الكتب الدينية والثقافية ، وسلسلة إصدارات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم ، أعاده الله ـ تعالى ـ على الأمة الإسلامية والعربية بالخير واليمن والبركات .

مع الدكتور الحماشة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ٢٥ من شعبان ١٤١٧ هـ الموافق ٥ يناير ١٩٩٧م معالى الدكتور / محمد الحماشة رئيس اللجنة البرلمانية للتنمية والسكان بالأردن يرافقه السيد الأستاذ الدكتور ماهر مهران مقرر المركز القومى للسكان بمصر تم خلال اللقاء بحث مسألة تنظيم الأسرة وحكم الشريعة الإسلامية فيها .

أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلة الضيوف واستفساراتهم مؤكدا على أن الشريعة الإسلامية تدعو إلى "النظام والتنظيم حفاظا على الطفل والأسرة وصحـــــــة الأم .

وفى نهاية اللقاء قدم الوفد الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر من دور بارز فى خدمة قضايا الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض وذلك من خلال علمائه الذين يوفدهم إلى مختلف دول العالم لتأدية رسالة الأزهر السامية .

وزيــر الشــئون الدينيــة بماليزيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد الدكتور عبدالحميد عثمان وزير الشئون الدينية والأوقاف بدولة ماليزيا والوفد المرافق له .

فى بداية اللقاء رحب الإمام الأكبر بالضيف الكبير الذى قدم بدوره الشكر والتقدير للأزهر الشريف على ما يقدمه للعالم الإسلامى عامة ولدولة ماليزيا خاصة ـ من مساهمات علمية على أيدى علمائه ، وقد وجه الضيف لفضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة ماليزيا باسم السيد رئيس الوزراء ، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير على الزيارة ووعد فضيلته بتلبية الدعوة فى أقرب وقت .

وسـفير دولــــة قطـــر

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد عبدالهادى الهاجرى سفير دولة قطر بالقاهرة حيث تمّ بحث سبل دعم التعاون بين الأزهر الشريف ودولة قطر الشقيقة فى المجالات الثقافية والدينية لما للأزهر من دور بارز فى هذا المجال .

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على ترشيح عدد من علماء الأزهر الشريف للمشاركة فى التحكيم فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم المزمع عقدها خلال شهرى شوال ، وذى القعدة الموافقين لشهرى فبراير ومارس القادمين .

الإمـام الأكبـر فى محافظة الغربية

● قام فضيلة الإمام الأكبر بزيارة لمحافظة الغربية لافتتاح مجمع المعاهد الأزهرية الذى يشمل معاهد ابتدائية وإعدادية وثانوية للبنين وذلك بقرية بلتاج مركز قطور .

كذلك قام فضيلته بافتتاح معهد محمد رجب الإعدادى الثانوى للفتيات بقرية سجين الكوم بنفس المنطقة ، كما افتتح فضيلته معاهد محمد

رحب الإعدادية والثانوية للبنين ، والإعدادية والثانوية للبنات بشبرا قاص بالسنطة .

كذلك تفقد فضيلته مركز تدريب محمد رجب على الصناعات الصغيرة بنفس القرية .

وفى ختام الزيارة شهد فضيلته المؤتمر الشعبى بمقر مركز التدريب بقرية شبرا قاص ، حضر مع فضيلته السيد المحافظ ومعاونوه ، وفضيلة الشيخ مدير عام المنطقة الأزهرية بطنطا ولفيف من علماء وقيادات الأزهر والأوقاف بالمحافظة ، والقيادات التنفيذية والشعبية بها حيث أقيمت ندوة بهذه المناسبة بعنوان : (دور الجهود الذاتية فى التنمية الشاملة) ألقى فيها فضيلة الإمام الأكبر كلمة حيا فيها كافة أصحاب الجهود المبذولة فى مجال التنمية مشيرا إلى المشروعات التى تم افتتاحها خلال الزيارة .

رافق فضيلة الإمام الأكبر فى هذه الزيارة فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

مع رئيس جمهورية جامبيا

● أستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الاثنين ١٨ من رمضان ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٧/١/٢٧م فخامة الرئيس / يحيى جامع رئيس جمهورية جامبيا والوفد المرافق لفخامته وذلك فى إطار زيارته للقاهرة ، وقد حضر اللقاء الدكتور محمد زكى أبو عامر وزير شئون مجلس الشعب والشورى ورئيس بعثة الشرف المرافقة للضيف الكبير .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بضيف مصر الكبير فى الأزهر الشريف وتم خلال اللقاء بحث سبل دعم التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية جامبيا فى مختلف النواحى الثقافية والدينية .

أشاد الرئيس الجامبى بدور مصر المتميز بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فى معالجة القضايا الإفريقية والعمل على نشر السلام والاستقرار فى ربوع القارة الإفريقية مشيرا إلى أن ذلك يرجع إلى مكانة مصر البارزة فى العالم العربى والإفريقى .

طلب الضيف الكبير من فضيلة الإمام الأكبر معاونة الأزهر الشريف فى إمداد الجامعة الإسلامية بجامبيا الجارى إنشاؤها حاليا بالخبرات الفنية والإدارية والأساتذة بالإضافة إلى المناهج الدراسية ، كذلك تم خلال اللقاء بحث زيادة عدد المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لأبناء جامبيا بمعاهد الأزهر الشريف وجامعته العريقة .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الطلبات التى نوقشت أثناء اللقاء ، والعمل على تلبيتها فى أقرب فرصة .

أعرب الضيف عن سعادته الغامرة لوجوده فى الأزهر الشريف قلعة العلم وكعبة العلماء ولقائه بفضيلة الإمام الأكبر وعلماء الأزهر .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ صلاح عبد الحميد بشير

عصمت عبد المجيد

على إسرائيـــل التوقـــف عن انتهاك الحق الفلسطينى

أكد الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أنه على إسرائيل أن تتوقف عن انتهاك حقوق الإنسان الفلسطينى إذا كانت تريد سلاما فعليا .

جاء هذا التصريح فى اجتماعه مع وفد الأمم المتحدة المهتم بقضايا حقوق الانسان فى العالم .

اللواء سامى الخطيب يشيد بجهود مبارك

أشاد اللواء سامى الخطيب رئيس لجنة الدفاع والأمن بمجلس النواب اللبنانى بسياسة الرئيس مبارك وجهوده لإنجاح عملية السلام ، وقال الخطيب – فى حديث خاص للإذاعة صوت العرب : أنه يأمل اتباع النهج المصرى الذى يتسم بالحكمة والتعقل والعمق فى تقدير المواقف .

ثلاثة متهمين من عبدة الشيطان ضحية الترف والفراغ الدينى

أكد الدكتور حمدى زقزوق وزير الاوقاف أن الظاهرة الجديدة لعبادة الشيطان غريبة على المجتمع المصرى المعروف بتدينه منذ آلاف السنين ، وقال : إن هذا الشباب ضحية الترف والفراغ الفكرى والدينى والتقليد الأعمى لما يراه من ظواهر شاذة فى المجتمعات الغربية ، وقال : إنه يجب مواجهة هذه الظواهر الغريبة بتحصين شبابنا بالأخلاقيات والقيم الدينية الصحيحة

وقال : إن الوزارة أصدرت تعليماتها للأئمة المساجد بأن تتضمن خطب الجمعة : التنبيه الدائم بقيام الأسر برعاية أبنائهم والحفاظ عليهم من الاختلاط بالمنحرفين ، وأصحاب الأفكار الضالة وضرورة مراقبتهم حماية لهم وحفاظا عليهم من الذين يريدون ضياع مستقبل شبابنا .

مؤتمر الدعاة الثانى «بمنطقة وعظ الغربية»

بعد نجاح المؤتمر الأول للدعاة ، والذى أقامته « منطقة وعظ الغربية » بطنطا ؛ وامتداداً لهذه المسيرة الناجحة وبتوجيه من فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور « مدير منطقة الوعظ » بالغربية .

وإشراف فضيلة الشيخ عبدالخالق عطية نصير ، وفريق عمل من أصحاب الفضيلة العاملين بحقل الدعوة والإرشاد ، رأت المنطقة أن يكون مؤتمرها الثانى ـ خاصا ـ .

بتكريم الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد الغزالى السقا ـ رحمه الله ـ .

فأصدرت كتيبا فى ثلاث وعشرين صفحة ، شمل أربعة فصول :

الفصل الأول : عن نشأته العلمية وأعماله ، وما منح له من أوسمة وجوائز .

أما الفصل الثانى : فتحدث عن « فكر الشيخ الدعوى » ؛ والذى تركز إلى مرتكزات أساسية ـ : أعظمها ـ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والتاريخ الإنسانى ، العام والإسلامى الخاص والثقافة العامة ؛ سواء الدينية منها أم الإنسانية .

أما المرتكز الأخير فقد كان عند الشيخ ـ رحمه الله ـ الواقع وفقهه ؛ وذلك عن طريق المعايشة والاطلاع ؛ سواء كان هذا واقع المسلمين ؛ أو واقع القوى المعادية لهم .

أما الفصل الثالث : فقد كان عن جهاده وحثه للأمة بأن تحسن عرض الإسلام ، وأن تقترب من « القرآن الكريم » و « السنة النبوية المطهرة » ودوام النظر فيهما بعقل ناضج ، وفكر مستنير .

أما الفصل الرابع : والذى عنون له بعنوان : « الغزالى داعية » فقد تحدث عن شخصية الشيخ واعتزازه بنفسه ، وانتمائه للعمل بالدعوة الإسلامية ؛ يحاور بفهم متلمسا صميم القضايا الملحة ، والتى تعيشها الأمة ، يحلق فى آفاق الواقع الرحب بكل ما فيه من هموم بأسلوب علمى مُتزن ، خال من الصياح ، مغلف بحماس وعقلانية شباب الشيخوخة المحنكة .

ولقد حدد الشيخ الدواء بعد أن شخص الداء وكان يرى أنه لن ينصلح حال العرب ، ولن تقوم لهم دولة أو حضارة إلا بالدين ، فعندما حملوا الوحي وأخلصوا له كانوا سادة العالم الأول كله

والكتيب على الرغم من صغره ؛ إلا أنه أعطى صورة صادقة وجلية عن العالم الجليل ؛ والذى كان دائما حاضرا بفكره وحكمته يُسهم بالرأى الصريح فى التعبير عن آمال الأمة وآلامها .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء ، وهنيئا له الجوار مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا ـ .

وشكر لله للقائمين على « منطقة وعظ الغربية » ما يبذلوه من جهد صادق وأمين .

وفقهم الله وأعانهم على أداء رسالتهم الكريمة : رسالة الحق والخير والإرشاد .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

ع.م.ع

moi-même ou sur une de ses tantes paternelles ou maternelles?". Le Prophète -b.s- lui dit: "Laissons cela et dis-moi plutôt ce que tu t'es dit en toi-même et que tes oreilles n'ont pas entendu." Le père dit: "Par Allah, O Messager d'Allah! Ton Seigneur ne cesse de T'affermir pour que nous soyons assurés de la véracité de Ta mission! Je me suis dit quelques vers dans mon coeur, que mes oreilles n'ont pas entendues. Le Prophète -b.s- lui dit: "Récite et je t'écoute".

Le père récita ces vers dont nous résumons le contenu: "Je t'ai nourri alors que tu étais petit et adolescent. Tu abusais à ta guise de tout ce que je gagnais. Si, un soir, tu te couchais malade je demeurais éveillé sans pouvoir me reposer comme si c'était moi le malade et non toi. Je craignais la mort en sachant qu'elle est une vérité, car je voulais vivre pour te passer tes caprices. Puis lorsque tu grandis et que tu arrivas à l'âge où tu peux me soulager et réaliser mes rêves, ma récompense fut l'ingratitude et la brutalité, comme si tu étais mon bienfaiteur. Si au moins tu ne peux avoir les égards dus à ton père, accorde-moi ceux qui sont dus aux voisins en étant prévenant et en me devant assistance, or, même de ton argent, tu t'es montré avare".

Le Prophète -b.s- tira le fils par le collet et lui dit: "Toi et ton argent vous appartenez à ton père".

Hadith rapporté par Al-Kurtuby.

dinars à condition de jouir d'elle. Elle accepta, mais quand je m'apprêtais pour l'accouplement, elle me dit: "crains Allah! et sauvegarde ma virginité". Alors je me suis relevé malgré mon désir ardent et je lui ai laissé l'argent. Seigneur si Tu sais que je me suis conduit ainsi en quête de Ta Grâce, écarte pour nous ce rocher". Le rocher s'écarta un peu, mais sans toutefois permettre la sortie des hommes.

"Seigneur! dit le troisième, j'ai employé des ouvriers moyennant un salaire. Quand ils eurent terminé leur travail je leur présentait leur salaire, ils le prirent, à l'exception d'un seul homme qui laissa son dû et partit. J'ai fait fructifer ce salaire pendant des années si bien qu'avec son prix j'ai formé un troupeau de vaches, de chameaux et des ovins avec leurs bergers. L'ouvrier revint un jour et me dit: "O serviteur d'Allah, donne-moi mon salaire". Je lui dis: "Tu vois tout ce bétail? il t'appartient, va le prendre ainsi que leur berger". "Te moques-tu de moi?" me dit-il "Mais non! je ne me moque pas de toi," lui dis-je. Alors il en prit possession et partit.

Seigneur si Tu sais que j'ai agi ainsi pour Te plaire écarte pour nous ce rocher". Le rocher finit par se déplacer et les voyageurs sortirent indemnes.

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Nous avons donc vu comment la piété filiale sauva les hommes d'une mort certaine et leur servit auprés d'Allah pour dissiper leur affliction.

Citons également une autre histoire pour souligner les droits du père sur son fils. Un homme se rendit auprès du Prophète -b.s- pour se plaindre de son père. Il lui dit: *"O Messager d'Allah, mon père m'a pris mon argent". Le Prophète -b.s- lui dit: "Amène-moi ton père". L'Archange Gibril descendit et dit au Prophète: "Allah t'envoie le salut et te dit: lorsque le vieillard viendra demande-lui de te répéter ce qu'il s'est dit en lui-même et que ses oreilles n'ont pas entendu.". Le vieil homme arriva et le Prophète -b.s- le questionna: "Pourquoi ton fils se plaint-il de toi? Veux-tu lui prendre son argent?". Le père répondit: "Questionne-le Ö Messager d'Allah: est-ce que je le dépense sur*

La piété filiale

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophète -b.s- dit: "J'ai été envoyé pour parfaire les nobles qualités".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Les bénédictions qu'entraîne la piété filiale n'a pas de limites; le fidèle en profite en premier dans le monde d'ici-bas et aussi dans celui de l'au-delà. Le Prophète -b.s- nous donne un exemple de cette bénédiction et nous dit: "Trois voyageurs marchaient lorsqu'ils furent surpris par un orage. Ils se refugièrent dans une grotte. Un rocher se détacha de la montagne s'abattit devant la grotte et en obstrua l'entrée. "Souvenez-vous de quelques bonnes actions que vous avez accomplies pour l'amour d'Allah, dit l'un d'eux, évoquez-les et priez le Seigneur".

L'un dEux commença par dire: *"Seigneur! Tu sais bien que j'avais un père et une mère âgés et de jeunes enfants. J'étais berger de profession. A mon retour, le soir, je trayais mes chamelles et je commençais par donner à boire à mes parents avant mes enfants. Il advint qu'un jour, j'ai mené paître mes bêtes assez loin. A mon retour mes parents étaient déjà couchés. J'ai trait comme d'habitude et je suis resté debout, près d'eux, attendant leur réveil, ne voulant pas les brusquer. Il m'était désagréable aussi de donner à boire avant eux à mes enfants qui, pourtant, criaient de faim à mes pieds. Je suis demeuré ainsi jusqu'à l'aube, mes parents se réveillèrent et burent leur lait. Seigneur! si Tu sais que je me suis conduit ainsi pour Te plaire, fais-nous une issue". La roche bougea un peu, mais ils ne purent pas sortir.*

"Seigneur! dit le second, j'avais une cousine que j'aimais ardemment, aussi fort qu'un homme peut aimer une femme. Je me suis mis à la séduire mais elle refusa, jusqu'à un jour dans une année de disette, la famine la poussa à venir chez moi. J'acceptai de lui donner 120

sive sur toutes les tentations. Ceux-là ont découragé tous les démons de pouvoir trouver parmi eux des proies qu'ils prennent dans leurs filets mensongers, ou des êtres faibles devant leurs ruses habiles et leurs fausses promesses.

C'est aussi une joie pour ceux qui ont vécu tout le mois en se détournant des prohibitions aussi bien que des choses licites, pour ceux qui ont passé les nuits de Ramadan agenouillés et prosternés, lisant le Livre d'Allah, cherchant à faire les aumônes et les actes de bienfaisance pour resserrer les liens d'affection parmi les hommes, tout en corrigeant les mauvais comportements et toutes les formes de perversions. Ils ont ainsi réalisé en ce mois un changement qui guide la nation islamique vers une réalité plus noble et plus apte à être digne d'être le modèle d'une communauté qui met en application la Législation d'Allah.

D'autre part, une joie est réservée à ceux qui n'ont pas jeûné mais qui ont été plus proche d'Allah que bien des jeûneurs qui ont passé ce mois en jouisances et divertissements.

Ceux-là ont droit à la joie de la Fête, car ils ont profité de la licence accordée par Allah aux voyageurs, aux malades et aux vieillards séniles. Car ceux-là, bien qu'ils n'aient pas jeûné, ont largement profité des enseignements du jeûne et en ont cueilli les fruits.

La Fête sera pour eux une occasion de mettre en pratique cette expérience pour un mode de vie plus noble où l'homme ne perd jamais contact avec son Créateur.

«Tous les musulmans fêtent la rupture du jeûne le jour de 'Id Al Fitr»

par Dr. Rokeya Gabr

Celui qui a jeûné ainsi que celui qui n'a pas jeûné fêtent également la rupture du jeûne à la fin du mois de Ramadan.

Si la Fête de la rupture du jeûne représente l'une des deux joies promises par le Message d'Allah — à lui bénédiction et salut — aux croyants qui ont jeûné, nous devons savoir que tous ceux qui ont jeûné n'ont pas mérité cette récompense, et qu'il y a des croyants qui sans avoir jeûné, la méritent davantage et bien plus que beaucoup de jeûneurs.

Il faut savoir que le culte du jeûne est prescrit à la nature humaine pour réprimer les instincts et les passions et éprouver leur force de volonté. Le jeûne amène le musulman à un degré de foi tel qu'il ne laisse aucune place dans le coeur du croyant à nul autre qu'Allah. Le jeûneur agit avec les gens en ayant la certitude que c'est envers Allah qu'il agit. Il y a en cela un grand gain par lequel l'âme de jeûneur s'annoblit et devient digne de répondre à l'Appel divin, le Jour du Rassemblement; en ce jour où il lui sera dit: [O âme rassurée, reviens à ton Seigneur contente et satisfaite; entre parmi Mes serviteurs et entre dans Mon Paradis].

La joie de la Fête est réservée à ces jeûneurs et leurs semblables pour qui le jeûne est un effort et un sacrifice ainsi qu'une victoire déci-

REVUE
AL AZHAR

-vol. 69 Part x

Shwal 1417 Hijra, February 1997

Section Française

Comité de Rédaction :

**Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques**

with the mind". These are a few of many statements about Islam made by thinkers, scientists, wise men, philosophers, and those who look for the truth. Islam has no conflict with any other religion or with any prophet. Islam is the religion of mercy, love and peace. Islam has respected all people of the Book and has respected all of their prophets The Prophet of Islam was a merciful, pure, courageous, noble, and wise leader.

We have tried to remind people that there are many wise men who admit the truth, see the light and differentiate between right and wrong. To all of those who have a mind to think, you should be free unbiased in telling the truth .

The Qur'an is the source of happiness and elevation for humanity. If humanity follow Islam, happiness will prevail all over the world. If muslims follow their religion, they could become the apostles of civilization, love, peace, and as good examples as their grandfathers were. Allah speaks the truth and guides to the right path .

need from him other than that he did what he preached. What also do you need to believe that Muhammad was honest and a prophet when you see that for more than 12 centuries people still follow his instructions which take them to a noble way of life. Don't people know that any false invitation is like false money, which eventually will be discovered ? Islam guided the mind of humanity for generations and Muslims today still believe in Islam more than any other people do believe in their religions".

In the book of Arab civilization Futav Luben's writings may be summarized as follows. The instructions in the Qur'an are the best known ethics in the world today. The Qur'an declared and encouraged people to be honest, true, give charity, be just, follow moderation, fulfill promises, love neighbours, treat relatives in good way, be merciful, take care of orphans and widows, and take away bad actions by good actions. All of these are better than the manners even in the Bible.

The German philospher Jeot (1832) has indicated his admiration of Islam when he summed up "If this is Islam, we are then amongst those who are Muslims".

The philosopher keisro who wrote about European civilization wrote: "The Islamic religion is unique among all religions in challenging those who believe in anything without proof. It also challenges those who follow their doubts. It is the religion which seeks proof for the beliefs and works with the mind fully. Happiness comes from using one's own mind. Islam has nothing which could be rejected by the mind. Therefore Islam deals with the mind and all of its concepts fit exactly

invited his people to believe in God, and told them of his message which he received from God. In summary, his message was that there is no God but Allah-the one and only one. In order to love God, you should pray, be righteous, love all people and share with them love and affection. Muhammad did not claim that he was the only prophet, but he showed respect to all the prophets of God before him - Jesus, Moses, etc., and said that Jews should not be obliged to abandon their religion. Muhammad was one of the great leaders of humanity who benefitted his people and humanity".

Ghandi on one occasion (when the muslims were celebrating Milad in India) said "Muhammad was a great prophet who sufferred much, but he was patient, courageous, was not afraid except from the Lord. He was poor although he had all the means to become very rich. I cried when I read the history of this great man. Every one who seeks the truth, like me should bow to the personality of Muhammad who worked for the benefit of all mankind."

The French Doedianos said, "Islam came differring with many of the religions which had lost their truth. Islam came without any superstitous beliefs and the proof of this is its high respect for Jesus. Islam differred with Christianity in that Jesus was a human who had powers, but by the leave of the Lord. Islam is a mercy to humanity. It has nothing which remains inexplicable. Islam declares the unity of Allah, and therefore, there is no conflict. Islam commands equality, work ethics, of Muslims today who are backward, it is because they deviated from the message and directed themselves in different directions far from reality".

The English philosopher Carlyle in his book "Heroes and the Religion of Heroes" wrote about the Prophet, "what other proof do you

religion, the religion of Allah --- the one and only one. The Qur'an was his miracle. Humans and Jinns were challenged to substitute it, but they could not. This challenge was proof of his honesty, and the truthfulness of his message. He carried the heavy load of inviting his People with dignity, honesty, and courage. His intelligence and insight, determination and good planning of life, preclude the hypothesis that he was sick (as claimed). His message is as good and valid today as it was yesterday and will be in the future. What he told his people was close to their hearts because it was a clearly defined way of looking to the existence of Allah and His relation to Mankind".

The American writer washington Irving studied the life of Muhammad and wrote "Mohammad's life depended on honesty. There was no reason for him to go the hard way, except his honest belief in God. He was beloved by his People and his family was one of the most honoured in Arabia. However, his objectives were to seek that God's word should prevail. An example of his forgiveness is his action with his adversaries after the fall of Mecca".

The American writer General Ralph Brudy, after he had studied the Hudaibiya Treaty, wrote "that this treaty was the greatest diplomatic victory for Muhammad, because of which he was acknowledged a leader who had followers".

The Russian philosopher count Tolousty did not like attacks on Muhammad and he wrote "Mohammad's parents were poor. He preferred to be alone looking upon the creation of God around him. Arabs used to worship idols. Muhammad believed that they were wrong and believed in the existence of God, who is the Lord of the universe. He

Zayd,the slave of khadijah, loved the prophet to a degree that when he was set free, he refused to go back to his parents in yemen, and preferred to stay with the Prophet due to the good treatment bestowed upon him. His quality of forgiveness was not limited only to his followers, but also extended to his enemies. One example to quote is that 10,000 People were set free when Mecca fell in the hands of the Muslims. And these were the same People who tried to kill the Proplet few years before that.

Lynn Paul criticizes those writers who misrepresent Muhammad by claiming that he was harsh, self-indulgent, etc. These were not the characteristics of the Prophet. The Qur'an says."let there be no compulsion in religion" .

The French poet Lamartin studied Muhammad's history and wrote : Muhammad was a speaker, philosopher, leader, conquerer a man who invited people towards Allah in such a way that attracted minds, a man who established an empire on earth and spiritually guided people to acheive paradise in the Hereafter ... This is the greatness of this human being Muhammad who stoodfast, struggled, tolerated his people's ignorance and deception, was courgeous and stoodfast for 15 years, inviting people from amongst his enemies and those who ridiculed him. This is proof that Muhammad was on the path of solitude.! He never misled anybody or because he had truth in his heart, which gave him the strength to give humanity its wisdom, and guide it to the Unity of Allah".

The orientalist Emil Darmarghim, wrote a book on the life of Muhammad, after he studied the subject well enough. He wrote "Mohammad invited and advised his People to believe in the right

itself by whatever means necessary. Don't you see that Christianity also used force at one stage. Check what Charlemagne did to the Saxons. Therefore, Muhammad's (PBUH) method of spreading Islam was not by aggression, it was an answer to the aggression against Islam".

Henry de Castry, in his book about Islam says "There is no evidence that Muhammad (PBUH) sent one single expedition to force any nation to adopt Islam. Also, Muhammad (PBUH) did not oblige any person to adopt Islam. On the contrary, it was the unbelievers who tried to oblige Muslims to reject Islam. The proof that Islam did not spread by force is obvious when we see today that Islam still is present every where, although the Muslims are weak".

The English thinker Bosworth Smith, in his book about Muhammed (PBUH) and the Islamic religion has said "Muhammad built a nation, and developed it, which spread the religion. Though he was illiterate, he brought to the world a book which contains laws, manners, guidance, and also Holy Scripture, all in one book. It is the Qur'an, which one-sixth of the world's population follows until today. The Qur'an is full of wisdom and truth. . Muhammad (PBUH) was a leader in the history of humanity; that is a leader of the people, of the religion and of the government, although he did not know how to read or write".

William Moyer, the British politician and his co-author Lynn Paul, wrote in their book "Muhammad the Prophet of Islam" that Muhammad was a decent polite, humble man who dealt equally with people rich or poor. He was generous and was loved by all around him and no one tried to harm him until he started his "dawah". That is delivering the message.

with (other human beings). This is their duty, but if they go astray, they will lose their leadership qualitites, and of course, there will be no difference between them the ignorant or misguided individuals .

There is nothing in our religious beliefs to be afraid or ashamed of Praise be to Allah, there is nothing against the sound logic in Islam. It is the religion of science, wisdom, mercy, and it stands for all that is good for life on this earth and in the Hereafter. We will not waste our time talking about the ignorant and blind people who speak negatively about Islam. However, let us review briefly what some of the world's greatest thinkers, writers, and leaders have said about Islam .

Bernard Shaw, on his visit to India, wrote about the suitability of Islam for every place and time, He says " The religion of Muhammad (PBUH) has a great vitality. It is the only religion which fits exactly the requirements of all stages of life and it has attraction for every time and place". He also said, "I feel strongly that Islam will be accepted today and in the future in Europe". He also noted that "Muhammad (PBUH) is not an enemy of Jesus as some people have claimed. Muhammad (PBUH) could be claimed to be savior of Humanity. Islam is able to solve all the world's problems in such a way as to make the world a better place to live" .

Tomas kareel wrote "Muhammad (PBUH) did not spread Islam by force as they claimed. He spread Islam bywise and good invitation. However, those who opposed him tried to silence the Islamic cause by various means, the least of which was force. This obligated the muslims to defend themselves. "He also said". The invitation of truth will spread

the needs of the area and time. Prophets were sent one after another, to complete Allah's message, Prophet Muhammad (peace be upon him) being the last one. Islam is, therefore the last religion to be revealed to Humanity. Islam was revealed at such a point in time that the human beings abilities reached a level where they could absorb the responsibility assigned to them by the Qur'an and Sunnah. The Qur'an and Sunnah contain complete direction as to the manner in which life should be conducted, in accordance to the wishes of the Creator. There are no contradictions whatever, between the commands of the Almighty and whatever progress science has made in its inventions and discoveries. No wonder the last revealed book "The Qur'an" has remained provably in-tact for more than 14 years, and such is also the case for the Sunnah of the prophet. No one, friend or foe, has been able to change anything in the Qur'an because Allah has promised to keep his last revelation in-tact and protected by Him to join in wise discussion .

Islam has invited the People of the Book, by peaceful persuasion. At the same time logically demonstate that Islam is the completion of all the previously revealed religions (verse III/64 - 68). The Qur'an is the complete book that respects both the Jews and Christians (verse V/44 - 5 and 82 - 86) .

Islam teaches how to live peacefully and in harmony with each other, because Islam is a mercy for all creation. Even if someone misbehaves with us, we should be tolerant and compassionate. Allah says "Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant".

Knowledgeable religious scholars and thinkers should be the first to follow and tell the truth, adhere to justice, and be fair in their dealings

ISLAM AND IT'S PROPHET
As Seen In the Eyes of Non-Muslim Scholars

By Dr. Tawfik Shahin Ph.- Al AZHAR. U.E 64 Pt.

A Muslim is one who accepts the existenceof one God. His angels, His revealed books, His prophets, the Day of Judgment, and predestination as seen by the following quote from the Qur'an :

The Apostle Accepts what hath been revealed to him from his Lord, as to the men of faith. Each one them Accepts God. His angels. His books, and his apostles. We make no distinction (they say) between one and another of his apostles. And they say "we hear and we obey --- we seek thy forgiveness, our Lord, and to thee is the end of all journeys. Verse II - 285.

We muslims believe that there is no distinction between the prophets of Allah (peace be upon all of them), because they have been sent by Allah, because they are brothers, and because their message is the same (ie. to invite people to the way of Allah (verse v-69). We muslims also accept that the principles of all religions sent by Allah are the same --- to accept in Allah as one Deity, to believe in the Day of Judgment, and to do good deeds for the progress of all mankind (chapter VII/158 - 159). Muslims firmly believe that Islam is the religion for all human beings (chapter verse VII/158 - 159) .

As has been stated, the messages of all the prophets have been the same, the only differences being in jurisprudence, which was specific to

AL-AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION

Shwal 1417 Hijra

vol. 69 Part x

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
Al. - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

ع ٣٢٢٢٦
دوريات



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير بإدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣-٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الشهادة للوحدانية

والشهادة القول الصادق الصادر عن علم ، وإذا كان العلم في الإنسانية متفاوت القدر من إنسان لآخر ، فليس هو كذلك عند الله - سبحانه - فإنه - عز وجل - صاحب العلم اليقين ، و « إنما العلم عند الله » ، فعلمه ، سبحانه - وتعالى - لايعلق به الباطل ، فشهادته - سبحانه - أقوم الشهادة وأصدقها مطابقة للواقع الحق .

● وقد شهد - سبحانه وتعالى - للوحدانية ، وهي العقيدة الحق ، وبيّنها للناس ليتبعوها ، فلا يزيغ عنها إلا هالك ، فقال - سبحانه :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

سورة آل عمران - آية : ١٨

ذى القعدة ١٤١٧هـ - مارس ١٩٩٧م - الجزء الحادى عشر - السنة التاسعة والستون

فهو ـ سبحانه ـ الإله الحق الذى تجب له العبادة وحده ، وهو ـ تعالى ـ على ما وصف به نفسه ، أحدٌ لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوا أحد ، والإيمان بهذه الحقيقة إيمان الفطرة التى لم تعبث بها الأهواء ، ولم تتلاعب بها الفلسفات ، أو تنل منها وثنية المخلوقات ..

ولقد تبع هذه العقيدة الصفوة المطهرة من خلقه وشهدوا لها ، فكانت هى عقيدة الملائكة وأولو العلم الواردان فى ذات الآية الكريمة حيث يقول ـ تعالى ـ :

﴿وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ .

فكُلٌّ شهد بأن الله هو الإله الحق المبين الذى منه البدء وإليه المعاد .

وعندى أن أولى العلم هنا تعنى ـ والله أعلم ـ بعد ـ الرسل ـ الربانيون من كل أمة ، هؤلاء الربانيون الذين أشار إليهم القرآن الكريم فى أكثر من آية ، وهم أهل العلم ، والعمل بالعلم ، السالكون بالناس طريق البر والخير(1) ، وهم فى كل أمة من الأمم إلى حين .

● وشهد ـ سبحانه ـ للقرآن أنه قوله ، فهو الحق ، فليس قولا لأحد غيره ، وعجزُ الخلق عن مثله دليل قوله ، فلقد أعجز بلفظه ، وأعجز بعلمه ، وأعجز بتشريعه ، وأعجز بإحاطته لكل شىء ، وحسبنا منه مثالا واحدا : حديثه عن الإنسان نفسيا وخلقيًّا بما لم يذكره كتاب قبله ولا بشر من خلقه

إنه كلمة الله مهما قال المرجفون .

﴿لَّـٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ سورة النساء

وهذه شهادة ثانية للملائكة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ خاصة للقرآن الكريم تضاف لشهادتهم السابقة الخاصة بألوهيته ـ وحده ـ سبحانه .

● ـ ثم هو ـ جل جلاله ـ شاهد على أعمال خلقه ، مطلع على سرهم وعلانيتهم ، وما هو أخفى من السر والعلن ..

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ .

سورة الحديد ـ آية : ٤

لذا يقول الحق ـ جل جلاله ـ :

﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٩٨

---

(1) تفسير الخازن ١/٤٦٦ .

ويقول ـ عز من قائل ـ :

﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ .

سورة يونس ـ آية : ٦١

لقد شهد الله ـ تعالى ـ للوحدانية أنها الدين الحق ـ وشهد لما أنزله من كتبه ، ولم يفعل ذلك عبثا ـ تعالى الله ـ عنه ، فقد أوجب على خلقه هذا الدين ، وراقبهم عليه ؛ ليجازيهم بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا .. قال ـ تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ . (سورة المؤمنون)

● وللرسل ـ جميعا على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ شهادة كانت ميثاقا أخذه المولى ـ جل جلاله عليهم بتصديق بعضهم لبعض ، ونصرة كل منهم لأخيه وتأييده له ، ونصرتهم جميعا لمحمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عقيدة التوحيد التي هي عقيدتهم . قال ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة آل عمران

وقال ـ صلى الله عليه وسلم : « **الأنبياء بنو علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد** » رواه الشيخان .

وشهادة ، يشهدون بها على الأتباع .. كل على أمته ، وفي التنزيل العزيز :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ . (سورة النساء)

فمن كل أمة شهيد ، أي رسول أرسله الله ـ تعالى ـ إليهم ليهديهم سواء السبيل ، وهؤلاء الرسل ـ أجمعون ـ يشهدون أنهم بلغوا رسالة ربهم على ما تحملوه في سبيل التبليغ من عنت ومشقة واستهزاء ، حتى كان منهم رسل شقت أجسادهم بالمناشير ، وهم صابرون يحتسبون .. والله خير الشاهدين .

وفي القرآن الكريم شهادة الرسل مؤكدة بذكرها أكثر من مرة ،فقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤

وقال ـ عز وجل :

﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ .

سورة الحج ـ آية : ٧٨

شهادة مؤداة بين يدى الله ـ عز وجل ـ يوم يقوم الحساب .

● والشهادة للوحدانية سوف يؤديها أناس ، منهم المؤمن ومنهم الكافر ،وشهادة أولئك الناس ، يشير إليها الكتاب الكريم ـ كذلك بأكثر من آية :

فالمؤمنون شهود : يقول ـ تعالى ـ لمؤمنى هذه الأمة : :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤٣

وجاء ذكر هذه الشهادة ـ كذلك ـ فى ختام سورة الحج فى قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .

ولقد اختصت أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشهادة على من قبلها من الأمم ؛ فإن القرآن الكريم قد أحاط أمته صلى الله عليه وسلم علما بالأنبياء ورسالاتهم وأقوامهم ، فصار مؤمنو هذه الأمة على أدق بيان بحوادث هذه الأمم فكانوا خير الشاهدين فيها بنص ما علموا من القرآن الكريم وعلى ذلك فالمراد بـ « الناس » فى الآية ما يعم جميعهم .

كذلك يشهد الضالون : يشهدون على أنفسهم ، كما يشهدون ـ كذلك ـ بإيمان المؤمنين . يشهدون على أنفسهم بالكفر . جاء ذلك فى قوله ـ تعالى ـ فى الموقف العصيب يوم لا ينفع النفس إلا إيمانها ، وقد سئلوا :

﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٣٧

وفى الكتاب العزيز تكرار لهذا الإقرار ، ففى سورة الأنعام جاء قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٣٠

ومن الطريف هنا أن من الساخرين بسيدنا رسول الله ﷺ أبا جهل ـ لعنة الله عليه ـ شهد لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متهكما فسجلت عليه :

روى الإمام البيهقي بسنده ـ إلى المغيرة بن شعبة ـ قال ـ أي المغيرة ، وكان لم يُسلم بعد :

« إن أول يوم عرفتُ رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل : يا أبا الحكم ، هَلُمَّ إلى الله ، وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله .

فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت مُنْتَهٍ عن سب آلهتنا ، هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ، فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله ، لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك » .

هكذا قالها متهكما فصار شاهدا ، ويستطرد المغيرة ـ رضي الله عنه ـ فيقول : فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل [أبو جهل] عليَّ ، فقال : والله ، إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن يمنعني شيء : إن بني قُصي قالوا : فينا الحجابة فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا السقاية فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا اللواء فقلنا : نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الرُّكَبُ قالوا : منا نبي ، والله لا أفعل . »[٢] .

ثم إن ربك ـ من قبل ومن بعد : أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

د. علي أحمد الخطيب

---

(٢) ابن كثير ـ السيرة النبوية ١/٥٠٦ ، ٥٠٧ ط . عيسى البابي الحلبي ١٣٨١ هـ .

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي

هذا ، وبعد أن ذكر القرآن الكريم الناس جميعًا بنعم الله عليهم ، ليحملهم بذلك على إخلاص العبادة له ، وتصديق رسوله ﷺ فيما جاء به ، ومن بين هذه النعم خلق آدم وإظهار فضله على الملائكة ، بعد كل ذلك اتجه إلى تذكير طائفة خاصة من الكافرين المعاصرين للنبي ﷺ وهم بنو إسرائيل ، استمالة لقلوبهم نحو الإيمان بالله ، وكسرا لعنادهم ولجاجتهم ، فكانت هذه الآيات :

وإسرائيل : هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم – عليهم السلام – وفى إضافتهم إلى أبيهم إسرائيل تشريف لهم وتكريم ، وحث لهم على الامتثال لأوامر الله ونواهيه ، فكأنه قيل : يا بنى العبد الصالح ، والنبى الكريم ، كونوا مثل أبيكم فى الطاعة والعبادة .

ويستعمل مثل هذا التعبير فى مقام الترغيب والترهيب ، بناء على أن الحسنة فى نفسها حسنة

وهى من بيت النبوة أحسن ، والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوة أسوأ ، ففى هذا النداء . خير داع لذوى الفطر السليمة منهم إلى الإقبال على مايرد بعده من التذكير بالنعمة ، واستعمالها فيما خلقت له .

ومعنى ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ تنبهوا بعقولكم وقلوبكم لتلك المنافع التى أتتكم على سبيل الإحسان منى ، وقوموا بحقوقها وأكثروا من الحديث عنها بألسنتكم ، فإن التحدث بنعم الله فيه إغراء بشكرها .

والمراد بالنعمة : المنعم بها عليهم ، وتجمع على نعم ، وقد وردت فى القرآن الكريم بمعنى الجمع كما فى قوله – تعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ النحل / ١٨

فإن لفظ العدد والإحصاء قرينة على أن المراد بالنعمة : النعم الكثيرة . ويبدو أن المراد بالنعمة فى الآية التى معنا كذلك النعم المتعددة حيث إنه لم يقم دليل على أن المراد بها نعمة معهودة ، وعلماء البيان يعدون استعمال المفرد فى معنى الجمع – اعتمادًا على القرينة – من أبلغ الأساليب الكلامية .

ثم أمرهم – سبحانه – بالوفاء بما عاهدهم عليه ، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ العهد ما من شأنه أن يراعى ويحفظ ، كاليمين والوصية وغيرهما ، ويضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعًا ، يقال : أوفيت بعهدى ، أى بما عاهدت غيرى عليه ، وأوفيت بعهدك ، أى بما عاهدتنى عليه ، وعهد الله : أوامره ونواهيه ، والوفاء به يتأتى باتباع ما أمر به ، واجتناب مانهى عنه ، ويندرج فيه كل ما أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة ، من اتباع محمد ﷺ متى بعث ، والإيمان بما جاء به من عند الله وتصديقه فيما يخبر عن ربه .

المعنى : وأوفوا بما عاهدتمونى عليه من الإيمان بى ، والطاعة لى ، والتصديق برسلى ، أوف بما عاهدتكم عليه من التمكين فى الأرض فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

ثم أمرهم – سبحانه – بأن يجعلوا خوفهم من خالقهم وحده ، فقال – تعالى – : ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ أى : خافونى ولا تخافوا سواى ، ولتكن قلوبكم عامرة بخشيتى وحدى ، فإن ذلك يعينكم على طاعتى ، ويبعدكم عن معصيتى .

وحذف متعلق الرهبة للعموم ، أى ارهبونى فى جميع ما تأتون ، وماتذرون ، حتى لا أنزل بكم من النقم مثل ما أنزلت بمن قبلكم من المسخ وغيره ، فالآيات الكريمة قد تضمنت وعدًا ووعيدًا وترغيبًا وترهيبًا .

﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ .

وبعد أن أمر الله - عز وجل - بنى إسرائيل ، أن يوفوا بعهده عمومًا أتبع ذلك بأمرهم بأن يوفوا بأمر خاص وهو القرآن الكريم ، وفى التعبير عنه بذلك تعظيم لشأنه ، وتفخيم لأمره . وأفرد - سبحانه - أمرهم بأن يؤمنوا به مع إندراجه فى قوله - تعالى - ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ للإشارة إلى أن الوفاء بالعهد لا يحصل منهم إلا إذا صدقوا به .

والمراد بما معهم التوراة ، والتعبير عنها بذلك للإشعار بعلمهم بتصديقه لها . **والمعنى :** آمنوا يا بنى إسرائيل بالكتاب المنزل على محمد ﷺ وهو القرآن الكريم المصدق لكتابكم التوراة ، ومن مظاهر هذا التصديق اشتمال دعوته على ما يحقق دعوتها ، من الأمر بتوحيد الله - تعالى - والحث على التمسك بالفضائل ، والبعد عن الرذائل ، وإخباره بما جاء بها من الإشارة إلى بعثة النبى ﷺ ، ومطابقة ما وصفته به مطابقة واضحة جلية وموافقته لها فى أصول الدين الكلية ، وهيمنته عليها ، ولذا قال - عليه الصلاة والسلام - : ﷺ **« لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعى »**(٣)

وفى إخبار بنى إسرائيل بأن القرآن الكريم مصدق لما معهم ، إثارة لهممهم لو كانوا يعقلون - للإقبال عليه ، متدبرين آياته ، حتى تستيقن نفوسهم أنه دعوة الحق والإصلاح المؤدية إلى السعادة فى الدنيا والآخرة وحتى تطمئن قلوبهم إلى أن الإيمان به معناه الإيمان بما معهم ، والكفر به ، كفر بما بين أيديهم ، حيث إن ما بين أيديهم قد بشر ببعثة محمد - ﷺ - المنزل عليه القرآن الكريم .

قال الإمام الرازى : (وهذه الجملة الكريمة تدل على صدق النبى - ﷺ - من وجهين :
أولهما : أن الكتب السابقة قد بشرت به ، وشهاداتها لا تكون إلا حقًا .
وثانيهما : أنه - عليه الصلاة والسلام - قد أخبرهم عنها فى كتبهم بدون معرفة سابقة لها ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الوحى(٤) .

وبعد أن أمرهم - سبحانه - بالإيمان الخالص ، عرض بهم لتكذيبهم وجحودهم ، فقال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ أى : لا تكونوا أول فريق من أهل الكتاب يكفر بالقرآن الكريم ، فيقتدى بكم أناس آخرون وبهذا تصيرون أئمة للكفر ؛ مع أن من الواجب عليكم أن تسارعوا إلى الإيمان به لأنكم أدرى الناس بأنه من عند الله ، وأكثرهم علمًا بأنه الرسول الذى نزل عليه هذا القرآن ، وهو الصادق الأمين فيما يبلغه عن ربه .

والمقصود من هذه الجملة الكريمة ، تبكيتهم على مسارعتهم فى الكفر ، واستعظام وقوع الجحود منهم ، وتوعدهم عليه بسوء المآل .

---

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما -
(٤) تفسير الفخر الرازى ج١ ص٤٣٠

قال الإمام الرازى : (هذه الجملة خطاب لبنى إسرائيل قبل غيرهم فكأنه - سبحانه - يقول لهم : لا تكفروا بمحمد ، فإنه سيكون بعدكم كفرة ، فلا تكونوا أئمة أوهم لأن هذه الأولية موجبة لمزيد الإثم ، وذلك لأنهم إذا سبقوا إلى الكفر ، فإما أن يقتدى بهم غيرهم أولا ، فإن اقتدى بهم غيرهم كان عليهم وزره ووزر كل كافر إلى يوم القيامة ، وإن لم يقتد بهم غيرهم ، اجتمع عليهم أمران : السبق إلى الكفر ، والتفرد به وكلاهما منقصة عظيمة ، وتؤدى إلى العاقبة الوبيلة)(*) .

ثم نهاهم عن أن يبيعوا دينهم بدنياهم ، فقال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . والاشتراء هنا استعارة للاستبدال ، والذى استبدل به الثمن القليل هو الإيمان بالآيات ، والمراد بالآيات : البراهين المؤيدة لصدق النبى ﷺ وفى مقدمتها القرآن الكريم والتوراة .

والمراد بالثمن القليل : حظوظ الدنيا وشهواتها من نحو الرياسة والمال والجاه ، وما إلى ذلك من الأمور التى خافوا ضياعها لو اتبعوا الرسول ﷺ .

والمعنى : لا تستبدلوا بالإيمان بما أنزلت مصدقًا لما معكم شيئًا من حطام الدنيا ، ولا تختاروا على ثواب الله بديلا من الأموال ، فإنها مهما كثرت فهى قليلة مسترذلة بالنسبة لما يناله أولو الإيمان الخالص من رعاية ضافية فى الدنيا ، وخيرات حسان فى الأخرى .

وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصصة للنكرات ، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل بالآيات ، إذ لا يكون إلا قليلا وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا بجانب رضا الله - عز وجل - .

ونزل تمكينهم من الإيمان بالآيات لوضوحها منزلة حصوله بالفعل ، فكأن الإيمان كان فى حوزتهم ، ولكنهم خلعوه ونبذوه ، مستبدلين الذى هو أدنى بالذى هو خير ؛ فباءوا بغضب على غضب لكفرهم بالقرآن الكريم وبتوراتهم التى بشرت بالرسول - عليه الصلاة والسلام - .

ثم حذرهم - سبحانه - من التمادى فى الكفر بما أنزل ، مصدقًا لما معهم ، فقال - تعالى : ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ .

الاتقاء معناه الحذر ، يقال : فلان اتقى الله أى حذر عقابه وبطشه ، والحذر من عقاب الله ، يستلزم امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، فمعنى « وإياى فاتقون » آمنوا بى ، واتبعوا الحق وأعرضوا عن الباطل .

(*) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٤٣٢ بتصرف وتلخيص

وبعد أن نهى القرآن الكريم بنى إسرائيل عن الكفر والضلال ، عقب ذلك بنهيهم عن أن يعملوا لإضلال غيرهم ، فقال - تعالى - :

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

اللبس - بفتح اللام - الخلط ، وفعله : لبس ، من باب : ضرب تقول : لَبَسْتُ عليه الأمر ، ألبسه إذا مزجت بينه بمشكلة ، وحقه بباطله .

ولدعاة الضلالة طريقتان فى إغواء الناس :

إحداهما : طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر وهى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

والثانية : طريقة جحد الحق وإخفائه حتى لا يظهر ، وهى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ .

وقد استعمل بنو إسرائيل الطريقتين لصرف الناس عن الإسلام ، فقد كان بعضهم يؤول نصوص كتبهم الدالة على صدق النبى - ﷺ - تأويلا فاسدًا ، يخلطون فيه الحق بالباطل ، ليوهموا العامة أنه ليس هو النبى المنتظر ، وكان بعضهم يلقى حول الحق الظاهر شبهًا ، ليوقع ضعفاء الإيمان فى حيرة وتردد ، وكان بعضهم يخفى أو يحذف النصوص الدالة على صدق النبى ﷺ ، والتى لا توافق أهواءهم وشهواتهم ، فنهاهم الله - تعالى - عن هذه التصرفات الخبيثة .

والمعنى : ولا تخلطوا الحق الواضح الذى نطقت به الكتب السماوية ، وأيدته العقول السليمة ، بالباطل الذى تخترعونه من عند أنفسكم ، إرضاء لأهوائكم ، ولا تكتموا الحق الذى تعرفونه ، كما تعرفون أبناءكم ، بغية انصراف الناس عنه « لأن من جهل شيئًا عداه ، فالنهى الأول عن التغيير والخلط ، والنهى الثانى عن الكتمان والإخفاء .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ جملة حالية ، أى وأنتم من ذوى العلم ، ولا يناسب من كان كذلك أن يكتم الحق ، أو يلبسه بالباطل ، وإذا كان هذا الفعل ـــ وهو لبس الحق بالباطل ، أو كتمانه وإظهار الباطل وحده ـــ يعد من كبائر الذنوب ، فإن وقعه يكون أقبح ، وفساده أكبر ، وعاقبته أشأم متى صدر من عالم فاهم ، يميز بين الحق والباطل .

ففى هذه الجملة الكريمة بيان لحال بنى إسرائيل ، المخاطبين بهذا النهى ، وتبكيت لهم ، لأنهم لم يفعلوا مافعلوه عن جهالة ، وإنما عن علم وإصرار على سلوك هذا الطريق المعوج .

قال أبو حيان فى « البحر » : وهذه الحال ، وإن كان ظاهرها أنها قيد فى النهى عن اللبس

والكتم، فلا تدل بمفهومها على جواز اللبس والكتم حالة الجهل، إذا الجاهل بحال الشيء لا يدرى كونه حقاً أو باطلا، وإنما فائدتها بيان أن الإقدام على الأشياء القبيحة، مع العلم بها، أفحش من الإقدام عليها مع الجهل(٦).

وبعد أن أمرهم ـــ سبحانه ـــ بأصل الدين الذى هو الإيمان به وبرسوله محمد ﷺ أردفه بركنين من أركانه العملية، إذا قاموا بهما لانت قلوبهم للحق، وانعطفت نفوسهم نحو خشية الله وحده، فقال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

والمراد بإقامة الصلاة، أداؤها مستوفية لأركانها وشرائطها وآدابها. والمراد بإيتاء الزكاة دفعها لمستحقيها كاملة غير منقوصة.

والمعنى : عليكم يا معشر اليهود أن تحافظوا على أداء الصلاة، التى هى أعظم العبادات البدنية، وعلى إيتاء الزكاة التى هى أعظم العبادات المالية، وأن تخضعوا لما يلزمكم فى دين الله ـــ تعالى ـــ لأن فى محافظتكم على هذه العبادات تطهيرا لقلوبكم، وتأليفا لنفوسكم، وتزكية لمشاعركم، ولأنكم إن لم تحافظوا عليها كما أمركم الله ـــ تعالى ـــ فسيلحقكم الخزى فى الدنيا، والعذاب فى الأخرى.

هذا، ونرى من المناسب أن نختم تفسير هذه الآيات الكريمة، وبيان ما اشتملت عليه من توجيه سليم، وتركيب بليغ، بما قاله أبو حيان فى تفسيره، فقد قال ـــ رحمه الله ـــ

« وفى هذه الجمل ـــ وإن كانت معطوفات بالواو التى لا تقتضى فى الوضع ترتيبا ـــ ترتيب عجيب من الفصاحة، وبناء الكلام بعضه على بعض، وذلك أنه تعالى أمرهم أولا بذكر النعمة التى أنعمها عليهم، إذ فى ذلك ما يدعو إلى محبة المنعم ووجوب طاعته: ثم أمرهم بإيفاء العهد الذى التزموه للمنعم، ثم رغبهم بترتيب إيفائه هوتعالى بعهدهم فى الإيفاء بالعهد، ثم أمرهم بالخوف من نقمه إن لم يوفوا، فاكتنف الأمر بالإيفاء أمر بذكر النعمة والإحسان، وأمر بالخوف من العصيان. ثم أعقب ذلك بالأمر بإيمان خاص وهو ما أنزل من القرآن، ورغب فى ذلك بأنه مصدق لما معهم، فليس أمراً مخالفا لما فى أيديهم، لأن الانتقال إلى الموافق أقرب من الانتقال إلى المخالف ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس، ثم أمرهم ـــ تعالى ـــ باتقائه ثم أعقب ذلك بالنهى عن لبس الحق بالباطل، وعن كتم الحق، فكان الأمر بالإيمان أمرا بترك الضلال، والنهى عن لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق تركا للإضلال.

(٦) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ص ١٨٠ ـ مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .

ولما كان الضلال ناشئاً عن أمرين :

إما تمويه الباطل حقا ، إن كانت الدلائل قد بلغت المستمع ، وإما عن كتمان الدلائل إن كانت لم تبلغه ، أشار إلى الأمرين : بلا تلبسوا وتكتموا ، ثم قبح عليهم هذين الوصفين مع وجود العلم ، ثم أمرهم بعد تحصيل الإيمان ، وإظهار الحق بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، لأن الصلاة آكد العبادات البدنية ، والزكاة آكد العبادات المالية ثم ختم ذلك بالأمر بالانقياد والخضوع له ـــ تعالى ـــ مع جملة الخاضعين الطائعين .

فكان افتتاح هذه الآيات بذكر النعم واختتامها بالانقياد للمنعم ، وما بينهما من تكاليف اعتقادية ، وأفعال بدنية ومالية ، وبنحو ما تضمنته هذه الآيات من الافتتاح والإرداف والاختتام يظهر فضل كلام الله ـــ تعالى ـــ على سائر الكلام ، وهذه الأوامر والنواهي ، وإن كانت خاصة ببني إسرائيل في الصورة ، إلا أنها عامة في المعنى ، فيجب على كل مكلف في كل زمان ومكان أن يعمل بها.(٧)

« يتبع »

(٧) تفسير البحر المحيط لأبي حيان جـ ١ ص ١٨١ مطبعة السعادة : الطبعة الأولى سنة ١٣٣٢ هـ

أطفالنا أكبادنا - تمشى على الأرض

فى رعاية الناشئة ... إحسان إلى أنفسنا

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

٣

أولادنا هم الصحف التى ننقشُ عليها خبراتنا ، وتوجهاتنا ، ليضيفوا هم لمن بعدهم ، وبذلك تظلُّ حياةُ الإنسان فى نماء مستمر ، وتتعدل ظواهرُ حياته ، أو يتغير تشكيلُ جوانب منها جيلاً بعد جيل ، حسب نوع اللبنات الفكرية ، أو الصورية التى تضاف أو تنشأ كل حين .

خبراتنا وأولادنا :

إننا نبنى ، ونشيد ، ونكتشفُ ، ونبتكرُ ، ونخترعُ ، ونزرعُ ، نمهدُ بذلك لأطفالنا الذين يُطلُّون على الدنيا بوجوهٍ بريئة ، وقلوب نقية طاهرة ، وهؤلاء يكبرون ويتسلمون الزمام ليُضيفوا ما شاء الله - سبحانه - لهم أن يضيفوا لمن يلونهم ، وهكذا مضت الحياةُ منذ آدم ، وتمضى على السُّنن المقدر لها ، حتى يرثَ الله الأرضَ ومَن عليها .

كيف لا نمنحهم كل رعاية وعناية ؟

إن أطفالنا اليوم هم بناةُ الغد ، وهم رجاله : مفكروه ، وسواعده ، ودروعُ أمنه ، وحماة استقراره ، وهم - فى الإسلام - مُستودَعُ أمانات الآباء ؛ يحفظون الدين ، وينقادون لرب العالمين ، ويُبقون على العهد ما بقى لهم على الأرض نفس ، هم حلقة زمنيَّة فى سلسلة أُسَرهم وقبائلهم التى يتكون من مجموعها تاريخُ الأمة .

وتكتسب الأمة سمتها ومزاياها من امتزاجها

وتضافر جهودها لتقديم أحسن ما عندها وعند أفرادها من خدمات وأعمال بها يتحقق الرخاء والازدهار والترقى المنشود الذى يعود خيره على الجميع ، فالتعاون شعارهم ، والإخلاص حاديهم ، وقصد الخير للجميع غايتهم .

وقد أجرى الله الكريم سنته بأن من قصد الخير وفق له ، ويُسّر عليه ، ومن نوى صالحاً ثُبِّتَ عليه بفضل الله ـ تعالى ـ وإحسانه .

إن أطفالنا يحملون أسماء أسرهم وآبائهم ، وإن الإسلام يوجب علينا إحسان تربيتهم ، وإعدادهم إعداداً طيباً ليكونوا أهلاً للكرامة فى الدنيا ، وللفوز والنجاة فى الآخرة ، وإذا أحسنّا تربيتهم فقد أحسنّا إلى أنفسنا .

إن الأبوة حنانٌ ورحمة ، وإن فلذات الأكباد هم الأولى بهذه الرحمة التى تحيط الناشئة بسياج من الرعاية والعناية يجنبهم أسباب الهلكة والضياع ، ويُرشِد مسالكهم على طريق الخير والنجاح :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ .

(التحريم : ٦)

وهذا هو الذى حدا بإبراهيم الخليل ويعقوب ـ عليهما أفضل الصلاة والسلام ـ إلى تأكيد الوصية بالدين ، والتزام توحيد الإلٰه وطاعته والانقياد لأمره وإسلام الوجوه له ، وظلّت تلك الوصية على ألسنتهم يلحون بها على الأبناء ، ويذكرونهم بها حيناً بعد حين ، وقد كانت تلك آخر وصايا يعقوب وهو يفارق الدنيا ، وقد اطمأن قلبه إلى سلامة موقف أبنائه من الحق ، وتمسكهم به ، وسيرهم على منهاج آبائهم الصالحين .

نموذج للأبوة الحانية :

إن المتدبر فى وصايا لقمان الحكيم ـ عليه السلام ـ ليرى أنموذجاً رائعاً ومؤثِّراً للأبوة الحانية ، والقلب الكبير ، والمربى الكريم ، والحكيم ذى الفكر المستقيم ، والرأى السديد ، وقد سُمّيت إحدى سور القرآن باسمه فيها آيات بينات ، وحِكَمٌ مفصّلات ، ووصايا لبناء النفس الإنسانية بناءً سليماً مكتملاً يشمل : القلبَ ، والعقلَ ، والجسمَ ، والخُلق .

وأول قاعدة فى هذا البناء طهارة القلب بتوحيد الإلٰه وإخلاص الطاعة له ـ وحده سبحانه :

﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ (لقمان : ١٣) .

نهاه عن أعظم الظلم ، وهو الظلمُ الذى لا يُغفر لصاحبه إذا مات مصرًّا على الإنكار أو الشرك فى الأفعال أو الأقوال ، أو النيات ، والنهىُ عن الشىء يقتضى اجتنابه والحذر منه ، ولزوم ضده والتزامه وهو ـ أى الضد ـ التوحيدُ النقىُّ الخالصُ من كل شائبة من شوائب الشرك الذى هو أساسُ كل خير ، ومنبعُ كل بركة ، وسرُّ كل رحمة .

ومن مقتضيات التوحيد شكر المنعم ، وإدْآب الجوارح فى خدمته ، وخشيتُه فى السرّ والعلانية ، لذا أمر الله ـ تعالى ـ العبد بقوله : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ (لقمان : ١٤) .

وبر الوالدين ، وطاعتُهما ، والوفاءُ بحقوقهما ، والقيامُ على خدمتهما ، وخفض الصوت أمامهما ، ولينُ الكلام لهما ، وحسنُ الخلق معهما ، والدأبُ على راحتهما هو عينُ شكرهما .

كما أن طاعة الله وعبادته والإخلاص فيها والقيام

بقرائضه وكثرة ذكره وحمده هو عين الشكر الذى من أجله خلق الإنسان ، ومنح السمع والبصر والعقل والفهم ، وسخر الكون لخدمته .

تربية الضمير وصقله :

إن ما يسمى « الضمير » فى عالم المدنية المعاصرة لايصلحُ وحده للحكم على الأمور ، وتحديد ماهو حسَنٌ ، وماهو قبيحٌ ، ومايبغى وما لا ينبغى ؛ لأنه بطبيعته متذبذبٌ متقلبٌ لا يستقر على حال ، فقد يرضى عن شيء فى حال ، ويسخطُ عليه فى حال حسب تغير المزاج ، والمكان ، والزمان ، وتؤثر فى توجيه النزعاتُ العرقية ، ونوعُ التربية ، ومتقبّلاتُ البيئة والوسط والعرف والرفقة ونحو ذلك ، لذا نجد الجَمَلَ قد استنوق فى المجتمعات المنحلة ، وفى البيئات التى لاترى فى (الخَنا) .. خنا .

أما الضميرُ الذى هذّبه الدينُ الحقُّ ، وصقلته شريعةُ الله ، فإنه ينظر إلى الأمور على بصيرة ، وينطلقُ فى المسير على هداية : فالخيرُ خيرٌ ، والشرُّ شرٌ ، والحلالُ حلالٌ ، والحرامُ حرامٌ ، والخنا خنا ، والشرفُ شرف تأسيساً على مقتضيات الفطرة الإنسانية النقيّة التى ربيت تربيةً صالحةً تستمدُّ مُقوّماتِها وعناصرَها من أوامــر الله ونواهيه ، وهو ـ سبحانه ـ أعلم بعباده وبما ينفعُهم ، وما يضرُّهم ، وما تصلُح به نفوسُهم وأحوالهم .

إحياء الوازع الدينى :

وبعد الإيمان بوحدانية الإله ، يجيءُ إحياءُ الوازع الدينى فى النفس ، وإيقاظُ الرقابة الإيمانية فى القلب ، وتنبيهُ الضمير حتى يظلَّ على طريقه المستقيم :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان : ١٦)

يا بنى :

نداءُ الأبوة الرحيمة يتكررُ فى هذه الوصايا ، والدروس القيمة للإشعار بقرب الابن من قلب الأب ، وإشعار الابن بشفقة الأب وحُنُوِّه وخوفه الذى يدفعه إلى إحاطة الابن بالنور الذى يوضح له معالم طريق حياته .

ثم انظر إلى المثل الذى ضربه ليقرب المعانى المرادة من العقل والقلب ، ويجعلها كأنها ماثلة أمام العين ، **وحبة الخردل مثل لأدنى ما يوزن** ، فلو كان هذا الجرم الصغير مطروحاً فى السموات على عظمة بنيانها وحجمها وأجرامها واتساع جوانبها أو فى الأرض كذلك ، أو كان فى جوف صخرة صمّاء لايدخلها ضوء ، فإن ذلك يقعُ تحت علم الله لايغيبُ عنه ، فكذا أعمال العبد مهما أسرَّ ما أسرَّ منها ، أو اختفى بها عن عيون الناس ، ومهما كانت صغيرة أو كبيرة ، قولاً أو فعلاً ، أو نية وعزماً ، فإن الله ـ عز وجل ـ يريها لصاحبها يوم الحساب ويجازيه عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرٌ .

إنه مَثَلٌ يصقُلُ ضمير المؤمن ، ويُحيى قلبه ، ويجعل رقيبه من نفسه ، فيقفُ عند حدود الله ـ عز وجل .

إن لقمان حقاً نموذجٌ سام عظيمٌ للمربّين والآباء والأمهات والمرشدين فى منهجه وأسلوبه الرفيع فى تنمية الفضائل الثابتة ، وإذا استقام ضميرُ المرء تجنب المهلكات ، والموبقات ، فيسلم له عقلُه ، وبدنُه ، ونفسُه ، ويصير عضواً صالحاً نافعاً لذاته ولغيره .

وإذا صحّ الإيمان ، وقوىَ الوازعُ الدينى ، أقبل الإنسان على طاعة الله ، وأعظم العبادات الصلاة ، فقد أمر الله بها جميع المرسلين والأنبياء ، ووصى بها جميع أولياء الله الصالحين أولادهم وأهليهم وطلبوا من الله العون على أدائها والمحافظة عليها : « يابنى أقم الصلاة » وكلمة « يابنى » مع كل وصية لها وقْعٌ جميلٌ فى النفس وتكرارها يستميل المنصوح .

﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ (لقمان : ١٧)

إن إقامة الصلاة تتصلُ بالنفع الذاتى فمن أدّاها نفع نفسه ، وأنقذ مُهجته ، وأسعد روحه ، ومن كان على هذا النحو من التربية الرشيدة ينصح بأن يكون له دور فى النفع المتعدّى على حسب إمكاناته وفى حدود الآداب الشرعية يُوجّه إلى الخير ، وينصحُ بالرجوع عن الشرّ ، ويصبر على أداء ما يمكنه فى هذا السبيل ، يصبر على الطاعة ،ويصبرُ على المشقة ، يصبرُ عن المعصية ، ويصبرُ إذا لحقه أذى عتباً راضياً كافاً جوارحه عما يُسخط الله .

الوقار والتواضع والخُلق الكريم:

ثم إن بناء النفس المطمئنة بالإيمان الصحيح ، والطاعة والانقياد ، وإحياء الوازع الدينى فى القلب ، ومراقبة الله فى السرّ والعلن ، وبأداء الفرائض ، وإيصال الخير للناس ، إن هذا كله لايكتمل جماله ورنقه ، ولا يتم قبوله إلا من النفس التى تتواضع لله ــ عز وجل ــ وتضع النعم فى مواضعها الصحيحة التى خلقت لها ، وهيئت من أجلها ، ويتسم صاحبها بالحلم والوقار والسكينة ولين الجانب وسعة الصدر والخلق الكـــريم والتواضع لعباد الله :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ .

أى : لا تتكبر على عباد الله ، احذرْ هذا لأن الكبرياء لله وحده فمن نازعه فى كبريائه قصمه وأذله

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ .

إياك والاختيال والعُجب فأنت من الطين وإلى الطين ، والناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وإن الله يُبغض أهل الاختيال والعُجب والتعالى على الناس لأى سبب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان : ١٨) ، بل عليك بالقصد والتوسط والاعتدال والرفق فى كل أمورك ، ويظهر ذلك فى : مشيك ، وخفض صوتك ، فلا ترفعه فوق الحاجة فى مخاطباتك ومعاملاتك ؛ إذ الصوتُ العالى من غير سبب مُوجب له قبيحٌ ، ويُضرب له المثل بصوت الحمار الذى هو أبغض صوت إلى الناس :

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾

(لقمان : ١٩)

هذا نموذجٌ رائع لنفس إنسانية عظيمة ضُرب بها المثل فى الحكمة وبعد النظر ، واستقامة الفكر ، والحنان الأبوى الذى هو أنموذجٌ توجه إليه الأنظار ، ويلتفت إليه أهلُ العقل والحكمة فى مجال رعايتهم لفلذات الأكباد .

إذ لا ينبغى أبداً أن يُتركوا هملًا ، أو يُلقى بهم فى خضم الحياة قبل التسلح بالدين والخلق الكريم والعلم المفيد ، وجدية الاستقامة على مبادىء الفطرة النقية الطاهرة التى نمّاها دين الله ، وهذبها ، وبصّرها ، ورشّد مسالكها وتوجهاتها .

قبس من أنوار النبوة

.. أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين

لفضيلة الشيخ

علي حامد عبد الرحيم

عن أبي موسى الأشعري ـ يرفعه إلى النبي ﷺ قال : إن إبليس يبعث جنوده كل صباح ومساء فيقول : من أضل رجلا أكرمته ، ومن فعل كذا فله كذا ، فيأتي أحدهم فيقول : لم أزل به حتى طلق امرأته ، قال : يتزوج أخرى فيقول : لم أزل به حتى زنا ، فيجيزه ويكرمه ويقول لمثل هذا فاعملوا .

ويأتي آخر فيقول : لم أزل بفلان حتى قتل ، فيصيح صيحة يجتمع إليه الجن فيقولون له : يا سيدنا ما الذي فرّحك ؟ فيقول : حدثني فلان أنه لم يزل برجل من بني آدم يفتنه ويصده حتى قتل رجلا فدخل النار فيجيزه ويكرمه كرامة لم يكرم بها أحدا من جنوده ثم يدعو بالتاج فيضعه على رأسه ويستعمله عليهم » .

رواه أبو نعيم في الحلية ، والسيوطي في جامع الأحاديث برقم ٧٢٦٤ .

خلق الله الملائكة من نور ، وطبعهم على الطاعة لله رب العالمين ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

سورة التحريم ـ آية : ٦

ولهم عمل في الكون يخفى على الإنسان ، ومنهم من يلازم الإنسان في حياته كلها ، جاء في الأثر

« إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء ، وعند الجماع ، فاستحيوهم وأكرموهم » .

وهم مع الإنسان المؤمن بعد الممات ، كما قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ . سورة فصلت

وعالم الملائكة غيبي لا يدرك بالحس ولا بالعقل ، ونحن مكلفون بالإيمان بهم .

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ سورة البقرة ـ آية : ٢٨٥

وخلق الله الجان من مارج من نار . منهم الصالح ومنهم دون ذلك . ومنهم الكفرة وهم الكثرة . وهم مكلفون كبنى آدم ، ورسلهم من البشر قال الله ـ تعالى ـ عنهم :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾

سورة الجن ـ آية : ١٤ ، ١٥

ومنهم إبليس أبو الشياطين وأصلهم الأول من عالم الجن . وهم أهل التمرد على الله ، والتخريب ، والتدمير ، وتحريف الدين ، والخروج على الفطرة ، وتحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، والتشكيك فى أمر الآخرة وقد طلب إبليس من الله ـ عز وجل ـ أن ينظره إلى يوم القيامة لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم واحتجاجه بأنه خير منه ، وإخراجه من الجنة . حين تكبر وادعى أنه خير منه حقدا وحسدا ، مقسما بالله .

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

سورة ص ـ آية : ٨٢

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ . الإسراء

فقعد لابن آدم فى كل طريق ، يصده عن ذكر الله وطاعته ، ويزين له ما تهفوا إليه نفسه ، ويميل إليه هواه من حب للجنس ، وطمع فى المال وحرص على المنصب والجاه ، أو إيثار للاستبداد والظلم والطغيان ، يغرى بالعداوة والبغضاء بين الناس ، ويفرق بين الأخ وأخيه وبين الزوج وزوجه ، يشعل نيران الفتنة بين الأفراد والجماعات ، ويوقد نيران الحروب بين الأمم والشعوب . حتى يهلك الحرث والنسل .

إن كل فساد جنسى ، أو خلقى ، أو اجتماعى ، إنما هو من نتاج إبليس وجنوده الأشرار .

عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال النبى ﷺ : « **إن إبليس الملعون يخطب شياطينه فيقول : عليكم باللحم وبكل مسكر وبالنساء** » رواه الحاكم .

لقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى ـ من مكايد الشيطان ومكره . لقد كاد لأبينا آدم ـ عليه السلام ـ ولأمنا حواء ، حتى أخرجهما من الجنة بأيمانه الكاذبة مدعيا أنه لهما ناصح أمين ، يريد خلودهما فى الجنة .

قال تعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا

﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ سورة الأعراف

وهو الذى كاد لابن آدم : قابيل حتى قتل أخاه .

ومن مكره وكيده أنه يورد الموارد ، ويوقع ابن آدم فى المهالك ، فيأمره بالسرقة ويوقعه فى جريمة الزنا ، ويدفعه إلى القتل .

قال الله ـ تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال

وهو الذى يتدرج بابن آدم خطوة وراء خطوة حتى يخرجه إلى الكفر والضلال ..

وصدق الله حيث يقول : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ . (سورة الحشر)

لقد نهانا ربنا ـ سبحانه ـ عن تتبع خطوات الشيطان وأن نحذر منه وأن نتقى شره فقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٦٨ ، ١٦٩

ثم فى مشهد من مشاهد يوم القيامة يميز الله فيه المجرمين ، ويوجه لهم الخطاب ناعيا عليهم طاعتهم للشيطان وعبادتهم له .

﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

(سورة يس)

ويوم القيامة يخطب الشيطان فى الذين اتبعوه ملقيا عليهم اللوم فى ضلالهم ومتابعتهم له ليزيدهم حزنا إلى حزنهم ، وحسرة إلى حسرتهم :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾ . سورة إبراهيم ـ آية : ٢٢

ولكن المؤمن بتوبته إلى ربه ، ورجوعه إلى خالقه تتغلب فيه جوانب الخير على جوانب الشر فيعرض لهداية الله ، ويبصر الحق والنور . كما قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ . سورة الأعراف

والإنسان بمقتضى خلافته عن الله فى الأرض مكلف أن ينمى فى نفسه معانى البر والخير والصواب والطاعة والتقوى ، وأن يقاوم نوازع الإثم والشر والفجور حتى يبلغ الكمال الروحى الذى أراده الله له وإن زلت به القدم ، أو تورط فى الإثم ، أو جانبه الصواب ، فأمامه السبيل الذى

يسره الله ـ تعالى ـ وعلمناه ورحمه فى توبة أبينا آدم واستئناف حياة الطهر والعفاف والصفاء والنقاء . ويحذر الشيطان وكيده .

قال شقيق البلخى : ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد : من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى . فيقول : لا تخف فإن الله غفور رحيم ، فأقرأ :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ . سورة طه

وأما من خلفى فيخوفنى الضيعة على من أخلفه ، فأقرأ :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

سورة هود ـ آية : ٦

ومن قبل يمينى ، يأتينى من قبل النساء ، فأقرأ :

﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ١٢٨

ومن قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات ، فأقرأ :

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ .

سورة سبأ ـ آية : ٥٤

وحينئذ يكون ذكر الله والاستعانة به على نوازع الشر ، والاستعاذة به من الشيطان وشركه ، والتوفيق لكل خير ، والله المستعان .

بسم الله الرحمن الرحيم

وقت الفجر

عقب نشر موضوع تصحيح وقت الفجر بعدد شوال من مجلة الأزهر أودعت إدارة التحرير لمجلة الأزهر نسخا عدة بدار الإفتاء ليطلع عليها فضيلة الدكتور المفتى بشأن تحديد وقت طلوع الفجر ، وبالتالى تصحيح الأوقات . علمت إدارة التحرير أن دار الإفتاء قامت بمخاطبة كل من مصلحة الأرصاد الجوية وهيئة المساحة . وقسم الفلك بعلوم الأزهر ، ومرصد حلوان - فى بداية من دار الفتوى لاستطلاع الأمر ودراسته قبل أن تصدر بيانا رسمياً فى هذا الموضوع ونسأل الله - تعالى - التوفيق ..



جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله ابن مالك الطائي الجياني (*)

عرض الأستاذ/ أحمد تقي الدين

هذا العالم الجليل وضع يثير الدهشة :

فمتى ولد ؟ أين ذهبت أسرته ؟ كيف قضى طفولته وصباه ؟ أسئلة تطرح حتى يومنا هذا عن العالم النحوي ، جمال الدين أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك ، وتظل بلا شجابة .

غير أن الأمر لم يخل من اجتهادات ، فالمقرى يرى أنه ولد سنة ٥٩٨ هـ ، وتوفى سنة ٦٧٢ هـ عن خمسة وسبعين عاما ، وأيد هذا الرأى الخضرى والأشمونى استنادا إلى قول ابن غازى :

* اعتمدنا في إعداد مادة هذا المقال على كتاب: « شرح الكافية الشافية » تأليف العلامة جمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك حققه وقدم له الدكتور عبدالمنعم أحمد هريدي ، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ط ١٩٨٢ م ، وجاء التحقيق في خمسة أجزاء من القطع العادي ، مادة الكتاب تقع في أربعة أجزاء جاءت في اثنتين وأربعين ومائتين وألفي صفحة فأما الجزء الخامس فقد احتوى على فهارس الكتاب وجاء في ثلاثمائة وتسعين صفحة

والتعريف بهذا السفر النفيس نقتطف بعضا مما أورده المحقق في مقدمته يقول : « إن كثيرا من المكتبات العربية أصابها ما أصابها من جراء الحروب المتوالية .. مما كان يخشى معه القضاء على الكنوز العربية النفيسة . وهنا تنبه العلماء فشمروا عن ساعد الجد .. يحفظون ما يمكن حفظه من التراث العربي .. وقد سلك العلماء في سبيل تذليل هذا أمورا منها نظم الضوابط المختلفة لبعض العلوم ، وكان لابن مالك في هذا المجال القدح المعلى .. بنظم القواعد النحوية وغير النحوية .. في عبارة تخف معها المؤونة ، وتخف بها المعونة ، ويكون الغناء بها مضمونا .. وتضمن وصول المعلومات إلى أذهان المتعلمين في يسر .. ومن أهم الأراجيز النحوية التي بدأ بها ابن مالك حياته في مجال النظم .. « الكافية الشافية » .. وهي .. نظم موجز يحتوي على سبعة وخمسين وسبعمائة وألفين من الأبيات .. وقد جاءت مقدمة الأرجوزة في سبعة عشر بيتا والخاتمة في خمسة والباقي الخاص بالمادة العلمية وقسم النظم إلى ستة وستين بابا ، واثنين وستين فصلا .. وقد ضمن الناظم مقدمته الداعي إلى هذا النظم ، وقد حصره في شيء واحد هو قصد إفادة المتعلمين بما اجتهد هو في تحصيله من علم يخشى أن يمضي دون أن يفيد به أحد .. وبعد أن نظم أرجوزته أتبعها بشرح .. » انظر مقدمة المحقق ص ٣٦ : ٤٥ .

قد نجم ابن مالك فى خبعـا
وهو ابن عه كذا وعى من قد وعـى

والبيت قصد به بيان تاريخ وفاة ابن مالك وعمره ؛ فتاريخ وفاته يدل عليه قوله « خبعا » إذ الخاء : ستمائة ، والعين: سبعون ، والباء : ثنتان ؛ أما عمره فيؤخذ من قوله « عه » لأن العين: سبعون ، والهاء : خمسة .

يرجح هذا القول احتمال أن يكون ابن مالك هجر أرض الأندلس عقب موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ فى سن لن تكون بحال اقل من اثنتى عشرة سنة .

موطن ولادته :

اختلف المؤرخون أيضا فى موطن ولادة ابن مالك وذلك نظرا لتركه موطنه الأصلى فى سن مبكرة، والغموض الذى أحاط حياته فى الأندلس فضلا عن اقتران نبوغه بدمشق ، ولكن الأرجح أنه ولد فى « جيان الحرير » من كبريات بلاد الأندلس خاصة وأنه كتب اسمه بخط يده « محمد ابن عبدالله بن مالك الطائى الجيانى » .

وأيضا تضاربت الأقوال بشأن نسبه وينحصر هذا التضارب فى روايتين :

الأولى : رواية الشيخ شمس الدين محمد بن على ابن طولون الصالحى وتقول : إنه محمد بن عبدالله ابن عبدالله بن عبدالله بن مالك .

والثانية : أن اسمه محمد بن عبدالله بن مالك وهى رواية الدماميني ، وعلى أى الأحوال فقد أجمعت المصادر على أنه كان يكنى بأبى عبدالله ، وأنه كان يلقب بـ « جمال الدين » .

وقد كتب رحمه الله إجازتين علميتين لتلميذه ابن جعوان ، جاء فى نهاية الأولى : « عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائى الجيانى » .

ثقافته ورحلاته

نشأ ابن مالك محبا للعلم والثقافة مقبلا على مؤلفات القدماء ساعده على ذلك عقل مفكر ، وذهن صاف وذاكرة حافظة ، ولم يطل به المقام فى (جيان) فقد انتقل منها إلى دمشق ، ومر فى رحلة انتقاله تلك بالقاهرة ، ومكث بها بعض الوقت ، وتذكر بعض المصادر أنه تولى القضاء بالقاهرة ، وهو أمر يكتنفه بعض الشك لصغر سنه وقتئذ ومن القاهرة ارتحل ابن مالك إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ، ومنها انتقل إلى دمشق ، حيث تتلمذ على أيدى بعض علمائها ، ثم انتقل إلى حلب ، واشتغل فيها بالتدريس ، ومنها إلى حماة ، ليعود بعد ذلك إلى دمشق .. يجمع من حوله طلاب العلم الذين تحلقوا حوله يستمعون إلى دروسه .

فكان ـ رحمه الله ـ عازفا عن زخرف الدنيا ، مؤثرا العلم ، مكبا على دراسة كتب أسلافه وأقرانه حتى استوعبها تماما ، وكان فى كل مكان يحل به يجذب حوله طلاب العلم يسمعون منه فى : النحو والصرف ، واللغة ، والحديث ، والقراءات ، فكان يقرأ ويدرس ، ويبحث ويدون ، ويصنف ، ثم يملى على مريديه .

وفاته :

وظل هكذا حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء ، الثانى عشر من شعبان سنة اثنين وسبعين وستمائة ، ودفن بسفح جبل (قاسيون) وقبره بالروضة شرق قبر الشيخ موفق الدين بن قدامة .

مؤلفاته

كانت مهمته فى التأليف والتصنيف شاقة عسيرة ، حيث كان مريدوه متفـاوتين فى

المستويات العقلية والعلمية ، وكان عليه ان يلبي رغبات الجميع ، ومن هنا اتسمت مؤلفاته بسمات شتى منها : التفاوت بين الطول والقصر ، والإطناب والإيجاز ، والسهولة ووعورة المسلك ، والاقتصار – أحيانا – على موضوع واحد .

أما أهم مؤلفاته فهي :

– عمدة الحافظ وعدة اللاحظ .

– شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح .

– شرح الكافية الشافية .

– ألفية ابن مالك .

والواقع أن ما لم تمتد إليه يد الفناء من آثار ابن مالك ينبيء عن اتصال بنواح كثيرة من العلوم كاللغة ، والنحو ، والصرف ، والعروض ، والحديث ، والقراءات ، فتنوعت دراساته حتى كادت تشتمل أكثر علوم العربية في عصره .

آية في الحديث .

وامتزاج الثقافات ظاهر في مؤلفاته ، حيث ساعدته درايته باللغة ، وإحاطته بالنحو والصرف ، وإلمامه بالأدب على حل المشكلات التي تنشأ من الاختلاف في فهم النصوص ، حتى قال عنه المؤرخون : «كان ابن مالك آية في الحديث» فقد كان يسمع الحديث ويرهف السمع ليضبط مشكله ، ويخرج ما في ظاهره البعد عن قياس العربية ، ثم يصنف فيه ، وبذا يكون قد حصل منه ما لم يحصله كثير من[1] أمثاله حتى قال عنه أبو حيان : « قد نهج هذا المصنف في تصانيفه كثيرا بالاستدلال بما وقع في الحديث في إثبات القواعد الكلية في لسان العرب ، ومارأيت أحداً من المتقدمين ، ولا المتأخرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل » .

وكان الشرف اليونيني يقرأ الحديث بين يدى شيخه ابن مالك ، فإذا مر بهم لفظ يوهم ظاهره مخالفة قوانين العربية . سأله الشيخ : « هل الرواية فيه كذلك » فإن أجاب بأنه منها شرع ابن مالك في توجيه الرواية لتسير في ظلال القواعد العربية .

ومن ثم وضع كتابه المسمى « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » .

ومما كتبه ابن مالك على الورقة الأولى من الجزء الأخير من نسخة الشرف اليونيني من صحيح البخاري:

« سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخاري – رضي الله عنه – بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتقن شرف الدين أبي الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني – رضي الله عنه وعن سلفه .

وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء، ناظرين في نسخ معتمد عليها فكلما مر بهم لفظ ذو أشكال بينت فيه وجه الصواب وضبطته على ما اقتضاه علمي بالعربية .

وما افتقر إلى بسط العبارة ، وإقامة دلالة أخرت أمره إلى جزء استوفي فيه الكلام مما يحتاج إليه من نظير وشاهد ليكون الانتفاع به عاما – إن شاء الله تعالى – وكتبه محمد بن عبدالله بن مالك – حامدا الله تعالى » .

كما كتب الحافظ اليونيني على ظهر آخر ورقة من نفس المجلد : « بلغت مقابلة وتصحيحاً ،

---

(١) سبق للأستاذ الدكتور حمادى أن نشر بحثا في هذا الموضوع بأعداد ... وفيها للإمام النووى ... .

واستماعاً بين يدي شيخنا شيخ الإسلام، حجة العرب، مالك أزمة الأدب العلامة أبي عبدالله ابن مالك الطائي الجياني ــ أمد الله في عمره ــ في المجلس الحادي والسبعين ، وهو يراعي قراءتي ، ويلاحظ نطقي ، فما اختاره ورجحه وأمر بإصلاحه أصلحته ، وصححت عليه .. » .

وكان أهم ما يميز ابن مالك في عمله : الرجوع إلى الحق ، ومن ذلك أنه ــ رحمه الله ــ لما سئل عن قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » هل هو بالراء أم بالنون ؟ أنكر النون .

فلما قيل له : إن في « الغريبين » للهروى رواية بالنون رجع عن قوله الأول ، وكان رحمه الله لايكتب شيئا من محفوظه حتى يراجعه في محله .

ومن أمثلة استشهاده بالحديث ما أورده في « شرح الكافية الشافية » التي أورد فيها ثمانية وسبعين حديثا:

قوله في باب الأفعال الاسم الناصبة الخبر (جـ١ ص ٣٨٨ : ٣٩٠): « يساوى (صار) في العمل ما وافقها في المعنى .. وفي الحديث: (فاستحالت غربا)[٢] (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[٣] وقوله في باب التعجب (جـ٢ ص ١٠٧٦) : « وللتعجب ألفاظ كثيرة لا يبوب لها ..

وكقول النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ: (سبحان الله . إن المؤمن لا ينجس)[٤] وقوله في باب عوامل الجزم (جـ٣ ص ١٥٨٦) « .. ولابد لأداة المجازاة من فعل يليها يسمى شرطا ، وفعل بعده ــ أو مقامه ــ يسمى جوابا وجزاء .

وإذا كانا فعلين جاز أن يكونا مضارعين وأن يكونا ماضيين .

وأن يكون الشرط ماضيا ، والجواب مضارعا وأن يكون الشرط مضارعا والجواب ماضيا .

وأكثر النحويين يخصُّون الروجه الرابع بالضرورة ، ولاأرى ذلك ، لأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: « من يقم ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه[٥] وقوله رحمه الله في باب الحكايـــة (جـ٤ ص ١٧٢٢ ، ١٧٢٣): « ...وإذا نسب إلى ضرف أو غيره حكم هو للفظه دون معناه جاز أن يحكي، وجاز أن يُعرب بما تقتضيه العوامل .

فمن الحكاية قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (إياكم ولـو فإن لو تفتح عمـل الشيطان)[٦] .

---

(٢) أخرجه البخاري في باب التعبير ص ٢٨ ، ٢٩
(٣) أخرجه البخاري في باب العلم ص ٤٣ ، ومسلم باب الإيمان ص ١١٨ ، ١٢٠ وأبو داود في باب السنة ص ١٥ والترمذي في باب الفتن ص ٢٨
(٤) أخرجه البخاري في الجنائز ص ٨
(٥) أخرجه البخاري في باب الإيمان ص ٢٥
(٦) أخرجه مسلم في القدر ٣٤

مجموعة تعريفات ومصطلحات فقهية

في

لغة معاصرة

تصنيف الدكتور: عبد العزيز عزت عبد الجليل حسن

٢

أنواع المياه

المياه كثيرة : مياه الأنهار ، ومياه الآبار ، ومياه الأمطار ، ومياه البحار ، ومياه العيون ، وغير ذلك ، ونتناول هنا المياه من حيث ما يصح التطهير بها ، وما لا يصح ، وهى ثلاث أقسام : ـ

(١) الماء الطهور

الماء الطهور : هو الماء الطاهر فى ذاته المطهر لغيره باستعماله وهو كل ما نزل من السماء أو نبع من الأرض ، ولم يتغير أحد أوصافه الثلاثة وهى : اللون والطعم والرائحة من الأشياء التى تسلب طهوريته ولم يكن مستعملا .

والمالكية قالوا : إن استعمال الماء لا يخرجه عن كونه طهورا فيصح الوضوء والغسل بالماء المستعمل مع الكراهة فقط .

والماء الطهور يرفع الحدث الأكبر ؛ وهو ما يوجب الغسل كالجنابة مثلا ، ويرفع كذلك الحدث الأصغر وهو ما يوجب الوضوء كخروج البول والغائط من السبيلين ، وهما : القبل والدبر .

(٢) الماء الطاهر

الماء الطاهر هو : الماء الذى لا يصح استعماله فى العبادات من وضوء وغسل وجنابة ونحوها كما لا يصح تطهير النجاسة به عند غير الحنابلة الذين قالوا : إن تطهير النجاسة به يصح .

(٣) الماء المتنجس : –

الماء المتنجس هو : الماء الذى خالطته نجاسة وهو نوعان :

(ا) الماء الطهور الكثير : –

وهذا النوع لا يتنجس بمخالطة النجاسة إلا إذا تغير أحد أوصافه الثلاثة من لون أو طعم أو ريح .

(ب) الماء الطهور القليل : –

وهذا النوع يتنجس بمجرد حلول النجاسة به سواء تغيرت أحد أوصافه أم لا .

حد الماء الكثير : –

الماء الكثير هو ما كان قدر قلتين فأكثر ويقدر ذلك حاليا وزنا بالرطل المصرى $\frac{3}{7}$ ٤٤٦ أربعمائة وستة وأربعون رطلا وثلاثة أسباع الرطل وهو ما يساوى = ٢٠٠ لتر تقريبا = ١٠ عشر صفائح[1] .

أما مقدار مكان القلتين إذا كان مربعا : ذراع وربع ذراع طولا وعرضا وعمقا بذراع الآدمى المتوسط .

وإذا كان مدورا ؛ كالبئر فإن مساحته ينبغى أن تكون : ذراعا عرضا ، وذراعين ونصف ذراع عمقا وثلاثة أذرع محيطا .

أما إذا كان مثلثا ؛ فينبغى أن تكون المساحة : ذراعا ونصف ذراع عرضا ومثل ذلك طولا ، وذراعين عمقا .

وعند الحنفية أن الماء الكثير فيما إذا كان فى مكان أو حوض لا تقل مساحته عن عشرة أذرع فى عشرة أذرع ، أى لا تقل مساحة محيطه عن ستة وثلاثين ذراعا بذراع العامة كالماء الراكد فى المياضىء الكبيرة ومياه السواقى .

الماء القليل

الماء القليل يعرف عند بعض الفقهاء : بأنه ما نقص عن قلتين بأكثر من رطلين ، وعند

---

(١) الرطل المصرى يساوى ٤٤٩,٢٨ جرام .

الحنفية : هو ما كان أقل من عشرة أذرع فى عشرة أذرع .

ما لا يخرج الماء عن الطهورية : ـ

ذكر الفقهاء للتغير الذى لا يخرج الماء عن كونه طهورا أمثلة منها : ـ

أن تتغير أوصافه كلها أو بعضها :

١ ـ أن تتغير أوصافه كلها أو بعضها بسبب المكان الذى استقر فيه ، أو مر به مثل : البرك الموجودة فى الصحراء ونحوها ، والمياه التى تمر على المعادن مثل الملح والكبريت .

٢ ـ أن يتغير الماء بطول مكثه كما إذا وضع فى قربة أو ـ زير ـ ومكث فيه طويلا فتغير فإن هذا التغير لا يخرجه عن كونه طهورا .

٣ ـ تغير الماء بسبب ما تولد فيه من سمك أو طحلب .

٤ ـ ومما لا يخرج الماء عن طهوريته أن يتغير بسبب المادة التى دبغ بها الإناء ، فالماء الذى يوضع فى القربة المدبوغة إذا تغير أحد أوصافه لا يهم ولا يضر .

٥ ـ ومنها أن يتغير مما يتعذر الاحتراز منه كوقوع التبن وورق الشجر فيه ونحو ذلك مما تذروه الرياح وتلقيه فى الآبار والترع .

٦ ـ ومنها أن يتغير الماء بما جاوره ، كما إذا وضعت جيفة بشاطىء الماء فيتغير الماء برائحتها ، وهذا وإن أباح الشارع الحكيم الوضوء منه أو الغسل ، فإنه من جهة أخرى نهى عن استعماله نهيا شديدا إذا ترتب عليه ضررا أو إيذاء للمارة أو نحو ذلك .

الســـؤر

السؤر : جمع أسآر ما يبقى فى الإناء من الماء أو البقية مطلقا .

الأسآر أربعة :

الأول : طاهر غير مكروه وهو سؤر الآدمى جنبا كان أو حائضا أو مشركا .

الثانى : طاهر مكروه وهو سؤر الهرة والدجاجة المخلاة وسواكنها البيوت ، كالحية والعقرب والفأر .

الثالث : نجس وهو سؤر الخنزير والكلب ، وسبع البهائم .

الرابع : مشكوك فيه وهو سؤر البغل والحمار .

الوضـــوء

الوضوء لغة : الحسن والنظافة .

وشرعا : نظافة مخصوصة باستعمال الماء فى أعضاء مخصوصة وهى : الوجه ، واليدان ، والرجلان بكيفية مخصوصة .

الغَسْـلُ

الغَسْلُ : هو الإسالة ، وحدُّه أن يتقاطر الماء من العضو المغسـول قطرتين على الأقل .

الغُسْـلُ

الغُسْلُ : بضم الغين معناه : استعمال الماء الطهور فى جميع البدن على وجه الخصوص .

المَسْحُ :

المسح هو : إصابة العضو بالماء بمعنى أن يصيب العضو البلل .

المضمضـة

المضمضة هى : عبارة عن أن يغسل جميع فمه بالماء ويكفى فى ذلك وضع الماء فى فمه بدون تحريك خلافا للمالكية .

الاستنشـاق

الاستنشاق هو : جذب الماء بنفسه إلى داخل الأنف بحيث يصل الماء إلى مارن الأنف ، وهو نهاية العظمة اللينة .

الوَتَرَة

الوَتَرَة : يجب غسل وَترة الأنف ـ بفتح التاء الفوقية والواو ، وهى الحاجز بين طاقتى الأنف لأنها من الأنف .

حـد الوجـه

حد الوجه : حد الوجه طولا لمن لا لحية له يبتدىء من منابت شعر الرأس المعتاد إلى منتهى الذقن ، ومنابت الشعر المعتاد من فوق الجبهة ـ القورة .

الأصـلع

الأصلع : هو الذى ذهب شعر رأسه من أمام حتى كأنه خلق بدون شعر ، وحكم هذا أنه لا

يجب عليه أن يغسل كل ما ليس عليه شعر من الصلع وإنما يغسل القدر الذى ينبت عنده شعر الرأس غالبا وهو ما فوق الجبهة بقليل .

الأفــرع

الأفرع : بالفاء لا بالقاف ، وهو الذى طال شعره حتى نزل على جبهته ، وربما وصل عند بعض الناس إلى قرب حاجبيه وحكمه حكم الأصلع .

حد الوجه عرضا

حد الوجه عرضا : يبتدىء من أصل الأذن إلى أصل الأذن الأخرى ويعبر عنه بعضهم بوتد الأذن ، والبياض الموجود بين الذقن وبين الأذن داخل فى الوجه أيضا ويسمى العذار كذلك فيجب غسله عند الشافعية والحنفية خلافا للمالكية ، وذهب الحنابلة إلى أن البياض الموجود المذكور من الرأس فيمسح ولا يغسل .

تخليل اللحية والأصابع

تخليل اللحية والأصابع والمقصود بذلك ، هو تشبيك الأصابع فى اللحية كأنها أسنان المشط وتخليل الأصابع كذلك .

التيامن :

التيامن : هو بدء كل عمل ، أو فعل ، باليمين ، إن الله يحب التيامن فى كل شىء حتى الترجل والتنعُّل .

سلس البــول :

سلس البول : هو مرض خاص يترتب عليه نزول البول أو انفلات الريح أو الاستحاضة أو الإسهال الدائم أو الرعاف الدائم أو نحو ذلك من الأمراض المعروفة ، فمن أصابه مرض من هذه الأمراض فإنه يكون معذورا ، ولكن لا يثبت عذره فى ابتداء المرض .

المعــذور :

المعذور هو : من استمر نزول حدثه متتابعا وقت صلاة مفروضة ، فإن لم يستمر كذلك لا يكون صاحبه معذورا ، والمعذور يتوضأ لكل صلاة ويصلى بهذا الوضوء ما شاء من الفرائض والنوافل حتى يخرج وقت الصلاة .

الاســـتنجاء

الاستنجاء هو : إزالة الخارج من أحد السبيلين ، القبل والدبر ـ عن المحل الذى خرج منه إما : بالماء أو الأحجار أو الورق ، ويعبر عنه أحيانا بالاستطابة أو الاستجمار .

الاســـتبراء

الاستبراء هو : إخراج ما بقى من المخرج من بول أو غائط حتى يغلب على الظن أنه لم يبق فى المحل أى أثر .

المـــذى

المذى هو : ماء أصفر رقيق يخرج من القبل عند اللذة غالبا وهو ينقض الوضوء .

الـــودى

الودى : ماء ثخين أبيض يشبه المنى يخرج عقب البول غالبا وهو ينقض الوضوء .

الهـــادى

الهادى : ماء أبيض يخرج من قُبل المرأة الحامل قبل ولادتها وهو ينقض الوضوء .

اللمس

اللمس : تارة يكون باليد ، وتارة يكون بغيرها من أجزاء الجسم ولمس من يشتهى ينقض الوضوء بشروط .

والشافعية قالوا : إن لمس الأجنبية ينقض مطلقا

المس

المس ما يكون باليد خاصة ، وحكمه فيه تفصيل فى المذاهب ، **فالشافعية والحنابلة** خلطوا بين أحكام المس واللمس ، **والمالكية والحنفية** فرقوا بين اللمس والمس وذكروا لكل منهما أحكاما تخصه .

الجنب

الجنب هو : من به جنابة من جماع أو احتلام أو أى سبب من الأسباب التى توجب الغسل ومن بينها الآتى :

الإيلاج

الإيلاج : والمقصود بذلك إدخال رأس عضو التناسل - (الحشفة) فى قبل أو دبر .

نزول المنى

نزول المنى من الرجل أو المرأة فى اليقظة أو فى النوم .

دم الحيض أو النفاس

دم الحيض أو النفاس ، وهما من موجبات الغسل ، والحيض هو : الدم الذى تصير به المرأة بالغة ، وهو سيلان دم مخصوص من موضع مخصوص ، فى وقت مخصوص .

الحيض

الحيض : يشمل دم الحيض ، ومكانه ، وزمانه .

النفاس

النفاس هو : الدم الخارج عقب الولادة أو قبلها بقليل ولكن الحنفية يرون أن الدم الذى يخرج قبل الولادة دم فساد ، ولا تعتبر المرأة به نفساء .

السقط

السقط : إن ظهر بعض خلقه من أصبع أو ظفر أو شعر أو نحو ذلك ، فهو ولد تصير به المرأة بهذا الدم الخارج عقبه نفساء ، وإن لم يظهر من خلقه شيء من نحو ذلك بأن وضعته علقة أو مضغة فهو دم حيض إن صادف عادتها ، وإلا فهو دم علة وفساد ، **ولم يشترط الشافعية** فى النفاس أن يظهر بعض خلق الولد .

والإجهاض ، والإسقاط بمعنى واحد ويأخذان هذا الحكم من حيث كونه دم نفاس أم لا .

الاستحاضة

الاستحاضة هى : سيلان الدم فى غير وقت الحيض والنفاس من الرحم ، فكل ما زاد على أكثر مدة الحيض أو نقص عن أقله فهو استحاضة ، والمستحاضة من أصحاب الأعذار ، حكمها : حكم من به سلس البول وغيره ، ولا تمنع شيئا من الأشياء التى يمنعها الحيض والنفاس ، كقراءة القرآن ودخول المسجد وغير ذلك .

[يتبع]

كفارة القتل
دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى

للدكتور السيد رضوان محمد جمعة

٣

تقدمت أدلة الجمهور على عدم وجوب الكفارة فى قتل العمد من الكتاب والسنة وكلمة الفقهاء ، وتقدم فى هذا المقال :

مناقشـــة الأدلة

مناقشة أدلة الجمهور :

وردت على أدلة الجمهور ـ القائلين بعدم وجوب الكفارة فى القتل العمد ـ المناقشات الآتية :

أولا : القول بأن اقتران الجواب فى الآية بالفاء يقتضى أن يكون المذكور كل الجزاء مردود بالقصاص ، إذ القصاص واجب فى القتل العمد بالإجماع ، فلو اقتضى الفاء أن يكون المذكور بعدها كل الجزاء لزم أن يكون القصاص ـ أيضا ـ مذكورا فى الجزاء مع أنه لم يذكر فيه[1] ، وأجيب عليه : بأن الجزاء المذكور فى الآية الجزاء الأخروى فقط ـ كما هو الظاهر من النظم الشريف ـ ، والقصاص جزاء دنيوى فلهذا لم يذكر بعد الفاء[2] .

اعترض على هذا الجواب : بأن الأمر كذلك فى شأن الكفارة[3] .

وأجيب على هذا الاعتراض بوجهين :

أحدهما : أن وجوب القصاص عرف بآية أخرى وهى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[4] .

---

(١) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٥ .

(٢) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٥ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) سورة البقرة ـ الآية ١٧٨ .

فإن دلت إشارة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾[5]

على أن القصاص ليس من جزاء القتل العمد كالكفارة يقتضى كون المذكور بعد الفاء كل الجزاء ، فقد دلت عبارة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[6] .

على وجوب القصاص فى القتل العمد لما تقرر فى علم الأصول أن عبارة النص ترجح على إشارة النص عند التعارض فعملنا بعبارة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[7] .

الثانى : أن القصاص جزاء المحل من وجه ، وجزاء الفعل من وجه آخر ، بخلاف الكفارة فإنها جزاء الفعل من كل الوجوه ـ كما تقرر فى علم الأصول ـ ، والظاهر من الجزاء المضاف إلى الفاعل فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾[8]

هو جزاء فعله من كل الوجوه فلا يلزم أن يكون القصاص مذكورا فيه ، بخلاف الكفارة لو أوجبناها[9] .

ثانيا : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ .

مخصوص بالمستحل للقتل كما ذكره عكرمة وغيره ، بدليل سبب النزول ، فإنه نزل فى مقيس ابن صبابة الكندى[10] وجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ، ولم يظهر قاتله ، فأمرهم رسول الله

---

(5) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(٦ ، ٧) سورة البقرة ـ الآية ١٧٨ .

(8) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(9) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(10) كان قد أسلم هو وأخوه هشام ، فوجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك ، فأرسل رسول الله ﷺ معه رجلا من بنى فهر إلى بنى النجار : أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه ، وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديته ، فأبلغهم الفهرى ذلك فقالوا : سمعا وطاعة لله ورسوله ، والله ما نعلم له قاتلا ، ولكنا نؤدى ديته ، فأعطوه مائة من الإبل ، ثم انصرفا راجعين نحو المدينة ، فأتى الشيطان مقيسا فوسوس له فقال : تقبل دية أخيك فتكون عليك سبة ، اقتل الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية ، فغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ، ثم ركب بعيرا ، وساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا ، فنزلت هذه الآية ، فقال رسول الله ﷺ : « لا أومنه فى حل ولا حرم » وأمر بقتله يوم فتح مكة وهو متعلق بأستار الكعبة .

انظر : تفسير البغوى ـ جـ ١ ـ ص ٤٦٤ ـ طبع دار المعرفة ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ـ بيروت ـ لبنان .

ﷺ أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا ، ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتدا فنزلت الآية ، ولأن المؤمن بارتكاب الجريمة لا يخلد فى النار[11] .

وأجيب على هذا بثلاثة وجوه :

الأول : أنه لا وجه لحمل الآية على المستحل ، لأن المذكور فى الآية جزاء القتل العمد ، وإذا حمل على المستحل كان المذكور جزاء الردة ، ولأن زيادة الاستحلال زيادة على الشرط المنصوص فيكون نسخا[12] .

الثانى : أما الخلود فمؤول على أنه لو عامله بعدله ، أو على معنى تطويل المدة مجازا ، يقال : خلد فلان فى السجن : إذا طالت المدة .

قال القاضى البيضاوى : المراد بالخلود المكث الطويل ، فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم[13] .

الثالث : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ثالثاً : القول بأن القتل العمد كبيرة محضة ، وفى الكفارة معنى العبادة فلا تناط بمثلها معارض بقتل الصيد الحرمى ، فإنه كبيرة محضة ، ومع هذا تجب فيه الكفارة[14] .

وأجيب على هذا : بأن الجناية فى قتل الصيد الحرمى جناية على المحل ، وليس جناية على

---

(11) تفسير القاضى البيضاوى ـ جـ2 ـ ص 109 ـ مؤسسة شعبان للطبع والتوزيع ، شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ9 ـ المرجع السابق ـ ص 145 .

(12) المبسوط للسرخسى ـ جـ27 ـ المرجع السابق ـ ص 85 ـ .

(13) تفسير القاضى البيضاوى ـ جـ 2 ـ المرجع السابق ـ ص 109 ـ شرح فتح القدير لابن الهمام مع التكملة ـ جـ 9 ـ المرجع السابق ـ ص 145 ـ وأورد المحقق الكمال بن الهمام فى الرد على الجواب الأول والثانى قوله : « أقول ليس شىء من ذينك الدليلين المسوقين لعدم وجه حمل الآية المذكورة على المستحل بمستقيم ، أما الأول منهما فلأن كون المذكور فى هاتيك الآية جزاء قتل العمد مما لا ينافيه كونه جزاء الردة ـ أيضا ـ على تقدير حملها على المستحل ، إذ يصير المذكور فيها على ذلك التقدير ، جزاء القتل العمد المخصوص ، وهو القتل بطريقة الاستحلال ـ والعياذ بالله ـ ، ولا شك أن القتل بهذه الطريقة مستلزم الردة ، فمن الآية إذ ذاك بيان جزاء الردة التى سببها القتل المخصوص ، وفى التعبير فى الشرط بمن يقتل مؤمنا متعمدا ، دون من يرتد عن الإسلام ، فائدة التنبيه على سببية قتل المؤمن بطريقة الاستحلال للارتداد الذى جزاؤه جهنم على الخلود ، وهذا معنى لطيف لا يخفى ، وأما الثانى منهما فلأنه لا يلزم من حمل الآية المذكورة على المستحل زيادة الاستحلال على الشرط المنصوص ، بل يكون الاستحلال حينئذ مدلول نفس الشرط المنصوص ، بأن يكون المراد من ـ متعمدا ـ معنى مستحلا مجازا ، بقرينة ذكر الخلود فى الجزاء .

(14) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ 9 ـ المرجع السابق ـ ص 143 ـ .

الفعل ، ولهذا لو اشترك حلالان فى قتل الصيد الحرمى يلزم جزاء واحد ، ولو كان جناية فعل لوجب جزاءان والجناية على المحل يستوى فيه العمد والخطأ[15] .

مناقشة أدلة الشافعية ومن وافقهم :

ناقش الجمهور ـ القائلون بعدم وجوب الكفارة فى القتل العمد أدلة الشافعية ومن وافقهم ـ القائلين بوجوبها ـ بالمناقشات الآتية :

أولا : حديث واثلة بن الأسقع يدل على أن من استوجب العذاب بفعل معصية كائنة ما كانت من قتل أو غيره كان التكفير مشروعا له ، ومن ثم فهو ليس نصا فى محل النزاع[16] ..

قال ابن قدامة فى المغنى : وحديث واثلة يحتمل أنه كان خطأ ، وسماه موجبا أى فوت النفس بالقتل ، ويحتمل أنه كان شبه عمد ، ويحتمل أنه أمرهم بالإعتاق تبرعا ، ولذلك أمر غير القاتل بالإعتاق[17] .

اعترض على هذا : بأن الحديث روى بزيادة : « قد استوجب النار بالقتل »[18] ، وهذه الزيادة نص فى محل النزاع .

وأجيب على هذا بوجوه :

الأول : قال الشوكانى : إن هذه الزيادة لم تثبت عند أحد من هؤلاء الذين خرجوه من أهل الحديث[19] .

الثانى : قال القاضى أبو بكر الجصاص : هذا الحديث رواه ضمرة عن إبراهيم بن أبى عبلة عن الغريف بن الديلمى عن واثلة بن الأسقع قال : أتينا رسول الله ﷺ فى صاحب لنا قد أوجب ، يعنى النار بالقتل ، ورواه ابن المبارك وهانىء بن عبدالرحمن بن أخى إبراهيم بن أبى عبلة عن أبى عبلة فلم يذكر أنه أوجب بالقتل ، وهؤلاء أثبت من ضمرة بن ربيعة ، ولو ثبت الحديث على ما رواه ضمرة لم يدل على قول المخالف من وجوه :

أحدها : أنه تأويل من الراوى فى قوله : أوجب النار بالقتل : لأنه قال : يعنى بالقتل .

الثانى : أنه لو أراد رقبة القتل لذكر رقبة مؤمنة ، فلما لم يشترط لهم الإيمان فيها دل على أنها ليست من كفارة القتل .

---

(١٥) نفس المرجع .

(١٦) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٥ .

(١٧) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٣ .

(١٨) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ .

(١٩) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨١ .

الثالث : أنه إنما أمرهم بأن يعتقوا عنه ، ولا خلاف أنه ليس عليهم عتقها منه ، كما أن عتق الغير عن القاتل لا يجزيه عن الكفارة[٢٠] .

وقال الإمام أبو محمد على بن حزم الظاهرى فى رد هذا الحديث ـ أيضا ـ : « وأما حديث واثلة فلا يصح لأن الغريف مجهول ، وقد ظن قوم أنه عبدالله بن فيروز الديلمى وهذا خطأ ، لأن ابن المبارك نسب الغريف عن ابن عبلة فقال : ابن عياش ، ولم يكن فى بنى عبدالله بن فيروز أحد يسمى عياش ، وابن المبارك أوثق وأضبط من عبدالله بن سالم ، ثم لو صح هذا الخبر لما كانت لهم فيه حجة ، لأنه ليس فيه أنه كان قتلا عمدا ، فإذ ليس فيه ذلك فلا شبهة لهم فى هذا الحديث أصلا ، وإنما فيه أن صاحبا لنا قد أوجب ، ولا يعرف فى اللغة أن أوجب بمعنى : قتل عمدا ، فصار هذا التأويل كذبا مجردا ، ودعوى على اللغة لا تعرف ، وقد يكون معنى أوجب أى أوجب لنفسه النار بكثرة معاصيه ، ويكون معنى قد أوجب : أى قد حضرت منيته ، فقد يقال : أوجب فلان ، بمعنى مات ، فبطل قولهم ، وقد قال قوم : إن سكوت النبى ﷺ فى الخبر عن ذكر الرقبة أن تكون مؤمنة وعن تعويض الشهرين دليل على بطلان قول من أوجب الكفارة فى قتل العمد[٢١] .

الرابع : وقال صاحب العناية ـ أيضا ـ : فإن قال الشافعى قد دل الدليل على عدم اعتبار صفة العمدية وهو حديث واثلة بن الأسقع قال : أتينا رسول الله ﷺ بصاحب لنا قد استوجب النار بالقتل فقال : « أعتقوا عنه رقبة يعتق الله ـ تعالى ـ بكل عضو منها عضوا منه من النار » وإيجاب النار إنما يكون بالقتل العمد .

قلنا : لا نسلم لجواز أن يكون استوجبها بشبه العمد كالقتل بالحجر أو العصا الكبيرين[٢٢] وزاد صاحب المبسوط : ثم مراد رسول الله ﷺ التطوع بالإعتاق عنه ، ألا ترى أنه خاطب به غير القاتل ، والكفارة لا تجب على غير القاتل[٢٣] .

قال صاحب العناية : سلمناه لكنه لا يعارض إشارة قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[٢٤] فإن الفاء تقتضى أن يكون المذكور كل الجزاء ، فلو أوجبنا الكفارة لكان المذكور بعضه وهو خلف[٢٥] .

---

(٢٠) أحكام القرآن للجصاص ـ جـ ٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٥ .

(٢١) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .

(٢٢) شرح فتح القدير لابن الهمام مع التكملة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ .

(٢٣) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .

(٢٤) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(٢٥) شرح فتح القدير مع التكملة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ .

الخامس : قال الشوكانى : وعلى فرض ثبوته فهو خاص لمن استوجب النار بالقتل ، وهو القاتل عمدا عدوانا إذا سقط عنه القصاص بعفو أو نحوه[٢٦] .

ثانيا : حديث عمر بن الخطاب مردود بوجهين :

الأول : أنه حديث ضعيف .

قال الإمام أبو محمد على بن حزم الظاهرى : وأما خبر عمر بن الخطاب فلا يصح ، لأن فى طريقه إسرائيل وهو ليس بالقوى ، وسماك بن حرب وكان يقبل التلقين[٢٧] .

الثانى : قال الإمام على بن حزم : « وأيضا فكان يكون فى إيجاب ذلك على كل من قتل نفسا فى الجاهلية وهو كافر حربى كما كان قيس بن عاصم المأمور بهذه الكفارة فى هذا الحديث ، وهم لا يقولون بهذا أصلا ، فبطل تعلقهم بهذا الخبر »[٢٨] .

ثالثا : قياس القتل العمد على القتل الخطأ قياس مع الفارق من وجوه :

الأول : أن القتل الخطأ دون العمد فى الإثم ، فشرع الكفارة لدفع الأدنى لا يدل على دفع الأعلى .

وبعبارة أخرى : أن تعين الكفارة فى الشرع لدفع الذنب الأدنى وهو الخطأ ، لا يدل على تعينها لدفع الذنب الأعلى وهو العمد ، فكم من شيء يتحمل الأدنى للقدرة عليه ، ولا يتحمل الأعلى للعجز عنه[٢٩] .

الثانى : أن فى قتل العمد وعيدا محكما ، ولا يمكن أن يقال يرتفع الإثم فيه بالكفارة مع وجود التشديد فى الوعيد بنص قاطع لا شبهة فيه ، ومن ادعى غير ذلك كان تحكما منه بلا دليل[٣٠] .

قال ابن قدامة فى المغنى : « وما ذكروه من المعنى لا يصح ، لأنها وجبت فى الخطأ فتمحو إثمه لكونه لا يخلو من تفريط ، فلا يلزم من ذلك إيجابها فى موضع عظم الإثم فيه بحيث لا يرتفع بها »[٣١] .

---

(٢٦) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ .
(٢٧) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .
(٢٨) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .
(٢٩) شرح فتح القدير مع التكملة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ .
(٣٠) تبيين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٠ (بتصرف) .
الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٣١ .
(٣١) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٣ .

وقال ابن المنذر : لأن الكفارات عبادات ولا يجوز التمثيل ، وليس يجوز لأحد أن يفرض فرضا يلزمه عباد الله إلا بكتاب أو سنة أو إجماع ، وليس مع من فرض على القاتل عمدا كفارة حجة من حيث ذكرت(٣٢) .

اعترض على هذا : سلمنا عدم صحة القياس لكن العمد يلحق بالخطأ دلالة ، لأنهما مثلان فى المناط ــ وهو الستر ــ ، ومعتبر لصفة العمدية كالمحرم إذا قتل الصيد عمدا فإنه كقتله خطأ(٣٣) .

وأجيب عليه : بأن المماثلة ممنوعة ، فإن ذنب العمد مما لا يستتر بها لعدم صلاحيته لعلتها ــ كما سبق(٣٤) .

وزاد السرخسى(٣٥) قوله : وكلامه ــ أى الشافعى ــ على طريقة الاستدلال ممنوع ، فإن الكفارة وجبت عندنا بطريق الشكر ، لأن الشرع لما عذره بالخطأ وسلم له نفسه ، فلم يلزمه القصاص مع تحقق الفعل منه ، كان عليه أن يقيم نفسا مكان نفسه شكرا لله ــ تعالى ــ ، وذلك فى أن يحرر شبحا ليتفرغ لعبادة الله ــ تعالى ــ ، فإذا عجز عن ذلك شغل نفسه بعبادة الله ، فصام شهرين متتابعين ، وهذا المعنى لا يوجب فى حق العامد ، فإن الشرع ألزمه القصاص ، وما سلم له نفسه .

وقال الكاسانى ــ فى هذا الصدد ــ أيضا ــ : ولنا أن التحرير أو الصوم فى الخطأ إنما وجب شكرا للنعمة ، حيث سلم له أعز الأشياء إليه فى الدنيا وهو الحياة ، مع جواز المؤاخذة بالقصاص ، وكذا ارتفع عنه المؤاخذة فى الآخرة مع جواز المؤاخذة ، وهذا لم يوجد فى العمد ، فيقدر الإيجاب شكرا أوجب لحق التوبة عن القتل بطريق الخطأ ، وألحق بالتوبة الحقيقة لخفة الذنب بسبب الخطأ ، والذنب ههنا أعظم فلا يصلح التحرير توبة(٣٦) .

قال صاحب المبسوط ــ أيضا ــ ، والدليل على أن المعنى ليس ما قلتم : أنه لو قتل مستأمنا أو ذميا خطأ يلزمه الكفارة ــ أيضا ــ ، وما نقص بفعله من عدد المسلمين أحدهم ، يوضحه أن فى نفس المقتول حرمتان ، والمال فى الخطأ واجب باعتبار حرمة صاحب النفس فقط فتجب الكفارة باعتبار حرمة حق الله ــ تعالى ــ .

فأما فى العمد الواجب هو العقوبة ، ولا تجب العقوبة إلا باعتبار الحرمتين جميعا ؛ لأن الفعل مالم يكن موجبا للعقوبة إنما يكون حراما لعينه لمجموع الحرمتين ، فلا يمكن إثبات الكفارة مع ذلك فى أحكام الدنيا(٣٧) .

---

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ــ جـ ٥ ــ المرجع السابق ــ ص ٣٣١ .

(٣٣) شرح فتح القدير مع التكملة لابن الهمام ــ جـ ٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٤٤ .

(٣٤) شرح فتح القدير لابن الهمام ــ جـ ٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٤٤ .

(٣٥) المبسوط للسرخسى ــ جـ ٢٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٣٦) بدائع الصنائع للكاسانى ــ جـ ٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٢٥١ .

(٣٧) المبسوط للسرخسى ــ جـ ٢٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ ، ٨٧ .

الثالث : أن الكفارة فى القتل الخطأ ليست مستحقة بالمأثم ، فيعتبر عظم المأثم فيها ؛ لأن المخطىء غير آثم ، فاعتبار المأثم فيها ساقط ، وأيضا ـ قد أوجب النبى ـ ﷺ سجود السهو على الساهى ولا يجب على العامد ، وإن كان العمد أغلظ(٣٨) .

وقال السرخسى فى هذا الصدد ـ أيضا ـ : وتبين بهذه الآية :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾(٣٩) .

إن المراد بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا ﴾(٤٠) .

الخطأ الذى هو ضد القصد ؛ لأنه عطف عليه العمد ، ولا يعطف الشيء على نفسه ، ولأنه قابله بالعمد ، ومتى قوبل الخطأ بالعمد فالمراد ما يضاد القصد ، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾(٤١) .

ولأنه استثنى الخطأ من التحريم بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِلَّا خَطَـًٔا ﴾(٤٢) .

والاستثناء من التحريم إباحة ، فلو حمل هذا على ضد الصواب أدى إلى أن يكون القتل الصواب هو المحرم وهذا محال ، فعرفنا أن المراد : الخطأ الذى هو ضد القصد ، فإن أصل ذلك الفعل غير محرم لكونه رمى إلى قصد الصيد أو الحربى ، لكنه باتصاله بالمحل المحترم يصير محرما ، ولكنه لا يلحقه إثم الفعل لكونه موضوعا عنه كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾(٤٣) .

وإنما يلحقه نوع مأثم بسبب ترك التحرز ، والكفارة تلزمه لمحو ذلك الإثم ، والإثم فى حق قاتل العمد ليس من ذلك الجنس حتى تمحوه الكفارة(٤٤) .

وقال ابن العربى ـ أيضا ـ فى الرد على قياس الشافعى : قلنا : هذا يبعدها عن العمد ، لأن الله ـ سبحانه ـ لم يوجبها فى مقابلة الإثم ، وإنما أوجبها عبادة أو فى مقابلة التقصير وترك الحذر والتوقى ، والعمد ليس من ذلك(٤٥) .

---

(٣٨) أحكام القرآن للجصاص ـ جـ ٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٥ .

(٣٩) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(٤٠) سورة النساء ـ الآية ٩٢ .

(٤١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥ .

(٤٢) سورة النساء ـ الآية ٩٢ .

(٤٣) سورة الأحزاب ـ الآية ٥ .

(٤٤) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٤٥) أحكام القرآن لابن العربى ـ جـ ١ ـ ص ٤٧٤ ـ طبع دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

الرابع : قياس وجوب الكفارة فى قتل العمد على وجوبها فى قتل الصيد الحرمى عمدا مردود عليه بما سبق عند مناقشة أدلة الجمهور[٤٦] .

الخامس : أن الله ـ تعالى ـ ذكر أنواع قتل الخطأ ، ما يكون منها بين المسلمين ، وما يكون فى دار الحرب لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ ﴾ ،

أى فى قوم عدو لكم ، وما يكون فى حق أهل الذمة ، لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ .

ونص على إيجاب الكفارة فى كل نوع ، ففيه إشارة إلى أنه لا مدخل للقياس فيه ، إذ لو كان للقياس مدخل لنص على الكفارة فى نوع من الخطأ ليقاس عليه سائر الأنواع[٤٧] .

رابعا : وجه إلى الحديثين اللذين استدل بهما الزيدية الاعتراضات الآتية :

١ ـ الحديث الذى أخرجه أبو نعيم فى إسناده ابن لهيعة .

وأجاب الشوكانى على هذا فقال : قال الحافظ : لكنه من حديث ابن وهب عنه فيكون حسنا ، ورواه الطبرانى فى الكبير عن الحسن بن على موقوفا عليه[٤٨] .

٢ ـ حديث عبادة بن الصامت معارض بحديث أبى هريرة الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك والبزار من رواية معمر عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **ما أدرى الحدود كفارة لأهلها أو لا** » قال الحافظ : وهو صحيح على شرط الشيخين[٤٩] .

وأجيب عن هذا الاعتراض بجوابين :

الأول : قال الحافظ ابن حجر والقاضى عياض : إن حديث عبادة أصح إسنادا .

الثانى : يمكن الجمع بين الحديثين بأن حديث أبى هريرة كان قبل أن يعلم بأن الحدود كفارة ، ثم أعلم فقال الحديث الثانى [حديث عبادة][٥٠] .

---

(٤٦) سيأتى بيانه فى نهاية المقال .

(٤٧) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .

(٤٨) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٤ .

(٤٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ ١٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .
نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .

(٥٠) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ ١٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .

اعترض على هذا : بأن حديث عبادة المذكور كان بمكة ليلة العقبة لما بايع الأنصار رسول الله ﷺ البيعة الأولى بمنى ، وأبو هريرة إنما أسلم بعد ذلك بسبع سنين عام خيبر ، فكيف يكون حديثه متقدما ؟!(٥١) .

وأجيب عن هذا : بأن أبا هريرة لم يسمعه من النبي ﷺ وإنما سمعه من صحابي آخر كان سمعه من النبي ﷺ قديما ، ولم يسمع أبو هريرة بعد ذلك من النبي ﷺ أن الحدود كفارة كما سمع عبادة (٥٢) .

اعترض على هذا الجواب : بأنه يبطله أن أبا هريرة صرح بسماعه عن النبي ﷺ وأن الحدود لم تكن قد نزلت إذ ذاك ، ففي هذا الجواب تعسف(٥٣) .

وأجيب عن هذا : بأن حديث عبادة المذكور في هذا الباب لم يقع ليلة العقبة ، وإنما وقع ليلة العقبة ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أن النبي ﷺ قال لمن حضر من الأنصار : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل إليهم هو وأصحابه »(٥٤) .

وقد ثبت في الصحيح من حديث عبادة أنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثر علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه(٥٥) برهان » .

قال الحافظ في الفتح : وحاصل الجواب أن البيعة المذكورة في حديث الباب كانت متأخرة عن إسلام أبي هريرة بدليل أن الآية المشار إليها في قوله : " وقرأ الآية كلها » هي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾(٥٦) .

إلى آخرها ، وكان نزولها في فتح مكة ، وذلك بعد إسلام أبي هريرة بنحو سنتين ، وإنما وقع الإشكال من قوله هناك : إن عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء ليلة العقبة قال : « إن النبي ﷺ قال : بايعوني على أن لا تشركوا » فإنه يوهم أن ذلك كان ليلة العقبة ، وليس كذلك بل البيعة التي

---

(٥١) المرجعان السابقان .

(٥٢) نيل الأوطار للشوكاني ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .

(٥٣) نيل الأوطار للشوكاني ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .

(٥٤) نيل الأوطار للشوكاني ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .

(٥٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ جـ ١٣ ـ المرجع السابق ـ ص ٧ ، ٤ ، ٢ .

(٥٦) سورة الممتحنة ـ الآية ١٢ .

وقعت فى ليلة العقبة كانت على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره .. إلخ .. وهو من حديث عبادة ــ أيضا ــ كما أوضحته لك(٥٧) .

وقال الإمام الشوكانى : فهذه أدلة ظاهرة فى أن هذه البيعة إنما صدرت بعد نزول الآية ، بل بعد صدور البيعة ، بل بعد فتح مكة وذلك بعد إسلام أبى هريرة بمدة(٥٨) .

٣ ــ سلمنا لكن يدخل فى عموم قوله ﷺ : « **ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته** » المشرك ، مع أن الإجماع قائم على أن المشرك إذا عوقب على شركه لم يكن ذلك كفارة ، بل زيادة فى نكاله .

كما أن القتل كفارة بالنسبة للولى المستوفى للقصاص فى حق المقتول ، لأن القصاص ليس بحق له ، بل يبقى حق المقتول فيطالبه به فى الآخرة كسائر الحقوق ، فتحصل من ذلك أن الكفارة تختص بحق الله ــ تعالى ــ دون حق الآدمى(٥٩) .

وأجيب عليه : بأن المشرك مستثنى بنص الدليل المذكور وهو قوله ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٦٠) .

وللإجماع المذكور .

الرأى المختار :

وبعد عرض مذاهب الفقهاء وأدلتهم فى مدى وجوب الكفارة فى قتل العمد ، والمناقشات الواردة عليها فإننى أميل إلى ترجيح رأى الجمهور القائلين بعدم وجوب الكفارة فى قتل العمد ، لقوة أدلتهم وسلامتها ، وخلوها من المعارض ، فضلا عن دحض أدلة القائلين بوجوبها ، ولأن فى الأخذ بهذا الرأى اتفاقا مع تقسيم الله ــ عز وجل ــ للكفارة فى قتل الخطأ إلى الأنواع الثلاثة المذكورة فى قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾(٦١) .

---

(٥٧) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ــ جـ ١٢ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ .
(٥٨) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ ٨ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٠ .
(٥٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ــ جـ ١٢ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ .
(٦٠) سورة النساء ــ الآيتان ٤٨ ، ١١٦ .
(٦١) سورة النساء ــ الآية ٩٢ .

ورغم ذلك فإنني أرى مع المالكية والظاهرية والزيدية أن من ابتلى بقتل مسلم عمدا ينبغي له المبادرة إلى التوبة والتقرب إلى الله ـ تعالى ـ بالكفارة وبكل ما استطاع من أنواع الخير ، عسى الله أن يعفو عنه .

قال الإمام أبو محمد علي بن حزم الظاهري : فإذ لا حجة في إيجاب الكفارة على قاتل العمد ، لا من قرآن ولا من سنة ، فإن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[62] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[63] .

وقال رسول الله ﷺ : « **إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام** »[64] فصح أن الدين كله قد كمل وبينه الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ ، وبيقين ندرى أنه لو كان في قتل العمد كفارة محدودة لبينها الله ـ تعالى ـ كما بين لنا الكفارة في قتل الخطأ ، وكما بين لنا رسول الله ﷺ وجوب القود أو الدية أو المفاداة في ذلك ، فإذا لم يخبرنا الله ـ تعالى ـ بشيء من ذلك ، ولا أوجبه هو ولا رسوله ﷺ فنحن نشهد بشهادة الله ـ تعالى ـ : أنه ما أراد قط كفارة محدودة في ذلك ولكن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[65] .

إلى قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[66] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[67] .

فمن ابتلى بقتل مسلم عمداً فقد ابتلى بأكبر الكبائر بعد الشرك وترك الصلاة ، ففرض عليه أن يسعى في خلاص نفسه من النار ، فليكثر من فعل الخير والعتق والصدقة والجهاد والحج والصوم والصلاة وذكر الله ـ تعالى ـ ، فلعله يأتي من ذلك بمقدار يوازي إساءته في القتل فيسقط عنه ويسأل الله العافية »[68] .

---

(٦٢) سورة الأنعام ـ الآية ٣٨ .

(٦٣) سورة المائدة ـ الآية ٣ .

(٦٤) سنن الترمذي ـ جـ ٩ ـ ص ٣٤ ـ طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت .
وروى بلفظ : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام » .

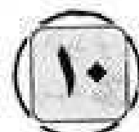
(٦٥ ، ٦٦) سورة الأنبياء ـ الآية ٤٧ .

(٦٧) سورة هود ـ الآية ١١٤ .

(٦٨) المحلى لابن حزم الظاهري ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٦ .

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

ردود المجوزين للتأمين على مسألة الغرر ومناقشتها



للدكتور / عبد الله مبروك النجار

بعد بيان حقيقة الغرر المحرم ، ووجوده فى عقد التأمين يكون من المفيد أن نبيّن ردود المجوزين للتأمين على مسألة الغرر فيه ، فالذين يرون جواز التأمين التجارى ، يردون على ذلك بعدد من الشبهات التى يثيرونها ، وهذه الشبهات أو الردود بدورها محل مناقشة .

تتمثل تلك الردود فى : أن الغرر فى التأمين لايؤدى إلى نزاع ، وأنه تعاون يستباح فيه الغرر ، وأن كثرة عقود التأمين تقلل الغرر ، وأنه غرر محسوب حسابه ، كما قالوا بأنه لاغرر فى التأمين بجانب المستأمن لحصوله على الأمان ، ولرضا المستأمن به ولأنه يمنع الغرر ، وهذه الشبه أو الردود سوف نبينها ، ونبيّن الرد عليها : على أن نخصص لكل شبهة فرع كما يلى :

الغرر فى التأمين التجارى لايؤدى إلى نــزاع

قال المجوزون للتأمين : إن عقد التأمين ليس من عقود الغرر المحرمة[1] ، لأنه لايفضى إلى نزاع

(١) يقول الحجوى : إنما ورد النهى عن بيع الغرر ، والتأمين لابيع فيه ولامعاوضة ، والقسط الذى يدفعه المستأمن للشركة ضئيل جداً ، وشبهه بالتبرع أقرب من شبهه بالبيع ، والغرر المنهى عنه ورد فى البيع خاصة لا فى التبرع ، وماق التأمين من الغرر يسير ، كما أنه معاملة عمت بها البلوى ، وراجع : الفكر السامى — جـ ٢ — ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، طبعة دار التراث ، ولكن يؤخذ على هذا القول ، أنه يصف عقد التأمين بأنه عقد تبرع بالمخالفة لحقيقته القانونية ، كما أنه يقرر أن الغرر فيه يسير وهو غرر فاحش كما سبق أن رأينا .

بين أطرافه ، فما ألفه الناس ، وتعارفوا عليه ورضوا به ، دون ترتب نزاع حوله ، يكون غير منهى عنه[2] .

ويُجاب عن ذلك : بأن هذا كلام غير صحيح لأن (التراضى) بين الناس فى مثل هذه العقود ليس هو مناط مشروعيتها ، فقد كانت بيوع الغرر التى نهى عنها النبى ﷺ مألوفة فى الجاهلية ، فنهى عنها النبى ﷺ لأنها من أكل المال بالباطل ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[3]

بمعنى أن تكون تجارة لا غرر فيها ولا مخاطرة ولا قمار ، لأن التراضى بما فيه غرر أو خطر أو قمار لا يحل ولا يجوز ، وهذا متفق عليه[4] .

وعلى فرض أن عقود التأمين لا يتسبب عنها نزاع بين شركات التأمين والمتعاقدين ، فليس هذا بمانع من كونها تتضمن الغرر الكثير الذى نهى عنه الشرع ، وليس اتفاق بعض الناس على المعاملات الربوية أو غيرها من المحرمات ، وكون تعاملهم بذلك لا يؤدى إلى نزاع بينهم ، كل ذلك لا يجعل هذه المعاملات مشروعة فى الإسلام[5] .

تحليل هذه الشبهة :

يبد أن هذه الشبهة من خلال ماوردت فى كتابات أصحابها ، يمكن تحليلها إلى عنصرين : أولهما : أن الغرر فى التأمين غرر يسير ؛ ثانياً : لأنه لا يؤدى إلى نزاع[6] ، فهل هذا صحيح ؟ ، ذلك ما سنحاول استبيان حقيقته :

---

(٢) د. محمد سلام مدكور – عقود التأمين – مجلة العربى – العدد ١٩٥ ، وبحث الشيخ الخفيف – التأمين المنشور بمجلة الأزهر – العددان (٥ ، ٦) السنة (٣٧) نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٦٥ م ، ص ٣٥٤ حيث يقول : وجملة القول : إن الغرر الذى عده الفقهاء مانعا من جواز المعاملة هو ما أدى إلى نزاع ، وفى هذا يقول الأستاذ الزرقا : وقد جوّز استئجار الظئر مع جهالة المعقود عليه ، لأنه لم يؤد إلى نزاع ، ويقرر فقهاء المذهب الحنفى : أن الجهالة لا تمنع صحة العقد إلا إذا كانت تفضى إلى نزاع مشكل – تتساوى فيه حجة الطرفين – كبيع شاة من قطيع مثلا بدون تعين ، فالبائع يريد إعطاء الرديئة والمشترى يريد أخذ الجيدة ، وكل منهما حجته عدم التعيين ، أما حيث لا تؤدى الجهالة إلى نزاع مشكل كإبراء الإنسان من دينه مثلا عن جميع الحقوق ، وكفالة شخص لغيره فى كل ماسيترتب عليه من ديون لفلان ، فهذه الجهالة فى الديون المبرأ عنها ، أو المكفولة لا تمنع صحة الإبراء والكفالة ، راجع له : نظام التأمين – حقيقته والرأى الشرعى فيه – ص ١٣٧ – مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٤ م ، وهذا قياس مع الفارق فالغرر فى حالة الظئر معفو عنه بالنص المبيح للعقد استحسانا كما قلنا ، وماورد على سبيل الاستثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه ، وهو عقد معاوضة معلوم المحل والغرر فيه غير مقصود ، أما الإبراء والكفالة ، فهما من عقود التبرع وعقود التبرع يتسامح فيها لتشجيعها لفعل الخير ، ولأن المكفول والمبرأ لا يدفع مقابلا فيهما فافترقا .

(٣) سورة النساء – الآية ٢٩ .

(٤) راجع : تفسير القرطبى – جـ ٢ – ص ٣١٧ ، والأم – جـ ٣ – ص ٢ .

(٥) د . محمد بلتاجى – مرجع سبق ذكره – ص ٧٦ ومابعدها .

(٦) وفى هذا المعنى يقول فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ على الخفيف : وما فى عقود التأمين من غرر ، فهو غرر لا يؤدى إلى نزاع ، بدليل كثرة تعامل الناس به ، وشيوعه فيهم ، وانتشاره فى كل مجال نشاطهم الاقتصادى ، وعليه فهو غرر يسير لا يترتب عليه منع ولا حظر ، راجع : التأمين مجلة الأزهر ، العددان الخامس والسادس معاً ، السنة السابعة والثلاثون ، نوفمبر وديسمبر ١٩٦٥م – ص ٣٥٤ .

الحكم الشرعي للتأمين التجارى

العنصر الأول:

الغرر فى التأمين لايؤدى إلى نزاع:

يقوم العنصر الأول مماأثاره المجيزون للتأمين فى تلك الشبهة ، على أن الغرر فى عقود التأمين لايؤدى إلى نزاع ، ويستدلون على ذلك بكثرة تعامل الناس به ، وشيوعه فيهم ، وانتشاره فى كل مجال نشاطهم الاقتصادى ، فمايظن أنهم يتعارفون عقدا يحوى غررا يؤدى إلى نزاعهم ثم يشيع بينهم ولايتركونه ، بل المقبول أنهم إذا تعاملوا به فتنازعوا تركوه ، ولاشك أن مثل هذا يكون غير جائز[7] .

وهذا أمر غير مسلم به ، فليس صحيحا بأن غرر التأمين لايؤدى إلى نزاع ، والدليل على ذلك ماتغص به ساحات المحاكم من قضايا تتعلق بمنازعات فى عقود التأمين ، والقول : بأن هذه المنازعات لاترجع إلى الخلاف فى عنصر من العناصر الجوهرية التى تقوم عليه هذه العقود ، وإنما ترجع إلى خلاف المستأمن بمااشترطه عليه المؤمن من شروط تضمنتها هذه العقود[8] ، أقول : هذا القول يخالف الواقع ، لأن المنازعات التى ترجع إلى عدم قيام شركة التأمين بمااشترط عليها القيام به ، وتعسفها فى تفسير بنود العقد ، ومحاولاتها التهرب بأسباب واهية من دفع مبلغ التأمين ، تزيد مرات على المنازعات التى ترجع إلى عدم قيام المستأمن بما اشترط عليه من شروط[9] .

ولايلزم من أداء المعاملة إلى النزاع ترك الناس لها ، حتى يستدل بكثرة تعاملهم بها وشيوعها فيهم ، و انتشارها فى كل مجال نشاطهم ، فإن بيوع الغرر المجمع على تحريمها ، قد كثر تعامل أهل الجاهلية بها ، وشاعت فيهم وانتشرت بينهم ، مع أن الغرر فى هذه المعاملات يؤدى إلى النزاع حتما فى رأى هؤلاء الباحثين[10] .

وإذا كان لايظن بالناس فى حياتهم أن يتعارفوا عقدا يتضمن غررا مؤديا إلى النزاع ثم يشيع بينهم ولايتركونه ، فلماذا جاءت الشريعة بنصوص قاطعة تمنع ماحوى غررا من المعاملات ؟ ، إن الحاجة إلى هذه النصوص لاتكون قائمة مادام الناس لايقبلون إلا على مالايؤدى إلى نزاع منها .

العنصر الثانى :

مالايؤدى إلى النزاع من الغرر فهو يسير :

وتقـــوم تلك الشبهة على عنصر ثان حاصله: أن مالايؤدى إلى النزاع من الغرر فهو يسير ، لايترتب عليه حظر ، ولامنع ، وقد استدل المجيزون للتأمين ، بماروى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال : « كان الناس فى عهد رسول الله ﷺ يتبايعون الثمار فإذا جذها الناس وحل تعاطيهم ، قال المبتاع : إنه أصاب الثمر عاهات يذكرونها ويحتجون بها ، فقال رسول الله ﷺ ، حين

---

(7) المرحوم الشيخ على الخفيف – المرجع والمكان السابقان .

(8) الشيخ على الخفيف – المرجع نفسه – ص٣٥٥ .

(9) د . حسين حامد – ص١٠٤ .

(10) المرجع نفسه .

كثرت عنده هذه الخصومات : « لاتتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر » ، وقالوا في بيان وجه دلالة هذا الحديث على ماأثاروه من شبهة في هذا العنصر : إن سبب نهى النبي ﷺ عن ذلك ، ماأفضى إليه من الخصام ، واستنتجوا من ذلك : أن مايؤدى إلى نزاع من الغرر يمنع ، ومالايؤدى إلى نزاع لايمنع[11] ، وهذا الكلام غير صحيح لأمور :

الأول : أن جميع تعريفات الغرر المؤثر عند جميع الفقهاء لم تجعل لوقوع النزاع بسببه دخلا في التعريف ، فليس توصيل الغرر إلى النزاع ، جزءًا من ماهية الغرر الذى نهى الشرع عنه ، ولا شرطا في وجوده[12] ، ومن يراجع تعريفات الغرر عند جميع الفقهاء يدرك هذا المعنى[13] .

الثانى : أن الغرر اليسير الذى لايترتب عليه منع ولا حظر باتفاق الفقهاء ، هو ماتوافرت فيه العناصر الثلاثة التى قدمناها ، وهى يسارة الغرر ، وعدم قصده ، وضرورة ارتكابه ، فمناط تحقيق الغرر الذى لايؤثر في المعاوضات ، هو اجتماع هذه العناصر الثلاثة فيه ، وليس عدم ترتب النزاع عليه ، كما يدعى المجيزون للتأمين ، وقد استبان لنا ، عند بيان ضابط الغرر الذى يغتفر في المعاوضات ، أن هذا الضابط لاينطبق على ما في عقود التأمين من غرر ، ذلك أن الغرر في عقود التأمين ، هو غرر في الحصول على العوض نفسه ، ولايمكن القول بأن مثل هذا الغرر يسير غير مقصود دعت الضرورة إلى ارتكابه ، ولقد رأينا فقهاء المالكية الذين وضعوا ضابط الغرر المغتفر وبينوا عناصره ، يخرجون منه ماانطوى على غرر في الحصول على المعاوضات ، كبيع السمك في الماء والطير في الهواء ، والغرر في التأمين غرر فاحش في القيمة والأجل ، لايوجد فيه شرط اليسارة ، ويتعلق بأمر مقصود ، وفوق ذلك كله ، فإن مثل هذا الغرر لاتدعو ضرورة المعاوضة إلى ارتكابه .

الثالث : أن مااستدلوا به من حديث النبي ﷺ لايدل لهم ، لأن كثرة النزاع والخصومات الواردة في الحديث ليس هو العلة في منع بيع الثمار قبل بدو صلاحها عند القائلين بهذا المنع من المجتهدين ، بدليل أن أحدا منهم لايقول بجواز بيع الثمار قبل بدو الصلاح ، إذا لم يؤد هذا البيع إلى خصومه أو نزاع ، بل إنهم متفقون على المنع في كل حال ، ومن جهة أخرى فإن أحدا من المجتهدين لايقول بمنع المعاملة التى لاتنطوى على غرر أو جهالة إذا كثر بشأنها الخصام والنزاع ، فثبت أن وقوع النزاع والخصام ، ليس هو مناط المنع ، ولا مناط الحظر في المعاوضات ، فالمعاوضة تجوز إذا خلت عن الغرر وإن أدت إلى نزاع ، وتمنع إذا انطوت على غرر وإن لم يثر بشأنها نزاع ولا خصام[14] .

---

(11) المرحوم الشيخ على الخفيف ـ المرجع نفسه ص ٣٥٤ .

(12) حسين حامد ـ ص ١٠٥ .

(13) راجع الفروق للقرافى ، جـ ٣ ص ٢٦٥ ، مواهب الجليل ، جـ ٤ ص ٣٦٨ ، حاشيتا قليوبى وعميرة ، جـ ٢ ص ١٨٥ ، شرح منتهى الإرادات ، جـ ٢ ص ١٤٥ .

(14) د. حسين حامد ص ١٠٧ .

ولعل سبب اللبس الذى وقع فيه القائلون بجواز التأمين ، هو الخلط بين علة المنع فى بيع الثمار قبل بدو الصلاح وحكمته ، فعلة المنع التى يدور معها الحكم وجودا وعدما ، هى مايتضمنه بيع الثمار قبل بدو الصلاح من غرر ، وهو غرر مؤثر فى المعاوضة ، لأنه من باب الغرر فى الحصول ، أما حكمة هذا المنع فهى ماقد يترتب على هذه المعاملة من نزاع وخصام ، ومن المقرر فى أصول الفقه أن الحكم يدور مع العلة لا مع الحكمة وجودا وعدما[١٥] .

الرابع : أننا إذا سلمنا التعليل بالحكمة ، فليس أداء الغرر إلى النزاع والخصام هو الحكمة ، أى العلة الوحيدة للنهى عن بيع الغرر ، بل ان هناك حكمة أخرى جاءت بها السنة ونص عليها العلماء ، وهى تحصين الأموال من الضياع ، وبذلك يكون وقوع النزاع بشأن بيوع الغرر جزء علة ، وليس علة كاملة ، والحكم يدور مع العلة الكاملة ، لامع جزئها وجودا وعدما ، وعلى ذلك فإن المنع من بيع الغرر لايرتفع بارتفاع النزاع بشأنه فقط ، لبقاء ضياع الأموال بسببه ، فقد جاء فى بعض روايات حديث النهى عن بيع الثمار قبل بدو الصلاح : « أرأيت إن منع الله الثمرة فيم يستحل أحدكم مال صاحبه »[١٦] ، فهذه الرواية تدل على أن الحكمة فى النهى عن بيع الثمر قبل بدو الصلاح ، هى أنه أكل مال الغير بالباطل على تقدير عدم حصول الثمر للمشترى بصفة الصلاح التى تم الشراء على أساسها .

يقول الخطابى : « أصل الغرر ماطوى عنك علمه ، وخفى عليك باطنه وسره وكل بيع كان المقصود منه مجهولا غير معلوم ، ومعجوزا غير مقدور عليه ، فهو غرر ، وذلك مثل أن يبيعه سمكا فى الماء أو طيرا فى الهواء ، أو لؤلؤا فى البحر أو جملا شاردا ، أو ولد بهيمة لم يولد ، أو ثمر شجرة لم تثمر ونحوها من الأمور التى لايعلم ولايدرى ، هل تكون أم لا ؟ فإن البيع يكون مفسوخا فيها ، وإنما نهى النبى ﷺ عن هذه البيوع تحصينا للأموال من أن تضيع ، ومنعا للخصومة والنزاع أن يقعا بين الناس فيها ، وأبواب الغرر كثيرة ، وجماعها مادخل فى المقصود منه الجهل »[١٧] .

والخلاصة : أن الغرر فى عقود التأمين ليس من الغرر اليسير ، بل من الغرر الكثير الذى يترتب عليه الحظر والمنع فى المعاوضات ، لأنه يدخل فى تعريف الغرر الذى ورد النهى بمنعه من جهة ، ولعدم انطباق ضابط الغرر اليسير عليه ، من جهة أخرى ، ذلك أن ضابط هذا النوع من الغرر ، هو يسارته ، وعدم قصده ، وضرورة ارتكابه ، والغرر فى عقد التأمين لاتوجد فيه هذه العناصر ، والقول بأن ضابط الغرر اليسير الذى لايترتب عليه منع ولاحظر فى المعاوضات هو عدم أدائه إلى نزاع وخصومة ، قول لاسند له فى الشرع ، ولم يقل به أحد من المجتهدين ، وقد ظهر فساده بالدليل .

---

(١٥) المرجع نفسه ص ١٠٨

(١٦) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه ، راجع : نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ ص ١٩٥ .

(١٧) معالم السنن للخطابى ـ مطبوع مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى ـ جـ ٥ ـ ص ٤٧ ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ .

التأمين تعاون وتبرع يستباح فيه الغرر

كما قال المجوزون للتأمين : إن عقود التأمين من قبيل التعاون بين مجموعة من الناس ، وفي التعاون والتبرع يستباح الغرر الكثير لو وجد ، تأسيسا على ما قرره الإمام القرافي : من أن الإحسان الصرف اقتضت حكمة الشارع وحثه على الإحسان التوسعة فيه ، بكل طريق ، بالمعلوم والمجهول ، فإن ذلك أيسر لكثرة وقوعه قطعا ، وفي المنع من ذلك وسيلة إلى تقليله ، ومن المعروف أن مذهب الإمام مالك من أكثر المذاهب الفقهية مرونة في النظر إلى الغرور في العقود ، حيث أباح الغرر ولو كان كثيرا في التبرعات والتصرفات التي يقصد بها البر والتعاون ، بخلاف المعاوضات التي يجب اجتناب الغرر فيها[18] .

وبناء على ذلك يقول الأستاذ الشيخ علي الخفيف : « إن المستأمن لا يريد بتعاقده أن يكون له ربح مادي من وراء الحظ والمصادفة ، حتى يكون عقده معاوضة صرفة مما يمتنع فيه الغرر الكثير ، وإنما يريد أن يتوقى به محنة الحظ والمصادفة لهم جميعا بحيث لا ينال أحدا منهم إلا مقداراً يسيراً منها ، يستطيع تحمله في غير عناء ولا مشقة ، أما المؤمن فهو بمثابة الوصي والولي على المال الذي يدفع إليه (أقساط التأمين) فليس التأمين التجاري إلا اتفاقا تعاونيا تقوم شركات التأمين بالإشراف عليه»[19] .

ويقول الأستاذ الزرقا : « إن التأمين التجاري قائم من أساسه على فكرة التعاون على جبر المصائب والأضرار الناشئة عن مفاجآت الأخطار والموضوع الأصلي الذي تقوم عليه عقود التأمين ، هو إزاحة الضرر الذي يحدثه وقوع المخاطر على رأس من ينزل به وتوزيعه على رؤوس كثيرة جداً هي رؤوس بقية المستأمنين ، عن طريق تعويض ذلك الضرر الذي ينزل بأحدهم من الأقساط التي يدفعونها »[20] .

ويقول الدكتور محمد سلام مدكور : « إن شركات التأمين تقوم بدور الوسيط بين الأفراد المتعاونين ، وإن المتعاقد معها إنما يقصد دفع الآثار التي قد تصيبه من الخطر المحتمل المؤمن ضده ، وذلك بتعاونه ، عن طريق الشركة أو الهيئة مع مجموعة كبيرة من الأفراد الذين توسطت الشركة في جمعهم معه ، ومن هنا يبدو التأمين عملا تعاونيا محضا ينحسر فيه الغرر إلى حد ضئيل مغتفر ولا يؤثر على سلامة العقد وصحته »[21] .

والمحصلة الفقهية لذلك كله هي أن عقود التأمين من قبيل التعاون والتبرع الذي يستباح معه الغرر كما ذهب الإمام مالك .

---

(١٨) راجع في بيان مذهب الإمام مالك : الفروق للقرافي ـ جـ ١ ـ ص ١٥١ ـ عالم الكتب .

(١٩) راجع بحثه عن التأمين ، وحكمه على هدي الشريعة الإسلامية – المقدم للمؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي بمكة المكرمة – ص ٩ وما بعدها ، وبحثه المقدم إلى مؤتمر ليبيا عن التأمين = ص ١٠ .

(٢٠) أسبوع الفقه الإسلامي ـ ص ٤٠١ .

(٢١) د. محمد سلام مدكور ـ المرجع السابق ، وراجع : الفكر السامي – السابق – حيث يقول : والغرر المنهي عنه هو في البيع خاصة لا في التبرع ، وعلى العموم : استثنوا من البيع الغرر اليسير ، فإذا كان يسيرا كما في السيكورتاه ، فهو جائز فإن الذي يعطى فيه يسير بالنسبة لرأس المال غير مجحف – جـ ٢ – ص ٥٠٥ .

مناقشة هذا الرد :

وهذا الرد محل نقد ومناقشة ، لأنه يقوم على افتراض يخالف الواقع ، وهو أن عقد التأمين عقد تبرع ، وهذا ما يخالف الواقع تماما ، لأن من خصائص عقد التأمين أنه من عقود المعاوضة[22] ، والأستاذ الزرقا يذكر : أن عقد التأمين عقد معاوضة ويكرر هذا في كلامه أكثر من مرة[23] ، فعقد التأمين التجارى - إذن - من عقود المعاوضات التى لا يبيح فيها مذهب مالك ، ولا غيره من كافة مذاهب الفقه الإسلامى ، ما فيه من غرر كثير ، ومحاولة إدخاله فى تصرفات الإحسان والتعاون والبر المحضة ، بعيدة عن الصواب[24] ، إذ من التأمين ما لا يستساغ اعتباره من التعاون والبر ، كالتأمين على سيقان الراقصات والتأمين من الانتحار إذا وقع بعد سنتين من تاريخ العقد (مادة ٧٥٦ مدنى) ، وكما تبيح قوانين التأمين فى بعض البلاد جواز التأمين من أخطار ناشئة عن سكر أو نوم أو عدم الإنارة فى حوادث السيارات ، وقد قضت المحاكم فى فرنسا بأن الإهمال وعدم الاحتياط وعدم مراعاة اللوائح تدخل ضمن الأخطاء التى يغطيها التأمين[25] ، بل إنه يجوز التأمين من الخطأ الجسيم ، طالما لا يتوقف وقوع الخطر على محض إرادة المؤمن له فيكون احتماليا من حيث تحققه[26] ، وليس فى تلك الصور تعاون أو حتى شبه تعاون ، كما ينبغى أن نلاحظ فى هذا المجال أن مذهب مالك يشترط فيما يستباح فيه الغرر أن يكون إحساناً (صرفا) خالصا من كل صفات المعاوضة ، يعنى أن تكون الرغبة الأساسية فيه ، هى محض التبرع والإحسان والبر ، وليس التأمين من هذا القبيل ، لأنه عقد معاوضة يحسب كل واحد من طرفيه فيه مقدار ما سيعود عليه منه ، ففكرة التبرع بعيدة عنه .

وفكرة التعاون المدعى بها تقوم على أمور ثلاثة كلها باطلة :

أولاً : تفترض تلك الفكرة أن عقد التأمين ليس إلا انضماما إلى اتفاق تعاونى منظم بين عدد كبير من الناس ، الذين يتعرضون لخطر معين ، وأن موضوع هذا الاتفاق ، هو تعاون الجميع على رفع أو تخفيض الضرر الذى ينزل بأحدهم من جراء وقوع خطر معين ، وأن هذا التعاون يتحقق ببذل ميسور لكل منهم وهذا التصوير يخالف الواقع من جهتين .

الأولى : أنه يفترض وجود اتفاق تعاونى سابق بين جماعة من الناس على تخفيف آثار الأضرار التى تنزل بأحدهم المخاطر .

---

(٢٢) راجع : الوسيط للسنهورى - جـ ٧/٢ ص ١٤٤١ ، د. عبد الحى حجازى ص ١٣٩ ، د. أحمد شرف الدين ، ص ٧٦ ، د. عبد المنعم البدراوى - فقرة ١٧٣ ، د. حمدى عبد الرحمن - ص ٥٠ ، د. عبد الرازق حسن فرج - ص ١١٨ ، د. محمد على عرفة - ص ٩٥ ، د. محمد على عمران - ص ٦٥ ، وبيكار وبيسون - ص ٧٠ فقرة ٤٢ .

(٢٣) أسبوع الفقه الإسلامى - ص ٤٠٢ .

(٢٤) د. محمد بلتاجى - ص ٨٣ .

(٢٥) د. عبد الناصر العطار - السابق - ص ٣٢ ، د. محمد كامل مرسى - عقد التأمين - جـ ٣ - ص ٢٨ .

(٢٦) د. أحمد شرف الدين - ص ١٢٩ .

الثانى : أن عقد التأمين يمثل انضماما من المستأمنين لهذا الاتفاق ، وكلا الأمرين غير قائم ، وقصد التعاون مع عدم قيامهما غير موجود ، ولايمكن القطع بوجود التعاون إلا بالنية ، والنية تعرف من صيغة العقد وعباراته ، فأين مثل هذا العقد حتى نتعرف على قصد المتعاقدين فيه ؟ ، وعقد التأمين ليس له إلا طرفين فقط هما شركة التأمين والمؤمن له المعين[27] ، وماعدا ذلك لايعدو أن يكون ضربا من ضروب الوهم .

ثانيا : كما تفترض أن دور شركة التأمين فى عقود التأمين التى تبرمها مع المستأمنين ، لايعدو أن يكون « دور الوسيط » الذى يجمع أقساطهم وينظم تعاونهم وينوب عنهم .

وهذا فرض لايقل إغراقا فى الخيال عن سابقه لأن شركة التأمين طرف أصيل فى عقد التأمين ، مع المستأمن ، وعقد التأمين لايتم بين عدد من المستأمنين تتوسط الشركة فيما بينهم حتى يبرموا العقد ، وتكون العلاقة التى ينشئها العقد قائمة بينهم ، وماترتبه هذه العلاقة من حقــوق والتزامات ، نافذا فى حقهم ، بل على العكس من ذلك ، فعقد التأمين ينشىء علاقة ويرتب حقوقا والتزامات بين شركة التأمين ، ومن تعاقدت معه وهو المستأمن ، ولاتنفذ آثار هذا العقد فى حق غيره من المستأمنين[28] .

ثالثا : كما تفترض تلك الفكرة ، أن مركز شركة التأمين ووضعها بالنسبة للأقساط التى تجمعها من المستأمنين ، هو مركز الوصى أو الولى الذى يوضع المال تحت وصايته ، أو ولايته ، وبناء على هذا الافتراض ، تكون شركة التأمين غير مالكة لما يدفع لها من أقساط التأمين ، بل يكون أمانة تحت يدها باعتبارها وصيا أو وليا يتصرف لمصلحة القاصر أو المولى عليه ، ولاشك أن هذا التصور خاطىء ، لأن الولاية والوصاية لاتفرض إلا على ناقصى الأهلية ، وأنها لاتثبت إلا بنص شرعى يثبتها ويبين أحكامها ، ثم ان الولى أو الوصى لايبرم من التصرفات مماتتعارض فيه مصلحته مع مصلحة المولى عليه ، فأين هذه الأحكام فى عقد التأمين ؟

إن عقد التأمين لاذكر فيه لولاية أو وصاية ، وإنما فيه تعهد من جانب الشركة بدفع مبلغ التأمين عند وقوع الخطر ، وتعهد يقابله من جهة المستأمن بدفع أقساط التأمين فى مدة عدم وقوعه ، ثم إن مصالح شركة التأمين متعارضة تماما مع مصالح المؤمن لهم ، فهى تسعى إلى كسب أكبر ربح ، وتحاول الإفلات من التزاماتها بكل طريق ، والمستأمن يعمل على حماية نفسه وحفظ حقوقه قبل هذه الشركة[29] .

والقول بأن مايدفع لشركة التأمين من أقساط توضع تحت يدها هى أمانة بوصف الشركة ولياً

---

(٢٧) د. حسين حامد ـ ص ٩٩ وما بعدها .

(٢٨) المرجع نفسه ـ ص ١٠١ .

(٢٩) المرجع نفسه ـ ص ١٠٢ .

أو وصيا على المستأمنين ، قول يناقى أبسط القواعد الشرعية ، ويتجاهل واقع المعاملة ، وما يرتبه القانون عليها من أحكام ، فهناك إجماع على أن شركة التأمين تملك تلك الأقساط وتتصرف فيها تصرف المالك فى ملكه(٣٠) ، فإذا كانت حقيقة المعاملة كما قصدها المتعاقدان ، وكما ينظمها القانون ، فكيف يحق لعالم الشريعة أن يتجاهل كل ذلك ، ويؤسس حكمه على أحكام وهمية للمعاملة ، وآثار غريبة لم يرتبها القانون عليها»(٣١) .

كثرة عقود التأمين تقلل الغرر فى جانب المؤمن

وقد ذكر بعض القائلين بجواز العقود التى تبرمها شركات التأمين ، إن لعقد التأمين جانبين ، أحدهما : جانب العلاقة بين شركة التأمين ، ومؤمن له معين ، وثانيهما : جانب العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المؤمن لهم ، وأن الحكم على عقد التأمين شرعا يجب أن ينظر فيه إلى الجانب الثانى دون الأول ، وأننا إذا نظرنا إلى عقد التأمين من جانب العلاقة بين شركة التأمين والمستأمن ، كان هذا العقد غررا ، بل قمارا ومراهنة ، أما إذا نظرنا إليه من جانب العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المؤمن لهم ، كان الغرر فيه يسيرا ، إن لم يكن منتفيا ، وذلك تأسيسا على أن كثرة العقود التى تبرمها شركات التأمين ، والوسائل العلمية التى تلجأ إليها لحساب الإحتمالات ، تمكنها من تحديد ماتعطى لمجموع المؤمن لهم من تعويضات ، وماتأخذه منهم من أقساط فى مدة معينة ، تحديدا يقرب من الدقة ، فينتفى بذلك الغرر أو يقل فى جانب الشركة(٣٢) .

وهذه الشبهة باطلة ومردودة من وجوه :

الأول : أن عقد التأمين الذى تبرمه شركة التأمين مع مؤمن له بالذات لاينشىء علاقة بين هذه الشركة ، ومجموع المؤمن لهم ، بل إنه ينشىء فقط علاقة بين هذه الشركة والمؤمن له المعين ، وفقا لقاعدة نسبية آثار العقود ، فالعلاقة بين شركة التأمين ، ومجموع المؤمن لهم علاقة مفترضة لا وجود لها فى الواقع وقد سبق بيان ذلك

الثانى : أننا إذا سلمنا بوجود مثل هذه العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المؤمن لهم ، فإننا لانسلم أن الوسائل العلمية المتاحة لشركات التأمين كحساب الاحتمالات ، وقانون الكثرة ، وقواعد الإحصاء ، تمكن هذه الشركات من تحديد ماتعطى لجماعات المؤمن لهم ، وماتأخذه منهم فى مدة معينة تحديدا يمنع الغرر والاحتمال ، فقد تحدث كوارث لاتتوقعها شركات التأمين ، كالحروب والفيضانات والأوبئة ، وغيرهـــا

---

(٣٠) راجع : فى استثمارات شركات التأمين لأموالها فى مجالات الاستثمار المختلفة ، من صناعة وزراعة ، وسياحة ، وإسكان ، واستثمار دولى ، وفى مجال المال والتجارة ، كتاب الأهرام الاقتصادى – صناعة التأمين فى مصر – ص ٣٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٢ ، العدد ٨٠ – أكتوبر ١٩٩٤م

(٣١) د. حسين حامد ، المرجع نفسه .

(٣٢) الشيخ على الخفيف مجلة الأزهر ـ العدد الأول ـ السنة

(٣٧) ـ مايو سنة ١٩٦٥م ـ ص ٨٨ .

وراجع : الفكر السامى للحجوى – ج ٢ – ص ٥٠٥ ومابعدها .

مما يعرض شركات التأمين للإفلاس كما حدث فى حالات كثيرة[٣٣] .

الثالث : أننا إذا سلمنا بأن الغرر فى عقد التأمين غرر يسير فى جانب الشركة لكثرة العقود ، وتوافر الوسائل العلمية لحساب الاحتمالات ، فإن هذا لا يفيد جواز التأمين لخلوه من الغرر ، لأنه سيبقى فى جانب المستأمن الذى لا يملك مثل تلك الوسائل ، ومن ثم يكون العقد فى حقه قمارا ومراهنة ، لأنه لن يعرف – والحال كذلك – مقدار ما سيعطى لشركة التأمين أو يأخذ منها ، فلم يتغير موقفه ، والغرر فى أحد جانبى العقد فى عقود المعاوضات يبطلها للغرر ، فإن المستأمن يحرم عليه بذل العوض ، كما يحرم عليه أخذ ما يقابله من المؤمن تأسيسا على قاعدة أن ما حرم أخذه حرم إعطاؤه[٣٤] .

الغرر يسير لأنه محسوب حسابه

قال المجيزون للتأمين : إن الغرر فى عقود التأمين غرر يسير بالنسبة لشركة التأمين ، فلا يؤثر فى العقد بالبطلان والمنع ، لأن الشركة تتوقع هذا الغرر وتقدره وتحسب حسابه ، وتعد له ما يكفى لإزالة آثاره ورفع ضرره عند وقوعه ، فلم يكن من الغرر المريب المفاجىء ، ولكنه غرر أعد له ما يذهب بضرره ، ويفارق الغرر الممنوع ، وكان إلى العدم أقرب[٣٥] ، وهذه الشبهة مردودة من وجهين :

الأول : أن اعتبار المفاجأة أساسا للتفرقة بين الغرر الفاحش والغرر اليسير أمر لا اعتبار له شرعا ، ولا سند له فى أقوال المجتهدين ، وقد رأينا فى ضابط الغرر اليسير ، أنه يتوافر فيه ثلاثة عناصر ، هى اليسارة ، وعدم القصد ، وضرورة ارتكابه ، ومن ثم فلا دخل للمفاجأة أو التوقع فى جعل الغرر يسيرا .

الثانى : ولو فرضنا أن الغرر يسير فى جانب الشركة لأنها قد أعدت له عدته ، فإنه لم يزل فى جانب المستأمن موجودا لأنـه لا يملك من الإمكانات ما يزيل به الغرر ، وبقاء الغرر فى جانب أحد طرفى المعاملة يبطلها .

« يتبـع »

---

(٣٣) د. حسين حامد – ص ١١١

(٣٤) المرجع السابق .

(٣٥) الشيخ على الخفيف بحث التأمين – مجلة الأزهر – ص ٣٥٦ ، نوفمبر وديسمبر ، سنة ١٩٦٥ م .

أولئك سيرحمهم الله

لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ سورة التوبة

المؤمنون والمؤمنات إخوة فى الله مهما اختلفت ألوانهم وأوطانهم ، بعضهم أولياء بعض ، يتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان ، فهم فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

والأخوة الإسلامية مرتبطة بالإيمان السليم بالله رب العالمين الواحد الأحد الذى لا إله غيره ولا رب سواه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه .

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ سورة الأنعام

وقد نشأ الإسلام عزيزاً لا يقبل الذل كريماً لا يتحمل الضيم ، وحمل رسالته إلى الدنيا رجال أبرار صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأسسوا دولة التوحيد التى قال عنها ربنا :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾

[آل عمران / ١١٠]

والمسلمون اليوم قادرون على تطهير مجتمعاتهم من أمراض الباطن ، كالغل والضغينة والحقد والشحناء ، ومن التباغض والعداء الناشىء عن الأنانية والمطامع والجشع والمنافع ، ليكونوا رحماء أعزاء يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وينهون عن الفحشاء والمنكر والبغي .

(صفات المستحقين لرحمة الله)

هذه هي صفات المؤمنين والمؤمنات المستحقين لرحمة الله - عز وجل :

١ - يأمرون بالمعروف :

والأمر بالخير والنهي عن الشر يبدأ أول ما يبدأ بمحاسبة النفس وتوجيهها إلى ما ينفعها في دينها ودنياها ، فمن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾

[الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الشمس]

فإذا تطهرت النفس من أدران الرذائل وموبقاتها ومطامع الدنيا وشهواتها وخدائع الحياة الدنيا وأخطائها - إذا تطهرت وأخلصت - صلحت للأمر بالمعروف لإصلاح النفوس وهداية الآخرين ، وقد فرض الإسلام الدعوة وقرر متابعتها لأن الأمر بالبر ضرورة اجتماعية وفريضة دينية .

والله - سبحانه - يقول :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[الآيتان ١٠٤ ، ١٠٥ من سورة آل عمران]

٢ - وينهون عن المنكر :

والإسلام يوزع المسئولية في تغيير المنكر على قدر الاستطاعة فيقول سيدنا محمد ﷺ :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

والأمر بالمعروف هو سبيل ربك الذى يدعو إليه العلماء بالحكمة والموعظة الحسنة .

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[الآية ١٠٨ - من سورة يوسف]

وبالنهي عن المنكر تستقيم الحياة ، ويستقر الأمر ويستتب الأمن ، لأن المجتمع النظيف تسعد به النفوس وتطمئن إليه القلوب وفي ظله تتحقق كرامة الإنسان وسعادته ، والله - سبحانه - يقول :

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

[الآية ٤١ من سورة الحج]

ولكن الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف هم جنود إبليس ، وهم شياطين الإنس .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾

[الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سورة هود]

٣ - ويقيمون الصلاة :

أما الصلاة فهي ركن من أركان الإسلام التي تهذب النفوس وتتمم المكارم ، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث يقول الله - تعالى :

﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾

[الآية ٤٥ ـ من سورة العنكبوت]

ويقول تبارك وتعالى :

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير ﴾

[الآية ١١٠ من سورة البقرة]

وقد أوصى الله بها رسله ـ عليهم السلام ـ فيقول الله ـ تعالى ـ عن سيدنا عيسى ـ عليه السلام :

﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾

[من الآية ٣١ ـ من سورة مريم]

ويقول الله ـ عز وجل :

﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ۝ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾

[الآيتان ٥٤ ـ ٥٥ من سورة مريم]

ويقول الله ـ تعالى ـ حاكيا دعاء سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام :

﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ﴾

[الآية ٤٠ من سورة إبراهيم]

٤ ـ ويؤتون الزكاة :

الزكاة فريضة دينية ، وصلة اجتماعية ، وعلاقة إنسانية ، وركن من أركان الإسلام ، وهي حق معلوم للسائل والمحروم وفي أدائها تنمية للمال ، وتزكية للنفس البشرية :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾

[الآية ١٠٣ من سورة التوبة]

والناس في حبهم للمال يقضون حياتهم في حبه حبا جما ، وقد لا ينفقونه على أنفسهم وأسرهم فتراهم من خوف الفقر في فقر ، ومنهم من يشقى بالمال ؛ فيحرم نفسه من الطيبات من الرزق في الدنيا ومن ثواب الإنفاق في سبيل الله .

ولنقرأ قول الله ـ عز وجل :

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾

[الآية ٢٦١ من سورة البقرة]

وإن تعجب فعجب أن يجهل المؤمن قول الله ـ تعالى :

﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ۝ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ۝ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾

[الآيتان ٢٧٠ ـ ٢٧٢ من سورة البقرة]

وويل لمن منحهم الله نعما كثيرة وأموالا وفيرة فبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ، فتجاوزوا الحدود ، وعصوا ربهم فجعلوا تراثهم

نقمة وعاثوا فى الأرض فساداً ، وعتوا عن أمر ربهم عتواً كبيراً ؛ فسفكوا الدماء وأثاروا الحروب والكروب .

وهكذا لما بسط الله لهم الرزق فبغوا فى الأرض .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال / ٣٦]

إن الإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى ، فلا ينبغى أن يعيش لذاته وملذاته ، وإنما وجد ليعيش لوالديه ولولده ولبلده وللأقربين وللناس أجمعين .

والله يقول :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

[الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة التوبة]

٥ ـ ويطيعون الله ورسوله :

وهؤلاء هم المتقون العابدون الأولياء المخلصون وهم الأبرار الأطهار الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فهم السعداء المقربون ، أهل الفوز العظيم .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

[الآية ١٣ من سورة النساء]

ولقد جعل الله طاعة رسوله من طاعته :

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

[الآية ٨٠ من من سورة النساء]

وجعل حكمه من حكمه :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

[الآية ٦٥ من سورة النساء]

ويوجه الله ـ تعالى ـ الخطاب للمؤمنين ويأمرهم بالاحتكام إلى الله ورسوله عند التنازع فى شىء فيقول ـ جل جلاله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

[الآية ٥٩ ـ من سورة النساء]

ولا ريب أن طاعة الله ورسوله هى غاية كل مؤمن يحب الاستقامة وطهارة السيرة ونقاء السريرة وصفاء البصيرة ، فمن كان حاله كذلك كان سليم العقيدة عالى الهمة ، قوياً فى غير عنف ليناً فى غير ضعف يمشى على الأرض هوناً فلا كبر ولا استعلاء ، فالتقوى تهذب النفوس وتجعلها طاهرة أبية عفيفة عزيزة سامية عالية مطمئنة راضية مرضية .

ما أكرم المؤمنين والمؤمنات الذين توفرت فيهم هذه الصفات تلك الصفات التى جعلتهم قريبين من رحمة الله ـ عز وجل ـ ، فهم بهذه الصفات محسنون ،ورحمة الله قريب من المحسنين .

الأحرف السبعة

تأليف إسماعيل قراجام (*)

الأحرف : جمع الحرف ، والحرف في اللغة له معان شتى منها أنه طرف الشيء وجانبه ، ومن الجبل أعلاه المُحدَّد ، والحرف - أيضاً : كلّ واحد من حروف التهجي ، ويأتي الحرف بمعنى الوجه والأسلوب والقراءة . مثلا إذا قيل : « حرف ابن مسعود » أي : « قراءة ابن مسعود » .

والسبع بمعنى العدد المعلوم ، والمراد من الأحرف السبعة هنا : أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف . ولايتفق العلماء إلى يومنا هذا على معنى « سبعة أحرف » .

وهناك أحاديثُ كثيرةٌ تفيد أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف . حتى أنّ أبا عبيد قال : إن الحديث المرويّ المتعلق بالأحرف السبعة حديث متواتر[1] .

من هذه الأحاديث الشريفة : حديث عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه المتفق عليه . قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقرأنيها ، وكِدْتُ أن أعجل عليه ، ثمّ أمهلته حتى انصرف ، ثمّ لَبَّبْتُهُ بردائه . فجئتُ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : إنّي سمعتُ هذا يقرأ على غير ماأقرأتنيها . فقال لي « أَرْسِلْهُ » ثم قال له : « اقرأ » فقرأ ، قال : هكذا أنزلت ثم قال لي : « اقرأ » فقرأت ، فقال : « هكذا » أنزلت » : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسّر منه »[2] .

ولقد ذكرنا أنه لا اتفاق بين القراء والعلماء في معنى عبارة « سبعة أحرف » المذكورة في الحديث . وقال ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م) : لم يأت في معنى هذا السبع نصٌّ ولاأثر ، واختلف الناسُ في تعْيينها[3] .

ونريد - بمشيئة الله - أن نحقق هذا الموضوع فنقول : إن ورود الحديث المتعلق بالأحرف السبعة يفيد تسهيل قراءة القرآن لأمته - صلى الله عليه وسلم - ويمكن فهم هذا المعنى من روايات كثيرة . فمن هذه الروايات - سوى الحديث الذي رواه عمر - حديث ابن عباس[4] وحديث

* الكاتب : أستاذ مشارك وعضو هيئة التدريس في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة - إستانبول .

١ - ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، نشر علي محمد الضباع بلا تاريخ ، ج ١ ، ص ٢١ ؛ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، ١٣٧٦/١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٢١٢ ، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مصر ، ١٣٦٨/١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ٤٧ .

٢ - محمد فؤاد عبدالباقي ، اللؤلؤ والمرجان ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ١ ، ص ١٧٥ - ١٧٧ .

٣ - الزركشي ، البرهان ج ١ ، ص ٢١٢ .

٤ - انظر ، محمد فؤاد عبدالباقي ، اللؤلؤ والمرجان ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

أبي بن كعب[٥] وحديث ابن مسعود[٦] وهذه الأحاديث أدلّة واضحة لهذا الموضوع ، وهي أحاديث تبيّن فضل الله ورحمته بعباده بتيسير قراءة كتابه العزيز بألسنة هؤلاء العرب الذين تجمعهم لغة واحدة بينما تتشعب ألسنتهم فيها ، قال ابن الجزري[٧] ولو كلّفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لايُستطاع ، وماعسى أن يتكلّف المتكلّف وتأبى الطباع .

وهذا ابن قتيبة – بعد ما أشار إلى هذا التيسير في كتابه المسمّى بـ « تأويل مشكل القرآن » – قال : فالهذليّ يقرأ « عتّى حين » يريد « حتّى حين » وفي « ألَمْ أَعْهَدْ إليكم » التميميّ يهمز ، والقرشيّ لايهمز[٨] .

وأشار ابن قتيبة في كتابه المذكور إلى خصوصيات أخرى للقراءة ممثلا لكل هذه الخصوصيات وعمر – رضي الله عنه – سمع هشام ابن حكيم يقرأ وهشام أسلم بعد فتح مكة ، وقد يكون في ذلك دلالة أو احتمال على أن قراءة القرآن بالأحرف السبعة كان بعد الهجرة ، وقبل وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسنوات قليلة وقد أذن لقبائل من العرب أن يقرؤوا القرآن الذي أنزل بلغة قريش بلغتهم وجوّز لهم أن يقرؤوه على لغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها في الألفاظ والإعراب ، ولم يكلّف أحدًا منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة ، ولطلب تسهيل فهم المراد ؛ لأن قراءتهم بلغة قريش التي نزل بها القرآن كان يعسر ويشق عليهم . ويجب أن نقول : إن المراد بهذا الإذن معناه جواز الإذن بقراءة القرآن بأيّة لغة من لغات العرب . وإنما يتلى القرآن الكريم بما ثبت بوجه صحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وليس لأحد أن يقرأ القرآن على أية لهجة من لهجات العرب كيف شاء .

ولأجل ذلك فإن إذن النبي – صلى الله عليه وسلم – المستند على الوحي متعلق بالشروط الآتية :

– عدم الخروج على قواعد فصاحة اللغة العربية ، وعدم تغيير المعنى وصدور القراءة من النبيّ – صلى الله عليه وسلم –[٩] .

وليس المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف هذه القراءات السبعة المشهورة كما يظن بعض العوام .

هذا وأول من جمع هذه القراءات : أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) في أثناء المائة الرابعة الهجرية .

وهناك آراء في المراد بالأحرف السبعة نكتفي منها بما رآه أكثر العلماء فيها ؛ فقد قالوا :

١ – إنّ المراد من الأحرف السبعة سبع لغات لسبع قبائل من العرب ؛ ولايجوز قراءة القرآن

---

٥ – النووي شرح صحيح مسلم ، مصر ١٣٤٩ هـ/١٩٣١ م ، ج ٦ ص ١٠٣ – ١٠٤ ؛ أبو داود ، السنن ، لتحقيق أحمد سعد علي ، مصر ، ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م ، ج١ ، ص ٣٤٠ .

٦ – ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، مصر ، ١٣٠١ ، ج ٩ ، ص ٢٦ .

٧ – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج١ ص ٢٢

٨ – ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤م ، ص ٣٠ .

٩ – ابن حجر العسقلاني – فتح الباري ج ٩ ص ٢٤ .

بغير هذه اللغات . وقال أبو عبيدة هذه القبائل هي : قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن[١٠] .

وقال أبو حاتم السجستاني نزل القرآن بلغة : قريش وهذيل وتميم وأزد وربيع وهوازن وسعد بن بكر[١١] .

وهناك آراء أخرى .

٢ - وقال آخرون : إنها (أي الأحرف السبعة) سبع لغات في الكلمة - أي تدور في الكلمة[١٢] والعلماء الذين قبلوا هذه الفكرة يرى بعضهم أن المراد بها : الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال .

وقال قوم : المراد بها : المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والخصوص والعموم والقصص .

وقال قوم : المراد بها : المطلق والمقيّد والعام والخاص والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ وغيرها .

والآراء في المراد بالأحرف السبعة كثيرة كما ترى ، ولم نحظ بخبر يقين بعين المراد بشأنها ؛ ولكل واحد من العلماء مثل ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) وأبي الفضل الرازي (ت ٢٩٠ هـ/٩٠٦ م) والقاضي ابن الطيب (ت ٤٠٧ هـ/ ١٠١٢ م) وابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩ م) آراء اجتهادية خاصة بهم حاولوا فيها الوصول إلى المراد ، كما أن للزرقاني ، وصبحي الصالح وغيرهما من علماء عصرنا آراء في نفس الأمر خاصة بهم .

وهناك مسألة أخرى متعلقة بالأحرف السبعة وهي : هل توجد الأحرف السبعة في المصاحف التي استنسخت في زمن عثمان (رضي الله عنه) الموجود اليوم في أيدينا أم لا ؟

□ لعلمائنا في هذا الموضوع رأيان :

أ- ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأئمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها .

ب- وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي - صلى الله عليه وسلم - على جبرائيل عليه السلام متضمنة لها لم تترك حرفا منها .[١٣]

وقد حُقّق هذان الرأيان من قبل كثير من العلماء **والنتيجة التي وصلنا إليها بعد مناقشة هذه الآراء والأفكار هي أنّ هذا القول الأخير هو الذي يظهر صوابه ؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدلّ عليه وتشهد له . وأعتقد أن رأيهم هو عين الحقيقة .**

---

١٠ - ابن الجزري ، النشر، ج١ ص ٢٤ .

١١ - ابن الحجر ، الفتح ، ج ٩ ، ص ٢٣ .

١٢ - ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ٣٣ ؛ مكي بن أبي طالب ، الإبانة في معاني القرءات ، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبي ، مصر بلا تاريخ ، ص ٣٥ .

١٣ - ابن تيمية ، فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، مصر ، ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦م ص ٥٦ - ٤٠٥٢ ؛ الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ج١ ص ١٦١ .

موافقات ليلة القدر

بين الرئيس والإمام الأكبر

إعداد : مصطفى عبد المجيد

في ليلة ميمونة مباركة من ليالي شهر رمضان الفضيل، وبالتحديد في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، شهد كل من الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية، وفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ـ احتفال مصر بهذه الليلة المباركة، التي أشرق فيها نور الوحي بالرسالة الخالدة التي بعث الله بها نبينا محمدـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكدا فيها على واجب المسلمين في أن تكون لهم وقفة صادقة مع النفس يراجعون فيها أحوالهم، ويحددون لأنفسهم وأوطانهم معالم الطريق إلى المستقبل، ومكانهم بين الشعوب التي تسابق إلى مواقع الريادة والتفوق، مسلحة بالعلم والطاقة والإبداع، في هذا العصر الذي سقطت فيه الحواجز بين الشعوب، وتهاوت الحدود الفاصلة بين الحضارات والثقافات واجتمعا ـ كذلك ـ على كلمة سواء في فضل القرآن وأخلاقه وتحدث الإمام الأكبر عن منزلة القرآن وهدايته للإنس والجن، وقيام الأزهر على العناية به بين أبناء المسلمين وبناتهم.

في البداية تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن المقاصد المتعددة لنزول القرآن الكريم فقال فضيلته :

والقرآن الكريم قد أنزله الله عز وجل لمقاصد متعددة من أهمها : أن يكون هداية للناس في كل زمان وفي كل مكان هداية للإنس وللجن ولمن يقرأ القرآن الكريم فنجد أن الجن عندما استمعوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقرأ القرآن الكريم استجابوا له وتأثروا بما استمعوا، وحكى لنا القرآن الكريم ذلك في قوله ـ عز وجل:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

سورة الأحقاف

علينا إصلاح مجتمع المسلمين وإحياء القيم والمبادئ الإسلامية
الأزهر سيبقى منارة لنشر تعاليم الإسلام دون تعصب

المقصد الثانى الذى من أجله أنزل الله ــ عز وجل ــ القرآن الكريم على نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكون هذا القرآن معجزة ناطقة فى فم الدنيا بصدق النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يبلغه عن ربه . لقد جاء النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الناس وقال لهم : أنا رسول من عند الله ومعجزتى هذا القرآن ؛ فإن كنتم فى شك من ذلك فهاتوا مثله « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » ثم أرخى لهم الحبل فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا ، ثم تحداهم فى النهاية أن يأتوا بسورة واحدة ولو كأصغر سورة من سور القرآن الكريم فما استطاعوا ؛ وثبت أن هذا القرآن من عند الله، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً وحكى لنا القرآن ذلك فى قوله ــ عز وجل :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝ ﴾

سورة البقرة

كذلك من المقاصد التى من أجلها أنزل الله هذا القرآن ونحن نحتفل فى هذه الليلة بحفظة القرآن الكريم من هذه المقاصد أن يقرب الناس إلى خالقهم عز وجل بقراءتهم للقرآن الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝ ﴾ .

سورة فاطر

رسالة الأزهر :

ثم تحدث فضيلته عن رسالة الأزهر قائلا :

أن الأزهر الشريف سيبقى لكى يقوم بتحفيظ أبناء المسلمين القرآن الكريم لكى يعلمهم أحكام هذا الدين تعليما سليما ملتزماً ليس فيه مغالاة وليس فيه تعصب أعمى إنما الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بأنها دراسة معتدلة نعاهد الله سبحانه وتعالى ــ ونعاهدكم بأننا نبقى دائما نعلم أبناءنا ونعلم أبناء المسلمين القرآن الكريم ، ونحفظهم ونتعاون كما علمتنا سيادتكم نتعاون مع وزارتى التعليم والأوقاف ودار الإفتاء معهما لكى نحفظ أبناءنا القرآن الكريم ولكى نحفظ بناتنا أيضاً القرآن الكريم ؛ لأن حافظ القرآن الكريم يصونه عن الانحراف ..

حافظ القرآن يبنى ولايهدم ، يعمر ولايخرب ، يصلح ولا يفسد ، يقف إلى جانب الحق يحب بلده .

ونحن ياسيادة الرئيس نعلم أنك تحب مصر وتحب من يحب مصر لذا فنحن نعاهدك على أننا سنكون أوفياء بجهودنا نعلم أبناء المسلمين القرآن الكريم ونتعاون مع غيرنا على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان .

وتحدث سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فأشار إلى أنه: لا مكان للمنعزلين عن ساحة السباق ولا للمترددين والضعفاء، والمشغولين فى هذا العصر عن هموم الحاضر وتحديات المستقبل بأحاديث عقيمة عن أمجاد الأسلاف والآباء والأولين .

إن رسالة الإسلام هى رسالة خير وهداية ونهضة تحمل المؤمنين فيها أمانة كبرى جعلت منهم شهداء على الناس، يحملون إليهم مفاتيح الخير حتى يتم الحق والعدل ، وأسباب النجاح والسعادة .

إن المسلمين لن يستطيعوا مواصلة حمل هذه الأمانة إلا إذا بدأوا بأنفسهم فأخذوها بأخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه حتى يكونوا ترجمة أمينة وصادقة لكل ما تنطق به آيات القرآن الكريم وسنة النبى « محمد » ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرته المباركة ؛ فيكونوا بذلك القدوة الحسنة للناس كافة ، مؤكدا على ضرورة أن تكون الخطوة الأولى للدعوة إلى الإسلام فى هذا العصر هى : إصلاح النفس، وإصلاح مجتمع المسلمين وإحياء قيم الإسلام ومبادئه التى تفتح الطريق إلى النهضة والتقدم ، ألا وهى قيم العلم النافع والعمل المنتج ، والحرية المسئولة، التى تشجع الإبداع وتطلق المواهب ، وتجعل العقول والأفئدة مفتوحة لتعدد الآراء وتنوع الرؤى ، وتحض على احترام حقوق الآخرين ، انطلاقا من الإيمان بأن تعدد الآراء وتباين الرؤى هما من سنن الله ـ سبحانه وتعالى ـ : فى الكون ، كما قال ـ تعالى : فى كتابه العزيز .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٤٨

الانحراف والتطرف

وتناول سيادة الرئيس فى هذا الخطاب : قضية التطرف والغلو مشيراً إلى أن الفريق الذى انحرف عن الجادة ضاقت صدور أصحابه عن سماحة الإسلام ورحمته ، كما ضاقت عقولهم عن رحابه وإنسانية نظرته فشغلوا أنفسهم وشغلوا الناس من حولهم بقضايا فرعية وأمور ثانوية ، ثم أباحوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله ـ جل شأنه ـ حين نصبوا أنفسهم أوصياء على الناس وقضاة على العباد، يفتعلون العثرات والسقطات ويتصيدون النقائص ويختلقون الاتهامات ؛ بل إنهم تجاوزوا كل مدى ، فسعوا إلى إكراه غيرهم على ما يظنون وما يزينه لهم خيالهم السقيم ومحرضوهم الآثمون ، وحاولوا أن يفرضوا على المجتمع كله أرهاباً فكرياً وسلوكياً لا علاقة له بالدين ونواميسه وأحكامه غافلين أو متغافلين عن قول الله ـ تعالى :ـ

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ سورة الغاشية

إن واجبنا جميعاً التصدى لصور الانحراف ومواجهتها بكل حزم وحسم .

وختم سيادته كلمته قائلا: نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الليلة المباركة أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه نافعاً لعباده .

مجمع البحوث الإسلامية

(دراسة وثائقية)

بقلم دكتور / محمد عبد الحكيم محمد

مقدمة

يكتسب «مجمع البحوث الإسلامية» أهميته وقيمته من تعبيره عن رسالة الأزهر وأعماله وانطلاقه منه، ذلك الأزهر الذى يحمل أمجاد أكثر من ألف سنة كان خلالها الحارس الأمين على الإسلام وعلوم القرآن الكريم واللغة العربية.

وتجدر الإشارة - ونحن بصدد التعريف بنشاط مجمع البحوث الإسلامية إلى قانون تطوير الأزهر لعام ١٩٦١م، لارتباطه بنشأة هذا الصرح الإسلامى وممارسة نشاطه العلمى.

☐ أهم خصائص قانون التطوير :

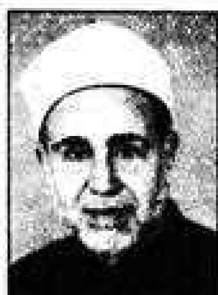
أولاً : الأزهر :

بين القانون أن. الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية، وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن.

وذكر قانون التطوير أن : مقره القاهرة ويتبع رئاسة الجمهورية ويعين له وزير لشئون الأزهر بقرار جمهورى.

المجمع من أهم مصادر العلم والهداية فى العالم الإسلامى

تنقية كتب التفسير والحديث من الإسرائيليات مما يحسب للمجمع





ثانياً - هيئات الأزهر :

(١) المجلس الأعلى للأزهر :

وهذا المجلس يرأسه : شيخ الجامع الأزهر، ويتكون المجلس من وكيل الأزهر ومدير جامعة الأزهر وعمداء الكليات لجامعته ، وأربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وأحد وكلاء وزارات : الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة ، ومدير الثقافة والبحوث الإسلامية ، ومدير المعاهد الأزهرية ، وثلاثة أعضاء لهم خبرة فى التعليم الجامعى .

وللمجلس أمين عام ، وهو يختص بالآتى :

ا- رسم السياسة العامة للأزهر فى خدمة الفكرة الإسلامية .

ب- رسم السياسة العلمية لجامعة الأزهر .

جـ- النظر فى ميزانية الأزهر وهيئاته .

د- بحث شئون الأزهر ومنح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر .

(٢) مجمع البحوث الإسلامية :

وهو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل مايتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالدعوة الإسلامية .

وفضيلة شيخ الأزهر هو رئيس المجمع ، وللمجمع أمانات عامة تتكون من الأمين العام وأمين مساعد أو أكثر من الموظفين .

(٣) إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية :

وهى تختص بكل مايتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم فى نطاق أغراض الأزهر ، وعليها نشر مقررات المجمع وبحوثه ودراساته . وتنص المادة ٢٣ ، ٢٥ من قانون التطوير أن : هذه الادارة - ادارة الثقافة والبحوث الإسلامية - هى : الجهاز التنفيذى لأعمال المجمع ، وأن مديرها هو : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

أهميـة تعـاون المجمـع مـع الهيئـات الإسـلامية المماثلـة

(٤) جامعة الأزهر :

وتختص جامعة الأزهر بكل مايتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر ، وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم ، أوتترتب عليه ، وتقوم بكلياتها التى تتألف منها على : حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط والانتاج والريادة والقدوة الطيبة وعالم الدنيا(*) .

(٥) المعاهد الأزهرية :

أما الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر فهو تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية وإلى جانبها الخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى والمماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلهم وإعدادهم للدخول فى كليات جامعة الأزهر[1] .

ضوء على نشاط المجمع :

ثم نخص بالذكر من هيئات الأزهر المتقدمة : مجمع البحوث الإسلامية ، هذا الذى استهل نشاطه[2] بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤ م ، وقدم فيها مجموعة ضخمـة من البحوث التى تناولت مختلف أوجه الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية .

وقد حرص المجمع على إصدار بحوثه باللغتين العربية والإنجليزية فى مجلدات يضم كل منها : مجموعة البحوث التى ألقيت فى مؤتمراته :

□ أمانة المجمع :

تولى أمانة المجمع منذ إنشائه علماء أجلاء ، هم :

١ – فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حب الله – رحمه الله – تعالى –
فى الفترة من (١٩٦٣ – ١٩٦٨) م

٢ – فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / عبد الحليم محمود – رحمه الله – تعالى –
فى الفترة من (١٩٦٩ – ١٩٧٠) م

٣ – فضيلة الدكتور / محمد عبد الرحمن بيصار – رحمه الله – تعالى –
فيما بين عامى (١٩٧٠ – ١٩٧٥) م

٤ – فضيلة الشيخ / خلف السيد على عبد الله – رحمه الله – تعالى –
فيما بين عامى (١٩٧٥ – ١٩٧٧) م

٥ – فضيلة الدكتور / عبد الجليل عبده شلبى – رحمه الله – تعالى –
فيما بين عامى (١٩٧٧ – ١٩٧٨) م

٦ – فضيلة الأستاذ الدكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم – رحمه الله – تعالى –
فيما بين عامى (١٩٧٨ – ١٩٨٦) م

٧ – فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركه – رحمه الله – تعالى –
فيما بين عامى (١٩٨٦ – ١٩٨٨) م

(*) نص القانون على إقرار كليات بعينها ، لكن مع النهضة الوسيعة للأزهر أنشىء العديد من الكليات بالمدن والأقاليم ليسروا على أبناء مصر والعالم الإسلامى .



٨ – فضيلة الشيخ/ محمد عبد الحميد حسام الدين شاهين – رحمه الله – تعالى –
فيما بين عامي (١٩٨٨ – ١٩٩٠) م

٩ – فضيلة الدكتور/ حامد عبد الحميد عبد الله جامع
فيما بين عامي (١٩٩٠ – ١٩٩١) م

١٠ – فضيلة الشيخ/ أحمد السيد عطا سعود
فيما بين عامي (١٩٩١ – ١٩٩٦) م

١١ – فضيلة الشيخ/ سامي محمد متولي الشعراوي

وقد أسندت إلى فضيلته أمانة المجمع في منتصف ١٩٩٦م ، وهو الأمين الحالي لمجمع البحوث الإسلامية .

إدارات المجمع :

ولعل أهم إدارات مجمع البحوث الإسلامية :

١ – إدارة مجلة الأزهر .
٢ – إدارة إحياء التراث .
٣ – إدارة الثقافة الإسلامية .
٤ ـ إدارة البعوث الإسلامية .
٥ – إدارة الدعوة والإعلام الديني .
٦ – إدارة البحوث والتأليف والترجمة والنشر
٧ – إدارة الطلاب الوافدين .
٨ – إدارة الأمانة الفنية للمجمع .
٩ – إدارة الشئون المالية والإدارية .
١٠ ـ الإدارة العامة للمكتبات .
١١ ـ الإدارة العامة للوعظ والإرشاد .

ومعظمها قد استحدث بقرار بعد موافقة الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة عليه ، وهي جميعها تتعاون وتتفاعل في خدمة أهداف ورسالة المجمع .

مجمع البحوث الإسلامية بين الماضي والحاضر

قبل قانون تطوير الأزهر الذي نص على إنشاء المجمع كانت هيئة كبار العلماء تقوم بدورها في مناقشة الأبحاث الإسلامية والوصول إلى حكم الله – تعالى – فيها .

وعندما اتسع نشاط البحث الإسلامي أصبحت الرغبة مُلحة لمسايرة التطور العلمي والفكري الذي بات يؤثر على آفاق المعرفة في بلادنا .

ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى مجمع البحوث الاسلامية ليجد العالم الإسلامي في أعضائه ضالته المنشودة للحفاظ على دينهم وتراثهم ، وفي رحابه اجتهد علماؤه الأفذاذ وقدموا مجموعات من الأبحاث أخت ظروف العالم الإسلامي على إنتاجها وظهورها ليتعرف المسلمون على حكم الله – تعالى – فيما استجد من الأمور .

وتقوم رسالة مجمع البحوث الإسلامية على التوحيد الفكري لعلماء المسلمين في ضوء روح العصر الذي يعيشون فيه .

تفسير الوسيط وإخراج «جمع الجوامع» للسيوطي أهم منجزاته

ولقد كان لصدى المؤتمرات التى عقدت بالقاهرة لعلماء المسلمين – التى دعا إليها مجمع البحوث الإسلامية – أن أحدث الشعوب والحكومات الإسلامية بمقرراتها التى تناولت نواحى الحياة التى يحياها المسلمون فى عصرنا ، فاهتدوا بها وعملوا بما جاء فيها .

مؤتمرات المجمع :

ومنذ نشأة مجمع البحوث الإسلامية وهو يؤدى رسالته فى الحركة الفكرية الإنسانية من خلال مؤتمراته المتعاقبة ، فقد هيأ الأزهر الشريف لكافة الدول الإسلامية أن تشارك بعلمائها ــ من خلال هذا المجمع ــ فى مؤتمراته ، وهى لقاءات مباركة تمت فى رحاب الأزهر ، وتم فيها مدارسة الأمور التى تتعلق بالدعوة الإسلامية ، وبحث المسائل التى تهم المسلمين فى جميع الأقطار والأوطان ، تدعيما لأواصر الأخوة والمودة بينهم ، وتوحيداً لجهودهم فى نشر الثقافة الإسلامية .

إنجازات المجمع :

عقد مجمع البحوث الاسلامية عدة مؤتمرات بلغت أحدعشر مؤتمراً فى ثلاث وعشرين سنة وذلك فى السنوات التالية :

المؤتمر الأول (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) .
المؤتمر الثانى (١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م) .
المؤتمر الثالث (٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م) .
المؤتمر الرابع (١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م) .
المؤتمر الخامس (١٣٨٩هـ – ١٩٧٠م) .
المؤتمر السادس (١٣٩٠هـ – ١٩٧١م) .
المؤتمر السابع (١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) .
المؤتمر الثامن (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م) .
المؤتمر التاسع (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) .
المؤتمر العاشر (١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م) .
المؤتمر الحادى عشر (١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) .

☐ وقد أفرزت هذه المؤتمرات بحوثاً عدة فى غاية الأهمية ، هادفة وبناءة ، نوقشت فى جلسات جادة ، تؤكد جميعها أن هذه المؤتمرات عقدت فى إبانها وأنها كانت ضرورة لمراجعة ماتم إنجازه من قرارات وتوصيات سبقت فى مؤتمرات متقدمة ، والنظر فيما يحتاجه النشاط الدعوى من خطوات أخرى تعالج قصوراً أو تسد نقصاً أو تؤكد جهداً ، أو تبين رأى الإسلام فيما يعنُّ من قضايا مستحدثة .

وقد عبرت بحوث هذه المؤتمرات –فى مجملها– عن الموضوعات الآتية :

ـ مقاومة الاستعمار وأعوانه فى البلاد التى لم تزل تحت نيره ، أو فى البلاد التى جلا عنها مخلفاً آثاره .

ـ المصدرين الأساسيين للأحكام الشرعية : القرآن الكريم والسنة النبوية .

ـ أحقية الاجتهاد فى استنباط الأحكام لكل من استكمل شروط الاجتهاد وكان اجتهاده موافقاً لها



ـ الزكاة والموارد المالية فى الإسلام وطرق استثمارها .

ـ تحكيم تعاليم الإسلام فى الحياة الدينية والإسلامية للدول الإسلامية .



قرارات وتوصيات المجمع تمثل «استراتيجية» متكاملة للعمل الإسلامى

- دعم القضية الفلسطينية باعتبارها « قضية المسلمين » المرتبطة بدينهم وتاريخهم وتراثهم .
- المعاملات المصرفية ومناقشة التأمين بأنواعه حتى يتم اتخاذ قرار فى كل أنواعه .
- مناقشة مايفرض من الضرائب لمصلحة الدولة وبيان عدم إغنائها عن الزكاة وصدقات التطوع .
- مناقشة شئون الأسرة والشباب بشأن تعدد الزوجات ، والطلاق ، وتحديد النسل ، وتربية الشباب
- معالجة الشئون الاجتماعية والحضارية وأثرها فى سعادة البشرية ورقيها .
- تحديد أوائل الشهور القمرية واختصاصات المراصد والفلكيين فى هذا الصدد .



- بيان الرأى فى الذبائح والهدى فى موسم الحج .
- واجب الإخلاص فى النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .
- وضع التشريعات الإسلامية فى شكل تقنينات لتيسر على البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الإسلام .



- تأكيد فرضية « النفير العام » أو الجهاد بالأموال والأنفس على كل قادر من المسلمين لمواجهة قوى الاستعمار والصهيونية .
- مناقشة سبل الوحدة الإسلامية وإعانة الدول المحتاجة .
- مناقشة سبل نشر الدعوة الإسلامية وتطوير أساليبها بما يتلاءم مع كل مجتمع وبيئة .



- معالجة قضايا الأقليات الإسلامية .
- سبل وقاية الأمة الإسلامية من الغزو الفكرى
- دور الدعوة والدعاة والإعلام فى خدمة الإسلام .



- ربط الحياة بالإسلام فكراً وسلوكاً .
- إخراج تفسير وسيط للقرآن الكريم بأسلوب ميسر خالياً من الإسرائيليات .
- مناقشة القضايا المعاصرة كالحرب الإيرانية العراقية ، وجهاد الشعب الأفغانى ، والحرب الأهلية فى لبنان ومشكلات الأقليات الإسلامية فى ظل الاضطهاد العقائدى .

وقد انعقدت هذه المؤتمرات العلمية لمجمع البحوث الإسلامية ، فيما بين عامى (١٣٨٤ - ١٤٠٧هـ) وفيها نجد كثيراً من المواقف التى يذكرها التاريخ لهذا المجمع بالاعتزاز والفخر ، منها على سبيل المثال :

موقفه من شئون الأسرة .

موقفه من تقنين الشريعة الإسلامية .

موقفه من دراسات التفسير والحديث .

فقد حسم المجمع المسائل التى أثارت بلبلة فى هذه الدراسات ، حتى أنها أصبحت لاتثار إلا لتقابل برأى المجمع قديماً .

تركزت فكرة إنشاء المجمع على مناقشة البحوث جماعياً وعلمياً

فحسم المجمع موضوع تلحين القرآن فحكم برفضه رفضاً قاطعاً . وحسم المجمع موضوع كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثمانى ، فحكم برفضه رفضاً قاطعاً . وأكد المجمع ضرورة التوسع فى تحفيظ القرآن، ووضع الخطط اللازمة لذلك .

إخراج التفسير الوسيط :

ـ عمل المجتمع على تنقية كتب التفسير والحديث من الإسرائيليات واختار الطريق الميسور لذلك بأن أصدر كتابين لبيان هذه الاسرائيليات والتحذير منها ، وأصدر تفسيراً حديثاً خالياً منها ، وهو « التفسير الوسيط للقرآن الكريم » وقد تم إصداره كاملاً .

إخراج موسوعة للحديث النبوى :

ـ أما عن الحديث : فقد رأى المجمع الحاجة ملحة إلى وضع موسوعة حديثة بين أيدى العلماء والباحثين تضم أغلب الأحاديث المروية ومراتبها من : الصحيح والحسن والضعيف ، ووقع الاختيار على كتاب « جمع الجوامع » للإمام السيوطى – المعروف بـ : الجامع الكبير ، وذلك لوفائه بالغرض تقريباً .

موقفه من الربا :

أوضح المجمع الرأى فى نقطتين كانتا مثارة للمناقشة والبلبلة فى هذا الصدد

الأولى : هل الربا المحرم هو الربا الاستهلاكى فقط ، وبناء عليه تجوز الفائدة فى القروض الاستثمارية التى تتعامل بها البنوك والشركات الاقتصادية فى المجالات المختلفة ؟

وفى هذه النقطة قرر المجمع أن الربا محرم لا فرق فيه بين مايكون عن قرض استهلاكى أو قرض استثمارى .

الثانية : هل الربا المحرم هو مايكون أضعافاً مضاعفة فحسب ، وبناء عليه تجوز الفوائد على القروض التى تقوم عليها البنوك والشركات وغيرها مالم تصل إلى حد المضاعفة ، إذ غالباً تقتصر على نسبة معينة فى المائة .

وفى هذه النقطة قرر المجمع أن الفائدة محرمة وهى ربا ، لافرق فى ذلك بين مايكون أضعافاً مضاعفة أو نسبة ضئيلة .

فاعلية دور المجمع :

وتأكيداً لفاعلية مجمع البحوث الإسلامية ، فإنه الآن ينتهج سياسة أكثر تناسقاً وتعاوناً مع الهيئات والمنظمات الإسلامية الأخرى فى العالم الإسلامى ، من أجل خدمة الأهداف المشتركة وهو الدور الذى وضعه فى اعتباره فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المجمع ، ودعم من أجله المجمع بأعضاء جدد من العلماء المتخصصين ، تتمة لدوره الممتد .

وبعد ..

تلك كانت جولة علمية ألممنا فيها بنشأة ونشاط مجمع البحوث الإسلامية ، وبيان حجم المسئولية الملقاة على عاتقه ، وهي المسئولية التي قام بها خير قيام ، من خلال ماصدر عنه من بحوث ، وماعالجه في مؤتمراته العلمية وأخرج بشأنها القرارات والتوصيات بأكثر من لغة أجنبية .

والحق أنه تاج يعتز به المجمع - عبر تاريخه المجيد والممتد - في دعم الأخوة الإسلامية وتوطيد أواصر التعاون بين علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، والنهوض بأعباء الدعوة إلى سبيل الله - عز وجل - امتثالاً لقوله - تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾
[النحل - ١٢٥]

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
[آل عمران - ١٠٤]

واستكمالاً لهذه الدراسة الوثائقية عن نشاط مجمع البحوث الإسلامية ودوره المضطلع به من خلال لجانه وإداراته التي صاحبته منذ انشائه ، أو التي استحدثت بعد ذلك بقرارات اقتضتها ظروف العصر ، فأننا نأمل أن تواتينا الفرصة إن شاء الله لتفصيل عمل هذه اللجان والإدارات في خدمة رسالة المجمع .

مراجع الدراسة

١- نشرة القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ - (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) .

٢- المؤتمرات التي صدرت عن مجمع البحوث الإسلامية منذ انشائه ، وهي فيما بين عامي (١٣٨٤هـ - ١٤٠٨هـ) .

٣- د. أحمد عوف : الأزهر في ألف عام - سلسلة البحوث الإسلامية - الكتاب الثاني من السنة الثالثة عشر (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .

٤- مجلة الأزهر - عدد شوال ١٣٩٧ - أكتوبر ١٩٧٧ - المجمع في الميزان - للدكتور يحيى هاشم ، وذلك في إطار أعمال المؤتمر الثامن للبحوث الإسلامية .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السؤال :

يملك أ ، ب قطعة أرض متناصفة بينهما على الشيوع ، وعند الشروع في البناء استقل كل منهما بنصيبه ؛ ثم إنهما خالفا الشروط القانونية للبناء من حيث الارتداد وكذلك العلو . وتفاديا لما عساه أن يكون من إزالة السلطات للوحدات المخالفة مما يشكل ضررا جسيما يلحق بالطرفين ، فقد بادر (أ) بإجراء مصالحة مع جهة الإدارة دفع بموجبها الغرامة عن نفسه وعن صاحبه (إذ القطعة كلها رغم استقلال كل منهما بالبناء وبمدخل خاص تعتبر في نظر الإدارة وحدة يتعاين التصالح عليها جميعا) وهذا أخف الضررين .

وقد راعى (أ) عجز (ب) ماليا في ذلك الحين ، فلم يطالبه بشيء وقتها لقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ....﴾

سورة البقرة ـ آية : ٢٨٠

وفي وقت لاحق من رجوع جهة الإدارة عليه بشيء ارتفع بالبناء بضعة أدوار أخرى باع بعضها بمبالغ تزيد على مائتي ألف جنيه ولا تزال عنده وحدات معروضة للبيع ، بينما ما يخصه في المصالحة لا يعدو بضعة آلاف جنيه ، يعني أنه صار ميسورا وقادرا على السداد .

راح (ا) يطالبه بحصته في المصالحة فأبى في إصرار قائلا : « أنا ما قلتش لك اعمل مصالحة أنت لم تأخذ رأيي » .

وتدخل أهل الخير من جانبي الطرفين فانتهوا إلى أحقية (ا) تجاه (ب) ، ولكن هذا الأخير ثار وأبى النزول على رأيهم ، فعاد (ا) يعرض التنازل عن نصف المبلغ (يعني نقسم البلد بلدين أنت النصف وأنا النصف) ولكنه ظل سادرا في جحوده مصرا على موقفه قائلا :

[أنا ملكت البيت لأولادى ومش دافع حاجة وروح اشتكينى] ، وعلى فرض ذلك جدلا فإن أولاده ميسورون ويمكنهم السداد .

وجد (ا) نفسه أمام خصم يأبى إلا أن يجحد حقا يعلم بيقين أنه في ذمته ولم يذعن لقرار مجلس الصلح فقال قولة اليائس المضطر الذى لا يملك سندا مكتوبا يقاضيه به ، ولا فائدة ترجى من الكلام بعد الذى كان .

[طيب ياعم .. أنا مش عايز منك حاجة] فهل يعد تنازل (ا) معتبراً شرعا ؟ وهو تنازل المضطر اليائس ؟ وبالتالى هل برئت ذمة (ب) مما يخصه في أمر المصالحة ؟ أفتونا مأجورين يرحمكم الله – تعالى – .

أ.أ. أبو شادى

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإجابة على ما تضمنته الرسالة المرفقة بتوقيع أ.أ. أبوشادى المؤرخة في ١٦ رمضان ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ من يناير ١٩٩٧م نقول :

ـ أنه بعد قيام المشتركين بعملية فرز وتجنيب في الأرض المشتراة بينهما على الشيوع ، وقد انتفع كل واحد بنصيبه بعد القسمة كانت القسمة حتما لازما ، ولو ادعى أحد المتقاسمين دينا في التركة صحت دعواه .

ـ والغرامة التى هى محل النزاع وموضوع الدعوى شأنها شأن كل دعوى تخضع لأحكامها وهى تفسد بشيئين : أحدهما ألا تكون ملزمة لشيء على الخصم ، وفي هذه المسألة أنك دفعت للإدارة بطريق المصالحة أصلا عن نفسك وأما عن غيرك فأنت غير موكل منه بذلك أو مفوض في المصالحة بدون إذنه أو رضاه ، وهو ما لم يتحقق وربما يكون الإسراع في المصالحة يحقق لك شخصيا غرضا قد ينتفى عنه أولا يطالبه ، ويؤكد هذا قوله لك بصريح العبارة (أنا ما قلتش لك أعمل مصالحة أنت لم تأخذ رأيى) .

ـ والنقطة الأخرى قولك ـ أنا مش عايز منك حاجة ـ فإن هذا القول عند الحنفية يعتبر من هبة الدين لمن عليه الدين وهى جائزة ، وذلك مجاز عن إسقاط الدين عنه ؛ لأن الهبة تكون عينا لا دينا وهو قول المالكية أيضا ، وهو تنازل معتبر شرعا .

أما قولك هل برئت ذمة (ب) مما يخصه في أمر المصالحة ـ نعم برئت ذمته قضاء . فأما ديانة فأمره مفوض إلى الله ـ تعالى ـ الذى يتولى السرائر .

هذا والله وحده من وراء القصد ..

والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد / على عبده محمد يقول فيه :

قام بنك يزعم أنه إسلامى بنقض تعهده ، وتعاقده من تمويل مشروع اجتماعى (مساكن لفقراء المسلمين محدودى الدخل) بدعوى عدم توافر السيولة .. فما الحكم ؟ .

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .. فنفيد بأن المسلمين عند شروطهم ولا يجوز للبنك التراجع فيما اتفق عليه ، فإن ثبت فعلا عدم وجود سيولة نقدية بالبنك فإن الانتظار جائز لحين ميسرة ، وإلا رفع الأمر إلى القضاء إذا غلب على الظن بأن هناك من يتلاعب بهذه الشروط لنقض العهد .. والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / ......

زوجة تريد الطلاق من زوجها على أساس أنه لا ينفق عليها إطلاقا ، وأنه متهم بأكثر من قضية نصب وإصدار شيكات بدون رصيد ، وأنه غير أمين عليها ، وأنه دائم الاعتداء عليها بالضرب والسب بألفاظ نابية فهـل يحق لها طلب الطلاق .. وما الحكم ؟ .

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنفيد بأنه إذا صح ما تدعيه المستفتية من أن زوجها يضربها ، ويسبها ، وأنه غير أمين عليها ، ولا ينفق عليها كان لها أن ترفع أمرها للقضاء وإثبات ما تدعيه ، وفى القضاء خير حل لها . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال . والله ـ تعالى ـ أعلم .

السؤال من السيد / حامد محروس موسى .. توفى رجل عن زوجة ، ثلاث بنات ، أخت شقيقة ، أخت لأم ، أولاد أخت / فمن يرث وما نصيب كل ؟ .

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد .

فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلاث الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخت الشقيقة تعصيبا ، ولاشىء للأخت لأم لحجبها بالفرع الوارث كما أنه لا شىء لأولاد الأخت ؛ لأنهم من ذوى الأرحام .

خميلة الشعر

إعداد وتقديم الأستاذ/ محمد عبد الوهاب

يسعدني تقديم باقة الشعر ، بعد اقتطافها مستوفية مثاليات : الخير والحق والجمال .. عازفة عن مثالب السطحية والمباشرة ، والتقليد والابتذال .

فالشعر في خاطري أمير متوج من أمراء البيان .. وبعد ..
فسيكون منهاجنا بإذن الله تعالى في تقديم هذه الباقة أن نبدأ بنموذج من الشعر العربي

العريق وقد اخترنا ـ بمشيئة الله تعالى ـ لهذا العدد ، طرفة الشاعر الجاهلي : قيس بن عاصم المنقري ، التي يخاطب فيها زوجه في معنى رفيع ، من معاني الكرم بقوله :

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا ، فإني لست آكله وحدي
أخاً طارقاً ، أو جار بيت ، فإنني أخاف ملامات الحديث من بعدي
وإني لعبد الضيف من غير ذلة وما بي إلا تلك من شيمة العبد

ثم ننتقل إلى خير النماذج التي وصلتنا من نتاج الشعراء ، المعاصرين . مطوفين بروائع الشعر من كل حدب وصوب .

من فيض النور

شعر/ ابراهيم عيسى

قل لى يا قلب : متى أدنو ؟ فحنينى حيرة الظن
وحكايا السهر بليلاتى عين قد خاصمها الجفن
وقيام الليل وسجدته روح لأمانيها ترنو
وعلى أهداب النجم أرى ألقا لتسابيحى يحنو
فإذا ما الشوق تلاعب بى وتلفت قلب أو عين

النور بأفقى يتجدد
نور يغنى بمحمد

رباه .. أنا جبت زمانى وطويت الأرض بلا عنوان
أبحث عن نور يرعانى ويضم وجودى بالإيمان
فسما بى فضلك بجناح يتألق طهرا بالقرآن
فسقيت يقينى بدموعى فنما حولى شجر الغفران
وأقول وروحى مجداف فى بحر الحب بلا شطآن

للقلب دعاء يتردد
ويغنى حبا بمحمد

يا قلبى يا خيمة حب فى ليل قد تاه ضحاه حب
وينام النجم فيوقظه وغد بالفجر فيرعاه
وتمطى فى شرنقة الليل يقين سبح بسناه
والليل أضاء جوانبه قرآن أشرق وسقاه
كم أورق أملا وضياء والكون يكبر : رباه

للنور حنين يتجدد
يتلفت شوقا لمحمد

المطر عقيم فى صحراء العمر .. وخاصمنى الساقى
لكن سقطت أمطار الدمع على ظمأ فى أعماقى
فتفجر فى صحراء العمر ضياء يسقى أشواقى
واخضرت واحات الإيمان وفكت بالنور وثاقى
فسبحت إلى شط الإحسان فلاح هنالك إشراقى

ألق فى قلبى لا ينفد
وسناه من فيض محمد

عتاب

للأستاذ محمد عبد الرحمن صافى الدين

وحى شعرى هل توالى خاطرى بعد انقطاع
والمعانى فوق طرسى تتداعى من يراعى
تبهر الألباب فى نظـ ـم على صدر الرقاع
أم تبدت الفكر فى عصـ ـر التردى والضياع ؟
يبذل الإنسان كل الجـ ـهد فى غث المتاع
لا تغب يا وحى عنى أو تجافينى مليا
لا تدعنى فى عكاظ الشعـ ـر مكبوتا عييا
ولتكن فى أفق فكرى حاضراً مادمت حيا
مذ وعيت الكون حولى كنت لى زادا وريا
كنت قيثاراً حنونا يرسل اللحن الشجيا

***

إن تكن يا وحى شعرى قد نأيت اليوم عنى
وقلبت الآن .. بعد الو صل - لى ظهر المجن
طالما ياوحى قد أسـ ـهرت طول الليل جفنى
وسكبت الشعر سلسـ ـالاً بوجدانى وذهنى
لم أزل صب القوافى رغم أسقامى وسنى

***

إنما الأشعار للإنسـ ـان روح وغذاء
وهى للمحزون والمحـ ـروم سلوى وعزاء
إنها روض بهيـ ـج فيه أفياء وماء
إن أفاض الفكر والوجـ ـدان فيها شعراء
لا هراء للتسـل لج فيه الأدعياء

من مواقف الشعراء

كان الشاعر أبو محجن الثقفي مولعا بالشراب ، فحبسه سعد بن ابى وقاص لذلك ، فلما كان يوم القادسية ثارت حميته حين بلغه ما يفعله المشركون بالمسلمين ، وهو حبيس عند أم ولد لسعد ، فأنشدها وهو فى قيده :

كفى حزنا أن تطعن الخيل بالقنا ... وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد وغلقت ... مغاليق من دونى تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة ... فقد تركونى واحدا لا أخا ليا
هلم سلاحى ، لا أبا لك ، إننى ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

وعاهد أبو محجن أم ولد سعد أن يعود إلى محبسه لو أنها أطلقته حتى يستطيع أن يشارك فى المعركة ، فأطلقته ، وركب فرسا لسعد بلقاء وحمل على المشركين ، فقال سعد : لولا أن أبا محجن فى الوثائق لظننت أنه أبو محجن ، وأنها فرسى ، وانكشف المشركون ، وعاد أبو محجن إلى محبسه ووثاقه بإرادته ، وفيا لعهده ، فلما علم سعد بذلك أرسل إليه ، فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا ، قال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا .

ودخل ابن أبى محجن على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذه من شعره قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسأل الناس : ما مالى وكثرته ... وسائل القوم : ماحزمى وماخلقى
القوم أعلم أنى من سراتهم ... إذا تطيش يد الرعديدة الفرق
قد أركب الهول مسدولا عساكره ... وأكتم السر فيه ضربة العنق

حديث و تأمل

NORMAN C. DOWSETT

للشاعر / نورمان سى دوسيت

Waves of perfumed music tease my ear	موجات موسيقية عاطـــرة تداعب أذنى
Colour-Words of rhythm pass me by.	كلمات ملونة منظومة تعبرنى
Breathlessly I strive my heart to steer	أنفاس لاهثة ، أجاهـد قلبى لكى أسير
Into the Light of Thy divinity	فى نورك القدسى
Flowers of mystic form that change their hue	زهرات غامضة تغير الوانها
Weave a garland of this vision rare,	تنسج باقة لهذا المشهد النادر
And high up in the canopy of blue	وتسمو فى أوج من الزرقة
White birds fly across the magic air	طيور بيضاء تحلـق فى الجو السـاحر
And there on mountain heights, a golden stream	وهناك ، بالمرتفعات الجبلية ، جدول ذهبى
Winds its way towards a deep abyss	رياح طريقها إلى هوة سحيقة
Where fall the golden showers of a dream	حيث تسقط الأمطار الذهبية للحلم
"Recall again", the Voices seem to say	كأن أصواتا تقول : أعد النداء ثانية
Thy journey through the worlds of amber Light,	رحلتك عبرعوالم متلألئـــة بالضياء
Ride the meridian majesty of day.	أركب المحور العظيم لليوم
Sing in thy heart the Song of Love's delight!	غن فى قلبك أغنية المحبة البهجة !

إبداع الشعراء

يروى أن أبا نواس أو جحا أو أحد أصحاب النوادر دعا بعض أصدقائه إلى وليمة فلما سمع بذلك أهل المدينة توافدوا إليه ليصيبوا من طعامه ، فخرج معهم إلى شاطىء البحر وصاد جرادة وألقاها فى البحر وقال لهم : من فاته اللحم فليحتس المرق .

وقد فاتنى الشعر ووهنت ملكتى فيه فلم أجد بداً من أن أحوم حوله ، أتبع الشعراء وأستمع إليهم وأطرب لشعرهم ، وقد أحاول تقويم بعضه أو نقده أو أسجل مايجول فى خاطرى عن الشعر والشعراء .

ومما جال فى خاطرى من مجالستى لبعض الشعراء أنهم يترددون فى إنشاد شعرهم ، ويتنصلون من أن يوصفوا بأنهم شعراء ، وكأن الشعر وصمة لايرغبون أن تلصق بهم ، أو كأنه جريمة يفرون من أن تنسب إليهم . أو لعلهم يخشون نقص مستوى شعرهم فيسكتون عنه خوفا من نقد ينال منه .

وليست هذه الظاهرة خاصة بالشعراء المحدثين ـ عفوا أقصد الشعراء اللذين ظهروا فى العصور الحديثة ، ولا أقصد المحدثين الذين يزعمون أنهم شعراء وما هم بشعراء ـ بل هى ظاهرة معروفة حتى فى العصور القديمة .

فكتب الأدب تحدثنا عن شاعر من فحول شعراء العصر الأموى ، وهو الكميت بن زيد الأسدى شاعر الهاشميات أنه كان يتردد فى نشر شعره :

فعندما ظهرت (أعراض) الشاعرية على الكميت ، وبدأ فى نظم الشعر ذهب إلى (الفرزدق) الشاعر المعروف وقال له :

يا أبا فراس : أنت شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ، وقد قلت شعرا ، وأحب أن أعرضه عليك ، فإن كان حسنا أمرتنى بإذاعته ، وإن كان قبيحا أمرتنى بستره ، وأنت أولى من ستره علىّ .

فقال الفرزدق : إنى لأرى لك عقلا راجحا ، وإنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدنى ماقلت :

قال الكميت :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

قال الفرزدق : وما لك لا تطرب ؟

قال الكميت :

ولا لعبا منى وذو الشوق يلعب

قال الفرزدق : لم لا تلعب يا ابن أخى ، وأنت فى سن أوان اللعب ؟

قال الكميت :

ولم يلهنى دار ولا رسم منزل ولم يتطربنى بنان مخضب

قال الفرزدق : ومايطربك يا ابن أخى ؟

قال الكميت :

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب

قال الفرزدق : أجل يابنى لا تتطير .

قال الكميت :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بنى حواء ، والخير يطلب

قال الفرزدق : من هؤلاء ويحك ؟

قال الكميت :

إلى النفـــر البيض الذيـــن بحبهم إلى الله فيمـــا نابنـــى أتقـــرب
بنـــى هاشم رهـــط النبـــى فإننـــى بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم منـــى جنـــاح مودة إلى كنـــف عطفـــاه أهـــل ومـــرحب

قال الفرزدق : أذع يابنى أذع ، فإنك أشعر من مضى وأشعر من بقى ...

***

وشاعر آخر يتردد فى نشر شعره قبل أن يعرف رأى الناس فيه .

إنه نصيب بن رباح مولى بنى ضمرة الذى كان يقول الشعر ثم ينشده فى مجالس مواليه ، ويزعم لهم أنه من شعر أسلافهم ، فلما كثر ذلك منه ، وتعجبوا من انفراده بروايته وادعائه نسيان اسم قائله ورأوا أن ماينشدهم من الشعر لا عهد لهم به ، ولا يأثرونه عن أسلافهم ألحوا عليه فى بيان الحقيقة ، فسألهم عما إذا كان هذا الشعر الذى ينشدهم قد أعجبهم أم لا فلما تأكد من إعجابهم أخبرهم أنه من شعره ، وأنه إنما كان ينسبه إلى أسلافهم ليعرف رأيهم فيه ، فإن استحسنوا أعلن لهم أنه قائله ، وإلا كتم على نفسه وستر شعره .

***

وفى هذا العصر عندما تجمعنا المجالس ببعض الشعراء كالشاعر البراء بن الشاعر عمر بهاء الدين الأميرى ، أو الشاعر عبد الرحمن العشماوى ، أو الشاعر الدكتور زاهر بن عواض الألمعى ، أو الشاعر أحمد سالم باعُطب ، أو غيرهم من الشعراء المجيدين ، ونطلب منهم أن ينشدونا شيئا من أشعارهم يحاولون التخلص من ذلك تارة بنفى الشاعرية عن أنفسهم ، وأحيانا بالزعم أنهم لم يحضروا معهم شيئا من شعرهم ولم يستظهروه ، وبعد تمنع وإباء ينشدونا شعراً فنجده شعراً جميلاً رائعا قوى النبرة لطيف المعانى ، ويعتذرون بأن شعرهم ليس فى مستوى النشر والإنشاد .

وعلى النقيض من ذلك نجد أن بعض المتشاعرين لا يدعون فرصة إلا نشروا فيها شعرهم أو أذاعوه .

ويغلب على ظنى أن إجادة الشعراء لشعرهم ومعرفتهم لجيد الشعر ورديئه تجعلهم يترددون فى نشر شعرهم ، وكأنهم يتفادون أن يظن بهم أنهم مفتونون بشعرهم كما يفتتن بعض الناس بأولادهم ، وقد صور أبو تمام هذا الشعور فى قوله :

ويسيء بالإحسان ظنا لاكمن هو بابنه وبشعره مفتون

ومن يسيء الظن بشاعريته الشاعر الكبير الأستاذ طاهر عبدالرحمن الزمخشري رحمه الله الذى انتشر صيته كشاعر مبدع فى جميع أقطار العروبة وبخاصة مصر وتونس ، وأصدر عددا من الدواوين تحتوى على كنوز من الشعر الوجدانى الرقيق المتدفق نجوى وعاطفة .

ولقد قال لى الأستاذ الزمخشرى يوما : إنى لا أعد نفسى شاعرا حتى الآن ، ولما أبديت دهشتى من قوله هذا قال لى : إنى لم أقل حتى الآن ذلك البيت السائر الذى يتمثل به الناس ويتناقلونه فى أحاديثهم وأسمارهم .

وهذا تواضع من الشاعر ونكران لذاته ، وإلا فإن له عددا كثيرا من الأبيات بل القصائد السائرة التى تحفل بها دواوينه .

وإذا كان مقياس الشاعر هو سيرورة بيت للشاعر فقد حزت هذا (المجد) بقولى :

نحن والجيش فى السلاح رفاق أخوة فى الكفاح أو فى السلام

إن كثيرا من إخوانى رجال الأمن والجيش يرددون هذا البيت ويرونه معبرا عن واقع الالتحام الودى بين جناحين من أهم أجنحة الوطن : الجيش والأمن ، ومع أن البيت يحتوى على معنى جيد فإن كلماته عادية ولكن الحظ يسّر ..

ومن الأبيات المحظوظة التى سارت على ألسنة الناس قول شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن من يتأمل هذا البيت بعين الناقد الفاحص يجد فيه إطنابا شديداً يفيض عن حاجة المعنى ، فعبارة : (وإنما الأمم الأخلاق) هى الحكمة التى اشتمل عليها البيت ، أما ما بعد ذلك فهو تكرار عادى التركيب .

وأين هذا من قول شوقى نفسه :

ومانيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

كل كلمة فى هذا البيت الأخير وطيدة فى مكانها لو نزعت منه لاختل مبنى البيت ومعناه .

وقد عبر الشاعر العراقى معروف الرصافى عن سيرورة الشعر فقال :

الشعر ما اهتز منه روح سامعه كمن تكهرب من سلك على غفل

والشعر ماظل دهراً بعد قائله وصار يجرى على الأفواه كالمثل



الدكتور محمد غلاب

باحث فلسفي مستقل !

1

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

مُؤلف الفلسفة ، إذا كان عزوفا منصرفا عن الناس إلا في دائرة اختصاصه ، لا يكاد يعرفه أحد ، مهما أكثر من المؤلفات ، لأن قراءهُ محدودون ، وتلاميذهُ في أكثرهم يقرءون ما كُتب لينجحوا في الامتحان ، فإذا تخرجوا إلى محيط الحياة تركوا مادته العلمية ، وعدُّوها طلاسم شاقة ، تُتعب الذهن ، ولا تفضي إلى متعة خيالية ، فإذا كان هذا المؤلف مضطرا إلى الانزواء لعلّة لحقتْه في عينه ، بعد تجربة حاولها في عقد الصلات فلم يوفق فإنّ نسيانه يكون أكثر ، وهكذا كان الدكتور البصير (محمد غلاب) أستاذا في فنه ، كثيرا غزيرا في نتاجه ، لم يكد يترك التأليف طيلة حياته في شهر من الشهور ، حتى إذا جاءه اليقين ، أصبح خبرا منسيا ، وسكت عنه تلاميذهُ الأقرباء ، كما نسيه معارفه البعداء ...

وُلد الدكتور غلاب في أول يوم من أيام القرن العشرين ، ونشأ في أسرة تعتزُّ بنسبها العربي الأصيل ، وترتفع به مُوثقا في رأيها إلى الجدّ الأربعين ، ومهما يشكّ شاك من غير الأسرة في هذه الصلة الممتدة إلى جُذور التاريخ فإنها عند الأسرة توارثها اعتزازا ، وكان والده رئيس قريته ، ولم تكتملْ فرحةُ طفله به ، إذ فارقه في الخامسة من عمره ، ثم ضعف بصره ، حتى فقد ، والتحق بالأزهر فكان مُميزا بين أقرانه ، ثم أدركته ثورة سنة ١٩١٩ فرجع إلى بلدته ليقرأ علوم الأزهر على عالم أزهري يُتقنها كلّ الإتقان ، فلم تضع أيامُ الإضراب السياسي عبثا بالنسبة إليه ، ثم دفعته همته إلى أن يتعلّم اللغة الفرنسية ، وإلى الالتحاق بالجامعة المصرية القديمة ، وتنوعت أهدافه فنال

الدبلوم العالى بمدرسة الحقوق الفرنسية ، وكان الدكتور طه حسين قد رجع من فرنسا أستاذا شهيرا ، فأحيا الآمال فى طائفة من أمثاله الذين صمموا على الذهاب إلى فرنسا ليبلغوا مبلغه ، وهكذا ارتحل غلاب إلى جامعة « ليون » بفرنسا بعد جهاد شاق من أسرته ، ومما يذكره بمرارة ، أنه حين ركب الباخرة إلى فرنسا من الاسكندرية لم يودّعه أحد ، مع أن لكل مسافر - حينئذ - مودعا ، وعاد فلم يستقبله أحد ، ولكنه عاد بالدكتوراه ، نائلها بمرتبة الشرف مع تقدير اللجنة وتبادل الرسالة فى جامعات باريس ، وهو سعيد بما ظفر ، فكم من طلاب رجعوا من باريس ، واستقبلهم أهلوهم بالميناء الاسكندرى ولم يحرزوا درجة علمية ما ، بل ركنوا للّهو استجابة لنزوات الشباب ، ولم يكن الدكتور محمد غلاب أحد هؤلاء بداهة .

رجع الدكتور غلاب ليحذو حذو الدكتور طه حسين فى الاتصال بالصحافة ، وتوجيه الرأى العام ، وأصدر مجلة النهضة الفكرية على مدى ثلاث سنوات متوالية ليُنشىء جيلا من القراء يتشيع بمبادئه ، وقد التفّ حوله نفر من الشباب شجّعهم على النشر ، ودعا طائفة من أساتذة المدارس العليا للإسهام فى نشر المقالات ، ولكنّ المجلة لم تبلغ ما أراد لها ، لأنّ صاحبها لم يتصل بحزب سياسى يعرف زعماءه ، وييسرُ له بمقالاته الحزبية ذكر فى الناس ، كما فعل غيره فى مضماره ، بل جعلها مقصورة على الثقافة والأدب والشعر ، وقد لاقت حربا من منافسيها ذوى المجلات الذائعة ، فكانوا يصدون باعة الصحف عن ذيوعها ، وتمضى إليهم النهضة الفكرية فترجعُ فى جبالها كما ذهبت ، هكذا قال الدكتور غلاب فى حديثه عن المجلة الموءودة ، وإخا له صادقا[1] ، وليس الأمر غريبا فى بابه ، فقد أنشأ الأستاذ عبدالعزيز الاسلامبولى مجلة المعرفة فى هذه الفترة نفسها . فكانت منافسة صَعْبة لمجلتى « المقتطف والهلال » ، لأنها مع احتفالها بالبحوث العلمية قد انفردت بصوت إسلامى له أهدافه الحبيبة ، وجمعت من كبار الكتاب من يعدون فى الصف الأول نباهة ذكر ، ووفرة نتاج ، ثم جاءت رشوة الباعة فلاقت « المعرفة » مصير « النهضة » ، ومجلة الفكر غير مجلة السياسة ، فالأولى ذات قراء محدودين ، فإذا وجدت مع ذلك حربا ماكرة فمصيرُها معلوم ! .

ولكن كلية أصول الدين قد أنشئت فى هذا العهد ، ورأى الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى أن ينتفع طلابُ الكلية بحامل الدكتوراه فى الفلسفة ، فعُين أستاذاً للأخلاق والفلسفة بالكلية ، واشترك فى وضع المناهج للطلاب بالكليات والمعاهد الأزهرية مع صفوة من خيرة القوم ، وأخذت مؤلفاته الكثيرة تنهمر انهمار الغيْث ، فأسدى فضلا ، وكشف عن جوهر نفيس ..

---

(1) فى عالم المكفوفين جـ ٢ للدكتور الشرباصى ص ١٤٧ .

اتجه الدكتور فى محاضراته إلى درس الفلسفة الشرقية ، والفلسفة الإغريقية ، وكانت كتبُ الفلسفة بكلية الآداب تُنكر كلّ أثر للفلسفة الشرقية فيما تلاها من الفلسفات تبعا لما قرره جمهرة أساتذة الغرب فى هذا المجال ، ثم أذاع الدكتور طه حسين كتابه : (قادة الفكر) فأيّد هذه الفكرة بأقصى ما يملك من بيان ، وكتب الدكتور أحمد أمين قصة الفلسفة اليونانية ، فظاهر هذا الرأى وأيده ، وفى طلاب كلية أصول الدين من تلاميذ الأستاذ الدكتور غلّاب من قرءوا كُتب الأساتذة : يوسف كرم وطه حسين وأحمد أمين ، فعرفوا ما قالوه ، واستمعوا إلى أستاذهم ، فوجدوا الرأى المخالف فحسبوه يسترضى عواطفهم الشرقية حمية وحماسة ، لا عن بحث وتحقيق ، وتجرأ طالب متسرع فقال للدكتور غلّاب ولم لمْ تنشرْ ردّك على مُخالفيك فى صحيفة علمية ، ليتسع مجال النقاش خارج الكلية واستمع الدكتور إلى الطالب مفكرا ، وهنا صح لديه أن ينشر خلاصة دروسه فى مقالات متتالية بمجلة الرسالة استمرت عاما كاملا ، ثم جمعها فى جزأين ، ونشرها مطبوعة فأحدثت دويا صاخبا بين أهل العلم ، وهكذا وفق الله طالب الكلية لاستدراج أستاذه إلى النشر فى فضاء فسيح ، فامتد بفكرته إلى المحيط العربى جميعه بعد أن انكمشت فى جدران ضيقة الرحاب .

وقد ذكر الدكتور محمد غلاب فى مقدمة كتاب (الفلسفة الشرقية) أنه سيحاول دراسة النظر الإنسانى وما مرّ به من تطورات قبل أن يُطلق عليه كلمة الفلسفة ، لأنّ التفكير الشرقى القديم لا يتفق على تسميته تفكيرا فلسفيا كثير من باحثى الغرب ، لأنه فى رأيهم يستمد آراءه من التعاليم الدينية ، وهى حجة داحضة لأنّ أصحاب هذا الرأى لم يُنكروا إطلاق الفلسفة على ما أنتجه مُفكروا العصور الوسطى الذين يستمدون تعاليمهم من المسيحية ، فكيف يُنكرون ذلك بالنسبة إلى الشرق وحده ؟ .

وقد قرر أرسطو أن الفلسفة لم تُعرف فى تاريخ العقل البشرى إلّا فى المستعمرة اليونانية (ايونيا) وقد أسسها قوم أغريقيون ، فالفلسفة إغريقيةُ الأصل والعنصر وهى لا تصْعدُ فى رأيه إلى ما وراء القرن السادس ، فأصبح كلامُ أرسطو موضع قبول الكثيرين ، وقد أكده (بارتلمى سانت) فى مقدمة ترجمته لكتاب « الكون والفساد » لأرسطو ، وهو ما نقله إلى العربية الأستاذ أحمد لطفى السيد ، فكان قولُه موضع يقين الدكتور طه حسين ومن تلاه .

يقول الدكتور غلّاب فى المقدمة : (وهذا الرأى مقلّدون وأذنابُ مقلدين فى مصر فى كل فكرة تطعنُ على الشرق) وكتب فى الهامش ما يدل على أن المقلّد طه حسين ، وذنب المقلّد أحمد أمين ، والتفرقة بين الرجلين لا معنى لها ، إذ هما يندرجان فى اتجاه واحد وقد قرأ أحمد أمين ما قرأ طه حسين ، وألف فى الفلسفة قبل أن يؤلّف فيها ! .

هذا ما قاله أرسطو وتابعوه ، وتابعُوا التابعين ، أمّا الدكتور غلاب فقد تتبّع منشأ هذه الفكرة منذ قالها أرسطو ، ثم ذكر الرأى المقابل الذى سجله (ديوجين لا إرسى) فى كتابه : (حياة الفلاسفة) وقد عاش فى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح ، وألّف كتابه الذى اعترف فيه بفلسفة المصريين والفرس فى العصور الغابرة ويسبقهم الفرب فى النظر العقلى بما ورد عنهم من آثار .

ومن أقوى آراء الدكتور غلاب أن الباحثين الأثريين عثروا على كلمات العدل ، والفضيلة ، والنفس ، والحياة الأخرى ، فى الشرق ، قبل تاريخ وجودها فى الغرب بقرون لا يُعرف مداها ، وأنّ علماء الرياضة قد فرغوا من تقرير أن بناء الإهرام قام على وضع هندسى تسبقه فلسفة رياضية مؤكدة ، وأن كثيرا من النظريات الأغريقية متوفر فيها جميع شرائط العقلية الشرقية وخواصها .. وتلك أدلّة جديرة بالاهتمام .

وكتاب الدكتور أقوى ما كُتب فى موضوعه ، إن لم يكنْ أقوى كُتبه جميعا ، حيث بدأه بمقدمة اشتملت على مناهج البحث فى العصر الحديث ، وعلى ما يجب أن يسلكه الباحث فى استعراض المذاهب الفلسفية ، مراعيا خطوات البحث العلمى فى ترتيب الحوادث وفق القانون المنطقى ، أما ثقافات الأمم الشرقية فقد وجدتْ مكانها المبسوط حين تحدث الدكتور غلاب بإفاضة عن الفلسفات المصرية والهندية والفارسية ، والصينية ، والكلدانية ، والعبرانية .. وكانَ وفيا كل الوفاء لمصر ، وفاء علميا ، لا وفاء عاطفيا ، حين أشبع الحديث عن الحياة العقلية فى مصر منذ نشأتها فى عصر ما قبل التاريخ ، ثم فى عصور ـ منفيس ومدينة الشمس ـ وغيرها ، وعن دورها فى التطورات التى تعاقبت لدى المصريين حولَ مسائل الألوهية ، والنفس ، والبعث ، والسؤال ، والميزان ، والثواب والعقاب ، هذا غيرُ ما اتجهوا إليه فى تأصيل قواعد للأخلاق والآداب ، وعلى طريقته فى الحديث عن مصر ، تحدث عن فلسفة الهند والفرس والصين ، وقد جد من الباحثين من نهج نهج الأستاذ فى تأريخ الفلسفة الشرقية ، وربما اتسع أكثر مما اتسع ، ولكن السابق هو الذى مهّد وهيأ ورسم الطريق فكتابُ الفلسفة حين ظهر فى أواخر سنة ١٩٣٧ م كان جديدا جديدا ، وقد قلتُ إن فصولا منه نشرت قبل الطبع بالسنة الخامسة من مجلة الرسالة فأتيح لها أن تكون واسعة الذيوع ، وأن تكون مجال أخذ ورد .

وقد احتفلت الصحف العلمية بظهور هذا الكتاب القيم فأشادتْ بـ : مجلة الرسالة ، ونقل الأستاذ محمد فريد وجدى مقدمة الكتاب فى جزءين متتالين من مجلة الأزهر ، وقال تمهيدا لهذه المقدمة :(٢)

---

(٢) مجلة الأزهر ـ المجلد التاسع ص ٢٧٨ ـ سنة ١٣٥٧ هـ .

« شرع حضرة الأستاذ الألمعي الدكتور محمد غلاب أحدُ محرري هذه المجلة في طبع بحوثه الفلسفية ، وهي تقع في ثلاثة مجلدات ، وقد تمّ طبع المجلد الأول منها ، فرأينا أن ننقل المقدمة الفلسفية الممتعة ، التي افتتح بها هذه البحوث ، فقد أوجزت من تعريف الفلسفة ، وفوائد دارستها ، واطراد تقدم الفكر البشرى ما لا يمكن أن يستخلصه المستفيد إلّا بعد مطالعات تستغرق سنين طوالا فنشكرُ للمؤلف دراساته المدققة ، وجهوده الموفقة ، راجين له دوام الانتاج ، على هذا الأسلوب القيم والتمحيص الحكيم » .

وإذا كان الدكتور قد بدأ نتاجه العلمي بهذا الأثر الكبير فقد كان براعة استهلال فائقة لما تلاه من البحوث الغزيرة ، والبحثُ الفلسفي شاقٌ يحتاج إلى الصبر الطويل ، ويُخيل الىّ أن مخطوطات فلسفية كانت لدى الدكتور قبل أن يكون أستاذاً للفلسفة بالكلية ، فلما أتيح له أن يغمر طلابه بعلمه الوافر ، أخذ يصدر كتبه المتوالية ، ومنها كتاب « مشكلة الألوهية » وكتاب « الفلسفة الإسلامية في المغرب » ، وكتاب « المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة » ، وكتاب « الأخلاق النظرية » ، وكتاب « حياتنا الاجتماعية ومشكلاتها العظمى » ، وكتاب « الأدب الهليني » في ستة أجزاء ، وكتاب « الفكر الأوربى في القرن الثامن عشر » ، وكتاب « أدباء الرومانتيكية الفرنسية » ، وكتاب « الأدب المقارن » وغيرها .. وأكثر هذه الكتب كما احتاجت إلى صبر المؤلف في الإعداد ، تحتاج إلى جلد القارىء في الاستيعاب ، وقد تهيب بعضها ، فوقفتُ على شاطئه ، دون أن أضع قدمي في الماء ، لأن استيعابه يحتاجُ إلى دراسة مؤهلة لا أرانى وُفقت لها من قبل ، ولكن غيرى قد قرأ وهضم واستفاد ، وفي ذلك عزاء أي عزاء لذوى الجهد المرير .. وليست بعض هذه الآثار هي التى استغلقت على ، لأنى حين تصفحت كتاب (مشكلة الألوهية) وقد نشرته مجلة الأزهر مفرقا قبل أن يجمع ، حاولت أن أنتقل منه إلى كتاب (الله) للأستاذ العقاد فوجدتُه أغنى وأصلب ، لأن العقاد يفترض في قارىء كتابه أنه ملم بأصول كثيرة مما يتحدث عنه فيفاجئه بالحكم على آراء لم تُبسط على وجه مريح ، أمّا الدكتور غلاب فلا يناقش رأيا قبل أن يوضحه على وجه كاشف .

وفيما ذكرت من مؤلفات الدكتور ما يتصل بالأدب وتاريخه مثل : كتاب « أدباء الرومانتيكية الفرنسية » ومثل كتاب « الأدب المقارن » وكتاب « الأدب الهليني » .

والحق أن النزعة الأدبية قد تأصلت في نفس الدكتور غلاب ، وهو طالبٌ بالأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة ، إذ كان ينشر بالمجلات الأسبوعية خواطر أدبية أشار إلى بعضها الدكتور زكى مبارك في كتاب (مدامع العشاق) ، كما أنه نشر مترجمات أدبية لبعض القصص الأوربية الشهيرة

بمجلات : « السياسة الأسبوعية والرسالة والرواية » وإن كُنتُ وقفت طويلا عند قصة تحت عنوان « يوميات جينيفيف »[٣] نشرها فى ثلاثة أعداد من الرسالة لأنها ليست ذات هدف إنسانى ، وإنما هى تصوير لنزوات هابطة ، ولعل المترجم أراد أن يقف القارىء على نوازع من التحليل النفسى الدقيق لكوامن الغرائز فجعل من هذه القصة مثالا ، أما كتاب « الأدب الهلينى » فموسوعة تقع فى ستة أجزاء .

وقد قال عنه الدكتور وهيب كامل[٤] إن المؤلف قد اعتمد فى تأليف هذه الموسوعة على كتابين اثنين فى تاريخ الأدب اليونانى عينهما ، باسمى الكتابين واسمى مؤلفيهما ، ثم قال ونحن لا نعترض على هذا النحو من التأليف لأن الكتابين المشار إليهما حجة فى بابهما ! وهذا كلام لا يخلو من نقد صائب ، لأنّ من يتصدى لتأريخ الأدب اليونانى لا يكفى أن يُلخص كتابين لم يقرأ سواهما ! ولكن ما يشفع للدكتور علاب فى رأى الدكتور « وهيب كامل » أن الأستاذ « لويب الأمريكى » قد سَلَك هذا المسلك فى تأليف كتابين شهيرين أحدهما كتاب (الأدب السكندرى) لمؤلفه العالم الكبير « كويت » والثانى كتاب (داومى) فى تاريخ الكوميديا اليونانية المتأخرة للعالم الكبير (لاجراند) حين نقلهما نقلا إلى الانجليزية مُسْقِطا الهوامش فى ترجمته ! وتعقيبا على ذلك أقول إن الخطأ لا يبرر الخطأ ، وكان على الدكتور علاب أن يُثبت فى المقدمة أنه يلخص كتابين لمؤلفين ، ويحدد الأسماء ، بل كان من الأوفق أن يكتفى بعرض نصوص أدبية إغريقية مع التعليق عليهما ، وإذا فعل ذلك فلن يعترض عليه معترض ، لأن النصوص الأدبية ملك للجميع ، فى مجال الشرح والتعليق وقد استدرك عليه الناقد أشياء تدّل على تسرعه ، وقال فى خاتمة نقده إن الكتاب يحتاج إلى ثلاثة أجزاء أخرى لإتمام قصة الأدب اليونانى ، ودعا المؤلف أن يواصل العمل إذا وجد فسحة من الوقت ليتم هذا العمل الكبير .

---

(٣) مجلة الرسالة ، الأعداد : ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٤) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٥٢ م .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

خلتان

دخل الوليد بن عبدالملك المسجد ، فرأى شيخا هدَّ كيانه الزمن ، وأحنى ظهره الكبر فاقترب منه ، وقال له مداعبا : ألا تؤثر الموت يا شيخ ؟ .

فقال الرجل : لا يا أمير المؤمنين . لقد ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبر وخيره ، فأنا الآن إذا قمت حمدت الله ، وإذا قعدت ذكرته ، وأحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

جواب مسكت

أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة .

فقال لها : إنى سيء الخلق .

فقالت : أسوأ منك خلقا ، من أحوجك إلى أن تكون سيئا .

قال : أنت إذن امرأتى .

سيدنا عمر والشورى

لحافظ إبراهيم :

يا رافعا راية الشورى وحارسها
جزاك ربك خيرا عن محبيها

وما استبد برأى فى حكومته
إن الحكومة تغرى مستبديها

رأى الجماعة لا تشقى البلاد به
رغم الخلاف ورأى الفرد يُشقيها

أكره الزحمة على المائدة

جلس أبو الفضل الشاعر المعروف « بابن القطا » يأكل مع زوجته ، فقال لها : اكشفى رأسك .. ففعلت ، ثم قرأ سورة « الإخلاص » .

فقالت له : ما الخبر ؟ .

قال : إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ، وإذا قرئت سورة « الإخلاص » هربت الشياطين ، وأنا أكره الزحمة على المائدة .

ثمرة التجربة

قال بعضهم : طلبت الراحة لنفسي فلم اجد لها أروح من ترك مالا يعنيها ، وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أكبر من قرين السوء ، وغالبت الأقران ، فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ، ونظرت إلى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيئا أذل ولا أكسر من الفاقة .

مخاطبة بخيل

كان بعض البخلاء إذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وقبله ، وقال له :

بأبي أنت وأمي كم من أرض قطعت ، وكيس خرقت ، وكم من خامل رفعت ، إن لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى ، ثم يُلقيه في الكيس ويقول : اسكن على بركة الله في مكان لا تحول عنه ، ولا تخرج منه .

أربعة لا يطاقون

قال قيس بن زهير : أربعة لا يطاقون : عَبْدٌ مَلَكَ ، ونذل شبع ، وأَمَةٌ ورثت ، وقبيحة تزوجت .



من صحب الناس بلسان صادق ، وعاملهم بحسن الخلائق ، وألزم نفسه رعى العهود والمواثق ، فقد أرضى المخلوق والخالق .



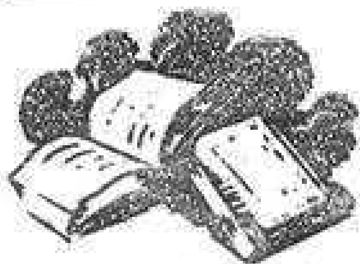
قال حكيم :

إذا جالست الجهال فانصت لهم ، وإذا جالست العلماء فانصت لهم ، فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم ، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم .

دعاء

اللهم اجعلني أخشاك حتى كأنني أراك وأسعدني بتقواك ، ولا تشقني بمعصيتك ، واختر لي في قضائك ، وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .





أكبر أسباب الخلاف بين أصحاب الأديان

للأستاذ / محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم : أ / عبد الفتاح حسين الزيات

التطور خاصية فى الأمم من قديم الزمان ، والاختلاف قاسم مشترك بين بنى الإنسان منذ فجر التاريخ ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن هذه سنة الله فى الخلق :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

والاختلاف فى العقائد قديم قدم الإنسان نفسه ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون عقيدة أياً كان نوعها .

وجاء الإسلام ديناً خاتماً للأديان كلها ، فكان له حكمه الأمين فى هذه المسألة ، فى القرآن وعلى لسان نبيه ﷺ بشكل قاطع وحاسم بالحجة والإقناع والمجادلة بالتى هى أحسن ، فأوجد منهجاً جديداً للعلاقة بين الإنسان وربه ، وكل ما عدا هذا المنهج باطل بالكلية .

قال الأستاذ - رحمه الله .

أكبر أسباب الخلاف
بين أصحاب الأديان

بماذا تذرع الإسلام لحسم مادة هذا الخلاف ؟

أكبر أسباب الخلاف بين الأمم تعصبها لأنبيائها وذهابها في تقديسهم وتنزيههم مذهبا لايتفق مع العقل ، ولايستقيم على دليل .

كانت الأمم في العهود السابقة لاتدين للمقررات العلمية ، ولاتخضع للأحكام العقلية ، هائمة بين الحس والخيال ، في واد لايحده حد طبيعي ، ولايسوده نظام من أى نوع كان .

كان الحس يزعج الأمم بأنواع من الفواعل الوجودية : من حر وبرد ، وجوع وظمأ ، ومرض وموت . فكانت تنفعل طبيعتها لهذه الفواعل أيما انفعال ، فتتطلب التخلص بالجد والكدح ، فإن أخفقت في ارتياد المخلص من عالم يعلو متناول حسها ، نظرت إلى السماء مناجية قيوم السموات والأرض ، وهى نزعة ليس أكمل ولاأحق منها لو وقفت عند هذا الحد . ولكن الخيال يطمس جلالها وجمالها بما يحمل إليها من صنوف الأوهام والتصويرات الباطلة ، ويحمل الأمم على تجسيد هذا الشعور العالى ، فتدين الأمم لأنصاب وأصنام تتخيل فيها الوساطة أو الحلول ، أو غير ذلك من الأحلام ..

فكل رسول أرسل إلى تلك الأمم ، وسلم من بطشها ، رفعته إلى أرفع من مستوى البشرية ، وأكبرها دعاه إلها لله ...

فلما جاء دور الإسلام كانت الأمم قد دخلت من حياتها الأدبية في دور التعقل والتفهم ، وعرفت لأحكام العقل ونواميس الكون قيمتها ، فلم تعد للمعجزات من أثر على خيالها ، حتى أن العرب لما أرادوا أن يبطلوا دعوة النبى ﷺ ، اقترحوا عليه أن يأتيهم بالمعجزات ، ويؤخذ من سياق طلباتهم ، أنهم كانوا لايأبهون بها ، بل يشكون فيها وينسبون حدوثها للشعوذة ، فقالوا كما حكى الله عنهم في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

[الإسراء]

يرى القارىء من سياق هذه التحديات مبلغ استخفافهم بالآيات . وقد نص الله تعالى على أنهم كانوا من الشك بحيث إنهم لو كانوا رفعوا إلى السماء لقالوا : إن ذلك من تخيلات السحر لا من الله عز وجل ، فقال تعالى :

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾

[الحجر ١٤ - ١٥]

سكرت أبصارنا : أى سدت عن الإبصار بالسحر .

إلى هذا الحد كان قد وصل الشك على عهد النبى ﷺ فى صحة المعجزات ، وهو كما يدل على التغلغل فى الإنكار والجحود ، يدل على مبلغ خلاص العقل من الأوهام والخزعبلات ، فإن الجاهلىّ الذى يتشدد فى تصديق المحسوسات الخارقة للعادة ، وينتحل لها أسبابا خفية ، أحر به أن لا يقبل مادونها من التخيلات السحرية ، والزخارف الشعوذية .

فاقتضت حكمة الخالق أن يرسل إلى الناس فى هذا الدور الأخير رسولا يأخذ الناس بأحكام العقل ، ويردهم إلى مقررات العلم والحس ، فكان نجاح النبى ﷺ فى مهمته — ذلك النجاح الذى لم يصادفه رسول قبله — أدل دليل على مبلغ ما يفعله البرهان الصحيح والعلم المؤسس على الحق الصريح فى نفوس الأمم .

من هنا انتقل الناس من دور التسليم بمجرد رؤية الخوارق ، إلى مستوى النظر فى الحوادث ، والاستدلال بالأعلام الوجودية ، وهى خطوة واسعة فى سبيل رقى البشرية ، تعتبر الغاية القصوى فى حياتها الدينية .

فكان سلاح نبى الإسلام فى بث دعوته : العقل ، ووسيلته : النظر فى الكون ، والاستدلال بأعلامه وبيناته ، وهذا مظهر لم يكن عهده الناس من مظاهر النبوة . فبعد أن كان الإنسان يقول للقائم بدعوة : ما هى معجزتك ؟ صار يقول له : ما دليلك العقلى ؟ فإن أدلى بالدليل كفاه ذلك عن كل خارق للعادة[1] .

سقطت فى هذا الدور دولة الخوارق ، وقامت دولة الأحكام العقلية والقياسات النظرية ، فقام المتدينون بالإسلام على غير السمت الذى كان يقوم عليه من قبلهم الأمم المتدينة . قاموا على سمت العلم والنظر فى الكون والاستدلال بالحوادث ، فلا غرو إن أصبح المسلمون بعد عدة عصور من السنين أرقى الأمم علما وعملا ، وأبعدهم بالوجود وحوادثه خبرا .

فكانوا يدرسون الطبيعيات والرياضيات ، وينقبون فى الأرض عن خفايا المعادن ذات القيمة العظيمة فى الصنائع والفنون باسم الدين والقرآن وخلافة الله فى أرضه ، بينما كان من تقدمهم يقتل بعضهم بعضا تأليها للرجال ، واختلافا فى الأباطيل التى أحاطوا بها عقائدهم ، فلا عجب إن دوّخ المسلمون من تلك الأمم فى أقل من قرن ما لم تستطع أكبر الأمم شأنا أن تدوّخه فى قرون عديدة ولا غرابة إن بلغ المسلمون من المدنية الفاضلة ما لم تبلغه سواهم من الأمم البائدة .

إن من المدهشات بل من المعجزات التى تشهد لهذا الدين بأنه وحى إلهى صادق ، أنه حشر إلى حظيرته فى قرن من الزمان نحو مائة مليون من الأتباع بمحض وجوده لا بسيف ولا إغراء ...

---

(١) ليس مؤدى هذا الكلام أن النبى ﷺ تصدر منه معجزات كسائر أخوانه الأنبياء ولكن مؤداه أنه لم يجعل المعجزات أساسا للدعوة ، أما معجزاته — صلى الله عليه وسلم — فكثيرة شهدها عدد من الناس لا يدع للشك فيها مجالا .

ولكن الشعوب كانت ترى الفرق واضحا بين تعاليم دينها وتعاليم الاسلام ، فكانت تترامى إلى أحضانه طائعة مختارة ، حتى بلغ عدد من دخل منهم فى أقل من قرن فى الاسلام نحو مائة مليون كما قلنا ، وهذا عدد لم يسمع بمثله فى تاريخ دين من الأديان .

ولا يزال الاسلام سائرا فى طريقه من الانتشار العظيم ، ولو كان المسلمون اليوم على ما كان عليه آباؤهم من الفضائل التى ينديهم إليها دينهم لانتشر دينهم بلا دعوة انتشارا لايدع لغير الإسلام من الأديان مجالا لمنازعته .

وقد بذل الإسلام مجهودا عظيما ليزعزع فى الأمم تأليه النبيين حتى لاتقف هذه العقيدة حجر عثرة أمام ترقيهم ، فقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾

[النحل – ٤٣]

وزاد على هذا بيانا فذكر شيئا من تفصيل حالات أولئك المرسلين حتى يزيل كل احتمال لارتفاعهم عن مستوى الإنسانية ، فقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ .

[الفرقان – ٢٠]

كأنه قال : إن من يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق لايصح أن يكونوا آلهة أو أجزاء من آلهة فهم أفراد من خيار هذا النوع لافرق بينهم وبين سائر أفراده إلا أنهم اختيروا لأن يكونوا رسلا لله إلى عباده .

كان لهذه الآيات تأثير كبير فى كسر غلواء المتدينين ، وصد تيار التأليه عن النبيين ، ولم يزل هذا التأثير يرق وينتشر حتى صرنا فى قرن لايجسر واحد فيه أن يعلن هذه العقيدة إلا فى بلاد لم تأخذ حظها من العلم والنظر ....

فالحوائل التى كانت تفرق بين الأمم ، وأشدها الغلو فى تقديس أنبيائهم ورفعهم إلى درجات الألوهية ، كادت تكون فى عداد الآثار التاريخية . فإذا وصل الانسان إلى الخلاص منها توحدت الأديان على أسلوب القرآن ، وكان الفوز لأصوله على مر الأزمان .

العلوم الكونية

التشريعات الإسلامية لحماية البيئة

٢

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

نظافة المدينة الإسلامية :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة البيئة وحمايتها والعمل على إصحاحها ونظافتها ، وحرصوا على توفير المواصفات البيئية السليمة قبل إنشاء أى مبنى أو مدينة أو تجمع ، فقد كانت جودة الهواء وتوافر المياه العذبة ونظافة الموقع شروطا أساسية لاختيار المكان المناسب للإنشاء .

وقد اعتنى حكام المسلمين بتجميل مدنهم ، وخاصة الحواضر والعواصم ، فأمروا بكنس الشوارع والطرقات ورشها بالمياه ، وطلب من أرباب الحوانيت أن يضعوا عند أبواب حوانيتهم « أزيار » مملوءة بالماء لتسهيل إطفاء ما يقع من الحريق .

(*) أستاذ الفيزياء ووكيل كلية العلوم جامعة القاهرة لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة .

وقام عمال متخصصون بنزح أسربة البيوت والحمامات وخزاناتها وتنظيفها ، ولذلك فإننا نرى الجغرافيين المسلمين فى تلك المرحلة ، عندما يتحدثون عن بلد ما ، يذكرون فى مقدمة صفاته طبيعة مائه وهوائه ومدى تأثيرهما على صحة سكانه .

وتذكر كتب التاريخ أن أحمد بن طولون عندما وضع أساس مدينة القطائع فى مصر فى القرن الثالث الهجرى ، أنه عمّرها أحسن عمارة . وكانت بغداد تجمع المحاسن والطيبات ، أما فى الأندلس فقد حرص الخلفاء الأمويون على أن يجعلوا من قرطبة صورة جديدة لدمشق مثلما كانت أيام عظمة الأمويين ، ومنافسا لبغداد أيام عظمة الخلافة العباسية ، فأكثروا من تجميلها ونظافتها وإقامة المرافق العامة بها ، حتى قال بعضهم فى وصفها : [1]

دع عنك حضرة بغداد ومهجتها
ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قط مثل قرطبة
وما مشى فوقها مثل ابن حدين

ومثل ذلك يقال عن القاهرة التى وصفها ابن بطوطة عندما زارها فى القرن الثامن الهجرى بأنها « أم البلاد المتناهية فى كثرة العمارة المتناهية فى الحسن والنضارة »[2] .

العلوم البيئية فى التراث الإسلامى :

يزخر التراث الإسلامى بمؤلفات عديدة حول البيئة وسلامتها من جوانب مختلفة . فعلى سبيل المثال[3] ، ألف الكندى « رسالة فى الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء » ، و « رسالة فى الأدوية المشفية من الروائح المؤذية » .

ووضع ابن المبرد كتابا أسماه « فنون المنون فى الوباء والطاعون » ، وتكلم ابن سينا بالتفصيل فى كتابه « القانون » عن تلوث المياه بشكل عام وكيفية معالجة هذا التلوث لتصبح المياه صالحة للاستعمال ، كما أنه وضع شروطا تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين فى المكان عند اختيار موقع ما للسكنى .

أما الرازى فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضو الدولة فى اختيار موقع لمستشفى ببغداد ، فاختار الناحية التى لم يفسد فيها اللحم بسرعة ، وكانت المستشفيات بصورة عامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال ، فعندما أراد السلطان صلاح الدين أن ينشىء مستشفى فى القاهرة اختار له أحد قصوره الفخمة البعيدة عن الضوضاء[4] .

وقد ألف الرازى « رسالة فى تأثير فصل الربيع

---

(1) المقرى ، نفح الطيب ، الجزء الأول ، طبعة بولاق ١٨٦٢ ، عن : سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الأول ، الكويت ١٩٨٠ .

(2) رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، عن : سعيد عبدالفتاح عاشور ، المرجع السابق .

(3) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٣ .

(4) المرجع السابق .

وتغير الهواء تبعا لذلك » ، بينما تحدث أبو مروان الأندلسي في كتابه : « التيسير في المداواة والتدبير » عن فساد الهواء الذي يهب من المستنقعات والبرك ذات الماء الراكد ، وجاء في كتاب « بستان الأطباء وروضة الألباء » لابن المطران الدمشقي ما يؤكد ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض ، فقال : « ينبغي للطبيب إذا قدم على مداواة قوم في بلد ، أن ينظر في وضع المدينة ، ومزاج الهواء المحيط بها ، والمياه الجارية فيها ، والتدبير الخاص الذي يستعمله قوم دون قوم ، فإن هذه هي الأصول ، ثم بعدها النظر في سائر الشرائط »[٥].

وكتب ابن القيم الجوزية في كتابه « الطب النبوى » فصلا عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي ، والاحتراز منها ، وقد لخص ذلك الفصل بقوله : « والمقصود : أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون ، وأن فساد جوهر الهواء هو الموجب لحدوث الوباء ، وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة : لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه ، كالعفونة والنتن والسمية ، في أي وقت كان من أوقات السنة ، وإن كان أكثر حدوثه في أواخر فصل الصيف ، وفي الخريف غالبا ، لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف ، وعدم تحللها في آخره ، وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في فصل الصيف ، فتنحصر فتسخن وتعفن ؛ فتحدث الأمراض العفنة ، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعدا قابلا ، رهلا ، قليل الحركة ، كثير المواد ، فهذا لا يكاد يفلت من العطب »[٦].

ويتضح من هذه الأمثلة التي ذكرناها أن علماء الحضارة الإسلامية تناولوا المشكلات البيئية في أجزاء أو فصول من مؤلفاتهم .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، حيث نجد من بين علماء المسلمين من رأى ضرورة معالجة الموضوع في كتاب مستقل ليؤكد أهميته في حياة الناس على مر العصور .. فقد صنف محمد بن أحمد التميمي في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كتابا كاملا عن التلوث البيئي وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه ، وفصّل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة ، وتبادل التلوث بين عناصرها ، وجعل عنوانه : « مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء » ، وأوضح في مقدمته الغرض من تأليفه بقوله : « .... وكان الباعث لي على تأليف هذا الكتاب والعناية بهذا الأمر ، أني نظرت حال علماء الأطباء الساكنين بالأمصار الفاسدة الأهوية والبلدان المشهورة بالأوبئة ، الكثيرة الأمراض ، التي تحدث بها عند انقلابات فصول السنة الأمراض القاتلة والطواعين المهلكة لأجل فساد أهويتها بمجاورة الأنهار الكثيرة المدود ، والمدائن التي تحدق بها الغدران ، ومنافع المياه الآجنة ، والمشارب الكدرة ، التي تتصاعد أبخرتها إلى الجو

(٥) المرجع السابق.

(٦) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ، الطب النبوى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ للنشر .

فتفسده وتغلظه ، مع ما يعضد ذلك ويقويه من أبخرة الزبول ومجارى مياه الحمامات بها ، وأبخرة الجيف من الحيوانات الميتة الملقاة فى أفنيتها وظواهرها وعلى ممر سالك طرقاتها كأرض مصر ودمشق ، والمدن التى تلى سواحل البحار ويعظم بها مدود الأنهار ، مثل بغداد ، والبصرة ، والأهواز ، وفارس ، وسواحل بحر الهند ، كعمان ، وسيراف ، وعدن ، وما جرى مجرى هذه الأمصار العظام التى تجاور البحار ، وتخترقها الأنهار ، وتحدق بها مناقع المياه الراكدة والجارية ، ويخاص ما كان منها منكشفا لمهب ريح الجنوب مكتنفا بالجبال ، وبأقوار الرمال عن مهب ريح الشمال ، فكان الأولى بالذين يتولون منهم علاج ملوكها ، وخاصة رؤسائها ، وعامة أهلها ، أن تكون عنايتهم بمداواة الهواء الفاسد ، المحدث لوقوع الأوبئة بها ، الجالب الطــواعين على سكانها ، أولى وأوجب من عنايتهم بمداواة ما يتحصل بذلك من الأمراض المخوفة فى أجساد أهلها ، وأن يصرفوا هممهم إلى ذلك ويفرغوا له نفوسهم .... »[٧] .

محكمة إسلامية لحماية البيئة :

ليس التلوث الذى تعانى منه البشرية اليوم فى مختلف النظم البيئية سوى مظهر من مظاهر الفساد فى الأرض الذى جلبه الإنسان لنفسه فى غمرة انشغاله بالبحث عن تقنيات جديدة لتطوير نشاطه الصناعى والاقتصادى ، ولم تفلح المؤتمرات والمعاهدات الدولية حتى الآن فى استعادة التوازن البيئى المطلوب ، وذلك إلى الحد الذى جعل بعض الدول والهيئات تنادى بضرورة إنشاء محاكم دولية لحماية البيئة وإنقاذها من التدهور الخطير التى وصلت إليه ، وهنا تذكّر بسبق التشريعات الإسلامية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان إلى وضع الضمانات الكفيلة بحماية البيئة ، ولو طبقت هذه التشريعات على الوجه الأكمل لما وصل الإنسان ببيئته إلى هذا الحد الذى يهدد حياته .

فقد جاء فى كتب السنة عن عبد الملك بن قرير عن محمد بن سيرين أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وقال : إنى أجريت أنا وصاحب لى فرسين إلى ثغرة ثنيّة (أى ثغرة فى الطريق) فأصبنا ظبيا ونحن محرمان ، فما ترى ؟ فقال عمر لرجل إلى جنبه : تعال حتى أحكم أنا وأنت ، قال : فحكما عليه بعنز ، فولى الرجل وهو يقول : هذا أمير المؤمنين لا يستطيع أن يحكم فى ظبى ، حتى دعا رجلا يحكم معه ، فسمع عمر قول الرجل ، فدعاه فسأله : هل تقرأ سورة المائدة ؟ قال .. لا .. قال : فهل تعرف هذا الرجل الذى حكم معى ؟ قال : لا .. فقال عمر : لو أخبرتنى أنك تقرأ سورة المائدة لأوجعتك ضربا ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه :

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ .

سورة المائدة ــ آية : ٩٥

---

(٧) استشهد ابن قيم الجوزية فى كتابه « الطب النبوى » بأقوال للتميمى من كتابه « مادة البقاء » ، انظر المرجع السابق .

وهذا عبدالرحمن بن عوف[8] .

وتبين هذه القصة بوضوح قاطع وجود محكمة إسلامية على أعلى مستوى للنظر فى التعدى على الحياة البرية من قبل رجلين محرمين قتلا ظبيا بمكة ، وأن هذه المحكمة حكمت على المخالفين بغرامة يشترى أحدهما بثمنها عنزا ويذبحها ويتصدق بلحمها على الفقراء والمساكين بالكعبة ، وقد قضى السلف فى النعامة ببدنة ، وفى حمار الوحش ، وبقر الوحش ، والأيل (ذكر الوعول ، والأروى (أنثى الوعل) ، فى كل واحد من ذلك ببقرة ، وفى الوبر والحمامة والقمرى والحجل (الدجاج الوحشى) والدبسى (نوع من الطيور) ، فى كل واحدة من هذه بشاة ، وفى الضبع بكبش ، وفى الغزال بعنز ، وفى الثعلب بجدى[8] .

خاتمة :

حاولنا فى سلسلة المقالات التى قدمناها عن البيئة ومشكلاتها أن نلقى الضوء على واحدة من القضايا الخطيرة التى أفرزتها حركة التقدم العلمى والتقنى فى ظل فكر نفعى مهيمن ، ولكنه عاجز عن إدارة الحضارة التى أنتجها ، ووجدنا من خلال النظر فى نصوص الشريعة الإسلامية وصفحات التراث الإسلامى ، أن المنهج الإسلامى هو الأقدر على تصحيح العلاقة بين الإنسان وبيئته ، وإنهاء التلوث والفساد بكل صوره وأشكاله ، فالبيئة من المنظور الإسلامى - مرتبطة بتحمل الإنسان ، دون غيره من المخلوقات ، لأمانة الخلافة فى الأرض وترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله من خلقه وخلقها ، بعد أن سخر له كل ما فى الكون من نعم ظاهرة وباطنة لينتفع بها ويمجّد بانتفاعها رب العالمين ، ولا يكون الإنسان جديرا بحمل أمانة الخلافة إذا أساء استعمال هذه النعم التى تتكون منها عناصر البيئة ، أو إذا تصرّف فيها على نحو غير مشروع ، جريا وراء منفعة خاصة ، أو استسلاما لأنانية مقيتة .

فالخلافة تعنى أول ما تعنى تعمير الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها ، وبالعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الانتفاع الإيجابى بكل المخلوقات التى سخرها الله لخدمة الإنسان ، ويتجلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[9] أى : عمّارا تعمّرونها وتسكنون بها ، وهذا لا يتأتى إلا بأمرين :

أولهما أن تبقى الصالح على صلاحه ولا تفسده .

والثانى : أن تصلح ما يفسد وتريد إصلاحه ، ولا شك أن فى الأمرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها .

---

(8) السيد سابق « فقه السنة » ، دار الكتاب العربى ، المجلد الأول ، الجزء الخامس ، تحت عنوان : « حكومة عمر وما قضى به السلف » ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ، ص ٦٨٥ .

ولمعرفة المزيد عن التشريعات الإسلامية لحماية البيئة بكل عناصرها راجع : د . على على السكرى ، البيئة من منظور إسلامى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ م .

(9) سورة هود : (٦١)

الصحة الإنجابية

مشاكل الخصوبة عند الرجال

الضعف الجنسي (٢)

٩

للدكتور / أحمد رجائي عبد الحميد

أسلفنا في المقال السابق مقدمة عن الجهاز التناسلي للذكر و « فسيولوجيا » الانتشار (الانتصاب) وبعض المشاكل المتعلقة به مثل العجز الجنسي ونزيد في هذا المقال تكملة وتفصيلا لهذا الموضوع

وكما شرحنا في المقال السابق أن « العُنّة » أو العجز الجنسي هو عدم القدرة على الانتشار ، أو عدم القدرة على الاحتفاظ بانتصاب العضو لعمل لقاء جنسي ناجح .

ومن المهم أن نفرق بين العنة والمشاكل الأخرى مثل : فقدان الرغبة الجنسية ـ مثلا ـ ففي الأولى : يكون المريض لديه الرغبة ولكنه غير قادر على تحقيقها .

وفي الثانية : يكون لديه القدرة ولكن ليس لديه الرغبة .. وفي كلتا الحالتين فإن السبب النفسي يشكل العامل الأكبر بنسبة (٩٠٪) .

مواصفات العجز الجنسي النفسي :

يتميز العجز الجنسي النفسي بالآتي :

ـ وجود انتشار « انتصاب » عند الاستيقاظ صباحا .

ـ حدوث الانتشار في ظروف معينة ، وحدوث العجز في ظروف أخرى .

ـ يحدث العجز بدون مقدمات .

العجز الجنسي ليلة الزفاف :

قد يحدث عجز جنسي ليلة الزفاف ، وقد انتشرت هذه الظاهرة حديثا ، ولها مظاهر مختلفة من أهمها :

ـ الانتشار ثم « الهبوط » عند محاولة الإيلاج :

وهذه الصورة الشائعة من صور العجز ليلة الزفاف ، حيث يحدث الانتشار طبيعيا ولكن عند محاولة الإيلاج يرتخي العضو ، وبخاصة إذا كانت هناك مقاومة من الزوجة أو إحساس بالألم أو الخوف .

ـ تكرار الانتشار والهبوط :

يحدث الانتشار طبيعيا ولكن يتلوه هبوط ثم يحدث انتصاب ، ويتبعه هبوط ، ومع تكرار المحاولة تقل مدة الانتشار وقوته إلى أن تصل إلى الهبوط تماما مهما كانت درجة الرغبة .

ـ القذف مع الارتخاء :

وقد يحدث القذف مع الارتخاء في حالة الإثارة الشديدة وهذا يسبب إحباطا شديدا لكلا الزوجين .

ـ عدم الانتشار من البداية :

وهو من الحالات النادرة .

وفي المجتمعات الريفية غالبا ما يعزى أسباب العجز الجنسي إلى السحر والشعوذة ، أو ما يعرف « بالربط » وفي الحقيقة فإن السبب الهام في هذا النوع من العجز هو نقص الثقافة الجنسية مما يزيد من سوء الحالة النفسية .

وغالبا ما يحدث تكرار للمحاولات مما يؤدي إلى زيادة سوء الحالة أكثر حيث إن الإخفاق يضيف بُعدا نفسيا آخر يجعل « الانتشار » واستمراره صعبا ، فإن شعور الرجل بالعجز يجعل تفكيره مركزا بصورة أساسية على هذا العجز وعواقبه ، وهل سينجح في المرات القادمة ؟ .

ومما يزيد الأمور سوءا تدخل الأقرباء في هذه الحالات ، بينما الواجب أن تواجه المشكلة منذ بدايتها بفهم ووعي من كلا الزوجين دون تدخل أحد من الأهل ، وفي أغلب الحالات يتم الشفاء بدون الحاجة إلى أي تدخل طبي ، وفي حالة اللجوء إلى الطبيب ، فإن كل ما ينصح به هو عدم المحاولة لمدة شهر ، وفي أغلب الأحيان تزول هذه الحالة قبل مرور الشهر تماما .

التشخيص :

لتشخيص العجز الجنسي يجب أخذ تاريخ مرضي شامل مع الاهتمام بالآتي :

اضطرابات الغدد الصماء مثل الغدة الدرقية ـ مرض السكر ـ الأمراض العصبية ـ أمراض العمود الفقري ـ أمراض الأوعية الدموية مثل ارتفاع ضغط الدم ـ أمراض المسالك البولية مثل الفشل الكلوي ـ تضخم البروستاتا ـ تاريخ تعاطي عقاقير بالتفصيل مع التركيز على الهرمونات وأدوية ارتفاع ضغط الدم والمهدئات والعقاقير المنومة ، وكذلك العقاقير المنشطة للجهاز العصبي .

فحص المريض :

يجب أن يتم فحص شامل للمريض مع التركيز على :

ـ علامات الاضطرابات في الغدد الصماء مثل تضخم الثديين ، صغر حجم الخصيتين ، فقدان شعر الجسم والوجه .

ـ فحص الجهاز العصبي .

ـ وجود علامات الفشل الكلوي ، أو علامات الفشل الكبدي .

التحاليل : تجرى التحاليل التالية :

ـ قياس مستوى هرمون الذكورة في الجسم .

ـ قياس نسبة السكر في الدم .

ـ قياس نسبة « هرمون البرولاكتين » في الدم .

ـ قياس هرمونات الغدة الدرقية .

عمل الفحوصات التالية :

(ا) مراكز الانتصاب في النخاع الشوكي تكون في الفقرات العجزية رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ولذلك يجب عمل الآتي :

ـ تقييم الإحساس العصبي في منطقة « العجان » ومنطقة العضو الذكري .

ـ تقييم الانعكاسات الوترية العميقة فى الساقين .

(ب) تقيم فعالية الدورة الدموية :

ـ الإحساس بنبض الشرايين التى تغذى العضو الذكرى ، والتى توجد فى الناحية الظهرية للذكر .

ـ قياس ضغط الدم داخل الشرايين الذكرية لمعرفة قوة تدفق الدم فى هذه الشرايين وذلك باستخدام جهاز خاص لذلك .

ـ قياس تدفق الدم داخل الشرايين الذكرية بمقياس يطلق عليه اسم : « مقياس الامتلاء الدموى » وهذا المقياس له القدرة على قياس حجم الدم الواصل إلى العضو الذكرى .

ـ عمل أشعة بعد حقن صبغة معينة للشريان الذى يغذى العضو الذكرى وذلك تحت مخدر عام .

العـــلاج :

معظم حالات العجز الجنسى كما أسلفنا لها أسباب نفسية ، وتستجيب لدرجة كبيرة للعلاج النفسى ، أما فى الحالات العضوية ، فإنه لا بد من توجيه العلاج نحو الأسباب ، فمثلا فى حالة قصور الخصيتين يكون السبب إما فشل فى الخصيتين ، أو فشل فى الغدة النخامية ، أو فشل فى مراكز المخ الصلب .

ـ فى حالة فشل الخصيتين يعطى هرمون الذكورة عن طريق الحقن العضلى كل أسبوعين .

ـ وفى حالة فشل الغدة النخامية تعطى هرمونات لتنبيه الخلايا فى الخصية لإفراز هرمون الذكورة .

ـ علاج عيوب العمود الفقرى عن طريق استئصال الأورام إذا وجدت أو علاج غضروف الفقرات العصبية إذا وجد .

ـ فى حالة وجود انسداد فى الأوعية الدموية التى تغذى العضو الذكرى فإنه تجرى جراحة دقيقة لإعادة توصيل تدفق الدم إلى العضو .

العلاج بالحقن الموضعي فى العضو الذكرى

تستخدم هذه الطرق فى الحالات التالية :

- مرض السكر المزمن .
- تصلب الشرايين الطرفى .
- الشلل التام للساقين .
- تلف الأعصاب الحسية .
- حالات العجز المزمن .
- العجز الجنسى النفسى .

ومن أهم الأدوية التى تستعمل فى الحقن الموضعى دواء : « **البروستاجلاندين** » ، وتعمل هذه الأدوية عن طريق تأثيراتها المختلفة حيث إنها تسبب ارتخاء للعضلات الملساء للعضو الذكرى ، وكذلك زيادة الدم المتدفق إلى العضو الذكرى ، ونتيجة لذلك فإن أنسجة الذكر تصبح ممتلئة بالدم مما يساعد على حدوث الانتصاب .

ويتم حقن العقار فى جسم الذكر قبل اللقاء الجنسى بحوالى ساعة أو ساعتين .

وأهمية العلاج أن المريض يستعيد ثقته بنفسه مما يؤدى إلى ممارسة الجنس بطريقة طبيعية .

وأخيرا فإننا نركز على أن الثقافة الجنسية الموجهة إلى المقبلين على الزواج لها أهمية قصوى ، ويجب أن تعطى فى إطار علمى وإسلامى سليم دون إثارة أو مغالاة .

الأمن الفكرى

للأستاذ / عبد السلام ابراهيم ناصف

تتسابق الأمم - المتقدمة منها والنامية على حد سواء - فى تحقيق أعلى مستوى للأمن سواء - فى ذلك - الأمن الخارجى والداخلى ، ويتميز حملة حقائبها الدبلوماسية بالحكمة والانضباط باعتبارهم على قمة أى تشكيل حكومى ، وقد تختلف تسمية هذه الوزارات من بلد إلى آخر إلا أن غايتها تتحد فى مسمى واحد هو الأمن ، وقد تتحالف الدول مع بعضها لتكوين (أحلاف) أو (جبهات) للدفاع عن أمنها الخارجى .. بل والداخلى أحياناً ؛ ففى عصرنا هذا استعانت دول بدول لتحقيق أمنها الداخلى .

وفى الأمن الداخلى تبذل الدول غاية جهدها ؛ لتحقيق الأمن لمواطنيها فتستورد نظم (الضبط والربط) من كل بلاد الدنيا وتدرب أعلى وأغلى أبنائها على وسائلها وأساليبها وتخصص لذلك معاهد ومدارس وكليات وأكاديميات متخصصة ، بل ترسل بعثات دراسية إلى الخارج لتحقيق هذا الأمن باعتباره هدفاً فى ذاته ومدخلاً للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته فلا يزدهر قوم لا أمن لهم ولا أمان ومتى يتحقق هذا الأمن يتفرغ الأفراد للإنتاج والتنمية فيرتفع

مستوى معيشتهم ويتطلعون إلى المزيد من الديمقراطية والحرية التى تعطى كل منها مزيداً من مستوى المعيشة الأعلى .

وفى الأمن الفكرى وحمايته من الأفكار المرضية تتبلور نقاط قدمناها على هذه الصفحات لتحقيق الأمن الفكرى ، وفى مقدمة ذلك التنشئة الاجتماعية بمؤسساتها الأولية والثانوية ، الأساسية منها والهامشية بدءًا من نظام الأسرة ، الذى يعتبر الخلية الأولى فى تنشئة الفرد وزرع مبادىء الأمن الاجتماعى ، عن طريق التربية السليمة فى العائلة السوية مع أب دءوب متسع صادق مخلص لأسرته ، يبذل غاية جهده فى عمله لتحقيق أكبر عائد مادى يضمن أعلى مستوى لحياة أسرته ،

منتهجاً نهج الصدق والإخلاص فى تعاملاته مع الآخرين يمتصها أبناؤه منه فهو يوفر الخبز والنماذج السلوك ليسلكوا سبلها التى يرضى عنها المجتمع -

وفى ذات الوقت ينمو فى أحضان أم حانية متفرغة له توفر له الغذاء والدواء والحماية ، وتحصنه من أمراض البيئة وأدرانها ، وتنشئه التنشئة السليمة الصحيحة التى يرسم خطوطها مجتمع متحضر مثقف ، ابتغى الخير لأفراده ليزدادوا إنتاجاً ووفرة لرفع مستواه .

ثم انتقلنا بعد ذلك لدور المدرسة فى إعداد النشء على نشأة سوية ، وفق مناهج وبرامج أعدها تربويون متخصصون فى علوم التربية والاجتماع ،

تلائم قدرة الطلاب وتدرجهم فى مراحل التعليم المختلفة ، بهدف بناء شخصية سوية جادة مستقيمة ، تسير على ما ارتضاه المجتمع من دين وعادات وتقاليد وأعراف وقوانين استنها للسير على هداها

ثم كانت دور العبادة وعلى رأسها المسجد الذى بنى فى الأرض ليكون بيتا لله . قال تعالى :

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

(سورة النور)

وللمسجد دور بناء فى تنشئة الفرد ورسم خطوط المعرفة الحقة والإيمانية ، التى تحميه من الشطط ومن الانحراف وعبادة الله وحده دون سواه على أسس متينة قوية تدرأ عنه كيد الشيطان وأعوانه وما ينتهى به كيده إلى الإرهاب والترويع .

أما الإعلام بوسائله السمعية والبصرية والمقروءة - بعدما وصل إلى ما وصل إليه اليوم من انتشار ، وبعد أن أصبح يحسب حسابه على آراء الناس ، وفى تنشئة الأفراد أطفالاً وشباباً وشيوخاً وبعدما أصبح له الأثر الواضح القوى المستمر فى هذه العملية الاجتماعية ، وبعد أن تغلغل داخل البيوت والنوادى والمدارس والمكاتب ، بل الشارع ووسائل النقل المختلفة وبعدما أطل علينا بعرأة من بيوت الجيران بل وعلى التزع والمصارف والمقاهى والمتنزهات .

بعد أن طغى هذا الإعلام المحبب لنفوس المراهقين فانجذبوا إليه ، وتعلقوا بمحاوراته

ومسلسلاته ، بل شاركهم آباؤهم وأمهاتهم هذا العشق البغيض ، حتى طغى دوره على أدوار الوالدين الحقيقية ، منتهزاً فرصة انشغال الأب بالعمل الإضافي - أحياناً - وبخروج الأم للعمل بهدف رفع مستوى معيشة الأسرة وإشباع حاجيات ورغبات الأولاد ، مما قلل من أثرهما في تربية أبنائهما ومن ثم تعلق تربيتهم على ما سواهما ... الإعلام الذى استولى على فكر الأطفال والمراهقين والتسلل إلى نفوسهم عن رغبة فتغلغل فيها يحركها كيفما شاء ويهوى .

فالإعلام ذو أثر فعال في وضع الدعائم الأساسية في شخصية الطفل ، وفي غرس بذورها في تربته وتربية أسرته ، فهو مكمل لمشوار المدرسة والرفاق في تنمية خبراته واتجاهاته ، ودس للطفل المزيد من الثقافات السائدة في المجتمعات البعيدة بشكل محبب مثير رغب فيه المراهق واقتنع .

لذا وجب أن تقوم أجهزة الإعلام بإعداد برامجها بدقة وأمانة وإخلاص من المتخصصين المهرة ، الذين يستطيعون سبر أغوار النفس البشرية ، ويمكنهم أن يسوقوا برامجهم في إطار الثقافة السائدة في مجتمعاتنا الشرقية والعربية المسلمة ، وأن يتخيروا الصالح منها ، مما يتناسب وعاداتنا وتقاليدنا ، وأن يختاروا من يقوموا بإعداد الحوار و « السيناريو » و « الإخراج » لمن يؤتمن عليها ولا يحرفها أو يغير مجراها أو فحواها ، حتى تكون معالجتهم لما يقدمون جادة وصالحة سوية تتفق مع الفطرة السليمة التى فطرها الله عليها .

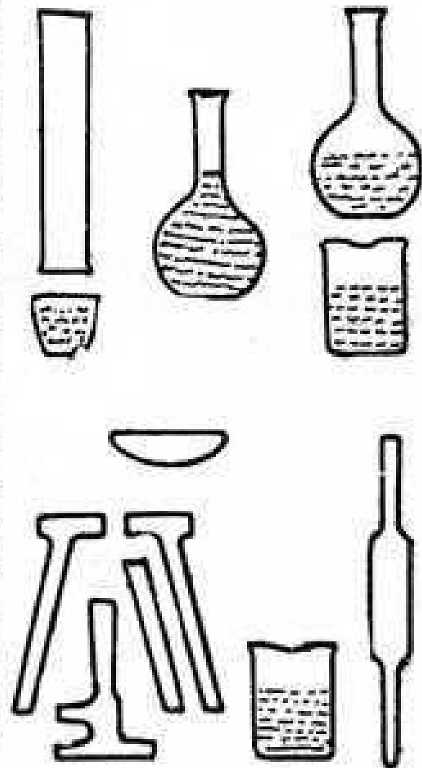
وهكذا نخلص إلى أهمية الأمن الفكرى للشباب ببناء سياج قوى من الثقافات الرشيدة المنبثقة من ديننا الحنيف ومعتقداتنا الراسخة يكون درعاً ووقاية لهم مما يرد من اسقافات الغرب ، التى تثير غرائزهم وتدفعهم إلى السعى الحثيث لإشباعها بأية وسيلة وبكل اسلوب شرعى أو شبه شرعى ، وفقاً لمبدأ : الغاية تبرر الوسيلة ، كما يحميهم - من ميدان أهم وأخطر - وهو ميدان الجريمة فلا يكونوا دعاة إرهاب ، ولقد ثبت من متابعتنا للصحف وغيرها أن (عبدة الشيطان) ماهم إلا نتاج إهمال الأسرة وعدم وفاء البرامج التعليمية بواجباتها وابتعاد هذه الفئة عن دينها حيث لارقيب ولامتابع . فالمحبة والطمأنينة التى توفرها الأسرة والتربية الصالحة تحقق الصحة النفسية للفرد ؛ إذ هما الدعامتان اللتان ترتكز عليهما الحياة الآمنة والنفس المطمئنة ؛ فإن خلت الأسرة من إحداهما ، انجذب الطفل إلى ما يخيل إليه أنه البديل أو العوض . فيسقط في حبائل الشيطان .

ولقد كان للأستاذ الراحل د. محمد البهى أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر ، ووزير الأوقاف الأسبق رؤية علمية جديرة بالاقتباس .

ذلك أن سيادته رأى وأعلن .. حين كانت الدولة الرشيدة في طريقها لوضع الدستور ، وفي جانب التربية - ألقى سيادته بفكرته ، ومؤداها : أننا ننظر إلى الخطوات التى في ضوئها نخرج المواطن الصالح فنجعلها جميعا لبنة من لبنات الدستور فنعيش خطا ملزما تأتى الوطن العزيز بهذا النتاج المشبع أمنا وطمأنينة وسلاما ورحمة ، وحبا في الله - عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ مجدى السيد أحمد (*)



اهتمام عالمي بدراسة كوكب المريخ

قررت مجموعة من الدول الأوروبية إرسال بعثات من رواد الفضاء والعلماء إلى كوكب المريخ لدراسة غلافه الجوى وسطحه وتركيبه الداخلى ومناطق الفيضانات والماء من أجل الوقوف على تاريخ تطور المريخ ، وتم إطلاق مركبة الفضاء الأولى ، وسوف تنطلق مركبة أخرى فى نهاية العام القادم ، ويتم إطلاق مكوكَىْ الفضاء الأولى وسوف تنطلق مركبة أخرى فى نهاية العام القادم ، ويتم إطلاق مكوكَىْ الفضاء بواسطة صاروخين ، وسيتم وضعهما فى مدار إهليجى حول المريخ بعد عشرة شهور من انطلاقهما ، وقبل استقرار كل من المكوكين فى مدارهما سيقذفان وحدتين صغيرتين من الأجهزة على سطح المريخ لإجراء الأبحاث حول غلافه الجوى ، وجهازين آخرين على شكل سهم لإجراء قياسات تحت أرضه .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

أحدث وأصغر « كاميرا » تصوير

أنتجت شركة بريطانية « كاميرا تصوير » لا يزيد حجمها على « سنتيمتر مكعب » ويمكن أن تستخدم في مكافحة الجرائم ، وتتكون من شريحة كمبيوترية دقيقة تلصق عليها عدسة ويتم تركيب الكاميرا في أجهزة الإنذار ، ويمكنها أن تلتقط أربع صور متتالية والزمن بين الصورة والأخرى ثانية واحدة ، ويتم نقل الصور فوريا من خلال خط تليفوني إلى مركز المراقبة ، بالإضافة إلى نقل المعلومات العادية المتعلقة بالإنذار لتصل إلى شاشة المراقبة على شكل صور متحركة ، كما تعمل في الظلام الحالك بمهارة بواسطة ضوء ذاتي من الأشعة تحت الحمراء .

مركبة فضائية استكشافية للنيزك « إيروس ٤٣٣ »

أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » الاستكشافية الجديدة « نير » في رحلة تستغرق حوالي ثلاث سنوات الهدف منها دراسة النيزك « إيروس ٤٣٣ » وذلك لأنه قريب من الأرض ويقوم بدورة كاملة حول نفسه كل خمس ساعات وربع الساعة ، ويدور حول الشمس في مدارات متغيرة غير ثابتة ، ويخشى العلماء من اقتراب النيزك من الأرض إذا تقاطع مداره مع مدار الأرض خلال المليون سنة القادمة ، والنيزك « إيروس ٤٣٣ » طوله حوالي ٤٠ كيلومترا ، ويأخذ شكلا غير منتظم .

جهاز لتنقية المياه آليا

اخترعت إحدى الشركات الألمانية جهازا لمعالجة المياه بالأوزون بدون الحاجة إلى استخدام المواد الكيماوية ، ويعمل الجهاز آليا حيث يقيس جودة الماء ، ويبدأ في إنتاج الأوزون للمعالجة آليا عندما تقل جودة الماء ، ويتوقف الجهاز عن العمل بمجرد أن يصل درجة نقاء الماء إلى الحد المطلوب ، ويمكن استخدام الجهاز في المجالات الصناعية والزراعية وتحت أي ظروف عمل ، كما يمكن تشغيله بالتيار الكهربائي أو الطاقة الشمسية .

فرازات مائية لفصل الزيوت عن الماء

قامت شركة بريطانية بتطوير فرازات مائية « تكنولوجية » لفصل السوائل وتنظيف المياه الزيتية ، وتعتمد في عملها على تحويل الطاقة الحركية للسوائل الجارية إلى قوى طاردة مركزية كبيرة ينتج عنها الفصل الآلي ، ويؤدي العمل الدوامي(*) داخل الفرازة إلى اندفاع السوائل الأخف وزنا في اتجاه معاكس لاندفاع السوائل الأثقل فتتجمع في الفرازة في جانب والزيوت في الجانب الآخر ، وتستخدم في معاملة التلوث البترولي في البحر ، وتتميز بصغر حجمها وخفة وزنها .

(*) أي على شكل دوامة .

تربة زراعية جديدة لنباتات الزينة

أنتجت إحدى الشركات الزراعية فى ألمانيا تربة زراعية جديدة لنباتات الزينة هى حبيبات الكريستال المائى من مادة « أكدريل أميد حمض الأكريليك » وهى عبارة عن ملح بوتاسى ، والتربة الجديدة تحتفظ بالماء عدة أيام ولا تلوث البيئة وتصلح للنباتات المنزلية التى يغيب أصحابها لفترات طويلة ، كما يمكن خلط حبيبات الكريستال المائى بالتربة الزراعية العادية للمحافظة على الماء والعناصر الغذائية .

جراج للسيارات يعمل آليا

صممت شركة إيطالية لصناعة السيارات نوعا جديدا من الجراجات الآلية التى تعمل بدون عمال ، وتقام تحت الأرض كحل لمشكلة مواقف السيارات ، والجراج يتكون من ٩ طوابق ، ويتسع لحوالى ٩٦ سيارة ، يترك السائق سيارته فى الطابق الأول ويقوم الجراج آليا بنقل السيارة ، وحملها إلى أحد الطوابق حيث الأماكن الشاغرة .

اكتشاف المادة البروتينية المميزة لللحوم الأبقار

توصلت مجموعة من العلماء الأمريكيين إلى اكتشاف المادة الكيميائية التى تميز طعم « اللحم البقرى » عن باقى أنواع اللحوم الأخرى وهو نوع من « الببتيدات » أو البروتينات البسيطة ، والتى تحتوى على ثمانية أحماض أمينية وأطلق على هذا البروتين اسم « ببتيد اللحم البقرى » ويمكن أن يستخدم هذا البروتين مع اللحوم الأخرى لإكسابها طعم اللحم البقرى .

أسلوب جديد للكشف عن الإصابة بالسرطان

ابتكر بعض العلماء الكنديين أسلوبا جديدا للكشف عن الإصابة بالسرطان بواسطة الحاسب الآلى الذى يقوم بفحص الخلايا ، وتحديد ما إذا كانت الأورام حميدة أم سرطانية ، خلال عشر دقائق فقط ، والذى كان يستغرق الكشف عنه وقتا طويلا بالأسلوب المتبع حاليا .

نجاح التجارب فى علاج الأعصاب المقطوعة

نجح باحثان سويسريان فى علاج الأعصاب المقطوعة والعمود الفقرى لفئران التجارب بعد حقنهم فى الدماغ بنوع من البروتين المحول وراثيا والذى يسمى « مونوكلونال أنتى بودى » حيث ساعد البروتين على نمو الأعصاب المقطوعة فى الفئران واستطاعت السير من جديد ، وأكد الأخصائيون بأحد المراكز الطبية « بنيويورك » أن هذا البروتين سوف يفتح باب الأمل أمام مرضى الكساح ، وإصلاح الأعصاب المريضة ، والمصابين فى حوادث السيارات أو السكتات الدماغية ، ومرضى الجهاز العصبى .

٧ الشواهد النحوية بين المتعة الأدبية والدلالة اللغوية

للشيخ
عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

من قصص الكرم العربية :

لم يبلغ أحد فى التاريخ القديم والحديث مابلغه حاتم الطائى فى الكرم ، وإن مآثره لباقية بقاء الدهر ، وبه يضرب المثل فى الكرم ومكارم الأخلاق ، وبذلك شهد النبى - ﷺ - حين أسرت ابنته سفانه ، وجيء بها إلى النبى - ﷺ - فيما يرويه ابن الأثير فى ترجمتها فى أسد الغابة .

ويقص الإمام عبدالقادر بن عمر البغدادى فى « خزانة الأدب » جـ٢ صـ٢٩٣ الحوار الذى دار بينها وبين النبى ﷺ نقلا عن « الأغانى » فيقول :

حين أتى بسفانة إلى النبى - ﷺ - قالت : يامحمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولاتشمت بى أحياء العرب ، فإن أبى سيد قومه ، كان يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فرده ، أنا ابنة حاتم الطائى .

وقال النبى - ﷺ - : ياجارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه ، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق - مهذب الأغانى جـ١ صـ٨٨

.. وكان شاعرا مجيدا

وكان حاتم الطائى إلى جانب كرمه شاعرا محسنا ، واستشهد النحاة ببعض شعره ، ومن ذلك قوله فى قصيدة مشهورة :

وأغفرُ عَوْرَاءَ الكريمِ ادِّخارَهُ
وأُعرِضُ عن شتمِ اللئيمِ تكرُّما(١)

والشاهد فى البيت قوله « ادخاره » حيث وقع مفعولا لأجله منصوبا مع أنه مضاف للضمير ، ولو جره باللام فقال : لادخاره لكان سائغا مقبولا .

وهذا البيت يرد به النحاة على من يقول : إن المفعول لأجله لايصح أن يكون معرفة ، لا بأل ولا بالإضافة ، ومن قال : إن الإضافة هنا فى البيت لفظية لاتفيد التعريف غير صحيح .

(١) العوراء : الكلمة القبيحة . ادخاره : استبقاء لمودته - أعرض : أصفح بمعنى أننى أغفر للكريم مايصدر من كلمة قبيحة إبقاء على مودته ، أما اللئيم فإنى أصفح عنه تكرما وترفعا .

رأى للمبرد فى البيت :

وقال المبرد فى كتابه « الكامل » : إن كلمة (ادخاره) وكلمة (تكرما) فى البيت ليستا من باب المفعول لأجله ، بل هما من باب المفعول المطلق لفعل مقدر ، والتقدير : أدخره ادخارا ، وأضافه إليه ، كما تقول : ادخارا له ، وكذلك تكرما ، إنما أراد التكرم فأخرجه مخرج تكرم تكرما .

ولكن جمهور النحاة يرون أن الأكثر فى المفعول لأجله أن يكون نكرة ، إلا أنه لامانع أن يجيء معرفة فى بعض الأحيان ، كما جاء فى هذا البيت ، وكما جاء فى قوله تعالى :

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ سورة البقرة ١٩

وكقول الشاعر :

لاأقعد الجبن عن الهيجـــاء
ولو توالت زمر الأعـــداء

يريد : لاأقعد جبنا .

من حاتم الطائى ؟

وحاتم هو ابن عبدالله بن سعد بن الحشرج ابن امرىء القيس بن عدى الطائى ، ويكنى : أبا سفانة وأبا عدى - وابنه عدى معدود فى الصحابة ، وله رؤية وصحبة ورواية .

وقد ورث حاتم الكرم عن والدته ، وهى : عتبة بنت عفيف بن عمرو الطائى ، كانت ذات يسار ، وكانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لاتمسك شيئا .

ولما رأى إخوتها إتلافها للمال حجروا عليها ، ومنعوها مالها ، فمكثت دهرا لايدفع إليها شيء منه ، حتى إذا ظنوا أنها وجدت ألم ذلك أعطوها صِرْمَةً (٢) من الإبل ، فجاءتها امرأة من هوازن وكانت تأتيها فى كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها ، فوالله لقد عضنى من الجوع مالا أمنع معه سائلا أبدا ، ثم أنشأت تقول :

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة
فآليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم : أعفنى
وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم
سوى عذلكُمْ أو عذْل من كان مانعا؟
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة
فيكف بتركى يابن أمى الطبائعا؟

من أمجاد حاتم :

قال ابن الأعرابى : كان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جوادا يشبه جوده شعره ، ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا ، إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أسر أطلق ، وكان أقسم بالله لايقتل واحد أمه ، وكان إذا أهلّ رجب نحر فى كل يوم عشرة من الإبل وأطعم الناس واجتمعوا عليه .

أول ماظهر من جوده :

قال : وأول ماظهر من جوده أن أباه خلفه فى إبله وهو غلام ، فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبى خازم ، والنابغة الذبيانى يريدون النعمان بن المنذر ، فقالوا له :

---

(٢) الصرمة - بكسر الصاد - : القطعة من الإبل مابين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل : مابين الثلاثين إلى الخمسين والأربعين ، فإذا بلغت الستين فهى الصدّاعة - بكسر الصاد .

هل من قرىً ؟ ولم يعرفهم .

فقال : أتسألونني القرى وقد رأيتم الإبل والغنم ؟ انزلوا . فنزلوا فنحر لهم لكل واحد منهم ، وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ، ففرق فيه الإبل والغنم .

وجاء أبوه فقال له : مافعلت ؟

فقال : طَوَّقْتُكَ مجد الدهر طوق الحمامة ، وعَرَّفْتُهُ القضية .

فقال أبوه : إذاً لاأساكنك بعدها أبداً ولا آويك .

فقال حاتم : إذاً لاأبالى .

ومضى حاتم لوجهه فى الكرم ، حتى أصبح مضرب المثل فيه ، فيقال أجود من حاتم ، وأكرم من حاتم .

يقرى أضيافه وهو ميت

وذكر البغدادى فى « خزانة الأدب » نقلا عن الأصفهانى فى « الأغانى » قال : روى محرز مولى أبى هريرة قال : مر نفر من عبدالقيس بقبر حاتم ، فنزلوا قريبا منه ، فقام اليه رجل يقال له : أبو الخيبرى ، وجعل يركض برجله قبره ، ويقول : أقْرِنا .

فقال له بعضهم : ويلك مايدعوك أن تعرض لرجل قد مات ؟

قال : إن طيئاً تزعم أنه مانزل به أحد الا قراه .

ثم أجنّهم الليل فناموا ، فقام أبو الخيبريُّ فزعا ، وهو يقول : وارحلتاه ..

فقالوا له : مالك ؟

قال : أتانى حاتم فى النوم وعقر ناقتى بالسيف وأنا أنظر ، وأنشدنى شعرا حفظته يقول فيه :

أبـــا الخيبرى وأنت امـــرؤ
ظلـــوم الـــعشيرة شتّامهـــا
أتيت بصحبك تبغى القـرى
لدى حفرة قد صَدَتْ هامهـــا
أتبغى لى الـذم عـنـد المبـيت
وحـــولك طئٌ وأنعامهـــا ؟
فإنـــا سنشبـــع أضيافـنـا
وتـــأتى المطـــىَّ فنعتامهـــا[٣]

فقاموا ، وإذا ناقة الرجل تُكَدِّس[٤] عقيرا ، فانتحروها ، وباتوا يأكلون ، وقالوا : قرانا حاتم حيا وميتا ، وأردفوا صاحبهم ، وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيرا ويقود آخر قد لحقهم وهو يقول : أيكم أبو الخيبرى ؟

قال الرجل : أنا

قال : فخذ هذا البعير ، أنا عدى بن حاتم ، جاءنى أبى فى النوم ، وزعم أنه قراكم بناقتك ، فأمرنى أن أحملك ، فشأنك البعير ودفعه إليه ، وإلى هذا أشار ابن دارة الغطفانى فى قوله يمدح عدى بن حاتم :

أبوك أبـو سفانـة الخير لم يزل
لدن شبَّ حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الأمثال فى الشعر ميتا[٥]
وكان له إذ ذاك حيـا مصاحبـا
قرى قبره الأضيـاف إذ نزلـوا به
ولم يقر قبر قبلـه الدهـر راكبـا

قصيدة الشاهد :

والبيت موطن الشاهد من قصيدة طويلة تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق ذكرها أصحاب موسوعة الشعر العربى وشرحوها وعلقوا عليها ،

---

(٣) نعتام : نختار .

(٤) تكدس : تعقر إحدى قوائم الناقة فتسير على ثلاث .

(٥) ميتا : أى مرتفعة طويلة الأمد من قولهم : متع النهار إذا ارتفع وطال .

ووضعوا لها عنوانا هو : « حاتم يتصعلك » يعني يشبه نفسه بالشعراء الصعالكة . والصعلكة هنا صفة مدح لاذم تعني أن هؤلاء الصعاليك هم الفرسان الذين لايمسكون شيئا ، ولايقصرون في حق الصديق ويؤثرون غيرهم على أنفسهم ، ولايفرطون في قرى الضيف ، ورزقهم من أسنة رماحهم .. ونقتطف من القصيدة التي أبلغتها الموسوعة أربعين بيتا واختزلها البغدادي في خزانة الأدب في سبعة وعشرين بيتا ماياتي :

أتعرف أطلالاً ونؤيا مُهدَّما
خطك في رقٍّ كتابا منمنما[6]

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها
شهورا وأياما وحولا مُجَرَّما[7]

ثم يقول مشيرا إلى من يعذل في إتلاف المال :

وعاذلتين هبتا بعد هجعة
تلومان متلافا ، مفيدا ، ملوما[8]

تلومان لما غَوَّرَ النجم ، ضِلَّةً
فتى لا يرى الإتلاف في الحق مغرما[9]

فقلت وقد طال العتاب عليهما
وأوعدتاني أن تبينا وتصرما

ألا لا تلوماني على ما تقدما
كفى بصروف الدهر للمرء محكما[10]

ومن ضروب الحكمة في القصيدة :

فإنكما لاماضى تدركانه
ولست على مافاتني متندما

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

أهن للذى تهوى التلاد فإنه
إذا متَّ كان المالُ نهباً مقسما[11]

ولاتشقين فيه فيسعد وارث
به حين تغشى أغبرَ اللون مظلما[12]

يقسمه غنما ، ويشرى كرامة
وقد صرت في خط من الأرض أعظما

تحمل من الأذنيَن واستبق ودهم
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضرْ
وذى أود قوّمْتُه فتقوّما[13]

وأغفر عوراء الكريم ادخاره
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

(وهذا البيت لم تذكره الموسوعة[14] وذكره البغدادى)

ولاأخذل المولى وإن كان خاذلا
ولاأشتم ابن العم إن كان مفحما[15]

ولازادنى عنه غنائى تباعدا
وإن كان ذا نقص من المال مصرما[16]

(٦) النُّؤْى : الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، والرَّق : الجلد الرقيق يكتب فيه .

(٧) الأرواح : جمع ريح وهو جمع قياسى ، والمُجَرَّم : الكامل . يقول : إن الرياح كانت تمرح فيه أياما طويلة بشير بذلك إلى خلدها .

(٨) هجعة : الهجوع النوم ، والهجعة النومة الخفيفة من أول الليل .

(٩) غَوَّر النجم : غاب .

(١٠) بينا وتصرما : تفارقا . يقول : لقد توعدتانى بالهجر فقلت لهما : لاتلوما فقد أعطانى الدهر بصروفه الحكمة .

(١١) التلاد : المال الموروث .

(١٢) أغبر اللون مظلما : القبر .

(١٣) العوراء : الكلمة النابية - والأَوَد : الاعوجاج .

(١٤) موسوعة الشعر العربى : اختارها وشرحها وقدم لها مطاوع صفدى ، إيلى حاوى ، وقدم لها الدكتور خليل حاوى - شركة خياط للنشر بيروت - والقصيدة المذكورة ص ٩٠ .

(١٥) مفحما : منهوكا من الإعياء

(١٦) مصرما : فقيرا ، أو مقاطعا .

رواية أخرى لبيت الشاهد

وهناك رواية أخرى لبيت الشاهد هي :

واغفر عوراء الكريم اصطناعه ..

وهو افتعال من الصنع وهو الفعل الجميل ، ومعنى البيت لايتغير على هذه الرواية .

وأبيات القصيدة تشد فعلا الى مكارم الأخلاق التى جاء الاسلام ليقيم شأنها ويشيد بفضائلها من بذل للخير ، واكرام الضيف ، وصفح عن زلات الاخوان ، وصلة لذوى القربى ومحافظة على ودهم . حقا لقد صدق رسول الله ﷺ حين قال عنه : « ياجارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباهـا كان يحب مكـارم الأخلاق » .

استطراد طريف

وحول كلمة (العوراء) التى وردت فى بيت الشاهد نقول : إن هذه الكلمة من قبيل المجاز ، استعملها العرب فى الكلمة القبيحة والفعلة القبيحة ، وأصل ذلك - كما يقول ابن منظور فى لسان العرب - أن الكلمة القبيحة أو الفعلة القبيحة كأنها تعور العين فتمنعها من الطموح وحدة النظر ، ثم حولوها إلى الكلمة والفعلة على سبيل المثل ، وإنما يريدون فى الحقيقة صاحبها . وقد جاء ذلك فى شعر العرب ، منه غير ماجاء فى بيت حاتم قول ابن عنقاء الفزارى يمدح ابن عمه عميلة ، وكان عميلة هذا قد جبره من فقر :

إذا قيلت العـوراء أغضى كأنــه
ذليل بلاذل ، ولـو شاء لانـتصر

ويمكن الموازنة بين هذا البيت وبيت حاتم ، فيرجح بيت حاتم ، لأن حاتما لايكتفى بالاغضاء كأنه ذليل ، ولكنه يغفر ويصفح .

واذا كانت (العوراء) كناية عن الكلمة القبيحة فإن عكسها وهو (صحة العينين) يكون كناية عن الكلمة العذبة واللفظة الجميلة والرد الحسن ، وقد جاءت الكلمتان فى مقابلة طريفة فى قول الشاعر الذى يرويه ابن منظور فى لسان العرب :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها
بسالمة العينين طالبة عذرا

ولاشك أن هذا البيت أرقى على البيتين السابقين بما فيه من جمال المقابلة غير المتكلفة ، والكناية اللطيفة والإضافة الحسنة التى تحملها عبارة (طالبة عذرا) .

وقد اشتهرت كلمة (العوراء) فى المعنى الجديد حتى نسى الناس أنها مجاز ، وأصبحت كأنها حقيقة فيما تعبر عنه مما يؤذى الأذن سماعه والعين رؤيته . قال أهل اللغة : العوراء كلمة التى تهوى فى غير عقل ولارشد .

وقال أبوالهيثم : يقال للكلمة القبيحة عوراء ، وللكلمة الحسناء عيناء . وكانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - من أهل البلاغة والفصاحة ومن مأثور كلماتها التى يستشهد بها اللغويون والبلاغيون قولها : « يتوضأ أحدكم من الطعام الطيب ولايتوضأ من العوراء يقولها » أى الكلمة القبيحة الزائغة عن الرشد .. لسان العرب .

ولعلها تشير - رضى الله عنها - الوضوء من الطعام الطيب إلى ماورد من أحاديث حول الوضوء مما مسته النار . أما العوراء فهى تقصد بها الكلمات النابية وماتحدث من غيبة أو نميمة أو بهتان .. وكلاهما ذلك جاء على سبيل التبكيت والتوبيخ لهؤلاء الذين يتمسكون بالظواهر ويغفلون عن الحقائق . والله أعلم .

طبقات المحققين والمصححين

من المحققين الأعلام



الشيخ رضا الدين القرني

١٩٠٦م - ١٩٧٩م

١٤

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

محقق كبير ، رفيع القدر ، جليل المنزلة ، ملحوظ المكانة لا يخفى فضله ، ومكافح جلد صبور .. حديد العزيمة ، صلب الإرادة ، ينطوي على ازدواجية حسنة محمودة لكونها قد جمعت القوة والشدة ، مع المرونة والسهولة والتمكين والثقة إلى التواضع والأريحية وإنكار الذات إلى درجة لافتة للنظر .

ثم إن هذه الشخصية نادرة ــ ليس فى عصرها فقط وإنما فى كل العصور ــ لاتجد لها ضريباً فى عالم اليوم المشحون بالغرائب والعجائب من تفلت وتدابر عن القيم والمبادىء والمثل والأخلاقيات فى إطار المعاملات بين الناس .

إنها الأمانة والاستقامة ، والنزاهة والتصون والترفع والاحتجان عن الدنية والاستهجان لكل شائن مقيت ، وهذا مؤدى قول الشاعر الحنديد :

ولــو أن أهــلَ صانــوه صانهم
ولـو عظَّمُوه فى النفوس لَعُظِّمَـا

هذا مثل رفيع نضربه لرجل الخزط فى عمله بإخلاص ودربة وإتقان ، وكان ــ لقاء ــ تحقيق مأموله والوصول إلى مراده ــ يستعذب الكد والكدح ، والعمل الدءوب الشاق الذى لايحاكيه فيه إلا أقل وأندر العاملين فى مجاله .

ولئن كان الإخلاص وحده ليس كافياً للنجاح فى أداء رسالة الحياة ، كذا العمل ذاته .. فإن الإخلاص مع العمل غير المنظم ، أو غير المنسق العشوائى قد يهدر كثيرا من الطاقات فى غير طائل .. كذا فإن الهدف عندما يكون محددا فإن العزيمة والصريمة تقدر ما يقتضيه ويستوجبه من طاقة فتكون الضرورة بقدرها .

لابد إذن من أدوات وآليات تتضافر مع بعضها فى واشجة وشجنة ومشيج متصل مترابط ، ليتولد عنها جمعاء طاقةٌ قوية خلاقةٌ مبدعة .

إنها العزيمةُ والأمانةُ والدقةُ والإخلاصُ والتفانى بغير حدود .

لقد كان الشيخ حسام الدين القدسى أمةً فى رجل ، ونحن بذلك نُعطى الرجل قدره وحقه الذى هو أحجى به وحقوق به ، ولئن كان هو بطبيعته لم يسع إلى شهرة فى حياته لمجرد الشهرة إلا أن من حقنا أن نتناول هذا العملاق بالبحث والدراسة لكونه علما فريدا من الأعلام الذين تجشموا الأعباء الجسام ، وكان بعرقه وجهده ومثابرته مجموعةً من المؤسسات .

لقد كان ناسخاً ومحققاً ومصححاً ومشرفاً بنفسه على الحروف الطباعية ، يشرف على صف حروف الكتاب بنفسه ، ثم يصححها مرة أخرى ، بل مرات ومرات ، ثم كان مُخرجاً فناشراً فموزعاً .

أى رجل هذا ؟؟ !

وكان يكتب على الكتاب أحيانا أنه تحقيقه ، وأحيانا أخرى لا يكتب ذلك مكتفياً بذكر اسم مكتبته وحسب ، وهو بذلك يحتسب أجره عند الله ــ تعالى ــ إذ أن القارىء يستمتع بقراءة نصٍّ دقيق مضبوط مشكول محقق مدروس بعناية فائقة.. وقد لايعلم أنه من صنع الشيخ حسام الدين القدسى .

تحية لك وألف تحية فى حياتك البرزخية أيها العملاق الصنديد المغوار .



وُلِدَ حسام الدين ونشأ فى الأرض المقدسة .. وهو سورىٌّ دمشقىٌّ من أهل الشام ، وكان مولده سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة المشرفة ، الموافق لسنة ست وتسعمائة وألف للميلاد .

انتظم في الدراسة وتلقى العلم صبياً حتى حصل على شاهدة الحقوق الفرنسية (الليسانس في الحقوق) من جامعة دمشق ، وكان ذلك سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد .

ما إن تخرج في الجامعة وحصل على إجازتها العالية المذكورة آنفا — حتى انصرف إلى نهمته وغايته في ثقة وقوة وإصرار.. فهو لم يعمل بالقانون ، ولم يمارس المحاماة كما كان ذلك مطلباً عزيزاً في ذلك الوقت لشاب مثله .. لكنه عمد إلى مجال أرحب وأفسح ، والتفت إلى غاية أبعد وأسمى ، على الرغم مما يكانفهـا من مشاق وصعوبات .. وهي مهنة التحقيق والضبط والطباعة والنشر والتوزيع .. وهي عملية مركبة شديد التعقيد عندما يقوم بها شخص واحد ، ولا سيما في مثل ذلك الوقت الباكر ، الحديث العهد بالطباعة .

نشط الشيخ حسام مشحوذ الهمة ، مطرور التأميل في تنفيذ ما طمح إليه ، وطمع فيه بإصدار نشرات جيدة ، بل رائعة من عيون كتب التراث العلمي والأدبي والإسلامي في طبعات متميزة غير مخدوجة ولا مبترة .

بدأ نشاطه الطباعي والنشري في سوريا بإصدار مجموعة ممتازة من الإصدارات أهمها :

- كتاب « تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » من تأليف الحافظ ابن عساكر ، وكان ذلك سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف .
- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي . للحسيني والسيوطي وابن فهد . وكان ذلك في نفس السنة السابقة .
- في السنة التالية (سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف) نشر كتاب : « المبهج في تفسير أسماء وشعراء الحماسة » لابن جنّي .
- ثم الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ للعلامة شمس الدين السخاوي . وكان ذلك سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة المشرفة .

□ □ □

رأى الشيخ حسام الدين أن تحقيق أربه لا يكون إلا في مصر المحروسة حيث النهضة العلمية والإسلامية والثقافية المشهودة ، فالأزهر الشريف وعلماؤه الكبار ، وأروقة العلم ، وتلاميذه من مختلف المعمورة ، يشخصون إلى رحاب الجامع الأزهر لينهلوا من معينه الذي لا ينضب ، وفراته السائغ المشفوه ، ويتنسمون من رياضه الندية يتزودون من الثقافة الإسلاميـة على أعلى مستوياتها .

ثم بثاقب نظره رأى أن في القاهرة المُعِزية تحقيقاً لطموحاته الفتية الشابة ؛ فلم يعرج ولم يَلْوِ على شيء ، وأشخاص إلى جنابها ، مستدريـاً برحابها ، منضويا تحت لوائها ، حيث ألقى عصاه ، وضرب بجرانه في حي الأزهر فأنشأ مكتبة كبيرة في (**حارة رقعة القمح**) رقم واحد (١) وكان ذلك سنة سبع أو ثمان وثلاثين وتسعمائة للميلاد تقريباً .

ثم لم يلبث أن تحول عن هذا المكان بعد بضع سنوات ربما كانت ثلاثاً أو أربعاً على أكثر تقدير — إلى (**حارة الجداوي**) رقم واحد أيضاً ، خلف مديرية أمن القاهرة.. وثم أسس

مكتبة ومطبعة وربما كان ذلك سنة إحدى وأربعين أو اثنين وأربعين وتسعمائة وألف .

ثم أطلق يديه في نسخ وتحقيق وطباعة المخطوطات على أوسع نطاق وظهرت إصداراته المتميزة ومنشوراته النفيسة القيمة تترى لا مقطوعة ولا ممنوعة .

ثم تحول بعد ذلك إلى (عطفة الصابونجى) رقم (٥) بـ (درب سعادة) وهو منهمك في عمله بكل كفاءة ودقة وأمانة وانضباط .

تتوالى هذه المطبوعات والمصنفات أرسالاً كالعقد النظيم ، فينهل منها رواد العلم والمعرفة أحقابا على مختلف ألوانهم وطبقاتهم ومشاربهم وهوياتهم ، إذ كان الأدب غضا وبضا مترعا إليه بصورة لافتة ، وكان مستقر الشيخ مكاناً حيوياً دقيقاً فهو قريبٌ من الأزهر الشريف أيضاً ، ومن حركة الحياة في قلب العاصمة .

فالمكان اختير بعناية فائقة .

وعلى قدر الإخلاص والدأب وحسن الطوية ، وصفاء السريرة ، ونقاء الدخيلة ، والتوجه الصادق لله ــ تعالى ــ يكون التوفيق والتمكين واغتنام الأراب المتغاة مهما كان الطريق وعراً شاقاً ومهما كانت الظروف والأحوال .

لذلك فقد كان للشيخ حسام الدين ما أراد في هذه الرحلة التي قضى منها خمسة وعشرين عاما (ربع قرن من الزمان) بين الدروب القاهرية يحمل على ساعديه نبراساً قوياً متوهجاً ينير دروب السالكين ، شعاعه كفلق الصبح الذي يبدد غبش الظلمات .. أنار هذا الوميض المشع المتوهج عقول وأفهام الناس فكان على النهضة الإسلامية والأدبية خيرا وبركة وبردًا وسلاماً .

□ □ □

كانت للشيخ حسام الدين صلةٌ وثيقةٌ ، وعروةٌ وطيدةٌ بالكثير من أعلام عصره .. وكان الأكابر من أولئك المنظورين يذهبون إلى محله الصغير في مبتدأ الأمر يجالسونــــه ويحاكيهم ويحاكونه .. وكانت محاور الحديث ومداره على الطباعة والنشر والتوزيع ، أي صناعة الكتاب منذ أن كان مخطوطا إلى أن يصير مطبوعا معنيا به كل العناية .

حياة حافلة بالجد والنشاط والصرامة والالتزام لكونها مرصودة لتحقيق هدف ونبل وطر طال الزمان أم قصر .

كان من أخلص أصدقائه : « أحمد تيمور باشا » العالم المحقق المشهور المفتون بالتراث ، المشغوف بالكتاب وصناعته ، والمضروب به المثل في كونه مريضا بداء عضال لم يشف منه حتى آخر عمره هو اقتناء الكتب والمخطوطات من أية بقعة من العالم مهما كلفه ذلك من مال ، وقد أسس مكتبة زاخرة هي الآن في دار الكتب المصرية مصدر دعامة رئيسية من أعمدة الدار .

كانت صلة تيمور بالقدسي صلة مودة ومحبة من هذا العلامة المفتون بالكتاب في كل أحواله ... وكانت هذه الصلة والصداقة المبرورة عونا أي عون كما كانت أيضاً خيرا وبركة على الكتاب العربي ، فرضى الله عن كلا العالمين الكبيرين الجليلين الحسيب النسيب تيمور باشا ، والوراقة الصابر المحتسب المكافح العلامة حسام الدين القدسي .

ظهرت النخوة العربية الأصيلة ، والشهامة التي لا مزيد عليها ، والتي لم تكن محاكاة ولا تكلفاً ولا اصطناعاً مدخولاً فيه عند هذا الندب النحرير حسام الدين عندما فتح صدره وقلبه ووجدانه ، ومد ذراعيه إلى العلامة المجروح، الشيخ المكلوم ، العلم المفرد الذي دهمته الحوادث وأنحت عليه الأيام .. إنه الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة العثمانية ، الذي انطفأ شهابه بغتة وأفل نجمه وتحاشاه الأقربون عند انهيار الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك ، وانفض السامر من حول الشيخ الكريم ، وتولى كل أحد عنه مستدبرا ومشيحا طاويا كشحه ، فلم يجد من يستضيفه ويكرم شيخوخته ، ويوقر علمه ويصون وجهه من مسألة اللئام غير فارس القيم ومهندس الأخلاق والمبادىء الشيخ حسام الدين فاحتواه بين ذراعيه ، وضمه إلى صدره بدفء لا مثيل له ، وأكرم ضيافته بل جعله واحدا من أقرب أهله إليه .. وصدق فيه قول الشاعر العربي :

تنزل الطير حيث يلتقط الحب
وتغشى منازل الكرماء

ولعل هذه الموقف الجليل الذي تسطره لهذا الجواد لايمكن أن يُنسى ، وكأن القدسي حين لقي الشيخ كان لسان حاله يقول :

ياضيفنا لو جئتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وأنت رب المنزل

كان المرْبَع مريعا ممرعا ، وخصيباً رائعا ، ومنتجعاً كريما طيبا للشيخ الطريد الفاقي فنزل أهلاً ، وصادف سهلاً فهانت عليه الغربة في الزمان والمكان .

كان من أصدقائه المرموقين أيضاً الأستاذ المؤرخ الكبير البحاثة « خير الدين الزركلي » مؤلف موسوعة « الأعلام » المعروفة .

وكان الزركلي يزوره في مكتبته ومطبعته ويجالسه ساعات طوالاً دون أدنى سآمة .. وتوثقت عرى المودة بين كلا العالمين الجليلين ..

بل كانت تصل أحيانا إلى صورة شبه يومية من اللقاءات والمسامرات والمؤانسات الرقيقة .

بيد أن اللافت للنظر ، والمثير للاسترابة غير المبررة أن يسكت الزركلي عن صديقه ولا يترجم له في « الأعلام » على الرغم من ترجمته لكثير ممن هم دون طبقة صديقه وأقل رتبة ودرجة !!

وإني لأرى أن كثيرا ممن أفرد لهم الزركلي تراجم وتنويهات إذا ما نوظروا وقيسوا بالقدسي من زوايا ووجهات عديدة تفوق عليهم بمسافات بعيدة من غير طعن في أحد منهم أو تثريب أو تعمد انتقاص لكن المفروغ منه أن الناس من قديم الأزل وحتى الأبد الأبيد أخياف مختلفون متباينون في الفضل وليس معنى الأفضلية تأويل ذلك بانتقاص شأن المفضول .. فإن المفضول قد يكون فاضلاً أيضاً لكنه مفضول لمن هو أقرب للمثالية منه ولكن كلا الاثنين فاضل بلا ريب .

وفي مقام الكتابة للتاريخ ـــ من مثابة ومرجعية الأمانة والدقة أن نطرح ، بل لابد أن نعرض الأحوال والملابسات والخوالج التي تعرض أو تكون بصددها ونناقش مايساير الحق أو نقيضه كما ننوه عما يساورنا ونعرض تصورنا الذي نرجو أن يكون صواباً .

وليس هذا مقام اتهام للزركلي بالتقصير المتعمد فإنني (كاتب هذه الدراسة) أعرف عن شخصه وعن حياته الكثير والكثير من أترابه ومعاصريه ومن عملوا معه عن قرب ، فقد أصفقوا جميعا وتواطأوا على شهادة واحدة مؤداها أنه كان رجلا طيبا صالحا فاضلا وعالما جليلا سرى الأخلاق .

وشهد الأستاذ الدكتور محمود محمد الطناحي نفسه وهو العالم المحقق الفاضل — شهد بأن الشيخ حسام الدين كان ذهب إليه ليزوره بمكتبه في « معهد إحياء المخطوطات » بعد وفاة الزركلي — رحمه الله — فذكر للطناحي أنه رأى رؤيا تؤكد أن الزركلي مرضى عنه في الآخرة .

لكننا لا نعتقد اعتقاداً جازماً ، ولا نكاد نقطع بأن هذا السقط المروع ورد على سبيل النسيان.. إذ أن رجلا كالقدسي ملء السمع والبصر من الرعيل الأول الذى حمل على كاهله مسئوليات جسيمة وأعباء ثقالا تنوء بها العصبة أولى القوة — يكون مشاحا عنه بهذه الصورة .. وهو من هو ما أجدره وما أحجاه وما أخلقه أن يكون في مقدمة المذكورين الملحوظين ، فما أغناه أن يكون كذلك وأولاه !!

لكنني إنصافاً للحق والواجب — وعلى مسئوليتي — ساورنى تبرير ربما كان صواباً أو راجحا وهو احتمال أن يكون الزركلي قد لمس من صديقه وصفيه أن ذكر ترجمته والكلام عليه لايرضيه لانتفائه عن الشهرة الشخصية وإيثاره العمل في صمت ، وما أراد الزركلي أن يعمل شيئا يغضب صديقه وخليله . وقد تأكدت لدى هذه المظنة إلى درجة راجحة عندما سألت ابنه الأستاذ الشيخ محمد شفيق عن صورة لوالده فقال إن هذا مطلب عسير ، وصعب أن نجد صورة له ، لأنه لم يكن يرغب في التصوير إلا للضرورة والضرورة القصوى كموجب استخراج بطاقة أو جواز سفر ، أو ما شابه ذلك .

لكن هذا الاعتقاد لا يمكن أن يكون مبرراً أيضاً فإن المؤرخ ليس مقيدا بالرغبات والميول والطبائع في التحقيق والتوثيق من عدمه ... لأنه مسئول عن ذلك وهو الملوم أولا وأخيرا على أدق تقصير طالما انبرى وتصدى لعمل خطير كهذا فليحذر أن يكون خطيراً بصورة من الصور ، وسبحان من له العصمة والكمال — وحده — دون أحد من خلقه .



كذلك كانت هناك مودة وصداقة بين صاحبنا وشيخنا وبين الأديب والمطبوع مصطفى صادق الرافعي الذى كان يتردد عليه دائما ولاتنقطع بينهما المسامرات ولا الحكايات عن الأدب والأدباء والكتاب والكُتّاب .. وذكر الدكتور محمود الطناحي أن القدسي سأل الرافعي : ترى من يخلفك في الأدب ؟ فذكر له الأستاذ محمود شاكر العلامة الأديب الكبير والمحقق الممتاز شفاه الله وعافاه وأطال الله عمره وأسبغ عليه ثوب العافية .



وقد أكرم الله تعالى هذا الشيخ الصبور الطيب فأعقب من الأبناء أربعة : ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة .

● الشيخ محمد شفيق حسام الدين صاحب مكتبة القدسي وهو صورة مصغرة من أبيه العالم الوراقة الفاضل ، وهذا النبع والغراس الطيب مطوى على كرم الخلق، والنبل وحسن السيرة

والاستقامة والتواضع الشديد ودماثة الأخلاق ، وقد رأيت أباه ــ رحمه الله ــ مرتين فقط، وأعجبتني شخصيته وأمانته إلى درجة قصوى ، وكلما رأيت ابنه « محمد شفيق » شعرت لأول وهلة بأنه امتداد مبرور لأبيه بما يزينه من حسن السمت ، وطهارة النفس، ورصانة الأسماع وسلامة الصدر . وهو يسير على درب أبيه فى طباعة ونشر وتوزيع الكتاب على نطاق مرضى جيد ، وقد افتتح مكتبة عامرة بشارع البستان منذ ثلاث سنوات فقط فبورك له فيها ، وجعلها مفتوحة بالخير والبركات .

● الابن الثانى : هو محمد عارف حسام الدين .

● الثالث : محمد زاهد حسام الدين ، وهو يعمل بالطباعة والنشر أيضاً وقد افتتح مكتبة « زاهد القدسى » بجوار مكتبة شقيقه فى شارع البستان بالقاهرة ، وهى حافلة أيضاً بنوادر وأمهات الكتب التراثية المحققة والمؤلفة . وهو شاب دءوب مرجو له الخير والمزيد من المستقبل القريب إن شاء الله ــ تعالى .

أخيرا وليس آخرا فلننم أيها الشيخ الهمام قرير العين مطمئنا ، فإن غراسك الطيب لايزال بين أيدينا متجدد النفحات ، طيب المجتنى نسأل الله لك به الرحمة والرضوان وأن يسكنك الفردوس الأعلى فى جنات النعيم ، وسلام عليك فى الصالحين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

منشورات وتحقيقات الشيخ
حسام الدين القدسى

ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (عشرة أجزاء) .

ــ فتاوى السبكى ، لتقى الدين السبكى (جزءان) .

ــ الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للإمام السخاوى (شمس الدين السخاوى) (اثنا عشر جزءًا) سنة ١٣٥٣هـ .

ــ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى (ثمانية أجزاء) سنة ١٣٥٠هـ .

ــ اللباب فى تهذيب الأنساب ، لعز الدين بن الأثير (ثلاثة أجزاء) سنة ١٣٥٦هـ .

ــ عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، لابن سيد الناس اليعمرى (جزءان) سنة ١٣٥٦هـ .

ــ ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى، مجلد كبير من جزءين .

ــ الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى جزء واحد .

ــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للإمام العجلونى القاضى (جزءان من مجلد واحد) .

ــ معجم الشعراء للمرزبانى (صاحب الموشح) مجلد ومعه المؤتلف والمختلف للآمدى .

ــ المسائل والأجوبة فى الحديث واللغة لابن قتيبة ، رسالة صغيرة .

ــ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة ، رسالة .

ــ الحاوى للفتاوى للإمام السيوطى (مجلدان) .

ــ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى جزء واحد .

ــ شرح أدب الكاتب للجواليقى جزء مجلد .

- شرح مساويء المتنبى للصاحب بن عباد ، ومعه ذم الخطأ فى الشعر لابن فارس اللغوى المعروف .

- ديوان السرى الرفاء .

- منجد المقرئين لابن الجزرى . (متن) .

- جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنين .

- مراتب الإجماع لابن حزم . جزء متوسط . ومعه نقد مراتب الإجماع لابن تيمية .

- محاسن الإسلام للبخارى . جزء .

- دفع شبه التشبيه .

- رسائل تاريخية لأحمد بن طولون .

- تاريخ الإسلام للذهبى ، طبع فيه ستة أجزاء فقط، ثم توقف وأحجم عن ذلك لعدم وجود التمويل المالى الذى يعين على نشر هذه الموسوعة الضخمة ، بيد أن الأمل لم يزايله طرفة عين فى تتمة وإكمال نشر هذا الكتاب النفيس الذى عرف قدره كذخيرة من إمام حافظ جليل المكانة ، وظل هذا الأمل يساوره ويسيطر عليه حتى آخر أيامه فعرض ما يخالجه ويداخله ويعتمل فى صدره إزاء هذه الموسوعة التاريخية — على فضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود — رحمه الله — فى أواسط السبعينيات أو بعدها بقليل فطرب الشيخ عبدالحليم لهذا المطلب ووعده بالمظاهرة على ذلك والمعاونة عليه ، لكن القدر لم يمهل كلا العالمين الكريمين فلقيا ربهما قبل أن يقضيا نهمتهما ولم يتم لهما ما أراداه .. لكن أراد الله لهذا العمل الخطير أن يظهر للنور فقيض له من مشايخ المحققين الأعلام من قام على تحقيقه ونشره تباعا فى موسوعة بلغت حتى الآن ثمانية وثلاثى مجلداً نشرتها وتوفرت عليها دار الكتاب العربى ببيروت بعناية المحقق الكبير الدكتور عبدالسلام التدمرى أستاذ التاريخ بالجامعة اللبنانية .

والمأمول أن يكون الفراغ منه وشيكا بإذن الله تعالى .

هذه لمحات نراها عابرة إزاء علم مفرد وما هى إلا جهد المقل ، لكن لعقيدة ومبدأ نحرص عليه وهو إظهار أقدار الرجال بما هم مستحقون له كفاء ما أسدوه وقدموه للعلم والعلماء حتى لابنعى علينا ناع ، ويشدد علينا النكير ، متهما إيانا بالتقصير وجحد الفضل ، وحجب الثناء المضنون به على غير أهله ، ويقرع الأسماع بقوله « مُضاض بن عمرو »[1] .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بعد هذه الرحلة الشاقة الشائقة الشائكة المضنية كان لابد أن يستريح هذا العزم الصلد ، والزند الورى على مدار اثنين وسبعين سنة من العمل والحركة الدءوب ، منذ طفولته الأولى حتى أزفت لحظة الرحيل والوداع وهى مبلغ عمره المعدود بالسنوات الموازى قرونا طويلة لما قدمته يداه الكريمة من أعمال طيبة . نسأل الله تعالى أن تكون فرطا له فى ميزان حسناته يوم تلقاه ، وقد عوجل إلى ربه فى ذى الحجة سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق ديسمبر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد .

وسلام على الصادقين والحمد لله رب العالمين .

---

[1] الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١١/١٥ و١٦ و١٨

من أنشد لشوقي؟

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

ذكّرني فضيلة الأستاذ الدكتور علي الخطيب بمعلومة هامة، تتعلق بإحجام شوقي ـ أمير الشعراء ـ عن إلقاء قصائده بنفسه، وإيثاره أن يعهد بقصائده لغيره من الأكفاء في فن الإنشاد والإلقاء للشعر؛ كي يقوموا بإلقائها نيابة عنه.. وذكر فضيلته أنه استقى هذه المعلومة ـ منذ أكثر من أربعين عاما، من الأستاذ أحمد علي عوض، صاحب صحيفة (العزيمة)، التي أصدرها في عام ١٩٤٨ (أو عام ١٩٤٩) بالاسكندرية.. وكان علي ماهر باشا ـ رحمه الله ـ قد اختار الأستاذ أحمد علي عوض لإدارة مقر (جبهة مصر) بالاسكندرية وكان علي ماهر قد أنشأ هذه الجبهة، تجميعاً لوحدة شباب مصر بعد أن فرقتهم الأحزاب.. وذكر الأستاذ أحمد علي عوض لفضيلة الدكتور علي الخطيب أن (شوقي) كان يعهد بإلقاء شعره إلى محمد توفيق دياب عقب رجوعه من لندن حيث نال فيها شهادة في فن الإلقاء وقد ذكّرني حديث الدكتور الخطيب بقول شاعر النيل حافظ إبراهيم في حفل تكريم شوقي سنة ١٩٢٧:

يعيبون (شوقي) أن يُرى غير مُنشِد ... وما ذاك عن عِيٍّ به أو ترفُّع
وما كان عاباً أن يجيء بمنشِد ... لآياته، أو أن يجيء بمُسْمِع
فهذا (كليم الله).. قد جاء قبله ... بـ(هارون) ما يأمُرْهُ بالوحي.. يَصْدَع

وكان (حافظ) هو المبايع لشوقي بإمارة الشعر، بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن وفود شعراء الحفل، حينما قال بيته الرائع:

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً ... وهذي وفود الشرق قد بايعت معي..

* * *

ويذكر الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي في مقال له بعنوان : «من أسرار العلائق بين شوقي وشعراء عصره»[1]، أن (حافظا) تألم في مرارة، حين أقيمت له حفلة تكريم، بمناسبة الإنعام الخديويّ عليه، ورأى المحتفون أن تسند رئاسة الحفلة إلى (شوقي).

قال د. البيومي : «وانتظر حافظ أن يسمع من رئيس الحفلة قصيدة في تكريمه، كالمعتاد في مثل هذه المواقف .. ولكن شوقيا لاذ بالصمت، ولم يتكلم! وكان في مقدوره أن يقول ..».

والحق ان شوقيا ـــ رحمه الله تعالى : ـ قال، فهذا (سركيس) يقول في مستهل الحفلة المذكورة : «وتفضل شوقي بك، رئيس هذه الحفلة، وعهد إليَّ أن أفتتح الاحتفال، وأتولى ترتيب الوقائع، «**وكلفني أنْ أنشد هذه الأبيات من نظْمه**» ووقف سركيس بالفعل، وأنشد قصيدة شوقي في حافظ، التي يستهلها بقوله:

نظمنــا سَنـيَّ التهنئـــات نزفُّهـــا إلى علــم بين النوابــغ مفــرد

وبعد أن فرغ من إنشاء القصيدة، قال سركيس : «وقد كلّفني سعادته ـــ أي شوقي ـــ أن أقول لحضراتكم أنه ـــ عند وصوله إلى أوربا وتشرُّفه بمقابلة الجناب العالي ـــ سيرفع إلى سموّه تفاصيل هذا الاحتفال، و... تُصنع (بدلة التشريفة) لحافظ بك، على نفقة الجناب العالي ..»[2].

وقالت جريدة (الرقيب)، تصف قصيدة شوقي، بقولها : «وحَسْبنا في وصف قصيدة شوقي بك، أنها من نظم شوقي بك فكانت كالمحرِّك الكهربي، هبط من الأسماع إلى القلوب، فهزّها»[2].

* * *

ومالنا نذهب بعيدا، وهذا (شوقي) نفسه، يستهل قصيدته عن (دمشق)، أثناء احتدام الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسي.

سلامٌ من صَبَـــــا بَرَدَى أرَقُّ ودمـــع لايُكَفْكَـــفُ يادمشق

ثم يخبرنا أنه لم ينشد هذه القصيدة بنفسه، وإنما تولَّى عنه هذا الأمر آخرون، بقوله :

---

(1) أنظر مجلة (الثقافة) عدد أكتوبر سنة ١٩٨٩م ص ٢١
(2) أنظر عدد مجلة (سركيس) الصادر في يونيو سنة ١٩١٢.

وحـولى فتيـة غُرّ صباح ... لهم فى الـفضل غايات وسَبْق
على لهـواتهم شعـراء لُسْن ... وفى أعطافهـم خطبـاء شُدْق
رواة قصائـدى فاعْـجَبْ لشعـر ... بكـل محلّـة .. يَرْويـه خلْق

ويتحدث شوقى عن أحد الشعراء الذين قابلهم فى باريس، واسمه طاهر الصباغ، يقول عنه، إنه «رواية من رُواتى، كان ينشد شعرى الحاضرين»[3] وهو من أدباء المملكة العربية السعودية، وكان يطلب العلم فى باريس.

* * *

ويذكر الأستاذ عبدالمنعم خميس أن شوقيا «كان صديقا لتوفيق دياب، صاحب جريدة الجهاد، الذى أمضى معه سهرته الأخيرة، قبيل عودته لكرمة ابن هانىء، ليلقى لحظة اللقاء مع الموت».

يقول خميس «وكان توفيق دياب واحداً من المُتَرنمين بشعر شوقى فى المحافل والحفلات، لأنه كان من كبار الخطباء أصحاب الأصوات الرنانة، والقفلات والوقفات، التى تُحبّب إلقاء الشعر»[4].

وقد أهدى شوقى بيته المشهور :

قف دون رأيك فى الحيـاة مجاهـدا ... إن الحيـاة عقيـدة وجهـاد

لتوفيق دياب .. ليتخذه شعارا لجريدته، وكان هذا البيت ينشر فى كل عدد من الجهاد، بصفة مستمرة، مرادفا عنوان الجريدة.

* * *

كذلك يذكر الأستاذ عبدالمنعم خميس، فى كُتَيّبه : (شاعر النيل : حافظ إبراهيم) أن العقاد حينا وصَفَ (حافظ) بأنه صنّاجة الأمة قال عنه : (إنه كان حسن الإنشاء، بل رائع الانشاء، يُلقى شعره بصوت جهورى عميق، ولهجة هى أقرب إلى الترتيل منها إلى مجرد الإلقاء، ويستعيده السامعون أبياته، ثم يستعيدونه القصيدة بعد الفراغ منها، طرَباً للصوت والانشاد، قبل أن يمعن فى

(٣) أنظر كتاب (شوقى : أو صداقة أربعين سنة) للأمير شكيب أرسلان ط سنة ١٩٣٦ ص ٧٨ .
(٤) أنظر كتاب (شخصيات فى حياة شوقى) ط اقرأ ص ٧١ .

نفوسهم الإعجاب بالمعانى والكلمات .. وكان يختار كلماته بجرْسها وإيقاعها وموقعها، كأنه يضَعُ ألحانا، ولا يضع كلمات[٥].

وقال له العقاد ذات يوم مازحا، يداعبه: ما أحدرك أنْ تملأ بشعرك «أسطوانات» ولا تطبعه فى صفحات.. فأجاب حافظ: وتكون أنت «عقاديًا على تخت الغناء» مُشيرا بذلك إلى عازف القانون الشهير: (محمد العقاد).

وقد عارض الدكتور محمد صبرى السربونى قول العقاد[٦]، وقال: إن شوقى هو صنّاجة مصر.. مع أن أمير الشعراء لم يكُنْ فى استطاعته برغم عبقريته — إلقاء قصيدة من قصائده، **وكان الشاعر (على الجارم) هو الذى يتصدّى لإلقاء قصائد شوقى، فى الاحتفالات والمناسبات والمنتديات**[٧].

وقول الأستاذ عبدالمنعم خميس، غير صحيح على إطلاقه.. فقد قام شوقى نفسه — وهو فى ريعان شبابه — بإلقاء قصيدته التى تحمل عنوان: (كبار الحوادث فى وادى النيل) فى المؤتمر الشرقى الدولى، الذى انعقد فى مدينة جنيف، فى سبتمبر سنة ١٨٩٤، وكان مندوبا للحكومة المصرية فيه، وكان شوقى فى عامة السابع والعشرين، وجاءت قصيدته فى ثلاثمائة بيت.

«... انتظمت كعقد اللؤلؤ: تاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عصرنا الحديث، وهزّت رجال المؤتمر الدولى، الذى أُلقيت فيه، ثم هزت العالم العربى أيضا وأعجب الناس بها أيما إعجاب، وتألق بها اسم الشاعر الشرقى المصرى الشاب، فى أكثر من مكان، حيث برز فى أوّل عمل من أعماله الأدبية، غاية فى القوة والحيوية» كما يقول صديقنا الأستاذ أنور الجندى، فى أحد مؤلفاته ويقول شوقى فى مستهل هذه القصيدة المتفردة.

همت الفُـــلْكُ واحتواهـــا الماءُ — وحداهـــا بِمَــنْ تُقِــلُّ الرجـــاءُ

ومنها قوله:

قِفْ لِـــانْ بَنـــى فشادَ فغـــالى — لم يجز مصر فى الزمـــان بنـــاء
أَجْفَـــلَ الجِنُّ عن عزائم فرعـــو — نَ، ودانت لبأسهـــا الآناء

* * *

(٥) أنظر ص ٣٣ المصدر السابق ص ٥٠ — ٥١.

(٦) أنظر ص ٣٣ المصدر السابق ص ٥٠ — ٥١.

(٧) وحاز التفوق (حافظ)، منافسه الأوحد، بصوت جهير ضخم، رائع المقاطع.. فإذا أوقف ينشد الجماهير، هزّها هزًّا، ورفع بإلقائه حظ الكلام درجات على درجات كما يقول عبدالعزيز البشرى.

كذلك وجدنا أحد تلاميذ الأستاذ كامل الشناوى ــ (الأستاذ يوسف الشريف) ــ يذكر فى كتابه (كامل الشناوى آخر ظرفاء ذلك الزمان) ــ ص ٢٥ ــ أن (شوقى) : **فتح صدره للشاعر الشاب (يعنى كامل الشناوى)، وضمّه إلى صالونه الأدبى فى منزله المعروف بكرمة ابن هانىء، وكان يحلو له أن يسمع قصائده بصوت كامل الشناوى الرنان، وإلقائه الرائع، الواعى للمعانى والمواقف** «ويوما طلب منه أمير الشعراء أن ينوب عنه فى إلقاء قصائده فى الحفلات .. وكان كامل الشناوى يعتذر، ويقدم له يوسف حلمى، وقال شوقى :

ــ أنا لا أحب الممثلين وهم يلقون شعرى، خارج المسرح .

فقال كامل الشناوى :

ــ ولكن يوسف حلمى محام، وليس ممثلا ..

وأصرّ شوقى بك على أن يلقى كامل الشناوى قصيدته فى حفل تأبين الزعيم الليبى عمر المختار، وكان الايطاليون قد ألقوا به من الطائرة !! وقد بلغ من العمر ٩٠ عاما، وهو يكافح استعمارهم لبلاده .. ورثاه شوقى بقصيدة حماسيّة مؤثرة .. واضطر كامل الشناوى ــ تحت الضغط الأدبى ــ أن يقبل إلقاءها، ولكن الظروف أنقذته، عندما قررت السلطات إلغاء الاحتفال فى آخر لحظة، ويُعقّب الأستاذ يوسف الشريف على ماتقدم بقوله : ولو أن كامل الشناوى ألقى تلك القصيدة فربما تحوّل إلى مجرد راوية للشعر وليس شاعرا متميّزاً له مدرسته وأسلوبه، وتجربته الخاصة .

* * *

هذا وقد سبق لصديقنا شاعر السويس والاسكندرية الراحل : محمد فضل اسماعيل أن ذكر لى، أن شوقى كان يقنع بنشر قصائده فى أمهات الصحف والمجلات، وسماعه لشعره مُرَدَّدا على أفواه الشعراء المرموقين، والخطباء المفوّهين، لأنه كان يعتبر إلقاء الشعر محتاجا لموهبة خاصة به إلى قوة أعصاب وقوة حنجرة لم تتاحا له، كذلك، لأنه يعلم ما لحافظ من قدرة على إلقاء الشعر، ويخشى أن ينافسه فى ذلك، فتكون الغلبة لحافظ بلا مراء[٨] .. **وذكر لى أن (الجارم) كان من أكثر الشعراء إلقاءً لشعر شوقى .. كما ذكر لى أنه هو الذى قام ــ أى محمد فضل اسماعيل ــ**

---

(٨) يقول الرافعى : «وكان تمام الشعر (الحافظى) أن ينشده حافظ نفسه، وما سمعت فى الإنشاد أعرب عربية من البارودى، ولا أعذب علوية من الكاظمى، ولا أفخم فخامة من حافظ (وحى القلم جـ ٣ ط أولى سنة ١٩٤١م ص ٣٤٠

بإلقاء مرثية شوقى فى حافظ بالاسكندرية لأن أمير الشعراء كان يطرب لطريقة فضل الفذة فى إلقاء الشعر، ويقول أبوشادى فى شعر فضل وإلقائه، عجز بيت مازال عالقا بالذاكرة:

«ويعيش بالإلقاء عمراً آخرا»

هذا وقد استوقفنى فى الجزء الرابع من الشوقيات تقديم الأستاذ محمد سعيد العريان — رحمه الله — لبعض هذه القصائد «وهو — أعنى العريان — الذى قام بإعداد هذا الجزء»:

... استوقفنى قوله — تحت عنوان قصيدة «ذكرى محمد فريد» أنها «ألقيت فى الاحتفال بالذكرى الخامسة للمغفور له محمد فريد بك سنة ١٩٢٤ فاستخدم الفعل مبنيا للمجهول، كالرفى بقوله «أنشدت فى الحفلة التى أقامتها رابطة الأدب الجديد، تكريما للشاعر محمود أبو الوفا إلخ ..» وقصيدة «خليل مطران» يقول العريان عنها إن شوق: «نظمها لتنشد فى حفلة أقيمت بدار الجامعة فى ١٨ يونيو سنة ١٩٦٣ لتكريم الشاعر خليل مطران إلخ ..»[٩]

وقد سألت الصديق العالم الجليل الأستاذ عبدالحفيظ فرغلى عن تعليله هذا الأمر، فأخبرنى أن الأستاذ سعيد العريان نفسه، هو الذى كان يقوم بإلقاء بعض قصائد أمير الشعراء، حسب معلوماته الخاصة، فلما سألته عن مصدر هذه المعلومات، أفادنى بأن الذاكرة لا تعيها الآن، وأضاف أن الأستاذ العلّامة الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى، هو الباحث الوحيد، غالبا، الذى يمكنه أن يُوضّح الكثير، عمّنْ قاموا بإلقاء شعر شوق.

ورحم الله — جل جلاله — شوقيا، فإن ذلك لم ينقص قدره، وبالله التوفيق.

---

(٩) صفحات ٦٣، ٨٠، ٨١، بالجزء الرابع من الشوقيات على الترتيب .. وكذلك قصيدة شوق (الشوقيات جـ٤) بعنوان «تحية الوادى عرفنا صوتكم» يقول العريان فى تقديمها: «وهى آخر ما جادت به شاعريته، وكانت (تلاوتها) يوم وفاته!» ولم يذكر لنا اسم من تلاها، ومطلعها:

لا تُقبِس على الضيم الأسد نزع الشبل من الغاب الوثيد

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

ورد إلينا كثير من الرسائل التي تحمل استفسارات من القراء عن الضوابط التي يجب أن يراعوها عند كتابة إسهاماتهم التي يرسلونها إلى المجلة .

ونحب أن نشير إلى أن هذا الباب يهتم في المقام الأول بمعالجة الفكرة الجيدة أو اللمحة الطريفة، وليس مما تعالجه المجلة من موضوعات على أيدى أساتذة متخصصين تتوالى مقالاتهم بالمجلة، إذ تشغلنا ــ في المقام الأول ــ أن يقدم الباب من أبواب المجلة تحريرا يشد القارىء إليه دون غطية مهلكة ... وها نحن نقدم بعض ماورد إلينا .

الظن السيئ آفة

رسالة القارىء : كمال عبدالمنعم محمد خليل

الكوم الأحمر ــ بنى سويف .

وردت هذه الرسالة عن سوء الظن، نعرض منها قوله :

نهى الله ــ سبحانه وتعالى ــ عباده المؤمنين عن الخوض فى أعراض المسلمين وسوء الظن بهم فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الحجرات ١٢ .

وسوء الظن آفة ذميمة يقع فيها البعض ، ونتائجها خطيرة وعواقبها وخيمة ، حيث تُبنى عليها الأفكار الخاطئة وبالتالى تأتى بعدها الأفعال التى ينال صاحبها الإثم والعقاب من الله ــ سبحانه ــ والظن حديث النفس إلى صاحبها سواء كان خيراً أو شراً .

وقد حذرنا النبى ﷺ من الظن السيء بالمسلمين ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » متفق عليه .

وقد يؤدى سوء الظن إلى التقاطع والتدابر بين المسلمين دون ما أسباب ، وهذا التقاطع والهجران يكون سببا فى عدم قبول الأعمال فقد روى أبوهريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا .. انظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم .

فعلى المسلمين أن يحسنوا الظن ببعضهم البعض ولا يستجيبوا لأزّ الشيطان الذى يدفعهم إلى سوء الظن بإخوانهم المسلمين .

الإسلام رسالة الحضارة :

ومن القارىء : يحيى السيد النجار .

دمياط ـ شارع الخزاوى .

أرسل هذه الكلمة التى نقتطع منها قوله :

متى نستفيد من إسلامنا من أجل البناء الحضارى .. وبخاصة أن المسلم مكلف بنشر هذه الرسالة الحضارية .

وشريعة الاسلام تجنب الانسان مزالق الانحراف والهوى والزيغ والضلال .. والإسلام يرعى الحياة البشرية بكافة جوانبها : الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية ، ليرقى بالإنسان فيبنى شخصيته وفق نسق حضارى سليم .

والانسان بحاجة إلى تدبر وتأمل ، ليتعرض لنفحات الله ـ تعالى ـ فيحظى ببعض الإشراقات النورانية التى يختصها الله عباده المتقين .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف ٩٦

وسبب مآسى أبناء الأمة غياب المعالم الايمانية والثقافية .. ولاشىء يحرر الإنسان إلا تشغيل العقل وحرية النقد وفتح باب الاجتهاد لكافة قضايانا المعاصرة .. خاصة ان الاسلام لا يلغى الرأى الآخر .. ما أحوج الأمة إلى قواعد الخلق الإسلامى قال تعالى : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » البقرة ١٩٧ وللاسلام اهتمام بالاعلام خاصة لبلورة نهضة ثقافية إسلامية والاسلام دعوة خير وسلام يخاطب الفطرة .. والشريعة الاسلامية تملك آليات آداب النفس وتهذيب الأخلاق فى البر والرحمة .. والإخاء والمودة والصدقة والاحسان والوفاء وأداء الأمانة ..

من إبداعات القراء

رسالة من شاب فلسطيني

نعم .. سنحرر الأقصى ... بإذن الله يا مسلم
برغم القيد فى قلبى ... برغم الكسر فى الأعظم
برغم النار فى كبدى ... فلن أرضى ولن أكتم
برغم مدافع الأعداء ... فلن يُبنى ولن يُهدم

محمد أحمد المعصرانى
طنطا ـ قطور ـ سجين

*****

مناجاة

إلهي : كُنْتُ أرْتَعُ في حياةٍ ... بَعيداً في الظَّلامِ، بلا قيودِ
وكنتُ أعيشُ في سَفْحٍ عميقٍ ... فهَلْ أحظى بِعَوْنِكَ في الصُّعودِ
إلهي : هذِهِ نفسي، ومَنْ لي ... على نَفْسي سِوَاكَ يَشُدُّ عودي
وَهَلْ عُذْرِي إلَيْكَ وَهَلْ مَتابِي ... سَيَنْهضُ حُجَّتي يَوْمَ الوُرُودِ
إلهي واعْطِني عَزْماً جَديداً ... وَهَبْ رُوحي الإرادَةَ في الصُّمُودِ
أضِيءْ بالنُّورِ قلبي ياحبيبي ... لأَمْضي في الطَّرِيقِ بلا شُرودِ
وبِاسْمِكَ يانفسي فلُوذي ثمَّ ذُوبي ... فَرُوحي اليَوْمَ مِنْ رُوحِ الوَدُودِ

د. محمد فخرالدين القعقاع
إستانبول ـ تركيا

عجيب ذلك الإنسان

● القارىء : محمد سعد محفوظ .

مشطا – طما – سوهاج .

أرسل هذه الرسالة التى نعرض منها هذا الجزء :

عجيب ذلك الإنسان الذى تذوق ألم الوحشة فى معصية الله – تعالى – ثم لا يطلب الأنس بطاعته ، وتذوق العذاب عند تعلق القلب بغير الله ولا يهرب ويفر إليه – سبحانه – ويقبل عليه ويتوب .

وأعجب شىء فيك أيها الإنسان علمك أنك لابد لك منه – سبحانه – وأنك أحوج شىء إليه وأنت عنه معرض ، وفيما يبعدك عنه راغب .

رسائل سريعة

* القارىء : عصام محمود طه أحمد .

أسيوط – أولاد إبراهيم .

لا نستطيع نشر شىء قبل قراءته وإجازة اللجنة المحكمة له .

* القارىء : محمود فوزى غانم .

قرية دراجيل – مركز الشهداء – منوفية .

إقتراحكم تخصيص مساحة للتعريف بدول العالم الاسلامى إقتراح طيب ، وسوف يكون للمجلة فيه شأن .

* القارىء : مسعود أحمد بدر الصباغ

محافظة البحيرة – كفر الدوار – منشية النصر .

يمكنكم الاتصال مباشرة بالادارة العامة لشئون العاملين بالأزهر الشريف – قسم التعيينات ، لإفادتكم بالرأى فى ذلك الشأن ونتمنى لكم التوفيق .

* القارئة : جميلة فريوة .

ولاية الوادى – الجزائر .

نشكر لك تحيتك الرقيقة للأزهر والعاملين به ، ومرحبا بمساهماتك وإبداعاتك .

مسابقة فى حفظ وتفسير القرآن الكريم

بعد ظهر السادس والعشرين من رمضان ١٤١٧ هـ الموافق الرابع من فبراير ١٩٩٧ م أقيم حفل لتكريم طلاب الأزهر الفائزين فى مسابقات القرآن الكريم برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالقاعة الرسمية بمجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر .

شرف الحفل فضيلة الإمام الأكبر وقام بتسليم عدة جوائز وقضى وقتا طيبا جداً وسط الطلاب .

شرف الحفل وعمل على إعداده فضيلة الشيخ فؤاد البرعى وكيل قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ الغمراوى مدير عام رعاية الطلاب ، وقام عدد من الأساتذة العاملين بإدارة رعاية الطلاب فبذلوا جهدا مشكورا فى التنظيم داخل القاعة ، نذكر منهم السيد « أبوالجود سليمان محمد » الأخصائى الاجتماعى بمنطقة القاهرة .

* فاز فى هذه المسابقة مائة وست وخمسون طالبا وطالبة من مراحل التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى على أربعة مستويات .

حظى المستوى الأول بتسعة وتسعين متسابقا ومتسابقة حصل كل منهم على مائة وخمس وثمانين جنيها وشهادة تقدير .

أما المستوى الثانى فبلغت جائزته مائة وأربعين جنيها فاز بها واحد وأربعون طالبا وطالبة .. وجاء فى المستوى الثالث ثلاثة عشر طالبا وطالبة بجائزة قدرها خمس وتسعون جنيها لكل منهم وبلغت جائزة المستوى الرابع خمسة وخمسين جنيها فاز بها ثلاثة طلاب .

ويأمل الأستاذ مصطفى أحمد الغمراوى مدير عام رعاية الطلاب أن تزداد الميزانية المخصصة للأنشطة الاجتماعية والرياضية والثقافية والدينية والعلمية والفنية بالاضافة إلى الأنشطة المتنوعة للفتيات .

كما صرح سيادته أن رعاية الطلاب تستمد ميزانيتها للصرف على هذه الأنشطة من كل من :

(أ) نسبة من الاتحادات الطلابية بالمعاهدة الأزهرية .

(ب) نسبة من ميزانيات مجالس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية .

(جـ) دعم للأنشطة من المجلس الأعلى للشباب والرياضة .

وقال سيادته : إن تنفيذ البرامج الطلابية كالمعسكرات والرحلات وغيرها يحتاج إلى مبالغ كبيرة لتأمين الصرف على الانتقالات واستئجار « الأوتوبيسات » لزيارة المعالم فى كل رحلة أو معسكر بالاضافة إلى مبالغ للصرف على تنفيذ البرنامج الفعلى لكل رحلة .. حيث لا يقل

متوسط الصرف فى الرحلة عن ألفى جنيه قد ترتفع إلى أربعة آلاف أو خمسة آلاف إذا كانت الرحلة إلى الأقصر وأسوان .

ثم اختتم حديثه بقوله :

ونحن نحمد الله ـــ تعالى ـــ على أن رعاية الطلاب بالمعاهد والمناطق الأزهرية تؤدى واجبها على مدار العام وتنفذ مسابقاتها على مستوى الجمهورية فى جميع المعاهد .

إلى السادة كتاب المجلة

تتقدم إدارة مجلة الأزهر إلى السادة الذين يتفضلون بإمدادها بمقالاتهم بملاحظات تعنيها وتعنيهم سواء ، فمن اليقين أن جميع من يعمل بالمجلة من محررين وكتاب ومطبعة يهمهم فى المقام الأول صدور المجلة على أنقى مستوى وأرفعه .

وما من شك أن السادة الكتاب يعلمون أن هذه المجلة مجلة علمية ، فهى ـــ فى المقام الأول مجلة (مقال) وليست مجلة (خبر) لذلك نرجو أن يتعاونوا مع إدارة المجلة بالتزام ما يحقق رسالتها :

(أ) فيذكرون مرجع ما يختارون من نصوص بالتعريف الكامل لصاحب النص ، وللنص جزءا وصفحة ومطبعة وسنة طبع فى حاشية المقال وفى الصفحة التى وردها بها النص ، فأما إذا كان النص آية كريمة فيجب أن يضعوا جوار نهايتها اسم السورة ورقم الآية بين قوسين مربعين .

(ب) كذلك ينبغى تكريما للمادة العلمية ألا يذكر النص منسوبا نسبة عامة ، بل ينبغى إسناده لقائله ، فذلك يساعد القارىء على تقدير المادة واحترامها ، كما يساعد الباحثين على سهولة المراجعة ومتابعتها .

(جـ) التوقيع فى ختام المقال .

(د) يجب ـــ كذلك ـــ ترك عنوان السيد الكاتب بإدارة المجلة مع رقم تليفون يتيسر بواسطته الاتصال به عند الحاجة .

وإدارة التحرير تأسف لعدم نشر ما يرد لها من مقالات لم تهتم بهذه الملاحظات ، والله نسأل أن يسدد خطانا وأن يوفقنا بفضله .

التحرير

النشاطات الثقافية والعلمية للأزهر الشريف

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

الموسم الثقافى بقاعة الإمام محمد عبده :

امتدادا للمواسم الثقافية التى تقيمها مشيخة الأزهر الشريف أقيم الموسم الثقافى الثانى للعام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م وذلك برعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر . بقاعة الإمام محمد عبده بمقر جامعة الأزهر بالدراسة .

بدأ الموسم بمحاضرة عن « الإسلام ومستقبل الأنظمة الاقتصادية » ألقاها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية ، ورئيس وزراء اليمن الأسبق .

وفى الأسبوع الثانى للموسم ألقيت محاضرة بعنوان : (الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية) ألقاها الأستاذ الدكتور / عبدالرحمن العدوى عضو مجمع البحوث الإسلامية والأستاذ بكلية الدعوة بالأزهر .

وفى الأسبوع الثالث للموسم ألقى الأستاذ الدكتور / محمد عبدالرحمن الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية محاضرة بعنوان : (الإنسان بين ثبات حقائق الدين ومتغيرات المدنية) .

وفى الأسبوع الرابع والأخير للموسم الثانى الثقافى ألقى الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشى العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر محاضرة كان موضوعها : (المجتمعات الإسلامية فى الغرب) .

شهد المحاضرات التى ألقيت على مدى أربعة أسابيع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة وكيل الأزهر ، والأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور رئيس مجلس الشعب وبعض السادة الوزراء . وبعض القيادات السياسية والشعبية وطلاب الجامعات وخاصة جامعة الأزهر وطلاب المعاهد الأزهرية .

وشهد فضيلة الإمام الأكبر والمشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة دورة التوعية الشاملة التى تنظمها وزارة الدفاع لقادة القوات المسلحة ، وكذلك شهد الدورة وزيرا الإسكان وقطاع الأعمال .

أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى كلمته أمام المشاركين فى الدورة على أن الجهاد على طريق نصرة الحق والدفاع عن الأرض والشرف هو أقدس مهمة يقوم بها الإنسان ، وأن الحق لا بد له من قوة قادرة تحميه وتصونه متمسكة فى ذلك بتعاليم الدين الإسلامى الحنيف ، والسنة النبوية المطهرة .

أكد سيادة المشير أن القوات المسلحة تمر هذه الأيام بمرحلة هامة من مراحل العمل الجاد والمكثف على طريق تطوير قدراتها وتحديث إمكانياتها وتأهيل كوادرها وصولا إلى أعلى درجات الاستقرار القتالى ، وأرقى مستويات الأداء .

هذا ، وتحدث الدكتور المهندس وزير الإسكان فتناول بالشرح والتحليل جهود الدولة فى مواجهة قضية الإسكان وتحدى الزيادة السكانية من خلال التوسع فى إنشاء المدن الجديدة والتركيز على بناء الوحدات والبنية الأساسية وبناء المجتمعات العمرانية .

وتناول الدكتور عاطف عبيد وزير قطاع الأعمال وشئون البيئة بالشرح مؤشرات نجاح خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية بمصر ، والأسس العلمية التى يتم ـ بناء عليها ـ اتخاذ القرارات فى هذا المجال .

كذلك شهدت مدينة أبوقرقاص بمحافظة المنيا مظاهرة مصرية ضد الإرهاب والعنف شارك فيها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف نائبا عن الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية والسيد المحافظ منصور العيسوى محافظ المنيا وآلاف المواطنين من مسلمين ومسيحيين ، وذلك لتقديم واجب العزاء لأسر ضحايا كنيسة مارجرجس بأبى قرقاص .

وقد استنكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر هذا العمل الإجرامى الآثم الذى لم يفرق بين الطفل والمرأة والشيخ الكبير .. وأكد فضيلته باسم الأزهر الشريف : علمائه وطلابه وجميع هيئاته والمسلمين جميعا أن المسلمين والمسيحيين لهم نفس الحقوق والواجبات كأبناء وطن واحد .

وأكد فضيلة وزير الأوقاف باسم الدكتور الجنزورى رئيس مجلس الوزراء أن الاعتداء على المصلين فى كنيسة مارجرجس بأبى قرقاص عمل دنىء يستنكره كل مسلم وغير مسلم باعتباره جريمة نكراء ضد الآمنين ، مؤكدا على أن الحكومة ستواجه أى تحرك إرهابى بكل قوة ، وأن حماية أبناء الوطن واجب كل مسئول ، وكل مواطن أيا كانت ديانته .

كذلك أكد فضيلة مفتى مصر على أن الإسلام برىء مما حدث ، وأن مرتكبى هذه الجريمة لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه .

أعلن فضيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر : أن مصر بكل فئاتها ترفض هذا العمل وتصمم على مواجهة العنف أيا كان مصدره ، وقال فضيلته : إن ما حدث لا يصيب المسيحيين ـ وحدهم ـ لأنه طعنة فى صميم قلب الأمان والسلام ، وإهدار حق الإنسان فى الحياة .

وشهدت القاهرة فى الفترة من ١٩ ـ ٢٠ فبراير الماضى اجتماعات هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر وحضور المشير سوار الذهب نائب رئيس المجلس والأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس .

وقد استقبل الرئيس محمد حسنى مبارك السادة أعضاء هيئة رئاسة المجلس بمقر رئاسة الجمهورية بمصر الجديدة ، حيث بحث الرئيس مع الأعضاء كافة القضايا الإسلامية التى تخدم الأمة الإسلامية والعربية ، هذا وقد قام أعضاء الهيئة بشرح دور المجلس بالنسبة للأقليات المسلمة فى عدد من الدول الذى يقوم بدعم ومعاونة تلك الأقليات معاونة صادقة من منطلق الوقوف إلى جانب المضطهد المظلوم حتى يتمكن من الحصول على حقوقه المشروعة ، وكان على رأس الموضوعات التى تناولها اللقاء قضية القدس والقضية الفلسطينية وظاهرة الإرهاب .

وقد قام الأستاذ كامل الشريف أمين عام المجلس بإبراز أنشطة المجلس المتعددة التى من أبرزها إجراء الحوارات مع الأديان والحضارات المختلفة والتعاون مع المنظمات العالمية الإنسانية فى مجالات الإغاثة الإنسانية .

وأشاد سيادته بالتعاون الوثيق بين المجلس والأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية مؤكدا على حرص المجلس على الاستفادة دائما من فكر مصر ونشره فى العالم كله خاصة بين الشباب .

وصرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقب لقاء الرئيس بأعضاء هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة : بأن مصر رئيسا وحكومة وشعبا وجميع الدول العربية والإسلامية رؤساء وحكومات وشعوبا تسعى من أجل أن تكون القدس عربية إسلامية وعاصمة لإخواننا فى فلسطين .

هذا وقد بدأت فعاليات مجلس هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة مساء يوم الأربعاء الموافق ١١ شوال ١٤١٧ هـ ١٩ فبراير ١٩٩٧ م حيث بحثت الهيئة الموضوعات المدرجة فى جدول أعمالها فاستمعت لبيانات السادة أصحاب المعالى والفضيلة رؤساء اللجان المتخصصة بالمجلس حول نشاطات تلك اللجان خلال الفترة الماضية .

كذلك استعرضت الهيئة العديد من الموضوعات الهامة وعلى رأسها قضية القدس . فناقشت الهيئة موضوع عقد (ندوة القدس الدولية) فى وقت لاحق من هذا العام حيث تعقد فى إحدى العواصم الأوربية للدفاع عن المدينة المقدسة فى مواجهة التهويد والاستيطان .

وبعد مناقشات استمرت مدى يومين أصدرت الهيئة عدة توصيات وقرارات كان من أبرزها إنشاء مركز عالمى للدعاة فى مصر لتلبية احتياجات العالم الإسلامى من الدعاة الأكفاء القادرين على مواجهة القضايا المعاصرة والتصدى لحملات تشويه الإسلام .

وفى نهاية اجتماعات الهيئة أبرقت لفخامة الرئيس مبارك شاكرة استقباله لأعضاء الهيئة ودعمه المتواصل المثمر لنشاطات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

كذلك أصدرت الهيئة بيانا استنكرت فيه الاعتداء الغاشم الذى وقع على إحدى الكنائس بمدينة أبو قرقاص بمحافظة المنيا وراح ضحيته أرواح مصريين أبرياء .

وأشار البيان إلى أن هذا العمل الإجرامى تحرمه الأديان السماوية ، وفى مقدمتها الإسلام ، كذلك يأباه الضمير الإنسانى اليقظ .

وتعليقا على ظهور طائفة عبدة الشيطان .. أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الإسلام دين يدعو إلى السلام كما يدعو إلى العلم والقضاء على الأمية بكافة أشكالها وصورها .. وأعرب عن أسفه لظهور تلك الطائفة فى مصر ، مشيرا إلى ضرورة أن ينتبه الآباء إلى أبنائهم ، وأن يقوموا بتربيتهم تربية دينية واجتماعية صحيحة . وقال : إن عبدة الشيطان انحراف فكرى يتحمل مسئوليته الآباء .

كذلك وصف الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف عبدة الشيطان بأنهم شياطين الإنس غرتهم فتنة المال والبذخ والترف وغياب دور الأسرة .

وأكد فضيلته أن الشطط العقلى الذى تجلى فى عبادة الشيطان ومن قبلها الإرهاب ليس من نبت مصر الإسلامية ، ولم يحدث فى تاريخها .

وأضاف فضيلته قائلا : إن ما أصاب قلة من شباب مصر من موجات تحلل سافرة لا تعد ظاهرة ، وإنما لا تعدو أن تكون إحدى موجات التحلل الخلقى الذى يصيب المجتمعات .

ومن جانبه أشار فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى جمهورية مصر العربية إلى أن أفكار تلك الجماعة وافدة ومشوشة ومتناقضة تهدف إلى إثارة الفساد داخل المجتمع ، الأمر الذى يدعو المجتمع كله لمقاومته .

وأضاف فضيلته إلى أن أسباب ظهور تلك الأفكار ترجع إلى الإهمال فى تربية النشء داخل الأسرة وقصور الرعاية الرياضية والثقافية داخل المدرسة .

هذا وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا يُسمح ـ بمقتضاه ـ للطالب الناجح فى امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية ويرغب فى تحسين درجاته بدخول امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية وفق القواعد التى يصدر بتنظيمها قرار من شيخ الأزهر بناء على اقتراح قطاع المعاهد الأزهرية ـ وذلك مقابل أدائه مصاريف ـ إعادة امتحانه ـ وقدرها (مائة واثنا جنيه) تؤول إلى إيرادات الدولة وفقا للقواعد المالية المقررة .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

استقبالات الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم السبت الموافق ١٤ شوال ١٤١٧ هـ - ٢٢ فبراير ١٩٩٧ م سماحة الشيخ / محمد مهدى شمس الدين - رئيس المجلس الشيعى الأعلى بلبنان والوفد المرافق لسماحته .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون العلمى والثقافى والدينى بين الأزهر الشريف والمجلس الشيعى الأعلى بلبنان والتقريب بين المذاهب الدينية المختلفة ، كما طلب سماحة الشيخ / محمد مهدى من فضيلة الإمام الأكبر إمداد الجامعة فى لبنان بالأساتذة والمناهج والمراجع الدينية والعلمية والثقافية حيث إنها جامعة وليدة تحتاج إلى مساعدة الأزهر الشريف ودعمه علميا وثقافيا وفنيا لما للأزهر بمعاهده وجامعته العريقة من دور بارز فى شتى أنحاء العالم لنشر الثقافة الدينية الإسلامية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والبعد عن التعصب الأعمى والتمسك بالوسطية والاعتدال .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ محمد مهدى ووعد بدراسة كافة المطالب التى تقدم بها الضيف الكبير معربا عن استعداد الأزهر الشريف الدائم لمعاونة الجميع فيما يعود بالنفع على أمتنا العربية والإسلامية .

هذا وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر دعوة رسمية لزيارة لبنان من رئاسة المجلس الشيعى الأعلى بلبنان وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة توطئة لتلبيتها .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأربعاء البابا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية الذى حضر لمشيخة الأزهر الشريف لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك ، وقد شكر فضيلة الإمام له هذه الزيارة متمنيا للوحدة الوطنية كل تقدم واستقرار نهوضا بمصلحة مصر العليا وإعزاز لشأنها .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٠ شوال ١٤١٧ هـ ـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٩٧ م السيد / ديفيد بلازويك سفير المملكة المتحدة بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف والمملكة المتحدة فى مختلف المجالات الثقافية .

وقد تسلم فضيلة الإمام الأكبر من الضيف دعوة رسمية من كبير أساقفة كانتربرى القس / جورج كانتوار .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الضيف على هذه الدعوة ووعد بتلبيتها وحمل الضيف إبلاغ تحياته لكبير أساقفة كانتربرى .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الاثنين ١٦ شوال ١٤١٧ هـ ـ ٢٤ فبراير ١٩٩٧ م الدكتور / بيتر بيوت مدير برنامج الأمم المتحدة للإيدز يرافقه الدكتور / محمد إسحاق الخواشجى ممثل منظمة الصحة العالمية .

تم خلال اللقاء بحث الإجراءات التى تتخذها المنظمة لمكافحة الإيدز على مستوى العالم أجمع موضحا مدى خطورة هذا المرض وسبل مكافحته والوسائل المتعددة للقضاء عليه وأهمية الدور البارز للأزهر الشريف فى المجال الإعلامى والدينى فى مكافحة هذا المرض كذلك تم بحث قيام الأزهر الشريف بمساعدة المنظمة فى برنامجها فى هذا المجال من خلال علمائه وكوادره العلمية ممثلة فى معاهده وجامعته العريقة .

وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر من الضيف دعوة لحضور المؤتمر الذى تنظمه الأمم المتحدة فى السنغال خلال العام الحالى ، وذلك فى إطار محاربة المنظمة لهذا المرض الخطير .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية طلب الأمم المتحدة بمساعدة المنظمة فى محاربة هذا المرض ، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف بكافة هيئاته وعلمائه يعمل على نشر الفضائل ومحاربة الرذائل ـ ومنها العلاقات الجنسية غير المشروعة ـ مشاركة منه فى محاربة هذا المرض اللعين وذلك من خلال المنابر والندوات العامة واللقاءات المختلفة ، لأن محاربة هذا المرض فرض على كل عاقل .

كذلك وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية الدعوة للمشاركة فى المؤتمر المزمع عقده فى السنغال هذا العام .

● تلبية للدعوة الموجهة من السيد الدكتور كلاوس كينكل المستشار الاتحادى ووزير الخارجية الألمانى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يقوم فضيلته على رأس وفد بزيارة دولة ألمانيا من الفترة من ١٩٩٧/٣/٩ إلى ١٩٩٧/٣/١٦ وقد صدر قرار بتشكيل الوفد المرافق له على النحو التالى :

١ ـ الأستاذ الدكتور / توفيق حامد شريف

برج .. الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر الشريف .

٢ ـ السيد الأستاذ / رجب مرسى البنا .. رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير مجلة أكتوبر .

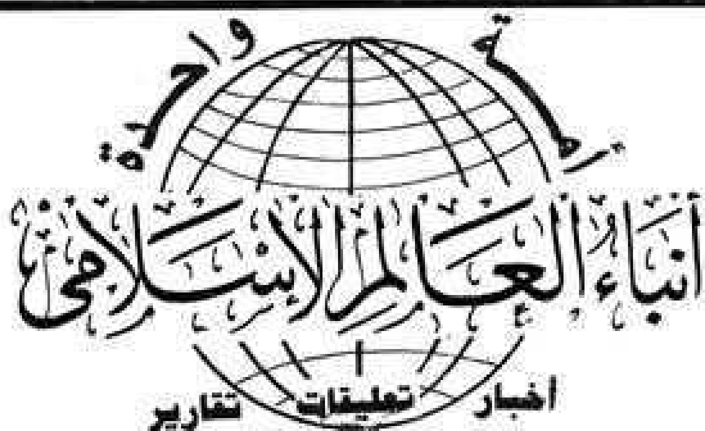
٣ ـ فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على .. مدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

٤ ـ السيد الرائد / أشرف فتحى رضوان .. رئيس قوة حرس مكتب شيخ الأزهر الشريف .

٥ ـ السيد / شريف أحمد فؤاد عبدالرحمن .. مدير التصوير بالتليفزيون المصرى .

ويقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال هذه الزيارة بعقد عدة لقاءات مع بعض الشخصيات السياسية والعلمية والاجتماعية ومنها لقاء مع أعضاء الاتحاد الإسلامى فى « مانهايم » وصلاة الجمعة بمسجد السلطان سليم بمدينة « مانهايم » كذلك يقوم فضيلته والوفد المرافق بزيارة لمدينتى بون وبرلين ، ويلبى فضيلته زيارة رسمية لرئيس جمهورية المانيا الاتحادية « رومان هيرتزوج » بمقر الرئاسة ، ثم لقاء تنظمه جمعية الصداقة العربية الألمانية كذلك من المنتظر أن يشارك فضيلته فى الندوة التى ستضم العديد من العلماء وممثلى الفئات والمؤسسات الاجتماعية والناشرين البارزين . ثم لقاء مع مجلس مديرى مؤسسة « كونراد إدناور » ومركز للأبحاث تابع للحزب المسيحى الديمقراطى الذى يرأسه المستشار هيلموت كول .

تأتى هذه الزيارة فى إطار برنامج ضيوف جمهورية المانيا الذى يتم اعتماده من البرلمان الاتحادى ويتم تنفيذه تحت رعاية معالى نائب المستشار الاتحادى ووزير خارجية المانيا .



للدكتور/ حسن على محمد
مدرس الإعلام - جامعة المنيا

أولاً : أخبار الأقليات الإسلامية

- في الصين : ١٠٠٠ معتقل من المسلمين في السجون الصينية .
- في موسكو، لأول مرة مهرجان دولي لتلاوة القرآن الكريم سنوياً .
- في أمريكا ، التقارير تؤكد فرصاً كبيرة لنشر الإسلام هناك .
- وعن حالة اللاجئين ، ٨٠٪ من لاجئي العالم من المسلمين ..!!

ثانياً : أخبار العالم الإسلامي

- في العراق ، ٢ مليار دولار من بتروله تستخدم في الغذاء والدواء والديون
- في فلسطين ، حي استيطاني جديد في القدس ..!!
- أفغانستان ، تسعة أيام مهلة لاطلاق اللحى وللمخالفين السجن ..!!
- مصر ، ١٤٤٦٢ عاملاً بالأزهر منحهم الإمام الأكبر علاوات تشجيعية .

أخبار | تقارير | تعليقات | تحليلات

الأقليات الإسلامية فى العالم

حملة إعدامات واعتقالات واسعة للمسلمين فى الصين

● بكين – وكالات الأنباء.

نفذت فى الآونة الأخيرة السلطات الصينية حملة إعدامات واعتقالات للمسلمين فى إقليم شينجيانغ غرب الصين حيث تم إعدام ١٠٠ مسلم واعتقال ١٠٠٠ آخرين.

والجدير بالذكر أن سجون الصين ضمت فى الأشهر الأخيرة ٧٥,٠٠٠ سجين، كما بلغ حصاد المواجهات الدامية مع الشرطة هناك ١٧٠٠ شهيد.

● بلجراد – وكالات الأنباء.

أعلنت قوة حفظ الاستقرار التابعة لحلف شمال الأطلنطى أن منازل المسلمين لازالت هدفا للقناصة الصرب، كما أعلنت أن منزلا لأسرة مسلمة قد نسفه الصرب فى شمال البلاد.

ومما يذكر أن الصرب يرفضون عودة العائلات المسلمة إلى منازلها ويقومون بتدمير جميع المنازل الصالحة للسكن لإجبار المسلمين على عدم العودة.

● روسيا.

عقد فى مسجد موسكو مهرجان لتلاوة القرآن الكريم شارك فيه عدد من الأطفال المسلمين الروس، والجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى.

وقد تقرر أن يعقد هذا المهرجان سنويا لتشجيع النشء على حفظ القرآن الكريم.

العالم الإسلامى

● السعودية.

برغم اعتراض إسرائيلى فج، تعتزم المملكة العربية السعودية شراء ١٠٠ طائرة إف ١٦ من شركة « لوكهيد » الأمريكية فى اتجاه واضح لدعم القوة العسكرية السعودية.

وقد استطاع رئيس الوزراء الإسرائيلى خلال زيارته الأخيرة لواشنطن أن يحرك جماعات المصالح اليهودية بأمريكا ضد الرغبة السعودية على اعتبار أن قوة أية دولة عربية تعتبر تهديدا لأمن إسرائيل ..!!

والجدير بالذكر أن دول الخليج تنفق حوالى ٨٠ مليار خلال السنوات الخمس القادمة لتطوير جيوشها.

● العراق.

أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٩٨٦ الذى يرخص للعراق بيع ما قيمته « ٢ مليار دولار » من بتروله خلال ستة أشهر لشراء غذاء ودواء، ويخصص جزء منه للتعويضات التى تطلبها الكويت.

• • تعليق الأزهر،

في سلوك دولي معيب يكشف عن انحياز فاضح للأمم المتحدة مع إسرائيل وضد المسلمين في العالم ، لم تبدأ بعد إجراءات الأمم المتحدة لإغاثة أطفال العراق بالغذاء والدواء .

وبشهادة المراقبين الدوليين فقد أوفى العراق بالشروط الدولية وحتى الآن لم يحصل العراق لا على الغذاء ولا على الدواء فيما عدا صفقة قمح استرالي ، وأخرى خاصة بأرز تايلاندى .. !! .

• القدس المحتلة ،

يراهن رئيس الوزراء الإسرائيلي في محاولة منه لاسترضاء المتعصبين اليهود .. ، يراهن على بناء حي استيطاني كامل في القدس المحتلة لتهويدها كاملا ، ولطمس الوجود الإسلامي فيها ..

وصف وزير الخارجية البريطاني خطط إسرائيل لإقامة حي جديد في منطقة (هار حوما) في القدس الشرقية بأنه نكسة ، وأنه من المؤسف أن تمضي إسرائيل في خطتها في هذه المرحلة الراهنة .

• • تعليق الأزهر،

أين المجتمع الدولي .. وقرارات مجلس الأمن .. والفصل السابع .. والعقوبات ضد المعتدى ... ؟؟ .

ثم أي أسف هذا الذي تأسفه بريطانيا .. أليست هي التي وراء ذلك كله منذ كان الانتداب .. ! ؟ .

• المغرب،

تم بين المملكة المغربية وإيران عقد اجتماع تحضيري لاجتماع اللجنة المغربية الإيرانية للتعاون الاقتصادي المقرر عقده في العاصمة المغربية .

وقد أشادت الخارجية المغربية بالتعاون الأخوى القائم بين الدولتين الإسلاميتين في ظل التكتلات الدولية الراهنة .

كذلك يقوم وفد من رجال الأعمال المغاربة بزيارة لمصر في الشهر الحالي « ذي القعدة/مارس » لبحث التعاون الاقتصادي بين مصر والمغرب .

• البحرين،

يعقد بالعاصمة البحرينية معرض الكتاب الإسلامي التاسع (أقرأ ٩٧) تحت رعاية رئيس وزراء البحرين .

وقد وصل عدد المشاركين من مصر حتى الآن ١٢ دار نشر حكومية وقطاع خاص .

• مصر،

وافق فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر على منح (١٤٤٦٢) عاملا بالأزهر الشريف والمناطق الأزهرية بالمحافظات علاوات تشجيعية .

صرح ـ للأزهر ـ السيد فاروق عابدين رئيس نقابة العاملين بالأزهر بأنه تم تحقيق العدالة في منح هذه العلاوات من منطلق حرص الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إثابة المجتهدين والارتقاء بالأزهر الشريف .

تقرير الشهر

مجموعة الدول الإسلامية الثمانية

تكتل إسلامى اقتصادى جديد برز إلى عالم الوجود فى الشهور الأخيرة بمبادرة من رئيس الوزراء التركى أربكان ، وقد حرص على أن تضم هذه المجموعة كلا من :—

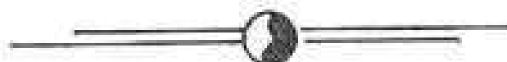
تركيا ـ ماليزيا ـ إيران ـ نيجيريا ـ مصر ـ إندونيسيا ـ باكستان ـ بنجلادش .

والملاحظ أن هذه الدول الثمانى تضم أكبر قوة بشرية فى العالم الإسلامى ، وأنها جميعا تأخذ بأسباب النمو ، وتحتل مراكز جغرافية حاكمة فى البحار والمحيطات ومواقع حقول البترول .

تأمل دول المجموعة أن تكون نواة لوحدة إسلامية تشمل العالم الإسلامى شرقا وغربا فى مواجهة التكتلات الدولية .

وقد صرح رئيس الوزراء التركى أن لديه الأمل فى أن تكون هذه المجموعة قوة معادلة اقتصاديا للدول الصناعية السبع التى تضم الدول الكبرى شرقا وغربا كاليابان وأمريكا وألمانيا وبريطانيا..... الخ .

يمثل هذا المشروع [تكتل الدول الإسلامية الثمانية] خطوة مأمولة ومرجوة لمواجهة الضغوط الدولية لتحرير التجارة ، وللوقوف ضد سلبيات النظام العالمى الذى لم يضع فى حسبانه المسلمين وخسائرهم ونرى أن المشروع التركى أتى فى موعده تماما .. وعسى أن يخطو إلى الأمام خطوات واثقة ..



Surate 23 "al-Mu'minune" Les croyants V. 5 et 6.

Les mêmes versets reviennent textuellement dans la Surate "al-Ma'arig" (Les Escaliers) ce qui prouve l'importance accordée à la chasteté. De même, on trouve dans le Coran la prohibition de l'adultère et de ce qui y mène, ainsi que la menace des pires châtiments pour ce péché.

Quant au rappel de la mort, nos pieux ancêtres ont dit: "Celui qui cherche une exhortation, la mort lui suffit". Le rappel de la mort est un facteur primordial qui retient l'homme de commettre ce qui suscite la colère du Seigneur. Ce rappel et ce qui suit la mort sont des bienfaits qu'Allah accorde aux plus fidèles de Ses serviteurs. Il a dit: [Et rappelle-toi Abraham, Isaac et Yacob, nos serviteurs puissants et clairvoyants. Nous avons fait d'eux l'objet d'une distinction particulière: le rappel de l'au-delà].

Surate 38 "Çad" V. 45 et 46.

Quant au rappel de l'anéantissement, il signifie que tout ce qui se trouve sur la terre sera réduit à néant; donc, pourquoi s'attacher aux plaisirs éphémères? Pourquoi lutter pour ces plaisirs, puisque le corps avec tous les aliments qui l'ont nourri, tous les vêtements qu'il a portés sera anéanti? Allah -gloire à Lui- a dit: [Tout ce qui est sur la terre doit disparaître - Seule la Face de Ton Seigneur, pleine de majesté et de noblesse subsistance].

Surate 55 "ar-Rahman" Le Tout Miséricordieux V. 25 et 26.

Le rappel de la mort et de l'anéantissement amène l'homme à sa souvenir du jour où il comparaîtra devant Son Seigneur et où il sera interrogé: à quoi a-t-il passé sa vie? qu'a-t-il fait de son savoir? comment a-t-il amassé ses biens et à quoi les a-t-il dépensés? qu'a-t-il fait de son corps? L'homme croyant, par pudeur envers Son Seigneur, n'aime pas que ses réponses provoquent l'insatisfaction d'Allah ou qu'elles soient pour lui une cause d'humiliation et de déshonneur.

A suivre

---

2) Le Hadj absoud tous les péchés, mais à condition que l'argent dépensé sur le Hadj provienne d'un gain licite. Le Prophète -b.s.- nous donne l'exemple de l'homme qui prolonge son voyage de Pélerinage, s'expose aux difficultés, aux intemperies atmosphériques, puis lève ses mains, pour implorer Son Seigneur et malgré cela tous ses efforts sont vains.

Un homme demanda au Prophète -b.s.-: "Quand l'Heure Dernière viendra-t-elle". Le Prophète -b.s.- lui répondit: Comment Qu'as-tu préparé pour ce jour? "Et cela, pour nous prouver que nous devons réfléchir sur ce qui est exigé de nous et non sur ce qui nous a été prédestiné. Le Coran blâme celui qui médite sur ce qui ne relève pas de ses capacités, Il nous dit: [L'homme vaudrait plutôt continuer à vivre en libertin; il interroge: "Quand, le Jour de la Résurrection viendra -t-il?"]

Surate 75 "al-Qiyamah" La Résurrection V.5 et 6.

Il ne faut pas que l'homme se préoccupe de la conduite d'autrui, ni qu'il pense à nuire aux autres, ni les épier ni dire du mal d'eux. En ce qui concerne le ventre et les entrailles, il est fait allusion à la maitrise des passions et des instincts sexcuels. De plus, on ne doit manger que ce qui est licite. De son vivant, le Prophète -b.s.- recommandait à l'un de ses compagnons: "Ne mange que de ce qui est licite et alors tes invocations seront exaucées".

Hadith rapporté par Ibn Abbas - Tabarany.

Le Prophète -b.s.- nous montre que celui qui mange ce qui provient d'un gain illicite verra toutes les portes du ciel fermées à ses invocations. Il nous dit: "Tu vois l'homme aux cheveux ébourriffés, poussiéreux, voyageant longtemps, levant ses mains et dire: "mon Seigneur! Mon Seigneur" alors que sa nourriture provient d'un gain illicite, que ses vêtements sont achetés avec de l'argent illicite, sa boisson est illicite, il est entièrement nourri de gains illicites, comment donc ses invocations peuvent-elles être exaucées?"[2]

Hadith rapporté par Muslim

La chasteté est l'un des préceptes les plus importants qu'Allah a ordonné de respecter. Il a dit: [Dis aux croyants de baisser leurs regards et de préserver leur chasteté. Cela est plus pur eux. Allah est certes au courant de ce qu'ils font. Et dis aux croyantes de baisser leurs regards, de préserver leur chasteté].

Surate 24 "al-Nur" La Lumière V. 30 et 31

Allah -gloire à Lui- a loué ceux qui obéissent à Ses ordres, Il a dit: [Et ceux qui préservent leur sexe (de tout rapport), si ce n'est avec leurs épouses ou les femmes qu'ils possèdent, car là vraiment on ne peut les blâmer].

La verset a signalé les deux choses les plus importantes dans la vie: les moyens de subsistance et la mort. Les moyens de subsistance, Allah -gloire à Lui- les a assurés pour chaque créature. Il a dit: [C'est Allah qui vous a créés et a pourvu les substances, ensuite Il vous fera mourir puis Il vous ramènera à vie]. Surate 30 "al-Roum" (Les Byzantins) V. 40.

Il s'adresse à son Prophète -b.s.- bien-aimé en ces termes: [Nous ne te demandons point de nourriture: c'est à nous de te nourrir].

Surate 20 "Taha" V. 132

Allah -gloire à Lui- nous montre que les modes de substance sont entre ses mains, ils sont fixés et prédestinés. Allah a dit:
[Et il y a dans le ciel votre subsistance et ce qui vous a été promis].

Surate 51 "al-Zariyat" Oui Eparpillent V. 22.

Quant à la mort et au destin de toutes les créatures, Allah par miséricorde les a caché et en a conservé le secret. Il a dit: [Et personne ne sait dans quelle terre il mourra]

Surate 31 "Luqman" V. 34.

Il nous montre aussi que personne ne peut échapper à la mort. Il nous dit: [Où que vous soyez, la mort vous atteindra, fussiez-vous dans les tours imprenables].

Surate 4 "al-Nissa" Les Femmes V. 78

Allah -gloire à Lui- nous explique que la mort n'est qu'une date remise et que c'est Lui seul qui en fixe le terme. Il nous dit: [Pour chaque communauté il y a un terme. Quand leur terme vient, ils ne peuvent le retarder d'une heure ni le hâter].

Surate 7 "Al-Araf" Les Limbes V. 34

Donc, il ne faut pas que quelqu'un se préoccupe des modes de subsistance ni du destin; car c'est Allah qui en a assumé la charge mais l'homme doit d'abord cherche à améliorer sa relation avec son Seigneur à méditer sur Ses signes et Ses grâces, comme nous le dit ce verset: [Et c'est à Lui que revient l'ordre tout entier. adore - Le donc et place ta confiance en Lui. Ton Seigneur n'est pas inattentif à ce que vous faites].

Surate 17 "Hud" V. 123

En quoi consiste donc la pudeur? Il faut éprouver de la pudeur envers Allah, envers les gens et envers soi - même. En faisant preuve de pudeur envers soi - même l'homme pudique ne commet pas dans sa solitude ce qui le gênerait en présence d'autrui. Le Prophète -b.s.- dit un jour à ses compagnons: "Soyez pudiques envers Allah comme il convient". Les compagnons répondirent "nous le sommes, qu'Allah soit loué". Le Prophète -b.s.- leur dit: "Ce n'est point cela mais pour être vraiment pudiques devant Allah, gardez-vous de Lui manquer de respect: préservez la tête et tout les pensées qu'elle renferme le ventre et ce qu'il contient... ayez toujours présentes à l'esprit, la mort et la décomposition de votre corps... celui qui recherche la vie future néglige les parures de la vie d'ici - bas et préfère la vie future à la vie présente; celui qui agit ainsi a vraiment fait preuve de devant pudeur son Seigneur".

Hadith rapporté par al-Termizie.

Les savants ont expliqué la sens de la pudeur envers Allah, il ont dit: Allah ne doit pas constater ton absence durant les pratiques religieuses qu'Il a prescrites ni te trouver dans les prohibitions qu'Il a interdites. La tête comporte le visage: réseau de presque tous les sens: vue, ouïe, odorat et goût, elle comporte aussi l'imagination et la mémoire. Le respect des organes de la tête il consiste à ne pas s'occuper de ce qui ne nous regarde pas; ni surveiller les gens, ni les épier à l'aide des yeux, des oreilles, ni signaler leurs défauts avec la langue, ni utiliser à tort ses sens (contrairement à ce à quoi ils sont destinés). Celui qui poursuit les imperfections des gens, ne cessera d'éprouver du chagrin. Allah ne nous a pas tous dotés de nos facultés mentales identiques; donc personne n'a le droit des s'occuper des actes d'autrui qui sont en fait les produits de son intelligence... Le cerveau de chaque homme est complé parmi les grâces qu'Allah lui octroie. Il ne faut pas non plus se préoccuper du lendemain, car, Allah -gloire à Lui- a dit: [Et personne ne sait ce qu'il acquerra demain, et personne ne sait dans quelle terre il mourra].

Surate 31 "Luqman" V. 34.

1) L'intervention du Prophète -b.s.- dans ce cas est une invitation à laisser se développer ce caractère dans l'âme du musulman et à ne pas le contrarier, dût-il se priver de quelques simples droits, car perdre ces droits est plus avantageux pour le musulman que de perdre sa pudeur qui représente une partie de sa foi et la source du bien pour lui.

«La pudeur»

Trad. : Hoda Hussein Chaaraoui

La pudeur c'est le fait de se retenir d'accomplir n'importe quelle action laide, c'est un trait de caractère qui empèche de commettre ce qui peut nous attirer les reproches et les critiques. La pudeur est aussi un trait de caractère inné. Allah - gloire à Lui - nous le suggère par le récit - d'Adam et Eve - lorsqu'ils mangèrent le fruit de l'arbre défendu et que leurs parties intimes leur apparrent dans leur nudité: [Puis, lorsqu'ils eurent goûté de l'arbre, leurs nudités leur devinrent visibles, et ils commencèrent tous deux à y attacher des feuilles du Paradis pour cacher ce qui a été découvert].

Surate 7 "Al-Araf" les Limbes V. 22.

Adam et Even ont caché instinctivement leur nudité, car la pudeur est une qualité inhérente à la foi. Le Prophète -b.s.- dit: "La foi comprend plus de 70 branches - ou plus de 60 - dont la meilleure c'est l'attestation qu'il n'y a de Dieu qu'Allah et la moindre c'est l'action de débarrasser la voie publique de ce qui peut nuire aux autres. La pudeur est l'une des branches de la foi".

Hadith rapporté par al-Bokhary.

Cette qualité, quand elle se développe chez un homme, n'engendre que du bien. Le Prophète -b.s.- a dit: "La pudeur est un bien en tout". Hadith rapporté par al-Bokhary.

Un jour, le Prophète -b.s.- vit en passant, un ançariste en train de reprocher à son frère (à cause de) sa pudeur: "Cesse tes reproches, lui dit-il, la pudeur fait partie de la foi".[1]

Le Prophète avertit sur l'importance de la pudeur; il nous dit: l'un des préceptes de la première prophétie parvenue aux hommes est "celui qui n'a point de pudeur, agit à sa guise".

nous permet de manifester notre indulgence et notre pardon au malade si ce dernier nous a causé du tort lorsqu'il était puissant et despotique.

Ce malade donc vivait dans le lux et l'opulence. Il dépensait largement du trésor public en donnant à ceux qui méritent et à ceux qui ne méritent pas. Puis, lorsqu'il tomba malade et qu'il se trouva sur le point de comparaître devant son Seigneur, il se mit à passer en revue toutes ses actions et à se rappeler de l'argent dont il s'était emparé injustement et de ce qu'il avait dépensé sans raison valable.

Or, cet homme connaissait le mérite de "Abdallah Ibn Omar, sa piété et sa vertu; aussi eut-il recours à lui pour le supplier en ces termes. «N'invoqueras-tu pas Allah afin qu'Il m'accorde Son pardon et la miséricorde? peut-être Allah exaucera-t-il ta prière et pardonnera-t-il» ?

Or Ibn Omar savait que cet homme, au temps où il travaillait n'était un pas usurpateur. Il savait en outre qu'on a point de droit sur les biens des gens que la prodigalité avec les biens d'autrui est un péché et que l'aumône faite avec de l'argent volé n'est point une aumône.

Ibn Omar savait bien cela et il voulait le dire à cet homme afin que ce dernier fasse quelque chose pour se sauver en s'abstenant de commettre le péché après qu'il demande aux hommes pieux d'invoquer Allah en sa faveur. Aussi lui dit-il:
"J'ai entendu le messager d'Allah -b.s.- dire: «Ni la prière sans ablution, ni l'aumône faite par un usurpateur ne sont acceptées.» Or toi tu savais bien ce que tu faisais. Ton salut donc réside dans la restitution des biens à ceux à qui ils reviennent de droit et à effacer les injustices que tu as commises.»

C'est comme s'il lui disait: «Tu souhaites le salut sans emprunter les voies qui y mènent. Or le vaisseau ne peut voguer sur le sol. Il voulait lui dire par là: «Je vais invoquer Allah pour toi, mais il faut que tu saches que les droits des gens ne peuvent être rachetés que par leur restitution et non par les invocations. Restitue donc autant que tu le peux les droits des gens et ne perd pas l'espoir en la miséricorde d'Allah car Allah est le Clément et le Miséricordieux» Commence par te juger toi-même avant d'être jugé par Allah et repens-toi.»

"Nous souhaitons le salut sans emprunter les voies qui y mènent"

par Dr. Rokeya Gabr

Les directives du Prophète Mohammad - à lui bénédiction et salut sont si profondes et si vastes qu'elles n'ont laissé aucun domaine de la vie du musulman sans le traiter avec une profonde sagesse. A travers ses paroles, il prescrit un remède efficace qui nous assure la guérison et le repos de la conscience ainsi que l'approbation d'Allah.

Voici un hadith qui montre comment le prophète Mohammad -b.s.- guide sa communauté.

Selon "Ibn Omar" -qu'Allah soit satisfait de lui- a dit:

"J'ai entendu le Messager d'Allah dire: "Ni la prière sans purification, ni l'aumône faite par un usurpateur ne sont acceptées

(Hadith rapporté par Muslim)

Voici les circonstances dans lesquelles ce hadith fut prononcé:

Abdallah Ibn Omar qui était connu pour sa piété, sa vertu et son souci permanent de suivre à la lettre l'exemple du prophète -b.s. De plus, il s'acquittait parfaitement de son devoir de musulman: il recommandait de faire le bien et interdisait de faire le mal.

Abdallah Ibn Omar se rendit donc auprès d'un mourant car la visit du malade est une "sunna" assurée. En effet le visiteur en tire une leçon lorsqu'il voit la pâleur couvrir le visage jadis épanoui. Les muscles robustes devenir flasques et la tyrannie céder la place à l'humilité. Loué soit celui qui est éternel.

En outre la visite du malade réchauffe le coeur de ce dernier et nous permet de nous acquitter un devoir envers celui qui a des droits sur nous et à qui nous sommes redevables. D'autre part, cette visite

REVUE AL AZHAR

Vol. 69 part XI

Zu-l-Qeda 1417H., Mar. 1997.

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

"But they killed him not, nor crucified him. Only a likeness of that was shown to them. And those who differ therein are full of doubts, with no (clear) knowledge. But only conjecture to follow, for a surety they killed him not; - Nay, Allah raised him up to Himself; and Allah is Exalted in Power, Wise -"

This is the view of Islam, which is completely different from that of the Jews and that of Christians. He was neither crucified nor killed.

The aim of, this article is to verify this statement from the Holy Qur'an; Verses from the Old Testament and the Bible will be used to support this statement.

The Orthodox Christian Churches make it a cardinal point in their doctrine that his life -Jesus- was taken on the Cross, that he died and was buried, that on the third day he rose in the body with his wounds intact, and walked about and conversed, and ate with his disciples, and was afterwards, taken up bodily to heaven. This is necessary for the theological doctrine of blood sacrifice and vicarious atonement for sins. Islam rejects this view. But some of the early Christian sects did not believe that Christ was killed on the corss. The Basilidans believe that some person was substituted for him. The Docetae held that Christ never had a real physical or natural body, but only an apparent or phantom body and that the crucifixion was only apparent, not real. The Marcionite Gospel (about A.D. 138) denied that Jesus was born, and merely said that he appeared in human form. The Gospel of St. Barnabas supported the theory of substitution on the Cross. The Qur'anic teaching is that Christ was not crucified nor killed by the Jews, notwithstanding certain apparent circumstances, which produced that illusion in the minds of some of his enemies; that dispositions, doubts, and conjectures on such matters are vain; and that he was taken up to Allah*.

(to be continued)

(*) The Holy Qur'an English Tanslation of the meanings and Commentary P. 267-288.

JESUS CHRIST WAS NOT CRUCIFIED

By Dr. Ahmed Shawky Arafa

The belief in the crucifixion of Jesus Christ is an important dogma of the Christians religion. It is the corner-stone of Christianity believe that the Jews killed the Messiah on the corss. This is stated in the Bible.

The Jews believe that they had killed Jesus on the corss. They even boast committing this heinous crime and mockingly say that they have killed Jesus the messenger.

This is clearly stated in the following verses of the Qur'an. These verses also describe several iniquities of which the Jews were guilty. These iniquities incurred divine displeasure as found in verses 4:155-158.

> "(They have incurred divine displeasure): in that they broke their Covenant; that they rejected the Signs of Allah; that they slew the Messengers in defiance of right; that they said: "Our hearts are the wrappings"; -nay, Allah hath set the seal on their hearts for their blasphemy, and little is it they believe; -"

The arrogant Jews of Madina told prophet Muhammad that their hearts are wrapped, so they do not understand what he is telling them. They also claim that all the wisdom and all knowledge of Allah is enclosed in their hearts.

> "That they rejected faith; that they uttered against Mary a grave false charge";

They alleged that she was an adulteress. They also alleged that Jesus was illegitimate.

> "That they said (in boast)," We killed Christ Jesus the son of Mary, the Messenger of Allah";-

The Jews claimed boastfully that they killed the messenger of God. They were also sarcastic as they did not recognize Jesus as a messenger.

nature of its Prophet (Peace be upon him) and holy book, " The Quran". In the author's view the great handicap for the Muslims is their inability and failure to utilize the modern Western mass media particularly we are living in a global village and an immense revolution in media technology represented by the satellite and the internet.

Dr. Akbar Ahmed opines that Western media encourage Muslim orthodoxy through focussing on it and neglecting other fundamentalist group in other religions. thus Islamic fundamentalism became the Western bogeyman.

In conclusion the author calls for building bridges between Islam and the West and insisted that efforts for this end should be exerted from both sides. In his view an important step in this direction is addressing the injustice done towards Bosnians, Palestinians and Kashmiris.

After reading the book and listening to some lectures by Dr. Ahmed, one finds himself in a position not only to appreciate the approach by Dr. Ahmed but also wishes that such ideas could got the greatest chance of publicity world-wide. by doing so a great contribution to redress the distorted image of Islam would be done and the road will be paved towards more cooperation between the Muslims and the West to enable the Muslims to rebuild their societies and to be ushered into the 21st century on solid ground.

one, the author ponders upon the distorted image of Islam in the West and the factors contributing to this, either related to the historical prejudices between the West and the Muslim World or due to the narrow mindedness of some Muslim religious groups towards theological or political issues. The author throws the light

on Gulf War of 1991 and the Imam Khomeni's Fatwa against Suleman Rushdi as examples for certain prejudices between the Muslim and the West. The author contends that the richness and complexity of Islamic culture cannot be judged only by such a Fatwa of Khomeni or the slogans raised by Saddam Hussain in the Gulf War.

He emphasizes that the Islam in itself is the history of ideas and their powers to affect peoples actions and life. He calls for "Un-locking Muslim Society", by saying so he emphasizes that the West should try to understand Islam according to its ideal emanating from the Quran and the life of the Prophet (Peace be upon him) particularly the Islamic ideal is based on the concept of balance and order. The author recognizes that unfortunately the Muslims do not live by the ideal as many of Muslims societies are plagued by anarchy, corruption, nepotism, and tyranny. He calls for correction of concepts such as the Ummah, Jehad, Fatwa, Da'awah and the role of Muslim religious leaders. These concepts have been distorted and misused which led to conflicts in Muslim societies as well as between the Muslim and the West.

The concept of Ummah or community or brotherhood allows ideas to be carried across and generate emotions wherever Muslims live. Jehad is not holy war in fact it means struggle in various forms, physical confrontation is just one form as the great struggle, according to the saying of the Prophet (Peace be upon him) is to be master of our passions and instincts. Fatwa means an opinion or decision on a point of Islamic law by a religious leader but it does not have the status of law. The authority of Fatwa is also restricted to the cultural or geographical boundaries.

In the author's view confrontation between Islam and the West could be avoided and must be avoided as Islam emphasizes co-existence and non-coercion in religion. The Muslims must learn to understand and respect the values of Western society without compromising their own central beliefs and practices. The author advises the West to understand Islam through understanding the

REVIEW OF A BOOK "LIVING ISLAM" BY AKBAR S. AHMED

By Dr. Mohamed Noman Galal

It is a very interesting book written by a Pakistani scholar who is a British national. The book has been telecasted by the BBC series to introduce Islam to the Western public opinion. The book contains more than 230 pages and is divided into six chapters.

The first chapter is an introduction while the second deals with various issues related to Islam-such as the meaning of Islam and the division among the Muslim such as Sunni, Shia and sufi-ism and their role in various Muslim countries.

In the third chapter the author deals with the Islamic societies in an innovative way as he calls it ," The challenges of the past", through an analysis of the history of empires and dynasties such as the Muslim empire in Spain, the Ottoman, the Safavides, the Mughals, as well as the early Arab dynasties. In this chapter the author takes realistic approach in dealing with the divisions in the Muslim world since the early days of Islam and through the ages.

In chapter four the author addresses the dilemma of the Muslim societies today, in modern Turkey, in Iran, in India and deals with the creation of Pakistan and Bangladesh. Moreover, the author addresses the very important topics in the Islamic society, I dare say in modern world, such as the concept of democracy, family and identity.

The author dedicates chapter five to the Muslim minorities in non-Muslim societies either in oriental countries such as India and in Central Asia or in the Western World. He envisages the Muslims in India as people still searching for a destiny. While he characterized Central Asia as Islam Forgotten frontiers.

In chapter six, Dr. Akbar Ahmed addresses the most important question of today, i.e. Islam and the West - confrontation or consensus. In this chapter as well as in the first

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Zu-l-Qeda 1417H.,

Vol. 69 part XI



الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah :
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
Al. - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

ع ٢٢٢٦ / ٢
دوريات

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
دكتور / علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة
● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين.

حقول الشيطان

..وحقول الشيطان .. هي هذه الأبدان .. أبدان الناس..! وبعد :

فليس لأحد أن يدعي أنه يجهل أمر الشيطان ، ولا ما يبغيه هذا الشيطان من البشر ؛ فالقرآن الكريم قد أحاط الناس علما بكل ما يتعلق به :

حدثنا عن خلقه ، وعن سخطه علينا وحقده ، وسبب نقمته وهدفه ، وليس ذلك كل ما هنالك ، بل أعلمنا - عز وجل - بوسائله المختلفة لتحقيق مأربه الذي يريده منا .

يحكي المولى - عز وجل - حديث إبليس عن (مادة) خلقه ، وذلك إذ يقول : ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾[الأعراف - ١٢] ، وهي « نار السموم » .. أشد النار حرارة ... ولقد تذكرنا هذه الحرارة شيئاً من حرّ الدنيا - مع الفارق - فنحن لا نستطيع - عادة - أن نتقي حرّ الجو

بالسهولة التي نتقي بها لسع البرد ، ذلك لأنه يتخلل أجسادنا .. وكذلك الشيطان ينفذ إلى أطواء أبداننا ويجرى فيها مجرى الدم ، فيوسوس بما يشاء كيف يشاء ، وهو على علم وافر بحياة من يُغويه ، وأعماله وصداقاته وأمانيه ، ويلعب بكل ذلك إلا إذا تدارك الإنسان أمره ، واستعاذ بربه .

* * *

وإليك هدفه الذى يحرص بشره مُقيت على تحقيقه فى الناس ، يوضحه المولى ـ عز وجل ـ لنا حيث يقول : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء ـ آية : ٦٠] أى ضلالا يعسر الخلاص منه إلى الهدى والبراءة ، والاستقامة على الخير .

وهذا الإضلال الذى يريده للناس ـ هو الحقيقة السوداء التى نبه عليها القرآن الكريم أكثر من عشر مرات ، نذكر منها قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يوسف : ٥

وتناسينا هذه الحقيقة .. والطريق للخلاص منها ميسور ، قد مهده ـ سبحانه وتعالى ـ برحمته ؛ فقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا .. ﴾ فاطر : ٦ ـ ومقتضى ذلك « المعاملة بالمثل » نبادله العداوة لنعتصم شره ، ونتقى كيده ، ونستمر على ذلك ؛ لأن حبه للبشر مستحيل ، وعداءه قائم أبدًا ... لكننا لم نعمل ، بل أسرعنا إلى تلبية رغباته نشطين فتساقطنا من آلاف السنين .. فكم من البشر عادى الأنبياء ، وكم منهم من قتل وظلم وعاث وفسد ..؟!

وصدَّق إبليسُ ظنَّه ، فتبعه أكثر الناس طائعين ... مختارين فأعمل فيهم : مسّة ، ونزغة ، وأزّه ورجسَه ، ونجواه ووعده ، واستهواءه واستزلاله .. وما أراد من فحشاء أو منكر ، ولكل ذلك جمع الأتباع ... وقانا الله السوء برحمته !

* * *

ومن حقول الشيطان استثن قلبا ... ثم قلبا ... ثم تساقطُ القلوب ، وشرُّها قلبان :

استثن قلبا خلُص لله ، فلم يعد للشيطان فيه نصيب ، فقد نُزع نصيبه منه نزعا ؛ فصاحبه على مناعة تامة من كيد الشيطان .. وذلك قلوب الأنبياء . ولذا كان النبى ﷺ وكل أخوته من الأنبياء ـ عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ لا يقع فى قلوبهم إلا الحق ... إلا الوحى .. إلا الإخلاص ، فإذا حدَّثوا ... حدَّثوا عن وحي وحق ، وانظر قول إبراهيم لإسماعيل ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ ؟ تجد إجابة إسماعيل تلقائية لا تردد فيها ؛ إذ يعلم أن الرؤيا وحى ، فإنه نبى ، فقال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الصافات : ١٠٢ .

نبوة يفهم بعضها بعضا ، ليس للشيطان إليها سبيل .

ثم استثن القلب الآخر ... قلب الرقيب .. ليس قلبَ غوى ولا عربيد .. قلبٌ لا ينسى الله ـ سبحانه ... قد يقع فى الخطأ لكنه سرعان ما يتوب ويجهد فى مراقبة الشيطان ، يسأل ربه : ألا

يتركه لنفسه طرفة عين ، ويستمر يزاول مقاومته ؛ فلا يستطيع الشيطان أن يلقيه فيما يرديه ، ويظل صاحب هذا القلب فى معاناة معه ؛ فلا ينال منه ـ إذا نال ـ إلا فاحشاً ولا استمراراً على خطيئة ... ويستغفر الله صاحبُ هذا القلب فيجد الله غفوراً رحيماً . وهؤلاء هم الذين ليس للشيطان على قلوبهم سلطان يلقيهم فى ذنب تضيق فيه الإنابة ؛ لأنهم دائماً ـ لله توابون ـ فإنهم خاصته من عباده قد هداهم واجتباهم .

ثم بعد هذين القلبين تجد ـ بين يدى الشيطان ـ قلوب العباد :

قلب غرور ، وقلب مغرور ، وقلب خائن وقلب ظالم ، وقلب جاحد وقلب غادر ، وقلب حاقد ، وقلب حاسد ... قلوب .. وقلوب ... هى حقول الشيطان يبسط عليها سلطانه ، ويسعده أن يقول فيها : هنا ملاعبك .. أفسدها كيف شئت . قوض سعادتها .. اهدم أحلامها .. مزق كيانها ، فقليل منها من ينظر إلى الله ليعلم أن كيدى ضعيف .

* * *

وأسعد ما يُسعِد الشيطانَ قلبان :

قلب مريض بما يحمل فى كيانه من أهواء .

وقلب قاسٍ يبغض الرحمة ، وينفر من محاسن الأخلاق .

وشرهما هذا القلب الأخير .. ومنه قلب الظالم .. قد اتخذ الشيطان فيه وكره ، فهو كرسى عرشه ، ومستودع كيده . وحسبك من قاسٍ ظلمُهُ ، وحسبك من ظالم أن يحتقر الموعظة ، ويزدرى عدلَ السماء : فى قلبه من البلادة ما يمحو ـ من نفسه ـ نعمة الحياء ، فلا ترد على قلبه حرارة الإنصاف ، ولا تلوذ به روعة الخجل ، ولا يصرخ فى فؤاده غوث الضمير ؛ فإنه قلبٌ قُدَّ من صخر لا تُنديه الرحمة ، ولا يستمسك به الرجاء . وعادة ما يكون فى المظلوم شىءٌ مَّا ... ميزة ما تنقص الظالم فيزداد حقدا على المظلوم .

وفى هذين القلبين : المريض والقاسى كانت الآية الكريمة ؛ يقول ـ تعالى :

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (سـورة الحج)

فلا غرابة إذن أن يلحق الظالم بإبليس فيما حل به من لعنة ، وتتأكد فى القرآن الكريم ، موضحة أنه لا عذر لظالم مهما استكان إلى عذر أو رَكَن إلى سبب . قال ـ تعالى :

﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود : ١٨

وقال ـ سبحانه :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ غافر

ويتوب الله ـ تعالى ـ على من أصلح ما أمكن وتاب .

د. على أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي

بعد كل هذه الأوامر والنواهي، وبخهم الله ـ تعالى ـ وقرعهم على ارتكابهم لأمور لاتصدر عن عاقل. منها: أنهم يأمرون الناس بالخير ولا يفعلونه.

الأمر: طلب إيجاد الفعل، والبر: اسم يتناول كل عمل من أعمال الخير. والنسيان: ضد الذكر، وهو السهو الحادث بعد حصول العلم. والعقل: يطلق على قوة في النفس، تستعد بها لقبول العلم. وإدراك الشيء.

والمعنى: كيف يليق بكم يا معشر اليهود، وأنتم تأمرون الناس بأمهات الفضائل، وألوان الخيرات، أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون به غيركم، وأنتم مع ذلك تقرأون توراتكم، وتدركون أي عقوبة أعدها لمن يأمر الناس بالخير وينسى نفسه، أفلا عقل لكم يحبسكم عن هذا السفه الذي ترديتم فيه، ويحذركم من سوء عاقبته؟

قال ابن عباس ـــ رضى الله عنهما ـــ كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ، ولذى قرابته ، ولمن بينه وبينه صلة من المسلمين اثبت على الذى أنت عليه ، وما يأمرك به هذا الرجل ـــ يريدون محمدا ﷺ ـــ فإن أمره حق ، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه[1]

والمراد بالنسيان فى الآية الكريمة ، تركهم العمل بما يأمرون به غيرهم ، لأن الناسى حقيقة ليس مؤاخذا على مانسيه ، فلا يستحق هذا التوبيخ الشديد الوارد فى الآية الكريمة ، وليس التوبيخ متوجها إلى كونهم كانوا يأمرون الناس بالبر ، لأنه فعل محمود ، وإنما التوبيخ متوجه إلى كونهم تركوا العمل بما يرشدون إليه سواهم ، فهم يداوون الناس ، وقلوبهم مليئة بالأمراض والعلل .

وقوله تعالى :

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾

مزيد تقبيح لشأنهم ، ذلك أن قراءتهم لكتبهم أبطلت اعتذارهم بالجهل الذى قد يتشبث به بعض الفاسقين على أمر الله عندما ينكر الناس عليهم فسوقهم .

وفى قوله تعالى :

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

أسمى أنواع الهداية والإرشاد السليم ، فإن من ألطف الأساليب فى الخطاب والتوجيه ، أن يكون للموجه إليه النصح صفة من شأنها أن تسوقه إلى خير ، ولكنه ينساق إلى نحوه من أنواع الشرور فيقع فعله من الناس موقع الدهشة والغرابة ، فيذكر له مُسْدِى النصح تلك الصفة فى معرض الاستفهام ؛ بغية تذكيره بأن ماصدر منه لا يلتقى مع ماعرف عنه .

وتطبيقا لهذا المبدأ نقول : إن المخاطبين بقوله تعالى :

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

يعقلون ويدركون الأشياء ، وبهذا الإدراك توجه إليهم التكليف بالعقائد والشرائع ، ولكنهم لم يسيروا على مقتضى مالديهم من عقول ، حيث كانوا يأمرون الناس بالخير ، ويصرفون أنفسهم عنه ، فكأنه ـــ سبحانه ـــ يقول لهم : إن ماأتيتم من أفعال سقيمة ، يجعل الناظر إليكم يحكم عليكم بلا أدنى تردد بأنكم لا عقول لكم ، ولا فضيلة لديكم ، وفى هذا الأسلوب مافيه من الترغيب فى فعل الخير ، والترهيب من فعل الشر .

ولما كانت الأمور التى كلفهم الله بها قبل ذلك فيها مشقة لا يتحملها كل أحد بسهولة ، فقد أرشدهم إلى الوسائل التى تقوى عزائمهم ، وتطهر قلوبهم ، وتعالج أمراض نفوسهم فقال تعالى :

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٦٥ ط دار الكتب سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٥ م .

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ .

قوله تعالى :

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

الاستعانة : طلب المعونة ، والصبر حبس النفس على ما تكره يقال : صَبَرَ على الطاعة أى حبس نفسه عليها متحملا ما يلاقيه فى أدائها من مشاق ، وصَبَرَ عن المعصية . أى كف نفسه عما تنزع إليه من أهواء .

والمعنى : واستعينوا على ترك ما تحبون من شهوات الدنيا ، والدخول فيما تستثقله نفوسكم من قبول الاسلام ، والتقيد بتكاليفه بفضيلة الصبر التى تحجز أنفسكم من غشيان الموبقات ، وبفريضة الصلاة التى تنهاكم عن الفحشاء والمنكر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾

كبيرة : أى صعبة شاقة . يقال كبر الشىء إذا شق وثقل ، ومنه قوله تعالى :

﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ﴾ الشورى ـــ ١٣

أى ثقل وصعب .

والخاشعين : من الخشوع ، وهو فى الأصل : اللين والسهولة ، ومعناه فى الآية الكريمة : الخضوع والاستكانة لله ـــ تعالى ، والضمير فى ـــ إنها ـــ للصلاة لعظيم شأنها واستجماعها لضروب من الصبر ، والاستثناء مفرغ . أى كبيرة على كل الناس إلا على الخاشعين .

والمعنى : إن الصلاة صعبة إلا على الخاضعين المخبتين المتطامنة قلوبهم وجوارحهم لله ـــ تعالى ، لأنهم موقنون أنها من أهم وسائل الفلاح فى الدنيا ، والسعادة فى الآخرة ، ولأنهم يجدون عند أدائها اغتباطا وسرورا يجعل نفوسهم تنشط إليها كلما حل وقتها بهمة وإخلاص .

قال الإمام الرازى : « فإن قيل : إن كانت ثقيلة على هؤلاء سهلة على الخاشعين ، فيجب أن يكون ثوابهم أكثر ، وثواب الخاشع أقل ، وذلك منكر من القول ؟ قلنا : ليس المراد أن الذى يلحقهم من التعب أكثر مما يلحق الخاشع . وكيف يكون ذلك ، والخاشع يستعمل فى الصلاة جوارحه وقلبه ، ولا يغفل فيها ، وإذا كان هذا فعل الخاشع فالثقل عليه بفعل الصلاة أعظم ، وإنما المراد بقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾

أى ثقيلة على غير الخاشع ، لأنه لا يعتقد فى فعلها ثوابا ، ولا فى تركها عقابا ، فيصعب عليه فعلها ، فالحاصل : أن الملحد لاعتقاده عدم المنفعة فى أدائها ثقل عليه فعلها ؛ لأن الاشتغال بما لا فائدة فيه يثقل على الطبع ، أما الموحد فلما اعتقد فى فعلها أعظم المنافع ، وفى تركها أكبر المضار ،

لم يثقل عليه أداؤها ، بل أداها وهو سعيد بها ، ألا ترى إلى قول الرسول ﷺ : « جعلت قرة عيني في الصلاة »[٢] وصفها بذلك لأنها كانت لاتثقل عليه .

ثم وصف ــ سبحانه ــ الخاشعين وصفا يناسب المقام ، ويظهر وجه الاستعانة ، فقال ــ تعالى ــ

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾

الظن : يرد في أكثر الكلام بمعنى الاعتقاد الراجح ، وهو مايتجاوز مرتبة الشك ، وقد يقوى حتى يصل إلى مرتبة اليقين والقطع ، وهو المراد هنا ، ومثل ذلك قوله ــ تعالى ــ

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ المطففين

أي ألا يعتقد أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . وقوله تعالى :

﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ الحاقة ــ ٢٠ ــ

أي علمت أني ملاق حسابيه .

وملاقاة الخاشعين لربهم معناها الحشر إليه بعد الموت ، ومجازاتهم على ماقدموا من عمل .

والمعنى : إن الصلاة لثقيلة إلا على الخاشعين ، الذين يعتقدون لقاء الله ــ تعالى ــ يوم الحساب ، وأنهم عائدون إليه لينالوا مايستحقونه من جزاء على حسب أعمالهم .

قال ابن جرير ــ مرجحا أن المراد بالظن هنا العلم واليقين ــ :

« إن قال لنا قائل : وكيف أخبر الله ــ تعالى ــ عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه يظن أنه ملاقيه ، والظن شك ، والشاك في لقاء الله كافر ؟

قيل له : إن العرب قد تسمي اليقين ظنا ؛ والشك ظنا ، نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة ، والمغيث صارخا ، والمستغيث صارخا ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده ، ومما يدل على أنه يسمى به اليقين ، قول دريد بن الصمة :

« فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج ..» يعني بذلك : تيقنوا أن ألفى مدجج تأتيكم .

ثم قال : والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصى ، وفيما ذكرنا لمن وفق في فهمه كفاية ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ الكهف ــ ٥٣ ــ

وعن مجاهد قال : « كل ظن في القرآن فهو علم »[٣] .

---

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٢٨٥ .

(٣) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٢٦٢ .

والذين قالوا : إن الظن هنا على معناه الحقيقي ، وهو الاعتقاد الراجح ، فسروا « ملاقاة الخاشعين لربهم » بمعنى قربهم من رضاه يوم القيامة « ورجوعهم إليه » بمعنى حلولهم بجواره الطيب ، واستقرارهم في جناته .

أي : وإن الصلاة لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يتوقعون قربهم من ربهم ، ودخولهم جناته عند رجوعهم إليه .

وإلى هذا التفسير ذهب صاحب الكشاف ، فقد قال :

« فإن قلت : مالها لم تثقل على الخاشعين ، والخشوع في نفسه مما يثقل ؟

قلت : لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم . ألا ترى إلى قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾

أي يتوقعون لقاء ثوابه ، ونيل ما عنده ويطمعون فيه » .(١)

وإنما كان شعور الخاشعين بذلك كله ظنا لا يقينا ، لأن خواتيم الحياة لا يعلمها كيف تكون سوى علام الغيوب ، ففي وصفهم بأنهم ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ إشارة إلى خوفهم ، وعدم أمنهم مكر الله ــ تعالى ــ وهكذا يكون المؤمن دائما بين الخوف والرجاء .

ومن هذا العرض لمعنى الآية الكريمة يتبين لنا ، أن من فسر الظن هنا بمعنى اليقين والعلم ، يرى أن لقاء الخاشعين لله معناه : الحشر بعد الموت ، ورجوعهم إليه معناه : مجازاتهم على أعمالهم . والحشر والمجازاة يعتقد صحتهما الخاشعون اعتقادا جازما .

أما من فسر الظن هنا بمعنى الاعتقاد الراجح ، فيرى أن لقاء الخاشعين لله معناه توقعهم لقاء ثوابه ، ورجوعهم إليه معناه ظفرهم بجناته ، وتوقع الثواب والظفر بالجنات يرجح الخاشعون حصولهما ، لأن مرجعهما إلى فضل الله وحده .

والذي نراه أن الرأي الأول أكثر اتساقا مع ظاهر معنى الآية الكريمة وبه قال قدماء المفسرين ، كمجاهد وأبي العالية وغيرهما .

(يتبع)

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٣٤

أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض

الثمرة الطيبة

الجزء الأخير

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

العلاقة بين الرجل والمرأة والميل الطبيعي بينهما أمر فطري اقتضته الحكمة الإلهية في إطار النظام الكوني البديع المتناسق الذي وزعت فيه الوظائف وأنماط التسخير المحددة لصالح تكامل الحياة على اليابسة ، ليتسنى لآدم وأولاده من بعده أن يقوموا بما كُلفوا به ، وينهضوا بالأعباء التي أشار إليها نبي الله صالح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - في إيجاز بليغ معجز : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود : ٦١]

فهي أعباء باطنة وظاهرة ، روحية نفسية ومادية عملية ، ومن خلال هذه العلاقة التي تتم عن طريق الزواج الشرعي يتم التكاثر ، ويبقى النوع إلى الآماد المقدرة في لوح القدر :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الحجرات

وإن هذا التعدد بين الشعوب والقبائل ، واختلاف السمات وتنوع الملامح والقدرات والهبات داعية إلى التآلف والتعارف ، لا إلى التناكر والتناحر : « لتعارفوا » ذلك أن التعاون أمر تفرضه حاجات الإنسان وضرورات حياته ، ومنذ قديم الزمان وهذا التعاون قائم من أجل تبادل الخبرات والبركات ، ونقل الخبرات من بيئة إلى أخرى ، وقد نما هذا التعاون على مرّ السنين ، وكرّ الأعوام ، حتى صار فى زماننا أمراً ملموساً للكبير والصغير ، والحاضر والبادى ، والدانى والبعيد ، ففى عمق أفريقيا مثلاً نجد المنسوج اليابانى والبريطانى والفرنسى وغير ذلك ، كما نجد خطوط الانتاج المجلوبة من أقصى الشرق والغرب ، وحتى فى مجال المأكولات المحفوظة والطازجة مما يمكن الإنسان من تحقيق التكامل المنشود لسد حاجاته ، وكما يقول المثل العربى :

فالناس للناس من بدو ومن حضر
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

وتلك حكمة عالية ، وعبرة نافذة ، وإن البقاء والنماء للأصلح ، ومن كان أنقى قلباً ، وأنقى باطناً ، وأقوم طريقاً وأهدى وأرشد ، فهو القوة التى تبنى ولا تهدم ، وتجمع ولا تفرق ، وترشد ولا تضلل ، فإنه يجب على أهل الدين الحق أن يكونوا منارات على طريق الحياة يمدون شجرتها بالعناصر الحية التى تجعلها أكثر صلاحية ، وأعظم نفعاً ، وأكثر خيراً ، وتكسبها رونقاً وجمالاً وبهاءً ، بحيث يتفيأ الإنسان ظلالها الرحيمة فى أمن وسكينة ورضى .

الأســـاس :

إن الأساس الذى تتكون منه الشعوب والقبائل هو « الأسرة » إذ الشعب هو الجمع العظيم المنتسب إلى أصل واحد ، و « الشعب » : يجمع القبائل ، و « القبيلة » تكوينها من « العمائر » و « العمارة » تتألف من البطون ، و « البطن » يضم بين جناحيه الأفخاذ ، و « الفخذ » يتكون من الفصائل ، و « الفصيلة » هو ما اصطلح على تسميتها : بالأسرة الصغيرة التى تجمع بين جناحيها : الأب والأم وأولادهما ، وهـؤلاء يكونون فى المعتاد فى إطار أسرة أكبر ، تتكون من عدد من الأفراد أو الأسر الصغيرة التى تجمع الأعمام وأولاد الأعمام ، والإخوة وأولادهم ممن ينتسبون إلى جدّ واحد يحتويهم تحت اسمه ، وقد تسمى الأسرة أيضاً بالعائلة .

وللتوضيح بمثال : فإن أولاد العباس عم النبى ﷺ « فصيلة العباس » وهم جزء من « فخذ » هم « بنو هاشم » ، وهـؤلاء من « بطن » جدُّهم « قصّى » الذين هم جزء من « عمارة » هى : « قريش » وقريش إحدى قبائل « كنانة » و « كنانة » من شعب « خزيمة » .

ولا شك أن هذا التقسيم ونحوه إنما تم التوفيق إليه لتظل حلقات السلسلة مترابطة ، والملامح الخاصة بكل شعب وما تفرع منه بينة واضحة ، وبذلك يحفظ التاريخ البشرى نقاوته مادامت بداية الأساس سليمة .

التكوين وعناية الإسلام به :

الاختيـار :

رغب الإسلام فى الزواج وحث الشباب القادر على أعبائه على المبادرة لما فى ذلك من المنافع والمصالح الجمة التى تعود على الفرد والجماعة ،

وفى الحديث المتفق عليه يقول عبد الله بن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » .

والباءة : تعنى القدرة على أعباء الزواج ، بحسب الوسط والزمن مع الطاقة اللائقة به .

والوجاء : تمثيل للعفة التى هى ثمرة لضبط النفس والاعتدال وقوة إرادة المؤمن التى ينميها الصوم والإمساك عن المفطرات مع ما فى العبادة من تعويد على المراقبة والملاحظة ، وهو فى أصله : الخصاء وقد شبّه الصوم فى تعويد صاحبه على ضبط شهواته ودفعها عند الحاجة لوقاية نفسه بالخصاء الذى يمنع صاحبه ويحول بينه وبين « الوقاع » .

ومع حث الإسلام على الزواج جاء نهيه عن الرهبنة نهياً قاطعاً وجازماً مادامت القدرة على الباءة متوافرة ، فعن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالباءة ، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ، ويقول : « **تزوجوا الولود الودود ، فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة** » [أخرجه أحمد وصححه ابن حبان] .

والتبتل : أصله القطع والمراد الانقطاع للعبادة وترك الزواج لهذا .

ثم انظر إلى حرص الإسلام على حسن اختيار الزوجة بأن تكون ممن يتوقع منها كثرة الولادة وذلك يكون فى المعتاد بالنظر إلى حال قرابتها ونحو ذلك وبأن تكون « ودوداً » أى مُحبَّبة بكثرة ما هى عليه من خصال طيبة وحسن خلق ، وحياء ، ومن بيئة مستورة الحال تعين على طاعة الله .

وحسن الاختيار له ثمراته الطيبة :

وإن الاجتهاد فى حسن اختيار الزوجة يساعد كثيراً على تجنيب النسل الصفات الوراثية السيئة من الناحيتين البدنية والنفسية ؛ لذا أكد الإسلام على تحرّى الخلق الكريم والبيئة الصالحة فى ضوء هداية الإسلام والتدين والتوجهات الطيبة لديها ولدى أسرتها ، ونرى هذا واضحاً فى الحديث الذى رواه أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » [متفق عليه] .

والحسب : المراد به الفعل الجميل للرجل وآبائه .

وتربت يداك : معناه فى الأصل : التصقت بالتراب من الفقر ، ولكنها جاءت فى كلام العرب على صورة الدعاء ، ولا يراد بها الدعاء ؛ ولكن يراد الحث والتحريض .

توجيه نبوى كريم إلى تحرّى الدين عند اختيار الشاب شريكة حياته ؛ إذ الداعى إلى الزواج عند الرجل أحد هذه الأربع : الثراء ، وعراقة الأصل ، والنسب ، وكذلك الجمال ، وآخرها : الدين كما هو مشاهد من أحوال الناس ؛ فوجه الرسول ﷺ المسلم إلى جعل الدين والصلاح فى أعلى قائمة المرجّحات لاختيار الزوجة ؛ فإذا وجدوا ذات الدين كان خيراً وبركة ؛ لأن الزواج سكن وسكينة وهو السبيل لإنجاب الذرية التى تحظى من ذوى العقل والحكمة بالعناية والرعاية وتهيئة المناخ الصالح نموها على أفضل وجه ممكن ، فإذا توافر مع الدين المال ، أو الجمال ، أو الحسب

فيها وَيَعْمتْ ، وإذا توافرت الأسباب كلها كان فضلًا من الله وإحساناً .

وفى إطار التأكيد على قصد اختيار ذات الدين جاء بيان ما قد يوقع المرء فى مشاكل سوء الاختيار إذا غفل عن البحث على هذا الجانب أولًا .

ففى حديث ابن عمر عند البزار وابن ماجة والبيهقى : « **لاتنكحوا النساء لحسنهن فلعله يُرديهن ، ولا لمالهن فلعله يُطغيهن ، وانكحوهن للدين ولأمةٌ سوداء خرقاء ذات دين أفضل** » .

صفة المحبَّة فى هذا المجال :

وإذا وفق الإنسان للمرأة التى تُعنى بنفسها وتسر زوجها إذا نظر إليها ، وتكون مطيعة سمحة سهلة فى معاملة زوجها ، أمينة على نفسها وعلى ماله ومالها ؛ كان ذلك أدعى إلى استقرار الحياة الزوجية ، وسبباً قوياً فى تثبيت أركان الأسرة ، وفى حديث أبى هريرة عند النسائى : « قيل : **يارسول الله ، أى النساء خير ؟ قال : التى تسره إن نظر إليها ، وتطيعه إن أمرها ، ولاتخالفه فى نفسها ومالها بمايكره** » .

العناية بتربية الفتيات :

إن الزوجة هى سِرُّ زوجها وضجيعته ، وأم أولاده ، والأمينة على المنزل والمال ، فتوجيه الجهود إلى حسن تربية الفتيات منذ نشأتهن ، وتوجيههن الوجهة الصالحة ، وتعويدهن على أداء العبادات ، وتنمية الوازع الدينى فى نفوسهن وتبصيرهن بأوامره ونواهيه يعطى أعظم الثمرات ؛ لأن المرأة قوام أساسىٌّ فى بناء الأسرة ، وإذا صلحت الأسرة عزّت الأمة ، وازدهرت ، وقوى جانبها .

لهذا جاء الحث على حسن رعاية البنات ، والقيام بتربيتهن على أفضل وجه ، والترغيب فى الرفق بهن والصبر على التوجيه والإحاطة بكل صنوف الإحسان حتى تستغنى البنت عن بيت أبيها أو أخيها بزوج تنفرد معه بتكوين أسرة جديدة ، وقد عقد الإمام البخارى باباً « الأدب المفرد » تحت عنوان : « **باب من عال جاريتين أو واحدة** » وفيه عن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان له ثلاث بنات وصبر عليهن ، وكساهن من جدته ، كن له حجاباً من النار » وأخرجه أيضاً ابن حبان وأحمد .

وفيه تأكيد حق البنات فى الرعاية والصيانة والتوجيه وفق مرامى الشريعة وآدابها ، فهن ولاشك يحتجن إلى قدر زائد فى مجال التربية والرعاية عن الذكور حتى تصير البنت مهيأة للقيام بدورها على الوجه المرغوب ، فاهمة لواجباتها ، مدركة لوظيفتها ، وبذلك ينال المربى المؤمن هذا الثواب العظيم ، وهو النجاة من النار والفوز بجنات النعيم .

وفى الحديث الذى رواه ابن عباس : « **ما من مسلم تدركه ابنتان ، فيحسن صحبتهما إلا أدخلتاه الجنة** » وإحسان الصحبة إنما يتم بالرعاية ، والرحمة ، والصبر على التربية والتوجيه ، وجاء مثله عن جابر بن عبدالله وفيه يؤويهن ويكفيهن ، ويرحمهن ، فقد وجبت له الجنة ألبتة ، فقال رجل من القوم : وثنتين يارسول الله ، قال : « **وثنتين** » .

وزاد أحمد : فرأى القوم أن لو قال « وواحدة » لقال : واحدة .

وفى رواية أبى سعيد الخدرى جاء الترغيب للآباء والإخوة فى الإحسان إلى البنات ، وفيه « **لا يكون لأحد ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات ، فيحسن إليهن إلا دخل الجنة** » زاد بعض الرواة : « أو بنتان أو أختان » .

وقد جاء فى الحكمة على لسان « تميم بن أوس » قاضى دمشق فى عهد هشام بن عبد الملك : « **الصلاح من الله ، والأدب من الآباء** » أى : الصلاح من عطية الله وبتوفيق منه ـ سبحانه ـ وهذا هو الحق ، لكن لا يتغافل الآباء عن الأخذ بالأسباب ، ولا يتوانى الآباء ما وسعهم الجهد فى أدب الأبناء وحسن تربية البنين والبنات .

وأصاب الشاعر الحكيم المعاصر فى التعبير عن مقاصد هذا الأمر :

الأم مدرسة إذا أعـــددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

إن تهيئة الفتاة بالتربية السليمة ، وتجميلها بمحاسن الآداب ، ومعرفة الحقوق والواجبات ، وتقوية الوازع الدينى فى نفسها ، أمر يوجبه الإسلام لما للأنثى من دور مهم فى بناء الحياة وتقويم أجيال صالحة للنهوض بالتبعات .

مثل للتوضيح :

ومع توجيه الرسول ﷺ باختيار ذات الدين فإنه ﷺ حذر من التسرع انجذاباً بالجمال الذى يمكن أن يحمل جراثيم نفسية وخلقية من حياة بعيدة عن السلامة والصحة والاستقامة المطلوبة لأهل الإسلام ، ففى الحديث الذى رواه أبو سعيد جاء : « **إياكم وخضراء الدمن** » قيل : يارسول الله ، وماذا ؟ قال : « **المرأة الحسناء فى المنبت** السوء » قال ابن عدى : تفرد به الواقدى واللفظ فى « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » للإمام القسطلانى قال : ومعناه : أنه كره نكاح الفاسد ، وقال : إن أعراق السوء تنزع أولادها .

أما تفسير المثل الذى ضربه فى الحديث للمرأة الحسناء التى رُبت تربية فاسدة ، فى بيئة غير مواتية : فهو أن الريح تجمع الدمن وهى : البعْرُ فى البقعة من الأرض ، ثم يركبُه السافى ـ أى التراب ـ فإذا أصابه المطرُ أنبت نباتاً غضاً ناعماً جميلا يهتز وتحته الأصل الخبيث ، فيكون ظاهره حسناً وباطنه قبيحاً فاسداً .

والدمن : جمع دمنة وهى البعرة .

وفى هذا الإطار جاءت الآثار بتوضيح هذا الأمر لينشأ الأطفال من بيئة طيبة تؤتى ثماراً حسنة ، ومن ذلك :

« **تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم** » .

« **انظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس** » .

وبالنسبة للخاطب جاء قوله ﷺ : « **إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض** » رواه ابن ماجة ٦٣٣/١ .

فانظر هذا التكامل والنظرة الشاملة من أجل أجيال صالحة .

ما أحوج الناسَ إلى رحمة الإسلام ونظمه للحياة من أجل استقرار الإنسان ، وأمنه ، وسكينته ، والحفاظ على تاريخ كل شعب نقياً واضحاً لتزدهر حياة البشر ، وتنمو فى الطريق الصحيح .

قبس من أنوار النبوة

من فقه الحديث في حجة الوداع

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

.. قال عطاء حدثني جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ أنه حج مع رسول الله ﷺ عام ساق الهدى معه وقد أهلوا بالحج مفردا فقال رسول الله ﷺ أحلوا من إحرامكم فطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة وقصروا وأقيموا حلالاً حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج ، واجعلوا التي قدمتم بها متعة قالوا : كيف نجعلها وقد سمينا الحج ، قال : افعلوا ما آمركم به ، فإني لولا أني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمرتكم به ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدى محله ففعلوا » .

رواه مسلم شرح النووي جـ ٨ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

الحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام ، وهو رحلة روحية ، وعبادة بدنية ومالية فرضها الله على من استطاع فى العمر مرة واحدة .

وعندما علم الناس بعزمه ﷺ على الحج وتسامعوا بأن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ سوف يحج أقبلوا من حول المدينة فى أعداد وفيرة . وكلهم يلتمس أن يكون فى معية رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة المباركة . يأتم برسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويعمل مثل عمله فى أداء مناسك الحج .

وها هو أحد أعلام الصحابة ـ جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنه وعنهم أجمعين ـ يخبر عن حجة رسول الله ﷺ ، فقال ـ كما جاء فى صحيح مسلم وشرح النووى«إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين[1] لم يحج ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله ، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ :كيف أصنع ، قال : « اغتسلى واستثفرى[2]بثوب وأحرمى » قال النووى : فيه استحباب غسل النفساء ـ وكذا الحائض للإحرام . غير أنها لا تطوف بالبيت إلا بعد الطهر .

« فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب القصواء[3] حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مدّ بصرى بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شىء عملنا به . فأهل ـ أى رفع صوته بالتلبية ـ بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأهل الناس بهذا الذى يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئا منه ولزم رسول الله ﷺ تلبيته » .

قال النووى : قال القاضى عياض ـ رحمه الله تعالى ـ : فيه إشارة إلى ما روى عن زيادة الناس فى التلبية من الثناء والذكر ، كما روى فى ذلك عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يزيد لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا إليك .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ : لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ : لبيك حقا تعبدا ورقا . قال القاضى : قال أكثر العلماء :

---

(١) أى : بالمدينة بعد الهجرة .

(٢) الاستثفار : أن تشد المرأة فى وسطها شيئا ، وتجعل خرقة على محل الدم ، لمنع سيلان الدم .

(٣) ناقة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

المستحب : الاقتصار على تلبية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبه قال مالك والشافعى .

قال جابر - رضى الله عنه : لسنا ننوى إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة :

قال النووى : فيه دليل لمن قال بترجيح الإفراد :

« حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ».

قال النووى :

فيه بيان أن السنة للحاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات ليطوفوا للقدوم وغير ذلك .

وفيه أن المحرم إذا دخل مكة قبل الوقوف بعرفات يسن له طواف القدوم وهو مجمع عليه .

وفيه أن الطواف سبع طوافات .

وفيه أن السنة أيضا : الرمل فى الثلاث الأول ويمشى على عادته فى الأربع الأخيرة .

قال العلماء : الرمل هو أسرع المشى مع تقارب الخطا وهو الخبب .

قال أصحابنا : ولا يستحب الرمل إلا فى طواف واحدة والاضطباع سنة فى الطواف الذى فيه رمل . وقد صح فيه الحديث فى سنن أبى داود والترمذى وغيرهما ، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه .

« ثم نفذ ﷺ إلى مقام إبراهيم - عليه السلام - فقرأ :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

سورة البقرة - آية : ١٢٥

فجعل المقام بينه وبين البيت ، فكان أبى يقول : « ولا أعلمه ذكر إلا عن النبى ﷺ » كان يقرأ فى الركعتين :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

قال النووى : معناه قرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

وفى الركعة الثانية بعد الفاتحة :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

« ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا » قال النووى :

فيه دلالة لما قاله الشافعى وغيره من العلماء : أنه يستحب للطائف طواف القدوم - إذا فرغ من الطواف وصلاته خلف المقام - أن يعود إلى الحجر الأسود فيستلمه ثم يخرج من باب الصفا ليسعى والاستلام سنة لو تركه لم يلزمه دم » . « فلما دنا من الصفا قرأ » .

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ .

سورة البقرة - آية ١٥٨

أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ، وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك ، مثل ذلك ثلاث مرات » .

قال النووى : فى هذا اللفظ أنواع من المناسك :

منها : أن السعي يشترط فيه أن يبدأ من الصفا ، وبه قال مالك والشافعي والجمهور ..

ومنها : أنه ينبغي أن يرقى على الصفا والمروة . قال أصحابنا : هو سنة ليس بشرط ولا واجب فلو تركه صح سعيه ..

وفيها أنه : يسن أن يقف على الصفا مستقبل القبلة ويذكر الله بهذا الذكر المذكور ثلاث مرات « ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا » ، وسعى بمعنى رمل ـ وهذا السعي مستحب فى كل مرة من السبع ، وإذا سعى فى الجميع أو مشى أجزأه وفاتته الفضيلة وهذا مذهب الشافعي وموافقته . وعن مالك فيمن ترك السعي الشديد فى موضعه روايتان :

إحداهما كما ذكر ، والثانية تجب عليه إعادته . ومن السنة الذكر والدعاء والرقى على المروة ، وفى الذهاب من الصفاء إلى المروة حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة . فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة ، فقام سراقة بن مالك بن جعشم : ألعامنا هذا أم لأبد ؟ ، فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين لا بل لأبد أبد » .

قال النووى : « دخلت العمرة فى الحج مرتين لا بل لأبد أبد قال : اختلف العلماء فى معناه على أقوال : أصحها وبه قال جمهورهم . معناه أن العمرة يجوز فعلها فى أشهر الحج إلى يوم القيامة ، والمقصود به بيان إبطال ما كانت الجاهلية تزعمه من امتناع العمرة فى أشهر الحج .... » .

« وقدم علىّ من اليمن ببُدْن النبى ﷺ . فوجد فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : إن أبى أمرنى بهذا ، فكان علىّ يقول ـ بالعراق : فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشا على فاطمة للذى صنعت مستفتيا لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها . فقال : صدقت صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إنى أهل بما أهل به رسولك قال : فإن معى الهدى فلا تحل . قال فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به النبى ﷺ مائة . قال : فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى ﷺ ومن كان معه هدى » .

« فلما كان يوم التروية « هو اليوم الثامن من ذى الحجة » توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس » .

قال النووى : فيه بيان سنن :

إحداها أن الركوب فى هذه المواطن أفضل .

الثانية : أن يصلى بمنى هذه الصلـــوات الخمس .

والثالثة : أن يبيت بمنى هذه الليلة وهى ليلة التاسع من ذى الحجة ، فلو تركه لا دم عليه بالإجماع .

ومن السنة أن لا يخرجوا من منى حتى تطلع الشمس .

« وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة » .

قال النووى : فيه استحباب النزول بنمرة ؛ لأن السنة أن لا يدخلوا عرفة إلا بعد زوال الشمس وبعد صلاتى الظهر والعصر جمعا . وفيه جواز الاستظلال للمحرم بقبة وغيرها .

« فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية . فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى زاغت الشمس ، أمر بالقصواء فرحلت له ـ أى جعل عليها الرحل ـ فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا . ابن ربيعة بن الحارث ـ كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع ـ باطل ـ وأول ربا أضع ربانا .. ربا عباس بن عبدالمطلب ، فإنه موضوع كله ؛ فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مُبرّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : بأصبعه السبابة ـ يقلبها ويرددها إلى الناس ـ » يرفعها إلى السماء ينكتها إلى الناس : اللهم فاشهد . ثلاث مرات .

ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا » .

قال النووى :

فيه أنه يشرع الجمع بين الظهر والعصر هناك فى ذلك اليوم ، وقد أجمعت الأمة عليه ، واختلفوا فى سببه ، فقيل : بسبب النسك وهو مذهب أبى حنيفة .. وقال أكثر أصحاب الشافعى : هو بسبب السفر .

« ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل (حبل) بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه . وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب . مورك رحله ، ويقول ـ بيده اليمنى : أيها الناس السكينة السكينة[4] ـ أى الزموا السكينة وهى الرفق والطمأنينة .

« كلما أتى حبلا ـ مجتمعا ـ من الحبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا . ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة . ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما ، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن ـ جمع ظعينة وهى البعير عليه المرأة ـ » يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول

الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن مُحَسِّر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها . مثل حصى الخزف رمى من بطن الوادى ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه فى هديه » .

وكان هدى النبى ﷺ فى تلك السنة مائة بدنة ـ ومعنى غبر أى بقى .

« ثم أمر من كل بدنة ببضعة » أى قطعة « فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال : انزعوا بنى عبدالمطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم ، فناولوه دلوا فشرب منه » أى طاف بالبيت طواف الإفاضة ثم صلى الظهر ، وهذا الطواف يقال له طواف الزيارة .

ثم كان الحلق بعد النحر ومن بعده حل له كل ما حرم عليه بالإحرام .

وأما إذا رمى جمرة العقبة ولم يطف فإنه يحل له كل شيء ما عدا النساء . فأعمال يوم النحر : الرمى ثم الذبح ثم الحلق ثم الطواف بالبيت . ولو قدم نسكا على آخر فلا شيء عليه عند أكثر أهل العلم .

فما سئل النبى عن شيء قدم ولا أخر إلا قال : افعل ولا حرج . وذهب أبوحنيفة إلى أنه إن لم يراع الترتيب .. فعليه دم ، وقوله ولا حرج لرفع الإثم دون الفدية ..

جاء فى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه الطبرانى فى الكبير والبزار واللفظ له ـ عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه ﷺ : قال : « إنك إذا خرجت من بيتك تؤم ـ تقصد ـ البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة . وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة . وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله يهبط ـ تنزل رحمته ـ إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون جنتى ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها . أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم لهم . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات .. وأما نحرك فمدخور لك عند ربك . وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة . وأما طوافك بالبيت بعد ذلك تطوف ولا ذنب لك يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : أعمل فيما يستقبل فقد غفر لك ما مضى » .

هذه حجة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ تتضح فيها جميع مناسك الحج ، **وشعائره** ، من فرائض ، وسنن ، ومستحبات . فى يسر وسهولة من أداها بإخلاص نية ، ونفقته من حلال ، ولم يزاحم وتجنب الرفث والفسوق والجدال ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه . والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله جنود السماوات والأرض

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

سنة إلهية بثها الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فى كل الكائنات ليعلم الطغاة من البشر أن هذا الكون إلها واحدا يدبر أمره، ويصرِّف شئونه، بمقتضى قدرته، وتبعا لمشيئته، وأنه لا دخل للقوانين المادية، إن اقتضت إرادة البارى أمراً يرى فيه ـ عز وجل ـ صلاح شئون عباده، ويتم ذلك: إما بحرمانهم من نعمة ألفوها وتوهموا بقاءها فى أيديهم. وإما بأن يخصهم بنعمة كانوا لحيازتها من القانطين. ولا يحتاج الأمر منا أن نُذكِّر بمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء والصالحين الذين خرق الله لهم نواميس الطبيعة؛ تأييدا وتعضيدا، فتلك أمور أيقنت بصدقها القلوب، وأقرت حقيقتها فى الألباب عقيدة إيمانية خالطت بشاشتها الأرواح.

ولكن جولة فى كون الله الفسيح، وما بث فيه من آيات تجعل المؤمن يهتف من أعماقه: حقا

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الفتح (٤)

والجولة تأخذنا إلى أمريكا، تلك البوتقة التى حوت من الغرائب ما يفوق الخيال المجنّح.

فلوريدا والمخلوقات الغريبة:

فى ولاية فلوريدا ـ ذلك المرجل الذى يغص بكل صاحب ـ تتجلى هذه السنة الكونية، حيث يتفاقم الوضع هناك، عاما بعد عام، بقدوم المخلوقات الغريبة، وتدفق الكائنات العجيبة من حيوانات غريبة الأطوار، إلى حشرات شاذة الطباع، إلى نباتات غير مألوفة، ملأت أنحاء ولاية (الشمس الساطعة) إما مصادفة أو عمدا، وأفلت زمامها، وواتتها الظروف المناخية الملائمة، فهاجت وماجت.

فعلى مدى السنوات الماضية كانت هجرة البشر إلى فلوريدا ، تسير بمعدل ألف شخص فى الأسبوع ، لكن هجرة الحيوانات ، والحشرات ، والنباتات ، فاقت كل التصورات ، مما جعل الولاية أشبه بحديقة حيوان ، أو متحف طبيعى للكائنات الحية ، منها بمكان يليق بسُكنى الإنسان .

فمن (الصراصير الطيارة) إلى تلك (القحاحة) ومن (الضفادع السامة) إلى (سمكة القط الراحلة) إلى أنواع (النمل الأبيض) آكل المعادن إلى (الذئب الأمريكى) وانتهاء بـ (الأشجار المتوحشة) التى تخنق كل كائن حى يقع فى مرماها .

إن استقدام واستزراع بعض النباتات الضارة ، تتضاءل أهميته ، وتضمحل ، إذا ما قورنت بهذه المخلوقات .

نباتات غير مرغوب فيها

وحتى (Hydrilla) ذلك النبات المائى الذى يسد الآن الأنهار والبحيرات ويعد عامل إزعاج بسيط « وثانوى » إلى جانب (شجرة الفلفل البرازيلية) و (شجرة Melaleuca الأسترالية) .

إن هذه النباتات الغريبة من المستحيل إبادتها ، فهى سريعة الانتشار ، لدرجة أن علماء الأحياء لا يستطيعون حتى تحديد معدل نموها .

ولقد أنفقت إحدى الشركات أكثر من (مائة وخمسين ألف دولار) فى محاولة لتنظيف عشرة هكتارات من أشجار الفلفل المذكورة . وبعد الإزالة اليدوية ، واستخدام المبيدات العُشبية ، لم تتمكن الشركة إلا من تطهير هكتار واحد مما اضطرها للتحول إلى برنامج يتكلف (مائة وثمانين ألف دولار) لاستخدام آلة لتسوية هذه النباتات بالأرض .

إن (شجرة الفلفل) هذه بذورها الصغيرة تعتبر من النباتات (نووية التوالد ـ انشطارية التكاثـــر) . إنها تصيب الإنسان بالعطـــاس والبكاء ، الذى يصل إلى حد الوباء ، فالقنابل المسيلة للدموع تعد إلى جانبها (لُعب أطفال) .

كما أن بذورها السامة للطيور ، وللحياة البرية بأثرها تتخذ طريقها إلى المناطق الساحلية ، لتزاحم النباتات النافعة ؛ ولتنشىء لنفسها خيمة كبيرة تحجب الشمس ، بينما تتملك بذورها عيون الماء عالية القيمة ؛ لتحرم منها نباتات أخرى فى مسيس الحاجة إليها .

أما عن نظيرتها الأسترالية ، فحدث ولا حرج . إنها تنتج أزهاراً ذات رائحة عفنة كريهة ، تتسبب فى الإصابة بالحساسية كما أنها تنشر فى الفضاء مظلة خانقة . ولا يراودنك الخيال فتحاول حرقها ، فإنها تنفجر كما تنفجر القنابل ، ناثرة بذورها على مساحة شاسعة ، مما يؤدى إلى اكتسابها أرضاً جديدةً ، فتزيح من طريقها نباتاتٍ أكثر نفعاً .

إن عدم اكتراث الإنسان ، ولا مبالاته بأوامر الله هو سر البلاء ، فقد تروقه فكرة يتخدع ببريقها ، وسرعان ما يكتشف سوء تقديره ، ويتضح ذلك جلياً فيما يقوله العلماء ، الذين قدروا وجود أربعمائة نبات غريب نمت فى جنوب ووسط (فلوريدا) .

كائنات حية سامة

كل ذلك بسبب التصرفات العابثة للإنسان ، خذ مثلاً (Bufo Marinus) وهو ضفدع سام ضخم ينتج سماً يصيب من يتناوله بنوع من

الملوسة . وتأمل « قدرة الله » ! لقد تم استقدام هذا الحيوان أصلا إلى جنوب فلوريدا منذ ثلاثين عاما ، ليقوم بالتهام الحشرات التى تتغذى على قصب السكر ، لكن إرادة الله شاءت أن ينتقل ذلك الحيوان الخطير إلى شمال ووسط الولاية ليأكل أى شىء يروق له التهامه . ومما ساعد على تفشى خطورته أن طائفة من الشباب المنحرفين اعتادوا اصطياد هذه الضفادع و (لعق أجسادها) تلذذا بنشوة رخيصة على الرغم من أن سم ذلك الضفدع فتاك لصغار الحيوانات كالكلاب ، بل وحتى للآدميين ، لو وجد ذلك السم طريقا مباشرا إلى الجسم ، إن تسرب سم ذلك الضفدع الذى يشبه سائل اللبن إلى العين ، يعد أشد فتكا من التوابل ، ومع علمهم بذلك الضرر الفادح ، فإن محال بيع الحيوانات الأليفة تبيع هذا الضفدع لهواة جمع الضفادع .

ولقد حدث أن قام أحد المتعهدين فى تلك الولاية باستيراد نوع من الصراصير يعرف بـ (صُرصور مدغشقر الفحاح) ولكنه سرعان ما أطلق سراحها فى الفضاء ، عندما أخبر بأنها من الأنواع المحظور استيرادها . والله وحده يعلم المكان والزمان الذى ستظهر فيه ذراريها..

ولا يزال وسط فلوريدا يتفوق على ريفها فى حيازة (الصُرصور الآسيوى) وهو نوع يسافر فى أسراب ، ويزداد نشاطه ليلا ، ويطير متقافزاً ناحية الضوء ، مما يجعل النزهات الخلوية ، والمعسكرات الخارجية من المستحيلات . لقد أتت تلك الحشرة مع السفن ، وهى تحتل الآن مساحة تقدر بخمسة آلاف ميل مربع . وهو سريع التزاوج مع (الصُرصور الألمانى) المعـروف والذى أكتسب مناعة ضد معظم المبيدات الحشرية ، والمتوفرة بكثرة فى هذه الولاية ، بالإضافة إلى آفة النخيل دائمة التواجد ، وخمسين نوعاً آخر من الصراصير .

الصرصور الآسيوى والسرعة الفائقة

إن الصرصور الآسيوى يطير بسرعة الطائرة النفاثة ، إذا قورن بـ (النحل الإفريقى) القاتل الذى فر من معمل برازيلى سنة ١٩٥٧ ، وبعد رحلة بطيئة دامت ثلاثين عاما عبر الحدود المكسيكية الأمريكية ، ووصل إلى فلوريدا سنة ١٩٩٤ .

إن منطقة جنوب فلوريدا وما وراءها هى الآن موطن نمل « فرموزا الأبيض » المفترس الذى يستطيع أن يأكل خمسة عشر نوعا من الخشب ، بالإضافة إلى أعمدة (البرق) و (الهاتف) و (وصلات السكك الحديديـــة) كما أوردت ذلك (Wall Street Journal) .

وتقول تقارير أخرى : إن ذلك النمل يَطْرُدُ فى طريقه النمل الأبيض المحلى ، ويحاصر منه أعدادا كبيرة ، بل وصلت مقدرته إلى أن ينخر المواسير النحاسية : « وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ » .

(سـورة الفتـح) ④

إن المستعمرة تأوى من ذلك النمل فى المتوسط ثلاثة ملايين نملة بيضاء ، وهو رقم يمثل عشرة أضعاف ما تحويه أى من مستعمرات النمل الأبيض المحلى .

أسماك راجلة وببغاوات عجيبة

أما عن سمكة القط الراجلة فإنها لم تسافر إلى الشمال كثيراً ، لكنها تمكنت من الخروج من القنوات ، والجداول بحثا عن بيئات أفضل ،

وحيث إن ترع وبحيرات و (غدران) ـ جمع غدير ـ جنوب فلوريدا أفسدها الهواة الذين يغرقون فيها كائنات مائية مثل :

الـ (Oscars) و (السمكة المحاربة) فإن سمكة (القط الراحلة) أحست حاجتها إلى الانتقال شمالا بأسرع من المتوقع .

وفى منطقة أخرى تسمى (دانيا) فإن الببغاوات ، وهى بعض ما أفلت من محال بيع الحيوانات الأليفة تتكاثر الآن فى البرية وتحدث أصواتا لم تسمع بها الأرض من قبل .

ويستمر حماة الحيوان فى البحث عن الأحناش [جمع : حنش] والحيات التى تعيش فى البرية ، والتى وجدوا منها مخلوقات يزيد طولها على ستة أقدام ، وذلك سنة ١٩٨٩ وفى جنوب فلوريدا وجدت حية شبكية الشكل زاد طولها عن اثنين وعشرين قدما ، تعيش تحت بيت ، وتتغذى على ما تملك الأسرة من حيوانات أليفة .

الذئب الأمريكى

وماذا عن الذئب الأمريكى ؟ وما أدراك ما الذئب الأمريكى ، لقد شوهد فى أرياف فلوريدا المزدحمة بالماشية ، ولا أحد يدرى الكيفية التى وصلت بها جماعاته إلى هناك من الغرب أو ما تخبىء جماعات الذئب الأمريكى لسكان تلك البلاد أكثر مما تحدثه من ضوضاء ، وضجيج ليل .

علاقة النشاط النباتى بمعدلات النمو

ويعتقد بعض العلماء هناك أن ذلك النشاط النباتى والزهرى يمكن أن يؤدى إلى إبطاء معدلات الهجرة البشرية إلى هذه الولاية ، تماما كما عرقلت قصص الرعب التى أحاطت بحيوان (القاطور) ـ الذى يشبه التمساح ـ التطور فيما مضى من الأيام ، وفى واقع الأمر فإن (القاطور) نفسه عاد للظهور ، وذلك بعد ثلاثة عقود من حمايته ، كنوع من الحيوانات المعرضة لخطر الانقراض ، ولقد أدى جفافٌ نادر إلى التحذير من أن ذلك الحيوان سيُرى فى الحدائق والبساتين الملحقة بالبيوت ، وهو يبحث عن الماء ، وعن الأماكن التى يستطيع فيها التزاوج ، ومن يدرى ، فلعله يحاول النجاة بجلده من الضفادع السامة أو أى من القادمين الجدد .

إلى السادة قراء مجلة الأزهر

نوجه عناية قرائنا الأفاضل إلى أن فكرة رفع سعر مجلتهم الحبيبة « الأزهر » إلى « جنيه » واحد للعدد بدلاً من « ٧٥ » قرشاً ، كانت مطروحة من عدة سنين لتواكب ـ فى جانب من تكلفتها سعر ارتفاع الورق عالمياً . لكن الرأى قد استقر على هذا الرفع إن شاء الله ـ تعالى ـ من أول عدد المحرم فى السنة الهجرية القادمة .

والله المستعان .



أبو يوسف صاحب أبي حنيفة

عرض الأستاذ/ أحمد تقي الدين

نسبه وولادته

هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حسنة الأنصارى .

وسعد بن حسنة أحد الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ وهو مشهور فى الأنصار بأمه هى حبتة بنت مالك من بنى عمرو بن عوف .

وكان سعد بن حبتة فيمن عُرِضَ على رسول الله ــ ﷺ ــ يوم أحد مع رافع بن خديج وابن عمر ، فاستصغره .[1] أى لم يسمح له بالحرب لصغره .

ولد أبو يوسف بالكوفة سنة ١١٣هـ ، وكانت الكوفة حينذاك واحدة من أهم مراكز الحضارة الإسلامية ، حيث شهدت نمو كثير من العلوم والمعارف الإسلامية وازدهارها مثل : القراءات ، والفقه ، والحديث ، وعلوم اللغة . وغيرها .

رحلته فى طلب العلم

أورد الخطيب البغداد عن أبى يوسف قوله : « كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ، فجاء أبى يوما وأنا عند أبى حنيفة ، فانصرفت معه ، فقال : يابنى لاتمدن رجلك مع أبى حنيفة . فإن أبا حنيفة خبزه مشوى ، وأنت تحتاج إلى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب ، وآثرت طاعة أبى ، فتفقدنى أبو حنيفة ، وسأل عنى ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى : ما شغلك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدى ، فجلست ، فلما انصرف الناس دفع إلىّ صرة ، وقال استمتع بهذه ، فنظرت فإذا فيها مائة درهم ، فقال لى : إلزم الحلقة ، وإذا نفدت هذه فأعلمنى . فلزمت الحلقة ، فلما مضت مدة

(١) وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٣٧٨ ، تاريخ بغداد ، جـ ١٤ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٨٠

بميرة دفع إلىّ مائة أخرى ، ثم كان يتعاهدنى ، وما أعلمته تخلة قط ولا أخبرته بنفاد شىء ، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت »[٢] .

وينقل ابن كثير عن أبى يوسف قوله : « توفى أبى وأنا صغير فأسلمتنى أمى إلى قصار ، فكنت أمر على حلقة أبى حنيفة ، فأجلس فيها ، فكانت أمى تتبعنى ، فتأخذ بيدى من الحلقة ، وتذهب بى إلى القصار ، ثم كنت أخالفها فى ذلك ، وأذهب إلى أبى حنيفة ، فلما طال ذلك عليها ، قالت لأبى حنيفة : إن هذا صبى يتيم ليس له شىء إلا ما أطعمه من مغزلى ، وإنك قد أفسدته على . فقال لها أبوحنيفة : اسكتى يارعناء ، ها هو ذا يتعلم العلم ، وسيأكل (الفالوذج) بدهن الفستق فى صحون (الفيروزج) . فقالت له : إنك شيخ قد خرفت » .

يقول أبو يوسف : «فبينا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتى بـ (فالـــوذج) فى صحـــن (فيروذج) فقال لى : كل من هذا ، فإنه لايُصنع لنا فى كل وقت. قلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا (الفالوذج) قال : فتبسمت ، فقال : مالك تبسم ؟ فقلت : لاشىء أبقى الله أمير المؤمنين . فقال : لتخبرنى . فقصصت عليه القصة ، فقال : إن العلم ينفع ويرفع فى الدنيا والآخرة » .

شيوخه :

جالس محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، ثم جالس أبا حنيفة وسمع أبا إسحاق الشيبانى ، وسليمان التيمى ، ويحيى بن محمد بن إسحاق بن يسار ، وعبيدالله بن عمر العمرى ، وحنظلة بن أبى سفيان وحجاج بن أرطأة ، والحسن بن دينار ، وليث بن سعد ، وأيوب بن عتبة ، وغيرهم وكان الغالب عليه مذهب أبى حنيفة .

تلامذته :

روى عنه محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى ، وبشر بن الوليد الكندى ، وعلى بن الجعد ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعمرو بن محمد الناقد ، وأحمد بن منيع ، وعلى بن مســلم الطوسى ، وعبدوس بن بشر ، والحسن بن شبيب .[٤]

رأى العلماء فيه :

قال عنه يحيى بن معين : « أبويوسف أنبل من أن يكذب » .

وقال عنه أيضاً : « كان أبو يوسف يحب أصحاب الحديث ويميل إليهم .. وقد كتبنا عنه أحاديث » .

وقال عنه أيضاً : « كان أبويوسف ثقة »[٥] .

وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل : « أول ما طلبت الحديث ذهبت إلى أبى يوسف القاضى .. وهو صدوق .[٦]

---

(٢) تاريخ بغداد جـ ١٤ ص٢٤٣ ، ٢٤٤

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٠ ص ١٨٠

(٤) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٣٧٩ ، تاريخ بغداد جـ ١٤ ص٢٤٢

(٥) تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٢٥٥ ، ٢٥٩

(٦) تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٢٥٥

وذكر أبو عمر بن عبدالبر صاحب كتاب « الاستيعاب »في كتابه الذى سماه كتاب « الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء » أن أبا يوسف كان حافظا وأنه كان يحضر المحدث ، ويحفظ خمسين وستين حديثاً ، ثم يقوم فيمليها على الناس ، وكان كثير الحديث»[٧] .

ويقول عنه ابن قتيبة : « كان صاحب حديث حافظا »[٨] .

تنبأ له أبوحنيفة بما سيفتح الله عليه ، وقال لزوجته : « إنما هى أيام قلائل وسيصير لأبى يوسف نبأ وذكر ، ولعل الله يفتح لكم أفضل ماتؤملونه وترجونه »[٩] .

ويقول عنه طلحة بن محمد بن جعفر : « لم يتقدمه أحد فى زمانه ، وكان النهاية فى العلم والحكم والرياسة والقدر ، وهو أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة ، أملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبى حنيفة فى أقطار الأرض »[١٠] .

وقال عنه هلال بن يحيى : « كان أبويوسف يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب » .

وقال عنه أبوزرعة : « كان سليما من التجهم »[١١] .

ويقول عنه عمار بن أبى مالك : « ما كان فى أصحاب أبى حنيفة مثل أبى يوسف ، ولولا أبو يوسف ماذُكر أبو حنيفة ، ولامحمد بن أبى ليلى ، لكنه هو الذى نشر قولهما وبث علمهما »[١٢]وأورده الذهبى فى تذكرة الحفاظ ، فى الطبقة السادسة ونقل قول الإمام أحمد عنه : « كان منصفا (ولعلها مصنفاً) فى الحديث »[١٣]

مؤلفاته :[١٤]

لأبى يوسف إملاء رواه بشر بن الوليد القاضى يحتوى على ستة وثلاثين كتابا مما فرعه أبو يوسف : كتاب اختلاف الأمصار ، كتاب الرد على مالك بن أنس ، كتاب الجوامع ويحتوى على أربعين كتاباً ذكر فيه اختلاف الناس والرأى المأخوذ به .

وله مؤلفات مطبوعة وهى :

- الآثار
- الرد على سير الأوزاعى
- اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى
- الأصول والأمالى
- الخراج

ومن آرائه :

وكان ـ رحمه الله ـ يقول : « من قال القرآن مخلوق فحرام كلامُهُ ، وفرض مباينته ولايجوز السلام ولارده عليه » .

وكان يقـول أيضاً : « من طلب غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء

---

(٧) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٣٧٩

(٨) كتاب الخراج لأبى يوسف ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم البنا ، مقدمة المحقق .

(٩) نفس المصدر السابق .

(١٠) نفس المصدر السابق .

(١١) نفس المصدر السابق .

(١٢) نفس المصدر السابق .

(١٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ص ٢٩٢

(١٤) الفهرست ص ٢٨٦ ، الزركلى ، الأعلام جـ ص ٢٥٢

(١٥) الذهبى ، تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٩٢

(١٦) البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٨٠

(١٧) نفس المصدر السابق .

(١٨) الفهرست ص ٢٨٦

الفقر ، ومن طلب الدين بالكلام ، تزندق» ولما تناظر هو والإمام مالك بالمدينة بحضرة الرشيد فى مسألة (الصاع) وزكاة الخضراوات ، احتج مالك بما استدعى به من تلك الصيعان المنقولة عن آبائهم وأسلافهم ، وبأنه لم يكن الخضراوات يخرج فيها شيء فى زمن الخلفاء الراشدين ، فقال أبو يوسف : « لو رأى صاحبى ما رأيت لرجع كما رجعت»

القاضى أبو يوسف

اشتهر أبو يوسف بالقضاء حتى كان أحد أشهر من تولاه ، وكان تقلد منصب القضاء ببغداد بعد أبى بكر بن أبى سبرة حيث ولى القضاء أيام الخليفة العباسى المهدى وهو أول من لقب بـ (قاضى القضاة) وكان يقال له : قاضى قضاة الدنيا ، لأنه كان يستنيب فى سائر الأقاليم التى يحكم فيها الخليفة واستمر أبو يوسف قاضيا للقضاة فى خلافة الهادى ثم هارون الرشيد ، الذى كان يكرمه ويجله ، وذلك حتى وفاته سنة اثنين وثمانين ومائة للهجرة فى خلافة الرشيد (على نحو ما ذكر ابن النديم) .

ويعد كتاب الخراج لأبى يوسف من أبرز وأهم ماصُنف فى موضوعه من ناحية ويعد أيضاً واحداً من أبرز وأهم ماصنفه أبو يوسف .

ذلك لأنه كان الحبة الأولى فى عقد من المؤلفات حذت حذو أبى يوسف وأهمها :

ـ الخراج ليحيى بن آدم القرشى المتوفى سنة ٢٠٣هـ

ـ الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

ـ الاستخراج لأحكام الخراج لأبن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

ـ الخراج لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ

ـ الخراج لأبى العباس أحمد بن محمد بن عبدالكريم المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

كما أن الكتاب جاء استجابة من أبى يوسف لرغبة الخليفة العباسى هارون الرشيد ، الذى طلب من أبى يوسف أن يضع له كتاباً جامعاً يُعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات وغيرها .

وجاء كتاب أبى يوسف الذى أسماه « الخراج » ليكون بمثابة المنهاج للسياسة المالية للدولة حيث احتوى بداية على مقدمة تعد نموذجا يحتذى فى النصح والإرشاد ، ومما جاء فيها قوله للرشيد :

« واعمل لأجل مقبوض ، وطريق مأخوذ وعمل محفوظ » .

وقوله : « فكفى بالحسرة والندامة يومئذ فى ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل ليوم تزل فيه الأقدام » .

وقوله : « فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين ، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولايدينهم بمنازلهم»

« وإن الله سائلك عما أنت فيه وماعملت به »

وبجانب المقدمة اشتمل الكتاب على أربعة وثلاثين فصلا ــ مثّل الحديث الشريف والأثر عماد مادتها ــ وجاءت على النحو التالى :

١ ـ فى قسمة الغنائم .

٢ ـ فى الفيء والخراج .

٣ ـ ما عومل به فى السواد .

٤ ـ ما عومل به فى الشام والجزيرة .

٥ ـ كيف كان فرض أبى بكر وعمر لأصحاب النبى ﷺ .

٦ ـ فيما ينبغي أن يعمل به في السواد .
٧ ـ في ذكر القطائع .
٨ ـ في إسلام قوم من أهل الحرب والبادية على أرضهم وأموالهم .
٩ ـ في موات الأرض في الصلح والعنوة وغيرها .
١٠ ـ الحكم في المرتدين إذا حاربوا ومنعوا الدار .
١١ ـ حد أرض العشر من أرض الخراج .
١٢ ـ فيما يخرج من البحر .
١٣ ـ في العسل والجوز واللوز .
١٤ ـ قصة نجران وأهلها .
١٥ ـ في الصدقات .
١٦ ـ في تحريم منع الصدقة ، وفي مصرفها ، وما يلتزم به عاملها .
١٧ ـ في الزيادة والنقصان من الخراج .
١٨ ـ في والي الخراج .
١٩ ـ في بيع السمك في الآجام .
٢٠ ـ في إجارة الأرض البيضاء وذات النخيل .
٢١ ـ في الجزائر في دجلة والفرات والغروب .
٢٢ ـ في القنى والآبار والأنهار والشرب .
٢٣ ـ في الكلأ والمروج .
٢٤ ـ في تقبيل السواد وغير السواد واختيار الولاة لهم والتقدم إليهم .
٢٥ ـ في شأن نصارى بني تغلب ، وسائر أهل الذمة ، وما يعاملون به .
٢٦ ـ فيمن تجب عليه الجزية .
٢٧ ـ في لباس أهل الذمة وزيهم .
٢٨ ـ في المجوس وعبدة الأوثان وأهل الردة .
٢٩ ـ في العشور .
٣٠ ـ في الكنائس والبيع والصلبان .
٣١ ـ في أرض الدعارة والتلصص والجنايات وما تجب فيه الحدود .
٣٢ ـ في المرتد عن الإسلام والزنديق .
٣٣ ـ فيمن يمر بمسالح الإسلام من أهل الحرب ، وما يؤخذ من الجواسيس .
٣٤ ـ في قتال أهل الشرك وأهل البغي ، وكيف يُدعَوْن ؟

وبلغ عدد النصوص التي استند إليها أبو يوسف ثلاثة وثلاثين وخمسمائة نص من الحديث والأثر منها :

ما قاله في تحريم منع الصدقة :

١٧٦ ـ وبلغنا عن عبدالله بن مسعود أنه قال : « ما مانع الصدقة (الزكاة) بمسلم ، ومن لم يؤدها فلا صلاة له » .

١٧٧ ـ وأبوبكر يقول : « لو منعوني عقالا مما أعطوه رسول الله ـ ﷺ ـ لجاهدتهم » حين منعوا الصدقة رأى قتالهم حلالا طلقا له .

١٧٨ ـ وجرير يروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « ليصدر المصدق عنكم حين يصدر وهو راض » .

فمر يا أمير المؤمنين باختيار رجل ثقة ، أمين عفيف ناصح ، مأمون عليك وعلى رعيتك فوله جميع صدقات البلدان ، ومره فليوجه فيها قوما يرتضيهم ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم يجمعون إليه صدقات البلدان .. »

وقال في سرقة المسلم من الذمي :

أنه يلزمه ما يلزم السارق من المسلم ، وكذلك لو كان السارق ذميا لزمه ما يلزم السارق المسلم .

٤٢٢ ـ حدثنا أشعث ، عن الحسن قال : « من سرق من يهودي أو نصراني ، أو أحدا من أهل الذمة من غيرهما قطع » .

زمزم

على مر العصور

للدكتور/ أحمد رجب محمد علي (*)

تعد بئر زمزم التي تفجرت تحت أقدام إسماعيل ـ عليه السلام ـ من العناصر الهامة داخل المسجد الحرام، وقد مرت هذه البئر بالعديد من الحوادث، وطمرت فترة من الزمن، وفي هذا البحث القصير نتناول تاريخ زمزم على مر العصور منذ تفجرها حتى الآن.

زمزم قبل العصر الإسلامي:

ذكر الأزرقي في كتابه «أخبار مكة»[1] عن مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج عن كثير بن كثير عن عبد المطلب ابن أبي وداعة عن سعيد بن جبير أنه قال: حدثنا عبد الله بن عباس أن إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قدم وأم إسماعيل، وإسماعيل صغير ترضعه إلى مكة، ووضعهما في مكان زمزم، ثم توجه خارجا على دابته، واتبعت أم إسماعيل أثره وقالت له: إلى من تتركنا. قال: إلى الله -عز وجل- قالت: رضيت الله. فرجعت حتى مكان ابنها عليهما الصلاة والسلام، وكانت معها شنة بها ماء فأخذت تشرب منها وتدر على ولدها حتى فنى ماء شنتها؛ فانقطع درها فجاع ابنها فاشتد جوعه حتى نظرت إليه يتشحط قال: .. فحسبت أم إسماعيل أنه يموت، فعمدت إلى الصفا حين رأته مشرفا تستوضح ما عليه، ثم ذهبت من الصفا إلى المروة حتى كان مشيها بينهما سبع مرات. ثم رجعت إلى ابنها فسمعت صوتا - فقالت: أسمع صوتك فأغثني ان كان عندك خير. قال:

(*) الكاتب عضو هيئة التدريس ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

(1) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ 1، بيروت ١٩٨٣م، ص ٥٥

فضرب جبريل الأرض فظهر الماء فحاصته أم إسماعيل برمل ترده خشية أن يفوتها ، قبل أن تأتى بشنتها فشربت ودرت على ابنها .

وقد روى البخارى - رضى الله عنه - هذه الواقعة مطولة جداً بـ « صحيحه » .

وكانت زمزم هى مقدمة عمران مكة إذ يذكر المؤرخون [٢] أن ركبا من (جرهم) مَرَّ قافلا من بلاد الشام . فرأى الركب الطير على الماء ، فقال بعضهم : ما كان بهذا الوادى من ماء ولا أنيس . فأرسلوا رجلين لهما حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها ؛ فرجع الركب كله حتى حَيَّوْها فردت عليهم واستأذنوها فى أن ينزلوا معها على الماء فوافقت وبعثوا إلى أهاليهم فقدموا إليهم وأنكحوا إسماعيل امرأة منهم .

وفى صحيح البخارى : صريح موافقتها على إقامتهم دون أن يكون لهم حق فى الماء . أى يكون لهم منحة منها ، فوافقوا . وأخذ العمران يزداد بمكة بعد بناء سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام ، واستمرت جرهم تلى أمر البيت الحرام وزمزم فترة من الزمن إلى أن قدمت قبيلة يمنية هاجرت من الجنوب بعد تهدم (سد مأرب) وهى قبيلة خزاعة ، واحتكت خزاعة بجرهم فتقاتلت القبيلتان وانتصرت خزاعة ووليت أمر البيت ، وخرجت جرهم عن (وادى مكة) كما خرج أبناء إسماعيل عليه السلام وتفرقوا حول مكة [٣] وفى تهامة ، وقد بدأت مكة تتطور أيام خزاعة فقد عمل عمرو بن لحى زعيم خزاعة على تنشيط الحج إلى الكعبة [٤] .

وفى منتصف القرن الخامس الميلادى استطاع قصى بن كلاب بن مُرَّة القرشى أن يجلى قبيلة خزاعة من مكة ، وفرض سلطانه على بطون كنانة ، وأنزل قريشا مكة وقسمها بين بطونها [٥] .

وكانت زمزم فى تلك الأثناء قد أهملت إلى أن درست وخفت معالمها وظلت على ذلك حيناً حتى حفرها عبدالمطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم [٦] .

ويذكر الأزرقى عن حفر عبدالمطلب بن هاشم لبئر زمزم أنه عقب حادثة الفيل جاء إلى عبدالمطلب هاتف فى المنام ، قال له : احفر

---

(٢) الأزرقى : أخبار مكة جـ ١ ، ص ٥٩ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الأولى جـ ١ ، القاهرة ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٩م ص ١٨٧ .

(٣) جاء بتاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على حديث عن أبناء اسماعيل - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وملكهم الواسع الذى شارف شمال الجزيرة وظلوا زمنا على ذلك ، فإن حياة هؤلاء الأبناء كانت فى القرن الثامن عشر من قبل الميلاد وما يليه تقريبا أنظر أيضا للعقاد - أبو الأنبياء طبع دار أخبار اليوم .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ، ابن هشام : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة ، طبعه بدون تاريخ طبع ، جـ ١ ، ١٢٥ .

(٥) د. أحمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة فى العصر الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١١٧ .

(٦) قد يتساءل القارئ كيف كان يشرب أهل مكة وحجاجها بعد طمر مياه زمزم والإجابة : أنه كانت هناك آبار وعيون بمكة حفرت بعد زمزم منها : بئر حفرها مرة بن كعب بن لؤى تعرف باسم بئر اليسرة ، وبئر أخرى تعرف باسم بئر الروا بضم الراء المشددة المهملة وكانت البئران (اليسرة والروا) بواد على عرفه ، أنظر محمد عبدالله مليارى : توسعة المسجد الحرام ، بحث بمجلة المنهل العدد ٤٧٥ السنة ٥٦ ، ربيع الآخر ١٤١٠هـ ١٩٨٩م ص ٣٤

زمزم ، فاستيقظ من منامه ، ثم عاوده الهاتف مرة أخرى فى منامه . فقال له : احفر زمزم بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب ، فى قرية النمل مستقبله الأنصاب الحمر ، فلما استيقظ عبدالمطلب وذهب إلى المسجد الحرام جلس فيه فرى ماسُمِّيَ له من الآيات حيث نحرت بقرة بالحزوره[7] فانفلتت من جازرها حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم ، فجزرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتمل لحمها فأقبل غراب فهوى حتى وقع فى الفرث واجتمع حول ماتبقى النمل ، فقام عبدالمطلب فحفر هناك فجاءته قريش . فقالت له : ماهذا الصنيع ، لم تحفر فى مسجدنا ؟ فقال عبد المطلب : إنى حافر هذه البئر ومجاهد من صدنى عنها فطفق هو وابنه الحارث وليس له ولد يومئذ غيره فسفه عليهما يومئذ أناس من قريش فنازعوهما .

وقاتلوهما ، وتناهى عنه أناس آخرون لما يعلمون من عتقة نسبه ، حتى إذا اشتد عليه الأذى نذر إن وفى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم ، ثم استمر فى الحفر حتى أدرك سيوفا ذهبية فى زمزم فلما رأت قريش السيوف - قالت له : ياعبدالمطلب أجزنا مما وجدت ، فقال : هذه السيوف لبيت الله الحرام ، فحفر حتى انبط الماء فى القرار ثم بنى عليها حوضا فطفق هو وابنه يملأن الحوض فيشرب منه الحاج فيكسره أناس من قريش بالليل فيصلحه عبدالمطلب حين يصبح ، فلما أكثروا فساده دعا عبدالمطلب ربه ، فجاءه هاتف فى المنام فقال له قل : اللهم إنى لاأحلها لمغتسل ولكن هى للشارب حل . فلما أصبح عبدالمطلب نادى بالذى أرى فى المسجد ، ثم انصرف ، فلم يكن يفسد حوضه أحد من قريش إلا رمى فى جسده بداء حتى تركوا إفساد حوضه ثم تزوج عبدالمطلب حتى ولد له عشرة ذكور فهم بنحر أحدهم وأصابت القرعة عبدالله والد النبى -صلى الله عليه وسلم- فكرروا القرعة عشر مرات إلى أن افتدى عبدالله بمائة ناقة[8] .

زمزم فى العصر الإسلامى :

ظلت زمزم بعد حفر عبدالمطلب بن هاشم لها المصدر الرئيسى لسقاية حجاج بيت الله الحرام ، وقد ازدادت أهميتها ومكانتها فى العصر الإسلامى حيث ورد العديد من الأحاديث[9] فى فضل زمزم وبركة مائها الذى يشفى من الأسقام والعلل .

على أن زمزم كانت مجرد بئر محاطة بسور من الحجارة بسيط البناء ، وظل الحال كذلك **حتى عصر أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى الذى يُعد أول من شيّد قبة فوق زمزم وكان ذلك سنة مائة وخمس وأربعين[10]** .

وقد سقفت حجرة زمزم بالساج على يد عمر بن فرج وكسيت القبة الصغيرة بالفسيفساء كما جددت عمارة زمزم وأقيم فوق حجرة الشراب قبة كبيرة من الساج بدلاً من القبة

---

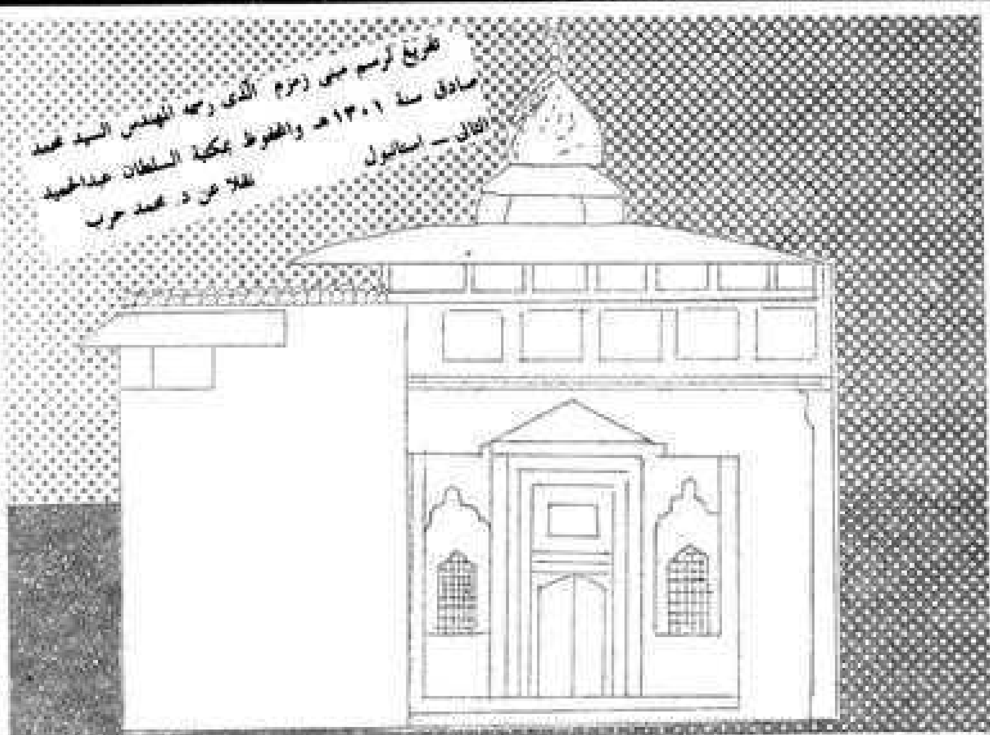
(7) الحزورة : اسم لسوق فى الجاهلية كان يعقد بالقرب من المسجد الحرام فى الجهة الغربية منه .

(8) الأزرقى : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٤٣ .

(9) من هذه الأحاديث ما أورده الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عفان عن أبى جمرة قال : كنت أدفع الناس عن ابن عباس فاحتبست يوما فقال : ما حبسك ؟ قلت : الحمى . قال : أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : «إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم» .

أنظر مثلا لذلك أحمد بن حنبل : المسند ، حديث رقم ٢٦٤٩ وإسناده صحيح ورواه البخارى ٦ : ٢٣٨ مختصرا .

(10) البتانونى : الرحلة الحجازية ، القاهرة ، ١٩١٠م ، ص ٨٦ .



الصغيرة التى تعلو البئر وكان ذلك فى عهد الخليفة المهدى سنة ١٦٠ هـ . كما جددت بئر زمزم وكسيت بالرخام وجددت قبتها فى عهد الخليفة العباسى المعتصم سنة مائتين وعشرين من الهجرة(١١)

ويقدم لنا الأزرقى وصفا لحوض زمزم فى القرن الثالث الهجرى فيذكر أن :

— ذرع تدوير الحوض كان من الداخل تسعا وثلاثين ذراعا ، ومن الخارج أربعين ذراعا وقطره اثنا عشر ذراعا وهو مفروش بالرخام ، وجدرانه ملبسة بالرخام ، وطول جدرانه أحد عشر إصبعاً وعرضه (سُمْكُهُ) ثمانية أصابع ، وما بين الحوض الذى فى زمزم والحوض الكبير الذى يشرب منه الحاج ثمانية وعشرون ذراعا ، وحول هذا الحوض اثنتا عشرة أسطوانه من الساج طول كل أسطوانه أربعة أذرع ، وعلى الحجرة قبة من الساج خارجها أخضر وداخلها أصفر ، عملت فى خلافة المهدى، سنة ستين ومائة(١٢) .

وقد جرى على قبة زمزم — بعد ذلك — العديد من الإصلاحات والترميمات .. ومن الرحالة الذين زاروا المسجد الحرام ووصفوا قبة زمزم «**الرحالة ابن جبير**» الذى زار المسجد الحرام فى أواخر القرن السادس الهجرى وقدم لنا وصفا لقبة زمزم فذكر أنها قبة جميلة مفروشة من الداخل والخارج بالرخام الأبيض(١٣) .

وفى عصر المماليك جرى على زمزم العديد من الإصلاحات ، ومن أهم تلك الإصلاحات ما تم

---

(١١) الأزرقى : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .

(١٢) الأزرقى : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ١٠٣ .

(١٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، تقديم محمد مصطفى زيادة ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٣ ص ٧٦ .

فى عهد السلطان الناصر : فرج بن برقوق عقب حريق أصاب المسجد الحرام فى ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة[14] .

كما عمرت قبة زمزم سنة ٨١٥ هـ على يد **قاضى مكة جمال الدين محمد بن أبى ظهيرة**[15] .

وفى عهد **«السلطان قايتباى»** تم إصلاح بئر زمزم وتجديد رخامها ، وكان ذلك سنة ٨٨٤ هـ[16] .

أما فى العصر العثمانى فقد كان الاهتمام كبيراً بالمسجد الحرام ، وقد جرى العديد من الإصلاحات على مبنى زمزم ، وخصوصاً فى عهد **«السلطان سليم الثانى»** سنة ٩٨٢ هـ[17] كما تم تجديد قبة زمزم فى عهد **السلطان أحمد سنة ١٢٠١ هـ**[18] وفى عهد **السلطان أحمد الرابع** سنة ١٠٨٣ هـ أمر بإصلاح وترميم جدران بئر زمزم ، وفى عهد **السلطان عبدالحميد الأول** ١١٨٧ ــ ١٢٠٣ هـ تم تجديد مبنى زمزم[19] .

على أن أكبر عمارة جرت على قبة زمزم ــ قبل أيامنا هذه ــ هى تلك التى تمت فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى حيث أوفد السلطان عبدالحميد الثانى سنة ١٣٠٠ هـ القائم مقام المهندس السيد محمد صادق[20] إلى المسجد الحرام لمعرفة ما يلزمه من إصلاحات وعمل الرسوم الخاصة بذلك ، وقد قام المهندس السيد محمد صادق بعمل رسوم للمسجد الحرام ، وباب السلام ، ومبنى زمزم وأرفق ذلك كله بتقرير يصف حالتها جميعا والمقترح فيما اقترح إجراء بعض التعديلات على مبنى زمزم من ذلك وضع بابين بشبكتين على الواجهة الشرقية للمبنى ، وعمل نوافذ ذات شبكات فى الجهة الشمالية والغربية وَصفٌ من النوافذ أعلى البناء للتهوية ، وقد تم بالفعل إجراء هذه التعديلات بمبنى زمزم سنة ١٣٠١ هـ (أنظر الشكل الموضح لموقع مبنى زمزم فى المسجد الحرام ورسما بعد عمل التعديلات به سنة ١٣٠١ هـ من عمل المهندس السيد محمد صادق .

وفى العصر الحديث أعيد بناء زمزم من جديد بعيداً عن مكانها الأصلى نظرا لأن المبنى القديم بالقرب من الكعبة يعوق الطواف فى العصر الحديث لكثرة إعداد الحجيج ، وقد تم توصيل مياه زمزم إلى مكانها الجديد فى الجزء الشرقى من الحرم عن طريق (مواتير) رفع ومواسير كما تم تخصيص مكان للرجال وآخر للنساء .

وأخيرا فرغم مرور آلاف السنين على بئر زمزم فقد بقى ماؤها للنقاء والطهارة والشفاء .

---

(١٤) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٢ ، عبدالكريم بن محب الدين القطبى : أعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥ تاريخ ، صفحة ١٨ .

(١٥) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٢٥م ، ص ٢٤٠ .

(١٦) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ طبع ، جـ ٥ ، ص ٢٠٧ .

(١٧) القطبى : مخطوط ، ص ٩١ .

(١٨) البتانونى : الرحلة الحجازية ص ٩٠

(١٩) د. عبداللطيف هريدى : شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى فى ضوء الوثائق التركية ، القاهرة ١٩٨٩م ص ٤٧ .

(٢٠) د. محمد حرب : خريطة لمنطقة الحرم المكى ، بحث بمجلة الدارة السعودية عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٨هـ / نوفمبر ١٩٨٧م ص ٤٣ : ٥٤ ــ حيث أورد الدكتور محمد حرب نص التقرير الذى رفعه المهندس السيد محمد صادق الى السلطان عبدالحميد والمخطوط حاليا بمكتبة السلطان عبدالحميد ــ استانبول .

الملكية وضوابطها الشرعية

الجزء الأخير

بقلم الأستاذ / السيد أحمد المخزنجي

تعريف الملكية وأنواعها :

يمكن تعريف الملكية بأنها : (الاحتواء والقدرة على الاستبداد (أو الاستئثار) بالشيء ويراد بها حق الفرد في احتواء شيء ما ، وتمكينه من الانتفاع به بكافة الطرق الجائزة شرعا ، بحيث لايجوز للغير الانتفاع بهذا الشيء إلا بموافقة المالك الأصلي وفقاً لصورة من صور التعامل الجائز .

وتختلف علاقة الفرد بالمال عن علاقته بالملك ، لأن الملكية ليست شيئا ماديا كالأموال ، وإنما هي حق يحتاج إلى اعتبار شرعي ، ولهذا فإن الملكية تعبر عن معنى العلاقة بين الفرد والمال وتستدعي البحث عن أسباب التملك وطريقة استعمال هذه الملكية واستثمارها لكي تلائم الأسلوب الشرعي .

وقد ورد في القرآن الكريم من الأحكام مايدل على إقرار الملكية الفردية وتثبيتها كأحكام الارث ، فهي دالة على ملك المورث الذي مات ، وعلى تمليك الوارث بصرف النظر عن الشيء الذي هو موضوع الملك . كما أن أحكام المعاملات من بيع وتجارة أو دين يدل على ذلك . ومن المعروف أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحابته رضوان الله عليهم تملكوا فمنهم من ملك نقدا أو عقارا أو انعاما أو دواب او بساتين او غير ذلك قليلا كان أو كثيرا .

واذا استعرضنا آيات الكتاب الكريم نلاحظ أن الملك والمال نسبا إلى الله – تعالى – ثم إلى الانسان .

تقسيم الملكية :

وعلى هذا الأساس ، فانه يمكن تقسيم الملكية في الاسلام إلى قسمين رئيسيين : ملكية عامة وملكية خاصة .



أما الملكية العامة فإننا نجد الاشارة إليها – على سبيل المثال – فى نيل الأوطار (٥/٣٤٣) : «باب الناس شركاء فى ثلاث» .

وفى سنن ابن ماجة : (كتاب الرهون : «باب المسلمون شركاء فى ثلاث» .

ويروى الامام أحمد وأبو داود بسند رجاله ثقات أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال : «المسلمون شركاء فى ثلاثة : فى الماء والكلأ والنار» .

وفى رواية لابن ماجة بإسناد صحيح : «ثلاث لايمنعن : الماء والكلأ والنار» . وعند الشيخين (البخارى ومسلم) : «لاتمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ» .

وأيضا فى رواية لمسلم : «لايباع فضل الماء ليباع به الكلأ» .

وهذه الأشياء الثلاثة ضرورية للغاية ، لايستغنى عنها احد . ولهذا كانت الملكية عامة اولا لله ، ثم صورة متداولة بين الناس فيما يسمى الملك الخاص حيث يكون المالك قائما على اصلاحها واستثمارها.....الخ .

فالأصل فى الملكية التامة أنها لله – عزوجل – فهو – سبحانه وتعالى – الخالق ، لاشريك له فى ملكه ، الرازق الواهب المانع المانع ، مالك الملك والملكوت : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)(١) ، (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)(٢) ، (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ)(٣) ، (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)(٤) ، (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)(٥) ، (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ)(٦) ، (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)(٧) ، والآيات الكريمة كثيرة فى هذا المعنى .

ومما يلحق بالملكية العامة صورة – بناء على ان الملك لله وحده ماكان ملكا للدولة : كأراضى بيت المال التى كانت ترعى فيها إبل الصدقة ، والأرض التى جعلت لابل عامة الناس دون أغنيائهم .

ولما كان المال كسائر الممتلكات ملكا لله – تعالى – وجدنا إلى جانب التذكير بالانفاق من رزق الله ، نسبة المال إلى الله – عز وجل : (وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)(٨) . ولكننا نجد فى آيات اخرى نسبة المال للناس ، كقوله تعالى :

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)(٩)

(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)(١٠) .

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)(١١) .

(وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ)(١٢) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ١٨ .
(٣) سورة طه ، الآية ٦ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٠ .
(٥) سورة الحجر ، الآية ٢١ .
(٦) سورة سبأ ، الآية ٢٤ .
(٧) سورة الشورى ، الآية ٢٧ .
(٨) سورة النور ، الآية ٣٣ .
(٩) سورة المعارج ، الآية ٢٥ .
(١٠) سورة الذاريات ، الآية ١٩ .
(١١) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .
(١٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧٩ .

فالملكية هنا إنما تعنى «ملكية المنفعـــة والتصرف» . ومن ثم فالملكية فى الشريعـة الاسلامية إذن «حق فردى مقيد ، وهو كائن باستخلاف ومنح وتوظيف من الله ــ سبحانه وتعالى ــ ليقوم المالك من خلالها بأداء وظائف شخصية واجتماعية حددتها الشريعة الغراء» .

وملكية البشر هنا إنما جعلت تبعا لمبدأ الاستخلاف (﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(١٣) . فالمالك – عز وجل – استخلف البشر فى ماله ، وجعل لهم حق المنفعة وهذا الحق جعل فى بعض الأموال – وهو مايعرف بالملكية الخاصة – وفى بعضها الآخر جعل للجماعة أو الدولة وهو مايعرف بالملكية العامة(١٤) .

وإذا كان من المعلوم ان ملكية الانسان للمال «ملكية وكالة واستخلاف» ، فهذا الاعتقاد للمسلم ينتج عنه – حكما – ان تصرف الانسان الاقتصادى كسبا وإنتاجا وإنفاقا محكوم بإرادة المالك الأصلى وهو (الله) – تعالى – وهذا يعنى بشكل أوضح – كما يقول عمر حسنة : أن الانسان لايمتلك حرية التصرف من كل ضابط فى كسب وانفاق المال ، وانما هناك ضوابط شرعية وضعها المالك الأصلى لتحكم ممارسات الانسان جميعها ، الأمر الذى يترتب عليه قيود للكسب ، وقيود للانفاق «أو بمعنى آخر : هناك وسائل كسب شرعية ووسائل كسب محظورة ، لايحق للمسلم ممارستها أو الاقدام عليها فى معاملاته فى المجتمع ، كالربا والميسر والاحتكار ، والغبن والغش وكل العقود التى تتضمن الغرر والخداع . وهو ماسنفصل له فى موضعه من هذا الفصل تحت عنوان «ضوابط الملكية الشرعية فى الاسلام» .

أنواع الملكية :

نخلص من ذلك إلى ان الملكية – فى وضعها الثانى – هى ايضا نوعان خاصة (أو فردية) وعامة (أو جماعية) أو كما يسميها بعض الباحثين بـ«الملكية المزدوجة الخاصة والعامـــة»(١٥) ، وسنتنـــاول بالتفصيل هذين النوعين من الملكية لما لهما من ارتباط وثيق بالزكاة ودورها فى تنمية المجتمع ، وذلك على النحو التالى :

١ – الملكية الخاصة :

تجمع كل المؤلفات القديمة والحديثة.. على أن الاسلام أقر الملكية الخاصة (الفردية) وحماها إلى أقصى الحدود ، معلنا أن «كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه»(١٦) ، وأنه «لايحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس»(١٧) ، بل إن «من قتل دون ماله فهو شهيد»(١٨) .

وتقرير حق الملكية الفردية يحقق العدالة بين «الجهد والجزاء» ، فوق مسايرته للفطرة واتفاقه مع الميول الأصيلة فى النفس البشرية ، تلك الميول

(١٣) سورة الحديد ، الآية ٧ .

(١٤) الطبيعة المذهبية للاقتصاد الإسلامى ، بحث/ أشرف عبداللطيف ، مجلة (منبر الشرق) المركز العربى الإسلامى للدراسات ، القاهرة ، العدد(٥)، سبتمبر ٩٤ ص ٣٤ .

(١٥) النظام المالى فى الإسلام ، للدكتور إبراهيم حامد الأنصارى ، ص ٧٦ ــ ٧٨ .

(١٦) رواه أبو داود وابن ماجه ، عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه .

(١٧) رواه أحمد فى مسنده .

(١٨) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان .

التى يحسب الاسلام حسابها فى إقامة نظام المجتمع ، وفى الوقت ذاته يتفق مع مصلحة الجماعة بإغراء الفرد على بذل أقصى جهد فى طوقه لتنمية الحياة . فوق مايحقق من العـزة والكرامـة والاستقلال ونمو الشخصية للأفـراد بحيث يصلحون أن يكونوا أمناء على هذا الدين ، يقفون فى وجه المنكر ويحاسبون المخطىء فالنصيحة لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين : خاصتهم وعامتهم واجبة ، وهكذا نجد أن الشريعة الإسلامية تكفلت بوضع القواعد التى تضمن تحقيق مصالح الفرد والجماعة فى توازن مطلوب ودون غلو او شطط أو إلغاء للحقوق أو مساس بجوهرها .

ان حق الملكية حق شخصى لايجوز التعرض له مادام المالك يلتزم باستعماله وفق ماأراد الشارع الحكيم ، ولقد يرى البعض ان حق الملكية ليس وظيفة اجتماعية ، لأنه لم يتم بتوظيف من المجتمع ، وانما بتوظيف من الشارع .

ونحن نختلف مع صاحب هذا الرأى ، ونميل إلى أن حق (الملكية) وظيفة اجتماعية بمعنى أنه يؤدى دورا ايجابيا فى المجتمع سواء كانت هذه الملكية فردية أم جماعية ، نظرا إلى الهدف الذى يحققه فى المجتمع ، وبما أنه يتم «بتوظيف» من الشارع فهو بمثابة «تفويض» من الله – تعالى – للانسان فى الدنيا لممارسته هذا الحق أو تلك الوظيفة الاجتماعية فى هذه الحياة بطبيعة الحال .

ودليلنا على ذلك أن الاقتصاد الاسلامى يقرر – منذ البداية – الملكية الفردية ويقرر كذلك الملكية الجماعية ويجعل لكل منها مجالها الخاص ، الذى تعمل فيه ، وان كانت كل منهما ليست مطلقة ، وانما مقيدة بقيود ترجع لتحقيق مصلحة الجماعة ومنع الضرر أو وقوعه فى المجتمع ، الأمر الذى ينتهى بالملكية إلى ان تصبح «وظيفة اجتماعية»[19] .

وسائل التملك الفردى :

ويرتب الاسلام على نظريته لطبيعة الملكية نتائجها المنطقية ، فيضع الشروط الصحيحة للتملك ، بحيث لايخرج عن مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد الداخلة فى مصلحة الجماعة لاتنفصل عنها أبدا .

فهو يقرر: أولا أن الملكية لاتكون إلا بسلطان من الشارع «فالشارع فى الحقيقة هو الذى أعطى الانسان الملك بترتيبه على السبب الشرعى ، ولذا جاء فى بعض التعريفات : «ان الملك حكم شرعى مقدر فى العين أو المنفعة ، يقتضى تمكين من يضاف إليه من انتفاعه بالشىء وأخذ العوض عنه» .

ولبيان ذلك نقول : إن وسائل التملك ابتداء التى يعترف بها الاسلام هى :

اولا : الصيد وهو الوسيلة البدائية الأولى فى حياة البشرية ، وإن كانت مازال وسيلة للحصول على نوع من المال فى الأوساط التى ارتفعت وتحضرت ، فصيد السمك واللآلىء والمرجان والاسفنج – ومالها – موارد ضخمة من موارد الدول والأفراد . وصيد الطير والحيوان هواية وتجارة .

ثانيا : إحياء الموات : وهى الأرض الخراب التى لايمتلكها أحد ولاينتفع بها أحد ، وهى – كما ذكر

---

(١٩) المذهب الاقتصادى فى الإسلامى ، للدكتور محمد شوقى الفنجرى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٥ .

الفقهاء - أرض خارج البلد لم تكن ملكا لأحد ولاحقا له خاصا ، فلايكون من أرض الموات :

١ ــ الأرض التى تكون داخل البلد ولو كانت خربة .

٢ ــ الأرض التى تكون خارج البلد ولكنها من المرافق العامة لأهل المنطقة المجاورة لها .

٣ ــ الأرض التى تكون فيها المعادن ، وقد مثل الفقهاء الأقدمون لذلك بالملح والنفط والقار وماأشبهها مما لايستغنى عنه الناس .

وإحياء الأرض الموات يكون بجلب الماء لها إن كانت خالية من الماء أو بتجفيفها إن كانت مغمورة بالماء ، أو بزراعتها ، أو بالبناء فيها أو بكل شيء يجعلها صالحة للاستثمار بعد أن كانت معطلة .

قال الماوردى : وصفة الإحياء معتبرة بالعُرْف فيما يراد له الإحياء ؛ لأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أطلق ذكره إحالة على العُرْف المعهود فيه .

وحكم من أحيا أرضا مواتا كان مالكا لها وقد وردت فى ذلك أحاديث وآثار : فقد صح عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه قال: « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وما أكلت العافية منها فهى له صدقة »[٢٠] .

وفى رواية أخرى : « من عمَّر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها »[٢١] .

هذا ، ولابد من أن يقوم الفرد بإحياء الأرض التى وضع يده عليها خلال ثلاث سنوات من وضع يده عليها وإلا سقط حق ملكيته لها ؛ لأن الغرض من ذلك هو إحياء الموات لتحقيق المصلحة العامة فى الاستفادة به ، وثلاث سنوات محك كاف لقدرة واضع اليد على هذه الأرض ، فإن لم تتبين هذه القدرة عادت الأرض الموات التى لم يكن لها مالك للجماعة ، لايحتجرها فرد منها ، أو يستولى عليها بحجة وضع اليد ــ كما هو معروف فى النظم الوضعية ، طبقا للحكم « ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » .

والحكمـــة من ذلك الشرط ــ باتفـــاق الفقهاء ــ هى أنه إذا مضت ثلاث سنوات ولم يقم محتجر الأرض بإحيائها انتزعت منه وأعطيت لغيره ؛ لأن القصد من تمليكه لأرض الموات أن ينتفع المجتمع والدولة الإسلامية بزيادة الثروة العامة أو الدخل القومى وتوسيع رقعة الأرض الصالحة للزراعة والاستثمار .

وهذا الجانب مراعى الآن لدى أكثر من دولة حتى بعض الدول العلمانية رأت أنه لايجوز لها أن تعطى الأرض لشباب ثم تتركه هملا .

ثالثاً : استخراج ما فى باطن الأرض من المعادن (الركاز) وهذا العمل يجعل أربعة أخماس ما يستخرج من معدن ملكا لمن استخرجه ، والخمس زكاة ، إذ كان هذا الركاز مباحا يحصل عليه الفرد بجهده وكده . وهنا لابد من كلمة

---

(٢٠) رواه أحمد والنسائى وابن حبّان والضياء فى المختار ، عن جابر ــ رضى الله عنه .

(٢١) راجع كتاب الأموال لابن سلام .

تقال : فقد كان ما يستخرج من الركاز إلى الوقت الذى شرع فيه هذا الحكم هو من المعادن القليلة الاستعمال ، كالذهب والفضة ، وهذه ليست من ضروريات الجماعة كلها كالبترول والفحم والحديد ، فهل يلحق البترول والفحم والحديد وما فى حكمها بالضروريات المشاعة ، كالماء والكلأ والنار ، أم الركاز الذى كان معروفا فى أوائل عهد الإسلام ؟

نحن نميل — هنا كما يميل بعض الكتاب — إلى رأى المالكية فى اعتبار هذه الأنواع ملكاً عاماً لاتنتقل ملكيته إلى مالك الأرض التى وجد فيها ، لأن تملكه للأرض لايعنى تملك ما فيها ، إذ ليس لمثلها تملك الأرض وتطلب فى العادة .

رابعاً : الإقطاع : وهو فى الشريعة يعنى : تمليك الإمام أرضا لا مالك لها ، لإنسان يقوم بعمارتها واستغلالها ، على أن يتم ذلك خلال مدة معينة[22] .

١ — الأراضى غير المملوكة لأحد ولو كانت خرابا .

٢ — الأراضى التى ليست من المرافق العامة ، التى يحتاج إليها سكان المدن أو القرى أو الصحراء .

٣ — الأراضى التى ليس فيها معادن يحتاج إليها الناس ، كالفحم والبترول والذهب والفضة .. الخ . وماعدا هذه الأنواع الثلاثة من الأراضى فمن حق الإمام أن يُقْطِعَها لمن يشاء ، ولا يجوز له أن يفعل ذلك محاباة ، وإنما عليه أن يبتغى فى ذلك نفع الأمة والبلاد[23] .

وقد أقطع الرسول — صلى الله عليه وسلم — عبدالرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وغيرهم ، فهو إقطاع لعمل عمرانى أدى أجل الخدمات المالية للدولة وعمل على تنمية ثروتها الأقتصادية . وفى أكثر الحالات لم يخرج الإقطـــاع عن حدود الشريعة ، وهو أن تكون الأرض المُقْطَعَة أرضا مواتا ، غير مملوكة لأحد أو من أراضى الدولة غير المحظور إقطاعها على النحو الذى أشرنا إليه ، ويكون ذلك لمن يحسن عمارتها واستغلالها ، ونصوص الفقهاء كلها مجمعة على ذلك[24] .

رابعاً : تصنيع المادة الخامة ، لتفى بحاجة حيوية وتحقق منفعة لم تكن تحققها وهى خامة ، أو تحسين وظيفتها بحيث تؤدى منفعة أكبر .. وقيمة العمل — بأنواعه — واضحة فى هذه العملية .

خامساً : التجارة وتتضمن مراحل متعددة قد يقوم بها كلها فرد واحد أو أفراد متعددون ، ولكن الغاية التى تتحقق فى النهاية هى نقل الأشياء الخامة أو المصنعة من يد إلى يد ، مما يزيد الانتفاع بالخامة أو السلعة .

سادسا : العمل بأجر للآخرين . والإسلام يحترم هذا العمل ويعظمه ويدعو إلى توفية أجره معجلا كاملا غير منقوص . « وقل أعلموا فسيرى

---

(٢٢) راجع اشتراكية الإسلام ، السباعى ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(٢٤) النظام المالى فى الإسلام ، د. إبراهيم الأنصارى ، ص ٩٥ — ٩٦ .

الله عملكم ورسوله والمؤمنون ». التوبة (١٠٥)، وفى ذلك حث على التجويد والإحسان.

سابعاً: الميراث: يعد أيضا بابا من أسباب الملكية بانتقال التركة ـــ بعد سداد الديون ـــ إلى الوارث.

ثامنا: شتى صور « العمل » التى تتجدد وتتمثل فى بذل جهد عقلى أو عضلى .. تلك هى الأسباب التى يقرها الإسلام سببا للتملك ابتداء، دون ما عداها حتى يكون للفقهاء فيه تحكيم.

ومادام العمل ـــ بشتى صوره ـــ هو سبب التملك فتقرير حق الملكية الفردية فى الحدود التى بينا لا يضار به أحد.

الإسلام وحماية الملكية الخاصة

من أهم المقومات التى صانها الإسلام: الحريات ـــ بحقها ـــ والملكيات كذلك حتى تشيع فى حياة الأفراد وحياة الجماعة روح الاطمئنان، فيتوجه الناس إلى أعمالهم وقد ملأ الأمن جوانب نفوسهم، وانعكس على حياتهم.

ومن أجل ذلك حرم الإسلام السرقة، قال تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله[٢٥] . والاختلاس والنهب.

كما حارب الإسلام الادعاءات الباطلة والأيمان الكاذبة قال سبحانه وتعالى :ـــ

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ سورة البقرة

يقول الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود:

وقد وضع الله ـــ سبحانه وتعالى: قواعد لكسب المال، وقواعد لطهر المال، وقواعد للأغنياء الذين آتاهم المال. ونظم الأمر فى كل مايتعلق بالمال: تجارة وزراعة وإجارة وبيعا وشراء وكتابة للدين .. الخ[٢٦] .

أما قواعد كسب المال فإنها تكاد تتلخص فى كلمة الحلال وتعنى: أن يكون المال خالصا من وجوه الحرمة، لاشبهة فيه. ولقد شدد الإسلام كثيرا فى اشتراط أن يكون الكسب من حلال.

فعن ابن عباس ـــ فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه ـــ قال: تليت هذه الآية عند النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا» فقام سعد بن أبى وقاص وقال: يارسول الله: ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة، فقال: ياسعد: أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه أربعين يوما (يعنى صلاة أو دعاء)، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به ..

ومما يتصل بذلك عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال: (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)[٢٧] .

وأخذ المسلمون فى إطار تلك المبادىء الإسلامية يعملون فى جد لكسب العيش ولاستثمار المال، كانوا يتاجرون ويزرعون ويسافرون بالتجارة هنا وهناك أو يرسلون من يقوم نيابة عنهم بالتجارة فى أموالهم.

(٢٥) سورة المائدة، الآية ٢٥.

(٢٦) د. عبدالحليم محمود. أبو ذر الغفارى والشيوعية ص ٤٢ ـــ ٤٤، دار المعارف القاهرة ١٩٧٥.

(٢٧) رواه الترمذى والحاكم، عن أبى سعيد الخدرى ـــ رضى الله عنه.

رد علمي على مقال الأستاذ كليب

الفجر الصحيح وترشيد التصحيح

للأستاذ الدكتورة مرفت السيد عوض (*)

طالعنا مجلة الأزهر الشريف فى عدد شوال المبارك بمقالة للأستاذ (عبدالملك على الكليب) تحدث فيها ـ عما ظنه خطأ ـ فى الوقت المقدر لبدء حلول صلاة الفجر ، واقترح ما عنّ له من تصحيح ، وحيث إن هذا الموضوع الهام جانبيه : الشرعى والعلمى الفلكى رأيت لزاماً علىّ توضيح ما التبس على الأستاذ الكاتب مع دعائى له أن يثيبه الله على اجتهاده ، وأن يوفقنى الله ـ سبحانه ـ فى تجلية الأمور . وقبل أن أعرض للرأى العلمى الصحيح المبنى على تعريف دقيق لوقت الفجر أرى من الضرورى أولاً إبداء ملاحظات واضحة على المقالة المذكورة .

ملاحظات على مقالة الأستاذ الكليب :

يقول الكاتب بصفحة ١٤٣٨ :

« من المتفق عليه فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية أن الظلام يكون دامساً عندما يكون انخفاض الشمس ١٨° تحت الأفق وأن أول خيط من الفجر يظهر بعد دقائق ليست بالقليلة من الوقت الذى يكون فيه مركز الشمس عند هذه الدرجة (١٨°) » .

(*) الكاتبة : أستاذ الفلك وعلوم الفضاء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

والجزء الأخير من هذا القول فيه الكثير من عدم الدقة : فهذا الانخفاض للشمس يقصد به تحديد الوقت الملائم لإجراء الأرصاد الفلكية سواء كان بعد غروب الشمس أو قبل شروقها ، أما إذا ارتفعت الشمس تحت الأفق بأكثر من ذلك أضاءت السماء بنورها بدرجة لاتسمح بإجراء تلك الأرصاد .

ويقحم الكاتب أول صفحة ١٤٣٩ ــ العلم ببساطة غريبة حيث يقول : « ولكن العلم والواقع ينفيان ذلك نفياً قاطعاً » .

والعلم لا يصح أن يقحم إلا بواسطة المتخصصين وبعد إجراء حسابات وقياسات دقيقة ومعقدة .

كذلك أورد الكاتب فى ذات الصفحة تعليقاً خاطئاً تحت الرسم حيث يقول : « فالراصد الذى ينظر إلى الموضع الذى سوف تطلع منه الشمس يرى فقط تلك الأجزاء المتوهجة من الغلاف الجوى فوق الارتفاع (ع) » .

والصحيح أن الراصد لن يرى شيئاً غير ما يتشتت من ضوء الشمس على مكونات الغلاف الهوائى ليصل إليه فوق مستوى الأفق الخاص به .

وجاءت صفحة ١٤٤١ استشهاد الكاتب بما ورد عن السيدة/ عائشة ــ رضى الله عنها ــ فيقول : إن الرسول ﷺ « لم يكن ينتظر فقط طلوع الفجر ثم يصلى الركعتين الخفيفتين بل كان يمهل حتى يستبين الفجر ثم يصليهما » .

بينما لا يفهم هذا بأية صورة من حديث السيدة/ عائشة .

وأورد فى نفس المقال صفحة ١٤٤٠ ما نصه « كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين بعد أن يتبين الفجر » .

وشبه الجملة الأخيرة لا تعنى انتظاراً حتى (يستبين الفجر) كما يقول الكاتب ، بل تعنى تثبتاً من حلول الوقت حيث كان دخول الوقت يعتمد على الرؤية الشخصية وليس له معايير أخرى ، يؤكد ذلك ما أورده (السندى) و (البغوى) عن تفسير الشافعى للحديث الشريف « أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر » على أن المقصود تيقن طلوع الفجر وزوال الشك .

وفى صفحة ١٤٤٢ أورد سيادته تبسيطاً غريباً للأمور حيث يقول : « يوجد فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية اتفاق عام على أنه عندما تكون زاوية انخفاض الشمس ١٨° تحت الأفق أو أقل من ذلك بقليل (٣٠ ١٧° أو ١٧° مثلا) فإنه لا يوجد أى أثر لضوء الفجر على الأفق .

ونتساءل : من أين جاء الكاتب بالأرقام ما بين القوسين ، ثم هل يصح أن نستخدم كلمة (مثلا) فى هذا السياق شديد الجدية . إن كل ما استشهد به من تعريف للشفق سواء فى « جداول سمثونيان » أو الموسوعة البريطانية حدد انخفاضاً للشمس مقداره ١٨° .



حديث الكاتب مع المراصد العالمية:

تحدث الكاتب عن مراسلات بينه وبين مراصد عالمية تلخص هنا ردودها التى أوردها هو نفسه فى مقاله .

يقول مرصد البحرية الأمريكية :

١ ـ ينتهى الظلام التام فى الصباح عندما يكون مركز الشمس هندسياً تحت الأفق بمقدار (١٨°) .

٢ ـ على أى حال تكون الإضاءة وقتئذ خافتة لدرجة غير مؤثرة .

٣ ـ يحتاج الأمر فى موقعك الجغراف المحدد لإجراء أرصاد مطولة لتبين الفترة الزمنية التى تمضى بعد بدء الشفق الفلكى صباحاً وحتى يظهر أول ضوء مرئى .

أما رد مرصد جرينتش فقد نص على أنه :

« من المهم أن تكون الشمس تحت الأفق بأكثر من (١٨°) حتى لايؤثر الشفق فى الأرصاد الفلكية » .

ملاحظة أخيرة عن الأرصاد التى يقول : إنه أجراها لإثبات ما ذهب إليه ، وهى أن الأرصاد التى تجرى لاختبار أمر كهذا لاتكون بالنظر للنجوم لاستطلاع إمكانية رصدها من عدمه ؛ بل بطرق أخرى يعرفها المتخصصون .

كذلك وقع سيادته ـ فى بدء مقاله ـ فى خطأ علمى فادح حين ذكر أن أخفت نجوم السماء تكون من الدرجة السادسة .

والصحيح أن نجوم القدر السادس هى أخفت ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ، ومما يرى من السماء بالعين المجردة ؛ بل بالعين من خلال المناظير ما هو إلا قطرة فى محيط الكون الفسيح .

تعريف الفجر :

قال الله ـ تعالى ـ فى كتابه الكريم :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٨٧

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

(سورة الإسراء)

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٢٦

فى الآية الكريمة الأولى حدد لنا الله ـ سبحانه ـ وقت بداية الفجر تحديدا لا يقبل فى تفسيره أى لغو ، فضوء الفجر يبدأ فى الظهور كضوء خافت مواز لخط الأفق ويميل لونه للحمرة بينما يكون كل ما يعلوه من السماء سوادا كالحا ، وتشبيه هذا الضوء بالخيط لم يأت من فراغ فهو تعبير ربانى ، إن الله ـ سبحانه ـ يخبرنا أن وقت الفجر يبدأ مباشرة بمجرد ظهور أقل ضوء على الأفق وليس بعد أن ينتشر هذا الضوء . ما يحدث بعد ظهور هذا الخيط من الضوء أنه يبدأ فى الانتشار فيزداد عرضا فوق الأفق كما يزداد انتشارا على امتداده ، وتضطرد الزيادة إلى أن تشرق الشمس لتضيىء الأرض بنور ربها .

وكما ورد فى تفسير القرطبى لهذه الآية الكريمة وتحديد بدء فترة الفجر فقد قال الجمهور من الفقهاء : « ذلك الفجر المعترض من الأفق يمنة ويسرة » كذلك روى مسلم عن سمرة بنجندب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ « **لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا** » وأداه حماد بيديه قال : يعنى معترضا .. وفى حديث ابن مسعود ينبه لوجود

الفجر الكاذب » إن الفجر ليس الذى يقول هكذا ـ وجمع أصابعه ثم نكسها إلى الأرض ـ ولكن الذى يقول هكذا ـ ووضع المسبحة على المسبحة ومد يديه » كذلك روى الدارقطنى عن عبدالرحمن بن عباس أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : « هما فجران : فأما الذى كأنه ذنب السرحان ، فإنه لا يحل شيئا ولا يحرمه ، وأما المستطيل الذى عارض الأفق ففيه تحل الصلاة ويحرم الطعام » .

أما الآية الكريمة الثانية فتتحدث عن وقت صلاة العشاء وفى تفسيرها ذكر القرطبى : يقول الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ فى الموطأ : « فإذا غاب الشفق فقد خرجت من وقت المغرب ودخل وقت العشاء » وبهذا قال أبو حنيفة وأصحابه والحسن وأحمد وإسحق وأبو ثور وداود .

والآية الكريمة الثالثة لا تتعلق بتحديد وقت للفجر أو للعشاء ، ولكنها تخبرنـا بأن الله ـ سبحانه ـ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل بمعنى أنهما غير منفصلان تمام الانفصال فالانتقال بينهما يتم تدريجيا فلا تكون ظلمه ثم يبهتنا الضياء فجأة أو يكون نهار فيفجأنا الظلام .

الفجر الصادق والفجر الكاذب :

مثلما ينعكس ضوء الشمس على المرايـا والسطوح اللامعة ، تبعا لقوانين الانعكاس المعروفة ، ينعكس كذلك على جزيئات الهواء وبخار الماء والأتربة العالقة به ؛ ولأن هذه الجزيئات والعوالق تملأ الفراغ متحركة فى كل اتجاه لا يسمى الانعكاس عليها انعكاسا بل تشتتا وهو يحدث فى جميع الاتجاهات ، ويصلنا على الأرض نوعان من هذا الضوء المتشتت :

١ ـ ضوء الشفق : وهو ما يضىء الأرض لفترة بعد غروب الشمس وقبل شروقها ، وهذا الشفق ناجم من تشتت ضوء الشمس على مكونـات غلافها الجوى .

٢ ـ الضوء البروجى : وهو ضوء خافت يظهر قبل الفجر تجاه الشرق على شكل هرم قاعدته على الأفق ورأسه لأعلى ، وهذا الضوء ناجم من تشتت ضوء الشمس على الغازات والأتربة الموجودة فيما بين الكواكب .

والضوء البروجى هذا هو ما اصطلح على تسميته بالفجر الكاذب .

على ذلك فإن الفجر الكاذب هو ضوء هرمى الشكل تنطبق قاعدته على الأفق ويرتفع لأعلى ، أما الفجر الحقيقى أو « الصادق » فهو خيط الضوء الذى أخبرنا به الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة البقرة ، ويميزه عن ضوء البروج أنه مواز للأفق منتشر يمين الشمس ويسارها ولونه مائل للاحمرار ، وما أن يبدأ حتى يأخذ فى الانتشار أفقيا لأعلى إلى أن يظهر قرص الشمس فوق الأفق .

وقد ورد فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى ، أن سائلا أتى الرسول ﷺ يسأله عن مواقيت الصلاة فلم يرد شيئا ، قال : فأمر بلالا فأقام الفجر حين انشق الفجر والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضا ـ ثم أخر الفجر من الغد حتى انصرف منها والقائل يقول : قد طلعت الشمس أو كادت ، ثم دعا السائل فقال : « الوقت بين هذين » ، كذلك فعل الرسول ﷺ بالنسبة للمغرب ليبين لنا أنه فيما بين غروب الشمس وانتهاء الشفق حيث يحل وقت العشاء .

الشفق ووقت الفجر :

يتضح من العرض السابق أن الشفق ــ هو إضاءة السماء (أو الأفق) بضوء الشمس ــ لا يأتي مباشرا بل متشتتا على مكونات جو الأرض ، وضوء الشفق بطبيعة الحال ينقص بازدياد انخفاض الشمس تحت الأفق وبذلك يكون له تعريفات مختلفة منها :

١ ــ الشفق الفلكي : تكون الشمس فيه في انخفاض تحت الأفق يقل عن ١٨° حيث يمكن إجراء الأرصاد الفلكية ، **وزاوية الانخفاض هذه ليست حاسمة تماما كما ظن الأستاذ / الكليب فهي تعتمد على الظروف الجوية أي : إنها زاوية استرشادية لدرجة كبيرة** وكل فلكي أقدر على مواءمة ظروف أرصاده التي يجريها . ودليل ذلك في بعض أيام الخماسين حين يظل الأفق منيرا حتى بعد العشاء .

٢ ــ الشفق البحري : ويقدر فيه انخفاض الشمس بحوالي ١٢° تحت الأفق حيث يمكن رصد بعض النجوم اللوامع وذلك لصفاء الأفق فوق البحر والمحيط .

٣ ــ الشفق المدني : ويقدر فيه انخفاض الشمس تحت الأفق بحوالي ٦° حيث لا يمكن عندها تسيير الحياة المدنية بغير استخدام الأنوار الصناعية .

إذن فتعريف الشفق يعتمد على الهدف منه ، ومن حقنا كمسلمين أن نتبنى ما يتماشى مع ما أمرنا به الله ورسوله . إن الظروف الجوية وقت غروب الشمس تعجل بعضا بصلاة العشاء فتحل حين يصل انخفاض الشمس تحت الأفق إلى ١٧,٥° ، أما قبل الفجر فسكون الحياة وتغير الظروف الجوية فمثلا بتكثف قدر كبير من بخار الماء قرب سطح الأرض ، يؤدي هذا إلى ازدياد قدرة الهواء على تشتيت ضوء الشمس مما يعجل بظهور الشفق ، لذلك يعين وقت الفجر والشمس تحت الأفق على انخفاض قدره ١٩,٥° .

هاتان الزاويتان لم تقدرا جزافا وإنما بعد دراسات وقياسات دقيقة لإضاءة ضوء السماء قبل لحظة بدء الفجر وبعدها وكذلك بالنسبة للعشاء . وقد جرت مراجعات عديدة لهذه القيم ، وهي ــ وإن اختلفت بقدر ضئيل تبعا للظروف الجوية ــ إلا أننا لا يمكن أن نحدد زاوية لكل يوم من السنة فهاتان القيمتان (١٧,٥° للعشاء ، ١٩,٥° للفجر) تمثلان الواقع بصورة كاملة بما يرضى الله ويبعد عنا أثم مخالفة شرعه سبحانه . (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا)

☐ **مجلة الأزهر :**

نلاحظ أن دراسة الأستاذ الدكتورة مرفت مضادة ــ تماما ــ لدراسة الأستاذ كليب ، وليس ذلك كل ما هنالك ؛ فهناك أكثر من دراسة في الموضوع ، وقد اهتمت بها الهيئات الدينية الرسمية لاستخلاص الصواب الرشيد في هذا الأمر وعلى الله قصد السبيل .

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السؤال الثاني من السيد/ محمود لطفي محمد عبدالرحيم الطالب بالأزهر عن حكم قول : « صدق الله العظيم » بعد تلاوة القـــرآن الكريم ، وهل هو بدعة ، وهل يصح أن يصدق الإنسان على كلام الخالق أفيدونا أفادكم الله ؟

الجـواب : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد فقول « صدق الله العظيم » من القارىء أو من السامع بعد الانتهاء من القراءة أو عند سماع آية من القرآن ليس بدعة مذمومة .

أولا : لأنه لم يرد نهي عنها بخصوصها .

وثانيا : هي ذكر والذكر مأمور به كثيرا .

وثالثا : أن العلماء تحدثوا عن ذلك داعين إليه كأدب من آداب قراءة القرآن ، وقرروا أن قول ذلك في الصلاة لا يبطلها .

ورابعا : أن هذه الصيغة أو قريبا منها ورد الأمر به في القرآن .

قال تعالى :

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

سورة آل عمران ٩٥

وقال : ﴿ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

سورة الأحزاب

وجاء في فقه المذاهب الأربعة : أن الحنفية قالوا : لو تكلم المصلى بتسبيح مثل « صدق الله العظيم » عند فراغ القارىء من القراءة لا تبطل صلاته إذا قصد مجرد الثناء والذكر أو التلاوة ، وأن الشافعية قالوا : لا تبطل مطلقا بهذا القول .

فكيف يجرؤ أحد فى هذه الأيام على أن يقول : إن قول « صدق الله العظيم » بعد الانتهاء من قراءة القرآن بدعة .

السؤال من السيد/ م . أ . جمال نرجو الإفادة عن مشروعية الاشتراك فى مجلس إدارة شركة للمشروبات تقوم بتصنيع وتعبئة البيرة (الكحول) والبيرة الخالية من الكحول والمشروبات الغازية والمياه المعبأة ، هل الاشتراك فيها حلال أم حرام وما الحكم ؟

الجـواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فنفيد بأنه إذا حرم الشيء حرمت كل الوسائل المؤدية إليه ، ومجلس الإدارة الذى يشرف على إنتاج هذه المشروبات لاشك أنه مسئول أمام الله - تبارك وتعالى - .

وبناء على ذلك فترك الاشتراك فى مثل هذا المجلس هو الواجب ، واستبراء لذمة الشخص من تشجيع المحرم وأكل أموال الناس بالباطل ، وإذا كانت هذه الشركة تقوم بإنتاج أصناف أخرى غير محرمة كالبيرة الخالية من الكحول والمشروبات الغازية والمياه المعبأة فإنها إلى جانب ذلك تنتج البيرة (الكحول) فلذلك ينبغى على المرء المسلم أن يدع ما يريبه إلى ما لا يريبه حتى يكون كسبه حلالا لا شبهة فيه والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة/ ن . م . ع تقول فيه : لقد طلقنى زوجى طلقة بائنة على الإبراء ، وذلك أمام قنصلية مصر بفرنسا ، وحيث إن لى من مطلقى المذكور طفلة فى حضانتى ، فأرجو إفادتى عمن يتولى الإنفاق عليها علما بأن إبرائى لمطلقى لم يشمل التنازل عن نفقتها فما الحكم ؟

الجـواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأن الحضانة تكون للأم متى توافرت فيها الشروط ، والولاية تكون للأب ، وحيث إن الزوج المذكور أعلاه قد طلق زوجته على الإبراء من جميع حقوقها الشرعية من نفقة زوجية ونفقة عدة ونفقة متعة طبقا لقانون الأحوال الشخصية المعمول به فى مصر ، ولم يشمل تنازل الزوجة المطلقة عن نفقة ابنتها من والدها ، ولم يكن هناك عقد اتفاق بتعهد الزوجة بالإنفاق على ابنتها فإن الزوج أى والد الطفلة يكون مسئولا عن الانفاق على ابنته شرعا وقانونا ، والله تعالى أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

فضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

أرجو الإفادة عن الحكم الشرعى فيما يأتى : تزوجت ابنتى ، ولم توفق فى زواجها واضطررنا إلى إبراء الزوج من كافة مستحقات كريمتى : مؤخر الصداق ، ونفقة عام ، والمتعة ، وارتضينا بمبلغ خمسين جنيها شهريا نفقة لابنته من ابنتى .

وظل الحال على ذلك نحو سنة ونصف ، وشاء القدر أن يوجد إنسان رغب فى الزواج من ابنتى وتم الزواج ، وهنا طلب مطلقها استرداد ابنته مدعيا أن ذلك من حقه الشرعى فى حين أن جدة الطفلة أم أمها على قيد الحياة ، كذلك لم تزل والدتها ببيتى لم تدخل ، هذا مع موافقة الزوج الجديد على قبول حياة هذه الطفلة عنده أو عند جدتها أم أمها على سواء .

نرجو افادتنا بتحديد حق الحضانة لمن ؟ وإلى متى ؟ ولكم جزيل الشكر والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

س.ذ.م

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ عليه وسلم وبعد :

فنفيد بأن الحضانة لأم الطفلة فإن تزوجت فإن الحضانة تنتقل إلى أمها (الجدة لأم) متى توافرت فيها شروط الحضانة . هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة س.م.م :

توفى رجل عن زوجة ، ابنين ، بنتين، تاركا : منزلا مبنيا (دور أول) على شقتين . وخمسة أفدنة زراعية ، وحصة فى منزل آخر آل إليه بطريق الميراث الشرعى ، وقبل توزيع التركة أو فرز وتجنيب التركة قامت الأم والبنتان بصفتهن بالغاتببيع جزء من الأرض الزراعية بما يعادل نصيبهن لغرض بناء دور ثان لصالح الورثة جميعاً ، وأن نصيب الابنين كان موجودا حيث إنهما كانا قاصرين بوصاية أمهما فى ذلك الوقت .

ثم بعد ذلك توفى أحد الابنين تاركا : أمه وأخيه الشقيق وأختيه الشقيقتين ، ثم توفيت الأم تاركة : الابن والبنتين .

الجـــواب :

أولا : إذا صح ما تدعية المستفتية من أن الأم والبنتين بعن جزءا من الأرض الزراعية بما يعادل نصيبهن ، وأخذن الثمن كله ، ودفع كله فى بناء الدور الثانى لصالح الورثة بثمن المبيع كله ، وأن البيع كان مشاعا ، ولم يتم فرز أو تجنيب حتى الآن فإن عناصر التركة مازالت موجودة للجميع .

وحيث إن أحد الابنين توفى فيكون لأمه السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة والباقى للأخ والأختين الشقيقتين تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وبما أن الأم ماتت هى الأخرى فإن التركة كلها المنزل والباقى من الأفدنة وكذلك الحصة التى كانت آلت للأب عن طريق الميراث ، وماتركته الأم أيضا يعد تركة للجميع الابن والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .



من أعلام الأزهر

الدكتور محمد غلاب

الجزء الأخير

باحث فلسفي مستقل !

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

للدكتور محمد غلاب بحوث فلسفية كتبها للطلاب في مذكرات متداولة ، وهذه البحوث تلتزم المنهج المقرر في لائحة الكلية ، فمجالُ الابتكار فيها قليل ، لأنّ المؤلف يحاول أن يلم بالمقرر جميعه ، ولا يتسع المجال لمناقشة كل رأى على حدة ، وإذا أفادت هذه البحوث طالب الكلية ، فإن غيره من المثقفين يحتاجُ إلى غذاء أدسم وأوفر ، لذلك كانت بحوث الدكتور خارج نطاق الكلية

تدل على شخصيته العلمية أكثر من غيرها ، وما جاء من هذه البحوث تقليدياً سرديا فهو مما تُكتب للعامة ، ولا يزال كُتاب الفلسفة يستنزلونها من عليائها إلى مُستوى الجمهور ليضعوا أرضا ممهدة للمسير ، ومن هذه البحوث التقليدية ما كتبه الدكتور غلاب خاصا بعلم الكلام ، فهو أشبهُ بالمذكرات لا بالتحقيقات ، وما كتبه عن التصوّف الإسلامي ، إذ جعل تراجم رجال التصوف والمتكلمين بابا للحديث عن مواقفهم ، ولا شكّ أن ترجمة العالم تفيد إذا شملت الحديث عن اتجاهاته الفكرية باشباع ، أمّا لو كانت تلخيصا لكتب الطبقات فإنها لا تُشبع حاجة القارىء المتعمق ، وإن أشبعتْ رغبة القارىء المبتدىء .

ولأترك الحديث عن ما يُشبه المذكرات المدرسية من آثار الدكتور ، إلى ما هو أليقُ بمستوى فكره الفياض ، وأبدأ بحديثه عن : الإسلام والفلسفة ، لأن شخصيتهُ العلمية قد برزتْ فى هذا الحديث . فقد بدأ القول بما اتهم به « رينان » العقل السامّى وردّ عليه فى اختصار ، وهو حديث كان أسبق مَن جلّي فيه الأستاذ مصطفى عبد الرازق فيما كتبه فى دروس الفلسفة الإسلامية . ثم ثنى بالحديث عن أسباب تفلسف العرب ، وجعل السبب الأول كتاب الله ، فأصاب حين ذكر أنّ القرآن أوّل كتاب سماوى فرَض تعلم الحكمة على أبنائه فرضا حين دعاهم إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وما نزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض ، ثم أفاض فى تأكيد هذا السبب بما تجاهله غيره حين جعل السبب الأوّل لفلسفة المسلمين هو الترجمة ، ولا أنكرُ أن ترجمة كتب الهند واليونان والفرس بعث على الفلسفة ، ولكنّ التراجمة كانوا نَقَلة فقط وحظهم من الفلسفة حظ من وجد كلاما فنقله ، أما من قرءُوا الكتب المترجمة وتأثروا بها ونقدُوها فهم الجديرون بالانتساب إلى الفلسفة ، وقد أحسنَ الدكتور حين ردّ على مَن ذهبوا إلى أنّ فلاسفة المسلمين فى الأندلس كانوا أقوى من فلاسفة المسلمين فى المشرق ، وعلة ذلك عندهم ، أن البيئة الطبيعية بالأندلس أخصب منها فى بغداد ، وهى نغمة التفريق بين الأجناس التى ابتدعها رينان - فقال الدكتور غلاب :

إن أمثال الكندى والفارابى وابن سينا ليسُوا بأقل من ابن رشد ، وإذا كان هناك نبوغ فى مؤلفات ابن رشد الأندلسى فمرجعه إلى التقدم الزمنى وإلى نضوج الفلسفة الإسلامية واطلاع اللاحق على آثار السابق فأفاد منها وزاد عليها ، وتلك طبيعة البحث على تداول العصور .

وقد عرضَ الدكتور غلاب إلى ما أفاض فيه فلاسفة المشرق من نقل عن فلسفة أرسطو ظهرتْ آثاره فى آراء الكندى والفارابى وابن سينا من حديث العقل الأوّل والعقل الثانى إلى العقل العاشر ، وما يُشبه هذه الخيالات ليبرىء الإسلام منها ، وينقل ما ذكره الغزالى عن تهافت

الفلاسفة ، ثم أعلن أن الفلسفة الحقيقية لا تصطدم مع حقائق القرآن فى شىء ، وأن كل ما سبق من حديث العقول بعيد عن منطق الإسلام .

وقال فى صراحة واضحة[1] .

« إن مشاهير فلاسفة الإسلام كالفارابى وابن سينا وابن رشد قدموا بعض النظريات اليونانية الخاطئة فهووا فى نظر المسلمين هويًا أفعم قلوب الأمة الإسلامية بالريب والشكوك فى الفلسفة كلها » .

والذين كتبوا فى هذا المجال من أساتذة الأزهر ، قد تحدّثوا عن هذه الآراء ليبيّنوا بُعدها عن الإسلام ، وإذا كان للإسلام فلسفة فليست هى التى توافق آراء أرسطو ، ولكنها هى التى تنبع من آيات القرآن .

ومن أحسن ما كتبه الدكتور غلاب تحت عنوان (الأخلاق الفلسفية)[2] ما ذكره عن الدين وقوة سلطانه على النفوس فقد بدأه بحديث الشعوب الوثنية حين رأت مظاهر الكون الخارقة من : شمس ورعد وبرق ونار ، والنافعة من : حيوان وطير ونبات ، فاعتقدت أنها تمثل المحرّك الأول لهذه المظاهر فاستحقت التقديس والعبادة ، وهى على بطلانها الواضح قد أفادت فى نزع الشرور وتخفيف الآثام ، لأنّ الاعتقاد بالمحرك الأول قد أوجد الخشية فى نفوس هؤلاء الوثنيين ، ولكنّ الله ـ عز وجل ـ لم يشأ أن يدومَ هذا الباطل رانئاً فوق النفوس فبعث الرسل تترى لإعلان الحقيقة الأبدية ، وهى ربّ الوجود ، وبذلك انتقل الناس من الوثنية إلى التوحيد ، وإذا كان للدين أثره فى نزع كثير من الشرور فقد قام خلافٌ بين علماء أوربا حول نظرية تأسيس الأخلاق ، أيكونُ ذلك التأسيس على الدين أم يكون منفصلا عنه ؟ .

أما القائلونَ بقوّة الدين فى نزع الشرور فقد لمسُوا الحقيقة الواضحة فى أثر الإيمان فى الكفّ عن الضرر ، والتسامى بالغرائز الهابطة إلى مستوى النقاء والطهر ، كما أنّ ارتقاب الجزاء ثواباً أو عقابا فى الآخرة قد غلّ المؤمنين بقيد خلقيّ لا ينفكّ ؛ فكان مصدرَ سعادة للبشرية ، لذلك وَجب أن تهتمّ الحكومات بالتربية الدينية ليسعد المواطنون فى ظلالها ، وأىّ قانون لا يستند إلى رقابة السماء فما أسهل عصيانه إذا أمن المجرم على نفسه ، ولم يَرَ من يشهد جريمته من الناس ، وإذا كنّا نقدس القانون ونجعله كفيلا بصلاح البشرية فلا بدّ أن يستشعر الإنسان قوته المتمكنة منه ، ولن يكون ذلك إلا فى حياطة الدين ، إذ أنزله الله دستورا لصلاح الناس .

---

(1) مجلة الأزهر ـ المجلد السادس ص ٧٠٥ .

(2) مجلة الأزهر ـ المجلد الثامن (أعداد متوالية ابتداء من ص ٢٨٢) .

وهذا المنطق الواضح قد وُجد من يخالفه ، ونشر الدكتور غلاب حجة هؤلاء ملخصة في أمور منها : أن الأديان كثيرة متعددة ونشرُ أخلاق دين معين ، يجبر غير معتنقيه على قانون لا يؤمنون به !! وهذه سفسطة واهية ، لأن الأديان السماوية جميعها تتفق على الفضائل وتُحارب الرذائل دون نكوص ، فإذا نُشرت أخلاق الإسلام في مصر ـ مثلا ـ فلن يرى النصرانيُّ فيها ما يخالف أخلاق دينه ، ومن الحجج أن بعض الحكومات لا دينية فكيف نُجبرها على أخلاق الدين وقد فصلته عن السياسة ؟

والرد على ذلك أنّ الشرائع السياسية يُمكن أن تتبدل ، أما قوانين الأخلاق فثابتةٌ ، والنصرانيُّ في حكومة لا دينيّة كفرنسا يؤمن بأخلاق الإنجيل ويحتذيها ، وإنْ نادت الدولة بفصل السياسة عن الدين ، على أننا في الإسلام لا نقرّ هذا الفصل ونراهُ خرقاً لشريعة الله ! فالمسألة تخصّ المسلمين ، وقد رأى الفيلسوف (كانت) كبير الفلاسفة العقليين أن فصل الدين عن الأخلاق خطر على الحياتين الاجتماعية والأخلاقية معاً ! والذين يحاربون انتساب الأخلاق إلى الدين ، يُريدون أن يتحللوا من الدين فلا يقعوا تحت حدوده إذا ارتكبوا الموبقات ، ولكن الإنسان السويّ لا يخشى هذه الناحية ، لأنه بعيد عن أوبئة الانحلال ، والمفروض في المسلم أن يكون من هذا الطراز .

ومتى انتهى الأمر إلى رعاية الأخلاق في كنف الدين ، فمن أقوى وسائل الاجتماع أن يكون صاحبُ الدين ممتّعًا بضمير حيّ ، وهو ما عبر عنه القرآن بالنفس اللوامة ، وقد تحدث الدكتور غلاب عن الضمير وقوة تأثيره في النفوس ، فقسم الضمير إلى نوعين : ضمير نفسي ، وضمير أخلاقي .. أما الأول فيقف عند إدراك ما يجيش في النفوس من انفعالات .. وأما الثاني فهو الحكم الصادق على ما يأتيه المرء من أفعال ، وقد شاء له إطلاعه أن يزحم القارىء بآراء فلاسفة الأخلاق في أوربا تُطيلا مجيدا ، لينتهي إلى : أن الأخلاق الإسلامية قد قامت على رعاية الضمير والاستماع إلى صوته ، وأنّ المثل الأعلى في الإسلام ذروةٌ يطمح إليها المسلمون فهم دائمو السعي إلى الوصول إليها ، ومنهم من رزق الحظوة فارتقى ، ومن قصرت به خطاه فتلكأ .

وتابع الدكتور بحثه متنقلا إلى بحوث من علم النفس تتعلق بالغريزة ، وبحوث من علم الاجتماع تتعلق بالعادات والعرف والتقاليد ، ولكن ذلك كله في نطاق التوجيه الإسلامي ، المؤيد بالشواهد والنصوص .

ولقد كان من الخير لأستاذ الفلسفة في جامعة الأزهر ولطلابه وقرائه أن يعالج هذه البحوث بوحي من ثقافته الدينيّة أولا ، وبهدى من اطلاعه على أحدث الآراء الأوربية في هذا المجال ليأخذ منها ويدع وفق تعاليم دينه ، لأن كثيرا من الذين ألفوا في هذه الشئون الدقيقة ، قد نقلوا مترجماتٍ

أوربيّة عن أناس كثرتهم الكاثرةُ من الماديين فأحدثوا بلبلة في النفوس ، وانتشر ضلالهم على صفحات مجلّات تحب أن تنحدر النفوس إلى حضيض الشهوات ، ولم يجد الوعظ المتبرى شيئاً في ردع هؤلاء ، فكان واجباً على الملتزمين من أساتذة الأخلاق والفلسفة أن يكشفوا النقاب عن مموّهاتٍ تتزيّا بزى البحث الدقيق ، وهى في الواقع لا تعرف طريق البحث الرشيد .. وما كتبه الدكتور غلاب يسدّ كثيرا من الثلمات ..

قضى الدكتور غلاب ردحا في فرنسا ، فقرأ كثيراً مما كُتب عن الإسلام في الغَرْب ، وعرف طرق التهجم الكاذب على حقائق هذا الدين ، وقد شغله عمله الجامعى عن التصدى لهذه الافتراءات ، ولكنه أخذ يرصدها ، ويسجلها في أوراقه ليفرغ إلى معارضتها بعد أن ينتهى من عمله ، ولم يكن كفوم سمعوا هذه الأراجيف من أبناء مصر ، فاعتقدُوا صحتها ، وأخذوا يُشيعون الكثير منها في مؤلفاتهم تزلُّفا إلى من بيدهم منح الدرجات العلمية هناك ، لذلك كتب الدكتور غلّاب عدة بُحوث تحت عنوان : (الإسلام كما يراه الأوربيون) فأظهر أنّ قدماءهم كانوا يكذبون على الإسلام ، فيلصقون به وبرسوله ﷺ التهم الفاضحة دُون تمحيص ، ومنهم من حاوَل أن يثبت أنّ الإسلام دين التثليث ، وقد أخذ هذا التعدّد عن المسيحيّة ، مع أنّ الإسلام دين التوحيد ، وما جاء إلّا لنشر التوحيد ، وإذا كان التثليث مصدر تهمة يصمُ بها الإسلام فلماذا اعتنقه هذا المستشرق وآمن به ؟ وكم كان جميلا من الباحث الدكتور غلاب أن يأتى بالفرية الاستشراقية ثم يرد عليها بما كتب مستشرق آخر في موضوعها ، لا لأنه عاجز عن الإفاضة في تفنيدها ، بل ليثبت للقراء أن الحق لا يعدم النصير ، فقد أثبت ما قال « رينان » عن محاربة الإسلام للعلم ، وردُّ عليه بما قال الأستاذ « كارادى فو » كما نقل ما قاله الأخير عن الوحدانية وهو حقٌ في أكثره ، ولكن غيوماً تراكمت على بعض نواحيه فأزاحها بالدليل المقنع ، وقد قال عن (كارادى فو)[٣] :

« بعد أن انتهى الأستاذ من بسط آلهية القرآن عرض لما فيه من أخلاق فلسفية ، فكانت إبانته إياها بمثابة ردّ قاطع على أولئك الجاهلين الذين زعموا أن القرآن ليس فيه إلا نوع من الأخلاق العملية الساذجة المألوفة عند الشرقيين من مثل : الأمر بالصدق والأمانة والنهى عن الكذب والخيانة ، فأثبت لهم أنه قد احتوى بين آياته على أخلاق فلسفية هى في أسمى درجات النظر ، ونقل من أقواله الشافية ما يؤكد هذا الاتجاه .

وإذا كان الباحث قد ذكر أنماطاً من الآراء المنحرفة لهؤلاء فقد وجد من الإنصاف أن يذكر أنماطاً تمثل الاتجاه المستقيم ، فكتب مقالاً عن : (الأستاذ أميل دير مانجيم) يُثبت فيه نواحى من السمو الرفيع للإسلام ونبيه الكريم ﷺ ، وقال إنه وفق إلى الكثير من الحقائق وإنْ كانت له هو

---

(٣) مجلة الأزهر ـ المجلد العاشر ص ٢٦٢ .

الأخر هفوات سأعرض لها في حينها ، ثم نقل نصوصاً صحيحة من تفكيره المعتدل تحت عنوان[4] (محمد إنساناً) و (محمد حكيماً) و (محمد نبيًا) وهي نصوص يقبلها المسلم بارتياح .

هذا وقد أطال الدكتور الوقوف عند آراء الأستاذ (بول كازانوفا) لأنه قد انتدب أستاذ بالجامعة المصرية حينًا من الدهر ، فذاعت آراؤه بين كثير من الطلاب ، وقد ألف كتاب : (محمد ونهاية العالم) ليثبت أن القرآن قد أضيف له بعد وفاة النبي ﷺ ما دعت الحاجة إليه في نظري « أبي بكر وعمر » مثل الآيات التي صرَّحت بأن « الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها » وتُهمةُ « إضافة شيء للقرآن » فريةٌ ، يعرف هذا المستشرق كذبها ، ولكنه علم أن الأناجيل قد حُرِّفت وزيد عليها ، فأراد أن يجعل القرآن كالإنجيل ، ومضى يسوق مفتريات لا تثبت لأدنى تحقيق ، وقد ساعد عليها جهله بالأسلوب العربي لأنه لا يعرف اللغة إلا عن طريق المعاجم ، كما يجهل الفرق بين الحقيقة والمجاز في الأسلوب البياني « وإذ ذاك يتورط في الحكم الفاسد ، لأنه يضل معاني الكلمات ، وهذا ما كشف عنه الأستاذ غلاب في تعقيباته الشافية ، وجاء بعد « كازانوفا » أكبر حاقد من المستشرقين وهو « الأب لا مانس » فجعل يجمع أشباه هذه المفتريات ، فإذا لم يجد اختلق وبالغ حتى سقطت سُمعته العلمية عند أصدقائه من ذوي نحلته ، والذين أشادوا به لم يستطيعوا أن يشفوا صدورهم من الحقد فمضوا على جمرهم محترقين ، وقد حدَّد الدكتور غلاب موقف هذا الحاقد وكشف عن خطله المريب .

هذا نمط من الشبهات التي تصدّى لها الدكتور غلاب في بحثه عن (الإسلام كما يراه الأوربيون) ، ولعلّي وقد رسمت خطوطا واضحةً عن اتجاهه الفكري لا أعفيه من نقد هادىء أسجله عليه ، إذ كان يضيق كل الضيق بما يُوجّه إلى مقالاته وكُتبه من اعتراضات هادفة ، قد يكون قائلها مُخالفًا وجهة نظره ، ولكنّه دارس له حقّ المؤاخذة والتعقيب ، واذكر بهذا الصدد أن الأستاذ دريني خشبه قد نقد بعض مترجماته نقدًا صائباً مسبباً ، فضاق الدكتور غلاب ، والحق أنّ الكتاب المنقود ذُو أخطاء كتبها المؤلف وغفل عنها المترجم فلم يعقّب عليها ، فاستدرك الأستاذ دريني ما كان ، وظلّ الدكتور غلاب ضائقاً بالنقد حتى فرج عن نفسه بمقال كتبه تحت عنوان (النقد عندنا وعندهم)[5] بدأه بالضيق النافر من ركود الحركة النقدية الصحيحة ، ثم اشترط في الناقد شروطاً جميعها في قوله ! « إن هذه المهمة الشاقة لا تتيسر إلا لمن توافرت لديه شروط خمسة ، هي غزارة الثقافة ، واتزان المنطق ، والقدرة على اكتناه النفوس والدراية الاجتماعية ، والنزاهة الخلقية » وأفاض في مثل هذه المعاني

لقد كان الدكتور غلاب باحثاً مثابرا نشيطاً ، ومؤلفاته الكثيرة شاهدة فضل ، ودليل مثابرة وإخلاص .. وهي بعد تسير في عدة اتجاهات ..

---

(٤) مجلة الأزهر ـ العدد العاشر ص ٣٧٩ .

(٥) مجلة الثقافة ـ العدد ـ ٦٣٦ ـ ١٣٦٩/١٩٥١م .

خميلة الشعر

إعداد وتقديم الأستاذ / محمد عبد الوهاب

وفاء لما أعلناه فى عدد ذى القعدة ـ فسوف نارى هذا الباب بروائع من عيون الشعر العربى ، عقب قصيدة (من وحى الكعبة ، لمناسبتها العزيزة للشهر الحرام .. شهر الحج المبرور) ..

من وحي الكعبة

د. عزت رشدي موسى

حدثينــا يا كعبــة المسلمينــا ... ما الذى قد شهدتِ عَبْر السنينا
كيــف مرّت على حماكِ الليــالى ... وعــركْتِ الأيــام فيها قرونــا

• • •

كنتِ أولى البيــوت قامت على الأرض وأعــلاكِ أوّل المؤمنينــا
وبقيتِ النــبراس والهدى دومــاً ... فى عصور التــاريخ للمدلجينــا

• • •

مَنْ تولّــى سقايــة الحجّ ، بل من ... قد أقــام الأركان فيك حصونــا ؟
مَنْ مضى يُوقف المغيريــن ، بل من ... قد تولّــى صدَّ العــدا المعتدينــا ؟

• • •

كيــف يولى الحجيــج عامــاً فعامــاً ... ثم يُمْضــونَ فى ثراكِ الجبينــا ؟
كيــف طاف الوفــود حولك تدعــو ... فى ابتهال .. والدمع يكوى الجفونــا ؟

• • •

كيــف قد هاجــروا إلــيك هُيامــا ... بك .. حتــى نسوا لديك البنينــا ؟
كلّمــا عاد من رحــابك صَبٌّ ... ظلّ يهفــو إلى الرحــاب حنينــا

• • •

ثم هل تذكريــــن يومَ قُرَيْشٍ ... حين هبّــوا فى خُلْفهــم مصبحينــا ؟
مَنْ مِنَ السادة الكبــارِ فمين ... أنْ يقــود الجمــوع مسترشدينــا ؟

• • •

فى احتكام .. من يرفــع الحجــر الأســعد .. حتــى يَرُدّه رُكْنــاً ركينــا ؟
ثم قالــوا : ترقّبــوا البــاب كيْمــا ... يحسم الأمــرَ أوّلُ المقبلينــا

• • •

واستــداروا فإذْ بأنـــوار (طه) ... فوق هام الجميــع تحتفــى فنونــا
واطمأنــوا لما سيــقضى ، فهــذا ... من قضى العمــرَ .. صادقــا وأمينــا

• • •

كيــف جاء الفتــح المبين جــزاء ... للــذى أكمــلَ الرســالــةَ دينــا
حيث قال الله العلــىُّ « لطــه » ... قد فتحنــا علــيك فتحــا مبينــا

• • •

بأبى أنت يا رســول ، وأمّــى ... جئْت للنــاس شافعــاً وضمينــا
فكُــنْ الشافــع المعين لعبــد ... ظلّ طول الحيــاة ، يرجــو المعينــا

إبداع الشعراء

من لاميّة العرب للشاعر ثابت بن أوس الأزدى

ونبدأ باقتنا الشعرية بنموذج من الشعر العربى العريق ، ويسعدنى أن أقدم فى هذا العدد شاعرا جاهليا من « الصعاليك » هو ثابت بن أوس الأزدى ، الملقب بالشنفرى ، والذى عاش ونشأ بين بنى سلامان من بنى فهم .. وهؤلاء كانوا قد أسروه وهو طفل صغير ، فلمّا شبّ ، علم بحكاية أسره ، فأقسم أن يقتل منهم مائة رجل ، وقد تمكن من قتل تسعة وتسعين أمّا القتيل المائة ، فبعد موت الشنفرى ، رفسه هذا الرجل على جمجمته ، فدخلت شظية فى قدمه فقتلته .. ! هكذا تقول القصة .. ولعلها أسطورة .

تنسب كتبُ الأدب إلى الشنفرى قصائد ومقطوعات عديدة إلا أنّ أكثرها تفوّقا هى قصيدته العصماء : (لاميّة العرب) وذلك لبروز الخصائص الفنية واللغوية الممتازة ، منها تلك الخصائص التى تجعل هذه القصيدة من أروع نماذج الشعر الجاهلى عامة وشعر الصعاليك خاصة ، وفيها يُظهر الشنفرى قوته النفسية والبدنية ، حيث يواجه الخطوب الجسام وتحديات الطبيعة ، وتظهر قدرته على شنّ الغزوات ليلا أو نهارا .

يبدأ الشاعر قصيدته بقراره هجرته إلى أرض الله الواسعة ، وأظهر أنه يفضّل عشرة وحوش البريّة على عشرة قومه .. ونتابع معا الآن بعض أبيات هذه القصيدة الرائعة : لاميّة العرب :

أقيموا بنى أمّى ، صدورَ مَطِيّكُمْ ... فإنى ، إلى قومٍ سواكُمْ ، لأمْيَلُ !

فقد حُمّتِ الحاجاتُ ، والليلُ مُقْمِرٌ ... وشُدّتْ لِطيّاتٍ ، مطايا وأرْحُلُ

وفى الأرضِ مَنْأى للكريمِ عن الأذى ... وفيها لِمَنْ خافَ القِلَى ، مُتَعَزَّلُ

لَعَمْرُكَ ، ما بالأرضِ ضيقٌ على امرئٍ ... سَرَى راغبا أو راهبا ، وهوَ يعقِلُ

وَلى دُونَكُمْ أهْلُونَ : سِيدٌ عَمَلّسٌ ... وأرْقطُ زُهلُولٌ ، وعَرْفاءُ جَيْألُ

هُمُ الأهْلُ . لا مُسْتَوْدَعُ السّرِّ ذائعٌ ... لَدَيْهِمْ ، ولا الجانى ، بما جَرَّ يُخْذَلُ

وَكُلٌّ أبِىٌّ ، باسِلٌ ، غَيْرَ أنّنى ، ... إذا عَرَضَتْ أولى الطّرائِدِ ، أبْسَلُ

ونتنقل ــ بعد ــ إلى نتاج شعرائنا المعاصرين .. مطوفين بروائع شعرهم من كل حدب وصوب ..



إنها قصيدة جميلة ، تعتبر من عيون شعرنا العربى ، ولم يلحق بتراثنا الشعرى غيرها من نتاج ناظمها « أبى الحسن على بن زريق البغدادى » ، وهى تُظهر قدرة الشاعر البلاغية والشعورية ، حيث ضَمّنها صدق تعبيره ، وروعة تصويره وأحاط ذلك كله ببيانه الآسر ، ثم وشاه بحُسْن عبارته ، وعطّره بعبير روحه الشاعرة .

والسبب فى نظمه هذه القصيدة يعود إلى رغبته فى توفير أسباب الحياة الكريمة ، لزوجته ، وهى ابنة عمه ، مما دعاه إلى شدّ الرحال إلى الأمير أبى الخير عبدالرحمن الأندلسى لنيل عطائه - برغم معارضة زوجته الشديدة - فلما وصل إلى الأمير ومدحه ، منحه الأمير مبلغا ضئيلا .. لم يكن يتوقعه الشاعر فأسقط فى يده ، واغتمّ اغتماما عظيما ، أفضى إلى وفاته غريبا محروما .

ولم يعلم الأمير بذلك ، حيث أرسل خلفه من يسترضيه بالعطاء الجزيل ، ولكن رسل الأمير عثروا عليه فى الخان الذى كان نازلا فيه وقد فارق الحياة ، ووجدوا عند رأسه أبيات هذه القصيدة الخالدة التى يناجى فيها طيف حليلته قائلا :

لا تعذليه ، فإنّ العــذْلَ يُولِعُــهُ ... قد قُلْتِ حقاً ، ولكــنْ لَيْسَ يسمعُــهُ
جاوزتِ فى لومِــهِ حَداً أضَرَّ به ... مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أنّ اللــومَ ينفعُــهُ
فاستعمِلى الرفْــقَ فى تأنيبــه بدلا ... مِنْ عذلِهِ فهو مُضْنى القلب موجعه
قد كان مضطلعــا بالخطب يحملــه ... فضلعت من خطوب الدهــر أضلعــه
يكفيــه من لوعــة التفنيــد أن له ... من النــوى كل يوم ما يروعــه
ما آب مِنْ سَفَــرٍ إلا وأزعجــه ... رأىٌ إلى سَفَــرٍ بالــبين يجمعــهُ
تأبى المطـــالبُ إلا أنْ تجشمــه ... للــرزق كدحــا وكم ممن يودعــهُ
كأنما هو من حِلٍّ ومــــرتحلٍ ... موكّــلٌ بفضاء الأرض يزرعــه
إن الزمــان أراه فى الرحيــل غِنــى ... ولو إلى السّدّ أضحى وهــو يُزمِعــه
ومــا مجاهــدة الإنسان واصلــة ... رزقــا ولا دعــةُ الإنسان تقطعــهُ
قد وَزّعَ الله بين الخلــق رزقهــم ... لم يخلُــق الله من خلــق يُضيعــه

لكنهم كلفوا حرصا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت بغيٌ ألا إنّ بغي المرء يصرعه
والدهرُ يعطي الفتى من حيث يمنعه إرثا ويمنعه منْ حيث يُطمِعه
استودعُ الله في بغداد لي قمرا بالكرخ منْ فلك الأزرار مطلعه
ودعته وبودّي لو يُودّعني صفوُ الحياة وأنّي لا أودّعه
كم قد تشفّع بي أن لا أفارقه وللضرورة حالٌ لا تشفّعه
وكم تشبث بي خوف الفراق ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
لا أكذبُ الله ثوبُ الصبر مُنخرقٌ عني بفرقته . لكنْ أرقّعه
إنّي أوسّع عذري في جنايته بالبين عني وجُرمي لا يوسّعه
رزقتُ مُلكا فلم أحسنْ سياسته وكلُّ من لا يَسوسُ الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوبَ النعيم بلا شكر عليه فإنّ الله ينزعه
اعتضتُ من وجه خِلّي بعد فُرقته كأسا أجرّع منها ما أجرّعه
كم قائل ليَ ذقتَ البينَ قلتُ له الذنبُ والله ذنبي لستُ أدفعه
ألا أقمت فكان الرشد أجمعه لو أنني يوم بان الرشد اتبعه
إني لأقطعُ أيامي وأنفذها بحسرة منهُ في قلبي تقطعه
بمن إذا هجع النوّام بتُّ له بلوعة منه ليلي لستُ أهجعه
لا تطمئن لجنبي مضجعٌ وكذا لا يطمئن له مُذ بنتُ مضجعه
ما كنت أحسبُ أنّ الدهر يفجعني به ولا أنّ بي الأيام تفجعه
حتى جرى البينُ فيما بيننا بيد عسراء تمنعني حظي وتمنعه
قد كنتُ من ريبِ دهري جازعا فرقا فلم أوقّ الذي قد كنت أجزعه
بالله يا منزل البين الذي درست آثاره وعفتْ مُذ بنتُ أربعه
هل الزمانُ مُعيدٌ فيك لذتنا أم الليالي التي أمضته ترجعه
في ذمّة الله من أصبحت منزله وجاد غيث على مغناك يُمرعه
من عنده ليَ عهدٌ لا يضيّعه كما له عهدُ صدق لا أضيّعه
ومن يُصدّع قلبي ذكرُه وإذا جرى على قلبه ذكري يُصدّعه
لأصبرن لدهر لا يُمتّعني به ولا بي في حال يُمتّعه
عِلما بأنّ اصطباري معقبٌ فرجا فأضيقُ الأمر إنْ فكرتُ أوسعه
عسى الليالي التي أضنتْ بفرقتنا جسمي ستجمعني يوما وتجمعه
وإن تُغلْ أحدا منّا منيّته فما الذي بقضاء الله يصنعه ؟

لأني أحبك يا مصر

للشاعرة : نور نافع

أخشى علـــــيك مِنَ الحسيس الخافِ
والداء موجـودٌ .. وحيـنَ تساءلـوا
ومضيتِ فوق الجرح ، لم تتلفتـــي
يا كمْ سكتِّ .. كفـي سكوتـا إنها
يا مصرُ رُبَّ شرارةٍ أهملتها
لا تأمنـــي للنـــارِ إنَّ صغيرَهـــا
مَنْ ذا نعـيبُ وكلنـا في مركب
تُزجـى مسيرتـه أمـام فيتقـى
رحنـا تُدغـدِغُ كُلَّ غالٍ نخـوةً
لم تُبـقِ مِنْ ماضٍ لنـا ، أو حاضرٍ
عشنـاهُ عصرًا للتفاهـةِ لمْ يُخـلـ
تُخلِطكِ معايير الحيـاةِ أمامَنـا
جزعَ الشبابُ ولا مسار أمامهـمْ
خرجـوا حيـارى ضائعين يردُهـم
ما جمَّعتهـــمْ أسْرةٌ أو أسْرةً
والكـلُّ لاهٍ ، والدراهـم تشتـرى
غلانـا سُكـارى مِنْ شرابِ همومنـا
من قد تساءل حينا شهـد ابنـه
أو حيـنَ شاهـد شعْرَهُ : كصبيَّـةٍ
أو حين يرقصُ والوجـودُ مُغيَّـبٌ
ها قد جرَى الشيطـانُ بين رُبوعنـا
يا مصرُ قولي : لم أكُنْ أرعـى الخنـا
هوَ أنتِ مصرُ .. وأنت حكمك نافذٌ
قولي : أفيقوا .. قبل أنْ تهوى بكُمْ

وتجاهَلِ الفوضى ، وقـولك : ما لي !
ماذا ؟ ـ أجبتِ بهزَّة الأكتـاف
للأمْ .. في همَلٍ وفي استخفـاف
ما بين أعـراق لنـا وشغـاف
شبَّتْ ، فطالتْ قِمَّةَ الأغـرافِ
ككبيرهـا في جُملَـةِ الأوصافِ
لا تحملـوا ضِعْنـا على المجدافِ
عمْـدا ويُرجِـعُ وجْهَـهُ لخِـلافِ
ونُـذيبُ مُرًّا في المعيـنِ الصافي
لم تُبـقِ وجْهـا فوق أيِّ غُلافِ
فيا حكيـمٌ بالـدواءِ الشافِ
والجهْـلُ داسَ معالـمَ الأسلافِ
أوْ حَزْمُهم هدفٌ مِنَ الأهـدافِ
مستقبـلٌ وَغْـرُ المسالكِ خافِ
شبُّـوا جُفَـاةً في زمـانٍ جافِ
وتبـيعُ بيْعـا في الضميـرِ الغـافِ
مترنحيـــنَ بغيرِ كأسِ سُلافِ
في خلعـةٍ مقطوعـةِ الأطـرافِ
بِثيابٍ مُنسدِلا على الأكتـافِ
متمايـلا بالـخصرِ والأردافِ
وسقـى بِسُمٍّ ، مِنْ لديـه زُعـافِ
يومـا ولا مُزِّقتُ ثوبَ عفـافِ
والكـفُّ واصِلـهُ ، وقـولكِ شافِ
أرضي .. وتصرخُ بالهوانِ ضفافي

السخرية في شعر ابن الرومي

بقلم الأستاذ
أحمد مصطفى حافظ

مرّت الحقبُ والأجيال ، على شاعرية ابن الرومي ، وكادت – غبّر ألف عام أو تزيد – أن تُطمر في خضم الجحود والنسيان .. حتى أُتيح لشعره أن يُبعث من مرقده ، ويُذاع على الناس ، بعد أن قام الشيخ (محمد شريف سليم) بإعداد وشرح ، مختارات من شعره ، في جزءين كبيرين ، ثم قام الأستاذ كامل كيلاني بعد ذلك ، بجمع مختارات أخرى ، « جعلها – كما يقول المازني – ثلاثة أجزاء ، في مجلد واحد ، جُمْلة صفحاته خمسمائة ، فيها قريب من سبعة آلاف بيت ، وصدّرها بمقدمة رائعة ، وضعها العقاد في : (عبقرية ابن الرومي) ، لم يدع فيها شاردة ولا واردة ، ولا ترك شيئاً لسواه ، يقوله .. حتى صار قصارى غيره – إذا كتب – أن يترسّمه ، ويفصّل ما أُجمل .. »(١) إلى أن يقول : « وما بالقليل أن يفوز بذلك : مَنْ حُمِلَ في حياته حمولا منقطع النظير ، في تاريخ الآداب ، مع وُضُوح حقّه »(٢) .

* * *

(١) ، (٢) أنظر كتابه (حصاد الهشيم) ط سنة ١٩٢٤ ص ٢٧٠ .

حياته : يذكر الزيات فى كتابه : (تاريخ الأدب العربى ص ٢٧٦) ـ الطبعة الرابعة والعشرين : أن حياة ابن الرومى ، لا تزال سرا مكتوما فى ضمير الزمان ، فلم يترجم به أحد ترجمة وافية ، وقد ذكر الأستاذ (كليمان هيار) أن أبا عثمان سعيد الخالدى ـ من علماء سيف الدولة ـ كتب ترجمة مفصلة لابن الرومى ، ولكن ـ يقول الزيات ـ : أين هى ؟..

وما أمكن الوقوف عليه بهذا الشأن ، أنه « هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج ـ وقيل جورجيس ـ المعروف بابن الرومى ، مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما ، الشاعر المشهور .

ولد فى بغداد يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة ٢١ هـ وتوفى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ٢٨٤ »[٣] ، ويضيف (عزت العطار) إلى ما تقدم ، قوله :

« وكان شعره غير مرتب ، ورواه عنه (المتنبى) ، ثم عمله أبو بكر الصولى ، ورتّبه على الحروف ، وجمعه أبو الطيب »[٤] .

ويضيف الزيات إلى ما تقدم ، قوله : « وكان أبو الحسن وزير المعتضد ـ لا يفتأ حذرا منه (أى من ابن الرومى) ، خائفاً من هجائه .. ولا يكاد يُصدِّق أنه يسلم من لسانه .. وكان هذا الوزير شِرِّيراً سفّاكاً للدماء ، فدسَّ عليه مَنْ سَمَّه فى أكْلة ، وهو حاضر .. فلما أحسَّ ابن الرومى بالسُّمِّ ، قام . فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى الوضع الذى بعثْتَ بى إليه !

فقال له الوزير : سلِّمْ على والدى !

فقال ابن الرومى : ليس طريقى إلى النار !

ولحق ابن الرومى بمنزله ، فأقام به أياماً .. وكان الطبيب يتردّد عليه ، فزعم أنه غَلِطَ فى بعض العقاقير ، فقال ـ وقد سأله نفطويه النحوى عن حاله ـ وهو يجود بنفسه :

غَلِـطَ الطبيـبُ علـىَّ غَلْطَـةَ مُورِدٍ ‍ ‍ ‍ عجـــزتْ مَوارِده عن الإصْدار
والنـاس يلحـوْن الطبيـب ، وإنما ‍ ‍ ‍ غَلَـطُ الطبيب : إصابـةُ الأقْـدار[٥]

ولم تكن نهاية ابن الرومى المأساوية ، هى غاية ما عانى من ناس زمانه ، ولكنه ظل يتجرَّع غصص البأساء طوال حياته ، ويُعانى من شظف العيش وضيق ذات اليد ، حتى اضطر إلى استجداء الكساء من ذوى الثراء ، الذين أزورَّ أكثرهم عنه ، ولم يمنحوه إلا الفتات الذى لا يليق به كشاعر جهير ، يدرك قَدْر موهبته ، حتى قال فى أحدهم ، ساخرا متضرِّراً :

(٣) استقينا هذه الترجمة لحياة ابن الرومى من كتاب (المتشابه فى نظم النثر وحلّ الشعر) تأليف عزت العطار حفيد العلامة مفتى الديار الشامية الشيخ سليم العطار الدمشقى ط سنة ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧ م ، ص ٧٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٠ ، ولم يوضح مصدر معلوماته تلك ..

(٥) (تاريخ الأدب العربى) للزيات ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

جُعِلْتُ فداكَ لم أسأ ... لكَ ذاكَ الثوبَ للكفنِ
سألتُكَ لا .. لألبسَهُ ... ورُوحي بعدُ في البدنِ !

وقال فيمن عابوا شعره بغير علم ، ومنعوه رِفْدَهم وعطاءهم :

عابوا قريضي وما عابوا بمعرفةٍ ... ولن ترى الشمسَ أبصارُ الخفافيشِ
أبعدَ ما اقتطعوا الأموالَ واتخذوا ... حدائقاً وكُروماً بعدَ تعريشِ
أيحمدوني .. وبيتي بيتُ مَسْكنةٍ ... قد عشّشَ الفقرُ فيه أيَّ تعشيشِ !

* * *

وكان لابن الرومي من تشاؤمه الذي عُرِف عنه ، ما حال بينه وبين اكتساب الرزق ، بالحلِّ والترحال ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ الملك : ١٥

إذ كان يُؤْثِر الإقامة في عُقْر داره ، مكتفياً بمدح بعض الأثرياء والوجهاء ، وما قد يجودون به عليه ، خشية هجائه اللاذع !.. وهو يقول عن زهده في الأسفار :

أذاقتنيَ الأسفارُ ما كَرَّهَ الغنى ... إليَّ وأغراني برفضِ المطالبِ
فأصبحتُ في الإثراءِ أزهدَ زاهدٍ ... وإنْ كنتُ في الإثراءِ أرغبَ راغبِ !
حريصاً جباناً أشتهي ثم .. أنتهي ... بلحظي جنابَ الرزقِ لحظَ المراقبِ
ومَنْ راحَ ذا حرصٍ وجُبْنٍ ، فإنه ... فقيرٌ أتاه الفقرُ من كلِّ جانبِ
تنازعني رغبٌ ورهبٌ .. كلاهما ... قويٌّ وأعياني اطِّلاعُ المغايبِ
فقدَّمْتُ رِجْلاً رغبةً في رغيبةٍ ... وأخَّرْتُ أخرى رهبةً للمعاطبِ !

وربما كان الفقر والحرمان ، هما اللذان أرهفا مَلَكَةَ الوصف والتصوير عند ابن الرومي (والجوعان يحلم برغيف العيش) فأعطانا هذا الوصف البديع للخبّاز ورقاقه :

إنْ أنسَ لا أنسَ خبّازاً مَرَرْتُ به ... يدحو الرقاقةَ وشْكَ اللَّمْحِ بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفِّه كرةً ... وبين رؤيتها قوراءَ كالقمرِ :
إلا بمقدارِ ما تنداحُ دائرةٌ ... في صفحةِ الماءِ يُرْمَى فيه بالحجرِ

كان ابن الرومي ، كما يقول العقاد : « فنانا بارعا ، أُوتي مَلَكة التصوير ، ولُطْف التخيُّل والتوليد ، وبراعة اللعب بالمعاني والأشكال »(٦) « فإذا قصد أحدا أو شيئاً بهجاء ، صوَّب إليه مصورته الواعية ، فإذا ذلك الأحد ، أو الشيء ، صورة مهيَّأة من الشعر ، تهجو نفسها بنفسها ،

وتعرض للنظر مواطن النقص من صفحتها ، كما تطبع الأشكال فى المرايا المعقوفة والمحدّبة ، فكل هجوه تصوير مستحضر لأشكاله ، أو لعب بالمعنى ، على حساب من يستثيره .. »[7] .

ولسنا مع العقاد فيما ذهب إليه ، وشايعه فيه المازنى وأيده ، بقوله : « الرومية هى أصل هذا الفن الذى اختلف فيه ابن الرومى عن عامة الشعراء فى هذه اللغة ، وهى السمة التى أفْرَدَتْه بينهم ، إفراد الطائر الصادح فى غير سِرْبه ، وربما بذّهم فى أشياء ، وقصَّر عنهم فى أشياء غيرها ، ولكنه لا يشبههم ، ولا يشبهونه ، فى تفوّقه وتقصيره على السواء ، فلهذا انقطع ما بينه وبينهم من نسب الأدب ، وجرثومة الفن ، لا لأنه أفضل منهم جميعا ، ولا لأنهم جميعاً أفضل منه . »[8] .

فالعقاد لم يقدّم الدليل العلمى الذى يدعّم به ما ذهب إليه ، فالموهبة لا تُورَّث أو تكتسب بالانتماء إلى الأصل الآرى أو الحامى أو السامى ، وإنما هى فيْضٌ ، أو قبس إلٰهى سرىّ ، يختص الله به مَنْ يشاء من عباده وقد قال (حفنى ناصف) متحسّرا :

أنقضى معى إنْ حان حينى تجاربى وما نِلْتها إلا بطـــول عنـــاء

إلى قوله :

إذا ورّث الجُهّــال أبناءهــم غنًــى وما لاً .. فما أشقـى بنـى العلمــاء

فالعلم لا يورّث تلقائيا ، وكذلك الأدب والشعر عامة .. وكما يقول (كولردج) : « ليست الصورة وحدها ـ مهما بلغ جمالها ، ومهما كانت مطابقتها للواقع ، ومهما عبّر الشاعر بدقة ـ هى الشىء الوحيد الذى يميّز الشاعر الصادق .. وإنما تصبح الصورة معيارا للعبقرية الأصيلة ، حين تشكلها عاطفة سائدة ، أو مجموعة من الأفكار ، والصور المترابطة ، أثارتها عاطفة سائدة .. وحينما تتحول فيها الكثرة إلى الوحدة ، والتتالى إلى لحظة واحدة .. وحينما يضفى الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية . »[9] .

ونحن مع صديقنا الأستاذ الفاضل الدكتور على على صبح ، حينما يقول ـ فيما ذهب إليه العقاد والمازنى ـ أنهما : « أهملا ـ وهُما مؤمنان أشد الإيمان بالوراثة ـ ما للفارسية من جهة أمه (أى أم ابن الرومى الفارسية الأصل) . من أثر فى عقله ودمه ، وأخيراً .. أهْمَلا أثر البيئة الغالبة الحاكمة المسيطرة على الشاعر ، وعلى آبائه من قبله ، وهى البيئة العربية الإسلامية ، التى أحالتْ ـ بالعقيدة الجديدة ـ كل جنس إلى شكل آخر ، وصبغته بالحياة الجديدة .. »[10] .

ويستطرد فيقول :

(٦) ، (٧) أنظر كتاب العقاد (مراجعات فى الأداب والفنون) ، ص ١٥٣ .

(٨) أنظر كتاب (حصاد الهشيم) للمازنى ص ٢٨١ .

(٩) أنظر كتاب (دراسات فى الشعر والمسرح) للدكتور مصطفى بدوى ، ط دار المعرفة ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٢٧ .

(١٠) أنظر كتابه (عبقرية ابن الرومى) ط سنة ١٩٧٥ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

وشاعرنا – أي ابن الرومي – يعيش في القرن التاسع الميلادي ، إذن بينه وبين عصر العباقرة اثنا عشر قرنا ، أفلا يتأثر ابن الرومي بهذه البيئة الجديدة ، التي تناقض تماما بيئة العباقرة اليونانيين قبل الميلاد ؟ »[11] وأما ابن الرومي المسلم العربي العباسي ، فشعره العربي كفيلٌ بهذه النسبة ، لأن الأسلوب ، وهو عربي – لاشك – هو القالب الذي يصب فيه الشاعر معانيه وأغراضه ، وهو الصورة التي تُعبر عن مشاعره وأحاسيسه وخواطره » .

ومن ذلك ، أنه يؤمن بالقضاء والقدر ، فيقول :

وإذا أتـاك من الأمـور مُقـدَّرٌ وهـربْتَ منـه ، فنحـوه تتوجّـهْ

والروح الإسلامية ، تُلبس الصور لبوسَ الجلال ، وتُغشِّيها بالوقار والهيبة – يقول وقد ازدانت الدنيا بأثواب الربيع :

أصبحتْ الدنيا تروق مَنْ نظَـرْ
بمنظـرٍ فيـه جلاءٌ للبصـر
أثـنـتْ على الله بآلاء المطـر[12]

* * *

وأخيرا ، وليس آخراً ، نحن مع المازني ، حينما يتحدث عن الشاعر ، حين يسخر ، بقوله إنه : « يتناول بُعد ما بين الأشياء والطبيعة ، ويركض في حلبة يتقابل عند طرفيها الواقع من ناحية ، ومثل الكمال من ناحية أخرى .. وقد يفعل ذلك جادًّا ، أو متفكِّهاً مُداعباً ، أي أنه قد يستوحي إرادته ومشاعره ، أو يستملي عقله ، فإن كانت الأولى : فهو هاجٍ منتقم ، وإن كانت الثانية : فهو ساخر يركب ما بدا له من الدعابة »[13] .

ويمثل النوع الأول ، قول ابن الرومي ساخراً لأحد ممدوحيه :

رَدَدْتَ عليَّ مَدائحي بعـد مطْـلٍ وقـد دنّسْتَ مَلْبَسَـهُ الجديـدا
وقُلْتَ : امـدحْ به من شئت غيري ومـن ذا يقبـلُ المدحَ الرّديـدا
وهـل للحـيِّ في أكفـان ميْتٍ لَبوسٌ .. بعدما امتلأتْ صديـدا ؟!

والنوع الثاني يمثله قوله :

كل امـرىءٍ مَدحَ امـرءًا لنوالـهِ وأطال فيـه .. فقـد أطـال هجـاءه
لو لم يقـدّرْ فيـه بُعـدَ المُستقـى عنـد الـوُرُودِ .. لما أطـال رشاءه

---

(11) المصدر السابق ص ٩٧ .

(12) المصدر السابق ص ٧٧ – ٧٨ .

(13) حصاد الهشيم للمازني ص ٣٠٢ .

طرائف ومواقف

للأستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ثلاثيات

ثلاثة لا تتنازل عنها : الدين ، والأمانة ، وقول الحق

ثلاثة ابتعد عنها تعش آمنا : الخيانة ، والفضول ، والخصام .

ثلاثة ما برح الناس يبحثون عنها ولا يجدونها : السعادة ، والراحة ، والسلام .

ثلاثة ضيقة : سم الخياط ، وعين الحسود ، وكيس البخيل .

ثلاثة طويلة : ليالى البائس ، وأيام الهم ، وانتظار الفرج .

ثلاثة قصيرة : ليالى الهنا ، وأيام الصفاء ، وحبل الكذب .

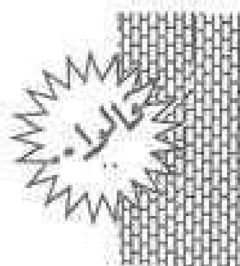
ثلاثة واسعة : للغرور ، والأمل ، وذم الكثير .

الذنب ليس ذنبي

وقف اللص أمام القاضى قائلا :

إن الذنب ليس ذنبى ، لقد كنت بدون طعام أو أصدقاء أو مأوى .

فقال القاضى : إنك تثير الشفقة إلى حد بعيد ! وعلى هذا فستجد الطعام والمأوى والرفاق طوال الأشهر التسعة القادمة .



فضل الأدب فى غير دين مهلكة ، وفضل الرأى إذا لم يستعمل فى رضوان الله ومنفعة الناس قائد إلى الذنوب ، والحفظ الزاكى الواعى لغير العلم النافع مضر بالعمل الصالح ، والعقل غير المورّع من الذنوب خازن الشيطان .

نصيحة

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها
على الناس ، واعلم أنها تتقلب
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب



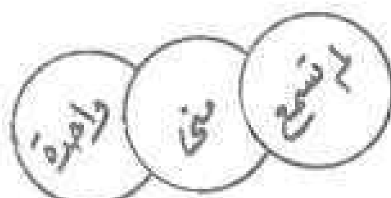
قيل لرجل رقى سمينا : ما أسمنك ؟
قال : أكلي الحار ، وشربي القار ، واتكائي على شمالي ، وأكلي من غير مالي .



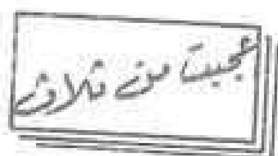
ينال الفتى من عيشه وهو جاهل
وَيُكْدِى الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا
هلكن ـ إذا من جهلهن ـ البهائم

جواب

قيل للحسن البصري ـ رحمه الله ـ : إن الحجاج يذكرك بسوء .
فقال : كل امرىء بما كسب رهين .



قال رجل للأحنف بن قيس : إن قلت كلمة لتسمعن عشرا ، فقال له الأحنف : لكنك لو قلت عشرا لم تسمع مني واحدة .

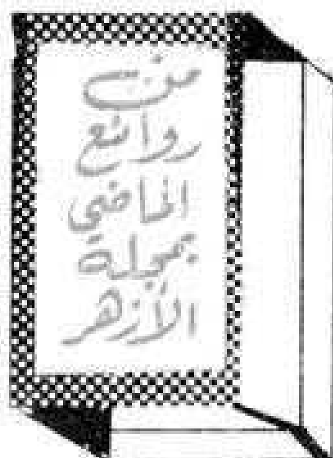


قال يحيى بن معاذ : عجبت من ثلاث :
رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ، وهو يرى تناقض تدبيره ، ورجل شغله هم غده ، وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط .

دعاء

اللهم يا من بيده خزائن السموات والأرض ، عافنا من محن الزمان ، وعوارض الفتن ، فإنا ضعفاء عن حملها ، وإن كنا أهلا لها ، فعافيتك أوسع لنا يا واسع يا عليم .





ماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

للأستاذ / محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم : د / عبد الفتاح حسين الزيات

الحق اسم من أسماء المولى ـ عز وجل ـ وكل ما سمى الله به نفسه فهو واجب التقديس .

ونظرا لقدسية هذه الكلمة ومدى الاحتفاء بها فقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم (٢٤٨ مرة) ما بين اسم وفعل لتقرع أسماعنا المرة بعد المرة ، أن اعملوا لى ، ولى ، فأنا عليكم رقيب وعلى عملكم شهيد ، فوجودى أزلى ، وبقائى أبدى .

وإن دينا يتضمن هذه الكلمة أساسا من أسسه ووصاياه لا عجب أن يبلغ أهله خلافة الأرض ، فدانت لهم الأمم وخضعت لهم الرقاب بسلطان الله بعد أن أفاقت من سباتها الذى ران عليها قرونا طويلة ، واستشعرت أن دين الإسلام جاء بالحق الناصع فأقشعت الظلمة التى كانت تضرب أطنابها فى جنبات الكون .

من أجل ذلك دُعى الإسلام بدين الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، قال الأستاذ ـ رحمه الله :

ما ترددت كلمة الحق فى كتاب ، بقدر ما ترددت فى القرآن الكريم ، حتى إذا موجده ـ جل وعز ـ سمى الدين الذى بعث به خاتم رسله بدين الحق ، فقال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١)

أى أرسله بالهدى الذى لا يضل معه من اتبعه ، وبالحكمة التى تؤدى إلى كمال المعرفة ، ليجعله ظاهرا على الأديان كلها ، وقد تكررت هذه الكلمة الجامعة فى الكتاب المجيد قريبا من ثلاثمائة مرة ، وعلى وجه التحديد نحو أربع وثمانين ومائتى مرة ما بين اسم وفعل ، وليس هذا بعجيب ، فإن الحق قيوم كل عمل نافع ، وكل علم ثابت ، وكل خصلة شريفة ، وكل نية صالحة ، حتى إنه ـ سبحانه وتعالى ـ قال :

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ (٢) .

وقد ضرب الله مثلا للحق والباطل فقال :

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (٣)

أى أن الله تعالى أنزل من السماء ماء إلى أودية بالقدر الذى يكفيها ، ويكون عليه زبد عال من شدة التدفق ، ومما توقدون عليه فى النار كالذهب والحديد لصنع حلية أو أداة نافعة ، زبد مثله من شدة الغليان ، فأما الزبد فيذهب جفاء أى غثاء لا ينتفع به ، وأما ما ينفع الناس كالماء والمعادن النافعة ، فيبقى فى الأرض للانتفاع به ما دام العالم الأرضى صالحا للبقاء .

وقد أشاد الله ـ جل وعز ـ بذكر الحق فى آيات تأخذ بالألباب روعة ، وتستولى على القلوب رهبة ، دعوة إلى التمسك بالحق ، وزجرا عن التعويل على الباطل ، فقال تعالى :

﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (٤) .

جاء الحق أى الإسلام بما اشتمل من هدايات ، وما كلفه أهله من رسالات ، فأصبح الباطل هالكا ، والباطل لا يستطيع أن يبدى ولا أن يعيد .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

سورة الإسراء ـ ٨١

أى قامت دولة الحق بقيام الإسلام ، وهلك الباطل وتقوضت دولته ، إن الباطل من طبيعته الزهوق والاضمحلال .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

سورة الأنبياء .

أى أننا لم نخلق الوجود المادى بقصد التلهى والتسلى ، لو أردنا ذلك لاتخذناه من عندنا مما يليق بقدرتنا إن كنا فاعلين .

---

(١) سورة الفتح ـ آية : ٢٨ .
(٢) سورة يونس ـ آية : ٣٢ .
(٣) سورة الرعد ١٧
(٤) سورة سبأ ٤٩ .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ١٨

أى بل ليس من شأننا ، ولا يليق بنزاهتنا أن نتخذ اللهو ؛ بل من شأننا أن ننصر الحق الثابت على الباطل فيدمغه ، والدمغ : كسر الدماغ وشقه المؤدى إلى أزهاق الروح ، وهذا تصوير بديع لإبطال الباطل بالحق ، ومبالغة فيه على حال تخشع لها النفس ، ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ١٨

أى ولكم الهلاك مما تصفون الخالق به مما لا يليق بجلاله ، ولا يصح لكماله .

ومما هو أقوى وقعا على النفس الإنسانية ، وأشد تأثيرا على مواطن الإذعان منها ، أن قيم الوجود ـ جل شأنه ـ خص بالحق وموقف الإنسان منه سورة قال عنها ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ : « لو لم يكن فى القرآن إلا هذه السورة لكفت الناس » ، ذلك لما تجلى فيها من الروح الإلهى ، وما أشرق بين سطورها من نور الحكمة الربانية ، ألا وهى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

سورة العصر

يقسم الله ـ وهو غاية فى التأكيد ، ولا يكون ذلك إلا فى أمر جد خطير ـ بأن الإنسان بما أودع من الميول الجسدانية ، وما استدعاه تركيبه من الحاجات الحيوانية ، لفى خسران مبين ، إن تمحض لها ، وتغلبت عليه بجواذبها ، إلا الذين آمنوا بالله ووقفوا من شهواتهم الجثمانية عند الحدود التى رسمها لهم فى كتبه السماوية ، وانصرفوا إلى الأعمال الصالحة مؤدين رسالتهم التى حُمّلوها نحو أنفسهم ونحو مجتمعهم ونحو الإنسانية جمعاء ، متجهين فى جميع محاولاتهم الحيوية نحو الحق ، وموصين بذلك بعضهم بعضا ، ومتحلين بشيمة الصبر ، وهى أخص ما يلجأ إليه أولو البصائر النيرة حيال ما تقتضيه حياتنا الأرضية من المكاره ، وما تثيره من الشدائد ، لتتجرد الشخصية الإنسانية العلوية المحتد ، مما يحجب من أنوارها عنا ، ويضيع من إشراقها علينا .

هذه السورة تعتبر من أمهات المثل الإسلامية العليا التى كان لها أكبر أثر فى ترقية المجتمع الإسلامى ، وتوجيه آحاده نحو الحياة التى جعلت منهم أمة فذة فى تاريخ العالم الإنسانى ، وقد أثرت فى تطوره وتكميله ما لم يرو عن أمة سواها فى الأرض .

دُعى الإسلام بدين الحق ، وأحيطت هذه التسمية فى كتابه من الوصايا والتعاليم بما يجعل أعدى أعدائه يعترفون بصحة هذه التسمية ، فقد بُنى على العقل ، وقام على الدليل ، وأطلقت لأهله فى هذه السبيل حرية البحث ، وقد حث المسلمين على الاجتهاد وراء إدراك الحقائق ، حتى قرر أن للمخطىء أجرا ـ وإن أخطأ ـ وللمصيب أجرين ، ولم يسمع فى سيرة العالم كله ما يشبه هذا التنشيط على البحث .

وطولب الآخذون به أن ينظروا فى الوجود وفى عقائدهم ، وكُلفوا أن يقيموا الدليل على صحتها ،

وحرّم عليهم التقليد ، ودعوا للسياحة فى الأرض وراء اكتساب العبر ، والاستماع لكل قول ، وتلقف الحكمة ولو من المشركين .

لا جرم أن دينا يحاط بكل هذه التعاليم والوصايا يجب أن يسمى دين الحق ، ولا عجب أن يبلغ أهله خلافة الأرض .

إن تحت ظلال هذا المثل الأعلى من التعويل على الحق ، وصل المسلمون إلى أرقى ما بلغ إليه الأقدمون ، وزادوا عليه ما جعل تراثهم العلمى المادة الأولية للعلم إلى يومنا هذا .

وتحت رعايته اختلفوا واحترموا خلافاتهم ، وأطاقوا أن تتعدد مذاهبهم .

وتحت نوره بحثوا ونقبوا ، واحترموا كل صاحب علم من الأجانب ، واحتفوا به وأخذوا عنه ، وشرحوا تعاليمه وتدارسوها .

وتحت قيادة هذا المثل الأعلى أسس أهله الجامعات فى عواصم البلاد التى افتتحوها ودرسوا فيها العلوم المختلفة ، وقبلوا فيها المخالفين لهم فى العقيدة من نصارى أوروبا ومن الإسرائيليين ، وأخلصوا لهم فى تثقيف عقولهم ، وتنوير أذهانهم ، فمهدوا بذلك السبيل لعهد البعث لهم ، مما كان سببا مباشرا لنهضة أوروبا علميا ومدنيا ، ولم يُخْفِ الأوروبيون هذا الأمر ، فاعترفوا به على رءوس الأشهاد ، قال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه « حضارة العرب » :

« إن تأثير العرب فى الغرب كان عظيما كتأثيرهم فى الشرق ، وإن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها ..

« ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب فى الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخل العرب الحضارة إليها ، وقال المسيو (ليبرى) : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدة قرون » .

وعاد الأستاذ (لوبون) فقال : « وقد كانت ترجمات كتب العرب العلمية المصدرَ الوحيد للتدريس فى جامعات أوروبا نحو ستة قرون » .

وتحت سلطان هذا المبدأ ترجموا الكتب القديمة وتدارسوها ، وقاموا بنشر ما فيها ، وساحوا فى الأرض لاستكشافها ؛ وأحسنوا للأجانب وبرُّوهم وساووهم بأنفسهم أمام الشريعة ، وعاشروهم وأصهروا إليهم ؛ وهى ميزات اختصوا بها دون سائر الأمم ، جعلتهم قريبين من قلوب مخالفيهم فى العقائد ؛ وقد كان من أثر ذلك أن دخل فى دينهم ـ فى مدى قرن واحد ـ نحو مائة مليون نسمة ، وهدأ روع مقهوريهم وأخلصوا إليهم ، فلم يشغبوا عليهم ، ولم يحاولوا الاستقلال عنهم ؛ ولولا هذه الخلال الكريمة التى بثها فيهم دين الحق لاشتعلت فى تلك الأقطار الفتن ، ولعجز المسلمون عن حفظ امبراطوريتهم مدى قرون عديدة ، كل هذه الظواهر الاجتماعية ليس لها شبيه فى تاريخ العالم كله . وهذا مصداق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

سورة النور ـ آية : ٥٥

أضواء على إعجاز القرآن الكريم (*)

عرض وتحليل

أ. د. أحمد فؤاد باشا

إن القرآن الكريم هو الآية الكبرى التي أيد الله بها رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليكون معجزة خالدة على مرّ الزمان . وتتجلى جوانب الإعجاز القرآني في مجالات عديدة منها : بلاغته الخارقة للعادة ، ومنهجه التربوي والخلقي ، وإخباره بالغيب ، وإشاراته إلى الحقائق الكونية قبل أن يكتشفها العلماء والباحثون .

وقيل : إن إعجاز القرآن الكريم يتجلى في نظرته الثابتة إلى الوجود والإنسان ، باعتباره في الأساس منهج حياة وعقيدة للإنسانية حتى قيام الساعة .

وقيل : بل في كون قارئه لا يكلّ وسامعه لا يملّ . وفي سلامته من التناقض والاختلاف .

وقيل : أمر نُحسّ به ولا نستطيع وصفه .

والحق : إننا نجد في القرآن الكريم سلسلة من الإعجازات لا تنتهي ، فقد ضرب الله فيه للإنسان من كل مثل . قال - تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ . (سورة الكهف)

والكتاب الذي بين أيدينا يلقي الضوء على بعض جوانب الإعجاز في القرآن الكريم ، وهو يقع في (١٣٩ صفحة) من القطع المتوسط موزعة على مقدمة وتمهيد وخمسة عشر فصلا وخاتمة ، بالإضافة إلى تصدير بقلم د . عبدالرحمن عباد الناطق الرسمي في « هيئة العلماء والدعاة بفلسطين » ، وقائمة المصادر والمراجع .

(*) الشيخ عكرمة سعيد صبرى مفتى القدس « أضواء على إعجاز القرآن الكريم » الطبعة الأولى ، مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

ومؤلف الكتاب هو : سماحة الشيخ عكرمة سعيد صبرى ، المفتى العام للقدس والديار الفلسطينية ، ورئيس مجلس الفتوى الأعلى فى فلسطين ، وخطيب المسجد الأقصى ورئيس هيئة العلماء والدعاة ، وقد حرص فضيلته على أن يتبع فى تأليف الكتاب منهجا توثيقيا دقيقا يتناسب مع أهمية الموضوع ، كما أنه اتبع منهجا انتقائيا فى اختيار الموضوعات للتدليل على الإعجاز القرآنى الذى لا تُحدّ مظاهره ولا يُحاط بها ، لأن القرآن الكريم لا تنقضى عجائبه وأسراره ، وعلومه مازالت تمدّ الباحثين بفيض غامر لا ينضب من المعانى والكشوف .

حدثنا المؤلف فى الفصول الأولى عن تحدى القرآن الكريم العرب بما نبغوا فيه من فصاحة وبلاغة وبيان ، حتى يكون التحدى ، من باب أوْلى ، قائما للناس كافة إلى يوم القيامة ، وأشار إلى أن أسلوب القرآن الكريم ــ بشهادة العرب وغير العرب ، والمسلمين وغير المسلمين ــ يختلف تمام الاختلاف عن أسلوب الحديث الشريف ، وهذا يدل على صدق النبى العربى الأمى الأمين فيما بلّغ عن رب العالمين ، وحين فشل العرب فى تحدى القرآن الكريم ، لجأوا إلى إطلاق الشائعات بحق الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ووصفوه بأنه مجنون وكاهن وشاعر ، كما وصفوا القرآن الكريم بأنه سحر ، وبأنه أساطير الأولين . وعندما رأوا أن إطلاق الشائعات لم يحقق مآربهم ، لجأوا إلى الإيذاء الجسدى ، واستعمال القوة والعنف والسيف ، ولأن محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبى ورسول ، فقد استطاع تجاوز جميع العقبات التى واجهته ، ولو لم يكن كذلك لما استطاع تجاوزها .

وعن شمولية القرآن الكريم فى العقيدة والتشريع ، يوضح صاحب « الأضواء » أن الشمول العقدى يتمثل ببيان حقيقة توحيد الله ــ سبحانه وتعالى ــ كما يتمثل بربط الكون والإنسان والحياة بالله ــ سبحانه وتعالى ــ .

ومن ثمرات هذا التصور أن الإنسان يشعر برقابة الله ــ سبحانه وتعالى ــ له فى جميع أقواله وأفعاله ، فيولد فى نفسه عنصر النقد الذاتى والمحاسبة الذاتية ، وبالتالى فالمسلم يخلص لله فى عمله ، ويخلص لله فى عبادته ، ويلتزم بأوامر الله ويتجنب نواهيه وكل أمر مردّه إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ ... أما الشمول التشريعى الذى يمتاز بالعمومية والديمومة ، فيشمل مختلف مناحى الحياة ، ويعالج وقائع الناس السابقة واللاحقة عبر الأجيال والعصور مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأزمانهم .

والإنسان فى ظل هذا النظام القرآنى المتكامل ، يستطيع أن يعيش لآخرته وهو فى دنياه ، وأن يعمل لله وهو يعمل لمعاشه ، وهذا تصور معجز ينفرد به الإسلام ، مصداقا لقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

سورة القصص ــ آية : ٧٧

والدليل على أن هذا التصور الشمولى للقرآن الكريم معجزة هى سلامته من التحريف وكفالة الله ــ سبحانه وتعالى ــ بحفظه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ . سورة الحجر

ويمضى سماحة مفتى القدس فى بيان مظاهر الإعجاز القرآنى التى تناولها فى كتابه ، وذلك من خلال عدة مواقف منتقاة من كتب التاريخ والسنة ، توضح تأثير القرآن الكريم فى عقول العرب ومشاعرهم ، وتدل على انفراده بقوة روحية لها أثرها البالغ فى تهذيب النفوس وإحياء الضمائر وتوحيد الأمة ، فالإنسان الذى يستعرض القوة الروحية فى القرآن يدرك تلك المعجزة الاجتماعية التى نهض بها القرآن فى الجزيرة العربية والعالم الإسلامى .

وعند الحديث عن الإعجاز فى إخبار القرآن بوقائع ماضية وأحداث مستقبلية ، حذر المؤلف من الروايات الإسرائيلية التى تخرجنا عن الهدف السامى للقصص القرآنى ، فينبغى أن يكون الشرح على قدر ما يفيده النص ، ولا يجوز أن نحمله أكثر مما يحتمل ، لأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الأعلم بحقيقة ما أخبر من أنباء الغيب ، مصداقا لقوله ــ جل وعلا ــ :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ﴾ .

سورة هود ــ آية : ٤٩

وأوضح الباحث أن الأخبار والقصص فى القرآن الكريم جاءت بأسلوب إعجازى بليغ ، الهدف منه هو العظة والعبرة وليس التسلية ومضيعة الوقت ، فالقرآن **ليس كتاب حكايات ولا كتاب تاريخ ولا جغرافيا وإنما هو كتاب هداية فى المقام الأول** .

وعن الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم أشار المؤلف الكريم بشىء من التفصيل إلى بعض صور الجمال الفنى الذى حدا بعلماء اللغة والأدب والفلسفة ــ على حد تعبيره ــ لأن يقولوا إن للقرآن لفظه ونغمه ونسقه وأسلوبه المتميز به ، لا يشبهه ولا يجاريه كتاب آخر ، إنه النسق القرآنى فى الألفاظ والمعانى معا لا انفصال بينهما ، فألفاظ القرآن تنقاد لمعانيه ، ومعانيه تنقاد لألفاظه ، بحيث لا تتغلب إحداها على الأخرى .

أما الحقائق الكونية فقد عرض لها المؤلف بإيجاز من خلال عشرة أمثلة ، شملت موضوعات نشأة الكون ووحدته وتمدده ، وشكل الأرض وحركتها ، وبعض الخصائص التى أودعها الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى الماء ، ونقص الأوكسجين فى الأماكن المرتفعة ، وتحديد جنس المولود ، وأغشية الجنين ، وبصمة الإصبع ، والتلقيح بالرياح .

ثم جاء الفصل الأخير ليحدثنا عن الإعجاز العددى والإحصائى ، من حيث مشروعيته ومؤلفات الأقدمين والمحدثين فيه ، ومظاهره المتمثلة ، من وجهة نظر المؤلف ــ فى غزارة المادة اللغوية ، والتوازن فى الكلمات ــ وبإعجاز العدد ١٩ .

وهكذا نجد أن الكتاب تطرق إلى موضوعات كثيرة تهمّ القارىء العادى ، كما تهم الدعاة ، وتمدهم بزاد وفير ومتنوع فى مجال إعجاز القرآن ، لكن هناك بعض الملاحظات التى نود الإشارة إليها ونوجزها فيما يلى :

١ ــ ذكر المؤلف فى المقدمة (ص ١٢) أن علم الحديث الشريف « علم نبت ونضج واحترق ، أى أنه لم يبق للاحقين ما يضيفونه إلى هذا العلم » ، وهو تعبير جانبه الصواب ، لأن شجرة العلم ــ أىّ علم ــ تؤتى ثمارها كل حين

بفضل جهود أجيال الباحثين ، ولو حذف كلمة « احترق » لكان أبلغ وأصوب .

٢ ـ خصص المؤلف فصلا مستقلا لسرد عدة مواقف عتابيّة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، واعتبر هذا من أوجه الإعجاز القرآنى ، مع أنه عرّف المعجزة فى التمهيد (ص ١٤) : بأنها أمر خارق للعادة ، تظهر على النبى فقط لإثبات صدقه وليتحدى بها المكذبين له فيعجزون عن الإتيان بمثلها ، فما هو الأمر الخارق للعادة فى إيقاع العتاب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على صفيّه وحبيبه ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟! .

٣ ـ الحديث عن الحقائق الكونية فى الفصل الرابع عشر جاء تقريريا مقتضبا على حساب المعنى العلمى ، خاصة فيما يتعلق بموضوعات نشأة الكون ووحدته وتمدده ، بينما جاء الحديث عن الإعجاز العددى والإحصائى مفصلا بالرغم من عدم اقتناع الكثيرين بجدوى هذا النوع من الدراسات الشكليّة التى تصرف الناس عن معانى القرآن الكريم فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى تدبّر آيات القرآن الكريم والعمل بأحكامه وتعاليمه .

وبصرف النظر عن مبررات المؤيدين والمعارضين لهذه القضية ، خاصة فيما يتعلق بالعدد ١٩ الذى قدسته طائفة باطنية مرتدة عن الإسلام ـ هى طائفة البهائية ـ فإن الكتاب الذى بين أيدينا لم يسلم من الوقوع فى المحظور عندما نقل عن بعض المراجع دون تدقيق (ص ١١٩) أن « اليوم » ورد فى القرآن الكريم مفردا ٣٦٥ مرة .. ولو رجع الباحث إلى « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » ، الذى وضعه المرحوم محمد فؤاد عبدالباقى ، وأشار إليه فى صفحة ١١٤ ، لوجد العدد مختلفا ، ولما وافق من نقل عنه فى القول خطأ بأن « اليوم » ورد مفردا بعدد أيام السنة ، كما أن الربط بين ورود كلمتى « الأيام » و « يومين » بصيغتى الجمع والمثنى ٣٠ مرة ، وبين عدد أيام الشهر غير دقيق ، فأيام الشهور والسنين تختلف باختلاف التقاويم ، وقد استشهد صاحب التصدير بهذه البيانات مرة أخرى (ص ١٠) ، فجاء تعليقه عليها مجافيا لحقائق القرآن والعلم معا .

كذلك نقل المؤلف عن أحد المراجع أن كلمة « فرعون » وردت ٧٤ مرة فى القرآن الكريم ، وهذا ضعف ورود كلمة « السلطان » (٣٧ مرة) ، مدللا بهذا على توازن الكلمات المتوافقة وتناسبها فى القرآن الكريم ، فأين التوافق بين الكلمتين ؟ الكلمة الأولى « فرعون » تعنى لقب ملك مصر فى التاريخ القديم ، ويلقب بها كل عات ، أما الكلمة الثانية « السلطان » فمن معانيها : الملك والولى ، أو القهر والقوة ، أو الحجة والبرهان ، وقد وردت بالمعنى الأخير فى عدة مواضع من القرآن الكريم ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة النمل)

وعلى أية حال ، فإن هذه الملاحظات يمكن مراعاتها فى الطبعات القادمة ، وهى لا تقلل أبدا من مكانة المؤلف المرموقة ، ولا من أهمية الجهد الطيب المبذول فى إعداد كتابه القيم .

هذا .. والله من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الآثار الثقافية والاجتماعية للبث التليفزيوني الأجنبي المباشر

دراسة استطلاعية

د. حسن علي محمد (*)

تمهيـد :

إذا كان القرن الثامن عشر قد شهد مولد الثورة الصناعية الأولى مع ظهور الآلة ، وإذا كان القرن التاسع عشر قد عرف الثورة الصناعية الثانية مع ظهور الكهرباء ؛ فإن القرن العشرين قد شهد ثورة فى « عالم الاتصالات » ، جعلت العالم كله غرفة الكترونية ؛ نرى ونسمع كل شيء فيها ... ولا نقول : قرية الكترونية .. !!

إن الثورة الاتصالية التى بلغت ذروتها فى نهايات هذا القرن لم تكن إلا إمتدادا لتطوير « تكنولوجى » متسارع شمل أدوات الاتصال ، فظهر منها « الفاكس » و « الفيديو تكس » والبث عبر الأقمار الصناعية وثورة « الكمبيوتر » والانفجار (المعلوماتى) المذهل وظهور شبكات (الأنترنت) .

والثورة الإعلامية فى هذا القرن يمكن القول أن لها مكونات ثلاثا : ـ

ـ الإعلامية والمعلوماتية .

ـ الاتصال عبر الأقمار الصناعية (الاتصال عن بعد) .

ـ تطور سريع فى الوسائل السمعية البصرية .

ولقد تعددت الوسائل الاتصالية التى استفاد منها الإعلاميون أكبر استفادة ممكنة وبالتالى جاءت الكلمة والصورة تمتزج فى المنظومة الرقمية (ديجيتال) وجاءت الأقراص البصرية الرقمية (CD ROM) التى توفر القدرة على اختزان النصوص والأصوات والصور والألوان[1] .

* مدرس الإعلام ـ جامعة المنيا

(١) رضا عكاشة ، الثورة الاتصالية ، أبعادها وتأثيراتها دوليا ووطنيا ، المجلة التونسية لعلوم الاتصال ، العدد ٢٨ (معهد الصحافة وعلوم الأخبار ، ١٩٩٦) ص ٩ ـ ١٠ .

ومن معطيات الثورة الاتصالية هذا القرن .. ظهور « التليفزيون » عابر الحدود الذى أتاحته الأقمار الصناعية مع ازدياد قنوات البث فى جميع أنواع التليفزيون مثل « التليفزيون المشفر » ، « الفيديو » ، « الكابل » ، (الكلاسيك) وبالتالى أصبح الإرسال التليفزيونى ميسورا للمشاهد ٢٤ ساعة يوميا ولأول مرة يجد المشاهد نفسه ــ وقد أتاحت له الثورة الاتصالية كل ذلك ــ أن بإمكانه مشاهدة أكثر من (١٨٠) قناة تليفزيونية عابرة للحدود منها : قنوات الاتحاد الأورى البالغ عددها (١٩٩) قناة فضلا عن قنوات الولايات المتحدة وآسيا ، وبعض البلدان العربية الآن ..

وإذا كان الإنتاج التليفزيونى مكلفا إلى حد أنه أصبح صناعة مؤثرة لها اقتصادياتها ومخاطرها ... ، وإذا كان التليفزيون المصرى لا يمكنه الوفاء بساعات إرسال كاملة من إنتاج مصرى ، فإنه غالبا ما يلجأ إلى الإستيراد أو المشاركة ، وللولايات المتحدة دور بارز فى هذا الشأن حيث تحتل ¾ البرامج المتداولة عالميا ولا تستورد من الخارج سوى ٢٪ فقط ، وتستورد مصر معظم برامجها الأجنبية من الولايات المتحدة[٢] .

وإذا كانت أصوات أوربية قد علت محذرة من هيمنة ثقافية للبرامج الأمريكية[٣] ، فما أجدرنا أن تدرس نحن ظاهرة البث الأجنبى لمعرفة تأثيراته على الشباب قيما وثقافة وعلى الإنتاج الوطنى .. قبولا أو رفضا .. !!

الفصل الأول

المبحث الأول :

صور البث الأجنبى
غير الفضائى عبر التليفزيون المصرى

تسرب البث الأجنبى إلى شاشة التليفزيون المصرى رويدا .. رويدا على سبيل التجديد والانفتاح على الثقافة العالمية ، وتقديم بعض الإبهار للأطفال والكبار من برامج ومسلسلات : أمريكية أو فرنسية أو حتى يابانية .. ! وفى البداية نود الإشارة إلى مفهومنا « للبث الأجنبى » ثم نشير إلى صوره وأشكاله فى هذا المبحث .

أولا : مفهوم البث الأجنبى : نطلقه على جميع البرامج والمواد التليفزيونية التى لم تنتج محليا أى داخل مصر ، ويتم الحصول عليها إما بالشراء أو الإهداء أو عن طريق الاشتراك فى القنوات الدولية كما فى حالة قناة (C.N.E) المصرية .

---

(٢) حسن على محمد ، البرامج الأجنبية المستوردة الموجهة للأطفال فى التليفزيون المصرى دراسة تطبيقية (قسم الإعلام ــ جامعة عين شمس ، ١٩٩٢م) .

(٣) رضا عكاشة ، المرجع السابق ص ١٩ .

(٣) أجرينا دراسة للحصول على درجة الدكتوراه فى الموضوع الأول عام ١٩٩٣ ، واستكمالا لدراساتنا ، تجرى هذه الدراسة على النوع الثانى الذى يتم عبر الأقمار الصناعية .

وتدفع له الدولة أو الأفراد مقابلا ماليا ، وتلجأ الدولة إلى إذاعة هذه البرامج ضمن برامجها ، وعلى جدول قنواتها لعجزها عن توفير الاكتفاء الذاتي كما يشمل البث الأجنبي كل مادة مذاعة من قناة غير مصرية عبر القمر الصناعي من خلال « هوائيات » الالتقاط .

وبهذا المفهوم يكون لدينا نوعان من البث الأجنبي هما في الحقيقة نوع واحد في أصله :

الأول : يمر عبر قنوات الرقابة ، ويُضمَّن في برامجنا وعبر جهاز الدولة وهو ما يتم الحصول عليه بالشراء ، أو الإهداء أو الاشتراك من قبل الدولة ودول الانتاج[4] .

الثاني : وهو ما يمر عبر الأقمار الصناعية ولا يدخل في خريطة برامجنا المصرية ولا يخضع للرقابة ويتم الحصول عليه عبر أطباق الالتقاط (**الدش**) وعبر شاشة المواطن مباشرة دون تدخل من الدولة ، وهنا مكمن الخطورة وما جعلني أهتم بالبحث وأخصص هذه الدراسة لهذا النوع الثاني ..

ثانيا : البث الأجنبي عبر برامج التليفزيون المصري :

اتخذ البث الأجنبي عدة قنوات للوصول إلى خريطة البرامج المصرية منها :

(ا) الإهداء[4] :

وكثيرا ما تتم اتفاقيات تعاون وتبادل برامجي بين مصر ودول كثيرة عربية وأجنبية ، وطبقا لهذه الاتفاقيات يتم إهداء بعض المسلسلات أو البرامج أو الأفلام التسجيلية ، وهذه المواد المهداة تخضع للفحص الفني (الرقابة) والفحص الهندسي لضمان صلاحية المادة فنيا وهندسيا قبل إذاعتها على الهواء .

والبرامج المهداة تغطي جزءا من ساعات الإرسال ، وتوفر على الدولة التكاليف الإنتاجية ، وفي نفس الوقت تقدم للمواطن شيئا جديدا على حد قول رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون ، أما كون هذا الشيء الجديد مفيداً أو غير مفيد فهذا دور الرقابة .. !! .

(ب) الشـراء :

ويمثل الشراء من السوق الدولية رافداً آخر تغطي به الدولة ساعات البث ، وشراء المواد التليفزيونية المعلبة أقل تكلفة من الإنتاج ويوفر جهداً بشرياً ووقتاً زمنياً ، حيث يبلغ ثمن شراء مسلسل أمريكي ٢٠٠٠ دولار بأسعار عام ١٩٩٥ ويبلغ ثمن شراء مسلسل فرنسي ١٠٠٠ دولار بأسعار نفس السنة أيضا .

وفي العادة يكون ثمن الشراء يساوي (واحد على مائة) من التكلفة الإنتاجية للمادة المشتراة وبخاصة ما تبيعه فرنسا والصين واليابان حيث ترغب هذه الدول في نشر ثقافتها ، وتعتبر نشر قيمها وثقافتها عملا وطنيا تدعمه بملايين الدولارات ، ومن خلال دراستي لنيل درجة الدكتوراه تبين لي أن ٩٢٪ من البث الأجنبي على الشاشة المصرية مقدم من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها[*] .

---

(٤) راجع هذا الموضوع تفصيلا للكاتب في رسالة « البرامج الأجنبية المستوردة الموجهة للأطفال في التليفزيون المصري دراسة تطبيقية » القاهرة (جامعة عين شمس ١٩٩٢) .

(*) د . حسن علي محمد : سابق ص ٣٨ ـ ٤٨ .

فإذا علمنا أن فرنسا ، بل أوربا كلها في حالة ضجر وقلق من البث الأمريكي ، وأن فرنسا شكت أمريكا رسميا في هذا الشأن خوفا من تسرب الثقافـة الأمريكيـة إلى فرنسا ، وأن الفرنسيين يرغبون في حماية مواطنيهم من البث الأجنبي .. ، إذا علمنا ذلك كله تبين لنا أهمية دراستنا الميدانية هذه ! .

ثالثا : الاشتراك في الشبكات والقنـوات العالمية .

وقـد قام التليفزيون بالاشتراك في القناة الفرنسية وقناة C.N.N الأمريكية وكوّن شركة مصرية C.N.E لتقدم خدمة إخبارية متميزة .. وجعل هذه الخدمة خاصة بمن يدفع اشتراكا سنويا .. !

ولا شك في أن التليفزيون يطبق بمرونة قواعد الرقابة على هذه الخدمة ، ويمر من خلالها الكثير من المفاهيم والآراء والأخبار التي تحمل وجهات نظر غربية .. بل كثير منها يصطدم بواقعنا ..

غير أنه للحق يمكن القول إن هذه الخدمة مطلوبة وضرورية ومأمونة في كونها تقدم لمن يطلبها ويدفع مقابلا .. بينما الخطورة فيما يقدَّم للمشاهد العادي ، وفي قنواتنا العامة والمحلية دون رغبة من المشاهد المصري ، ودون أن يجنبه لما تحويه ، ولا يستطيع ـ إلا في النادر ـ إلا أن يشاهد ما يقدم .. !!

المبحث الثاني : الإجراءات المنهجية :

١ ـ مشكلة البحث وتساؤلاته :

- ومن خلال متابعة الباحث لهذه المحاور الثلاث التي يقدم عن طريقها المضمون الأجنبي على شاشة التليفزيون المصري .
- ومن استمرار لمتابعة البرامج الأجنبية ورصد لها واستكمالي لبحوثي .
- ومن متابعتي لما تتركه هذه البرامج الأجنبية من أثر على شباب مصر (آخرها جماعة عبدة الشيطان) ، وجدت أن الحاجة ملحة لإجراء دراسة حول الأثر الثقافي والإجتماعي للبث الأجنبي ، وأن المكتبة العربية بحاجة إلى المزيد من البحوث في هذا المجال .

تسـاؤلات الدراسـة :

في ظل انتشار أطباق التقاط البث المباشر (الدّش) وجد الباحث نفسه محاطا بالكثير من التساؤلات أولها ذلك السؤال الأساسي :

إلى أي مدى يؤثر المضمون الذي تحمله الأقمار الصناعية في شباب مصر ؟ .

ثم تفرع من هذا التساؤل تساؤلات عدة تضمنتها استمارة (الاستبيان) منها على سبيل المثال :

ـ ما معدل ملكية أطباق التقاط البث الأجنبي لدى شباب العينة ؟

ـ ما المستوى التعليمي لهؤلاء الشباب ؟

ـ ما مدى تعرضهم وكثافة مشاهدتهم ؟

ـ أية سن من شباب العينة أكثر مشاهدة ؟

ـ أي المهن والوظائف أكثر إقبالا على مشاهدة

البث الأجنبي من خلال (الدش) ؟

ـ هل يوجد علاقة بين السفر للخارج والاقبال على مشاهدة البث الأجنبي من عدمة ؟ .

ـ ما الدوافع التي جعلت شباب العينة يشترى (الدش) ويُقبل على مشاهدة البث الأجنبي ؟

ـ أي البرامج والموضوعات المذاعة التي يفضلها شباب عينة البحث ؟

ـ ما معدلات مشاهدة الشباب (عينة) البحث للتليفزيون المصري مقارنة بمعدلات مشاهدته للقنوات الفضائية الأخرى ؟

وهل أثر ذلك على إقبال أو إحجام الشباب على التليفزيون المصري ؟

ـ ما أثر ذلك على رؤيته لتليفزيون بلده ؟

ـ ما القضايا التي يعالجها المضمون الأجنبي كما يراها المبحوثون أفراد العينة ؟ ... الخ .

ثانيا : أهمية البحث :

لأول مرة في هذا القرن يعبر التليفزيون الحدود ويحقق البث الفضائي معجزة هندسية كانت حلما ..

كما ترتب على هذا مشكلات سياسية وقانونية بين الدول فقد رأينا فرنسا تشكو الولايات المتحدة وتتهمها بمحاولات غزو ثقافي للمجتمع الفرنسي من خلال البث المباشر الذي يستقبله الحائزون على أطباق استقبال .

ورأينا خلافا ألمانيا فرنسيا حول وصول البث التليفزيوني الفرنسي إلى بعض المقاطعات الألمانية ، بما يهدد الثقافة الألمانية ..

١ ـ كما ترجع أهمية هذه الدراسة إلى كونها تعتبر الأولى من نوعها ـ في تقديري ـ تتناول علاقة الشباب المصري بالبث الأجنبي ، وتحاول رصد اختيارات شبابنا ورصد أسباب إقبال شباب مصر على البث الأجنبي وما يفتقدونه في التليفزيون المصري .

٢ ـ كذلك ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أننا نعيش عصر السماء المفتوحة ، وأن التحريم والمنع في ظل « تكنولوجيا » متقدمة لم يعد ممكنا ، وبالتالي لابد من البحث والتحليل والرصد للخروج بأفكار جديدة تجعلنا نواجه البث الأجنبي بشكل واقعي لنطور من برامجنا وواقعنا الإعلامي .

ثانيا : منهج البحث :

تنتمي هذه الدراسة إلى المنهج الوصفي الذي يهتم بجمع المعلومات التي تساعد على وصف وتحليل ظاهرة مّا من ظواهر المجتمع .

ويعتبر الباحثُ دراسته أقرب إلى الدراسات الاستطلاعية التي ترتاد ميداناً تندر فيه البحوث وتشح الدراسات ، وبخاصة أن اقتناء المصري لأطباق التقاط البث الأجنبي لم يمر عليه أكثر من عشر سنوات على أكثر تقدير .

ثالثا : أدوات البحث :

(أ) استبيان بالمقابلة :

حيث استخدم الباحث استمارة استقصاء أجراها بالمقابلة .

(ب) التحليل الإحصائي :

ـ معاملات ارتباط .

ـ كا ٢ .

ـ المتوسطات الحسابية .

الصحة الإنجابية

مشاكل الخصوبة عند الرجال

تسرب الدم (٣)

١٠

للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

كما أسلفنا – سابقاً – فإنه عند حدوث إثارة جنسية تقوم بعض المراكز العصبية الموجودة فى المخ بإرسال إشارات عبر الأعصاب المغذية للجهاز التناسلى الذكرى ، حيث تؤدى هذه الإشارات العصبية إلى حدوث تمدد فى الشرايين المغذية للعضو مما يزيد من تدفق الدم بالجسمين الكهفيين الموجودين داخله زيادة كبيرة مما يسبب انتفاخهما الذى يؤدى بدوره إلى الضغط على الأوردة الدموية التى تنقل الدم الخارج من العضو إلى الدورة الدموية وينتج عن هذا الضغط إغلاق هذه الأوردة ، مما يعوق خروج الدم من العضو ، وباستمرار تدفق الدم إليه وعدم خروجه . يزيد الضغط داخله ويتمدد حتى يصل إلى الانتشار الكامل .

وفى بعض الأحيان يحدث خلل فى هذه الميكانيكية مما يؤدى إلى تسرب الدم من العضو الذكرى أثناء الانتشار ، فلا يرتفع الضغط الدموى داخل الجسمين الكهفيين بالمعدل المطلوب ، وهذا يؤدى إلى فقدان الانتشار بعد حدوثه بفترة قصيرة أو يحدث حدوثا جزئيا غير كامل فى حالة تسرب بشدة قد يحدث فقدان كامل للانتشار .

الأسباب :

– من أهم الأسباب : العيوب الخلقية ، ففى بعض الحالات توجد بعض الأوردة الإضافية فى حالة تقدم العمر مما يؤدى إلى حدوث ترهل فى الأنسجة والأوعية الدموية فى أعضاء الجسم ، ومنها العضو الذكرى .

التشخيص :

— من الأعراض ، وكذلك قياس كمية السائل الازمة لحدوث الانتشار ، وقدرة الجسم الكهفى على الاحتفاظ به ، فينبغى حقن العضو بمحلول ملح معقم (٩ر٪) وهو محلول الملح المستخدم فى التغذية بالوريد ، ويتم حساب معدل الضخ (معدل الضخ هو حجم السائل مقسوم على الزمن) اللازم لحدوث الانتشار ، وكذلك قياس معدل الضخ اللازم لاستمراره .. ويتم تشخيص التسرب إذا لوحظ ازدياد معدل الضخ اللازم لحدوث الانتشار أو استمراره فى المعدلات الطبيعية .

— حقن صبغة خاصة فى الجسم الكهفى مما يؤدى إلى مرورها فى الأوردة ، ويتم التصوير

بأشعة خاصة حتى يظهر الجسم الكهفي والأوردة ، ومن خلال ذلك يمكن تحديد مكان التسرب .

العلاج :

حسب درجة الحالة :

التسرب البسيط :

استخدام حلقة خاصة مصنوعة من المطاط يتم ادخال العضو فيها عقب حدوث الانتصاب وتقوم هذه الحلقة بالضغط على أوردة الذكر ، ويؤدى ذلك إلى الإقلال من التسرب .

التسرب المتوسط والشديد:

يعالج بالجراحة ، حيث يتم ربط واستئصال الأوردة المتسببة فى تسرب الدم والتى يتم تحديدها باستخدام الأشعة الملونة - كما سبق شرحه .

استخدام الأجهزة التعويضية :

وهى أجهزة دائمة وليست مؤقتة .

الأجهزة التعويضية

منذ دخول جراحة زراعة الأجهزة التعويضية إلى مجال العلاج الطبى للعجز الجنسى وهى تتقدم بسرعة من ناحية التكنولوجيا ، وكذلك من حيث الإقبال عليها . وقد رأينا أنه من الواجب علينا إعطاء فكرة مفصلة عن الأجهزة التعويضية ، لكى تكتمل الصورة لدى المريض بهذا العجز .

وفكرة هذه الأجهزة التعويضية هى : زراعة جهاز يساعد على الانتشار بداخل الجسم الكهفى للعضو الذكرى يتيح للمريض أن يحقق الانتشار الكافى فى أى وقت ولأى مدة يرغب فيها وبدون مضاعفات تذكر .

وقد مرت هذه الأجهزة التعويضية بمراحل متعددة أقدمها كان زرع سيقان السليكون الصلب داخل العضو الذكرى ، ثم تطورت بإضافة كابلات البلاتينيوم وذلك مما ساعد على توفر المرونة الكافية وهذا يمكن المريض من ارتداء ملابسه دون حرج .

ثم حدث تطور آخر وهو : الأجهزة الهيدرولوكية والتى يتم ملؤها بمحلول معين بواسطة مضخة توضع فى كيس الصفن وكذلك خزان لهذا المحلول يزرع خلف جدار البطن ، وبعد إتمام الجماع يتم الضغط على صمام معين للتفريغ .

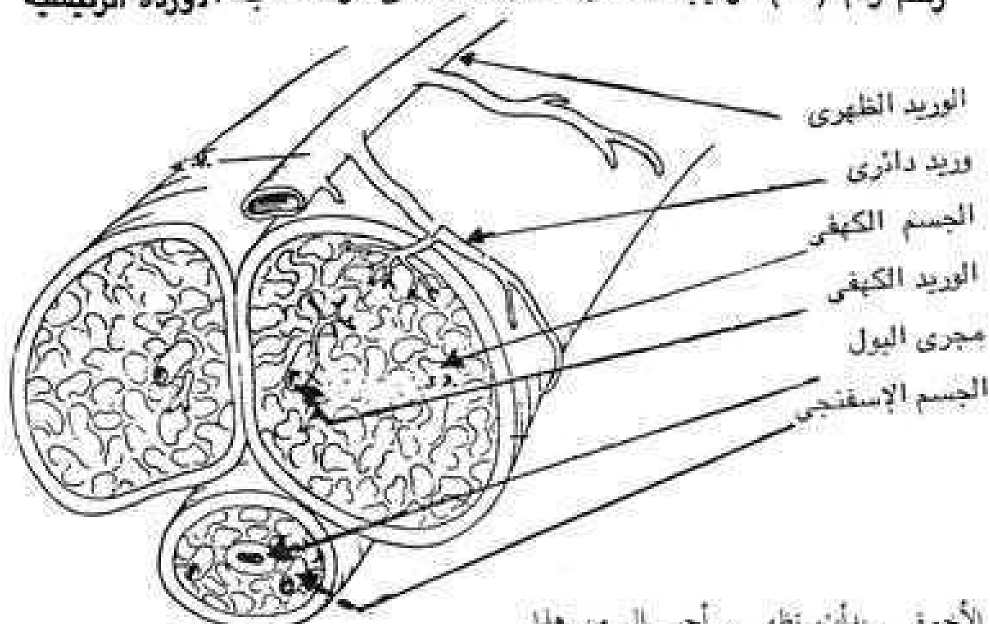
وهذه الأجهزة الهيدرولوكية لها أنواع : فمنها ماينكون من جزء واحد ، أو جزئين ، أو ثلاثة أجزاء .

الإفرازات غير الطبيعية للرجل

أحيانا يشكو الرجل من إفرازات غير طبيعية نتيجة الاصابة بأمراض ميكروبية ، أو طفيلية ، أو فيروسية .

ومن أشهر الأسباب : مرض السيلان ، وفى كل الحالات فإن الإصابة تكون نتيجة علاقة جنسية مع طرف آخر مصاب ، ومن أهم أعراض هذا المرض - بالاضافة إلى الإفرازات - هى الألم والالتهاب و(الحرقان) المصاحب لها . وهذا الألم له درجات حسب نوع الالتهاب إذا كان حادا أو مزمنا ، وتظهر هذه الإفرازات عند الاستيقاظ من النوم ولذلك سميت نقطة الصباح Morning Drop التى ميزت مرض السيلان منذ القدم ، وتاريخ مرض السيلان من التواريخ التى تستحق الدراسة حيث إنه كان من الأمراض الخطيرة التى تهدد صحة الإنسان ، ثم انتهى إلى الأمراض سهلة العلاج بعد اكتشاف المضادات الحيوية لكن مع سوء استعمال المضادات الحيوية فى السنوات

رسم رقم (١) تركيب العضو الذكرى الداخلى موضحا به الأوردة الرئيسية



الأخيرة ـ بدأت تظهر أجيال من هذا الميكروب ـ والميكروبات ولاتشفى بالسهولة العلاج بالمضادات الحيوية ولاتشفى بالسهولة السابقة .

وهناك أنواع أخرى من الإفرازات : نتيجة التهابات مثل التهاب فيروس المرض التناسلى Herpes Genitalis **[وكذلك توجد بعض الالتهابات ومنها التهاب يسمى «التهاب قناة البول غير النوعى»** Non , Specific Urethritis وذلك لأسباب كثرة العملية الجنسية عن الحد غير المقبول وممارسة العادة السرية بشراهة .

وهناك بعض الالتهابات الفطرية المصاحبة لمرض السكر : ويجب التفريق بين هذه الإفرازات ، والإفرازات الطبيعية التى تحدث عند الإثارة الجنسية ، فى العربية «المذى» وهو سائل أبيض شفاف لزج يساعد على إتمام العملية الجنسية ، وتسهيل حركة العضو الذكرى داخل المهبل .

ومصدر المذى غدتان تقعان تحت البروستاتا فى منطقة العجان على جانبى قناة مجرى البول بعد خروجها من البروستاتا ويطلق عليها غدتى كوبر Cooper Glands وكل غدة لها قناة صغيرة تسير لمسافة بسيطة بجوار قناة مجرى البول قبل أن تفتح بداخله .

خصائص المذى : هو سائل مخاطى شفاف وقلوى فى تأثيره وتتفاوت كميته بين شخص وآخر وكذلك فى الشخص نفسه بين لحظة وأخرى .

ـ **وظائف المذى** : المذى يقوم بغسل قناة مجرى البول الأمامية من آثار البول ، وذلك لعدم الإضرار بالحيوانات المنوية التى تفرز فى السائل المنوى .

ـ يقوم المذى كذلك بتسهيل الأداء الجنسى ، حيث إنه يغطى رأس العضو الذكرى مما يسهل عملية الإيلاج .

من منظور إسلامي

ماذا قبل الإيدز وبعده

الجزء الأخير

للدكتورة فاطمة عمر نصيف(*)

الإباحية .. الإدمان .. الإيدز

وتؤكد سائر الأرقام المنشورة حتى الآن عن مختلف بلدان العالم وجود تناسب طردي بين درجة انتشار الإباحية والإدمان ، ودرجة انتشار مرض الإيدز ويعيش الإنسان اليوم في الغرب الضنك بكل صوره وأنواعه من بأس وألم وملل ومرض وتمزق وضياع نتيجة بعده عن دين الله ، فقد انتقل من عبودية الله إلى عبودية الشيطان والهوى ، ولم ينقذه من مهاوى الرذيلة ، ومن أوحال الفاحشة وثمارها المرة التقدم التكنولوجي الذي بلغه .. ولا التقدم العلمي والطبي الذي وصل إليه ، ولا الحضارة التي بناها ، ولم يجن إلا الويلات ، ومن بينها هذه الأمراض الجنسية التي تنبأ بها الرسول ﷺ في حديثه حيث قال : « إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب الله به بعض الأمم قبلكم ثم بقى بعد بالأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى »(9) .

فمع كل التقدم العلمي والطبي ازدادت الأمراض الجنسية انتشارا وتعددا وتنوعا وتعقيدا ، وتعددت أسبابها ، وتميزت بصفات تجعلها بحق عقوبة قاسية تهلك الأفراد والجماعات على السواء .

أما الصفات التي تمتاز بها هذه الأمراض فهي :

أولا : ليست - ككثير من الأمراض التي تصيب الإنسان فيشفى فيكتسب جسده مناعة ضدها (Antibodeies) .

ثانيا : ممارسة الجنس ولو لمرة واحدة مع طرف آخر مصاب يمكن أن تؤدي إلى العدوى ليس بمرض واحد ، بل بأمراض عدة قد تصل إلى خمسة ، وهذا ينقلها كاملة وبأمانة إلى غيره مع كل اتصال

---

(9) مسلم ، بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم ، ص١٧٣٧ ، طبعة دار الحديث ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .



جنسي ، في حلقة متصلة من البلاء يسلمها السابق إلى اللاحق في غمرة هذه الفوضى الجنسية .

ثالثا : أغلب الأمراض الجرثومية استطاع العلم إعداد مطاعيم Vaccines محصنة لها تساعد الإنسان وتقيه شرورها ، أما في الأمراض الجنسية فالوضع مختلف تماما حيث إن الطب لم يستطع تحضير « مطاعيم » واقية منها .

رابعا : بطء ظهور المرض أو أعراضه مما يفوت على المريض تدارك الخطر ، بل لا يشعر المريض بهذه الأعراض بعد فوات الأوان ، حيث يكون المرض قد بلغ مرحلة الخطر الأليم وصار معديا .

خامسا : هي أمراض تقتل ببطء ، وكذلك هي كل الأمراض الجنسية بآلامها وعذابها بجسم المصاب تقتله قبل أن يموت . ليدفع ثمن المتعة القليلة أضعافها من العذاب والألم ، لعله يكون صارفا ورادعا لكل رشيد يرى هذا العذاب فيتقي الوقوع في جريمته ، فالعقوبات في الإسلام روادع وزواجر .

الإيدز وأمثاله وليد الجاهلية المثقفة والحضارة الخاوية ، والنهاية المدمرة ، وليس يمكن أن يقال : إن مريض الإيدز يمكن أن ينال رعاية طبية متقدمة ، وذلك لخوف العاملين والعاملات بالمستشفيات من مرضه اللعين .

إن الانتشار السريع لهذا المرض والخسائر العظيمة في الأموال والأرواح ، والبلايين التي تصرف لعلاج مرض الإيدز ، تؤكد فداحة الضريبة التي تدفعها الأمة ، والعالم بأسره لمخالفتهم الفطرة .

وخســـــائره :

بلغت سرعة انتشار المرض وخسائره في الأرواح الكثير من ذلك :

١ ـ إنه اكتشف عام ١٩٨١ م في خمس حالات .

٢ ـ تم التعرف على فيروس الإيدز من مجموعة الفيروسات المنعكسة عام ١٩٨٣ م في فرنسا ، و ١٩٨٤ م في الولايات المتحدة .

٣ ـ بنهاية ١٩٩٢ م انتشر الإيدز في العالم أجمع وأعلنت ١٧٣ دولة عن حدوث حالات إيدز لديها .

٤ ـ في نهاية ١٩٩٣ م قدرت منظمة الصحة العالمية عدد حاملي فيروس الإيدز في العالم بخمسة عشر مليونا[10] .

وليت الأمر اقتصر على هذه الخسائر الفادحة في الأرواح ، بل إن الخسائر في الأموال لا تقل عنها بحال . وتتحدث الإحصائيات والأرقام عن البلايين من الدولارات التي تصرف سنويا على هذا المرض :

١ ـ فقد بلغت تكلفة التشخيص والعناية بأول (٣٠٠) حالة إيدز في أمريكا ١٨ مليون دولار ، ماتوا جميعا[11] .

٢ ـ بلغ متوسط تكلفة الرعاية الصحية لمريض الإيدز في الولايات المتحدة الأمريكية ما بين ٥٠ ـ ١٠٠ ألف دولار في السنة ، ويتوقع (فريد هلنجر) المسئول بوزارة الصحة الأمريكية أن يتضاعف إجمالي تكلفة الرعاية الصحية لمرضى الإيدز من

---

(١٠) أسامة قنديل ، الإيدز هذا القاتل الرهيب ، مقالة في مجلة أهلا وسهلا ، ص ٢٠ ، عدد أكتوبر ، ١٩٩٣م .

(١١) عبدالحميد القضاة ، أيدز حصاد الشذوذ ، ص ١٠٠ ، الطبعة الثانية ، لندن ، دار ابن قدامه للنشر ، دار النشر العلمية لندن ، ١٩٨٦م/١٤٠٦ هـ .

٣,٦ بليون دولار إلى ٧,٤ بليـــون دولار عام ١٩٩٤ م[١٢] .

(وقد أشار إلى ذلك وكيل وزارة الصحة السعودى د . عبدالرحمن السويلم بقوله : الإيدز كارثة تهدد اقتصاديات العالم)[١٣] .

(وتقول الباحثة الأمريكية كمبرلى هاملتون ، مساعدة مدير برنامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأمريكى : يقفز فيروس الإيدز إلى مقدمة الأخطار التى تهدد الأمن الاقتصادى لكثير من دول العالم الثالث ، فهذه الدول لا تمتلك الامكانيات الاقتصادية الكافية لمحاصرة الوباء أو حتى الإنفاق على حملات التوعية الوقائية منه)[١٤] .

(لقد اجتمعت لهذا المرض والفيروس المسبب له خصائص وصفات غريبة ، ويلازمه غموض يكتنف بعض أعراضه وأطواره ، ولآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع نجد :

أولا : اختياره العجيب لأهم أجهزة الجسم (جهاز المناعة) فيدمره ، فيرث المريض هذا الوهن المريع الذى يؤول إليه حتى تمكن أضعف الجراثيم أن تقضى عليه .

ثانيا : تأثيره على السائل المنوى ووظيفته الحيوية ، فبعد أن يكون هذا السائل مادة الحياة الأولى ، يصبح أداة لزراعة الموت والدمار عندما يُساء استغلاله)[١٥] .

ثالثا : رغم أن فيروس الإيدز من أصغر الكائنات ، يحتوى على عشر وحدات وراثية فقط بينما البكتريا بها خمسمائة وحدة وراثية ، وذبابة الفاكهة بها خمسة آلاف ، والإنسان عنده خمسين ألف وحدة وراثية ، فسبحان الله الذى جعل واحدا من أكثر الكائنات بساطة يحير أكثرها تعقيدا ورقيا)[١٦] ويدمره ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

سورة المدثر ـ آية : ٣١

لقد سلط الله على الشاذين هذا الفيروس الصغير ليبين لنا قوته وقدرته على إهلاك العاصين ، وهذا ما يؤكد أن هذا المرض إنما هو عقوبة إلهية عاجلة ، تحقيقا لوعيد الرسول ﷺ حيث قال : « **يا معشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن وتزلن فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعملوا بها ألا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم** »[١٧] .

وقد صدق رسول الله ﷺ وتحقق كل ما تنبأ به فإنه وحى ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد ظهرت الفاحشة فى المجتمع الغربى بشكل فاضح مُخز ، ولا تكف وسائل الإعلام وبرامجهم عن الحديث عن الشواذ وأعمالهم ومخازيهم ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل أصبحت لهم نواديهم وجمعياتهم ، وأصبح لهم حقوق يطالبون بها . ولما تحقق الشطر الأول من الحديث الشريف تحقق الشطر الثانى ، فقد تفشت الأمراض والطواعين التى لم تكن من قبل ، فقد اكتشف الإيدز عام ١٩٨١ م ، وبدأ يظهر أول ما ظهر فى الشاذين جنسيا والمدمنين على المخدرات ، وعلى وجه التحديد فى الولايات المتحدة الأمريكية .

---

(١٢) أسامة قنديل ، الإيدز هذا القاتل الرهيب ، المقالة السابقة .
(١٣) صحيفة عكاظ ، عدد خاص ١٠٧٠٣ ، معا فى مواجهة الإيدز .
(١٤) مجلة المجتمع ، العدد ١٢١١ ، مقال الإيدز لمحمود الخطيب .
(١٥) عبدالحميد القضاة ، الإيدز حصاد الشذوذ ص ٩٦ .
(١٦) أسامة قنديل ، نفس المقالة السابقة .
(١٧) الحاكم ، النيسابورى ، المستدرك ، ج٤ ، ص ٥٤٠ ـ ٥٤١ .

وهم إلى الآن أكثر فئات المجتمع عرضة للأمراض التناسلية خاصة الإيدز والذى اختصهم الله به بنسبة ٧٥٪ دون غيرهم .

برغم الإنتشار السريع لهذا المرض الخبيث القاتل (طاعون العصر) الإيدز ، وبرغم الأرواح التى يحصدها بالملايين ، وبرغم الأموال الباهظة التى تنفق لعلاج مرضى الإيدز دون جدوى ، لم ينتفع الناس بهذه الدروس البليغة ، ولم يتعظوا بهذه العقوبات الإلهية الرهيبة ؛ بل لازالوا مسترسلين فى غيهم وضلالهم ، وتجدهم يتناولون هذه المشكلة العويصة ، باهتمام بالغ ، دون أن يتوصلوا إلى حلول مجدية وتستطيع أن تقول : إنها حلول هامشية غير نافعة ، وهكذا تبين ضلال البشرية بدون هدى القرآن والسنة . وهذا مالمسناه من خلال المؤتمرات الطبية المتتابعة التى تعقد لمكافحة الإيدز ، والجهود العظيمة التى تبذلها منظمة الصحة العالمية والدول مجتمعة .

فبالإطلاع على نتائج المؤتمرات التى تعقد هنا وهناك ، والتى لم تقدم حلا نافعا ولا علاجا ناجحا لهذا المرض ؛ بل لم تستطع اتخاذ التدابير الكافية لمكافحته ومقاومته . كل ذلك يدل على أنه عقوبة إلهية لهذه البشرية التى انحرفت عن منهج الله .

وعلى سبيل المثال كان آخر هذه الندوات ، الندوة الدولية الحادية عشرة حول الإيدز التى عقدت بمدينة فانكوفر بالغرب الكندى ، وامتدت مدى ستة أيام من ٧ ـ ١٢ يوليو ١٩٩٦م ، واشترك فيها قرابة ١٥ ألفا من المرضى والأطباء وأصحاب القرار ، وكان من المتوقع أن تكون متميزة عن سابقاتها .. إلا أن النتائج كانت مخيبة للآمال ، برغم أن المعلومات التى أعلنت فى الندوة من خلال البحوث التى طرحت كانت مثيرة وخطيرة وخاصة الاحصائيات فقد كانت مرعبة ومخيفة ، ففى احصائية المنظمة العالمية للصحة التابعة للأمم المتحدة فى ٣١ ديسمبر ١٩٩٤م بلغ عدد المصابين بالإيدز حوالى ٤,٥ مليون ، وسيصل العدد فى عام ٢٠٠٠م إلى ١٠ ملايين شخص . أما عدد المصابين بالفيروس حتى عام ١٩٩٦م بلغ ١٩,٥ مليون شخص من بينهم ١,٥ مليون طفل[١٨] .

كما تفيد آخر إحصائية صادرة عن منظمة الصحة العالمية والبرنامج التعاونى للأمم المتحدة عن الإيدز ، فى يوليو ١٩٩٦م ، أن عدد حاملى الفيروس بلغ ٢١,٨ مليون ، وبلغ عدد مرضى الإيدز ٧,٧ مليون مريض . وهذه الإحصائيات تبين بوضوح الارتفاع السريع فى معدل زيادة عدد المرضى الزيادة المرعبة والرهيبة التى تحتاج إلى علاج سريع وإنقاذ عاجل وحركة سريعة لاستئصال المرض من المجتمع الدولى .

وكان المتوقع أن تكون التوصيات والحلول قوية وناجحة وجذرية تتناسب مع الأرقام المرعبة ولكن للأسف نجدهم يلفون ويدورون حول العلاج دون أن يهتدوا إليه ويناقشون مواضيع جانبية غير هادفة ، كالتى طرحت ونوقشت فى الندوة والتى لاتزال تثير حولها الكثير من الجدال بين مؤيد ومعارض مثل :

---

(١٨) مجلة المجتمع ، العدد ١٢١١ ، تقرير من إعداد جمال الطاهر «الإيدز وباء العصر المدمر» .

(١) وقاية الأجنة والأطفال من الإصابة بهذا الفيروس عن طريق أمهاتهم .

(٢) مزيد من تطوير العازل النسائي الذى يعتبره المهتمون بالإيدز انتصارا فى مجال وقاية الأم من الإصابة .

(٣) موضوع الدول الفقيرة وتوجهها نحو مقاومة الإيدز وعجز هذه الدول لنقص الامكانات المادية .

(٤) قضية مساعدة المصاب على الانتحار بواسطة الطبيب المشرف .

(٥) تأثير استهلاك المخدرات .

بينا نجد الحل سهلا وبسيطا ولايحتاج لكل من هذه الأموال التى تنفق ، ولا لكل هذه الأرواح التى تزهق ، ولا لكل هذه الجهود التى تبذل دون جدوى . إنه ـ ببساطة ـ تغيير أسلوب الحياة . فالحياة الإنسانية كما هى سائدة اليوم ، وكما هى صائرة ـ وفق التقديرات الظاهرة ـ إلى الأسوأ وإلى الدمار والهلاك ، ولابد لها من تغيير أساس القواعد والمبادىء والمفاهيم التى تستند إليها ، لابد من تغيير يعصمها من تدمير خصائص الإنسانية قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد ـ ١١

فبدلا من الفوضى الجنسية يلتزم الإنسان بما سن له الرحمن من «الزواج المشروع» وتكوين أسرة والامتناع عن المحرمات ، والاقتناع بالطيبات ، والإقلاع عن التصرفات المشبوهة والشاذة ، وعدم تبديد الطاقة الجنسية خارج العلاقة الزوجية . ولابد أن يغير الزناة والشاذين من تصرفاتهم بالاقتناع ، فإن ا «فبقوة القانون» ، وبالأسلوب الرادع الزاجر «إقامة الحدود» . وهذا هو الحل الجذرى ولكنه يحتاج إلى دعاة تدعمهم قوة السلطان ، ليعلموا الناس دين الله ، ويحضروا كل المؤتمرات الطبية ، ويعلنوا للعالم بكل اللغات أن الإيدز الذى نزل بهذه الفئات هو عقاب من الله بسبب ارتكاب الفواحش التى حرمها الله فى كل الأديان ، وأن ما أصاب غيرهم من الأسوياء إنما هو بسبب سكوتهم على هذه الجريمة . وأنه لن يفلح مع هذا المرض أى علاج إلا الإقلاع عن الفاحشة والجريمة ، حتى ولو توصل الأطباء بعد سنوات من الخسائر العظيمة فى الأموال والأرواح إلى الدواء ، يكون الإيدز قد أدى مهمته وكلف المجتمعات الغربية ثمنا باهظا لاتنساه ، ولابد أن يعلم الجميع أنه سيظهر مرض آخر أشد فتكا من الإيدز وحينئذ سيترحمون على عهد كانوا يبكون فيه ويشكون من مرض الإيدز ، لأن الله قد توعد مرتكبى الفاحشة بالعذاب فى الدنيا والآخرة ولن يخلف الله وعده .

الوقاية من الإيدز والقضاء عليه :

تعرفنا على الإيدز علمنا أنه عقوبة إلهية والله ـ سبحانه ـ عادل رحيم ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ فكيف نتقيه ، ونقضى عليه ـ هذا ـ فيما أراه ، أسباب الوقاية :

أولا : العفة التى نص عليها القرآن وهى العامل الأول فى الوقاية قال ـ تعالى

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ المعارج

يقول الدكتور أسامة قنديل عضو الجمعية الأمريكية لعلماء المناعة والمتخصص في علاقة المناعة بالأمراض الانتهازية والإيدز بجامعة هارفارد بأمريكا . «وأما الوقاية من هذا المرض اللعين فلا محالة من أن العامل الأول والمهم هو العفة ،وهي تصريف الغريزة بالطرق المشروعة» .

كذلك صرحت الدكتورة جون أو سبورن رئيسة اللجنة القومية للإيدز بالولايات المتحدة ، وعميد كلية الصحة العامة بجامعة متشجان ـ في حديثها للمؤتمر الدولي السادس للإيدز قالت : **«إن من أنجح الطرق لمنع انتشار المرض هو تجنب التصرفات المشبوهة مثل الشذوذ والجماع خارج العلاقات الزوجية»**[19] .

ثانيا : التمسك بالدين والالتزام بتعاليمه ، فإنه المنهج الإلهي الحق الذي فيه سعادة البشرية ، ودوره في وقاية الناس .

وفي تقرير أعده محمود الخطيب(*) بعنوان (الإيدز .. المجتمعات المسلمة أقل الشعوب معاناة من أخطاره)[20] ذكر فيه لقد كان عامل الدين والقيم والأخلاق حاجزا في وجه انتشار الاصابة به جغرافيا في مناطق معينة لاسيما البلدان الإسلامية بموجب إحصائيات منظمة الصحة العالمية .

ثالثا : نشر التعاليم الدينية ـ بطريقة مقنعة يتقبلها الناس عن رضا ، يعلمون بها ما فيها من أحكام الحلال والحرام ، والتوعية الصحية فهما من أهم أسباب الوقاية .

رابعا : إنكار المنكر والتصدي لأهله والقضاء على كل الفواحش الظاهرة والباطنة ، والضرب بيد من حديد على يد كل عابث .

خامسا : سد الذرائع المؤدية للفاحشة . بمراقبة كل وسائل الإعلام الوافدة المرئية والمسموعة والمقروءة ، مراقبة شديدة والتصدي للعادات والأخلاق المنافية للدين .

سادسا : محاربة الجريمة والمجرمين بإقامة الحدود **«تطبيق قانون العقوبات الإسلامي»** .

سابعا : تسهيل وتيسير سُبُل الزواج المشروع وتشجيع الناس عليه لإشباع الغريزة الجنسية ، بطريقة سليمة ومأمونة لحفظ النسل وعمارة الأرض .

ثامنا : التأكيد على نظام الأسرة ، ودعمه بكل الوسائل خاصة بعد ظهور أفكار مناهضة لنظام الأسرة فقد شهد العالم في السنوات الأخيرة فكرة تفكيك عُرى الأسرة ونشر الإباحية المتزامنة مع ظاهرة الشذوذ[21] . وأن هناك جهودا مكثفة لهذا الغرض شهدتها بعض المؤتمرات الدولية العملاقة ، كمؤتمر السكان في القاهرة ١٩٩٥ وقد كان فرصة أمام المخلصين الصادقين لفضح المؤامرات على الانحراف .

تاسعا : الالتزام بأسباب الوقاية الطبية[22] والتي نبهت إلى أن الإيدز من الأمراض التي تنقل من مصاب إلى آخر نتيجة أسباب رئيسية ثلاثة هي :

---

(١٩) أسامة قنديل ، نفس المقالة السابقة .

(٢٠) مجلة المجتمع ، العدد ١٢١١ ، تقرير من إعداد محمود الخطيب .

(٢١) وثيقة مؤتمر بكين ومؤتمر الإسكان بالقاهرة .

(٢٢) أعمال مؤتمر فانكوفر بكندا .

(١) العلاقات الجنسية إذا ماكان أحد الطرفين مصابا .

(٢) نقل الدم الملوث إلى الشخص السليم .

(٣) الأم المصابة التى تنقل المرض خلال الحمل والمخاض والرضاعة لجنينها .

عاشرا : اتخاذ أسباب الوقاية المشروعة بالأدعية المأثورة عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتى منها :

أ ـ قراءة هذا الدعاء ثلاث مرات صباحا ومساء :

«بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء» .

فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : **«ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة ، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم «ثلاث مرات لم يضره شىء»**[٢٣] .

ب ـ قراءة آية الكرسى صباحا ومساء .

جـ ـ قراءة المعوذات فقد ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لعقبة : ألا أخبرك بأفضل ماتعوذ به المتعوذون ؟ قلت بلى ، قال : **﴿قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس﴾**[٢٤] .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبد الله بن خبيب : قل «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء»[٢٥] . وهذه الأدعية تحفظ الإنسان بعد الأخذ بالأسباب وهى تفيد حُسن التوكل على الله ولها دور عظيم فى حماية الإنسان .

أما وقد انتشر المرض فأصاب أعدادا كبيرة من البشر ، ولم تبق مدينة على وجه الأرض إلا بها عدد من المصابين يزيد أو ينقص تولدت بسببه مشاكل اجتماعية ، ومسائل فقهية تتطلب الإجابة والحل .

وبناء عليه فقد صدرت قرارات وإجابات فقهية من كل من مجمع الفقه الإسلامى ، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبيه بالاشتراك مع مجمع الفقه الإسلامى ومنظمة الصحة العالمية ، ووزارة الصحة الكويتية بشأن الإيدز والجوانب الفقهية المتعلقة به وتشمل الآتى[٢٦] :

١ ـ حكم تعمد نقل العدوى .

٢ ـ حقوق الزوجة المصابة وواجباتها .

٣ ـ حق الزوجة غير المصابة فى طلب الطلاق .

---

(٢٣) النووى ، الأذكار الأبرار ، ص ١٢٦ ، مكتبة الغزالى ، دمشق ، مؤسسة مناهـــــل العرفــــــان ، بيروت ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م .

(٢٤) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ١١ ص ١٢٥ ، دار الفكر .

(٢٥) الترمذى ، محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذى ، جـ٥ ، ص ٤٧٣ ، تعليق أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(*) كذلك أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمه الله تعالى ـ دراسات فقهية متعددة بهذا الموضوع ضمن خمس مجلدات فقهية طبعت جميعها .. مجلة الأزهر .

(٢٦) محمد على البار ، الإيدز ، مشاكله الاجتماعية والفقهية ، ص ١٨ ـ ١٩ .

٤ ـ حق الزوج المصاب فى المعاشرة .

وكانت الإجابات باختصار :

(١) تعمد نقل العدوى بأي صورة من صور التعمد عمل مُحرم يستوجب العقوبة الدنيوية . وتتفاوت هذه العقوبة بقدر جسامة الفعل وأثره على الأفراد وتأثيره على المجتمع . فإذا كان قصد المتعمد إشاعته فى المجتمع فعمله هذا يُعد نوعا من الحرابة يستوجب عقوبتها .

وإذا كان قصده نقل العدوى إلى شخص بعينه ، وأدت إلى قتل المنقول إليه يُعاقب بالقتل قصاصا ، فإذا لم يمت المنقول إليه عُوقب المتعمد بالعقوبة التعزيرية المناسبة .

حق السليم من الزوجين طلب الفرقة من الطرف المصاب بعدوى الإيدز باعتباره مرضا مُعديا تنتقل عدواه بصورة رئيسية بالاتصال الجنسي .

حق المعاشرة الزوجية : إذا كان أحد الزوجين مصابا بالإيدز فإن لغير المصاب منهما أن يمتنع عن المعاشرة الجنسية لما سبق ذكره .. الخ قرارات أخرى ذات أهمية تحتاج ـ عند طرحها ـ إلى بسط يوضح للقارىء مطلوب هذه القرارات .

(وهكذا نرى الإسلام فى علاجه لمشكلة الأمراض الجنسية وعلى رأسها الإيدز يصحح نظرة الفرد إلى المجتمع ، وإلى الجنس بتقديم الموقف العدل الوسط ، والمنهج الأخلاقى الراقى الرائع ، وبعد أن تسد الذرائع ويقيم الرقيب الداخلى **«الإيمان»** وتستقيم النظرة والفطرة ، تكفى الكلمة أو العبارة فى ردع الإنسان عن الشر والفساد)[٢٧] ، فإن لم تفلح كل هذه الاحتياطات يأتى قانون العقوبات ليعيد للمستهترين صوابهم فيكمل بذلك واسطة العقد فى برنامج الدين الفريد .

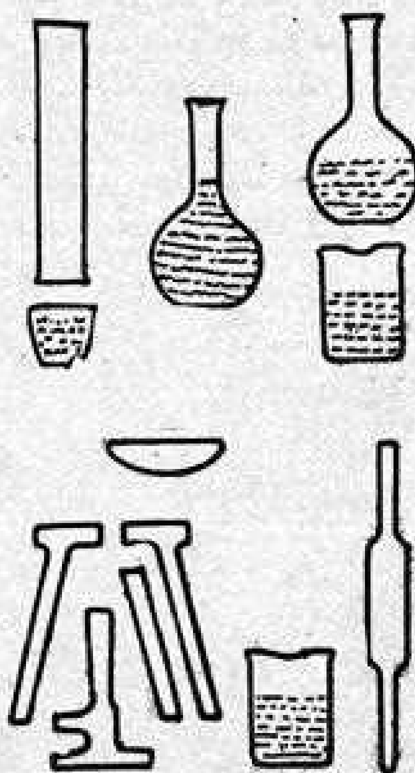


(٢٧) عبدالحميد القضاة ، الأمراض الجنسية ، ص ١٥٦ .

«ويخلق ما لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ مجدى السيد أحمد (*)



رصد مذنب لم يظهر منذ ثلاثة آلاف سنة :

تهتم المراصد الفلكية فى العالم كله برصد أحد المذنبات التى يتكرر ظهورها كل ثلاثة آلاف سنة ، وهو مذنب « هيل - بوب » Hail — Popp نسبة إلى مكتشفيه « هيل » و « بوب » ، والفترة المتوقعة لظهور هذا المذنب وإمكانية رصده من الأرض هى أواخر مارس وأوائل إبريل سنة ١٩٩٧ ، أى خلال شهرى ذى القعدة وذى الحجة ١٤١٧ هجرية .

مرصد متطور لتأمين الملاحة البحرية

بدأ مركز رصد الأحوال الجوية فى جنوب بريطانيا تأمين البحارة من العواصف وتسهيل رحلاتهم البحرية من خلال مراقبة العواصف الاستوائية والتنبؤ بحالة الطقس ، باستخدام الحاسب الآلى المزود بنموذج للمجال الجوى فى

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث - الدقى

العالم كله ، ويقدم المركز خدماته لقطاع النقل التجارى ، ولوكالة أعمال التطوير البريطانى للبلاد الأجنبية ، وإلى الفريق الخاص بالإغاثة عن حدوث حالات الطوارىء ، وبناء على تنبؤات المرصد بالرياح والأمواج سيتم إرشاد السفن لاختيار الطرق البحرية الصالحة فى مختلف الظروف الجوية .

بطاقة الكترونية جديدة

للحاسب الآلى :

أنتجت شركة فرنسية بطاقة الكترونية جديدة تستطيع أن تعمل عن بعد تصلح للحاسب الآلى الشخصى ، وتتميز بسهولة استخدامها ، ولا تحتاج إلى أى تدريب عليها بالنسبة لتركيبها أو استخدامها ، وتسمح البطاقة بالدخول إلى شبكة « الأنترنت » خلال ثانيتين فقط ، ويتم العمل بالبطاقة والصيانة عن بعد بواسطة أنظمة معينة ، وتتيح أيضاً الاتصال التليفونى باستخدام سماعة تليفونية خاصة بها .

. جهاز صغير

لترشيد استهلاك المياه :

أنتجت شركة أمريكية جهازاً صغير الحجم يقيس مقدار استهلاك المياه أثناء استخداماتنا اليومية فى المنزل أولا بأول ؛ فنعدل من استهلاكنا للمياه فى الحدود المناسبة ، ويمكن تركيبه على محبس المياه الرئيسى بالمنزل ، وهو أيضاً يصلح للشركات والعيادات ، ويوجد منه أحجام مختلفة لكى تتناسب مع المصدر الذى سيوصل به .



طور معمل أبحاث ياباني جهازاً لتنقية الهواء ، يمكنه تمييز أربعة أنواع من الروائح هى دخان السجاير والكحول والأمونيا ومعطر الهواء ، والجهاز يضم مركبين كيميائيين حساسين ، يستعمل أحدهما لكشف تسرب الغاز فى مقاومة كل مركب ، ويصدر حكمه على الرائحة المتولدة ، ثم يتولى تنقية الجو من هذه الرائحة .



أنتجت شركة فرنسية متخصصة فى معالجة الهواء المضغوط جهاز تبريد يعمل بالهواء الجاف المضغوط حيث يتم تكثيف جزيئات الهواء وامتصاص بخار الماء منها باستخدام مادة تسمى المادة المجففة دون إدخال أى تعديلات فيزيائية أو كيميائية عليها ، وتجدد ذاتياً ، وتصل درجة الحرارة تحت ضغط منخفض إلى - ٢٠°م ، - ٤٠°م ، - ٧٠°م حسب الطلب ويصلح فى الصناعات الكيميائية والزراعية والغذائية والمنشآت البترولية ، ويقلل من استهلاك الطاقة الكهربائية .

آلة حديثة لغسل اليدين :

صممت إحدى الشركات الأوربية المتخصصة فى الصناعات التكنولوجية آلة حديثة لغسل اليدين وتطهيرها وتنظيفها من الجراثيم والقاذورات العالقة بها بطريقة صحيحة فى ١٠ ثوان فقط ، والآلة يبلغ ارتفاعها حوالى ٤ أقدام ، ومصممة خصيصاً للعاملين فى المطاعم أو المجالات التى تتطلب درجة عالية من النظافة .

بكتيريا محوّلة وراثياً بدلاً من المنظفات الصناعية :

نجح علماء التكنولوجيا الحيوية بفرنسا فى تطوير مورثات البكتيريا ، وتوصلوا إلى جيل جديد لديه قدرة عالية على التخمر وغير ضار بالبيئة ، ويمكن حفظه فى حالة سكون على شكل مسحوق أو مادة جيلاتينية ، وعندما يوضع فى وسط مائى يبدأ نشاطه الذى يتراوح من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ مرة ضعف نشاط البكتيريا العادية ، ويتم استخدامها فى تنظيف البيئة بدلاً من مساحيق المنظفات الكيميائية حيث توفر المجهود العضلى ولا تسبب أى تلوث .

الزيوت العطرية لعلاج بعض الأمراض :

كشفت دراسة علمية حديثة فى جامعة « نورث كارولينا » بأمريكا أن الزيوت العطرية يمكن أن تستخدم لعلاج بعض الأمراض حيث إنها تؤثر على الغدة الليمفاوية التى تتحكم فى منطقة الإحساس ، فمثلاً رائحة زيت القرنفل تعالج الصداع النصفى ، والياسمين يقلل من التوتر النفسى والعصبى ، أما الليمون فيعطى إحساسا بالنشاط ، والنعناع مقو ومنشط عام ، والبرتقال رائحته تستخدم كمسكن للألم .

مؤتمر دولى فى الهندسة الوراثية لدراسة المورثات البشرية :

عقدت منظمة الجينات الوراثية « هوجو » فى هايدلبرج بألمانيا أول مؤتمر دولى شارك فيه علماء الوراثة من أربعين دولة لتبادل المعلومات ، ومحاولة فك رموز (٣ مليارات) من « الجينات » الوراثية البشرية ، ولتحديد مخاطر الأمراض الوراثية فى المستقبل ، وكانت حصيلة الدراسات اكتشاف ٣٠ ألف مورثة بالإضافة إلى تحديد المورثات المسئولة عن الإصابة بـ ٧٠٠ مرض وراثى .

دراسة طبية عن فوائد اللبن :

كشفت دراسة طبية استمرت عدة سنوات ، واشتركت فيها مجموعة دول أوروبية أن اللبن يحمى الإنسان من الإصابة بسرطان الجهاز الهضمى لاحتوائه على بعض أنواع البكتيريا الطبيعية ، والتى تعمل على تخفيض نشاط بعض الإنزيمات التى تساعد على الإصابة بمرض السرطان .

نظرات في ألفاظ القرآن الكريم

مادة (جمل)

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد جمعان*

لم يذكر من مشتقات هذه المادة في القرآن الكريم سوى خمس كلمات فقط هي :

١ ـ (جمال) في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾
الآية ٦ من سورة النحل

٢ ـ (جميل) وقد ذكرت سبع مرات في سبع آيات هي :

(أ) ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾
الآية ١٨ من سورة يوسف

(ب) ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ الآية ٨٣ سورة يوسف

(جـ) ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ الآية ٨٥ ـ سورة الحجر

(د) ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الآية ٢٨ ـ سورة الأحزاب

(هـ) ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الآية ٤٩ ـ سورة الأحزاب

(و) ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ الآية ٥ سورة المعارج

(ز) ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ الآية ١٠ سورة المزمل

---

*مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم

٣ ـ (جِمَالَة) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾

٤ ـ (الجَمَل) فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ الأعراف ـ ٤٠

٥ ـ (جملة) فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ سورة الفرقان ـ الآية ٣٢

وسنتناول هذه الكلمات فى آياتها السابقة بشىء من التفصيل إن شاء الله ـ تعالى ـ لكن ينبغى قبل ذلك أن نشير إلى المعنى أو المعانى التى تدور حولها مشتقات مادة (جَمُل) . وهى تدور حول معنيين أساسيين هما : الحسن والكثرة .

قال الفيروز أبادى : (جَمُل ككرُم فهو جميل وجُمَال وجُمَّال على التكثير ، واعتبر من هذه المادة معنى الكثرة مُجمل فقيل لكل جماعة غير منفصلة : جُمْلة ، ومنه قيل للحساب الذى لم يفصل والكلام الذى لم يبين تفصيله : « مُجمل » .

والجميل : الشحم يذاب فيجمع ويجمل أكله[1] . والحُسْن الذى تدور حوله هذه المادة يكون معنويا كما يكون حسيا .

قال ابن سيدة : (الحسن يكون فى الفعل والخلق) .

وقال ابن الأثير : (الجمال يقع على الصور والمعانى ومنه الحديث : « إن الله جميل يحب الجمال » أى حسن الأفعال كامل الأوصاف)[2] .

وقال صاحب البصائر : « الجمال الحُسْن وهو على ضربين جمال مختص بالإنسان فى ذاته أو شخصه أو فعله ، والثانى ما يصل منه إلى غيره وعلى هذا الوجه يُحْمل ما صح عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن الله جميل يحب الجمال** » تنبيهاً إلى أنه يفيض الخيرات الكثيرة فيحب من يختص بذلك[3] .

والجميل والجملانة طائر ، قال سيبويه : هو البلبل ويجمع على جملان[4] .

وقد لوحظ فيه معنى الحسن أيضاً ولنأخذ ـ بعون الله وتوفيقه ـ فى تناول الآيات التى وردت فيها مشتقات هذه المادة بشىء من التفصيل على حسب الترتيب الذى ذكرناه آنفاً .

أولاً : كلمة (جمال) :

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ النحل : ٦

أى بهاء وحسن وزينة ، وهو من الجمال الحسى ، والمعنى ولكن فيها زينة فى أعين الناس ، وعظمة ووجاهة عندهم ، حين تريحون أى تردونها بالعشى من المرعى إلى مراحها ، وحين تسرحون ، أى تخرجونها فى الصباح من حظائرها إلى مراعيها . والسر فى تعيين هذين الوقتين أن جمال الأنعام إنما يكون فيهما أظهر وأبين فى الذهاب والمجىء حيث يراها الناس تزين الأفنية ويتجاوب ثغاؤها ورغاؤها لأنها عندما تكون فى الحظائر لا يراها أحد ، وعندما تكون فى المراعى لا يراها إلا أربابها وقدم الإراحة على السرح أو العودة على الذهاب مع أنها متأخرة عنها فى الوجود لكون الجمال فيها أتم إذ فيها الحضور بعد الغيبة على

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ٢ ص ٣٩٥ للفيروز أبادى .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٦٨٥ ط دار التحرير .

(٣) بصائر ذوى التمييز جـ ٢ ص ٣٩٥ .

(٤) المصدر السابق .

أحسن ما تكون ملأى البطون حافلة الضروع[٥] .

ثانياً : كلمة جميل :

وقد جاءت في القرآن الكريم سبع مرات كما ذكرنا من قبل يُراد منها جميعاً الجمال المعنوى ، فقد جاءت في آيتي سورة يوسف وصفاً للصبر وهو أمر معنوى قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ يوسف ـ الآية ١٨

والمعنى ليس الأمر كما زعمتم من أكل الذئب ليوسف ، بل زينت لكم أنفسكم في شأنه أمراً غير ما ذكرتم ، فلن يكون منى سوى الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ، والله ـ سبحانه ـ هو المسئول أن يعيننى على الصبر مع عظم المصيبة فالصبر صبران : جميل : وهو ما لم يكن معه جزع ولا شكوى ، لعلم الصابر أن البلاء من الله ولا اعتراض على قضائه ، وفي الأثر : « من بث لم يصبر » وقال الثورى : « الصبر الجميل ألا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك » .

أما إذا كان الصبر ـ لا لأجل الرضا بقضاء الله ـ فذلك صبر لا يكون جميلا وكذا لو كان مع البلاء جزع وشكوى[٦] . ونفس الشيء يقال في قوله ـ تعالى ـ حكاية عن يعقوب ـ عليه السلام ـ أيضاً : (﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ (يوسف ٨٣) غير أن هذا القول الكريم صدر عنه بعدما احتال يوسف ـ عليه السلام ـ على احتجاز أخيه الشقيق عنده بجعل فتيانه صواع الملك في رحله وادعائهم أنه سارق فلما عاد بقية الأسباط إلى أبيهم وذكروا له ذلك لم يصدقهم هذه المرة أيضاً ، لأنه يدرك أن أمراً ما غير ما ذكروا حدث ، وإن لم يكن من فعلهم ، وأعاد نفس المقالة التى قالها عند فقد يوسف ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ غير أنه زاد ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ أى يوسف وبنيامين (ويهوذا)[٧] ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ العليم بما في نفسى وأنفسكم، الحكيم الذى تجرى أحكامه وفق الحكمة والصواب .

أما الآية الثالثة التى جاء بها كلمة جميل فهى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ سورة الحجر : آية ٨٥ ـ وقد جاءت وصفاً للصفح وهو أمر معنوى كذلك والصفح : ترك اللوم ، وجماله خلوه من العتاب . والمعنى ـ والله أعلم : أن يوم القيامة آت لا ريب وحينئذ يجازى الله ـ تعالى ـ كل إنسان على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فدع يا محمد أمر المشركين الذين يكذبونك ويناوئونك إلى الله ينتقم منهم في هذا اليوم لا محالة و ﴿ اصفح الصفح الجميل ﴾ أى اعرض عنهم إعراضاً جميلا ، واحتمل أذاهم وتأن عليهم واحلم عنهم وخالقهم بخلق حسن ، لأن ربك هو الخلاق العليم وخالقك وخالقهم وعليم بأحوالك وأحوالهم ، وقد علم ـ سبحانه ـ أن الصفح الجميل هو الأولى في هذه المرحلة ، فخليق بك أن تكل الأمور إليه إلى أن يحكم السيف بينك وبينهم[٨] .

---

(٥) روح المعانى للألوسى جـ ١٤ ص ٩٨ ط دار إحياء التراث بتصرف شديد .

(٦) مفاتيح الغيب للرازى مجلد ٩ ص ٨ وما بعدها بتصرف .

(٧) لم يتقدم في المقال ذكر لـ (يهوذا) فيمكن متابعته ـ مجلة الأزهر .

(٨) تفسير المراغى جـ ١٤ ص ٤٢ ، ٤٣ .

وجاء لفظ الجميل أيضاً فى آيتين من سورة الأحزاب بمعنى واحد، وصفاً لتسريح الزوجات الأولى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ - الأحزاب

لقد اختار النبى ﷺ لنفسه وأهل بيته حياة الكفاف لا عجزاً عن حياة الترف، فقد كان أجود بالصدقات والهبات والهدايا من الريح المرسلة، لأن الله فتح له البلاد وكثرت الغنائم والفىء، ومع ذلك فقد كان يمضى الشهران ولا توقد نار فى بيوته، ولم يكلفه الله بهذا الكفاف الذى أخذ به نفسه، لأن الطيبات حلال فى شرعته، ولذلك لم يكلف أحدا من أمته بذلك إلا أن يختارها من يريد، ولكنه - صلوات الله وسلامه عليه - فعل ذلك استعلاء على متاع الدنيا وإيثاراً لما عند الله، وكان يحب لأزواجه أن يرتفعن إلى هذا الأفق السامى الوضىء، المتجرد من كل أوشاب الدنيا لكنهن مازالت بهن مشاعر البشر فلما رأين السعة والرخاء الذى صار فيه كثير من المسلمين بعد الفتوح

راجعن النبى ﷺ فى النفقة فعظم ذلك فى نفسه واحتجب عن أصحابه حتى شق عليهم ذلك، وتجمعوا أمام بابه، فلم يؤذن إلا لأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - وحين علما سبب احتجابه - صلوات الله وسلامه عليه - قام كل منهما إلى ابنته ليضربها فنهاهما ﷺ وقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده وأنزل الله آية الخيار السابقة ومعناها - والله أعلم : يا أيها النبى قل لأزواجك مخيراً لهن ليخترن ما يردن إن كنتن ترغبن فى متاع الحياة الدنيا وزينتها الزائلة وتؤثرنها على القرب من الرسول ﷺ والتمتع بجواره الكريم وبيته الطاهر، فتعالين أطلقكن طلاقاً طيباً جميلاً بأن أعطيكن متعة تقر بها أعينكن، ما دمتن تفضلن الدنيا على الله ورسوله. وقد اخترن - رضوان الله عليهن - الله ورسوله والدار الآخرة اختيارا مطلقاً، وارتفعن إلى ذلك الأفق العالى الكريم اللائق ببيت الرسول العظيم.

أما آية الأحزاب الثانية التى وصف فيها السرح بالجميل فهى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ الأحزاب : والآية تبين حكم المطلقة قبل الدخول بها وقبل تسمية المهر، فلها فى هذه الحالة متعة مع السراح الجميل وليس للأزواج عليهن عدة.

والآية السادسة التى ذكر فيها وصف الجميل هى قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾ المعارج ٥ - وفيها كما فى آيتى يوسف وصف الصبر بالجميل ومعنى الآية والله أعلم : لما هدد الله تعالى المشركين بذكر يوم القيامة استهزأوا برسول الله ﷺ واستعجلوا العذاب وقال النضر : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ الأنفال : ٣٢ - فأمر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بالصبر الجميل عليهم، وقيل : إن الرسول استعجل بعذاب الكافرين فبين الله له أن العذاب واقع بهم لا محالة ولا دافع له، وأمره بالصبر الجميل[٩]. الذى لا قلق معه.

(٩) مفاتيح الغيب مجلد ١٥ ص ٧١٤.

والآية الأخيرة التي جاء فيها لفظ الجميل هي قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل : ١٠ - وقد وصف بها الهجر وهو معنوي أيضاً والمعنى والله أعلم إذا اتخذت الله وكيلا فاصبر على أذى الكافرين ورميهم لك بالسحر والجنون والكهانة فإذا يئست من هدايتهم فاهجرهم هجراً جميلا بحيث لا يحملك الهجر على بغضهم أو الدعاء عليهم بل قل لهم : سلام عليكم لى عملى ولكم عملكم فهذا هو اللائق بمقامك السامى .

ثالثاً : كلمة جمالة :

وقد ذكرت فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ المرسلات : ٣٢ ، ٣٣ - والجمالة جمع جمل كحجر وحجارة ، وقرىء جمالات وهى جمع جمال كرجال ورجالات ، وقيل هى حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون غليظة كأوساط الرجال[10] .

والمعنى والله أعلم أن النار التى يؤمر الكفار بالانطلاق إليها ترمى بشرر كالقصر ، أى البناء العظيم فى الضخامة ثم هو كالجمال فى الشكل واللون والخفة وسرعة الحركة[11] .

رابعاً : كلمة (الجمل) :

وهى مذكورة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

الأعراف : آية ٤٠ - وسَمُّ الخياط هو ثقب الإبرة والأرجح أن الجمل هو الذكر من الإبل إذا بلغ أربع سنين ، وقيل : إن المراد الحبل الغليظ جداً .

وقرىء (الجُمَّل) بضم الجيم وفتح الميم وتشديدها وهو حبل السفينة الغليظ وعلى كلا المعنيين فالمراد استحالة دخول الكافرين الجنة ؛ لأنه علق على مستحيل ومعنى الآية - والله أعلم : إن المكذبين بآيات الله المستكبرين عن هداه لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا ولا لدعائهم إذا دعوا ولا تفتح لهم أبواب الجنة لأنها فى السماء ، ثم أكد فقال : ﴿ فلا يدخلون الجنة ﴾ إلا إذا دخل الجمل البالغ أربع سنوات فى ثقب الإبرة وهذا محال ومثل ذلك الجزاء يجزى الله المجرمين .

خامساً : كلمة (جملة) :

فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾

والمعنى أن المشركين لما لم يجدوا سبيلاً إلى العيب فى القرآن نفسه ، عابوا الطريقة التى نزل بها فقالوا : لماذا لم ينزل القرآن على محمد جملة واحدة بلا تفريق ولا تنجيم إذ لو كان هذا القرآن من عند الله لأنزله مرة واحدة ؛ لأن الله لا يعجز عن ذلك لكن محمدا يعاود البحث والنظر والتفكير حتى يختار الكلمات والمعانى المناسبة ، فرد الحق عليهم رداً قاطعاً لألسنتهم مبيناً الحكمة من التنجيم وهو تثبيت قلبك يا محمد وحتى يسهل ترتيله وحفظه وفهمه وتطبيقه[12] .

هذا والله أعلم وبه التوفيق ،

---

(١٠) لسان العرب مجلد ١ ص ٦٨٣ ط دار التحرير .

(١١) التفسير الواضح د. حجازى جـ ٢٩ ص ١٥٠ .

(١٢) التفسير القرآنى للقرآن للأستاذ عبدالكريم الخطيب جـ ١٩ ص ١٧ وما بعدها بتصرف .

أسلوب الشرط

فى مقررات اللغتين العربية والإنجليزية فى مدارس التعليم العام والأزهرى فى بلادنا

للأستاذ / سليمان بركات (*)

تدرس فى بلادنا اللغة العربية لغة أم ، واللغة الإنجليزية وغيرها من لغات أجنبية . وأقتصرُ فى حديثى على اللغة الإنجليزية لتخصصى فيها من ناحية ، ولأنها اللغة الأجنبية المشتركة فى التعليم العام والأزهرى قبل الجامعى عندنا ؛ وأتخذُ من أسلوب الشرط موضوعا فى ذاته وشاهدا على ضرورة أدعو إلى الالتفات إليها .

النحو منطق اللغة والمنطق واحد عند كل الناس ؛ لذلك فإن وجوه القرابة بين اللغات موجودة بنفس قوة تمايزها ، تبارك الله أحسن الخالقين الذى من آياته اختلاف الألسنة . ولابد أن الطالب الذكى تتحرك فى نفسه بواعث الربط بين لغته القومية واللغة الأجنبية التى يدرسها ، والتوسعة على نفسه بمد الجسور بينهما ؛ غير أن هذه الحركة لا يتسنى لها الهداية والإنماء ، اكتفاء بمختارات المقررات المفروضة واقتصارا على مقاصد ورقة الامتحان .

تدخل معالجة « أسلوب الشرط » فى مناهج اللغتين عندنا فى باب النحو العربى والأجرومية الانجليزية ، وتوشك ألا يعرض لها من منظور بلاغى فى أبواب التعبير والتذوق فى أى اللغتين .

وإذ كان النحو فى العربية يجرى على « الإعراب » ، والأجرومية فى الانجليزيـــة على « التركيب » ، وتختلف معانى أنماط الشرط فى العربية (فيما بين « اليقين ، والاحتمال والإمكان والاستحالة » ، و« الحال والمستقبل ، وما مضى من الزمان ») ، باختلاف « أداة الشرط » فى المقام الأول ، بينما ينبنى هذا وذاك فى الإنجليزية على « صيغة الفعل » ، فقد فرض هذا التباين على العملية التعليمية أن يسير تدريس « أسلوب الشرط » فى كل لغة منهما فى اتجاه مغاير للآخر .

وقد يتراءى أن حدود التخصص اللغوى تشبه الحدود الجغرافية ، وبالتالى ، فإنى أثير مشكلة لا داعى لها ، ولا أحد لها حالٍ . غير أنى رأيت الأمر يستحق قولة حق فى مقررات النحو والأسلوب فى اللغتين ، بمدارسنا ومعاهدنا الأزهرية ، وفى الانفصام القائم بينهما . إذ لم يعد له مبرر ؛ بل هو ضار ، فى وقت أصبح العالم فيه قرية واحدة . ولقد آن الأوان لأن يقوم

(*) الكاتب : موجه عام اللغة الإنجليزية بالتربية والتعليم ـ سابقاً .

القائمون المتعاقبون على المناهج والمقررات عندنا بإعادة النظر فى « التموين » المدرسى واستكشاف الذخائر المهملة فى غيابة الجب ، وإدخال التغيير والحداثة المطلوبين ، وتيسير الانطلاق المرجو ؛ وكذلك لقطع دابر الكثير من الخلافات التى تقع بين من تجاوز معلوماتهم حدود المقررات ومن تقوقعوا داخلها ، وخاصة فى زمن يُوسَد فيه التعليم لغير أهله ؛ وأيضاً لمنع وجود « مختارات » صحيحة فى أسئلة « الاختيار من متعدد » فى الإنجليزية تعتبر غير صحيحة فى الإجابة النموذجية التى يتم تقدير الدرجات المستحقة على أساسها !

١ ـ ضمّت مقررات أسلوب الشرط فى اللغتين أنماطاً ، واجتمعت على إهمال أنماط ، وانفردت مقررات اللغة الإنجليزية بإهمال أنماط .

٢ ـ فقد اهتمت مقررات اللغتين ، فى التعليم العام والأزهرى قبل الجامعى ، بأسلوب الشرط الذى يركز على « علّية فعل الشرط ومعلولية جوابه » ، وقوعا وامتناعا . أى أنها اتفقت على الاتجاه « من السبب إلى الأثر » ، أو « من السابق إلى اللاحق » ، مثل :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ المنافقون ـ ٤

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ الأنبياء ـ ٢٩

﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾ الرعد ـ ١٨

« **إن يفعل ذلك فلا تثق به بعدها** » . – If he did that, you shouldn't trust him again.

إذا كان الغاز أوكسيجين فسيتوهج اللهب – If the gas is Oxygen, the flame will brighten.

« لو كنت عرفت لكنت ساعدت » — If I'd known, I'd have helped.

وأهمل المقرر العربى إشكالية إبانة « زمن » الفعل على « الوقت » الحقيقى للجملة ، استنادا إلى « العادة المكتسبة » لدى الطالب بتلقائية التعبير بلسان اللغة الأم .

٣ ـ كما أهملت المقررات فى اللغة الإنجليزية أسلوب الشرط بفعل أمر ، مثل :

« دع ذراعى وإلا فسأصرخ » — Let go my arm, or I'll shout.

« أعطه ، وإذا به يطمع فى مزيد » — Give him some, and then he'll want more.

٤ ـ ثم أهملت مقررات اللغة الإنجليزية أربعة أنماط شرطية أساسية أخرى :

(أ) « معلولية فعل الشرط وعلّية الجواب » أى : أهمل الاتجاه « من النتيجة إلى السبب » ، أو « من اللاحق إلى السابق » ، مثل :

« إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » « ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا »

« لئن كانو سرقوا شيئاً فما ضغطت عليهم الحاجة » « إذا توهج اللهب فالغاز أوكسيجين »

If they've run away with something, then they had been pressed by need.

If the flame brightens, then the gas is Oxygen.

(ب) « انتفاء العلّية بين فعل الشرط وجوابه » مثل :

« فإن تولّيتم فما سألتكم عليه من أجر » / « أتقتلون رجلاً أن يقول ربّى الله وقد جاءكم بالبينات » / « إذا هى وشت بك فما شأنى أنا ؟ »

If she's told on you, what for am I to blame »

(جـ) ذريعة المغايرة ، مثل :

« بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين » / « لئن أخطأ مرة فلقد أصاب مرات »

If he's been wrong this time he always did well.

(د) ذريعة المشابهة

« سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » / « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر قبل غيره »

He that is without sin among you, let him first cast a stone at her.

ولست أدرى سر هذا الخوف لما هو شائع فى معتاد الفكر والتعبير ، وفى ضرورتهما الحياتية والعلمية والأدبية ، وليس بذى صعوبة ، خاصة والطالب قد تمرس على مختلف صيغ الفعل فى الإنجليزية .

٥ ـ إشكاليات إبانة الصيغة الزمنية للفعل tense/ form عن الوقت الحقيقى time فى الإنجليزية جزء هام ، ويتم التدريب عليها فى مقرر الأجرومية الانجليزية طوال المرحلتين الإعدادية والثانوية . ومع ذلك فقد اقتصر « أسلوب الشرط » فى المقررين على ثلاثة أنماط types : نمط واحد فيه فعل الشرط يقينٌ أو احتمال كبير ، حاضراً أو مستقبلاً ، ونمط ثان فيه فعل الشرط ممتنع غير واقع (افتراض ـ تمنٍّ ـ تعذّر ـ استحالة) فى الحال أو القابل ، وثالثها ممتنع غير واقع ومتعلق بالماضى . ولكل نمط فعلُ شرط فى صيغة معينة وجوابُ شرط فى صيغة ملازمة له .

ومع ذلك فقد اقتصر واضعو المقررات الإنجليزية على بعض ما يدخل تحت كل من هذه الأنماط الثلاثة وأغضوا عن غيره رغم أنه ليس من شوارد اللغة أو نوادرها ، وإنما لخروج تركيبه عن أضلاع الشكل الموحد الذى وضعوه لكل نمط . ويتكرر هذا الاقتصار فى المرحلتين الإعدادية والثانوية ، مع بعض اختلاف فى المفردات والأمثلة لا أكثر ، مما يعدّ تثبيتا ومعاودة له وإنكارا لما سواه .

٦ ـ إن للفعل فى الإنجليزية ما لا يقل عن ثلاث عشرة صيغة tenses/ forms ، كلها قابلة للدخول فى أسلوب الشرط ، وكلها قابلة لأن تستدعى صيغةً « فعل الشرط » أكثر من صيغة لـ « جواب الشرط » ، فتعطى معنى مختلفاً كل مرة . وقد أورد أحد نحاة اللغة الإنجليزية أكثر من



عشرين نمطاً شرطياً ليس فيها نمط واحد متكلف أو نادر . فإنْ يرَ واضعو المناهج عندنا أنها كثيرة مما قد يسبب ارتباكا للطالب ؛ فلابد من التنبيه على وجود بعضها ، أو تخصيصه لمستوى متقدم ، لاسيما الأنماط التى طال إهمالها بدون مبرر . كما أنصح بالحيطة عند استخدام طريقة « الاختيار من متعدد » فى اختبارات أسلوب الشرط فى اللغة الإنجليزية .

وأورد فيما يلى أمثلة لأنماط فى مستوى طالب المرحلة الإعدادية وطالب المرحلة الثانوية ، تندمج فيها « صيغ الفعل » tenses/ forms ، مع « أساليب الشرط » ، أدلل بذلك على وجودها وجدواها ، وانتفاء المبرر لغيابها عن المقررات .

- If you are waiting for him, you are wasting your time.
- If you are waiting for him, we are, too.
- If you are waiting for him, he never sees a visitor at this hour.
- If you are waiting for him, why don't you sit down?
- If you are waiting for him, sit down please.
- If you are waiting for him, he's gone home.
- If you are waiting for him, he won't be back until 5.
- If you are waiting for him, you should have told his secretary.
- If you are waiting for him, why didn't you tell his secretary ?

- If you've sent a letter, then your name is on the list.
- If you've sent a letter, a copy is being made.
- If you've sent a letter, it hasn't arrived yet.
- If you've sent a letter, you (must have) expected to be chosen.
- If you've sent a letter, I'll do, too.
- If you've sent a letter, when did you write it ?

- If he said that, he was a liar.
- If he thought that, he must be a fool.
- If he('s) failed this time, he always managed before.

كما أرجو أن يكون المقال باعثا للإخوة رجال اللغة العربية على التفكير فى إدخال منظورات جديدة على العملية التعليمية تتواصل بها أرحام النحو والبلاغة فى العربية تواصلا أكثر ، وإنى لعلى يقين أن فى ذلك خيرا .

والله ولى التوفيق .

١٥

طبقات المحققين والمصححين

من أعلام المحققين

الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

رجل جلد صليد العزيمة شديد الصريمة، حديد الإرادة .. ما أبعد همته وأحمد شيمته، وأحسن سيرته، وأنقى سريرته.. ذلكم هو المؤلف الكبير والمحقق الشهير والناقد البصير **الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، صاحب التصانيف الغزيرة، والمحررات الشهيرة، والتحقيقات** المتميزة، والآراء الواعية المحفوفة، واللطائف المقفوة.

قرأنا من مؤلفاته جملة صالحة وإضمامة نفيسة، عالية القيمة في قوتها ورصانتها لما انطوت عليه من دقة في الوصف، وجمال في الرصف، ورشاقة في التعبير والتحرير وسلاسة في السبك، وجمال في الأسلوب. ولم تقنع هذه العبقرية الفذة بمضمار التأليف والتصنيف، وإنما تجاوزت هذين إلى التحقيق العلمي الرفيع على أعلى مستوياته.

والحقيقة فإن ثمة تنازعا بين فريقين متقابلين: أنصار التأليف وأنصار التحقيق، حيث يرى الأولون أن التأليف هو الأشرف والأكرم لكونه دليلاً على شخصية المؤلف وفيه تتجلى عناصر الأفكار والابتكار والتجديد والإضافة التي تدل على درجة صاحبها من المهارة والقدرة والإبداع والإضافة، ولكن التحقيق في نظرهم ما هو إلا استحضار أعمال السابقين السلف ـ رضي الله عنهم ـ وليس للمحقق من فضل سوى إخراج النصوص وضبطها ونشرها.

وهؤلاء يرون أن المؤلف هو صاحب الفضل الأول، وما للمحقق إلا الفضل الثاني في المرتبة الثانية.

لكن الفريق الثانى يرى أن التحقيق فنّ لا يليق بالتوفر عليه والاضطلاع عليه وبه إلا الأقوياء ، وإنه ليس كل عالم محققاً ، كما أنه لابد أن يكون المحقق عالماً، والأكثر من هذا أن يكون عالماً موسوعياً. ومجرد أن يذكر اسم المحقق فهذا كفيل أن تعرف مقدار الجهد المبذول فى الكتاب من غير أن تقرأ العمل نفسه . لأن العمل العلمى والشروح الدقيقة، والآراء السديدة، والأفكار المنتقاة والدقة فى الضبط والتخريجات لصيقة بالاسم الذى اشتهر بتلك الدقة والانضباط العلمى.

لكننا نرى أن كلا الرأيين فيه حق، وفيه غلو فما ذكره الفريقان من خير فهو صحيح من شرف التأليف وعلو شأنه ، وكذلك من أهمية التحقيق وشريف ممارسته، وجليل مقصده، فإن كلا العملين طويل الباع فسيح المدى فى الفضل.

على أنه يجب إن تعلم أن التحقيق هو الشىء الوحيد الذى يسد الفجوة فى التراث، ولولاه ــ وهذا أمر الله تعالى ــ لما وجدنا التراث حلقة متصلة ، إن المنظور المنصف غير الغالى هو أن كلا العملين مكمل للآخر، وقد يقوى على الأول من لايقدر على الثانى، وقد يبرع فى الثانى من لاقبل له بالأول.

لكن من الندرة من يقوى على الاثنين معاً ويمارس هذين النشاطين بدقة وثقة وعمق وإتقان .

□ □ □

قرأت كثيراً من مؤلفات الأستـــاذ أحمد عبدالغفور عطار ، وكذلك مجموعة طيـبة من تحقيقاته العالية القدر، رفيعة المستوى، لكن لم أقرأ له شعراً البتة .

وقد لفت نظرى حرصُهُ على إبراز قدراته اللغوية فى بحوثه ومؤلفاته بصورة طبيعية بريئة من التكلف، والاصطناع بما تستطيع أن تقطع معه بفطرية صاحبها وأنه مجبول مفطور على الأدب، وقد اغتذى من أخلاف الفصاحة، ونهل من عذب البيان.

وقد قرأت فى قائمة كتبه المؤلفة أن له ديوانا وحرصت على الحصول عليه دون جدوى.

رجوت أن اتصل بهذا الرجل النابه النحرير، فلم تُيسر لى الظروف ذلك لانشغالى، وعدم معرفتى بمحل إقامته على وجه التحديد، وأعرف أنه من المملكة العربية السعودية الشقيقة، كرَّمها الله وطيَّب ثراها..

وذكرت لصديقى العالم المحقق الأستاذ الدكتور عبد المجيد رغبتى فى لقاء الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، فعجبت كل العجب إذ ذكر لى الدكتور دياب أنه كان فى المملكة العربية السعودية سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف، وأنه حاول الاتصال بالأستاذ عبد الغفور عطار لكن لم يتم لهما اللقاء الذى كان مرجوا مأمولاً.

وهذا بالتأكيد يؤكد إعجاب الدكتور دياب بالرجل واطمئنانه معنا بأنه رائد من الرواد العمالقة الذين حملوا على كاهلهم أعباء جساما، وأنه من المعالم الحضارية والثقافية والعلمية فى المملكة حتى يومنا هذا.

□ □ □

قرأت كتابه الشائق الممتع «المقالات» وقد صدرت نشرته الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد.

وهذا الكتاب يحوى على موضوعات قيمة نشر أكثرها فى صحف الحجاز، وبعضها فى صحف مصر.

وذكر عطار فى مقدمة هذا الكتاب أن عمر الأدب فى الحجاز لايبلغ خمسا وعشرين سنة، بل يبلغ عمر الأدب الصحيح عشر سنين.

ثم هو يطوف بنا فى رياضه الندية المورقة الوارفة الظلال من فصول سبق له نشرها فى صورة مقالات فى الصحف المختلفة كما أشار إلى ذلك فى مقدمته - تنتظم مساحة واسعة من الفكر والثقافة وهى أيضا تشمل تعقيبات وآراء حرة، وأفكاراً جديدة - فى وقتها - لانطوائها على نظرات وتطلعات وإرهاصات مستقبلية كان ينظر إليها عطار من زهاء نصف قرن من الزمان (أواسط الأربعينيات) أو يزيد، من هذه الأشياء ما تحقق وصدق حدسه وتخريه وتظنيه، ومنها ما نبا به الزمان، وهذا لايشينه أبدا، فإن حسبه من ذلك شرفا وفخرا أن كان مضطلعا بكل هذه الأعباء والهموم الفكرية والإنسانية فى جلد وصبر واحتمال ينوء به كثيرٌ من أضرابه فى ذلك الوقت، وليس حسبه من القلادة ما أحاط بالعنق وحسب، بل إنه زاد على ذلك وأفاض وأسدى.



أما أسلوبه النقدى الأدبى فقد امتاز (من وجهة نظرنا) بالدقة البالغة والرصانة الأسلوبية، والدراية والدربة فى هذا المضمار، بما يؤكد لنا توفره على دراسة أمهات الكتب فى اللغة، وإحاطته الواعية بالمصادر والمراجع والمعجمات ودواوين الشعراء القدامى والمحدثين.

كتب للمؤلف

أ - كتب نقدت

١ - كتابى (مجموعات مقالات)

طبع بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة - حرسها الله - سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٤م).

٢ - محمد بن عبدالوهاب

الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م).

٣ - الهوى والشباب (ديوان شعر)

٤ - الخراج والشرائع

٥ - أريد أن أرى الله (مجموعة قصص)

٦ - المقالات

٧ - صقر الجزيرة، ٣ أجزاء

٨ - البيان (نقد أدبى)

٩ - الزنابق الحمر (مسرحية لطاغور، مترجمة عن البنغالية)

١٠ - المقدمة (دراسة لمعجم صحاح الإمام الجوهرى)

١١ - قطرة من يراع

١٢ - الصحاح ومدارس المعجمات العربية

١٣ - مقصورة ابن دريد (بحث تاريخى أدبى).

١٤ - الإسلام والشيوعية

١٥ - حرب الأكاذيب

١٦ - الفصحى والعامية

١٧ - عشرون يوماً فى الصين الوطنية

١٨ - الشريعة لا القانون

١٩ - الإسلام طريقنا إلى الحياة

٢٠ - آراء فى اللغة

٢١ - كلام فى الأدب

٢٢ ـ المفتش (مسرحية لنقولا جوجول)
٢٣ ـ الزحف على لغة القرآن
٢٤ ـ الإسلام خاتم الأديان
٢٥ ـ إنسانية الاسلام
٢٦ ـ اليهودية والصهيونية
٢٧ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء (وهو غير الكتاب السابق)
٢٨ ـ ابن سعود وقضية فلسطين
٢٩ ـ الشيوعية وليدة الصهيونية
٣٠ ـ الماسونية
٣١ ـ عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين والهيكل لم يكن مقدساً عند سليمان واليهود.
٣٢ ـ حجة النبي صلى الله عليه وسلم
الطبعة الأولى ـ دمشق، سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م)
٣٣ ـ مؤامرة الصهيونية على العالم
الطبعة الأولى ـ بيروت، سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).
٣٤ ـ بروتوكولات صهيون (مترجم)

ب ـ كتب محققة

٣٥ ـ تهذيب الصحاح (معجم لغوى، تأليف الامام الزنجانى) ٣ أجزاء
بالاشتراك مع الأستاذ عبدالسلام هارون
الطبعة الأولى ـ القاهرة، سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)
٣٦ ـ مقدمة تهذيب اللغة، للإمام الأزهرى
٣٧ ـ ليس في كلام العرب، للإمام ابن خالويه
الطبعة الأولى ـ القاهرة، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)
٣٨ ـ آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية، لابن خلدون وغيره
الطبعة الأولى ـ القاهرة، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)
٣٩ ـ الصحاح، للإمام الجوهرى ٧ أجزاء (منها المقدمة)
الطبعة الأولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)
٤٠ ـ شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمى.

ج ـ كتب مترجمة للمؤلف

٤١ ـ محمد بن عبدالوهاب، باللغة الانجليزية
ترجمة الدكتور راشد البراوى
٤٢ ـ محمد بن عبدالوهاب، باللغة الأردية
ترجمة الشيخ محمد خليل صادق، الطبعة الثانية ـ مكة المكرمة
٤٣ ـ إنسانية الإسلام، باللغة الانكليزية
الطبعة الأولى ـ بيروت، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)

د ـ مؤلفات أخرى

٤٤ ـ الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم .
٤٥ ـ أحكام الحج والعمرة من حجة النبى وعمراته .
٤٦ ـ الحجاب والسفور .
٤٧ ـ وفاء الفقه الاسلامى بحاجات هذا العصر وكل عصر .
٤٨ ـ وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر .

٤٩ ـ دفاع عن الفصحى .
٥٠ ـ الهجرة .
٥١ ـ جحا يستقبل نفسه .
٥٢ ـ اليهودية والصهيونية .
٥٣ ـ الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات .
٥٤ ـ الاسلام دين خاص أم عام .
٥٥ ـ انحسار تطبيق الشريعة فى أقطار العروبة والاسلام .
٥٦ ـ الجوهرى .
٥٧ ـ أصرح الأديان للبشرية عقيدة وشريعة .
٥٨ ـ انسانية الاسلام .
٥٩ ـ الديانات والعقائد فى مختلف العصور .

هـ ـ كتب أعيد طبعها

١ ـ حجة النبى ﷺ
الطبعة الثانية ـ دمشق، سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م)
٢ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء
الطبعة الثانية ـ بيروت، سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م)

و ـ كتب معدة للطبع

١ ـ المكتبات
٢ ـ فيصل
٣ ـ مئة كلمة
٤ ـ لا أؤمن بالاشتراكية لأنى أؤمن بالإسلام
٥ ـ مع الكتب والمؤلفين
٦ ـ الأسرة
٧ ـ نقد كتاب «كشف الظنون»
٨ ـ مذكرات لارا
٩ ـ قال بيدبا
١٠ ـ خمس دقائق قبل الفطور
١١ ـ وراء القضبان
١٢ ـ ورود من كلام
١٣ ـ العقاد
١٤ ـ مسلمة فى سيبريا
١٥ ـ مع الملوك والرؤساء
١٦ ـ الأدب الضاحك
١٧ ـ الرحلات
١٨ ـ عائشة أم المؤمنين
١٩ ـ فى اللغة
٢٠ ـ الأزمنة ، لقطرب
٢١ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه، لأبى العميثل
٢٢ ـ كشف الظنون. لحاجى خليفة
٢٣ ـ مجموعة المعانى (مختارات شعرية) طبعة الجوائب

وللأستاذ عطار نقود واستدراكات لغوية ولطائف جميلة وجليلة فى التعقيب على المؤلفين وهى ملاحظات مسوقة فى قالب مهذب رقيق، ليس مدفوعة ولا مقحمة بأغراض ملتوية تحت ستار نقد مزعوم.

هذا الأسلوب الراق جدير ومحقوق بالتقدير لكونه يبدى ويبرز أهمية الكاتب والكتاب المنقود فى عبارات صادقة، وإكبار وإبراز لما كانفه من مميزات مع إشادة بمواضع التبريز والتميز الفارق فيه، ثم يجعل من تنويهاته وتصويباته واستدراكاته فى صورة علمية محضة ـ تكميلاً يعتز به المؤلف لانطوائه على الرغبة الصادقة المخلصة فى الإصلاح والتقويم.

لكن هناك بعض المغالاة والمخالفة لضوابط النقد المعمول بها، والتى يكون توجيها موافقا للقواعد المستقرة، وهذا ما حمله على تخطئة أشياء، وهى صحيحة، أو ليس خطؤها مطلقا وإنما يجوز حملها على المعنى أو المجاز، أو ربما كان لها وجه آخر أو وجه مرجوح من الصحة، فكان الحكم بتخطئتها ليس سديدا من كل الوجوه.. هذا ما أراه..

وليس ذلك قدحا ولا ثلبا ، وإنما هو مجرد آراء وملاحظات على تلك الآراء والملاحظات.

أقدم مطبوعات عبدالغفور عطار وقع تحت أيدينا تحت مسمى : (مجموعة المقالات) نشره بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة، وكان ذلك سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، الموافق سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد.

وقد بحثنا ونقبنا عن ترجمة له فى كتاب «الأعلام» للزركلى فلم نجد أثراً له، ولا فى كتاب «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة ويلحق بنفس الاتجاه معجم «المنجد» فهو الآخر أهدر حق الرجل وسحب على اسمه ذيلا من النسيان.

وليس أحمد عبدالغفور عطار بما سوّغه ومواه وأسداه ـ مستحقا لهذا الجحد والصدوف، فهو رجل قدّم للمكتبة الأدبية والثقافية زهاء مائة كتاب مابين مؤلف ومحقق ومترجم له إلى الإنجليزية وإلى الأوردية وديوان شعر، وغير ذلك من عشرات بل مئات البحوث والمقالات والدراسات العلمية وعندى أنه ليس من شك فى أن الإنتاج الغزير والعمل الدءوب الشاق المضنى ـ جدير بالتقدير والعرفان، والشكر والامتنان. بلى ورب الكعبة..

إن الرجل من خلال استقراء كتاباته تراه حريصا على الإسلام وعلى مقدساته، وهو بموجب هذه الخاصية والسمة ليستحق التكريم والإشادة..

لقد شارك الأستاذ عبدالسلام محمد هارون العلامة الشهير شيخ المحققين فى تحقيق كتاب «الصحاح للجوهرى» وهذه المشاركة وحدها فى حد ذاتها أبلغ إشارة، وأعظم دليل على كفاءة الرجل وقدرته فى هذا المضمار، وما كان لعملاق جهبذ مرموق المكانة مثل عبدالسلام هارون ليقبل أن يشاركه تحقيق كتاب خطير المكانة والمرتبة بين معاجم اللغة العربية مثل «الصحاح» رجل غير موثوق به أو مجهول الحال، أو منكور الفضل فى هذا المضمار.

ولدى وفى مكتبتى (صاحب هذه الدراسة) ورقة بخط يد المرحوم العلامة الأستاذ عبدالسلام محمد هارون يقول فيها: شاركنى أخى وصديقى الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار تحقيق كتاب «الصحاح للجوهرى».. الخ وهذا إقرار ضمنى بأهليته وقدرته على مستوى الباحثين والمحققين الكبار من الطراز الأول.

وتتوالى مطبوعات عطار مابين سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف حتى سنة ثمانين وتسعمائة وألف للميلاد أى على مدار ست وأربعين سنة (نصف قرن من الزمان) تقريبا. وربما صدرت له طبعات أخرى بعد هذا التاريخ لكتب جديدة لم تقع فى أيدينا، ولم تصلنا أخبارها.



ظهرت عبقرية أحمد عبدالغفور عطار فى وقت ثرى، كثير الخصوبة الأدبية وهذه مقتطفات من

أقوال أرباب الفكر والقلم فيه وقد نشرت المقتطف كلمة عنه مؤداها:

«الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار من أدباء الجزيرة المبرزين، وشعرائها الذين يضعون أسس النهضة للشعر هناك، فأسلوبه قائم على دعائم من قوة الفكر وحلاوة التعبير، ودقة التصوير، زاخر بالأخيلة والمعاني المستحدثة».

وقال عنه الدكتور محمد حسين هيكل «باشا»:

«وأسلوب الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار أسلوب يجمع إلى السهولة الصفاء، وهذا الأسلوب المملوء بالحياة يدفعك تمضي في مطالعة الكتاب فلا تقف حتى تبلغ آخره».

هذا ولم نقف على تاريخ مولد الأستاذ عطار، لكن من المرجح أن يكون وُلد في مطلع هذا القرن وأغلب اعتقادي أن يكون ذلك سنة تسعمائة وألف للميلاد، أو قبل ذلك ببضع سنوات أو بعده.

وإننا لنرجو أن يكون مازال حيا مرزوقا بالصحة والعافية، وإننا لنتوجه إليه نداء من خلال هذه الترجمة المتواضعة أن يتفضل علينا بموافاتنا بما يريد أن يضاف إلى هذه الدراسة ـ أو أحد أبنائه أو أقربائه أو مريديه.

تحية لك وألف تحية في حلك وترحالك، في شبابك وشيخوختك، في قربك وفي بعدك، في دنياك وأخراك.. فإن جهدك مشكور وصنيعك مذخور، وأياديك البيض منشورة الصفحات، فهنيئا لك ولكم منا الثناء والتقدير اللذان يليقان بمثلك.

والحمد لله رب العالمين.



زكى مبارك

جاحظ القرن العشرين

١

بقلم دكتور / محمد عبد الحكيم محمد

الواقع أن « د. زكى مبارك » يعتبر فى مقدمة من ترسموا خطى « الجاحظ » وأفادوا من فنونه الأدبية والعقلية الواسعة فى شتى الموضوعات والمجالات ، ذلك أن ثورته التى استحدثها فى تاريخ النثر العربى تركت ظلالها الممتدة على معاصريه ومن جاء بعدهم .

وبرغم سريان القرون المتطاولة بينهم إلا أن روح « الجاحظ » ظلت هائمة حتى حلت فى « زكى مبارك » فكانت منه تلك النفحة الأدبية الخالدة فى صفحات التاريخ ، فقد جمع بينهما القرطاس والقلم وتعدد المواهب وتوحد المنهج ، حتى أننا نرى الخصائص الفنية بينهما قد اتحدت وتشابهت فى أمور كثيرة ، أهمها :

١ ـ اللغة الصحفية :

فهما يتلاقيان فى مفهومهما الواعى للغة المباشرة ، أو للغة الصحافة المعاصرة التى تحقق التناغم بين المرسل والمستقبل على اختلاف بيئاته وطبقاته ، ذلك أنه « فى الحضارة العربية ظهرت إرهاصات بلغة الصحافة حتى قبل اختراع المطبعة ، فالجاحظ ـ وهو من كتاب القرن الثالث الهجرى جدير بأن يكون أول صحفى ممتاز لو أنه عاش فى القرن الذى نعيش فيه »(١) .

ولا غرو فقد استحدث فى النثر العربى لغة جديدة تتسم بالمرونة ، هى التى نطلق عليها فى عصرنا « لغة الصحافة » ، أو « لغة الاتصال بالجماهير » فهو ينادى فى كتاباته بضرورة التلاؤم ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ويقول : « كما لا ينبغى أنْ يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغى أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ، فإن الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى »(٢) .

---

(١) إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ٣٣ .

و « الجاحظ » كان يدعو إلى أن تشفَّ الألفاظ عن المعانى حتى تبلغ الأسماع والقلوب ، من ذلك قوله : « أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، وإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صنع فى القلوب صنيع الغيث فى التربة الكريمة »[٣] ، وفى ضوء هذا الفهم نظر بعض الإعلاميين المعاصرين إلى « الجاحظ » على أنه : « فنان صحفى » أدرك أهمية « اللغة الوصفى » أو أهمية « المستوى اللغوى الاجتماعى الذى يستعمل فى الحياة العادية اليومية »[٤] ، ودوره فى تحقيق التفاهم فوضع له قاعدة تنص على : أن الألفاظ يجب ألا تكون ساقطة عامية ولا غريبة وحشية ، وهى القاعدة التى آمن بها « مبارك » وطبقها على تحريره الإعلامى ، بل ودعا إليها بقوله : « إننا نريد لغة من لغات المدنية ، لغة يفهمها الفلاح والملاح والنجار والبناء ، نريد لغة سخية تسعد أبناءها جميعا بغير حساب ، نريد لغة تجمع بين التواضع والجبروت يرى فيها الخواص ما يريدون من السمو والتحليق ، ويرى فيها العوام ما يشاءون من البساطة والجمال ... وأنا بهذا أدعو إلى الديمقراطية اللغوية »[٥] .

ونلحظ استخدام « مبارك » للفظه « الديمقراطية » ، وهذا يعكس ــ أيضاً ــ احترامه للألفاظ الشائعة والعبارات المتداولة التى انطبع لها فى أذهاننا مدلول لا يتحقق إلا بها ، وقد وضح هذا التطبيق العملى بقوله : « إنى أدعو إلى تيسير اللغة تيسيرا يقربها من جميع القارئين والسامعين ، أدعو إلى القصد فى احترام الألفاظ القاموسية ، وأشير باحترام ما اصطلح عليه الناس من الألفاظ فى مختلف الفنون »[٦] .

والواقع أن « الجاحظ » لم يغفل ــ أيضاً ــ عن نشر المستحدثات اللفظية كما هى ــ عامية كانت أو عربية ــ فى سبيل أن تصبح لغته أداة تفاهم بين جميع الطبقات ، وهو ينصح بذلك فيقول « إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب ، أو تتخير لها لفظا حسنا من فيك ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له »[٧] .

ولعل الجاحظ بالقياس إلى كتاب القرن الثالث الهجرى كان الأقدر على تيسير اللغة العربية تيسيراً يقربها من الأذهان والأفهام دون ما خلل لدلالاتها اللغوية أو إفساد لجزالتها اللفظية .

---

(٢) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الثانى ط ٢ دار المعارف بمصر (١٩٧٣) ص ٥٩٤ ، نقلا عن البيان والتبيين ١٤٤/١ .

(٣) البيان والتبيين : تحقيق حسن السندوبى ــ المكتبة التجارية بالقاهرة (١٩٢٦) ط ١ جـ ١ ص ٧٣ .

(٤) د. إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال ، الأنجلو المصرية (١٩٨٠) ص ١١٦ .

(٥) زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ــ مطبعة الحلبى بالقاهرة . (١٩٣٦) صفحات ٢٦ ــ ٢٧ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) البيان والتبيين ١٤٥/١ ، العصر العباسى الثانى ــ مرجع سبق ــ ص ٥٩٤ .

وما أشد استجابة « مبارك » لهذه « الوسطية » فى التعبير الإعلامى ، فهو يقول « إننى قد أضع عامدا (بعض الألفاظ والتعابير) لغرض أرمى إليه ، هو إحياء بعض الألفاظ القديمة ، أو إيثار بعض الألفاظ الحديثة ، فاللغة لا تتهذب ولا تتطور إلا بأقلام الكتاب »[٨] .

ولاشك أن هذه المرونة الإعلامية أو السماحة التعبيرية هى التى « تمكن اللغة العربية من أن تكون لغة دولية بين أهل الشرق »[٩] .

٢ ـ النظرية الإعلامية :

وذلك أن كليهما صاحب نظرية فى الإعلام تتشابه مع نظرية صاحبه ، « فللجاحظ نظرية فى الإعلام تضارع النظريات الحديثة ، فهو يتحدث عن ضرورة تجسيد المعانى فى ألفاظ وإشارات ، وكلما كانت الدلالة عنده أوضح وأفصح ، وكانت الإشارات أبين وأنور كان أنفع وأنجع ، ومدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأى شىء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع »[١٠] .

ونحن نستخلص لمبارك نظرية تتفق ونظرية الجاحظ الإعلامية ، فهو يطالب بضرورة التناغم بين المرسل والمستقبل من خلال « عرض الآراء بأساليب هى الغاية فى الوضوح والجلاء »[١١] ، وأساس نظريته ـ فى التحرير الإعلامى ـ يقوم على حسن التوجيه « لأن الكتابة فن ، والفنون تتجه إلى الهدم كما تتجه إلى البناء ، وفن البناء يحتاج إلى سياسة عالية قوامها : إرسال النفس على سجيتها بعيدا عن التفصح الثقيل »[١٢] ، وعلى هذا فقد رأى زكى مبارك : « أن الشيخ على يوسف وصل إلى قمة البلاغة وليس فى كلامه نظم متكلف »[١٣] .

وهنا تبدو محافاة نظريته للنثر الذى يتكلفه الكتاب ، لأنه لا يصل إلى الأفهام ، وفى ذلك يقول « فأنا بصريح العبارة أتهم أهل التكلف وأراهم أطفالا فى دولة البيان ، فليست القوة فى اللفظة اللغوية التى يدلنا المجمع اللغوى على قبرها المجهول »[١٤] .

ومن ثم فإن « مبارك » و « الجاحظ » يعنيان بمطابقة كلام الإعلامى لمعانيه ، ويحثان على الملائمة بين الكلام والجمهور ، فمخاطبة الناس عندهما ـ بلا تكلف ـ أساس ضرورى فى الأدب الصحفى البليغ ، لذلك « يطلب إلى المتكلم إذا خاطب أوساط الناس ألا يرتفع عن

---

(٨) البلاغ : ١٢ نوفمبر ١٩٣٠ ، البدائع جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٩) الهلال : أول فبراير ١٩٣٩ ، مقال زكى مبارك « مستقبل الأدب العربى » .

(١٠) الإعلام الإسلامى ـ الأنجلو المصرية بالقاهرة ص ١٢٧ .

(١١) الرسالة : ٢٠ يناير ١٩٤١ ، مقال زكى مبارك « المختار للأستاذ البشرى » .

(١٢ ، ١٣) الرسالة : المرجع السابق .

(١٤) الرسالة : المرجع السابق .

مداركهم بما يورد عليهم من ألفاظ واصطلاحات حتى لا تنقطع الصلة بينه وبينهم ، وهذا ما يعبر عنه الإعلاميون المحدثون بضرورة أن يتحدث المرسل ضمن الإطار الدلالى للمستقبل وفى حدود نطاقه ليتم الاتصال بنجاح »[15] .

٣ ـ النشاط الصحفى :

لم تكن العصور السابقة قد عرفت المطبعة ، ولكنها كانت تعتمد على وسائل إعلامية لا تقل عن الصحيفة والمطبعة ، وكان من أخطر تلك الوسائل :

وسيلة : الكتاب

ووسيلة المناظرة ... كما هو معروف .

وعلى هاتين الوسيلتين اعتمد « الجاحظ » فى إخراج إعلامه الصحفى من آداب ومعارف وانتصار للمذهب الاعتزالى ، تماما كما اعتمد « زكى مبارك » على الجريدة والمجلة لنشر فنه الصحفى .

ومن ثم ، فإننا ننظر إلى رسائل الجاحظ ومناظراته على أنهما لون من النشاط الصحفى لا فرق بينه وبين الإعلام الصحفى « المباركى » إلا وجود المطبعة وما أدت إليه من انتشار الصحف على أوسع نطاق .

٤ ـ المدرسة العقلية :

فقد جمعت بينهما مدرسة واحدة فى التفكير هى : المدرسة التى تقوم على احترام العقل ، ولعل هذا ما دفع « ابن العميد » على القول بأن « كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانياً »[16] ، لما تحتويه من وضوح المنطق وقوة الاستدلال ، والقدرة على توليد المعانى .

وقد سلك « مبارك » منهج المدرسة الجاحظية فى تحكيم العقل واحترامه ، على أن تلمذته لهذه المدرسة قد عادت عليه بأجزل النفع ، إذ استطاع بها أن يوازن بين الدين والدنيا ، ويوفق بين المعقول والمنقول ، ويكفى أن تراجع « زالياته الأدبية » لتتراءى لنا معالمه العقلية المعتدلة من خلال أسلوبه الجدلى وطريقة نقاشه ومذهبه الإصلاحى .

فهو لا يهجم على مُنازِله برأيه فيلقيه إلقاء الآمر ، إنما يلقاه صديقا لطيفا ثم يأخذ بعقله ويدور معه محللا وناقداً ، يشركه معه فى البحث حتى يسلمه الرأى ناضجا ويلزمه به فى حذر بالغ ، ثم يتركه ويقف غير بعيد ، متحديا له ، أو ضاحكا منه ، وذلك فى عبارات قوية جزلة يطنب فيها حتى لا يفوته شىء ، ولا يخشى فى ذلك السآمة والملال ، متأثراً فى ذلك بالمدرسة الجاحظية فى

---

(١٥) الدكتور إبراهيم : الإعلام الإسلامى ص ١٢٥ .

(١٦) د. أحمد فريد الرفاعى : عصر المأمون ط ١ دار الكتب المصرية (١٩٢٧) ص ٤٢٦ .

التعبير ، و « هي مدرسة ذات خصائص فنية معروفة ، من أهمها : الإسهاب والاستطراد واتساع العبارة وجذب القارئ، وسحبه بلطف ومهارة »[١٧] .

وقد نص « مبارك » على احترامه لتلك المدرسة الجاحظية ، وبيّن سر تعلقه بها قائلاً : « أما أنا فأمثل مدرسة ثانية هي المدرسة التي تحكم العقل في كل شيء ، وتفرض على الباحث أن ينقد أولاً المصادر التي يعتمد عليها وتروضه على إدراك الفروق بين الأذواق والأحاسيس في مختلف العصور الأدبية ... على أن المدرسة التي أمثلها هي المدرسة التي توفق بين المعقول والمنقول »[١٨] ، ولا يفوت « مبارك » أن يغض من المدرسة النقلية بقوله : « أن المدرسة التي تعتمد على النقل وحده مدرسة ذات خطر في تكوين النشء الجديد من طلاب الآداب »[١٩] .

وفي ضوء ما تقدم نرى منهج « المدرسة العقلية » وقد جمع بين « الجاحظ ومبارك » ، وهو منهج له الفضل في ترويض العقول على فهم الواقع وترك ما درج عليه بعض المحافظين من التعلق بالأوهام .

حرية التفكير :

فقد بدا واضحاً أثر المنهج الاعتزالي[٢٠] في الإنتاج الفكري والعقلي والإعلامي للعصر الحديث ، غير أن هذا المنهج قد ترك بصماته بصفة خاصة على « زكي مبارك » حتى لنراه مسيطراً على حياته الفكرية والشخصية بشكل عام ، فالجاحظ « كان بُوقاً للمعتزلة أو بمعنى آخر جريدة مذهبية لهم » ، وقد مثل « مبارك » منهجهم في هذه الناحية خير تمثيل ، غير أن حرية التفكير الديني التي نهج بها « مبارك » قد دفعته إلى أن يعيش الحرية كما كان يعيشها « الجاحظ » .

فحرية في الدين جعلتهما يرتكزان على العقل والمنطق والاستدلال والاستنتاج وعدم الأخذ بالظاهر دون نظر إلى العلل والمسببات ، وحققت لهما التوازن بين العقل والنقل .

وحرية العلم : جعلتهما يستندان إلى العقل ويتجهان إلى البحث والتنقيب واختبار الفروض والمصادر التي يعتمدان عليها ، فهما يناقشان ويعارضان حتى لو كانت هذه الآراء للنظّام ـ أستاذ الجاحظ ـ أو لطه حسين أستاذ زكي مبارك .

---

(١٧) الدكتور عبد اللطيف حمزة : المدخل في فن التحرير الصحفي ـ دار الفكر العربي بالقاهرة (١٩٥٦) ص ١٢٨ .
(١٨ ، ١٩) البدائع جـ ٢ صفحات ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢٠) ليس معنى ذلك تفوق المنهج الاعتزالي برغم ما يصحبه من طنطنة ، إذ أنه اضطر أمام أدلة أهل السنة إلى التأويل ، وحسبك أن تلمح ذلك في تأويلهم قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ القيامة ٢٢ ، ٢٣ حيث ادعوا أن (إلى) جمع ، لا حرف جر ... ولقد تمّ المنهج الذي تبعه أهل السنة في إيراد الحديث الصحيح عن وعي نقدي سليم .

وحرية في اللغة : حملتها على إحياء بعض الألفاظ القديمة إلى جانب إيثار بعض الألفاظ الحديثة والعبارات الشائعة ، إرضاء للخاصة وتبسيطا للعامة ، حتى وصلا إليهما من أسهل الطرق وأيسرها .

وحرية في الأدب : حيث إليهما التخفف من قيود البديع ومحسناته اللفظية والأسلوبية ، وأفسحت لهما الكتابة بالطريقة التي تتفق وطبيعتهما السخية اللبقة التي تعودت الإتقان والإجادة في شتى فنون القول ، فيجدان ويهزلان ويسخران ويطنبان ما شاءت لهما براعتهما .

٦ ـ الواقعية في التعبير :

إذ بلغ من نقل كل منهما لواقع مجتمعه أنه كان مرآة صادقة لعصره ، فلقد « كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس في المجتمع ، وهو في الوقت نفسه غزير الإنتاج إلى درجة تلفت النظر ، وإنتاجه وثيق الصلة بالأفكار الشائعة في عصره ؛ بل هو صورة دقيقة لما يحيط به في تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات وتقاليد اجتماعية »(٢١) ، و « واقعية الجاحظ لا تقف عند تلك التفصيلات الدقيقة والظواهر الحسية ؛ بل تستند إلى تحليل نفسي واجتماعي وتصوير لبعض الأحاسيس والعواطف »(٢٢) .

وقد وصف « شوقي ضيف » مدى التفاعل بين « الجاحظ » وعصره بقوله « وكأنك بإزاء أشرطة سينمائية تعرض عليك كل ما في مدن العراق الكبيرة من صور الحياة في أشدها ترفا ونعيما ، وأشدها بؤسا وضنكا ، حتى لكأنما كتبه دائرة معارف لكل ما كان هناك من أزياء وعادات ومستوى معيشة وأخلاق »(٢٣) .

والواقع أن التسلسل التاريخي في مقالات « مبارك » شاهد على أن أدبه الصحفي من أدق المواد الوصفية في حياة المجتمع، فهو صحافة كاملة لعصره كما كان أدب الجاحظ، فقد استطاع « مبارك » أن ينقل واقع مجتمعه بكل ما له وما عليه ، وعندما اضطر ـ بسبب دراسته ـ أن يقيم بفرنسا مدة من الزمن ، نراه قد استثمر إقامته فيها وعكس بفنه الصحفي واقع المجتمع الفرنسي ، وحتى لا نقرر أحكاما غير مدعومة بالدليل نستطيع النظر إلى مقالاته التي كتبها عن الحياة في « باريس » ، ومنها :

ـ أنظمة الحكم الفرنسي في حياة الشعوب .... (٢٤)

ـ عيد الحرية في باريس .... (٢٥)

---

(٢١) دراسات في الفن الصحفي ص ٣٣ .

(٢٢) محمد المبارك : فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ ـ ط ٢ دار الفكر بدمشق (١٩٦٥) ص ٣٧ .

(٢٣) العصر العباسي الثاني ص ٥٩٣ .

(٢٤) البلاغ : ١٥ سبتمبر (١٩٣٣) .

(٢٥) البلاغ : ١٥ يوليه (١٩٣٣) .

- كيف يسامر الطلبة في المدارس الفرنسية .... (٢٦)
- البناتيون في باريس .... (٢٧)
- قهوة سوفليه .... (٢٨)
- التعليم في فرنسا .... (٢٩)

كما نستطيع النظر إلى المقالات التي نشرها في صحيفة واحدة ، وفي فترة زمنية محددة (١٩٣١ - ١٩٣٤) لنعرف مدى التصاقه بمجتمعه المصري ، ومنها :

- أخلاق الناس .... (٣٠)
- الشباب المصري بين التردد والإقدام .... (٣١)
- مكاتب الموظفين .... (٣٢)
- الأمم والحكومات .... (٣٣)
- المكتبة المصرية .... (٣٤)
- خطر يهدد الثقافة المصرية .... (٣٥)
- طه حسين بين البغي والعقوق .... (٣٦)

ومن هذه العناوين يتبين الخط البياني لانغماس « مبارك » في مجتمعه ، وهو لا يلجأ إلى الرمز في الكتابة بل يصرح بذكر المحاسن والعيوب ويرى ذلك أوضح للصورة ، وأبرز للفكرة وأقرب إلى الواقعية ، خاصة ، وأن منزعه التوجيه السليم والإرشاد القويم .

ومن ثم يصبح فنه الصحفي « ديمقراطيا » من حيث التفكير ومن حيث التعبير ، إذ أوقفه على خدمة الشعب والحكومة معا ، كما يصبح فنه الصحفي سجلا لكل ما يدور في مجتمعه ومرآة تنعكس عليها آراء المجتمع وأفكاره وحركاته وسكناته ، وكتابا نقرأ فيه أخباره ونعرف به آثاره .

٧ - فن الفكاهة :

فعقلية « مبارك » سليمة إلى أبعد الحدود ، ولا يغض منها أنها تجود بالمضحكات في كثير من الأحايين ، فقد كان لا يلجأ إلى المعابثة والمداعبة إلا إذا استشعر ملل القارىء على نحو ما كان

(٢٦) البلاغ : ١٢ نوفمبر (١٩٣٠) .
(٢٧) البلاغ : ١٩ أغسطس (١٩٣٣) .
(٢٨) البلاغ : ٢٨ يوليه (١٩٣٣) .
(٢٩) البلاغ : ٢٦ أكتوبر (١٩٣٠) .
(٣٠) البلاغ : ١٩ سبتمبر (١٩٣١) .
(٣١) البلاغ : ٢١ أكتوبر (١٩٣٣) .
(٣٢) البلاغ : ٩ ديسمبر (١٩٣٤) .
(٣٣) البلاغ : ٢٨ أكتوبر (١٩٣٣) .
(٣٤) البلاغ : ٢٥ سبتمبر (١٩٣٣) .
(٣٥) البلاغ : ٩ فبراير (١٩٣٣) .
(٣٦) البلاغ : ٢٣ نوفمبر (١٩٣٤) .

بفعل « الجاحظ » من قديم الزمان ، فقد « شاد الجاحظ مدرسة فكاهية لا تزال إلى يومنا الشاهد ذات طابع ، تأخذ منه المدارس الفكاهية الأخرى ، وتقوم على فنه وصلاحته »[٣٧] .

ويصور « الجاحظ » مذهبه في الفكاهة قائلا « وليس ينبغى لكتب الآداب أن تحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعانى الصعبة التى تستكد النفوس ... فلا بأس أن يكون الكتاب موشحا ببعض الهزل »[٣٨] ، كما يقول : « ولو استعمل الناس الرصانة في كل حال والجد في كل مقال لكان السفه خيرا له ... ولكن لكل شيء قدر ، ولكل حال شكل ، فالضحك في موضعه كالبكاء في موضعه »[٣٩] .

وقد طبق الجاحظ مذهبه على أسلوبه فكان يقصد الترويح والإضحاك ونشر المرح والدعابة إمتاعا لغيره ، لا سيما وهو يعرف أن النفس بطبيعتها ملول تسأم »[٤٠] ، وقد تأثر « مبارك » بمدرسة الجاحظ « الفكاهية ، فكان يسرد بمقالاته بعض النوادر والملح والفكاهات ، لا سيما وهو يعلم « أن الشعب المصرى شعب طرب وجزل وله افتنان في ضروب اللهو »[٤١] .

ومن طرائفه على سبيل المثال أنه أثناء زيارته لبعض أنحاء « العراق » رأى نباتا اسمه « المصحح » ـ الذى يذكر اسمه في مقدمات كتب البلاغة ـ فيقول « وقد بلغته تحيات الأساتذة في الأزهر الشريف »[٤٢] .

ولعل اتصاله بالوظائف الحكومية والمحافل الأدبية والسياسية كان له أكبر الأثر في تزكية روح الفكاهة لديه ، حتى أنه يؤلف النكتة تأليفا حين يعز عليه النقل .

وهذا ينطق بأن « مبارك » كان إذا تخوف ملل القارىء من متابعة مقاله الموسوعي « **الحديث ذو شجون** » خرج من جد إلى هزل قصد الترويح والدعابة ونشر المرح .

وفي تقديرنا أن « مبارك » في هذا الصدد لا يرقى إلى مستوى « الجاحظ » الذى عرف عنه فكاهته وأصبح سمة بارزة له ، وأكاد أعزو ذلك إلى اختلاف طبيعة الأدب في الفترة التى عاش فيها « الجاحظ » عن تلك الفترة التى احتوت « مبارك » واختلاف الظروف المحيطة بحياة كل منهما من ناحية أخرى ، فبينما كان « الجاحظ » يعيش مترفا وحبوا بمنح الخلفاء »[٤٣] ، والوزراء حيث كان يهديهم بعض مؤلفاته ، كان « مبارك » في أثارة من قيود الفقر والظلم والاضطهاد ، والتى كان له من غير شك فضل تحطيمها[*] .

ـ يتبع ـ

(٣٧) فتحى محمد معوض : الفكاهة عند الجاحظ ـ رسالة دكتوراه ـ (١٩٧٣) مودعة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ـ ص ٩ .

(٣٨) العصر العباسى الثانى ـ مرجع سبق ـ ص ٥٦٣ ، نقلا عن مجموعة رسائل الجاحظ ص ٢٦٦ .

(٣٩) المرجع السابق ، نقلا عن رسالة التربيع والتدوير ـ طبعة شارل بلات بدمشق ص ٥٣ .

(٤٠) فتحى محمد معوض : المرجع السابق ص ١٢ .

(٤١) البدائع ـ مرجع سبق ـ جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٤٢) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة تحليلية ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة ص ١٨٨ .

(٤٣) فن السخرية عند الجاحظ ـ مرجع سبق .

(*) هذا البحث خاضع للمناقشة ، ونشر طرحا لحرية النشر ... مجلة الأزهر .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

الرأى للشعب

فى صفحة الرأى للشعب بجريدة الأخبار الصادرة فى ٢٣ / ٣ / ١٩٩٧ . وهى صفحة أعدها تحرير الأخبار للآراء الوطنية التى تقدم جديدا يشارك فى مسئولية البناء الديمقراطى وسطور الآراء الحرة فى كل اتجاه فكرى يعمل من أجل مصر .

فى هذه الصفحة المعدة لأجل مصر كتب صاحب مقال « جبال الثلج المختفية » يقول أذكر ـ وأنا على متن طائرة مصر للطيران أن قائد الطائرة أخذ يذيع على الركاب والغالبية العظمى من الأجانب قال : ﴿ سُبْحَٰنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ ﴾ (سورة الزخرف)

ثم استمر يقرأ وما أذكره : « نعوذ بك من وعثاء السفر » .

ومرة أخرى ، ونحن نركب سيارة سياحية فاخرة ، وإذا بالسائق تركنا فى عرض الصحراء ـ ونحن فى غاية الإرهاق ليؤدى صلاة الظهر » .. الخ .

ماذا يقصد الكاتب :

إن كان احتجاجا على قائد الطائرة .. واحتجاجا على سائق السيارة ، يهدف من خلاله إلى منع الدعاء والصلاة فى مقاميهما هذين فإن مكان هذا الاحتجاج مسرح الواقعة نفسها ،

ليكون له مفعوله .. وليس صفحة الأخبار ، فإنها ليست أرض الحديث . وإنما أرضه نفس الطائرة مع توجيه الخطاب إلى القائد.. وكذلك مكان الصلاة أم كان هناك مانع ؟.. وما هو ..؟

وبما أن « الرأى للشعب » كما تحمل شارة الصفحة ، فليت الشعب يدلى برأيه فيما كتب .

واجبنا نحو الدعوة الإسلامية في العالم

ويرسل / الأستاذ الدكتور احمد شوق عرفة بمصر الجديدة هذه الكلمة يقول :

عقب إنهيار الاتحاد السوفيتي انفـــردت الولايات المتحدة بقيادة العالم بصفتها القوة العظمى . أخذ ساستها وقوادها العسكريون فى البحث عن العدو التالى الذى يمكن أن يهدد نفوذها وأمنها وثرواتها وحضارتها. خيل لهم جهلاً أو عن سوء نية أن الإسلام يمكن أن يكون هو هذا العدو . لم يعرفوا أن الإسلام دين سلام ودين سماحة يدعو إلى السلم وإلى التعاون فيما بين الأفراد والشعوب والدول لخير الإنسانية ولعمارة الأرض ، دين يحض على العدل وعلى التسامح ، دين يحض على الوئام يبغض البغى والعدوان وينهى عنهما ، بل انه يحاربهما ما استطاع إلى ذلك سبيلاً أو هم قد عرفوا عن الإسلام كل ذلك ولكنهم أقنعوا شعوبهم وأبناءهم عكس طبيعته ، وعمدوا إلى تأليف الكتب ودبجوا المقالات فى الصحف والمجلات فى وصف هذا الخطر. ولم يكتفوا بهذا بل عمدو إلى تشويه الإسلام ووصفه بما ليس فيه فيدخلون فيه أشياء ليست منه كما فعلوا بإدخال البهائية والأحمدية على أنها من الإسلام فى بعض كتبهم ومؤلفاتهم ، وحديثاً فى شبكة الانترنت ، ومن ثم وضعوا الخطط وبنوا استراتيجيتهم لدفع هذا العدو ودحره والانتصار عليه لإبقائه متقوقعاً منعزلاً لا صوت له ولا حس ولا فاعلية ، يحوطون حصار هذا الدين والدول التى تدين به .

إزاء هذه الهجمة الشرسة والمركزة فحقيق علينا ان نُعَرِّف العالم أجمع بالإسلام على حقيقته وأن نجعله متاحاً لبنى البشر أجمع فى شتى بقاع العالم . وللوصول إلى هذا الهدف السامى يجب تجميع الجهود وتركيزها فى نخبة من المسئولين والهيئات والجماعات والأفراد والعمل بكل الوسائل المتاحة لتعريف العالم بالإسلام ، يجب أن نقوم باختيار الكتب والمقالات التى تعرف بالإسلام تعريفا علميا صحيحا سلسا مبسطا وتأليف كتب حديثة لهذا الغرض ثم بعد تجميع هذه المؤلفات يمكن ترجمتها إلى اللغات المختلفة .

ويمكن نشر هذه المؤلفات بالطرق الآتية :

١ ـ طبع كتب ومجلات دورية تحتوي على هذه المؤلفات ، ثم توزيعها فى العالم حتى تكون متاحة لمن يبغى القراءة أو الدراسة أو الاطلاع مع وضع نسخ منها فى السفارات والقنصليات المصرية أو أى مكاتب حكومية بالخارج لتكون متاحة لرعايا هذه البلاد .

٢ ـ استغلال القنوات التليفزيونية والفضائية لبث الأحاديث الدينية ومعانى القرآن الكريم وقصص

من القرآن الكريم ومن التاريخ الإسلامي وكذلك التعريف بأوجه الحضارة الإسلامية .

٣ ـ استغلال شبكة الانترنت بإدخال المعلومات الصحيحة عن الإسلام .

٤ ـ لا يفوتنا أن نوصي مبعوثينا للدراسة بالخارج وموظفي سفاراتنا بوجوب التمسك بالدين الحنيف واتباع تعاليمه وإقامة شعائره مع تعريفهم بالشبهات التي يدعيها المستشرقون على الإسلام وكيف يقومون بالرد عليها . لقد انتشر الإسلام في آسيا وفي أفريقيا بواسطة التجار والبحارة فكانوا خير سفراء في بلاد هاتين القارتين .

إن ترجمة المؤلفات إلى اللغات الحية هي السبيل لتوصيل المعلومات عن الدين إلى الشعوب الأخرى والتعريف به . كما فعل أجدادنا من قبل أقاموا دار الحكمة حيث قاموا بترجمة مؤلفات العالم في العلوم والفنون من اللغات السائدة في هذا الوقت إلى اللغة العربية ، فإن من واجبنا الآن أن نقوم بانشاء دار حكمة جديدة لنقوم بترجمة الكتب والمقالات والبرامج المختارة إلى اللغات الحية والعالمية حتى نبلغها إلى العالم أجمع بلغاتهم ؛ ليعلم الناس حقيقة الدين وسماحته ، وأنه دين سلام وأمن لا دين حرب واعتداء ، وأنه دين حضارة وتقدم ، لا دين تخلف وتأخر ، ومن يدري فقد نكسب إخوة لنا هنا وهناك يسبحون بحمد ربهم .

سنغافورة درة الشرق الأقصى وأحد النمور الآسيوية

وأرسل إلينا أحد القراء من سنغافورة هذه الكلمة :

سنغافورة دولة غنية ذات موقع متميز :

تقدر مساحتها بـ ٦٠٠ كم٢ وتقع في جنوب شرق آسيا وتبعد ١٤٠ كم شمالا من خط الاستواء، وتحدها من الشمال شبه جزيرة الملايو ، وتتصل بها عن طريق جسر طويل، وشرقا ماليزيا وكلمنته ، وجنوبا سومطرة وجاوة .

وقد استطاع أبناؤها ان يستثمروا موقعها ، لتصبح أهم ميناء للشحن والتفريغ ومركزا متميزا للحركة التجارية والمواصلات .

وقد كان لتفاعل الحضارات المختلفة من إسلامية وهندية أثر فعال في وضع أسس سليمة وقوية في بناء سنغافورة الحديثة لتصبح أحد النمور الآسيوية في ثلاثين عاما بدلا من ثلاثة قرون .

وفي ٩ من أغسطس ١٩٦٥ أصبحت سنغافورة دولة حرة مستقلة ذات سيادة ، وانضمت إلى الأمم المتحدة في ١٩٦٥/٩/٢١

وفي ٢٢ ديسمبر ١٩٦٥ أصبحت جمهورية وانتخب السيد / يوسف إسحاق (المسلم) أول رئيس لها وقد تضاعف عدد سكان سنغافورة من ألفي شخص تقريبا في عام ١٨١٩ إلى ٢,٤ مليون نسمة عام ١٩٨٣ ليصبح العدد الآن ٣,٢ مليون نسمة ومتوسط دخل الفرد حوالي ١٠,٠٦١ دولار سنغافوري أي بما يعادل ٧٠٠٠ دولار أمريكي وهذا يعني ارتفاع مستوى معيشة الفرد فيها .

وهذا نتيجة تقدمها حضاريا واقتصاديا وعمرانياً وسياحياً .

مما يجعلها على قدم المساواة مع دول الشمال الصناعية الفنية فهى معجزة العصر التى ارتفعت هامتها إلى السماء فى أقل من ثلاثين عاماً .

وقد تمكنت سنغافورة من تحقيق هذه المعجزة بالعمل الدءوب والجد المتواصل وتكاتف أبنائها بجنسياتهم المختلفة فى تناسق رائع وتكافؤ تام بين الأفراد والحكام .

الإسلام فى سنغافورة

انتشر الإسلام فى منطقة الملايو، سنغافورة وإندونيسيا ، وجزر الفلبين وماليزيا على أيدى الحضارمة من العرب الذين جاءوا عن طريق الهند، وذلك بين القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى بحيث أصبح المسلمون حينئذ هم الغالبية العظمى .

وفى عام ١٨١٩ مع دخول الاستعمار البريطانى دخلت ديانات أخرى غير سماوية ونتيجة لهذا فقد أصبح المسلمون يكونون ١٦٪ فقط .

وللمسلمين فى سنغافورة العديد من الأجهزة التى تهتم بشئونهم منها :

١ ـ المجلس الإسلامى الذى يتولى شئون المسلمين .

٢ ـ المفتى .

٣ ـ مكتب عقد الزواج للمسلمين .

٤ ـ إدارة التعليم العربى الإسلامى .

٥ ـ إدارة شئون الحج وإدارة الدعوة والمساجد ويشرف المجلس على ٤٨ مسجداً .

ويعتنى المجلس الإسلامى بحديثى العهد بالإسلام الذين بلغوا حوالى (٣٠٠٠) فرد ويشارك فى تقديم بعض الخدمات إلى المسلمين الجدد جمعية الدعوة الإسلامية .

ومن أهم إنجازات المجلس الإسلامى وأعظمها إنشاء صندوق الزكاة وصندوق بناء المساجد وقد تمكن المسلمون من إعادة بناء مساجدهم على أحدث الطرز المعمارية بفضل الله ومساهمة المحسنين وتبرعات الموظفين والعمال المسلمين بما قيمته ٢٥٠,٠٠٠ دولار أمريكى شهرياً .

فالمسجد الآن فى سنغافورة ليس مكانا للعبادة فقط بل يساهم مساهمة فعالة فى تلبية احتياجات المسلمين ، بل أصبح منارة علمية تنشر النور والأمل والبسمة .

وفى حركة التجديد الشاملة التى تقوم بها الحكومة فى إعادة تحديث المبانى القديمة وتجميلها لكى تتناسب مع التقدم تم تحديث المساجد القديمة .

وقد حظى المسلمون فى مناطقهم الجديدة بتخصيص الحكومة قطعة أرض فى كل منطقة لبناء مسجد ومجمع إسلامى حديث متطور يفى بتقديم جميع الخدمات .

وتساعد الحكومة المجلس الإسلامى فى جمع التبرعات ، وبما أن تحضر الدول ورقيها يتوقف إلى حد بعيد على ارتفاع مستوى مواطنيها علمياً واقتصادياً مثل مؤسسة مندالحى التى يتولى وزير شئون المسلمين والبيئة الأشراف عليها .

ومندالحى مؤلفه من عشر جمعيات إسلامياً .

١ ـ مجلس (قوسة) ـ الملايو .

٢ ـ جمعية تثقيف الشباب السنغافورى المسلم .

٣ ـ جمعية الشباب المسلمين .

٤ ـ الجمعية الأدبية للشبان المسلمين والشابات المسلمات .

٥ ـ جمعية طلاب الدين الإسلامى .

٦ ـ المؤسسة الإسلامية للمنح الدراسية .

٧ ـ الغرفة التجارية الملاوية .

٨ ـ جمعية مدرسى الملايو .

٩ ـ المركز الأدبى للشبان المسلمين .

١٠ ـ جمعية مدرسى الدين الإسلامى بسنغافورة .

ولعل أعظم تغيير فى المجال العلمى والجدير بالاعتبار هو ازدياد عدد النساء الملاويات اللاتى يقبلن على الدراسة الحديثة بحيث ازدادت نسبة الحاصلات على شهادات جامعية بنسبة ٣٥,٥٦٪ .

ومازال هناك الكثير مما يجب القيام به لرفع المستوى التعليمى للمسلمين ، وخاصة للملاويين السنغافوريين حتى يصلوا إلى المستوى المطلوب ويسهموا بفاعلية كبيرة فى تقدم ورقى سنغافورة .

من إبداعات القراء

مولد الهادى

ولد الرسول محمد وضاء · فالنور عم الكون والأحياء
جاء الذى من أجله ولفضله · رحم الإله الخلق والأحياء
أنت البشير لكل عبد طائع · يخشى الجزاء ويرحم الضعفاء

م. صلاح رشاد حبيب عبدالمطلب
كفر السيد ـ منوفية

ورد الى مجلة الأزهر كتاب بعنوان « مدح العدل وذم الظلم » تأليف أبى هلال العسكرى . تحقيق يوسف عبدالوهاب ، وليس لدى إدارة التحرير بالمجلة معلومات شافية عن الأستاذ المحقق ، نرجو الاتصال بالمجلة فى أقرب فرصة لتدويدها بالمعلومات .

القارىء محمد منصور الدفراوى

مقال سيادتكم جيد ، نرجو مراجعة مقالك مراجعة دقيقة فيبدو أن إسراعكم فى الكتابة تسبب فى إلحاق نقص فيما دونت من نصوص . ونحن فى انتظار المقال مرة أخرى .

إلى القارىء الأستاذ : إبراهيم عبدالوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة .

لم تذكر سيادتكم منهجكم فى إحصاء كلمات القرآن الكريم ، وماذا فعلتم سيادتكم فى كلمة نحو « ليوسف » هل اعتبرتموها كلمة أم كلمتين؟ ومثل كلمة « ولنذيقنهم » .. وكلمة

« فسيكفيكهم » وغيرها من الكلمات القرآنية المعجزة.. نرجو توضيح هذا الأمر حتى يمكن النظر فى النشر .

القارىء : محمد أحمد جمعة السحرى

المحلة الكبرى - الغربية

نشكر لكم اهتمامكم بالمجلة ، وإشادتكم بما يعرض بها من موضوعات ذكرت منها : «الأصولية الإسلامية فى الأعلام الغربى» للدكتورة ألفت حسن أغا عرض الأستاذ عثمان الجوهرى لما فى الموضوع من تبصرة للشباب المسلم بكيفية الدفاع عن إسلامه ودفع خطر أجهزة الاعلام الغربى .

القارىء : محمد عبدالمعطى ثعلب

ساحل طهطا

وصلتنـا رسالتكـم ، بعنـوان « من هدى الرسول » - صلى الله عليه وسلم وهى رسالة جيدة لم يحجب نشرها سوى عدم ذكر المرجع الذى اعتمدت عليه .

كتاب لم يتناولوا مكافآتهم

ورد إلى مجلة الأزهر من حسابات مجمع البحوث الإسلامية أسماء كتاب لهم مكافـآت بإدارة الحسابات ليتخذوا إجراءات صرفها .

١ - ورثة الأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى .
٢ - الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى .
٣ - الأستاذ القاغ بن محمد ولد الشياق
٤ - الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى .
٥ - ورثة الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال .
٦ - الأستاذ الدكتور صفوت حسن لطفى .
٧ - الأستاذ السيد صديق حافظ
٨ - الأستاذ محمد كمال الدين إمام .
٩ - الأستاذ إبراهيم محمد عيسى .
١٠ - د . كارم السيد غنيم .
١١ - الأستاذ أحمد عبدالفتاح عبدالمعطى .
١٢ - الأستاذ عبدالباسط محمد سعد .
١٣ - الأستاذ محمود أحمد عبدالجواد .
١٤ - د . فاطمة عمر نصيف .
١٥ - الأستاذ عبدالستار محمد أحمد سليم .
١٦ - د . رقية محمود جبر .
١٧ - د . محمد عبدالوهاب عبداللطيف .
١٨ - الأستاذ نبيل صلاح محمد العربى .
١٩ - الأستاذة نجاة شاور ربيع .
٢٠ - الأستاذ محمد فتحى عبدالصادق .
٢١ - د . محمود سالم الخطيب .
٢٢ - د. مها يسرى التاجورى .
٢٣ - الأستاذ أحمد السيد حطيبة .
٢٤ - د . إبراهيم الدسوقى محمد .
٢٥ - د . رمضان حافظ السيوطى .
٢٦ - د . جعفر عبدالسلام على .
٢٧ - د . عبدالغنى محمد شامة .
٢٨ - الأستاذ عبدالفتاح إبراهيم سلامة .
٢٩ - الأستاذ محمد فخرالدين القعقاع .
٣٠ - الشيخ عبدالعزيز عبدالله بن باز .
٣١ - د . نبيل عبدالسلام هارون .
٣٢ - الشيخ يوسف محمد الأبنودى .
٣٣ - الأستاذ محمد فريد عبدالخالق .
٣٤ - الأستاذ د./ خالد محمد إبراهيم سالم .
٣٥ - الأستاذ محمد عبدالصمد مهنا .



٣٦ – ورثة المرحوم محمد أبوالفضل إبراهيم .
٣٧ – الأستاذ محمد عبدالمحسن التفاوى .
٣٨ – الأستاذ د./ عبدالفتاح أبوسنة .
٣٩ – فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين .
٤٠ – الأستاذ البسيوى كنعان سليمان .
٤١ – الأستاذ عصام الغزالى محمد .
٤٢ – د . ربيع محمد صادومة .
٤٣ – د . عبدالغفار محمد الدلاش .
٤٤ – د . محمد رياض السيد كريم .
٤٥ – د . أحمد شوق عرفة .
٤٦ – الشيخ أبويحيى زكريا سعيد .
٤٧ – الشيخ عبدالغنى أحمد ناجى .
٤٨ – د . أحمد رجائى عبدالحميد .

وعلى السادة الكتاب السابق ذكرهم الاتصال مباشرة بالسيد مدير الشئون المالية والإدارية بمجمع البحوث الإسلامية ، لاتخاذ ما يلزم نحو صرف مستحقاتهم .

(تنويه)

إلحاقاً بالدراسة التى نشرتها « مجلة الأزهر » فى العدد الماضى عن : نشاط « مجمع البحوث الإسلامية » وإنجازاته ، بقلم الدكتور / محمد عبدالحكيم محمد ، ننوه بأنه قد سقط من الطبع – عند الإشارة إلى إدارات المجمع – إدارة « لجنة الفتوى » بالأزهر الشريف ، وفى النية إن شاء الله – تعالى – تقديم عدة مقالات تكشف عن عمل كل إدارة ودورها التى تضطلع به فى خدمة رسالة المجمع بالأزهر .

كما أننا ننوه بأنه كان من الشخصيات الجليلة التى تولت أمانة المجمع عبر تاريخه الممتد ، فضيلة الأستاذ الدكتور/عبدالفتاح عبدالله بركة ، وكان ذلك بين عامى (١٩٨٦ – ١٩٨٨ م) أمد الله – تعالى – فى عمره ونفع به .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

نشر بالعدد الماضى « ذى القعدة » ١٤١٧ هـ موضوع إبداع الشعراء ولم يذكر اسم الكاتب وهو : الفريق يحيى عبدالله المعلمى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فلزم التنويه .

محبة الهادى

للشاعر :محمد أحمد المعاصرنى (*)

يافـــؤادى ، هذه حجـــ ـــةُ طه تهلّـــل
تم فيها وحـــىُ ربّ عـــه كلُّ الكـــون دلّـــل
وسما فيها كتـــابٌ ظلّ يُتلـــى ويُرتّـــل

• • •

أيها الهادى ، فؤادى مَعْ وادى النيـــل هلّـــل
ياحبيبـــى كُنْ نصيبـــى يتكّـــز القـــلبُ وينهـــل
ياطبيبـــى هاك طبـــى خُذْهُ طيّبـــه لأرحـــل
وادع ربى أن على دعـــوة القـــلب المكبـــل
يا صفـــىَّ الله .. روحـــى من أحاديـــثك تثمـــل !!
فهـــى ورد وهـــى عهـــد وهـــى للأكـــوان مشعـــل

(استـــدراك)

الحديث الشريف الوارد بافتاحية ذى القعدة : « الشهادة للوحدانية » ص ١٥٧٩ نصه الآتى :

البخارى : والأنبياء أولاد علّات ـ ٢ / ٢٢٠ المطبعة الوهبية .

الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ـ نفس المطبعة ٢ / ٢٢٠ .

مسلم : نفس النص الأول دون واو العطف ـ الحديث رقم ٢٣٦٥ .

وآخر : الأنبياء أبناء علات .

والحديث الذى أورده الكاتب فى المقال مأخوذ بنصه الآتى :

« الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » ص ٦٠٨ التفسير الوسيط وللحديث الشريف روايات أخر ، فمن رواته أيضاً أبو داود ، والإمام أحمد .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقدير الأستاذين / عمر البسطويسي
مصطفى عبد المجيد

زيارة رئيس جمهورية النيجر للإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فخامة الرئيس إبراهيم ساربارى رئيس جمهورية النيجر والوفد المرافق لسيادته ، وقد رافقه أثناء الزيارة الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة ورئيس بعثة الشرف المرافقة للضيف أثناء زيارته لجمهورية مصر العربية .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بضيف مصر الكبير والوفد المرافق لسيادته ، ثم تناول اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة النيجر فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية . أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر الشريف يفتح قلبه وعقله ومعاهده العلمية لأبناء دولة النيجر مشيراً فى هذا الصدد إلى أعداد الطلاب التى بلغت حوالى (١١١) (مائة وأحد عشر طالباً) يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته على منحه التى يقدمها لأبناء العالم الإسلامى ، ومشيراً كذلك إلى بعثة الأزهر الشريف الموفدة إلى النيجر والتى تضم أكثر من أربعين عالماً ومبعوثاً يقومون بنشر الثقافة والدعوة الإسلامية فى ربوع النيجر ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على حرص الأزهر الشريف على توثيق عرى التعاون مع دولة النيجر . كذلك تم بحث زيادة عدد المنح المقدمة من الأزهر الشريف لأبناء دولة النيجر .

وقد أعرب الرئيس إبراهيم ساربارى عن تقديره العميق واحترامه الكبير للأزهر الشريف ودوره البارز فى خدمة الأمة الإسلامية ، وقضايا الأمة كلها .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

.. ورئيس وزراء البوسنة والهرسك

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء ١٦ من ذى القعدة ١٤١٧هـ ٢٥ مارس ١٩٩٧م الدكتور حارث سيلاجيتش رئيس وزراء البوسنة والهرسك والوفد

المرافق لسيادته بصحبة بعثة الشرف المصرية برئاسة الأستاذ الدكتور أحمد جويلي وزير التموين والتجارة الخارجية المصرى .

تم خلال اللقاء بحث مجالات التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية البوسنة والهرسك دينيا وثقافيا وعلميا .

قال فضيلة الإمام : إن مصر دولة الأزهر الشريف تكن لدولة البوسنة والهرسك حكومة وشعباً كل حب وتقدير مقدرة وداعمة لكفاحها المجيد ضد مجرمى الصرب دعاة العنصرية والحرب أعداء الإنسانية والسلام .

وقد أعرب السيد رئيس وزراء البوسنة عن تقديره واحترامه لمصر وأزهرها الشريف وتقدير حكومته للموقف الرائد والداعم لدولة البوسنة والهرسك ، فمصر بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك خير مناصر وداع للسلام ، وخير نصير لنا فى الماضى والحاضر والمستقبل .

وقد وجه السيد رئيس الوزراء دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة البوسنة والهرسك، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية الدعوة فى أقرب فرصة .

- وسفير السنغال بمصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٤ من ذى القعدة ١٤١٧ هـ / ٢٣ مارس ١٩٩٧ م السيد المستشار حسن بشير ضيوف سفير السنغال بالقاهرة . تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر الشريف ودولة السنغال .

كذلك تم بحث إنشاء معهد أزهرى بالسنغال يقوم الأزهر الشريف بالإشراف عليه وإمداده بالمناهج العلمية والخطط الدراسية والأساتذة العلماء فى إطار الاتفاقية الثقافية بين الأزهر الشريف ودولة السنغال التى تمت أثناء زيارة الإمام الأكبر الراحل للسنغال .

وفى نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على زيارته، ووعد فضيلته بتنفيذ كافة الاتفاقات المبرمة بين الأزهر ودولة السنغال والعمل على دعم تلك الاتفاقات مؤكداً أن الأزهر الشريف لن يدخر وسعاً فى مد يد العون لكافة الدول العربية والإسلامية والإفريقية .

وسفير الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد السفير كنوال سيبال سفير الهند بالقاهرة صباح يوم الأحد الموافق ١٤ من ذى القعدة ١٤١٧ هـ / ٢٣ مارس ١٩٩٧م .

دار الحديث حول نتائج زيارة فضيلة الإمام الأكبر لدولة الهند فى أكتوبر ١٩٩٦م والدور الهام الذى يضطلع به الأزهر الشريف فى خدمة الدعوة الإسلامية فى شتى بقاع الأرض .

كذلك تم استعراض الترتيبات النهائية لافتتاح معرض الكتب والإصدارات الهندية باللغة الإنجليزية المزمع إقامته بجامعة الأزهر الشريف صباح يوم الإثنين الموافق ١٦ من ذى القعدة ١٤١٧ هـ ٢٥ مارس ١٩٩٧م والذى سيشرفه بالحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

فى نهاية اللقاء قدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر شكره وشكر بلاده وتمنيه للعلاقات الثقافية



والدينية التي تربط الأزهر والهند دوام التقدم والازدهار .

.. وفد جمعية الدعوة الإسلامية في غينيا كوناكري

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الاثنين ٢٢ من ذي القعدة ١٤١٧هـ ٣١ مارس ١٩٩٧م وفد جمعية الدعوة الإسلامية في « غينيا كوناكري » برئاسة الشيخ القاسم السيسي رئيس الجمعية .

دار الحديث خلال هذا اللقاء حول الدور البارز للأزهر الشريف في العالم أجمع مع تقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر لاختياره شيخا للأزهر الشريف .

طالب رئيس الجمعية بزيادة المنح الدراسية لطلاب « غينيا كوناكري » للدراسة بالأزهر ودعم البعثة الأزهرية بالعلماء وتزويدهم بالكتب والمراجع العلمية للأستعانة بها في نشر الدعوة والثقافة الإسلامية بغينيا كوناكري .

في نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر أفراد الوفد على تهنئتهم ووعدهم بدراسة مطالبهم وبحث إمكانية تنفيذها .

فرع جديد لجامعة الأزهر بقنا

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر وفضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، بزيارة لمحافظة قنا حيث كان في استقبال الضيوف السيد اللواء صفوت شاكر محافظ قنا .

قام فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق لفضيلته بافتتاح كلية الهندسة التابعة لجامعة الأزهر التي تعد نواة لفرع الجامعة بمحافظة قنا .

تأتي هذه الزيارة في إطار احتفال المحافظة بعيدها القومي الذي تم خلاله افتتاح العديد من المشروعات التنموية والخدمية لأبناء المحافظة .

شهد فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق لفضيلته مؤتمراً للدعاة ، أكد فيه فضيلته على : أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات كبيرة تستوجب لمّ الشمل العرقي الإسلامي لمواجهة المتطفلين على الدعوة الإسلامية الذين يسعون لخرابها وتدميرها لا إلى وحدتها وتقدمها .

وأضاف فضيلته أن الفتوى بغير علم تعد من علامات الساعة ، وأنه يجب مواجهة هؤلاء لأنهم يسيئون للإسلام والمسلمين .

شيخ الأزهر وممثلوا الجمعيات الأهلية

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة المؤتمرات الكبرى بالأزهر وجمعاً غفيراً من ممثلي الجمعيات الأهلية الدينية بمناسبة تنظيم رحلات الحج لهذا العام . حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف وأجاب عن كافة الاستفسارات المتعلقة بمناسك الحج والعمرة حتى يكون الحجاج

على دراية وعلم بتلك المناسك فتؤدى صحيحة على ما جاء بكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أكد فضيلته ـ أثناء اللقاء ـ على ضرورة التمسك بتوحيد الفتوى ليكون مصدرها واحداً ، فلا يقع بين الحجيج اضطراب .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور عبدالرحمن العدوى وفضيلة الشيخ محمد عبدالرحمن الراوى أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ولفيف من علماء الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف .

توديــع أول فــوج من حجــاج القــرعة

● قام فضيلة الإمام الأكبر صباح الأحد الموافق ٢١ من ذى القعدة ١٤١٧هـ ٣٠ مارس ١٩٩٧م يرافقه الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف والسيد اللواء حسن الألفى وفضيلة مفتى الجمهورية بوداع أول فوج من حجاج القرعة بالبواخر من ميناء السويس .

وقد ألقى فضيلته كلمة عن أهمية الحج كفريضة على المسلم ، وأوضح شيئاً من المناسك الصحيحة للحج وأشار إلى أنه قد تقرر تخصيص ٤٥ واعظا لإرشاد حجاج القرعة بالأراضى المقدسة .

كما أهدى فضيلة الإمام الأكبر كتاباً عن مناسك الحج والعمرة لكل مسافر ليهتدى به فى أداء الفريضة .

تحديـــد موعـــد

الامتحانات بالمعاهد .

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على تحديد موعد امتحانات النقل والشهادات الأزهرية على اختلاف أنواعها للدورين الأول والثانى ومسابقة القبول لمعاهد القراءات بالمعاهد الأزهرية للعام الدراسى ١٩٩٧/٩٦ على النحو التالى :

أولا ـ امتحانات النقل :

١ ـ المعاهد الابتدائية الأزهرية : دور أول ١٠ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٦ أغسطس ١٩٩٧ .

٢ ـ المعاهد الإعدادية الأزهرية والصف الأول تجويد : دور أول ٣ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٢ يوليو ١٩٩٧ .

٣ ـ المعاهد الثانوية الأزهريــة والقــراءات والمعلمين : دور أول ٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٣ يوليو ١٩٩٧ .

٤ ـ النقل الإعدادى لمعاهد البعوث الإسلامية : دور أول ٣ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٢ يوليو ١٩٩٧ .

٥ ـ النقل الثانوى لمعاهد البعوث الإسلامية : دور أول ٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٣ يوليو ١٩٩٧ .

ثانياً ـ امتحانات الشهادات الأزهرية :

١ ـ الشهادة الابتدائية : دور أول ٢٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ٢٦ يوليو ١٩٩٧ .

٢ ـ الشهادة الإعدادية والثانوية والقراءات والمعلمين : دور أول ٧ يونيو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٦ أغسطس ١٩٩٧ .

٣ ـ الشهادة الإعدادية لمعاهد البعوث : دور أول ٢٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ٣٠ أغسطس ١٩٩٧ .

٤ ـ الشهادة الثانوية لمعاهد البعوث : دور أول ٢١ يونيو ١٩٩٧ .. دور ثان ٣٠ أغسطس ١٩٩٧ .

ثالثاً ـ امتحانات مسابقة القبول لمعاهد القراءات : السبت ٦ سبتمبر ١٩٩٧ . وذلك فيما عدا الجمع تستمر جميع الامتحانات السابقة في أيام العطلات الرسمية إذا ما اعترضت سيرها .

تشكيل هيئة إشراف على امتحانات الأزهر :

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قراراً بتشكيل هيئة الأشراف ولجان المراقبة لامتحانات الشهادات الأزهرية لتكون على النحو التالي :

● تكون هيئة الإشراف على أعمال امتحانات الشهادات الأزهرية تحت الإشراف العام لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

● تشمل الهيئة كلا من فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر مساعدا للمشرف العام .

● فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهر رئيسا عاما لجميع الشهادات .

● فضيلة الشيخ أحمد على الصغير وكيل قطاع المعاهد الأزهرية مساعدا للرئيس العام .

● فضيلة الشيخ فؤاد محمد البرعي وكيل قطاع المعاهد الأزهرية رئيسا للشهادة الثانوية .

● فضيلة الشيخ على محمد فتح الله وكيل قطاع المعاهد الأزهرية رئيسا للشهادة الإعدادية .

● فضيلة الشيخ محمد عبدالسميع شبانة مدير عام التعليم النوعي بقطاع المعاهد رئيسا لدبلوم المعلمين .

● فضيلة الشيخ متولى معوض مليجى مدير عام التعليم الإعدادى بقطاع المعاهد رئيسا لشهادات القراءات .

● فضيلة الشيخ عبدالفتاح عبدالخالق راجح مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية رئيسا لشهادات معاهد البعوث .

● فضيلة الشيخ محمد ابراهيم خفاجى مدير عام التعليم الإبتدائى بقطاع المعاهد رئيسا للشهادة الإبتدائية .

هذا وقد تضمن القرار أسماء السادة مساعدى رؤساء الشهادات والسادة رؤساء لجان النظام والمراقبة بكل شهادة .



كذلك أصدر فضيلته قراراً بتجديد عضوية كل من :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

٢ ـ السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم جميل مصطفى بدران عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٣ ـ فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى عبدالحميد عضو مجمع البحوث الإسلامية .

كأعضاء بالمجلس الأعلى للأزهر ممثلين لمجمع البحوث الإسلامية لمدة عامين اعتباراً من ٩٧/٢/٢٧ وهو تاريخ انعقاد مجلس المجمع .

● دورة للدعاة :

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إقامة الدورة التدريبية السابعة والثلاثين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر فى الفترة من ١٩٩٧/٥/١ وحتى ١٩٩٧/٧/٣١ ، تضم الدورة عدد (٢٢) إماما وواعظا يمثلون دول (السنغال - النيجر - باكستان - البرتغال - الصومال) .

عـلاوة تشجيعية للعـاملين بالأزهـر

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على منح العلاوة التشجيعية للسادة العاملين بالأزهر لعدد ١٤٤٦٢ بمختلف المجموعات النوعية حيث جاءت على النحو التالى :

٧٣٣٠ الكادر التخصصى بجميع الدرجات ومجموعاتها النوعية .

٣٣٢٧ الكادر الفنى المتوسط بجميع الدرجات ومجموعاتها النوعية .

١٦٨٠ الكادر المكتبى ، جميع الدرجات والكتبة غير المؤهلين .

٢١٢٥ الكادر العمالى ، جميع الدرجات .

وقد تم منح هذه العلاوات لمستحقيها وفقاً للضوابط المحددة فى هذا الشأن بما يحقق العدالة بين العاملين بمختلف قطاعات الأزهر الشريف .

- من ناحية أخرى اعتمدت منطقة المنيا الأزهرية أكبر حركة ترقيات للعاملين بمختلف معاهد المنطقة حيث شملت الحركة ترقية (٦٢٤) من المعلمين والوكلاء والنظار وشيوخ المعاهد والموجهين ورؤساء الأقسام منهم ٣٢١ للمرحلة الابتدائية و١٥٤ للمرحلة الاعدادية و١٤٩ للمرحلة الثانوية .

● مؤتمر البيئة :

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مؤتمر البيئة والتنمية الدولى الذى نظمته كلية العلوم - جامعة الأزهر - برعاية الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

ألقى فضيلته كلمة أكد فيها أن الأديان السماوية جميعها تأمر بنشر العلم والتعمق فيه ، وأن فضيلة العلم على رأس الفضائل التى ميز الله بها الإنسان على غيره مشيراً إلى أن الأمم ترق وتتقدم بالعلم عندما يتكاتف أبناؤها . كل فى مجال تخصصه . مؤكداً أن الذين يخدمون أممهم عن طريق العلم لا يقلون فى المنزلة عن الذين يخدمون أممهم فى ساحة القتال دفاعاً عن أوطانهم ومقدساتهم .

وأكد فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أن المؤتمر جاء تحقيقا لخطة علمية لفتح قنوات العلم ومد جسور التواصل بين الأزهر الشريف وسائر الجامعات العلمية فى مصر .

مؤتمر الأوضاع القانونية والاقتصادية للعمال :

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم والسيد أحمد العماوى وزير القوى العاملة « مؤتمر الأوضاع القانونية والاقتصادية » للعمال الذى تنظمه جامعة المنصورة برئاسة الدكتور أحمد أمين حمزة .

وفى كلمته أمام المؤتمر أكد شيخ الأزهر على أن الفتوى تكون فى الأمور التى تقبل التغيير مع الزمان والمكان والأحوال ماعدا الثوابت الراسخة والتكاليف الشرعية التى ثبتت بالقرآن الكريم .

وأعلن وزير التعليم أن الأوضاع القانونية والاقتصادية تمثل تحديا خطيرا لكل المجتمعات ، وطالب سيادته بتحقيق التوازن الاجتماعى لمواجهة التأثير « التكنولوجى » المتقدم على فرص العمل بآثارها النفسية والاجتماعية .

وأوضح سيادته أن هذا العام هو عام تطوير المناهج الجامعية لتكون أكثر قدرة على التعامل مع المتغيرات الجديدة وآليات السوق ومتطلبات العصر .

مؤتمر شعبى بالجامع الأزهر

شهدت ساحة الجامع الأزهر الشريف عقب صلاة الجمعة يوم ١٢ من ذى القعدة ١٤١٧هـ/ ٢١ مارس ١٩٩٧م مؤتمرا شعبيا حضره فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور وزير الأوقاف والسادة إبراهيم شكرى وخالد محيى الدين ومصطفى كامل مراد وضياء الدين داود .

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى بداية المؤتمر أن المسلمين جميعا لا يوافقون على أهداف إسرائيل الاستيطانية ، مشيرا الى ضرورة التصدى لتلك الممارسات الاستفزازية فى بناء المستوطنات ، ووجه فضيلته فى الخطبة التى ألقاها فى صلاة الجمعة إلى ضرورة تكاتف طوائف الأمة الإسلامية والعربية ومقاطعة العدو الصهيونى وأعوانه .

ودعا فضيلته لاتخاذ رد فعل قوى تجاه إسرائيل دفاعا عن القدس الشريف والمسجد الأقصى ومساندة إخواننا الفلسطينيين .

ووجه فضيلته الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله حفاظا على كرامة المسلمين والعرب والمقدسات الدينية . مشيرا إلى أن المسلمين على استعداد للتضحية بالنفس والروح من أجل القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وافقت لجنة الجهود غير العادية فى اجتماعها الثالث للعام المالى ٩٦/١٩٩٧ برئاسة فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر على الدراسة المقترحة بزيادة الحوافز الشهرية للعاملين بالأزهر الشريف وفقا للضوابط المعمول بها فى صرف الحوافز للعاملين بالأزهر بقرار شيخ الأزهر رقم ٣٥٩ لسنة ١٩٨٤ والقرارات المعدلة له وفى حدود الاعتمادات المالية المدرجة فى موازنة الأزهر وذلك على النحو التالى :

١ ـ رفع الحافز الشهرى لكل من مدرس الأزهر بالمعاهد الابتدائية والإعدادية والثانوية والمعاهد

المشتركة من خمسة جنيهات إلى عشرة جنيهات شهريا .

٢ ـ رفع الحافز الشهرى لنظار المرحلة الابتدائية من خمسة عشرة جنيها إلى عشرين جنيها شهريا .

٣ ـ رفع الحافز الشهرى لشيوخ المعاهد الأزهرية الابتدائية ـ الاعدادية ـ الثانوية ـ المشتركة من سبعة عشر جنيها إلى اثنين وعشرين جنيها شهريا .

٤ ـ رفع الحافز الشهرى للسادة الوعاظ والدعاة والمديرين العاملين فى مجال الدعوة بالأزهر من خمسة جنيهات إلى عشرة جنيهات شهريا .

٥ ـ رفع الحافز الشهرى للاداريين بالمناطق والمعاهد الأزهرية والوعظ من اثنى عشر جنيها إلى خمسة عشر جنيها شهريا .

٦ ـ رفع الحافز الشهرى لعمال المناطق والمعاهد الأزهرية والوعظ من عشرة جنيهات إلى ثلاثة عشر جنيها شهريا .

٧ ـ رفع الحافز الشهرى للعاملين بالادارات المركزية بالأزهر من (٢٥٪ و٣٠٪ و٣٥٪) إلى (٤٠٪ و٥٠٪ و٦٠٪) من الراتب الأساسى شهريا على أن يحدد من يقوم بالصرف للعاملين بنسبة الانجاز المحقق فوق معدل الأداء وفقاً للشرائح المبينة بمحضر اللجنة والذى نص على أن يتم تنفيذ هذه الزيادات اعتباراً من شهر ابريل ١٩٩٧ المستحق فى ١٩٩٧/٥/١ .





يحررها . د. حسن على محمد

من المحرر :

قديماً قال الشاعر :

ولا يــــقيم على ضيم يرادبـــــه إلاّ الأذلاّن عير الحي والوتـــــد

تابعت «مجلة الأزهر» أخبار المسلمين فى العالم بقلق بالغ .. فالأخبار طوال هذا الشهر لم تقدم بارقة أمل فى خلاص المسلمين من كبواتهم وتفرقهم ..

وأكبر دليل على ذلك .. إقدام إسرائيل على مزاولة تهويد القدس ، ونقدم فى هذا العدد تغطية سريعة لردود الفعل فى العالم الإسلامى

كما أقدم رهبان بوذيون على رشق مساجد المسلمين بالحجارة فى بورما وتايلاند ، ونقدم خبرين فى التغطية الفلاخبارية للأقليات الإسلامية فى العالم ، كذلك أشارت دراسة أعدتها منظمة المؤتمر الإسلامى إلى وجود « ١٤ » دولة إسلامية من الدول الأكثر فقراً فى العالم ، وأن هذه الدولة يقترب سكانها من نصف السكان المسلمين فى العالم..!!

أيضاً تحولت بعض المساجد فى أوروبا إلى هدف لعمليات تخريبية يقودها متعصبون ألمان أو فرنسيون .

فى خضم هذه الأخبار غير السارة يطالعنا بريق خافت لحركة إسلامية داعية لمجموعة الدولة الثمانية الإسلامية لمواجهة الفقر والتخلف ، وإجماع القادة فى المؤتمر الإسلامى بباكستان على إسلامية القدس واتخاذ خطوات فعالة لمواجهة الجبروت الإسرائيلى .

إن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون هذه الأيام إلى الاعتصام بهدى السماء ،

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ .. ﴾ آل عمران ـــ ١٠٣

أخبار تقارير تعليقات تحليلات

ردود فعل عالمية ومحلية فى العالم الإسلامى حول محولات إسرائيل تهويد القدس المحتلة

القمة الإسلامية بإسلام أباد : القدس أرض فلسطينية إسلامية .

فى نهاية اجتماعات قادة الدول الإسلامية الأعضاء بمنظمة ، المؤتمر الإسلامى المجتمعين فى إسلام أباد ، صدر الإعلان الخاص بالقدس الشريف :

ـ تطالب الدول الأعضاء إسرائيل بالانسحاب من القدس المحتلة ، وجميع الأراضى المحتلة فى يونية ١٩٦٧ .

ـ يؤكد الأعضاء على أن مدينة القدس الشريف جزء من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، ويطالبون بتنفيذ قرارات مجلس الأمن بشأن القدس خاصة القرار ٢٥٢ لسنة ١٩٦٨ ، والقرار ٢٧١ لسنة ١٩٦٩ ، والقرار ٤٦٥ لسنة ١٩٨٠ ، والقرار ٤٧٨ لسنة ١٩٨٠ ، والقرار ١٠٧٣ لسنة ١٩٩٦ وقرار الجمعية العامة ٥١/٢٢٣ لسنة ١٩٩٧ .

ـ مطالبة الجمعية العامة للأمم المتحدة إتخاذ التدابير اللازمة لحمل اسرائيل على الوقف الفورى لمصادرة أراضى الفلسطينيين وإقامة المستوطنات الجديدة فى (جبل أبوغنيم) .

ـ يدين الأعضاء بشدة استمرار إسرائيل فى سياستها التوسعية الاستيطانية بمدينة القدس .

ـ دعوة الدول الأعضاء لإعادة النظر فى سياستها وعلاقاتها مع إسرائيل حتى تنصاع للقرارات الدولية .

تعليق :

قد تحولت إسرائيل إلى نمر ، تتصرف كتصرفه . وكم نود أن تكون للقرارات فاعلية تقمع بصوابها هذه الشراسة التى تعيث فى الأرض المقدسة فساداً .

مجلس الشعب المصرى يدين سياسة الاستيطان اليهودى

القاهرة . أ.ش.أ.

أدان مجلس الشعب المصرى فى بيان له سياسات إسرائيل التوسعية، وأوضح المجلس فى بيانه أن شروع إسرائيل فى بناء مستوطنات بالقدس الشرقية رغم إرادة أصحابها الشرعيين يخالف حق الشعوب فى السيادة على أراضيها ويتناقض مع إلتزام إسرائيل بمقررات مدريد ، ويمثل انتهاكاً إسرائيلياً ، لطمس المعالم الإسلامية للقدس .

مقتل ثلاثة وجرح خمسين يهوديا فى إحدى عمليات المقاومة فى تل أبيب

تل أبيب . وكالات الأنباء :

رداً على الغطرسة اليهودية ومحاولاتها تهويد القدس، قام شاب فلسطينى بمقاومة أسفرت عن مقتل ثلاثة وجرح خمسين يهودياً.

أخبار تقارير تعليقات تعليلات

وقد أعلن وزير الحرب الإسرائيلي إغلاق الضفة الغربية وقطاع غزة إغلاقاً تاماً .

وقد سارعت العواصم الأوربية والعربية بإدانة العملية..!!

□ عشرات الجرحى في مواجهات عنيفة مع اليهود في الخليل

الخليل : مراسل جريدة الشرق الأوسط:

سقط العشرات من الفلسطينيين جرحى بعد مصادمات عنيفة مع الشرطة اليهودية ، وقد أعلن الجيش اليهودي حظر التجول في المدينة والمعروف أن مدينة الخليل يعيش فيها أربعمائة مستوطن تحت حماية الجيش اليهودي ، ومن أجلهم تقيد حرية ١٠٠ ألف فلسطيني .

□ وفي القاهرة : الإمام الأكبر يؤكد أن مصر ملتزمة بالدفاع عن الحق وأننا مستعدون للتضحية دفاعاً عن القدس

أكد فضيلة الأمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر أن مصر ملتزمة بالدفاع عن الحق ، وأننا مستعدون للتضحية بأنفسنا وبكل ما نملك اذا اقتضى الأمر ، لأننا لن نرضى بالقهر والظلم ، مشيراً إلى أن الصراع مع اليهود ممتد منذ مئات السنين .

كذلك أدان رؤساء الأحزاب المصرية بناء المستوطنات في القدس الشريف وطالبوا بوقف التطبيع .

□ وإسرائيل تهدد ..!!

تل أبيب ــ وكالات الأنباء :

هددت إسرائيل بطرد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من قطاع غزة ، وأعلنت انه لاحصانة لأي شخص يرغب في القضاء على الإسرائيليين وهدد وزير العدل اليهودي بطرد عرفات في حالة تجدد أعمال العنف ضد اليهود .

□ وتحول حائط البراق ــ إلى « مصلى » يهودي

القدس : نقلاً عن جريدة « المسلمون » .

في إطار السياسات التوسعية لإسرائيل ومحاولاتها تهويد القدس ، قامت السلطات اليهودية بتحويل ساحة البراق ــ الجدار الغربي للمسجد الأقصى ــ إلى أثر ديني ، ووضعت مشروع قانون ينص على تحويل ساحة البراق إلى ساحة للمبكى ، وبالتالي يحول اليهود ساحة البراق من أثر إسلامي إلى مكان يهودي مقدس ..!!

□ تشكيل الحكومة الشيشانية الجديدة

موسكو ــ أ.ب :

شكل الرئيس الشيشاني أصلان مسخادوف الحكومة الجديدة التي ضمت عدداً من أعضاء الفصائل السياسية المنافسة له في الانتخابات ، كما أصدر قراراً بتشكيل قوة الحرس الوطني التي تضم معظم القادة العسكريين الذين شاركوا في الحرب ضد روسيا .

أخبار | تقارير | تعليقات | تعليلات

☐ المسلمون فى أمريكا يطالبون بإزالة لوحة تسيء للإسلام .

واشنطن : أ.ف.ب.

طلبت ست عشرة منظمة إسلامية أمريكية إزالة لوحة جدارية من الرخام بمبنى المحكمة العليا بواشنطن تصور الرسول ﷺ ولم يستجب رئيس المحكمة لهذا الطلب .

☐ وفى كشمير مظاهرات حاشدة احتجاجاً على رفض المحكمة الأمريكية إزالة هذه اللوحة

سرينجار أ.ب.

خرج الآلاف من المتظاهريـــن فى شوارع العاصمة الكشميرية للاحتجاج على رفض المحكمة الأمريكية إزالة اللوحة الجدارية التى تصور الرسول ﷺ وهو يمسك القرآن فى يده اليسرى والسيف فى يده اليمنى .

☐ تركيا توقف قرار طرد المسلمين البلغار

ألغت الحكومة التركية قرار طرد أربعمائة ألف مسلم بلغارى يعيشون على الأراضى التركية منذ عام ١٩٩٣ بطريقة غير قانونية، وقد قررت حكومة تركيا إعطاء إقامات دائمة لهم ، ولكل مسلم بلغارى على أراضى تركيا حتى إبريل القادم .

☐ وفى كشمير : السلطات الهندية تغتال ٣ من القيادات الإسلامية

أعلنت الشرطة ان قوات الأمن الهندية قتلت ثلاثة من قادة حركة المقاومة المسلمة فى كشمير، كما قتلت قوات الأمن الهندية ستة آخرين من رجال المقاومة .

المعروف أن كشمير الهندية تشهد انتفاضة كبيرة منذ سبع سنوات للحفاظ على هويتها الإسلامية ، ولم تهن أمام محاولات الهند لتحويل أهلها عن الإسلام ، وقد قتل خلال السنوات السبع الماضية أكثر من ١٧ ألف مسلم .

☐ المركز الإسلامى المصرى فى كازاخستان

أقامت الحكومة المصرية مركزاً إسلامياً فى مدينة (ألماآتا) عاصمة كازاخستان من خلال وزارة الأوقاف ، وقد تكلف هذا المركز حوالى ٢٠ مليون جنيه مصرى هدية لشعب كازاخستان.

☐ ومجلة جين أفريك الفرنسية تسأل
لماذا لا يُمنع الزى التقليدى لليهود
مثلما مُنع الحجاب ؟

ناقشت فى الأسبوع قبل الماضى مجلة (جين أفريك) الفرنسية تجدد أزمة الحجاب فى فرنسا وقرار وزير التعليم الفرنسى بمنع الحجاب فى المدارس .

وقد تم إنشاء لجنة لحماية العلمانية ولمنع الحجاب فى المدارس ..!!

أخبار | تقارير | تعليقات | تعليلات

☐ مفتي مصر يبحث دعم التعاون مع الشيشان :

أكد فضيلة د. نصر فريد مفتي الجمهورية أن مصر لا تدخر وسعاً في التعاون مع جميع المسلمين في العالم ، وفي وصول الدعوة الصحيحة إلى المسلمين في الشيشان .

صرح بهذا خلال استقباله لمفتي الشيشان .

☐ قتل مغتصبي النساء في باكستان

رحب العلماء الباكستانيون بإقرار عقوبة لإعدام لمغتصبي النساء والأطفال ، وجاء هذا القرار بعد تعدد حوادث اغتصاب النساء في أماكن متفرقة من باكستان .

وكانت الحكومة الباكستانية قد أصدرت قراراً بتطبيق الأحكام الشرعية بحق من يغتصب النساء والأطفال .

☐ خصم ٥ أيام نظير التطاول على الأديان

القاهرة ـ عقيدتي :

قضت المحكمة التأديبية بشمال القاهرة بمعاقبة معلمة بمدرسة ناصر الثانوية بنات بخصم خمسة أيام من راتبها .

كانت المعلمة قد تطاولت على القرآن الكريم والرسول ـ ﷺ ـ وتقدمت الطالبات بشكاوى إلى مدير المدرسة الذى بادر بتحويلها إلى النيابة الإدارية .

☐ انفجار في مسجد باريس يصيب شخصاً بجراح

باريس ـ وكالات الأنباء :

انفجرت قنبلة في مسجد الدعوة بشمال شرق باريس مما أسفر عن إصابة الحارس ، وقد ذكرت مصادر الشرطة الفرنسية أن الانفجار دمر باب المسجد وحطم بعض نوافذه .

☐ ولى عهد بريطانيا : أعمل منذ سنوات على تحسين التفاهم بين النصارى والمسلمين

أكد الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا فى (ندوة العمارة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الغربية) على أن العمارة الإسلامية قيمة جمالية رفيعة المستوى ، كما صرح بأنه عاكف منذ سنوات على تحسين التفاهم بين النصارى والمسلمين .

فهرس مجلة الأزهر للعام الهجرى ١٤١٧هـ
١٩٩٦ ـ ١٩٩٧ م

إعداد الأستاذ / عبدالسلام ناصف

حرف الألف (أ)

حـــــرف الجـــيم (جـ)

حـــــرف الحـــاء (حـ)

حـــرف الزين (ز)





حـــــرف النون (ن)

حـــــرف اليـــاء (ى)

فهرس هدية مجلة الأزهر لسنة ١٤١٧ هـ

م	الموضوع	الكاتب	الشهر
١	التـــأمين	للشيخ/ على الخفيف	المحرم ١٤١٧هـ
٢	الاجتهـــاد	للشيخ/ محمد مصطفى المراغى (شيخ الأزهر الأسبق)	صفر ١٤١٧هـ
٣	حكمة النبى ﷺ فى تغيير أسماء أصحابه	للشيخ/ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى	ربيع الأول ١٤١٧هـ
٤	بحث فى حكم الشريعة على شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاث	للشيخ/ على الخفيف	ربيع الآخر ١٤١٧هـ
٥	حكم الإسلام فى أرباح شهادات الاستثمار وودائع صناديق الادخار	للشيخ/ يس سويلم طه	جمادى الأولى ١٤١٧هـ
٦	اختيار من كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن (جـ ١)	للإمام النووى	جمادى الآخرة ١٤١٧هـ
٧	رحلة الإمام الأكبر إلى الهند	للشيخ/ محمد مصطفى جنيمة والشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف والشيخ/ سامى محمد الشعراوى	رجب ١٤١٧هـ
٨	رحلة الإمام الأكبر إلى باكستان	للشيخ/ فوزى الزفزاف والشيخ/ سامى الشعراوى والشيخ/ محمد مصطفى جنيمة	شعبان ١٤١٧هـ
٩	اختيار من كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن (جـ ٢)	للإمام النووى	رمضان ١٤١٧هـ
١٠	الريح والرياح فى القرآن الكريم وفى كلام العرب	للدكتور على محمد حسن العمارى	شوال ١٤١٧هـ
١١	المعاملات فى الإسلام	للإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى	ذى القعدة ١٤١٧هـ
١٢	المسلمون فى أوربا	للأستاذ/ مصطفى دسوقى كسبة	ذى الحجة ١٤١٧هـ

Du vivant du Prophète -b.s.- Othman -a.s.l- demanda la permission d'entrer chez lui. Le Prophète -b.s.- était assis et ses habits relevés découvraient une partie de sa cuisse. En apprenant la visite de Othman, le Prophète -b.s.- se redressa sur son séant, ajusta ses habits puis reçut Othman. Lorsque ce dernier partit, Aïcha -a.s.e- demanda au Prophète pourquoi il avait agi ainsi. Il lui dit: "Othman est un homme pudique, s'il m'avait vu dans cette position, il aurait eu honte de m'exposer son problème".

La pudeur est exigée en toutes les affaires, sauf en ce qui concerne les problèmes religieux. Il est inexact que l'homme par pudeur s'abstienne de poser des questions pour avoir des explications au sujet de sa pratique religieuse. La pudeur n'a pas empêché, une ançarite, de venir dire au Prophète -b.s.-: "Ô messager de Dieu! Allah n'a point honte de dire la vérité: la femme doit-elle se laver quand elle copule durant son sommeil?" La pudeur non plus n'a pas empêché le Prophète -b.s.- du lui répondre: "Oui! Si elle constate l'écoulement d'un liquide".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Om Salama -a.s.e- qui assistait à cette conversation, cacha son visage et dit à l'ançarite: "Tu viens de faire honte aux femmes". Mais le Prophète -b.s.- ne réprimanda pas la femme pour sa question. On raconte aussi, qu'une femme se rendit auprès du Prophète -b.s.- et lui demanda comment il fallait procéder pour se purifier de ses menstrues, et qu'il répondit à sa question sans protester ni lui faire de reproches.

Pour montrer l'importance de la pudeur et les conséquences néfastes qui peuvent résulter du manque de pudeur, le Prophète -b.s.- nous dit: "Lorsqu'Allah veut faire périr un de Ses serviteurs, Il le prive de la pudeur; une fois qu'il est dépouillé de sa pudeur; il ne peut être que dégoûtant et détestable; arrivé à ce stade, Allah lui arrache son honnêteté; lorsqu'il est dépourvu d'honnêteté il devient tricheur et trompeur; arrivé à ce stade, la miséricorde lui est arrachée, alors il devient maudit et donné; arrivé à ce stade, la foi de l'Islam est arrachée de son coeur".

Hadith rapporté par Ibn Magah.

la vie terrestre, le peuple se détourne du travail et de la production pour s'enliser dans les turpitudes et les divertissements illicites; ce qui exposera la nation à la colère d'Allah. Nous savons qu'Allah - gloire à Lui- a anéanti le peuple de Loth pour avoir commis publiquement et sans pudeur des turpitudes. Il a dit: [Vous faites le commerce charnel avec les mâles, vous pratiquez le brigandage et vous commettez ce qui est blamâble dans votre assemblée].

Surate 29 "Al-Ankabout" L'araignée V. 29.

Craignez donc Allah en tout ce qui est diffusé au public à travers les mass-médias et en tout ce qui pénètre dans les foyers et que les parents ne peuvent pas empêcher leurs enfants de voir. Sinon l'effort de la bonne éducation fourni par les parents sera vain et ils ne pourront pas inculquer les valeurs morales à leurs enfants. En outre, si le dévergondage se répand parmi les gens, Allah répandra un malheur sur l'ensemble de la population. Il fera sévir parmi eux les maladies et les épidémies. La bénédiction disparaitra alors que la famine et la disette régneront.

Quant à la pudeur du Musulman envers lui même, il importe que l'homme dans sa solitude ne fasse pas ce qui aurait indigné les gens s'ils le découvrent. Il importe aussi que l'apparence soit semblable à ce qu'on cache, car la vertu est ce qui réjouit le coeur et que tu aimes que les autres voient.

Par contre, le mal est ce qui te range et que tu crains que les autres ne voient. Par pudeur envers soi-même aussi on entend qu'il ne faut pas interdire une chose et la commettre soi-même. Allah -gloire à Lui- a dit: [Commanderez-vous aux gens de faire le bien alors que, vous-mêmes, vous l'oubliez?]

Surate 2 "al-Baqara" La Vache V. 44.

Le Prophète -b.s.- nous raconte l'histoire d'un érudit qui prêchait le bien, interdisait le mal, mais qui fut jeté en Enfer; car il prêchait le bien, mais ne le faisait point, interdisait le mal et le faisait lui-même. Le Prophète -b.s.- nous apprend la pudeur même dans l'intimité du couple. Il nous dit de ne jamais rester nu, mais de se couvrir d'un drap par exemple.

péché, il est privé du pardon d'Allah, de Son absolution et il sera exposé au scandale, à l'humiliation et au déshonneur. C'est une forme de pudeur que de ne point chercher à connaître ce que les gens cachent ni à découvrir aux autres ses secrets intimes. Les femmes qui ont perdu leur pudeur et qui ont découvert les parties de leur corps qu'elles devraient couvrir sont menacées de la privation du Paradis et même de la respiration de ses parfums. Le Prophète -b.s.- dit: "En Enfer il y a deux catégories d'hôtes que je n'ai pas vues: des hommes tenant des fouets avec lesquels ils frappent les visages des gens; et des femmes nues-habillées, inclinées, cherchant à attirer les coeurs, leurs têtes ressemblant à la bosse du chameau. Ceux-là n'entrent pas au Paradis, ni ne respirent son parfum, bien que ce parfum se répande à une distance de mille années".

Hadith rapporté par al-Bokhary.

Le Prophète -b.s.- a interdit également aux femmes de se parfumer exagérément. Il a dit que la femme qui se parfume et passe devant des hommes qui respirent ce parfum, est considérée femme adultère? dévergondée? Les savants en ont déduit que le parfum est l'un des préludes de l'adultère: il incite l'homme et éveille ses instincts sexuels. Le mot adultère est employé pour avertir et prévenir contre tout ce que peut engendrer l'excès de parure chez les femmes. Ibn Abbas -a.s. eux- a raconté que le Prophète a dit: "Allah a destiné au fils d'Adam sa part d'adultère qu'il aura inévitablement: l'oeil commet l'adultère à travers le regard, la langue à travers la parole, l'âme souhaite et désire puis les organes sexuels approuvent ou désapprouvent cela".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Parmi les actes qui blessent la pudeur et qui prouvent le manque de pudeur de ceux qui les commettent, il y a le comportement des jeunes filles, des jeunes gens que nous voyons ces jours-ci, dans les jardins publics et dans les rues. De même, ce que nous voyons dans les films et les feuilletons (spectacles obscènes, consommation d'alcool etc) destinés à être présentés au public, sans aucune censure de la part des autorités ce qui expose la communauté à un danger certain. Dans

La pudeur[1]

Trad. : Hoda Hussein Chaaraoui

La pudeur envers les gens exige que le comportement envers eux ne porte pas atteinte à leur dignité, ni les blesse ou les offense. On raconte que le Prophète -b.s.- n'a jamais abordé quelqu'un d'une manière qu'il déteste; en effet il avait plus de pudeur que la vierge dans son harim. Il disait: "La pudeur fait partie de la foi et la foi est au Paradis; l'impudence fait partie de la dureté et l'aversion est en enfer."

Hadith rapporté par Abu-Horaïra

Il a dit également: "Celui qui n'a point de pudeur, n'a point de foi". Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le manque de pudeur est l'une des causes de la propagation des péchés, quant au fait de divulguer cela ouvertement, est pire encore. Le Prophète -b.s.- a dit: "Toute ma communauté sera pardonnée sauf ceux qui se vantent de leur dévergondage?

Hadith rapporté par Abu-Horaïra

Car celui qui s'abstient par pudeur de commettre les péchés devant les gens pourrait être proche du repentir. Son Seigneur pourrait effacer ses fautes... Quant à celui qui commet impudemment le

---

1) D'après Cheikh Yassine Rushdy

Notons ici que nombre de rites du Pèlerinage sont liés à l'histoire d'Abraham et des siens; non seulement en ce qui concerne la fondation de la Ka'ba et le monothéisme, mais encore la course de son épouse Hadjir entre les collines d'Al-Safa et Al-Marwa à la recherche de l'eau pour son enfant Isma'il, la commémoration du sacrifice sur le Mont 'Arafate) ainsi que la lapidation de Satan.

En effet, l'un des rites du Pèlerinage est l'accomplissement d'une prière de deux rak'as à la Station d'Abraham (Maqâm Ibrahim).

Un autre rite consiste à refaire les sept trajets accomplis par Hadjir entre les monticules d'Al-Safa et Al-Marwa avec l'espoir d'apercevoir une éventuelle caravane susceptible de sauver son enfant Isma'il laissé au fond de la vallée à l'endroit même où jaillit par un miracle divin la source de Zamzam aux pieds de l'enfant. Et c'est là même que les pèlerins viennent se désaltérer.

La station sur le Mont Arafate commémore le sacrifice exigé par Allah de la part d'Abraham pour mettre à l'épreuve sa foi et celle de son fils. Lorsqu'Abraham reçut en songe l'ordre d'immoler son fils, ce dernier lui dit: "Ô Père, exécute l'ordre que tu as reçu et tu me trouveras soumis à la volonté d'Allah."

C'est alors qu'Allah les récompensa en demandant à Abrahim d'immoler un mouton à la place de son fils. C'est pour cette raison que les pèlerins immolent des bêtes qu'ils présentent en offrande à Allah le premier jour de la Fête du Sacrifice, après la Station à Arafate.

Enfin, la lapidation est l'un des rites essentiels du Pèlerinage. Satan, ennemi déclaré de l'homme, était dépité de la soumission absolue d'Abraham à Allah. Aussi entreprit-il de détourner le prophète de sa résolution d'immoler son fils.

Il lui apparut plusieurs fois en usant de tous les stratagèmes pour le dissuader mais, à chaque fois, Abraham lui lança au visage une poignée de cailloux. Tel est le symbolisme de la lapidation par les pèlerins des trois stèles qui représentent Satan.

Nous souhaitons avoir réussi à mentionner brièvement le symbolisme de chacun des rites du Pèlerinage.

Dr. Rokeya Gabr

Le symbolisme des rites du Pèlerinage

par Dr. Rokeya Gabr

Pour une meilleure compréhension des rites du Pèlerinage, il est indispensable de connaître les raisons pour lesquelles ces rites ont été prescrits.

Commençons par la Ka'ba située dans l'Enceinte Sacrée de la Mecque, lieu vers lequel doit se dériger tout pèlerin musulman.

On trouve dans le Coran (La Famille de 'Imran, V. 96-97)

[Certes, le premier temple édifié pour les hommes est celui de Bakka (anciens nom de Makka] La Ka'ba c'est le lieu vers lequel se dirigent les gens pour le Pèlerinage et pour l'orientation de la Prière.

[Allah a prescrit aux hommes, comme devoir envers Lui, le Pèlerinage à cette Maison Sacrée]

Par ce culte le pèlerin trouve qu'il suit la religion d'Abraham à laquelle Allah nous invite. En effet, terre bénie et ennoblie par Allah, capitale spérituelle du monde musulman, la Mecque est le berceau du monothéisme. C'est là que fut construit, selon la Parole divine, [le premier temple édifiée pour les hommes]. Elle contient des preuves évidentes de son caractère sacré, de la profusion de ses biens ainsi que le lieu où Abraham se tenait pour faire sa prière ("Maqâm Ibrahim"). C'est également là que naquit le dernier des prophètes, Mohammed — à lui bénédiction et salut — et qu'il reçut les premiers versets d'une Révélation qui allait changer la face du monde.

D'autre part, tous les exégètes et les rapporteurs de Hadiths sont unanimes sur le fait que la Ka'ba est la première Maison où l'on adora le Dieu unique.

REVUE
AL AZHAR

Zu-l-Heja 1417 H., Apr.1997 Vol. 69 Part XII

Section Française

Comité de Rédaction :

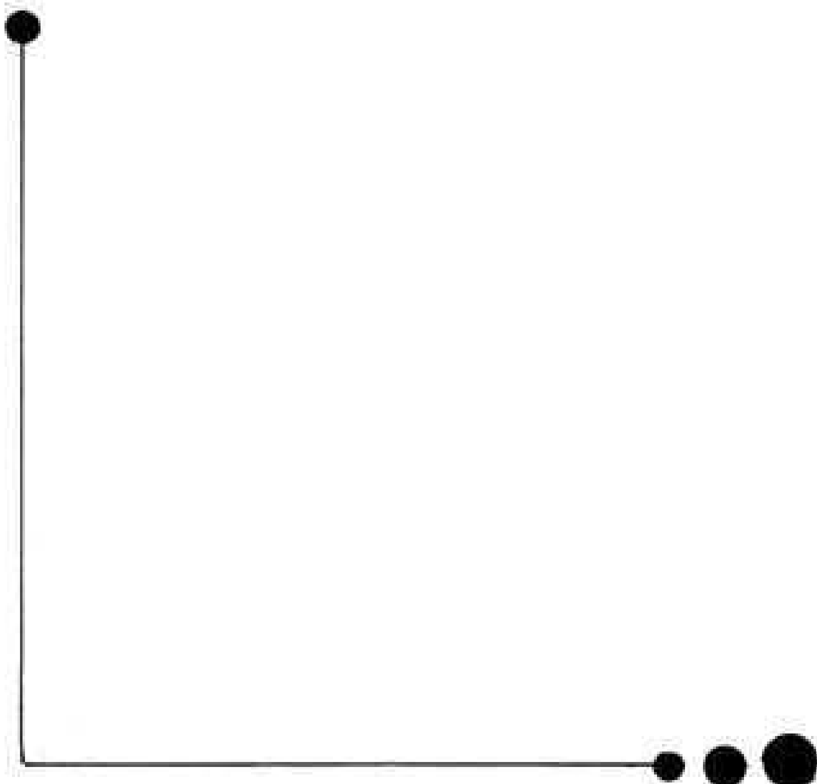
Dr. Rokeya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

La Revue d'Al Azhar en 1417 H- 1996 - 1997

recent booklet by Seven, a non-Muslim. Theologian affirms a reality that Muslims believe in entitled :

"The Myth of God Incarnate" being "A Unique Collection of Theological Essays" (As printed in an "Impartial Survery of its main topics by Abdus-Samad Sharafuddin", and is an **invitation** to think about the problem that has long been in existence. May be it will lead to acceptance and a guide to the most straight path.

This is not a charge (or accusation) from the Muslim Scholars, (including Theologians) but it is mainly on **inquiry** carried out by non-Muslim professors of Theology that may inspire some realities and truths .



God Almighty says; (171 - 173 An-Nisa-a (the Women) "O People of the Book (of the Scripture) do not exaggerate in your religion nor utter anything concerning Allah but the Truth. Christ, (The Messiah) Son of Mary was only a Messenger of Allah, and His Word which He bestowed upon Mary and a Spirit of Him, So believe in Allah and His Messengers, and do not say 'three' (Trinity). Cease ! It is better for you ! For Allah is only One God, He is above having a son. His are all things in the Heavens and in the earth. And Allah is sufficient Advocate (The Champion-to him all beings relegate their affairs, so He becomes their Advocate or Ch...) .

"The Messiah will never disdain (in the hereafter) to be a slave to Allah, nor do the favoured Angels. These who sworn His service and are proud will be gathered all together to Him"

"But, to those who believed and acted well, He will repay them in full, and more, out of His Bounty, and to those who were disdainful and arrogant, He will punish them with painful doom, and they will find none besides Allah, to protect and help them .

And, Jesus, denies by himself, the saying that he is a deity, and affirms his servitude to Allah and calls to worship Him alone .

The Holy Qur'an says : (115 - 117 Al-Maida (The Table Spread / 5) "And when Allah said: O Jesus, son of Mary ! Did you say to mankind : worship me and my mother as two gods besides Allah He said: Be Glorified! Never could I say what I have no right to say, even if then you would have know it. You know what is in my mind (and heart and soul) and I do not know what is in yours, for you are the Full-Knower of all Unseen" .

"I said to them only what you commanded me to say, that is Worship Allah, my Lord and Your Lord, and as I was witness to them so long as I was with them, and as you took me up, you were the Watcher over them, and you are Witness over all Things".

This is the faith and belief of Muslims, concerning Jesus as a Servant of Allah and a Messenger of Allah, like all other Apostles and messengers, Peace and Blessings of Allah be upon them all, and this is how we would love to meet Allah

As for the stories saying of godliness, incarnation and trinity, these we do not believe in or accept as true. Also, we are not alone in such disbelief and distrust, since a

And God, Glory be to Him said : (38 - 41 An-Naim (The Star) "And that no soul bearing burdens can bear the burden of another" .

"And that man has only what he strived for (in the way of good deeds)" .

"And that his striving (as recorded) will be seen". "Then he will be repaid in the fullest payment".

God, Glory be to Him, says: (110 - 115 Al-Maida, The Table Spread) "When Allah says: O'Jesus, son of Mary ! Remember my favour to you and to your mother, and how I filled you with the Holy Spirit, so that you spoke to mankind, both in the creadle and in maturity, that I taught you the Book and Wisdom and the Law (the Torah) and the Gospel, how to make out clay, as it were the shape of a bird, and you breathe into it, and it becomes a bird, by my leave. And how you healed the born-blind and the leper, by my leave; and how you raised the dead, by my leave and how I restained the children of Israel from (harming) you when you showed them the clear (evident) signs and those of them who did not believe said "This is nothing but evident magic". "And when I inspired the disciples to have faith in Me and My Messenger,so they said we believe and bear witness that we have surrendered (as Muslims)".

"And when the disciples said: O Jesus, son of Mary! So your Lord able to send down for us a Table Spread with food from heaven ? He said : "Fear Allah, if you have faith" .

"They said, we wish to eat from it and satisfy our hearts, and to know that you have indeed told us the truth, and be ourselves witnesses of it (the miracle)" .

"So, Jesus, son of Mary said: O, Allah, our Lord ! send down for us a Table Spread with food from heaven, that may be a feast for us, for the first and the last of us, and as a sign from you. Give us sustenance for you are the best Sustainer (of our needs)" .

"Allah said : I will send it down to you and if ever anyone of you afterward resists faith, surely, I will punish him with such penalty as I have not inflicted upon anyone of my creatures" .

The Qur'an assures (affirms) the human nature of Jesus (pbuh), and that he was, like all the prophets and messengers of Allah, a servant of Allah .

God, Almighty said : (An-Nisa 153 - 159 / 4) "The People of the Book ask you to let an actual Book descend upon them from Heaven. They asked Moses even a greater thing; for they said : Show us Allah in public ! They were seized by the storm (of thunder and lightning) for their arrogance. Yet, they worshipped the calf, after the clear signs (of Allah's Sovereignity) had come to them and we bestowed on Moses evident authority" .

"And we caused Mount Sinai to rise upon them at (the taking of) their covenant (so that they get afraid and accept it) and told them (while the Mount towered above them), enter the while you are bowing, and command them not to transgress on the Sabbath (Saturday, meaning not to fish on the Sabbath) and we took from them a firm covenant (which they breached)" .

Then because of the breach of their covenant, and their disbelief in the Signs of Allah and killing their Messengers wrongfully and their saying : our heart are hardened (do not conceive your sayings). But, Allah has sealed their hearts owing to their disbeliefs (so that they listen to no preaching), thus they do not believe but very little" .

"And because of their disbelief, and of their speaking against Mary and tremendous false charge" .

"And their saying : We killed the Messiah, Jesus, son of Mary, Allah's Messenger. But, they did not kill nor crucify him, but this was what seemed to them. And, those who differ about this are in great doubts thereof, and they have no knowledge thereof except the pursuit of conjectures. What is definite is that they did not kill him".

"No, but Allah raised him up to Himself, and Allah is All-Mighty and Wise".

"And there is none of the People of the Book but must believe in him before his death, and on the Day of Judgement he (Jesus) will be a witness against them". Thus, Islam solved complicated problems with both ease and facility .

And, Islam confirms that every person is responsible for his own works, and nobody else is to carry another's sins .

God Almighty said : (13 Al Isra- a/17) "And, every man's fate we have fastened to his neck, and on the Day of Iudgement, and for everyone, will present his record which he will see exposed" .

"And among those who say we are Christians, we took their covenant, but they forgot a good part of the message that was sent to them. So, We stirred up enmity and harred among them till-day of judgement, and Allah will inform them of what they did" .

"O People of the Book, here, has come to you Apostle (Messenger) explaining to you (and revealing) much of what you used to hide (in) the Scripture (Book), and forgiving much. Nowhas come to you Light from Allah and distinct (clear-unmistakeable) book."

"With which Allah guides those who seek his good pleasure to the path of peace, and leads them out of darkness into Light, by His decree, (will) and guides them to the Straight Path".

"They have indeed Blasphemed! (disbelieved) those who said that the Messiah, son of Mary is God! Say, who has anything against Allah if he wills to destroy the Messiah, son of Mary, and his mother and everyone on earth ? For to Allah belongs all sovereignty on heavens and the earth and all that lies in between them. He creates what he wills, and Allah has power over everything" .

"The Jew and the Christians say we are the sons of Allah and his beloved. Say : Why then does he punish you for your sins ? No. But you are only mortals of his creation. He forgives whom he wills and punishes whom he wills, and to Allah belonggs the Sovereignty of Heavens and the earth and all that is in between them, and to Him is the final goal" .

"Oh, People of the Book ! (Scriptures) Now, and after an interval of the Messengers, Our Messenger has come to you to make things clear, lest you should say: there came to us no bringer of glad tidings nor a warner ! But now you have received a messenger of cheer and a warner. Allah has power over all things".

And , the Holy Qur'an narrates how the people of the Book were arrogant in asking for miracles, and that they breached their covenant, killed the Apostles, and claimed that they crucified Christ, while this was merely what appeared to them, (an illusion) because Allah has raised him to Himself, and that he is alive in Heaven, body and soul. Muslims do not believe at all in the crucifixion .

enjoined upon me Prayer and Charity as long as I live. And made me dutiful (kind) to my mother and has not made me arrogant or disobedient (to my Lord). So, Peace on me, the day I was born, the day I die and the day I shall be raised alive ! "Such (was) Jesus, the son of Mary (this is) a statement of the truth, about which they vainly dispute. It is not benefiting to Allah that he takes a son. Glory be to Him ! When he decrees a thing, he says to it "Be" and it "Becomes!"

Also, the Holy Qur'an affirms that Mary was a very high example of purity .

God Almighty says: (91 Al-Anbiya-a/21 - The Apostles) "And (remember) her who guarded her bodily Chastity. So, we breathed into her Body of Our Spirit (meaning gabriel when he breathed into her and she conceived) and we made her and her son a Sign to all creatures".

And he, Glory be to Him, says: (12 - At-Tahreem (Banning / 66) "And Mary, daughter of Imran, whose body was chaste, and we breathed into her (The Spirit-Gabriel. He breathed into the pockets of her underwear) something of our spirit. And she put faith in the words of Her Lord and His **scripture**, and was of the devout obedience" .

The Qur'an also mentions those who altered and changed what was revealed to them, and that they exaggerated when describing their Prophets as sons of God, or that they are the preferred race. And our Prophet Muhammad **(PBUH)** came to call all people to worship Allah alone .

He, Almighty, said: (12 - 19 Al-Maida / 5) "Allah made an agreement (covenant) with Israels descendants and we appointed twelve Captains among them. And Allah said: I am with you, if you only establish regular and pay regular Charity and believe My Messengers and support them, and lend to Allah a handsome loan, verily I shall remit (wipe out from you sins, and admit you to Gardens, underneath which rivers flow. But, if any after this resists faith (or disbelieves), he has then verily gone astray from the straight path .

" And because of their breach of Covenant, We cursed them, and made their hearts hard. They change the word from their right places, and forget a good part of the message that was sent to them. you will not cease to discover treachery from them, all but few of them. So, forgive and pardon them : For God loves those who are kind" .

children of Israel, (saying) I came to you, out of clay the likeness of a bird, and I breathe into it, and it becomes a bird, by Allah's permission. I heal born-blind; and the leper, and I raise the dead by Allah's leave. I declare to you what you eat and what you store at your homes. Verily, there is a portent for you, of you believe. And I come confirming which came before me in the Torah, and to make lawful some of what was forbidden to you. I have come to you with a **Sign** from your Lord. So, fear Allah and **obey me.** It is Allah who is my Lord and your Lord, so worship Him. That is a straight Path".

The description of the place, the appearance of the Angel to her, her argument with him, the story of the miraculous conception, the miracle of her baby who spoke while so young, the blessing of **Jesus (P.B.U.H.)** and denial of being the son of God, etc. The **Holy Qur'an narrates all to us, both in purity, appreciation and respect.**

God, Glory be to Him, says : (16 - 36, Mary / 19) "And mention in the Book, Mary, when she withdrew from her people to a place in the East" . And she screened herself (off) from them. Then we sent to Our Angel (Gabriel) who assumed for her the likeness of a perfect man. She said: "I seek refuge from you to the Most Merciful One, if you fear Him. He said : "I am only a messenger of your Lord to bestow upon you a holy son". She said: "How can I have a son while no man has touched me, nor have it will be, your Lord has said: It is easy for Me, and we wish to appoint him as a Sign to men and a mercy from Us, and it was a thing ordained". And she conceived him and retired with him to a far place. And the pains of childbirth drove her to the trunk of a plam tree. She said: "I wish I had died before this, and that I was forgotten and abandoned". Then (one) cried to her from below her, saying : "do not grieve ! your Lord has placed a rivulet beneath you. And shake the trunk of the palm tree toward you, to cause ripe dates to fall you. So, eat and drink and be consoled. And if you meet any man say: "I have vowed a fast to the Most Merciful, and may not speak today to any human being". Then she brought him to her people. They said: "O Mary, you have come with an amazing thing". "O sister of Aaron! Your father was not a wicked man, nor was your mother an unchaste woman, "But she pointed at him. They said "How can we talk to one who is a child in the cradle"? He spoke saying: "I am the servant of Allah. He has given me the Scripture and made me a prophet. And he has made me blessed wherever I may be, and



He said, Glory be to Him (35 - 51 Al-Imran) (Remember) Imran's wife when she said: "O my Lord I dedicate to you what I bear in may womb for your special service, so accept it from me, for it is you and only you the All-Hearer, and the All-Knower". When she was delivered she said :"O my Lord I am delivered of a female child", and God knows best what brought forth and in no way is the male like the female. I have called her Mary, and commend her to your protection, as well as her offspring, from Satan, the rejected. And her Lord accepted her with utmost grace, and assured her growth in purity and goodness making Zakariyah her guardian. Every time he entered the sanctuary, where she was, he found that she had sustenance! He said : "O Mary, whence comes this to you" ? She answered " "It is from Allah; for Allah gives without measure to whom He pleases". Then and there Zakariyah prayed to his Lord, saying : Grant me of Your Bounty an offspring that is pure, for you are the Hearer of Prayer. While he stood praying in the sanctuary, the Angel called to him : God gives you the tidings of Yahya (John) to withness the Truth of a Word from Allah, and to be nobal chaste and a Prophet of the (good), company of the righteous. He said : "My Lord, how can I have son, when I am very old and my wife is barren. The answer was : As does Allah perform what he wills ! He said : My Lord, give me a sign. The answer was: your sign shall be that you shall speak to nobody for three days, except with signs. Then, remember your Lord, praising and glorifying Him in the eveings and in the morning. And, when the Angels : O Mary, Allah has chosen you and purified you and preferred you above the women of all creations. O Mary, obey your Lord devoutly, Prostrate and bow with those who bow down (in worship). These are some of the tidings of the Unseen, which we reveal to you (Muhammad). You were not with them as they cast lots with arrows to know which of them should be the guardian of Mary, nor were you present when they quarrelled (about it). Behold! When the Angels said: "O Mary, Allah gives you glad tidings of a Word from Him, whose name will be the Messiah, Jesus, son of Mary honoured in this world and in the Hereafter, and one of those brought near (to Allah). He will speak to mankind, in his cradle and in his maturity, and will be of the righteous. She said "O my Lord, how can I have a child when no man has touched me ? He said: "Even so, Allah creates what he wills. If he decrees something, He but says to it "Be and it Becomes". And he will teach him the Scripture and wisdom, and the Torah and the Gospel. And make him a Messenger to the

And, if we refer to our Holy Book, concerning our subject, "Jesus, son of Mary (P.B.U.H.)", we find clarity, simplicity and conciseness, enough to convince a researcher and enrich the believer .

The Grandparents of Jesus (P.B.U.H.), his mother, since we believe he had no father, are all pure and righteous, chosen by Allah and preferred by Him to all mankind, from their times .

He said, Glory be to Him (33 - 34) Al -Imran,(The Family of Imran) "Allah has chosen Adam and Noah and the family of Abraham and the family of Imran above all His creatures. Offspring, one the other, and Allah is All-Hearing and All Seeing" .

And, Imran's wife, who was a good and religious lady, who willing to serve Jerusalem, so, she vowed to God, her expected child, who came to be a female, namely Mary (May Allah Accept her). She was accepted by those of God's Apostles and those who served Jerusalem, and she stayed with them, worshipping Allah, Glory be to Him .

God showed signs at her presence so she was supplied with ease, with livelihood, and she received winter fruit in summer and vice-versa. The Apostle Zakariyah, (P.B.U.H.) asked about that and she replied that it is livelihood from Allah who gives whoever He chooses without limit .

Also, God's angels have brought the happy tidings to Mary, that Allah has chosen her and preferred her to all women, in her time. To her the apostles announced the good news of the "birth of Christ" (P.B.U.H.), without a father, and despite the fact that she was a virgin. The Power of Allah came according to what he decided at the commencement of universal eternity. She gave birth to Jesus of distinction, in this world and the hereafter, and among those brought near to Allah. He spoke to people in his cradle and miracles were caused by Allah to take place by him. These miracles baffled the scholars of his time, and he called to worship Allah Alone.

Allah, Glory be to Him, created Adam without father or mother, so was the creation of Jesus(P.B.U.H.), from a mother without a father. A miracle, an example and a proof to the power of the Creator, Glory be to Him .

God Almighty said : (44 - 50 Al-Maida/5) :

"We revealed the Torch, containing guidance (and light), to be used by the Apostels (of Israel) who obeyed God, for those who became Jews and their learned ones and scholars. God entrusted in them His Book (not to be altered) and they were made witness of the Truth. So (Hebrews) do not fear mankind and fear Me, and do not trade my revelations for a mean (worldly) price that you may receive to (withhold) them. He who does not rule according to what God revealed are those who disbelieve in it. We have written (as duty) for them (the Jews) in (The Torah) that a life is for a life, an eye for an eye, and a nose (broken) for a nose, and ear (cut) for an ear, a tooth (broken) for a tooth, and that wounds are to be paid for . (This is a matter of judgement).

He who made good (by subjecting himself to the Penalty), it is better for him. He who does not rule according to the Revelations of Allah, is unjust. And, we sent after them (The Prophets). Jesus, son of Mary, who believed what came before (of rules) him in the Torah. We gave him the Bible, and what it contained of guidance and advice to those who fear God. Let the followers of the Bible rule (judge) according to what was revealed in it, and truly, those who rule apart from what Allah revealed are those who are dissolute (indulging in harmful pleasures, lacking in moral restraint). And we have revealed to you (Muhammad) the Book (The Book meaning the Books), (The Qur'an) with all the Truth,supporting what is before it and Witnesses to it, so rule amongst them (If they ask you to); according to the rules revealed by Allah, and be just (not follow their likes). For every one of you (nation) we have laid down a Low and an open way (or clear path). Had Allah willed, He would have made one single nation but that He tests you by way of giving you the Low. So join into the race for good deeds and virtues. Know All of you, that your ultimate goal is to God. There, He will show you the Truth of matters about which you dispute. So, judge between them as Allah has revealed to you, and do not follow their desires. Beware of them, lest they seduce you from some part of what Allah has revealed to you. If they turn away, be sure that Allah will punish them for some of their crimes, and truly most men are evil-doers. So is it the Judgement of (pagan) ignorance they seek ? And, who is better than Allah for Judgement to a people who certainly believe" ?

"Say ! He Allah, is One. Allah, the Everlasting Refuge. He did not breed, nor was he bred. And no one has ever equalled Him". And we believe that Muhammad is his servant and Apostle, sent by Allah to be the last of Messengers and Apostles until the Day of Judgement. All Apostles are brethren to one father who was Adam (P.B.U.H.), and our faith-as Muslims - is not complete except through Belief in Allah, His angels, His Books, His Apostles and the Day of Judgement. We do not differentiate between any of his Apostles, and that our Prophet (P.B.U.H.) has asked us not to perfer him to any of the other Prophets. God Almighty said: (285 Al-Baqara/2) :

"This Messenger believed in what was revealed to him from his Lord, and so did the believers, all believed in Allah, His Angels, His Books and His Messengers, saying : we do not differentiate between any of His messengers, and said: We heard and obeyed, our Lord, bestow Your forgiveness upon us, to you we all go !" .The Almighty said : (150 - 152 An-Nissa) :

"Truly, those whose disbelief in Allah and want to differentiate between Allah and His Messengers and say; we believe in some and disbelieve in some (of them), and want to take in between (belief and disbelief) a path for themselves, those are really the real disbelievers, and for them we have arranged punishment. And those who believed in Allah and all His Apostles and did not discriminate between any of them, are those whom we will pay their duse, and Allah is really Oft-Forgiving, Most Merciful".

The Holy Qur'an is really the Book that **treated fairly**, the people of the Scripture, repaid them justly in full, and recorded their duse and their debts, mentioned **the preceding books that were revealed to them by Allah, and that the base of all religions** is one

To believe in One God, Who has no partners, and to worship Him alone, and to adopt righteousness, truth and good, and avoid falsehood and evil .

The Message of Muhammad (P.B.U.H.) was the final message because it included all that was in the previous religions and that it is suitable for every place or time, and **does not need anything to complete it**, nor is it bound by **any space, time or race.**

The Qur'an came to control and verify the Authentic Books that preceded and were Revealed by Allah to His Servants and Messengers .

JESUS, SON OF MARY IN THE QURAN

by : Dr. Tawfiq Muhammad Shaheen

Some days before Christmas 1981, I attended a religious Workshop concerning the truth about Jesus (P.B.U.H.) .

Someone started the discussion on Jesus, son of Mary. His speech concentrated on showing that Jesus is a god, incarnate as a human being, so that human being can receive him, and that his coming down from heaven was mercy and salvation for humanity. He explanined incarnate saying that he took human form, thus he is both whole god and whole man, and that it is he alone who combines both attributes in their exact meaning.

Another Christain also spoke saying: Jesus is the Second Person of the Trinity-Incarnation doctrine, through whom we come to the trinitarian God, and that he is the Christian's norm in worship. He quoted a verse, saying "And the word was made flesh, and dwelt amongus", - John 1:14, that means he is a God on the form of man .

The third speaker, also a Christian said that Jesus is not a god, but a human being and stated a verse "the Acts of the Apostles, 2 : 22 ("Men of Israel, hear these words, Jesus of Nazareth was a man approved by God among you by miracles and wonders and signs, which God did through him in the midst of you, as you yourselves know") .

Also, one of the speakers mentioned that his mother Mary was not virgin because she was married to Joseph. Some of them opposed him saying that she was a virgin, not married. I, as a Muslim said the following :

We, as Muslims, believe in a single God, Who has no partner, because our Holy Book says : (Suratul Ikhlas 122) :

English Index

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Zu-I-Heja 1417 H.,

Vol. 69 Part XII



الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah :
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـرس